

بَدَائِعُ الْوُصُولِ بِذِي صَحِيحِ الْأُمَّهَاتِ وَالْأُصُولِ

جمع

عَبْدُ اللَّهِ عَبْدُ الْقَادِرِ التَّلَيْدِيُّ
عَفَا اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ

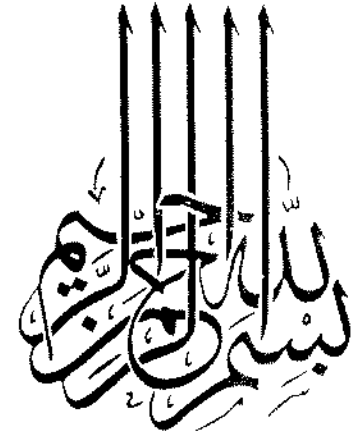
﴿بَيَّأَهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾
وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِأَذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴿٤٦﴾﴾
«بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ»، حديث نبوي صحيح.

المجلد التاسع

قسم السيرة النبوية العطرة

٦١١

دار ابن حزم



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

رَضِيَ اللَّهُ رَضًا وَبَارَكَ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ

الحمد لله حقَّ حمده، والصلاة والسلام على سيِّدنا محمد وآله
وصحبه وحزبه.

وبعد؛ فهذا هو قسم السيرة النبوية من بداية الوصول نقدمه لقرائنا
الميامن على شرطنا المتقدم، وهو أن لا نورد فيه إلا ما صح أو حسن من
الحديث... وهذا عزيز جداً في كتب السيرة النبوية على الرغم مما كتب
فيها من المجلدات والأسفار في كل العصور، فإن الأحداث النبوية
والمغازي التي ذكرها علماء السيرة من حياة النبي ﷺ؛ لا تعدو ما ذكره
ابن إسحاق أو موسى بن عقبة أو ابن سعد أو غيرهم من السلف الذين
اعتنوا بذلك، وهم في الأكثر يذكرونها بلاغات ومعضلات ومراسيل، وكثير
منها لا سند له أصلاً ويقرؤها الناس ويتلقونها من المسلمات.

ولذلك، فإني بإذن الله تعالى وإرادته وتوفيقه تتبعت حياة النبي ﷺ
وغزواته والأحداث التي حصلت له من كتب السنة المشرفة على اختلافها،
مع رجوعي إلى ما ذكره ابن إسحاق الذي كان إماماً في هذا الشأن، فإن
كل من جاء بعده أو كان قبله عيال عليه في ذلك.

ولذلك، فقد جاءت بحمد الله وتوفيقه سيرة نقيّة معزوة للأمهات
والأصول الحديثية، مبيّنة مراتبها، مع شرح ملائم وذكر فوائد الأحداث على
عادتنا في الكتاب، وهذا العمل على هذه الطريقة في السيرة النبوية لا نعلم
أحداً سلكه، نعم كان لابن كثير - رحمه الله تعالى - الفضل الأول في عزو

حُفُوقُ الطَّبَعِ مَحْفُوظَةٌ

الطبعة الأولى

١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م

ISBN 978-9953-81-974-7



الكتب والدراسات التي تصدرها الدار
تعبر عن آراء واجتهادات أصحابها

دار ابن حزم

بيروت - لبنان - ص.ب : 14/6366

هاتف وفاكس : 701974 - 300227 (009611)

البريد الإلكتروني : ibnhazim@cyberia.net.lb

الموقع الإلكتروني : www.daribnhazm.com

أحداث السيرة إلى كتب السنة وأصولها في تاريخه «البداية والنهاية»، لكنه لم يتحرر الصحة والحسن بل ذكر ما هبّ ودبّ، ثم وجدنا العلامة الأستاذ إبراهيم العلي سلك هذا المسلك، وله الفضل الكبير أيضاً في عزو السيرة للأمّهات في كتابه القيم: «صحيح السيرة النبوية» فقد استفدنا منه كثيراً كسابقه جزاهما الله خيراً وأثابهما على علمهما، ونسأل الله عزّ وجلّ بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يجعل ما كتبناه وكتبه خالصاً لوجهه الكريم عارياً عن كل شائبة من رياء أو سمعة أو اعجاب أو افتخار، والحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات، وصلى الله وسلّم وبارك على أشرف خلقه سيدنا محمد وآله وصحبه وزوجه وحزبه.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

رَضِيَ اللهُ عَنْكَ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ

كتاب السيرة النبوية

السيرة هي الطريقة والحالة التي يكون عليها الإنسان في حياته، والسيرة النبوية العطرة هي عبارة عن حياة النبي ﷺ وظروفه التي عاشها بداية من نسبه، فمولده، فمراحل حياته من الطفولة فالصبوة فالشباب، إلى بعثته وظاهرة الوحي، فدعوته، وما لاقى بمكة المكرمة في مرحلته الأولى من أنواع الإذابات من طرف قومه، ثم هجرته، ومرحلته الثانية فغزواته وجهاده... وتعامله مع أصحابه وحسن عشرته مع زوجاته وبزّه بأهله... وشمائله وأخلاقه وفضائله ومعجزاته... إلى التحاقه بالرفيق الأعلى وجوار ربّه؛ هذه مضامين السيرة النبوية الخالدة.

ثم إن قراءة السيرة النبوية ليس الغرض منها مجرد الاطلاع على حياته صلى الله تعالى عليه وآله وسلّم، والتعرّف على الأحداث التي مرّت به كتاريخ مثلاً، بل أهدافها أبعد من ذلك؛ فالسيرة في الحقيقة بيان لأحكام الإسلام وأخلاقه... التي ظهرت متمثلة في شخصية هذا الرسول العظيم ﷺ؛ فحياته ﷺ نسخة عملية من القرآن الكريم، إذ هو كان أخلاقه كما قالت حبيبتة عائشة رضي الله تعالى عنها حينما سألتها سعد بن هشام: «كيف كان خلق رسول الله ﷺ؟ فقالت: كان خلقه القرآن»، رواه

مسلم ويأتي، ولذلك كانت دراسة السيرة النبوية والتعمق فيها أكبر معين على فهم القرآن الكريم؛ إذ أن كثيراً من الأحداث التي مرّت بالنبي ﷺ مع قومه كفار قريش بمكة، ومع اليهود والمنافقين بالمدينة، أضف إلى ذلك غزواته وحروبه، كل ذلك جاء مفضلاً في القرآن الكريم في غير ما سورة المكي منها والمدني.

وأكبر غزواته: بدر، وأحد، والخندق، وقرظة، والحديبية، والنضير، والفتح الأكبر، وحنين، وتبوك، وكلها مستوفاة مفترقة في سور من القرآن الكريم.

إذن، فالسيرة النبوية هي مزيج من القرآن الكريم، والسنة النبوية القولية والعملية والتقريرية وذلكم هو الوحي الإلهي؛ ولذا كان قارئ السيرة المتعمق فيها المتدبر لها يخرج بإذن الله تعالى من قراءتها بعلوم غزيرة، يأخذها مباشرة من معدنها الأصيل الصافي. هذا وقد تناولت هذه السيرة الفذة أعلام العلماء عبر العصور والأجيال، فكتبوا فيها المجلدات والأسفار، وجمعوا كل ما طاب لهم أن يجمعوه في هذا الشأن، فلهذه الأعلام فضل على اللاحقين فجزى الله أصحابها خير الجزاء وأوفاه.

وقد ذكرت جملة وافرة ممن كتبوا في هذا الجانب الطاهر في مقدمتي كتابي «تهذيب الخصائص»، و«تهذيب الشفا» فليرجع إليهما، والله المستعان وعليه التكلان وهو حسبي ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله وسلّم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه وحزبه عدد خلقه ورضاء نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته.

✽ نسبه الشريف وطهارة أصله ﷺ

[١] عن الأشعث بن قيس رضي الله تعالى عنه قال: أتيت رسول الله ﷺ في وفد لا يزونني أفضلهم، فقلت: يا رسول الله إنا

نزعم أنكم منا؟ قال: «نحن بنو النضر بن كنانة، لا نقفو أمنا ولا ننتفي من أبنائنا»، قال: فكان الأشعث يقول: لا أوتني برجل نفى قريشاً من النضر بن كنانة إلا جلدته الحد. (١)

رواه أحمد (٢١١/٥، ٢١٢٠)، وابن ماجه في الحدود (٢٦١٢). قال البوصيري: هذا الإسناد صحيح رجاله ثقات. أما ابن كثير فقال: وهذا إسناد جيد قوي... لا نقفو أمنا أي لا نقذفها ونتهمها.

[٢] وعن كليب بن وائل - رحمه الله تعالى - قال: حدثتني ربيعة النبي ﷺ زينب ابنة أبي سلمة رضي الله تعالى عنهما قال: قلت لها: رأيت النبي ﷺ، أكان من مضر؟ قالت: ممن كان إلا من مضر؛ وفي رواية: أخبريني النبي ﷺ ممن كان؟ من مضر كان؟ قالت: فممن كان إلا من مضر، كان من ولد النضر بن كنانة...

رواه البخاري في مناقب قريش (٣٣٨/٧، ٣٣٩).

مُضَر - بضم الميم وفتح الضاد - أحد أجداد رسول الله ﷺ كما يأتي.

[٣] وعن وائلة بن الأسقع رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله اضطفى كنانة من ولد إسماعيل، واضطفى قريشاً من كنانة، واضطفى هاشمياً من قريش، واضطفاني من بني هاشم».

رواه أحمد (١٠٧/٤)، ومسلم في الفضائل (٣٦/١٥)، والترمذي في المناقب (٣٣٧٤، ٣٣٧٦) بتهذيبي، والبخاري في التاريخ الكبير (٤/١)، والخطيب في التاريخ (٦٤/١٣) وحسنه الترمذي وصححه.

[٤] وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: «بُعِثْتُ مِنْ خَيْرِ قُرُونِ بَنِي آدَمَ قُرْناً فَقُرْناً، حَتَّى كُنْتُ مِنَ الْقُرْنِ الَّذِي كُنْتُ مِنْهُ».

رواه أحمد (٣٧٣/٢، ٤١٧)، والبخاري في صفة النبي ﷺ (٣٨٤/٧).

[٥] وعن الْمُطَلِّبِ بن أبي وَدَاعَةَ رضي الله تعالى عنه قال: جاء العباس رضي الله تعالى عنه إلى رسول الله ﷺ وكأنه سَمِعَ شيئاً، فقام النبي ﷺ على المنبر فقال: «مَنْ أَنَا؟» قالوا: أنت رسولُ الله عليك السلام، قال: «أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، إنَّ الله خلقَ الخلقَ فجعلني في خَيْرِهِمْ، ثم جعلهم فِرْقَتَيْنِ فجعلني في خَيْرِهِمْ، ثم جعلهم قبائلَ، فجعلني في خَيْرِهِمْ قَبِيلَةً، ثم جعلهم بِيوتاً، فجعلني في خَيْرِهِمْ بَيْتاً وخَيْرِهِمْ نَفْساً». (١) (٢) (٣) (٤) (٥) (٦) (٧) (٨) (٩) (١٠) (١١) (١٢) (١٣) (١٤) (١٥) (١٦) (١٧) (١٨) (١٩) (٢٠) (٢١) (٢٢) (٢٣) (٢٤) (٢٥) (٢٦) (٢٧) (٢٨) (٢٩) (٣٠) (٣١) (٣٢) (٣٣) (٣٤) (٣٥) (٣٦) (٣٧) (٣٨) (٣٩) (٤٠) (٤١) (٤٢) (٤٣) (٤٤) (٤٥) (٤٦) (٤٧) (٤٨) (٤٩) (٥٠) (٥١) (٥٢) (٥٣) (٥٤) (٥٥) (٥٦) (٥٧) (٥٨) (٥٩) (٦٠) (٦١) (٦٢) (٦٣) (٦٤) (٦٥) (٦٦) (٦٧) (٦٨) (٦٩) (٧٠) (٧١) (٧٢) (٧٣) (٧٤) (٧٥) (٧٦) (٧٧) (٧٨) (٧٩) (٨٠) (٨١) (٨٢) (٨٣) (٨٤) (٨٥) (٨٦) (٨٧) (٨٨) (٨٩) (٩٠) (٩١) (٩٢) (٩٣) (٩٤) (٩٥) (٩٦) (٩٧) (٩٨) (٩٩) (١٠٠)

رواه أحمد (٢١٠/١)، والطيالسي (٢٤٠٥)، والترمذي في المناقب (٣٣٧٥) وحسنه وصححه، وعن العباس نحوه، رواه أحمد (١٦٥/٤)، (١٦٦)، والترمذي قال الهيثمي (٢١٥/٨) رجاله رجال الصحيح.

[٦] وعن علي رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ قال: «خَرَجْتُ مِنْ نِكَاحٍ وَلَمْ أَخْرُجْ مِنْ سِفَاحٍ، مِنْ لَدُنْ آدَمَ إِلَى أَنْ وَلَدَنِي أَبِي وَأُمِّي، لَمْ يُصِبْنِي مِنْ سِفَاحِ الْجَاهِلِيَّةِ شَيْءٌ».

رواه العَدَنِي في مسنده مُسَلَّسًا بِآلِ الْبَيْتِ، وفيه إرسالٌ.

ورواه عبدالرزاق عن محمد الباقر رضي الله تعالى عنه في قوله تعالى: «لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ»، قال: لم يصبه شيء من ولادة الجاهلية، وقال رسول الله ﷺ: «إني خرجت من نكاح ولم أخرج من سِفَاحٍ».

ورواه أيضاً البيهقي في السنن (١٩٠/٧) وله شواهد عن ابن عباس وعائشة وأبي هريرة، وقال فيه ابن كثير في البداية: وهذا مرسل جيد وأورده النور في المجمع (٢١٤/٨) برواية أوسط الطبراني (٣٦٦/٥) قال: وفيه محمد بن جعفر بن محمد بن علي، صحح له الحاكم، وقد تكلم فيه وبقية رجاله ثقات؛ فالحديث على كل حال ثابت سنداً ومعنى، وقد استوعب الكلام عليه الشيخ ناصر الألباني رحمه الله تعالى في الإرواء، فأجاد وأفاد وجعله من قسم الحسن لغيره، وهو كما قال.

«اصطفى» بمعنى اختار، وقوله: «بعثت» إلخ... يريد صلى الله تعالى عليه وآله وسلم أنه كان يتقلَّب في أصلاب آبائه وأزحام أمهاته الذين كانوا

يعيشون في خَيْرِ طبقات أجيالهم طبقةً وطبقةً وجيلاً وجيلاً إلى أن وُجِدَ عليه السلام في عصره الذي كان بيته أشرف البيوت وأطهرها... والقُرْنُ: الجيل من الناس إذا انقرضوا.

وقوله: «سِفَاحٍ» هو الزنا والنكاح اللاشعري.

في هذه الأحاديث فوائد وأمور:

١- أولاً: ثبوت انتساب النبي ﷺ إلى عدنان، فهو هاشمي قرشي كناني مُضَرِّي عَدَنَانِي مختارٌ من ولد إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام، وهذا نسبه وأسماء أجداده إلى عدنان:

قال البخاري - رحمه الله تعالى - في باب مبعث النبي ﷺ (١٦٢/٨)، (١٦٣، ١٦٤): محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، بن هاشم، بن عبد مناف، بن قُصَيِّ، بن كلاب، بن مُرَّة، بن كَعْب، بن لُؤَيِّ، بن غَالِب، بن فِهْر، بن مَالِك، بن النَّضْر، بن كِنَانة، بن خُزَيْمَة، بن مُدْرِكَة، بن إلياس، بن مُضَرَّ، بن يَزَار، بن مَعَد، بن عَدَنان...

فهذا التَّسَبُّب الشريف هو المتفق عليه بين المحدثين وعلماء السيرة وغيرهم، ولا يصح بعد عدنان شيء، مع اتفاق العلماء على أن عدنان من بني إسماعيل عليه السلام، قال ابن عبد البر رحمه الله تعالى في «الاستيعاب»: هذا ما لم يختلف فيه أحد من الناس، ثم صرح بأن رفعه إلى عدنان إجماع أهل السيرة والعلم بالأثر. ونقل النووي رحمه الله تعالى في أوائل تهذيب الأسماء إجماع الأمة عليه. وقال ابن القيم رحمه الله تعالى في الهدى النبوي: إلى هنا - يعني عدنان - معلوم الصحة متفق عليه بين النسابين ولا خلاف ألبتة، وما فوق عدنان مختلف فيه، قال: ولا خلاف بينهم أن عدنان من ولد إسماعيل عليه السلام، وقال الذهبي رحمه الله تعالى في كتابه السيرة النبوية: وعدنان من ولد إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام بإجماع الناس، لكن اختلفوا فيما بين عدنان وإسماعيل من الآباء، وانظر: شرح السنة للبيهقي (١٩٣/١٣)، والفتح (٣٣٨/٦)، والطبقات لابن سعد (١٥٨/١) وغيرها.

ثانياً: في هذه الأحاديث أن آباء النبي ﷺ وأجداده كانوا أشرف أهل زمانهم وساداتهم وخيارهم، وأن الله عز وجل اختارهم على غيرهم؛ نظراً لما كان يتقلب في أصلابهم... من نور هذا النبي الكريم وتسميته ﷺ، وهذا مما لا مجال للتشكك فيه، فهو كما قال ابن القيم في الهدى: خير أهل الأرض نسباً، فأشرف القوم قومه وأشرف الأفاخذ فخذ... .

ولذلك لما طعن الكفار في نسبة النبي ﷺ وشبهوه بنخلة نبئت في زبالة وكبوة، قام خطيباً مبيناً اختيار نسبه في كل العصور وأنه أشرف بني آدم فرقة، وقبيلة، وبيتاً، ونسباً. وقد اعترف بذلك عدوه إذ ذاك أبو سفيان أمام هرقل، فقال له: إنه ذو نسب فينا... .

ثالثاً: الذي ندين الله تعالى به ونعتقده في أجداد النبي ﷺ وآبائه أنهم كانوا كلهم مسلمين على دين إبراهيم عليه السلام، وكل ما ورد بضد ذلك فهو مؤول كما قال كثير من أهل العلم. وقد روى ابن حبيب في تاريخه عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، قال: مات عدنان وأبوه وابنه معد وربيعة ومضر وقيس وتميم وأسد وضبة على الإسلام على ملة إبراهيم، وروى الزبير بن بكار من وجه آخر عن ابن عباس: لا تسبوا مضر ولا ربيعة، فإنهما كانا مسلمين؛ نقلهما الحافظ في الفتح (٣٣٩/٦).

رابعاً: الطعن في نسب النبي ﷺ كفرٌ يُوجب لصاحبه القتل واللّعة؛ لأن فيه الجمع بين القذف والإذابة له ﷺ وقذفه عليه الصلاة والسلام كفرٌ باتفاق، وهكذا إذابته عليه الصلاة والسلام، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا﴾ (٥٧)، وانظر لهذا «الصارم المسلول» لأبي العباس ابن تيمية رحمه الله تعالى.

وهذا بخلاف غيره، فإن من أخرج شخصاً من نسبه وطعن فيه وجب عليه حدُّ القذف إن لم يأت ببينة تُثبت له ذلك، فليتق الله أولئك الذين يتكلمون في نسب نبينا الكريم ويؤذونه بالطعن في بعض آبائه وأجداده، فإن ذلك أمرٌ خطير.

خامساً: إن الله عز وجل نزه أجداده عن سفاح الجاهلية وأنهم كانوا

يَلْتَقُونَ على نكاح صحيح؛ كنكاح ملة الإسلام، وهذا مما أجمع عليه العلماء، ومن قال خلاف ذلك لم يكن من المسلمين.

سادساً: إن معرفة علم الأنساب قد تكون واجبة كمعرفة نسب النبي ﷺ بأنه هاشمي قرشي مضري إبراهيمي، ومعرفة من يلتقي معه في النسب من الرجال والنساء لِيَتَجَنَّبَ من تحرُّم عليه من النساء، وليتعرّف على من يتوارث معه، إضافة إلى معرفة أقرابه ليصل الرحم معهم^(١).

البشارة بالنبي ﷺ على لسان إبراهيم وعيسى عليهما السلام

[٧] عن العزباض بن سارية رضي الله تعالى عنه قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «إني عند الله في أم الكتاب لَخَاتِمِ النَّبِيِّينَ، وَإِنَّ آدَمَ لَمُنْجِدِلٌ فِي طَبِئَتِهِ، وَسَأُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِ ذَلِكَ: دَعْوَةُ أَبِي إِبْرَاهِيمَ، وَبِشَارَةِ عَيْسَى قَوْمِهِ، وَرُؤْيَا أُمِّي الَّتِي رَأَتْ أَنَّهُ خَرَجَ مِنْهَا نُورٌ أَضَاءَتْ لَهُ قِصُورَ الشَّامِ، وَكَذَلِكَ تَرَى أُمَّهَاتِ النَّبِيِّينَ صَلَوَاتِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ».

رواه أحمد (١٢٧/٤، ١٢٨)، وابن حبان (٢٠٩٣) بالموارد، والحاكم (٦٠٠/٢)، والبيهقي في دلائل النبوة (٨٠/١) وغيرهم، وسنده صحيح عند أحمد وابن حبان، وانظر مجمع الزوائد (٢٢٣/٨)، وله شاهد حسن عن أبي أمامة رواه أحمد (٢٦٢/٥)، وابن سعد (١٠٢/١)، والبيهقي في الدلائل (٨٤/١) وغيرهم.

قوله: «لمنجدل» - بضم الميم وسكون النون وفتح الجيم وكسر الدال - أي؛ ملقى على الجدالة، وهي الأرض، ومعناه: الإخبار بشبوت نبوته لِرُوحه الطاهرة الموجودة قبل الأرواح، وأن الله عز وجل أفاض عليها وضمف النبوة في وقت كان آدم لا يزال طريحاً في الأرض لَمَّ يُنْفَخَ فيه الروحُ بعدُ، وهذا مما اختص به ﷺ عن سائر الخلق.

(١) أفاده ابن حزم رحمه الله تعالى.

وقوله: «دعوة أبي إبراهيم» إشارة إلى قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٢٦﴾، فخليل الرحمن عليه السلام كان قد دعا بدعوات عند بيت الله الحرام، كان من جملتها أن دعا الله عز وجل مع بنيهِ وأن يُخْرِجَ من نسلهم رسولاً يقرأ عليهم آيات الله ويعلمهم الكتاب والحكمة، فأجاب الله تعالى دعاءه، فكان المدعوُّ به هو هذا النبي الكريم ﷺ.

وقوله: «وبشارة عيسى» يشير إلى قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدٌ﴾، وهو نص في أن عيسى بشر قومه الإسرائيليين بهذا النبي العظيم ﷺ.

وقوله: «ورؤيا أمي» الخ... يأتي الكلام على هذه القطعة في ميلاده ورضاعه ﷺ.

✽ البشارة به ﷺ في التوراة والإنجيل

[٨] عن عطاء بن يسار رحمه الله تعالى قال: لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنه قلت: أخبرني عن صفة رسول الله ﷺ في التوراة فقال: أجل والله إنه لمؤصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن: «يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وجزراً للأُميين أنت عبيدي ورسولي سميتك المتوكَّل، ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الأسواق، ولا يجزي السبيته بالسبيته، ولكن يغفو ويصفح، ولن يقبضه الله حتى يُقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا لا إله إلا الله، ويفتح به أعينا عمياً، وأذاناً صمّاً، وقلوباً غلفاً».

رواه أحمد (١٧٤/٢)، والبخاري في البيوع (٢٤٦/٥) وفي تفسير سورة الفتح (٢٠٧/١٠، ٢٠٨) وفي الأدب المفرد (٢٤٦)، وابن سعد في الطبقات، والبيهقي في الدلائل (٣٧٤/١، ٣٧٥).

«أجل» بمعنى: نعم. «شاهداً» أي: على الأمة يوم القيامة، «ومبشراً» أي: مُخبراً من آمن بك وأتبعك بما يسرهم من نعيم خالد. «ونذيراً» أي: مُخبراً ومخوفاً من كفر بك بالعذاب الأليم الدائم، «وحرزاً» أي: أنت حصن للعرب الأُميين المبعوث فيهم من الزبغ والضلال وحجاب لهم من النار إذا آمنوا بك وأيدوك ونصروك وأتبعوك. «ليس بفظ ولا غليظ» الفظاظ والغلظة هي الخشونة والشدة فمؤداهما واحد. «ولا صخاب» بالصاد والسين هو الذي يرفع صوته بكلامه، وخصه بالسوق لأن رفع الصوت عنده من صفات الهمج والزجاج. «الملة العوجاء» الملة هي الدين ووصفها بالعوج لأن العرب كانوا يزعمون أنهم على ملة إبراهيم عليه الصلاة والسلام لكنهم أحدثوا فيها ما ليس منها ومسخوها مسخاً وعوجوها بالبدع والخرافات الشركية، فبعث الله تعالى إليهم الرسول الكريم ﷺ ليقيم لهم هذه الملة ويُرْجِعَهُمْ إلى التوحيد الخالص والعقيدة السالمة، فتفتح به الأعين العمى، والأذان الصم، والقلوب الغلف.

[٩] وعن كعب الأخبار رحمه الله تعالى قال: «نجدُه مكتوباً: مُحَمَّد رسولُ الله ﷺ لا فظ ولا غليظ ولا صخاب بالأسواق، ولا يجزي بالسبيته السبيته، ولكن يغفو ويغفر، وأُمَّتُه الحَمَادُونَ وَيُكَبِّرُونَ الله عز وجل على كل نجد، ويحمدونه في كل منزلة، ويأتزرون على أنصافهم، ويتوضؤون على أطرافهم، مُناديهم يُنادي في جَو السماء، صفهم في القتال وصفحهم في الصلاة سواء، لهم بالليل دوي كدوي النخل، ومولده بمكة، ومهاجره بطيبة، وملكه بالشام».

رواه الدارمي في أوائل سننه رقم (٥) بسند صحيح، ورواه من طريقين آخرين (٨/٧) بنحوه وأحدهما سنه حسن.

«الحَمَادُونَ» الذين يحمدون الله تعالى كثيراً في كل أحوالهم. «نجد» النَّجد كل ما ارتفع من الأرض... ويأتزرون أي: يشدون أزرهم على أوساطهم. «أطرافهم» الأطراف من الإنسان هي يده، ورجلاه، ورأسه... «الدوي» هو الصوت الخفي الذي لا يُفهم.

وفي هذين الحديتين التصريح بصفات النبي ﷺ في التوراة والبشارة به، وقد كان اليهود والنصارى يعرفون ذلك حق المعرفة، ولكنهم لما جاءهم ما عرفوا كفروا به بغياً وحسداً منهم، كما يأتي قريباً.

وقد جاء في القرآن الإخبار عن صفته ﷺ في التوراة والإنجيل؛ ففي سورة الأعراف قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾.

بل جاء في آية أخرى في سورة الفتح مع ذكره في التوراة والإنجيل ذكر صفات أصحابه، حيث قال تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرْتَهُمُ رُكْبًا سُجَّدًا يَتَّبِعُونَ فَضَلًا مِنْ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمِثْلَهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَرَّعًا أَخْرَجَ شَقِيحًا فَتَازَرُوا فَاسْتَقْلَقُوا فَاسْتَوَى عَلَى سُرْقِهِمْ يُعْجِبُ الرِّجَالُ لِعِظَمِ الْأَعْمَارِ﴾.

✽ تبشير اليهود والأخبار والرهبان به ﷺ

[١٠] وعن سلمة بن سلامة بن وقش رضي الله تعالى عنه، وكان من أصحاب بدر، قال: كان لنا جارٌّ من يهود بني عبد الأشهل قال: فخرج علينا يوماً من بيته قبل مبعث النبي ﷺ ببسبر فوقف على مجلس عبد الأشهل قال سلمة: وأنا يومئذٍ أحدثُ من فيه ستاً عليّ بُرْدَةٌ مُضْطَجِعاً فيها بِنَاءٌ أَهْلِي، فذكر البعث، والقيامة، والحساب، والميزان، والجنة، والنار، فقال ذلك لقوم أهل شرك أصحاب أوثان لا يرون أن بعثاً كائنٌ بعد الموت، فقالوا له: وَنَحْكَ يَا فُلَانُ ترى هذا كائناً؟ أن الناس يُبْعَثُونَ بعد موتهم إلى دارٍ فيها جَنَّةٌ ونَارٌ يُجْزَوْنَ فيها بأعمالهم؟ قال: نعم، والذي يحلف به لَوَدَّ أن له بِحَظِّهِ من تلك النارِ أَغْظَمَ تَنُورٌ في الدنيا يُخَمُّونَهُ، ثم يُدْخِلُونَهُ إِيَّاهُ، فيطبق به عليه وأن ينجو من تلك النارِ غداً، قالوا له: ويحك وما آية ذلك؟

قال: نبيُّ يُبعثُ من نحو هذه البلاد، وأشار بيده نحو مكة واليمن، قالوا: ومتى تراه؟ قالوا: فنظر إليّ وأنا من أحدثهم سناً، فقال: إن يَسْتَنْفِذَ هذا الغلامُ عَمْرَهُ يدركه، قال سلمة: فوالله ما ذهب الليل والنهار حتى بعث الله محمداً ﷺ وهو حيٌّ بين أظهرنا فأمنّا به وكفّر به بغياً وحسداً، قال: فقلنا له: ويحك يا فلان ألسنت الذي قلت لنا فيه ما قلت؟ قال: بلى، ولكن ليس به.

رواه ابن إسحاق (١٤١/١) بهذيب ابن هشام مع الروض، ومن طريقه أحمد (٤٦٧/٣)، والحاكم (٤١٧/٣، ٤١٨)، والبخاري في التاريخ (٦٨/٤)، البيهقي في الدلائل (٧٨/٢، ٧٩)، وصححه الحاكم على شرط مسلم ووافقه الذهبي، وابن إسحاق صرح بالتحديث، وانظر: مجمع الزوائد (٢٣٠/٨).

«وقش» بفتح الواو وسكون القاف بعده شين من الأوس، «وبنو عبد الأشهل» حيّ من الأنصار، والأشهل اسم صنم كان لهم في الجاهلية. «أخذت» أي: أصغر. «بفناء» بكسر الفاء، هو ما امتدّ من جوانب الدار. «وَنَحْكَ» أي: ويلك، وقد تأتي للترحم ولك أن ترفعها على الابتداء، أو تنصبها على إضمار فعل محذوف. «لَوَدَّ» أي: لتمنّى وأحبّ. «التنور» بفتح التاء ثم نون مشددة مضمومة هو الفرن. «فيطبق» أي: يغلق عليه ويغطي. «وما آية» أي: وما علامة ذلك. «ومتى تراه» أي: متى تظنّه خارجاً. «يستنفذ» أي: يفني عمره ويطمه.

[١١] وعن عبدالله بن سلام رضي الله تعالى عنه قال: إن الله تعالى لما أراد هذبي زيد بن سغنة، قال زيد بن سغنة: إنه لم يبق من علامات النبوة شيء إلا وقد عرفتها في وجه محمد ﷺ حين نظرت إليه إلا اثنين لم أخبرهما منه: يسبق حلمه جهله، ولا تزيده شدة الجهل عليه إلا حلماً، فكنت أتلف له لأن أخاطبه فأعرف حلمه وجهله، فابتعث منه تمراً معلوماً إلى أجلٍ وأعطيته الثمن، فلما كان قبل محل الأجل بيومين أو ثلاثة أتيته فأخذت بمجامع قميصه وردائه ونظرت إليه بوجه غليظ، ثم قلت: ألا

تقضي يا محمد حقِّي، فوالله إنكم يا بني عبد المطلب لمَطلِّ، ولقد كان لي بمخالطتكم عِلْمٌ. فقال ابن الخطاب: أي عدو الله، تقول لرسول الله ﷺ ما أسمع، فوالله لولا ما أحاذر فوته لضربت بسيفي رأسك، ورسول الله ﷺ ينظر إلى عمر يسكون وتؤدِّة وتبسم، ثم قال: «أنا وهو كنا أحوج إلى غير هذا منك يا عمر، أن تأمرني بحسن الأداء، وتأمره بحسن التباعة، أذهب به يا عمر فاقضيه حقه وزده عشرين صاعاً مكان ما روعته»، ففعلت: يا عمر كل علامات النبوة قد عرفتها في وجه رسول الله ﷺ حين نظرت إليه إلا اثنين لم أخبرهما منه: يسبق حلمه جهله، ولا تزيده شدة الجهل عليه إلا جلماً، فقد خبرتهما، فأشهدك أني قد رضيت بالله رباً وبالإسلام ديناً ومحمد نبياً.

المطل

رواه ابن حبان (٢١٠٥) مع الموارد، والحاكم (٦٠٤/٣، ٦٠٥)، وأبو نعيم في الدلائل، وصححه الحاكم. والوليد بن مسلم صرح بالتحديث، ومحمد بن المتوكل مختلف فيه وللحديث شاهد عند ابن سعد وغيره، والحديث أورده النور في المجمع (٢٣٩/٨، ٢٤٠) برواية الطبراني، وقال: رجاله ثقات، فالحديث حسن. الزدائر

زيد بن سَعْنَةَ هو بضم السين وسكون العين ثم نون مفتوحة كان يهودياً. «لم أخبرهما» مضارع خبر بفتح الباء يخبر بضمها أي: لم أعلمهما. «جلمه» الحلم بكسر الحاء هو الأناة وعدم الاستعجال عند الغضب وضبط النفس. «أتلطف» التلطف: الترقق للأمر. «فابتعت» أي: اشتريت منه. «ألا تقضي» أي: ألا تؤدي لي حقي. «المطل» بفتح الميم وسكون الطاء أي: أصحاب تسوية وتأخير في قضاء الدين وأداء الحقوق من مطلقه حقه سوِّفه بوعد الوفاء المرة بعد المرة. وفي الحديث الصحيح: «مطل الغني ظلم» وقد تقدم. «أحاذر» أي: أخاف فوته. «وتؤدِّة» بضم التاء ثم همزة مفتوحة، فдал مهملة، هي التآني والرزانة. «بحسن التباعة» أي: بحسن المطالبة والمتابعة. «روعته» أي: أفرغته.

[١٧] وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: حدَّثني سلمان الفارسي رضي الله تعالى عنه قال: كنتُ من أهل فارس وكان أبي دُهْمَانُ

أرضه، فكان يُجْبِنِي حُباً شديداً حتى حَبَسَنِي فِي بَيْتِهِ كَمَا تُحْبَسُ الْجَارِيَةُ، وَاجْتَهَدْتُ فِي الْمَجُوسِيَّةِ حَتَّى كُنْتُ قَطْنَ النَّارِ الَّذِي يُوقِدُهَا، فَكُنْتُ كَذَلِكَ لَا أُغْرِفُ مِنْ أَمْرِ النَّاسِ شَيْئاً إِلَّا مَا أَنَا فِيهِ، وَكَانَ لِأَبِي ضَيْعَةٌ فِيهَا بَعْضُ الْعَمَلِ فَذَعَانِي فَقَالَ لِي: أَيُّ بَنِي، إِنِّي قَدْ شَغِلْتُ عَنْ ضَيْعَتِي هَذِهِ وَلَا بُدَّ لِي مِنْ إِضْلَاجِهَا فَانْطَلِقْ إِلَيْهَا فَمُرْهُمْ بِكَذَا وَكَذَا، وَلَا تُحْتَبِسْ عَنِي، فَإِنَّكَ إِنْ احْتَبَسْتَ عَنِي شَغَلْتَنِي عَنْ كُلِّ شَيْءٍ، فَخَرَجْتُ أُرِيدُ ضَيْعَتَهُ فَمَرَرْتُ بِكَنِيسَةِ النَّصَارَى فَسَمِعْتُ أَصْوَاتَهُمْ فِيهَا، فَقُلْتُ: مَا هَذَا؟ فَقَالُوا: هَؤُلَاءِ النَّصَارَى يُصَلُّونَ، فَدَخَلْتُ أَنْظُرَ، فَأَعْجِبَنِي مَا رَأَيْتُ مِنْ حَالِهِمْ فَوَاللَّهِ مَا زَلْتُ جَالِساً عِنْدَهُمْ حَتَّى غَرَبَتِ الشَّمْسُ، وَبَعَثَ أَبِي، فَطَلَبَنِي فِي كُلِّ وَجْهِ حَتَّى جِئْتُ حِينَ أَمْسَيْتُ وَلَمْ أَذْهَبْ إِلَى ضَيْعَتِهِ، فَقَالَ أَبِي: أَيْنَ كُنْتَ؟ أَلَمْ أَكُنْ قُلْتُ لَكَ؟ فَقُلْتُ: يَا أَبَتَاهُ مَرَرْتُ بِنَاسٍ يُقَالُ لَهُمُ النَّصَارَى فَأَعْجَبْتَنِي صَلَاتِهِمْ وَدَعَاؤُهُمْ فَجَلَسْتُ أَنْظُرَ كَيْفَ يَفْعَلُونَ، فَقَالَ لِي: أَيُّ بَنِي دِينُكَ وَدِينُ آبَائِكَ خَيْرٌ مِنْ دِينِهِمْ، فَقُلْتُ: لَا وَاللَّهِ مَا هُوَ بِخَيْرٍ مِنْ دِينِهِمْ، هَؤُلَاءِ قَوْمٌ يَعْبُدُونَ اللَّهَ وَيَدْعُونَهُ وَيُصَلُّونَ لَهُ، وَنَحْنُ إِنَّمَا نَعْبُدُ نَاراً نُوقِدُهَا بِأَيْدِينَا إِذَا تَرَكْنَاهَا مَاتَتْ، فَخَافَنِي فَجَعَلَ فِي رِجْلِي حَدِيداً وَحَبَسَنِي فِي بَيْتِ عِنْدِهِ، فَبِعَثْتُ إِلَى النَّصَارَى فَقُلْتُ لَهُمْ: أَيْنَ أَجِدُ هَذَا الدِّينَ الَّذِي أَرَاكُمْ عَلَيْهِ؟ فَقَالُوا: بِالشَّامِ، فَقُلْتُ: فَإِذَا قَدِمَ عَلَيْكُمْ مِنْ هُنَاكَ نَاسٌ فَادَّئِنُونِي، فَقَالُوا: نَفْعَلُ، فَقَدِمَ عَلَيْهِمْ نَاسٌ مِنْ تِجَّارِهِمْ، فَبِعَثُوا إِلَيَّ أَنَّهُ قَدْ قَدِمَ عَلَيْنَا تِجَّارٌ مِنْ تِجَّارِنَا، فَبِعَثْتُ إِلَيْهِمْ إِذَا قَضَوْا حَوَائِجَهُمْ وَأَرَادُوا الْخُرُوجَ فَادَّئِنُونِي، فَقَالُوا: نَفْعَلُ، فَلَمَّا قَضَوْا حَوَائِجَهُمْ وَأَرَادُوا الرَّجِيلَ بَعَثُوا إِلَيَّ بِذَلِكَ، فَطَرَخْتُ الْحَدِيدَ الَّذِي فِي رِجْلِي وَلِحَقْتُ بِهِمْ، فَانْطَلَقْتُ مَعَهُمْ حَتَّى قَدِمْتُ الشَّامَ، فَلَمَّا قَدِمْتُهَا قُلْتُ: مَنْ أَفْضَلُ أَهْلُ هَذَا الدِّينِ؟ فَقَالُوا: الْأَشْقَفُ صَاحِبُ الْكَنِيسَةِ، فَجِئْتُهُ فَقُلْتُ لَهُ: إِنِّي أَخْبَيْتُ أَنْ أَكُونَ مَعَكَ فِي كَنِيسَتِكَ وَأَعْبَدَ اللَّهَ مَعَكَ فِيهَا وَأَتَعَلَّمُ مِنْكَ الْخَيْرَ، قَالَ: فَكُنْ مَعِي، قَالَ: فَكُنْتُ مَعَهُ وَكَانَ رَجُلٌ سَوْءٌ، كَانَ يَأْمُرُهُمُ بِالصَّدَقَةِ وَيُرْغَبُهُمْ فِيهَا فَإِذَا جَمَعَهَا إِلَيْهِ أَكْتَنَزَهَا وَلَمْ يُعْطِهَا الْمَسَاكِينَ، فَأَبْغَضْتُهُ بَغْضاً شَدِيداً لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حَالِهِ، فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ مَاتَ، فَلَمَّا جَاءُوا لِيَذْفُوهُ قُلْتُ لَهُمْ: إِنَّ هَذَا رَجُلٌ سَوْءٌ، كَانَ يَأْمُرُكُمْ

بالصدقة وَيُرْغَبُكُمْ فِيهَا حَتَّى إِذَا جَمَعْتُمُوهَا إِلَيْهِ اكْتَنَزَهَا وَلَمْ يُعْطِهَا الْمَسَاكِينَ،
 فَقَالُوا: وَمَا عِلْمُ ذَلِكَ؟ فَقُلْتُ: أَنَا أَخْرَجُ لَكُمْ كَنْزَهُ، فَقَالُوا: هَاتِهِ،
 فَأَخْرَجْتُ لَهُمْ سَبْعَ قِلَالٍ مَمْلُوءَةٌ ذَهَبًا وَوَرِقًا، فَلَمَّا رَأَوْا ذَلِكَ قَالُوا: وَاللَّهِ لَا
 يُدْفَنُ أَبَدًا فَصَلَّبُوهُ عَلَى خَشْبَةٍ وَرَمَوْهُ بِالْحِجَارَةِ... وَجَاءُوا بِرَجُلٍ آخَرَ
 فَجَعَلُوهُ مَكَانَهُ، فَلَا وَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ رَجُلًا قَطُّ لَا يُصَلِّي الْخَمْسَ أَرَى أَنَّهُ أَفْضَلُ
 مِنْهُ وَأَشَدُّ اجْتِهَادًا، وَلَا زَهَادَةً فِي الدُّنْيَا، وَلَا أَذَابَ لَيْلًا وَنَهَارًا مِنْهُ مَا
 أَعْلَمُنِي أَحَبِّتُ شَيْئًا قَبْلَهُ حُبَّهُ فَلَمْ أَزَلْ مَعَهُ حَتَّى حَضَرْتَهُ الْوَفَاةَ، فَقُلْتُ: يَا
 فُلَانُ قَدْ حَضَرَكَ مَا تَرَى مِنَ اللَّهِ وَإِنِّي وَاللَّهِ مَا أَحَبِّتُ شَيْئًا قَطُّ حُبِّكَ، فَمَاذَا
 تَأْمُرُنِي وَإِلَى مَنْ تُوصِينِي؟ فَقَالَ لِي: أَيُّ بَنِيَّ، وَاللَّهِ مَا أَعْلَمُهُ إِلَّا رَجُلًا
 بِالْمَوْصِلِ، فَاتَيْتُهُ فَإِنَّكَ سَتَجِدُهُ عَلَى مِثْلِ حَالِي. فَلَمَّا مَاتَ وَغُيِّبَ لِحَقِّتُ
 بِالْمَوْصِلِ، فَاتَيْتُ صَاحِبَهَا فَوَجَدْتُهُ عَلَى مِثْلِ حَالِهِ مِنَ الْاجْتِهَادِ وَالزَّهَادَةِ فِي
 الدُّنْيَا، فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّ فُلَانًا أَوْصَى بِي إِلَيْكَ أَنْ آتِيكَ وَأَكُونَ مَعَكَ، قَالَ:
 فَأَقِمْ أَيُّ بَنِيَّ، فَأَقِمْتُ عِنْدَهُ عَلَى مِثْلِ أَمْرِ صَاحِبِهِ حَتَّى حَضَرْتَهُ الْوَفَاةَ،
 فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّ فُلَانًا أَوْصَى بِي إِلَيْكَ وَقَدْ حَضَرَكَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ مَا تَرَى فِإِلَى
 مَنْ تُوصِينِي؟ قَالَ: وَاللَّهِ مَا أَعْلَمُهُ أَيُّ بَنِيَّ إِلَّا رَجُلًا بَنِيَّيْنِ، وَهُوَ عَلَى مِثْلِ
 مَا نَحْنُ عَلَيْهِ فَالْحَقُّ بِهِ، فَلَمَّا دَفِنَاهُ لِحَقِّتُ بِالْآخِرِ، فَقُلْتُ لَهُ: يَا فُلَانُ إِنَّ
 فُلَانًا أَوْصَى بِي إِلَى فُلَانٍ، وَفُلَانٌ أَوْصَى بِي إِلَيْكَ، قَالَ: فَأَقِمْ يَا بَنِيَّ،
 فَأَقِمْتُ عِنْدَهُ عَلَى مِثْلِ حَالِهِمْ حَتَّى حَضَرْتَهُ الْوَفَاةَ، فَقُلْتُ لَهُ: يَا فُلَانُ إِنَّهُ قَدْ
 حَضَرَكَ مِنَ اللَّهِ مَا تَرَى، وَقَدْ كَانَ فُلَانٌ أَوْصَى بِي إِلَى فُلَانٍ. وَفُلَانٌ
 أَوْصَى بِي إِلَى فُلَانٍ، وَأَوْصَى بِي فُلَانٌ إِلَيْكَ، فِإِلَى مَنْ تُوصِينِي؟ قَالَ: أَيُّ
 بَنِيَّ وَاللَّهِ مَا أَعْلَمُ أَحَدًا عَلَى مِثْلِ مَا نَحْنُ عَلَيْهِ إِلَّا رَجُلًا بَعْمُورِيَّةً مِنْ أَرْضِ
 الرُّومِ فَاتَيْتُهُ فَإِنَّكَ سَتَجِدُهُ عَلَى مِثْلِ مَا كُنَّا عَلَيْهِ، فَلَمَّا وَارَيْتُهُ خَرَجْتُ حَتَّى
 قَدِمْتُ عَلَى صَاحِبِ عَمُورِيَّةٍ فَوَجَدْتُهُ عَلَى مِثْلِ حَالِهِمْ، فَأَقِمْتُ عِنْدَهُ
 وَاکْتَسَبْتُ حَتَّى كَانَتْ لِي غُنَيْمَةٌ وَبَقَرَاتٌ، ثُمَّ حَضَرْتَهُ الْوَفَاةَ، فَقُلْتُ: يَا
 فُلَانُ، إِنَّ فُلَانًا أَوْصَى بِي إِلَى فُلَانٍ، وَفُلَانٌ أَوْصَى بِي إِلَى فُلَانٍ، وَفُلَانٌ
 أَوْصَى بِي فُلَانٍ، وَفُلَانٌ إِلَيْكَ، وَقَدْ حَضَرَكَ مَا تَرَى مِنْ أَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى، فِإِلَى
 مَنْ تُوصِينِي؟ قَالَ: أَيُّ بَنِيَّ وَاللَّهِ مَا أَعْلَمُ بَقِي أَحَدٍ عَلَى مِثْلِ مَا كُنَّا عَلَيْهِ

أَمْرِكَ أَنْ تَأْتِيَهُ، وَلَكِنَّهُ قَدْ أَظْلَكَ زَمَانَ نَبِيِّ يُبْعَثُ مِنَ الْحَرَمِ، مُهَاجِرُهُ بَيْنَ
 حَرَّتَيْنِ إِلَى أَرْضِ سَبْحَةَ ذَاتِ نَخِيلٍ، وَأَنْ فِيهِ عِلَامَاتٌ لَا تَخْفَى بَيْنَ كَتِفَيْهِ
 خَاتَمُ النَّبُوءَةِ، يَأْكُلُ الْهَدِيَّةَ وَلَا يَأْكُلُ الصَّدَقَةَ، فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَخْلُصَ إِلَى
 تِلْكَ الْبِلَادِ فَافْعَلْ، فَإِنَّهُ قَدْ أَظْلَكَ زَمَانَهُ...

فَلَمَّا وَارَيْنَاهُ أَقَمْتُ حَتَّى مَرَّ بِنَا رَجَالٌ مِنْ تِجَارِ الْعَرَبِ مِنْ كَلْبٍ،
 فَقُلْتُ لَهُمْ: تَحْمِلُونِي مَعَكُمْ حَتَّى تَقْدَمُوا بِي فِي أَرْضِ الْعَرَبِ، وَأَعْطِيكُمْ
 غَنِيمَتِي وَبِقِرَاتِي، قَالُوا: نَعَمْ، فَأَعْطَيْتُهُمْ إِيَّاهَا وَحَمَلُونِي، حَتَّى إِذَا جَاءُوا بِي
 وَادِي الْقُرَى، فَوَاللَّهِ لَقَدْ رَأَيْتُ النَّخْلَ وَطَمَعْتُ أَنْ يَكُونَ الْبَلَدُ الَّذِي نَعْتُ لَهَا
 صَاحِبِي، وَمَا حَقَّتْ عِنْدِي حَتَّى قَدِمَ رَجُلٌ مِنْ قُرَيْظَةَ مِنْ يَهُودِ وَادِي الْقُرَى
 فَابْتَاعَنِي مِنَ صَاحِبِي الَّذِي كُنْتُ عِنْدَهُ فَخَرَجَ بِي حَتَّى قَدِمَ بِي الْمَدِينَةَ، فَوَاللَّهِ
 مَا هُوَ إِلَّا أَنْ رَأَيْتُهَا فَعَرَفْتُ نَعْتَهَا، فَأَقَمْتُ فِي رَقِيٍّ مَعَ صَاحِبِي، وَبَعَثَ اللَّهُ
 رَسُولَهُ ﷺ بِمَكَّةَ لَا يُذَكِّرُ لِي شَيْءَ مِنْ أَمْرِهِ مَعَ مَا أَنَا فِيهِ مِنَ الرَّقِّ، حَتَّى
 قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قُبَاءً، وَأَنَا أَعْمَلُ لَصَاحِبِي فِي نَخْلَةٍ لَهُ، فَوَاللَّهِ إِنِّي لَفِيهَا
 إِذْ جَاءَ ابْنُ عَمِّ لِي فَقَالَ: يَا فُلَانُ قَاتِلِ اللَّهَ بَنِي قَيْلَةَ، وَاللَّهِ إِنَّهُمْ الْآنَ لَفِي
 قُبَاءٍ مَجْتَمِعُونَ عَلَى رَجُلٍ مِنْ مَكَّةَ يُزْعَمُونَ أَنَّهُ نَبِيٌّ، فَوَاللَّهِ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ
 سَمِعْتُهَا فَأَخَذْتَنِي الْعُرَوَاءُ - يَقُولُ الرُّعْدَةُ - حَتَّى ظَنَنْتُ لَأَسْقُطَنَّ عَلَى صَاحِبِي،
 وَنَزَلَتْ أَقُولُ: مَا هَذَا الْخَبِيرُ؟ مَا هُوَ؟ فَرَفَعَ مَوْلَايَ يَدَاهُ فَلَكَمَنِي لَكَمَةً
 شَدِيدَةً، وَقَالَ: مَا لَكَ وَلِهَذَا؟ أَقْبِلْ عَلَى عَمَلِكَ، فَقُلْتُ: لَا شَيْءَ، إِنَّمَا
 سَمِعْتُ خَبْرًا فَأَحْبَبْتُ أَنْ أَعْلَمَهُ، فَخَرَجْتُ وَسَأَلْتُ، فَلَقِيْتُ امْرَأَةً مِنْ أَهْلِ
 بِلَادِي فَسَأَلْتُهَا، فَإِذَا أَهْلُ بَيْتِهَا قَدْ أَسْلَمُوا، فَدَلَّتْنِي عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ،
 فَلَمَّا أَمْسَيْتُ وَكَانَ عِنْدِي شَيْءٌ مِنْ طَعَامٍ فَحَمَلْتُهُ وَذَهَبْتُ بِهِ إِلَى
 رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ بِقُبَاءٍ فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّهُ بَلَّغَنِي أَنَّكَ رَجُلٌ صَالِحٌ، وَأَنْ مَعَكَ
 أَصْحَابًا لَكَ غُرَبَاءُ، وَقَدْ كَانَ عِنْدِي شَيْءٌ مِنَ الصَّدَقَةِ، فَارَأَيْتُمْ أَحَقَّ مَنْ
 يَهْدِيهِ الْبِلَادَ بِهِ، فَهَذَا هُوَذَا، فَكُلْ مِنْهُ، فَأَمْسَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدَهُ، وَقَالَ
 لِأَصْحَابِهِ: «كُلُوا» وَلَمْ يَأْكُلْ، فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: هَذِهِ حَلَّةٌ مِمَّا وَصَفَ لِي
 صَاحِبِي، ثُمَّ رَجَعْتُ، وَتَحَوَّلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْمَدِينَةِ فَجَمَعْتُ شَيْئًا كَانَ
 عِنْدِي ثُمَّ جِئْتُ بِهِ، فَقُلْتُ: إِنِّي قَدْ رَأَيْتُكَ لَا تَأْكُلُ الصَّدَقَةَ وَهَذِهِ هَدِيَّةٌ

وكرامة ليست بالصدقة، فأكل رسول الله ﷺ وأكل أصحابه، فقلت: هذه خلّتان، ثم جئت رسول الله ﷺ وهو يتبع جنازة وعليه شَمْلَتَانِ وهو في أصحابه فاستدزّت لأنظرَ إلى الخاتم في ظهره، فلما رأيت رسول الله ﷺ استدزّته عرف أنني استنثيت شيئاً قد وُصِفَ لي، فوضع رداءه عن ظهره، فنظرتُ إلى الخاتم بين كتفيه كما وصف لي صاحبي، فأكبتُ عليه أقبله وأبكي، فقال: تحوّل يا سلمان هكذا، فتحوّلتُ، فجلستُ بين يديه وأحبُّ أن يُسمِعَ أصحابه حديثي عنه، فحدّثته فلما فرغت قال: كاتِب يا سلمان، فكاتبْتُ صاحبي على ثلاثمائة نخلة أُخِيهَا، وأربعين أُوقية، وأعاني أصحاب رسول الله ﷺ بالنخل ثلاثين وديّةً وعشرين وديّةً وعشر، كل رجل منهم على قدر ما عنده، فقال لي رسول الله ﷺ: «فَقْرُهَا فَإِذَا فَرَعْتَ فَأَذِنِي حَتَّى أَكُونَ أَنَا الَّذِي أَضَعُهَا بِيَدِي»، ففَقَرْتُهَا وأعاني أصحابي، يقول: حفرت لها حيث توضع حتى فرغنا منها، فجاء رسول الله ﷺ، فكنا نحمل إليه الودي ويضعه ويسوي عليها، فوالذي بعثه بالحق ما ماتت منها ودية واحدة، وبقيت عليّ الدراهم فأتاه رجل من بعض المعادن بمثل بيضة من الذهب، فقال رسول الله ﷺ: «أين الفارسي المسلم المكاتب؟» فدعيتُ له، فقال: «خذ هذه يا سلمان فأدّها مما عليك»، فقلت: يا رسول الله وأين تقع هذه مما عليّ؟ قال: «فإن الله سيؤدّي بها عنك»، فوالذي نفس سلمان بيده لو زنتُ لهم منها أربعين أُوقية فأذيتها إليهم وبقي عنده مثل ما أعطيتهم، وعُتِقَ سلمان، وكان الرُّقُّ قد حَبَسَنِي حَتَّى فَاتَنِي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِدَرٍّ وَأَحَدٍ، ثُمَّ عَتَقْتُ، فَشَهِدْتُ الْخَنْدُقَ، ثُمَّ لَمْ يَفْتَنِي مَعَهُ مَشْهَدٌ...

رواه ابن إسحاق في السيرة ومن طريقه أحمد (٤٤١/٥، ٤٤٤)، وابن سعد في الطبقات (٧٥/٤، ٨٠)، والبيهقي (٩٢/٢، ٩٧)، وأبو نعيم (١٩٩) كلاهما في الدلائل، والخطيب في التاريخ (١٦٤/١، ١٦٩)، والطبراني في الكبير رقم (٦٠٦٥) وسنده صحيح على شرط مسلم، وابن إسحاق صرّح بالتحديث ولذا قرّاه ابن كثير في السيرة، وللحديث طرق وروايات هو بها صحيح، وقد أورده النور في المجمع (٣٣٦/٩، ٣٣٧) برواية أحمد وكبير الطبراني بأسانيد، وقال: إسناد الرواية الأولى عند أحمد والطبراني رجالها

رجال الصحيح غير عمرو ابن أبي قرّة الكندي وهو ثقة، ثم ذكره مختصراً برواية أحمد والبخاري، وقال: رجاله رجال الصحيح.

«دهقان» بضم الدال وكسرهما كلمة فارسية ومعناها الرئيس. «قَطَن النار» أي: خادمها والقيّم عليها وهو بفتح القاف وكسر الطاء وفتحها. «ضيعة» بفتح الضاد وسكون الياء بعدها عين مهملة مفتوحة، هي العقار والأراضي المُغَلَّة، وتُطلَق على صناعة الرجل وحرفته. «فَأَذِنُونِي» أي: اعلموني. «الْأَشْقَفَ» بضم الهمزة وسكون السين بعده قاف مضمومة ثم فاء مشددة هو الرئيس الديني عند النصارى فوق القسيس. «فلم يلبث» أي: لم ينشب كما في رواية ولم يمكث. «ويرغبكم» الترغيب في الشيء التحبيب فيه والحضّ عليه. «قلال» بكسر القاف جمع قلّة وهي الحجر الكبيرة. «وورق» بكسر الراء الفضة. «فصلبوه» أي: أقاموه مربوطاً على خشبة. «بالموصل» بلدة بالعراق، ومنها كان خليل الرحمن عليه وعلى نبيّنا الصلاة والسلام. «نصييين» بفتح النون وكسر الصاد بعدها ياء ثم باء مكسورة؛ بلدة من بلاد الجزيرة بينها وبين الموصل نحو ٣٠٠ كيلو ومنها كان الجنّ الذين استمعوا إلى قراءة النبي ﷺ وهو يبطن نخلة يصلّي الصبح بأصحابه كما يأتي في محلّه. «أذأب» أي: أتعب وأشدّ عبادة. «أظلك» أي: دنا وقرب منك وقته. «حرتين» تشية حرّة وهي الحجارة السود والمدينة المنورة كانت تكتنفها حرتان شرقية وغربية، وقد بنيت عليهما العمارات الآن. «سبخة» بفتح السين وكسر الباء الأرض ذات الملح. «خاتم النبوة» هو عُدَّة لحم كانت بين كتفيه مثل بيض الحمامة أو الحجلة عليها شعرات وتآليل. «تخلص» بضم اللام أي: تصل إليها. «واريناه» أي: دفناه وسترناه بالتراب. «وادي القرى» موضع بين تبوك وخيبر كان يسكنه في القديم اليهود. «فابنّاعني» أي: اشترائني. «في رقي» أي: في عبوديتي مملوكاً. «قباء» بضم القاف هي قرية بني عمرو بن عوف منزل رسول الله ﷺ الأول عند قدمه في هجرته وبها مسجده العظيم التاريخي الذي أسس على التقوى من أول يوم. «بني قيلة» بفتح القاف وسكون الياء هم الأنصار من الأوس والخزرج، وقيلة كانت أمهم الأولى. «فلكمني» أي: ضربني بكفه مجموعة. «امرأة من

أهل بلادتي» يعني: من أصبهان الإيرانية إذ كان سلمان رضي الله تعالى عنه من هنالك. «خلة» أي: خصلة وهي بفتح الخاء. «شملتان» تثنية شملة وهي كساء كان العرب يلتحفون به. «فأكببت عليه» أي: أقبلت عليه والتزمته. «أقبله وأبكي» يعني: شوقاً ومحبة وفرحاً حيث بلغه الله تعالى مراده بعد بلايا وشدائد مرّت عليه. «كاتب» معناه اطلب من سيّدك اليهودي الكتابة واشتر نفسك منه لتتقلب حُرّاً. «ودية» بفتح الواو وكسر الدال المهملة ثم ياء مشدّدة مفتوحة هي واحدة الودي وهي صغار النخل ونقلتها. «فقرّها» أي: احفر لها مواضعها.

✻ فوائد هذه الأحاديث

وفي هذه القصص الثلاث: قصة اليهودي الأشهلي، وقصة زيد بن سُعنة، وقصة سلمان الفارسي عبّر وفوائد نجمها في الآتي:

ففي جملتها: أن اليهود والنصارى كان لهم علم بالنبي ﷺ وخاصة علماءهم ورهبانهم حسبما كانوا يعرفونه من صفاته ﷺ والبشارة به، والأمر بالإيمان به واتباعه مما كان عندهم في التوراة والإنجيل، وهذا أمر واضح بحمد الله تعالى.

ومنها: أن اليهود من يوم كانوا وهم يجحدون الحق ويخالفونه مع معرفتهم إياه بغياً وحسداً منهم، فذلك اليهودي الأشهلي مع إيمانه بالله واليوم الآخر... ومعرفته بخروج النبي ﷺ من ناحية مكة لما عرفه من التوراة كفر به وججده عندما بعث وظهر فأضله الله تعالى على علمه، وفرق كبير بينه وبين زيد بن سُعنة اليهودي هو الآخر الذي أشهر إسلامه والإيمان بالنبي ﷺ بمجرد تحقّقه بوجود الصفات التي عرفها في النبي ﷺ مما علمها عنه في التوراة، فكان ممن أراد الله به خيراً وأعطاه الله الأجر مرتين كعبدالله بن سلام رضي الله تعالى عنه وغيره ممن آمن من اليهود.

ومنها: وهي في قصة سلمان رضي الله تعالى أن من سبقت له السعادة لا تضرّه الجنّاية، فلقد كان قطن النار التي كانوا يعبدونها ووالده رئيس قومه المجوس، ولما أراد الله به خيراً لما سبق له في الأزل أنقذه الله تعالى من المجوسية إلى دين الله الحق.

ومنها: أن دين النصارى كان منتشرأ قبل بعثة النبي ﷺ حتى في بلاد فارس ولا ندري كيف كانت ديانتهم، والظاهر أنهم كانوا ضالّين عن دين عيسى عليه السلام بدليل ما يأتي عن أولئك القساوسة.

ومنها: أن دين النصرانية كانت قاعدته بالشام، والشام تشمل فلسطين والأردن وسوريا ولبنان؛ فهذه البلاد كلها يُطلق عليها الشام ولم تزل مواطن للنصارى بمدنها وقراها إلى الآن لكنهم ضلّوا وأضلّوا...

ومنها: أن دين عيسى الصحيح كان قد تغرّب بدليل القساوسة الذين صحبهم سلمان، فإنهم كانوا غرباء وكان الأخير منهم هو خاتمهم، ولذلك أوصى سلمان بالذهاب إلى بلاد العرب حيث سيبعث منها نبي في القريب العاجل، فلو كان أحد ممن يقتدى به من النصارى موجوداً وقته لأرشده إليه ودلّه عليه، ولكنه قال له: «والله ما أعلم بقي أحد على مثل ما كنّا عليه أمرك أن تأتيه».

ومنها: معرفة ذلك الأسقف بصفات النبي ﷺ ككونه يبعث من مكة ويهاجر إلى المدينة، وأن بين كتفيه خاتم النبوة وأنه يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة مع معرفته بوقت خروجه، كل ذلك عرفه من الإنجيل الذي تحدّث عنه ﷺ وبشّر به.

ومنها: هداية سلمان لطلب الدين الحق ومهاجرته والديه وأسرته وبلاده إلى حيث يوجد دين الله، وتجنّبه السفر الطويل من بلاد فارس إلى الشام وهي مسافة طويلة تتطلّب زاداً وأياماً كثيرة، فقطعها وبلغ مراده.

ومنها: فطنته حيث سأل عن أفضل أهل دين النصارى ليتمكّن من أخذه مباشرة عن علمائه الأفاضل.

ومنها: صبره على خدمة أولئك القساوسة واحداً تلو الآخر حتى مات آخرهم.

ومنها: تسهيل الله عز وجل له السبيل إلى الدخول لبلاد العرب حتى وصل إلى المدينة حيث سيسعد بالاجتماع بالحبيب المصطفى ﷺ.

ومنها: وهي من الأهمية بمكان، معاونة النبي ﷺ وأصحابه إياه، ومساعدته في فك رقه والحصول على حريته وإنقاذه من عبوديته لغير الله تعالى، ولا سيما وقد كان عبداً ليهودي، وما فعله رسول الله ﷺ وأصحابه مع سلمان ينبغي أن يكون نموذجاً للمسلمين في كل العصور؛ لأن الإسلام يأمر بذلك ويحض عليه ويرغب فيه هدايا الله وجميع المسلمين إلى ما فيه رضاه.

✽ إخبار الكهان ببعثته ﷺ

[١٣] عن عبدالله بن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: ما سمعتُ عُمَرَ بشيءٍ قطُّ يقول: إني لأظنه كذا إلا كان كما يظنُّ. بينما عمُرُ جالس إذ مرَّ به رجلٌ جميلٌ، فقال عمر: لقد أخطأ ظنِّي، أو إن هذا على دينه في الجاهلية، أو لقد كان كاهنهم، عليَّ الرجل، فدعيتُ له، فقال له ذلك، فقال: ما رأيتُ كالسيوم، أستقبل به رجلٌ مسلمٌ، قال: فإني أعزم عليك إلا ما أخبرتني، قال: كنت كاهنهم في الجاهلية، قال: فما أعجب ما جاءتك به جيتك؟ قال: بينما أنا يوماً في السوق جاءتني أعرف منها الفرع، فقالت:

ألم ترَ الجنَّ وإبلاسهَا ويأسهَا مِنْ بَعْدِ إِنْكَاسِهَا
وَلَحُوقِهَا بِالْقِلَاصِ وَأَخْلَاسِهَا

قال: صدق، بينما أنا نائم عند آهتهم إذ جاء رجل بعجل فذبحه، فصرخ به صارخ لم أسمع صارخاً قطُّ أشدَّ صوتاً منه يقول: يا جليح أُمُرُ نجيح، رجلٌ فصيحٌ يقول: لا إله إلا الله، فوثب القوم قلت: لا أبرح حتى

أعلم ما وراء هذا، ثم نادى: يا جليح أمر نجيح، رجل فصيح يقول لا إله إلا الله، فقامت فما تشبنا أن قيل: هذا نبي.

رواه للبخاري في إسلام عمر من مبعث النبي ﷺ (١٧٨/٨، ١٨٠)، والبيهقي في الدلائل (٢٤٨/٢) وغيرهما.

[١٤] وعن جابر رضي الله تعالى عنه قال: إنَّ أولَ خبر قدم علينا عن رسول الله ﷺ أن امرأة كان لها تابع، قال: فأتاها في صورة طيرٍ فوق علفٍ جذع لهم، قال: فقالت: ألا تنزل فنخبرك وتخبرنا، قال: إنه قد خرج رجل بمكة حرّم علينا الزنا ومنع منا القرار.

رواه أحمد (٣٥٦/٣)، وابن سعد في الطبقات (١٨٩/١، ١٩٠)، وسنده حسن.

في الحديثين أن الجن كان لهم علم ببعثة النبي ﷺ لما كانوا يسمعون من الملائكة عند استراق السمع، وكانوا يخبرون أصحابهم من الكهنة بذلك، وقد جاء في ذلك أخبار عديدة أضربنا عنها اكتفاء بما ذكرنا.

✽ مولده ﷺ

[١٥] عن أبي قتادة رضي الله تعالى عنه أن أعرابياً قال: يا رسول الله ما تقول في صوم يوم الاثنين؟ فقال: «ذاك يومٌ وُلِدْتُ فيه، وأنزل علي فيه».

رواه أحمد (٢٩٧/٥)، ومسلم (٥١/٨، ٥٢)، وأبو داود (٢٤٢٦) كلاهما في الصوم.

[١٦] وعن ابن عباس وجابر رضي الله تعالى عنهم أتتهما قالاً: وُلِد رسولُ الله ﷺ عام الفيل يوم الاثنين الثاني عشر من شهر ربيع الأول، وفيه بُعث، وفيه عُرِجَ به إلى السماء، وفيه هاجر، وفيه مات.

رواه ابن أبي شيبة في المصنّف، والحاكم (٦٠٣/٢) وسنده صحيح،
وصححه الحاكم على شرطهما ووافقه الذهبي، لكن الحاكم اقتصر على عام
الفيل وولادته يوم الاثنين.

[١٧] وعن قيس بن مخرمة رضي الله تعالى عنه قال: ولدتُ أنا
ورسولُ الله ﷺ عامَ الفيل فنحن لِدَانٍ، ولِدْنَا مَوْلِدًا واحدًا. قال: وسأل
عثمانُ بنُ عفان رضي الله تعالى عنه قَبَاتَ بنَ أشيمَ أخا بني يَغمَر بن ليث:
أنت أكبر أم رسولُ الله ﷺ؟ قال: رسولُ الله ﷺ أكبر مِنِّي، وأنا أقدمُ
منه في الميلادِ، قال: ورأيتُ خَذَقَ الطيرِ أخضرَ مُحِيلاً.

رواه أحمد (٢١٥/٤)، والترمذي في المناقب (٣٣٨٨) بتهذيبي،
والحاكم (٦٠٣/٢) من طريق ابن إسحاق (١٠٢/١) وصححه الحاكم على
شرط مسلم ووافقه الذهبي، وابن إسحاق صرح بالتحديث.

قوله: «قبات» بفتح القاف والباء. «أشيم» على وزن أحمد. «خَذَقَ»
بفتح المعجمتين ثم قاف هو الروث. «محيلاً» بضم الميم من الإحالة أي
متغيراً.

وجملة هذه الأحاديث تدلّ على أن النبي ﷺ وُلِدَ يوم الاثنين من ربيع
الأول عام الفيل، وهذا متفقٌ عليه بين علماء السيرة والمؤرخين والعلماء، وإنما
وقع الخلاف في تعيين اليوم، فالجمهور على أنه اليوم الثاني عشر، وعليه يدلّ
حديث ابن عباس وجابر، وقيل: الثامن، ورجحه ابن حزم وابن دحية، ونقل
ابن عبد البرّ تصحيحه عن المؤرخين، وهو قول للمحدثين وهو الصحيح من
جهة الحساب وقيل غير ذلك، والله تعالى أعلم.

من فوائد هذه الأحاديث

في هذه الأحاديث فوائد:

منها: قصة الفيل وخلاصتها: أن أبرهة الأشرم ملك اليمن كان قد بنى

كنيسة بصنعاء، وأراد أن يصرف إليها الحجيج فجاء رجل من كنانة وتغوّظ
فيها ليلاً، ولطخ جدرانها بالنجاسة احتقاراً لها، فغضب أبرهة وحلف أن
يهدم الكعبة، وجاء مكة المكرمة بجيش كبير على أفيال يتقدمهم فيلٌ هو
أعظم الفيلة، فلما وصل قريباً من مكة فرّ أهلها إلى الجبال خوفاً من جنده
وجبروته، فلما دخل مكة وأراد هدم الكعبة بفيله أرسل الله عزّ وجلّ عليهم
طيوراً سوداً جاءت من قبل البحر مع كل طائر ثلاثة أحجار: حجر في منقره
وحجران في رجليه، فرمتهم الطيور بتلك الحجارة، فكان الحجر يقع على
رأس أحدهم فيخرج من دبره فيرمى جثة هامة حتى أهلكهم الله عن
آخرهم، فكان هذا الحادث إرهاباً للنبي ﷺ ومعجزة مقدّمة له لأنه كان
حملاً في بطن أمه السيدة آمنة العريضة، وهو بالتالي عبرة للمعتبرين وإلى هذا
الحادث العظيم أشار الله تعالى في القرآن الكريم:

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا فَعَلْنَا رَبَّنَا أَتَيْنَا بِكَ يَاحْيَاؤُا لَيْلٍ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴿٥﴾﴾ [سورة الفيل].

قوله: «في تضليل» أي جعل تعالى مكرهم وسعيهم في تخريب الكعبة
في ضياع وخسار، وقوله: «طيراً أبابيل» أي بعث إليهم طيوراً أتتهم
جماعات بعضها في إثر بعض ترميهم وتقذفهم بحجارة صغيرة من طين
متحجر كأنها رصاصه ثاقبة، فجعلهم كورق الشجر الذي عصفت به الريح
وأكلته الدواب، ثم رائته فأهلكهم عن بكرة أبيهم.

وهذه الطيور كانت حقيقة فهي على ظاهرها ولم يقل أحد من
المسلمين غيرها، حتى جاء بعض العقلانيين الملحدين الذين لا يقبلون من
الدين والقرآن والسنة إلا ما تقبله عقولهم المنكوسة، فأولوا الطيور بميكروب
ومرض سلط عليهم... وهذا زيغ وضلال.

ومنها: في قوله: ولد عام الفيل يعنون في العام الذي حصل فيه
هجوم أبرهة بفيله العظيم على الكعبة، وكان ميلاده بعد هذا الحادث
بخمسين يوماً كما قال الجمهور:

ومنها: عظم حرمة الكعبة عند الله عز وجل حيث أهلك ذلك الجيش العرمم الذي أراد انتهاك حرم الله عز وجل، وأنه تعالى يغار على حرمانه وينتقم ممن لا يحترمها فليتق الله المسلمون وليعظموا حرمان الله تعالى وليعتبروا بهذا الحادث.

ومنها: أن الله جنوداً في هذا الكون يبعثهم على من شاء؛ قد يكونون وحوشاً وحشرات وأفاعي وريحاً ومياهاً وما إلى ذلك من الجنود الإلهية، والله جنود السموات والأرض.

ومنها: فضل يوم الاثنين وأن له مزايا هامة حيث وقع فيه ميلاد النبي ﷺ وبداية بعثته ونزول الوحي عليه، ووقوع الإسراء به، وحصول هجرته وبالتالي موته ﷺ، وهذه مزايا ونعم وأحداث هامة ينبغي أن يكون يومها عيداً وذكرى للمسلمين أسبوعياً يشكرون الله فيه على هذه النعم والأحداث الجليلة، ولذلك كان النبي ﷺ يصوم هذا اليوم بخصوصه شكراً لله تعالى على ما حصل له فيه، ولذلك قال للسائل عنه: «ذاك يومٌ ولدتُ فيه وأنزل عليّ فيه».

ومنها: أدب قَبَات بن أَشِيَم مع الحضرة النبوية حيث قال لسائله سيدنا عثمان رضي الله تعالى عنه وقد سأله من أكبر أنت ورسول الله؟ فأجابه: هو أكبر مني، يعني قدراً وأنا أقدم، يعني في الميلاد.

[١٨] وعن العرباض بن سارية رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إني عند الله خاتم النبيين» فذكر الحديث، وفي آخره: «ورؤيا أُمِّي التي رأت أنه خرج منها نور أضاءت له قصور الشام، وكذلك ترى أمهات النبيين».

رواه أحمد وابن حبان والحاكم وغيرهم وقد تقدم مطولاً رقم (٧).

وفي الحديث معجزة للنبي ﷺ عند ولادته، فخرج الثور العظيم من والدته حتى أضاءت له قصور الشام؛ هو آية عظيمة وخارق من الخوارق أجراه الله على ذات والدته مولاتنا آمنة، فهي بالتالي لهذا الخارق امرأة صالحة لأن هذا لا يصدر من الكافر، فهو أهون على الله من ذلك.

خاتمة

الإجماع على أن النبي ﷺ وُلد بمكة المكرمة من أبويه الكريمين: عبدالله بن عبد المطلب، وكان من أحب ولد أبيه إليه، وآمنة بنت وهب الزهرية، زوجه بها والده عبد المطلب وعمره إذ ذاك نحو ثماني عشرة سنة، وكانت آمنة من أفضل نساء قريش نسباً وموضعاً، ولما حملت به لم يلبث والده إلا قليلاً فتوفي بالمدينة وهو راجع من الشام في تجارة له والنبي ﷺ حمل في بطن أمه من شهرين كما رجحه ابن سعد والواقدي والبلاذري والذهبي وابن كثير، وورد فيه حديث رواه الحاكم وصححه.

ثم يجب أن يعلم أن ما ذكره أصحاب السير والمواليد من أحاديث عند مولده ﷺ؛ كولاته ساجداً مقطوع السرة مختوناً، وحضور مريم وآسية ولادته، وأن الملائكة أخذته من آمنة وطافت به الأرض تبشّر به، وأن ناز بلاد فارس خمدت بعد إيقادها ألف سنة وارتجاس إيوان كسرى وسقوط شرفاته إلى غير ذلك من الأخبار، كلّها ساقطة موضوعة أو منكرة أو شديدة الضعف، وليس فيها ما يحسن فضلاً عن التصحيح ولذلك أعرضنا عنها، وأنا أتعجب كثيراً من أمثال البيهقي وابن كثير وغيرهما من الكبار! حيث ذكروا هذه الموضوعات والواهيات والمنكر في كتبهم، وفي الصحاح والحسان ما يُغني عنها.

ذكر رضاعه ﷺ وما حصل له أيامه

[١٩] عن عبدالله بن جعفر رضي الله تعالى عنهما قال: لما وُلد رسول الله ﷺ قَدِمَتْ حَلِيمَةُ بنتُ الحارث في نِسْوَةٍ من بني سَعْدِ بنِ بَكْرٍ يَلْتَمِسُونَ الرُّضْعَاءَ بِمَكَّةَ، قالت حليلة: فخرجتُ في أوائل النسوة على أتان لي قَمْرَاءَ، ومعِي زوجي الحارثُ بن عبد العزى أحد بني سعد بن بكر، ثم أحد بني ناضرة قد أذمت أتاننا، ومعِي بالركب شارفٌ والله ما تبص بقطرة لبن في سنة شهباء قد جاع الناس حتى خلص إليهم الجهد، ومعِي ابنٌ لي،

والله ما ينام ليلنا، وما أجد في يدي شيئاً أعلُّهُ به، إلا أنا نرجو الغيث، وكانت لنا غنم، فنحن نرجوها، فلما قدمنا مكة فما بقي منا أحد إلا عُرضَ عليها رسولُ الله ﷺ ففكرهته فقلنا: إنه يتيم، وإنما يُكْرِمُ الظُّفْرَ وَيُحْسِنُ إليها الوالدُ، فقلنا: ما عسى أن تصنع بنا أمه، أو عمه، أو جدّه، فكل صواحيبي أخذ رضيعاً، فلما لم أجد غيره رجعتُ إليه وأخذته، والله ما أخذته إلا أني لم أجد غيره، فقلت لصاحبي: والله لأخذن هذا اليتيم من بني عبدالمطلب فعسى الله أن ينفعنا به، ولا أرجع من بين صواحيبي ولا أخذ شيئاً، فقال: قد أصبت، قالت: فأخذته فأتيت به الرُّحْلَ، فوالله ما هو إلا أن أتيتُ به الرُّحْلَ فأمسيتُ أقبلُ ثدياي باللبن، حتى أزوتته وأزوت أخاه، وقام أبوه إلى شارفنا تلك يلمسها فإذا هي حافل، فحلبها فأرواني وروى، فقال: يا حليلة تَغْلِمِينِ والله لقد أصبنا نسمةً مباركة، ولقد أعطى الله تعالى عليها ما لم تَنَمَنَّ، قالت: فبتنا بخير ليلة، شباعاً، وكنا لا ننام ليلنا مع صبينا، ثم اغتدينا راجعين إلى بلادنا أنا وصاحبي، فركبتُ أتاني القمراء، فحملته معي، فوالذي نفسُ حليلة بيده لقطعتُ الركبَ حتى إن النسوة ليقلن: أمسيكي علينا، أهذه أتانك التي خرجت عليها؟ فقلت: نعم، فقالوا: إنها كانت أذمت حين أقبلنا فما شأنها؟ قالت: فقلت: والله حملت عليها غلاماً مباركاً، قالت: فخرجنا فما زال يزيدنا الله في كل يوم خيراً، حتى قدمنا والبلاد سنة، ولقد كان رُعائنا يَسْرُحُونَ ثم يُرِيحُونَ، فتزوح أغنامُ بني سعد جِيعاً، وتروحُ غنمي شباعاً، بطناناً، حفلاً، فَنَحْتَلِبُ، ونشرب، فيقولون: ما شأن غنم الحارث بن عبدالعزى، وغنم حليلة تزوح شباعاً حفلاً، وتروح غنمكم جِيعاً؟ ويلكم اسرحوا حيث تسرح غنم رعائهم فيسرحون معهم، فما تروح إلا جِيعاً كما كانت وترجع غنمي كما كانت. قالت: وكان يَشِبُّ شباباً ما يشبه أحداً من الغلمان، يشب في اليوم شباب الغلام في الشهر، ويشب في الشهر شباب السنة، فلما استكمل سنتين أقدمناه مكة أنا وأبوه، فقلنا: والله لا نفارقه أبداً ونحن نستطيع، فلما أتينا أمه قلنا: أي ظئر والله ما رأينا صيباً قط أعظم بركةً منه، وإننا نتخوف عليه وباء مكة وأسقامها فدعاه نرجع به حتى تبرئني من دائك، فلم نزل بها حتى

أذنت، فرجعنا به فأقمنا شهراً ثلاثة أو أربعة، فبينما هو يلعب خلف البيوت هو وأخوه في بهم له، إذ أتى أخوه يشتدُّ وأنا وأبوه في البُذُن، فقال: إن أخي القرشي، أتاه رجلان عليهما ثياب بيض فأخذه وأضجعه فشقا بطنه، فخرجت أنا وأبوه نشتد، فوجدناه قائماً قد انتقع لونه فلما رأنا أجهش إلينا وبكى، قالت: فالتزمته أنا وأبوه فضممناه إلينا، فقلنا: ما لك بأبي أنت؟ فقال: أتاني رجلان فأضجعاني فشقا بطني، وصنعا بي شيئاً ثم رداه كما هو، فقال أبوه: والله ما أرى ابني إلا وقد أصيب، الحقي بأهله فرديه إليهم قبل أن يظهر له ما نتخوف منه، قالت: فاحتملناه فقدمنا به على أمه، فلما رأنا أنكرت شأننا وقالت: ما رجعتكما به قبل أن أسألكمَاه وقد كنتما حريصين على حبسه؟ فقلنا: لا شيء إلا أن قد قضى الله الرضاة وسرنا ما نرى، وقلنا: نؤويه كما تحبون أحب إلينا، قال: فقالت: إن لكما شأناً فأخبراني ما هو؟ فلم تدعنا حتى أخبرناها، فقالت: كلا والله لا يصنع الله ذلك به، إن لابني شأناً، أفلا أخبركما خبره إني حملت به فوالله ما حملت حملاً قط كان أخف عليّ منه، ولا أيسر منه، ثم أريت حين حملته خرج مني نور أضاء منه أعناق الإبل ببصرى، أو قالت: قصور بصرى، ثم وضعته حين وضعت، فوالله ما وقع كما يقع الصبيان، لقد وقع معتمداً بيديه على الأرض رافعاً رأسه إلى السماء، فدعاه عنكما فقبضته وانطلقنا...

رواه ابن إسحاق بهتذيب ابن هشام (١٨٧/١، ١٩٠)، وابن سعد في الطبقات (١١١/١، ١١٢)، وابن حبان (٢٠٩٤) بالموارد، وأبو يعلى رقم (٧١٢٧)، والطبراني في الكبير (٢١٢/٢٤، ٢١٥)، والبيهقي في الدلائل (١٣٣/١، ١٣٦)، وللحديث طرق وشواهد يحسن أو يصحح بها، وقد أورده النور في المجمع (٢٢٧/٨) برواية أبي يعلى والطبراني، وقال: ورجالهما ثقات، وقال الذهبي في السيرة: هذا حديث جيد الإسناد. وقال ابن كثير في البداية: وهو من الأحاديث المشهورة المتداولة بين أهل السير والمغازي.

[٢٠] وعن عتبة بن عبد السلمي رضي الله تعالى عنه أنه حدثهم وكان من أصحاب رسول الله ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال له رجل: كيف كان أول شأنك يا رسول الله؟ قال: «كانت حاضيتي من بني سعد بن بكر،

فانطلقت أنا وابن لها في بهم لنا ولم نأخذ معنا زاداً، فقلت: يا أخي اذهب فأتنا بزاد من عند أمنا فانطلق أخي ومكثت عند البهم فأقبل طائران أبيضان كأنهما نسران، فقال أحدهما لصاحبه: أهو هو؟ قال الآخر: نعم، فأقبلا يَبْتَدِرَانِي، فأخذاني فبطحاني إلى القفا، فشقاً بطني، ثم استخرجا قلبي، فشقاه فأخرجا منه عِلْقَتَيْنِ سوداوين، فقال أحدهما لصاحبه: اثنتي بماء ثلج فغسلا به جوفي، ثم قال: اثنتي بماء برد فغسلا به قلبي، ثم قال: اثنتي بالسكينة فدرأها في قلبي، ثم قال أحدهما لصاحبه: خِطُّهُ فخطاه وختم عليه بخاتم النبوة، فقال أحدهما لصاحبه: اجعله في كَفَّةٍ واجعل ألفاً من أمته في كَفَّةٍ، فإذا أنا أنظر إلى الألف فوقي أشفق أن يخز علي بعضهم، فقال: لو أن أمته وزنت به لمال بهم، ثم انطلقا وتركاني وفرقت فرقا شديداً، ثم انطلقت إلى أمي فأخبرتها بالذي لقيته فأشفقت علي أن يكون ألبس بي، قالت: أعيدك بالله، فرحلت بعيراً لها فجعلتني أو فحملتني على الرحل وركبت خلفي حتى بلغنا إلى أمي فقالت: أذيت أمانتي وذمتي، وحدثتها بالذي لقيت فلم يرعها ذلك، فقالت لي: رأيتُ خرج مني نور أضواء منه قصور الشام».

رواه أحمد (١٨٤/٤، ١٨٥)، والدارمي (١٣)، والطبراني في الكبير (١٣١/١٧)، والحاكم (٦١٦/٢، ٦١٧) وصححه الحاكم على شرط مسلم ووافقه الذهبي، وأورده النور (٢٢٢/٨) وقال: إسناد أحمد حسن، وبقية بن الوليد صرح بالتحديث وشيخه ثقة شامي بلديه.

[٢٩] ونحوه عن خالد بن معدان عن أصحاب رسول الله ﷺ أنهم قالوا: أخبرنا عن نفسك، قال: «نعم، أنا دعوة إبراهيم» فذكر الحديث وفيه: «واسترضعت في بني سعد بن بكر فبينما أنا في بهم لنا أتاني رجلان عليهما ثياب بيض معهما طست من ذهب مملوء ثلجاً فأضجعاني فشقاً قلبي وبطني وغسلاه بذلك الثلج حتى إذا أنقياه رذاه كما كان، ثم قال أحدهما لصاحبه: زنه بعشرة من أمته، فوزنتي فوزنتهم، ثم قال: زنه بمائة من أمته، فوزنتني بمائة فوزنتهم، ثم قال: زنه بألف من أمته فوزنتني بألف فوزنتهم، فقال: دعه عنك فلو وزنته بأتمته لوزنتهم».

رواه ابن إسحاق بتهذيب ابن هشام (١٩١/١)، والحاكم (٦٠٠/٢)، والبيهقي في الدلائل (١٤٦/١) وصححه الحاكم ووافقه الذهبي ونحوه عن أبي ذر، رواه الدارمي رقم (١٤) بسند حسن في الشواهد.

[٢٢] وعن أنس رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ أتاه جبريل عليه السلام وهو يلعب مع الغلمان فأخذه فصرعه فشق عن قلبه فاستخرج القلب واستخرج منه علقة سوداء، فقال: «هذا حظ الشيطان»، ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم ثم لأمه ثم أعاده في مكانه، وجاء الغلمان يسعون إلى أمه يعني ظئره، فقالوا: إن محمداً قد قتل، فاستقبلوه وهو منتقع اللون. قال أنس: وكنت أرى أثر ذلك المخيط في صدره.

رواه أحمد (١٢١/٣، ١٤٩، ٢٢٨)، ومسلم في الإسراء من كتاب الإيمان (٢١٦/٢، ٢١٧)، والحاكم (١١٦/٢، ١١٧)، والبيهقي في الدلائل (٧/٢، ٨).

ذكر غريب هذه الأحاديث:

«الأتان» أنشئ الحمير. «قمر» أي شديدة البياض. «أذمت» بالذال المعجمة وتشديد الميم أي أبطأت حتى حبستهم. «شارف» ناقة ميسنة. «ما تبض» بض الماء يبض بكسر الباء إذا سال وقطر. «شهباء» أي سنة ذات قحط وجذب. «أعلله» أي ما أجد شيئاً أسكته به. «الظئر» هي المُرْضِعَةُ وَلَدٌ غَيْرَهَا. «حافل» أي: ضرعها مليء لبناً. «حاضنتي» الحاضنة هي المربية القائمة بشؤون الأطفال. «بهم لنا» بفتح الباء وسكون الهاء ولد الضأن والمعز. «وفرقت» بكسر الراء أي: خفت. «واسترضعت» أي: طلب لي الإرضاع أو المرضعة في قبيلة بني سعد. «ثم لأمه» بفتح الهمزة أي ضم اللحم إلى بعضه وسده. «منتقع اللون» أي متغير أصفر.

في جملة هذه الأحاديث فوائد وفضائل وآيات:

منها: أن العرب كانت عادتهم أن يسترضعوا أولادهم في البادية لمنافع ترجع إلى تربية الأولاد وعقليتهم وقوتهم وفصاحتهم.

ومنها: أن رضاع النبي ﷺ كان في بني سعد، وكانت مرضعته

❁ وفاة أمه أمنة بنت وهب وكفالة جدّه ﷺ وموته وكفالة عمّه أبي طالب

أجمع أهل السير على أن النبي ﷺ لما رُدَّ من بني سعد إلى أمه أمنة بقي عندها في كفالتها وحضانتها، وما أن بلغ ست سنين حتى توفيت ثم كفله جدّه عبد المطلب، وما أن تحوّل إلى كفالته حتى فوجيء ﷺ بوفاة وقد تمّ له عليه الصلاة والسلام ثمان سنوات، ثم كفله عمّه أبو طالب حتى شبّ... فهذا القدر لا خلاف فيه بين أهل السيرة إلا في سنّه ﷺ عند موت أمه وجدّه.

غير أنني بعد البحث الشديد لم أجد لهذه الجمل أثراً ثابت السند، غير حديث كندير بن سعيد في احتباسه ﷺ عن جدّه في طلبه الإبل، وإنما هي معضلات ومراسل، وإلى القارىء أشهر ما ورد في ذلك:

[٢٣] قال ابن إسحاق: وكان رسول الله ﷺ مع أمه أمنة بنت وهب، وجدّه عبد المطلب بن هاشم في كلاءة الله تعالى وحفظه، ينبتة الله نباتاً حسناً، لما يريد به من كرامته، فلما بلغ رسول الله ﷺ ست سنين توفيت أمه أمنة بنت وهب. قال ابن إسحاق: حدّثني عبد الله بن بكر بن محمد بن عمرو بن حزم أن أم رسول الله ﷺ أمنة توفيت ورسول الله ﷺ ابن ست سنين بالأبواء بين مكة والمدينة، كانت قد قدمت به على أخواله من بني عدي بن النجار تُزيرُهُ إياهم، فماتت وهي راجعة به إلى مكة.

رواه ابن إسحاق بتهديب ابن هشام (١٩٣/١) ومن طريقه البيهقي في الدلائل (١٨٨/١) وهو مرسل حسن.

قال ابن إسحاق: وكان رسول الله ﷺ مع جدّه عبدالمطلب، وكان يوضع لعبد المطلب فراش في ظلّ الكعبة، فكان بنوه يجلسون حول فراشه ذلك حتى يخرج إليه لا يجلس عليه أحد من بنيه إجلالاً له، قال: فكان رسول الله ﷺ يأتي وهو غلام جفّر حتى يجلس عليه فيأخذه أعمامه ليؤخروه عنه، فيقول عبد المطلب إذا رأى ذلك منهم: دعوا ابني، فوالله إن

حليمة السعدية التي حَظِيَتْ بأخذه وإرضاعه وإغداق الخير والبركة عليها وعلى أهلها وبقي عندها حتى حصل له حادثٌ شقٌّ صدره، وكان عمره أكثر من ستين فأرجعته إلى أمه أمنة. وهذا الرضاع عند حليمة لا خلاف فيه بين المسلمين، فهو إجماع من أهل السيرة والحديث والتاريخ.

علماً بأنه كان له مرضعات أخر فقد أَرْضَعَتْهُ تُوَيَّبَةُ جارية أبي لهب، أرضعته قبل حليمة كما أرضعت معه حمزة عمّه، وأبا سلمة، وعبدالله بن جحش فكان هؤلاء الثلاثة إخوة له ﷺ من الرضاعة، وأرضعته أيضاً أم أيمن بركة الحبشية الفاضلة الصالحة كان ﷺ ورثها من أبيه وزوجها من حبّه زيد بن حارثة، فولدت له أسامة رضي الله تعالى عنهم وستأتي في المناقب؛ فهؤلاء المرضعات كلهن تشرفن بإرضاع هذا النبي الكريم وحظين بفضل عظيم ومزية لا يستهان بها، فكُنْ بذلك من فاضلات النساء.

ولم يكن ليُدْخَلَ الله عزّ وجلّ في جوف نبيّه العظيم ﷺ إلا لبن النساء المختارات... وأصبحن أمّهات له عليه الصلاة والسلام، وقد كان باراً بهنّ يسأل عنهنّ ويتفقّدهنّ ويكرّمهنّ ويرسل إليهنّ الهدايا وبالأخصّ أم أيمن حتى كان يتنازل معها ويصبر على رفع صوتها عليه وتعامله معاملة الأمّ لولدها، وستأتي قصة لها معه في الغزوات إن شاء الله تعالى في ذلك.

ومنها: وقوع ذلك الحادث العظيم والمعجزة الكبرى والخصيصة التي خصّه الله تعالى بها، وهو شقّ صدره الشريف واستخراج حظّ الشيطان منه وغسله بماء زمزم، فإن مثل هذا لم يقع لنبيّ قبله ﷺ، وهذا الشقّ قد تكرر له غير ما مرّة كما سيأتي في الإسراء إن شاء الله تعالى.

ومنها: أن هذا الشقّ واستخراج القلب واستخراج حظّ الشيطان منه وإرجاعه كما كان؛ كل ذلك على الحقيقة وليس مجازاً وتمثلياً كما يقال، فإن التأويل يخالف ظواهر النصوص الصحيحة الصريحة فلا يرُدّها إلا ضعيف الإيمان عقلاً يؤمن بما يقبله عقله وينكر ما سوى ذلك من الخوارق والآيات، وفي هذه الأحاديث غير ذلك من الفضائل والمزايا.

له لشأنًا، ثم يجلسه معه على الفراش ويمسح ظهره بيده وَيَسْرُهُ ما يراه يصنع. انظر: سيرة ابن هشام (١٩٤/١)، وسيرة ابن كثير (٢٣٩/١، ٢٤٠).

[٢٤] قال ابن إسحاق: وحدثني العباس بن عبد الله بن معبد بن عباس عن بعض أهله أن عبد المطلب توفي ورسول الله ﷺ ابن ثمانين سنين. ابن هشام (١٩٤/١).

[٢٥] وعن كِنْدِير بن سعيد عن أبيه قال: حججتُ في الجاهلية فإذا رجل يطوف بالبيت وهو يرتجل يقول:

رَبُّ رُدِّ رَاكِبِي مُحَمَّدًا رُدَّةً لِي وَاضْطَنِعَ عِنْدِي يَدَا

قلت: من هذا يعني؟ قال: عبد المطلب بن هاشم ذهبَتْ إبل له فأرسل ابن ابنه في طَلَبَتِهَا، فَاخْتَبَسَ عليه، ولم يُزَيِّلْهُ في حاجة قط إلا جاء بها، قال: فما بَرَّخْتُ حتى جاء النبي ﷺ وجاء بالإبل، فقال: يا بني لقد حَزَنْتُ عليك كالمراة حُزْنًا لا يُفَارِقُنِي أبدًا.

رواه ابن سعد (١١٢/١)، والطبراني في الكبير والحاكم (٦٠٣/٢)، والبيهقي في الدلائل (٢٠/٢، ٢١)، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي وعزاه النور في المجمع (٢٢٤/٨) لأبي يعلى والطبراني وحسنه.

[٢٦] وأخرج ابن سعد (ح ١١٦/١) من طريق الواقدي عن جماعة دخل حديث بعضهم في حديث بعض، قالوا: كان رسول الله ﷺ مع أمه أمينة بنت وهب فلما بلغ ست سنين خرجت به إلى أخواله بني عدي بن النجار بالمدينة تزورهم به، ومعه أم أيمن تحضنه وهم على بعيرين، فنزلت به في دار النابغة، فأقامت به عندهم شهرًا، فكان رسول الله ﷺ يذكر أمورًا كانت في مقامه ذلك، لما نظر إلى أطم بني عدي بن النجار عرفه وقال: كنت ألعِبُ أنيسَةَ جارية من الأنصار على هذا الأطم، وكنت مع غلمان من أخوالي نُطَيْرُ طائرًا كان يقع عليه، ونظر إلى الدار فقال: ههنا نزلت بي أمي، وفي هذه الدار قبر أبي عبدالله بن عبد المطلب، وأحسنْتُ العومَ في بئر بني عدي بن النجار، وكان قوم من اليهود يختلفون ينظرون

إليه، فقالت أم أيمن: فسمعت أحدهم يقول: "هو نبي هذه الأمة، وهذه سر هجرته، فوعيت ذلك كله من كلامه"، ثم رجعت به أمه إلى مكة، فلما كانوا بالأبواء توفيت أمينة بنت وهب فقبرها هناك، فرجعت به أم أيمن على البعيرين الذين قدموا عليهما مكة، وكانت تحضنه مع أمه ثم بعد أن ماتت، فلما مرَّ رسول الله ﷺ في عمرة الحديبية بالأبواء، قال: «إن الله قد أذن لمحمد في زيارة قبر أمه»، فاتاه رسول الله ﷺ فأصلحه وبكى عنده، وبكى المسلمون لبكاء رسول الله ﷺ، فقيل له، فقال: «أدرکتني رحمتها فبكيت».

[٢٧] وأخرج أيضاً (١١٧/١، ١١٨) من طرق عن جماعة قالوا: كان رسول الله ﷺ يكون معه أمه أمينة بنت وهب، فلما توفيت قبضه إليه جدُّه عبد المطلب وضمه ورق عليه رقة لم يرقها على ولده، وكان يقرِّبه منه ويُدنيه ويدخل عليه إذا خلا وإذا نام، وكان يجلس على فراشه، فيقول عبد المطلب إذا رأى ذلك: دعوا ابني إنه ليؤنس ملكاً إلخ...

وأخرج (١١٩/١) عن الواقدي أيضاً من طرق، قالوا: لما توفي عبد المطلب قبض أبو طالب رسول الله ﷺ إليه، فكان يكون معه، وكان أبو طالب لا مال له، وكان يحبّه حباً شديداً لا يحبّه ولده، وكان لا ينام إلا إلى جنبه ويخرج فيخرج معه، وصب به أبو طالب صباية لم يصب مثلها بشيء قط، إلخ...

فهذه الأخبار وأمثالها وإن لم تصح سنداً على طريقة المحدثين، فمؤداها صحيح متفق عليه بين علماء السيرة.

والذي نستخلصه من هذه الأخبار وما أجمع عليه أهل السيرة؛ هو أن النبي ﷺ تربى ونشأ يتيمًا، فقد أباه وهو لا يزال جملًا في بطن أمه، ثم فقد أمه وهو في سنه السادسة وأصبح بلا أب ولا أم، فعطف الله تعالى عليه جدُّه عبد المطلب فضمه وآواه وجعله كأحد أولاده، ثم لما فقده أيضاً وهو لا يزال في سنه الثامنة أخذه عمه أبو طالب وكان به رحيماً وعليه عطفًا وفي بيته ورحابه شُبٌّ وقضى آخر طفولته وصَبَوْتِهِ وأوائل شبابه، وهو

الذي كان يدافع ويكافح عنه أيام دعوته الأولى وبقي متصلاً به موالياً له إلى أن توفي، وللنبي ﷺ أكثر من خمسين سنة، هذا مما لا نعلم فيه خلافاً.

✽ نشأته على مجانبة أمور الجاهلية وحفظه من آفات الشباب

[٢٨] عن جابرٍ لخديجة رضي الله تعالى عنهما قال: سمعت النبي ﷺ يقول لخديجة: «أي خديجة والله لا أعبد اللات أبدأ، والله لا أعبد العزى أبدأ».

رواه أحمد (٢٢٢/٤) و(٣٦٢/٥) بسند صحيح.

[٢٩] وعن زيد بن حارثة رضي الله تعالى عنه قال: كان صنم من نحاس يقال له إساف أو نائلة، يتمسح به المشركون إذا طافوا، فطاف رسول الله ﷺ وطف معه، فلما مررتُ مَسَخْتُ به، فقال رسول الله ﷺ: «لا تَمَسُّه»، قال زيد: فطفنا به، ثم قلت في نفسي: لَأَمَسُهُ حتى أنظر ما يكون، فمَسَخْتُهُ فقال رسول الله ﷺ: «ألم تُنَّه؟» قال زيد: فوالذي أكرمه وأنزل عليه الكتاب ما استلمت صنماً حتى أكرمه الله تعالى بالذي أكرمه وأنزل عليه.

رواه أبو نعيم والبيهقي (٣٤/٢) كلاهما في الدلائل وصححه الحاكم وعزاه النور في المجمع (٢٢٦/٨) للطبراني وقال: رجاله رجال الصحيح.

[٣٠] وعن عليّ عليه السلام قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما هَمَّتُ بشيء مما كان أهل الجاهلية يهْمُونَ به من النساء إلا ليلتين كلتاها عَصَمَنِي اللهُ تعالى منهما، قلت ليلة لبعض فتيان مكة ونحن في رعاية غنم أهلنا، فقلت لصاحبي: أبصر لي غنمي حتى أدخل مكة فأسمرَ بها كما يسمر الفتيان، فقال: بلى، فدخلت حتى إذا جئت أول دار من دور مكة سمعت عَزْفًا بالغرابيل والمزامير، قلت: ما هذا؟ فقيل: تزوج فلان فلانة، فجلست

أنظر وضرب الله على أذني، فوالله ما أيقظني إلا مسَّ الشمس، فرجعت إلى صاحبي، فقال: ما فعلت؟ قلت: ما فعلت شيئاً، ثم أخبرته بالذي رأيت، ثم قلت له ليلة أخرى: أبصر لي غنمي حتى أسمر بمكة، ففعل فدخلت فلما جئت مكة سمعت مثل الذي سمعت تلك الليلة، فجلست أنظر وضرب الله على أذني فوالله ما أيقظني إلا مسَّ الشمس، فرجعت إلى صاحبي فقال: ما فعلت؟ قلت: لا شيء، ثم أخبرته الخبر، فوالله ما هَمَّتُ ولا عُدْتُ بعدهما لشيء من ذلك حتى أكرمني الله بنبوته».

رواه ابن إسحاق والبخاري (٢٤٠٣)، وابن حبان (٥٦/٨)، والحاكم (٢٢٥/٤)، وأبو نعيم (١٢٨)، والبيهقي في الدلائل (٣٤/٢، ٣٥) بسند حسن، وأورده النور (٢٢٦/٨) برواية البزار وقال: رجاله ثقات، وحسنه الحافظ وصححه السيوطي في مناهل الصفا، وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي.

[٣١] وعن جابر رضي الله تعالى عنه قال: لما بُنِيَتْ الكعبة ذهب رسول الله ﷺ والعباس يتقلان الحجارة، فقال العباس للنبي ﷺ: اجْعَلْ إِزَارَكَ على عاتقك يَقيك من الحجارة، ففعل فخَرَّ إلى الأرض وطَمَحَتْ عيناه إلى السماء، ثم قام فقال: «إزاري»، فشدَّ عليه إزاره فما رُؤِيَ بعد ذلك عَزِياناً.

رواه أحمد (٢٩٥/٣، ٣٨٠)، والبخاري في الحج وفي المناقب (١٤٦/٨)، ومسلم في الطهارة (٣٣/٤، ٣٤).

اللات والعزى: صنمان كانا لقريش؛ اللات أخذوه من الله، والعزى من العزة تعالى الله تعالى عن شريكاتهم ووثنياتهم علواً كبيراً.

إساف ونائلة: قد قدَمنا في خبر خزاعة أنهما كانا رجلاً وامرأة ففجرا وزنيا في الكعبة فمسحوا حجرتين فوضعهما الناس عند الكعبة للاعتبار بهما، فلما طال الأمد عُبدَا من دون الله تعالى. قوله: «ما هَمَّتُ بالشيء؛ إرادته ويُطلق على العزم عليه، وعلى مجرد حديث النفس به كما هنا وكما وقع من الكريم يوسف عليه السلام؛ كما قال تعالى: ﴿وَهُمْ بِهَا﴾... «فخر

إلى الأرض» أي: سقط. «وطمحت عيناه» بفتحات أي: ارتفعت.

وفي هذه الأحاديث بيان عناية الله تعالى بنبِيِّهِ ﷺ وما أكرمه به من العصمة والحفظ منذ صغره من القبائح وأخلاق الجاهلية وشركياتها وفجورها وانحرافها وسقطاتها.

قال ابن إسحاق رحمه الله تعالى: فشب رسول الله ﷺ ويكلؤه الله ويحفظه ويحوطه من أقدار الجاهلية لما يريد من كرامته ورسالته، حتى بلغ أن كان رجلاً أفضل قومه مروءة، وأحسنهم خلقاً، وأكرمهم حسباً، وأحسنهم جواراً، وأعظمهم حلماً، وأصدقهم حديثاً، وأعظمهم أمانة، وأبعدهم من الفحش والأخلاق التي تدنس الرجال تنزهاً وتكراً، حتى ما اسُمه في قومه إلا الأمين، لما جمع الله فيه من الأمور الصالحة.

ويؤخذ من حديثي جار خديجة، وزيد بن حارثة أنه ﷺ كان منزهاً عن عبادة الأصنام والتمسح بها، بعيداً عنها، فما جاء في بعض الأخبار بأنه كان يحضر مشاهد المشركين ويستلم أصنامهم كما رواه أبو يعلى وابن عدي وغيرهما هو منكر أنكره العلماء على عثمان بن أبي شيبة كما قال الحافظ في المطالب العالية، بل هو ﷺ كباقي الأنبياء عليهم الصلاة والسلام مُتَزَهُونَ ومعصومون من مطلق الآثام كبيرها وصغيرها قبل النبوة وبعدها، كما هو قول المحققين من أهل السنة، فكيف بالشركيات... كما يؤخذ من حديث علي عليه السلام والرضا من الله أنه ﷺ كان قد حفظه الله عز وجل من انحرافات الشباب، فإنه كما يحكي عن نفسه رغم أنه أراد السمر مع شباب مكة وعزم على ذلك مرتين، فإن الله تعالى صرفه عن ذلك وحال بينه وبين ما أراد بالنوم حتى طلعت الشمس ثم عُصِمَ عن إرادة ذلك نهائياً، فلم يعد يحدث نفسه بذلك.

وفي حديث جابر عناية أخرى برسول الله ﷺ؛ وهي حفظ عورته من التكشف خلاف ما كان عليه أهل الجاهلية من كشف عوراتهم وعدم اهتمامهم بسترها.

فقد قال ابن إسحاق: وكان رسول الله ﷺ فيما ذكر لي يحدث عما

كان الله يحفظه به في صغره وأمر جاهليته أنه قال: «لقد رأيتني في غلمان من قريش ننقل الحجارة لبعض ما يلعب الغلمان كلنا قد تعرى وأخذ إزاره وجعله على رقبته يحمل عليه الحجارة، فإني لأقبل معهم كذلك وأدبر إذ لَكَمَنِي لَأَكِمَّ ما أراه لَكَمَةً وجيعة، ثم قال: شدَّ عليك إزارك...» ولا شك أن ستر العورات من محاسن الأخلاق الواجبة في الإسلام، وقد جاء في الصحيح: «لا تمشوا عراة»، بل في القرآن: ﴿يَبْنَىءِ آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ لِيَاسَا يُوزِي سَوَاءَ تَكُمُ﴾ الآية.

❁ رعيه الغنم في صغره ﷺ

[٢٢] عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ قال: «ما بَعَثَ اللهُ نَبِيًّا إِلَّا رَعَى الْغَنَمَ»، فقال أصحابه: وأنت يا رسول الله؟ فقال: «نعم، كنتُ أُرْعَاهَا عَلَى قَرَارِيضَ لِأَهْلِ مَكَّةَ».

رواه البخاري في الإجارة (٣٤٨/٥)، وابن ماجه في التجارات (٢١٤٩)، وابن سعد في الطبقات (١٤٥/١).

[٢٣] وعن جابر رضي الله تعالى عنه قال: كنا مع رسول الله ﷺ نَجْتَنِي الْكَبَابَ، فقال: «عليكم بالأسود منه، فإنه أطيبه»، قال: قلنا: وكنت ترعى الغنم يا رسول الله؟ قال: «نعم، وهل من نبي إلا قد رعاها».

رواه البخاري في الأنبياء وفي الأَطْعَمَة (٥٠٩/١١)، ومسلم كذلك (٥/١٤، ٦) وغيرهما.

«القراريض» جمع قيراط وهو جزء من الدينار أو الدرهم، وقوله: «الكباب» بفتح الكاف وفتح الباء المخففة وهو ثمر الأراك وقد تقدم بيانه في الأَطْعَمَة.

وفي الحديثين دليل على أن كل الأنبياء كانوا يرعون الأغنام لما في ذلك من الحكم الإلهية. قال العلماء: الحكمة في إلهام الأنبياء من رعي

الغنم قبل النبوة أن يحصل لهم التمرن برعيها على ما يُكَلَّفُونَهُ من القيام بأمر أميهم، ولأن في مخالطتها ما يحصل لهم الحلم والشفقة لأنهم إذا صبروا على رعيها وجمعها بعد تفرقها في المرعى ونقلها من مسرح إلى مسرح ودفع عدوها من سبغ وغيره كالسارق، وعلموا اختلاف طباعها وتفاوت عقولها فجبوا كسرها ورفقوا بضعفها وأحسنوا التعاهد لها فيكون تحملهم لمشقة ذلك أسهل مما لو كلفوا القيام بذلك من أول وهلة لما يحصل لهم من التدرج على ذلك برعي الغنم، وخصت الغنم بذلك لكونها أضعف من غيرها، ولأن تفرقها أكثر من تفرق الإبل والبقر لإمكان ضبط الإبل والبقر بالربط دونها في العادة المألوفة... ذكره الحافظ في الفتح.

وفي قوله: «على قراريط» هو يدل على أنه كان يأخذ الأجر على رعايته لتلك الأغنام ولا غضاضة في ذلك كما لا غضاضة في رعيه الغنم، فلا يحط ذلك من عظيم منزلته وقدره عليه السلام، فإن مثل هذا العمل كسب وكل الناس مطالبون باكتساب العيش، وذلك من الأعراض البشرية التي يستوي فيها الأنبياء وغيرهم.

✽ سفره عليه السلام مع عمه أبي طالب إلى الشام وقصة بَجِيرَا الراهب

[٢٤] عن أبي موسى رضي الله تعالى عنه قال: خرج أبو طالب إلى الشام وخرج معه النبي عليه السلام في أشياخ من قريش، فلما أشرَفُوا على الراهب هَبَطَ فحَلُّوا رِحَالَهُمْ، فخرج إليهم الراهب، وكانوا قبل ذلك يَمُرُّون به فلا يخرج إليهم ولا يلتفت، قال: فهم يحملون رِحَالَهُمْ فجعل يَتَخَلَّلُهُم الراهب حتى جاء فأخذ بيد رسول الله عليه السلام فقال: هذا سيد العالمين، هذا رسول رب العالمين، يَبْعَثُهُ الله رحمة للعالمين. فقال له أشياخ من قريش: ما علمكم؟ فقال: إنكم حين أشرفتم من العقبة لم يبق حجر ولا شجر إلا خرَّ ساجداً، ولا يسجدان إلا لنبِيِّ، وإني أعرفه بخاتم النبوة أسفل من عُضْرُوف

كتفيه مثل التفاحة، ثم رجع فصنع لهم طعاماً، فلما أتاهم به فكان هو في رعية الإبل، فقال: أرسلوا إليه، فأقبل وعليه غمامة تظله، فلما دنا من القوم وجدهم قد سبقوه إلى فيء الشجرة، فلما جلس مال فيء الشجرة عليه، فقال: انظروا إلى فيء الشجرة مال عليه. قال: بينما هو قائم عليهم وهو يُنَاشِدُهُمْ أن لا يذهبوا به إلى الروم، فإن الروم إن رأوه عرفوه بالصفة فيقتلوه، فالتفت فإذا سبعة قد أقبلوا من الروم فاستقبلهم، فقال: ما جاء بكم؟ قالوا: إن هذا النبي خارج في هذا الشهر، فلم يبق طريق إلا بعث إليه بأناس، وإنا قد أخبرنا خبره بعثنا إلى طريقك هذا، فقال: هل خلفكم أحد هو خير منكم؟ قالوا: إنما أخبرنا خبره بطريقك هذا، قال: أفرايتم أمراً أراد الله أن يقضيه، هل يستطيع أحد من الناس رده؟ قالوا: لا، قال: فبأيعوه وأقاموا معه. قال: أنشدكم بالله أيكم وليه؟ قالوا: أبو طالب، فلم يزل يناشده حتى رده أبو طالب وبعث معه أبا بكر وبلالاً وزوَّده الراهب من الكَعْكِ والزيت.

رواه ابن أبي شيبة في أول المغازي من مصنفه رقم (٣٦٥٤١) والترمذي في المناقب (٣٣٨٩) بتهذيبي والحاكم (٦١٥/٢) وأبو نعيم (٥١)، والبيهقي (٣٠٧/١، ٣١٢) كلاهما في الدلائل وصححه الحاكم، وسنده صحيح على شرط البخاري عند الترمذي وله شواهد عند ابن سعد (١٢٠/١، ١٢١)، وعند ابن إسحاق بتهذيب ابن هشام (٢٠٤/١) غير أن فيه ألفاظاً منكراً كذكر أبي بكر وبلال وقدم الروم لقتله عليه السلام، وقولهم إنه خارج في هذا الشهر وغير ذلك، ولذلك أنكره الذهبي وابن كثير وابن سيد الناس وأبطله من عدة وجوه أستاذنا الحافظ سيدي أحمد الصديق رحمه الله تعالى في الجؤنة.

ومع ذلك، فإن ما ذكروه لا ينافي صحة أصل الحديث.

قوله: «يتخللهم» أي: يمشي وسطهم. «عُضْرُوف» بضم العين المعجمة ثم ضاد ساكنة هو؛ نُغْض الكتف وهو ما يجيء ويذهب من الكتف عند التحرك. «فيء الشجرة» أي: ظلها. «يناشدهم» أي يسألهم بالله تعالى.

كان النبي ﷺ بحكم يثمه وفقدانه والده وأمه قد ألف عمه أبا طالب واتخذته كآب له لما كان يعامله كأحد أولاده، فكان ﷺ لا يصبر على مفارقتها، ولما بلغ ﷺ من العمر اثني عشر عاماً عرضت لأبي طالب رحلة تجارية للشام وهي رحلة تستغرق أكثر من أربعين يوماً فشقّ على النبي ﷺ مفارقة عمه، فما كان إلا أن صحبه معه في تلك الرحلة الشاقّة الطويلة، وهو لا يزال لم يحتلم بعد، فكانت هذه الرحلة هي أول رحلة يخرج فيها من مكّة المكرمة.

وفي هذه القصة بيان أن أهل الكتاب من النصارى وغيرهم كان لهم علم بالنبي ﷺ وصفاته بما كانوا يعرفونه من كتبهم كما تقدم، ولكنهم لما جاءهم ما عرفوا كفروا به، فلعنة الله على الكافرين.

وفيها تلك المعجزة من تظليل فيء الشجرة إياه وانتقاله إليه ﷺ، كما فيها سجود الحجر والشجر له وهما خلق الله تعالى مسخران ليس لهما حول ولا قوّة إلا بالله تعالى، فسجودهما كان بإذن الله عزّ وجلّ تعظيماً لهذا النبي الكريم وإعلاماً لمن شاهد ذلك بأنه سيكون له شأن في مستقبل حياته. فيا سعادة من آمن به واتبع دينه، ويا بشرى من أحبه واقفى أثره ﷺ حتى الموت.

وفي هذا الحديث أيضاً أنه ﷺ دخل الشام لأول مرة وكانت رحلات العرب التجارية للشام تارة لبُصرى - بضم الباء - وهي قريبة من دمشق، ومرة لغزّة وهي بفلسطين، وكلاهما دخلهما النبي ﷺ في أسفاره التجارية.

✽ حضور النبي ﷺ حلف الفضول

[٣٥] عن عبدالرحمن بن عوف رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «شهدتُ حلفَ المطّيبين مع عمّوتي وأنا غلام، فما أحبّ أن لي حُمزُ النّعم، وأني أنكته».

رواه أحمد (١٩٠/١، ١٩٣)، وأبو يعلى (٨٤٠، ٨٤١، ٨٤٢)، والبخاري (١٩١٤، ٣٣٠٨)، والبيهقي في السنن (٣٦٦/٦) وسنده صحيح وله شواهد، عن أبي هريرة رواه البيهقي في السنن (٣٦٦/٩) وفي الدلائل (٣٨/٢)، وعن طلحة بن عبدالله بن عوف رواه ابن إسحاق، ومن طريقه البيهقي في السنن (٣٦٧/٦) وهو مرسل صحيح، وزاد فيه: «ولو دُعيتُ به في الإسلام لأجبتُ».

حلف الفضول؛ هو تحالف وقع بين بطون من أهل مكّة على أن ينصروا المظلوم ويأخذوا على يد المعتدي، ووقع ذلك بدار عبدالله بن جدعان وحضره النبي ﷺ مع أعمامه، وله عشرون سنة.

وكان سببه كما ذكره أهل السير أن رجلاً من زبيد قدم مكّة ببضاعة فاشتراها العاص بن وائل، فحبس عنه حقّه فاستعدى عليه الزبيدي الأحلاف: عبد الدار ومخزوماً، وجمحاً، وسهماً، وعدي بن كعب، فأبوا أن يعينوا على العاص بن وائل وزبروه، أي انتهروه، فلما رأى الزبيدي الشّر، أوفى على أبي قُبَيْسٍ عند طلوع الشمس، وقريش في أنديةهم حول الكعبة، فنادى بأعلى صوته:

يا آلَ فِهرٍ لِمَظْلُومٍ بِضَاعَتُهُ، يَبْظُنُّ مَكَّةَ نَائِي الدَّارِ والنَّفَرِ،

ومُخَرِّمٍ أَشَعَّتْ لَمْ يَقْضِ عُمُرَتَهُ، يا لِلرُّجَالِ وَبَيْنَ الجِجْرِ والحَجَرِ،

إنَّ الحِرَامَ لَمَنْ تَمَّتْ كِرَامَتُهُ، ولا حِرَامَ لثَوْبِ الفاجرِ العَدْرِ،

فقام الزبير بن عبد المطلب، وقال: ما لِهَذَا مَثْرَكُ،

فاجتمعت هاشم، وزهرة، وتيم بن مرّة في دار عبدالله بن جدعان، فصنع لهم طعاماً وتحالفوا في ذي القعدة، فتعاقدوا وتعاهدوا بالله ليكوننّ يداً واحدة مع المظلوم على الظالم حتى يؤدي إليه حقّه ما بلّ بخُرّ صوفة، وما رَسَى ثيبرٌ وحرأء مكّانهما، وعلى التّاسي في المعاش.

فسمّت قريش ذلك الحلف حلف الفضول، وقالوا: لقد دخل هؤلاء في فضل من الأمر، ثم مشوا إلى العاص بن وائل، فانتزعوا منه سلعة الزبيدي فدفعوها إليه، فقال الزبير في ذلك:

حَلَفْتُ لَتُعْقِدَنَّ جِلْفًا عَلَيْهِمْ وَإِنْ كُنَّا جَمِيعًا أَهْلَ دَارِ
نُسَمِيهِ الْفُضُولَ إِذَا عَقَدْنَا يَعْزُ بِهَ الْغَرِيبَ لِذِي الْجَوَارِ
وَيَعْلَمُ مَنْ حَوَالِي الْبَيْتِ أَنَا أَبَاةَ الضَّمِيمِ نَمْنَعُ كُلَّ عَارِ

وقال:

إِنَّ الْفُضُولَ تَعَاقَدُوا وَتَحَالَفُوا أَلَا يُقِيمُ بَبَطْنِ مَكَّةَ ظَالِمُ
أَمْرٌ عَلَيْهِ تَعَاقَدُوا وَتَوَاتَفُوا فَالْجَارُ وَالْمُعْتَرِ فِيهِمْ سَالِمُ

فكان هذا الحلف من أفضل وأحسن ما تعاقدت عليه قبائل قريش ويطونها، وأثنى عليه النبي ﷺ وحمد حضوره وتمنى أن لو دُعِيَ لمثله في الإسلام لأجاب إليه لأنه من محاسن الأخلاق ومكارمها.

✽ تزوج رسول الله ﷺ خديجة رضي الله تعالى عنها

[٣٦] عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن رسول الله ﷺ ذكر خديجة رضي الله تعالى عنها، وكان أبوها يَزْعُبُ عَنْ أَنْ يُزَوِّجَهُ، فَصَنَعَتْ طَعَامًا وَشَرَابًا، فَدَعَتْ أَبَاهَا وَزَمْرًا مِنْ قَرِيشَ، فَطَعِمُوا وَشَرَبُوا حَتَّى تَمَلُّوا، فَقَالَتْ خَدِيجَةُ لِأَبِيهَا: إِنَّ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ يَخْطُبُنِي فَزَوِّجْنِي إِيَّاهُ، فَزَوِّجْهَا إِيَّاهُ، فَخَلَّقْتَهُ، وَأَلْبَسْتَهُ حُلَّةً، وَكَذَلِكَ كَانُوا يَفْعَلُونَ بِالْأَبَاءِ، فَلَمَّا سُرِّي عَنْهُ سَكْرُهُ نَظَرَ، فَإِذَا هُوَ مُخَلَّقٌ، وَعَلَيْهِ حِلَّةٌ، فَقَالَ: مَا شَأْنِي؟ مَا هَذَا؟ فَقَالَتْ: زَوَّجْتَنِي مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: أَزَوِّجُ يَتِيمَ أَبِي طَالِبٍ، لَا لَعْمَرِي، فَقَالَتْ خَدِيجَةُ: أَمَا تَسْتَحْيِي؟! تَرِيدُ أَنْ تُسْفَهَ نَفْسَكَ عِنْدَ قَرِيشَ، تَخْبِرُ النَّاسَ أَنَّكَ كُنْتَ سَكَرَانَ؟ فَلَمْ تَزَلْ بِهِ حَتَّى رَضِيَ.

رواه أحمد (٣١٢/١)، والطبراني في الكبير وعنهما أورده الهيثمي (٢٢٠/٩) وقال: رجالهما رجال الصحيح، وعن جابر بن سمرة نحوه عزاه في المجمع (٢٢٢/٩) للطبراني والبخاري بسند صحيح. قال أهل السيرة:

كانت خديجة بنت خويلد رضي الله تعالى عنها امرأة حازمة لبيبة أوسط نساء قريش نسباً وأعظمهن شرفاً وأجملهن صورة وأحسنهن جسماً، كل قومها كان حريصاً على التزوج بها، وكانت ثرية ذات مال تاجرة تستأجر الرجال على مالها مضاربة، فلما بلغها عن رسول الله ﷺ ما بلغها من صدق حديثه وعظم أمانته وكرم أخلاقه بعثت إليه، فعرضت عليه أن يخرج لها في مال تاجراً إلى الشام وتعطيه أفضل ما تعطي غيره من التجار مع غلام لها يقال له ميسرة، فقيل رسول الله ﷺ ما عرضت عليه، فخرج ومعه غلامها ميسرة حتى نزل الشام، فباع سلعته واشترى ما أراد أن يشتري وجاء بربح عظيم، فلما قدم مكة على خديجة وقد رأت ما جاء به من الربح وحدثها ميسرة ما شاهد منه من الأخلاق الكريمة والخوارق التي رآها في رحلته منه بعثت إليه ﷺ أنها راغبة في التزوج بك لقربتك ووسطك في قومك وأمانتك وحسن خلقك وصدق حديثك، فلما قالت ذلك لرسول الله ﷺ ذكر ذلك لأعمامه، فخرج معه عمه حمزة فخطبها من أبيها، فتزوجها عليه الصلاة والسلام وأصدقها عشرين بكرة، وحضر أبو طالب ورؤساء مضر فخطب أبو طالب، فقال: الحمد لله الذي جعلنا من ذرية إبراهيم وذرية إسماعيل وضيضي معد وعنصر مضر وجعلنا حضنة بيته وسواس حرمه... إلى آخر الخطبة، وكانت أول امرأة تزوجها ولم يتزوج عليها غيرها حتى ماتت، وكان عمرها أربعين سنة، وعمره ﷺ خمسا وعشرين سنة، وظلت معه حتى توفيت عن خمس وستين سنة، وقد ناهز النبي ﷺ الخمسين من عمره، وفي أيامها وحياتها المباركة معه أكرمته الله عز وجل بالوحي والرسالة.

وأنجبت له كل أولاده، وهم القاسم وبه كان يكنى بعد النبوة ثم زينب، ورقية، وأم كلثوم، وفاطمة، وعبد الله، وكان يلقب بالطيب والظاهر، ومات القاسم بعد أن بلغ ركوب الدابة ومات عبدالله وهو طفل.

وعاش بناته الأربع وتزوجن ومات سائرهن في حياته رضوان الله عليهن إلا فاطمة عليها السلام، فماتت بعده بستة أشهر.

أما ولده إبراهيم، فكان من مارية القبطية كما يأتي في الغزوات...

ولخديجة رضي الله تعالى عنها فضائل جمّة، فهي من النساء الكاملات اللاتي تحدّث عنهنّ النبي ﷺ وبشّرها الله بالجنة كما يأتي ذلك في مناقبها كبناتها في الفضائل والمناقب إن شاء الله تعالى.

ملحوظة: قد وقع اختلاف في كيفية تزوجه ﷺ بسيدتنا خديجة رضي الله تعالى عنها وسببه، كما اختلف فيمن زوّجها هل كان أبوها أم عمّها؟ وعلى أيّ فكلّ ذلك غير ضائر. والإجماع على أنه ﷺ تزوّجها وأنها والدة بناته وأولادها، فمن أنكر ذلك لم يكن من المسلمين؛ لأنّ ذلك معلوم من الدين ضرورة.

✽ مشاركة النبي ﷺ في بناء الكعبة مع قريش

[٣٧] عن أبي الطفيل رضي الله تعالى عنه قال: كانت الكعبة في الجاهلية مبنية بالرّضم، وكانت قدر ما يفتحها العناق، وكانت غير مسقوفة، وإنما توضع ثيابها عليها ثم تسدل سداً عليها، وكان الركن الأسود موضوعاً على سورها تادباً، وكانت ذات ركنين كهيئة الحلقة، فأقبلت سفينة من أرض الروم، حتى إذا كانوا قريباً من جدة تكسرت السفينة، فخرجت قريش ليأخذوا خشبها، فوجدوا رومياً عندها فأخذوا الخشب أعطاهم إياه، وكانت السفينة تريد الحبشة، وكان الرومي الذي في السفينة نجاراً، فقدموا بالرومي، فقالت قريش: نبني بهذا الخشب من السفينة بيت ربنا، فلما أرادوا هدمه، إذا هم بحية على سور البيت مثل قطعة الحائر، سوداء الظهر، بيضاء البطن، فجعلت كلما دنا أحد إلى البيت ليهدمه أو يأخذ من حجارتها سعت إليه فاتحة فاها، فاجتمعت قريش عند المقام فعجوا إلى الله تعالى، فقالوا: ربنا لم ترع، أردنا تشريف بيتك، فإن كنت ترضى بذلك، وإلاً فافعل ما بدا لك، فسمعوا خواراً في السماء، فإذا بطائر أسود الظهر، أبيض البطن والرجلين، أعظم من البشر، فغرز مخاليبه في رأس الحية، حتى انطلق بها يجرّ ذنبها أعظم من كذا وكذا ساقطاً، فانطلق نحو أجياد، فهدمتها قريش،

وجعلوا يبنونها بحجارة الوادي تحملها قريش على رقابها، فرفعوها في السماء عشرين ذراعاً.

فبينما النبي ﷺ يحمل حجارة من أجياد، وعليه نمرة، فضاقت عليه النمرة، فذهب يضع النمرة على عاتقه فترى عورته من صغر النمرة، فنودي: يا محمد حَمَّرَ عورتك، فلم يُرَ عرياناً بعد ذلك، وكان يرى بين بناء الكعبة وبين ما أنزل عليه خمس سنين، وبين مخرجه وبينها خمس عشرة سنة.

رواه أحمد (٤٥٥/٥) مختصراً، والطبراني مطولاً كما عزاه إلى النور في المجمع (٢٨٩/٣) وقال: رجالهما رجال الصحيح.

[٢٨] وعن عليّ عليه السلام قال: لما أرادوا أن يرفعوا الحجر - يعني قريشاً - اختصموا فيه، فقالوا: يحكم بيننا أول رجل يخرج من هذه السكّة، وكان رسول الله ﷺ أول من خرج عليهم، فجعلوه في ميزط، ثم رفعه جميع القبائل كلّها ورسول الله ﷺ يومئذ رجل شابّ - يعني قبل البعثة - وفي رواية: لما رأوا النبي ﷺ قد دخل قالوا: قد جاء الأمين. وفي رواية: لما انهدم البيت بعد جرهم فبنته قريش، فلما أرادوا وضع الحجر تشاجروا من يضعه، إلخ...

رواه الطيالسي (٢٣١٦) مع المنحة بسند صحيح، وعزاه النور في المجمع (٢٢٩/٨) لأوسط الطبراني وقال: رجاله رجال الصحيح. وعمير بن حفص بن عمر الضرير، وخالد بن عرعة كلاهما ثقة، وله شاهد عن السائب بن عبد الله رواه أحمد (٤٢٥/٣) بسند حسن بنحوه.

قوله مبنية «بالرّضم» أي: بالصخور، وقوله: «العناق» أي: الطويل العنق. وقوله: «فعجوا» أي: رفعوا أصواتهم بالدعاء إلى الله تعالى.

الكعبة المكرمة: هي أول بيت وُضع للناس في الأرض لعبادته عزّ وجلّ وحده كما في القرآن الكريم وكما في حديث أبي ذرّ في الصحيحين وقد تقدم في المساجد من كتاب الصلاة رقم (٥٤٥) من الجزء الأول، وكان أول من بناها لأول مرة الخليل؛ سيّدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام على القول الصحيح كما قدّمناه في قصته من الأنبياء.

وبناها ثانية جرهم ثم تعرضت بعد ممر الزمان للعوادي التي أوهت^١ بنيانها وصدعت جدرانها، وكان من بين ذلك سيل عرم جرف مكة المكرمة قبل بعثة النبي ﷺ بخمس سنوات، فأرادت قريش تجديدها وتشييدها حرصاً منهم على ما لهذا البناء من حرمة وقداسة، وقد كان احترامهم لهذا البيت وتعظيمهم له بقية مما ظل محفوظاً من شرعة الخليل بينهم، ولكن قريشاً كانوا متهيئين لتهديم البيت ثم تجديده، وقد زادهم مهابة وخوفاً تلك الحية التي كانت تثب عليهم كلما حاولوا هدم البيت أو إحداث شيء فيه، حتى أراحهم الله تعالى منها فأرسل إليها طائراً فأبعدها عن الكعبة، فكان ذلك كالإذن لهم في تشييدها.

فشرعوا في تهديمها وتجديدها واتفقوا أن لا ينفقوا فيها مالاً نتج عن خمر أو قمار أو زنا، فبنوها وجعلوا طولها في السماء عشرين ذراعاً، وجعلوا لها باباً مرتفعاً من ناحية الشرق لئلا يدخل إليها كل أحد، وأرادوا أن يجعلوا البيت على قواعد إبراهيم لكن النفقة قصرت بهم فلم يتمكنوا من ذلك، فأخرجوا منه الحجر - بكسر الحاء وسكون الجيم - وهو نصف دائرة من ناحية الشمال قدر ثلاثة أمتار ونحوها.

ولما فرغوا من بنائها وقع بينهم نزاع أيهم يضع الحجر الأسود في موضعه حتى هموا بالقتال ثم اتفقوا على أن يحكموا بينهم أول داخل من باب بني شيبه، فكان أول داخل الصادق الأمين ﷺ فحكموه في ذلك؛ فأمرهم بثوب فأتي به فوضع الحجر فيه ثم أمر المتنازعين فأمسكوا بأطراف الثوب حتى أوصلوا الحجر إلى الركن، فحمل ﷺ الحجر ووضع في مكانه، فانتهدت المشكلة وكان للنبي ﷺ مشاركة في هذا البناء المقدس الخالد، وعمره إذ ذاك خمسة وثلاثون عاماً، وكان ينقل مع أعمامه الحجارة على عاتقه من أجساد، وفي إحدى المرات سقط عنه ثوبه حتى عري تماماً وسقط إلى الأرض ورفع عينيه إلى السماء، فقال: إزارى إزارى، فلم يُر بعد مكشوفاً قط، وقد تقدم هذا في حفظ الله تعالى إياه من سقطات الجاهلية.

[٢٩] وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: قال رسول الله ﷺ:

«يا عائشة لولا أن قومك حديثو عهدٍ بَشْرِكِ لهدمتُ الكعبة فالزفتها بالأرض وجعلتُ لها بابين باباً شرقياً وباباً غربياً، وزدتُ فيها ستة أذرع من الحجر، فإن قريشاً اقتصرتها حيث بنت الكعبة».

وفي رواية: «لولا حداثة عهد قومك بالكفر لتقضت الكعبة ولجعلتها على أساس إبراهيم، فإن قريشاً حين بنت البيت استقصرت».

وفي أخرى: سألت رسول الله ﷺ عن الجدر أمن البيت هو؟ قال: «نعم»، قلت: فلم لم يدخلوه في البيت؟ قال: «إن قومك قصرت بهم النفقة».

وفي أخرى: «لولا أن قومك حديثو عهد بجاهلية - أو قال: بكفر - لأنفقت كنز الكعبة في سبيل الله ولجعلت بابها بالأرض ولأدخلت فيها من الحجر...».

رواه البخاري (١٨٣/٥، ١٨٩)، ومسلم (٨٨/٩، ٩٧) كلاهما في الحج.

في هذا الحديث الشريف زيادة على ما تقدم من بناء كفار قريش البيت في الجاهلية؛ أن النبي ﷺ بعد أن فتح مكة المكرمة وأصبحت دار إسلام تمنى أن لو هدم البيت وأنشأه من جديد على قواعد وأسس إبراهيم عليه الصلاة والسلام، وأن يدخل فيه الحجر الذي أخرجه كفار قريش، وأن يجعل له بابين ملتصقين بالأرض؛ باباً للدخول وباباً للخروج، ولكنه ترك ذلك خشية مما عسى أن يصدر من أهل مكة من استنكارهم ذلك، حيث إنهم كانوا قريبي عهدهم بكفر وجاهلية فترك ذلك نظراً للمصلحة التي رآها أرجح من غيرها.

وقد أخذ العلماء رحمهم الله تعالى من هذا الحديث وغيره قاعدة عظيمة، وهي: «إذا تعارضت المصالح»، أو «تعارضت مصلحة ومفسدة»، وتعذر الجمع قدم الأهم مصلحة أو الأكثر مفسدة، فإن النبي ﷺ أخبر أن نقض الكعبة وردّها إلى ما كانت عليه من قواعد إبراهيم مصلحة، ولكن تعارضه مفسدة أعظم منه، وهي خوف فتنة بعض من أسلم قريياً، وذلك لما

كانوا يعتقدونه من فضل الكعبة وقد استها فيرون تغييرها على ما كانت عليه عظيماً.

وقد تقدم أن قلنا بأن أول من بنى البيت خليل الله عليه الصلاة والسلام، وبناه ثانياً الجراهمة ثم ثالثاً كفار قريش ثم بناه رابعاً عبدالله بن الزبير بعد استيلائه على الحرمين أيامَ عبدالملك بن مروان اعتماداً منه على ما حدثته به خالته مولاتنا عائشة رضي الله تعالى عنها فهدمه وبناه على قواعد إبراهيم وعلى ما تمناه النبي ﷺ، ولكنه لما قتل واستولى عبدالملك المرواني على الحرم الشريف هدمه وأرجعه إلى ما كان عليه رغم أنه علم ما حدثت به سيدنا عائشة رضي الله تعالى عنها، فكان هذا هو بناء البيت الخامس وهو الموجود الآن، فلا يعرف أن أحداً من ملوك المسلمين عبر العصور هدمه وبناه من جديد بعد البناء المرواني. نعم وقع إصلاحه وترميم بعض جدرانه كثيراً في عصور مختلفة، وذكروا أن أبا جعفر العباسي أراد إرجاعه إلى ما كان عليه بناء ابن الزبير، فاستشار مالك بن أنس رحمه الله تعالى فنهاه عن ذلك خشية أن يظلَّ لُغْبَةً بأيدي الملوك، والله المستعان وله البقاء.

✽ تسليم الحجرِ على النبي ﷺ قبل المبعث

[٤٠] عن جابر بن سمرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إني لأعرفُ حجراً بمكة كان يُسَلِّمُ عليّ قبل أن أُبعثَ إني لأعرفه الآن».

رواه أحمد (١٩/٥)، والطيالسي (٢٤٥٠)، ومسلم في الفضائل (٣٦/١٥)، والترمذي في المناقب (٣٣٩٣) بتهذيبي.

قيل: هذا الحجر هو الأسود الموجود في الركن وقيل غيره، وعلى أيّ فذلك آية من آيات الله الباهرة، فإن الحجر جماد لا روح فيه ولا حياة، ومع ذلك قد أعطاه الله عز وجل شعوراً عرف به النبي ﷺ وما سيراد به

في المستقبل، فكان يؤانسه ﷺ بسلامه عليه ويُشعره بأنه سيكون له شأن. ومثل هذا الخارق قد وقع لبعض أفراد أُمَّته ﷺ وأتباعه الصالحين، فكان إذا خرج سمع السلام عليه من الأشجار والأعشاب والأحجار. والله يختص بفضل من يشاء، فلا راد لقضائه ولا معقب لحكمه.

✽ خاتمة

جاء في الأبواب السابقة إلى هنا عدّة أحداث تتعلق بالحبيب سيدنا رسول الله ﷺ، وهذه خلاصتها:

افتتحنا بنسبه الشريف الطاهر، ثم بالبشارة على لسان خليل الرحمن، وعيسى ابن مريم به عليه وعليهما الصلاة والسلام، ثم بالبشارة به في التوراة والإنجيل، ثم تبشير اليهود والأحبار والرهبان ببعثته وفي ذلك ذكر قصة سلمان رضي الله تعالى عنه وطلبه الدين الحق حتى اتصل بالنبي ﷺ وقصته ممتعة فيها عبر، ثم مولده الشريف وذكر ما قيل في وقته المتفق عليه والمختلف فيه، ووفاة والده وهو جنين من شهرين في رحم والدته، ثم رضاعه ومرضعاته وما حدث له تلك الأيام من شق صدره الشريف، ثم وفاة أمه وجدّه وكفالتها إياه، ثم نشأته على مجانية أمور الجاهلية وحفظه أيام شبابه مما يدنس كرامته وعرضه، ثم سفره إلى الشام للمرة الأولى مع عمّه أبي طالب وعمره اثنا عشر عاماً، ثم حضوره مع أعمامه جلف الفضول والتعاقد على نصر المظلوم، ثم تزوجه بالسيدة الجليلة مولاتنا خديجة رضي الله تعالى عنها وعمره خمسة وعشرون عاماً وعمرها هي الأخرى أربعون سنة، ثم مشاركته في بناء الكعبة قبل البعثة بخمس سنوات وعمره خمس وثلاثون سنة، ثم تسليم الحجر عليه ﷺ.

وولد ﷺ يتيماً وتربى وشب كذلك، لكنه كان تحت رعاية الله تعالى وعنايته وحفظه، فقد كان كما قال تعالى ممتناً عليه في سورة الضحى: ﴿أَلَمْ

يَجِدُكَ يَتِيماً فَتَأْوِي ① وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى ② وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى ③ ،
 أي كنت يتيماً فأواك الله إلى جدك ثم إلى عمك فشمالك بالرعاية والمحبة،
 وكنت تائهاً عن معرفة الشريعة والدين الحق فهداك إليها كما قال تعالى: ﴿مَا
 كُنْتُ نَذْرِي مَا الْكُتُبُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْتُهُ نُورًا تَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ
 عِبَادِنَا﴾ ، وكنت عائلاً أي فقيراً لا مال لك فأغناك عن الخلق بتجارتك في
 مال خديجة .



بعثة النبي ﷺ وبدء الوحي
 والمرحلة الأولى المكية
 عمره ﷺ يوم بعث

[٤٩] عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: بُعِثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ
 لأربعين سنة، فمكث بمكة ثلاث عشرة سنة يُوحى إليه، ثم أُمِرَ بالهجرة
 فهاجر عشر سنين ومات وهو ابن ثلاث وستين.

رواه أحمد (٢٣٦/٢، ٢٤٩)، والبخاري في المبعث باب هجرة
 النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة (٢٣٠/٩)، ومسلم في الفضائل باب قدر
 عمره ﷺ وإقامته بمكة والمدينة (١١٢/١٥) وغيرهم.

في الحديث بيان عمره ﷺ عند بعثته وأنه كان ابن أربعين سنة؛
 وهي سن الكمال، قال الله تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾
 الآية، جاءت الآية في قصة كلیم الله موسى ومثلها في يوسف عليهما
 الصلاة والسلام، والحديث يدل على أنه أقام بمكة يوحى إليه ثلاث عشرة
 وبالمدينة بعد الهجرة عشرًا وتوفي وهو ابن ثلاث وستين، وهذا أصح ما
 ورد كما اتفق عليه العلماء، وما جاء بخلاف ذلك فمؤول أو غلط من بعض
 الرواة كما قال النووي، وقول ابن عباس: فهاجر عشر سنين، أي أقام
 مهاجرًا عشر سنين، قاله الحافظ.



✽ بداية الوحي وصفته

[٤٢] عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: أقام ﷺ بمكة خمس عشرة سنة، يَسْمَعُ الصَّوْتِ وَيَرَى الضُّوءَ سَبْعَ سِنِينَ وَلَا يَرَى شَيْئاً، وَثَمَانِي سِنِينَ يُوحَى إِلَيْهِ، وَأَقَامَ بِالْمَدِينَةِ عَشْرًا... وفي رواية: ثمان سنين أو سبعا يرى الضوء ويسمع الصوت، وثمانياً أو سبعا يوحى إليه.

رواه أحمد بالرواية الثانية (٢٦٦/١)، ومسلم بالأولى في الفضائل (١٠٣/١٥، ١٠٤).

قال القاضي عياض على قوله: «يسمع الصوت ويرى الضوء»، أي صوت الهاتف به من الملائكة، ويرى الضوء أي: نور الملائكة ونور آيات الله تعالى حتى رأى الملك بعينه وشافهه بوحى الله تعالى.

[٤٣] وعنه أيضاً أن النبي ﷺ قال لخديجة رضي الله تعالى عنها: «إني أرى ضوءاً، وأسمع صوتاً، وإني أخشى أن يكون بي جنون»، قالت: لم يكن الله ليفعل ذلك بك يا ابن عبد الله، ثم أتت به ورقة بن نوفل فذكرت ذلك له، فقال: إن يكن صادقاً فإن هذا ناموسٌ مثل ناموس موسى، فإن بُعِثَ وأنا حيٌّ فسأعززه، وأنصره، وأومئ به.

رواه أحمد (٣١٢/١) بسند صحيح، وأورده الهيثمي في المجمع (٢٥٥/٨) وعزاه لأحمد متصلاً ومرسلاً وللطبراني بنحوه، وقال: رجال أحمد رجال الصحيح وهو عند ابن سعد (١٩٥/١) من هذا الطريق.

[٤٤] وعن مولاتنا عائشة رضي الله تعالى عنها أنها قالت: أول ما بُدِيَءَ به رسول الله ﷺ من الوحي؛ الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حُبِبَ إليه الخلاء، وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه وهو التعبد الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله، ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها، حتى جاءه الحق وهو في غار حراء، فجاءه الملك فقال: «اقرأ»، قال: ما أنا بقارىء، قال: فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني، فقال: اقرأ، قال: ما أنا

بقارىء، قال: فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني، فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارىء، فأخذني فغطني الثالثة ثم أرسلني، فقال: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ① خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ② اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ③ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ④ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ⑤﴾، فرجع بها رسول الله ﷺ يزجف فؤاده فدخل على خديجة بنت خويلد رضي الله تعالى عنها، فقال: «زملوني فؤاده»، فرملوه حتى ذهب عنه الروع، فقال لخديجة وأخبرها الخبر: «لقد خشيت على نفسي»، فقالت خديجة: كلا والله ما يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق، فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى ابن عم خديجة، وكان امرأ تنصر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العبراني فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخاً كبيراً قد عمي، فقالت له خديجة: يا ابن عم اسمع من ابن أخيك، فقال له ورقة: يا ابن أخي ماذا ترى، فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأى، فقال له ورقة: هذا الناموس الذي نزل الله على موسى، يا ليتني فيها جذعاً، ليتني أكون حياً إذ يخرجك قومك، فقال رسول الله ﷺ: «أو مخرجي هم؟» قال: نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصرًا مؤزراً، ثم لم ينسب ورقة أن توفي وفتر الوحي.

رواه أحمد (٢٣٢/٦، ٢٣٣)، والبخاري في بدء الوحي (٢٥/١، ٣٠) وفي التفسير (٣٤٤/١٠، ٣٥٠) وفي التعبير وفي الأنبياء، ومسلم في الإيمان (١٩٧/٢، ٢٠٥).

وزاد أحمد: وفتر الوحي حتى حزن رسول الله ﷺ فيما بلغنا حزناً غداً منه مراراً كني يتردى من رؤوس شواحق الجبال، فكلما أوفى بذيروة جبل لكي يلقي نفسه تبدى له جبريل عليه السلام، فقال له: يا محمد إنك رسول الله حقاً، فيسكن ذلك جأشه، وتقر نفسه عليه الصلاة والسلام فيرجع، فإذا طالت عليه وفتر الوحي غداً لمثل ذلك، فإذا أوفى بذيروة جبل تبدى له جبريل عليه السلام فقال له مثل ذلك.

ماجه (٢١٤٤)، وابن حبان (١٠٨٤، ١٠٨٥) بالموارد، والحاكم (٤/٢) ج ٣٢٥/٤ وغيرهم من حديث جابر وهو حديث صحيح لشواهده.

الثالثة: إنه عليه السلام كان يتمثل له الملك رجلاً فيخاطبه حتى يعي عنه ما يقول له، وفي هذه المرتبة كان يراه الصحابة أحياناً - كما في حديث جبريل المعروف -.

الرابعة: إنه كان يأتيه في مثل صلصلة الجرس، وكان أشده عليه فيتلبس به الملك حتى إن جبينه لتفصد عرقاً في اليوم الشديد البرد، وحتى إن راحلته لتبرك به إلى الأرض إذا كان راجعاً، ولقد جاءه الوحي مرة كذلك وفخذه على فخذ زيد بن ثابت فتقلت عليه حتى كادت ترضها.

الخامسة: إنه يرى الملك في صورته التي خلق عليها، فيوحي إليه ما شاء الله أن يوحيه، وهذا وقع له مرتين، كما ذكر الله ذلك في سورة النجم.

السادسة: ما أوحاه الله وهو فوق السموات ليلة المعراج من فرض الصلاة وغيرها.

السابعة: كلام الله له منه إليه بلا واسطة ملك، كما كلم الله موسى بن عمران عليه السلام، وهذه المرتبة هي ثابتة لموسى قطعاً بنص القرآن، وثبوتها لنبينا عليه السلام هو في حديث الإسراء، وقد زاد بعضهم مرتبة ثامنة وهي تكليم الله له كفاحاً من غير حجاب، وهذا على مذهب من يقول: إنه عليه السلام رأى ربه تبارك وتعالى وهي مسألة خلاف بين السلف والخلف...

ثانياً: قولها: الرؤيا الصالحة، اتفق العلماء على أن رؤيا الأنبياء وحي، وقد قال تعالى عن سيدنا إبراهيم عليه السلام: ﴿إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا إِبْرَاهِيمُ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ﴾، والجمهور على أنه مكث يوحي إليه بالرؤيا ستة أشهر، ولذلك قال في الحديث الصحيح: «رؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة»، وقد تقدم مع معناه في الرؤيا والتعبير.

ثالثاً: في الحديث مشروعية الخلوة للتفرغ للعبادة والتعرض لنفحات الله تعالى ومعرفته، وهي طبعاً ناشئة عن العزلة، فهما متلازمان، وقد ورد فيهما أحاديث وسنن ستأتي في موضعها إن شاء الله تعالى.

رابعاً: فيه أن أول ما نزل من القرآن وأكرم الله تعالى به نبيه عليه السلام سورة العلق: ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝ وَإِلَىٰ رَبِّهِ أَغْوَىٰ ۝ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝﴾، وهذا قول جمهور العلماء للأدلة المتضاربة على ذلك.

فكانت أول رحمة رحم الله تعالى بها العباد، وأول نعمة أنعم الله بها عليهم...

قال ابن كثير: وفيها التنبيه على ابتداء خلق الإنسان من علقته، وأن من كرمه تعالى أن علم الإنسان ما لم يعلم، فشرّفه وكرمه بالعلم، وهو القدر الذي امتاز به أبو البرية آدم على الملائكة، الخ.

خامساً: فيه فضل مولانا خديجة رضي الله تعالى عنها ورجاحة عقلها، ويؤخذ من ذلك أنها أول من آمن به عليه السلام وبما جاء به على الإطلاق.

سادساً: فيه أن النبي عليه السلام كان متصفاً بمكارم الأخلاق والشيم الحميدة قبل نبوته، وقد عرفت ذلك خديجة منه كما كان ذلك معروفاً عند كل من عرفه، ولذلك لما قال لها: «لقد خشيت على نفسي» يعني من الشياطين، وقوله: «إني أخشى أن يكون بي جنون» طمأنته، وقالت له: «كلاً والله لا يخزيك الله أبداً» الخ.

وعرفت عنه أنه ليس ممن تسلط عليهم الشياطين كالكهّان... وذلك لما هو متصف به من الأخلاق الحسنة والشمائل الكريمة.

سابعاً: فيه الفزع إلى أهل العلم والدين عند نزول الأحداث والمهمات بالإنسان مما لا يدري المخرج منها.

ثامناً: فيه فضل ورقة بن نوفل وأنه آمن بالنبي عليه السلام وتمنى نصره

وتأييده عندما يدعو قومه ويُخرجونه من بلدته، وقد جاء في رؤيا له عليه السلام ما يدل على أنه من أهل الجنة، ولا ينبغي أن يشك في ذلك.

تاسعاً: قال القاضي عياض والعيني وغيرهما ما معناه: إنما بدىء عليه السلام بالرؤيا الصالحة في الوحي مع ما كان يشاهده من الضوء وما يسمعه من الصوت وسلام الحجر والشجر عليه وغير ذلك من التباشير، كان ذلك إرهاباً له فيستشعر ما يُراد به ويستعد لما سيفاجأ به من مجيء الملك.

عاشراً: في قول ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: أقام بمكة خمس عشرة سنة يسمع الصوت ويرى الضوء سبع سنين... وثمان سنين يُوحى إليه، هو مخالف للأحاديث الأخرى بالنسبة لإقامته بمكة خمس عشرة سنة كما تقدّم ويأتي، كما أن قوله: يسمع الصوت ويرى الضوء سبع سنين، وقوله: ثمان سنين يوحى إليه هو شاذٌ ومخالف لما عليه الجمهور، ووجهه الخازن بأن يحمل قوله: على سنتين قبل النبوة فيما كان يراه من الضوء والتباشير، وثلاث سنين بعدها قبل إظهار الدعوة، وعشر سنين معلناً بالدعوة بمكة، ومع ذلك فلا يزال الإشكال قائماً، فإن قوله: وثمان سنين يوحى إليه ينافي ما قاله، فالله أعلم كيف حصل ذلك، رغم أنه في صحيح مسلم، ولم يعرج القاضي عياض ولا النووي على توجيه ذلك.

حادي عشر: إن خلوته عليه السلام بغار حراء البعيد عن العمران كان إلهاماً من الله تعالى، فإنه لما رأى قومه وما هم عليه من أعمال الجاهلية وفشو الشرك بالله وعبادة الأوثان من أحجار وأشجار مضافة إلى كثرة فجورهم وارتكابهم الفواحش ومظاهر تنافي الفطرة، فعند ذلك اعتزل مجتمعهم وصعد إلى قمة ذلك الجبل الوعر فجعل يتعبّد ويتفكّر في عظمة الله التي تتجلى في هذا الكون الفسيح حتى أكرمه الله تعالى بما أكرمه.

وقد ضلّ هنا أقوام، فقالوا: إن النبوة قد تُدرك بالعبادة والانقطاع عن المخلوقات، وأنها مكتسبة وهذا جهل وضلال، فإن النبوة مئة وفضل من الله تعالى يضعها حيث شاء؛ كما قال تعالى: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾، وكما قال عز وجل: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مَنِ الْكَفَّكَ رَسُولًا وَمَنْ النَّاسِ﴾. نعم؛ التي تُكتسب هي: الولاية وأنواع مقاماتها إلى مقام الصديقية.

ثاني عشر: قولها: «وَفَرَّ الْوَحْيُ»، أي احتبس جبريل عليه السلام عن مجيئه إليه، وقد اختلفوا كم بقي احتباسه عنه؟ فقيل: ثلاث سنين، وقيل: سنتان ونصف وقيل غير ذلك، وفي هذه المدة كان يحزن ويأتي رؤوس شواهد الجبال ليلقي نفسه، فكان كلما أوفى بذروة جبل تظاهر له جبريل عليه السلام فيطمثنه ويقول له: يا محمد إنك رسول الله فيسكن ذلك جأشه، وهكذا حتى رآه على كرسي بين السماء والأرض، كما في الحديث التالي.

[٤٥] فعن أبي سلمة بن عبد الرحمن رضي الله تعالى عنهما، أن جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله تعالى عنهما قال وهو يُحدّث عن فترة الوحي، فقال في حديثه: «بَيْنَمَا أَنَا أَمْشِي إِذْ سَمِعْتُ صَوْتًا مِنَ السَّمَاءِ فَرَفَعْتُ بَصْرِي فَإِذَا الْمَلِكُ الَّذِي جَاءَنِي بِحَرَاءِ جَالِسٌ عَلَى كُرْسِيِّ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ فَرُعِبْتُ مِنْهُ فَرَجَعْتُ، فَقُلْتُ: زَمَلُونِي»، فأنزل الله تعالى: ﴿يَأْتِيَا الْمَدْيَنَةَ ﴿١﴾ قُرْ فَأَنْذِرْ ﴿٢﴾﴾ إلى قوله: ﴿وَالرَّجَزَ فَأَهْبِزْ ﴿٣﴾﴾، فحَمِي الْوَحْيِ وَتَوَاتَرَ.

رواه البخاري في بدء الوحي (٣١/١) وفي بدء الخلق وفي الأدب وفي التفسير (٣٠٥/١٠، ٣٠٦)، ومسلم في الإيمان رقم (١٦١، ٢٥٥، ٢٥٦)، والترمذي في التفسير (٣١٠٨)، والنسائي في الكبرى (٥٠٢/٦، ٥٠٣) وغيرهم.

وفي رواية عن يحيى بن أبي كثير قال: سألت أبا سلمة: أي القرآن أنزل أول؟ فقال: ﴿يَأْتِيَا الْمَدْيَنَةَ ﴿١﴾﴾، فقلت: أنبئت أنه: ﴿أَقْرَأَ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾﴾، فقال أبو سلمة: سألت جابر بن عبد الله: أي القرآن أنزل أول؟ فقال: ﴿يَأْتِيَا الْمَدْيَنَةَ ﴿١﴾﴾، فقلت: نُبِّئْتُ أَنَّهُ: ﴿أَقْرَأَ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾﴾ فقال: لا أخبرك إلا بما قال رسول الله عليه السلام، قال رسول الله عليه السلام: «جاوزت في حراء فلما قضيت جوارِي هبطت فاستبطنت الوادي فتوديت فنظرت أمامي، وخلفي، وعن يميني، وعن شمالي، فإذا هو على عرش بين السماء والأرض، فأتيت خديجة فقلت: ذرّوني وضّوا علي ماء بارداً، وأنزل علي: ﴿يَأْتِيَا الْمَدْيَنَةَ ﴿١﴾﴾ قُرْ فَأَنْذِرْ ﴿٢﴾﴾ وَرَبِّكَ فَكَلِّمْ ﴿٣﴾﴾».

رواه البخاري بهذه الرواية في التفسير، ومسلم رقم (٢٥٧) في الإيمان.

قوله: «فَرُعِبْتُ» في رواية: «فَجُرِئْتُ مِنْهُ فَرَقًا» أي: فرعت منه خوفاً وهو معنى فرعبت، وقوله: «فحمي الوحي» أي تتابع بلا انقطاع، وقوله: «جاورت في حراء» أي: جلست واعتكفت فيه، وقوله: «فاستبطنت» أي: نزلت إلى وسط الوادي.

وفي هذا الحديث بروايته أمران:

أولاً: فيه أنه ﷺ كان يتردد إلى حراء بعد فترة الوحي لتشوقه إلى جبريل.

ثانياً: كان جابر يعتقد أن أول ما نزل من القرآن هو سورة المدثر، وهو خلاف حديث عائشة المتقدم وخلاف قول جمهور العلماء إن لم يكونوا كلهم، وقد جمع بعضهم بينهما بأن أول ما نزل من الوحي: سورة «أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ» وأول ما نزل بعد فترة الوحي: «يَا أَيُّهَا الْمَدَّثِرُ» وفيها أمر ﷺ بالتبليغ والإنذار، وهذا جمع حسن بل هو الواجب إن شاء الله تعالى، وما كان يفعله ﷺ من إرادته إلقاء نفسه من رؤوس الجبال كان ذلك قبل مجيء الشرع، فلا إشكال فيه كما قد يتوهم.

❁ صفة الوحي وكيف كان يتلقاه النبي ﷺ؟

[٤٦] عن عائشة رضي الله تعالى عنها زوج النبي ﷺ أن الحارث بن هشام سأل رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله كيف يأتيك الوحي؟ فقال رسول الله ﷺ: «أحياناً يأتييني في مثل صلصلة الجرس وهو أشده علي فيفصم عني وقد وعيت ما قال، وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً، فيكلمني فأعي ما يقول»، قالت عائشة: ولقد رأيته ينزل عليه في اليوم الشاتي الشديد البرد فيفصم عنه وإن جبينه ليَتَفَصَّدُ عَرَقًا.

رواه البخاري في بدء الوحي (٢٠/١، ٢٤)، ومسلم في الفضائل (٨٨/١٥)، وكذا أحمد (١٥٨/٦، ٢٥٧)، والترمذي في المناقب (٣٤٠٩)، والنسائي في الصلاة.

«صلصة الجرس»، الصلصلة بفتح الصادين بينهما لام ساكنة أطلق على كل صوت له طنين، والجرس بفتحين ناقوس صغير. قوله: «فيفصم عني» بفتح الياء وكسر الصاد وجاء مبنياً للمجهول بضم الياء وفتح الصاد، ومعناه يقلع ويتجلى ما يغشائي. وقوله: «لَيَتَفَصَّدُ» أي ليسيل.

[٤٧] وعن عبادة بن الصامت رضي الله تعالى عنه قال: كان النبي ﷺ إذا أنزل عليه الوحي نكس رأسه، ونكس أصحابه رؤوسهم، فلما أنجلي عنه رفع رأسه.

وفي رواية: كان إذا أنزل عليه كُرب لذلك وتربّد وجهه.

رواه أحمد (٣١٣/٥، ٣٢٧، ٣٢٠)، ومسلم في الفضائل (٨٩/١٥) وفي الحدود (١٨٨/١١)، وأبو داود (٤٤١٥)، والترمذي (١٣٠٤) وغيرهم مطولاً ومختصراً، وقد تقدم في التفسير من سورة النساء.

قوله: «نكس رأسه» أي طأطأه، وقوله: «تربّد وجهه» أي تغير حتى صار كلون الرماد، وقوله: «كرب» بضم الكاف أي أصابه كرب وشدة.

[٤٨] وعن سهل بن سعد الساعدي رضي الله تعالى عنه أنه قال: إن زيد بن ثابت أخبره أن رسول الله ﷺ أملى عليه: «لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ»... قال: فأنزل الله على رسوله ﷺ وقبضه على فخذي، فثقلت علي حتى خفت أن ترض فخذي، ثم سري عنه...

رواه البخاري (٣٢٨/٩) في التفسير وفي الجهاد وفي فضائل القرآن، والترمذي في التفسير (٢٨٣٧)، وابن جرير (٢٢٨/٤، ٢٢٩)، وابن أبي حاتم (١٠٤٣/٣) وغيرهم وقد تقدم مطولاً في التفسير.

[٤٩] وعن عائشة رضي الله تعالى عنها أن النبي ﷺ كان إذا أُوجي إليه وهو على ناقته وضعت جرائها فلم تستطع أن تتحرك.

رواه أحمد (١١٨/٦)، والحاكم (٥٠٥/٢) وصححه ووافقه الذهبي وقال النور في المجمع (٢٥٧/٨): رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح، ومع ذلك فله شواهد أخرى.

قوله: «حتى خفت أن ترض فخذني» أي تتكسّر، وقوله: سُري عنه بضم السين وكسر الراء المشددة أي ذهب ما كان نزل به.

وفي هذه الأحاديث بيان أحوال الوحي التي كانت تتعاقب على النبي ﷺ وما كان يحدث له عندها، فالوحي له شأن عظيم لا يستطيع تلقّيه إلا من قوى الله تعالى روحانيته وجسمه، فهو أمر ثقيل؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ (٥)، ولذلك كان النبي ﷺ يعاني منه شدائد ومشاقاً، فكان تارة يسمع عنده طنيناً كصوت الجرس، وكان ذلك أشده عليه، وكان إذا نزل به تغير وجهه الشريف حتى يصير كالرماد وسال جبينه وجبهته عرقاً في اليوم الشديد البرد، هذا بالنسبة له ﷺ مع قوة روحانيته وجسمه. أما غيره ممن يتصل به وقت نزول الوحي عليه، فكان كما قال زيد بن ثابت رضي الله تعالى عنه حيث إن فخذ النبي ﷺ كانت على فخذته فثقلت عليه حتى خاف أن ترض وتكسر، وكما حصل لناقته العظيمة الضخمة حيث إنها لما نزل عليها من ثقل الوحي الذي أصابه ﷺ كادت أن تبرك فوضعت مقدم عُنُقها على الأرض. والمقصود أن الوحي له شأن عظيم، وكيف لا وهو يأتي من قِبَل رب الأرض والسماء العزيز الجبار المتكبر العليّ العظيم. هذا وإن أقسام الوحي ومراتبه قد تقدّمت في حديث عائشة في بدء الوحي.

[٥٠] وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في قوله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ (١٦)، قال: كان رسول الله ﷺ يُعَالِجُ مِنَ التَّنْزِيلِ شِدَّةً، وكان مِمَّا يُحَرِّكُ شَفْتَيْهِ، فقال ابن عباس: فأنا أحرّكهما لكم كما كان رسول الله ﷺ يُحَرِّكُهُمَا، وقال سعيد: أنا أحرّكهما كما رأيت ابن عباس يحركهما، فحرّك شفّتيه فأنزل الله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ (١٦) إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ (٧)، قال: جمعه له في صدرك وتقرؤه فإذا قرأته فأتبع

قُرْآنَهُ (١٨)، قال: فاستمع له وأنصت له وأنصت ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ (١٦) ثم إن علينا أن تقرّاه، فكان رسول الله ﷺ بعد ذلك إذا أتاه جبريل عليه السلام استمع، فإذا انطلق جبريل قرأه النبي ﷺ كما قرأه.

رواه البخاري في بدء الوحي (٣٢/١، ٣٣) وفي التفسير (٣٠٩/١٠، ٣١٠) وفي فضائل القرآن، ومسلم في الصلاة رقم (٤٤٨)، والترمذي في التفسير (٣١١٢)، والنسائي في الكبرى (٥٠٣/٦).

قوله: «كان يعالج» أي: يحاول حفظه بمشقة.

كان النبي ﷺ في ابتداء الوحي إذا جاءه جبريل وألقى عليه القرآن تعجل، فجعل يحفظه مباشرة عند التلقّي فأرشده الله عز وجل إلى ما هو أسهل وأولى له، فأمره أن يستمع له أولاً وينصت، وتكفل له أن يجمعه له في صدره، وثانياً بعد إلقائه أن يقرأه ثم ثالثاً على الله تعالى بيانه وإيضاحه.

فقوله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ (٧) أي: علينا أن نقرأه عليك ونجمعه في صدرك بدون معاناة ولا معالجة، وقوله: ﴿وَقُرْآنَهُ﴾ أي: قراءته، وقوله: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ (١٦) أي: علينا أن نبينه ونوضحه لك، وهذا من لطف الله تعالى ورفقه بنبيّه ورحمته به ﷺ. ومثل هذه الآية قوله تعالى في سورة طه: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ﴾، يعني: إذا أقرأك جبريل القرآن فلا تعجل بالقراءة معه بل استمع إليه واصبر حتى يفرغ من تلاوته.

❁ بداية الدعوة

قد تقدم حديث جابر في نزول قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَدِينُ﴾ (١) قُرْ فَأَنْذِرْ (٢) رواه الشيخان، فكان هذا أول خطاب وجه للنبي ﷺ من قِبَل الله عز وجل أمراً له أن يبلغ الدعوة وينذر كل من ردّ دعوته من الكافرين، فقام يدعو في ابتداء أمره كل من يتصل به ويعرف أمانته من الأقارب والمعارف، وذلك عن طريق السر والتكتم حذراً من أن يفاجيء متعصبة قريش الذين كانوا

غرقى في الوثنيات والشركيات، وبقي على دعوته سرّاً، كما قال علماء السيرة ثلاث سنين حتى دخل في الإسلام عدد لا بأس به وانتشرت الدعوة بين أوساط بيوتات كثيرة من قريش، فحينئذ أمر بالجهر بالدعوة، كما يأتي.

✽ مراحل الدعوة في حياة النبي ﷺ

ذكر العلماء رحمهم الله تعالى أن الدعوة الإسلامية مرّت في حياة النبي ﷺ منذ بعثته إلى وفاته بأربع مراحل:

المرحلة الأولى: دعوته سرّاً، واستمرّت ثلاث سنوات.

المرحلة الثانية: الدعوة جهراً وباللسان فقط، واستمرّت إلى الهجرة إلى المدينة.

المرحلة الثالثة: الدعوة جهراً مع قتال للمعتدين والبادئين بالقتال أو الشرّ، واستمرّت هذه المرحلة إلى عام صلح الحديبية.

المرحلة الرابعة: الدعوة جهراً مع قتال كل من وقف في سبيل الدعوة أو امتنع من الدخول في الإسلام بعد فترة الدعوة والإعلام من المشركين أو الملاحدة أو الوثنيين. أما أهل الكتاب فلمهم حكم خاص تقدم في الجهاد.

وهذه المرحلة عليها استقرّ أمر الشريعة الإسلامية وقام عليها حكم الجهاد في الإسلام، وهي المقررة عند سائر المذاهب في كتبهم.

✽ السابقون إلى الإسلام وأول من أسلم منهم

[٥٩] عن زيد بن أرقم رضي الله تعالى عنه قال: أوّل من صلّى، وفي لفظ: أوّل من أسلم مع رسول الله ﷺ عليّ عليه السلام.

٧٠

رواه أحمد (٣٦٨/٤، ٣٧١)، والترمذي في المناقب (٣٧٣٥)، والحاكم (١٣٦/٣) وحسنه الترمذي وصححه، وكذا صححه الحاكم ووافقه الذهبي.

[٥٢] وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: أوّل من صلّى مع النبي ﷺ بعد خديجة عليّ رضي الله تعالى عنهما.

رواه أحمد (٣٣٠/١، ٣٣١)، والترمذي في المناقب (٣٧٣٤) وسنده حسن.

[٥٣] وعن سلمان رضي الله تعالى عنه قال: أوّل هذه الأمة وروداً على نبيها ﷺ أولها إسلاماً عليّ بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه.

رواه الطبراني (٦١٧٤)، والحاكم (١٣٦/٣)، قال الهيثمي (١٠٢/٩): ورجاله ثقات.

[٥٤] وعن عمّار بن ياسر رضي الله تعالى عنهما قال: رأيت رسول الله ﷺ وما معه إلا خمسُ أعبيد، وامرأتان، وأبو بكر رضي الله تعالى عنهم.

رواه البخاري في الفضائل (٢٠/٩).

[٥٥] وعن أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ الله بعثني إليكم فقلتم: كذبت، وقال أبو بكر: صدّق، وواساني بنفسه وماله فهل أنتم تاركوا لي صاحبي؟».

رواه البخاري في المناقب أيضاً (٢١/٩)، ويأتي في مناقبه إن شاء الله تعالى مطوّلاً.

في هذه الأحاديث بيان من سبق إلى اعتناق الإسلام، فأحاديث زيد وابن ياسر وسلمان رضي الله تعالى عنهم تدلّ على أن أوّل من أسلم الإمام عليّ عليه السلام، ولا شكّ في ذلك غير أنه كان إسلامه بعد مولاتنا خديجة كما في حديث ابن عباس، وكما يؤخذ من حديث عائشة المتقدم في بدء الوحي.

٧١

وحديث أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه يدلّ ظاهره على أن الصديق هو أول من آمن وصدق النبي ﷺ.

والصحيح الذي مشى عليه المحققون من المحدثين وأهل السير وغيرهم أن أول من أسلم من الرجال الأحرار أبو بكر الصديق، ومن الصبيان الإمام علي، ومن النساء خديجة، ومن العبيد بلال، ومن الموالي زيد بن حارثة رضي الله تعالى عنهم.

ومن السابقين إلى الإسلام عمار بن ياسر كما في حديثه السابق، فإنه أسلم ومع النبي ﷺ خمسة أعبد وامرأتان وأبو بكر.

والأعبد هم: بلال، وزيد بن حارثة، وعامر بن فهيرة مولى أبي بكر، وأبو فكيهة، والخامس شقران مولى النبي ﷺ، والمرأتان خديجة وأم أيمن رضي الله تعالى عنهم جميعاً، وإنما لم يعد هنا علياً لأنه كان لا يزال طفلاً لم يجاوز العشرة من عمره.

[٥٦] وعن عمرو بن عَبَسَةَ رضي الله تعالى عنه قال: كنت وأنا في الجاهلية أظن أن الناس على ضلالة وأنهم ليسوا على شيء وهم يعبدون الأوثان، فسمعت برجل بمكة يخبر أخباراً، فقعدت على راحلتي فقدمت عليه، فإذا رسول الله ﷺ مستخفياً جُراءً عليه قومه، فتلطفت حتى دخلت عليه بمكة، فقلت له: ما أنت؟ قال: «أنا نبي»، فقلت: وما نبي، قال: «أرسلني الله»، فقلت: وبأي شيء أرسلك؟ قال: «أرسلني بصلة الأرحام، وكسر الأوثان، وأن يوحد الله لا يُشرك به شيء»، قلت له: فمن معك على هذا؟ قال: «حرٌّ وعبد»، قال: ومعه يومئذ أبو بكر وبلال ممن آمن به، فقلت: إني متبعك، قال: «إنك لا تستطيع ذلك يومك هذا ألا ترى حالي وحال الناس، ولكن ارجع إلى أهلِكَ فإذا سمعت بي قد ظهرت فأتني».

رواه أحمد (١١٢/٤)، ومسلم في الأوقات التي نهى عن الصلاة فيها (١١٤/٦، ١١٥).

قوله: «جُراء» جمع جريء من الجرأة أي هم متسلطون عليه، ويريدون الإقدام على إذايته. وقوله: تلطفت أي ترققت.

وفي هذا الحديث بيان أن عمراً هذا كان من الأولين إسلاماً بدليل قوله: ومعه يومئذ أبو بكر وبلال ممن آمن به، والظاهر أنه لم يطلع على غيرهما ممن كان أسلم، وعلى كل فهو من الرعيل الأول، ولكنه رجع إلى قبيلته وأخفى إسلامه حتى ظهر النبي ﷺ ولم يفتن عن دينه كما فتن وابتلي من كان بمكة مع النبي ﷺ.

[٥٧] وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه قال: ما أسلم أحد إلا في اليوم الذي أسلمت فيه، ولقد مكثت سبعة أيام وإني لثلث الإسلام.

رواه البخاري في المناقب (٨٥/٩).

وهذا أيضاً يدلّ على أن سعداً هذا كان من الأوائل، وما قاله من أنه لم يسلم أحد إلا في اليوم الذي أسلم فيه، ظاهره مشكل، فإنه قد أسلم قبله جماعة. وقوله: ولقد مكثت سبعة أيام وإني لثلث الإسلام، هذا على حسب ما علمه وبلغه، فإن الناس كانوا يخفون إسلامهم خوفاً من إذابة الكفار.

هذا وممن سبق إلى الإسلام بالاتفاق عثمان، والزبير بن العوام وطلحة بن عبيدالله وعبدالرحمن بن عوف وغيرهم رضي الله تعالى عنهم.

✽ الجهر بالدعوة إلى الله تعالى

[٥٨] عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قام رسول الله ﷺ حين أنزل الله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾، قال: «يا معشر قريش - أو كلمة نحوها - اشترُوا أَنْفُسَكُمْ لا أَعْنِي عَنْكُمْ من الله شيئاً، يا بني عبد مَنَافٍ لا أَعْنِي عَنْكُمْ من الله شيئاً، يا عباسُ بن عبد المطلب لا أَعْنِي عَنْكَ من الله شيئاً، ويا صفيةَ عَمَّةَ رسول الله ﷺ لا أَعْنِي عَنْكَ من الله شيئاً،

ويا فاطمة بنت محمد ﷺ سَلِينِي مَا شِئْتِ مِنْ مَالِي، لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنْ اللَّهِ شَيْئاً.

رواه البخاري في التفسير (١٢٠/١٠) وفي الوصايا رقم (٢٧٥٣) وفي المناقب (٣٥٢٧)، ومسلم في الإيمان رقم (٢٠٦/٢٠٤)، والترمذي في التفسير (٢٩٧٨)، والنسائي في الكبرى (٤٢٣/٦).

وفي رواية لمسلم قال: دعا رسول الله ﷺ قريشاً فاجتمعوا فعمَّ وخصَّ، فقال: «يا بني كعب بن لؤي أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني مرة بن كعب أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد شمس أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد مناف أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني هاشم أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد المطلب أنقذوا أنفسكم من النار، يا فاطمة أنقذي نفسك من النار، فإني لا أملك لكم من الله شيئاً غير أن لكم رحماً سألها بيلالها».

[٥٩] وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: لما نزلت: «وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴿٣٦﴾» ورهطك منهم المخلصين خرج رسول الله ﷺ حتى صعد الصفا فهتف: «يا صباخاة»، فقالوا: من هذا؟ فاجتمعوا إليه فقال: «أرايتم إن أخبرتكم أن خيلاً تخرج من سفح هذا الجبل أكنتم مصدقي؟» قالوا: ما جربنا عليك كذباً، قال: «فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد»، قال أبو لهب: تبأ لك ما جمعتنا إلا لهذا؟ ثم قام فنزلت: «تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾»، وقد تبَّ هكذا قرأها الأعمش يومئذ.

رواه البخاري في التفسير (٣٦٨/١٠)، ومسلم في الإيمان رقم (٢٠٨)، والترمذي في التفسير (٣١٤٤)، والنسائي في الكبرى (٥٢٦/٦)، وفي الباب عن عائشة في مسلم وعن قبيصة بن المخارق وزهير بن عمر، وفيه أيضاً قوله: «غير أن لكم رحماً سألها بيلالها» البلال الماء، ومعناه سألها، يعني بالشفاعة، وقوله: «سَفَحَ الْجَبَلِ» أي وجهه.

كان قد دخل الناس في الإسلام أرسالاً من الرجال والنساء أيام دعوته ﷺ سراً حتى فشي بمكة وتحدث به، فأمر الله عز وجل رسوله ﷺ

أَنْ يَضِدَّعَ وَيَجْهَرَ بِمَا جَاءَهُ وَأَمَرَ بِهِ، وَأَنْ يَظْهَرَ ذَلِكَ لِعُمُومِ النَّاسِ وَيَدْعُو إِلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ عَزَّ وَجَلَّ:

﴿فَأَصْدَعْ بِمَا تُوْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴿٦٤﴾ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴿٦٥﴾﴾ الآية. قال ابن مسعود رضي الله تعالى عنه: ما زال النبي ﷺ مستخفياً حتى نزلت: ﴿فَأَصْدَعْ بِمَا تُوْمَرُ﴾، فخرج هو وأصحابه، رواه ابن جرير (٦٨/١٤).

وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: هذا أمر من الله تعالى لنيبه ﷺ بتبليغ رسالته قومه وجميع من أُرْسِلَ إليهم، رواه ابن جرير أيضاً (٦٧/١٤)، فكان الأمر في هذه الآية بتبليغ الدعوة لكافة الناس. وقوله: «وأعرض عن المشركين» إلخ، أي: بلغ ما أنزل إليك من ربك ولا تلتفت إلى هؤلاء المشركين ولا تخفهم، فإن الله كافيك إياهم وحافظك منهم، وقد فعل سبحانه كما يأتي.

وفيما ذكرنا من حديثي أبي هريرة وابن عباس رضي الله تعالى عنهم بيان أنه ﷺ أمر أولاً بالتبليغ لأقاربه وعشيرته؛ لأنها مسؤولة أولية، فالأقربون أولى بالمعروف كما يقولون، ولذلك فقد امتثل ﷺ أمر ربه في ذلك، فجمع بطون أقاربه وبيوتات عشيرته فعمم وخصص ثم ناداهم جميعاً وأعلمهم جهاراً بأنه رسول من الله تعالى ونذير لهم بين يدي عذاب شديد، وأمرهم أن ينقذوا أنفسهم من عذاب الله تعالى، وذلك يكون بالإيمان به وبما جاء به واتباعه في ذلك.

وفي الحديثين دليل على أن من مات كافراً لا تنفعه قرابة ولو كانت من بيوت النبوة، ولذلك قال النبي ﷺ لأقاربه: «لا أغني عنكم من الله شيئاً»، وفي قوله: «غير أن لكم رحماً سألها بيلالها» يخصص قوله: «لا أغني عنكم» إلخ، فإنه سيسفح لمن مات منهم مؤمناً، وذلك بإذن من الله تعالى، ويلاحظ أن ذكر فاطمة في هذا النداء وهم بلا شك، فإنها في ذلك الوقت كانت لا تزال صغيرة لا تجاوز الخمس سنوات، فالله أعلم كيف وقع في الحديث.

❁ الإيذاء لرسول الله ﷺ

[٦٥] عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ كان يصلي عند البيت وأبو جهل وأصحاب له جلوس؛ إذ قال بعضهم لبعض: أيكم يجيء يسلي جزور بني فلان فيضعه على ظهر محمد إذا سجدا؟ فانبعث أشقى القوم فجاء به، فنظر حتى سجد النبي ﷺ وضعه على ظهره بين كتفيه، وأنا أنظر لا أغير شيئاً، لو كان لي منعة قال: فجعلوا يضحكون، ويحيل بعضهم على بعض، ورسول الله ﷺ ساجد لا يرفع رأسه حتى جاءته فاطمة، فطرحت عن ظهره فرفع رأسه، وفي رواية: فانطلق منطلق إلى فاطمة وهي جويرية فأقبلت تسعى وثبت النبي ﷺ ساجداً حتى ألقته عنه فأقبلت عليهم تسبهم، فلما قضى رسول الله ﷺ الصلاة قال: «اللهم عليك بقريش - ثلاثاً - اللهم عليك بعمر بن هشام، وعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة، وأمية بن خلف، وعقبة بن أبي معيط، وعُمارة بن الوليد»، قال عبدالله: فوالله لقد رأيتهم صرعى يوم بدر، ثم سجدوا إلى القليب قليب بدر، ثم قال رسول الله ﷺ: «واتبع أصحاب القليب لعنة».

رواه البخاري في الطهارة وفي الصلاة وفي الجهاد وفي المغازي وفي الفضائل (١٦٦/٨)، ومسلم في الجهاد والسير (١٥١/١٢، ١٥٤) وغيرهما.

قوله: سلى جزور، السلى هو اللفافة التي يكون فيها الولد في بطن الناقة وسائر الحيوان، والجزور هو الإبل. وقوله: «فانبعث أشقى القوم» الذي فعل به ذلك هو عقبة بن أبي معيط كما في رواية عند مسلم وغيره قوله: عمرو بن هشام هو أبو جهل كما صرحت به رواية أخرى.

[٦٦] وعن عروة بن الزبير رضي الله تعالى عنهما قال: قلت لعبدالله بن عمرو بن العاص: أخبرني بأشد ما صنعته المشركون برسول الله ﷺ قال: بيننا رسول الله ﷺ يصلي ببناء الكعبة إذ أقبل عقبة بن أبي معيط فأخذ بمنكب رسول الله ﷺ ولوى ثوبه في عنقه فحنقه به حنقاً شديداً، فأقبل أبو بكر فأخذ بمنكبيه ودفع عن رسول الله ﷺ وقال: أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله، وقد جاءكم بالبينات.

رواه البخاري في أوائل السيرة النبوية (١٦٨/٨) وفي التفسير (١٧٥/١٠)، وكذا أحمد (٢٠٤/٢)، ورواه أحمد (٢١٨/٢)، والنسائي في الكبرى (٤٥٠/٦) من طريق أبي إسحاق مطولاً بسند صحيح بلفظ: قال: حَضَرْتُهُمْ وقد اجتمع أشرفهم يوماً في الحجر فذكروا رسول الله ﷺ فقالوا: ما رأينا مثل ما صَبَرْنَا عليه من هذا الرجل قط سقه أحلامنا، وشتم آباءنا، وعاب ديننا، وفرق جماعتنا، وسب آلهتنا، لقد صبرنا منه على أمر، قال: فبينما هم كذلك إذ طلع عليهم رسول الله ﷺ فأقبل يمشي حتى استلم الركن، ثم مر بهم طائفاً بالبيت، فلما أن مر بهم غمزوه ببعض ما يقال، قال: ففرفت ذلك في وجهه ثم مضى، فلما مر بهم الثالثة فغمزوه بمثلها، فقال: «تَسْمَعُونَ يا معشر قريش، أما والذي نفس محمد بيده لقد جئتكم بالذبح»، فأخذت القوم كلمته، حتى ما منهم رجلاً إلا كأنما على رأسه طائر واقف، حتى إن أشدهم فيه وصاة من قبل ذلك ليزفأه بأحسن ما يجد من القول، حتى إنه ليقول: انصرف يا أبا القاسم، انصرف راشداً، فوالله ما كنت جهولاً، قال: فانصرف رسول الله ﷺ حتى إذا كان من الغد اجتمعوا في الحجر وأنا معهم، فقال بعضهم لبعض: ذكرت ما بلغ منكم، وما بلغكم عنه، حتى إذا بادأكم بما تكرهون تركتموه، فبينما هم في ذلك إذ طلع رسول الله ﷺ فوثبوا إليه وثبة رجل واحد، فأحاطوا به يقولون: أنت الذي تقول كذا وكذا، كما كان يبلغهم عنه من عيب آلهتهم ودينهم، قال: فيقول رسول الله ﷺ: «نعم أنا الذي أقول ذلك»، قال: فلقد رأيت رجلاً منهم أخذ بمجامع رداءه، قال: وقام أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه دونه يقول وهو يبكي: أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله؟ ثم انصرفوا عنه، فإن ذلك لأشد ما رأيت قريشاً بلغت منه.

قوله: «سقه أحلامنا» أي: نسب عقولنا للحمق والجهالة والطيش. وقوله: «غمزوه» أي: طعنوا فيه. قوله: «لقد جئتكم بالذبح» أي: بالقتل والإبادة أو أتيتكم بما يكون كالذبح من الآيات والحجج. وقوله: «كأنما على رؤوسهم طائر» هو عبارة عن هذوئهم وسكوتهم. وقوله: «وصاة» بفتح الواو توصية. وقوله: «ليزفأه» بفتح الياء من زفاً كمنع أي: يسكنه. قوله:

«جهولاً» أي سفيهاً. قوله: «فوئبوا» أي: انقضوا عليه. وقوله: «فأحاطوا» أي: داروا به.

[٦٢] وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال أبو جهل: هل يُعْفَرُ محمد وجهه بين أظهركم؟ فقيل: نعم، فقال: واللأت والعرى لئن رأيته يفعل ذلك لأطأن على رقبته أو لأعقرن وجهه في التراب، فأتى رسول الله ﷺ وهو يصلي ليلاً على رقبته، فما فجأهم منه إلا وهو ينكص على عقبه يتقي يديه، فقيل له: ما لك؟ قال: إن بيني وبينه خندقاً من نار وهو لا أجنحة، فقال رسول الله ﷺ: «لَوْ دَنَا مِنِّي لَأَخْتَطَفْتُهُ الْمَلَائِكَةُ عُضْوًا عُضْوًا»، وأنزل الله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُفٍ﴾ إلى آخر السورة.

رواه أحمد (٣٧٠/٢)، ومسلم في صفة المنافقين (١٣٩/١٧، ١٤٠)، والنسائي في الكبرى (٥١٨/٦)، وابن جرير (٢٥٦/٣٠)، ومن طريقه ابن أبي حاتم (٣٤٥٠/١٠).

[٦٣] وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: كان النبي ﷺ يصلي فجاءه أبو جهل، فقال: ألم أنك عن هذا؟ ألم أنك عن هذا؟ ألم أنك عن هذا؟ فأنصرف النبي ﷺ فزبره، فقال أبو جهل: إنك لتعلم ما بها نادٍ أكثر مني، فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ﴾ ٧ سَنَعُ الْإِنْبَاءِ ٨، قال ابن عباس: والله لو دعا ناديه لأخذته زبانية الله.

رواه أحمد (٢٥٦/١، ٣٢٩، ٣٦٨)، والترمذي في التفسير (٣١٣١)، والنسائي في الكبرى (٥١٨/٦)، وابن جرير (٢٥٦/٣) وسنده صحيح على شرط مسلم.

[٦٤] وعنه في رواية: قال أبو جهل: لئن رأيت محمداً يصلي عند الكعبة لأطأن على عنقه، فبلغ النبي ﷺ ذلك، فقال: «لو فعل لأخذته الملائكة عياناً».

رواه عبدالرزاق (٣٨٤/٢)، وأحمد رقم (٣٤٨٣)، والبخاري (٣٥٣/١٠، ٣٥٤)، والترمذي (٣١٣٠)، والنسائي في الكبرى (٥١٨/٦)، وابن جرير (٢٥٦/٣، ٢٥٧) كلهم في التفسير.

قوله: «فزبره» بفتح الزاي والباء أي: نهره وأغلظ له. وقوله: «لأخذته زبانية الله» الزبانية هم الملائكة المكلفون بالنار وبأهلها. وقوله: «لأعفرن» أي لألصقن وجهه بالتراب وأمرغنه. وقوله: «ينكص» أي: يرجع إلى الوراء.

[٦٥] وعنه أيضاً قال: إن الملاء من قريش اجتمعوا في الحجر فتعاقدوا باللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ونائلة وإساف، لو قد رأينا محمداً - ﷺ - لقد قمنا إليه قيام رجل واحد فلم نفارقه حتى نقتله، فأقبلت ابنته فاطمة - عليها السلام والرضا من الله - تبكي حتى دخلت على رسول الله ﷺ فقالت: هؤلاء الملاء من قريش قد تعاقدوا عليك لو قد رأوك لقد قاموا إليك فقتلوك، فليس منهم رجل إلا قد عرف نصيبه من دمك، فقال: «يا بنتية

أريني وضوءاً»، فنوضاً ثم دخل عليهم المسجد فلما رأوه قالوا: ها هوذا، وحققوا أبصارهم، وسقطت أذقانهم في صدورهم، وعقروا في مجالسهم، فلم يرفعوا إليه بصراً، ولم يقم إليه رجل، فأقبل رسول الله ﷺ حتى قام على رؤوسهم، فأخذ قبضة من التراب، فقال: «شاهت الوجوه»، ثم حصبهم بها فما أصاب رجلاً منهم من ذلك الحصى حصة إلا قتل يوم بدر كافراً.

رواه أحمد (٣٠٣/١، ٣٦٨)، وابن حبان في صحيحه (١٦٩١) مع الموارد بسند صحيح، وقال الهيثمي في المجمع (٢٢٨/٨): أخرجه أحمد بإسنادين، ورجال أحدهما رجال الصحيح.

[٦٦] وعن ربيعة بن عباد الدؤلي وكان جاهلياً أسلم، قال: رأيت رسول الله ﷺ بصر عيني بسوق ذي المجاز يقول: «يا أيها الناس قولوا: لا إله إلا الله تفلحوا»، ويدخل في فجاجها والناس متقصفون عليه، فما رأيت أحداً يقول شيئاً، وهو لا يسكت يقول: «يا أيها الناس قولوا: لا إله إلا الله تفلحوا»، إلا أن وراءه رجلاً أحول، وضيء الوجه ذي غديرتين يقول: إنه صابئ كاذب، فقلت: من هذا؟ قالوا: محمد بن عبدالله، وهو يذكر النبوة، قلت: ومن هذا الذي يكذبه؟ قالوا: عمه أبو لهب.

وفي رواية قال: إني لمع أبي رجل شاب أنظر إلى رسول الله ﷺ يتبع القبائل ووراءه رجل أحول وضيء ذو جممة يقف رسول الله ﷺ على

القبيلة ويقول: «يا بني فلان إني رسول الله إليكم أمركم أن تعبدوا الله ولا تشرکوا به شيئاً وأن تُصَدِّقُونِي حَتَّى أَنْفُذَ عَنِ اللَّهِ مَا بَعَثَنِي بِهِ»، فإذا فرغ رسول الله ﷺ من مَقَالَتِهِ قَالَ الْآخَرُ مِنْ خَلْفِهِ: يَا بَنِي فَلَانَ، إِنْ هَذَا يَرِيدُ مِنْكُمْ أَنْ تَسْلُخُوا اللَّاتَ وَالْعَزَى، وَحُلَفَاءَكُمْ مِنَ الْجَنِّ بَنِي مَالِكِ بْنِ أَيْشٍ إِلَى مَا جَاءَ بِهِ مِنَ الْبِدْعَةِ وَالضَّلَالِ فَلَا تَسْمَعُوا لَهُ، وَلَا تَتَّبِعُوهُ. فَقُلْتُ لِأَبِي: مِنْ هَذَا؟ قَالَ: عَمَّ أَبُو لَهَبٍ.

رواه أحمد (٤٩١/٣، ٤٩٢، ٤٩٣، ٤٩٤/٤) من طرق هو بها صحيح. وله شاهد عن طارق بن عبدالله المحاربي رواه ابن حبان (١٦٨٣) بالموارد، والحاكم (٦١٢/٢) وصححه ووافقه الذهبي وعزاه البوصيري في الإتحاف (٤٧٨٨) لابن أبي شيبه بسند صحيح وأبي يعلى وابن حبان والحاكم قال: ورواه النسائي وابن ماجه مختصراً... وقوله: «مُتَقَصِّفُونَ» أي مجتمعون ومزدهمون عليه.

[٦٧] وعن عروة بن الزبير رضي الله تعالى عنهما أن عائشة رضي الله تعالى عنها حدثت أنها قالت لرسول الله ﷺ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمٍ أُخِذَ؟ فَقَالَ: «لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكَ وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعُقَبَةِ إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلِ بْنِ عَبْدِ كَلَالٍ فَلَمْ يَجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ، فَانطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِهِ فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا بِقَرْنِ الثُّعَالِبِ، فَرَفَعْتَ رَأْسِي فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي فَانظُرْتُ فَإِذَا فِيهَا جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَنَادَانِي، فَقَالَ: إِنْ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ، قَالَ: فَنَادَانِي مَلِكُ الْجِبَالِ وَسَلَّمْ عَلَيَّ ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنْ اللَّهُ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ وَأَنَا مَلِكُ الْجِبَالِ وَقَدْ بَعَثَنِي رَبُّكَ إِلَيْكَ لِتَأْمُرَنِي بِأَمْرِكَ فَمَا شِئْتَ؟ إِنْ شِئْتَ أَنْ أَطْبِقَ عَلَيْهِمُ الْأَخْشَبِينَ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً».

رواه البخاري في بدء الخلق في ذكر الملائكة (١٢٣/٧)، ومسلم في الجهاد (١٥٤/١٢).

ابن عبد ياليل كان من سادات الطائف. قوله: «مهموم» أي: أصابني

همّ وغمّ. «فلم أستفق» أي: لم أشعر بنفسي وحالتي لعظيم ما أصابني حتى وصلت لقرن الثعالب ويقال له قرن المنازل اسم جبل وهو موقت إحرام أهل نجد. قوله: «أطبق» بضم الهمزة وكسر الباء أي أضمتها عليهما، «والأخشبان» الجبلان الغليظان والمراد بهما هنا جبل أبي قبيس المشرف على البيت من جهة الشروق، والجبل المقابل له المشرف على قَعِيقَانَ.

في هذه الأحاديث الثمانية نماذج وأمثلة من إيذاء كفار قريش للنبي ﷺ واعتدائهم عليه، وتلك هي سنة الله تعالى في رسله عليهم الصلاة والسلام مع أممهم يبتلون من طرف قومهم، ثم تكون لهم العاقبة والنصرة في الدنيا والآخرة.

[٦٨] وقد قال ﷺ: «أشدُّ الناس بلاءً الأنبياءُ، ثم الأمثلُ فالأمثلُ، يُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ فَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ ضَلْبًا اشْتَدَّ بَلَاؤُهُ، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ ابْتَلِيَ عَلَى قَدْرِ دِينِهِ، فَمَا يَبْرَحُ الْبَلَاءُ بِالْعَبْدِ حَتَّى يَتْرَكَ يَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ وَمَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ».

رواه أحمد (١٧٢/١، ١٧٤، ١٨٠، ١٨٥)، والترمذي (٢٣٩٨)، وابن ماجه (٤٠٣٣)، وابن حبان (٦٩٩)، والحاكم (٤٠/١، ٤١) وحسنه الترمذي وصححه.

فلا عجب إذاً مما أصيب به نبينا ﷺ من أنواع تلك الإذابات البالغة المتناهية من طرف قومه فله أسوة بإخوانه الأنبياء الذين سبقوه إلى ذلك، وما ذكرت قصصهم في القرآن الكريم بأساليب متنوّعة إلا تذكرة له ﷺ وتثبيتاً لفؤاده، وتسلية له كما قال تعالى: ﴿وَكَلَّا قُصِّصَ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثِيتُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾.

ولذلك أمره تعالى أن يأتسّي بأولي العزم من الرسل في الصبر على ما يصيبه من بلاء، فقال تعالى: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَذَّبْتَ رَسُولٌ مِّنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كَذَّبُوا وَآوَدُوا حَتَّىٰ أَنهَمُ نَصْرًا﴾، ونهاه تعالى عن الضجر من الدعوة فيفرّ من قومه كما فعل ذو النون، فقال تعالى: ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ﴾ الآية، والقرآن ملآن بأمثال هذه التأييدات.

هذا وقد مضت على النبي ﷺ مدة لم يكن يظهر فيها دعوته في مجامع قريش العمومية، بل كانت دعوته مقصورة على أقرابه ومعارفه مع كامل التستر حذراً من تعصب قريش، لكنه لما نزلت عليه: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ أظهر الدعوة ونادى الجميع بما أمره الله تعالى من عبادة الله تعالى وحده وترك الأنداد والأصنام وعبادة غيره، فتنكروا لدعوته وقابلوه بالجحود ورموه بالعظائم ولمزوه بالجنون والكهانة والسحر كما صرح به القرآن في غير ما آية، واستدلوا عليه بتقليد الآباء ﴿قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ مِثْلِ الَّذِي عَلَيْكَ بِمَنَاسِكِنَا﴾، وقالوا: ﴿حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾، وتعجبوا من توحيد الألوهية فقالوا: ﴿أَجْعَلِ الْأَلَهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾، ثم لما لم يستجيبوا له ﷺ وتمسكوا بحجة التقليد سفه أحلامهم، وشم آباءهم وعاب آلهتهم، وقال لهم: إنكم خالفتم دين أبيكم إبراهيم عليه السلام، فعند ذلك ثارت في رؤوسهم حمية الجاهلية غيرة منهم على تلك الآلهة التي كانوا يعبدونها ويعبدها آباؤهم من قبل وهاجت أضغانهم وأضمروا له ﷺ العداوة وجعلوا يسخرون منه ﷺ ويهزءون به في مجالسهم، فيقولون إذا مر بهم: هذا ابن أبي كبشة يكلم من السماء.

✽ الكفار يأمرون أبا طالب بكف النبي عن سبهم وسب آلهتهم

ثم لما تزايد أمره ﷺ في الطعن فيهم وفي آلهتهم بما كان ينزل عليه من القرآن ضاقوا ذرعاً وعرفوا أنهم لا يستطيعون أن يفعلوا به شيئاً مع وجود عمه أبي طالب الذي كان يحميه - وهو من سادات بني هاشم - قرروا أن يرفعوا أمره إليه ليكف عنهم وعن آلهتهم، فذهبوا إليه ودار بينهم وبينه ما في الحديث التالي:

[٦٩] فعن عَقِيل بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه قال: جاءت قريش إلى أبي طالب فقالوا: إن ابن أخيك يؤذينا في نادينا وفي مسجدنا فانه عن أذانا، فقال: يا عقيل ائني بمحمد - ﷺ - فذهبت فأتيت به، فقال: يا ابن أخي إن بني عمك يزعمون أنك تؤذيهم في ناديتهم وفي مسجدهم فانت عن ذلك، قال: فحلقت رسول الله ﷺ بصره إلى السماء،

فقال: «أترؤن هذه الشمس؟» قالوا: نعم، قال: «ما أنا بأقدر على أن أدع لكم ذلك إلا أن تشعلوا لي منها شغلة»، قال: فقال أبو طالب: ما كذبنا ابن أخي فارجعوا.

رواه أبو يعلى (ج ٣٩/٦) بسند صحيح، وعزاه الهيثمي (١٥/٦) لكبير الطبراني وأوسطه وأبي يعلى وقال: ورجال أبي يعلى رجال الصحيح وأورده الحافظ في المطالب العالية رقم (٤٢٧٨)، وعزاه لأبي يعلى وقال: هذا إسناد صحيح، أما الحافظ البوصيري فعزاه في الإتحاف رقم (٧٠٩٣) لأبي يعلى أيضاً وقال: بسند رواه ثقات.

هذا ما صح فيما دار بين قريش وبين أبي طالب في شأن النبي ﷺ عندما شكوه إليه.

نعم ذكر ابن إسحاق وغيره من أهل السير قصة ذهاب كفار قريش إلى أبي طالب مرة أو مرتين، وكان فيما قالوا له: يا أبا طالب إن لك ستاً وشرفاً ومنزلة فينا، وإنا قد استنهنك من ابن أخيك فلم تنهه عنا، وإنا والله لا نصبر على هذا، من شتم آبائنا، وتسفيه أحلامنا، وعيب آلهتنا، حتى تكفه عنا، أو ننازله وإياك في ذلك حتى يهلك أحد الفريقين، ثم انصرفوا عنه، فعظم على أبي طالب فراق قومه وعداوتهم، ولم يطب نفساً بإسلام رسول الله ﷺ ولا خذلانه ثم بعث إلى رسول الله ﷺ فقال له: يا ابن أخي إن قومك قد جاؤوني فقالوا لي كذا وكذا الذي كانوا قالوا له، فأبقي علي وعلى نفسيك، ولا تحملي من الأمر ما لا أطيق، قال: فظن رسول الله ﷺ أنه قد بدا لعمه فيه بداء أنه خاذله ومسلمه، وأنه قد ضعف عن نصرته والقيام معه، قال: فقال رسول الله ﷺ: «يا عم، والله لو وضعوا الشمس في يميني، والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ما تركته»، قال: ثم استعير رسول الله ﷺ فبكى ثم قام، فلما ولى ناداه أبو طالب فقال: أقبل يا ابن أخي، قال: فأقبل عليه رسول الله ﷺ فقال: اذهب يا ابن أخي فقل ما أحببت، فوالله لا أسلمك لشيء أبداً.

فهذه الرواية مشهورة بل متواترة عند أهل السير لكنها لا تصح سنداً، فهي معضلة لكثير من نصوص السيرة.

هذا ما صح فيما دار بين قريش وبين أبي طالب في شأن النبي ﷺ عندما شكوه إليه.

وعلى أي فلنرجع للأحاديث التي أوردناها في إذابة الكفار للنبي ﷺ
لنستخرج بعض ما فيها من العبر والفوائد.

ففي حديث ابن مسعود بيان ما فعله ذلك الأشقى عقبة بن أبي معيط
من وضعه سلكى الجزور على ظهر النبي ﷺ وفرح الكفار بذلك
وتضاحكهم عليه.

وفيه شجاعة مولاتنا فاطمة عليها السلام على صغرها حيث ألفت عن
أبيها السلى وواجهت أولئك المملأ بالسباب، كما فيه دعاؤه ﷺ على أولئك
الصناديد وأساطين الكفر واستجابة دعائه فيهم حيث قتلوا جميعهم بغزوة
بدر، وفيه جواز الدعاء على الكفار وأعداء الإسلام بالهلاك.

أما حديث ابن عمرو ففيه إذابة ذلك الأشقى للحبيب ﷺ وتلويته
ثوبه في عنقه وخنقه به خنقاً شديداً، وفيه قوة إيمان الصديق رضي الله تعالى
عنه وشجاعته حيث أنقذ النبي ﷺ من يد ذلك الخاسر اللعين ودفعه عنه،
وأنكر عليه قتل من يوحد الله الذي جاء بالآيات الواضحات مستدلاً على
ذلك بالآية التي تتحدث عن مؤمن آل فرعون، وفيه دليل على أن النبي ﷺ
كان يواجههم بتسفيه أحلامهم، وشم أبائهم، وعيب دينهم، وسب آلهتهم،
وتفريق جماعتهم حتى تحدثوا في ذلك فيما بينهم ولم يبق لهم صبر على ما
يسمعون أو يبلغهم عنه ﷺ، فلذلك قرروا أن ينالوا منه، ولكنه ﷺ
أوعدهم بالهلاك فدخلهم الرعب والفرع مما أوعدهم به، فجعلوا يسكتونه
ويرفقون به ولكنهم من الغد وثبوا عليه وثبة رجل واحد وأحدقوا به وآذوه
عليهم لعائن الله المتوالية.

وفي حديث أبي هريرة معجزة ظاهرة وحماية لنبينا ﷺ حيث حماه الله
عز وجل من ذلك الخاسر الهالك أبي جهل لعنه الله، فما هو يقسم بالهتة
العفنة القذرة ليطأن على رقبة نبي الله ﷺ ويعقر وجهه في التراب،
فيفاجيء إخوانه صناديد الكفر الملاعين بنكوصه إلى الوراء مرعوباً يتقي يديه
ما شاهد من الهول الذي جيل بينه وبين ما أراد ويعود مرة أخرى فينهى
رسول الله ﷺ عن الصلاة عند البيت ويهدده بكثرة الأتباع والأنصار

فيقابلة الله تعالى بقوله: ﴿فَلْيَنْعُ نَادِيَهُ ﴿٧﴾ سَنَعُ الزَّيَابَةَ ﴿٨﴾﴾، وهل يستطيع
أبو جهل وكل كفار أهل الأرض مقاومة ملك واحد من زبانية جهنم؟ كلا.

وفي حديث ابن عباس رقم (٦٤) إخبار بتعاقد جماعة قريش بآلهتهم
الخمس المنتنة أنهم سيقومون إلى رسول الله ﷺ جميعهم فلا يفارقونه
حتى يقتلوه، لكن عناية الله وحمايته لنبيه فوق ما عزموا عليه، فما هم
خافضو أبصارهم ساقطو أذقانهم على صدورهم مبهوتون لا يستطيعون فعل
أي شيء به، وكيف وقد دعا عليهم الحبيب ﷺ بخيبة وجوههم ثم رامهم
بالتراب والحصباء، وكانت عاقبتهم القتل بيد.

أما حديث ربيعة الدؤلي فيدل على أمرين اثنين:

أحدهما: ما كان يقوم به النبي ﷺ من الدعوة إلى الله تعالى وتبليغ
رسالة ربه بين عموم الناس وتتبع القبائل العربية في أسواقها ومجامعها العامة
ودعوتهم إلى توحيد الله تعالى وعبادته وحده وأن يصدقوه بأنه رسول الله من
عند الله عز وجل.

ثانيهما: ما كان يقوم به ذلك الشقي الخاسر أبو لهب حيث كان
يخذل النبي ﷺ ويحذر الناس منه ويكذبه ولا يعرف لأحد من الكفار صنع
صنيعه هذا، باستثناء أبي جهل كما يأتي لاحقاً، وقد كان أبو لهب عدو الله
شديد الإذابة لرسول الله ﷺ هو وزوجته اللعينة وقد نزلت فيهما سورة من
القرآن تسجل عليهما التباب والخسارة تُقرأ على السنة المؤمنين على ممر
العصور والأجيال، فقال تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ
مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾ وَأَمْرَاتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ﴿٤﴾
فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴿٥﴾﴾، والتباب الخسران والجيد العنق
والمسد الصوف، يقال: إنه كان في عنقها جبل من صوف فخنقها به جبريل
عليه السلام.

أما حديث عائشة الأخير فسيأتي الكلام عليه في ذهابه ﷺ إلى
الطائف.



✽ إيذاء صحابة رسول الله ﷺ

وعدوان المشركين عليهم

[٧٠] عن عبدالله بن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: أول من أظهر إسلامه سبعة: رسول الله ﷺ، وأبو بكر، وعمار بن ياسر، وأمه سُمَيَّة، وصهيب، وبلال، والمقداد، فأما رسول الله ﷺ فمنعه الله بعمه أبي طالب، وأما أبو بكر فمنعه الله بقومه، وأما سائرهم فأخذهم المشركون فالبسوهم أدرع الحديد، وصهروههم في الشمس، فما منهم إنسان إلا وقد اتاهم على ما أرادوا إلا بلال، فإنه هانت عليه نفسه في الله، وهان على قومه فأعطوه الولدان، وأخذوا يطوفون به شعاب مكة، وهو يقول: أحد، أحد.

رواه ابن ماجه في المقدمة رقم (١٥٠)، قال البوصيري: إسناده ثقات، ورواه ابن حبان والحاكم (٣/٣٨٤)، وكذا ابن سعد في الطبقات، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

قوله: «وصهروههم في الشمس» يعني: أحموهم فيها وأحرقوهم بها.

[٧١] وعن عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه قال: أقبلت مع رسول الله ﷺ أخذاً بيدي تَنَمَّسِي بالبطحاء، حتى أتى على آل عمار بن ياسر، فقال أبو عمار: يا رسول الله الذهر هكذا؟ فقال له النبي ﷺ: «اصبر»، ثم قال: «اللَّهَم اغفر لآل ياسر وقد فعلت»، وفي رواية قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول لأبي عمار، وأم عمار، وعمار: «اصبروا آل ياسر، فإنَّ موعدكم الجنة».

رواه بالرواية الأولى أحمد (١/٦٢)، وابن سعد في الطبقات بسند صحيح.

ورواه بالرواية الثانية الطبراني، قال النور في المجموع (٩/٢٩٣): رواه الطبراني ورجاله ثقات.

[٧٢] وعن جابر رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ مرَّ بعمار بن ياسر وبأهله يُعَذِّبُونَ في الله عزَّ وجلَّ، فقال: «أبشروا آل ياسر موعدكم الجنة».

رواه الحاكم (٣/٣٨٨)، والطبراني في الأوسط (١٥٣١) وصححه الحاكم على شرطهما ووافقه الذهبي، وعزاه النور في المجموع (٩/٢٩٣) لأوسط الطبراني، وقال: ورجاله رجال الصحيح غير إبراهيم بن عبدالعزيز المقدم وهو ثقة.

[٧٣] وعن خَبَّابِ بْنِ الْأَرْثُ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ قَالَ: أَتَيْنَا رَسُولَ اللهِ ﷺ وَهُوَ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ مُتَوَسِّدًا بُرْدَةً لَهُ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ اذْعُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَنَا وَاسْتَنْصِرْهُ، قَالَ: فَاحْمَرِّ لَوْنَهُ أَوْ تَغَيِّرْ، فَقَالَ: «لَقَدْ كَانَ مِنْ كَانَ قَبْلَكُمْ يُخْفَرُ لَهُ حُفْرَةٌ وَيُجَاءُ بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيُشَقُّ، مَا يَضْرِفُهُ عَنْ دِينِهِ، وَيُمَشِّطُ بِأَمْشَاطٍ مِنَ الْحَدِيدِ مَا دُونَ عَظْمِهِ مِنْ لَحْمٍ أَوْ عَصَبٍ، مَا يَصْرِفُهُ عَنْ دِينِهِ، وَلَيَتِمَّنَّ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى هَذَا الْأَمْرَ حَتَّى يَسِيرَ الرَّابِئُ مَا بَيْنَ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتٍ لَا يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ وَالذَّنْبَ عَلَى غَنَمِهِ، وَلَكِنِّكُمْ تَعْجَلُونَ».

رواه أحمد (٥/١١١)، والبخاري في المبعث (٩/١٦٥)، وأبو داود في الجهاد (٢٦٤٩).

وكما أُوذِيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أُوذِيَ أَصْحَابُهُ لِإِيمَانِهِمْ بِهِ وَاتِّبَاعِهِمْ لَهُ، وَخَاصَّةً مِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ عَشِيرَةٌ تَحْمِيهِ، فَتَبَّتْهُمْ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ وَلَمْ يَفْتَنُوا فِيرْتَدُوا عَنْ دِينِهِمْ. وحديث ابن مسعود يدل على أن المذكورين فيه هم أول من تظاهروا بالإسلام وأعلنوه، رغم ما كانوا يلاقونه من طرف الكفار، وصنيعهم ذلك إن دل على شيء فإنما يدل على قوة إيمانهم وفنائهم في محبة الله ورسوله ﷺ وانقلاب البلاء والعذاب حلاوة، وظاهر الحديث يدل على أن المعذبين منهم قد قاموا بما كان الكفار يطالبونه، ومنهم من مدح الأصنام مثلاً وسب النبي ﷺ، بل والنطق بالكفر كما صدر من عمار الذي نزلت فيه آية: «إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ»، وفي الحديث أن بلالاً وحده ثبت وصمد ولم يجبههم إلى ما كانوا يريدونه منه، ولذلك أذاقوه أنواعاً وألواناً من العذاب، وهو صابر موحد لله تعالى لا يزيد على قوله: أحد، أحد.

أما عمار وأبوه ياسر وأمه سُمَيَّة فلم يَلْقَ أَحَدٌ مِنَ التَّعْذِيبِ مَا لَقُوا، بَلْ

ياسر وزوجته سمية ماتا تحت العذاب وعمار فك نفسه بالتفوه بكلمة الكفر، فتركوه وقد بشر النبي ﷺ جميع آل ياسر بالجنة، وأنها الموعد إن شاء الله تعالى.

وفي قول النبي ﷺ لخباب ومن كان معه؛ «لقد كان من كان قبلكم يحفر له الخ، تثببت وتسلية لهم، وقد قال تعالى: ﴿وَكَايْنٍ مِّن نَّجْيٍ قَاتَلْ مَعَهُ رِيثُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا﴾ الآية.

وقال تعالى في هذا الصدد: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلْزَلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرَ اللَّهُ﴾ الآية. وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ أَحْسَبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ ﴿١﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ ﴿٢﴾.

فهذه سنة إلهية ولن تجد لسنة الله تبديلاً، فلا بد للمؤمن من امتحانه وابتلائه، وفي ذلك حكم وأسرار لله عز وجل وإن كنا لا نعلم الكثير منها.

وفي قوله ﷺ: «وليتيمن الله تعالى هذا الأمر» الخ، معجزة لرسوله الكريم عليه الصلاة والسلام حيث تنبأ بشيء كان من المستحيل عادة أن يقع، فلم تمض إلا بضعة عقود فوق ذلك كما أخبر ﷺ، وسيأتي لهذا مزيد في معجزاته ﷺ.

[٧٤] وعن سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل رضي الله تعالى عنه، قال: والله لقد رأيتني، وأن عمراً لموثقي على الإسلام قبل أن يسلم عمر... وفي رواية: أنا وأخته...

رواه البخاري في المبعث (١٧٦/٩، ١٨١).

كان سعيد هذا من السابقين وهو زوج فاطمة بنت الخطاب أخت عمر رضي الله تعالى عنهم، فلما أسلم هو وزوجته كان عمر يؤذيها ويربطهما إهانة لهما، وإلزماً بالرجوع عن الإسلام، فيؤخذ من هذا الحديث أن سعيداً

هذا وزوجته كانا ممن أودى في الله عز وجل وصمدا ولم يرتدا عن دينهما، وكانا السبب في إسلام عمر رضي الله تعالى عنه كما يأتي.

الوليد بن المغيرة وقوله في القرآن

[٧٥] وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن الوليد بن المغيرة جاء إلى النبي ﷺ فقرأ عليه القرآن، فكانه رق له، فبلغ ذلك أبا جهل، فأتاه فقال: يا عم، إن قومك يريدون أن يجمعوا لك مالا، قال: لم؟ قال: ليغطوكه، فإنك أتيت محمداً تتعرض لما قبله، قال: قد علمت قريش أنني من أكثرها مالا، قال: فقل فيه قولاً يبلغ قومك أنك منكبر له، أو أنك كاره له، قال: وماذا أقول؟ فوالله ما فيكم رجل أعلم بالأشعار مني، ولا أعلم برجزه ولا بقصيده مني، ولا بأشعار الجن، والله ما يشبه الذي يقول شيئاً من هذا، والله إن لقوله الذي يقول: حلاوة، وأن عليه لطلاوة، وأنه لمثمر أغلاة مغدق أسفله، وأنه ليعلو وما يغلى، وأنه ليحطم ما تحته، قال: لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه، قال: فدعني حتى أفكر فيه، فلما فكر قال: هذا سحر يؤثر يؤثره عن غيره، فنزلت: ﴿ذَرِنِ وَمَنْ خَلَقَتْ وَجِداً ۝١١ وَجَعَلَتْ لَمْ مَالاً مَّتَدَوِّداً ۝١٢ وَبَيْنَ شُهُودَا ۝١٣ وَمَهْدَتْ لَمْ تَهَيْداً ۝١٤ ثُمَّ يَطْمَعُ أَن أَزِيدَ ۝١٥ كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِأَيِّنَّا عِينَا ۝١٦ سَأَرْهِفُهُ صَعُودَا ۝١٧ إِنَّمَا فِكْرٌ وَقَدَرٌ ۝١٨ فَعَلَّ كَيْفَ قَدَرٌ ۝١٩ ثُمَّ قِيلَ كَيْفَ قَدَرٌ ۝٢٠ ثُمَّ نَظَرَ ۝٢١ ثُمَّ عَسَّ وَبَسَرَ ۝٢٢ ثُمَّ أَذْبَرَ ۝٢٣ وَقَالَ إِن هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ ۝٢٤ إِن هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ۝٢٥ سَأُصَلِّبُهُ سَرْ ۝٢٦ وَمَا أَذْرَكَ مَا سَقَرٌ ۝٢٧ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ۝٢٨ لَوَآءِمَةُ الْبَشَرِ ۝٢٩ عَلَيْنَا نَسِئَةُ عَسْرٍ ۝٣٠ وَمَا جَعَلْنَا النَّارَ إِلَّا مَلَكَةً﴾ الخ.

رواه الحاكم (٥٠٦/٢، ٥٠٧) من طريق ابن راهويه وعنه البيهقي في الدلائل (٥٥٦/١) وصححه الحاكم على شرط البخاري ووافقه الذهبي، وهو كما قالا وذكر ابن إسحاق نحوه.

قوله: «لطلاوة» بضم الطاء وفتحها أي: رونقاً وحسناً. قوله: «وإنه لمُثْمِرٌ أعلاه» إلخ شبه القرآن بالشجرة المثمرة أعلاها الكثيرة السقي أسفلها. قوله: «لِيُحْطَمَ» أي: يكسر ما تحته. قوله: «سحر يُؤَثَّرُ» أي: ينقل عن الغير. قوله: «ذرنِي» أي: اتركني، وهذا العدو الذي من صفته ما ذكر وهذا الشقي مع اعترافه بحسن القرآن ورونقه، وأنه لا يشبه كلام أحد من الإنس والجن وأنه في غاية من الفصاحة والبيان يعلو ولا يُغلى عليه مع كل ذلك أعرض عنه وعاند واستكبر وقال: إنه سحر ينقله محمد عن غيره، وهذا نهاية ما يكون من الخذلان والضلال عياداً بالله، وفي هذا الشقي نزل قوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِيعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٦﴾ هَمَّازٍ مَّشَامٍ بِنَيْبِهِ ﴿١٧﴾ مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أُبَيْرٍ ﴿١٨﴾ عَتَلٍ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيْرٍ ﴿١٩﴾﴾ الآية.

فوصفه المولى عز وجل بتسع صفات كلها سافلات ساقطات لم تجمع في القرآن لغيره.

✽ تفاوض قريش مع نبي الله ﷺ

[٧٦] وعن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما قال: اجتمعت قريش للنبي ﷺ يوماً، فقالوا: انظروا أعلمكم بالسحر والكهانة والشعر، فليات هذا الرجل الذي قد فرّق جماعتنا وشتّت أمرنا، وعاب ديننا، فليكلّمه ولينظر ما يرُدُّ عليه.

قالوا: ما نعلم أحداً غير عُتْبَةَ بن ربيعة، قالوا: أنت يا أبا الوليد، فأناه عتبه فقال: يا محمد، أنت خير أم عبد الله؟ فسكت النبي ﷺ قال: أنت خير أم عبدالمطلب؟ فسكت رسول الله ﷺ، قال: فإن كنت تزعم أن هؤلاء خير منك قد عبدوا الآلهة التي عبت، وإن كنت تزعم أنك خير منهم فتكلم حتى نسمع قولك، أما والله ما رأينا سخطة أشأم على قومهم منك، فرقت جماعتنا، وشتّت أمرنا، وعبت ديننا، وفضختنا في العرب، حتى طار

فيهم أن في قريش ساحراً، وأن في قريش كاهناً، ما ينتظر إلا مثل صيحة الحُبلى بأن يقوم بعضنا لبعض بالسيوف تفتأني. أيها الرجل إن كان إنما بك الحاجة جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أغنى قريش رجلاً، وإن كان إنما بك الباءة فاختر أي نساء قريش فتزوجك عشراً.

وفي رواية: وإن كنت تريد به شرفاً سوّدناك علينا حتى لا تقطع أمراً دونك، وإن كنت تريد به ملكاً ملكناك علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك رثياً تراه لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب وبذلنا فيه أموالنا حتى تُبْرئك منه.

فقال له رسول الله ﷺ: «أفرغت يا أبا الوليد؟» قال: نعم، قال رسول الله ﷺ: «فاسمع مني»، ثم قال:

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٢﴾ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَاعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهَمًّا لَا يَسْمَعُونَ ﴿٣﴾ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكْثَرِ مَا نَدْعُونَ إِلَيْهِ فِيءِ ءَاذَانِنَا وَقَدْ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنَكَ حِجَابٌ فَاَعْمَلْ إِنَّا نَحْمِلُونَ ﴿٤﴾ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌُ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ ﴿٥﴾﴾ إلى قوله: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَيِّفَةً مِثْلَ صَيِّفَةِ عَادٍ وَتَمُودَ ﴿٦﴾﴾ فأمسك عتبه بفيه وناشده الرحم أن يكف عن القراءة، فرجع إلى قريش فقالوا: ما وراءك؟ فقال: ما تركت شيئاً أرى أنكم تكلمونه به إلا كلمته، قالوا: هل أجابك؟ قال: نعم، قال: والذي نصبها بُنْيَةً ما فهمت شيئاً مما قال غير أنه قال: ﴿أَنْذَرْتُكُمْ صَيِّفَةً مِثْلَ صَيِّفَةِ عَادٍ وَتَمُودَ﴾، قالوا: وبيك يكلمك بالعربية فلا تدري ما قال، قال: لا والله ما فهمت مما قال غير ذكر الصاعقة.

وفي رواية: والله قد سمعت قولاً ما سمعت بمثله قط، والله ما هو بالشعر، ولا السحر، ولا الكهانة، يا معشر قريش أطيعوني واجعلوها لي، خلّوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه واعتزلوه، فوالله ليكون لقوله الذي سمعت منه نبأ، فإن تُصِبَته العرب فقد كُفِيْتُمُوهُ بغيركم، وإن يظهر على العرب فملكه ملككم، وعزّه عزكم، وكنتم أسعد الناس به، قالوا: سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه، فقال: هذا رأيي فيكم، فاضنعوا ما بدأ لكم.

رواه ابن أبي شيبة رقم (٣٦٥٦٠)، وعبد بن حميد في المنتخب (١١٢٣)، وأبو يعلى رقم (١٨١٢)، والحاكم (٢٥٣/٢)، وصححه ووافقه الذهبي وفي سنده الأجلح الكندي مختلف فيه كما فيه الذيال بن حرمله مجهول الحال، ورواه ابن إسحاق (١٨٥/١، ١٨٦) مع الروض مرسلأ بسند حسن، فالحديث حسن أو صحيح بطريقه.

الحديث يدل على أمور، أولاً: إن كفار قريش كانوا مقرّنين ومعترفين بأن ما جاء به النبي ﷺ من القرآن لا يشبه كلام البشر، وأنهم عاجزون عن الإتيان بمثله كما يأتي في المعجزات.

ثانياً: اعترف عتبة بن ربيعة أمام ملئه القرشيين أن ما سمعه من النبي ﷺ ليس بشعر، ولا بسحر، ولا بكهانة وهذه شهادة عالمهم بهذه الأشياء، وفيه رد لقول الوليد السابق: إنه سحر يؤثر.

ثالثاً: عرض عتبة على النبي ﷺ تلك الخلال الثلاث يدل على أن أهل الدنيا أياً كانوا ليس لهم هم إلا التمتع بالحياة من كثرة الأموال والتلذذ بالنساء والزعامة والرياسة، ولذلك خصّ هذه الأشياء بالعرض عليه ﷺ وغاب عنه أن الرسول الكريم عليه الصلوة والسلام لم يكن هدفه ذلك، ولذا قال كما في بعض الروايات: «ما جئت بما جئتكم به أطلب أموالكم ولا الشرف فيكم ولا المملك عليكم، ولكن الله بعثني إليكم رسولا وأنزل علي كتاباً وأمرني أن أكون لكم بشيراً ونذيراً، فإن تقبلوا مني ما جئتكم به، فهو حظكم في الدنيا والآخرة وإن تردوه علي أضبر لأمر الله تعالى حتى يحكم الله بيني وبينكم».

رابعاً: إنه كان في إمكانه ﷺ أن ينتهز الفرصة في الزعامة أو الملك عليهم ويتخذ ذلك وسيلة للدعوة كما يفعل ذلك أرباب الدعوات والمذاهب ينتهزون فرصة الاستيلاء على الحكم ليستعينوا بسلطانه على فرض دعوتهم ومذاهبهم على الناس، لكن النبي ﷺ لم يرض سلوك هذه السياسة إلى دعوته لأن ذلك ينافي مبادئ دعوته التي أمره الله بها، وقد كان ﷺ أزهد الناس في هذه الحياة وكان كثيراً ما يحذّر منها ومن مفاتها التي منها الزعامة والرياسة والأموال والنساء، فكيف يستجيب لهم إليها؟

اقتراح كفار قريش على النبي ﷺ الآيات

✽ انشقاق القمر ✽

[٧٧] عن أنس رضي الله تعالى عنه أن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يُريهم آية، فأراهم انشقاق القمر مرتين. رواه البخاري في التفسير (٢٤١/١٠) وفي المناقب، ومسلم في صفة القيامة (١٤٥/١٧).

[٧٨] وعن جبير بن مطعم رضي الله تعالى عنه قال: انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ حتى صار فرقتين على هذا الجبل وعلى هذا الجبل، فقالوا: سحرنا محمد، فقال بعضهم: لئن كان سحرنا فما يستطيع أن يسحر الناس كلهم. رواه أحمد (٨١/٤، ٨٢)، والترمذي (٣٠٧٢)، والحاكم (٤٧٢/٢) بسند صحيح على شرط مسلم.

معجزة انشقاق القمر نطق بها القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿أَقْرَبَ السَّاعَةِ وَأَشَقَّ الْقَمَرِ ۗ وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرَضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ۗ﴾ (١) وأحاديثه وردت من طرق صحيحة شتى لا يمتري فيها، ومع مشاهدة الكفار لذلك أعرضوا وعاندوا، وقالوا: ﴿سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ۗ﴾.

✽ اقتراحهم عليه أن يجعل لهم الصفا ذهباً

[٧٩] عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: قالت قريش للنبي ﷺ: اذع لنا ربك أن يجعل لنا الصفا ذهباً ونؤمن بك، قال: «وتفعلون»؟ قالوا: نعم.

قال: فدعا فاتاه جبريل عليه السلام، فقال: «إن ربك عز وجل يقرأ عليك السلام ويقول: إن شئت أصبح لهم الصفا ذهباً، فمن كفر بعد ذلك منهم عذبته عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين، وإن شئت فتحت لهم أبواب التوبة والرحمة، فقال: بل باب التوبة والرحمة»، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ﴾ الآية.

رواه أحمد (٢٥٨/١)، والنسائي في الكبرى (٣٨٠/٦)، والحاكم (٣٦٢/٢)، والبيهقي في الدلائل (٢٧١/٢) بسند صحيح وصححه الحاكم ووافقه الذهبي، وقال في المجمع (٥٠/٧): ورجال الروایتین رجال الصحيح.

إن كفار قريش لما رأوا أن تلك المطالب التي عرضوها على النبي ﷺ لم يقبلها منهم أرادوا أن يدخلوا من باب آخر وهو تعجيزه بطلب الآيات، فطلبوا منه انشقاق القمر فأراهموه فأعرضوا عنه وكذبوه فسألوه أن يجعل لهم الصفا ذهباً، فأجابهم لذلك لكن الله عز وجل خيره بين فتح باب التوبة والرحمة وبين تعذيبهم العذاب الشديد إن كفروا بعد مشاهدتهم الصفا ذهباً، فاختار ﷺ فتح باب التوبة، وأخبر تعالى بأن المانع من إزسالات الآيات تكذيب من سبقهم من الأمم حيث اقترحوا ثم كذبوا، فأهلكهم الله ودمرهم، وهكذا هؤلاء فإنهم لو أجيئوا إلى ما اقترحوا ثم كذبوا لاستأصلهم الله وأبادهم... ومن تعنتهم وعنادهم ما قصه الله تعالى عنهم بقوله: ﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنبُوعًا ﴿٩٦﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّنْ تَحْتِهَا عَيْنٌ يُنْفَجِرُ فَتَجِرَ الْأَنْهَارُ جَلَلَهَا فَتَقْجِرَ ﴿٩٧﴾ أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمَتْ عَلَيْنَا كِسْفًا أَوْ تَأْتِيَ بَالِهَ وَالْمَلَيْكَةَ قِيَلًا ﴿٩٨﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ

يَبْتُ مِّنْ زُخْرَفٍ أَوْ تَرْفَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُفَيْكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِنَبَأً نَقَرُوهُ ﴿٩٦﴾ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا ﴿٩٧﴾.

فلم يجبههم الله عز وجل لِمَا اقترحوا؛ لأنه تعالى علم ما تكنه صدورهم من التعصب والعناد والكفر والتكذيب والتعجيز كما هو ظاهر أيضاً من مقترحاتهم.

✽ إسلام حمزة عم النبي ﷺ

[٨٠] عن محمد بن كعب القرظي قال: كان إسلام حمزة بن عبد المطلب رضي الله تعالى عنه حَمِيَّةً وكان يخرج من الحرم فإذا رجع مر بمجلس قريش وكانوا يجلسون عند الصفا والمروة فيمر بهم، فيقول: رميت كذا وكذا، وصنعت كذا وكذا، ثم ينطلق إلى منزله فأقبل من رمية ذات يوم فلقيته امرأة، فقالت: يا أبا عمارة ماذا لقي ابن أخيك من أبي جهل بن هشام شتمه وتناوله وعمل وفعل، فقال: هل رآه أحد؟ قالت: إي والله لقد رآه ناس، فأقبل حتى انتهى إلى ذلك المجلس عند الصفا والمروة، فإذا هم جلوس وأبو جهل فيهم، فأتكأ على قوسه وقال: رميت كذا وكذا، وفعلت كذا وكذا، ثم جمع يديه بالقوس فضرب بها بين أذني أبي جهل فوق سنتها، ثم قال: خذها بالقوس وأخرى بالسيف واشهد أنه رسول الله ﷺ وأنه جاء بالحق من عند الله، قالوا: يا أبا عمارة، إنه سب آلهتنا وإن كنت أنت وأنت أفضل منه ما أقرناك وذاك وما كنت يا أبا عمارة فاحشاً.

رواه الطبراني مرسلأ ورجال الصحيح كذا في المجمع (٢٦٧/٩)، وله طرق أخرى مرسلأ تؤيده، وانظر سيرة ابن هشام (٣٢١/١)، وسيرة ابن كثير.

كان إسلام حمزة رضي الله تعالى عنه فتحاً ونصراً للإسلام والمسلمين لأنه كان ذا شجاعة وشكيمة وقوة، وكان يسمى أسد الله وهو عم

رسول الله ﷺ وأخوه من الرضاة، ويأتي بقية كلام عليه في غزوة أحد إن شاء الله تعالى.

✽ إسلام أبي ذر رضي الله تعالى عنه

[٨١] عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، قال: لما بلغ أبا ذر مَبْعَثُ النَّبِيِّ ﷺ قال لأخيه: إركب إلى هذا الوادي فاعلم لي علم هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي، يأتيه الخبر من السماء، واسمع من قوله ثم اتنني، فانطلق الأخ حتى قَدِمَهُ، وسمع من قوله، ثم رجع إلى أبي ذر فقال له: رأيته يأمر بمكارم الأخلاق، وكلاماً ما هو بالشعر، فقال: ما شَفَيْتَنِي مما أردتُ فتزوّد وحمل شَتَّةً له فيها ماء حتى قدم مكة، فأتى المسجد فالتمس النبي ﷺ ولا يعرفه وكره أن يسأل عنه حتى أدركه بعض الليل، فرآه عَلِيٌّ عليه السلام فعرف أنه غريب، فلما رآه تبعه فلم يسأل واحداً منهما صاحبه عن شيء، حتى أصبح ثم احتمل قربه وزاده إلى المسجد، وظل ذلك اليوم ولا يراه النبي ﷺ حتى أمسى، فعاد إلى مضجعه فمرّ به عليّ، فقال: أما نال للرجل أن يعلم منزله، فأقامه فذهب به معه، لا يسأل واحد منهما صاحبه عن شيء حتى إذا كان يوم الثالث، فعاد على مثل ذلك فأقام معه، ثم قال: أَلَا تُحَدِّثُنِي ما الذي أقدمك؟ قال: إن أعطيْتَنِي عهداً أو ميثاقاً لَتُرْشِدُنِي فعلتُ ففعل فأخبره، قال: فإنه حقّ وهو رسول الله ﷺ فإذا أصبحت فاتبعني، فإني إن رأيت شيئاً أخاف عليك قمّت كأيّ أريق الماء، فإن مضيت فاتبعني حتى تدخل مدخلي ففعل، فانطلق يقفوه حتى دخل على النبي ﷺ ودخل معه، فسمع من قوله وأسلم مكانه، فقال له النبي ﷺ: «ارجع إلى قومك فأخبرهم حتى يأتيك أمري»، قال: والذي نفسي بيده لأضرحن بها بين ظهرانيهم، فخرج حتى أتى المسجد فنادى بأعلى صوته: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، ثم قام القوم فضربوه حتى أضجعوه، وأتى العباس فأكب عليه قال: وَيَلِكُم أَلَسْتُمْ تعلمون أنه من غفار،

وأن طريق تجارتكم إلى الشام عليهم فأنقذهم منهم، ثم عاد من الغد لمثلها فضربوه وثاروا إليه، فأكب العباس عليه.

رواه البخاري في المبعث (١٧٣/٨، ١٧٤) وفي المناقب (٣٥٢٢)، ومسلم في الفضائل (٢٧/١٦، ٣١، ٣٤) بسياق آخر، ويأتي في المناقب إن شاء الله تعالى.

كان أبو ذر رضي الله تعالى موفقاً قبل اتصاله بالنبي ﷺ، فكان موحداً يصلّي لله تعالى ولما سمع برسول الله ﷺ بعث إليه أخاه ليأتيه بخبره ثم شد الرحلة إليه بنفسه حتى لقيه وأشهر إسلامه وأظهره بين ظهراي الكفار ونال نصيباً من إذايتهم، ولولا أن العباس أنقذه منهم لقتلوه، وذلك يدل على متانة إيمانه وقوته وأبو ذر رضي الله تعالى عنه يعد من نوادر الصحابة الزهاد، وتأتي فضائله في المناقب.

✽ إسلام ضماد الأزدي

[٨٢] وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن ضماداً قدم مكة، وكان من أزد شتوة، وكان يزقي من هذه الرياح فسمع سفاء من أهل مكة يقولون: إن محمداً لمجنون، فقال: لو أنني رأيت هذا الرجل لعل الله يشفيه على يدي، قال: فلقيته، فقال: يا محمد إني أرقبي من هذه الرياح، وأن الله يشفي على يدي من شاء، فهل لك؟ فقال رسول الله ﷺ: «إن الحمد لله نحمده ونستعينه، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، أما بعد»، قال: فقال: أعذ عليّ كلماتك هؤلاء، فأعادهنّ عليه رسول الله ﷺ ثلاث مرات، قال: فقال: لقد سمعت قول الكهنة وقول السحرة وقول الشعراء، فما سمعت مثل كلماتك هؤلاء ولقد بلغن قاموس البحر، قال: فقال: هات يدك أبايعك على الإسلام، قال: فبايعه، فقال رسول الله ﷺ:

«وعلى قومك»، قال: وعلى قومي، قال: فبعث رسول الله ﷺ سرية فمروا بقومه، فقال صاحب السرية للجيش: هل أصبتم من هؤلاء شيئاً؟ فقال رجل من القوم: أصبت منهم مطهرة، فقال: ردوها فإن هؤلاء قوم ضماد.

رواه أحمد (٣٠٣/١)، ومسلم في الجمعة (١٥٦/٦، ١٥٧).

قوله: أزد شنوءة هي من اليمن. قوله من الريح يعني الجنون، قوله: «قاموس البحر» أي بطنه ووسطه.

وفي الحديث دليل على أن النبي ﷺ كان قد أوتي من الفصاحة والبيان ما فاق به أهل زمانه من العرب البلغاء وأنه كان يؤثر في قلب كل من سمعه كما حصل لضماد، فإنه جاء بقصد علاج النبي ﷺ الذي كان يشاع عنه أنه مجنون، فلما سمع كلامه لم يتوان عن تصديقه والإيمان به لما دهمه من نور الحق وسحر كلامه ﷺ.

✽ إسلام الجن

[٨٣] عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، قال: ما قرأ رسول الله ﷺ على الجن ولا رآهم، انطلق رسول الله ﷺ في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ، وقد جيل بين الشياطين وبين خبر السماء، وأرسلت عليهم الشهب فرجعت الشياطين، فقالوا: ما لكم؟ فقالوا: جيل بيننا وبين خبر السماء وأرسلت علينا الشهب، قال: ما حال بينكم وبين خبر السماء إلا شيء حدث فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها، فانظروا ما هذا الأمر الذي حدث، فانطلقوا... فانطلق الذين توجهوا نحو تهامة إلى رسول الله ﷺ بنخلة وهو عامد إلى سوق عكاظ وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر، فلما سمعوا القرآن تسمّعوا له، فقالوا: هذا الذي حال بينكم وبين خبر السماء، فهناك رجعوا إلى قومهم فقالوا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّسُلِ فَأَمَّا بِئِنَّهُ لَكُنَّا لَهُ لَمَّامِينَ﴾، وأنزل الله عز وجل على نبيه ﷺ:

﴿قُلْ أُوْحَىٰٓ إِلَيْكَ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ﴾، وإنما أوحى الله قول الجن.

رواه البخاري في الصلاة وفي التفسير ومسلم والترمذي والنسائي في الكبرى وتقدم في التفسير، انظر سورتي الأحقاف والجن.

وفي الحديث دليل على أن الجن مخاطبون بالتكاليف الشرعية كالإنس، ولا فارق وأنه يوجد فيهم مؤمنون وكافرون وأنهم عالم يعيشون معنا ولا نراهم وأخبارهم كثيرة ولهم عجائب وغرائب ونوادر، وتقدم الكلام عليهم في التفسير في الأحقاف، وفي سورة الجن. وفي الحديث بيان أن بعثة نبينا ﷺ كانت حائلة بين الشياطين وبين خبر السماء، فمن أراد استراق السمع منهم أرسلت عليه الشهب بواسطة ملائكة الله المكلفين بحراسة السماء، كما قال تعالى عنهم: ﴿فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهَبًا﴾ الآية. وفي الحديث بيان عناية الله وسابق فضله، وأن أولئك الشياطين كانوا من جند إبليس صباحاً، فلما كان المساء أصبحوا من جند الله تعالى، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

✽ تحطيم رسول الله والإمام علي وأسماء بن زيد الأصنام وتلطيفها بالعدرة

[٨٤] عن الإمام علي عليه السلام قال: كنت أنطلق أنا وأسماء بن زيد إلى أصنام قريش التي حول الكعبة، فنأتي بالعدرات، فنأخذ حريراق بأيدينا، فننطلق به إلى أصنام قريش فنلطفها فيصبحون يقولون: من فعل بالهتنا؟ فينطلقون إليها ويغسلونها باللبن والماء...

عزاه الحافظ في المطالب العالية رقم (٤٢٧٥) لإسحاق بن راهويه وقال: إسناده صحيح.

في هذا الأثر مشروعية إهانة معابد الكفار والتبيل منها بالقاء القادورات عليها ونحو ذلك، وهذا طبعاً إذا لم يؤد إلى إهانة مقدساتنا وسب الله أو رسوله مثلاً، فقد قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ

فَيَسْبُوا اللَّهَ عَدُوًّا يَغَيِّرُ عَلِيمٌ ﴿١٠٠﴾ . وما فعله الإمام علي وأسامة بن زيد رضي الله تعالى عنهم كان في ظروف خاصة .

[٨٥] وعن علي رضي الله تعالى عنه قال: انطلقت أنا والنبي ﷺ حتى أتينا الكعبة، فقال لي رسول الله ﷺ: «اجلس» وصعد على منكبتي، فذهبت لأنهض به فرأى مني ضعفاً، فنزل وجلس لي رسول الله ﷺ فقال: «اصعد على منكبتي»، قال: فنهض بي قال: فإنه يُخيل إليّ أني لو شئت لنتلّ أفق السماء، حتى صعدت على البيت، وعليه تمثال صُفْرٍ أو نُحَاسٍ، فجعلت أزاوله عن يمينه وعن شماله وبين يديه ومن خلفه، حتى استمكنتُ منه، فقال لي رسول الله ﷺ: «أقذِفْ»، فقدفتُ به فتكسّر كما تتكسّر القوارير ثم نزلت، فانطلقتُ أنا ورسولُ الله ﷺ نَسْتَبِقُ حتى تواريتنا بالبيوت، خشيةً أن يلقانا أحدٌ من الناس. وفي رواية: كان على الكعبة أصنام، فذهبت أحمل النبي ﷺ فلم أستطع، فحملني فجعلت أقطعها ولو شئت لنتلّت السماء.

رواه أحمد (٨٤/١) وابنه في زوائد أبيه (١٥١/١)، وأبو يعلى، وقال النور في المجمع (٢٣/٦) ورجال المجمع ثقات.

كان هذا التحطيم للأصنام قريباً من وقت الجهر بالدعوة، وذلك يُعتبر تغييراً لأعظم منكر يوجد عند الكعبة، وفي ذلك منه ﷺ انتساء بأبيه إبراهيم عليه الصلاة والسلام مع ما في ذلك من ردود فعل، فإن المشركين كانوا في ذلك الحين أشدّ ما يكون من إذابة النبي ﷺ وأصحابه رضي الله تعالى عنهم.

الهجرة إلى الحبشة

[٨٦] عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: بعثنا رسول الله ﷺ إلى النجاشي ونحن نحو من ثمانين^(١) رجلاً، فيهم عبدالله بن مسعود،

(١) كانت هذه الهجرة الثانية.

وجعفر وعبدالله بن عرفطة، وعثمان بن مظعون، وأبو موسى؛ فأتوا النجاشي وبعثت قريش سجداً له ثم ابتدراه عن يمينه وعن شماله، ثم قالوا له: إن نفرأ من النجاشي سجداً له ثم ابتدراه عن يمينه وعن شماله، قال: فماذا قال له: إن نفرأ من بني عمنا نزلوا أرضك ورجبوا عمنا وعن ملتنا، قال: فأين هم؟ قال: هم في أرضك فابعث إليهم، فبعث إليهم فقال جعفر: أنا خطيبكم اليوم، فاتبعوه فسلم ولم يسجد، فقالوا له: ما لك لا تسجد للملك؟ قال: إنا لا نسجد إلا لله عز وجل، قال: وما ذاك؟ قال: إن الله عز وجل بعث إلينا رسوله ﷺ وأمرنا أن لا نسجد لأحد إلا لله عز وجل، وأمرنا بالصلاة والزكاة، قال عمرو بن العاص: إنهم يخالفونك في عيسى ابن مريم، قال: ما تقولون في عيسى ابن مريم وأمه؟ قالوا: نقول كما قال الله عز وجل: هو كلمة الله وروحه ألقاها إلى العذراء البتول التي لم يمسهما بشر ولم يفرضها ولد، قال: فرفع عوداً من الأرض ثم قال: يا معشر الحبشة والقيسيين والرهبان والله ما يزيدون عن الذي نقول فيه ما سوى هذا، مرحباً بكم وبمن جئتم من عنده أشهد أنه رسول الله، فإنه الذي نجد في الإنجيل، وأنه الرسول الذي بشر به عيسى ابن مريم انزلوا حيث شئتم والله لولا ما أنا فيه من الملك لأتيته حتى أكون أنا أحمل نعليه وأوضئه، وأمر بهديّة الآخرين فردت إليهما، ثم تعجل عبدالله بن مسعود حتى أدرك بداراً وزعم أن النبي ﷺ استغفر له حين بلغه موته.

رواه بهذا السياق أحمد (٤٦١/١) وسنده حسن وجوده ابن كثير وقواه وحسنه ورواه بنحوه الطبراني عن أبي موسى، قال الهيثمي في المجمع (٣٠/٦، ٣١) ورجال رجال الصحيح.

[٨٧] وعن أم سلمة رضي الله تعالى عنها زوج النبي ﷺ قالت: لما نزلنا أرض الحبشة جاوزنا بها خبز جار النجاشي أمناً على ديننا، وعبدنا الله وحده لا نُؤذِي، ولا نَسْمَعُ شيئاً نكرهه، فلما بلغ ذلك قريشاً ائتمروا أن يبعثوا إلى النجاشي فينا رجلين جلدتين، وأن يهدوا النجاشي هدايا ما يُستطرف من متاع مكة، وكان أعجب ما يأتيه منها الأدم، فجمعوا له أدماً كثيراً، ولم يتركوا من بطارقه بطريقاً إلا أهدوا له هدية، وبعثوا بذلك مع

عبدالله بن أبي ربيعة المخزومي وعمرو بن العاص وأمرهما أمرهم، وقالوا
لهما: ادفعوا إلى كل بطريق هديته قبل أن تكلموا النجاشي فيهم، ثم قدموا
النجاشي هداياه ثم أسألوه أن يسلمهم إليكم قبل أن يكلمهم.

قالت: فخرجنا فقدمنا على النجاشي ثم قالوا لكل بطريق منهم: إنه قد
ضوى إلى بلد الملك منا علماً سفهاء فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في
دينكم، وجاءوا بدين مبتدع، لا نعرفه نحن ولا أنتم وقد بعثنا إلى الملك فيهم
أشراف قومهم ليردّهم إليهم، فإذا كلّمنا الملك فيهم فأشيروا عليه أن يسلمهم
إلينا ولا يكلمهم، فإن قومهم أعلم بهم عيياً، وأعلم بما عابوا عليهم.

فقالوا لهما: نعمًا، ثم قربوا هداياهم إلى النجاشي فقبلها منهم، ثم كلماه
فقالوا له: أيها الملك قد صبا إلى بلدك منا غلمان سفهاء فارقوا دين قومهم ولم
يدخلوا في دينك وجاءوا بدين مبتدع لا نعرفه نحن ولا أنت، وقد بعثنا إليك
فيهم أشراف قومهم من آباؤهم وأبنائهم وعشائهم لتردهم إليهم، فهم أعلم بهم
عيياً وأعلم بما عابوا وعابوهم فيه. فقالت بطارقتة حوله: صدقوا أيها الملك
قومهم أعلم بهم عيياً، وأعلم بما عابوا عليهم، فأسلمنهم إليهم فليردّهم إلى
بلادهم وقومهم؛ فغضب النجاشي وقال: لا هيم الله إذ لا أسلمهم إليهما، ولا
أكاد، قوماً جاوروني ونزلوا بلادي واختاروني على من سواي، حتى أدعوهم
فأسألهم عما يقول هذان في أمرهم، فإن كانوا كما يقولان أسلمتهم إليهما
ورددتهم إلى قومهم، وإن كانوا على غير ذلك منعتهم منهما، وأحتسب
جوارهم ما جاوروني. قالت: ثم أرسل إلى أصحاب رسول الله ﷺ فدعاهم،
فلما جاءهم رسوله اجتمعوا فقالوا بعضهم لبعض: ما تقولون في الرجل إذا
جتموه؟ قالوا: نقول والله ما علمنا وما أمرنا به نبينا ﷺ كائن في ذلك ما هو
كائن، فلما جاءوه وقد دعا النجاشي أساقفته فنشروا مصاحفهم حوله سألهم،
فقال: ما هذا الدين الذي قد فارقتم فيه قومكم ولم تدخلوا في ديني، ولا في
دين أحد من هذه الأمم؟ قالت: وكان الذي كلمه جعفر بن أبي طالب رضي الله
تعالى عنه، قال: أيها الملك كئنا قوماً أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل
الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، ويأكل القوي منا
الضعيف، فكئنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولاً ميثاً نعرف نسبه وصدقه،

وأمانته، وعقافته، فدعانا إلى الله عز وجل لتوخذة ونعبده ونخلع ما كئنا نعبد
نحن وآباؤنا من دون الله من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء
الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء، ونهانا
عن الفواحش وشهادة الزور وأكل مال اليتيم وقذف المحصنة، وأمرنا أن نعبد الله
لا نشرك به شيئاً وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، قالت: فعند عليه أمور الإسلام
فصدقناه وأمتنا به، واتبعناه على ما جاء به، فعبدنا الله وحده لا نشرك به شيئاً،
وحرّمنا ما حرّم علينا، وأحللنا ما أحل لنا، فعدا علينا قومنا فعذبونا، وفتنونا
عن ديننا ليردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله عز وجل، وأن نستحل ما كئنا
نستحل من الخبائث، فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا، وحالوا بيننا وبين
ديننا، خرجنا إلى بلادك، واخترناك على من سواك، ورجعنا في جوارك،
ورجونا أن لا نُظلم عندك أيها الملك. قال: فقال النجاشي: هل معك مما جاء
به عن الله من شيء؟ قالت: فقال له جعفر: نعم، قالت: فقال له النجاشي:
فاقرأه، فقرأ عليه صدرًا من «كهيعص»، قالت: فيكى النجاشي حتى أخضب
لحيته، وبكت أساقفته حتى أخضبوا مصاحفهم حين سمعوا ما ثلبي عليهم، ثم
قال النجاشي: إن هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة، انطلقا
فوالله لا أسلمهم إليكم ولا أكاد. قالت أم سلمة: فلما خرجنا من عنده قال
عمرو بن العاص: والله لآتينهم غداً أعيبيهم عنده بما استأصل به خضراءهم.
فقال له عبدالله بن أبي ربيعة وكان أتقى الرجلين فينا: لا تفعل، فإن لهم
أرحاماً، وإن كانوا قد خالفونا. قال: والله لأخبرته أنهم يزعمون أن عيسى ابن
مريم عليه السلام عبد. قالت: ثم غدا عليه، فقال: أيها الملك إنهم يقولون في
عيسى ابن مريم قولاً عظيماً، فأرسل إليهم فسألهم عما يقولون فيه، قالت:
فأرسل إليهم يسألهم عنه، قالت: ولم ينزل بنا مثلها، واجتمع القوم فقال
بعضهم لبعض: ماذا تقولون في عيسى إذا سألكم عنه؟ قالوا: نقول والله فيه ما
قال الله سبحانه وتعالى وما جاء به نبينا ﷺ كائناً في ذلك ما هو كائن، فلما
دخلوا عليه قال لهم: ما تقولون في عيسى ابن مريم؟ فقال له جعفر بن أبي
طالب رضي الله تعالى عنه: ونقول فيه ما جاء به نبينا ﷺ: هو عبدالله ورسوله
وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول. قالت: فضرب النجاشي يده

على الأرض فأخذ منها عوداً، ثم قال: ما عدا عيسى بن مريم ما قلت هذا العود فناخرت بطارقته حوله حين قال ما قال، فقال: وإن نخرتم والله إذهبوا فأنتم سيوح بأرضي، والسيوح الآمنون من سبكم غرم، ثم من سبكم غرم، ثم من سبكم غرم، فما أحب أن لي دير ذهب، وإني أذيت رجلاً منكم، والدير بلسان الحبشة الجبل: ردوا عليهما هداياهما فلا حاجة لنا بها، فوالله ما أخذ الله مني الرشوة حين رد عليّ ملكي فأخذ الرشوة فيه وما أطاع في الناس فأطيعهم فيه، قالت: فخرجا من عنده مقبوحين مردوداً عليهما ما جاء به، وأقمنا عنده بخير دار مع خير جار، قالت: فوالله إنا على ذلك إذ نزل به - يعني من ينازعه في ملكه - قالت: فوالله ما علمنا حزناً قط كان أشد من حزن حزنائه عند ذلك تخوفاً أن يظهر ذلك على النجاشي فيأتي رجل لا يعرف من حقنا ما كان النجاشي يعرف منه. قالت: وسار النجاشي وبينهما عرض النيل، قالت: فقال أصحاب رسول الله ﷺ: من رجل يخرج حتى يحضر وقعة القوم ثم يأتينا بالخبر؟ قالت: فقال الزبير بن العوام رضي الله تعالى عنه: أنا، قالت: وكان من أحدث القوم سناً، قالت: فتفقخوا له قربة فجعلها في صدره ثم سبح عليها حتى خرج إلى ناحية النيل التي بها ملتقى القوم ثم انطلق حتى حضرهم، قالت: ودعونا الله تعالى للنجاشي بالظهور على عدوه والتمكين له في بلاده، واستوثق عليه أمر الحبشة، فكنا عنده في خير منزل حتى قدمنا على رسول الله ﷺ وهو بمكة.

رواه أحمد (٢٩٠/٥، ٢٩٢) من طريق ابن إسحاق، وأبو نعيم في الحلية (١١٥/١) بسند صحيح، قال الهيثمي (٢٤/٦، ٢٧): ورجاله رجال الصحيح غير ابن إسحاق وقد صرح بالتحديث وهو عند ابن هشام (٣٦٠/١، ٣٦٤).

عندما اشتد البلاء بالصحابة من طرف قريش ولم يكن للنبي ﷺ وقته ما يحميهم به، قال لهم: «لو خرجتم إلى أرض الحبشة، فإن بها ملكاً لا يُظلم عنده أحد حتى يجعل الله تعالى لكم فرجاً مما أنتم فيه»، فخرج عند ذلك المسلمون إلى أرض الحبشة مخافة الفتنة وفراراً إلى الله تعالى بدينهم، وكانت أول هجرة في الإسلام.

فخرجوا متسللين مختفين وكان عددهم في هذه الهجرة عشرة رجال، وخمس نسوة وهم عثمان بن عفان وزوجته رقية بنت رسول الله ﷺ، وأبو سلمة وزوجه أم سلمة، وأخوه لأمه أبو سبرة بن أبي رهم، وزوجه أم كلثوم، وعامر بن ربيعة وزوجه ليلى، وأبو حذيفة بن عتبة وزوجه سهلة بنت سهيل، وعبدالرحمن بن عوف وعثمان بن مظعون ومُصعب بن عمير وسهل بن البيضاء والزبير بن العوام وجلهم من قريش، وكان عليهم عثمان بن مظعون، فساروا ولما انتهوا إلى البحر استأجروا سفينة أوصلتهم إلى الحبشة، فأقاموا بها آمنين لكنهم سرعان أن أشيع بأن مشركي مكة أسلموا فرجع هؤلاء المهاجرون إلى مكة فوجدوا الأمر على خلاف ما أشيع ولم يتمكنوا من الدخول إليها إلا بمجير يحميهم، ومن لم يجد منهم مجيراً اشتد عليه البلاء واستأيفت فتنته من جديد.

الهجرة الثانية

ثم لما تألب الكفار على الصحابة وتكالبوا عليهم بالعداوة وألوان الإذابة والتعذيب أمر رسول الله ﷺ أصحابه جميعاً ممن قدر أن يهاجر إلى أرض الحبشة، فهاجر معظمهم، وكانوا نحو ثلاثة وثمانين رجلاً، ثماني عشرة امرأة، وكان من الرجال جعفر بن أبي طالب وزوجه أسماء بنت عميس، والمقداد بن الأسود، وعبدالله بن مسعود، وعبيدالله بن جحش^(١) وامراته أم حبيبة بنت أبي سفيان...

ولما رأت قريش ذلك أرسلت عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد إلى النجاشي ليسلمهم إليهما مرتين: مرة كان فيهما عمرو وعمارة، ومرة كان مع عمرو عبدالله بن أبي ربيعة، وقد رأينا كيف انتصر المسلمون على وفد

(١) وكان من قدر الله أن ارتد هذا ومات بالحبشة كافراً وفارقه أم حبيبة فتزوجها النبي ﷺ كما يأتي.

قريش ورجوعهم مخدولين مخزيين، حيث إن النجاشي أجار المسلمين وحماهم ورحب بهم وأمنهم في بلاده لَمَّا عَلِمَ صِدْقَهُمْ وافتراء أعدائهم.

✽ من فوائد حادث الهجرة إلى الحبشة وعبره

يؤخذ من حادث الهجرة إلى الحبشة أمور:

أولاً: مشروعية الهجرة فراراً بالدين من الفتن، ولا خلاف في وجوبها أو استحبابها عند المقتضي لها وهي سنة من سنن الأنبياء.

ثانياً: يشترك فيها الرجال والنساء، فالنساء شقائق الرجال في الأحكام والتكاليف الشرعية بدون أي فارق، ولذلك نرى بنات سادات قريش يهاجرن بدينهن مع أزواجهن كرقية بنت رسول الله ﷺ وأم سلمة المخزومية، وأم حبيبة بنت أبي سفيان... رضي الله تعالى عنهن.

ثالثاً: فيه ما كان عليه ملوك النصارى من استعباد شعوبهم بالسجود لهم بينما جاء الإسلام بتحريم السجود لغير الله تعالى.

رابعاً: فيه جواز الإقامة بدار الكفر لأجل اللجوء... إذا كان المسلم مأموناً على إقامة دينه ونفسه وأهله، وقد فصلت القول في هذا في الجهاد، فارجع إليه.

خامساً: فيه ما كان عليه عمرو بن العاص من العداوة للمسلمين حتى افتري عليهم أمام النجاشي وأساقفته لِيُرْغِمَهُمْ على الرجوع إلى مكة ليتشفى منهم.

سادساً: يبدو أن النجاشي كان عاقلاً حكيماً، فإنه لم يقض لعمرو بمجرد ما قال له عن الصحابة، بل تَرَوَى حتى بعث إليهم وسمع كلامهم، فعندئذ قضى بما ظهر له من الحق، فردّ المبعوثين خائبين خاسئين.

سابعاً: يظهر من سياق الحادث أن النجاشي كان موحداً ولم يكن من

أهل التثليث والشرك، وكان ذلك الحامل له على الإسلام، فأمن بالنبى ﷺ وبقي ملكاً على النصارى إلى أن توفي في السنة التاسعة للهجرة، وصلى عليه النبى ﷺ صلاة الغائب كما تقدّم في الجنائز، وسيأتي مزيد لهذا في المناقب، وانظر صحيح البخاري (١٩١/٨) من المبعث.

ثامناً: في هؤلاء المهاجرين من كان هاجر الهجرتين للحبشة، وكان منهم سيدنا عثمان ذو النورين رضي الله تعالى عنه كما يأتي في المناقب.

تاسعاً: فيه بيان عظمة سيدنا جعفر رضي الله تعالى عنه وفضله وشجاعته وقوة عارضته، وفصاحته وبيانه، واقتداره على المحاوراة وملاقة الملوك، وإفحام الخصم.

عاشراً: استحضاره لكثير من أصول الدين وقواعده وإلقاؤها على الملك والقساوسة بدون تلثم... فرضي الله تعالى عنه.

حادى عشر: بقي المسلمون مهاجرو الحبشة بها إلى زمن خير.

[٨٨] فعن أبي موسى رضي الله تعالى عنه قال: بلغنا مخرج النبى ﷺ ونحن باليمن، فركبنا سفينة فآلقتنا سفينتنا إلى النجاشي بالحبشة، فوافقنا جعفر بن أبي طالب فأقمنا معه حتى قدمنا، فوافقنا النبى ﷺ حين افتتح خير، فقال النبى ﷺ: «لكم أنتم أهل السفينة هجرتان».

رواه البخاري في المبعث (١٩٠/٨)، ويأتي في الغزوات وفي المناقب.

✽ أحداث وقعت بين الهجرة إلى الحبشة وبين الإسراء

إسلام عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه

[٨٩] عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «اللهم أعز الإسلام بأحب هذين الرجلين إليك: بأبي جهل، أو بعمر بن الخطاب»، قال: وكان أحبهما إليه عمر.

رواه الترمذي في المناقب (٣٤٤٧) بتهذيبه، وابن حبان (٢١٧٩) بالموارد وحسنه الترمذي وصححه وله شواهد ذكرتها في تهذيب الترمذي.

[٩٠] وعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: ما زلنا أعزّة منذ أسلم عمر.

رواه البخاري في المبعث (١٧٦/٨) رقم (٣٦٨٤).

[٩١] وعن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: لما أسلم عمر اجتمع الناس عند داره، وقالوا: صبياً عمر، وأنا غلام فوق ظهر بيتي فجاء رجل عليه قباء من ديباج فقال: قد صبأ عمر! فما ذاك؟ فأناله جارٌّ، قال: فرأيت الناس تصدّعوا عنه، فقلت: من هذا؟ قالوا: العاص بن وائل.

رواه البخاري في المبعث (١٧٧/٨).

كان إسلام عمر نصراً وعزّاً للإسلام لما كان له من الشجاعة والقوة والشهامة بعد أن كان أقسى الناس على المسلمين وأشدّهم كراهة للإسلام وأبعدهم منه، فاستجاب الله تعالى دعاء النبي ﷺ فيه، كما قال: «اللهم أعزّ الإسلام بأحبّ الرجلين إليك»، فكان أحبّهما إليه تعالى عمر رضي الله تعالى عنه، وكان سبب إسلامه كما ذكره أهل السيرة إذأيته لأخته فاطمة وزوجها سعيد بن زيد، فبعد أن آذاهما خرج قاصداً دار الأرقم بن الأرقم حيث كان يجتمع النبي ﷺ بأصحابه، فطرق الباب وأذنوا له، فأخذ النبي ﷺ بتلابيبه وقال له: «ما جاء بك يا ابن الخطاب، فوالله ما أرى أن تنتهي حتى يُنزل الله تعالى بك قارعة»، فقال عمر: يا رسول الله جئتك لأؤمن بالله وبرسوله وبما جاء من عند الله، فكبر رسول الله ﷺ تكبيراً عرف أهل البيت من أصحاب رسول الله ﷺ أن عمر قد أسلم. هكذا ذكره ابن هشام في السيرة.

[٩٢] وعندما أسلم قال للنبي ﷺ: يا رسول الله إني لا أدع مجلساً جلسته في الكفر إلا أعلنت فيه الإسلام، فأتى المسجد وفيه بطون قريش متحلّقة فجعل يعلن الإسلام ويشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله،

فثار المشركون فجعلوا يضربونه ويضربهم، فلما تكاثروا عليه خلّصه العاص بن وائل.

أورده في المجمع (٦٥/٩) وعزاه لأوسط الطبراني، وقال: رجاله ثقات وتأتي أحاديث أخرى في مناقبه إن شاء الله تعالى.

✽ حصار النبي ﷺ ومن كان معه من بني هاشم وبني المطلب في الشَّعبِ

[٩٣] عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ حين أراد حنيناً: «منزلنا غداً إن شاء الله بخيف بني كنانة حيث تقاسموا على الكفر»، وذلك أن قريشاً وبني كنانة تحالفت على بني هاشم وبني المطلب أن لا يُناكحوهم، ولا يبايعوهم حتى يسلموا إليهم رسول الله ﷺ، وفي رواية: قال لنا رسول الله ﷺ ونحن بمنى: «نحن نازلون غداً» إلخ.

رواه البخاري في المبعث (١٩٢/٨) وفي الحج، ومسلم في الحج أيضاً رقم (١٣١٤).

خيف بني كنانة: هو الأبطح ويقال له المحصب. «تقاسموا على الكفر» تعاهدوا وتحالفوا.

[٩٤] وعن أسامة بن زيد رضي الله تعالى عنه قال: قلت: يا رسول الله أين تنزل غداً؟ في حجته، قال: «وهل ترك لنا عقيل منلاً؟» ثم قال: «نحن نازلون غداً إن شاء الله تعالى بخيف بني كنانة - يعني المحصب - حيث قاسمت قريش على الكفر، وذلك أن بني كنانة حالفت قريشاً على بني هاشم، أن لا يُناكحوهم ولا يبايعوهم ولا يؤوهم».

رواه البخاري في الفرائض (٦٧٦٤)، ومسلم فيه (١٦١٤)، وأبو داود (٢٩٠٩)، وأحمد (٢٠٠/٥، ٢٠٩) وغيرهم.

«تقاسموا» أي: تحالفوا وتعاهدوا على مقاطعة النبي ﷺ ومن كان

معه .

ذكر أهل السَّيَر كابن إسحاق وابن عتبة وغيرهما أن قريشاً لما رأت الصحابة قد نزلوا أرضاً أصابوا بها أماناً، وأن عمر قد أسلم، وأن الإسلام فشا في القبائل أجمعوا على أن يقتلوا رسول الله ﷺ، فبلغ ذلك أبا طالب، فجمع بني هاشم وبني المطلب، فأدخلوا رسول الله ﷺ شعب أبي طالب ومنعوه ممن أراد قتله فأجابوه إلى ذلك حتى كفارهم فعلوا ذلك حمية، فلما رأت قريش ذلك أجمعوا أن يكتبوا صحيفة على منابذة بني هاشم وبني المطلب والتضييق عليهم بأن لا يناكحوهم ولا يبايعوهم... حتى يسلموا إليهم رسول الله ﷺ، ففعلوا ذلك وعلقوا الصحيفة في جوف الكعبة، فانحازت بنو هاشم وبنو المطلب إلى أبي طالب، فكانوا معه كلهم إلا أبا لهب، فكان مع قريش فأقاموا على ذلك نحواً من ثلاث سنين حتى جهدوا ولم يكن يأتيهم شيء من الأقوات إلا خفية حتى كانوا يؤذون من اطلعوا عليه أنه أرسل إلى بعض أقاربه شيئاً من الصلات إلى أن قام نفر منهم بنقض الصحيفة وكانوا خمسة من أشرف قريش، وهم هشام بن عمرو بن الحارث العامري وهو أعظمهم في ذلك بلاء، وزهير بن أبي أمية المخزومي ابن عمّة الرسول عاتكة، والمطعم بن عدي النوفلي، وأبو البخترى بن هشام الأسدي، وزمعة بن الأسود الأسدي، واتفقوا على ذلك ليلاً، فلما أصبحوا غدا زهير وعليه حلة فطاف بالبيت ثم أقبل على الناس، فقال: يا أهل مكة أنأكلُ الطعام ونلبسُ الثياب وبنو هاشم والمطلب هلكي لا يبيعون ولا يبتاعون، والله لا أقعد حتى تشق هذه الصحيفة الظالمة الفاطمة، فقال أبو جهل: كذبت، فقال زمعة لأبي جهل: أنت والله أكذب ما رضينا كتابتها حين كتبت، فقال أبو البخترى: صدق زمعة، وقال المطعم بن عدي: صدقتما وكذب من قال غير ذلك وصدق على ما قيل هشام بن عمرو، فقام إليها المطعم بن عدي فشققها، وكانت الأرضة قد أكلتها فلم يبق فيها إلا ما

فيه اسم الله تعالى، فخرج القوم إلى أماكنهم بعد هذه الشدة. هذا ما ذكره علماء السير والمغازي وهو شرح لقوله ﷺ... «حيث تقاسموا على الكفر» إلخ.

هذا الحصار الظالم الذي وقع على النبي ﷺ ومن كان معه، الذي دام ثلاث سنوات يدل على أن أولئك الكفار كانوا منسلخين من الإنسانية قد بلغوا من قساوة القلوب وصلابتها ما لا يمكن التعبير عنه، وفعلهم ذلك أشبه شيء بقساوة وقتنا الكفرة الذين يضربون الحصار على ضعفاء الدول، فيحولون بينهم وبين اقتصاد العالم كما يُحاصرُ الدعاة إلى الله تعالى وعلماء الإسلام والمصلحون، فالتاريخ يُعيد نفسه.

والذي يلفت الأنظار من هذا الحادث هو انحياز كفار بني هاشم وبني المطلب إلى صف النبي ﷺ، مع العلم بأنه لم يكن ذلك منهم تدبيراً وتصديقاً لما جاء به النبي ﷺ كما كان حال المسلمين منهم، وإنما فعلوا ذلك حمية منهم وخوفاً من أن تعيرهم العرب إذا ما قتل النبي ﷺ كفار قريش ولم يحمه وينصره أقاربه، وحيث إنهم قاسوا شدائد الجوع والعزى ومقاطعة قومهم إليهم حماية للنبي ﷺ ودفاعاً عنه جعل لهم ﷺ حظاً من خمس الفئء والغنيمة دون بني عمهم من بني عبد شمس ونوفل، ولما قيل له في ذلك قال: إن بني هاشم والمطلب شيء واحد في الجاهلية والإسلام، وكم كنا نتمنى أن يسلم الذين ماتوا على الكفر منهم وفي طليعتهم أبو طالب كما كُنَّا نتمنى أن يسلم جميع أولئك الخمسة الذين نقضوا الصحيفة الظالمة لما أسدوا للنبي ﷺ من خير ومعروف، ونرجو الله أن يخفف عنهم العذاب كما يخففه على أبي طالب وأبي لهب.

❁ الانتقام من المستهزئين برسول الله ﷺ

[٩٥] عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿إِنَّا

كَفَيْتَكَ السَّهْرَيْنِ ﴿٥٥﴾ الآية، قال: المستهزئون: الوليد بن المغيرة، والأسود بن عبد يغوث الزهري، وأبو زمعة الأسود بن المطلب بن بني أسد، والحارث بن عيطل السهمي، والعاص بن وائل، فأتاه جبريل عليه السلام فشكاهم النبي ﷺ إليه، فأراه الوليد وأوماً جبريل إلى أبعجه، فقال: ما صنعت؟ قال: كُفَيْتَهُ، ثم أراه الأسود فأوماً جبريل إلى عينه فقال: ما صنعت؟ قال: كُفَيْتَهُ، ثم أراه أبا زمعة فأوماً إلى رأسه فقال: ما صنعت؟ قال: كُفَيْتَهُ، ثم أراه الحارث فأوماً إلى رأسه أو بطنه وقال: كُفَيْتَهُ، ومَرَّ به العاص فأوماً إلى أحمصه وقال: كُفَيْتَهُ، فأما الوليد فمَرَّ برجل من خزاعة وهو يریش نبالاً، فأصاب أبعجه فقطعها، وأما الأسود فعمي، وأما ابن عبد يغوث فخرج في رأسه قروح فمات منها، وأما الحارث فأخذ الماء الأصفر في بطنه حتى خرَّوه من فيه فمات منها، وأما العاص فدخل في رأسه شُبْرُقَةٌ حتى امتلأت فمات منها، وقال غيره: إنه ركب إلى الطائف حماراً فربض به على شوكة فدخلت في أحمصه فمات منها.

رواه البيهقي في السنن (٨/٩) والدلائل (٣١٦/٢) وسنده صحيح وصححه الذهبي في السيرة.

«الأبجل» هو عرق في باطن الذراع، وقيل: هو عرق غليظ في الرجل بين العصب والعظم. «شُبْرُقَةٌ» بضم الشين والراء بينهما باء ساكنة؛ نبت له شوك.

وفي هذا الأثر بيان المستهزئين الذين كانوا يسخرون من النبي ﷺ ويضحكون عليه ويتهكمون، وأن الله عز وجل كفاه إياهم فأهلكهم جميعاً.

ومن أنواع استهزاء العاص به ﷺ ما جاء في الحديث التالي:

[٩٦] فعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: إن العاص بن وائل أخذ عظماً من البطحاء ففَتَّهُ بيده ثم قال لرسول الله ﷺ: أَيُخِيبي الله هذا بَعْدَ ما أرم؟ فقال رسول الله ﷺ: «نعم، يُميتك الله ثم يُخِيبك ثم يُدْخِلُك جهنم»، قال: ونزلت الآيات من آخر سورة يس.

رواه ابن جرير (٣٠/٢٣، ٣١)، وابن أبي حات (٣٢٠٢/١٠)، والحاكم (٤٢٩/٢)، وصححه على شرط الشيخين، والآية: ﴿وَصَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ الآية. وقوله: «رميم» أي بال، وقوله: «بعدما أرم» أي بلي، كان العرب لا يعترفون بالحياة بعد الموت ولذلك كثر الكلام في القرآن الكريم على البعث، وضرب الله لذلك أمثالا كثيرة، وهذا الشقي العاص كان ممن يُنكر البعث واستبعد ذلك فقال: من يُحْيِي العظام وهي رميم.

فالإنسان رغم أنه ضعيف خُلِقَ من نطفة ثم علقة ثم مضغة... إلى آخر أطواره العجيبة يتعاضم على الله خالقه، ويعترض عليه وَيُنْسِبُهُ للعجز، وَيُحَكِّمُ عقله وَيُكَذِّبُ ما جاءت به رسل الله صلوات الله وسلامه عليهم من عنده عز وجل، فيا عجباً للإنسان.

❁ قصة ابن أم مكتوم الأعمى مع النبي ﷺ

[٩٧] عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: أنزل «عبس وتولى» في ابن مكتوم الأعمى، أتى رسول الله ﷺ فجعل يقول: يا رسول الله أرشدني، وعند رسول الله ﷺ رجلٌ من عظماء المشركين، فجعل رسول الله ﷺ يُعرض عنه وَيُقْبِلُ على الآخر، ويقول: «أتري بما أقول بأساً؟» فيقول: لا، ففي هذا أنزل.

رواه الترمذي (٣١١٤)، وابن جرير (٥٠/٣٠) كلاهما في التفسير، وابن حبان (١٧٦٩) بالموارد، والحاكم (٥١٤/٢) وسنده صحيح على شرط الشيخين كما قال الحاكم ولا يضر من أرسله.

قوله: عبس أي: كلع وجهه وتولى أي: أعرض عنه، ولم يكن ذلك منه ﷺ احتقاراً له واستخفافاً به، بل حاشاه من ذلك، وإنما كان ذلك حرصاً منه ﷺ على إسلام ذلك الكافر، فجاءت الآيات الكريمة

تُرْشِدُهُ ﷺ إِلَى مَا كَانَ الْأَوْلَى لَهُ أَنْ يَسْلُكَه، وَهُوَ تَذْكَيرٌ لِلْأَعْمَى وَإِرْشَادُهُ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ لَعَلَّهُ يَزْكَى.

❁ دَعَاءُ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى قَرِيْشٍ لَمَّا اسْتَعْصَمُوا

[٩٨] عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ قَالَ: إِنْ قَرِيْشًا لَمَّا اسْتَعْصَمَتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَفِي رِوَايَةٍ: أَبْطَأُوا عَلَى الْإِسْلَامِ، فَدَعَا عَلَيْهِمُ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: «اللَّهُمَّ اعْنِي عَلَيْهِمْ بِسَبْعِ كَسْبِيعِ يُوسُفَ»، فَأَخَذَتْهُمْ سَنَةٌ حَتَّى هَلَكُوا فِيهَا، وَأَكَلُوا الْجِيْفَةَ وَالْعِظَامَ، وَبَرَى الرَّجُلُ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ كَهَيْئَةِ الدُّخَانِ، فَجَاءَهُ أَبُو سَفْيَانَ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ جِئْتَ تَأْمُرُ بِصَلَةِ الرَّحِمِ، وَأَنْ قَوْمَكَ قَدْ هَلَكُوا، فَادْعِ اللَّهَ، فَادَعِ اللَّهَ، فَقَرَأَ: «فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ ﴿١٠﴾ يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١﴾» إِلَى قَوْلِهِ: «إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ ﴿١٢﴾»، أَفِيكُشِفُ عَنْهُمْ عَذَابَ الْآخِرَةِ إِذَا جَاءَ ثُمَّ عَادُوا إِلَى كُفْرِهِمْ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: «يَوْمَ تَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى ﴿١٣﴾» يَوْمَ بَدَرَ وَرِزَامًا يَوْمَ بَدَرَ. وَفِي رِوَايَةٍ: فَلَمَّا أَصَابَتْهُمْ الرَّفَاهِيَّةُ عَادُوا إِلَى حَالِهِمْ.

رواه البخاري في التفسير (١١٣/١٠) وغيره، ومسلم آخر الكتاب (٢٧٩٨)، والنسائي في الكبرى (٤٢٢/٦) وتقدم في التفسير.

قوله: أَبْطَأُوا أَي: تَأَخَّرُوا فَلَمْ يَسْلَمُوا. وَقَوْلُهُ: «كَسْبِيعِ يُوسُفَ» أَي: كَالسَّبْعِ السَّنِينَ الْمَجْدِبَةِ الَّتِي أَصَابَتْ النَّاسَ أَيَّامَ نَبِيِّ اللَّهِ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وَفِي الْحَدِيثِ دَعَاءُ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى كُفَّارِ قَرِيْشٍ بِالْجَدْبِ وَالْجُوعِ، وَقَدْ اسْتَجَابَ اللَّهُ تَعَالَى دَعَاءَهُ فِيهِمْ، فَبَعَثَ عَلَيْهِمْ سَنَةً مَجْدِبَةً هَلَكُوا فِيهَا جُوعًا حَتَّى أَكَلُوا الْجِيْفَةَ وَالْعِظَامَ، فَبِالْأَمْسِ الْقَرِيبِ كَانُوا ضَارِبِينَ الْحِصَارَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَذَوِيهِ حَتَّى هَلَكُوا جُوعًا، فَهَذَا هُمُ الْيَوْمُ يَأْكُلُونَ الْجِيْفَةَ وَالْعِظَامَ وَيَفْزَعُونَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ مَطْأَطِي رُؤُوسِهِمْ لَهُ يَسْتَعْظِفُونَهُ بِأَنْ يَدْعُوَ اللَّهُ لَهُمْ لِيَكْشِفَ مَا حَلَّ بِهِمْ، مُعْتَرِفِينَ لَهُ بِأَنَّهُ جَاءَ يَدْعُو إِلَى مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ فَيَدْعُو اللَّهَ

فِيكْشِفُ مَا نَزَلَ ثُمَّ يَعُودُونَ لِكُفْرِهِمْ وَطَغْيَانِهِمْ وَعِنَادِهِمْ، وَلَكِنَّهُ تَعَالَى أَوْعَدَهُمْ بِالْإِنْتِقَامِ مِنْهُمْ وَقَدْ فَعَلَ جَلَّ عِلَاهُ.

❁ قِصَّةُ غَلْبَةِ الرُّومِ وَالرَّهَانَ بَيْنَ الصَّدِيقِ وَبَيْنَ قَرِيْشٍ

[٩٩] عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿اللَّهُ ﴿١﴾ غَلَبَتِ الرُّومَ ﴿٢﴾ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ﴾ الْآيَةَ، قَالَ: غَلَبَتْ، وَعَلَبَتْ قَالَ: كَانَ الْمُشْرِكُونَ يَحِبُّونَ أَنْ يَظْهَرَ أَهْلُ فَارَسٍ عَلَى الرُّومِ لِأَنَّهُمْ وَإِيَاهُمْ أَهْلُ الْأَوْثَانِ، وَكَانَ الْمُسْلِمُونَ يَحِبُّونَ أَنْ يَظْهَرَ الرُّومُ عَلَى فَارَسٍ لِأَنَّهُمْ أَهْلُ الْكِتَابِ، فَذَكَرَهُ لِأَبِي بَكْرٍ فَذَكَرَهُ أَبُو بَكْرٍ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: «أَمَّا إِنَّهُمْ سَيَغْلِبُونَ»، فَذَكَرَهُ أَبُو بَكْرٍ لَهُمْ فَقَالُوا: اجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ أَجَلًا فَإِنْ ظَهَرْنَا كَانَ لَنَا كَذَا وَكَذَا، وَإِنْ ظَهَرْتُمْ كَانَ لَكُمْ كَذَا وَكَذَا، فَجَعَلَ أَجَلًا خَمْسَ سِنِينَ فَلَمْ يَظْهَرُوا، فَذَكَرُوا ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «أَلَا جَعَلْتَهُ إِلَى دُونَ»، قَالَ: أَرَاهُ الْعَشْرَ، قَالَ: قَالَ سَعِيدٌ: وَالْبُضْعُ مَا دُونَ الْعَشْرِ، قَالَ: ثُمَّ ظَهَرَتِ الرُّومُ بَعْدَ، قَالَ: فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿اللَّهُ ﴿١﴾ غَلَبَتِ الرُّومَ ﴿٢﴾ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ يَنْتَظِرُونَ ﴿٣﴾ بَعْدَ غَلْبِهِمْ سَخَوَاتٍ ﴿٤﴾ فِي يَضْعِ سِنِينَ ﴿٥﴾ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَعْزِزْ وَيُوَسِّدْ يَقْضِ ﴿٦﴾ الْفُؤَادَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴿٧﴾ وَاللَّهُ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٨﴾»، قَالَ سَفْيَانَ: سَمِعْتُ أَنَّهُمْ ظَهَرُوا عَلَيْهِمْ يَوْمَ بَدَرَ.

رواه أحمد (٢٧٦/١، ٣٠٣)، والترمذي (٢٩٨٥)، والنسائي في الكبرى (٤٢٦/٦) كلاهما في التفسير، والحاكم (٤١٠/٢) وصححه الترمذي والحاكم وقال: على شرط البخاري، ووافقه الذهبي.

فِي الْحَدِيثِ بَيَانٌ لِقِصَّةِ الرُّومِ مَعَ فَارَسٍ وَانْتِصَارِ الثَّانِيَةِ عَلَى الْأَوْلَى وَإِخْبَارِ الْقُرْآنِ بِأَنَّ الرُّومَ سَتَنْتَصِرُ عَلَى فَارَسٍ فِي بَضْعِ سِنِينَ، فَكَانَ الْأَمْرُ كَمَا أَخْبَرَ، فَكَانَ ذَلِكَ مِنْ أَعْظَمِ مُعْجَزَاتِ الْقُرْآنِ الْغَيْبِيَّةِ، وَمَعَ ظُهُورِ ذَلِكَ وَتَحَقُّقِ الْكُفَّارِ بِصِحَّةِ مَا نَطَقَ بِهِ الْقُرْآنُ وَمَا حَدَّثَهُمْ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ تَمَادَوْا فِي طَغْيَانِهِمْ وَضَلَالِهِمْ وَعَتَبُوا ذَلِكَ سِحْرًا وَكُهَانَةً.

والرهان الذي وقع بين الصديق والكفار كان قبل أن يحرمه الله تعالى، وقد قدمنا حكمه في المعاملات.

وفي الحديث دليل على أن أهل الكتاب أقرب إلى المسلمين من الوثنيين والمجوس، وأنه قد يكون بينهما تحابب في انتصارهم على اللادينيين، ولا يعد ذلك من الموالات المنهي عنها.

قوله: - درستی - ولا بنا... هذه الإفادات من كتابنا من مسأله

أبو طالب: وفاته وترجمته وماله

[١٠٠] عن المُسَيَّبِ حَزَنِ بْنِ أَبِي وَهَبٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ قَالَ: لَمَّا حَضَرَتْ أَبَا طَالِبٍ الْوَفَاةَ جَاءَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَوَجَدَ عِنْدَهُ أَبَا جَهْلٍ، وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي أُمَيَّةَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَيُّ عَمٍّ، قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ كَلِمَةً أُحَاجُّ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللَّهِ»، وَفِي رِوَايَةٍ: «كَلِمَةً أَشْهَدُ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللَّهِ»، فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ: يَا أَبَا طَالِبٍ تَزَعَبُ عَن مِلَّةِ عَبْدِ الْمَطْلُبِ، فَلَمْ يَزَلْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَغْرِضُهَا عَلَيْهِ وَيُعَوِّدَانِ لَهُ بِتِلْكَ الْمَقَالَةِ حَتَّى كَانَ آخِرَ مَا قَالَ: هُوَ عَلَى مِلَّةِ عَبْدِ الْمَطْلُبِ، وَأَبِي أَنْ يَقُولَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَاللَّهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أَنُكِرْ مِنْكَ»، فَانزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: «مَا كَانَتْ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أَوْلَىٰ قُرْبَىٰ» الآية، وانزل في أبي طالب: «إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ

وَلِكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ». ١- النبي انتم في البرية ابن عبد المطلب لا الله مع رساله الكفنة السمي ١٠١- النبي مرواه أحمد (٤٣٣/٥)، والبخاري في الجنائز وفي الأيمان والنذور وفي أحكام التفسير (٤١١/٩) وفي المبعث (١٩٤/٩)، ومسلم في الإيمان (٢١٤/١)،

ولرأه (٢١٥، ٢١٦)، والنسائي في الكبرى (٣٥٩/٦)، وفي المحتجب وغيرهم. الحزب... ١٠١ [١٠١] وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: لعمري: «قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ أَشْهَدُ لَكَ بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ»، قَالَ: لَوْلَا أَنْ تُعَيِّرَنِي قُرَيْشٌ يَقُولُونَ إِنَّمَا حَمَلَهُ عَلَىٰ ذَلِكَ الْجَزَعُ لِأَقْرَبْتُ بِهَا عَيْنَكَ، فَانزَلَ اللَّهُ

١١٦ - تغيير ترتيبها... اي انه بعض الإفادات بالبي وعرضها بالكر لانه سلكه ابو طالب

تعالى: «إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ».

مخرواه أحمد (٤٤١/٢)، ومسلم في الإيمان (٢١٦/١)، والترمذي في التفسير (٢٩٨١) بتهذيبي وغيرهم.

[١٠٢] وعن علي عليه السلام أنه أتى النبي ﷺ لما مات أبو طالب، فقال: يا رسول الله إن عمك الشيخ الضال قد مات، قال: «أذهب فواره»، قلت: إنه مات مشركاً، فقال: «أذهب فواره»، فلما واريثه رجعت إلى

النبي ﷺ فقال لي: «اغتسل» مع ان ما سبق انه جلب يد غيره... هذا الخبر سلكه ابنه لا يروى غيره... رواه أحمد (٩٥/١، ١٠٣، ١٣٠، ١٣١)، وأبو داود في الجنائز (٣٢١٤)، والنسائي في الطهارة وفي الجنائز (٦٥/٤) بسند صحيح.

أبو طالب اسمه عبد مناف وكان شقيقاً لعبدالله والد رسول الله ﷺ، ولما حضرت الموت عبد المطلب أوصى به إليه فكفله إلى أن كبر وكان به رحيماً وعليه عطفاً، ولما بعث ﷺ نصره وأزره وحماه من كيد الكفار ودافع عنه وكان يذب عنه ويرد كل من يؤذيه، ويفعل هذا وهو مقيم على دين قومه! وأخباره في نصرته ﷺ والذب عنه معروفة متواترة، ولا ميثه المشهورة تدل على إيمانه بالنبي ﷺ وتصديقه بقلبه ومحبته له ودفاعه عنه وعدم تسليمه ومعاداة من عاداه ومدحه إياه، وهكذا بقي إلى جانبه إلى أن وقع حصارهم في الشعب وبعد خروجهم منه توفي، وذلك آخر السنة العاشرة من المبعث.

وأحاديث الباب مع ظاهر القرآن تدل على أنه مات على غير الإسلام، مقدماً عليه ملة عبد المطلب ولم يقدر له أن ينطق بالشهادة وهي شرط صحة للإيمان، فهو وإن كان معترفاً بقلبه بصحة ما جاء به النبي ﷺ مؤمناً به امتنع من النطق بالشهادة خوفاً من العار الذي يصيبه بعد موته من طرف الكفار.

وهكذا شاء الله عز وجلّ فله شؤون في خلقه، وأكثر الشرائع والأحكام تحار. العقول في حكمها وأسرارها، فلنكسر أمر أبي طالب إلى الله تعالى. وكم كنا نتمنى أن يقر عين ابن أخيه ﷺ بالتلفظ بكلمة الإخلاص في

Handwritten marginal notes on the left side of the page, including phrases like 'هذا الخبر سلكه ابنه لا يروى غيره' and 'هذا الخبر سلكه ابنه لا يروى غيره'.

Handwritten marginal notes on the right side of the page, including phrases like 'هذا الخبر سلكه ابنه لا يروى غيره' and 'هذا الخبر سلكه ابنه لا يروى غيره'.

Handwritten notes at the bottom left of the page, including phrases like 'هذا الخبر سلكه ابنه لا يروى غيره'.

ليكون رفيقه في دار النعيم جزاء ما فعله معه من معروف طوال حياته من الطفولة إلى الكهولة، ومع ذلك فالله عز وجل لا يضيع أجر من أحسن عملاً، فقد نفعت أبا طالب حمايته للنبي ﷺ ونصرته إياه ودفاعه عنه،

فشفع له ﷺ إلى الله فقبل شفاعته فخفف عنه العذاب كما سنذكر. ^٤ *عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: يا رسول الله هل نفعت أبا طالب بشيء، فإنه كان يحوطك ويغضب لك؟ قال: «نعم، هو في ضحضاح من نار، ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار».*

وفي رواية: «نعم وجدته في غمرات من النار، فأخرجته إلى ضحضاح».

رواه البخاري في المبعث (١٩٣/٨) وفي الأدب رقم (٦٢٠٨)، ومسلم في الإيمان (٨٤/٣). ^٥ *عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما ولد رسول الله ﷺ في مكة فوالدها يماضو حراً (أهل مكة) وعنه أبو طالب، فقال: «لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة، فيجعل في ضحضاح من النار يبلغ كعبه يَغلي منه دماغه».*

رواه البخاري في المبعث (١٩٥/٨)، ومسلم في الإيمان (٨٥/٣)، ويأتي في الرقاق بسياقٍ آخر.

[١٠٥] وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «أهون أهل النار عذاباً أبو طالب، وهو منتعل بنعلين يغلي منهما دماغه» ^٦ *هنا أيضاً ذكره ابن جرير في تفسيره مع بيان دماغه والمراد من الذي يغلي منه دماغه*

رواه مسلم (٨٥/٣). ^١ *«الضحضاح» ما رَق من الماء على وجه الأرض. وقوله: «يحوطك» الحيطة هي الصيانة والحفظ والذب.*

وهذه الأحاديث نصّ في أن أبا طالب في النار وأنه سيخفف عنه العذاب بشفاعة رسول الله ﷺ وهو أقل أهل النار عذاباً، ولولا شفاعته رسول الله ﷺ لكان في الدرك الأسفل من النار عياداً بالله تعالى. ^٢

وهذه الأحاديث تردّ على الروافض ومن نحا نحوهم في قولهم بنجاة أبي طالب وأنه مات مؤمناً، حتى إن بعض أهل السنة كتب رسالة في ذلك أسماها «أسنى المطالب في نجاة أبي طالب». ^٧ *ويأتي في بعض النسخ من أهل السنة معناه ذلك ويؤخذ من هذه الأحاديث أن عذاب الكفار متفاوت كأهل الإيمان، غير أن الشفاعة في الكفار لا تقبل، وما حصل لأبي طالب من خصائص النبي ﷺ.*

^٨ *ومن كان أمة الكفار فربما شفاعة رسول الله ﷺ له كما قاله الإمام البخاري في لاصية دارنا في تاريخه في تاريخه في تاريخه*

❁ وفاة خديجة وتزوج الرسول ﷺ بعائشة وسودة

[١٠٦] عن عروة بن الزبير رضي الله تعالى عنهما قال: «تُوَفِّيتْ خديجة - رضي الله تعالى عنها - قبل مَخْرَجِ النبي ﷺ إلى المدينة بثلاث سنين، فلبثت ستينين أو قريباً من ذلك، ونكح عائشة وهي بنت ست سنين، ثم بنى بها وهي بنت تسع سنين».

رواه البخاري في المبعث (٢٢٥/٨).

[١٠٧] وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قال: لما توفيت خديجة قالت خولة بنت حكيم امرأة عثمان بن مظعون: يا رسول الله ألا تزوج؟ قال: «نعم، فما عندك؟» قالت: بَكَرٌ وَثِيْبٌ، البكر بنت أحب خلق الله إليك عائشة، والثيب سودة بنت زَمْعَةَ، فدخلت على أبي بكر فقال: إنما هي ابنة أخيه، قال: «قولي له: أنت أخي في الإسلام، وابنتك تَضِلح لي»، فجاءه فأنكحه ثم دخلت على سودة فقالت لها: أخبري أبي، فذكرت له فزوجه.

رواه أحمد (٢١٠/٦، ٢١١)، والطبراني في الكبير (٢٣/٢٣) مختصراً ومطوّلاً، قال النور في المجمع (٢٢٥/٩): رجاله رجال الصحيح غير محمد بن عمرو بن علقمة وهو حسن الحديث، وكذا حسنه الذهبي والحافظ. ^٩ *دُكِرَ في الحديثين ثلاث نسوة من أمهات المؤمنين الأوائل رضي الله تعالى عنهن:*

خديجة بنت خويلد القرشية الأسدية الطاهرة حبيبة رسول الله ﷺ الأولى تزوجها قبل البعثة بخمسة عشر عاماً، وهي ثيب من رجلين سابقين وعمرها أربعون سنة، وكانت أجمل أهل زمانها وأشرفهم حسباً ونسباً وجاهاً وعاشت تحت عصمة النبي ﷺ ربع قرن، وكانت أول من آمن به، وتبته وهذا الصدد، ولما قالت عائشة للنبي ﷺ: هل كانت إلا عجوزاً قد أبدلك الله خيراً منها؟ فغضب ثم قال: «لا والله ما أبدلني الله خيراً منها آمنت إذ كفر الناس، وصدقتني إذ كذبني الناس، وواستني بما لها إذ حرمني الناس، ورزقني منها الله الولد دون غيرها من النساء».

وهي أم جميع أولاده غير إبراهيم عليهم السلام والرضوان.

كان له ﷺ منها رضي الله تعالى عنها أربع بنات، وذكران:

زينب وهي أكبرهن تزوجها أبو العاص بن الربيع، ورقية وأم كلثوم تزوجهما عثمان رضي الله تعالى عنه تزوج رقية بمكة وهاجرت معه إلى الحبشة وتوفيت أيام بدر ثم تزوج بأم كلثوم، وفاطمة وهي أصغرهن تزوجها الإمام علي، ثم القاسم وبه كان يُكنى، وعبدالله الملقب بالطيب والظاهر والجميع ماتوا في حياة النبي ﷺ ولم يعيش بعده إلا فاطمة ثم لحقته بعد ستة أشهر من وفاته ﷺ.

وتوفيت خديجة رضي الله تعالى عنها في شهر واحد مع أبي طالب بعد خروجهم من الحصار سنة عشر من البعثة، ولها من العمر خمس وستون سنة، وللنبي ﷺ خمسون سنة ودُفنت بالحجون وقبرها معروف بالمعلاة يؤمه الزوار من الحجاج والمعتمرين طوال السنة، وستأتي فضائلها في المناقب.

وفي الشهر الذي توفيت فيه خديجة تزوج سودة بنت زمعة العامرية القرشية، وكانت قد آمنت بالله وبرسوله ﷺ وخالفت أقاربها وهاجرت مع زوجها ابن عمها السكران بن عمرو إلى الحبشة وعقب رجوعه من المهجر توفي فتزوجها الرسول الكريم ﷺ، وهي أول امرأة تزوجها بعد خديجة وبقيت تحته إلى أن توفي فمكثت بعده إلى آخر زمان عمر رضي الله تعالى

عنهما، وتقدم في التفسير وفي النكاح الكلام على إرادة النبي ﷺ تطليقها وما حصل في ذلك، ويأتي مزيد لهذا في المناقب.

وبعد بزواجه بسودة بشهر عقد على مولاتنا عائشة بنت أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنهما وهي لا تتجاوز السابعة من عمرها وبني بها بالمدينة وهي بنت تسع سنين ولم يتزوج بكرراً غيرها وتزوجها بإذن من الله تعالى وكانت أحب نساته إليه بعد خديجة، ولها مناقب كثيرة تأتي في المناقب، وفي سنن الترمذي عن عمرو بن غالب رحمه الله أن رجلاً نال من عائشة عند عمار بن ياسر رضي الله تعالى عنهم فقال^(١): أغزب مقبوحاً، أتؤذي محبوبة رسول الله ﷺ، وأخرجه ابن سعد بنحوه وزاد: إنها لزوجته في الجنة. توفيت سنة ثمان وخمسين للهجرة، وكانت ولادتها بعد المبعث بأربع سنين أو خمس رضي الله تعالى عنها. وقبرها بالبقيع مع سائر نساء النبي ﷺ، غير خديجة وميمونة فإنهما بمكة المكرمة رضي الله تعالى عنهما.

✽ خروج النبي ﷺ إلى الطائف

[١٠٨] عن عائشة رضي الله تعالى عنها زوج النبي ﷺ أنها قالت للنبي ﷺ: هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أُحُد؟ قال: «لقد لقيت من قومك ما لقيت، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة، إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال، فلم يجبني إلى ما أردت فانطلقت وأنا مهموم على وجهي، فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب، فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني فنظرت فإذا فيها جبريل عليه السلام، فناداني فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك، وما ردوا عليك، وقد بعث الله إليك ملك الجبال، لتأمره بما شئت فيهم، فناداني ملك الجبال، فسلم علي ثم قال: يا محمد، فقال: ذلك فيما شئت، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين؟ فقال

(١) يعني عماراً.

النبي ﷺ: بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وخذه لا يشرك به شيئاً».

رواه البخاري ومسلم وغيرهما وتقدم في الإيذاء لرسول الله ﷺ رقم (٦٧) وأحلت الكلام عليه إلى هنا.

كانت خديجة رضي الله تعالى عنها وأبو طالب أعظم حائل بين النبي ﷺ وبين كفار قريش لما كان لهما من المكانة والسيادة والجاه عندهم، فكانوا يحترمونه ﷺ لأجلهما في الجملة، فلما توفياً نالوا منه ﷺ ما لم يكونوا ينالونه في حياتهما، ولذلك جاء عنه ﷺ أنه قال: «ما نالت مني قريش شيئاً أكرهه حتى مات أبو طالب» رواه ابن إسحاق عن عروة مرسلًا بسند صحيح.

فاشتد الأمر عليه من طرف قريش وأصيب بنكبات حتى سمي ذلك العام عام الحزن لشدة ما كابد فيه من الشدائد ووفاة حبيته خديجة وعمه أبي طالب، وهما من هما، ثم تألب قريش وتكالبها عليه ﷺ، فكان العام بحق عام الحزن.

فلما رأى استهانة قريش به وما قابلوه به من شدة الأذى خرج من مكة وتوجه إلى:

[١٠٩] الطائف يرجو منهم نصرته ومساعدته حتى يتم أمر ربه لكنه ~~أجاب سعيه~~، فقد عمد إلى نفر من سادات ثقيف يومه وهم عبد ياليل، ومسعود، وحبيب أولاد عمرو بن عمير الثقفي فعرض عليهم نصرته حتى يؤدّي دعوته فردوا عليه ردًا قبيحاً وأغرّوا به سفهاءهم يرمونه بالحجارة ويطاردونه حتى أذموا عقبه ﷺ وزيد بن حارثة رضي الله تعالى عنه يذراً عنه، إلى أن انتهى إلى شجرة كرم واستظل بها، وكانت بجوار بستان لعنبة وشيبة ابني ربيعة، وهما من أعدائه وكانا في البستان، فلما رأياه رقا له وأرسلا إليه بقطف من العنب مع مولى لهما نصراني اسمه عداس، فلما ابتدأ رسول الله ﷺ يأكل قال: «بسم الله الرحمن الرحيم»، فقال عداس: هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلاد، فقال له عليه الصلاة والسلام: «من أي

البلاد أنت وما دينك؟» فقال: نصراني من نيسوى، فقال عليه الصلاة والسلام: «من قرية الرجل الصالح يونس بن متى»، قال: وما علمك بيونس، فقرأ عليه من القرآن ما فيه قصة يونس، فلما سمع ذلك عداس أشهر إسلامه وأكب على يدي رسول الله ﷺ ورجليه يقبلهما، فقال ابنا ربيعة أحدهما للآخر: أما غلامك فقد أفسده عليك، فلما جاء عداس قالا له: ويحك ما هذا؟ قال: ما في الأرض خير من هذا الرجل.

روى هذه القصة ابن إسحاق كما عند ابن هشام (٦٧/٢، ٦٩) عن محمد بن كعب القرظي مرسلًا بسند صحيح، وعزاه النور في المجمع (٣٥/٦) إلى الطبراني.

[١١٠] وعن عبدالله بن جعفر رضي الله تعالى عنهما قال: لما توفي أبو طالب خرج النبي ﷺ إلى الطائف ماشياً على قدميه، يدعوهم إلى الإسلام فلم يجيبوه، فانصرف فأتى ظل شجرة فصلّى ركعتين، ثم قال: «اللهم إني أشكو إليك ضعف قوتي، وهواني على الناس، أنت أرحم الراحمين، إني من تكلمني إلى عدو يتجهمني أم إلى قريب ملكته أمري، إن لم تكن غضبان علي فلا أبالي، غير أن عافيتك أوسع لي، أعوذ بوجهك الذي أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة، أن ينزل بي غضبك، أو يحل بي سخطك، لك العنتى حتى ترضى ولا قوة إلا بالله».

أورده الهيثمي (٣٥/٦) برجال ثقات، وفيه ابن إسحاق لم يصرح فيه بالسماع... ولا يضر هنا.

وكل ما ذكرناه هو شرح لحديث عائشة رضي الله تعالى عنها الذي يخبر فيه النبي ﷺ بأشد ما لقي من الأذى، فأشد ما لقي ما قابله به أهل الطائف من الثقفين، وفي هذا الحديث عناية كبيرة من الله لنبيه ﷺ حيث سخر له ملك الجبال أن يأمره بما يشاء في أهل مكة الذين بالغوا في إذايته حتى ألقاه إلى الذهاب إلى الطائف على قدميه، وبينها وبين مكة نحو من ستين كيلو أو أكثر، فخيره في أمره بهم بأن يهلكهم بإطباق الجبلين عليهم... فاختار ﷺ تركهم والعفو عنهم عسى الله عز وجل أن يخرج من أصلابهم من يوحد الله ويعبده، فكان الأمر كما رجأ، فقد حقق الله عز

وجلّ مُبتغاه، فكان كثير من أبناء أولئك الصناديد أبطال الإسلام وأنصاره والداعين إليه، بل والفاثحين للأقطار الكُفريّة؛ كخالد بن الوليد، وعكرمة بن أبي جهل، وجُبَيْر بن مطعم، وأبي عُبَيْدَةَ بن الجراح، وعَمْرُو بن العاص... كل هذا حصل بمعاملته الطيبة وعفوه وصفحه عن أولئك الأعداء، فصلّى الله وسلّم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وجزاه الله عتاً وعن الإسلام خيراً.

واتفق أهل السيرة على أن النبي ﷺ لما أراد الرجوع إلى مكة دخل إليها في جوار المطعم بن عدي وبقي مدة ثم ردّ إليه جواره.

[١١١] وهذا مع اتفاق أهل السيرة عليه لم يوجد له سند غير أن حديث جبير بن مطعم الذي رواه البخاري في الخمس (٢/٧) الذي يقول فيه النبي ﷺ في أسارى بدر: «لو كان المُطعمُ بنُ عديّ حياً ثم كلمني في هؤلاء الثّنتي لتركتهم له»، هو يدل على صحة أصل القصة فإنه ﷺ تمتى أن يكون المطعم في غزوة بدر حياً فيكلمه ﷺ في أسارى بدر مستشفعاً فيهم فيتركهم له، وما ذلك إلا لما سبق له من جواره ﷺ، وإلا فإنه كان من جملة أعدائه. والله تعالى أعلم.

✽ خروج الصديق مهاجراً إلى الحبشة ورجوعه في جوار ابن الدغنة

[١١٢] عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: لم أعقل أبويّ قطّ إلا وهما يدينان الدين، ولم يمرّ علينا يوم إلا يأتينا فيه رسول الله ﷺ طرفي النهار بكرةً وعشيّةً، فلما ابتلي المسلمون خرج أبو بكر مهاجراً نحو أرض الحبشة حتى بلغ برك الغماد، لقيه ابن الدغنة وهو سيّد القارة، فقال: أين تريد يا أبا بكر؟ فقال أبو بكر: أخرجني قومي فأريد أن أسيح في الأرض وأعبد ربّي، قال ابن الدغنة: فإنّ مثلك يا أبا بكر لا يُخرَجُ ولا يُخرَجُ، إنك تُكسِبُ المعدوم، وتصلُ الرّحم، وتحمِلُ الكلّ، وتقرّي الضيف، وتعين

على نواب الحق، فأنا لك جاز، ارجع واعبد ربك ببلدك، فرجع وارتحل معه ابن الدغنة، فطاف ابن الدغنة عشيةً في أشرف قريش فقال لهم: إن أبا بكر لا يخرج مثله ولا يُخرَجُ، أتخرجون رجلاً يُكسب المعدوم، ويصل الرحم، ويحمل الكلّ، ويقري الضيف، ويُعين على نواب الحق، فلم تُكذّب قريش بجوار ابن الدغنة وقالوا لابن الدغنة: مُر أبا بكر فليعبد ربّه في داره فليصل فيها وليقرأ ما شاء، ولا يؤذينا بذلك ولا يستعلن به، فإننا نخشى أن يفتن نساءنا وأبناءنا، فقال ذلك ابن الدغنة لأبي بكر، فلبث أبو بكر بذلك يعبد ربّه في داره ولا يستعلن بصلاته ولا يقرأ في غير داره، ثم بدا لأبي بكر فابتنى مسجداً بفناء داره وكان يصلي فيه ويقرأ القرآن فيتقدّف عليه نساء المشركين وأبناؤهم، وهم يعجبون منه وينظرون إليه، وكان أبو بكر رجلاً بكاءً لا يملك عينيه إذا قرأ القرآن، وأفرغ ذلك أشرف قريش من المشركين، فأرسلوا إلى ابن الدغنة فقدم عليهم، فقالوا: إنا كنا أجرنا أبا بكر بجوارك على أن يعبد ربّه في داره، فقد جاوز ذلك فابتنى مسجداً بفناء داره فأعلن بالصلاة والقراءة فيه، وإننا قد خشينا أن يفتن نساءنا وأبناءنا، فأنهه، فإن أحبّ أن يقتصر على أن يعبد ربّه في داره فعل، وإن أبي إلا أن يعلن بذلك فسله أن يرد إليك ذمتك، فإننا قد كرهنا أن نُخفرك، ولسنا بمقرّين لأبي بكر الاستعلان، قالت عائشة: فأتى ابن الدغنة إلى أبي بكر، فقال: قد علمت الذي عاقدت لك عليه، فإما أن تقتصر على ذلك وإما أن ترجع إليّ ذمتي، فإنني لا أحبّ أن تسمع العرب أنني أخفرت في رجل عقدت له، فقال أبو بكر: فإنني أردّ إليك جوارك، وأرضى بجوار الله عزّ وجلّ، والنبي ﷺ يومئذ بمكة.

رواه أحمد (٣٤٦/٦)، والبخاري في المبعث (٢٣١/٨، ٢٣٤)، وابن سعد في الطبقات والبيهقي في الدلائل (٤٧١/٢، ٤٧٢).

قوله: «برك الغماد» هو بفتح الباء وسكون الراء، والغماد بكسر الغين وفتح الميم المخففة موضع من خمس ليال من مكة إلى جهة اليمن. قوله: أنا لك جار، أي مُجير وحام. وقوله: نُخفرك بضم النون أي نغدر بك. وفي هذا الحديث أمور، ففيه فضل الصديق رضي الله تعالى عنه وأنه كان

متّصفاً بمكارم الأخلاق التي كان معروفاً ومشهوراً بها، وفيه قوّة إيمانه وتوكّله على الله تعالى حيث ردّ جوار ابن الدغنة اعتماداً على الله تعالى، وفيه أن إرادته الهجرة إلى الحبشة كانت بسبب تكالب الكفار عليه وإذابتهم إياه الإذابة الشديدة، وفيه دليل على أن النساء والصبيان أقرب إلى قبول الحقّ وأنهم يتأثرون سريعاً بالمواعظ والرفائق، ولذلك خشى الكفار على نسائهم وأطفالهم من تأثرهم بقراءة الصديق وبكائه ودخولهم في الإسلام، وفيه غير ذلك.



الإسراء والمعراج

[١١٣] عن أنس بن مالك عن مالك بن صغصعة رضي الله تعالى عنهما أن نبي الله ﷺ حدّثهم عن ليلة أسري به، قال: «بينما أنا في الحطيم وربما قال في الحجر مضطجعاً إذ أتاني آتٍ فقد، قال: وسمعتة يقول: فشق ما بين هذه إلى هذه»، فقلت للجارود وهو إلى جنبي: ما يعني به؟ قال: من ثغرة نخره إلى شِعْرَتِهِ، وسمعتة يقول من قَصَه إلى شعرتة، «فاستخرج قلبي، ثم أُتيتُ بطَسْتٍ من ذهب مملوءة إيماناً فغسل قلبي، ثم حُشي ثم أعيد ثم أُتيتُ بدابة دون البغل وفوق الحمار أبيض»، فقال له الجارود: هو البراق يا أبا حمزة، قال أنس: نعم يضع خطوه عند أقصى طرفه، «فحملتُ عليه فانطلق بي جبريل عليه السلام حتى السماء الدنيا فاستفتح، فقيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد أُزِيلَ إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحباً به فَنِعْمَ المَجِيءُ جاء، ففُتِحَ فلما خَلَصْتُ فإذا فيها آدم - عليه السلام - فقال: هذا أبوك آدم فسلم عليه، فسلمتُ عليه فردّ السلام، ثم قال: مرحباً بالابن الصالح والنبي الصالح، ثم صعد حتى أتى السماء الثانية فاستفتح، قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد أُزِيلَ إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحباً به فَنِعْمَ المَجِيءُ جاء ففُتِحَ، فلما خَلَصْتُ إذا يحيى وعيسى - عليهما السلام - وهما ابنا الخالة؟ قال: هذا يحيى وعيسى فسلم عليهما، فسلمت فردّا، ثم قال: مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح، ثم صعد بي إلى السماء الثالثة فاستفتح، قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد

أُزِيلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ، فَفُتِحَ فَلَمَّا خَلَصَتْ إِذَا يُوسُفُ، قَالَ: هَذَا يُوسُفُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ فَسَلِّمْتُ عَلَيْهِ فَرَدَّ، ثُمَّ قَالَ: مَرْحَبًا بِالْأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، ثُمَّ صَعِدَ بِي حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الرَّابِعَةَ فَاسْتَفْتَحَ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جَبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: أَوْ قَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ، فَفُتِحَ فَلَمَّا خَلَصَتْ فَإِذَا إِدْرِيسُ قَالَ: هَذَا إِدْرِيسُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَسَلِّمْتُ عَلَيْهِ فَرَدَّ، ثُمَّ قَالَ: مَرْحَبًا بِالْأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، ثُمَّ صَعِدَ بِي حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الْخَامِسَةَ فَاسْتَفْتَحَ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جَبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: مَرْحَبًا بِهِ فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ، فَلَمَّا خَلَصَتْ فَإِذَا هَارُونَ، قَالَ: هَذَا هَارُونَ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَسَلِّمْتُ عَلَيْهِ فَرَدَّ ثُمَّ قَالَ: مَرْحَبًا بِالْأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، ثُمَّ صَعِدَ بِي حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ السَّادِسَةَ فَاسْتَفْتَحَ قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جَبْرِيلُ، قِيلَ: مَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: مَرْحَبًا بِهِ فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ، فَلَمَّا خَلَصَتْ فَإِذَا مُوسَى قَالَ: هَذَا مُوسَى فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَسَلِّمْتُ عَلَيْهِ فَرَدَّ، ثُمَّ قَالَ: مَرْحَبًا بِالْأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، فَلَمَّا تَجَاوَزْتُ بَكِي، قِيلَ لَهُ: مَا يُبْكِيكَ؟ قَالَ: أَبْكِي لِأَنَّ غُلَامًا بَعَثَ بَعْدِي يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِهِ أَكْثَرَ مِنْ يَدْخُلُهَا مِنْ أُمَّتِي، ثُمَّ صَعِدَ بِي إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جَبْرِيلُ قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جَبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: مَرْحَبًا بِهِ فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ، فَلَمَّا خَلَصَتْ فَإِذَا إِبْرَاهِيمَ، قَالَ: هَذَا أَبُوكَ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، قَالَ: فَسَلِّمْتُ عَلَيْهِ فَرَدَّ السَّلَامَ، قَالَ: مَرْحَبًا بِالابْنِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ ثُمَّ رُفِعْتُ لِي سِدْرَةٌ الْمُنتَهَى، فَإِذَا نَبْقُهَا مِثْلُ قِلَالِ هَجْرٍ، وَإِذَا رَوْقُهَا مِثْلُ آذَانِ الْفَيْلَةِ، قَالَ: هَذِهِ سِدْرَةُ الْمُنتَهَى، وَإِذَا أَرْبَعَةُ أَنْهَارٍ، نَهْرَانِ بَاطِنَانِ، وَنَهْرَانِ ظَاهِرَانِ، فَقُلْتُ: مَا هَذَانِ يَا جَبْرِيلُ؟ قَالَ: أَمَّا الْبَاطِنَانِ فَنَهْرَانِ فِي الْجَنَّةِ وَأَمَّا الظَّاهِرَانِ فَالنَّيْلُ وَالْفِرَاتُ^(١)، ثُمَّ رَفَعَ لِي الْبَيْتَ الْمَعْمُورَ، ثُمَّ أُتِيْتُ بِإِنَاءٍ مِنْ خَمْرٍ وَإِنَاءٍ مِنْ

(١) يَأْتِي الْكَلَامُ عَلَى أَنْهَارِ الْجَنَّةِ فِي الرَّقَاقِ.

لَبَنٍ، وَإِنَاءٍ مِنْ عَسَلٍ، فَأَخَذْتُ اللَّبْنَ، فَقَالَ: هِيَ الْفِطْرَةُ أَنْتَ عَلَيْهَا وَأَمْتِكَ ثُمَّ فَرَضْتُ عَلَيَّ الصَّلَوَاتِ خَمْسِينَ صَلَاةً كُلَّ يَوْمٍ، فَرَجَعْتُ فَمَرَرْتُ عَلَى مُوسَى فَقَالَ: بِمِ أَمَرْتُ؟ قَالَ: أَمَرْتُ بِخَمْسِينَ صَلَاةً كُلَّ يَوْمٍ، قَالَ: أَمْتِكَ لَا تَسْتَطِيعُ خَمْسِينَ صَلَاةً كُلَّ يَوْمٍ، وَإِنِّي وَاللَّهِ قَدْ جَرَّبْتُ النَّاسَ قَبْلَكَ وَعَالَجْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَشَدَّ الْمَعَالِجَةِ، فَازْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ لِأَمْتِكَ، فَرَجَعْتُ فَوَضَعَ عَنِي عَشْرًا فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَقَالَ مِثْلَهُ، فَرَجَعْتُ فَوَضَعَ عَنِي عَشْرًا فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَقَالَ مِثْلَهُ، فَرَجَعْتُ فَوَضَعَ عَنِي عَشْرًا فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَقَالَ مِثْلَهُ، فَرَجَعْتُ فَأَمَرْتُ بِعَشْرِ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ فَرَجَعْتُ فَقَالَ مِثْلَهُ، فَرَجَعْتُ فَأَمَرْتُ بِخَمْسِ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى، فَقَالَ: بِمِ أَمَرْتُ؟ قُلْتُ: أَمَرْتُ بِخَمْسِ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ، قَالَ: إِنْ أَمْتِكَ لَا تَسْتَطِيعُ خَمْسَ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ وَإِنِّي قَدْ جَرَّبْتُ النَّاسَ قَبْلَكَ وَعَالَجْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَشَدَّ الْمَعَالِجَةِ فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ لِأَمْتِكَ، قَالَ: سَأَلْتُ رَبِّي حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ وَلَكِنْ أَرْضَى وَأَسَلِّمْ، قَالَ: فَلَمَّا جَاوَزْتُ نَادَى مُنَادٌ: أَمْضِيْتُ فَرِيضَتِي، وَخَفَّفْتُ عَنْ عِبَادِي».

رواه البخاري في بدء الخلق وفي أحاديث الأنبياء وفي المبعث (٣٨٨٧) ج (١٩٦/٨، ٢١٦)، ومسلم في الإيمان رقم (١٦٤) ح (٢/٢٢٣، ٢٢٥).

حادث الإسراء جاء مطولاً ومختصراً عن جماعة من الصحابة من طرق كثيرة متواترة.

وقد ذكرت جملة منها في سورتي الإسراء والنجم من التفسير، فارجع إليه.

وخلاصتها: أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان في الحجر فأتاه ملكان فشققا صدره ثم أخرجا منه حظَّ الشيطان ثم غسلاه بماء زمزم وملاهُ حكمة وإيماناً ثم أتى بالبراق فركبه ثم أسرى به إلى بيت المقدس صحبة جبريل ومز على موسى وهو قائم يصلِّي في قبره، ولما وصل إلى بيت المقدس ربط البراق بالصخرة ثم صلى ركعتين ثم صعد به جبريل عليه السلام إلى السموات فجعل كلما وصلا إلى سماء استفتح فيسأل من؟ فيقول: جبريل، فيقال: من

معك، فيقول: محمد، فيقال: أأرسل إليه؟ فيقول: نعم، فوجد في كل سماء نبياً فيسلم عليه فيرد عليه ويرحب به، فوجدا في السماء الأولى آدم عليه السلام وعن يمينه أسودة، وعن يساره مثلها، فإذا نظر إلى جهة يمينه ضحك وإذا نظر إلى جهة يساره بكى، فقيل له: إن الأسودة التي عن يمينه المؤمنون أهل الجنة من بنيه، والأسودة التي عن يساره الكفار أهل النار من بنيه، ووجدا في السماء الثانية ابني الخالة عيسى ويحيى، وفي الثالثة يوسف، وقد أعطي شطر الحسن، وفي الرابعة إدريس ثم قرأ: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾، وفي الخامسة هرون، وفي السادسة موسى، وفي السابعة إبراهيم صلوات الله وسلامه عليهم جميعاً، ولما رفع إلى البيت المعمور فإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ثم لا يعودون، ورأى جبريل وذهب به إلى سدرة المنتهى وهي شجرة قد غشيها من أمر الله ما غشي، فما يستطيع أحد أن ينعتها من حسننها وإذا ثمارها مثل قلة من قلال هجر في الكبر، وإلى هذه الشجرة ينتهي علم المخلوقات ورأى النار، فرأى فيها أقواماً يأكلون الجيف فقيل له: إنهم الذين يأكلون لحوم الناس، ورأى فيها عاقر الناقة كما رأى خطباء أمتة تقرض شفاههم بمقاريض من نار، ومز على قوم بطونهم كالبيوت فيها الحيات ترى من خارج بطونهم فأخبره جبريل بأنهم أكلة الربا ورأى شبه فرن يشتعل ناراً فيه نساء ورجال عرايا وعراة، فقيل له: هؤلاء الزناة والزواني، ورأى في الجنة قصراً وحوراء تتوضأ عنده فقيل له: إن ذلك لعمر بن الخطاب وسمع خشخشة فقيل له: إنه بلال بن رباح، ومزت به رائحة طيبة فقيل له: إنها ماشطة بنت فرعون التي أحرقتها وأولادها فرعون، ورأى جبريل على صورته التي خلقه الله عليها عند سدرة المنتهى له ستمائة جناح عليه، وشاهد من آيات الله الكبرى وأوحى الله تعالى إليه ما أوحى وما كذب الفؤاد ما رأى، وعندما نزل وجد الأنبياء بالمسجد الأقصى فحانت الصلاة فأتمهم ثم أصبح بمكة المكرمة فاشتد عليه الأمر وعرف أن الناس سيكذبونه ففعد معتزلاً حزيناً، فمز به أبو جهل فقال له مستهزئاً به: هل كان من شيء؟ قال: «نعم، إني أسري بي الليلة إلى بيت المقدس»، قال: ثم أصبحت بين ظهرائينا، قال: «نعم»، فنادى: يا معشر بني كعب بن

لؤي فجاءوا، فقال أبو جهل: حدث قومك بما حدثتني، فقال رسول الله ﷺ: «إني أسري بي الليلة إلى بيت المقدس»، فكانوا ما بين مصفّق، وما بين واضح يده عن رأسه متعجباً.

فأرادوا أن يعجزوه فسألوه عن صفة المسجد الأقصى وفيهم من سافر إليه فجلاه الله تعالى له بين يديه وجعل يصفه لهم فصدّقوه في النعت، ولكنهم تمادوا في كفرهم وضلالهم. هذا خلاصة ما وقع في الإسراء والمعراج. وكلامنا عليه هنا باختصار من وجوه:

أما أولاً، فإن هذا الحادث من أبهر المعجزات وأعظم الأحداث التاريخية في الإسلام، وهو من الآيات الظاهرة المتواترة التي وصلت إلينا من طريق القرآن الكريم والسنة المتواترة التي رواها الجَم الغفير والعدد الكثير من الصحابة رضي الله تعالى عنهم.

ثانياً: اختلفوا في تاريخ وقوعه والجمهور على أنه كان في رجب، وجزم النووي بأنه كان قبل الهجرة بسنة، وادعى ابن حزم فيه الإجماع، والأصح أنه حصل بجسمه وروحه ﷺ يقظة مرة واحدة والأدلة على ذلك كثيرة.

ثالثاً: اختلف السلف والخلف هل رأى نبينا ﷺ ليلة الإسراء ربه بعينه، فكانت عائشة وابن مسعود وغيرهم من الصحابة رضي الله تعالى عنهم وجمهور المحدثين والمتكلمين وغيرهم يذهبون إلى عدم ذلك، وذهب آخرون إلى وقوعها، ومن هؤلاء ابن عباس وأبو ذرّ وكعب والحسن البصري وأبو هريرة في رواية عنه رضي الله تعالى عنهم، وهو قول الإمام أحمد وأبو الحسن الأشعري. قال النووي في شرح مسلم: الراجح عند أكثر العلماء أن رسول الله ﷺ رأى ربه بعينه رأسه ليلة الإسراء... قال: هذا مما لا ينبغي أن يتشكك فيه... وهذا الخلاف إنما هو في وقوعها. أما جوازها فمتفق عليه بين أهل السنة؛ لأن كل ما هو موجود يمكن أن يرى. ولذا اتفقوا وأجمعوا على رؤيته تعالى يوم القيامة...

رابعاً: فرضية الصلاة ليلة الإسراء فوق السموات يدل على عظمتها في الإسلام، وأنها لا مثيل لها في الشرائع والأحكام ولا يعرف لفريضة من فرائض الإسلام غيرها أنها فرضت على النبي ﷺ في السماء، فالصلاة لها أهمية ليست لغيرها من فروع الشريعة، وقد تقدم الكلام عليها في كتاب الصلاة فارجع إلى ذلك.

خامساً: جاءت هذه المعجزة العجيبة الغريبة إثر تلك الشدائد التي أصيب بها نبينا ﷺ والنكبات التي حلت به من طرف أعدائه الألداء من كفار قريش وأهل الطائف، فأكرمه الله عز وجل بإسراته إلى بيت المقدس وعروجه إلى العالم العلوي ليجتمع بإخوانه الأنبياء ويرى سكان السموات ويشاهد عجائب الملكوت ويطلع على الجنة والنار وأصحابهما ويطلع الله عز وجل على آياته الكبرى ويوحى إليه ما يوحى، فكان ذلك تقوية لجأشه وتسلية له وتثبيتاً وتخفيفاً لما نزل به ﷺ.

✽ عرض رسول الله ﷺ نفسه على القبائل العربية في الأسواق ومواسم الحج ووفود الأنصار عليه ﷺ

[١١٤] عن رجل من بني مالك بن كنانة قال: رأيت رسول الله ﷺ بسوق ذي المجاز يتخللها يقول: «يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا»، قال: وأبو جهل يخثي عليه التراب ويقول: لا يغويئكم هذا عن دينكم، وإنما يريد لئتركوآ آلهتكم، وتركوآ اللات والعزى، وما يلتفت إليه رسول الله ﷺ، قلت: انعت لنا رسول الله ﷺ، قال: بين بُرْدَيْنِ أَحْمَرَيْنِ، مَرْبُوعٌ، كَثِيرُ اللَّحْمِ، حَسَنُ الْوَجْهِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ، أبيض، شديدُ البياض، سابغُ الشعر.

رواه أحمد (٦٣/٤)، قال الهيثمي في المجمع (٢٢/٦) رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح.

[١١٥] وعن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما قال: كان رسول الله ﷺ يَغْرِضُ نَفْسَهُ عَلَى النَّاسِ بِالْمَوْقِفِ، فيقول: «هل من رجل يَحْمِلُنِي إِلَى قَوْمِهِ؟ فَإِنْ قَرِشاً مَنْعُونِي أَنْ أُبْلَغَ كَلَامَ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ»، فأتاه رجلٌ من همدان، فقال: «مِمَّنْ أَنْتَ؟» فقال الرجل: من همدان، فقال: «هل عند قومك من مَنَعَةٍ؟» قال: نعم، ثم إن الرجل خشي أن يُخْفِرَهُ قَوْمُهُ فأتى رسول الله ﷺ فقال: آتيتهم أخبرهم، ثم أتيتك من قابل، قال: «نعم»، فانطلق وجاء وفد الأنصار في رجب. وفي رواية: مكث رسول الله ﷺ بمكة عشر سنين يتبع الناس في منازلهم بعكاظ، وميعة، وفي المواسم بيئى، يقول: «مَنْ يُؤْوِينِي، مَنْ يَنْصُرُنِي حَتَّى أُبْلَغَ رِسَالَةَ رَبِّي وَوَلَةَ الْجَنَّةِ»، حتى إن الرجل لَيُخْرِجُ مِنَ الْيَمَنِ أَوْ مِنْ مُضَرَ فَيَأْتِيهِ قَوْمُهُ فيقولون: اخذر غلام قريش لا يفيتك، ويمشي بين رجالهم وهم يُشيرون إليه بالأصابع حتى بعثنا الله إليه من يثرب، فأوتناه وصدقناه، فيخرج الرجل فيؤمن به ويقرئه القرآن، فينقلب إلى أهله فيسلمون بإسلامه، حتى لم يبق دارٌ من دور الأنصار إلا وفيها رهطٌ من المسلمين يُظهرون الإسلام، ثم اتتمروا جميعاً، فقلنا: حتى متى نترك رسول الله ﷺ يطرد في جبال مكة ويخاف، فرحل إليه مائة سبعون رجلاً حتى قدموا عليه في الموسم، فواعذناه شغب العقبة، فاجتمعنا عليه من رجل ورجلين، حتى توافينا، فقلنا: يا رسول الله ﷺ نبايعك، قال: «تبايعوني على السمع والطاعة، في النشاط والكسل، والتفقة في العسر واليسر، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن تقولوا في الله لا تخافون في الله لومة لائم، وعلى أن تنصروني فتمنعوني إذا قدمت عليكم مما تمنعون منه أنفسكم، وأزواجكم، وأبناءكم، ولكم الجنة»، قال: فقمنا إليه فبايعناه وأخذ بيده أسعد بن زرارة وهو من أصغرهم فقال: زويداً يا أهل يثرب، فإننا لم نضرب أكباد الإبل إلا ونحن نعلم أنه رسول الله ﷺ وأن إخراجَه اليوم مفارقة العرب كافةً وقتل خياركم، وأن تعضكم السيوف فإما أنتم قوم تصبؤون على ذلك وأجزكم على الله، وإما أنتم قوم تخافون من أنفسكم جبيناً، فبيئوا ذلك، فهو عذر لكم عند الله، قالوا: أمط عنا يا أسعد، فوالله لا ندع هذه البيعة أبداً، ولا

نُسَلِبُهَا أبدأ، قال: فقمنا إليه فبايعناه، فأخذ علينا وشرط، ويعطينا على ذلك الجئة.

رواه أحمد (٣/٣٢٢، ٣٢٣، ٣٣٩، ٣٩٠)، وأبو داود (٤٧٣٤) في السنة، والترمذي آخر فضائل القرآن (٢٧٣٢) بتهذيبي، وابن ماجه في المقدمة (٢٠١)، والدارمي وابن حبان (١٦٨٦) بالموارد، والحاكم (١١٣/٢) بعضهم مطولاً كأحمد وابن حبان، وبعضهم مختصراً وسنده صحيح عند أحمد وغيره على شرط مسلم، وعند الترمذي وغيره على شرط البخاري.

في الحديثين بيان ما كان يلاقيه رسول الله ﷺ من سفهاء الكفار في سبيل الدعوة إلى الله تعالى، وخاصة من أبي جهل كما في الحديث الأول وكما تقدم عن أبي لهب وعقبة بن أبي معيط وغيرهم، كما فيهما إخبار عن عَزْضِهِ ﷺ نَفْسَهُ على القبائل في أيام الحج بعرفات ومنى... وفي أسواق العرب المشهورة كعكاظ ومجنة وذو المجاز، فكان يحضرها ويدعو الناس إلى الله تعالى ويقول لهم: «هل فيكم من يأخذني إلى قومه فيحمني ويؤمنوا بي وينصروني، فإن قومي قريشاً حالوا بيني وبين تبليغي كلام الله عز وجل».

وفي حديث جابر رضي الله تعالى عنه بيان ما فعله الأنصار بالنبي ﷺ من الإيمان به ومبايعته ونصرته وإيوائه إليهم، أما ما قاله من رحلة سبعين منهم إليه... إلخ، كان هذا في بيعة العقبة الثانية وسنذكرها فيما بعد.

✽ قدوم الأنصار لأول مرة يلقون فيها رسول الله ﷺ وذكر بيعة العقبة الأولى

[١١٧] عن محمود بن لبيد أخي بني عبد الأشهل رضي الله تعالى عنه قال: لما قدم أبو الحيسر أنس بن رافع مكة ومعه فتية من بني

عبد الأشهل، منهم إياس بن معاذ يلتمسون الحلف من قريش على قومهم من الخزرج، سمع بهم رسول الله ﷺ فأتاهم فجلس إليهم، فقال: «هل لكم إلى خير مما جئتم إليه؟» قالوا: وما ذلك؟ قال: «أنا رسول الله بعثني إلى العباد أدعُوهم إلى أن يَعبُدوا الله ولا يشركوا به شيئاً، وأنزل عليّ كتاباً»، ثم ذكر الإسلام وتلا عليهم القرآن قال: فقال إياس بن معاذ - وكان غلاماً حدثاً -: أي قومي هذا والله خير مما جئتم إليه، قال: فأخذ أبو الحيسر أنس بن رافع حُفنة من البطحاء فضرب بها وجه إياس بن معاذ، وقام رسول الله ﷺ وانصرفوا إلى المدينة، فكانت وقعة بُعاث بين الأوس والخزرج، قال: ثم لم يلبث إياس بن معاذ أن هلك، قال محمود بن لبيد: فأخبرني من حضره من قومي أنهم لم يزالوا يسمعون بهللاً لله ويكبره ويحمده ويسبحه حتى مات، فما كانوا يشكون أنه قد مات مسلماً، لقد كان استشعر الإسلام في ذلك المجلس حين سمع من رسول الله ﷺ ما سمع.

رواه أحمد (٥/٤٢٧)، وابن إسحاق كما عند ابن هشام (٢/٧٦)، والبيهقي في الدلائل (٢/٤٢٠، ٤٢١) وهو من صحيح حديث ابن إسحاق إذ صرَّح بالتحديث، وأورده النور في المجمع (٦/٣٦) برواية أحمد والطبراني وقال: رجاله ثقات وسنده حسن.

هذا الحديث يدل على أن اجتماع النبي ﷺ بأولئك نفر الأشهلين كان أول لقاء مع الأنصار وقد دعاهم إلى الإسلام فلم يجيبوه لذلك إلا إياس بن معاذ، فإن كلامه معهم وحالته بعده يدلان على إسلامه، وبعد هؤلاء كانت بيعة العقبة الأولى كما يأتي.

وقوله: وكانت وقعة بُعاث... إلخ، كانت الحرب دائمة طاحنة بين الأوس والخزرج، وكانت آخر وقعة بينهما؛ وقعة بُعاث وكان قد قُتِلَ فيها كثير من ساداتهم.

[١١٧] كما قالت سيّدتنا عائشة رضي الله تعالى عنها: كان يوم بُعاث يوماً قدّمه الله لرسوله ﷺ، فقَدِمَ رسولُ الله ﷺ وقد افترق ملاهم وقُتِلت

نُسَلِبُهَا أَبَدًا، قال: فقمنا إليه فبايعناه، فأخذ علينا وشرط، ويعطينا على ذلك الجنة.

رواه أحمد (٣/٣٢٢، ٣٢٣، ٣٣٩، ٣٩٠)، وأبو داود (٤٧٣٤) في السنة، والترمذي آخر فضائل القرآن (٢٧٣٢) بتهذيبي، وابن ماجه في المقدمة (٢٠١)، والدارمي وابن حبان (١٦٨٦) بالموارد، والحاكم (١١٣/٢) بعضهم مطولاً كأحمد وابن حبان، وبعضهم مختصراً وسنده صحيح عند أحمد وغيره على شرط مسلم، وعند الترمذي وغيره على شرط البخاري.

في الحديثين بيان ما كان يلاقه رسول الله ﷺ من سفهاء الكفار في سبيل الدعوة إلى الله تعالى، وخاصة من أبي جهل كما في الحديث الأول وكما تقدم عن أبي لهب وعقبة بن أبي معيط وغيرهم، كما فيهما إخبار عن عَزْزِهِ ﷺ نَفْسَهُ على القبائل في أيام الحج بعرفات ومنى... وفي أسواق العرب المشهورة كعكاظ ومجنة وذو المجاز، فكان يحضرها ويدعو الناس إلى الله تعالى ويقول لهم: «هل فيكم من يأخذني إلى قومه فيحمني ويؤمنوا بي وينصروني، فإن قومي قريشاً حالوا بيني وبين تبليغي كلام الله عز وجل».

وفي حديث جابر رضي الله تعالى عنه بيان ما فعله الأنصار بالنبي ﷺ من الإيمان به ومبايعته ونصرته وإيوائه إليهم، أما ما قاله من رحلة سبعين منهم إليه... إلخ، كان هذا في بيعة العقبة الثانية وسنذكرها فيما بعد.

✽ قدوم الأنصار لأول مرة يلقون فيها رسول الله ﷺ وذكر بيعة العقبة الأولى

[١١٦] عن محمود بن لبيد أخي بني عبد الأشهل رضي الله تعالى عنه قال: لما قدم أبو الحَيَسْرِ أنس بن رافع مكة ومعه فتية من بني

عبد الأشهل، منهم إياس بن معاذ يلتمسون الحلف من قريش على قومهم من الخزرج، سمع بهم رسول الله ﷺ فأتاهم فجلس إليهم، فقال: «هل لكم إلى خير مما جئتم إليه؟» قالوا: وما ذلك؟ قال: «أنا رسول الله بعثني إلى العباد أدعُوهم إلى أن يَعبُدوا الله ولا يشركوا به شيئاً، وأنزل عليّ كتاباً»، ثم ذكر الإسلام وتلا عليهم القرآن قال: فقال إياس بن معاذ - وكان غلاماً حدثاً -: أي قومي هذا والله خَيْرٌ مما جئتم إليه، قال: فأخذ أبو الحيسر أنس بن رافع حُفنة من البطحاء فضرب بها وجه إياس بن معاذ، وقام رسول الله ﷺ وانصرفوا إلى المدينة، فكانت وقعة بُعَاثِ بين الأوس والخزرج، قال: ثم لم يلبث إياس بن معاذ أن هلك، قال محمود بن لبيد: فأخبرني من حضره من قومي أنهم لم يزالوا يسمعونه يهتَلل الله ويكَبِّره ويحمده ويسبِّحه حتى مات، فما كانوا يشكُون أنه قد مات مسلماً، لقد كان استشعر الإسلام في ذلك المجلس حين سمع من رسول الله ﷺ ما سمع.

رواه أحمد (٥/٤٢٧)، وابن إسحاق كما عند ابن هشام (٢/٧٦)، والبيهقي في الدلائل (٢/٤٢٠، ٤٢١) وهو من صحيح حديث ابن إسحاق إذ صرَّح بالتحديث، وأورده النور في المجمع (٦/٣٦) برواية أحمد والطبراني وقال: رجاله ثقات وسنده حسن.

هذا الحديث يدل على أن اجتماع النبي ﷺ بأولئك نفر الأشهلين كان أول لقاء مع الأنصار وقد دعاهم إلى الإسلام فلم يجيبوه لذلك إلا إياس بن معاذ، فإن كلامه معهم وحالته بعده يدلان على إسلامه، وبعد هؤلاء كانت بيعة العقبة الأولى كما يأتي.

وقوله: وكانت وقعة بُعَاثِ... إلخ، كانت الحرب دائمة طاحنة بين الأوس والخزرج، وكانت آخر وقعة بينهما؛ وقعة بُعَاثِ وكان قد قُتِلَ فيها كثير من ساداتهم.

[١١٧] كما قالت سيِّدتنا عائشة رضي الله تعالى عنها: كان يوم بُعَاثِ يوماً قدَّمه الله لرسوله ﷺ، فقَدِمَ رسولُ الله ﷺ وقد افتَرَقَ ملاهم وقُتِلت

سَرَوَاتِهِمْ وَجُرْحُوا فَقَدَّمَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لِرَسُولِهِ ﷺ فِي دُخُولِهِمْ فِي
الإسلام.

رواه البخاري في أول مناقب الأنصار (٣٧٧٧) (ج ١١١/٨).

سرواتهم: جمع سراة أي شرفاؤهم وخيارهم. وبُعَاثٌ؛ مكان عند بني
قريظة على ميلين من المدينة.

❁ بدء إسلام الأنصار رضي الله تعالى عنهم

قال ابن إسحاق رحمه الله تعالى: فلما أراد الله عزَّ وجلَّ إظهار دينه،
وإعزاز نبيِّه ﷺ وإِنجَازَ مَوْعِدِهِ لَهُ، خرج رسول الله ﷺ في الموسم الذي
لقيه فيه النفر من الأنصار، فعرض نفسه على قبائل العرب كما كان يصنع
في كل موسم، فبينما هو عند العقبة لقي رهطاً من الخزرج أراد الله تعالى
بهم خيراً.

[١١٨] قال ابن إسحاق: فحدَّثني عاصم بن عمر بن قتادة عن أشياخ
من قومه قالوا: لَمَّا لَقِيَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَالَ لَهُمْ: «مَنْ أَنْتُمْ؟» قَالُوا: نَقَرٌ
مِنَ الْخَزْرَجِ، قَالَ: «أَمِنَ مَوَالِي الْيَهُودِ؟» قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: «أَفَلَا تَجْلِسُونَ
أَكَلْمَكُمْ؟» قَالُوا: بَلَى، فَجَلَسُوا مَعَهُ، فَدَعَاهُمْ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَعَرَضَ
عَلَيْهِمُ الْإِسْلَامَ وَتَلَا عَلَيْهِمُ الْقُرْآنَ، قَالَ: وَكَانَ مِمَّا صَنَعَ اللهُ بِهِمْ فِي الْإِسْلَامِ
أَنْ يَهُوداً كَانُوا مَعَهُمْ فِي بِلَادِهِمْ وَكَانُوا أَهْلَ كِتَابٍ وَعِلْمٍ، وَكَانُوا هُمْ أَهْلُ
شِرْكَ وَأَصْحَابِ أَوْثَانٍ، وَكَانُوا قَدْ عَزَّوهُمْ بِبِلَادِهِمْ، فَكَانُوا إِذَا كَانَ بَيْنَهُمْ
شَيْءٌ، قَالُوا لَهُمْ: إِنْ نَبِيًّا مَبْعُوثٌ الْآنَ قَدْ أَظَلَّ زَمَانَهُ نَتَّبِعُهُ فَتَقْتُلُوكُمْ مَعَهُ قَتْلَ
عَادٍ وَإِزْمَ، فَلَمَّا كَلَّمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَوْلَئِكَ النَّفْرَ وَدَعَاهُمْ إِلَى اللهِ، قَالَ
بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: يَا قَوْمَ تَعْلَمُونَ وَاللهُ إِنَّهُ لِلنَّبِيِّ الَّذِي تُوَعَّدُكُمْ بِهِ يَهُودَ، فَلَا
تَسْبِقُنَّكُمْ إِلَيْهِ، فَأَجَابُوهُ فِيمَا دَعَاهُمْ إِلَيْهِ، بِأَنْ صَدَّقُوهُ وَقَبِلُوا مِنْهُ مَا عَرَضَ
عَلَيْهِمْ مِنَ الْإِسْلَامِ، وَقَالُوا: إِنَّا قَدْ تَرَكْنَا قَوْمَنَا وَلَا قَوْمَ بَيْنَهُمْ مِنَ الْعَدَاوَةِ

والشر ما بينهم، فعسى أن يجمعهم الله بك، فسنقدم عليهم فندعوهم إلى
أمرك، ونعرض عليهم الذي أجبتك إليه من هذا الدين، فإن يجمعهم الله
عليه فلا رجل أعزُّ منك، ثم انصرفوا عن رسول الله ﷺ راجعين إلى
بلادهم وقد آمنوا وصدقوا.

رواه ابن إسحاق كما عند ابن هشام (٧٧/٢)، وابن سعد في الطبقات
(٢١٧/١، ٢١٨)، والبيهقي في (٤٣٣/٢، ٤٣٥) وسنده حسن، وانظر
المجمع (٤٠/٦، ٤٢).

قوله: «وكانوا قد عزَّوهم» أي: غلبوهم.

كان هؤلاء النفر من الخزرج أول من أسلم من أهل المدينة بعد
إياس بن معاذ الأوسي المتقدم، وكان عدد هؤلاء الرهط الذين أسلموا ستَّة،
وهم أسعد بن زُرارة، وعوف بن الحارث، ورافع بن مالك، وقطبة بن
عامر، وعقبة بن عامر، وجابر بن عبدالله كما عند ابن هشام.

❁ بيعة العقبة الأولى

[١١٩] عن عبادة بن الصامت رضي الله تعالى عنه قال: لما كان العام
المقبل من العام الذي لقي فيه رسول الله ﷺ النفر الستَّة لقيه اثنا عشر
رجلاً بعد ذلك بعام، وهي العقبة الأولى... فأسلموا وبايعوا على بيعة
النساء على أن لا يشرك بالله شيئاً، ولا نسرق، ولا ننزني، ولا نقتل
أولادنا، ولا نأتي بيهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا، ولا نعصيه في معروف،
قال: «فإن وفيتم فلکم الجنة، ومن غشي من ذلك شيئاً كان أمره إلى الله إن
شاء عذبه وإن شاء عفا عنه»، ولم يُفرض يومئذ القتال ثم انصرفوا إلى
المدينة، فأظهر الله الإسلام.

وفي رواية قال: كنت فيمن حضر العقبة الأولى وكنا اثني عشر
رجلاً... إلخ.

وفي رواية: إني من النقباء الذين بايعوا رسول الله ﷺ... إلخ.

رواه ابن سعد (٣١٩/١، ٢٢٠)، وأحمد (٣٢٣/٥)، والبخاري في وفود الأنصار (٢٢٢/٨، ٢٢٣)، ومسلم في الحدود رقم (١٧٠٩)، وابن هشام عن ابن إسحاق (٨١/٢) بألفاظ.

هذه هي مبايعة العقبة الأولى وكان المبايعون اثني عشر رجلاً عشرة من الخزرج واثنان من الأوس، وهم: أسعد بن زرارة، وعوف ومعاذ ابنا الحارث، ورافع بن مالك، وذكوان بن قيس، وعبادة بن الصامت، ويزيد بن ثعلبة، والعباس بن عباد، وعقبة بن عامر، وقطبة بن عامر من الأوس وأبو الهيثم بن التيهان، وعويم بن ساعدة.

وقوله: على بيعة النساء، أي على ما بايع عليه النساء فيما بعد بالمدينة؛ كما قال تعالى: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰ أَنْ لَا يَشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا﴾ الآية، وقد تقدم شرح الحديث في الجزء الأول من كتاب الإيمان.

وقوله: من النقباء الذين بايعوا رسول الله ﷺ، سيأتي الكلام على النقباء لاحقاً.

✽ إرسال الرسول ﷺ مُضْعَبَ بن عُمَيْرٍ إلى المدينة وانتشار الإسلام فيها بسببه

[١٢٠] عن البراء بن عازب رضي الله تعالى عنه قال: أول من قدم علينا مصعب بن عمير وابن أم مكتوم، وكانا يقرئان الناس... ويأتي كاملاً.

رواه البخاري في الهجرة النبوية (٢٦٢/٨).

[١٢١] وقال ابن إسحاق: فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة أن رسول الله ﷺ إنما بعث مُضْعَباً حين كتبوا إليه أن يبعث إليهم وكان يصلي بهم، وذلك أن الأوس والخزرج كره بعضهم أن يؤتمه بعض. رضي الله تعالى عنهم، وفي رواية: بعث رسول الله ﷺ مصعب بن عمير مع النفر

الإثني عشر الذين بايعوه في العقبة الأولى إلى المدينة يفقه أهلها ويقرئهم القرآن.

رواه ابن سَعْدِ (٢٢٠/١)، وابن إسحاق كما عند ابن هشام (٨٢/٢)، والبيهقي في الدلائل (٤٣٨/٢) وهو حسن لطرقة.

بَعَثَ مُضْعَبَ إلى المدينة داعياً ومقرئاً ومعلماً عقب البيعة الأولى وقبل هجرة رسول الله ﷺ وأصحابه مُتَّفَقٌ عليه بين أهل السيرة، وقد رأيت أن قدومه لذلك جاء في صحيح البخاري عن البراء، ويأتي مطوَّلاً.

[١٢٢] قال ابن إسحاق: حدثني عبيدالله بن المغيرة بن مُعَيْقِبِ، وعبدالله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم: أن أسعد بن زرارة خرج بمُصْعَبِ بن عُمَيْرٍ يريدُ به دارَ بني عبدِ الأشْهَلِ، ودارَ بني طُفْرٍ، وكان سعدُ بنُ معاذِ بنِ النعمانِ ابنِ خالةِ أسعدِ بنِ زرارةِ فدخل به حائطاً من حوائطِ بني ظفرِ يقال لها: بئر مَرَقٍ، فجلسا في الحائط، واجتمع إليهما رجال ممن أسلم، وسعدُ بن معاذِ وأُسَيْدُ بن حُضَيْرٍ يومئذ سيدا قومهما من بني عبد الأشهل^(١)، وكلاهما مشرك على دين قومه، فلما سمعا به قال سعد بن معاذ لأُسَيْدِ بنِ حُضَيْرٍ: لا أبا لك، انطلق إلى هذين الرجلين اللذين قد أتيا دارينا لِيُسْفَهَ ضَعْفَاءَنَا، فازْجُرْهُمَا وانهُمَا عن أن يأتيا دارينا، فإنه لولا أن أسعد بن زرارة مني حيث قد علمت كَفَيْتُكَ ذلك، هو ابن خالتي ولا أجد عليه مقدماً، قال: فأخذ أُسَيْدُ بن حُضَيْرٍ حَزْبَتَهُ ثم أقبل إليهما، فلما رآه أسعد بن زرارة قال لمصعب بن عُمَيْرٍ: هذا سيد قومك قد جاءك فاصدق الله تعالى فيه، قال مصعب: إن يَجْلِسَ أَكَلْمُهُ، قال: فوقف عليهما مُتَشَتِّماً، فقال: ما جاء بكما إلينا تُسْفَهَانِ ضَعْفَاءَنَا؟ اغتزلانا إن كانت لكما بأنفسكما حاجة، فقال له مصعب: أو تجلس فتسمع، فإن رضيت أمراً قَبِلْتَهُ، وإن كرهته كُفْتُ عنك ما تكره، قال: أَنْصَفْتُ، ثم رَكَزَ حربته وجلس إليهما، فكلمه مصعب بالإسلام، وقرأ عليه القرآن فقالا فيما يذكر عنهما: والله لعرفنا في وجهه الإسلام قبل أن يتكلم في إشراقِهِ وتَسْهُلِهِ، ثم قال: ما أحسنَ هذا الكلام وأجمله كيف تَصْنَعُونَ

(١) من الأوس.

إذا أردتم أن تدخلوا في هذا الدين؟ قالوا له: تغتسل فتطهر وتطهر ثوبك، ثم تشهد شهادة الحق، ثم تصلي، قال لهما: إن ورائي رجلاً إن أتبعكما لم يتخلف عنه أحد من قومه، وسأزيله إليكما الآن سعد بن معاذ، ثم أخذ حربته وانصرف إلى سعد وقومه وهم جلوس في ناديهم، فلما نظر إليه سعد بن معاذ مقبلاً، قال: أحلف بالله لقد جاءكم أسيدٌ بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم، فلما وقف على النادي قال له سعد: ما فعلت؟ قال: كلمت الرجلين، فوالله ما رأيت بهما بأساً وقد نهيتهما فقلنا نعمل ما أحببت، وقد حدثت أن بني حارثة قد خرجوا إلى أسعد بن زرارة ليقتلوه، وذلك أنهم قد عرفوا أنه ابن خالتك ليخفروك، قال: فقام سعد مغضباً مبادراً، تحوفاً للذي ذكر له من بني حارثة، فأخذ الحربة من يده، ثم قال: والله ما أراك أغنيت شيئاً، ثم خرج إليهما فلما رأهما سعد مطمئنين، عرف سعداً أن أسيداً إنما أراد أن يسمع منهما، فوقف عليهما متشتماً ثم قال لأسعد بن زرارة: يا أبا أمامة أما والله لولا ما بيني وبينك من القرابة ما رمت هذا مني أتغشانا في دارنا بما نكره، وقد قال أسعد بن زرارة لمصعب بن عمير: أي مصعب جاءك والله سيد من وراءه من قومه، إن يتبعك لا يتخلف عنك منهم اثنان. قال: فقال له مصعب: أو تقعد فتسمع، فإن رضيت أمراً ورغبت فيه قبلته، وإن كرهته عزلنا منك ما تكره. قال سعد: أنصفت، ثم ركز الحربة وجلس فعرض عليه الإسلام وقرأ عليه القرآن، قالوا: فعرفنا والله في وجهه الإسلام قبل أن يتكلم لإشراقة وتسهله، ثم قال لهما: كيف تصنعون إذا أنتم أسلمتم ودخلتم في هذا الدين؟ قالوا: تغتسل فتطهر وطهر ثوبك وتشهد شهادة الحق، ثم تصلي ركعتين، قال: فقام فاغتسل وطهر ثوبه وتشهد شهادة الحق ثم ركع ركعتين ثم أخذ حربته فأقبل عامداً إلى نادي قومه ومعه أسيد بن حضير قال: فلما رآه قومه مقبلاً قالوا: نحلف بالله لقد رجع إليكم سعد بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم، فلما وقف عليهم قال: يا بني عبد الأشهل كيف تعلمون أمري فيكم؟ قالوا: سيدنا وأوصلنا وأفضلنا رأياً وأيمنا نقيبة، قال: فإن كلام رجالكم ونسائكم علي حرام حتى تؤمنوا بالله ورسوله، قالوا: فوالله ما أمسى في دار بني عبد الأشهل رجل ولا امرأة إلا مسلماً ومسلمة، ورجع أسعد ومنصعب إلى منزل أسعد بن زرارة، فأقام عنده

يدعو الناس إلى الإسلام، حتى لم يتبق دار من دور الأنصار إلا وفيها رجال ونساء مسلمون...

رواه ابن إسحاق كما عند ابن هشام (٨٣/٢) من طريقين مرسلين والحديث حسن قوي لوروده من طريق آخر مرسل أيضاً عن عروة بن الزبير، رواه الطبراني كما عند النور في المجمع (٤٠/٦، ٤١) ولا يضر وجود ابن لهيعة هنا.

وهكذا انتشر الإسلام بالمدينة ببركة دعوة مصعب بن عمير وعم جميع دورها، وخاصة عندما أسلم سعد بن معاذ وأسيد بن حضير سيدا بني عبد الأشهل من الأوس، وقد كانت السابقة للخزرج فلهم الفضل في الأسبقية للإسلام وإدخاله المدينة وأكثرهم كان من أهل العقبة الأولى. وهؤلاء الأصحاب والأنصار الأول وغيرهم ستأتي تراجمهم في المناقب إن شاء الله تعالى.



❁ بيعة العقبة الثانية

قال ابن إسحاق: ثم إن مصعب بن عمير رجع إلى مكة وخرج من خرج من الأنصار من المسلمين إلى الموسم مع حجاج قومهم من أهل الشرك حتى قدموا مكة، فواعدوا رسول الله ﷺ بالعقبة من أوسط أيام التشريق حين أراد الله تعالى من كرامته، والنصر لنبيه، وإعزاز الإسلام وأهله، وإذلال الشرك وأهله.

ثم أسند عن كعب بن مالك وكان ممن شهد العقبة وباع رسول الله ﷺ قال: خرجنا في حجاج قومنا من المشركين وقد صلينا وفقهنا، معنا البراء بن مغرور كبيرنا وسيدنا، فلما قدمنا مكة خرجنا نسال عن رسول الله ﷺ وكنا لا نعرفه ولم نره قبل ذلك، فلقينا رجلاً من أهل مكة فسألناه عن رسول الله ﷺ فقال: هل تعرفانه؟ فقلنا: لا، قال: فهل تعرفان العباس بن عبد المطلب عمه؟ قال: قلنا: نعم، وقد كنا نعرف

العباس كان لا يزال يُقَدَّم علينا تاجراً، قال: فإذا دخلتما المسجد فهو الرجل الجالس مع العباس، قال: فدخلنا المسجد فإذا العباس جالس ورسول الله ﷺ جالس معه، فسلمنا ثم جلسنا إليه، فقال رسول الله ﷺ للعباس: «هل تعرف هذين الرجلين يا أبا الفضل؟» قال: نعم، هذا البراء بن معرور سيد قومه، وهذا كعب بن مالك، قال: فوالله ما أتسى قول رسول الله ﷺ: «الشاعر؟» قال: نعم، قال: وخرجنا إلى الحج، وواعدنا رسول الله ﷺ بالعقبة من أوساط أيام التشريق، قال: فلما فرغنا من الحج، وكانت الليلة التي واعدنا رسول الله ﷺ لها ومعنا عبدالله بن عمرو بن حرام أبو جابر سيد من ساداتنا، وشريف من أشرافنا أخذناه معنا وكنا نكتم من معنا من قومنا من المشركين أمرنا فكلّمناه وقلنا له: يا أبا جابر إنك سيد من ساداتنا وشريف من أشرافنا وإنما نرغب بك عما أنت فيه أن تكون خطيباً للنار غداً، ثم دعواناه إلى الإسلام وأخبرناه بميعاد رسول الله ﷺ إيانا العقبة، قال: فأسلم وشهد معنا العقبة وكان نقيباً، قال: فتمنا تلك الليلة مع قومنا في رحالنا حتى إذا مضى ثلث الليل خرجنا من رحالنا لميعاد رسول الله ﷺ نَسَلُّ نَسَلُ القَطَا مستخفين، حتى إذا اجتمعنا في الشَّعب عند العقبة، ونحن ثلاثة وسبعون رجلاً، ومعنا امرأتان من نساتنا: نُسيبة بنت كعب أم عمارة؛ إحدى نساء بني مازن بن النجار، وأسماء بنت عمرو بن عدي بن نابي؛ إحدى نساء بني سَلِمة وهي أم منيع.

قال: فاجتمعنا في الشعب ننتظر رسول الله ﷺ حتى جاءنا ومعه عمه العباس بن عبد المطلب وهو يومئذ على دين قومه إلا أنه أحب أن يخضُر أمر ابن أخيه ويتوثق له، فلما جلس كان أول متكلم العباس بن عبد المطلب فقال: يا معشر الخزرج، وكانت العرب إنما يسمون هذا الحي من الأنصار الخزرج خَزْرَجِها وأوسها. إن محمداً متاً حيث قد علمتم وقد مَنَعناه من قومنا ممن هو على مثل رأينا فيه، فهو في عز من قومه ومَنَعَةٍ في بَلَدِهِ، وإنه قد أبى إلا الانحياز إليكم وللحق بكم، فإن كنتم ترون أنكم وأفون له بما دَعَوْتُموه إليه وما ينعوه ممن خالفه فأنتم وما تَحَمَّلْتُم من ذلك، وإن كنتم ترون أنكم مُسَلَّموه وخاذلوه بعد الخروج به إليكم فمن الآن فدعوه، فإنه في

عز ومنعة من قومه وبلده. قال: فقلنا له: قد سمعنا ما قلت، فتكلم يا رسول الله، فخذ لنفسك ولربك ما أحببت. قال: فتكلم رسول الله ﷺ فتلا القرآن ودعا إلى الله عز وجل ورغب في الإسلام، ثم قال: «أبايعكم على أن تَمَنَعُونِي مِمَّا تَمَنَعُونَ مِنْهُ نِسَاءَكُمْ وَأَبْنَاءَكُمْ»، قال: فأخذ البراء بن معرور بيده، ثم قال: نعم والذي بعثك بالحق نبياً لَتَمَنَعَنَّكَ مما تمنع منه أزرنا، فبايعنا يا رسول الله ﷺ، فنحن والله أبناء الحروب وأهل الحَلَقَة ورثناها كإبراً عن كإبر. قال: فاعترض للقول والبراء يكلم رسول الله ﷺ أبو الهيثم بن التيهان، فقال: يا رسول الله إن بيننا وبين الرجال جبلاً وإنما قاطعوها - يعني اليهود - فهل عسيب إن نحن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله أن ترجع إلى قومك وتدعنا؟ قال: فتبسم رسول الله ﷺ ثم قال: «الدّم الدّم والهذم الهذم، أنا منكم وأنتم مني، أحارب من حاربتم، وأسالم من سالمتم».

وقال رسول الله ﷺ: «أخرجوا لي اثني عشر نقيباً منكم يكونون على قومهم»، فأخرجوا منهم اثني عشر نقيباً منهم تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس.

وفي رواية قال: كان أول من ضرب على يد رسول الله ﷺ البراء بن معرور، ثم بايع بعد القوم، فلما بايعنا رسول الله ﷺ صرّخ الشيطان، من رأس العقبة بأنفذه صوت سمعته قط: يا أهل الحجاب - المنازل - هل لكم في مُدَّمم والصبأة معه قد اجتمعوا على حربكم، فقال رسول الله ﷺ: «هذا إزب العقبة، هذا ابن أزيب، أسمع أي عدو الله أما والله لأفرغن لك»، ثم قال رسول الله ﷺ: «ارفضوا إلى رجالكم»، قال: فقال له العباس بن عباد بن نضلة: والله الذي بعثك بالحق إن شئت لتَمِيلَنَّ على أهل منى غداً بأسيافتنا، قال: فقال رسول الله ﷺ: «لم نؤمر بذلك، ولكن ارجعوا إلى رجالكم»، قال: فرجعنا إلى مضاجعنا فبنا عليها حتى أصبحنا. قال: فلما أصبحنا عدت علينا جلة قريش جاءونا في منازلنا، فقالوا: يا معشر الخزرج إنه قد بلغنا أنكم قد جئتم إلى صاحبنا هذا تستخرجونه من بين أظهرنا، وتبايعونه على حربنا، وإنا والله ما من حي من أحياء العرب

أبغض إلينا أن تنشب الحرب بيننا وبينهم منكم. قال: فانبعث من هناك من مشركي قومنا يحلفون بالله ما كان من هذا شيء وما علمنا، قال: وقد صدقوا لم يعلموه، قال: وبعضنا ينظر إلى بعض...

رواه أحمد (٤٦٠/٣، ٤٦٢)، وابن إسحاق كما عند ابن هشام (٨٦/٢، ٨٧، ٨٨)، والحاكم (٦٢٤/٢، ٦٢٥)، والبيهقي في الدلائل (٤٤٥/٥، ٤٤٩) وفي السنن (٩/٩) وصححه الحاكم على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي، فقال: صحيح وعزاه النور لأحمد والطبراني (٤٢/٦، ٤٥) قال: ورجال أحمد رجال الصحيح غير ابن إسحاق وقد صرح بالتحديث.

قوله: «العقبة» كانت عند الجمرة الكبرى عقبة كؤود، ووقعت هذه البيعة قريباً منها ولا يزال أثر موضعها للساعة.

وقوله: «الهدم» أي: دمي دمكم، وهدمي أي: نقضي للعهد هدمكم. وقوله: «النقباء» جمع نقيب وهو الذي يتعرف على شؤون القوم، وهو العريف. وقوله: بالشعب بكسر الشين وسكون العين يُطلق على انفراج بين الجبلين أو الطريق في الجبل.

وفي هذا الحديث تفصيل ما وقع للأنصار من بيع العقبة الثانية وأنهم خرجوا حاجين وتواعدوا مع رسول الله ﷺ للاجتماع عند العقبة، فتسللوا ليلاً رجلاً ورجلين... حتى تم عددهم ثلاثة وسبعين رجلاً وامرأتين، وكان أكثرهم من الخزرج إذ لم يكن من الأوس إلا أحد عشر رجلاً، فبايعوا النبي ﷺ على السمع والطاعة في المنشط والكسل وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن يقولوا لله لا يخافون لومة لائم، وعلى أن ينصروه ويمنعوه إذا قدم عليهم مما يمنعون منه أنفسهم وأزواجهم وأبنائهم، فمن فعل ذلك منهم كانت له الجنة وقد تقدم هذا في حديث جابر رقم (١١٥)، وقد تجلّى في هذا الحديث فضل الأنصار وإخلاصهم لله ولرسوله ﷺ وأخذهم العهد على أن ينصروا رسول الله ﷺ ويمنعوه من كل ما يمنعون منه نفوسهم وذويهم من أهل وولد... وقد وفوا بذلك فأووه

إليهم ونصروه وقدموا أرواحهم ومهجهم بين يديه ﷺ وستأتي مواقفهم في غزواته ﷺ وحروبه كما ستأتي فضائلهم في المناقب.

[١٢٣] وعن جابر رضي الله تعالى عنه قال: حملني خالي جد بن قيس والسبعين راكباً الذين وفدوا على رسول الله ﷺ من قبل الأنصار ليلة العقبة، فخرج علينا رسول الله ﷺ ومعه عمه العباس بن عبدالمطلب، فقال: «يا عمّ خذ على أخوالك»، فقال له السبعون: يا محمد سلّ لربك ولنفسك ما شئت، فقال: «أما الذي أسألكم لرتبي، فتعبده ولا تشركوا به شيئاً، وأما الذي أسألكم لنفسي فتمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم»، قالوا: فما لنا إذا فعلنا ذلك؟ قال: «الجنة».

قال النور في المجمع (٤٨/٦، ٤٩): رواه الطبراني في الثلاثة ورجاله ثقات، وأوله في صحيح البخاري (٢٢١/٨) قبل هجرة النبي ﷺ.

[١٢٤] وعنه قال: لما لقي النبي ﷺ النقباء من الأنصار قال لهم: «تؤويني وتمنعوني»، قالوا: فما لنا؟ قال: «الجنة».

رواه أحمد ((٣٢٢/٣، ٣٣٩، ٣٤٠)، وأبو يعلى (١٨٨٧)، والبخاري (١٧٥٥)، قال النور (٤٨/٦): ورجال أبي يعلى رجال الصحيح.

جابر كان ممن حضر هذه البيعة وهو صغير أما أبوه فقد قدم مكة كافراً، ولكنه أسلم وحضر البيعة مع قومه وجعله النبي ﷺ نقيباً على قومه.

والنقباء الذين كلّفهم النبي ﷺ بشؤون قومهم هم الآتون:

أبو الهيثم بن التيهان، أسعد بن زرارة، أسيد بن حُصَير، البراء بن معرور، رافع بن مالك، سعد بن أبي خيثمة، سعد بن الربيع، سعد بن عباد، عبدالله بن رواحة، عبدالله بن عمرو بن حرام، عباد بن الصامت، المنذر بن عمرو، رضي الله تعالى عنهم.

* الهجرة إلى المدينة: رؤيا
الرسول ﷺ دار هجرته في منامه

[١٢٥] عن أبي موسى رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «رأيت في المنام أني أهاجر من مكة إلى أرض بها نخل، فذهب وهلي إلى أنها اليمامة أو هَجْر، فإذا هي المدينة يَثْرِبُ».

رواه البخاري في باب هجرة النبي ﷺ (٢٢٧/٨)، ومسلم في الرؤيا (٣١/١٥).

قوله: «وهلي» بفتح الهاء أي: وهمي واعتقادي. اليمامة بلدة مسيلمة الكذاب، وهجر كانت عاصمة البحرين.

[١٢٦] وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «قد رأيت دار هجرتكم، أريت سبخة ذات نخل، بين لابتين وهما حرتان» فخرج من كان مهاجراً قبل المدينة حين ذكر رسول الله ﷺ ذلك، ورجع إلى المدينة بعض من كان هاجر إلى أرض الحبشة من المسلمين.

رواه البخاري في الكفالة (٣٨٢/٥) ضمن حديث الهجرة، وأحمد (١٩٨/٦)، والحاكم (٣/٢، ٤) بسند صحيح وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

أرض سبخة بكسر الباء وسكونها أي ملحة، والحرتان تشبة حرة هي حجارة سود.

تأثر كفار قريش بما بلغهم عن الخزرج من مبايعة النبي ﷺ عندما صرخ بذلك الشيطان، وعلموا بعد أن ذلك حق فضيقوا الخناق على رسول الله ﷺ وعلى أصحابه رضي الله تعالى عنهم واشتد عليهم الأمر، فجعل النبي ﷺ يفكر في الهجرة إلى حيث تُسمع دعوته ويُؤيد ويُنصر، فرأى في منامه أولاً: أنه سيهاجر إلى أرض بها نخل ولم تتبين له أي أرض، فذهب وهمه إلى اليمامة وهَجْر وهما من الأراضي التي يكثر فيها النخل، لكنه رأى مرة ثانية دار الهجرة؛ رآها أرضاً سبخة ذات حرتين فعرف أنها المدينة

التي كانت تسمى في الجاهلية يثرب، فعند ذلك أمر أصحابه بالهجرة إليها.

* أول من هاجر إلى المدينة من الصحابة

[١٢٧] عن البراء بن عازب رضي الله تعالى عنه قال: أول من قدم علينا من أصحاب النبي ﷺ مُضْعَبُ بْنُ عَمِيرٍ، وابنُ أُمِّ مَكْتُومٍ، فجعلنا يُقرئنا القرآن، ثم جاء عمار، وبلال، وسعد، ثم جاء عمر^(١) بن الخطاب في عشرين، ثم جاء النبي ﷺ فما رأيت أهل المدينة فرحوا بشيء فرحهم به، حتى رأيت الولائد والصبيان يقولون: هذا رسول الله ﷺ قد جاء.

رواه البخاري في هجرة النبي ﷺ وأصحابه (٢٦٢/٨، ٢٦٣)، وابن أبي شيبه (٣٤٤/٧)، وأحمد (٢٨٤/٤)، والطيالسي رقم (٢٣٣٤)، وابن سعد (٢٣٤/١)، والحاكم (٦٣٤/٣).

الحديث يدل على أن هؤلاء الخمسة والعشرين هم أول من هاجر، فمصعب وابن أم مكتوم قدما عقب البيعة الأولى كما تقدم. أما الآخرون، فهاجروا بعد البيعة الثانية، وسعد المذكور هو ابن أبي وقاص، وممن قيل بأنه أول من هاجر أبو سلمة زوج أم سلمة، ثم قدم بعده عامر بن ربيعة ومعه امرأته ليلى بنت أبي حنمة وهي أول ظعينة قدمت المدينة رضي الله تعالى عنهم جميعاً، ذكره ابن سعد في الطبقات (٢٢٦/١).

* ما أصاب أبا سلمة وزوجته من البلاء

[١٢٨] عن أم سلمة رضي الله تعالى عنها زوج النبي ﷺ قالت: لما أجمع أبو سلمة الخروج إلى المدينة رحل لي بغيره ثم حملني عليه، وحمل

(١) ذكر أهل السيرة أنه لما أراد الهجرة مرّ على مجلس قريش فقال لهم: ها أنا ذا سأهاجر فمن أراد أن يُتيم امرأته، أو يُتيم أولاده فليتبعني فما تبعه أحد.

معي ابني سلمة بن أبي سلمة في حجري ثم خرج يقود بي بعيره، فلما رأته رجال بني المغيرة بن مخزوم قاموا إليه، فقالوا: هذه نفسك غلبتنا عليها، أرايت صاحبك هذه؟ علام تترك سير بها في البلاد؟ قالت: فنزعوا خطام البعير من يده فأخذوني منه، قالت: وغضب عند ذلك بنو عبد الأسد رهط أبي سلمة، فقالوا: لا والله لا نترك ابننا عندها إذ نزعتموها من صاحبنا، قالت: فتجاذبوا ابني سلمة بينهم حتى خلعوا يده، وانطلق به بنو عبد الأسد، وحبسني بنو المغيرة عندهم، وانطلق زوجي أبو سلمة إلى المدينة، قالت: ففرق بيني وبين زوجي وبين ابني، قالت: فكنت أخرج كل غداة فأجلس بالأبطح فما أزال أبكي حتى أمسي سنة أو قريباً منها حتى مرّ بي رجل من بني عمي أحد بني المغيرة، فرأى ما بي فرحمي، فقال لبني المغيرة: ألا تخرجون هذه المسكينة فرقتم بينها وبين زوجها وبين ولدها، قالت: فقالوا لي: الحقي بزوجك إن شئت، قالت: وردّ بنو عبد الأسد إليّ عند ذلك ابني، قالت: فارتحلت بعيري ثم أخذت ابني فوضعتة في حجري ثم خرجت أريد زوجي بالمدينة، قالت: وما معي أحد من خلق الله، قالت: فقلت: أتبلغ بمن لقيت حتى أقدم على زوجي، حتى إذا كنت بالتنعيم لقيت عثمان بن طلحة بن أبي طلحة أخا بني عبد الدار، فقال لي: إلى أين يا بنت أبي أمية؟ قالت: فقلت: أريد زوجي في المدينة، قال: أو ما معك أحد؟ قالت: لا والله، إلا الله وبنّي هذا. قال: والله ما لك من مترك، فأخذ بخطام البعير فانطلق معي يهوي بي، فوالله ما صحبت رجلاً من العرب قط أرى أنه كان أكرم منه، كان إذا بلغ المنزل أناخ بي، ثم استأخر عني حتى إذا نزلت استأخر بعيري فحطّ عنه، ثم قيده في الشجرة، ثم تنحى عني إلى شجرة فاضطجع تحتها، فإذا دنا الرواح قام إلى بعيره فقدمه فرحله ثم استأخر عني، وقال: اركبي، فإذا ركبت واستويت على بعيري أتى فأخذ بخطامه فقادته حتى ينزل بي يصنع ذلك بي حتى أقدمني المدينة، فلما نظر إلى قرية بني عمرو بن عوف بقباء قال: زوجك في هذه القرية، وكان أبو سلمة نازلاً، فاذخليها على بركة الله، ثم انصرف راجعاً إلى مكة، قال: فكانت تقول: والله ما أعلم أهل بيت في الإسلام أصابهم

ما أصاب آل أبي سلمة، وما رأيت صاحباً قط كان أكرم من عثمان ! طلحة.

رواه ابن إسحاق كما عند ابن هشام (١١٠/٢) وسنده صحيح وابن إسحاق صرح بالتحديث. لقد استوفقتني هذه القصة النادرة الغريبة لما فيها من العبرة والعجب، وذلك لأمرين اثنين:

أولاً: شدة ما أصيب به أبو سلمة وزوجته أم سلمة من البلاء حيث فرق الكفار بينهما، فتركوا أبا سلمة أن يهاجر وحده مسلوباً من زوجته وابنه وهذا بلاء عظيم، لا يكاد يطاق، وأشدّ منه حبسهم أم سلمة المسكينة وحيلولتهم بينها وبين الذهاب مع زوجها وتلك فتنة ومحنة لها تُضاف إليها مصيبة أخرى لا تقلّ عن سابقتها تلك هي قطع يد ولدها سلمة وغيابه عنها عند بني عمّه، فهذه محن وبلايا لا يتحملها إلا من شملته عناية الله كأبي سلمة وزوجته الطاهرة التي كاد عقلها أن يعزب عنها لما نزل بها، ولولا أنها كانت تفرج عما أصيبت به بكثرة بكائها المستمر بالأبطح لذهب عقلها فرضي الله تعالى عنها وعن زوجها.

ثانياً: كرم عثمان بن طلحة رضي الله تعالى عنه وعفته وأخلاقه الطيبة ومعاملته الجميلة مع أم سلمة والحالة هذه وهو كافر، والشيء الذي يتعجب منه هو مرافقته لهذه السيدة مدة من عشر مراحل وكانت من أجمل نساء عصرها وفي مستقبل شبابها، ولم تحدثه نفسه بمراودتها عن نفسها وقضاء شهوته منها، وقد باتا معاً في الفيافي والقفار عشر ليال، فهذا شيء عظيم إن دلّ على شيء فإنما يدلّ على عفته وكريم أخلاقه ووفائه، فمثل هذا لا يصدر إلا من أكابر الرجال أهل الدين والتقوى، وقد أكرم الله عزّ وجلّ هذا الرجل العظيم بالإسلام فيما بعد، وختم الله تعالى عليه حياته بالشهادة فرضي الله تعالى عنه وجزاه خير الجزاء على ما فعل مع تلك السيدة أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها.

(١١) قال درويش لعله كتب إيماناً من ابوظاب والعباس ..

✽ هجرة الرسول ﷺ إلى المدينة المنورة

[١٢٩] عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: كان رسول الله ﷺ بمكة فأمر بالهجرة وأنزل عليه: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَدِّبْنِي مَدْحَلْ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مَخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا﴾ (٨١).

رواه أحمد (٢٢٣/١)، والترمذي (٢٩٣٧) بتهذيبه، وابن جرير (١٤٨/١٥) وحسنه الترمذي وصححه، وقابوس بن أبي ظبيان حجة عند الترمذي صحح وحسن له غير ما حديث.

والمدخل في الآية هو دخوله المدينة، والمخرج خروجه من مكة المكرمة؛ ففي الآية الكريمة أمر من الله عز وجل بأن يدعو أن يخرج مخرج صدق ويدخله مدخل صدق... وأن يجعل له من عنده سلطاناً نصيراً، وقد فعل سبحانه به كل ذلك.

✽ مؤامرة كفار قريش على قتل النبي ﷺ وخروجه من بين أظهرهم ولحوقه والصديق بالغار

[١٣٠] عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ﴾ إلخ، قال: تشاورت قريش ليلة بمكة، فقال بعضهم إذا أصبح فأنبتوه بالوثاق، يريدون النبي ﷺ؛ وقال بعضهم: بل اقتلوه، وقال بعضهم: بل أخرجه، فأطلع الله نبيه ﷺ على ذلك، فبات علي رضي الله تعالى عنه على فراش رسول الله ﷺ وخرج النبي ﷺ حتى لحق بالغار، ويات المشركون يحرسون علياً يحسبونه النبي ﷺ، فلما أصبحوا ثاروا إليه فلما رأوا علياً رد الله مكرهم، فقالوا: أين صاحبك هذا؟ قال: لا أدري فافتقوا أثره فلما بلغوا الجبل اختلط عليهم فصعدوا في الجبل، فمروا بالغار فرأوا على بابه نسج العنكبوت، فقالوا: لو دخل ههنا لم يكن نسج العنكبوت على بابه، فمكث فيه ثلاث ليال.

رواه أحمد (٣٤٨/١) بسند حسن وله طرق وشواهد عند ابن إسحاق كما عند ابن هشام في السيرة (١٢١/٢، ١٢٢، ١٢٣)، وابن سعد في الطبقات (٢٢٧/١).

وحسن الحديث ابن كثير في السيرة، وقال: وهو من أجود ما روي في قصة نسج العنكبوت على فم الغار، وذكره الحافظ في الفتح (٢٣٧/٨) وقال: سنده حسن وعلى أي فهذه القصة جاءت مروية من طرق مختلفة مرسله ومتصلة، ورواها عبدالرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر وابن مردويه وابن جرير والبخاري والبيهقي وغيرهم.

لما هاجر إلى المدينة من هاجر من الصحابة بعد الإذن من النبي ﷺ لم يبق بمكة إلا رسول الله ﷺ والإمام علي وأبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنهما أو من حُبس أو فتن من طرف الكفار، وكان رسول الله ﷺ ينتظر الإذن من الله عز وجل له في الهجرة، وكان أبو بكر كثيراً ما يستأذن رسول الله ﷺ في الهجرة، فيقول له: «لا تعجل لعل الله يجعل لك صاحباً».

ولما رأى كفار قريش أنه قد صار لرسول الله ﷺ شيعة وأصحاب من غيرهم في غير بلدهم ورأوا خروج أصحابه إليهم عرفوا أنه ﷺ قد أجمع لحربهم، فاجتمعوا في دار ندوتهم وتأمروا على ما يفعلونه به ﷺ، فقال بعضهم: نظرده عتاً، وقال فريق: نوثقه حتى يموت، وقال آخرون: بل نقتله بحيث نأخذ من كل قبيلة غلاماً نهداً جليداً ثم نعطيه سيفاً صارماً فيضربونه ضربة رجل واحد فيفترق دمه على القبائل، فلا يدري بنو عبد مناف بعد ذلك ما تصنع، ففترقوا على ذلك، وأجمعوا عليه، فأتى جبريل النبي ﷺ فأخبره بذلك وأمره أن لا ينام في مضجعه تلك الليلة، فجاء رسول الله ﷺ أبا بكر فخرجا حتى وصلا الغار وأقاما به ثلاث ليال، إلى أن خرجا كما سيفضل في الآتي، وجاءت هذه الآية المدينة: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينِ﴾ (٢١)، تذكره ﷺ بنعمته تعالى عليه حيث أبطل مكر أولئك الكفرة وفضح أمرهم وخيب سعيهم، ونجى نبيه ونصره عليهم وظفر بهم.

✽ تعمية الكفار عن إِبصار رسول الله وأبي بكر في الغار

[١٣١] وعن أبي بكر رضي الله تعالى عنه قال: كنت مع النبي ﷺ في الغار، فرأيت آثار المشركين، فقلت: يا رسول الله لو أن أحدهم رفع قدميه رأنا، قال: «ما ظنك باثنين الله ثالثهما».

رواه أحمد (٤/١)، والبخاري في المناقب (١١/٨) وفي التفسير (٣٩٥/٩)، ومسلم في الفضائل (١٤٩/١٥)، والترمذي (٢٨٩٦)، وابن جرير (١٣٦/١٠)، وابن حبان (٦٢٧٨) وغيرهم.

قال النووي على قوله: ما ظنك الخ، معناه: الله ثالثهما بالنصر والمعونة والحفظ والتسديد، وفي هذا المشهد جاءت الآية الكريمة وهي: ﴿إِلَّا تَصْرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيًا إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّا نَرَى اللَّهَ مَعًا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدُوهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾﴾.

والمراد بالصاحب في الآية أبو بكر الصديق بالإجماع، وهذه منقبة للصديق ليست لغيره وقد استوعبت فضائله رضي الله تعالى عنه في «فضائل الصحابة».

✽ حديث هجرة النبي ﷺ

[١٣٢] عن عائشة رضي الله تعالى عنها زوج النبي ﷺ قالت: لم أعقل أبوي قط إلا وهما يدينان الدين، ولم يمر علينا يوم إلا يأتينا فيه رسول الله ﷺ طرقي النهار بكرة وعشية، فذكرت قصة أبيها مع ابن الدغنة التي تقدمت، فقالت: فقال النبي ﷺ: «إني أريت دار هجرتكم ذات نخل بين لابتَيْنِ وهي الحرتان»، فهاجر من هاجر قبيل المدينة، ورجع عامة من كان هاجر بأرض الحبشة إلى المدينة، وتجهز أبو بكر قبيل المدينة، فقال له

رسول الله ﷺ: «على رسلك فإني أرجو أن يؤذن لي»، فقال أبو بكر: وهل ترجو ذلك بأبي أنت؟ قال: «نعم»، فحسب أبو بكر نفسه على رسول الله ﷺ ليصحبه، وعلف راحلتين كانتا عنده ورَق السمر - وهو الخبث - أربعة أشهر قالت: فبينما نحن يوماً جلوس في بيت أبي بكر في نحر الظهيرة، قال قائل لأبي بكر: هذا رسول الله ﷺ مُتَقَنَّعاً في ساعة لم يكن يأتينا فيها، فقال أبو بكر: فدى لك أبي وأمي، والله ما جاء بك في هذه الساعة إلا أمر، قالت: فجاء رسول الله ﷺ واستأذن فأذن له فدخل، فقال النبي ﷺ لأبي بكر: «أخرج من عندك»، فقال أبو بكر: إنما هم أهلك بأبي أنت يا رسول الله، قال: «إني قد أذن لي في الخروج»، قال أبو بكر: الصحابة بأبي أنت يا رسول الله، قال رسول الله ﷺ: «نعم»، قال أبو بكر: فخذ بأبي أنت يا رسول الله إحدى راحلتي هاتين، قال رسول الله ﷺ: «بالثمن»، قالت: فجهزناهما أحث الجاهز وصنعنا لهما سفرة في جراب فقطعت أسماء بنت أبي بكر قطعة من نطاقها فربطت به على فم الجراب، فبذلك سُميت ذات النطاقين.

✽ رسول الله ﷺ والصديق في الغار ثلاث ليال

قالت: ثم لحق رسول الله ﷺ وأبو بكر بغار في جبل ثور، فمكثا فيه ثلاث ليال، يبست عندهما عبد الله بن أبي بكر، وهو غلام شاب ثقف لقين، فبدلج من عندهما بسحر، فيصبح مع قريش بمكة كبائت، فلا يسمع أمراً يكادان به إلا وعاه حتى يأتيهما بخبر ذلك حين يختلط الظلام، ويرعى عليهما عامر بن فهيرة مولى أبي بكر منحة من غنم فيريحها عليهما حين يذهب ساعة من العشاء، فيبيتان في رسل وهو لبن منحتهما ورضيفهما حتى ينعق بهما عامر بن فهيرة بغلس يفعل ذلك في كل ليلة من تلك الليالي الثلاثة، واستأجر رسول الله ﷺ وأبو بكر رجلاً من بني الدليل وهو من بني عبد بن عدي هادياً خزيتاً، والخزيت؛ الماهر بالهداية قد غمس حلفاً

✽ تعمية الكفار عن إِبصار رسول الله وأبي بكر في الغار

[١٣١] وعن أبي بكر رضي الله تعالى عنه قال: كنت مع النبي ﷺ في الغار، فرأيت آثار المشركين، فقلت: يا رسول الله لو أن أحدهم رفع قدميه رأنا، قال: «ما ظنك باثنين الله ثالثهما».

رواه أحمد (٤/١)، والبخاري في المناقب (١١/٨) وفي التفسير (٣٩٥/٩)، ومسلم في الفضائل (١٤٩/١٥)، والترمذي (٢٨٩٦)، وابن جرير (١٣٦/١٠)، وابن حبان (٦٢٧٨) وغيرهم.

قال النووي على قوله: ما ظنك الخ، معناه: الله ثالثهما بالنصر والمعونة والحفظ والتسديد، وفي هذا المشهد جاءت الآية الكريمة وهي: ﴿إِلَّا تَضُرُّوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدُوهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةَ اللَّهِ هِيَ الْعَلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾﴾.

والمراد بالصاحب في الآية أبو بكر الصديق بالإجماع، وهذه منقبة للصديق ليست لغيره وقد استوعبت فضائله رضي الله تعالى عنه في «فضائل الصحابة».

✽ حديث هجرة النبي ﷺ

[١٣٢] عن عائشة رضي الله تعالى عنها زوج النبي ﷺ قالت: لم أعقل أبوي قط إلا وهما يدينان الدين، ولم يمر علينا يوم إلا يأتينا فيه رسول الله ﷺ طرقي النهار بكرة وعشية، فذكرت قصة أبيها مع ابن الدغنة التي تقدمت، فقالت: فقال النبي ﷺ: «إني أريت دار هجرتكم ذات نخل بين لابتَيْنِ وهي الحرتان»، فهاجر من هاجر قبيل المدينة، ورجع عامة من كان هاجر بأرض الحبشة إلى المدينة، وتجهز أبو بكر قبيل المدينة، فقال له

رسول الله ﷺ: «على رسلك فإني أرجو أن يؤذن لي»، فقال أبو بكر: وهل ترجو ذلك بأبي أنت؟ قال: «نعم»، فحسب أبو بكر نفسه على رسول الله ﷺ ليضحبه، وعلف راحلتين كانتا عنده ورَق السمر - وهو الخبث - أربعة أشهر قالت: فبينما نحن يوماً جلوس في بيت أبي بكر في نحر الظهيرة، قال قائل لأبي بكر: هذا رسول الله ﷺ مُتَفَنِّعاً في ساعة لم يكن يأتينا فيها، فقال أبو بكر: فدى لك أبي وأمي، والله ما جاء بك في هذه الساعة إلا أمر، قالت: فجاء رسول الله ﷺ واستأذن فأذن له فدخل، فقال النبي ﷺ لأبي بكر: «أخرج من عندك»، فقال أبو بكر: إنما هم أهلك بأبي أنت يا رسول الله، قال: «إني قد أذن لي في الخروج»، قال أبو بكر: الصحابة بأبي أنت يا رسول الله، قال رسول الله ﷺ: «نعم»، قال أبو بكر: فخذ بأبي أنت يا رسول الله إحدى راحلتي هاتين، قال رسول الله ﷺ: «بالثمن»، قالت: فجهزناهما أحث الجهاز وصنعنا لهما سفرة في جراب فقطعت أسماء بنت أبي بكر قطعة من نطاقها فربطت به على فم الجراب، فبذلك سميت ذات النطاقين.

✽ رسول الله ﷺ والصديق في الغار ثلاث ليال

قالت: ثم لحق رسول الله ﷺ وأبو بكر بغار في جبل ثور، فمكثا فيه ثلاث ليال، يبيت عندهما عبدالله بن أبي بكر، وهو غلام شاب ثقف لقين، فيدلج من عندهما بسحر، فيصبح مع قريش بمكة كبائت، فلا يسمع أمراً يكادان به إلا وعاه حتى يأتيهما بخبر ذلك حين يختلط الظلام، ويرعى عليهما عامر بن فهيرة مولى أبي بكر مئحة من غنم فيريحها عليهما حين يذهب ساعة من العشاء، فيبيتان في رسل وهو لبن منحتهما ورضيفهما حتى ينعق بهما عامر بن فهيرة بغلس يفعل ذلك في كل ليلة من تلك الليالي الثلاثة، واستأجر رسول الله ﷺ وأبو بكر رجلاً من بني الدليل وهو من بني عبد بن عدي هادياً خزيتاً، والخزيت؛ الماهر بالهداية قد غمس حلفاً

في آل العاص بن وائل السهمي وهو على دين كفار قريش، فأمناه فدفعنا إليه راحلتيهما، وواعده غار ثور بعد ثلاث ليال براحتيهما صبح ثلاث، فانطلق معهما عامر بن فهيرة، والدليل، فأخذ بهما طريق السواحل.

❁ قصة سرقة مع رسول الله ﷺ والصديق

قال ابن شهاب: وأخبرني عبدالرحمن بن مالك المُذَلِجِي وهو ابن أخي سرقة بن مالك بن جُعشم، يقول: جاءنا رسلُ كفار قريش يجعلون في رسول الله ﷺ وأبي بكر ديةً كل واحدٍ منهما لمن قتله أو أسره، فبينما أنا جالسٌ في مجلس من مجالس قومي بني مُدَلِجٍ أقبل رجلٌ منهم حتى قام علينا ونحن جلوس، فقال: يا سرقة إني قد رأيت أنفاً أسوداً بالساحل أراها محمداً وأصحابه، قال سرقة: فعرفت أنهم هم، فقلت له: إنهم ليسوا بهم، ولكنك رأيت فلاناً وفلاناً انطلقوا بأعيننا، ثم لبثتُ في المجلس ساعة ثم قمتُ فدخلتُ فأمرتُ جاريتي أن تُخْرِجَ بفرسي وهي من وراء أكمةٍ فتحسبها عليّ، وأخذت رمحي فخرجت به من ظهر البيت، فخططت بزُجّه الأرض وحَفَضْتُ عاليه حتى أتيت فرسي فركبتها فدفعتها تُقَرِّبُ بي حتى دنوتُ منهم، فعثرتُ بي فرسي فخرزتُ عنها، فقامت فأهويت يدي إلى كنانتي فاستخرجت منها الأزام، فاستقسمتُ بها أضرهم أم لا؟ فخرج الذي أكره، فركبتُ فرسي وعصيتُ الأزام تُقَرِّبُ بي حتى إذا سمعتُ قراءة رسول الله ﷺ وهو لا يلتفتُ وأبو بكر يكثر الالتفات ساختُ يدا فرسي في الأرض حتى بلغت الركبتين فخررتُ عنها ثم زجرتها فنهضت فلم تكذبُ يديها، فلما استوت قائمة إذا لأثر يديها غبارٌ ساطع في السماء مثل الدخان، فاستقسمتُ بالأزام فخرج الذي أكره فناديتهم بالأمان، فوقفوا فركبت فرسي حتى جنتهم ووقع في نفسي حين لقيتُ ما لقيت من الحبس عنهم أن سيظهر أمر رسول الله ﷺ، فقلت له: إن قومك قد جعلوا فيك الدية وأخبرتهم أخبار ما يريد الناس بهم وعرضت عليهم الزاد والتمتع فلم

يرزاني، ولم يسألاني إلا أنه قال: أخفِ عنا، فسألته أن يكتب لي كتاباً أمن، فأمر عامر بن فهيرة فكتب في رُقعة من آدم ثم مضى رسول الله ﷺ. قال ابن شهاب: فأخبرني عروة بن الزبير أن رسول الله ﷺ لقي الزبير في ركب من المسلمين كانوا تجاراً قافلين من الشام فكسا الزبير رسول الله ﷺ، وأبا بكر ثياب بياض.

❁ أهل المدينة ينتظرون رسول الله ﷺ

ويسمع المسلمون بالمدينة مخرج رسول الله ﷺ من مكة، فكانوا يغدون كل غداة إلى الحرة فينتظرونه حتى يردهم حرّ الظهيرة، فانطلقوا أيضاً بعدما أطلوا انتظارهم، فلما أَوْوا إلى بيوتهم أوفى رجلٌ من اليهود على أطمٍ من أطامهم لأمرٍ ينظر إليه، فبصر برسول الله ﷺ وأصحابه مُبَيَّضِينَ، يزولُ بهم السراب، فلم يملك اليهودي بأعلى صوته: يا معشر العرب هذا جدكم الذي تنتظرون، فثار المسلمون إلى السلاح.

❁ وصول رسول الله ﷺ إلى المدينة وتاريخ ذلك

فتلقوا رسول الله ﷺ بظهر الحرة، فعدل بهم ذات اليمين حتى نزل بهم في بني عمرو بن عوف، وذلك يوم الاثنين من شهر ربيع الأول، فقام أبو بكر للناس وجلس رسول الله ﷺ صامتاً، فطَفِقَ مَنْ جاء من الأنصار ممن لم يرَ النبي ﷺ يُحَيِّي أبا بكر حتى أصابت الشمس رسول الله ﷺ، فأقبل أبو بكر حتى ظلل عليه بردائه، فعرف الناس رسول الله ﷺ عند ذلك، فلبث رسول الله ﷺ في بني عمرو بن عوف بضع عشرة ليلة، وأسس المسجد الذي أسس على التقوى، وصلى فيه رسول الله ﷺ ثم ركب راحلته فسار يمشي معه الناس حتى بركت عند مسجد الرسول ﷺ

بالمدينة وهو يصلي فيه يومئذ رجال من المسلمين، وكان مزبداً للتمر لسهّل وسهّل غلامين يتيمين في حجر أسعد بن زرارة، فقال رسول الله ﷺ حين بَرَكَتْ به راحلته: «هذا إن شاء الله المنزل»، ثم دعا رسول الله ﷺ الغلامين فساومهما بالمربد ليتخذه مسجداً، وطفق رسول الله ﷺ ينقل معهم اللبن في بنيانه، ويقول وهو ينقل اللبن:

هذا الجمال لا جمال خيبر هذا أبر ربنا وأطهر

ويقول:

اللهم إن الأجر أجر الآخرة فازحم الأتصار والمهاجرة

فتمثل بيت رجل من المسلمين لم يسم لي، قال ابن شهاب: ولم يبلغنا في الأحاديث أن رسول الله ﷺ تمثل بيت شعر تام غير هذه الأبيات.

رواه أحمد (٣٤٦/٦)، والبخاري في المبعث باب هجرة النبي ﷺ (٢٣١/٨، ٢٣٤) وفي مواضع كالمساجد والبيوع وفي الكفالة وفي المغازي... وابن سعد في الطبقات (٢٣٩/١، ٢٣٢، ٢٣٧)، والبيهقي في الدلائل (٤٧١/٢، ٤٧٢) وغيرهم.

✽ غريب الحديث

«على رسلك» بكسر الراء وسكون السين أي: على هيئتك فلا تعجل. «متقناً» أي: لابساً القناع في رأسه. «سفرة» بضم السين وسكون الفاء هي؛ طعام يُصنع ويهيؤ للمسافر وسمي ما يوضع فيه أو عليه الطعام سفرة مجازاً. «جراب» بكسر الجيم هو وعاء من جلد أو غيره. «نطاقها» النطاق بكسر النون أن تلبس المرأة ثوباً طويلاً تنزر به وتشدّ وسطها وترسل ثوبها الأعلى على الأسفل. «جبل ثور» هو جبل وعر مرتفع على قمته غاز يقع شمال مكة المكرمة صعداً إليه في ظرف ساعة، يعتاد الحجاج والمعتمرون زيارته

أو الوقوف في أسفله. «ثقف» أي: ذو فطنة. «لقن» بكسر القاف كسابقه أي: حسن التلقين لما يسمعه، واللحن الفهم. «فيلج» يقال أدلج إذا سار الليل كله وأدلج يدلج إذا سار سحراً. «رضيفهما» الرضيف اللبن المرصوف وهو الذي يطرح فيه الحجارة المحممة لتذهب وخامته. «خزيتاً» الخزيت الدليل الحاذق. «غمس حلقاً» تعني أنه كان حليفاً لهم. «أسودة» جمع سواد وهو شخص الإنسان ونحوه. «أكمة» بفتحات هو ما اجتمع من الحجارة في مكان واحد. «فخرت» أي سقطت على الأرض. «يرزاني» أي لم يسألاني. «أوفى رجل» أي أشرف. «أطم» بضم التاء هو الحصن. «هذا جدكم» يعني حظكم ودولتكم «المربد» بكسر الميم وسكون الراء وفتح الباء الموضع الذي يجبس فيه الإبل والغنم، وقد يكون للتمر كالأندر للحبوب.

[١٣٣] وعن البراء بن عازب رضي الله تعالى عنه قال: جاء أبو بكر إلى أبي في منزله فاشترى منه رَحْلاً فقال للعازب: ابعث ابنك يحمله معي، قال: فحملته معه، وخرج أبي ينتقد ثمنه، فقال له أبي: يا أبا بكر حدّثني

كيف صنعتما حين سريت مع رسول الله ﷺ؟ قلت - دوني - الحديث
طوبى لمن لم يسمع من النبي ﷺ في الحج والعمرة والعبادة
سنة النبي ﷺ في الحج والعمرة والعبادة

✽ استراحته عند صخرة في القائلة وشربه اللبن

قال: نعم أسرّنا ليلتنا ومن الغد حتى قام قائم الظهيرة وخلا الطريق لا يمر فيه أحد، فرُفعت لنا صخرة طويلة لها ظلّ لم تأت عليه الشمس، فنزلنا عنده وسوّيت للنبي ﷺ مكاناً بيدي ينأى عليه، وبسّطت عليه فزوة، وقلت: ثم يا رسول الله، وأنا أنفض ما حوّلته، فنام وخرجت أنفض ما حوله، فإذا أنا براع مقبل بغنمه إلى الصخرة يريد منها مثل الذي أردنا، فقلت: لمن أنت يا غلام؟ قال: لرجل من أهل المدينة أو مكة، قلت: أفي غنمك لبن؟ قال: نعم، قلت: أفتحلّب؟ قال: نعم، فأخذ شاة، فقلت: أنفض الضرع من الثراب والشعر والقذى، قال: فحلب في قعب كئيب من لبن، ومعني إداوة حملتها للنبي ﷺ يرتوي فيها، يشرب ويتوضأ، فأثيت

النبي ﷺ فكرهت أن أوقفه، فوافقته حين استيقظ فصَبَّتُ من الماء على اللبن حتى برد أسفله، فقلت: اشرب يا رسول الله، قال: فشرب حتى رضيت، ثم قال: «الم يأن الرحيل؟» قلت: بلى، قال: فارتحلنا بعد ما زالت الشمس وأتبعنا سراقه بن مالك، فقلت: أين يا رسول الله، فقال: «لا تحزن إن الله معنا»، فدعا عليه النبي ﷺ، فارتطمت به فرسه إلى بطنها أرى في جلد من الأرض، فقال: إني أراكما قد دعوتما علي، فادعوا لي فالله لكما أن أرد عنكما الطلب، فدعا له النبي ﷺ فنجا، فجعل لا يلقى أحداً إلا قال: كفيتكم ما هنا، فلا يلقى أحداً إلا رده، قال: ووفى لنا.

رواه البخاري في فضائل الصحابة (٩/٨، ١٠) وفي علامات النبوة (٤٣٥/٧، ٤٣٦)، ومسلم في الزهد في حديث الهجرة رقم (٢٠٠٩)، وهو أيضاً في المسند (٣٠٢/١).

«قائم الظهيرة» أي: وسط النهار. «أنقض ما حولك» أي: أحرس وأطوف حولك. «والقعب» الإناء الصغير. «كثبة من لبن» أي: قليل منه. «ارتطمت» أي: ساخت به في الأرض. «جلد» بفتح الحاء الأرض الغليظة الصلبة.

❁ حَدِيثَ أُمِّ مَعْبِدِ الْخَزَاعِيَّةِ

[١٣٤] عن حَبِيشِ بْنِ خَالِدِ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ خَرَجَ مِنْ مَكَّةَ مُهَاجِرًا إِلَى الْمَدِينَةِ وَأَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ وَمَوْلَى أَبِي بَكْرٍ عَامِرُ بْنُ نُفَيْرَةَ وَدَلِيلُهُمَا اللَّيْثِيُّ عَبْدُ اللهِ بْنُ أَرْيَظَةَ مَرُّوا عَلَى خِيْمَةِ أُمِّ مَعْبِدِ الْخَزَاعِيَّةِ، وَكَانَتْ امْرَأَةً بَزْرَةً جَلْدَةً تَحْتِي بِفِنَاءِ الْخِيْمَةِ، ثُمَّ تَسْقِي وَتُطْعِمُ فَسَأَلُوها لِحْمًا وَتَمْرًا لِيَشْتَرُوا مِنْهَا فَلَمْ يَصِيبُوا عِنْدَهَا شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ، وَكَانَ الْقَوْمُ مُزْمِلِينَ مُسْتَبِينَ، فَنَظَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى شَاةٍ فِي كَسْرِ الْخِيْمَةِ، فَقَالَ: «مَا هَذِهِ الشَاةُ يَا أُمَّ مَعْبِدٍ؟» قَالَتْ: شَاةٌ خَلَفَهَا الْجَهْدُ عَنِ الْغَنَمِ، قَالَ: «هَلْ بِهَا مِنْ لَبَنٍ؟» قَالَتْ: هِيَ أَجْهَدُ مِنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: «أَتَأَذِينِ لِي أَنْ

أَخْلِبَهَا؟» قَالَتْ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي إِنْ رَأَيْتَ بِهَا حَلْبًا فَاحْلِبْهَا، فَدَعَا بِهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فَمَسَحَ بِيَدِهِ ضَرْعَهَا، وَسَمَّى اللهُ تَعَالَى وَدَعَا لَهَا فِي شَاتِهَا، فَتَفَاجَتَ عَلَيْهِ وَدَرَّتْ فَاجْتَرَّتْ فَدَعَا بِإِنَاءٍ يَرِيضُ الرَّهْطَ فَحَلَبَ فِيهِ ثَجًّا حَتَّى عَلَاهُ الْبِهَاءُ ثُمَّ سَقَاهَا حَتَّى رَوَيْتَ، وَسَقَى أَصْحَابَهُ حَتَّى رَوَوْا وَشَرِبَ آخِرُهُمْ حَتَّى أَرَضُوا ثُمَّ حَلَبَ فِيهِ الثَّانِيَةَ عَلَى يَدِهِ حَتَّى مَلَأَ الْإِنَاءَ ثُمَّ غَادَرَهُ عِنْدَهَا ثُمَّ بَايَعَهَا - يَعْنِي عَلَى الْإِسْلَامِ - ثُمَّ ارْتَحَلُوا عَنْهَا، فَقَلَّ مَا لَبِثَ حَتَّى جَاءَهَا زَوْجُهَا أَبُو مَعْبِدٍ يَسُوقُ عَجَازًا عِجَافًا، يَتَسَاوَكُنَّ هِزَالًا مُخْهِنَ قَلِيلٍ، فَلَمَّا رَأَى أَبُو مَعْبِدٍ اللَّبْنَ أَعْجَبَهُ، قَالَ: مِنْ أَيْنَ لَكَ هَذَا يَا أُمَّ مَعْبِدٍ وَالشَّاءُ عَازِبٌ حَائِلٌ وَلَا حَلُوبُ فِي الْبَيْتِ؟ قَالَتْ: لَا وَاللَّهِ إِلَّا أَنَّهُ مَرَّ بِنَا رَجُلٌ مَبَارِكٌ مِنْ حَالِهِ كَذَا وَكَذَا، قَالَ: صَفِيهِ لِي يَا أُمَّ مَعْبِدٍ، قَالَتْ: رَأَيْتَ رَجُلًا ظَاهِرَ الْوَضَاءَةِ أَبْلَجَ الْوَجْهَ حَسَنَ الْخَلْقِ لَمْ تَعْبَهُ تُجَلَّةٌ وَلَمْ تُزْرِبهُ صَعْلَةٌ، وَسِيمٌ قَسِيمٌ، فِي عَيْنَيْهِ دَعَجٌ وَفِي أَشْفَارِهِ وَطْفٌ وَفِي صَوْتِهِ صَهْلٌ، وَفِي عُنُقِهِ سَطْعٌ، وَفِي لَحْيَتِهِ كَثَافَةٌ، أَزْجٌ، أَقْرَنُ إِنْ صَمِتَ فَعَلِيهِ الْوَقَارُ، وَإِنْ تَكَلَّمَ سَمَاءٌ وَعِلَاهُ الْبِهَاءُ، أَجْمَلُ النَّاسِ وَأَبْهَاءُ مِنْ بَعِيدٍ وَأَحْسَنُهُ وَأَجْمَلُهُ مِنْ قَرِيبٍ، حَلُوُ الْمَنْطِقِ فَصَلًّا، لَا نَزْرَ وَلَا هَذْرَ كَأَنَّ مَنَاطِقَهُ خِرَزَاتٍ نَظْمٌ يَتَحَدُونَ رِبْعَةً لَا تَشْنُوهُ مِنْ طَوْلٍ، وَلَا تَقْتَحِمُهُ عَيْنٌ مِنْ قِصْرٍ، غِصْنٌ بَيْنَ غِصْنَيْنِ، فَهُوَ أَنْضَرُ الثَّلَاثَةِ مَنْظَرًا، وَأَحْسَنُهُمْ قَدْرًا، لَهُ رَفَقَاءٌ يَحْفُونَ بِهِ، إِنْ قَالَ سَمِعُوا لِقَوْلِهِ، وَإِنْ أَمَرَ تَبَادَرُوا إِلَى أَمْرِهِ، مُحْفُودٌ مُحْشُودٌ، لَا عَبَسَ وَلَا مَفَنَدَ. قَالَ أَبُو مَعْبِدٍ: هَذَا وَاللَّهِ صَاحِبُ قَرِيشٍ الَّذِي ذَكَرْنَا مِنْ أَمْرِهِ مَا ذَكَرْنَا، وَلَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أَصَاحِبَهُ، وَلَا فَعَلْنَا إِنْ وَجَدْتِ إِلَى ذَلِكَ سَبِيلًا. وَأَصْبَحَ صَوْتُ بِمَكَّةَ عَالِيًا يَسْمَعُونَ الصَّوْتَ وَلَا يَدْرُونَ صَاحِبَهُ وَهُوَ يَقُولُ:

جَزَى اللهُ رَبَّ النَّاسِ خَيْرَ جَزَائِهِ
رَفِيقَيْنِ حَلًّا خِيْمَتِي أُمَّ مَعْبِدٍ
هُمَا نَزَلَا بِالْهَدَى وَاهْتَدَتْ بِهِ
فَقَدْ فَازَ مِنْ أَمْسَى رَفِيقٌ مُحَمَّدٍ
فِيالْقَصِي مَا زَوَى اللهُ عَنْكُمْ
بِهِ مِنْ فِعَالٍ لَا تَجَازِي وَسُؤْدِدٍ
لِيَهْنَ أَبَا بَكْرٍ سَعَادَةٌ جَدُّهُ
بِصَحْبَتِهِ مَنْ يُسْعِدُ اللهُ يُسْعِدِ
وَلِيَهْنَ بَنِي كَعْبٍ مَقَامَ فَتَاهِمِ
وَمَقْعِدُهَا لِلْمُؤْمِنِينَ بِمَرْصَدِ
سَلُّوا أَخْتَكُمْ عَنْ شَاتِهَا وَإِنَائِهَا
فَإِنَّكُمْ إِنْ تَسَأَلُوا الشَاةَ تَشْهَدُ

دعاها بشاة حائل فتحلبت عليه صريماً صرّة الشاة مزيد
فغادره رهناً لديها لحالب يرذدها في مصدر بعد مؤرد

رواه الحاكم (١٠٩/٣)، والطبراني في الكبير (٣٦٠٥)، وأبو نعيم في
الدلائل (٢٨٣، ٢٨٧) وصححه الحاكم ووافقه الذهبي فقال: صحيح
وللحديث شواهد عن أبي معبد رواه ابن سعد في الطبقات (٢٣٠/١)، وعن
أبي بكر عند البيهقي في الدلائل (٤٩١/٢) وحسنه ابن كثير في السيرة،
فالحديث حسن أو صحيح.

«مُرْمِلِينَ» أي: ليس لهم ما يتقوتون به. «مُسْنِتِينَ» أي أصابتهم
المجاعة والقحط والجذب. «تفاجت» فتحت رجليها لتحلب. «أراضوا»
كزروا الشرب. وصفات النبي ﷺ تأتي في الشامل.

في هذه الأحاديث الثلاثة استقصاء ما حصل للنبي ﷺ في طريق
هجرته من يوم أن خرج من بيته والتحق بالغار إلى أن وصل إلى
المدينة... ويمكن لنا أن نلخص ما فيها من الفوائد والعبر... في الآتي:

أولاً: إن الهجرة من سنن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وأول من
هاجر منهم إمام الموحدين سيدنا إبراهيم وابن أخيه لوط عليهما السلام
هاجرا الكفار، وبلاد الكفر من العراق إلى فلسطين ثم تلاهما يعقوب
وأولاده حيث هاجروا بلاد الكنعانيين إلى مصر حيث كان يوسف ممكناً فيها
عليه السلام، وهاجر كلیم الله موسى عليه السلام من مصر إلى بلاد مدين،
وهاجر خاتم أنبياء بني إسرائيل عيسى روح الله وكلمته عليه السلام ثم ختم
هجرة الأنبياء الحبيب المصطفى صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه.

ثانياً: إن الهجرة قد تكون فرضاً لازماً إذا كان المؤمن مضطهداً في
بلد كفر أو ظلم لا يمكنه إقامة شعائر دينه ولا الدعوة إليه بكل حرية فيه؛
لأن المحافظة على العقيدة والدين الحق يجب أن يضحي الإنسان في سبيلها
بكل ما يحبه أو يملكه في هذه الحياة من وطن، ومال، وأهل، ولا عبرة
بالحياة مهما كان للإنسان من رغد في العيش مع ضياع الدين، فضياع الدين
مع توفر أسباب الحياه خسارة أبدية. ولنا العبرة في هجرة نبينا ﷺ

وأصحابه رضي الله تعالى عنهم؛ فإنهم لم يهاجروا فراراً من الفقر والحاجة،
وطلباً للمال والثراء، ولو إلى بلاد الكفر مع ضياع الدين كما يفعله مسلمو
عصرنا، بل هاجروا؛ كما قال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ
بُيُوتِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا﴾.

فقد خرجوا من مكة المكرمة وتركوا فيها الأموال والأزواج والأولاد
والآباء والعشائر فراراً بدينهم ومحافظة على عقيدتهم ليس إلا. رضي الله
تعالى عنهم.

ثالثاً: إن للهجرة في الله فضائل ومزايا، كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُهَاجِرْ
فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَافَعًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ
وِرَسُولِهِ ثُمَّ يَدْرِكْ التَّوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾، والقرآن الكريم ملآن بالكلام
على فضل الهجرة والمهاجرين ولعظم شأن الهجرة جاء الحديث التالي:

[١٣٥] عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه أن أعرابياً سأل
رسول الله ﷺ عن الهجرة، فقال: «ويحك إن شأنها شديد، فهل لك من
إبل تؤدي صدقتها»، قال: نعم. قال: «فَاعْمَلْ مِنْ وِزْرِ الْبَحَارِ، فَإِنَّ اللَّهَ لَنْ
يَتْرِكَ مِنْ عَمَلِكَ شَيْئًا».

رواه البخاري في الزكاة وفي الهبة وفي الهجرة النبوية رقم (٣٩٢٣)
(ج ٢٦١/٨) وفي الأدب، ومسلم رقم (١٨٦٥).

لن يترك أي: لن ينقصك. وهذا الحديث جاء بعد فتح مكة، فإذا كان
للمسلم حرية في دينه فليعبد الله عز وجل أينما كان ولو كان خلف البحار،
وفيه إشارة إلى الإقامة في أمريكا لأنها وراء البحر الأحمر والأبيض
المتوسط، والمحيط الأطلسي، فلو وجد المسلم حرية هناك أمناً على دينه
ونفسه وأهله فليقيم وليعبد الله تعالى.

وفي مقابل هذا جاء قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ
قَالُوا فِيهِمْ كُفْرٌ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعِفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ وَسِعَةً فَهَاجَرُوا
فِيهَا قَالُوا لَيْتَكُم مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿١٧﴾ إِلَّا الْمُسْتَضْعِفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ

وَالْوَالِدِينَ لَا يَسْتَبِيعُونَ جِيلًا وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿١٨﴾ فَأُولَٰئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُو عَنْهُمْ ﴿١٩﴾
الآية .

فالآية نزلت تهتد المقيمين مع الكفار فاقدين حرمتهم في دينهم، ولم يهاجروا مع استطاعتهم ذلك، ثم استثنى الله المستضعفين الذين لا جيلة لهم في الخروج .

رابعاً: هذا في الهجرة الجسمية وهناك هجرة أخرى وهي أهم من المذكورة، تلك هي هجرة المحرمات، وهذه تعم بلاد الكفار وبلاد الإسلام، وجاء فيها الحديث التالي:

[١٣٦] عن عبدالله بن عمرو رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه» .

رواه الشيخان وغيرهما وقد تقدم في الإيمان (ج ١ رقم ١٨٧)، فهجران المحرمات والذنوب هي الهجرة الحقيقية التي يطالب بها المسلم في كل مكان وزمان ومهاجرة الذنوب تقتضي هجران قرناء السوء ومواقع المعاصي، والله الموفق الهادي لأقوم طريق .

خامساً: في فراره ﷺ من المشركين متسللاً واختفاؤه بالغار ثلاث ليالٍ وخروجه مستتراً حذراً، كل ذلك فعله سلوكاً منه ﷺ لطريق الأسباب، ولكي تقتدي به أمته وخلفاؤه والدعاة إلى الله تعالى إذا اقتضى الحال ذلك، واستعمال الأسباب المادية لا ينافي الإيمان ولا التوكل على الله والنبى ﷺ كان موقناً بنصر الله تعالى وحفظه من المشركين، وفعله ﷺ هذا لا يعارض بما صنعه عمر رضي الله تعالى عنه من خروجه علانية؛ لأن عمر فرد من الأمة وليس مشرعاً ففعله ليس بحجة، بخلاف النبي ﷺ فإنه قدوة لكل الأجيال إلى يوم القيامة. (الأيام السبع من سنة الفداء)

سادساً: في استخلافه ﷺ الإمام علياً عليه السلام ببيت على فراشه نيابة عنه؛ مغامرة محفوفة بالأخطار، فلو كان هناك أشجع من الإمام علي، واعتماداً منه على الله عز وجل لخلفه على فراشه، وفيه فضل الإمام علي؛

وكيف لا وهو ولي كل مؤمن ولم يرد من الفضائل لأحد ما ورد له، كما يأتي في الفضائل إن شاء الله تعالى .

سابعاً: هجرة الصديق مع الرسول الكريم ﷺ وصحبته إياه كانت ولا شك بإذن من الله عز وجل، وفي ذلك منقبة له عظيمة وفضيلة ومزية لم يحظ بها أحد دونه، وكانت صحبة خاصة سخر فيها الصديق ماله وأهله ونفسه لخدمة النبي ﷺ في طريق هجرته، فأنفق عليه ماله وأخدمه ولده وخادمه، فكان ولده عبدالله يأتيهما بأخبار المشركين ليلاً، وكان مولاه يبيت عندهما بالغنم فيشربان من لبنها ما يكفيهما، وابنته أسماء هيأت لهما سفرة وشدتها بقطعة من نطاقها، ولهذه المزايا التي حظي بها الصديق ذكره الله تعالى مقروناً بنبيه ﷺ حينما أخرجهم الكفار ونزلا الغار، وقال له: «لا تحزن إن الله معنا»، فأنزل الله السكينة على رسوله وأيده بجنود من الملائكة لم يرها أحد وحصل له كل ذلك والصديق بجانبه وسماه الله صاحباً له، فسبحان من خص من شاء بما شاء. قال تعالى: ﴿إِلَّا نَصْرُهُ فَفَقَدَ نَصْرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ الْكَلِمَ الْكُبْرَى كَقَوْلِهِمْ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٥﴾ .

ثامناً: فيما ذكر من قصة الهجرة، جواز استخدام الكافر إذا كان أميناً، فإنه ﷺ استأجر ذلك الديلي ليدلها على الطريق، والحال أنه على دين قومه وهو يدل على أن ذلك الرجل كان أميناً لم يصدُر منه غدْر ولا خيانة وهذا خلق كريم عري جمهور المسلمين اليوم، بل أكثرهم من التخلق به .

تاسعاً: في خصوص حديث البراء بن عازب شدة اهتمام الصديق رضي الله تعالى عنه بالنبي ﷺ وشفقته عليه وإيثاره نفسه وتأدبه معه .

عاشراً: في هذه الأحاديث عدة معجزات للنبي ﷺ وآيات باهرة:

منها: تعمية المشركين عنه ﷺ عند خروجه من منزله وهم محيطون

به، فخرج عليهم ورماهم بالحصى والتراب وهو يقرأ: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَكَّاءً وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾، فأعماهم الله عز وجل ولم يشعروا بخروجه.

ومنها: تعميتهم أيضاً في الغار رغم أنهم كانوا واقفين على بابه، ولو كانوا نظروا فيه لرأوا النبي ﷺ وصاحبه، ولكن الله عز وجل أعمى أبصارهم وألهم العنكبوت أن تشج خيوطها على باب الغار زيادة في صرْفهم عن البحث في الغار.

ومنها: ما حصل لسُرْاقَة وارتطام أرجل فرسه في الأرض وسقوط سُرْاقَة وصعود غبار من الأرض كالدخان حصل له ذلك مرتين، وفي الثانية منهما اعتبر، فأمنهما وطلب منهما الوقوف.

ومنها: ثج اللبن من شاة أم معبد العجفاء الحائل ببركة حلب النبي ﷺ إياها حتى سقى أم معبد ورفاقه وشرب هو الآخر وأبقى لأم معبد إناء ملآن لبناً، فهذه كلها آيات وقعت له ﷺ في طريق هجرته.

✽ رسول الله ﷺ بقاء وتأسيسه مسجده

حادي عشر: قد رأينا أن الأنصار لما سمعوا بقدوم النبي ﷺ كانوا يخرجون لانتظاره حتى يردهم حرّ الظهيرة، وعندما وصلهم قدومه أخذوا سلاحهم وخرجوا للقائه، فنزل بني عمرو بن عوف بقاء، ومكث بها بضعة عشر يوماً أسس خلالها مسجدها التاريخي الذي أشاد به القرآن الكريم وبأهله في قوله تعالى: ﴿لَمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَّخِذُوا وَجْهَ اللَّهِ يَبْغُونَ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهِّرِينَ﴾ (١٧٨) إلخ.

وكان ذلك يوم الاثنين من ربيع الأول ثاني عشر منه، وهو الذي ذكره ابن سعد في الطبقات (١/٣٣٣)، وابن إسحاق كما عند ابن هشام (٢/١٣٣) وجزم به النووي وهو الراجح وقول الجمهور، وقيل غير ذلك. أما خروجه

من مكة المكرمة، فقال الحاكم: تواترت الأخبار بأن خروجه كان يوم الاثنين، يعني من شهر ربيع الأول، وخروجه يوم الاثنين كان من بيته وبقي بالغار ثلاث ليال وخرج منه يوم الخميس وبقي بالطريق اثني عشر يوماً ووصل يوم الاثنين ثاني عشر من الشهر، والله أعلم، ففي ذلك خلاف.

✽ دخول رسول الله ﷺ المدينة وفرح أهلها بقدومه ونزوله على أبي أيوب الأنصاري

ثاني عشر: عندما نزل رسول الله ﷺ المدينة كان كلما مرّ على حي من أحياء الأنصار سألوه النزول عندهم، فيقول لهم: «دعوها - يعني الناقة - فإنها مأمورة»، وأضاءت المدينة لقدمه وتلقاه الناس وخرجوا في الطرقات الرجال والخدم والصبيان وصعدوا على السطوح حتى أن العواتق والبنات فوق البيوت يتراءيتهن وقد علا جميعهم الفرح والسرور، واحتفلوا به فنحروا جزوراً ولعبت الحبشة بحرابهم، وفيما ذكرناه أحاديث، وهي:

[١٣٧] عن أبي بكر رضي الله تعالى عنه قال: فقدمنا المدينة ليلاً فتنازعوا أيهم ينزل عليه رسول الله ﷺ، فقال: «أنزل على بني النجار أخوال عبد المطلب أكرمهم بذلك»، فصعد الرجال والنساء فوق البيوت، وتفرق الغلمان والخدم في الطريق ينادون: يا محمد يا رسول الله، وفي رواية يقولون: الله أكبر، جاء رسول الله ﷺ، جاء محمد ﷺ.

رواه البخاري في مواضع وتقدم مطولاً بغير هذا السياق، ورواه مسلم في الزهد (١٨/١٥١) وأحمد بنحوه.

[١٣٨] وفي حديث البراء المتقدم في هجرة أوائل الصحابة، قال: ثم قدم النبي ﷺ، فما رأيت أهل المدينة فرحوا بشيء فرحهم برسول الله ﷺ، حتى جعل الإماء يقلن: قدم رسول الله ﷺ... وفي رواية: حتى رأيت الولائد والصبيان يقولون: هذا رسول الله ﷺ قد جاء.

رواه البخاري في تفسير (سبح اسم ربك) وفي فضائل القرآن وفي الهجرة النبوية (٢٦٢/٨، ٢٦٣).

[١٣٩] وقال أنس رضي الله تعالى عنه: ما رأيت يوماً قط أنور ولا أحسن من يوم دخل رسول الله ﷺ وأبو بكر المدينة. وفي رواية: لما كان اليوم الذي قدم فيه رسول الله ﷺ أضاء منها كل شيء.

رواه أحمد (٢٢١/٣، ٢٦٨)، وابن ماجه (١٦٣١) بسند صحيح على شرط مسلم.

[١٤٠] وعن جابر رضي الله تعالى عنه قال: لما قدم النبي ﷺ المدينة نحرروا جزوراً أو بقرة.

رواه أحمد (٣٠١/٣) بسند صحيح.

[١٤١] وعن أنس رضي الله تعالى عنه قال: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة لَعِبَت الحبشة بحراهم فرحاً لقدمه ﷺ.

رواه أبو داود في الأدب (٤٩٢٣) بسند صحيح.

وفي هذا دليل على جواز اللعب بالمباح عند حدوث الأفراح وعلى الأخص الأفراح الدينية وقد استدل أبو حامد الغزالي - رحمه الله تعالى - في «الإحياء» بهذا وغيره على جواز رقص الصوفية، وتبعه في ذلك السهروردي في «عوارف المعارف».

✽ سكناه ﷺ بدار أبي أيوب الأنصاري وتأدبه معه وتبرّكه بآثاره

ثالث عشر: قد حظي أبو أيوب الأنصاري رضي الله تعالى عنه بسكنى رسول الله ﷺ بداره، وتلك مزية وإكرام من الله ورسوله ﷺ له، وقد حدثنا بنفسه عن حالته مع النبي ﷺ في جواره.

[١٤٢] فعنه قال: إن النبي ﷺ نزل عليه، فنزل النبي ﷺ في السفلى وأبو أيوب في العلو، قال: فانتبه أبو أيوب ليلة، فقال: نمشي فوق رأس رسول الله ﷺ، فَتَنَحَّوْا فباتوا في جانب، ثم قال للنبي ﷺ، فقال النبي ﷺ: «السفل أرفق»، فقال: لا أعلو سفينه أنت تحتها، فتحول النبي ﷺ في العلو وأبو أيوب في السفلى، فكان يصنع للنبي ﷺ طعاماً، فإذا جاء به إليه سأل عن موضع أصابعه فيتبع موضع أصابعه، فصنع له طعاماً فيه ثوم، فلما رُدَّ إليه سأل عن موضع أصابع النبي ﷺ، فقيل له: لم يأكل، ففزع وصعد إليه فقال: أحرام هو؟ فقال النبي ﷺ: «لا، ولكني أكرهه»، قال: وإني أكره ما تكره أو ما كرهت، قال: وكان النبي ﷺ يؤتى.

رواه مسلم رقم (٢٠٥٣) في الأشربة (٩/١٤، ١٠)، وأحمد (٤١٥/٥) وغيرهما.

وقوله: «وكان النبي ﷺ يؤتى» مبني للمجهول، يعني: تأتيه الملائكة وهم لا يحبون الروائح الكريهة كما جاء في رواية: «فإني أناجي مَنْ لا تُناجي، وأن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم»، ففي هذا الحديث فائدتان اثنتان، أحدهما: تأدب أبي أيوب مع رسول الله ﷺ واحترامه وتوقيره إياه حيث امتنع من السكنى فوق النبي ﷺ، وذلك عنوان منه يدل على تعظيم الجانب النبوي... وثانيهما: تبرّكه بالآثار النبوية وابتغاؤه البركة من آثار أصابعه ﷺ، وهذا لم يختص به أبو أيوب فالصحابه كلهم كانوا يتبركون بآثاره ﷺ كما يأتي في موضعه.

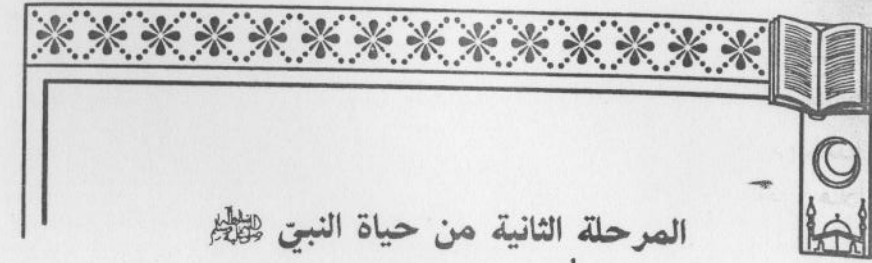
✽ خلاصة ما تقدم من المبعث إلى نهاية الهجرة من الأعمال النبوية والأحداث

جاء في الأبواب السابقة من المبعث إلى هنا عدة أعمال نبوية وأحداث مختلفة أهمها وأبرزها وأجلها: تفضل الله عز وجل على حبيبه سيدنا

بالملائكة والرسل والكتب الإلهية ثم الإيمان بالبعث والقيامة وما فيها... ثم الدعوة إلى مكارم الأخلاق وبيان قصص الأنبياء وغيرهم.

114 - وكانت أكثر السور نزلت بمكة في هذه الفترة تهتم بهذا الجانب، ولم يبق من القرآن إلا ثلاث وعشرون سورة وهي السور المدنية التي تُعنى بالأحكام والحلال والحرام والتشريع الإسلامي العام، وتلك السور هي:

البقرة، آل عمران، النساء، المائدة، الأنفال، التوبة، الحج، النور، الأحزاب، القتال، الفتح، الحجرات، الحديد، المجادلة، الحشر، الممتحنة، الصف، الجمعة، المنافقون، التغابن، الطلاق، التحريم، النصر، على خلاف في بعض لم تذكر.



المرحلة الثانية من حياة النبي ﷺ السنة الأولى من الهجرة وحوادثها التاريخ

[١٤٣] عن سهل بن سعد رضي الله تعالى عنه قال: ما عدّوا من مبعث النبي ﷺ ولا من وفاته، ما عدّوا إلا من مقدّمه المدينة. رواه البخاري قبيل المغازي (٢٦٩/٨، ٢٧٠).

[١٤٤] وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: كان التاريخ في السنة التي قدم فيها رسول الله ﷺ المدينة، وفيها ولد عبدالله بن الزبير. رواه الحاكم (١٣/٣، ١٤) وصححه على شرط مسلم ووافقه الذهبي.

[١٤٥] وعن سعيد بن المسيّب رضي الله تعالى عنهما قال: جمع عمر رضي الله تعالى عنه الناس فسألهم: من أيّ يوم يكتب التاريخ؟ فقال عليّ بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه: من يوم هاجر رسول الله ﷺ وترك أرض الشرك، ففعله عمر رضي الله تعالى عنه.

رواه الحاكم أيضاً (١٤/٣) وصححه ووافقه الذهبي وقال: صحيح.

كان العرب كغيرهم من الأمم يؤرّخون بالأحداث الظاهرة، فلما توفي النبي ﷺ وخلفه الصديق ثم عمر رضي الله تعالى عنهما وتكوّنت الدولة الإسلامية وفتحت الأقطار والأمصار احتاجوا إلى وقت يؤرّخون منه تاريخ الإسلام، فاستشار سيّدنا عمر الصحابة رضي الله تعالى عنهم، فأشار كلّ بما

بدا له، فاختر عمر قول علي رضي الله تعالى عنهما، فجعل التاريخ من هجرة النبي ﷺ، وإنما قدموه لأول السنة من المحرم لأن ابتداء العزم على الهجرة كان في المحرم؛ إذ البيعة وقعت في أثناء ذي الحجة وهي مقدمة الهجرة، فكان أول هلال استهل بعد البيعة والعزم على الهجرة هلال المحرم، فناسب أن يجعل مبتدأ. قال الحافظ: وهذا أقوى ما وقفت عليه من مناسبة الابتداء بالمحرم.

وما ذكرناه هو مؤدى ما ذكر من أقوال سهل وابن عباس وعلي وسعيد رضي الله تعالى عنهم.

✽ مجيء عبدالله بن سلام إلى النبي ﷺ وإسلامه

[١٤٦] عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: سمع عبدالله بن سلام رضي الله تعالى عنه بمقدم رسول الله ﷺ وهو في أرض يَحْتَرَف، فأتى النبي ﷺ فقال: إني سائلك عن ثلاث لا يَعلَمُهُنَّ إلا نبي، فما أول أشراف الساعة؟ وما أول طعام أهل الجنة؟ وما ينزع الولد إلى أبيه؟ قال: «أخبرني بهن جبريل آنفاً»، قال: جبريل، قال: نعم، قال: ذاك عدو اليهود من الملائكة، فقرأ هذه الآية: ﴿مَنْ كَانَتْ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ﴾.

«أما أول أشراف الساعة فنانز تحشر الناس من المشرق إلى المغرب، وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد حوت، وإذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد، وإذا سبق ماء المرأة ماء الرجل نزع»، قال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنك رسول الله، يا رسول الله إن اليهود قوم بُهت، وأنهم إن يعلموا بإسلامي قبل أن تسألهم يبهتوني، فجاءت اليهود فقال: «أي رجل عبدالله فيكم؟» قالوا: خَيْرُنَا وابن خَيْرِنَا، وسَيِّدُنَا وابن سَيِّدِنَا، قال: «أرايتم إن أسلم عبدالله بن سلام؟» قالوا: أعاده الله من ذلك، فخرج عبدالله فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، قالوا: شَرُّنَا وابن شَرُّنَا، فانتقصوه، قال: هذا الذي كنت أخاف يا رسول الله.

وفي رواية: «يا معشر اليهود ويلكم اتقوا الله، فوالله الذي لا إله إلا هو إنكم لتعلمون أنني رسول الله حقاً، وأني جئتكم بحق أسلموا»، فقالوا: ما نعلمه.

رواه أحمد والبخاري في التفسير وفي الأنبياء وفي الهجرة (٢٧٤/٨)، (٢٧٥).

قوله: «يخترف» أي: يجني رطباً لأهله. قوله: «ينزع الولد» أي: جذبه إليه، وفي رواية لمسلم من حديث عائشة: «إذا علا ماء الرجل ماء المرأة أشبه أعمامه، وإذا علا ماء المرأة ماء الرجل أشبه أخواله»، والمراد بالعلو هنا سبق الماء، وقد تقدم بعض هذا في الطهارة.

وقوله: قوم بهت - بضم الباء والهاء وتسكن - أي: يبهتون السامع بما يفترونه من الكذب.

وفي الحديث فضل عبدالله بن سلام وإنصافه وأن الله تفضل عليه من بين اليهود وأسعده كما فيه تلك المعجزة الظاهرة من إخباره ﷺ بما كان غائباً عنه من أشراف الساعة وما يقدم أول لأهل الجنة من الطعام، وكيف يكون الشبه في الأولاد للأب أو الأم... ولقصة عبدالله هذا طرق سيأتي بعضها في الأدب.

✽ بناء المسجد النبوي الشريف

[١٤٧] عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: لما قدم رسول الله ﷺ نزل في أعلى المدينة في حي يقال لهم: بنو عمرو بن عوف فأقام فيهم أربع عشرة ليلة ثم إنه أرسل إلى ملا من بني النجار، قال: فجاءوا مُتَقَلِّدين سيوفهم، قال: فكأنني أنظر إلى رسول الله ﷺ على راحلته، وأبو بكر ردفه وملا بني النجار حوله حتى ألقى بفناء أبي أيوب، قال: فكان يصلي حيث أدركته الصلاة ويصلي في مرابض الغنم، ثم أمر بالمسجد فأرسل إلى

محمد ﷺ بنعمته الكبرى عليه وعلى أمته وهي بدء الوحي، وأول ما نزل عليه من القرآن الكريم، ثم صفة الوحي، وكيف كان يتلقاه ﷺ ثم بداية الدعوة ومرآحتها في حياته ﷺ ثم بيان السابقين للإسلام وأول من أسلم منهم، ثم الجهر بالدعوة والصدع بها للأقارب والأباعد، ثم إيذاء الكفار له ﷺ بشتى الأنواع ثم طلب الكفار من أبي طالب أن يتدخل في كفت النبي ﷺ عن سب آلهتهم وتسفيه أحلامهم... ثم إيذاؤهم للصحابة وعدوان المشركين عليهم، وخاصة الضعفاء والخدم منهم، ثم ذكر قول الوليد بن المغيرة في القرآن وأنه سحر... ثم تفاوض قريش مع النبي ﷺ وعرضهم عليه المال والنساء والمُلْك وأن يدع ما هو بصده، ثم اقتراحهم عليه الإتيان بالآيات كانشقاق القمر وانقلاب الصفا ذهباً... ثم بدأت بشائر عز الإسلام تظهر؛ فأسلم حمزة بن عبد المطلب عم النبي ﷺ وأسد هذه الأمة، ثم إسلام أبي ذر الغفاري وضمار الأزد... ثم تأتي قصة إسلام الجن بعد أن مُنِعُوا من استراق السمع ثم بيان ما كان يفعله النبي ﷺ والإمام علي عليه السلام من تحطيم الأصنام التي كانت منصوبة على الكعبة وتلطixها بالعدرة بواسطة زيد بن حارثة رضي الله تعالى عنه والإمام علي كرم الله وجهه، ثم جاءت الهجرة إلى الحبشة الأولى والثانية وما صدر فيها من عز وانتصار للمهاجرين على عمرو بن العاص ورفيقه، ثم تقوى الإسلام وازداد عزاً بإسلام بطل الإسلام وعبقريه عمر الفارق رضي الله تعالى عنه، ثم جاءت المحنة النكراء حصار النبي ﷺ في الشعب ومعه بنو هاشم وبنو المطلب بمؤمنهم وكافرهم، ثم الانتقام من المستهزئين، ثم قصة ابن أم مكتوم مع النبي ﷺ، ثم دعاؤه ﷺ على كفار قريش لما استعصوا بالقحط والجذب حتى أكلوا الجيفة والعظام، ثم تأتي المعجزة الإخيارية للقرآن الكريم وهي قصة انتصار الروم على فارس بعد هزيمتها، ثم جاء عام الحزن حيث توفي عم النبي ﷺ أبو طالب، ثم وفاة خديجة وكان ذلك في سنة واحدة وشهر واحد.

ثم تزوجه ﷺ بسودة بنت زمعة رضي الله تعالى عنها وعقده على عائشة حبيبته رضي الله تعالى عنها وهي بنت ست سنين، ثم خروج

النبي ﷺ إلى الطائف بعد أن تكالب عليه الكفار وتفاقم عليه البلاء واشتد أمره، ثم خروج الصديق رضي الله تعالى عنه مهاجراً ورجوعه في جوار ابن الذئبة.

ثم تأتي الآية الكبرى والمعجزة العظمى، وهو حادث الإسراء والمعراج الذي كان أعظم مُسَلِّ للنبي ﷺ ومُثَبِّت، ثم عرض رسول الله ﷺ نفسه على القبائل في الأسواق ومواسم الحج، ثم بداية وفود الأنصار عليه ﷺ وقدمهم عليه لأول مرة يلقونه فيها، ثم بدء إسلام الأنصار، ثم بيان بيعة العقبة الأولى، ثم الثانية، ثم إرسال مصعب بن عمير إلى المدينة ليدعو إلى الله ويفقه من أسلم منهم، ثم انتشار الإسلام بالمدينة وقُلت دار من دورها ليس فيها إسلام.

ثم جاءت بوادر هجرة النبي ﷺ فرأى في منامه دار هجرته، ثم ذكر أول من هاجر إليها من الصحابة، ثم ذكر قصة هجرة أم سلمة رضي الله تعالى عنها، ثم مؤامرة كفار قريش على قتله ﷺ ثم خروجه من بين أظهرهم وتعميتهم عنه، ثم لحوقه بالغار ثم جاءت الهجرة وخروجه مصحوباً بالصديق، فقطعاً مسافة ما بين مكة والمدينة تحت رعاية الله تعالى وحمايته، ثم وصوله إلى المدينة ونزوله بقباء أربعة عشر يوماً أسس خلالها مسجده التاريخي، ثم نزل إلى المدينة ونزل على أبي أيوب الأنصاري ثم فرح الصحابة به واحتفالهم بقدمه ﷺ.

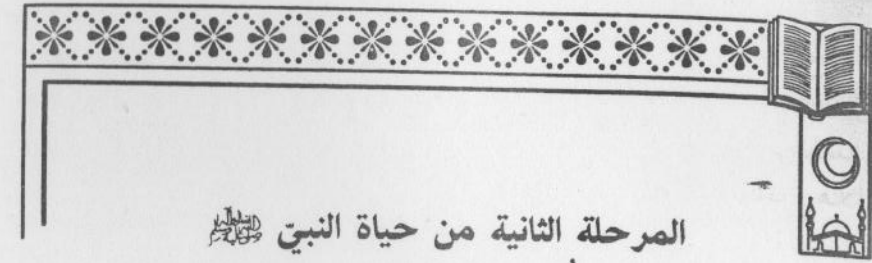
هذه مضامين المرحلة الأولى من حياته ﷺ بمكة المكرمة من المبعث إلى الهجرة، وكانت إقامته بها بعد بداية الوحي ثلاثة عشر عاماً كانت كلها بلايا وفتناً ونكبات في سبيل تبليغ رسالته والدعوة إلى الله تعالى. وها هو الآن بالمدينة بين أنصاره ومؤيديه من المؤمنين به ﷺ مؤزراً منصوراً عزيزاً منيعاً.

ومما تجدر الإشارة إليه هنا هو أن دعوته بمكة طوال هذه السنين كانت خاصة بأصول الدين والعقيدة؛ كالدعوة إلى التوحيد وبيان دلائله من هذا الكون والدعوة إلى ترك عبادة غير الله عز وجل والأمر بالإيمان

بالملائكة والرسل والكتب الإلهية ثم الإيمان بالبعث والقيامة وما فيها... ثم الدعوة إلى مكارم الأخلاق وبيان قصص الأنبياء وغيرهم.

114 وكانت أكثر السور نزلت بمكة في هذه الفترة تهتم بهذا الجانب، ولم يبق من القرآن إلا ثلاث وعشرون سورة وهي السور المدنية التي تُعنى بالأحكام والحلال والحرام والتشريع الإسلامي العام، وتلك السور هي:

البقرة، آل عمران، النساء، المائدة، الأنفال، التوبة، الحج، النور، الأحزاب، القتال، الفتح، الحجرات، الحديد، المجادلة، الحشر، الممتحنة، الصف، الجمعة، المنافقون، التغابن، الطلاق، التحريم، النصر، على خلاف في بعض لم تذكر.



المرحلة الثانية من حياة النبي ﷺ السنة الأولى من الهجرة وحوادثها التاريخ

[١٤٣] عن سهل بن سعد رضي الله تعالى عنه قال: ما عدّوا من مبعث النبي ﷺ ولا من وفاته، ما عدّوا إلا من مقدّمه المدينة. رواه البخاري قبيل المغازي (٢٦٩/٨، ٢٧٠).

[١٤٤] وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: كان التاريخ في السنة التي قدم فيها رسول الله ﷺ المدينة، وفيها ولد عبدالله بن الزبير. رواه الحاكم (١٣/٣، ١٤) وصححه على شرط مسلم ووافقه الذهبي.

[١٤٥] وعن سعيد بن المسيّب رضي الله تعالى عنهما قال: جمع عمر رضي الله تعالى عنه الناس فسألهم: من أيّ يوم يكتب التاريخ؟ فقال علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه: من يوم هاجر رسول الله ﷺ وترك أرض الشرك، ففعله عمر رضي الله تعالى عنه.

رواه الحاكم أيضاً (١٤/٣) وصححه ووافقه الذهبي وقال: صحيح.

كان العرب كغيرهم من الأمم يؤرّخون بالأحداث الظاهرة، فلما توفي النبي ﷺ وخلفه الصديق ثم عمر رضي الله تعالى عنهما وتكوّنت الدولة الإسلامية وفتحت الأقطار والأمصار احتاجوا إلى وقت يؤرّخون منه تاريخ الإسلام، فاستشار سيّدنا عمر الصحابة رضي الله تعالى عنهم، فأشار كلُّ بما

بدا له، فاختر عمر قول علي رضي الله تعالى عنهما، فجعل التاريخ من هجرة النبي ﷺ، وإنما قدموه لأول السنة من المحرم لأن ابتداء العزم على الهجرة كان في المحرم؛ إذ البيعة وقعت في أثناء ذي الحجة وهي مقدمة الهجرة، فكان أول هلال استهل بعد البيعة والعزم على الهجرة هلال المحرم، فناسب أن يجعل مبتدأ. قال الحافظ: وهذا أقوى ما وقفت عليه من مناسبة الابتداء بالمحرم.

وما ذكرناه هو مؤدى ما ذكر من أقوال سهل وابن عباس وعلي وسعيد رضي الله تعالى عنهم.

✽ مجيء عبدالله بن سلام إلى النبي ﷺ وإسلامه

[١٤٦] عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: سمع عبدالله بن سلام رضي الله تعالى عنه بمقدم رسول الله ﷺ وهو في أرض يَحْتَرِف، فأتى النبي ﷺ فقال: إني سائلك عن ثلاث لا يَعلَمُهُنَّ إلا نبي، فما أول أشراف الساعة؟ وما أول طعام أهل الجنة؟ وما ينزع الولد إلى أبيه؟ قال: «أخبرني بهن جبريل آنفاً»، قال: جبريل، قال: نعم، قال: ذاك عدو اليهود من الملائكة، فقرأ هذه الآية: ﴿مَنْ كَانَتْ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ﴾.

«أما أول أشراف الساعة فنانز تحشر الناس من المشرق إلى المغرب، وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد حوت، وإذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد، وإذا سبق ماء المرأة ماء الرجل نزع»، قال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنك رسول الله، يا رسول الله إن اليهود قوم بُهت، وأنهم إن يعلموا بإسلامي قبل أن تسألهم يبهتوني، فجاءت اليهود فقال: «أي رجل عبدالله فيكم؟» قالوا: خَيْرُنَا وابن خَيْرِنَا، وسيدنا وابن سيدنا، قال: «أرايتم إن أسلم عبدالله بن سلام؟» قالوا: أعاده الله من ذلك، فخرج عبدالله فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، قالوا: شَرُّنَا وابن شَرُّنَا، فانتقصوه، قال: هذا الذي كنت أخاف يا رسول الله.

وفي رواية: «يا معشر اليهود ويلكم اتقوا الله، فوالله الذي لا إله إلا هو إنكم لتعلمون أنني رسول الله حقاً، وأني جنتكم بحق أسلموا»، فقالوا: ما نعلمه.

رواه أحمد والبخاري في التفسير وفي الأنبياء وفي الهجرة (٢٧٤/٨)، (٢٧٥).

قوله: «يخترف» أي: يجني رطباً لأهله. قوله: «ينزع الولد» أي: جذبه إليه، وفي رواية لمسلم من حديث عائشة: «إذا علا ماء الرجل ماء المرأة أشبه أعمامه، وإذا علا ماء المرأة ماء الرجل أشبه أخواله»، والمراد بالعلو هنا سبق الماء، وقد تقدم بعض هذا في الطهارة.

وقوله: قوم بهت - بضم الباء والهاء وتسكن - أي: يبهتون السامع بما يفترونه من الكذب.

وفي الحديث فضل عبدالله بن سلام وإنصافه وأن الله تفضل عليه من بين اليهود وأسعده كما فيه تلك المعجزة الظاهرة من إخباره ﷺ بما كان غائباً عنه من أشراف الساعة وما يقدم أول لأهل الجنة من الطعام، وكيف يكون الشبه في الأولاد للأب أو الأم... ولقصة عبدالله هذا طرق سيأتي بعضها في الأدب.

✽ بناء المسجد النبوي الشريف

[١٤٧] عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: لما قدم رسول الله ﷺ نزل في أعلى المدينة في حي يقال لهم: بنو عمرو بن عوف فأقام فيهم أربع عشرة ليلة ثم إنه أرسل إلى ملا من بني النجار، قال: فجاءوا مُتَقَلِّدين سيوفهم، قال: فكأنني أنظر إلى رسول الله ﷺ على راحلته، وأبو بكر ردفه وملا بني النجار حوله حتى ألقى بفناء أبي أيوب، قال: فكان يصلي حيث أدركته الصلاة ويصلي في مرابض الغنم، ثم أمر بالمسجد فأرسل إلى

ملا من بني النجار فجاءوا، فقال: «يا بني النجار ثامنوني حائطكم هذا»، فقالوا: والله لا نطلب ثمنه إلا إلى الله، قال: وكان فيه قبور المشركين وكان فيه خرب وكان فيه نخل، فأمر رسول الله ﷺ بقبور المشركين فنبِشَتْ، وبالخرب فسويت، وبالنخل فقطع، قال: فصفوا النخل إلى قبلة المسجد، وجعلوا عِضَادَتِيهِ حجارة، قال: وجعلوا ينقلون ذلك الصخر وهم يرتجزون ورسول الله ﷺ معهم يقول: «اللَّهُمَّ لا خَيْرَ إِلا خَيْرَ الآخِرَةِ، فانصر الأنصارَ والمهاجرة».

رواه البخاري ومسلم وقد تقدم قسم المسجد منه في الصلاة رقم (٥٥١)، وقسم نزوله ﷺ بقباء وبادار أبي أيوب تقدم أيضاً في حديث عائشة في سياق حديثها في الهجرة.

كان النبي ﷺ لما نزل بالمدينة كان من أول ما اهتم به بناء مسجده الشريف، ورأينا أن موضعه كان مربداً ليتيمين لأسعد بن زرارة فوهباه له بلا مقابل، وكان أسعد بن زرارة قد أتخذه مصلياً يصلي فيه بأصحابه قبل مقدم النبي ﷺ، ولما شرعوا في بنائه شارك في بنائه النبي ﷺ وأصحابه، ومنهم الخلفاء الثلاثة: أبو بكر وعمر وعثمان رضي الله تعالى عنهم.

[١٤٨] فعن سفينة رضي الله تعالى عنه قال: لما بنى رسول الله ﷺ المسجد جاء أبو بكر بحجر فوضعه، ثم جاء عمر بحجر فوضعه، ثم جاء عثمان بحجر فوضعه رضي الله تعالى عنهم، فقال رسول الله ﷺ: «هؤلاء ولاة الأمر من بعدي».

رواه الحاكم (١٣/٣) وصححه وقال الذهبي: صحيح، وكان منهم أيضاً عمار بن ياسر رضي الله تعالى عنه.

[١٤٩] فعن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال: كنا نحمل لَبَنَةً لَبَنَةً، وعماراً لبنتين لبنتين، فرآه النبي ﷺ فينفض التراب عنه ويقول: «وَيْحَ عَمَارٍ تَقْتُلُهُ الْفِتْنَةُ الْبَاغِيَّةُ، يَدْعُوهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ وَيَدْعُوْنَهُ إِلَى النَّارِ»، قال: يقول عمار: أعوذ بالله من الفتن.

رواه البخاري في مواضع ومسلم في الفتن وغيرها ويأتي في الفضائل

وغيرها، وتقدم في المحاربين. الفئة الباغية: هي الجماعة التي كانت تقاتل الإمام علياً وهم معاوية وأهل الشام. وكان من صفة المسجد أيام النبي ﷺ وتجديده أيام الخلفاء الراشدين ما جاء في الحديث التالي:

[١٥٠] عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: كان المسجد على عهد رسول الله ﷺ مبنياً باللبن، وسقفه الجريد، وعمده خشب النخل، فلم يزد فيه أبو بكر شيئاً، وزاد فيه عمر وبناه على بنيانه في عهد رسول الله ﷺ باللبن والجريد وأعاد عمده خشباً ثم غيره عثمان، فزاد فيه زيادة كثيرة، وبنى جداره بالحجارة المنقوشة والقصة، وجعل عمده من حجارة منقوشة، وسقفه بالساج.

رواه البخاري في المساجد (٨٦/٢).

قوله: «القصة» بفتح القاف الجص. وقوله: «الساج» هو نوع من الخشب.

فهكذا كان المسجد النبوي الأصلي بناءً بسيطاً مبنياً بالحجارة ولبن التراب وأعمدته من خشب النخل، وسقفه بالجريد وعِضَادَتَاهُ، أي جانبا بابيه بالحجارة ثم تفتن الناس في تشييده وزخرفته إلى أن صار إلى ما هو عليه الآن.

وكان المسجد النبوي من يوم أسس مسجداً ثانياً في الفضل تشد إليه الرحال، وكان إضافة إلى إقامة الصلوات الخمس فيه، جامعة إسلامية يلقي فيه النبي ﷺ دروسه ومواعظه ونصائحه لأصحابه، وكان جبريل عليه السلام يتردد إليه من عند الله عز وجل في كل وقتٍ وحين، وهو موضع التشريع الإسلامي، وفيه كانت تُبرم الأمور التي يُراد تنفيذها، ومنه كانت تُبعث السرايا والجيوش لقتال الكفار، وفيه كان ﷺ يستقبل الوفود، وفيه كان يفصل بين المتخاصمين ويصدر أحكامه العادلة... وللمسجد النبوي تاريخ رائع، وله فضائل كالمدينة تقدم بعض ذلك في الحج، وكان ﷺ بنى حجر نسائه متصلات بمسجده. وللمسجد أهمية كبرى في الإسلام، ففيه يتعارف المسلمون ويتوحدون فيقفون بين يدي الله تعالى متحدنين في جو

روحاني خمس مرات في كل يوم، وعنده تَبْدُو أُبْهة الإسلام وتؤدى أعظم شعائره، ومنه يَسْتَقِي عامة المسلمين النصائح والمواعظ والتوجيه بما يتلقونه من العلماء في دروسهم ومَوَاعِظهم وخطبهم...

❁ فرضية الصلاة أربعاً بالمدينة وإبقاء صلاة السفر على أصلها

[١٥٩] عن عائشة رضي الله تعالى عنها، قالت: فُرِضَت الصلاة ركعتين، ثم هاجر رسول الله ﷺ ففُرِضَتْ أربعاً وتُرِكَت صلاة السفر على الأول.

رواه البخاري في الصلاة وفي آخر الهجرة (٢٧١/٨)، ومسلم كذلك وقد تقدم بسياق آخر في الجزء الثاني رقم (١٠٣١).

الحديث يدل على أن الصلاة مفروضة ركعتين غير المغرب، ولما قدم ﷺ زيد في الحضرة ركعتان أخريتان، وبقيت صلاة السفر على أصلها تؤدى ركعتين، وقد تقدم الكلام على هذا الموضوع في صلاة السفر من كتاب الصلاة في الجزء الثاني.

❁ إسلام سلمان الفارسي

[١٥٢] عن سلمان رضي الله تعالى عنه أنه تداوله بضعة عشر من رب إلى رب.

رواه البخاري قبيل المغازي (٢٧٩/٨).

قصة إسلام سلمان رضي الله تعالى عنه ومجيئه إلى النبي ﷺ بعد أن عانى شدائد في حصوله على الدين الحق قد تقدمت في تبشير اليهود والأخبار والرهبان به ﷺ.

❁ المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار

[١٥٣] عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: قد حالف رسول الله ﷺ بين قريش والأنصار في داري.

رواه البخاري في الكفالة (٢٢٩٤) وفي الأدب (٦٠٨٣) وفي الاعتصام (٧٣٤٠)، ومسلم في الفضائل (٢٥٢٩) (٨٢/١٦) وغيرهما.

[١٥٤] وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في قوله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ جَعَلْنَا مَوَالِيَكُمْ﴾، قال: ورثة. ﴿وَالَّذِينَ عَقَدْتَ أَيْمَنُكُمْ﴾، قال: كان المهاجرون لما قدموا على النبي ﷺ المدينة ورث المهاجري الأنصاري دون ذوي رجمه للأخوة التي آخى النبي ﷺ بينهم، فلما نزلت: ﴿وَلِكُلِّ جَعَلْنَا مَوَالِيَكُمْ وَمَا تَرَكَ﴾ الآية نسخت، ثم قال: ﴿وَالَّذِينَ عَقَدْتَ أَيْمَنُكُمْ فَتَأْتُوهُمْ نَصِيحَةً﴾ إلا النضر والرفاضة والنصيحة وقد ذهب الميراث ويوصى له.

رواه البخاري في مواضع منها التفسير رقم (٤٥٨٠) وقد تقدم فيه.

[١٥٥] وعن أنس رضي الله تعالى عنه قال: قالت المهاجرون: يا رسول الله ما رأينا مثل قوم قَدِمْنَا عليهم أحسنَ بَدَلًا من كثير، ولا أحسنَ مُواساةً في قليل، قد كَفَوْنَا المَؤُونَةَ، وأشركونا في المَهْنِ، فقد خَشِينَا أن يَذْهَبُوا بِالْأَجْرِ كُلِّهِ، قال: فقال رسول الله ﷺ: «كَلَّا، مَا أَتَيْتُمْ عَلَيْهِمْ بِهِ وَدَعَوْتُمْ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ لَهُمْ».

رواه أحمد (٢٠٤/٣)، وأبو داود في الأدب (٤٨١٢)، والترمذي في صفة القيامة (٢٤٨٧) وسنده صحيح على شرط الشيخين وحسنه الترمذي وصححه.

[١٥٦] وعنه أيضاً قال: قدم عبدالرحمن بن عوف فأخى النبي ﷺ بينه وبين سعد بن الربيع فعرض عليه أن يُنَاصِفَهُ أهله وماله، فقال عبدالرحمن: بارك الله لك في أهلك ومالك.

الحديث تقدم في النكاح وغيره مطولاً رواه البخاري في المغازي (٢٧٤/٨) وفي مواضع، ومسلم وأبو داود في النكاح والترمذي في البر والصلة والنسائي وابن ماجه في النكاح.

[١٥٧] وعنه أيضاً قال: أخى النبي ﷺ بين أبي عُبَيْدَةَ وبين أبي طلحة.

رواه أحمد (١٥٢/٣)، ومسلم في الفضائل (٢٥٢٨)، وأبو يعلى (٣٣٢٠).

[١٥٨] وعن أبي جُحَيْفَةَ رضي الله تعالى عنه قال: أخى النبي ﷺ بين سلمان وأبي الدرداء.

رواه البخاري في الصيام وفي الأدب والترمذي في الزهد (٢٤١٥) وتقدم في الاعتصام.

قَدِمَ المهاجرون من مكة المكرمة غرباء لا مال لهم ولا أهل، فاقتضت حكمة الله تعالى أن يؤاخى فيما بينهم كأخوة النَّسَبِ يَتَوَارَثُونَ وَيَتَنَاصَرُونَ إلى وقت ما تَمَّ نُسُخُ التَّوَارِثِ وَبَقِيَ التَّنَاصُرُ وَالرَّفَادَةُ وَالتَّنَاصُحُ وَالتَّوَصِيَةُ، وقد أبان الأنصار رضي الله تعالى عنهم عن كرمهم وشدة إحسانهم إلى المهاجرين وإيثارهم إيّاهم على أنفسهم، كما قال تعالى عنهم: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَن هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْتُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾، وكيف لا وقد قاسموا إخوانهم المهاجرين الأموال والنساء، فكان الأنصاري إذا كانت له زوجتان تنازل عن إحداها لأخيه المهاجري، وهكذا يفعل في ماله، ولذلك كان النبي ﷺ يحبهم كثيراً ويدعو معهم ومع أولادهم وقال: «لولا الهجرة لكنت امرأة من الأنصار»، وقال لهم: «المَحْيَا مَحْيَاكُمْ وَالمَمَاتُ مَمَاتِكُمْ»، وستأتي مناقبهم في الفضائل.

وفي الأحاديث المذكورة التنصيص على بعض من أخى بينهم النبي ﷺ وقد سرد الكثير منهم ابن إسحاق كما عند ابن هشام (١٤٦/٢)، و(١٤٧، ١٤٨)، وذكر ابن سعد (٢٣٨/١) أنَّ الذين أخى بينهم النبي ﷺ

كانوا تسعين أو مائة رجل نصفهم من المهاجرين ونصفهم من الأنصار، قال السهيلي رحمه الله تعالى: أخى رسول الله ﷺ بين أصحابه ليذهب عنهم وحشة العُربة ويتأنسوا من مفارقة الأهل والعشيرة، ويشد بعضهم أزر بعض، فلما عز الإسلام واجتمع الشمل وذهبت الوحشة أبطل المواريث وجعل المؤمنين كلهم إخوة، وأنزل: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾، يعني في التوَادد وشمول الدعوة...

ملحوظة: ذكر ابن سعد وغيره أن رسول الله ﷺ لما استقرَّ بالمدينة بعث زيد بن حارثة وأبا رافع إلى مكة وأعطاهما بعيرين وخمسمائة درهم، فقدموا عليه بفاطمة وأم كلثوم ابنتي رسول الله ﷺ وسودة بن زمعة زوجته وأسامة بن زيد وكانت رقية بنت رسول الله ﷺ قد هاجر بها زوجها عثمان بن عفان قبل ذلك، وحبس أبو العاص بن الربيع امرأته زينب بنت رسول الله ﷺ وحمل زيد بن حارثة امرأته أم أيمن مع ابنها أسامة بن زيد، وخرج عبدالله بن أبي بكر معهم بعيال أبي بكر فيهم عائشة الخ.

✽ مبايعة النبي ﷺ نساء الأنصار

[١٥٩] عن أم عطية رضي الله تعالى عنها قالت: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة جمع نساء الأنصار في بيت ثم بعث إليهن عمر بن الخطاب، فقام على الباب فسلم فردذن عليه السلام فقال: أنا رسول رسول الله إِلَيْكُمْ، قُلْنَ: مرحباً برسول الله وبرسول رسول الله ﷺ، وقال: «تُبَايِعُنَّ عَلَىٰ أَن لَا تُشْرِكُنَّ بِاللَّهِ شَيْئًا، وَلَا تَزْنِينَ، وَلَا تَقْتُلْنَ أَوْلَادَكُمْ، وَلَا تَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ تَفْتَرِيهِنَّ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ، وَلَا تَغْصِبُنَّ فِي مَعْرُوفٍ»، قلنا: نَعَمْ، فَمَدَدْنَا أَيْدِيَنَا مِنْ دَاخِلِ الْبَيْتِ، وَمَدَّ يَدَهُ مِنْ خَارِجِ الْبَيْتِ، ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ اشْهَدْ...».

رواه أحمد (٤٠٨/٦، ٤٠٩)، وأصله في الصحيحين.

[١٦٠] وعن أُمَيْمَةَ بنت رُقَيْفَةَ رضي الله تعالى عنهما قالت: أتيت رسول الله ﷺ في نسوة من الأنصار، فقلنا: نُبَايِعُكَ على أن لا نشرك بالله شيئاً ولا نسرق ولا ننزي. ... الحديث.

رواه أحمد ومالك والترمذي والنسائي وابن ماجه بأسانيد صحيحة، وقد تقدم في الإيمان رقم (١٦٦) في الجزء الأول.

الحديثان يدلان على أن النبي ﷺ بايع نساء الأنصار عقب قدومه على هذه الشرائع، وقد تكرر مبايعته للرجال والنساء على شرائع الدين مرات، وستأتي مبايعته للنساء المهاجرات بعد الحديبية.

✽ مرض بعض الصحابة مَقْدَمُهُمُ المدينة ودعاء النبي ﷺ في ذلك

[١٦١] عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: لما قَدِمَ رسولُ الله ﷺ المدينة وَعِكَ أبو بكر وبلال، فكان أبو بكر إذا أَخَذْتُهُ الحُمَى يقول:

كُلُّ امرئٍ مُصَبِّحٌ في أهلهِ والموتُ أَدْنَى مِن شِرَاكِ نَعْلِهِ

وكان بلالٌ إذا أَقْلَعَ عنه الحُمَى يرفع عَقِيرَتَهُ يقول:

ألا لَيْتَ شِعْرِي هل أَيْتَنُ لَيْلَةً بوادٍ وَحَوْلِي إِذْخِرُ وَجَلِيلُ
وهل أَرِدُنَّ يوماً مِياهَ مَجَنَّةٍ وهل يَبْدُو لي شامَةً وَطَفِيلُ

وقال: اللهم العن شيبة بن ربيعة، وعتبة بن ربيعة، وأميمة بن خلف، كما أخرجونا من أرضنا إلى أرض الوباء، قالت عائشة: فجئت رسول الله ﷺ فأخبرته فقال: «اللَّهُمَّ حَبِّبْ إلينا المدينة كَحُبِّنا مَكَّةَ أو أَشَدَّ، اللَّهُمَّ بارك لنا في صاعنا وفي مَدَننا، وَصَحِّحْها لنا، وانقُلْ حُمَّها إلى الجُحْفَةِ»، قالت: وقدمنا المدينة وهي أَوْبأُ أرضِ الله، قالت: فكان بَطْحانُ يجري نَجْلاً، تعني ماء آجناً.

رواه البخاري آخر الهجرة (٢٦٤/١، ٢٦٥) وفي المرضى وفي الدعاء، ومسلم رقم (١٣٧٦) في كتاب الحج.

[١٦٢] وعن عبدالله بن عمر رضي الله تعالى عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «رَأَيْتُ حَمَّانَ امرأَةَ سوداءَ ثائِرَةَ الرَّأسِ خَرَجَتْ مِنَ المَدِينَةِ حَتَّى قَدِمَتْ مَهَبِيعَةَ وهي الجحفة فأولت أن وباء المدينة نُقل إليها».

رواه البخاري والترمذي كلاهما في التعبير والرؤيا وتقدم.

«وعك» بضم الواو وكسر العين أي: أصابه الوباء وهي الحمى. «شراك نعله» بكسر الشين هو السير الذي يكون على وجه النعل. «يرفع عقيرته» أي صوته. «بوادٍ» أي بوادي مكة. «إذخر وجليل» هما نباتان. «مياه مجنة» كان من أسواق العرب. «شامة وطفيل» هما جبلان يقرب مكة. «ثائرة الرأس» أي: منتفخاً غير ممشوط. «ومهيعة» بفتح الميم والياء والعين وسكون الهاء.

في حديث عائشة بيان ما نزل بهم من الحمى، ودعاء النبي ﷺ بإبدالهم محبة مكة بمحبة المدينة وأشد مع البركة في مكياهم وإبدال وباء المدينة بصحتها، وإخراج ما فيها إلى الجحفة، فأجاب الله دعاءه في كل ما دعا به، فحبب الله إليهم المدينة وألّفوها وأنزل لهم البركة في طعامهم ورزقهم ونقل وباءها إلى مهيعة حتى مثل له وباءها وحماها امرأة سوداء منتفخة الشعر، فخرجت حتى نزلت بالجحفة، والحديث يدل على أن الإنسان مجبول على حب مسقط رأسه والوطن الذي نشأ فيه، وأنه دائماً يحن إليه ويتفكر في ذكرياته، وهذا شيء لا نزاع فيه لا سيما مثل مكة المكرمة حرم الله عز وجل.

✽ أول مولود في الإسلام في المدينة للمهاجرين

[١٦٣] عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله تعالى عنها أنها حملت بعبدالله بن الزبير بمكة المكرمة، قالت: فخرجت وأنا مُتِمِّمٌ، فأتيت المدينة

فنزلت قباء فولدت بقاء ثم أنيت به رسول الله ﷺ فوضعت في حجره، ثم دعا بتمر فمضغها ثم تفل في فيه، فكان أول شيء دخل جوفه ريق رسول الله ﷺ ثم حنكه بالتمر ثم دعا له وبرك عليه، وكان أول مولود وُلد في الإسلام، ففرحوا به فرحاً شديداً، لأنهم قيل لهم: إن اليهود قد سخرتكم فلا يؤلد لكم.

رواه البخاري في الهجرة النبوية (٢٤٩/٨، ٢٥٠) وفي العقيقة رقم (٥٤٦٩)، ومسلم في الأدب (٢١٤٦) زاد مسلم، قالت أسماء: ثم مسح صلى عليه وسماه عبدالله، ثم جاء وهو ابن سبع سنين أو ثمان ليباع رسول الله ﷺ وأمره بذلك الزبير، فتبسم رسول الله ﷺ حين رآه مقبلاً إليه ثم بايعه.

ورواه البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله تعالى عنها مختصراً.

قولها: «وأنا متم» أي: مقاربة للولادة. قولها: فمضغها، وفي رواية عائشة: فلاكها، وقولها: ثم «حنكه» ثم تفل في فيه، ومعناه وضع في فيه التمرة، وذلك وحنكه بها. «وبرك عليه» أي: قال برك الله فيه.

وفي الحديث بيان أن عبدالله هذا هو أول مولود وُلد للمهاجرين بعد الهجرة، وأن الصحابة فرحوا بولادته، وفيه أن ولادته كانت بقاء لنزول أسماء به ثم نزلت به إلى المدينة فوضعت في حجر رسول الله ﷺ، وليس المراد أنها أتت به رسول الله بقاء كما يفيد ظاهر قول أسماء، بل أتت به إلى المدينة. وحنك الأطفال تقدم في العقيقة.

وفيه مشروعية مبايعة الأطفال على الإسلام وشرائعه، ولا ينبغي أن يختلف فيه.

✽ بناؤه ﷺ بعائشة رضي الله تعالى عنها

[١٦٤] عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: قال لي رسول الله ﷺ: «رأيتك في المنام يجيء بك الملك في سرقة من حرير، فقال لي: هذه

امرأتك، فكشفت عن وجهك الثوب فإذا هي أنت، فقلت: إن يك هذا من عند الله يُمضيه» وفي رواية: «رأيتك في المنام ثلاث ليل»، وفي أخرى: «رأيتك في المنام مرتين».

رواه البخاري آخر المبعث (٢٢٥/٨) وفي مواضع، ومسلم (٢٤٣٨) في النكاح.

[١٦٥] وعنها قالت: تزوجني النبي ﷺ وأنا بنت ست سنين، فقدمنا المدينة فنزلنا في بني الحارث بن خزرج فوعكث فتمزق شعري فوقى جُميمة، فأتتني أمي أم رومان وإني لفي أزجوحة ومعي صواحب لي فصرخت بي فأتيتها لا أذري ما تريد بي، فأخذت بيدي حتى أوقفتني على باب الدار، وإني لأبهج حتى سكن بعض نفسي، ثم أخذت شيئاً من ماء فمسحت به وجهي ورأسي ثم أدخلتني الدار، فإذا نسوة من الأنصار في البيت فقلن: على الخير والبركة، وعلى خير طائر، فأسلمتني إليهن فأصلحن من شأني، فلم يرغني إلا رسول الله ﷺ ضحى فأسلمتني إليه، وأنا يومئذ بنت تسع سنين. وفي رواية: ومكثت عنده تسعاً. وفي أخرى: ومات عنها وهي بنت ثمان عشرة.

رواه البخاري آخر المبعث (٢٢٤/٨)، ومسلم (١٤٢٢) في النكاح.

«سرقة» بفتحات هي القطعة. «فتمزق شعري» أي: تقطع. «فوفى» أي: تربى فكثر. «جميمة» تصغير جمّة هو مجتمع شعر الناصية، ويقال للشعر إذا بلغ المنكبين. «أنهج» بضم الهمزة أي: أتففس تنفساً عالياً، وقولهن: «على خير طائر» أي: خير حظ ونصيب. وقولها: «فلم يرغني» بضم الراء وسكون العين أي: لم يفزعني شيء إلا دخول رسول الله ﷺ عليّ.

الحديث الأول يدل على أن تزوجه ﷺ بهذه السيدة كان بإذن من الله عز وجل، لأن رؤيا الأنبياء حق، وقد أرى ذلك مرّات متكررة تأكيداً له أنها زوجته.

أما الحديث الثاني، فيدل على أمور: أولاً: إن عائشة ممن أصيبت بوباء المدينة فمرضت حتى سقط شعر رأسها. ثانياً: جواز تزويج البنت الصغيرة بدون استئذان لها، وهو إجماع كما تقدم في النكاح. ثالثاً:

* مَنَآوَأَةُ الْيَهُودِ وَالْمَنَافِقِينَ لِلنَّبِيِّ ﷺ *

[١٦٧] عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: أقبلت يهود إلى رسول الله ﷺ، فقالوا: يا أبا القاسم إننا نسألك عن خمسة أشياء، فإن أنبأتنا بهن عرفنا أنك نبي واتبعناك، فأخذ عليهم ما أخذ إسرائيل على بنييه، إذ قال: «الله على ما نقول وكيل»، قال: «هاتوا»، قالوا: أخبرنا عن علامة النبي؟ قال: «تنام عيناه ولا ينام قلبه»، قالوا: أخبرنا كيف تؤنث المرأة وكيف تُذكر؟ قال: «يلتقي الماءان فإذا علا ماء الرجل ماء المرأة أذكرت، وإذا علا ماء المرأة ماء الرجل أثثت»، قالوا: أخبرنا عما حرم إسرائيل على نفسه، قال: «كان يشتكي عرق النساء فلم يجد شيئاً يلائمه إلا ألبان الإبل فحرم لحومها»، قالوا: صدقت، قالوا: أخبرنا ما هذا الرغد؟ قال: «ملك من ملائكة الله عز وجل موكل بالسحاب بيده أو في يده مخراق من نار يزجر به السحاب يسوقه حيث أمر الله عز وجل»، قالوا: فما هذا الصوت الذي يُسمع؟ قال: «صوته»، قالوا: صدقت، إنما بقيت واحدة وهي التي تُباعك إن أخبرتنا بها، فإنه ليس من نبي إلا له ملك يأتيه بالخير، فأخبرنا من صاحبك؟ قال: «جبريل عليه السلام»، قالوا: جبريل ذلك الذي ينزل بالحزب والقتال والعذاب عدونا، لو قلت: ميكائيل الذي ينزل بالرحمة والنبات والقطر لكان، فأنزل الله عز وجل: ﴿مَنْ كَانَتْ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ﴾ الآية.

رواه أحمد (٢٧٣/١، ٢٧٤، ٢٧٨)، والترمذي في التفسير (٢٩١٥) بهتديبي، والنسائي في الكبرى (٣٣٦/٥) وحسنه الترمذي وصححه، وتقديم في تفسيري البقرة وآل عمران مقطعا.

[١٦٨] وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ قال: «لو آمن بي عشرة من اليهود لأمن بي اليهود»، وفي رواية: «لو تابعتني عشرة من اليهود لم يبق على ظهرها يهودي إلا أسلم».

رواه البخاري آخر المبعث (٢٧٧/٨)، ومسلم رقم (٢٧٩٣).

[١٦٩] وعن أسامة بن زيد رضي الله تعالى عنهما أن رسول الله ﷺ

مشروعية الدعاء مع الزوج بالخير والبركة وقد تقدم شيء من هذا في النكاح. رابعاً: يدل الحديث على أن الدخول بالزوجة ليس له وقت خاص، فهذا النبي ﷺ دخل بعائشة ضحى، والأمر في ذلك واسع، وكان قد بنى بها في شهر شوال كما تقدم عنها في النكاح، فيكون دخل بها بعد قدمه المدينة ستة أشهر أو سبعة. خامساً: فيه أن النبي ﷺ توفي ولعائشة ثمان عشرة سنة وأقامت عنده تسع سنين، وسيأتي بقية للموضوع في الفضائل إن شاء الله تعالى.

قلت: العزل غير منزهة عنها تماماً روي في السنة
قلت: كانا رهاهما مع ***
قلت: كانا رهاهما مع ***
قلت: كانا رهاهما مع ***

* بَدْءُ الْأَذَانِ بِالْمَدِينَةِ *

[١٦٦] عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: كان المسلمون حين قدموا المدينة يجتمعون فيتحيتون الصلوات وليس ينادي بها أحد، فتكلموا يوماً في ذلك، فقال بعضهم: اتخذوا ناقوساً مثل ناقوس النصراري، وقال بعضهم: اتخذوا قرناً مثل قرن اليهود، قال: فقال عمر: أو لا تبعثون رجلاً ينادي بالصلاة؟ قال: فقال رسول الله ﷺ: «يا بلال قم فناد بالصلاة».

رواه أحمد والبخاري ومسلم والترمذي، وتقدم في الأذان.

«يتحيتون» أي: يُقدرون أحيانها وأوقاتها ليأتوا إليها.

وظاهر هذا الحديث أن عمر هو الذي أمر بالتداء من عنديته، والأمر ليس كذلك، بل هذا مُجْمَلٌ جاء مفضلاً في حديث عبدالله بن زيد الذي أرى الأذان في منامه، فلما قصه على النبي ﷺ وأمر بلالاً أن ينادي به سمعه عمر، فجاء يسعى وأخبر أنه رأى مثل ما رأى عبدالله بن زيد، وقد تقدم ذلك مفضلاً في الجزء الأول رقم (٥٢٧) من كتاب الأذان.

والصحيح من قولي العلماء أن الأذان كانت مشروعيته في السنة الأولى للهجرة، وانظر أحكامه فيما سبق من كتاب الأذان.

ركب على حمار على قطيفة فدكّية، وأزْدَفَ أسامةَ بن زيد ورائه يعود سعد بن عبادة في بني الحارث بن الخزرج قَبْلَ وَقْعَةِ بَدْرٍ، قال: حتى مرَّ بمَجْلِسٍ فيه عبد الله بن أبي ابن سلول، وذلك قبل أن يُسَلِّمَ عبد الله بن أبي - يعني المنافق - فإذا في المجلس أخلاط من المسلمين والمشركين عبدة الأوثان واليهود والمسلمين، وفي المجلس عبد الله بن رَوَاحَةَ، فلما غَشِيَتْ المجلسَ عَجَاجَةُ الدَابَّةِ حَمَرَ عبد الله بن أبي أنفه بردائه، ثم قال: لا تُعْبَرُوا علينا، فسَلَّمَ رسول الله ﷺ ثم وقف فنزل فدعاهم إلى الله تعالى وقرأ عليهم القرآن، فقال عبد الله بن أبي ابن سلول: أيها المرء إنه لا أحسن مما تقول إن كان حقاً فلا تُؤذنا به في مجالسنا، ارجع إلى رَحْلِكَ فمن جاءك فأقْضُصْ عليه، فقال عبد الله بن رواحة: بلى يا رسول الله، فاعشنا به في مجالسنا، فإننا نُحِبُّ ذلك، فاستَبَّ المسلمون والمشركون واليهود حتى كادوا يَتَنَازَرُونَ، فلم يزل النبي ﷺ يُخَفِّضُهُمْ حتى سكنوا، ثم ركب النبي ﷺ دابته فسار حتى دخل على سَعْدِ بْنِ عَبَادَةَ، فقال له النبي ﷺ: «يا سَعْدُ أَلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالَ أَبُو حُبَابٍ - يريد عبد الله بن أبي - قال: كذا وكذا»، قال سعد بن عبادة: يا رسول الله اغْفُ عنه واضْفَحْ عنه، فوالذي أنزل عليك الكتاب لقد جاء الله بالحق الذي أنزل عليك ولقد اصطَلح أهل هذه البُحْرَةَ على أن يُتَوَجَّوه فيعصبوه بالعصابة، فلما أبى الله ذلك بالحق الذي أعطاك شَرْقَ بَدْرٍ، فذلك فعل به ما رأيت فعفا عنه رسول الله ﷺ.

فذكر الحديث وفيه: فلما غزا رسول الله ﷺ بَدْرًا فقتل الله به صناديد كفار قريش، قال ابن أبي بن سلول ومن معه من المشركين وعبدة الأوثان: هذا أمرٌ قد توجَّه فبايعوا رسول الله ﷺ على الإسلام فأسلموا.

رواه البخاري في التفسير (٢٩٨/٩) وغيره، ومسلم في السيرة (١٥٧/١٢، ١٥٨، ١٥٩)، ورواه مسلم أيضاً عن أنس بسياق آخر.

قوله: «قطيفة» هي دثار وفراش يكون على السرج للخيل أو على الإكاف للحمير. والفدكّية منسوبة إلى فدك بلدة على مرحلتين من المدينة. «عجاجة» هو ما ارتفع من غبار حوافرها. «حَمَرَ أنفه» أي غطاه. «يخفضهم» أي: يسكنهم ويسهل الأمر بينهم. «البحرة» في رواية البحيرة والمراد بها

القرية. «أن يتوجوه فيعصبونه بالعصابة» معناه اتفقوا أن يجعلوه ملكاً عليهم، وكان من عاداتهم إذا ملكوا إنساناً ألبسوه تاجاً وعمامة. «شرق» بكسر الراء أي غَصَّ وحسد النبي ﷺ.

لما تَخَلَّصَ رسول الله ﷺ وأصحابه من أذى المشركين بمكة وصاروا إلى المدينة وجدوا بها عدواً آخر ظهر جديداً ذلكم هم اليهود والمنافقون من الأوس والخزرج، فسلك النبي ﷺ مع الفئتين مسلك الحكمة، فقبل من المنافقين ظواهرهم في إسلامهم، وأوكل بواطنهم إلى الله تعالى العليم بالخفيات.

وكان المنافقون كثيرين يعدون بالمئين كما يأتي في غزوة أحد، وكان رئيسهم وحامل لواء خبثهم هو عبد الله بن أبي ابن سلول المذكور في حديث أسامة، وسيأتي الكلام عليه عند موته...

أما اليهود وكانوا ثلاثة أحياء يسكنون بضواحي المدينة، وهم: بنو قُرَيْظَةَ، وبنو النَّضِيرِ وبنو قَيْنُقَاعَ، فعقد معهم عهداً مقتضاه أن لا يحاربوه ولا يكونوا عوناً عليه مع أعدائه وأن ينصروه ويقاتلوا معه عدوه إن دهمه. في شروط ذكرها أهل السيرة في وثيقة طويلة لا تصح من حيث السند، وهي مشهورة.

لكن اليهود عليهم لعائن الله المتوالية سرعان ما نقضوا العهد وتظاهروا للإسلام والمسلمين بما كانت تكته ضمائرهم الخبيثة من الحسد والحقد والبغضاء وحاربوا المسلمين مع الكفار وساعدوهم فعاملهم النبي ﷺ بما كانوا يستحقونه كما يأتي إن شاء الله مفضلاً في المغازي، ومخازي اليهود ومكرهم للإسلام والمسلمين وعنادهم وإنكارهم الحق وكنتمهم إياه كل ذلك معروف في القرآن الكريم والسنة النبوية، وتقدم لنا حديث مسلمة بن سلامة رقم (١٠) في بعض ذلك، كما تقدم في التفسير الكثير من أخبارهم، وما ذكر في حديث أبي هريرة من أنه لو أسلم عشرة من اليهود لأسلم كل اليهود أراد بالعشرة والله تعالى أعلم رؤساءهم وقتئذك وهم كما ذكرهم الحافظ في الفتح ١٧٧/١ حيث قال: والذي يظهر أنهم الذين كانوا حينئذ رؤساء في اليهود ومن عداهم كان تبعاً لهم، فلم يسلم منهم إلا قليل؛ كعبد الله بن سلام، وكان من

المشهورين بالرياسة في اليهود عند قدوم النبي ﷺ، قال: ومن بني النضير أبو ياسر بن أخطب، وأخوه حَيَّي بن أخطب، وكعب بن الأشرف، ورافع بن أبي الحَقِيق، ومن بني قينقاع عبد الله بن حنيف، وفنحاص، ورفاعة بن زيد، ومن بني قريظة الزبير بن باطيا، وكعب بن أسد، وشمويل بن زيد، فهؤلاء لم يثبت إسلام واحد منهم وكان كل منهم رئيساً في اليهود، ولو أسلم لاتبَعَهُ جماعةُ منهم، فيحتمل أن يكونوا المراد... أما حديث أسامة فتقدم معناه في التفسير مفرقاً.

✽ نزول الإذن من الله بالقتال

[١٧٠] عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: أول آية نزلت في القتال ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ (٣٩) الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ ﴿ الآية، ثم أذن بالقتال في آي كثيرة من القرآن.

رواه النسائي في الكبرى (٤١١/٦) بسند صحيح.

[١٧١] وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: لما أُخْرِجَ النبي ﷺ من مكة، قال أبو بكر: أُخْرِجُوا نَبِيَّكُمْ لِيَهْلِكَنَّ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ (٣٩).

رواه أحمد (١٨٦٥)، والترمذي (٩٦٦)، والنسائي (٤١١/٦)، والحاكم (٣٩٠/٢) ثلاثتهم في التفسير وسنده صحيح وصححه الحاكم على شرطهما ووافقه الذهبي.

ظاهر الحديثين يدل على أن هذه الآية هي أول آية نزلت تأذُنُ بالقتال بعد مَقْدَمِ النبي ﷺ المدينة، وهذا قول الجمهور؛ وكان ذلك في السنة الأولى للهجرة. وبيئت الآية سبب هذا القتال، وأنه ظلم الكفار للمؤمنين حيث كانوا يؤذونهم بمكة ويسومونهم أشد العذاب، ثم أخرجوهم من

ديارهم لكونهم وخذوا ربهم، وكان النبي ﷺ وأصحابه بمكة مأمورين بالعفو والصبر، ولما هاجروا وانتشر الإسلام وقويت شوكة المسلمين وكثر بالمدينة ناصروه أمر الله تعالى بقتال الكفار وردّ عدوانهم، وخاصة كفار قريش ثم تَوَالَى نَزُولُ الآيَاتِ الأَمْرَةَ بِقِتَالِ كُلِّ الْكُفَّارِ عَلَى حَسَبِ الْمَرَاهِلِ الَّتِي سَبَقَ ذِكْرُهَا فِي بَدَايَةِ الدَّعْوَةِ، وانظر بعض ذلك في كتاب الجهاد أيضاً.

✽ المغازي وعدد غزوات النبي ﷺ

[١٧٢] عن أبي إسحاق السَّبَّيحي رحمه الله تعالى قال: قلت لزيد بن أرقم رضي الله تعالى عنه: كم غزا رسول الله ﷺ قال: تِسْعَ عَشْرَةَ، فقلت: كم غزوت أنت معه؟ قال: سَبْعَ عَشْرَةَ، قال: فقلت: فما أولُ غزوة غزاها؟ قال: العُسَيْرُ أو العُسَيْرَةُ قال: فذكر ذلك لقتادة، فقال: العُسَيْرَةُ، وفي رواية: وسبقني بَعْرَاتَيْنِ.

رواه البخاري في المغازي (٢٨٢/٨، ٢٨٣) وانظر رقم (٤٤٧١)، ومسلم في الجهاد والسَّيْر (١٩٥/١٢).

الغزوات جمع غزوة، وأصل الغزو هو القصد، والمراد بها هنا ما وقع من قصد النبي ﷺ الكفار بنفسه أو بجيش من قبيله سواء كان إلى بلادهم أو إلى الأماكن التي حلّوها، وفرّق علماء السيرة بين الغزوة والسَّيْرَةَ، فالأولى ما خرج فيها النبي ﷺ بنفسه، والثانية ما بعثه من الجيش مؤمراً عليهم رجلاً منهم.

واختلف أهل المغازي في عدد غزواته ﷺ وسراياه، فذكر ابن سعد وغيره عددهن مَفْصَلَاتٍ عَلَى تَرْتِيبِهِنَّ فَبَلَغَتْ سَبْعاً وَعَشْرِينَ غزاةً، وستاً وخمسين سرية، وقاتل في تسع من غزواته وهي: بدر، وأحد، والمُرَيْسُج، والخندق، وقريظة، وخيبر، وألفتح، وحُنين، والطائف... جاء ذلك في حديث لبريدة في صحيح مسلم والبخاري، غير أنه قال: قاتل في ثمان

منهنّ، وما ذكروه من عدد غزواته يخالف ما في الصحيحين الذي ذكرناه من أنها تسع عشرة، والله تعالى أعلم.

✽ أول غزواته ﷺ

قال البخاري في صحيحه (٢٨١/٨) قال ابن إسحاق: أول ما غزا النبي ﷺ الأبواء، ثم بواط، ثم العُشَيْرَة.

✽ غزوة الأبواء

الأبواء: قرية بين مكة والمدينة وهي إلى الجحفة أقرب، وهي ودان بفتح الواو وتشديد الدال، فهذه هي أول غزوة غزاها، وكانت في صفر آخر السنة الأولى للهجرة، خرج يريد عيراً لقريش فوادع بني ضمرة ورجع بغير قتال.

✽ سرية حمزة

وذكر موسى بن عقبة والواقدي وغيرهما أن النبي ﷺ بعث سرية مكونة من ثلاثين رجلاً قبل غزوة الأبواء، وأمر عليهم عمه حمزة رضي الله تعالى عنه لِيَعْتَرِضُوا عِيراً لقريش، وكان أول من عَقِدَ له رايةً في الإسلام، فخرجوا في شهر رمضان من السنة الأولى، فلقوا أبا جهل في جمعٍ كثير، فحجز بينهم مُجَدِي ولم يلقوا قتالاً.

✽ أحداث السنة الأولى

[١٧٣] وهي مجيء عبدالله بن سلام إلى النبي ﷺ، بناء المسجد النبوي الشريف، فرضية الصلاة الحضرية أربعاً، إسلام سلمان الفارسي، المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، مبايعة النبي ﷺ نساء الأنصار، مرض الصحابة بالمدينة، أول مولود وُلد في الإسلام في المدينة، بناء النبي ﷺ بعائشة رضي الله تعالى عنها، بدء الأذان، مناوأة اليهود والمنافقين للنبي ﷺ، نزول الإذن من الله بالقتال، المغازي وعدد غزوات النبي ﷺ، أول غزواته، غزوة الأبواء، سرية حمزة.

✽ السنة الثانية

غزوة بواط

[١٧٤] عن جابر بن عبدالله رضي الله تعالى عنهما قال: سِزْنَا مع رسول الله ﷺ في غزوة بطن بواط، وهو يطلب المَجْدِي بن عمرو الجهني، وكان الناضح يعقبه من الخمسة والستة والسبعة، فدار عَقْبَةً رَجُلٍ من الأنصار على ناضح له فأناخه فركبه ثم بعثه، فَتَلَدَنَّ عليه بعض التَّلْدِي، فقال له: شَأْ لعنك الله، فقال رسول الله ﷺ: «من هذا اللاعن بعيره»، فقال: أنا يا رسول الله، فقال: «انزل عنه فلا تصحبنا بملعون» الحديث يأتي في الأدب بَقِيَّتِهِ.

رواه مسلم في الزهد والرقائق رقم (٣٠٠٩).

«بطن بواط» بضم الواو وهو جبل من جبال جهينة من ناحية رَضْوَى. و«الناضح» البعير الذي يُسْتَقَى عليه. «يعقبه» أي: يركبه. «فَتَلَدَنَّ» التلدن التلُّكُ والتوقُّف. «شأ» هي كلمة زجر للبعير.

والحديث نصّ في أن النبي ﷺ أتى بواطاً يريد المَجْدِي بن عمرو

الجهني. وقال ابن إسحاق: ثم غزا رسول الله ﷺ في شهر ربيع الأول يريد قريشاً حتى أتى بواطاً من ناحية رَضوى ورجع ولم يلقَ أحداً، ورضوى بفتح الراء وسكون الضاد مقصوراً: هو جبل مشهور بينبع.

غزوة العُشَيْرَة (٢)

وأما العُشَيْرَة فمصغر آخرها هاء. قال ابن إسحاق: هي بطن بينبع، وخرج إليها رسول الله ﷺ في جمادى الأولى يريد قريشاً أيضاً، فوادع فيها بني مُذَلِج من كنانة. قال الواقدي وغيره: إن هذه السفرات الثلاث كان يخرج فيها ليلقى تجار قريش حين يمزون إلى الشام ذهاباً وإياباً.

هذا بيان ما ذكره البخاري نقلاً عن ابن إسحاق في هذه الغزوات، وبناءً على ذلك فقول ابن أرقم فيما سبق من أن أول الغزوات: العشييرة يعني بذلك ما حضرها معه، ولذلك قال: وسبقني بغزاتين، ويعني بهما الأبناء وبواطاً والله تعالى أعلم.

غزوة بدر الأولى

وذكر علماء السيرة هنا غزوة بدر الأولى، فقال ابن إسحاق: ولما رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة، يعني من غزوة العشييرة لم يُقَم إلا ليالي حتى أغار كرز بن جابر الفهري على سرح المدينة، فخرج النبي ﷺ في طلبه حتى بلغ سفران - بفتح السين والفاء - من ناحية بدر ففاته كرز. والمراد بسرح المدينة أي: الإبل والمواشي التي تسرح للرعي بالغداة.

سرية عبدالله بن جحش

[١٧٥] عن جندب بن عبدالله رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ أنه بعث زهطاً وبعث عليهم أبا عبيدة، فلما ذهب لينطلق بكى صباباً إلى رسول الله ﷺ، فجلس فبعث عليهم عبدالله بن جحش مكانه وكتب له كتاباً، وأمره أن لا يقرأ الكتاب حتى يبلغ مكان كذا وكذا، وقال: «لَا تُكْرِهَنَّ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِكَ عَلَى الْمَسِيرِ مَعَكَ»، فلما قرأ الكتاب استرجع، وقال: سمعاً وطاعة لله ولرسوله، فخيرهم الخبرَ وقرأ عليهم الكتاب، فرجع رجلاً ومضى بقيتهم، فلحقوا ابن الحضرمي فقتلوه ولم يدروا أن ذلك اليوم من رجب أو جمادى، فقال المشركون للمسلمين: قتلتم في الشهر الحرام، فأنزل الله عز وجل: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْآيَةِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنْ لَمْ يَكُونُوا أَصَابُوا وَزَرَأَ فَلَيْسَ لَهُمْ أَجْرٌ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ الَّذِينَ رَحِمَتِ اللَّهُ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

رواه ابن جرير (٣٤٩/٢، ٣٥٠)، وأبو يعلى (١٥٣٤)، والبيهقي في السنن (١١/٩، ١٢)، وأورده الهيثمي في المجمع (١٩٨/٦) برواية الطبراني وقال: رجاله رجال الصحيح.

قال علماء السيرة: إن النبي ﷺ كان بعث هذه السرية بإمارة عبدالله بن جحش إلى نخلة بين مكة والطائف، وكانوا ثمانية أشخاص من المهاجرين يتجسسون أخبار قريش، فلما وصلوا إلى نخلة مرّت بهم عير لقريش فيها عمرو بن الحضرمي مع ثلاثة آخرين، فقتلوا ابن الحضرمي وأسروا رجلين منهم، وأخذوا ما كان معهم من التجارة غنيمة، وكان ذلك آخر يوم من رجب، ولم يدروا ذلك، فلما قدموا على النبي ﷺ عاتبهم على القتال وشهر الكفار واليهود بهم وأشاعوا بأنهم قتلوا وأسروا وأخذوا الأموال في الشهر الحرام، فلما أكثروا من ذلك أنزل الله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ﴾،

فأخبرهم تعالى بأن القتال في الشهر الحرام هو شيء كبير، لكن الكفار فعلوا ما هو أعظم من ذلك وهو صدّ الناس عن دين الله مع الكفر به تعالى وبالمسجد الحرام وإخراج أهله من المؤمنين منه، فذلكم أعظم جُزماً وأكْبَرُ ذنباً من مجرد القتل، إلى آخر ما ذكروا.

ولم يكن من هديه ﷺ البداء بالقتال في الشهر الحرام، إلا أن يبدأه الكفار فيه؛ لقوله تعالى: ﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ﴾ الآية.

[١٧٦] وفي حديث جابر رضي الله تعالى عنه قال: لم يكن رسول الله ﷺ يَغْزُو في الشهر الحرام إلا أن يُغْزَى وَيَغْزُوا، فإذا حضره أقام حتى ينسلخ.

رواه أحمد (٣٣٤/٣، ٣٤٥) بسند صحيح، فهذا كان هديه ﷺ عملاً بالآية الكريمة، ولقوله فيها: ﴿مَنْ أَعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَأَعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا أَعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾.

تحويل القبلة

[١٧٧] عن البراء بن عازب رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ كان أول ما قدم المدينة نزل على أخواله من الأنصار، وأنه صلى قِبَلَ بَيْتِ المقدس سِتَّةَ عَشَرَ أو سَبْعَةَ عَشَرَ شهراً، وكان ﷺ يحب أن يُوجَّهَ إلى الكعبة، فأنزل الله عز وجل: ﴿قَدْ رَأَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾، فتوجه نحو الكعبة، وقال السفهاء من الناس - وهم اليهود -: ﴿مَا وَلَّيْنَاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمْ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾، فصلّى مع النبي ﷺ رجلاً ثم خرج بعدما صلى، فمرّ على قوم من الأنصار في صلاة العصر يصلّون نحو بيت المقدس، فقال: هو يشهد أنه صلّى مع النبي ﷺ وأنه توجه نحو الكعبة، فتحرفّ القوم حتى توجهوا نحو الكعبة.

رواه البخاري في الصلاة وفي التفسير وفي مواضع، ومسلم في

المساجد والترمذي والنسائي وابن ماجه وغيرهم، وقد تقدم مع أحاديث أخرى في الصلاة من الجزء الأول رقم (٥٨٧)، وفي التفسير من البقرة، وانظر الكلام على الحديث وفقهه في المصدرين المذكورين.

وكان هذا أول نسخ وقع في الإسلام بالإجماع، وللنسخ مصالح وفوائد، وهو من أسرار التشريع الإلهي، فلا دخل للعقل فيه، وقد قال تعالى: ﴿مَا نَسَخَ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلَهَا﴾، لكن اليهود ومن لفّ لفهم ينكرونه بعقولهم السخيفة القذرة.

فرضية صوم رمضان

[١٧٨] عن سيدتنا عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: كان يومُ عاشوراء يوماً تَصُومُهُ قريشٌ في الجاهلية، وكان رسول الله ﷺ يصومه في الجاهلية، فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة صامه وأمر الناس بصيامه، فلما فرض رمضان كان هو الفريضة، وترك يومُ عاشوراء، فمن شاء صامه ومن شاء تركه. رواه أحمد والبخاري ومسلم وغيرهما وتقدم في الصيام من الجزء الثاني رقم (١٢٨٥).

[١٧٩] وعن معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه قال: أُجِيلَتْ الصلاةُ ثلاثة أحوال، وأحيل الصيام ثلاثة أحوال؛ فأما أحوال الصلاة، فإن النبي ﷺ قدم المدينة وهو يصلي سبعة عشر شهراً إلى بيت المقدس فذكر الحديث، فقال: وأما أحوال الصيام، فإن رسول الله ﷺ قدم المدينة فجعل يصوم من كل شهر ثلاثة أيام، فصام سبعة عشر شهراً من ربيع الأول إلى رمضان من كل شهر ثلاثة أيام، وصيام يوم عاشوراء، ثم إن الله عز وجل فرض عليه الصيام، فأنزل الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ الآية، الحديث.

رواه أحمد (١٤٦/٥، ١٤٧)، وأبو داود (٥٠٨)، والبيهقي (٣٩١/١)، (٤٢٠) وسنده صحيح غير أنهم قالوا: إن ابن أبي ليلى لم يسمع من معاذ،

رواه ابن إسحاق كما عند ابن هشام (٢/٢٥٠) وسنده صحيح، وابن إسحاق صرح بالتحديث.

«عير قريش» العير - بكسر العين - عبارة عن الإبل التي تحمل التجارة. قوله: «ينقلكموها» أي يُعْطِيكُمْوَهَا غنيمة لكم. وقوله: «فانتدب الناس» أي: أجابوه لما دعاهم وندبهم إليه.

هذا يدل على أن خروج النبي ﷺ لم يكن بقصد القتال والحرب، وإنما خرج ليعترض قافلة أبي سفيان الذي كان قد رجع من الشام بتجارة عظيمة شارك فيها كل أهل مكة، وكان يريد بصنيعه هذا تضعيف اقتصاد كفار قريش، وتغويض أصحابه عن أموالهم وممتلكاتهم التي خلفوها بمكة المكرمة واستولى المشركون عليها.

وهو يدل أيضاً على أن ممتلكات الكفار الحربيين تعتبر بالنسبة للمسلمين أموالاً غير محترمة، فلهم أن يستولوا عليها ويأخذوا ما امتدت إليه أيديهم منها وما وقع تحت أيديهم من ذلك اعتبر ملكاً لهم، وهذا متفق عليه بين فقهاء الإسلام وأهل العلم.

✽ مشاورة رسول الله ﷺ أصحابه في المدينة قبل الخروج

[١٨٣] عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: إن رسول الله ﷺ شاور حين بلغه إقبال أبي سفيان، قال: فتكلم أبو بكر فأعرض عنه، ثم تكلم عمر فأعرض عنه، فقام سعد بن عبادة فقال: إيانا تريد يا رسول الله؟ والذي نفسي بيده لو أمرتنا أن نخيضها البحر لأخضناها، ولو أمرتنا أن نضرب أكبادها إلى برك الغماد لفعلنا، قال: فندب رسول الله ﷺ فانطلقوا حتى نزلوا بدرأ.

رواه أحمد (٣/١٨٨، ج ٤/٢٢٨، ج ٦/٢٩)، ومسلم في الجهاد والسير (١٢٤/١٢) مطولاً، ويأتي بقيته رقم (١٩٢).

قوله: «نُخِيضُهَا» يعني بذلك الخيل. و«برك الغماد» تقدم أنه موضع لجهة اليمن.

وفي الحديث مشروعية استشارة الخليفة أو نائبه أهل الحل والعقد من العلماء وأهل الرأي... وهذه كانت سيرة النبي ﷺ مع أصحابه، وقد تقدم في التفسير أمثلة من ذلك انظر قوله تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾. قال العلماء: إنما قصد النبي ﷺ اختبار الأنصار لأنه لم يكن بايعهم على أن يخرجوا معه للقتال وطلب العدو، وإنما بايعهم على أن يمنعوهم ممن يقصده، فلما عرض الخروج لعير أبي سفيان أراد أن يعلم أنهم يوافقون على ذلك، فأجابوه أحسن جواب بالموافقة التامة في هذه المرة وغيرها.

✽ عدد أصحاب بدر وقلة مراكبهم

[١٨٤] عن البراء بن عازب رضي الله تعالى عنهما، قال: كنا أصحاب محمد ﷺ تَحَدَّثُ أَنْ عِدَّةَ أَصْحَابِ بَدْرٍ عَلَى عِدَّةِ أَصْحَابِ طَالُوتَ الَّذِينَ جَاوَزُوا مَعَهُ النَّهْرَ، وَلَمْ يُجَاوِزْ مَعَهُ إِلَّا مُؤْمِنٌ بِضْعَةَ عَشَرَ وَثَلَاثِينَ.

رواه البخاري في المغازي (٨/٢٩٣، ٢٩٤)، وابن جرير (٢/٦٢١)، والترمذي في السير (١٥٩٨).

في الحديث بيان عدد ما كان من المسلمين في غزوة بدر، وأنهم كانوا ثلاثمائة وتسعة عشر كما يأتي في حديث ابن عباس، أو خمسة عشر كما جاء في رواية لعبد الله بن عمرو عند أبي داود (٢٧٤٧)، والحاكم (٢/١٤٥) وصححه على شرط مسلم ووافقه الذهبي أو ثلاثمائة وسبعة عشر كما في رواية لأبي موسى الأشعري عند البزار قال الهيثمي (٦/٩٣) ورجاله ثقات، ولا منافاة بين هذه الأعداد إذ يمكن الجمع بينها أو ترجيح ما في الصحيح.

وعلى أي، فهذا العدد بالنسبة لكثرة الكفار وكان عددهم يتراوح ما

بين ألف وتسعمائة شيء قليل، لكن الله عز وجل نصرهم عليهم وأيدهم بمدد من عنده، وقد قال تعالى في قصة طالوت: ﴿كَمْ مِّن فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَت فِتْنَةُ كَثِيرَةٍ إِذْنِ اللَّهِ﴾ الآية.

[١٨٥] وعن ابن مسعود رضي الله تعالى قال: كنا يوم بدر كل ثلاثة على بعير، كان أبو لُبَابَةَ وعليّ بن أبي طالب رضي الله تعالى عنهما زميلني رسول الله ﷺ قال: وكانت عُقْبَةُ رسول الله ﷺ، قال: فقالا: نحن نمشي عنك، فقال: «ما أنتما بأقوى مِنِّي ولا أنا بأغنى عن الأجر مِنكما».

رواه أحمد (٤١١/١)، وابن حبان (١٦٨٨) بالموارد، والحاكم (٢٠/٣) وصححه على شرط مسلم ووافقه الذهبي وعزاه النور في المجمع (٦٩/٦) لأحمد والبخاري، وقال: فيه عاصم بن بهدلة وحديثه حسن وبقيّة رجال أحمد رجال الصحيح. وعاصم هذا هو المقرئ المشهور شيخ حفص رحمهما الله تعالى وإيانا أمين.

[١٨٦] وعن الإمام عليّ كرم الله وجهه قال: لقد أتينا ليلة بدر وما فينا إلا نائم إلا النبي ﷺ، فإنه كان يصلي إلى شجرة ويدعو، وما كان فينا فارس إلا المقداد.

رواه الطيالسي (٢٣٤٢)، وأحمد (١٢٥/١، ١٠٢٣)، وأبو يعلى (٢٧٥)، والنسائي في الكبرى (٧٣٤) بسند صحيح. وفي رواية: ما كان معنا إلا فرسان، فرس للزبير، وفرس للمقداد - يعني يوم بدر - رواه الحاكم (٢٠/٣) وصححه على شرطهما ووافقه الذهبي.

«زَمِيلِي رَسُولَ اللَّهِ» أي: كان لهم بعير يتعاقبه ثلاثتهم. وقوله: «وكانت عُقْبَةُ رَسُولِ اللَّهِ...» فقالا: نحن نمشي عنك» يعينان يظلّ راكباً ولا ينزل فامتنع من ذلك. قوله: «وما كان فينا فارس» أي صاحب فرس.

وفي الحديثين بيان ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه يوم بدر من ضعف مادي في العدة والعدد، فرغم ما كانوا عليه من قلة العدد لم يكن معهم من المراكب إلا سبعون جملاً يتعاقبونها وفرس واحد، كما في حديث عليّ هذا، أو فرسان كما في رواية الحاكم، وهي زيادة صحيحة، بينما كان

المشركون تسعمائة وخمسين رجلاً أو ألف رجل مُدَجَّجِينَ بِالْأَسْلِحَةِ ومعهم مائة فرس وسبعمائة بعير، ورغم ذلك لم تُغنهم شيئاً لما جاء نصر الله ومدده كما يأتي مفصلاً.

ردّه ﷺ عن الخروج من لم يحتلم

[١٨٧] عن البراء بن عازب رضي الله تعالى عنهما قال: استُضْغِرْتُ أنا وابنُ عُمَرَ يوم بدر، وكان المهاجرون يومَ بدر نَبِيّاً على ستين، والأنصار نيفاً وأربعين ومائتين.

رواه البخاري في المغازي (٢٩٢/٨، ٢٩٣).

«النيف» بفتح النون وكسر الياء المشددة هو ما بين العتدين.

[١٨٨] وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ نظر إلى عُمَيْرِ بن أبي وقاص فاستُضْغِرَهُ حين خرج إلى بدر، ثم أجازته. قال سعد: فيقال إنه خانه سيفه. قال عبدالله بن جعفر: قُتِلَ يوم بدر...

رواه البزار (١٧٧٠) مع الكشف، قال الهيثمي في المجمع (٦٩/٦) ورجاله ثقات.

كان من عادة النبي ﷺ ردّ صغار الأطفال عن الخروج للجهاد لضعفهم عن مقاومة الرجال والأبطال، وقد رد في بدر البراء وابن عمر وعُمَيْرِ بن أبي وقاص، ثم قبل الثالث وأذن له في الخروج، كما ردّ ابن عمر أيضاً في غزوة أحد، ولكنه قبل خروجه معه في الخندق كما يأتي إن شاء الله تعالى، وهذا من كمال سياسة النبي ﷺ وشفقته على الصغار الضعاف.

❁ عدم استعانته ﷺ بالمشرك

[١٨٩] عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: خرج رسول الله ﷺ قبل بدر، فلما كان بحِرة الوبرة أدركه رجل قد كان يذكر منه جُرأةً ونَجدةً، ففرح أصحاب رسول الله ﷺ حين رأوه، فلما أدركه قال لرسول الله ﷺ: جئت لأتبعك وأصيب معك، قال له رسول الله ﷺ: «تؤمن بالله ورسوله»، قال: لا، قال: «فارجع فلن أستعين بمشرك»، قالت: ثم مضى حتى إذا كان بالشجرة أدركه الرجل، فقال له كما قال أول مرة، فقال له النبي ﷺ: كما قال أول مرة، قال: «فارجع فلن أستعين بمشرك»، قال: ثم رجع فأدركه بالبيداء، فقال له كما قال أول مرة: «تؤمن بالله ورسوله»، قال: نعم، فقال له رسول الله ﷺ: «فانطلق».

رواه أحمد (٦٧/٦، ٤٩)، ومسلم في الجهاد والسير (١٢/١٩٨)، (١٩٩)، وأبو داود (٢٧٣٢)، والترمذي في السير (١٥٥٨).

ظاهر الحديث أنه لا تجوز الاستعانة بالمشرك على المشرك، وأحرى غيره، وبذلك قال جمع من العلماء وأجاز ذلك آخرون للحاجة لحديث استعانته بصفوان بن أمية قبل إسلامه كما يأتي في موضعه، وهذا الخلاف في الاستعانة بالمشرك على المشرك. أما الاستعانة بالمشرك على المسلم، فهذا لا يجوز بالإجماع. وقد جهل المسلمون هذا أو تجاهلوه ورفضوا العمل بمقتضاه، فقاتلوا إخوانهم المسلمين واستعانوا عليهم بالكفار أعداء الله ورسوله ﷺ، والأمثلة على هذا كثيرة في القديم والحديث.

❁ رؤيا عاتكة بنت عبد المطلب وإنذار ضمضم لقريش

[١٩٠] قال ابن إسحاق: وحَدَّثني يَزِيدُ بن زُوَمانَ عن عروة بن الزبير رضي الله تعالى عنهما قال: وقد رأت عاتكة بنت عبد المطلب رضي الله

تعالى عنها قبل قدوم ضمضم الغفاري مكة بثلاث ليال رؤيا أفزعتهَا، فبعثت إلى أخيها العباس بن عبد المطلب، فقالت له: يا أخي والله لقد رأيت الليلة رؤيا أفضعتني، وتخوفت أن يدخل على قومك منها شرٌ ومصيبةٌ فاكنتم عني ما أهدتكم، فقال لها: وما رأيت؟ قالت: رأيت راكباً أقبل على بعيرٍ له، حتى وقف بالأبطح، ثم صرَّخ بأعلى صوته: ألا انفروا يا لغدر لمصارعكم في ثلاث، فأرى الناس اجتمعوا إليه، ثم دخل المسجد والناس يتبعونه، فينما هم حوله مثل به بعيره على ظهر الكعبة، ثم صرخ بمثلها: ألا انفروا يا لغدر لمصارعكم في ثلاث، ثم مثل به بعيره على رأس أبي قبيس فصرخ بمثلها، ثم أخذ صخرة فأرسلها، فأقبلت تهوي حتى إذا كانت بأسفل الجبل ارفضت، فما بقي بيت من بيوت مكة، ولا دار إلا دخلتها منها فلقة. قال العباس: والله إن هذه لرؤيا وأنت فاكتميها ولا تذكرها لأحد، ثم خرج العباس فلقى الوليد بن عتبة بن ربيعة وكان له صديقاً فذكرها له واستكتمه إيَّاهَا، فذكرها الوليد لأبيه عتبة ففشى الحديث بمكة حتى تحدتت به قريش في أنديةها.

قال العباس: فغدوت لأطوف بالبيت وأبو جهل بن هشام في رهط من قريش يعود يتحدثون برؤيا عاتكة، فلما رأني أبو جهل قال: يا أبا الفضل إذا فرغت من طوافك فأقبل إلينا، فلما فرغت أقبلت حتى جلست معهم، فقال لي أبو جهل: يا بني عبد المطلب متى حدثت فيكم هذه النبئة؟ قال: قلت: وما ذاك؟ قال: تلك الرؤيا التي رأت عاتكة، قال: فقلت: وما رأيت؟ قال: يا بني عبد المطلب أما رضيتم أن يتنبأ رجالكم حتى تنبأ نساؤكم قد زعمت عاتكة في رؤياها أنه قال: انفروا في ثلاث، فستربص بكم هذه الثلاث، فإن يك حقاً ما تقول فسيكون، وإن تمض الثلاث ولم يكن من ذلك شيء نكتب عليكم أنكم أكذب أهل بيت في العرب. قال العباس: فوالله ما كان مني إليه لكبير، إلا أنني جحدت ذلك وأنكرت أن تكون رأيت شيئاً، قال: ثم نفرنا.

فلما أمسيت لم تبق امرأة من بني عبد المطلب إلا أتتني، فقالت: أقررتم لهذا الفاسق الخبيث أن يقع في رجالكم، ثم قد تناول النساء وأنت

رواه أحمد (٤٠٠/١)، والبخاري في المغازي باب ذكر النبي ﷺ من يقتل بدر (٢٨٤/٨، ٢٨٧).

في هذا الحديث معجزة للنبي ﷺ حيث أخبر بقتل أمية بن خلف، فكان كما قال، وفيه أن أمية لم يكذب ما حدثه به سعد لتيقنه صدق النبي ﷺ، ولذلك قال كما في رواية: فوالله ما يكذب محمد إذا حدث، ولتيقنه بوقوع ذلك فزع فزعاً شديداً. وفيه أن الحذر لا يغني من القدر، فما قدره الله عز وجل لا بد وأن يقع، وستأتي صفة قتل أمية ومن قتله بإذن الله تعالى.

✽ كم كان عدد المشركين في بدر وبيان بعض من خرج من صناديدهم

[١٩٢] عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: فندب رسول الله ﷺ الناس، فانطلقوا حتى نزلوا بدرأ، ووردت عليهم روايا قريش، وفيهم غلام أسود لبني الحجاج فأخذه، فكان أصحاب رسول الله ﷺ يسألونه عن أبي سفيان وأصحابه، فيقول: ما لي علم بأبي سفيان، ولكن هذا أبو جهل وعتبة وشيبة وأميه بن خلف، فإذا قال ذلك ضربه، فقال: نعم أنا أخبركم هذا أبو سفيان، فإن تركوه فسألوه فقال: ما لي بأبي سفيان علم، ولكن هذا أبو جهل وعتبة وشيبة وأميه بن خلف في أناس، فإذا قال هذا أيضاً ضربه ورسول الله ﷺ قائم يصلي، فلما رأى ذلك انصرف وقال: «والذي نفسي بيده لتضربوه إذا صدقكم وتتركوه إذا كذبكم».

أخرجه أحمد (١٨٨/٣)، ومسلم في الجهاد والسير (١٢٤/١٢)، وتقدم طرق المشاورة رقم (١٨٣).

قوله: «روايا» يعني الإبل التي يستقى عليها.

في الحديث جواز ضرب الرقيق الكافر المحارب للاستعلام. ولا

يجوز ذلك بالنسبة للمسلم لأن دمه وماله وعرضه كلها حرام، وفيه اعتراف ذلك الغلام بأن في جيش المشركين بعض أساطين الكفر وصناديده جاءت بهم منيتهم لقلب بدر.

[١٩٣] وعن سيدنا علي رضي الله تعالى عنه أنه قال: لما قدمنا المدينة أصبنا من ثمارها فاجتويتها، فأصابنا فيها وعك، فكان النبي ﷺ يتخبر عن بدر، فلما بلغنا أن المشركين قد أقبلوا سار رسول الله ﷺ إلى بدر، وبدر يثر، فسبقنا المشركون إليها، فوجدنا فيها رجلين منهم رجل من قريش، ومولى لعقبة بن أبي معيط، فأما القرشي فأنفلت، وأما مولى عقبة فأخذناه، فجعلنا نقول له: كم القوم؟ فيقول: هم والله كثير عددهم، شديد بأسهم، فجعل المسلمون إذا قال ذلك ضربه حتى انتهوا به إلى النبي ﷺ، فقال له النبي ﷺ: «كم القوم؟» فقال: هم والله كثير عددهم، شديد بأسهم، فجهد رسول الله ﷺ أن يخبره فأبى، ثم إن النبي ﷺ سأله كم ينحرون من الجزر؟ قال: عشر لكل يوم، فقال رسول الله ﷺ: «القوم ألف، كل جزور لمائة ونيفها».

رواه أحمد (١١٧/١)، وأبو داود في الجهاد (٢٦٦٥) بسند صحيح، وعزاه النور في المجمع (٧٦/٦) لأحمد والبخاري وقال: رجال أحمد رجال الصحيح غير حارثة بن مضرب وهو ثقة.

في الحديث بيان عدد جيش المشركين في غزوة بدر وأنهم كانوا ألف مقاتل، وسيأتي في دعائه ﷺ ليلة الغزوة عن سيدنا عمر رضي الله تعالى عنه قوله: نظر نبي الله ﷺ إلى المشركين وهم ألف، وأصحابه ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً... وكان النبي ﷺ يهتم بإطلاعه على عددهم وقد أراههم الله عز وجل في منامه قليلاً في رؤيا له، كما قال تعالى: ﴿إِذْ يُرِيكُهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَفَشَيْتَهُ وَالتَّرَعْتُكَ فِي الْأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٤٢﴾﴾.

وعندما تواجهوا للقتال أراههم سبحانه كذلك لثلاثين المسلمون

وَيَفْشَلُوا وَيَنْهَزُوا، ولذا قال عز وجل: ﴿وَلَا يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ التَّقِيَمَ فِي أَعْيُنِكُمْ قَيْلًا وَيُقَلِّكُمُ فِي أَعْيُنِهِمُ لِقِصَى اللَّهِ أَنَّمَا كَانَتْ مَفْعُولًا﴾.

✽ إخبار النبي ﷺ بمصارع القوم

[١٩٤] عن أنس رضي الله عنه قال: كنا مع عمر رضي الله تعالى عنه بين مكة والمدينة، ثم أنشأ يُحَدِّثُنَا عن أهل بدر، فقال: إن رسول الله ﷺ كان يُرِينَا مِصْرَاعَ أَهْلِ بَدْرِ بِالْأَمْسِ، يقول: «هَذَا مِصْرَعُ فُلَانٍ غَدًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى»، قال: فقال عمر: فوالذي بعثه بالحق ما أخطأوا الحدود التي حد رسول الله ﷺ. وفي رواية: «هَذَا مِصْرَعُ فُلَانٍ غَدًا»، ووضع يده على الأرض، «وهذا مِصْرَعُ فُلَانٍ غَدًا» ووضع يده على الأرض، فكان ذلك كذلك، الحديث.

رواه أحمد (٢٦/١)، والبخاري في المغازي (٣٠٢/٨، ٣٠٤)، ومسلم في كتاب الجنة رقم (٢٨٧٣) وفي الجهاد (١٢٤/٢، ١٢٦)، والنسائي في الجنائز باب أرواح المؤمنين.

«مِصْرَع» أي: موضع صرعه وقتله.

ففي الحديث معجزة للنبي ﷺ حيث أخبر أصحابه بمصارع الكفار قبل الواقعة، وكان ذلك كالثبوت لهم وتبشيرهم بالنصر على عدوهم.

✽ استشارته ﷺ الصحابة مرة ثانية

[١٩٥] عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: شهدت من المقداد بن الأسود مَشْهَدًا لِأَنَّ أَكُونَ صَاحِبَهُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا عُدِلَ بِهِ، أتى النبي ﷺ وهو يدعو على المشركين، فقال: لا نقول كما قال قوم موسى: ﴿فَاذْهَبْ

أَنْتَ وَرَبُّكَ﴾، ولكننا نقاتل عن يمينك وعن شمالك، وبين يديك، وخلفك، فرأيت رسول الله ﷺ أَشْرَقَ وَجْهَهُ وَسَرَّهُ، يعني قوله.

رواه أحمد (٣٩٠، ٣٢٨)، والبخاري في غزوة بدر (٢٨٩/٨)، (٢٩٠)، والحاكم (٣٤٩/٣)، فاستدركه وهو في الصحيح.

[١٩٦] وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: أتى النبي ﷺ الخبير عن قريش بمسيرهم ليمنعوا غيرهم، فاستشار الناس وأخبرهم عن قريش، فقام أبو بكر الصديق فقال وأحسن، ثم قام عمر بن الخطاب فقال وأحسن، ثم قام المقداد بن عمر وقال: يا رسول الله امض لما أراك الله فنحن معك، والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتَلْنَا إِنَّا هَاهُنَا قَتِيدُونَ﴾، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون، فوالذي بعثك بالحق لو سيزت بنا إلى برك الغماد لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه، فقال له رسول الله ﷺ خيراً ودعا له به.

ثم قال رسول الله ﷺ: «أَسِيرُوا عَلَيَّ أَيُّهَا النَّاسُ»، وإنما يريد الأنصار، وذلك أنهم عددوا الناس، وأنهم حين بايعوه بالعقبة قالوا: يا رسول الله إنا براء من ذمامك حتى تصل إلى ديارنا، فإذا وصلت إلينا فأنت في ذمتنا نمنعك مما نمنع منه أبناءنا ونساءنا، فكان رسول الله ﷺ يتخوف أن لا تكون الأنصار ترى عليها نضرة إلا ممن دهمه بالمدينة من عدوه، وأن ليس عليهم أن يسير بهم إلى عدو في بلادهم.

فلما قال ذلك رسول الله ﷺ، قال سعد بن معاذ: والله لكانك تريدنا يا رسول الله، قال: «أجل»، قال: فقد آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق، وأعطيناك على ذلك عهدنا ومواثيقنا على السمع والطاعة، فامض يا رسول الله لما أردت فنحن معك، فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك، ما تخلف منا رجل واحد، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غداً، إنا لصبر في الحرب، صدق عند اللقاء، لعل الله يريك منا ما تقر به عينك، فسير بنا على بركة الله تعالى، فسّر رسول الله ﷺ بقول سعد ونشطه ذلك، ثم قال: «سِيرُوا وَأَبْشِرُوا»، فإن الله

تعالى قد وعدني إحدَى الطائفتين، والله لكأني أنظر إلى مصارع القوم».

رواه ابن إسحاق كما عند ابن هشام (٢٥٨/٢) بسند صحيح، وكذا رواه الطبراني كما في المجمع (٧٣/٦)، والبيهقي في الدلائل (٣٢/٣) وله شواهد في الصحيح وغيره.

لقد أبان الأنصار رضي الله تعالى عنهم عن وفانهم لرسول الله ﷺ وصدقوا ما عاهدوا الله عليه فسعدوا وفازوا.

✽ رسول الله ﷺ يدعو الله عز وجل ويتضرع إليه ليلة بدر

[١٩٧] عن عمر رضي الله تعالى عنه قال: لما كان يوم بدر نظر رسول الله ﷺ إلى المشركين وهم ألف، وأصحابه ثلاثمائة وتسعة عشر رجلاً، فاستقبل نبي الله ﷺ القبلة ثم مد يديه، فجعل يهتف بربه: «اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم آت ما وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تُعبد في الأرض»، فما زال يهتف بربه ماذا يديه مستقبل القبلة حتى سقط رداؤه، فأتاه أبو بكر فأخذ رداءه على منكبيه ثم التزمه من ورائه، وقال: يا نبي الله كفاك مُناشَدَتَكَ رَبِّكَ، فإنه سَيُنْجِزُ لَكَ ما وعدك، فأنزل الله عز وجل: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَبَ لَكُمْ أَوْى مُؤَدِّكُمْ بِاللَّيْلِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مَرَدُوفِينَ﴾، فأمده الله بالملائكة.

رواه أحمد (٣٠/١، ٣١)، والبخاري في المغازي (٢٩٠/٨، ٢٩١)، ومسلم في الجهاد والسير (٨٤/١٢، ٨٥)، والترمذي في التفسير (٢٨٨١) وغيرهم.

«يهتف» أي: يصيح. «ومناشدتك» أي: سؤالك. و«العصابة» الجماعة. و«الاستغاثة» طلب الغوث.

[١٩٨] وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: قال النبي ﷺ

في قُبَيْهِ يوم بدر: «اللهم إني أنشدك عهدك ووعدك، اللهم إن شئت لم تُعبد»، فأخذ أبو بكر بيده فقال: حَسْبُكَ، فخرج وهو يقول: «سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ».

رواه البخاري في المغازي (٢٩٠/٨، ٢٩١)، وكذا أحمد (٣٢٩/١).

[١٩٩] وعن علي رضي الله تعالى عنه قال: أصابنا من الليل طَشٌّ من المطر - يعني الليلة التي كانت صبيحتها وقعة بدر - فانطلقنا تحت الشجر والحَجَف نستظل تحتها من المطر، وبات رسول الله ﷺ يدعو ربه، ويقول: «اللهم إن تهلك هذه الفئة لا تُعبد»، قال: فلما تَطَلَّعَ الفجر نادى: «الصلاة عباد الله»، فجاء الناس من تحت الشجر والحجف، فصلّى بنا رسول الله ﷺ وحضّ على القتال.

رواه أحمد وأبو داود وغيرهما بسند صحيح، وانظر ما سبق (١٩٣).

[٢٠٠] وعن عبدالله بن عمرو رضي الله تعالى عنه قال: خرج رسول الله ﷺ يوم بدر في ثلاثمائة وخمسة عشر رجلاً من أصحابه، فلما انتهى إليها قال: «اللهم إنهم جياع فأشبعهم اللهم إنهم خفاة فأخملهم، اللهم إنهم عراة فاكسهم»، ففتح الله له يوم بدر، فانقلبوا حين انقلبوا وما منهم رجل إلا وقد رجع بجَمَلٍ أو جملين واكتسوا وشبعوا.

رواه أبو داود والحاكم وغيرهما بسند صحيح، وانظر ما سبق (١٨٤).

قوله: الحَجَف - بفتحتين - هي الدرق والأتراس التي يتقى بها في الحرب. و«الطش» نوع من المطر. وفي هذه الأحاديث بيان ما كان عليه النبي ﷺ من الالتجاء إلى الله والاستغاثة به وإلحاحه في الدعاء للإسلام والمسلمين، فرغم أنه كان متيقناً جازماً بأن الله ناصره، وأن جمع الكفار سَيُهْزَمُ، بات ليلته يدعو لأن ذلك هو مقتضى العبودية لله عز وجل. وفي حديث عمر دليل على أن الله عز وجل وعدهم بالإمداد بملائكته كما نطقت بذلك الآية الكريمة، وسيأتي ذلك عندما نورد الأحاديث في مشاركة الملائكة المسلمين في القتال.

وحديث الإمام عليّ كرم الله وجهه يدلّ على ما أنعم الله تعالى به على المسلمين ليلة الواقعة من إنزال المطر تثبيتاً لأقدامهم في تلك الرمال وتطهيراً لهم مع إلقاء النوم عليهم أمانة لهم؛ كما قال تعالى: ﴿إِذَا يُقَاتِلُونَ﴾ التَّعَاسَ أَمْنَةً مِنْهُ وَيُرْزَلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءٌ يُطَهِّرُكُمْ بِهِ وَيُذْهِبُ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ ﴿١١﴾ الآية، كل ذلك وقع لهم لطفاً بهم ورحمة من الله عز وجل.

✽ بداية المعركة والأمر في البداية بالرمي

[٢٠١] عن أبي أسيد الساعدي رضي الله تعالى عنه قال: قال لنا رسول الله ﷺ يوم بدر: «إِذَا أَكْتَبُوكُمْ فَارْزُمُوهُمْ وَاسْتَبَقُوا نَبْلَكُمْ». وفي رواية: «إِذَا أَكْتَبُوكُمْ فَارْزُمُوهُمْ بِالنَّبْلِ، وَلَا تَسْلُوا السُّيُوفَ حَتَّى يَغْشَوْكُمْ».

رواه أحمد (٤٩٨/٣)، والبخاري في المغازي (٣٠٨/٨) بالرواية الأولى، وأبو داود بالرواية الثانية.

«أكتبوكم» أي: قربوا منكم وغشوكم. والحديث غير واضح، ففي معناه إشكال، فانظر فتح الباري (٣٠٨/٨).

✽ المبارزة

[٢٠٢] عن عليّ رضي الله تعالى عنه قال: أنا أول من يجثو بين يدي الرحمن للخصومة يوم القيامة. قال قيس بن عباد: وفيهم أنزلت: ﴿هَذَا إِنْ حَصَمَانِ أَخْصَمُوا فِي رَبِّهِمْ﴾، قال: هم الذين تبارزوا يوم بدر، حمزة، وعلي، وعبيدة، أو أبو عبيدة بن الحارث، وشيبة بن ربيعة، وعتبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة.

رواه البخاري في المغازي (٢٩٨/٨) وغيره، وقد تقدم في التفسير.

والمراد بالخصمين أي: الفريقين: فريق أهل الإيمان وفريق أهل الكفر، وخصامهم هو معاداة كل فريق منهما للآخر، وقيدوا هذه الأولية بالمجاهدين لأن المبارزة المذكورة هي أول مبارزة وقعت في الإسلام.

[٢٠٣] وعن عليّ رضي الله تعالى عنه قال: تقدم - يعني عتبة بن ربيعة - وتبعه ابنه وأخوه، فنادي: من يُبارز؟ فانتدب له شباب من الأنصار، فقال: من أنتم؟ فأخبروه، فقال: لا حاجة لنا فيكم، إنما أردنا بني عمنا، فقال رسول الله ﷺ: «قُمْ يَا حَمْزَةَ، قُمْ يَا عَلِيّ، قُمْ يَا عَبِيدَةَ بْنَ الْحَارِثِ»، فأقبل حمزة إلى عتبة، وأقبلت إلى شيبة، واختلف بين عبيدة والوليد ضربتان فأئخذ كل واحد منهما صاحبه، ثم ملنا على الوليد فقتلناه، واحتملنا عبيدة.

رواه أحمد (١١٧/١)، وأبو داود في الجهاد (٢٦٦٥) بسند صحيح، ورواه الحاكم (١٨٧/٣، ١٨٨) عن ابن عباس وصححه ووافقه الذهبي.

خرج من جيش الكفار ثلاثة: عتبة بن ربيعة، وأخوه شيبة بن ربيعة، وابنه الوليد بن عتبة يطلبون من يُبارزهم من صف المسلمين، فخرج إليهم بأمر من النبي ﷺ ثلاثة أبطال من المهاجرين: حمزة أسد هذه الأمة، والإمام عليّ سيد الشجعان، والشهيد عبيدة بن الحارث فتبارزوا، فقتل كل من حمزة وعليّ مبارزتهما، وأما عبيدة والوليد فأئخذ كل منهما الآخر ثم وثب حمزة وعليّ على الوليد فقتلاه، واحتملا عبيدة ومخ ساقه يسيل فقال: يا رسول الله ألسنتُ شهيداً؟ قال: «بلى»، فقال عبيدة: لو كان أبو طالب حياً لعلم أنا أحق بما قال منه، حيث يقول:

وَسَلَّمُهُ حَتَّى تُضْرَعَ حَوْلَهُ وَتَذْهَلَ عَنِ أُنْبَائِنَا وَالْحَلَالِئِلِ

ذكره الحاكم في معرفة الصحابة (١٨٨/٣) في ترجمة عبيدة هذا، وهو ابن الحارث ابن عم النبي ﷺ، وكانت وفاته من تلك الضربة بالطريق، والنبي ﷺ راجع إلى المدينة.

حمزة ابن عبد المطلب

✽ رمي النبي ﷺ كفاً من الحصى في وجوه الكفار فانهزموا

[٢٠٤] عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ لعلي: «تأولني كفاً من حصى»، فناولته فرمى بها وجوه القوم فما بقي أحد من القوم إلا امتلأت عيناه من الحصباء، فنزلت: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾.

رواه الطبراني، قال النور في المجمع (٨٤/٦): رجاله رجال الصحيح.

[٢٠٥] وعن حكيم بن حزام رضي الله تعالى عنه قال: لما كان يوم بدر أمر رسول الله ﷺ فأخذ كفاً من الحصى، فاستقبلنا به ورمى بها، وقال: «شاهت الوجوه»، فانهزمتا فنزل الله عز وجل: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾.

قال الهيثمي (٨٤/٦): رواه الطبراني وسنده حسن. «شاهت الوجوه» أي قبحت.

في الحديثين معجزتان للنبي ﷺ، الأولى: إيصال الحصى إلى وجوه جميع الكفار وامتلاء أعينهم بالحصباء. ثانيهما: انهزامهم بسبب ذلك. وفي الآية الكريمة دليل على أن أفعال العباد كلها مخلوقة لله وليس لهم منها إلا الكسب.

✽ مشاهد وأحداث من وقعة بدر: صنيع عمير بن الحُمام وقاتله

[٢٠٦] عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: فانطلق رسول الله ﷺ وأصحابه حتى سبقوا المشركين إلى بدر، وجاء المشركون، فقال

٢١٤

رسول الله ﷺ: «لا يقدمن أحد منكم إلى شيء حتى أكون أنا دونه»، فدنا المشركون فقال رسول الله ﷺ: «قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض». قال: يقول عمير بن الحُمام الأنصاري: يا رسول الله جنة عرضها السموات والأرض؟ قال: «نعم»، قال: بخ بخ، فقال رسول الله ﷺ: «ما يحملك على قولك بخ بخ؟» قال: لا والله يا رسول الله إلا رجاء أن أكون من أهلها، قال: «فإنك من أهلها»، فأخرج تمرات من قرنه فجعل يأكل منهن ثم قال: لئن أنا حييت حتى آكل تمراتي هذه إنها لحياة طويلة، قال: فرمى بما كان معه من التمر ثم قاتلهم حتى قتل.

رواه أحمد (١٣٦/٣، ١٣٧)، ومسلم في الإمارة (٤٥/١٣)، وكذا ابن سعد (٢٥/٢)، والحاكم (٤٢٦/٣)، والبيهقي في الكبرى (٤٣/٩). قوله: «بخ بخ» تقدم معناها غير ما مرة، وهي تطلق لتفخيم الأمر وتعظيمه في الخير.

ففي الحديث الترغيب في الجهاد، وأنه يوجب دخول الجنة، وفيه فضل ذلك الصحابي عمير بن الحُمام، وأن الله عز وجل صدق ما وعده به النبي ﷺ من أنه من أهل الجنة، وفيه الترغيب في المبادرة إلى فعل ما يوجب الجنة، كما فيه الإقدام إلى القتال بنية عدم الرجوع كما يفعله منقادو العمليات المسلمون اليوم. وقال النووي رحمه الله تعالى في شرح مسلم: فيه جواز الانغمار في الكفار والتعرض للشهادة وهو جائز بلا كراهة عند جماهير العلماء.

✽ الزبير بن العوام وعبيدة بن سعيد

[٢٠٧] عن الزبير رضي الله تعالى عنه قال: لقيت يوم بدر عبيدة بن سعيد بن العاص، وهو مدجج لا يرى منه إلا عيناه، وهو يكتئب أبا ذات الكرش، فقال: أنا أبو ذات الكرش، فحملت عليه بالعترة فطعنته في عينه فمات، قال هشام: فأخبرت أن الزبير قال: لقد وضعت رجلي عليه ثم

٢١٥

تَمَطَّاتُ فَكَانَ الْجَهْدُ أَنْ نَزَعْتَهَا وَقَدْ انْشَى طَرَفَاهَا، قَالَ عُرْوَةُ: فَسَأَلَهُ إِيَّاهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَأَعْطَاهُ. الْحَدِيثُ.

رواه البخاري في المغازي (٣١٦/٨).

«مدجج» أي: مغطى بالسلاح لا يظهر منه شيء. فيه شجاعة الزبير وقوته رضي الله تعالى عنه، وله مواقف في الحروب معروفة.

✽ استشهاد حارثة بن سراقة

[٢٠٨] عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: أصيب حارثة يوم بدر وهو غلام، فجاءت أمه إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله قد عرفت منزلة حارثة مني، فإن يكن في الجنة أصبر وأحتسب، وإن تكن الأخرى تر ما أصنع؟ فقال: «ويحك أو هبلت؟ أو جنة واحدة هي؟ إنها جنان كثيرة، وإنه في جنة الفردوس».

رواه البخاري في المغازي (٣٠٦/٨).

قوله: «هبلت» بضم الهاء وتفتح بمعنى تكلمت.

وفي الحديث فضل حارثة هذا، وأنه في جنة الفردوس وما أعظمها من بشارة، ولأمه أيضاً أجر عظيم لصبرها واحتسابها الثواب من الله لفقدها ولدها وهو في بداية شبابه، وأمّه هي الربييع - بضم الراء المشددة وفتح الباء ثم ياء مكسورة مشددة - بنت النضر عمّة أنس بن مالك.

✽ شجاعة رسول الله ﷺ يوم بدر

[٢٠٩] عن علي رضي الله تعالى عنه قال: لقد رأيتنا يوم بدر ونحن نلوذ برسول الله ﷺ وهو أقربنا من العدو، وكان من أشد الناس يومئذ بأساً.

رواه أحمد (٨٦/١) بسند صحيح وسيأتي حديث البراء في غزوة حنين الذي رواه مسلم في هذا المعنى.

وقوله: «نلوذ» أي: نلتجئ وننضم إليه. وقوله: «بأساً»: أي شجاعة وقوة. شجاعة النبي ﷺ ونجدته وعدم مبالاته بالأعداء كل ذلك مشهور عنه من سيرته ﷺ وسيمر علينا من ذلك الكثير في مواطن عديدة.

✽ قتال سعد بن أبي وقاص

[٢١٠] عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: كان سعد يُقاتل مع رسول الله ﷺ يوم بدر قتال الفارس والراجل.

رواه البزار من طريقين أحدهما متصل والآخر مرسل. قال الهيثمي (٨٢/٦): ورجالهما ثقات. سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه من السابقين وأحد العشرة المبشرين بالجنة، وكان أول من رمى وأراق الدم في سبيل الله وهو لا يزال بمكة وله مواقف يُشكر عليها منها هذا المشهد في بدر، وأنه كان يُقاتل قتال صاحب الخيل والراجل معاً.

✽ استفتاح أبي جهل يوم بدر ثم مصرعه

[٢١١] عن عبدالله بن ثعلبة بن صعير رضي الله تعالى عنه قال: كان المُسْتَفْتَحُ يوم بدر أبو جهل، وأنه قال حين التقى القوم: اللَّهُمَّ إِنَّا كَانُوا أَقْطَعُ لِلرَّحْمِ وَأَتَى لِمَا لَا نَعْرِفُ فَافْتَحِ الْغَدَّ، وَكَانَ ذَلِكَ اسْتِفْتَاخَهُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنْ كَسَفَتْحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ وَإِنْ تَنَبَّهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَعُدُّوا نَعْدًا وَلَنْ تُغْفَى عَنْكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿١٦﴾.

رواه أحمد (٤٣١/٥)، والنسائي في الكبرى (٣٥٠/٦)، والحاكم وصححه وتقدم في التفسير.

من أعماه الله وأضلّه رأى الشرّ خيراً، والهلاك نجاة، والشقاوة سعادة، فهذا الخاسر اللّعين مع إغراقه في الضلال والطغيان وإمامته في الشرك والوثنية كان قد زين له الشيطان أعماله وصدّه عن السبيل، فطلب من الله عزّ وجلّ أن يفتح عليه وعلى إخوانه بالنصر في بدر، فانقلبت دعوته عليه، ففتح على المؤمنين وقضى لهم بالنصر والظفر، وهزم المشركون وفتح لهم بالقتل والأسر والذلّ والخزي؛ فقوله تعالى: ﴿إِنْ تَسْتَفِيحُوا﴾ إلخ، أي: إن تطلبوا الفتح والنصر لأحد الحزبين وهما حزب الله وحزب الشيطان، فقد جاءكم الفتح والنصر.

[٢١٢] وعن عبدالرحمن بن عوف رضي الله تعالى عنه قال: بينما أنا واقف في الصّف يوم بدر نظرتُ عن يميني وشمالي، فإذا أنا بين غلامين من الأنصار حديثي أسنانهما، تمنيتُ لو كنت بين أضلعٍ منهما، فغمزني أحدهما فقال: يا عمّ هل تعرف أبا جهل؟ قال: قلت: نعم، وما حاجتكُ إليه يا ابن أخي؟ قال: أخبرتُ أنه يسبُّ رسولَ الله ﷺ، والذي نفسي بيده لئن رأيته لا يفارق سوادي سواده حتى يموت الأوجلّ منا، قال: فتعجبتُ لذلك، فغمزني الآخر فقال مثلها. قال: فلم أنشب أن نظرتُ إلى أبي جهل يزول في الناس فقلت: ألا تزيه؟ هذا صاحبكُما الذي تسألان عنه، قال: فابتدراه بسيفيهما حتى قتلاه، ثم انصرفا إلى رسول الله ﷺ فأخبراه، فقال: «أيكما قتله؟» فقال كلُّ واحدٍ منهما: أنا قتلتُه، فقال: «هل مسحتُما سيفيكُما؟» قالا: لا، فنظر في السيفين، فقال: «كلاكما قتله»، وقضى بسلبه لمعاذ بن عمرو بن الجموح، والرجلان معاذ بن عمرو بن الجموح، ومعاذ بن عفرأ.

رواه البخاري في المغازي (٣١٠/٨)، ومسلم في الجهاد والسير (٤٢٥/٣)، وكذا ذكره الحاكم (٤٢٥/٣).

قوله: «سوادي سواده» أي شخصي شخصه. «حتى يموت الأوجلّ» أي: لا أفارقه حتى يموت أحدا وهو الأقرب أجلاً. «لم أنشب» أي لم ألث. «يزول في الناس» أي يتحرك ويضطرب ولا يستقرّ على حاله للهول والخوف الذي حلّ به.

وفي الحديث شجاعة ذنك الغلامين وشهامتهما وغضبهما لله تعالى وشدة محبتهما لرسول الله ﷺ، فإنها الحامل لهما على البحث عن ذلك العذر وقتله، ولذلك لما أخبرهما عبدالرحمن بن عوف به ورأياه شداً عليه مثل الصّفريّن كما في رواية البخاري.

[٢١٣] وعن أنس رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ يوم بدر: «من ينظر ما صنع أبو جهل؟» فانطلق ابن مسعود فوجده قد ضربه ابنا عفرأ حتى برد، فأخذ بلحيته فقال: أنت أبو جهل، قال: وهل فوق رجل قتله قومه أو قال قتلتموه. وفي رواية: فلو غير أكار قتلتني.

رواه البخاري في المغازي (٢٩٥/٨، ٢٩٦)، ومسلم في الجهاد (١٥٩/١٢، ١٦٠).

ابنا عفرأ هكذا في هذه الرواية وهو من باب التغليب، وإلا فعفرأ ليست أمّاً لمعاذ بن عمرو بن الجموح.

وقوله: «حتى برد» أي: صار في حالة من مات. قوله: «وهل فوق رجل قتله قومه» أي: لا عار عليّ في قتلكم إياي. قوله: «فلو غير أكار» الأكار هو الفلاح، وقال ذلك لأن الغلامين من الأنصار وهم أهل زراعة وفلاحة فلا قيمة لهم.

[٢١٤] وعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: أدركت أبا جهل يوم بدر صريعاً، فقلت: أي عدوّ الله قد أخزأك الله، قال: وبما أخزاني من رجل قتلتموه ومعني سيف لي فجعلت أضربه ولا يحثك فيه شيء ومعه سيف له جيّد، فضربت يده فوق السيف من يده، فأخذته ثم كشفت المغفر عن رأسه، فضربت عنقه، ثم أتيت النبي ﷺ فأخبرته، فقال: «الله الذي لا إله إلا هو»، قلت: الله الذي لا إله إلا هو قال: فانطلق فاستثبت، فانطلقت وأنا أسعى مثل الطائر، ثم جئت وأنا أسعى مثل الطائر أضحك، فأخبرته. فقال رسول الله ﷺ: «انطلق»، فانطلقت معه فأريته، فلما وقف عليه ﷺ قال: «هذا فرعونُ هذه الأمة».

رواه أحمد (٣٨٢٤، ٣٨٥٦، ٤٢٤٦، ٤٢٤٧)، والبزار (٢٨٨/١) مع

الكشف، وعزاه الهيثمي (٧٩/٦) للطبراني وقال: رجاله رجال الصحيح غير محمد بن وهب بن أبي كريمة، وهو ثقة.

هذه نهاية الجبارة الطغاة المعتدين، فقد كان أبو جهل لعنه الله تعالى يدعى سيد أهل مكة، وكان هلاكه وقتله على يد أضعف الناس غلامان من غلمان الأنصار، وابن مسعود الذي كان أقصر الصحابة فلم يكن يتجاوز طوله متراً أو نحوه، فهؤلاء الثلاثة هم الذين اشتركوا في قتله وأهانته الله وأذله وأخزاه على أيديهم، وذلك جزاء الجبارين.

✽ مصرع أمية بن خلف

[٢١٥] عن عبدالرحمن بن عوف رضي الله تعالى عنه قال: كاتبت أمية بن خلف كتاباً بأن يخفطني في صياغتي بمكة، وأحفظه في صياغته بالمدينة، فلما ذكرت الرحمن قال: لا أعرف الرحمن، كاتبني باسمك الذي كان في الجاهلية، فكاتبته عبد عمرو، فلما كان في يوم بدر خرجت إلى جبل لأخرزه حين نام الناس فأبصره بلال، فخرج حتى وقف على مجلس من الأنصار، فقال: أمية بن خلف، لا نجوت إن نجا أمية، فخرج معه فريق من الأنصار في آثارنا، فلما خشيت أن يلحقونا خلفت لهم ابنه لأشغلهم فقتلوه ثم أبوا حتى يتبعونا وكان رجلاً ثقيلاً، فلما أدركونا قلت له: ابرك، فبرك فألقيت عليه نفسي لأمنعه فجللوه بالسيوف من تحتي حتى قتلوه وأصاب أحدهم رجلي بسيفه، وكان عبدالرحمن بن عوف يرينا ذلك الأثر في ظهر قدمه.

رواه البخاري في الوكالة (٢٣٠١) (ج ٣٨٥/٥)، ومسلم (١٧٥٢) وهو عند ابن هشام.

وفي رواية: فكنت إذا مررت به قال: يا عبد الإله، فأجبتُه فأتحدت معه حتى إذا كان يوم بدر مررت به وهو واقف مع ابنه علي، وهو أخذ

بيده قال: ومعني أذراع لي قد استلبتها، فأنا أحملها، فلما رأني قال: يا عبد عمرو فلم أجبه، فقال: يا عبد الإله، فقلت: نعم، قال: هل لك في فأنا خير لك من هذه الأذراع التي معك، قال: قلت: نعم، هالله، قال: فطرح الأذراع من يدي وأخذت بيده ويدي ابنه وهو يقول: ما رأيت كالיום قط، أما لكم حاجة في اللبن؟ ثم خرجت أميبي بهما.

رواه ابن إسحاق كما عند ابن هشام (٢٧٣/٢) وسنده حسن، وقد صرح ابن إسحاق بالتحديث.

هذا هو أمية بن خلف أحد سادات أهل الوادي الذي طالما أذاق بلالاً سوء العذاب على ترك الإسلام، فكان عدو الله يخرج به إلى رمضاء مكة إذا حميت فيضجعه على ظهره، ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره، ثم يقول له: لا تزال هكذا أو تفارق دين محمد ﷺ، فما هو الآن يقتل في صحاري بدر مع ولده بعيداً عن أهله وداره ذليلاً حقيراً مدحوراً قد صدق الله تعالى فيه وعد رسوله ﷺ، وظهرت فيه معجزته الخالدة حيث أخبر بأنه سيقتله، وكان هذا الشقي أحد الملائكة الذين تعاقدوا باللات والعزى ومناة... أن لو رأوا النبي ﷺ لقاموا إليه قومة رجل واحد... فحصبهم النبي ﷺ فقتلوا جميعهم ببدر، وكان من السبعة الذين عينهم النبي ﷺ بالدعاء عليهم. انظر ما سبق في فصل الإيذاء، حديث رقم (٦٠).

✽ شهود الملائكة غزوة بدر وقتالهم

مع المسلمين

[٢١٦] عن رفاع بن رافع الزرقني رضي الله تعالى عنه قال: جاء جبريل إلى النبي ﷺ فقال: ما تعدون أهل بدر فيكم؟ قال: من أفضل المسلمين أو كلمة نحوها، قال: وكذلك من شهد بدرًا من الملائكة.

رواه البخاري في غزوة بدر (٣١٤/٨).

[٢١٧] وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن النبي ﷺ قال يوم بدر: « هذا جبريل آخذُ برأس فرسه عليه أداة الحرب ».

رواه البخاري أيضاً (٣١٥/٨).

[٢١٨] وعنه قال: بينما رجل من المسلمين يومئذ يشتد في إثر رجل من المشركين أمامه إذ سمع ضربة بالسوط فوقه وصوت الفارس يقول: «أقدم حيزوم»، فنظر إلى المشرك أمامه فخر مستلقياً فنظر إليه فإذا هو قد خطم أنفه وشق وجهه كضربة السوط فاخضر ذلك أجمع، فجاء الأنصاري فحدث بذلك رسول الله ﷺ فقال: «صدقت»، ذلك من مدد السماء الثالثة، ويأتي بقيته.

رواه مسلم في الجهاد باب الإمداد بالملائكة (٨٥/١٢، ٨٦).

«الخطم» الأثر في الأنف. «أقدم» كلمة زجر للفرس. «وحيزوم» اسم فرس الملك.

[٢١٩] وعن أبي داود المازني رضي الله تعالى عنه قال: إنني لأتبع رجلاً من المشركين لأضربه إذ وقع رأسه قبل أن يصل إليه سيفي، فعرفت أنه قتله غيري.

رواه أحمد (٤٥٠/٥)، وابن إسحاق كما في ابن هشام (٢٧٥/٢)، والبيهقي في الدلائل (٥٦/٣) بسند حسن.

[٢٢٠] وعن علي رضي الله تعالى عنه قال: كنت على بئر فكنت يوم بدر أبيض وأفتح منه، فجاءت ريح شديدة، ثم جاءت ريح شديدة، فلم أزل ريحاً أشد منها إلا التي كانت قبلها، ثم جاءت ريح شديدة، فكانت الأولى ميكائيل في ألف من الملائكة عن يمين النبي ﷺ، والثانية إسرافيل في ألف من الملائكة عن يسار النبي ﷺ، والثالثة جبريل في ألف من الملائكة، وكان أبو بكر عن يمينه وكنت عن يساره، فلما هزم الله الكفار حملني رسول الله ﷺ على فرسه، فلما استويث عليه حمل بي فصرت على عنقه، فدعوت الله فثبتي عليه فطعنني برمحي حتى بلغ الدم إبطي.

رواه أبو يعلى (٤٨٥)، قال الهيثمي (٧٧/٦): ورجاله ثقات. قوله: «أبيض وأفتح» معناه يجذب الدلو مستقيماً لها ثم يويحها أي يملأها.

جملة هذه الأحاديث تدل دلالة قاطعة على أن الله عز وجل أعان أهل بدر وأيدهم بالملائكة، وأن من شهد بدرًا من الملائكة هم من أفضلهم كمن شهدا من الصحابة أيضاً، وكان في طليعة الملائكة سلاطينهم الثلاثة: جبريل وميكائيل وإسرافيل، وقد أخبر القرآن الكريم بإمداد أهل بدر بالملائكة في موضعين في آل عمران وفي الأنفال، فقد قال تعالى كما تقدم: ﴿إِذْ تَسْتَفِيئُونَ رَبِّكُمْ فَأَسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدِّمٌ بِالْمَلَائِكَةِ مُرْسِلِينَ﴾.

وقال عز وجل: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِدَرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [١٢٢] إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ مِائَةِ مَلَكٍ مُمَرِّينَ ﴿١٢٣﴾ بَلَىٰ إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن مَّوْجِمٍ هَذَا بَشِيرٌ لَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابَ اللَّهِ لَآتٍ سَائِغٌ ﴿١٢٤﴾ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرًا لَّكُمْ وَلِيَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم فِيهِ. وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١٢٥﴾ الآية.

فأمدهم تعالى أولاً بألف ثم بثلاثة آلاف ثم بخمسة آلاف، وكان ذلك لطفاً من الله ورحمة بهم ليستبشروا وتطمئن قلوبهم، وجاء قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ﴾ مفتتحاً بالقسم تذكيراً لهم بما أنعم عليهم في ذلك المشهد مع ضعفهم وقتلهم عدّة وعداداً، فلذلك قال لهم: ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾، أي: فعل ذلك بكم لتشكروه على تلك النعمة العظمى، وأي نعمة أعظم من نزول الملائكة من السموات وقاتلهم المشركين مع المسلمين. وقد حضر الملائكة مع المسلمين من الصحابة في غير معركة؛ كالأحزاب وحنين وغيرهما وسياي ذلك أيضاً. ومع وضوح الأدلة على نزول الملائكة وقاتلهم بجنب الصحابة نرى بعض العقلانيين ممن تكلم في التفسير ينفي ذلك، فيخالف القرآن والسنة وإجماع المسلمين نعوذ بالله من العمّة والضلال.

* عدد القتلى والأسارى من المشركين يوم بدر

[٢٢١] عن البراء بن عازب رضي الله تعالى عنهما قال: كان النبي ﷺ وأصحابه أصابوا من المشركين يوم بدر أربعين وواثة، سبعين أسيراً، وسبعين قتيلًا.

رواه البخاري في الجهاد رقم (٣٠٣٩) وفي المغازي (٣٩٨٦) ج ٣٠٩/٨ ويأتي مطولاً في غزوة أحد.

هذا هو الصحيح في عدد القتلى والأسرى يوم بدر، وهو ظاهر في قوله تعالى في أهل أحد: ﴿أَوْ لَمَّا أَصَابَكُمْ مِصْبَةٌ فَدَّ أَصْتَبٌ مِّثْلَهَا﴾ الآية، واتفقوا على أن شهداء أحد كانوا سبعين، فيكون المسلمون أصابوا من المشركين سبعين في سبعين وهو المراد، وسيأتي تعيين بعض أشخاصهم.

* قذف القتلى في القليب ووقوف النبي ﷺ عليهم ونداؤه إياهم بأسمائهم

[٢٢٢] عن أبي طلحة رضي الله تعالى عنه أن نبي الله ﷺ أمر يوم بدر بأربعة وعشرين رجلاً من صناديد قريش، فخذفوا في طوي من أطواء بدر حبيث مخبيث، وكان إذا ظهر على قوم أقام بالعرصة ثلاث ليال، فلما كان ببدر اليوم الثالث أمر براحلته فشُدَّ عليها رخلها ثم مَسَى وأتبعه أصحابه، وقالوا: ما نرى ينطلق إلا لبعض حاجته، حتى قام على شفة الركي، فجعل يناديهم بأسمائهم وأسماء آبائهم: «يا فلان ابن فلان، ويا فلان ابن فلان، أيسرُكم أنكم أطغتم الله ورسوله، فإنا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً، فهل وجدتم ما وعد ربكم حقاً»، قال: فقال عمر: يا رسول الله ما تكلم من أجساد لا أزواج لها؟ فقال رسول الله ﷺ: «والذي نفس محمد بيده ما أنتم بأسماعٍ لما أقول منهم».

رواه البخاري في المغازي (٣٠٣/٨)، ومسلم في كتاب الجنة (١٧/٢٠٥، ٢٠٦، ٢٠٧)، وكذا رواه عن عمر (٢٨٧٣)، وفيه: «غير أنهم لا يستطيعون أن يردوا علي شيئاً».

[٢٢٣] وعن أنس رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ ترك قتلى بدر ثلاثاً، ثم أتاهم فقام عليهم فناداهم، فقال: «يا أبا جهل بن هشام، يا أمية بن خلف، يا عتبة بن ربيعة، يا شيبه بن ربيعة، أليس قد وجدتم ما وعد ربكم حقاً فإني قد وجدت ما وعدني ربي حقاً»، فسمع عمر قول النبي ﷺ فقال: يا رسول الله كيف يسمعون وأتى يجيبوا وقد جيفوا؟ قال: «والذي نفسي بيده ما أنتم بأسماعٍ لما أقول منهم، ولكنهم لا يقدرُونَ أن يجيبوا»، ثم أمر بهم فسُجِنُوا فألقوا في قليب بدر.

رواه مسلم (٢٨٧٤) في كتاب الجنة.

قوله: «العرصة» بوزن الضربة هي كل بقعة واسعة بين الدور ليس فيها بناء. قوله: «صناديد» جمع صنديد - بكسر الصاد - وهو السيد الشجاع. قوله: «طوي» هي البئر التي طويت وبنيت بالحجارة، و«الركي» البئر قبل أن تُطوى، و«شفتها» طرفها. وقوله: «جيفوا» أي: صاروا جيفاً منتنة. وقوله: «فسُجِنُوا» أي: جروهم وألقوهم في القليب، وهي الطوي المتقدمة.

في الحديثين عزَّ الله ورسوله ﷺ وللمؤمنين، وخزي ومقت وإهلاك للمشركين، فقد كان هؤلاء الصناديد بالأمس يجولون ويصولون ويرون أنهم الناس والأبطال والأعزة، ويلمزون النبي ﷺ بالكلمات الجارحة والأقوال البذيئة، ويؤذونه وأصحابه بما شاءوا وطابت لهم به نفوسهم من أنواع الإذابات، فما هم الآن صرعى قد جيفوا وهمدَّت أجسادهم وأصبحوا في عذاب اليم لا يُطاقُ يسمعون التَّقْرِيعَ والتَّوْبِيخَ ويتحسرون ولا يجيبون...

والحديثان يدلان على أن الموتى يشعرون ويسمعون كلام الأحياء، ولكنهم لا يقدرُونَ على إجابة الأحياء وإسماعهم... وهذا أمرٌ مقطوعٌ به لا يخالف فيه إلا من لا يعقل، وما ذهبت إليه سيدتنا عائشة رضي الله تعالى

الغنائم في الكفار / أحمد بن حنبل / ١٦٩٣ / ١٣٦ / ١٣٥ / ٢

عنها في هذا الموضوع خالفت فيه الصواب. وفي حديث أبي طلحة مشروعية إقامة جيش المسلمين بعرض الكفار بعد انهزامهم ثلاثة أيام إظهاراً لعزتهم وإذلالاً للكفار...

✽ هزيمة الكفار واختلاف الصحابة في الغنائم

[٢٢٤] عن عبادة بن الصامت رضي الله تعالى عنه قال: خرجنا مع النبي ﷺ، فشهدت معه بدرًا، فالتقى الناس فهزم الله تبارك وتعالى العدو، فانطلقت طائفة في آثارهم يهزمون ويقتلون، فأكبت طائفة على المعسكر يخوونه ويجمعونه، وأخذت طائفة برسول الله ﷺ لا يصيب العدو منه غرة حتى إذا كان الليل وفاء الناس بعضه إلى بعض، قال الذين جمعوا الغنائم: نحن حويناها وجمعناها فليس لأحد فيها نصيب، وقال الذين أخذوا برسول الله ﷺ: لستم بأحق بها منا، نحن أخذنا برسول الله ﷺ وخفنا أن يصيب العدو منه غرة واشتغلنا به؛ فنزلت: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَأَنْفَقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾، فقسمها رسول الله ﷺ على فواق بين المسلمين.

وفي رواية قال: فينا معشر أصحاب بدر نزلت حين اختلفنا في النفل، وساءت فيه أخلاقنا، فانتزعه الله تعالى من أيدينا وجعله إلى رسول الله ﷺ، فقسمه رسول الله ﷺ بين المسلمين على فواق، يقول: على السواء.

رواه أحمد (٣٢٢/٥، ٣٢٤)، وابن حبان (١٦٩٣) بالموارد، والحاكم (١٣٥/٢، ١٣٦، ٣٢٦)، والبيهقي في الكبرى (٢٩٢/٦)، وأورده الهيثمي (٩٨/٧، ٩٢/٦) من طريقين، وقال: رجال الطريقين ثقات.

[٢٢٥] وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: إن النبي ﷺ قال: «من أتى مكان كذا وكذا فله كذا وكذا»، فأسرع إليه الشبان وثبت الشيوخ تحت الرايات، فلما فتح الله تعالى لهم جاء الشباب يطلبون ما جعل

لهم، فقال الأشياخ: لا تذهبوا به دوننا، فإنما كنا رذءاً لكم، فأنزل الله عز وجل: ﴿فَأَنْفَقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾.

رواه أبو داود (٢٧٣٧، ٢٧٣٨، ٢٧٣٩) بالفاظ، والنسائي في الكبرى (٣٤٩/٦)، وابن حبان (١٧٤٣) بالموارد، والحاكم (١٣١/٢، ١٣٢، ٢٢١، ٣٢٧)، والبيهقي في الكبرى (٢٩٢/٦) وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

[٢٢٦] وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه قال: لما كان يوم بدر جئت بسيف فقلت: يا رسول الله ﷺ إن الله قد شفى صدري من المشركين أو نحو هذا، هب لي هذا السيف، فقال: «هذا ليس لي ولا لك»، فقلت: عسى أن يعطى هذا من لم يبل بلائي، فجاءني رسول الله ﷺ فقال: «سألتني وليس لي، وإنه قد صار لي وهو لك»، قال: فنزلت ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَأَنْفَقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾.

رواه أحمد (١٨١/١، ١٨٦)، ومسلم في الجهاد والسير (٥٣/١٢)، وغيرهما، ويأتي مطولاً في الفضائل.

الحديثان الأولان يدلان على أن آية الأنفال نزلت بسبب اختلاف الشبان والشيوخ في الغنائم، بينما حديث سعد يدل على أنها نزلت بسببه، وكل ذلك كان ببدر، وليس في ذلك ما يستنكر، فإن الجميع أخبر بما شاهد أو حصل له في هذه الغزوة والأسباب قد تتعدد كما هو معلوم في علوم القرآن.

والآية الكريمة تدل على أن أمر الغنائم حكمها لله ولرسوله ﷺ لا حاكمية لأحد فيها، وأن الواجب على المختلفين في ذلك وفي غيرها أن يسلموا الأمر لله ولرسوله ﷺ، وأن يضلحوا ما وقع بينهم من النزاع.

ويدل حديث عبادة على أن الشيوخ كانوا يحرسون رسول الله ﷺ من الكفار، وهو في العريش الذي هبى له، وأن الشبان هم الذين تولوا القتال وهزموا الكفار، فجعلهم الله عز وجل كلهم مجاهدين، ولذلك قسم النبي ﷺ الغنائم بينهم على السواء.

وفي هذه الأحاديث بيان طبيعة الإنسان في حبه للمال سواء الصالح منه أو غيره، فهو من الشهوات التي حُبِّبَتْ إليه؛ كما قال تعالى: ﴿زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَتَابِ ﴿٧٤﴾

* الأسارى والاختلاف في شأنهم

[٢٢٧] عن عمر رضي الله تعالى عنه قال: فلما أسروا الأسارى قال رسول الله ﷺ: «يا أبا بكر وعليّ وعمر ما ترون في هؤلاء الأسارى؟» فقال أبو بكر: يا نبيّ الله هم بنو العمّ والعشيرة أرى أن تأخذ منهم فدية فتكون لنا قوّة على الكفار، فعسى الله أن يهديهم للإسلام، فقال رسول الله ﷺ: «ما ترى يا ابن الخطاب؟» قال: لا والله يا رسول الله ما أرى الذي رأى أبو بكر، ولكني أرى أن تُمَكِّثًا فنضرب أعناقهم، فتمكّن علياً من عقيل فيضرب عنقه، وتمكّني من فلان نسيباً لعمر فأضرب عنقه، فإن هؤلاء أئمة الكفر وصناديدها. فهوي رسول الله ﷺ ما قال أبو بكر ولم يهوّ ما قلت، فلما كان من الغد جئت فإذا رسول الله ﷺ وأبو بكر قاعدان يبكيان، قلت: يا رسول الله أخبرني من أيّ شيء تبكي أنت وصاحبك؟ فإن وجدت بكاء بكيت، وإن لم أجد بكاءً تباكيْتُ لبكائكما. فقال رسول الله ﷺ: «أبكي للذي عُرض على أصحابك من أخذهم الفداء، لقد عُرض عليّ عذابهم أذنّي من هذه الشجرة» شجرة قريبة من النبي ﷺ وأنزل الله عزّ وجلّ:

﴿مَا كَانَتْ لِنَبِيِّ أَنْ يُكُونَ لَهُ شَرِيٌّ حَتَّى يُخْرَجَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَصَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧٧﴾ لَوْلَا كُنْتُ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧٨﴾ فَكُلُوا مِنَّمَا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٧٩﴾﴾، فأحلّ الله تعالى الغنيمة لهم، فلما كان يوم أحد من العام

المقبل عوقبوا بما صنعوا يوم بدر من أخذهم الفداء، فقتل منهم سبعون وفر أصحاب النبي عليه الصلّاة والسلام عنه وكسرت رباعيته، وهشمت البيضة على رأسه، وسال الدم على وجهه، وأنزل الله تعالى: ﴿أَوْ لَمَّا أَصَبْتَكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا﴾ بأخذكم الفداء.

رواه أحمد (٣٠/١، ٣١)، ومسلم في الجهاد والسير (٨٤/١٢، ٨٥)، ويأتي أيضاً في غزوة أحد.

[٢٢٨] وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ قال: «لم تحلّ الغنائم لأحد سِوِ الرُّؤُوسِ من قبلكم، كانت تنزل نار من السماء فتأكلها، فلما كان يوم بدر وقعوا في الغنائم قبل أن تحلّ لهم، فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿لَوْلَا كُنْتُ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧٨﴾ فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا﴾ الآية.

رواه أحمد والترمذي والنسائي في الكبرى وغيرهم بسند صحيح على شرط مسلم، وتقدم كسابقه في التفسير.

قوله: «حتى يشخن في الأرض» أي: حتى يبالغ في قتل الكفار.

[٢٢٩] والعتاب الذي حصل في الآية عن الأسرى وأخذ الفداء إنما هو عتاب على خلاف الأولى؛ لأن الله عزّ وجلّ قد سبق كتابه بإحلال الغنائم لهذه الأمة.

وفي حديث عمر فضيلة ظاهرة له حيث جاء القرآن موافقاً لرأيه في عدم أخذ الفداء من الكفار، وفيه مشروعية مشاورة الخليفة العلماء والصالحين ذوي الرأي في شؤون السياسة، ثم يختار ما ظهر له من الآراء. وفيه دليل على جواز اجتهاد الرسول ﷺ فيمن لم ينزل فيه وحي، وأن الله عزّ وجلّ لا يقرّه على خلاف ما شرعه الله عزّ وجلّ.

وفي الحديثين إحلال الغنائم لهذه الأمة دون غيرها، وقد تقدم الكلام على ذلك في الجهاد.

❁ قدوم زيد بن حارثة المدينة مبشراً بالنصر

[٢٣٠] عن أسامة بن زَيْد رضي الله تعالى عنهما قال: إنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَلَفَ عثمان بن عفان وأسامه بن زيد رضي الله تعالى عنهم على بنت رسول الله ﷺ، فجاء زيد بن حارثة على العَضْبَاءِ ناقَةَ رسول الله ﷺ بالبشارة، قال أسامة: فسمعتُ الهَيْعَةَ، فخرجتُ فإذا زيدٌ قد جاء بالبشارة، فوالله ما صدقتُ حتى رأينا الأسارى، وضرب رسول الله ﷺ لعثمان بسَهْمِهِ.

رواه الحاكم (٢١٧/٣، ٢١٨)، والبيهقي في السَّير من الكبرى (١٧٤/٩) وفي الدلائل (١٣٠/٣، ١٣١)، وصححه الحاكم على شرط مسلم ووافقه الذهبي.

في الحديث مشروعية بعث المبشرين بانتصار المسلمين على الكفار، وفيه أن النَّبِيَّ ﷺ ضرب لعثمان حظَّه من غنيمة بدر؛ لأنه تخلف مُمرَّضاً لزوجته رقية بنت رسول الله ﷺ التي توفيت ورسول الله ﷺ في الطريق مرجعه من بدر.

[٢٣١] وعن عبدالرحمن بن أسعد بن زُرارة رضي الله تعالى عنهما قال: قدم بالأسارى حين قدم بهم المدينة، وسوَّدة بنتُ زَمْعَةَ زوج النَّبِيَّ ﷺ عند آل عَفْرَاءِ في مَنَاحِيهِمْ على عَوْفٍ ومُعَوِّذِ ابني عفراء، وذلك قبل أن يُضرب الحجاب، قالت سوَّدة: فوالله إني لعندهم إذ أُتِينَا، فقيل: هؤلاء الأسارى قد أُتِيَ بهم، فرجعْتُ إلى بيتي ورسول الله ﷺ فيه، فإذا أبو يزيدٌ سَهَيْلُ بنُ عَمْرٍو في ناحية الحُجْرَةِ ويدها مجموعتان إلى عُنُقِهِ بِحَبْلِ، فوالله ما ملكتُ حين رأيتُ أبا يزيد كذلك أن قلتُ: أبا يزيد أعطيتم بأيديكم ألا متم كراماً. فما انتبهتُ إلا بقول رسول الله ﷺ من البيت: «يا سوَّدة على الله وعلى رسوله!»، فقلت: يا رسول الله والذي بعثك بالحق ما ملكتُ حين رأيتُ أبا يزيد مجموعَةً يدها إلى عُنُقِهِ بالحبل أن قلتُ ما قلتُ.

رواه الحاكم (٢٢٢/٣)، وابن إسحاق كما عند ابن هشام (٢٨٦/٢) وصححه الحاكم على شرط مسلم ووافقه الذهبي.

قولها: «في مناحتهم»، تعني: كانت عندهم في وقت نياحتهم على قتل ابني عفراء الذين استشهدا بدر. قوله: «على الله ورسوله» يريد والله أعلم أتقولين له ذلك تحريضاً منك على الله وعلى رسوله ﷺ، وفيما قالت سوَّدة رضي الله تعالى عنها لذلك الأسير شيء عظيم لولا أنها لم تشعر، ولذلك لم يؤاخذها النَّبِيُّ ﷺ.

وكان في قدوم هؤلاء الأسارى بشارة ثانية بالنصر وانهزام المشركين.

❁ فداء الأسارى وقتل عُقْبَةَ بن أبي مُعَيْط في الطريق إلى المدينة

[٢٣٢] عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: فادى رسول الله ﷺ أسارى بدر، وكان فداء كل رجل منهم أربعة آلاف.

رواه الطبراني في الكبير (١٢١٥٢) والأوسط ورجاله رجال الصحيح، قاله نور الدين في المجمع (٩٠/٦).

[٢٣٣] وعن عبدالله بن الزبير رضي الله تعالى عنهما قال: كانت قريش ناحت قتلاًها ثم ندمت، وقالوا: لا تتوخوا عليهم، فيبلغ ذلك محمداً وأصحابه فيشمتوا بكم وكان في الأسرى أبو وداعة بن صبرة السهمي، فقال رسول الله ﷺ: «إن له بمكة ابناً تاجراً كيساً ذا مال كأنكم قد جاءكم في فداء أبيه»، فلما قالت قريش في الفداء ما قالت، قال المطلب: صدقتم، والله لئن صدقتم ليثاربنَّ عليكم ثم انسلَّ في الليل فقدم المدينة ففدى أباه بأربعة آلاف درهم.

أورده الهيثمي (٩٠/٦) برواية الطبراني وقال: رجاله ثقات.

لا تنوحوا أي: لا تبكوا على قتلاكم بالنياحة المصحوبة بالنذب
واللطم والخرق على عادتهم في ذلك، فيشمتوا بكم أي: يفرحوا. وقوله:
لِيُثَارَبَنَّ عَلَيْكُمْ أَي: ستصبح أفعالهم.

والحديثان يدلان على أن ثمن الفداء كان أربعة آلاف درهم لكل
شخص ومن لم يكن له ما يفدي به نفسه، وكان كاتباً كان يُؤمَّر بتعليم
أولاد الأنصار الكتابة كما في الحديث التالي.

[٢٣٤] عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: كان ناسٌ من
الأسرى يوم بدر لم يكن لهم فداء، فجعل رسول الله ﷺ فداءهم أن
يُعلِّمُوا أولاد الأنصار الكتابة، قال: فجاء يوماً غلام يبكي إلى أبيه، فقال:
ما شأنك؟ قال: ضَرَبَنِي مُعَلِّمِي، قال: الخبيثُ يطلب بِدُخْلِ بدر والله لا
تأتيه أبداً.

رواه أحمد (٢٤٧/١) بسند حسن أو صحيح.

قوله: «دُخِل» أي: ثاره وأصل الذحل الحقد والعداوة.

❁ قتل عقبة بن أبي معيط في الطريق

[٢٣٥] وعنه قال: قتل عقبة بن أبي معيط قبل الفداء، قام إليه علي
رضي الله تعالى عنه فقتله صبراً، قال: مَنْ لِلصُّبِّيَةِ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قال:
«النار».

رواه الطبراني قال في المجمع (٨٩/٦) ورجاله رجال الصحيح، وهو
عند عبدالرزاق في المصنف رقم (٩٣٩٤) في الجهاد.

الآن حان وقت مصرع هذا العَدِّ اللدود الذي كان بالأمس مع صناديده
بمكة، فقام إلى سلا جزور فوضعها على ظهر النبي ﷺ وجعلوا
يضحكون، وهو الذي أخذ مرة بمنكب رسول الله ﷺ ولوى ثوبه في عنقه
وخنقه به خنقاً شديداً حتى دفعه عنه الصديق رضي الله تعالى عنه.

فها هو الآن في الفيافي بعيداً عن الأهل والولد والدار تضرب عنقه
صبراً بين بدر والمدينة ولا ناصر له ولا مغيث، وذلك جزاء الجبابرة
المتكبرين.

❁ قصة العباس في أسره وفدائه

[٢٣٦] عن البراء رضي الله تعالى عنه قال: جاء رجلٌ من الأنصار
بالعباس قد أسره، فقال العباس: يا رسول الله ليس هذا من أسْرِنِي، أسْرِنِي
رجلٌ من القوم أنزع من هيئته كذا وكذا، فقال رسول الله ﷺ: «قد
آزَرَكَ اللهُ بِمَلِكٍ كَرِيمٍ».

رواه أحمد رقم (٦٧٦)، قال النور (٨٥/٦): رجاله رجال الصحيح،
ورواه أحمد (٣٥٣/١) عن ابن عباس أيضاً لكن فيه رجل مجهول.

العباس عم النبي ﷺ كان قد أسلم بمكة وكان يكتنم إسلامه، ثم
خرج مع المشركين إلى بدر، فوقع أسيراً في أيدي المسلمين فَكُتِفَ وَأوثِقَ
في جملة الأسارى.

[٢٣٧] فعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: لما فرغ
رسول الله ﷺ من بدر، قيل له: عليك العير ليس دونها شيء، قال:
فناداه العباس وهو في وثاقه: لا يَضْلِحُ لك ذلك، فقال له رسول الله ﷺ:
«ولم؟» قال: لأن الله تعالى وعدك إحدَى الطائفتين وقد أعطاك ما وعدك؟
قال: «صدقت».

رواه أحمد والترمذي بسند صحيح، وقد تقدم في التفسير في قوله
تعالى: «وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَوَدَّوْنَ أَنْ عَدَّ ذَاتِ
الشُّوْكَوَةِ تَكُوْنُ لَكُمْ» الآية.

فكان العباس رضي الله تعالى عنه ممن أوثق في جملة الأسارى، رغم
أنه عم النبي ﷺ، فإن الحق لا يحترم أحداً ولم يقبل منه كتم إسلامه لأنه

خرج مكثراً لسواد الكفار فعامله النبي ﷺ معاملة الأسارى المشركين، فأوثقه حتى قدم به المدينة وطلب منه فداء نفسه وابني أخويه عقيل بن أبي طالب ونوفل بن الحارث، وحليفه عتبة بن عمرو.

[٢٢٨] عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: إن رجالاً من الأنصار استأذنوا رسول الله ﷺ فقالوا: ائذن لنا فلنتترك لأبن أخينا عباس فداءه، قال: «والله لا تدرون منه دزهما».

رواه البخاري في المغازي (٣٢٣/٨، ٣٢٤).

استشفع رجال من الأنصار البدرين للعباس عند النبي ﷺ أن يعفوه من الفداء، فأكد لهم أخذ الفداء منه بالنهي عن تركهم شيئاً من ذلك ولو درهماً، وذلك خشية أن يكون في ذلك محاباة له لكونه عمه، وقول الأنصارين: «لابن أختنا» لأن جدة العباس سلمى بنت عمرو بن زيد النجارية الخزرجية كانت أمّاً لعبدالمطلب، فأطلقوا عليها أختاً لهم لكونها من الأنصار والعباس حفيدها، فهو ابن أختهم، كما أنهم أخوال النبي ﷺ، هذا وذكر علماء السيرة ومنهم أبو نعيم في الدلائل (١٧١) عن ابن عباس بإسناد حسن، قال: كان فداء كل واحد أربعين أوقية، فجعل على العباس مائة أوقية، وعلى عقيل ثمانين وفيه قصة العباس في ماله الذي تركه لأم الفضل، ونزول قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ النَّبِيَّ قُلُوبٌ لَّيِّنٌ فِي أَيِّدِكُمْ مِنَ الْأَسْرَى﴾ الآية، وانظر المجمع (٢٨/٧)، وهناك أخبار عن العباس لا أسانيد لها أو هي مجرد بلاغات ومراسيل.

العفو عن أبي العاص زوج زينب بنت

رسول الله ﷺ

[٢٢٩] عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: لما بعث أهل مكة في فداء أسراهم بعثت زينب بنت رسول الله ﷺ في فداء أبي العاص بن

٢٣٤

الربيع بمال، وبعثت فيه قِلادة لها كانت لخديجة أدخلتها بها على أبي العاص حين بنى عليها، قال: فلما رآها رسول الله ﷺ رَقَّ لها رقّةً شديدة، وقال: «إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها، وتردوا عليها الذي لها فافعلوا»، فقالوا: نعم يا رسول الله، فأطلقوه وردوا عليها الذي لها. وفي رواية: وكان رسول الله ﷺ أخذ عليه أو وعده أن يُخَلِّي سبيل زينب إليه، وبعث رسول الله ﷺ زيد بن حارثة ورجلاً من الأنصار فقال: كونا ببطن يأجج حتى تمرّ بكما زينب فتصحبها حتى تأتيا بها.

رواه أحمد (٣٧٦/٦)، وأبو داود في الجهاد (٢٦٩٢)، وابن إسحاق كما عند ابن هشام (٢٩٤/٢، ٢٩٥)، والحاكم (٢٣٦/٣، ٢٣) وسنده حسن صحيح وابن إسحاق صرح بالتحديث وصححه الحاكم على شرط مسلم ووافقه الذهبي.

وقد ذكر ابن إسحاق خبراً طويلاً في قصة خروجها من مكة ولحوقها بالمدينة، فانظره عند ابن هشام (٢٩٦/٢)، وكان رسول الله ﷺ زوج عتبة بن أبي لهب ابنته رقيقة أم كلثوم كما زوج زينب من أبي العاص بن الربيع، فلما بادى رسول الله ﷺ قريشاً بأمر الله تعالى وبالعداوة مشوا إلى عتبة بن أبي لهب فأمره بفراق بنت النبي ﷺ وأن يزوجه أي امرأة شاء من قريش ففارقها ولم يكن دخل بها بعد، ثم ذهبوا إلى أبي العاص فأمره بمفارقة زينب فقال لهم: والله إنني لا أفارق صاحبتي وما أحب أن لي بامرأتي امرأة من قريش، ولذلك كان رسول الله ﷺ يُثني عليه خيراً في مصاهرته، وعندما وقع أسيراً مع أسارى بدر عفا عنه رسول الله ﷺ ورد عليه فداءه، وشرط عليه أن يأذن لزينب ابنته باللحوق به، ففعل ووفى بذلك ثم بعد من الله تعالى عليه فأسلم فردّ عليه زوجته.

كيف تلقت قريش خبر هزيمتهم ببدر

[٢٤٠] قال ابن إسحاق رحمه الله تعالى: وكان أول من قدم مكة

٢٣٥

بمصاب قريش الحَيْسُمَان بن عبد الله الخزاعي، فقالوا له: ما وراءك؟ قال: قُتِلَ عتْبَةُ بن ربيعة، وشَيْبَةُ بن ربيعة، وأَبُو الحَكَم بن هشام، وأمِيَّةُ بن خلف، وزمعةُ بن الأسود، ونَبِيه ومُنَبِّه ابنا الحجاج، وأَبُو البَخْتَرِي بن هشام، فلما جعل يعدد أشراف قريش، قال صفوان بن أمية: والله إن يعقل هذا فسَلُوهُ عليّ؟ فقالوا: ما فعل صفوان بن أمية؟ قال: هو ذاك جالس في الحجر قد والله رأيت أباه وأخاه حين قتلا.

رواه ابن إسحاق كما عند ابن هشام (٢/٢٨٨) وهو تابع لسنده الأوّل الصحيح الذي بدأ به غزوة بدر، والله تعالى أعلم.

[٢٤٩] وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: قال أبو رافع مولى رسول الله ﷺ: كنت غلاماً للعباس بن عبد المطلب وكان الإسلام قد دخلنا أهل البيت، فأسلم العباس وأسلمت أم الفضل، وأسلمت، وكان العباس يهابُ قومَه وَيَكْرَهُ خِلافَهُم، وكان يكتُمُ إسلامه وكان ذا مال متفرّق في قومه، وكان أبو لهب قد تخلف عن بدر، فبعث مكانه العاص بن هشام... فلما جاءه الخبر عن مُصَابِ أصحاب بدر من قريش كَبَتَهُ اللهُ وأخزاه، ووجدنا في أنفسنا قُوَّةً وَعِزًّا، قال: فبينما هو جالس إذ قال الناس: هذا أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب قد قدم، فقال أبو لهب: هَلُمَّ إِلَيّ، فعندك لَعَمْرِي الخبر، قال: فجلس إليه والناس قيام عليه، فقال: يا ابن أخي أخبرني كيف كان أمرُ الناس؟ قال: والله ما هو إلا أن لقينا القومَ فَمَنَحْنَاهُمْ أَكْتافَنَا يَقُوذُونَنَا كيف شاءوا، ويأسروننا كيف شاءوا، وأيّم الله مع ذلك ما لَمْتُ الناس لَقِينَا رجالاً بيضاً على خيلٍ بُلُقٍ بين السماء والأرض، والله ما تليق شيئاً، ولا يقوم لها شيء. قال أبو رافع: فرفعت طُئْبُ الحُجْرَةِ بيدي، ثم قلت: تلك والله الملائكة، قال: فرفع أبو لهب يَدَهُ فضرب بها وجهي ضربةً شديدةً، قال: وثاؤزته فاحتلمني فضرب بي الأرض ثم برك عليّ يضربني وكنت رجلاً ضعيفاً، فقامت أم الفضل إلى عَمُودٍ من عُمُد الحجرة، فأخذته فضربته فلعت في رأسه شجّة منكرة، وقالت: اسْتَضَعَفْتَهُ أَنْ غَابَ عَنْهُ سَيِّدُهُ؟ فقام مُؤَلِيّاً دَلِيلاً، فوالله ما عاش إلا سَبَعٌ لِيالٍ حتى رماه الله بالعدسة فقتلته.

رواه ابن إسحاق كما في ابن هشام (٢/٢٨٨)، وتاريخ ابن جرير (٢/٤٦٣) غير أن في سنده حسين بن عبد الله بن عباس وهو ضعيف، والقصة ذكرتها لحسن سياقتها وفكهااتها على أنه ليس فيها ما ينكر، فهي موافقة للواقع.

قوله: «تليق» أي: لا تبقي شيئاً. قوله: «طُئْبُ الحُجْرَةِ» بضمّتين خَبَلُهَا. قوله: «وثاؤرته» أي: وثبت عليه. وقوله: «فلعت» أي: فلقت رأسه، واستفدنا من هذه القصة إسلام العباس وأهله قبل بدر، كما استفدنا منها شجاعة أم الفضل حيث ضربت أبا لهب بعمود الحجرة حتى فلقت رأسه، وأنه لم يعيش بعد ذلك إلا أسبوعاً فأصيب بالعدسة وهي بثرة خضرة كالتاعون فهلك وتبع إخوانه لجهنم.

✽ أهل بدر لن يدخلوا النار وإن فعلوا ما فعلوا إلا أن يُشْرِكُوا

[٢٤٢] عن عليّ رضي الله تعالى عنه في قصة حاطب بن أبي بلتعة قال فيه رسول الله ﷺ: «لعل الله أطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد وجبت لكم الجنة، أو فقد غفرت لكم»، فدمعت عينا عمر وقال: الله ورسوله أعلم.

رواه البخاري في المغازي باب فضل من شهد بدرأ (٨/٣٠٧)، ورواه مسلم عن ابن عباس ويأتي مفضلاً في غزوة الفتح إن شاء الله عز وجل.

[٢٤٣] وعن جابر رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لن يدخل النار رجلٌ شهد بدرأ والحديبية».

رواه مسلم في الفضائل (١٦/٥٧)، والترمذي في المناقب وابن ماجه ويأتي في الفضائل.

في الحديثين بشارة عظيمة لأهل بدر وأنهم مغفور لهم ولن يدخلوا

النار والله لا يخلف وعده، وهذه الفضيلة ليست لغيرهم ولغير أهل الحديدية كما يأتي إن شاء الله تعالى.

✽ أسماء مَنْ شهد بدرًا من المهاجرين والأنصار

قال البخاري في صحيحه (٣٢٩/٨) باب تسمية من سمي من أهل بدر في الجامع الذي وضعه أبو عبدالله على حروف المعجم: النبي سيّدنا محمد بن عبدالله الهاشمي عليه السلام، أبو بكر الصديق، عمر، عثمان، علي بن أبي طالب، إياس بن البكير، بلال بن رباح، مولى أبي بكر الصديق، حمزة بن عبد المطلب الهاشمي، حاطب بن أبي بلتعة حليف لقريش، أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة القرشي، حارثة بن الربيع الأنصاري قتل يوم بدر وهو حارثة بن سراقه كان في النظارة، حُيَيب بن عدي الأنصاري، حُثَيْب بن حذافة السهمي، رفاعه بن رافع الأنصاري، رفاعه بن عبدالمنذر، أبو لبابة الأنصاري، الزبير بن العوام القرشي، زيد بن سهل، أبو طلحة الأنصاري، أبو زيد الأنصاري، سعد بن مالك الزهري، سعد بن خولة القرشي، سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل القرشي، سهل بن حنيف الأنصاري، ظهير بن رافع الأنصاري، عبدالله بن مسعود الهذلي، عتبة بن مسعود الهذلي، عبدالرحمن بن عوف الزهري، عبيدة بن الحارث القرشي، عبادة بن الصامت الأنصاري، عمرو بن عوف، عقبة بن عمرو الأنصاري، عامر بن ربيعة الأنصاري العنزي، عاصم بن ثابت الأنصاري، عويم بن ساعدة الأنصاري، عتبان بن مالك، قدامة بن مظعون، قتادة بن النعمان الأنصاري، معاذ بن عمرو بن الجموح، مُعَوِّذُ بن عَفْرَاءُ وأخوه، مالك بن ربيعة، أو أسيد الأنصاري، مرارة بن الربيع الأنصاري، معن بن عدي الأنصاري، مسطح بن أثانة، المقداد بن عمرو الكندي، هلال بن أمية الأنصاري رضي الله تعالى عنهم.

فجملة ما ذُكِرَ هنا أربعة وأربعون رجلاً، وقد اقتصر على ما وقع عنده منهم في الصحيح وفاته الكثير منهم من المشاهير كسعد بن أبي وقاص وأبي عبيدة بن الجراح وزيد بن حارثة وغيرهم، وأوردتهم نورالدين في المعجم (٩٣/٦، ٦٣٦) فبلغ عددهم (٢٣٥) رجلاً، كما ذكر الكثير منهم ابن إسحاق كما عند ابن هشام (٣٢١/٢) فما بعدها، وقد استوعبهم الحافظ ابن كثير رحمه الله في سيرته (ج ٢/٤٩٠ - ٥٠٧) ورتبهم على حروف المعجم أحسن ترتيب فأوصلهم إلى أكثر من ثلاثمائة وأربعة عشر رضي الله تعالى عنهم ونفعنا بمحبّتهم وجعلنا في زمرتهم، آمين.

✽ خلاصة ما اشتملت عليه غزوة بدر

إن غزوة بدر كانت أول غزوة خاضها النبي عليه السلام وأصحابه مع المشركين، وكانت الفاصل بين الحق والباطل، وكان للمسلمين فيها النصر المبين الذي لم يقع في تاريخ الإسلام مثله، فقد كوّن أصحابها الأبطال تاريخاً ومَجْداً وظَفْراً ونَصْراً لكل من جاء بعدهم من الأجيال، وإتماماً للفائدة نذكر هنا خلاصة ما سبق في الغزوة تذكيراً للقارىء بما مرّ عليه من أحداثها، فنقول:

كان تاريخ الغزوة يوم الجمعة سبعة عشر من رمضان للسنة الثانية من الهجرة، وكان سببها الخروج لعير قريش التي قدم بها أبو سفيان من الشام، فأرسل النبي عليه السلام بعض العيون ليأتي بأخبار العير ونَدَب الصحابة للخروج بعد أن استشارهم ثم انطلق وهم ثلاثمائة وبِضْعَة عشر رجلاً ومعهم سبعون جملًا يتعاقبونها وليس معهم إلا فرسان وتبعه بعض الأطفال، فردّهم كما تبعه مشرك يريد إعادته، فقال له: «لن نستعين بمشرك»، وفي هذه الأثناء رأت عاتكة بنت عبد المطلب عمّة رسول الله عليه السلام وهي بمكة رؤيا هائلة أفزعتهما وأزعجت كل من سمعها مفادها إنذار قريش بهلاكهم، وصادفت الرؤيا مَجِيء ضمضم من طرف أبي سفيان مستغيثاً بقريش لإنقاذ العير الذي

خرج يتعرض له محمد وأصحابه، رغم أنه - أعني أبا سفيان - لما سمع بخروج النبي ﷺ حَوْل طريقه إلى الساحل فَأَنْجَى عِيْرَهُ، ولما جاء كَفَارَ قريش النذيرُ مع الرؤيا خرجوا في جيش عَزَمَزَم لِيُعِيْشُوا أبا سفيان وعِيْرَهُ ومن معه، وعندما غادروا مكة وقطعوا أشواطاً في سَفَرِهِمْ علموا أن أبا سفيان قد نجا بالعير، فأرادوا الرجوع لكن أبا جهل عارض، وقال: لا بد وأن نذهب فننزل ببدر ونُتَخِرَ الْجُزْرَ ونُشْرِبَ الخمر وتُعْنِينَا الْقَيْنَاتُ فيسمع بنا العرب فلا يزالون يهابوننا، فتابعوا السير إلى أن وصلوا بدرأً وسبقوا المسلمين إلى الموضوع المناسب، ولما وصل النبي ﷺ نزل بالضفة الشمالية لجهة المدينة، وهو المعبر عنه في الآية الكريمة بالعدوة الدنيا في قوله تعالى: ﴿إِذْ أَنْتُمْ بِالْمُدَّةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْمُدَّةِ الْقُصْوَى وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ﴾.

ومعناه أنتم كنتم بالشاطيء والجانب الأدنى أي الأقرب لجهة المدينة والكفار بالشاطيء، والجانب الأقصى أي البعيد من جهتكم وركب أبي سفيان كان أسفل منكم لجهة البحر، وههنا قال الحُباب بن المنذر للنبي ﷺ: يا رسول الله أرايت هذا المنزل أمزلاً أنزلكهُ الله ليس لنا أن نتقدم ولا أن نتأخر عنه، أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟ قال: «بل هو الحرب والرأي والمكيدة»، فقال: فإن هذا ليس بمنزل، فانهض بالناس حتى نأتي أذنى ماء من القوم فننزله ثم نَعُوْر ما وراءه من الآبار ثم نَبْنِي عليه حَوْضاً فنملأه ماء ثم نقاتل القوم فنشرب ولا يشربون، فنهض رسول الله ﷺ وتحول إلى المكان الذي أشار إليه الحُباب.

رواه ابن إسحاق مرسلأً بسند صحيح ولم نذكره في صلب القصة لإرساله، ثم هَيَأُوا للنبي ﷺ عريشاً ينزل فيه، ثم شاور الصحابة مرة ثانية، وأشار إليه المقداد وسعد بن معاذ بما سره ثم بشرهم بالنصر وجعل يخبرهم بمصارع القوم، وكان قد قال لهم قبل ذلك: «هذه مكة قد أخرجت لكم أفلاذ كبدها»، ويات النبي ﷺ ليلة الغزوة يدعو الله عز وجل ويبكي، ويقول: «يا رب إن تهلك هذه العصابة فلن تُعبد بعد...»، هذا مع تَبَيُّنِهِ بوقوع النصر، لكن هذا مشهَد من مشاهد عبوديته لله تعالى... وفي الصباح اصطف الجيشان وبدأت المعركة بالمبارزة، وكان أول شهيد عبيدة بن

الحارث وأول قتلى المشركين عبدة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة وابنه الوليد بن عبدة ثم التحم القتال وحَمِي الوطيسُ واختلط الجيشان، وجاء النصر من عند الله ونزلت الملائكة فلم تمض إلا ساعة من نهار حتى انهزم المشركون وظهر الحق ووزَّهق الباطل، فجعل المسلمون يقتلون ويأسرون فقتلوا منهم سبعين كان فيهم صناديدهم الجبارون المغرورون الذين سبق ذكرهم وأسروا سَبْعِينَ وبقيةهم فروا هاربين ناجين بأنفسهم، وقد سرد ابن هشام أسماء القتلى والأسارى من المشركين (ج ٢/٣٤٧، ٣٥٤) نقلاً عن ابن إسحاق. واستشهد من المسلمين أربعة عشر رجلاً وهم أول شهداء الإسلام بعد فرضية الجهاد والأمر بالقتال، فهم أئمة الشهداء وكان في جملتهم عبيدة بن الحارث بن المطلب، وعمير بن أبي وقاص، وعمير بن الحمام، وحارثة بن سراقة، وعوف ومعوذ ابنا عفراء... ولما اشتدت المعركة جعل النبي ﷺ يتطلع إلى ما آل إليه أمر أبي جهل، وإذا بابن مسعود قد أتاه يبشره بقتله، ورأى بلال أمية بن خلف الذي طالما ساقه سوء العذاب يريد الفرار فتبعه في جماعة فقتلوه قتلاً جماعياً، ثم لما انتهت المعركة أقام ﷺ بعرضة بدر ثلاثة أيام، ثم أمر بجماعة من قتلى المشركين، فألقوا في بئر ثم جعل النبي ﷺ يناديهم بأسمائهم توبيخاً وتبكيماً وتقريعاً لهم قائلاً: «يا فلان ابن فلان... هل وجدتم ما وعد ربكم حقاً، إنا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً»، ثم لما وقعت الهزيمة واستولى الشبان على الغنائم أرادوا الاستئثار بها دون الشيوخ الذين كانوا في حراسة النبي ﷺ، فقال الشيوخ: إنا كنا في حراسة النبي ﷺ كما كنا رداءً لكم، فنزلت الآية الكريمة: ﴿يَسْتَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ﴾ الآية، ففصل النبي ﷺ بينهم وقسم الغنائم بين الجميع بعد أن أخرج منها الخمس، ثم جاء الاختلاف في فداء الأسارى... بعد أن استشار النبي ﷺ أبا بكر وعمر وعلي رضي الله تعالى عنهم وعمل على ما أشار إليه الصديق من أخذ الفداء، فجاء العتاب الإلهي على ذلك، وكان ذلك على خلاف الأولى، ولذلك جاء آخر الآية يُبَيِّحُ لهم ذلك ويُخبر بأنه قد سبق بذلك كتاب من الله، وبعث النبي ﷺ إلى المدينة قبل قدومه زيد بن حارثة يبشرهم بالنصر، وفي الطريق أمر ﷺ الإمام علي رضي الله تعالى عنه أن

يضرب عنق ابن أبي مُعَيْط الذي كان شديد الإذابة لرسول الله ﷺ، فقتله صبراً مهيناً ذليلاً مدحوراً، ولما وصل إلى المدينة أصدر حكمه ﷺ بفداء الأسارى لكل رجل أربعة آلاف درهم وعفى عن أبي العاص زوج ابنته الطاهرة سيدتنا زينب رضي الله تعالى عنها.

أما الكفار الذين لم يحضروا بدرأ من أهل مكة، وكان منهم أبو لهب عندما بلغهم خبر هزيمة جيشهم وانتصار المسلمين فقد كَبُتُوا وأخزوا وذهبت نَحْوَتُهُمْ وأنانيتهم وعَضُوا على أيديهم وماتوا بغيظهم، بل أبو لهب هلك داخل الأسبوع ولحق إخوانه إلى سقر ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرٌ ﴿٧٧﴾ لَا يُبْقَى وَلَا نَذْرٌ ﴿٧٨﴾ لَوَاعَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٧٩﴾ عَلِيًّا نِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٨٠﴾ وَمَا جَعَلْنَا النَّارَ إِلَّا مَلَكُوتَكُ﴾، وبهذا انتهت غزوة بدر، وقد نزلت في شأنها آيات من كتاب الله عز وجل.

كقوله تعالى في سورة آل عمران: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَمَلَأَكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٣٢﴾ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَضْحَكُوا بِرُءُوسِهِمْ إِنَّمَا لَكُم مَّرَاتٌ أُخْرَىٰ إِن كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ﴾ إلى آخر ما سبق.

وقوله جل ثناؤه: ﴿يَسْتَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ الآية.

وقوله جل وعلا: ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشُّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ ﴿٧٧﴾ لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِآلِيفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّينَ ﴿٧٩﴾﴾ الآية.

وقوله عز وجل: ﴿إِن تَسْتَفِينُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ وَإِن تَنْهَوْا فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَعُودُوا نَعُدْ وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾﴾.

وقوله جل ثناؤه: ﴿وَأذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِبَصْرِهِ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَمَلَأَكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٣١﴾﴾.

وقوله جل ثناؤه: ﴿إِذْ يُوحَىٰ رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأَلَتِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرَّعْبُ﴾.

وقوله جل علاه: ﴿وَمَا أَرْزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ﴾ الآية.

وقوله تعالى: ﴿إِذْ يُرِيكُمُ اللَّهُ فِي مَنَايِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرْنَكُمُ كَثِيرًا لَّفَاشِلْتُمْ وَاللَّذَرِئَةُ فِي الْأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّكُمْ عَلَيْكُمْ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٣٢﴾ وَإِذْ يُرِيكُمُ اللَّهُ إِذِ التَّقَاتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضَى اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَأَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنْكُمْ إِنِّي أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ﴾ الآية.

وقوله جل علاه: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أُسْرَىٰ حَتَّىٰ يَشْخِطَ فِي الْأَرْضِ﴾ الآية، وقد سبقت غيرها.

هذا وقد تركت كثيراً من الأخبار والأحداث جاءت في هذه الغزوة ذكرها علماء السيرة لكونها بلاغات أو مراسيل أو أسانيد ضعيفة فلم نذكرها لذلك، والله تعالى أعلم.

وصلّى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه كلما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات والحمد لله على إحسانه وإنعامه وتوفيقه.

✽ أحداث وقعت بين بدر وأحد غزوة قَيْنَقَاع

[٢٤٤] عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: لما أصاب رسول الله ﷺ قريشاً يوم بدر وقدم المدينة جمع اليهود في سوق بني قَيْنَقَاع، فقال: «يا معشر اليهود أسلموا قبل أن يُصيبيكم ما أصاب قريشاً»، قالوا: يا محمد لا يُغْرُنْكَ مِن نَفْسِكَ أَنْ قَتَلْتَ نَفْرًا مِنْ قَرِيشٍ كَانُوا أَغْمَارًا

يضرب عنق ابن أبي معيط الذي كان شديد الإذابة لرسول الله ﷺ، فقتله صبراً مهيناً ذليلاً مدحوراً، ولما وصل إلى المدينة أصدر حكمه ﷺ بفداء الأسارى لكل رجل أربعة آلاف درهم وعفى عن أبي العاص زوج ابنته الطاهرة سيدتنا زينب رضي الله تعالى عنها.

أما الكفار الذين لم يحضروا بدرأ من أهل مكة، وكان منهم أبو لهب عندما بلغهم خبر هزيمة جيشهم وانتصار المسلمين فقد كُتِبُوا وأخزوا وذهبت نَحْوَتُهُمْ وَأَنَانِيَّتُهُمْ وَعَضُّوا عَلَى أَيْدِيهِمْ وَمَاتُوا بَغِيظَهُمْ، بل أبو لهب هلك داخل الأسبوع ولحق إخوانه إلى سقر ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرٌ ﴿٧٧﴾ لَا يُبْقَى وَلَا نَذْرٌ ﴿٧٨﴾ لَوَاعَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٧٩﴾ عَلِيًّا نِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٨٠﴾ وَمَا جَعَلْنَا النَّارَ إِلَّا مَلَأَكُمُهَا﴾، وبهذا انتهت غزوة بدر، وقد نزلت في شأنها آيات من كتاب الله عز وجل.

كقوله تعالى في سورة آل عمران: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٣٣﴾ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُبَدِّدَكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ﴾ إلى آخر ما سبق.

وقوله جل ثناؤه: ﴿يَسْتَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ الآية.

وقوله جل وعلا: ﴿وَإِذْ يُبَدِّدُكُمْ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنهَذَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشُّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ ﴿٧٧﴾ لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴿٨٠﴾ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِآلِافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّينَ ﴿٩١﴾﴾ الآية.

وقوله عز وجل: ﴿إِنْ تَسْتَفِينُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ وَإِنْ تَنْهَوْا فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِنْ تَعُودُوا نَعُدْ وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾﴾.

وقوله جل ثناؤه: ﴿وَإِذْ كُرُوا إِذْ أَنْتَ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِبَصْرِهِ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٦١﴾﴾.

وقوله جل ثناؤه: ﴿إِذْ يُوحَىٰ رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأَلْتِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾.

وقوله جل علاه: ﴿وَمَا أَرْزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ﴾ الآية.

وقوله تعالى: ﴿إِذْ يُرِيكُمُ اللَّهُ فِي مَنَايِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرْنَكُمُ كَثِيرًا لَّفَسَلْتُمْ وَلِنَنْزَعَنَّهُ فِي الْأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّكُمْ عَلَيْكُمْ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٢٢﴾ وَإِذْ يُرِيكُمُ اللَّهُ إِذِ التَّقَاتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضَى اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَأَتِ الْفِتْنَانَ كَصَّ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنْكُمْ إِنِّي أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ﴾ الآية.

وقوله جل علاه: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أُسْرَىٰ حَتَّىٰ يَشْخِطَ فِي الْأَرْضِ﴾ الآية، وقد سبقت كغيرها.

هذا وقد تركت كثيراً من الأخبار والأحداث جاءت في هذه الغزوة ذكرها علماء السيرة لكونها بلاغات أو مراسيل أو أسانيد ضعيفة فلم نذكرها لذلك، والله تعالى أعلم.

وصلّى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه كلما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات والحمد لله على إحسانه وإنعامه وتوفيقه.

✽ أحداث وقعت بين بدر وأحد غزوة قَيْنُقَاع

[٢٤٤] عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: لما أصاب رسول الله ﷺ قريشاً يوم بدر وقدم المدينة جمع اليهود في سوق بني قَيْنُقَاع، فقال: «يا معشر اليهود أسلموا قبل أن يُصيبيكم ما أصاب قريشاً»، قالوا: يا محمد لا يُغْرُنْكَ مِن نَفْسِكَ أَنْ قَتَلْتَ نَفْرًا مِّن قَرِيشٍ كَانُوا أَغْمَارًا

لا يعرفون القتال، إنك لو قاتلتنا لعرفت أننا نحن الناس، وأنك لم تلق مثلنا، فأنزل الله عز وجل:

﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَعْتُونَ وَتَحْسُرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَيَقْسَ إِلَيْهَا ۗ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الَّذِينَ تَقْتُلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَخْرَجْنَا كَاذِبِيهِمْ يَوْمَ بَيْنَاهُمْ وَآلِئِهِمُ اللَّهُ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ مَن يَشَاءُ ۗ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ۝١٣﴾

رواه أبو داود في الخراج باب كيف كان إخراج اليهود من المدينة (٣٠٠١)، وابن إسحاق كما في ابن هشام (٩/٣)، وابن جرير (١٩٢/٣) ورجاله ثقات غير مولى زيد بن ثابت فلم يوثقه غير ابن حبان، لكن رواه ابن جرير وابن أبي حاتم (٦٠٤/٢) من طريق آخر مرسلًا في تأييد به، ولذلك حسنه الحافظ في الفتح (٣٣٢/٧).

[٢٤٥] وقال ابن إسحاق: حدثني أبي إسحاق بن يسار عن عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت، قال: لما حاربت بنو قينقاع رسول الله ﷺ تشبث بأمرهم عبدالله بن أبي وقام دونهم، فمضى عبادة بن الصامت إلى رسول الله ﷺ وكان أحد بني عوف بن الخزرج لهم من حلفهم مثل الذي لهم من حلف عبدالله بن أبي، فخلعهم إلى رسول الله ﷺ وتبرأ إلى الله وإلى رسوله ﷺ من حلفهم، فقال: يا رسول الله تبرأ إلى الله وإلى رسوله من حلفهم وأتولى الله ورسوله والمؤمنين وأبرأ من حلف الكفار وولايتهم، فيه وفي عبدالله بن أبي نزلت الآيات في المائدة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ مِنكُمْ فَإِنَّهُ مِنَّهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ٥١﴾ فَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ يُسْرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَحْنُ فَتَنَّا دَابِرَةٌ فَعَسَىٰ اللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسْرَبُوا فِي أَنفُسِهِمْ تَدْرِيبًا ٥٢ وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهْلَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ جِهَدْ أَيْمَانُهُمْ لِمَنَّم لَعَنَكُمُ حَيْطَرَ أَصَابَهُمْ فَاصْبِرُوا خَيْرِينَ ٥٣ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن رَّتَدَ مِنكُمُ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَسِعَ عَلِيمٌ ٥٤

إِنَّا وَرَدْنَاكُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ ذَاكِرُونَ ٥٥ وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حَرْبَ اللَّهِ هُمُ الظَّالِمُونَ ٥٦

رواه ابن إسحاق في السيرة (١٢١/٢) مع الروض الأنف، ومن طريقه ابن أبي حاتم (١٥٥/٤)، وابن جرير (٢٧٥/٦) وهو مرسل حسن صحيح وله عدة شواهد مراسيل عن عطية بن سعد والزهري رواهما ابن جرير (٢٧٥/٦) وعن عاصم بن عمر بن قتادة رواه ابن إسحاق (١٢١/٢)، وانظر ابن سعد (٣٦/٢)، وهذه وإن كانت مراسيل فإنها تتأيد كما هو معروف في علوم الحديث.

قال علماء السيرة والمغازي: قد كان الكفار بعد الهجرة مع النبي ﷺ على ثلاثة أقسام: قسم وادعهم على أن لا يحاربوه ولا يؤلبوا عليه عدوه، وهم طوائف اليهود الثلاثة: قريظة والنضير وبنو قينقاع.

وقسم حاربوه وناصبوه العداوة كقريش، وقسم تركوه وانتظروا ما يؤول إليه أمره كطوائف من العرب، فمنهم من كان يحب ظهوره، ومنهم من كان معه ظاهراً، ومع عدوه باطناً، وهم المنافقون، وكان أول من نقض العهد من اليهود بنو قينقاع فحاربهم النبي ﷺ في شوال بعد وقعة بدر، فحاصرهم أشد الحصار خمسة عشر يوماً، فألقى الله في قلوبهم الرعب، ونزلوا على حكم رسول الله ﷺ...

وذكر ابن هشام وغيره أن أول خيانة ونقض للعهد بدأ منهم، أن امرأة عربية كانت لها بضاعة تباعها بسوق بني قينقاع وجلست إلى صائغ بها، فجعل اليهود يريدونها عن كشف وجهها فأبث، فعمد الصائغ إلى طرف ثوبها فعمده إلى ظهرها، فلما قامت انكشفت سوءتها، فضحكوا بها فصاحت فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله، وكان يهودياً وشدت اليهود على المسلم فقتلوه، فاستصرخ أهل المسلم المسلمين على اليهود فغضب المسلمون، فكان ذلك أول شر ظهر منهم، فخرج إليهم النبي ﷺ وقال لهم ما في حديث ابن عباس، فأجابوه بما تكبته صدورهم من العداوة والبغضاء للإسلام وللمسلمين، فكان ذلك من أسباب محاصرتهم، ونزل

القرآن يخبر عنهم بأنهم سَيُغْلَبُونَ وَيُخْشَرُونَ إلى جهنم، ولم يعتبروا بما حصل لإخوانهم في الكفر ببدر رغم أنه قال لهم: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ﴾ أي عِزَّة ﴿فِي فَتْيَةِ أَلْفَتَا﴾ وهما جماعة المسلمين وجماعة كفار قريش.

وقد ظهرت معجزة القرآن الكريم بإخباره عما يؤول إليه أمر اليهود، فبعد أن حاصرهم النبي ﷺ حصاراً شديداً وعلموا أنهم لا طاقة لهم بمحاربتة وألقى الله في قلوبهم الرعب نزلوا على حكم رسول الله ﷺ بأن له أموالهم وأن لهم النساء والذرية، فأمر بهم فكتفوا وكلف بتكتيفهم المُنذر بن قدامة السُلَمِي، فجاء ابنُ أَبِي ابن سلول لعنه الله، فكلّم فيهم رسول الله ﷺ وألح عليه في ذلك لأنهم كانوا حلفاء، فترك قتلهم وأمر بهم أن يُجَلُّوا عن المدينة فَلَجُّوا بأذرعَات من الشام، وأخذ النبي ﷺ من حِصْنِهِمْ سلاحاً وآلة كثيرة، فأخذ ﷺ من أموالهم صَفِيَّه والخُمُس، وقسم أربعة أخماس على أصحابه، فكان أولُ خُمُسٍ خُمُسٌ بعد بدر. انظر طبقات ابن سعد (٢٨/٢، ٢٩)، والطبري (٤٨٠/٢)، وابن هشام (٩/٣، ١٠، ١١).

ويؤخذ من حديث عبادة قوة إيمان عبادة بن الصامت وغيرته لله ولرسوله ﷺ وبغضه لليهود بني قينقاع حيث قام جهاراً بين يدي رسول الله ﷺ فتبرأ من اليهود وما كان له معهم من الحلف، وتولى الله ورسوله والمؤمنين وهذا بخلاف ما فعله ابن أبي المنافق من تشبته بحلفه معهم وقيامه بالسعاية في التشفع لهم عند رسول الله ﷺ حتى ترك قتلهم من أجله.

✽ غزوة السويق

[٢٤٦] عن عبدالله بن كعب بن مالك رضي الله تعالى عنهما، وكان من أعلم الأنصار قال: كان أبو سفيان حين رجع إلى مكة ورجع فل قريش من بدر، نذر أن لا يمَس رأسه ماء من جنابة حتى يَغزُو محمداً ﷺ،

فخرج في مائتي راكب من قريش لِيَبُرُ قَسَمَه، فسلك الجندية حتى نزل بصدر قناة إلى جبل يقال له: ثيب من المدينة على بريد أو نحوه، ثم خرج من الليل حتى أتى بني النضير تحت الليل، فأتى حَيَّ بن أخطب فضرب عليه بابَه فأبى أن يفتح له بابَه وخافه، فانصرف عنه إلى سلام بن مشكم وكان سيّد بني النضير في زمانه ذلك وصاحب كتزهم، فاستأذن عليه فأذن له فقرأه وسقاه، ويطن له من خبر الناس ثم خرج في عقب ليلة حتى أتى أصحابه، فبعث رجالاً من قريش إلى المدينة فأتوا ناحية منها فحرقوا في أصوار من نخل بها ووجدوا بها رجلاً من الأنصار وحليفاً له في حرث لهما فقتلوهما ثم انصرفوا راجعين ونذر بهم الناس، فخرج رسول الله ﷺ في طلبهم حتى بلغ قَرْقَرَةَ الكُذْر ثم انصرف راجعاً، وقد فاته أبو سفيان وأصحابه، وقد رأوا أزواداً من أزواد القوم قد طرحوها في الحرث يتخفون منها للنجاء، وأكثر ما طرحوا من أزوادهم السويق، فهجم المسلمون على سويق كثير فسَمِيَتْ غزوة السويق.

رواه ابن إسحاق كما عند ابن هشام (٦/٣، ٧)، وابن سعد (٣٠/٢)، والطبري (٤٨٣/٢، ٤٨٥)، والبيهقي في الدلائل (٤٣٣/٢) وسنده حسن صحيح مع إرساله ولا يضر، فإن عبد الله بن كعب يروي عن والده، وخاصة وأنه ثقة من أعلم الأنصار وأولاد الصحابة.

وقوله: «فل قريش» بفتح الفاء أي: المنهزمون. قوله: «فقراه» أي: أضافه. وقوله: «ويطن له» أي: أطلعه على خبر الناس. وقوله: «أصوار» من نخل أي: جماعة النخل الصغار. وقوله: «ونذر بهم» أي: علم بهم الناس.

✽ زواج علي وفاطمة رضي الله تعالى عنهما

[٢٤٧] عن علي رضي الله تعالى عنه قال: حُطِبَتْ فاطمةُ إلى رسول الله ﷺ فقالت مولاة لي: هل عَلِمْتَ أن فاطمةً قد حُطِبَتْ إلى

رسول الله ﷺ؟ قلت: لا، قالت: فقد خُطبتُ فما يَمْنَعُك أن تأتي رسول الله ﷺ فيزوجك؟ فقلت: وعندى شيء أتزوج به؟ فقالت: إنك إن جئت رسول الله ﷺ فزوجك. قال: فوالله ما زالت ترجيني حتى دخلت على رسول الله ﷺ، فلما أن قعدتُ بين يديه أُفحمتُ، فوالله ما استطعتُ أن أتكلم جلالاً وهيبةً، فقال رسول الله ﷺ: «ما جاء بك؟ ألك حاجة؟» فسكتُ فقال: «لعلك جئت تخطبُ فاطمة؟» فقلت: نعم، فقال: «وهل عندك من شيء تستحلها به؟» فقلت: لا والله يا رسول الله، فقال: ما فعلتُ دِرْعَ سَلْحَتِكُها؟ فوالذي نفسُ عليّ بيده إنها لَحُطْمِيَّةٌ ما قيمتها أربعة دراهم، فقلت: عندى، فقال: «قد زوّجْتُكها، فابعث إليها بها فاستحلها بها»، فإن كانت لصدّاقِ فاطمة بنتِ رسولِ الله ﷺ.

رواه ابن إسحاق، ومن طريقه البيهقي في الدلائل (١٦٠/٣) وسنده حسن صحيح.

ورواه أحمد (٨٠/١) مختصراً بلفظ: أردت أن أخطب إلى رسول الله ﷺ ابنته فاطمة رضي الله تعالى عنها فقال: ما لي من شيء فكيف؟ ثم ذكرت صلته وعائده فخطبتها إليه، فقال: «هل لك من شيء؟» قلت: لا، فقال: فأين دِرْعُ الحُطْمِيَّةِ التي أعطيتك يوم كذا وكذا؟ قال: هي عندى، قال: «فأعطيها إياها»، وفي سنده رجل مبهم ولا يضرّ هنا.

[٢٤٨] وعنه كرم الله وجهه قال: جهّز رسول الله ﷺ فاطمة عليها السلام في خميل، وقزبية، ووسادة آدم حشوها إذخر.

رواه أحمد (١٤/١)، وابن ماجه في الزهد (٤١٥٢)، والبيهقي في الدلائل (١٦١/٣) وسنده صحيح، وعطاء بن السائب لا يضرّ هنا؛ لأن حماد بن سلمة الراوي عنه هذا الحديث روى عنه قبل اختلاطه، وهو في نفسه ثقة.

[٢٤٩] وعنه أيضاً عليه السلام قال: كانت لي شارف من نصيبي من المغنم يوم بدر، وكان النبي ﷺ أعطاني ممّا أفاء الله عليه من الخمس يومئذ، فلما أردت أن أبني بفاطمة عليها السلام بنت النبي ﷺ وأعدت

رجلاً صواغاً من بني قينقاع أن يرتحل معي فنأتي بإذخر، فأردت أن أبيعها من الصواغين فاستعين به في وليمة عرسى، فبينما أنا أجمع لشارفي من الأقتاب، والغرائر، والحبال، وشارفاني مُناخَتانِ إلى جنب حجرة رجل من الأنصار، حتى جمعت ما جمعت، فإذا أنا بشارفي قد أُجِبْتُ أسنمتها وبقرت خواصرها، وأخذ من أكبادهما فلم أملك عيني حين رأيت المنظر، فقلت: من فعل هذا؟ قالوا: فعله حمزة بن عبد المطلب، وهو في هذا البيت، وهو في شرب من الأنصار، وعنده قينته وأصحابه، فقالت في غنائها: «ألا يا حمزة للشرف النواء». فوثب حمزة إلى السيف فأجّب أسنمتها، وبقر خواصرها وأخذ من أكبادهما. قال عليّ: فانطلقت حتى أدخل على النبي ﷺ وعنده زيد بن حارثة، فعرف النبي ﷺ الذي لقيت، فقال: «ما لك؟» فقلت: يا رسول الله ما رأيت كالليوم عدا حمزة على ناقتي، فأجّب أسنمتها وبقر خواصرها وما هوذا في البيت معه شرب، فدعا النبي ﷺ بردائه فارتداه، ثم انطلق يمشي وأتبعته أنا وزيد بن حارثة حتى جاء البيت الذي فيه حمزة، فاستأذن عليه فأذن له فطفق النبي ﷺ يلوم حمزة فيما فعل، فإذا حمزة ثملٌ مُخمرة عيناه، فنظر حمزة إلى النبي ﷺ ثم صعد النظر، فنظر إلى ركبتيه ثم صعد النظر فنظر إلى وجهه ثم قال حمزة: وهل أنتم إلا عبيد لأبي، فعرف النبي ﷺ أنه ثملٌ، فنكص رسول الله ﷺ على عقبيه الفهقرى فخرج وخرجنا معه.

رواه البخاري في المغازي رقم (٤٠٠٣) (ج ٣١٨/٨، ٣١٩) وفي مواضع، ومسلم في الأشربة رقم (١٩٧٩) (ج ١٤٣/١٣، ١٤٤).

قوله: «أفحمت» أي: سكت. وقوله: «جهز» أي: هيأ لها وبعثها في هذه الأشياء المذكورة. وقوله: «خميلة» أي: حصير. وقوله: «وسادة آدم» أي: جلد. وقوله: «دِرْعُ الحُطْمِيَّةِ» هي الدرع العريضة الثقيلة التي تكسّر السيوف. قوله: «الشارف» هو الجمل. قوله: «أجبت أسنمتها» أي: قطعت. وقوله: «في شرب» بكسر الشين أي: في قوم مجتمعين على الشراب. وقوله: «قينته» أي مغنيته. وقوله: «ثملٌ» أي: أثر فيه الشراب. كان زواج الإمام عليّ بمولاتنا فاطمة عليهما السلام بعد غزوة بدر،

وكان عمرها نحواً من ستة عشر أو سبعة عشر عاماً إذ ولادتها كانت قبل البعثة بقليل بنحو سنة أو أكثر، وكانت أسنّ من مولاتنا عائشة بنحو خمس سنين .

أما الإمام عليّ رضي الله تعالى عنه، فكان عمره عند الزواج نحواً من أربع وعشرين سنة وأشهر، وكانت ولادته قبل بعثة النبي ﷺ بعشر سنوات .

وفي هذه الأحاديث فوائد وأحكام نجملها في الآتي :

منها : أن مولاتنا فاطمة عليها السلام كانت مرغوباً فيها قد حُطبت من النبي ﷺ قبل الإمام عليّ عليه السلام، ومنها جواز خطبة الرجل البنت من أبيها مباشرة، وأنه لا غضاضة في ذلك ولا لوم على الجانبين، وفيها أن النبي ﷺ زوّج السيدة فاطمة بدون استئذان، وقد قدمنا في النكاح أن للأب أن يزوّج ابنته الصغيرة بدون أن يستشيرها، وأن ذلك هو قول عامة العلماء . وفيها أن الصداق ليس له حدّ، وأنه يصحّ بكل ما ينتفع به سواء كان نقداً أم أثاثاً أم بضاعة . . . وفيها أن الصداق شرط في البناء وأن الزوجة لا تحلّ للزوج إلا إذا دفع إليها مهرها؛ لقوله ﷺ للإمام عليّ : «قد زوّجتكها فابعث بها - أي الدرّع - إليها بها فاستحلها» . . . وفي المسألة خلاف بين الفقهاء .

وفيها جواز تزويج الفقير ولا خلاف في ذلك، وقد قال تعالى : ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيْمَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ الآية، والعبرة في ذلك بالدين . وفيها بيان ما كان عليه النبي ﷺ وأهل بيته من الزهد في الحياة وعدم الاهتمام بالدنيا وزينتها وزخارفها ومتاعها يدلّ على ذلك تجهيزه لابنته العروس في أمور بسيطة جداً: حصير عادي نباتي يجلسان وينامان عليه، وقيرّة معدّة للماء لشربهما . . . ووسادة يتوسّدانها عند النوم، وهي من الجلد المدبوغ محشوة بأوراق شجر الإذخر، هذا هو جهاز عرس سيدة نساء أهل الجتّة وابنة سيد العالمين ﷺ، فلنعتبر وليعتبر نساؤنا بذلك، ولنعلم أننا بعيدون عن هدي

النبي ﷺ وهدى أهل بيته، وأن من ادّعى السلفية منّا فهو مدّعي مغرور .

وفي حديث عليّ الأخير في قصة الشارفين دليل واضح على أن الصحابة رغم إسلامهم ومهاجرتهم وحضورهم أعظم غزوة في الإسلام كانوا لا تزال فيهم بقية من بقايا الجاهلية لم تحرم بعد، وهي الاجتماع على شرب الخمر وسماع أغاني القينات، فهذا سيدنا حمزة وهو سيّد الشهداء وأسّد هذه الأمة يجتمع في بيت مع الأنصار على شرب الخمر ومعهم قينةٌ تُغنيهم، الله أكبر، البشر هو البشر طبيعته واحدة، مجبولٌ على حبّ الشهوات وسماع الأغاني والتمتّع بالنساء وشرب الكؤوس . . . غفرانك ربّنا وعفوك .

وما فعله سيدنا حمزة من قطع أسنمة الشارفين وبقر خواصرهما كان في حالة غيبوبة من السكر ولم يرد شيء يدلّ على أن النبي ﷺ ضمّنه الشارفين ولا أمره بشيء، وقد يقال: إن هذا كان قبل أن تأتي الأحكام، وقد أجمع العلماء على أن ما أتلفه السكران من الأموال يلزمه ضمّانه كالمجنون مثلاً؛ لأن الضمان كما قال العلماء لا يُشترط فيه التكليف، ولذلك أوجب الله عزّ وجلّ في كتابه الكريم في قتل الخطأ الذية والكفارة، وقد قال بعض فقهاء المالكية :

لَا يَلْزَمُ السُّكْرَانُ إِقْرَارُ عُقُودَ بَلْ مَا جَنَىٰ عَثَقَ طَلَاقٌ وَحُدُودُ

✽ أحداث السنة الثانية

كان فيها غزوة بواط، والعُشيرة، وغزوة بدر الأولى، وسرية عبدالله بن جحش، وتحويل القبلة، وفرضية صوم رمضان، ثم غزوة بدر الكبرى وأحداثها ووقائعها وما يتبعها، ثم غزوة بني قينقاع، وغزوة السويق، وزواج الإمام عليّ بمولاتنا فاطمة عليهما السلام . . . وفيها شرّعت زكاة الأموال وزكاة الفطر، وصلاة العيد .

السنة الثالثة
مقتل كعب بن الأشرف

[٢٥٠] عن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ لِكَعْبِ بْنِ الْأَشْرَفِ؟ فَإِنَّهُ قَدْ آذَى اللَّهَ وَرَسُولَهُ»، فقام مُحَمَّدُ بْنُ مَنْسَلَمَةَ فقال: يا رسول الله أُنَجِّبُ أَنْ أُقْتَلَ؟ قال: «نعم»، قال: فَأَذُنْ لِي يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْ أَقُولَ شَيْئاً، قال: «قل»، فاتاه محمد بن مسلمة قال: إن هذا الرجل قد سألنا صدقة، وإنه قد عثانا، وإنني قد أتيتك أستسلفك، قال: وأيضاً والله لَتَمَلُّنَّهُ، قال: إنا قد اتبعناه، فلا نحب أن ندعه حتى ننظر إلى أي شيء يصير شأنه، وقد أردنا أن تسلفنا وسقاً أو وسقين، فقال: نعم، ارهنوني، قالوا: أي شيء تريد؟ قال: ارهنوني نساءكم، قالوا: كيف نرهنك نساءنا وأنت أجمل العرب؟ قال: ارهنوني أبناءكم، قالوا: كيف نرهنك أبناءنا فيسب أحدهم، فيقال: رهن بوسق أو وسقين هذا عارٌ علينا، ولكننا نرهنك اللأمة، قال سفيان: يعني السلاح، فواعده أن يأتيه فجاءه ليلاً ومعه أبو نائلة - وهو أخو كعب بن الرضاة - فدعاهم إلى الحصن فنزل إليهم، فقالت له امرأته: أين تخرج هذه الساعة؟ فقال: إنما هو محمد بن مسلمة وأخي أبو نائلة. وفي رواية: قالت: أسمع صوتاً كأنه يقطر منه الدَّمُ، قال: إنما هو أخي محمد بن مسلمة ورضيعة أبو نائلة، إن الكريم لو دُعِيَ إلى طَعْنَةٍ بليل لأجاب. قال: ويدخل محمد بن مسلمة معه رجلين، فقال: إذا ما جاء فإني قاتل بشعره فأشمه ثم أشمكم، فإذا رأيتموني استمكننت من رأسه فدونكم فاضربوه، فنزل إليهم متوشحاً وهو ينفخ منه ريح الطيب، فقال: ما رأيت كالיום ريحاً، أي: أطيب، قال: عندي أعطر نساء العرب وأكمل العرب، فقال: أتأذن لي أن أشم رأسك؟ قال: نعم، فشمه ثم أشم أصحابه، ثم قال: أتأذن لي؟ قال: نعم، فلما استمكن منه قال: دونكم فقتلوه ثم أتوا النبي ﷺ فأخبروه.

رواه البخاري في المغازي (٣٣٩/٨، ٣٤٢) وفي الجهاد، ومسلم في

الجهاد والسير (١٦٠/١٢، ١٦١)، وأبو داود في الجهاد (٢٧٦٨)، والبيهقي في الدلائل (١٩٥/٣، ١٩٦)، وانظر ابن سعد (٣١/٢، ٣٤)، وابن هشام (١٢/٣، ١٣).

[٢٥١] وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: مشى رسول الله ﷺ إلى بَيْعِ الْعَرَقِ ثُمَّ وَجَّهَهُمْ، وقال: «انطلقوا على اسم الله»، وقال: «اللَّهُمَّ اعْنِهِمْ»، يعني الثَّغْرَ الَّذِينَ وَجَّهَهُمْ إِلَى كَعْبِ بْنِ الْأَشْرَفِ. رواه أحمد (٢٦٦/١) بسند صحيح، وأورده النور في المجمع (١٩٦/٦) برواية أحمد والبخاري، والحديث حسنه الحافظ.

[٢٥٢] وعن كعب بن مالك رضي الله تعالى عنه قال: إن كعب بن الأشرف اليهودي كان شاعراً، وكان يهجو رسول الله ﷺ ويحرض عليه كفار قريش في شيعره، وكان رسول الله ﷺ قدم المدينة وأهلها أخلاطٌ منهم المسلمون الذين جمعهم دعوة رسول الله ﷺ ومنهم المشركون الذين يعبدون الأوثان، ومنهم اليهود وهم أهل الحَلَقَةِ والحُصُونِ، وهم خلفاء لِلسَّحَابِيِّينَ الْأَوْسِ والخَزْرَجِ، فأراد رسول الله ﷺ حين قدم المدينة استصلاحهم كلهم، وكان الرجل يكون مسلماً، وأبوه مشرك، والرجل يكون مسلماً وأخوه مشرك، وكان المشركون واليهود من أهل المدينة حين قدم رسول الله ﷺ يؤذون رسول الله ﷺ وأصحابه أشد الأذى، فأمر الله تعالى رسوله والمسلمين بالصبر على ذلك والعتو عنهم، ففيهم أنزل الله جل ثناؤه: ﴿وَلَتَسْمَعَنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيراً﴾.

وفيهم قال الله تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّوكُمْ مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَافًا مِّنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْحَقَّ فَاعْتَمُوا وَأَصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ﴾.

فلما أبى كعب بن الأشرف أن ينزع عن أذى رسول الله ﷺ وأذى المسلمين وأمر رسول الله ﷺ سعد بن معاذ أن يبعث رَهْطاً ليقتلوه، فبعث إليه سعد... الحديث بنحو ما سبق عن جابر.

رواه أبو داود في الخراج (٣٠٠٠)، قال الهيثمي (١٩٥/٦، ١٩٦) بعد أن عزاه لأحمد: ورجاله رجال الصحيح، ولم نجده في مسند كعب من (ج ٣ وج ٦) من المسند.

قوله: «مَنْ لكعب» أي: من الذي ينتدب لقتله ويريحنا منه، وقوله: «عَنَانًا» بتشديد النون الأولى أي: أتعبنا. قوله: «لَتَمَلُّنَّهُ» بفتح التاء والميم وضم اللام المشددة بعدها نون توكيد أي: لتسأمُنَّ منه. قوله: «ارهنوني» أي: ادفعوا إليّ شيئاً في مقابلة ما تريدون من التمر رهناً. وقوله: «وأنت أجمل العرب» يريد بذلك أن النساء يفتتن بك إذا أبصرنك. قوله: «الْأُمَّة» بتشديد اللام وسكون الهمزة يعني آلة الحرب. قوله: «استمكنت» أي: تمكنت من أخذ رأسه. قوله: «فدونكم» أي: فخذوه. قوله: «متوشحاً» أي: ملتحفاً ومتغشياً في ثوبه أو متوشحاً بسيفه حاملاً له. قوله عندي «أعطر» أي: أكثر نساء العرب استعمالاً للعطورات وأجمعهن لها. قوله: «بقبيع الغرقد» بفتح الغين ثم راء ساكنة وهي المَقْبِرَةُ المعروفة بالمدينة المنورة.

كان كعب بن الأشرف مزيجاً في نسبه؛ كان أبوه عربياً من طيء، وكانت أمه يهودية من بني النضير، وكان يهجو النبي ﷺ بشعره ويؤذيه أشد الإذابة كما كان يُشَبَّبُ بنساء المسلمين، ويُحَرِّضُ كفار قريش على محاربة النبي ﷺ، وخاصة بعد وقعة بدر، فندب النبي ﷺ من يقاتله فانتدب إليه رجال من الأنصار يرأسهم البطل محمد بن مسلمة رضي الله تعالى عنه، فذهبوا إليه واحتالوا عليه حتى خرج إليهم في ظلام الليل فقتلوه، كما فصل في الحديث.

وفي هذه الأحاديث من الفوائد والأحكام: مشروعية قتل المحاربين والطاعنين في الدين ومقدساته ولو غيلة كما يفعله الفدائيون اليوم، كما فيها جواز التظاهر بالكفر والطعن في الإسلام إذا كان ذلك يعود على الإسلام والمسلمين بمصلحة أكيدة، فإن محمد بن مسلمة تكلم في النبي ﷺ بالسوء، وكان ذلك بإذن منه عليه الصلاة والسلام.

وفي حديث جابر مغامرة رائعة من محمد بن مسلمة ومن كان معه

ندلّ على شجاعتهم وبطولتهم، وبالتالي فناؤهم في محبة الله ومحبة رسوله ﷺ، وشدة غيرتهم على مقدسات الدين.

وفي حديث ابن عباس مشروعية تشييع المجاهدين والخروج معهم والدعاء لهم بالعون من الله عز وجل، وفي حديث أبي بن كعب بيان منه لما كان عليه المجتمع بالمدينة بعد قدوم رسول الله ﷺ، وأنه كان خليطاً من المسلمين واليهود والوثنيين مع ما كان بينهم من التحالف.

✽ تزوج رسول الله ﷺ حفصة بنت عمر رضي الله تعالى عنهما

[٢٥٣] عن عمر رضي الله تعالى عنه قال: حين تأيمنت حفصة بنت عمر من خنيس بن حذافة السهمي، وكان من أصحاب رسول الله ﷺ من أهل بدر، فتوفي في المدينة، فقال عمر: أتيت عثمان بن عفان فعرضت عليه حفصة بنت عمر، قال: فقلت: إن شئت أنكحتك حفصة، فقال: سأنظر في أمري، فلبثت ليال ثم لقيني، فقال: قد بدا لي أن لا أتزوج يومي هذا. قال عمر: فلقيت أبا بكر الصديق فقلت: إن شئت زوجتك حفصة بنت عمر، فصمت أبو بكر رضي الله تعالى عنه فلم يرجع إليّ شيئاً، فكنْتُ عليه أوجد مني على عثمان.

فلبثت لياالي ثم خطبها رسول الله ﷺ فأنكحها إياه، فلقيني أبو بكر، فقال: لعلك وجدت عليّ حين عرضت عليّ حفصة فلم أرجع إليك شيئاً؟ قال عمر: نعم، قال: فإنه لم يمتنعني أن أزوجك إليك فيما عرضت عليّ إلا أنني كنت علمت أن رسول الله ﷺ قد ذكرها، فلم أكن لأقضي سراً رسول الله ﷺ، ولو تركها رسول الله ﷺ قبلتها.

رواه أحمد رقم (٧٤) (ج ١/١٢)، والبخاري في النكاح (٨٠/١١)، (٨١، ٨٢)، وتقدم فيه رقم (٧٨٤).

كانت سيّدتنا حفصة رضي الله تعالى عنها تحت خُنَيْس بن حذافة فتوفي عنها بعد وقعة بدر بالمدينة، كما رجحه جماعة كابن سعد وابن سيّد الناس ورجحه الحافظ أيضاً في الفتح، أما في الإصابة فرجح أن خنيساً قُتل بأحد، وعلى أيّ فإنها تَأَيَّمَتْ فتزوَّجها النبي ﷺ أوائل السنة الثالثة وقَضَتْ معه حياته إلى أن تُوفي عنها كباقي نساته، وقد قدمنا في الطلاق أنه ﷺ كان قد طلقها، فأمره الله بإرجاعها، وقال له: إنها صَوَامَةٌ قَوَّامَةٌ، وزوجتك في الجنة، وسيأتي بقية كلام عليها وعلى أمهات المؤمنين رضي الله تعالى عنهن، وفي الحديث فوائد وأداب تأتي في الأدب إن شاء الله تعالى.

✽ تزوج سيدنا عثمان بن عفان بام كلثوم بنت النبي ﷺ

تواترت الأخبار بأن سيدنا عثمان رضي الله تعالى عنه تزوج رُقِيَّة بنت النبي ﷺ، فلما تُوفِّيَتْ أيامَ بَدْرِ زَوَّجَهُ النبي ﷺ أُخْتَهَا أَمَّ كُلْثُومَ فِي ربيع الأول سنة ثلاث وماتت عنده في شعبان سنة تسع، وجاء في صحيح البخاري عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: رأيت النبي ﷺ على قبرها فرأيت عينيه تدمعان، الحديث تقدم في الجنائز.

✽ غزوة أحد تاريخ الوقعة وسببها

اتفق علماء السيرة على أن هذه الغزوة كانت في شوال من السنة الثالثة، واختلفوا في اليوم، فذهب ابن سعد وآخرون إلى أنها كانت يوم السبت لسبع ليالٍ خلون من شوال، وقال ابن إسحاق: كانت في النصف منه.

وذكروا في سببها أنه لما أُصِيبَ مَنْ أُصِيبَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ بِبَدْرِ وَرَجَعَ مِنْهُمْ مَوْهُمَ مَشَى بِعَظْمِ أَشْرَافِ قُرَيْشٍ مِمَّنْ قَتَلَ آبَاؤَهُمْ وَأَبْنَاؤُهُمْ وَإِخْوَانَهُمْ يَوْمَ بَدْرِ، فَكَلَّمُوا أَبَا سَفِيَّانَ وَمَنْ كَانَتْ لَهُ فِي تِلْكَ الْعِيرِ مِنْ قُرَيْشٍ تِجَارَةٌ، وَكَانَتْ قِيَمَتُهَا خَمْسِينَ أَلْفَ دِينَارٍ، فَقَالُوا: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، إِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ وَتَرَكَمُ وَقَتَلَ خِيَارَكُمْ فَأَعْيُونَا بِهَذَا الْمَالِ عَلَى حَرْبِهِ لَعَلَّنَا نُذْرِكُ مِنْهُ ثَارًا، ففعلوا.

فخرجوا في ثلاثة آلاف مقاتل، ومعهم الأحابيش وهم حلفاؤهم من بني المُضَطَّلِقِ وبني الهَوْنِ بن خزيمة، وخرج معهم أعراب كِنَانَةَ وَتِهَامَةَ... ومعهم مائتا فرس، وثلاثة آلاف بعير، ومعهم القِيَّانِ وَالدُّفُوفِ وَالمَعَازِفِ وَالخُمُورِ، وَاضْطَحَبَ أَشْرَافُهُمْ نِسَاءَهُمْ كَيْلًا يَنْهَزِمُوا وَلَمْ يَزَالُوا سَائِرِينَ حَتَّى نَزَلُوا غَرْبِيَّ جَبَلٍ أَحَدِ مَقَابِلِ الْمَدِينَةِ عِنْدَ شِمَالِهَا الْغَرْبِيِّ.

ولما بلغَ رسولَ الله ﷺ خَبْرَهُمْ صَلَّى الْجُمُعَةَ وَاسْتَشَارَ الصَّحَابَةَ فِي الْخُرُوجِ إِلَيْهِمْ أَوْ الْبَقَاءِ بِالْمَدِينَةِ، فَأشارَ إِلَيْهِ الشُّيُوخُ بِالْبَقَاءِ، فَإِذَا جَاءَهُمْ قَاتِلُهُمْ، بَيْنَمَا الشُّبَّانُ أَشارُوا إِلَيْهِ بِالْخُرُوجِ، فَاخْتَارَ رَأْيَ الشُّبَّانِ ثُمَّ حَضَّهُمْ عَلَى الْقِتَالِ وَرَغَّبَهُمْ فِي الْجِهَادِ وَالشَّهَادَةِ وَأَمَرَهُمْ بِالصَّبْرِ وَبَشَّرَهُمْ بِالنَّصْرِ إِنْ هُمْ صَبَرُوا، ثُمَّ خَرَجَ مَسَاءَ يَوْمِ الْجُمُعَةِ وَبَاتَ بِالطَّرِيقِ ثُمَّ صَلَّى الصُّبْحَ بِأَحَدِ قِبَالَةِ جَيْشِ الْمُشْرِكِينَ لِحِجَّةِ الشَّرُوقِ، وَكَانَ حَامِلٌ لَوَاءِ الْمُهَاجِرِينَ مُضَعَّبٌ بِنُ عُمَيْرٍ، وَلَوَاءِ الْخَزْرَجِ الْحُبَابُ بْنُ الْمُنْذِرِ، وَلَوَاءِ الْأَوْسِ أُسَيْدُ بْنُ الْحَضْرِي، وَكَانَ عِدَدُ جَيْشِهِ أَلْفَ رَجُلٍ رَجَعَ مِنْهُمْ ثَلَاثُمِائَةَ مِنَ الْمُنَافِقِينَ وَضَعْفَاءَ الْإِيمَانِ، وَإِلَى الْقِرَاءِ الْمِيَامِنِ تَفْصِيلَ الْغَزْوَةِ وَأَحْدَاثِهَا كَمَا جَاءَتْ فِي الْأَحَادِيثِ الشَّرِيفَةِ.

✽ رؤياه ﷺ في شأن أحد وما سيحصل فيها ومشاورته أصحابه في الخروج وعدمه

[٢٥٤] عن أبي موسى رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ قال: «رأيتُ في رؤيائي أَنِّي هَزَزْتُ سَيْفًا فَانْقَطَعَ صَدْرُهُ، فَإِذَا هُوَ مَا أُصِيبَ مِنْ

المؤمنين يومَ أحد، ثم هَزَزْتُهُ أُخْرَى فَعَادَ أَحْسَنَ مَا كَانَ، فَإِذَا هُوَ مَا جَاءَ بِهِ اللَّهُ مِنَ الْفَتْحِ وَاجْتِمَاعِ الْمُؤْمِنِينَ، وَرَأَيْتَ فِيهَا بَقْرًا تُذْبِحُ وَاللَّهُ خَيْرٌ، فَإِذَا هُمْ الْمُؤْمِنُونَ يَوْمَ أَحَدٍ.

رواه البخاري في المغازي باب من قتل من المسلمين يوم أحد (٣٧٩/٨) وفي مواضع، ومسلم (٢٢٧٢)، وابن ماجه (٣٩٢١) كلاهما في الرؤيا، والدارمي (٢١٦٤) وغيرهم.

[٢٥٥] وعن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما: أن رسول الله ﷺ قال: «رأيت كأنني في دِزَعِ حَصِينَةَ وَرَأَيْتَ بَقْرًا مَنْحَرَةً، فَأَوْلَتْ أَنْ الدَّرْعِ الحَصِينَةَ المَدِينَةَ، وَأَنَّ البَقْرَ هُوَ وَاللَّهُ خَيْرٌ»، قال: فقال لأصحابه: «لو أنا أقمنا بالمدينة فإن دخلوا علينا فيها قاتلناهم؟» فقالوا: يا رسول الله، والله ما دُخِلَ علينا فيها في الجاهلية، فكيف يُدْخَلُ علينا فيها في الإسلام، فقال: «شأنكم إذا»، فلبس لأمته، قال: فقالت الأنصار: رَدَدْنَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ رَأْيَهُ، فَجَاءُوا فَقَالُوا: يَا نَبِيَّ اللَّهِ شَأْنُكَ إِذَا، فَقَالَ: «إِنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِنَبِيِّ إِذَا لَيْسَ لِأُمَّتِهِ أَنْ يَضَعَهَا حَتَّى يُقَاتَلَ».

رواه أحمد (٣٥١/٣)، والدارمي (٢١٦٥) بسند صحيح، وأورده النور في المجمع (١٠٧/٦) برواية أحمد وقال: رجاله رجال الصحيح وصححه الحافظ في الفتح أيضاً.

وعلق البخاري بعضه في الاعتصام (١٠٣/١٧، ١٠٤) فقال: وشاور النبي ﷺ أصحابه يوم أحد في المُقَامِ والخُرُوجِ، فرأوا له الخروج، فلما لبس لأمته وعزم قالوا: أقم، فلم يمل إليهم بعد العزم وقال: «لا ينبغي لنبى يلبس لأمته فيضعها حتى يحكم الله بينه وبين عدوه».

[٢٥٦] وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: تَنَقَّلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سَيْنَةً ذَا الْفَقَارِ يَوْمَ بَدْرٍ، وَهُوَ الَّذِي رَأَى فِيهِ الرُّؤْيَا يَوْمَ أَحَدٍ، فَقَالَ: «رَأَيْتَ فِي سَيْفِي ذِي الْفَقَارِ فَلَا، فَأَوْلْتُهُ فَلَا يَكُونُ فِيكُمْ، أَيِ انْهَزَامًا، وَرَأَيْتَ أَنِّي مُزِدَّفٌ كَبْشًا فَأَوْلْتُهُ كَبْشَ الْكَيْبَةِ، وَرَأَيْتَ أَنِّي فِي دِزَعِ

حَصِينَةَ فَأَوْلْتَهَا المَدِينَةَ، وَرَأَيْتَ بَقْرًا تُذْبِحُ فَبَقَّرَ وَاللَّهُ خَيْرٌ فَبَقَّرَ وَاللَّهُ خَيْرٌ»، فكان الذي قال رسول الله ﷺ.

رواه أحمد (٢٧١/١)، والترمذي في السيرة رقم (١٤٣١) بتهذيبي، وابن ماجه في الجهاد (٢٨٠٨)، والحاكم (١٢٨/٢، ٢٢١) وصححه ووافقه الذهبي وحسنه الترمذي والحافظ في الفتح.

قوله: «لأمته» بفتح اللام وسكون الهمزة وفتح الميم هي آلة الحرب من درع ومغفر... وقوله: «ذا الفقار» بكسر الفاء سمي بذلك لأنه كانت فيه حُفْرٌ حِسَانٌ صِغَارٌ. وقوله: «فلاً» بفتح الفاء أي: ثلماً.

في هذه الأحاديث فوائد وأحكام:

منها: مشروعية مشاورة الخليفة أو نائبه... ذوي الرأي والخبرة والعلم في الشؤون السياسية وغيرها، ثم يختار ما يراه. ومنها: أنه كان من رأي النبي ﷺ البقاء بالمدينة، فإذا هاجمهم الكفار قاتلوهم ولكنه وافق رأي من رأى الخروج من الشباب، فخرج.

ومنها: أنه كان ﷺ إذا لبس آتته الحربية لا يرجع حتى يقضي الله أمره بينه وبين عدوه. ومنها: تأذب الصحابة معه ﷺ وندمهم على ما حَمَلُوهُ عَلَيْهِ مِنَ الخُرُوجِ ونزولهم عن رأيهم الذي رأوه واعتذارهم إليه، ومنها: بيان أن سيفه الذي كان عنده بعد بدر كان قد أخذه من نصيبه بغنائم بدر، ومنها: وهي من الأهمية بمكان رؤياه تلك الرؤيا التي أطلعه الله فيها على ما سيؤول أمر أصحابه إليه في هذه الغزوة، فرأى أنه في دِزَعِ حَصِينَةَ بمعنى أن صاحبها لا يوصل إليه، فعبر ذلك بالمدينة وأنها محفوظة بحفظ الله لا يصل إليها أعداؤه، كما رأى بقرًا تُذْبِحُ وتذبح فعبّر ذلك بما سيقتل من أصحابه، ورأى في سيفه ذِي الْفَقَارِ فَلَا وَثَلَمًا أَيِ انكسر منه شيء، فأول ذلك بهزيمة تقع منهم، كما رأى أنه هَزَّ سَيْفًا فانقطع صدره فأول ذلك بما حصل من الهزيمة ثم هَزَّهُ فَعَادَ أَحْسَنَ مَا كَانَ، فَأَوْلَهُ بِمَا وَقَعَ مِنَ الْفَتْحِ أَخِيرًا وَاجْتِمَاعِ الْمُؤْمِنِينَ. ورأى أنه مُزِدَّفٌ كَبْشًا، فَأَوْلَ

ذلك بأنه سيقتل كَبْشَ الكَتِيبَةِ وهو طلحة بن أبي طلحة صاحب لواء المشركين، فهذه الرؤيا العظيمة كانت إخباراً من الله عزَّ وجلَّ بما سيحصل في تلك الغزوة، ورؤيا الأنبياء من أنواع الوحي وقد صدق الله هذه الرؤيا، فوقع كل ذلك كما رأى ﷺ، وفي تعبيره ﷺ لهذه الرؤيا إرشاد لمعرفة بعض أصول التعبير وقواعده، وقد قدّمنا ما يتعلق بذلك فيما سبق.

✽ استعداده ﷺ بلبس درعين من حديد

[٢٥٧] عن السائب بن يزيد رضي الله تعالى عنه قال: إن النبي ﷺ يومَ أُحُدٍ أَخَذَ دِرْعَيْنِ كَأَنَّهُ ظَاهِرٌ بَيْنَهُمَا.

رواه أبو داود (٢٥٩٠)، وابن ماجه (٢٨٠٦)، قال البوصيري: إسناده صحيح على شرط البخاري.

[٢٥٨] وعن الزبير بن العوام رضي الله تعالى عنه قال: رأيت رسول الله ﷺ حين ذهب لِيَنْهَضَ إِلَى الصَّخْرَةِ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَدْ ظَاهَرَ بَيْنَ دِرْعَيْنِ فَلَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَنْهَضَ...

رواه الحاكم (٢٥/٣) وصححه على شرط مسلم ووافقه الذهبي.

ونحوه عن رجل من بني تميم وطلحة بن عبدالله وسعد بن أبي وقاص، وعن النعمان بن بشير، انظرها معزوة مبيّنة رُتّبها في المجمع (١٠٩/٦).

وفي هذه الأحاديث مشروعية الأخذ بالأسباب والتحفّظ من الأعداء، وإن كان الإنسان متيقناً بالنصر والحفظ من الأعداء، واتخاذ الأسباب لا ينافي التوكّل على الله عزَّ وجلَّ: «إعقلها وتوكل».

✽ من رده النبي ﷺ يوم أُحُدٍ مِنَ الْإِطْفَالِ

[٢٥٩] عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: إن رسول الله ﷺ عَرَضَنِي يَوْمَ أُحُدٍ وَأَنَا ابْنُ أَرْبَعِ عَشْرَةَ سَنَةً فَلَمْ يُجِزْنِي، وَعَرَضَنِي يَوْمَ الْخَنْدَقِ وَأَنَا ابْنُ خَمْسِ عَشْرَةَ سَنَةً فَأَجَازَنِي.

رواه أحمد (١٧/٢)، والبخاري في المغازي (٣٩٦/٨)، ومسلم في الإمارة (١٨٦٨)، وأبو داود (٢٩٥٧، ٤٤٠٦)، والترمذي (١٢٣٢)، وابن ماجه (٢٥٤٣) وغيرهم.

وفي الحديث مشروعية عرض الجيش على قائده ليطلع على من يلزمه الخروج ومن لا، وأن الأطفال لا يُسمح لهم بالخروج إلى الغزو لصغرهم وضعفهم، فإذا بلغوا الحُلم وظهرت منهم بوادر القوّة... أُذِنَ لَهُمْ فِي ذَلِكَ، وَقَدْ رُدَّ فِي هَذِهِ الْغَزْوَةِ جَمَاعَةٌ مِنَ الْإِطْفَالِ مَعَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو كَالْبِرَاءِ بْنِ عَازِبٍ، وَأَبِي سَعِيدِ الْخَدْرِيِّ، وَسَعْدِ بْنِ خَيْشَمَةَ، وَزَيْدِ بْنِ جَارِيَةَ وَزَيْدِ بْنِ أَرْقَمٍ، انظر مجمع الزوائد (١٠٨/٦).

✽ خذلان عبدالله بن أبي رسول الله ﷺ، ورجوعه من الطّريق بنحو من ثلاثمائة نفر من المنافقين

[٢٦٠] عن زيد بن ثابت رضي الله تعالى عنه قال: لما خرج رسول الله ﷺ إلى غزوة أُحُدٍ رَجَعَ نَاسٌ مِمَّنْ خَرَجَ مَعَهُ، وَكَانَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِرْقَتَيْنِ، فِرْقَةٌ تَقُولُ: نَقَاتْلُهُمْ، وَفِرْقَةٌ تَقُولُ: لَا نَقَاتْلُهُمْ، فَنَزَلَتْ: ﴿فَمَا لَكَ فِي الْكٰفِرِيْنَ فِتْنٰتٍ وَاللّٰهُ اَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوْا﴾، وَقَالَ ﷺ: «إِنَّهَا طَبِئَةٌ تَنْفِي الْعَبْتِ كَمَا تَنْفِي النَّارُ حَبْتِ الْفِضَّةِ».

رواه أحمد (١٨٤/٥، ١٨٧)، والبخاري آخر الحجّ وفي التفسير (٣٢٥/٩)، ومسلم في الحجّ وفي صفات المنافقين (١٢٣/١٧)، والترمذي

(٢٨٣٢) بتهذيبي، والنسائي في الكبرى (٣٢٥/٦) كلاهما في التفسير.

قوله تعالى: ﴿أَرْكَسَهُمْ﴾ أي: قلبهم وردّهم إلى الكفر، والرّكس نكس الشيء مقلوباً.

لَمَّا خَرَجَ ﷺ إِلَى أَحَدٍ، وَكَانَتْ مِنْ أخطر الغزوات على المسلمين، خَرَجَ مَعَهُ أَلْفٌ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَلَمَّا كَانُوا بَيْنَ الْمَدِينَةِ وَأَحَدٍ انْخَذَلَ ابْنُ أَبِي سَلُولٍ، فَرَجَعَ بِثَلَاثِ النَّاسِ مِنْ أَصْحَابِهِ الْمُنَافِقِينَ وَمَنْ أَطَاعَهُ أَوْ اغْتَرَبَ بِهِ مِنْ ضَعْفَاءِ الْإِيمَانِ، وَقَالَ: أَطَاعَهُمْ وَعَصَانِي مَا نَدْرِي عِلَامَ نَقُتْلُ أَنْفُسَنَا هَهُنَا، وَاتَّبَعَهُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حِرَامٍ يَقُولُ: يَا قَوْمَ لَا تَخْذُلُوا قَوْمَكُمْ وَنَبِيَكُمْ عِنْدَ مَنْ حَضَرَ مِنْ عَدُوِّهِمْ، فَقَالُوا: ﴿لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ﴾ الآية، فَاخْتَلَفَ الْمُسْلِمُونَ فِي شَأْنِهِمْ مَاذَا يَفْعَلُ بِهِمْ وَقَدْ خَذَلُوا النَّبِيَّ ﷺ فِي وَقْتِ كَانَ فِي أَشدِّ الْحَاجَةِ إِلَى مَنْ يُؤَاوِرُهُ وَيُقَاتِلُ مَعَهُ، فَقَالَ بَعْضُ الصَّحَابَةِ: اقْتُلْهُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَقَالَ آخَرُونَ بِالْعَكْسِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى الْآيَةَ فِي شَأْنِهِمْ، فَقَالَ لَهُمْ عَزَّ وَجَلَّ: مَا شَأْنُكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ أَصَبَحْتُمْ فِي شَأْنِ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ فَرَقْتَيْنِ، وَالْحَالُ أَنَّهُمْ مُنَافِقُونَ وَقَدْ نَكَسَهُمُ اللَّهُ وَرَدَّهُمْ إِلَى كُفْرِهِمْ رَأْسًا عَلَى عَقْبٍ، أَتْرِيدُونَ هِدَايَةَ مَنْ خَذَلَهُ اللَّهُ وَأَضَلَّهُ.

وَكَانَ إِلَى جَانِبِ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ هَمَّتَا بِالْفِشْلِ فَثَبَّتَهُمَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ.

[٢٦١] فَعَنْ جَابِرِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ قَالَ: فِينَا نَزَلَتْ: ﴿إِذْ هَمَّتْ طَّائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾، قَالَ: نَحْنُ الطَّائِفَتَانِ بَنُو حَارِثَةَ وَبَنُو سَلِيمَةَ وَمَا يَسُرُّنِي أَنَّهُمَا لَمْ تَنْزِلْ لِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾.

رواه البخاري في المغازي (٣٦٠/٨) وفي التفسير (٣٩٣/٩)، ومسلم في الفضائل ويأتي.

فلما رجع ابن سلول ومن معه من المنافقين افترق بنو حارثة وبنو سلمة وكادوا أن يلحقوا بالمنافقين ويحبسوا، فثبتهما الله عز وجل وهدهما، فلم يرجع منهم أحد لصدقهم وإخلاصهم.

✽ ما قبل المعركة ودعاء النبي ﷺ عندها

[٢٦٢] عن جابر رضي الله تعالى عنه قال: قال رجل للنبي ﷺ يوم أحد: أَرَأَيْتَ إِنْ قُتِلْتُ فَأَيْنَ أَنَا؟ قَالَ: «فِي الْجَنَّةِ»، فَأَلْقَى تَمْرَاتٍ فِي يَدِهِ ثُمَّ قَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ.

رواه البخاري رقم (٤٠٤٦)، ومسلم رقم (١٨٩٩).

[٢٦٣] وعن أنس رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ أخذ سيفاً يوم أحد، فقال: «مَنْ يَأْخُذُ مِنِّي هَذَا؟» فَبَسَطُوا أَيْدِيَهُمْ كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ يَقُولُ: أَنَا، أَنَا، قَالَ: «فَمَنْ يَأْخُذُهُ بِحَقِّهِ؟» قَالَ: فَأَخَجَمَ الْقَوْمَ، فَقَالَ سِمَاكُ بْنُ خَرْشَةَ أَبُو دُجَانَةَ: أَنَا أَخْذُهُ بِحَقِّهِ، قَالَ: فَأَخَذَهُ فَقَلَعَ بِهِ هَامَ الْمُشْرِكِينَ.

رواه مسلم رقم (٢٤٧٠) في الفضائل (ج ٢٤/١٦)، وهو عند أحمد (١٢٣/٣).

قوله: «فأحجم القوم» أي: كفوا عما قالوا. وقوله: «هام المشركين» أي: رؤوسهم.

وجاء عن الزبير بأبسط من هذا.

[٢٦٤] فعنه رضي الله تعالى عنه قال: عرض رسول الله ﷺ سيفاً يوم أحد فقال: «مَنْ يَأْخُذُ هَذَا السَّيْفَ بِحَقِّهِ؟» فَقَمَتِ فَقُلْتُ: أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَأَعْرَضَ عَنِّي، ثُمَّ قَالَ: «مَنْ يَأْخُذُ هَذَا السَّيْفَ بِحَقِّهِ؟» فَقَمَتِ فَقُلْتُ: أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ ثُمَّ قَالَ الثَّالِثَةُ، فَقَامَ أَبُو دُجَانَةَ سِمَاكُ بْنُ خَرْشَةَ فَقَالَ: أَنَا أَخْذُهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ بِحَقِّهِ، قَالَ: «أَلَا تَقْتُلُ بِهِ مُسْلِمًا وَلَا تُغْرِبُهُ عَن كَافِرٍ»، قَالَ: فَدَفَعَهُ إِلَيْهِ وَكَانَ إِذَا أَرَادَ الْقِتَالَ أَعْلَمَ بِعَصَابَةِ قَالَ: لِأَنْظُرَنَّ إِلَيْهِ الْيَوْمَ كَيْفَ يَصْنَعُ؟ قَالَ: فَجَعَلَ لَا يَرْتَفِعُ لَهُ شَيْءٌ إِلَّا هَتَكَه وَأَفْرَأَهُ حَتَّى انْتَهَى إِلَى نِسْوَةٍ فِي سَفْحِ جَبَلٍ مَعَهُنَّ دُفُوفٌ لَهُنَّ فِيهِنَّ امْرَأَةٌ وَهِيَ تَقُولُ:

نَحْنُ بَنَاتُ طَارِقٍ نُمَشِّي عَلَى النَّمَارِقِ

(٢٨٣٢) بتهديبي، والنسائي في الكبرى (٣٢٥/٦) كلاهما في التفسير.

قوله تعالى: ﴿أَرْكَسَهُمْ﴾ أي: قلبهم وردّهم إلى الكفر، والرّكس نكس الشيء مقلوباً.

لَمَّا خَرَجَ ﷺ إِلَى أَحَدٍ، وَكَانَتْ مِنْ أخطر الغزوات على المسلمين، خرج معه ألف من أصحابه، فلَمَّا كانوا بين المدينة وأحد انخزل ابنُ أبي سَلُولٍ، فرجع بثلاث الناس من أصحابه المنافقين وَمَنْ أطاعه أو اغترّ به من ضعفاء الإيمان، وقال: أطاعهم وعصاني ما نُدري علامَ نَقُتَلُ أَنْفُسَنَا هَهُنَا، وَاتَّبَعَهُمْ عَبْدُ اللَّهِ بن حرام يقول: يا قوم لا تَخْذُلُوا قَوْمَكُمْ وَنَبِيَكُمْ عند من حضر من عدوّهم، فقالوا: ﴿لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ﴾ الآية، فاختلف المسلمون في شأنهم ماذا يفعل بهم وقد خذلوا النبي ﷺ في وقت كان في أشدّ الحاجة إلى من يؤازره ويقاتل معه، فقال بعض الصحابة: اقتلهم يا رسول الله، وقال آخرون بالعكس، فأنزل الله تعالى الآية في شأنهم، فقال لهم عزّ وجلّ: ما شأنكم أيها المؤمنون أصبحتم في شأن هؤلاء المنافقين فترتين، والحال أنهم منافقون وقد نكسهم الله وردّهم إلى كفرهم رأساً على عقب، أتريدون هِدَايَةَ من خذله الله وأضله.

وكان إلى جانب هؤلاء المنافقين طائفتان من المؤمنين همّت بالفشل فبثّهما الله عزّ وجلّ.

[٢٦١] فعن جابر رضي الله تعالى عنه قال: فينا نزلت: ﴿إِذْ هَمَّتْ طَّائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيَهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾، قال: نحن الطائفتان بنو حارثة وبنو سلمة وما يسرّني أنّها لم تنزل لقول الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ وَلِيَهُمَا﴾.

رواه البخاري في المغازي (٣٦٠/٨) وفي التفسير (٣٩٣/٩)، ومسلم في الفضائل ويأتي.

فلما رجع ابن سلول وَمَنْ معه من المنافقين افترق بنو حارثة وبنو سلمة وكادوا أن يلحقوا بالمنافقين ويحبّئوا، فبثّهما الله عزّ وجلّ وهما، فلم يرجع منهم أحد لصدقهم وإخلاصهم.

✽ ما قبل المعركة ودعاء النبي ﷺ عندها

[٢٦٢] عن جابر رضي الله تعالى عنه قال: قال رجل للنبي ﷺ يوم أحد: أَرَأَيْتَ إِنْ قُتِلْتُ فَأَيْنَ أَنَا؟ قال: «في الجنة»، فألقى تمرات في يده ثم قاتل حتى قُتِلَ.

رواه البخاري رقم (٤٠٤٦)، ومسلم رقم (١٨٩٩).

[٢٦٣] وعن أنس رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ أخذ سيفاً يوم أحد، فقال: «من يأخذ مني هذا؟» فبسطوا أيديهم كل إنسان منهم يقول: أنا، أنا، قال: «فمن يأخذه بحقه؟» قال: فأحجم القوم، فقال سِمَاكُ بن خَرَشَةَ أبو دُجَانَةَ: أنا أخذه بحقه، قال: فأخذه فقلّب به هامَ المشركين.

رواه مسلم رقم (٢٤٧٠) في الفضائل (ج ٢٤/١٦)، وهو عند أحمد (١٢٣/٣).

قوله: «فأحجم القوم» أي: كفّوا عمّا قالوا. وقوله: «هام المشركين» أي: رؤوسهم.

وجاء عن الزبير بأبسط من هذا.

[٢٦٤] فعنه رضي الله تعالى عنه قال: عرض رسول الله ﷺ سيفاً يوم أحدٍ فقال: «من يأخذ هذا السيف بحقه؟»، فقمت فقلت: أنا يا رسول الله، فأعرض عني، ثم قال: «من يأخذ هذا السيف بحقه؟» فقمت فقلت: أنا يا رسول الله ثم قال الثالثة، فقام أبو دُجَانَةَ سِمَاكُ بن خَرَشَةَ فقال: أنا أخذه يا رسول الله بحقه، قال: «ألا تقتل به مسلماً ولا تُغرّبه عن كافر»، قال: فدفعه إليه وكان إذا أراد القتال أعلم بعصاة قال: لأنظرن إليه اليوم كيف يصنع؟ قال: فجعل لا يرتفع له شيء إلا هتكه وأقرأه حتى انتهى إلى نسوة في سفح جبل معهن دُفُوفٌ لهنّ فيهن امرأة وهي تقول:

نحنُ بنات طارِقٍ نُمشي على النمارِقِ

إِنْ تُقْبِلُوا نُعَانِقُ وَنَبْسُطُ التَّمَارِقِ
إِنْ تُذْبِرُوا نُفَارِقُ فِرَاقَ غَيْرِ وَاِمِقِ

قال: فأهوى بالسيف إلى امرأة ليضربها ثم كف عنها، فلما انكشف القتال قلت له: كل عملك قد رأيت ما خلا رَفَعَكَ السيف على المرأة، ثم لم تضربها، قال: إني والله أكرمت سيف رسول الله ﷺ أن أقتل به امرأة.

رواه البزار (١٧٨٧)، والبيهقي في الدلائل (٢٣٣/٣) واللفظ له، وأورده النور في المجمع (١٠٩/٦) برواية البزار قال: ورجاله ثقات.

قولها: «وامق» أي: غير مُحَبِّب. وقصة أبي دجانه تدل على شجاعته وشهامته وأنه من الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه، حيث وقى بما شرط عليه النبي ﷺ عند أخذه سيفه فلم يقتل به مسلماً، وإنما فلق به رؤوس المشركين وأفرى دماءهم ونزّهه عن قتل امرأة...

[٢٦٥] وعن أنس رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ كان يقول يوم أحد: «اللهم إنك إن تشأ لا تعبد في الأرض».

رواه مسلم رقم (١٧٤٣) وتقدم نحوه في بدر.

❁ كيف هيا النبي ﷺ الجيش وسواه، وبداية المعركة

وما حصل أولها من النصر ثم الهزيمة، وما

وقع وقيل في ذلك

[٢٦٦] عن البراء بن عازب رضي الله تعالى عنه قال: جعل رسول الله ﷺ على الرماة يوم أحد وكانوا خمسين رجلاً عبد الله بن جبير، قال: ووضعهم مكاناً وقال لهم: «إن رأيتُمونا تخطفنا الطير فلا تَبْرَحُوا من مكانكم هذا حتى أُرْسِلَ إليكم، فإن رأيتُمونا هَرَمْنَا القَوْمَ وأوطأناهم فلا تَبْرَحُوا حتى أُرْسِلَ إليكم»، قال: وسار رسول الله ﷺ ومن معه، قال:

فهزمهم، قال: فأنا والله رأيتُ النساء يَشُدُّدْنَ على الجبل بَدَتْ خلاخلهنَّ وأسوقهنَّ رافعات ثيابهنَّ، فقال أصحاب عبد الله بن جبير: الغنيمة أي قوم الغنيمة، قد ظهر أصحابكم فما تنتظرون؟ قال عبد الله بن جبير: أتسيتم ما قال لكم رسول الله ﷺ؟ فقالوا: إنا والله لنأتيَنَّ الناس فنصيبنَّ من الغنيمة، فلما أتوهم صُرفت وجوههم فأقبلوا منهزمين، فذاك حيث يدعوهم الرسول في أخراهم، فلم يبق مع رسول الله ﷺ غير اثني عشر رجلاً فأصابوا منا سبعين، وكان رسول الله ﷺ وأصحابه أصاب من المشركين يوم بدر أربعين ومائة، سبعين أسيراً، وسبعين قتيلاً.

فقال أبو سفيان: أفي القوم محمّد؟ ثلاث مرات، فنهاهم رسول الله ﷺ أن يُجيبوه، ثم قال: أفي القوم ابنُ أبي قُحافة؟ ثلاث مرات، قال: أفي القوم ابن الخطاب؟ ثلاث مرات، ثم رجع إلى أصحابه فقال: أمّا هؤلاء فقد قُتلوا فما مَلَكَ عمر نفسه فقال: كذبت والله يا عدو الله إن الذين عددت لأحياء كلهم، وقد بقي لك ما يسوءك، فقال: يوم بيوم بدر والحرب سجال، إنكم سترون في القوم مثلاً لم أمر بها ولم تسؤني، ثم أخذ يرتجز: اغلُ هُبَل. فقال رسول الله ﷺ: «ألا تُجيبوه؟» قالوا: يا رسول الله ما نقول؟ قال: «قولوا: الله أغلى وأجل»، قال: إن لنا العزى ولا عزى لكم، قال رسول الله ﷺ: «ألا تُجيبوه؟» قالوا: يا رسول الله ما نقول؟ قال: «قولوا: الله مولانا ولا مولى لكم».

رواه أحمد (٢٩٣/٤، ٢٩٤)، والبخاري في الجهاد وفي المغازي (٣٦٧/٨) وفي التفسير (٢٩٥/٩)، وأبو داود في الجهاد (٢٦٦٢)، والنسائي في الكبرى (٣١٥/٦)، ونحوه عن ابن عباس رواه أحمد (٢٨٧/١، ٢٨٨)، والحاكم (٢٩٦/٢، ٢٩٧) وصححه ووافقه الذهبي.

[٢٦٧] وعن الزبير رضي الله تعالى عنه نحوه بزيادات، ولفظه قال: والله إني لأنظر يومئذ إلى خَدَمِ النساء مُسَمَّرَاتٍ يَسْعَيْنَ حين انهزم القوم، وما أرى دون أخذهن شيئاً وإننا لنحسبهن قتلى ما يرجع إلينا منهم أحد، ولقد أصيب أصحاب اللواء وصبروا عنده حتى صار إلى عبيد لهم حبشي

يقال له صواب، ثم قتل صواب فطرح اللواء فلم يقربه أحد من خلق الله حتى وثبت إليه عمرة بنت علقمة الحارثية فرفعته لهم وثاب إليه الناس، قال الزبير: فوالله إنا لكذلك قد علوناهم وظهرنا عليهم إذ خالفت الرماة عن أمر رسول الله ﷺ فجعلوا يأخذون الأمتعة، فأتتنا الخيل فحطمتنا وكثر الناس منهزمين، فصرخ صارخ يزورن أنه الشيطان إلا إن محمداً قد قتل فأعظم الناس وركب بعضهم بعضاً، فصاروا أثلاثاً: ثلثاً جريحاً، وثلثاً قتيلاً، وثلثاً منهزماً قد بلغت الحرب، وقد كانت الرماة اختلفوا فيما بينهم، فقالت طائفة - ورأوا الناس وقعوا في الغنائم وقد هزم الله المشركين وأخذ المسلمون الغنائم -: فماذا تنتظرون؟ وقالت طائفة: قد تقدم إليكم رسول الله ﷺ ونهاكم أن تفرقوا مكانكم إن كانت عليه أوله، فتنازعوا في ذلك، ثم إن الطائفة الأولى من الرماة أبت أن تلحق بالعسكر فتفرق القوم وتركوا مكانهم، فعند ذلك حملت خيل المشركين.

أورده الحافظ في المطالب العالية برواية إسحاق بن راهويه في مسنده، وقال: هذا إسناد صحيح انظر رقم (٤٣١٣)، ورواه ابن إسحاق باختصار كما عند ابن هشام وسنده صحيح.

[٢٦٨] وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: هُزِمَ المشركون يوم أحد هزيمة بيّنة تعرف فيهم، فصرخ إبليس: أي عباد الله أخراكم، فرجعت أولاهم فاجتلدت هي وأخراهم، فنظر حذيفة بن اليمان فإذا هو بأبيه، فقال: أبي أبي، قالت: فوالله ما انجزوا حتى قتلوه، فقال حذيفة: يغفر الله لكم، وفي رواية: وقد كان انهزم منهم قوم حتى لحقوا بالطائف.

رواه البخاري في المغازي باب إذ همّت طائفتان منكما... إلخ، وفي بدء الخلق وفي الفضائل.

في هذه الأحاديث بيان وتفصيل لما وقع في هذه المعركة ويتضح ذلك في الآتي:

أولاً: كان النبي ﷺ قد رتب أمور الجيش وأنزل كلاً ما يناسبه وضمهم وجعل فيهم ميمنة وميسرة، وجعل أحداً خلفه، واستقبل المدينة

وجعل على جبل الرماة خمسين رامياً وأمر عليهم عبدالله بن جبير ليخموا ظهرهم عند الاشتباك وأمرهم أن لا يبرحوا مكانهم سواء انتصر الصحابة أم هُزموا.

ثانياً: كان قد وقع الانتصار للصحابة في البداية وانهزم المشركون وقتل أصحاب لوائهم واحداً تلو الآخر حتى بقي لا يقدر أحد على تناوله، وحملت خيالة المشركين على المسلمين ثلاث مرات، وفي كلها ينضحهم المسلمون بالنبال فيتقهقرون، ورغم أن نساءهم كن يضررن بالدفوف وينشدن الأشعار تهيجاً لعواطف رجالهم انهزم الجميع وولوا الأدبار، ونساءهم يبكين ويولولن حتى صعدن الجبل كاشفات ثيابهن عن أسوقهن، وجعل المسلمون يجمعون الغنائم والأسلاب.

ثالثاً: وفي هذا المشهد وقد رأى الرماة الصحابة يجمعون الغنائم تركوا مركزهم ونزلوا ليشاركوا في أخذ الغنيمة الصحابة ولم يبق على الجبل إلا عشرة نفر، فلما رأى ذلك خيالة المشركين وكان فيهم خالد بن الوليد وعكرمة بن أبي جهل جاءوا إلى البقية من الرماة من الورا فقتلوهم ثم هبطوا للميدان وأتوا الصحابة المشتغلين بالغنائم، فصاروا يقتلون ويضربون فيهم ووقع لهم ارتباك ودهش فوقعت الهزيمة وجعلوا يفرّون، وفي هذه الأثناء قُتل سبعون رجلاً أكثرهم من الأنصار.

رابعاً: كان الذي نبه الكفار والخيالة بعد هزيمتهم هو الشيطان حيث صرخ بأعلى صوته وقال لهم: أي عباد الله أخراكم، فنظروا فرأوا الجبل خالياً من الرماة، فأتوهم من الورا.

خامساً: فيما قاله أبو سفيان بعد أن نادى بأسماء النبي ﷺ وصاحبيه إعجاب وزهو بما حصل لهم، وكان ذلك من نخوة جاهليتهم وكبريائهم، وفيما أجابوه بما لقنهم النبي ﷺ اعتزاز بالله عز وجل بأنه نعم المولى لهم ونعم النصير، فهو الأجل الأعلى الأعظم، وما اغتر به أبو سفيان وجماعته من الأصنام والأوثان هي الأدنى والأذل والأخزى.

سادساً: بعد تلك المحنة التي وقعت للصحابة أصبحوا فرقاً ثلاثة:

فرقة قتلى وكانوا سبعين رجلاً وكان فيهم حمزة بن عبدالمطلب، ومصعب بن عمير، وعبدالله بن جبير في آخرين. وفرقة جرحى، وفرقة منهزمون وفيهم من فر إلى المدينة ولم يبق صامداً أمام العدو إلا النبي ﷺ واثنان عشر رجلاً كان منهم الخلفاء الثلاثة: الصديق والفاروق والإمام علي في آخرين رضي الله تعالى عنهم، وههنا جعل الرسول يدعو المنهزمين، كما قال تعالى: ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَكُونُوا عَلَىٰ أَحَدٍ مِنَ الرُّسُلِ يَدْعُوكُمْ فِيٰ أَخْرَجَكُمْ﴾ الآية، كما يأتي.

مشاهد مختلفة من المعركة رجلان يدعوان فيستجاب لهما

[٢٦٩] عن سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه: أن عبدالله بن جحش قال له يوم أحد: أَلَا تَدْعُو الله تعالى، فَخَلُّوا فِي نَاحِيَةِ فِدْعَا سَعْدٍ فَقَالَ: يَا رَبِّ إِذَا لَقِيتُ الْعَدُوَّ فَلَقِّنِي رَجُلًا شَدِيدًا بِأَسْهُ، شَدِيدًا حَزْدَهُ، أَقَاتَلَهُ وَيَقَاتِلُنِي، ثُمَّ ارزُقْنِي الظَّفَرَ عَلَيْهِ حَتَّى أَقْتَلَهُ وَأَخَذَ سَلْبَهُ، فَأَمَّنَ عَبْدُ اللهِ بِنِ جَحْشٍ. ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ ارزُقْنِي رَجُلًا شَدِيدًا حَرَدَهُ شَدِيدًا بِأَسْهُ أَقَاتَلَهُ فِيكَ وَيَقَاتِلُنِي، ثُمَّ يَاخِذْنِي فَيَجِدُعُ أَنْفِي وَأُذُنِي، فَإِذَا لَقِيتُكَ غَدًا قَلْتُ: مَنْ جَدَعَ أَنْفَكَ وَأُذُنَكَ؟ فَأَقُولُ: فِيكَ وَفِي رَسُولِكَ، فَتَقُولُ: صَدَقْتُ. قَالَ سَعْدٌ: يَا بَنِي كَانَتْ دَعْوَةُ عَبْدِ اللهِ بِنِ جَحْشٍ خَيْرًا مِنْ دَعْوَتِي، لَقَدْ رَأَيْتَهُ آخِرَ النَّهَارِ وَإِنْ أَنْفَهُ وَأُذُنَهُ لَمَعْلَقَانِ فِي خِيَطٍ.

رواه ابن سعد (٦٣/٣)، والحاكم (١٩٩/٣) وصححه على شرطهما لولا إرساله، ووافقه الذهبي، وأورده النور في المجمع (٣٠١/٩، ٣٠٢) برواية الطبراني قال: ورجاله رجال الصحيح ورواه البيهقي في الكبرى (٣٠٧/٦، ٣٠٨) متصلًا.

لقد دعا هذان الصحابيَّان الجليلان بدعوتيهما بصدق وإخلاص

فاستجاب الله لهما، وكانت دعوة عبدالله بن جحش أجل وأفضل، وفي كل خير رضي الله تعالى عنهما.

أنس بن النضر وشجاعته وشهادته

[٢٧٠] عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: غاب عمي أنس بن النضر عن قتال بدر، فقال: يا رسول الله غبت عن أول قتال قاتلت المشركين، لئن الله أشهدني قتال المشركين ليرين الله ما أصنع، فلما كان يوم أحد وانكشف المسلمون فقال: اللهم إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء - يعني أصحابه - وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء - يعني المشركين - ثم تقدم فاستقبله سعد بن معاذ فقال: يا سعد بن معاذ الجنة ورب النضر إني أجد ريحها من دون أحد، قال سعد: فما استطعت يا رسول الله ما صنع، قال أنس: فوجدنا به بضعة وثمانين ضربة بالسيف، أو طعنة برمح، أو رمية بسهم، ووجدناه قد قُتِلَ وقد مُتِلَ به المشركون، فما عرفه أحد إلا أخته وهي الربيع بنت النضر بشامة أو بينان، قال أنس: كنا نرى أو نظن أن هذه الآية نزلت فيه وفي أشباهه: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَن قَضَىٰ نَجْبَهُ وَمِنْهُمْ مَن يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا بَدِيلًا﴾.

رواه البخاري في التفسير (١٣٦/١٠)، ومسلم في الإمارة (٤٧/١٣)، (٤٨)، والترمذي (٢٩٩٣)، والنسائي في الكبرى (٤٣٠/٦)، وابن جرير (١٤٦/٢١، ١٤٧)، ورواه البخاري أيضاً في المغازي وفي الجهاد.

في الحديث شجاعة هذا الصحابي وصدقه وقوة إيمانه وشدة بأسه وتجلده وصبره على ضربات السيوف وطعنات الرماح وآلام التبال، بضع وثمانون ضربة وطعنة وهو صامد يقاتل لم يسقط للأرض حتى استشهد رضي الله تعالى عنه، ومن هو هذا الصحابي؟! هذا هو الرجل الذي جاء فيه قوله ﷺ: «إِنَّ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ مَنْ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لَا يُرَاهُ»، كما يأتي في الفضائل.

✽ استشهاد سعد بن الربيع وبه سبعون ضربة

[٢٧١] عن زيد بن ثابت رضي الله تعالى عنه قال: بعثني رسول الله ﷺ يوم أحد لطلب سعد بن الربيع وقال لي: «إن رأيت فاقتره بمتي السلام وقل له: يقول لك رسول الله ﷺ: كيف تجدك؟» قال: فجعلت أطوف بين القتلى فأصبتُه وهو في آخر رمق وبه سبعون ضربة ما بين طعنة برمح، وضربة بسيف، ورمية بسهم، فقلت له: يا سعد إن رسول الله ﷺ يقرأ عليك السلام ويقول لك: أخبرني كيف تجدك؟ قال: على رسول الله ﷺ وعليك السلام، قل له: يا رسول الله أجد ريح الجنة، وقل لقومي الأنصار: لا عُذْرَ لكم عند الله تعالى إنْ خَلِصَ إلى رسول الله ﷺ وفيكم شَفْرٌ يَطْرُقُ وفاضت نفسه رحمه الله تعالى.

رواه الحاكم (٢٠١/٣) وصححه ووافقه الذهبي وله شواهد عن عبدالرحمن بن أبي صعصعة، رواه ابن إسحاق كما عند ابن هشام والطبري (٥٢٨/٢)، والحاكم (٢٠١/٣)، والبيهقي في الدلائل بسند صحيح مع إرساله، وعن عمرو بن يحيى المازني رواه إسحاق بن راهويه كما في المطالب العالية وسنده صحيح أيضاً، وعن يحيى بن سعيد رواه مالك في الموطأ وابن سعد (٥٢٣/٣) وهو صحيح أيضاً، فالحديث صحيح خلافاً لمن ضعفه.

قوله: «شَفْرٌ تطرف» هو بضم الشين وسكون الفاء واحد أشفار العين ونص حروف الأجفان التي ينبت عليها الشعر.

هذا بطل آخر من الصحابة الأنصار أحد النقباء الاثني عشر استشهد بعد صبر جميل وصمود أمام أبطال الشرك وَعَبْدَةُ الأوثان لم يشخنوه ويسقطوه إلى الأرض حتى أصيب بسبعين ضربة من ضربات السيوف والرماح والنبال، وقد افتقده النبي ﷺ وبعث من يبحث عنه ويبلغه سلامه فيوجد في آخر رمق من حياته، فبرد السلام على النبي ﷺ ويوصي قومه به ﷺ.

✽ قتل شهيد تغسله الملائكة

[٢٧٢] عن عبدالله بن الزبير رضي الله تعالى عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ عند قتل حَنْظَلَةَ بن أبي عامر بعد أن التقى هو وأبو سفيان حين علاه شداد بن الأسود بالسيف فقتله، فقال رسول الله ﷺ: «إنْ صَاحِبِكُمْ نَفْسُهُ الملائكةُ فاسألوا صَاحِبَتَهُ»، فقالت: إنه خرج لما سمع الهائجة وهو جُنُبٌ، فقال رسول الله ﷺ: «لذلك غَسَلَتْهُ الملائكة».

رواه ابن إسحاق ومن طريقه الحاكم (٢٠٤/٣، ٢٠٥)، والبيهقي في الجنائز من الكبرى (١٥/٤) وصححه الحاكم ووافقه الذهبي وأورده الهيثمي في المجمع (٢٢٣/٣) برواية الطبراني وقال: إسناده حسن.

هذه مَزِيَّةٌ وخصيصة لهذا الصحابي لا تُعرف لغيره حيث إنه استشهد وهو جُنُبٌ، فتولت الملائكة غسله ليلقى الله طاهراً ظاهراً وباطناً فهيناً له ولأصحابه الشهداء.

✽ رجل استشهد ودخل الجنة ولم يصل قط

[٢٧٣] عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: إنْ عَمْرُو بن أُنَيْشٍ كان له ربنا في الجاهلية، فكره أن يُسَلِّمَ حتى يأخذه فجاء يوم أحد، فقال: أين بنو عمي؟ قالوا: بأحد، قال: أين فلان؟ قالوا: بأحد، قال: أين فلان؟ قال: بأحد، فللبس لأمته وركب فرسه ثم توجه قِبَلَهُمْ، فلما رآه المسلمون قالوا: إليك عتاً يا عمرو، قال: إني قد آمنت، فقاتل حتى جرح فحمل إلى أهله جريحاً، فجاء سعد بن معاذ فقال لأخته: سليه حَمِيَّةً لقومك أو غضباً لهم أم غضباً لله عز وجل؟ قال: بل غضباً لله عز وجل ورسوله ﷺ، فمات فدخل الجنة وما صلى لله صلاة.

رواه أحمد (٤٢٨/٥، ٤٢٩)، وأبو داود في الجهاد (٢٥٣٧) باب من

يسلم ويقتل مكانه في سبيل الله، والبيهقي في الدلائل (٢٤٧/٣) بسند حسن، ورواه ابن إسحاق من طريق آخر ومن طريقه البيهقي (٢٤٧/٣) وسنده حسن كما قال الحافظ.

من سبقت له العناية لا تضره الجناية، فالأعمال بالخواتم؛ فهذا رجل تأخر إسلامه عن أهل عمومته، فلما جاء من سفره وسأل عن بني عمه وأهل بيته أخبر بأنهم ذهبوا لأحد مع النبي ﷺ لقتال المشركين، فأخذته الغيرة على الإسلام فوفقه الله للإيمان، فأمن بينه وبين ربه والتحق بالمسلمين، فقاتل معهم حتى قتل، فأخبر النبي ﷺ أصحابه بأنه دخل الجنة.

وهذا يدل على إخلاصه وصدقه في إيمانه، ويدل على أن الإسلام يهدم كل ما كان للكافر من عقائد وأعمال سيئة، وأنه يصبح بدخوله في الإسلام طاهراً من كل الذنوب، وهذا لا خلاف فيه؛ لقوله تعالى: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ﴾، ولقوله ﷺ لعمر بن العاص: «أما علمت أن الإسلام يهدم ما قبله»... رواه مسلم في الإيمان.

✽ عمرو بن الجموح وبشارته بالجنة، وصحة رجله العرجاء

[٢٧٤] عن أبي قتادة رضي الله تعالى عنه قال: أتى عمرو بن الجموح إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله أرأيت إن قاتلت في سبيل الله حتى أقتل أمشي برجلي هذه صحيحة في الجنة؟ وكانت رجله عرجاء، فقال رسول الله ﷺ: «نعم»، فقتلوه يوم أحد هو وابن أخيه ومولى لهم، فمر رسول الله ﷺ فقال: «لكأني أنظر إليك تمشي برجلك هذه صحيحة في الجنة»، فأمر رسول الله ﷺ بهما وبمولاهما فجعلوا في قبر واحد.

رواه أحمد (٢٩٩/٥) وقال الهيثمي في المجمع (٣١٥/٩): رجاله رجال الصحيح غير يحيى بن نصر الأنصاري وهو ثقة. أما الحافظ فاقصر على تحسينه في الفتح.

هذا الصحابي كان له أربعة بنون مثل الأسد يشهدون مع رسول الله ﷺ المشاهد، فلما كان يوم أحد أرادوا حبس والدهم عن الخروج فأبى وخرج، وقال للنبي ﷺ: إني لأرجو أن أطأ بعرجتي هذه في الجنة، وكان شديد العرج، فقتل شهيداً، وقال له النبي ﷺ وهو قتيل: «كأني أنظر إليك تمشي برجلك هذه صحيحة في الجنة»، فقد صدقه الله ما رجا وتمنى.

✽ عبدالله بن حرام والد جابر تظله الملائكة ويكلمه الله عز وجل كفاحاً

[٢٧٥] عن جابر بن عبدالله رضي الله تعالى عنهما قال: لما قُتل أبي يوم أحد جعلت أكثف عن وجهه وأبكي، وجعل أصحاب رسول الله ﷺ ينهونني وهو لا ينهاني، وجعلت عمّتي تبكيه، فقال النبي ﷺ: «تبكيه أو لا تبكيه ما زالت الملائكة تظله بأجنحتها حتى رفعتموه».

رواه البخاري في الجنائز (٤٠٥/٣، ٤٠٦)، وفي المغازي (٤٠٨٠)، ومسلم في الفضائل (٢٤٧١) وغيرهما، ويأتي في الفضائل.

[٢٧٦] وعن جابر رضي الله تعالى عنه أيضاً قال: قال لي رسول الله ﷺ: «ألا أخبرك أن الله عز وجل كلم أباك كفاحاً، فقال: يا عبدني سلني أعطك، قال: أسألك أن تردني إلى الدنيا فأقتل فيك ثانياً، فقال: إنه قد سبق مني أنهم إليها لا يرجعون، قال: يا رب فأبلغ من ورائي»، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرَوِّقُونَ﴾.

رواه الترمذي في التفسير (٢٨١٦)، وابن ماجه في المقدمة (١٩٠)

وفي الجهاد (٢٨٠٠)، والحاكم (٢٠٤/٣)، وابن جرير (١٧٣/٤)، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي وهو أيضاً في المسند (٣٦١/٣) من طريق ابن عقيل.

[٢٧٧] وعنه أيضاً قال: قال أبي: أرجو أن أكون في أول من يُصاب غداً، فأوصيك ببناتي خيراً، فأصيب فدفنته مع آخر فلم تدعني نفسي حتى استخرجته ودفنته وحده بعد ستة أشهر، فإذا الأرض لم تأكل منه شيئاً إلا بعض شحمة أذنيه.

رواه البخاري في الجنائز (١٣٥١، ١٣٥٢)، وابن سعد (١٠٦/٢/٣)، والحاكم (٢٠٣/٣) وصححه.

في هذه الأحاديث الثلاثة فضائل ومزايا وكرامات لهذا الصحابي الجليل، منها: أن الملائكة ظلّته من الشمس بأجنحتها فور قتله، وهذه كرامة ظاهرة. ومنها: أن الله عزّ وجلّ كلّمه بعد موته كفاحاً بدون واسطة إكراماً له، وأنه عزّ وجلّ قال له: «سلني أعطك»، فلم يجد عبد الله شيئاً يسأله من الله تعالى أحبّ إليه من الرجوع إلى الدنيا ليقتل في الله عزّ وجلّ لما رأى من الكرامة التي يحرز عليها الشهيد.

أما الحديث الآخر، فهو يصدق قوله تعالى: ﴿بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾، فهذا هو قد أخرج من قبره بعد ستة أشهر فوجد كما دفن؛ لأنّ الحي لا تأكل الأرض جسده، فهذه إحدى كرامات الشهداء ومزاياهم جعلنا الله عزّ وجلّ من أشرفهم وأكرمهم على الله تعالى.

❁ قصة مقتل حمزة سيّد الشهداء رضي الله تعالى عنه

[٢٧٨] عن جعفر بن عمرو بن أمية الضمري قال: خرجت مع عبيد الله بن عدي بن الخيار، فلما قدمنا حمص قال لي عبيد الله بن عدي: هل لك في وحشي نسأله عن قتله حمزة؟ قلت: نعم، وكان وحشي يسكن

حمص فسألنا عنه، فقبل لنا: هو ذاك في ظل قصره كأنه حميت، قال: فجبنا حتى وقفنا عليه يسيراً فسألنا فردّ السلام، قال: وعبيد الله مغطّج بعمامته ما يرى وحشي إلا عينيه ورجليه، فقال عبيد الله: يا وحشي أتغرفني؟ قال: فنظر إليه ثم قال: لا والله، إلا أنني أعلم أن عدي بن الخيار تزوج امرأة يقال لها أم قتال بنت أبي العيص فولدت له غلاماً بمكة فكنت أسترضع له، فحملت ذلك الغلام مع أمه فناولتها إياه، فلكتاني نظرت إلى قدمك، قال: فكشف عبيد الله عن وجهه ثم قال: ألا تُخبرنا بقتل حمزة؟ قال: نعم، إن حمزة قتل طعيمة بن عدي بن الخيار بيد، فقال لي مولاي جبير بن مطعم: إن قتلت حمزة بعمي فأنت حرّ. قال: فلما أن خرج الناس عام عيّنين - وعينين جبل بجبال أحد بينه وبينه وإد - خرجت مع الناس إلى القتال، فلما أن اصطفوا للقتال خرج سباع، فقال: هل من مبارز؟ قال: فخرج إليه حمزة بن عبد المطلب، فقال: يا سباع يا ابن أم أنمارٍ مقطّعة البظور أتحدّ الله ورسوله ﷺ؟ قال: ثم شدّ عليه فكان كأمس الذهاب، قال: وكنمت لحمزة تحت صخرة، فلما دنا مني رميته بحرّيتي فأضعها في نثته، حتى خرجت من بين وزكّيه، قال: فكان ذلك العهد به، فلما رجع الناس رجعت معهم، فأقمت بمكة حتى فشا فيها الإسلام، ثم خرجت إلى الطائف، فأرسلوا إلى رسول الله ﷺ رسولاً فقبل لي: إنه لا يهيج الرّسل، قال: فخرجت معهم حتى قدمت على رسول الله ﷺ فلما رأيته، قال: «أنت وحشي؟» قلت: نعم، قال: «أنت قتلت حمزة؟» قلت: قد كان من الأمر ما بلغك، قال: «فهل تستطيع أن تُغيّب وجهك عني؟» قال: فخرجت، فلما قبض رسول الله ﷺ فخرج مسيلمة الكذاب، قلت: لأخرجنّ إلى مسيلمة لعلّي أقتله فأكافئ به حمزة، قال: فخرجت مع الناس فكان من أمره ما كان، قال: فإذا رجل قائم في ثلثة جدار كأنه جمّل أوزق ثائر الرأس، قال: فرمته بحرّيتي، فأضعها بين ثدييه حتى خرجت من بين كتفيه، قال: ووثب إليه رجل من الأنصار فضربه بالسيف على هامته، قال: قال عبد الله بن الفضل: فأخبرني سليمان بن يسار أنه سمع عبد الله بن عمر يقول: فقالت جارية على ظهر بيت: وأمير المؤمنين قتله العبد الأسود.

رواه أحمد (٥٠١/٣)، والبخاري في المغازي باب قتل حمزة رقم (٤٠٧٢) (ج ٣٧٠/٨، ٣٧٣).

[٢٧٩] وعن كعب بن مالك رضي الله تعالى عنه: أن رسول الله ﷺ قال يوم أحد: «من رأى مقتل حمزة؟» فقال رجل أعزل: أنا رأيت مقتله، قال: «فانطلق أرتأه»، فخرج رسول الله ﷺ حتى وقف على حمزة فرأه وقد شق بطنه، وقد مثل به، فقال: يا رسول الله مثل به والله فكره رسول الله ﷺ أن ينظر إليه، ووقف بين ظهرائي القتلى، فقال: «أنا شهيد على هؤلاء، كفتوهم في دمائهم، فإنه ليس جرح يجرح في الله إلا جاء يوم القيامة يذمي، لونه لون الدم، وريحه ريح المسك قدموا أكثرهم قرأناً فاجعلوه في اللحد».

رواه ابن أبي شيبة رقم (٣٦٧٨٧) (٣٧٢/٧) قال البوصيري: رواه ثقات، وأورده النور في المجمع (١١٩/٦) برواية الطبراني وقال: رجاله رجال الصحيح. وقوله: «أنا شهيد على هؤلاء» رواه البخاري وغيره ويأتي.

[٢٨٠] وعن جابر رضي الله تعالى عنه قال: لما بلغ النبي ﷺ قتل حمزة بكى، فلما نظر إليه شهق.

أورده النور في المجمع (١١٨/٦)، وابن البزار (١٧٩٤) وقال: فيه عبدالله بن أبي عقيل وهو حسن الحديث على ضعفه.

قوله: «كأنه كميث» بفتح الكاف وكسر الميم أي: زق كبير وهو السقاء. وقوله: «معتجر» بضم الميم اسم فاعل اعتجر ومعناه مُلْفَفَ عمامته على وجهه. قوله: «عام عيين» أي: عام أحد لأن عينين جبل هنالك. قوله: «مقطعة البطور» وكانت تختن النساء والبطور جمع بظر وهي قطعة لحم تكون في أعلى وسط شفة فرج المرأة. قوله: «وكمئت له» أي: اختفيت. وقوله: «لا يهيج» بفتح الياء أي: لا ينالهم منه إزعاج. وقوله: «شهق» بفتح السين أي: ردّد نفسه من البكاء.

شاء الله عز وجل أن يُقتل سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب أسد

هذه الأمة بغزوة أحد على يد وحشي العبد الأسود، فيفقد النبي ﷺ والمسلمون أحد أبطال الإسلام الذي كانت له يد طولى في إعزاز الإسلام وتقوية المسلمين.

فها هو الآن يُقتل برمية رمح ثم يمثل به المشركون ويجدعون أطرافه ويقرنون بطنه ويُخرجون كبده آكلين منها، فيحزن عليه ابن أخيه الرسول الكريم ﷺ ويكي ويشق على فقدانه، وهو سيد الشهداء كما قال ﷺ: «سيد الشهداء حمزة بن عبدالمطلب، ثم رجل قام إلى أمير جائر فأمره ونهاه فقتله» رواه الحاكم وصححه، هذا وفي قوله ﷺ لقاتله وحشي: «فهل تستطيع أن تُغيبَ وجهك عني»، دليل على ما في طبيعة الإنسان وفطرته من كراهية من يسيء إليه أو إلى أحبته، فإن وحشياً وإن أسلم والإسلام يهدم ما قبله، فقد كان مكروهاً للنبي ﷺ حتى إنه حرّمه من مواجهته والنظر إلى طلعتة ﷺ، ولهذا كان كثير من أكابر الصحابة الأولين يكرهون أمثال أبي سفيان وخالد بن الوليد وعكرمة بن أبي جهل وأضرابهم ممن حاربوا النبي ﷺ والمسلمين وأسرفوا في الإساءة والإذابة للمسلمين، هذا مع إسلامهم وغفران ما سبق لهم؛ لأن الإساءة لا تُنسى فما فعله النبي ﷺ مع وحشي... هو من الأعراض البشرية التي لا تتخلف إلا نادراً.

✽ قتل مصعب بن عمير أول مهاجر في الإسلام

[٢٨١] عن خباب بن الأرت رضي الله تعالى عنه قال: هاجرنا مع رسول الله ﷺ ونحن نبغى وجه الله تعالى، فوقع أجرنا على الله، فمنا من مضى بسبيله لم يأكل من أجره شيئاً منهم مُصَعَّب بن عمير قتل يوم أحد ولم يترك إلا نمرّة، كنا إذا غطينا رأسه بدت رجلاه، وإذا غطينا رجليه بدت رأسه، فقال رسول الله ﷺ: «عظّوا رأسه واجعلوا على رجله من الإذخر»، ومنا من أينعت له ثمرته فهو يهدبها.

✽ ما حل برسول الله ﷺ
في هذه الغزوة من النكبات

[٢٨٣] عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: إن رسول الله ﷺ كُسِرَتْ رِبَاعِيَّتُهُ يَوْمَ أَحَدَ وَشَجَّ رَأْسَهُ، فَجَعَلَ يَسْلُتُ الدَّمَ عَنْهُ وَيَقُولُ: «كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ شَجَّوْا نَبِيَّهُمْ وَكَسَرُوا رِبَاعِيَّتَهُ وَهُوَ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ»، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾.

رواه أحمد (٢٥٣/٣، ٢٨٨)، ومسلم في السَّيَر (١٤٩/١٣)، والترمذي (٢٨١٠)، والنسائي في الكبرى (٣١٤/٦) كلاهما في التفسير، وابن جرير (٨٦/٤، ٨٧)، وابن أبي حاتم (٧٥٦/٣)، وعلقه البخاري في المغازي (٣٦٨/٨).

[٢٨٤] وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: اشتد غضب الله على من قتله النبي ﷺ اشتد غضب الله على قوم دموا وجه نبي الله ﷺ. وعن أبي هريرة نحوه رواهما البخاري (٣٧٥/٨)، والثاني عند مسلم أيضاً (١٥٠/١٢).

[٢٨٥] وعن عمر رضي الله تعالى عنه في قصة بدر، قال: فلما كان يوم أحد قتل منهم سبعون وقرؤا وكُسِرَتْ رِبَاعِيَّةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهَشَمَتْ الْبَيْضَةُ عَلَى رَأْسِهِ، وَسَالَ الدَّمُ عَلَى وَجْهِهِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿أَوْ لَمَّا أَصَبْتُمْ مِصْبِيَةً قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا﴾ الآية.

رواه أحمد (٣٠/١، ٣١) وغيره، وانظر ما سبق في غزوة بدر رقم (٢٢١).

[٢٨٦] وعن سهل بن سعد رضي الله تعالى عنه وسئل عن جرح رسول الله ﷺ قال: أما والله إنني لأعرف من كان يغسل جرح رسول الله ﷺ ومن كان يسكب الماء وبما دُوِيَ، قال: كانت فاطمة عليها السلام بنت رسول الله ﷺ تغسله وعلي بن أبي طالب يسكب الماء بالمِجَنِّ، فلما رأَتْ فاطمة أن الماء لا يزيد الدم إلا كثرة أخذت قطعة من

رواه أحمد (١١٢/٥)، والبخاري في المغازي (٣٥٨/٨، ٣٧٩) في غزوة أحد وفي مواضع كالجناز والرقاق، ومسلم (٩٤٠)، وأبو داود (٣١٥٥) كلاهما في الجناز، والترمذي في المناقب (٣٦٢١) والنسائي في الجناز.

قوله: «أينعت» أي: نضجت، وقوله: «يَهْدِيهَا» أي: يجنيها.

[٢٨٢] وعن عبدالرحمن بن عوف رضي الله تعالى عنه أنه أتى بطعام وكان صائماً، فقال: قُتِلَ مُضْعَبُ بْنُ عَمِيرٍ وَهُوَ خَيْرٌ مِنِّي كُفَّنَ فِي بَرْدَةٍ إِنْ غُطِّيَ رَأْسُهُ بِدَثِّ رَجُلَاهُ، وَإِنْ غُطِّيَ رَجُلَاهُ بِدَا رَأْسِهِ، وَأَرَاهُ قَالَ: وَقَتْلَ حَمْزَةَ وَهُوَ خَيْرٌ مِنِّي، ثُمَّ بُسِطَ لَنَا مِنَ الدُّنْيَا، أَوْ قَالَ: أُعْطِينَا مِنَ الدُّنْيَا مَا أُعْطِينَا وَقَدْ خَشِينَا أَنْ تَكُونَ حَسَنَاتُنَا عُجِّلَتْ لَنَا، ثُمَّ جَعَلَ يَبْكِي حَتَّى تَرَكَ الطَّعَامَ.

رواه أحمد (٤٠٤٥)، والبخاري في المغازي (٣٥٦/٨) وفي الجناز.

مصعب بن عمير رضي الله تعالى عنه فتى مكة شاباً وجمالاً، وكان أبواه يحبانه، وكانت أمه تكسوه أحسن ما يكون من الثياب، وكان أعطر أهل مكة، وكان رسول الله ﷺ يقول: «ما رأيت بمكة أحسن لمة ولا أرق خلة ولا أنعم نعمة من مصعب بن عمير» ذكره الحاكم (٢٠٠/٣)، ثم هداه الله للإسلام وترك كل ذلك، فكان من السابقين الأولين، وكان أول مهاجر إلى المدينة داعية ومعلماً... ولما قدم النبي ﷺ حضر معه بديراً ثم أحداً، فاستشهد بها، قتله عمرو بن قميئة الليثي، وكان لفقره وقلة يده لم يكن له سوى بردة، ولذلك لما أرادوا تكفينه لم تكفه بردته.

وفي الحديثين فضل خباب وعبدالرحمن بن عوف وتواضعهما وهضمهما أنفسهما حيث إن كلاهما فضل مصعباً على نفسه، وحديث ابن عوف يأتي في الرقاق.

حصير وأحرقتها وألصقتها فاستمسك الدم، وكسرت ربايعته يومئذ، وجرح وجهه، وكسرت البيضة على رأسه.

رواه أحمد (٣٣٠/٥، ٥٣٤)، والبخاري في المغازي (٣٧٥/٨)، ومسلم في السيرة (١٧٩٠ ج ١٢/١٤٨)، وابن ماجه (٣٤٦٤).

قوله: «ربايعته» هو بفتح الراء السن التي بين الثنية والناب. و«شج رأسه» أي: جرح. قوله: «وهشمت البيضة» أي: كسرت. وقوله: «يسكب الماء» أي: يصبه.

في هذه الأحاديث بيان ما أصاب النبي ﷺ في أثناء هذه الغزوة من النكبات والشدائد فكسرت سنه الشريفه، وجرح رأسه حتى سال الدم على وجهه المقدس، وذلك يدل على أن شؤم المعصية لا يختص بأصحابها، بل تعم المباشر لها والبريء، فإن سبب هذه المحنة التي نزلت بالصحابه وشملت حتى قائدهم حبيب الله ورسوله ﷺ كان مخالفة الرماة أصحاب الجبل لأوامر رسول الله ﷺ، ومخالفته تُوجب الفتنة والعذاب، كما قال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، ولذلك لما حصل ما حصل تعجبوا من ذلك وقالوا: كيف وقع لنا هذا ومعنا رسول الله ﷺ... فأجابهم الله تعالى بقوله: ﴿أَوْ لَمَّا أَصَبْتَكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِنْهَا قُلْتُمْ أَنَّا هَذَا﴾، أي: من أين جاءنا هذا وكيف وقع لنا. ﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ﴾ أي: أنتم تسببتم فيه بمخالفتكم، فكان ما كان وما أصيب به النبي ﷺ في هذه الغزوة هو سنة من السنن الإلهية في خلقه وليست مختصة به ﷺ، فهذا القرآن يقص علينا من خبر الأنبياء فيقول: ﴿وَكَايْنٍ مِّنْ نَّبِيِّ قَاتَلَ مَعَهُ رَبِّيُونَ كَثِيرٌ﴾، ويقول عن اليهود: ﴿وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّاتِ بَعْضَهُنَّ حَتَّىٰ﴾، إذا فنزول هذا البلاء بالنبي ﷺ ليس بغريب، فإن هنالك من إخوانه الأنبياء من قتل. وحديث ابن عباس يدل على أن من آذى نبياً من الأنبياء اشتد عليه غضب الله عز وجل، وفي حديث سهل بن سعد بيان أن مولانا فاطمة كانت مشاركة لأبيها في المحنة، فكانت حاضرة معه وهي ممن عالجت جرحه بالماء والحصير

المحروق بالنار، وسيأتي فصل خاص في بيان مواقف النساء في هذه الغزوة.

✽ دعاء رسول الله ﷺ على كفار أحد ولعنه إياهم

[٢٨٧] عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ يوم أحد: «اللهم العن أبا سفيان، اللهم العن الحارث بن هشام، اللهم العن سهيل بن عمرو، اللهم العن صفوان بن أمية»، فنزلت هذه الآية: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ الآية، فتيب عليهم كلهم. وفي رواية: فهداهم الله تعالى للإسلام.

رواه أحمد (٥٦٧٤، ٥٨١٢، ٥٩٩٧)، والبخاري في المغازي وفي التفسير (٣٩٣/٩)، والترمذي في التفسير (٢٨١١)، والنسائي في الكبرى (٣١٤/٦) وغيرهم.

في الحديث جواز الدعاء على الكفار ولعنهم بأعيانهم، وهذا من أدلة جواز لعن المعين، وخاصة إذا كان كافراً خلافاً لمن منع ذلك مطلقاً. وفي قوله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾، أي لا تملك لهم نفعاً فتصلحهم، ولا ضرراً فتهلكهم، فالإيجاد والإعدام والنفع والضرر والهداية والخذلان كل بيده تعالى.

✽ دفاع الأبطال عن رسول الله ﷺ:

الانصار السبعة

[٢٨٨] عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: أقر رسول الله ﷺ يوم أحد في سبعة من الأنصار ورجلين من قريش، فلما رهفوه قال: «من يردهم

عنا وله الجنة أو هو رفيقي في الجنة»، فتقدم رجل من الأنصار فقاتل حتى قُتِل، ثم رهقوه أيضاً فقال: «من يردهم عنا وله الجنة أو هو رفيقي في الجنة»، فتقدم رجل من الأنصار فقاتل حتى قُتِل، فلم يزل كذلك حتى قتل السبعة، فقال رسول الله ﷺ: «ما أنصفنا أصحابنا».

رواه مسلم في غزوة أحد من السير رقم (١٧٨٩ ج ١٣/١٤٧).
«رهقوه» بكسر الهاء أي: غشوه ودنوا منه.

لما انهزم المسلمون في أحد انكشفوا عن النبي ﷺ وفرّوا وولّوا مدبرين، وبقي النبي ﷺ في هؤلاء السبعة الأنصاريين مع رجلين من المهاجرين، فقاتل الأنصار السبعة دفاعاً عنه ﷺ حتى قُتِلوا جميعاً واحداً تلو الآخر، ولم يبق معه إلا الرجلان ثم بعد ذلك التفّ حوله جماعة يبلغون الاثني عشر وجعلوا يدافعون عنه ويحمونه ويقاتلون دونه، وممن كان لهم الحظّ الأوفر في ذلك اليوم الجماعة الآتون...

❁ دفاع طلحة بن عبيدالله بين يدي رسول الله ﷺ

[٢٨٩] عن جابر رضي الله تعالى عنه قال: لما كان يوم أحد وولّى الناس كان رسول الله ﷺ في ناحية في اثني عشر رجلاً منهم طلحة، فأدركهم المشركون، فقال النبي ﷺ: «من للمقوم؟» قال طلحة: أنا، قال: «كما أنت»، فقال رجل: أنا، قال: «أنت»، فقاتل حتى قتل، ثم التفّت فإذا المشركون فقال: «من لهم؟» قال طلحة: أنا قال: «كما أنت» فقال رجل من الأنصار: أنا، قال: «أنت»، فقاتل حتى قُتِل، فلم يزل كذلك حتى بقي مع نبيّ الله طلحة، فقال: «من للمقوم؟» قال طلحة: أنا، فقاتل طلحة قتال الأحد عشر حتى قُطِعَتْ أصابعه، فقال: حسس، فقال رسول الله ﷺ: «لو قلت باسم الله لرفعتك الملائكة والناس ينظرون»، ثم ردّ الله المشركين.

رواه النسائي في الجهاد باب ما يقول من يطعنه العدو وهو في «الكبرى» (ج ٢١/٣ ج ١٥٩/٦) بسند حسن صحيح.

هؤلاء أبطال آخرون قتلوا بين يدي رسول الله ﷺ دفاعاً عنه، ثم يخلفهم طلحة فيقاتل قتال عددهم حتى تُقَطع يده.

[٢٩٠] بل قال قيس بن أبي حازم رحمه الله تعالى: رأيت يد طلحة شلاءً وقى بها النبي ﷺ يوم أُحُد.

رواه أحمد (١/١٦١)، والبخاري في المغازي (٣٦٤/٨)، وابن ماجه (١٢٨).

قوله: «شلاء» بفتح الشين واللام المشددة الممدودة أي: أصابها شلّل وهو إبطال عملها.

وعن الزبير رضي الله تعالى عنه قال: كان على النبي ﷺ يوم أُحُد درعان، فنهض إلى الصخرة، فلم يستطع فقعد طلحة تحته حتى استوى على الصخرة، قال الزبير: فسمعت النبي ﷺ يقول: «أوجب طلحة».

رواه أحمد (١/١٦٥)، والترمذي في الجهاد (١٥٥٢) بتهذيب وفي المناقب (٣٥٠٩)، والحاكم (٣/٣٧٤) وصححه ووافقه الذهبي.

«أوجب طلحة» أي: أوجب لنفسه الجنة بثباته واستماتته في القتال والصمود للعدوّ، فطلحة بن عبيدالله كان من الذين ثبتوا وحموا رسول الله ﷺ وقاتلوا المشركين دونه. قالت عائشة رضي الله تعالى عنها: كان أبو بكر إذا ذُكِر يوم أُحُد قال: كان ذلك اليوم كله لطلحة، قال: كنت أول من فاء فرأيت رجلاً يقاتل عن رسول الله ﷺ قال: فقلت: كُنْ طلحة حيث فاتني ما فاتني، فقلت: يكون رجلاً من قومي وبينني وبينه رجل من المشركين، فإذا هو أبو عبيدة فانتبهنا إلى رسول الله ﷺ فقال: «دونكما صاحبكما» يريد طلحة، قال: فإذا به يضع وسبعون أو أقلّ أو أكثر بين طعنة ورمية وضربة، وإذا قد قطعت أصبعه فأصلحنا من شأنه، ذكره الطيالسي (٢٣٤٦ منحة) مطوّلاً.

❁ دفاع سعد بن أبي وقاص

[٢٩١] عن أبي عثمان النهدي قال: لم يبق مع النبي ﷺ في تلك الأيام التي كان يقاتل فيهن غير طلحة وسعد.

رواه البخاري في المغازي (٣٦٢/٨) وفي المناقب، ومسلم في الفضائل.

وقوله: «لم يبق» الخ، هذا محمول على بعض الأحوال في تلك المشاهد لما سبق من السبعة الذين قاتلوا دونه حتى قُتلوا، ومن الأحد عشر الذين قتلوا وطلحة حاضر ومما سبق ويأتي بأنه لم يبق مع النبي ﷺ إلا اثنا عشر، فهذا كله يدل على أنه كانت في ذلك اليوم مشاهد عدة.

[٢٩٢] وعن علي رضي الله تعالى عنه قال: ما سمعت النبي ﷺ يجمع أبويه لأحد إلا لسعد بن مالك فإني سمعته يقول يوم أحد: «يا سعد إزم فداك أبي وأمي».

رواه أحمد (٢٩/١، ١٢٤، ١٣٦، ١٣٧)، والبخاري في المغازي (٣٦٢/٨)، ومسلم في الفضائل (١٨٢/١٥، ١٨٣)، والترمذي (٣٥٢٥)، وابن ماجه (١٢٩).

[٢٩٣] وعن سعد نفسه قال: جمع لي رسول الله ﷺ يوم أحد أبويه كلاهما، يريد حين قال: «فداك أبي وأمي» وهو يقاتل...

رواه البخاري في المغازي (٣٦٢/٨) وغيره.

[٢٩٤] وعنه في رواية: نزل لي النبي ﷺ كِنَانَتَهُ يوم أحد، فقال: «إزم فداك أبي وأمي». وفي رواية: كان رجل من المشركين قد أحرق المسلمين، فقال له النبي ﷺ: «إرم فداك أبي وأمي»، قال: فنزعت له بسهم ليس فيه نصل فأصبت جنبه فسقط فانكشفت عورته، فضحك لي رسول الله ﷺ حتى نظرت إلى نواجزه.

رواه البخاري (٣٦٢/٨)، ومسلم في الفضائل (١٨٤/١٥، ١٨٥) والرواية الأخيرة له.

«نزل» أي: استخرج ما فيها. و«الكنانة» جعبة السهام والنشاب. «أحرق المسلمين» أي: بالغ في قتلهم.

سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه من الذين كانت لهم اليد الطولى في حماية رسول الله ﷺ في هذا اليوم ولشدة دفاعه وقتاله دون النبي ﷺ واستماتته جمع له النبي ﷺ أبويه فداءً له، وهذه مزية لم ينلها غيره في هذا اليوم.

❁ أبو طلحة الأنصاري وشهامته

[٢٩٥] عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: لما كان يوم أحد انهزم ناسٌ عن رسول الله ﷺ وأبو طلحة بين يديه مُجَوَّبٌ عليه بِحَجَفَةٍ له، وكان أبو طلحة رجلاً رامياً شديد النزع كسر يومئذ قوسين أو ثلاثاً، وكان الرجل يمرُّ معه بِجَعْبَةٍ من النَّبْلِ، فيقول رسول الله ﷺ: «انثرها لأبي طلحة»، ويشرف النبي ﷺ ينظر إلى القوم، فيقول أبو طلحة: بأبي أنت وأمي لا تُشرف يُصنك سهمٌ من سهام القوم نحري دون نحرك.

رواه أحمد (١٠٥/٣، ٢٥٦، ٢٨٦)، والبخاري في المغازي (٣٦٥/٨)، ومسلم في الجهاد والسير (١٨٩/١٢).

قوله: «مجبوب عليه» أي: مترس عنه. «بحجفة» بفتح الحاء وهو الترس والدرقة من الجلد. وقوله: «شديد النزع» أي: شديد الرمي.

أبو طلحة هذا هو زوج أم سليم والدة أنس وهو صاحب بيرحاء رضي الله تعالى عنه، وكان ممن أبلى بلاءً شديداً في يوم أحد دفاعاً عن الرسول الأعظم وحمايةً له ﷺ من المشركين عليهم لعائن الله.

✽ نزول الملائكة وقتالهم دون النبي ﷺ

[٢٩٦] عن سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه قال: رأيت على يمين رسول الله ﷺ وعلى شماله يوم أُحُدٍ رجلين عليهما ثيابٌ بياضٍ يقاتلان عنه كأشدِّ القتال ما رأيتهما قبل ولا بعد، يعني جبريل وميكائيل عليهما السلام.

رواه البخاري في المغازي (٣٦١/٨) وغيره، ومسلم في الفضائل (٦٧/١٥).

الدفاع عن الرسول ﷺ لم يكن خاصاً بالأبطال من أصحابه الذين قدّموا أرواحهم بين يديه واستماتوا دونه، بل شارك في ذلك ملائكة الله الكرام عليهم سلام الله، فهذان جبريل وميكائيل قد نزلا ليشاركا في حماية رسول الله ﷺ، وماذا يغني بضعة عشر رجلاً أو العشرات والمئين مع ثلاثة آلاف مقاتل من المشركين كلهم هدفهم الأعظم هو قتل النبي ﷺ وكبار أصحابه وأنصاره، وقد انكشف عنه أصحابه وفرّوا؛ ولذا فقد شاء الله عز وجل أن يُمدّ رسوله ﷺ ببعض كبار سلاطين الملائكة للقتال دونه حتى لا يصل إليه أحد من الكفار، ولذا بقي محمياً حتى انصرف المشركون.

✽ دور النساء الصحابيات في أحد

[٢٩٧] عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: ولقد رأيت عائشة بنت أبي بكر، وأم سليم، وإنهما لمُشْمِرتانِ أرى خَدَمَ سوقهما تَنْقُزانِ القِرْبَ على مُتُونِهما تفرغانه في أفواه القوم، ثم ترجعان فتملأنها ثم تجيئان تفرغانه في أفواه القوم...

رواه البخاري رقم (٢٨٨٠، ٤٠٦٤) في المغازي، ومسلم رقم (١٨١١) وقد تقدم بعضه رقم (٢٩٥).

قوله: «خدم سوقهما» بفتحيتين جمع خدمة وهي الخلاخل أو أصل السوق، والسوق جمع ساق. وقوله: «تَنْقُزانِ القرب»... إلخ أي: تسرعان المشي، وفي رواية عند البخاري: تزفران أي تحملان القرب الثقال على ظهورهما، وفي رواية: تنقلان القرب...

[٢٩٨] وعن عمر رضي الله تعالى عنه أنه قسم مُرُوطاً بين نساء من نساء أهل المدينة، فبقي منها مِرْطٌ جيّد، فقال له بعضُ مَنْ عنده: يا أمير المؤمنين اغطِ هذا بنتَ رسول الله ﷺ التي عندك - يريدون أم كلثوم - بنت علي رضي الله تعالى عنهما، فقال عمر: أم سَلِيْطٍ أَحَقُّ منها، وأم سَلِيْطٍ من نساء الأنصار ممن بايع رسول الله ﷺ، قال عمر: فإنها كانت تزفر لنا القرب يوم أحد...

رواه البخاري في المغازي (٣٦٩/٨).

وتقدم حديث سهل بن سعد وأن مولاتنا فاطمة عليها السلام كانت تداوي النبي ﷺ من جراحته مع زوجها الإمام علي عليه السلام، انظر رقم (٢٨٦). في هذه الأحاديث بيان موقف بعض النساء المؤمنات من هذه الغزوة وأنهن كن يتولين سقي الماء لشرب المقاتلين، كمولاتنا عائشة وأم سليم والدة أنس بن مالك وأم سَلِيْطٍ والدة أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنهن، كما أن سيّدتنا فاطمة عليها السلام كانت تداوي رسول الله ﷺ وتغسل عنه الدم، ولم يكن يشارك الرجال في القتال، كما جاء في أحاديث أخرى أنهم كن يداوين الجرحى ويسقين الماء، كما تقدم بعض ذلك في الجهاد. وقوله: إنهما لمُشْمِرتان، هذا كان قبل نزول الحجاب اتفاقاً.

✽ امرأة أصيب أبوها وأخوها وزوجها ولم تبال بذلك

وتسال عن رسول الله ﷺ

[٢٩٩] عن سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه قال: مرّ رسول الله ﷺ بامرأة من بني ديار وقد أصيب زوجها وأخوها وأبوها مع

رسول الله ﷺ بأحد، فلما نُعوا لها قالت: فما فعل رسول الله ﷺ؟ قالوا: خيراً يا أمّ فلان، هو بحمد الله كما تحيين، قالت: أرونيّه حتى أنظر إليه؟ قال: فأشير لها إليه حتى إذا رآته قالت: كلُّ مصيبةٍ بعدك جَلَلٌ، تريد صغيرة.

رواه ابن إسحاق كما عند ابن هشام والطبري في التاريخ (٥٣٣/٢)، والبيهقي في الدلائل (٣٠٢/٣) كلاهما من طريق ابن إسحاق وسنده حسن صحيح.

هذا فناء في محبة الرسول الكريم ﷺ من هذه السيدة الصالحة؛ تفقد زوجها وأخاها وأباها، وهؤلاء هم أحبة المرء، وقد علمت بإصابتهم فلم يهدأ لها بال حتى عرفت نجاة رسول الله ﷺ، وأنه لم يُصَبْ بما يسوءها، فقالت عندئذ: كل ما يصاب به المرء مع سلامتك هو شيء صغير، وهذه نهاية المحبة التي تدلّ على كمال الإيمان؛ لقوله ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحبّ إليه من ماله وأهله والناس أجمعين»، وتقدم في الإيمان (ج ١ رقم ١٨٢).

* طريقة دفن الشهداء والصلاة عليهم وعددهم وأسمائهم: الأمر بدفنهم في مضاجعهم

[٣٠٠] عن جابر رضي الله تعالى عنه قال: إن قتلى أحد حُمِلوا من مكانهم، فنادى منادي رسول الله ﷺ: أن رُدُّوا القَتلى إلى مَضَاجِعِهَا. وفي رواية: لما كان يوم أحد جاءني عمّتي بأبي لتدفنه في مقابرنا، فنادى منادي رسول الله ﷺ: «رُدُّوا القَتلى إلى مضاجعها».

رواه أحمد (٣٠٨/٣)، وأبو داود (٣١٦٥)، والنسائي كلاهما في الجنائز، والترمذي في الجهاد (١٥٧٥) بهذيبي، وابن ماجه (١٥١٦)، وابن حبان (١٩٦) بالموارد وحسنه الترمذي وصححه.

ففيه دليل على أن القتلى في المعركة يدفنون في مضاجعهم التي صرعوا فيها ولا يتقلون لغيرها.

* كيفية دفن الشهداء وهل يصلّى عليهم وكيف يُكفّنون؟

[٣٠١] عن جابر رضي الله تعالى عنه قال: إن رسول الله ﷺ كان يجمع بين الرجلين من قتلى أحد في ثوب واحد، ثم يقول: «أينهم أكثر أخذاً للقرآن؟» فإذا أشير له إلى أحد فدَمَهُ في اللُخْدِ، وقال: «أنا شهيد على هؤلاء يوم القيامة»، وأمر بدفنهم بدمائهم، ولم يُصَلَّ عليهم ولم يُعَسَّلُوا.

رواه أحمد (٤٣١/٥)، والبخاري في المغازي (٣٧٨/٨) وفي الجنائز، والترمذي (٩٢٢)، وأبو داود (٣١٣٨)، والنسائي في الكبرى (٦٣٥/١)، وابن ماجه (١٥١٤) أربعهم في الجنائز.

[٣٠٢] وعن أنس رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ مرّ بحمزة يوم أحد، وقد مُثِّلَ به فوقف عليه، فقال: لولا أنني أخشى أن تجد صفة في نفسها لتركته حتى تأكله العافية فيُخَشَّر من بطونها، ثم دعا بتمرّة فكانت إذا مدت على رأسه بدت رجلاه، وإذا مدت على رجله بدا رأسه، فقال رسول الله ﷺ: «مدوها على رأسه، واجعلوا على رجله الحرمل»، وقلت الثياب وكثرت القتلى، فكان الرجل والرجلان والثلاثة يُكفّنون في الثوب، وكان ﷺ يسأل أيّهم أكثر قرآناً فيقدمه.

وفي رواية: أن شهداء أحد لم يُعَسَّلُوا ودُفِنُوا بدمائهم ولم يُصَلَّ عليهم.

وفي رواية: أن النبي ﷺ مرّ بحمزة وقد مُثِّلَ به ولم يُصَلَّ على أحد من الشهداء غيره وهي رواية شاذة!

رواه أحمد (١٢٨/٣)، وابن أبي شيبة (٣٦٧٥٢) في المغازي، وأبو داود (٣١٣٥، ٣١٣٦، ٣١٣٧)، والترمذي في الجنائز (٩٠١) بتهذيبي، والطحاوي في معاني الآثار (٥٠٢/١، ٥٠٣)، والحاكم (٣٦٥/١)، والبيهقي في الكبرى (١٠/٤، ١١) بعضهم مطولاً وبعضهم مختصراً، وصححه الحاكم على شرط مسلم ووافقه الذهبي.

[٣٠٣] وعن عُقْبَةَ بنِ عامر رضي الله تعالى عنه قال: صَلَّى رسول الله ﷺ على قتلى أُحُد بعد ثمانين سنين كالمُودَع للأحياء والأموات... وفي رواية: صَلَّى على أهل أُحُد صلواته على الميت.

رواه أحمد (١٤٩/٤، ١٥٣، ١٥٤)، والبخاري في الجنائز (٤٥٤/٣) وفي المغازي (٣٥٢/٨)، ومسلم في الفضائل في إثبات حوض نبينا ﷺ (٥٧/١٥) وغيرهم ويأتي في الرقائق.

قوله: «تأكله العافية» أي: السباع والطيور... وقوله: «أن تجد صفة في نفسها» صفة هذه أخت حمزة وعمّة النبي ﷺ.

في حديثي جابر وأنس أحكام تتعلق بالشهيد نجمها في الآتي:

أولاً: إن كثر القتلى وقلّت الثياب جمعوا وأدرجوا في ثوب واحد الاثنان والثلاثة...

ثانياً: إن كان للواحد منهم ثوب أدرج فيه، فإن قُصِرَ عن تمام جسمه غُطِّيَ رأسه وما بقي من بدنه، فإن بدا شيء من رجله أُلْقِيَ عليهما أوراق الأشجار والنبات.

ثالثاً: يدفن الشهيد بدمه فلا يُغَسَّلُ لأنه سيبعث كذلك، فيكون الدم كصفته لكن ريحه ريح المسك.

رابعاً: لا يُصَلَّى على الشهيد إذا قُتِلَ في المعركة، وهذا مذهب الجمهور وهو قول مالك والشافعي وأحمد، وذهب أبو حنيفة إلى مشروعية الصلاة عليه مستدلاً بأحاديث، لكنها كلها ضعيفة. قال النووي في شرح

المهذب (٢٢٤/٥): فاتفق أهل الحديث على ضعفها كلّها إلا حديث عقبة بن عامر... وانظر البدر المنير للحافظ ابن الملقن (٢٤٣/٥) إلى (ص ٢٥٠)، فقد أفاض في بيان ضعف ذلك، وذكر نقولاً في الموضوع عن العلماء.

أما ما جاء في بعض ألفاظ حديث أنس... ولم يصلّ على أحد من الشهداء غيره - يعني حمزة - فهذه الرواية شاذة غير محفوظة، كما قال البخاري والترمذي والبيهقي وغيرهم. انظر علل الترمذي وسنن البيهقي وفتح الباري (٤٥٣/٣، ٤٥٤).

خامساً: قد نقل البيهقي في معرفة السنن (١٤٣/٣، ١٤٧) عن الشافعي أن الأحاديث جاءت متواترة بأن النبي ﷺ لم يصلّ على الشهداء.

وقال في الخلافيات: لا يصحّ عنه ﷺ أنه صَلَّى على أحد من شهداء أُحُد لا على حمزة ولا على غيره.

سادساً: أما حديث عقبة، فقال في البدر المنبر (٢٤٨/٥) أجاب الحفاظ عنه بأن المراد بالصلاة الدعاء، وقوله: صلواته على الميت دعا لهم كدعاء صلاة الميت، قال: وهذا التأويل متعين وليس المراد صلاة الجنائز المعروفة بالإجماع، فإنه ﷺ إنما فعله بعد موتهم بثمان سنين، ولو كان صلاة الجنائز لما أخرجها ثمان سنين... وأصله للنووي في المجموع (٢٢٤/٥، ٢٢٥) وهو أيضاً في الفتح للحافظ في الجنائز (٤٥٤/٣).

سابعاً: في الحديث مشروعية دفن الشهداء دفناً جماعياً ثلاثاً وأكثر... في قبر واحد إذا كُثِرَ القتلى.

ثامناً: في ذلك سنية تقديم الأقرأ للقرآن على غيره في اللّخذ لجهة القبلة، وذلك يُعدّ من فضائل حَمَلَةِ القرآن، وكم لهم من فضائل جعلنا الله تعالى من أكرمهم عنده وأحبهم لديه، آمين.

✽ ثناء النبي ﷺ على ربه ودعاؤه بعد انتهاء المعركة

[٣٠٤] عن عبيد الله بن رفاعة الزُرقي رضي الله تعالى عنه قال: لما كان يوم أُحُد وانكفأ المشركون، قال رسول الله ﷺ: «اسْتَوْوُوا حَتَّى أَتِيَّ عَلَى رَبِّي»، فصاروا خَلْفَهُ صُفُوفًا، فقال: «اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ كُلُّهُ، اللَّهُمَّ لَا قَابِضَ لِمَا بَسَطْتَ، وَلَا بَاسِطَ لِمَا قَبَضْتَ، وَلَا هَادِيٍّ لِمَا أَضَلَلْتَ، وَلَا مُضِلٍّ لِمَنْ هَدَيْتَ، وَلَا مُغْطِيٍّ لِمَا مَنَعْتَ، وَلَا مَانِعٍ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلَا مُقَرَّبٍ لِمَا بَاعَدْتَ، وَلَا مُبْعَدٍ لِمَا قَرَّبْتَ، اللَّهُمَّ ابْسُطْ عَلَيْنَا مِنْ بَرَكَاتِكَ، وَرَحْمَتِكَ، وَفَضْلِكَ، وَرِزْقِكَ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ النِّعِيمَ الْمُقِيمَ الَّذِي لَا يَحُولُ وَلَا يَزُولُ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ النِّعِيمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَالْأَمْنَ يَوْمَ الْخَوْفِ، اللَّهُمَّ إِنِّي عَائِدٌ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا أَعْطَيْتَنَا، وَشَرِّ مَا مَنَعْتَ مِنَّا، اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الْإِيمَانَ وَزَيِّنْهُ فِي قُلُوبِنَا، وَكْرَهْ إِلَيْنَا الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ وَاجْعَلْنَا مِنَ الرَّاشِدِينَ، اللَّهُمَّ تَوْفِنَا مُسْلِمِينَ وَأَخِينَا مُسْلِمِينَ وَأَلْحِقْنَا بِالصَّالِحِينَ، غَيْرَ خَزَايَا وَلَا مَفْتُونِينَ، اللَّهُمَّ قَاتِلِ الْكُفْرَةَ الَّذِينَ يَكْذِبُونَ رُسُلَكَ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِكَ، وَاجْعَلْ عَلَيْهِمْ رِجْزَكَ وَعَذَابَكَ، اللَّهُمَّ قَاتِلِ الْكُفْرَةَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ، إِلَهَ الْحَقِّ».

رواه أحمد (٤١٤/٣)، والحاكم (٥٠٧/١) (ج ٢٣/٣، ٢٤) وصححه على شرطهما ووافقه الذهبي في الوضع الثاني، وأورده النور (١٢١/٦)، (١٢٢) برواية أحمد، والبزار (١٨٠٠) وقال: رجاله رجال الصحيح.

هذا دعاء عظيم كلّه توحيد وتمجيد لله عزّ وجلّ وثناء عليه والتجاء إليه وإلحاح في الدعاء وتكرار فيه، وتنوّع من الأسئلة والمطالب، وهو من الجوامع في ذلك.

فيه مشروعية الدعاء عقب الفراغ من المعارك مع الكفار، وبالأخصّ إذا وقعت للمسلمين هزيمة.

✽ الشهداء أحياء عند ربهم يرزقون

[٣٠٥] عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «لَمَّا أُصِيبَ إِخْوَانُكُمْ بِأَحَدٍ جَعَلَ اللَّهُ عِزَّ وَجَلَ أَرْوَاحِهِمْ فِي أَجْوَابِ طَيْرٍ خُضِرَ تَرْدُ أَنْهَارِ الْجَنَّةِ تَأْكُلُ مِنْ ثَمَارِهَا وَتَأْوِي إِلَى قَنَادِيلَ مِنْ ذَهَبٍ فِي ظِلِّ الْعَرْشِ، فَلَمَّا وَجَدُوا طَيْبَ مَشْرِبِهِمْ وَمَأْكَلِهِمْ وَحُسْنَ مُنْقَلَبِهِمْ قَالُوا: يَا لَيْتَ إِخْوَانُنَا يَعْلَمُونَ بِمَا صَنَعَ اللَّهُ لَنَا، لَعَلَّآ يَزْهَدُوا فِي الْجِهَادِ وَلَا يَنْكَلُوا عَنِ الْحَرْبِ، فَقَالَ اللَّهُ عِزَّ وَجَلَ: «أَنَا أَبْلَغُهُمْ عَنْكُمْ»، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عِزَّ وَجَلَ هَؤُلَاءِ الْآيَاتِ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ: «وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ ﴿١﴾ الْآيَةَ».

رواه أحمد (٢٦٥/١)، وأبو داود في الجهاد (٢٥٢٠)، وابن أبي شيبة (٣٦٧/٥)، والحاكم (٨٨/٢، ٢٩٧) وصححه الحاكم على شرط مسلم ووافقه الذهبي.

[٣٠٦] وعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه أنه سُئِلَ عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ: «وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴿٢﴾»، قَالَ: «أَمَّا إِنَّا سَأَلْنَا عَنْ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: «أَرْوَاحُهُمْ فِي جَوْفِ طَيْرٍ خُضِرَ لَهَا قَنَادِيلُ مَعْلَقَةٌ فِي الْعَرْشِ تَسْرُخُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ شَاءَتْ، ثُمَّ تَأْوِي إِلَى تِلْكَ الْقَنَادِيلِ، فَاطَّلَعَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ أَطْلَاعَةً، فَقَالَ: هَلْ تَشْتَهُونَ شَيْئًا؟ فَقَالُوا: أَيُّ شَيْءٍ نَشْتَهُي وَنَحْنُ نَسْرُخُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ شِئْنَا، فَفَعَلَ بِهِمْ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَلَمَّا رَأَوْا أَنَّهُمْ لَنْ يَتْرَكُوا مِنْ أَنْ يَسْأَلُوا، قَالُوا: يَا رَبِّ نَرِيدُ أَنْ تَرُدَّ أَرْوَاحَنَا فِي أَجْسَادِنَا حَتَّى نَقْتَلَ فِي سَبِيلِكَ مَرَّةً أُخْرَى، فَلَمَّا رَأَى أَنْ لَيْسَ لَهُمْ حَاجَةٌ تَرْكُوا».

رواه ابن أبي شيبة ومسلم في الإمارة (٣٠/١٣، ٣١)، والترمذي في التفسير (٢٨١٧)، وابن ماجه (٢٨٠١) والدارمي وغيرهم.

الحديثان يدلّان على أن الشهداء يدخلون الجنة الآن ويتنعمون فيها ويسرحون منها حيث شاءوا، وأن أرواحهم في جوف طير خضر خلقها الله

عز وجل لهم، وأنها عندما تنتهي من سرحها في الجنة تأتي فتأوي إلى قناديل معلقة بالعرش. أما أجسادهم فهي في مضاجعها من الأرض لا تتغير ولا يأكلها التراب.

والقرآن الكريم نص في هذه الآية من آل عمران، وفي سورة البقرة بأنهم أحياء يُرزقون، وقد تقدّمت أحكام الشهداء في الجهاد.

✽ عدد شهداء أحد وبعض أسمائهم

[٣٠٧] عن أبي بن كعب رضي الله تعالى عنه قال: إنه أصيب من الأنصار يوم أحد أربعة وستون، وأصيب من المهاجرين ستة، فيهم حمزة فمثّلوا بقتلاهم، فقالت الأنصار: لئن أصبنا منهم يوماً من الدهر لثُرْبَيْنَ عليهم، فلما كان يوم فتح مكة نادى رجل لا يعرف: لا قریش بعد اليوم مرتين، فأنزل الله عز وجل على نبيه ﷺ: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾، فقال النبي ﷺ: «كُفُّوا عَنِ الْقَوْمِ».

رواه الترمذي في التفسير (٢٩٢٧)، وأحمد (١٣٥/٥)، وابن حبان (١٦٩٥)، والحاكم (٣٥٩/٢، ٤٤٦) وصححه ووافقه الذهبي، ورواه أيضاً النسائي في الكبرى (٣٧٦/٦) وحسنه الترمذي أيضاً وصححه.

وتقدم حديث البراء... فأصابوا مئة سبعين، وكان رسول الله ﷺ وأصحابه قد أصابوا من المشركين يوم بدر أربعين ومائة سبعين أسيراً وسبعين قتيلاً، رواه البخاري.

في الحديثين أن شهداء أحد كانوا سبعين شهيداً أكثرهم من الأنصار؛ إذ لم يقتل من المهاجرين إلا ستة نفر، منهم: حمزة بن عبدالمطلب، ومصعب بن عمير، وعبدالله بن جحش، وربيعه بن أئثم. وأشهر من قُتل من الأنصار: عبدالله بن حرام والد جابر بن عبدالله، وسعد بن الربيع،

وحنظلة بن أبي عامر غسيل الملائكة، وعمرو بن الجموح، وأنس بن النضر... رضي الله تعالى عنهم جميعاً، والحديث يأتي مرة أخرى في فتح مكة.

✽ خلاصة هذه الغزوة بصفة عامة

أولاً: إن هذه الغزوة تعتبر من أخطر الغزوات على النبي ﷺ وعلى المسلمين حيث هاجمهم الكفار في عُقر دارهم، وجاءوا بجيش كثيف عرمرم مؤلف من ثلاثة آلاف مدجج، ومعهم مائتا فرس، وثلاثة آلاف بعير، ولولا لطف الله وعنايته لهاجموا المدينة وفعلوا بها الأفاعيل.

ثانياً: خروج النبي ﷺ إلى الكفار، كان أحسن وأسد رأياً من القعود بالمدينة حتى يُهاجمهم الكفار.

ثالثاً: كان في رجوع المنافقين وخذلانهم للنبي ﷺ حكمة بالغة؛ إذ بذلك مَحَصَّ الله عز وجل المؤمنين وميَّز بينهم وبين المنافقين الكذابين.

رابعاً: ما فعله ﷺ من وضع خمسين رامياً على الجبل يحرسون المسلمين فيه من براعته العسكرية وعبقريته ما لا يخفى.

خامساً: كانت وصيته للرماة بأن لا يبرحوا مكانهم، وإن حصل ما حصل من النصر أو الهزيمة وصية عالم بارع بالشؤون الحربية.

سادساً: كانت المرحلة الأولى من المعركة حليفة المسلمين؛ إذ انتصروا على الكفار الكثير عددهم انتصاراً باهراً من أوّل وهلة، فانهزم المشركون أمامهم هاربين برجالهم ونسائهم والمسلمون وراءهم يضربون ويقتلون ويغتمون، وكان ذلك نتيجة طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ، وهذه المرحلة هي التي تحدّثت عنها الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ﴾، تحسونهم أي تقتلونهم، فكان الله

﴿تصعدون﴾ قُرئت بفتح التاء من الصعود وبضمها بمعنى تصعدون في الأرض فازين، وقوله: ﴿وَلَا تَكُونُوا عَلَى أَحَدٍ﴾ أي: لا تُعْرَجُونَ ولا تقيمون مع أحد.

ثاني عشر: وتأتي هنا أيضاً معجزة أخرى، وهي ما في الحديث التالي:

[٢٠٨] عن أبي طلحة رضي الله تعالى عنه قال: عَشِينَا وَنَحْنُ فِي مَصَافِنَا يَوْمَ أُحُدِ النَّعَاسِ، قَالَ: فَجَعَلَ سَيْفِي يَسْقُطُ مِنْ يَدِي وَأَخَذَهُ، وَيَسْقُطُ مِنْ يَدِي فَأَخَذَهُ، وَالطَّائِفَةُ الْآخَرَى الْمَنَافِقُونَ لَيْسَ لَهُمْ هَمٌّ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ أَجْبِنُ قَوْمٌ وَأَزْعَبُهُ وَأَخَذْلُهُ لِلْحَقِّ. وَفِي رَوَايَةٍ: كُنْتُ فِيمَنْ تَغْشَاهُ النَّعَاسُ يَوْمَ أُحُدٍ حَتَّى سَقَطَ سَيْفِي مِنْ يَدِي مَرَاراً وَأَخَذَهُ، وَيَسْقُطُ وَأَخَذَهُ. وَفِي رَوَايَةٍ: رَفَعْتُ رَأْسِي يَوْمَ أُحُدٍ فَجَعَلَتْ أَنْظُرُ وَمَا مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ أَحَدٌ إِلَّا يَمِيدُ تَحْتَ حَجَفَتِهِ مِنَ النَّعَاسِ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَدِّ أَلْفٍ مِّنَ أُمَّةٍ نُّعَاسًا﴾.

رواه أحمد (٢٩/٤)، والبخاري في المغازي (٣٦٧/٨)، والترمذي في التفسير (٢٨١٣، ٢٨١٤)، والنسائي في الكبرى (٣١٦/٦) ونحوه عن الزبير أشار إليه الترمذي ورواه ابن راهويه كما في المطالب العالية (٤٣١٥) وسنده جيد كما قال البوصيري، وقال الترمذي: حسن صحيح...

فالآية والحديث يشيران إلى ما وقع للصحابة من النعمة والرفق واللطف بهم حيث أخذهم النعاس والأمان بعد الغم الذي أصابهم، وأن ذلك كان خاصاً بالمؤمنين الصادقين. أما غيرهم من أهل الريب، فكانوا خائفين مرعوبين لا يهتمهم شيء إلا نجاة أنفسهم دون النبي ﷺ وأصحابه، ولذلك لم يصبهم نعاس.

فهذه معجزة ظاهرة إذ الوقت كان وقت خوف من هجوم المشركين، ورغم ذلك ألقى الله عليهم النعاس لطفاً بهم من الله تعالى وإكراماً للنبي ﷺ.

ثالث عشر: وقد ظهرت في هذه المحنة شهامة جمع من أبطال

الصحابة واستماتتهم في الدفاع عن النبي ﷺ وحمائته من الأعداء، وكان أشدهم بلاء في ذلك سعد بن أبي وقاص، وطلحة بن عبيدالله، وهما من المهاجرين والسابقين ومن العشرة المبشرين بالجنة ثم السبعة الأنصار الذين أفردوا مع رسول الله ﷺ ورجلين من قريش، فقتل الأنصار السبعة دون رسول الله ﷺ ثم الأحد عشر الذين قتلوا بعد دفاع وقتال حماية لرسول الله ﷺ، وكان من أشدهم قتالاً ودفاعاً عن رسول الله ﷺ في ذلك اليوم طلحة بن عبيدالله وأبو طلحة الأنصاري رضي الله تعالى عنهما وعن جميع الصحابة.

رابع عشر: وكان نزول الملائكة في هذه الغزوة من تأييد الله عز وجل ونصره لرسوله ﷺ وللمؤمنين، وإمداداً لهم. وسلك الله تعالى معهم في ذلك طريق الأسباب، وإلا فكان في قدرة الله وإرادته أن ينصرهم ويدفع عنهم الأعداء بلا قتال ولا لجوء لنزول الملائكة، لكن الله عز وجل له سنن في كونه لا تتخلف، كما قال تعالى: ﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَلَنْ يَحْدِلَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَبْدِيلًا﴾.

خامس عشر: كان من نتائج هزيمة الصحابة في هذه الغزوة إعجاب الكفار وزهوهم بما حصل لهم من النصر وانهزام الصحابة، كما يتجلى ذلك في كلمة أبي سفيان التي نادى بها النبي ﷺ وصاحبيه الصديق والفارق رضي الله تعالى عنهما، حيث اعتز بأصنامه القذرة وقال: «اغْلُ هُبَل»، وقوله: «إِنَّ لَنَا الْعُزَّى وَلَا عُزَى لَكُمْ»، وقوله مُتَّبِحاً مع غرور: «يَوْمَ يَبْؤُمِ بَدْرٍ وَالْحَرْبُ سِجَالٌ».

وكان إلى جانب هؤلاء المشركين شماتة جماعة من المنافقين بالمسلمين وما نزل بهم وجعلوا يعيرون من خرج إلى أحد ورجع فاراً، وقالوا: ﴿كَلُوا كَالْوَأْدِ عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا﴾، وقال تعالى عنهم: ﴿الَّذِينَ قَالُوا لَاخِزْيَانَهُمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا﴾...

سادس عشر: فيما فعله أنس بن النضر، وسعد بن الربيع من الصمود واقحام جيش الكفار وقتالهما وصبرهما حتى أثننا وأجهز عليهما، رغم ما

عز وجل ذكره: ﴿فَاتَّقِلُوا بِنِعْمَةِ رَبِّكُمْ وَتَشْكُرُوا لَهَا﴾ الآية.

رواه النسائي في الكبرى (٣١٧/٦)، وابن أبي حاتم (٣١٦/٣)، وابن جرير (١٨٠/٤) كلهم في التفسير وسنده صحيح، ورواه الطبراني في الكبير (١٦٣٢) كما أورده الهيثمي (١٢١/٦)، وقال: رجاله رجال الصحيح غير محمد بن منصور الجواز وهو ثقة، والحديث صححه الحافظ والسيوطي وغيرهما ولا يعلل بإرساله.

لما رجع النبي ﷺ مساء يوم السبت إلى المدينة، وبات الصحابة يداوون جراحاتهم بلغهم من الغد يوم الأحد أن المشركين يريدون الرجوع إلى المدينة ليتمموا انتصارهم، فندب النبي ﷺ الصحابة إلى الخروج إليهم، وأمر أن لا يخرج إلا من حضر الغزوة، فأجابوه إلى ذلك، وكان ممن تقدم بين يدي النبي ﷺ الصديق والزبير في سبعين ركباً كما في الحديث الأول، ثم تبعهم النبي ﷺ بباقي الجيش وصار حتى بلغ حمراء الأسد، وهي من المدينة على بضعة أميال، فبلغ ذلك أبا سفيان فألقى الله في قلبه وقلوب أصحابه الرعب، فانصرفوا ثم رجع إلى المدينة سالماً، وهناك ظفر بأبي عزة الشاعر الذي كان من عليه ببدر بعد أن تعهد أن لا يكون على المسلمين، فأمر بقتله، فقال: يا محمد أفلني وامنن علي ودغني لبناتي وأعطيك عهداً أن لا أعود لمثل ما فعلت، فقال النبي ﷺ: «لا والله لا تمسح عارضيك بمكة وتقول: خدعت محمداً مرتين: لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين»، ثم أمر بقتله فضربت عنقه.

بعض حوادث هذه السنة غير ما سبق:

تزوج النبي ﷺ بزَيْنَب بنت خزيمة

ذكر المؤرخون في ترجمة زينب بنت خزيمة أنها كانت تحت عبدالله بن جحش الذي استشهد بأحد، وقيل: كانت تحت الطفيل بن الحارث بن المطلب ثم خلف عليها أخاه عبيدة بن الحارث، فقتل ببدر.

فخطبها رسول الله ﷺ إلى نفسها، فجعلت أمرها إليه ﷺ، فتزوجها في رمضان سنة ثلاث وأقامت عنده بضعة أشهر فماتت رضي الله تعالى عنها، وكانت يقال لها أم المساكين لأنها كانت تطعمهم وتتصدق عليهم، وكانت أخت أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث لأمها رضي الله تعالى عنهما.

ولادة الحسن بن علي وفاطمة عليهم السلام

ذكر ابن سعد في طبقاته وابن جرير في تاريخه وغير واحد من المؤرخين وأهل السيرة أن الإمام سيدنا الحسن بن الإمام سيدنا علي المطليبي الهاشمي سبط رسول الله ﷺ وريحانته وأحد سيدي شباب أهل الجنة ولد رضي الله تعالى عنه في نصف شهر رمضان من السنة الثالثة، وقيل غير ذلك. قال الحافظ في الإصابة: والأول أثبت. قال ابن جرير: وفيها علقته - يعني مولاتنا فاطمة - بالحسين عليهما السلام، وتأتي فضائلهم إن شاء الله تعالى.

تحريم الخمر

وفي هذه السنة حرّم الله تعالى الخمر، وكان ذلك تدريجياً لما كان عليه العرب من محبتهم الشديدة لها، وكان تحريمها تابعاً لحوادث تُنفّر عنها وتُقبّحها في نفوس مُتعاظيها، فأول ما جاء فيها قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْفَعَةٌ لِلنَّاسِ وَإِنَّهُمَا آكْرَهُ مِنَ نَفْسِهِمَا﴾؛ فمنفعة الميسر وهو القمار التصدق بربحه على الفقراء كما كانت عادة العرب، ومنفعة الخمر تقوية الجسم وقلب الجبان شجاعاً وغير ذلك، وبعد هذه الآية تركها البعض وأصرّ آخرون على شربها، فصلّى بعض الصحابة المغرب إماماً بالناس، وكان متأثراً بالشراب فخلط في القرآن،

فنهى الله تعالى عن قرب الصلاة مع السكر، فقال عز وجل: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾، فكان الرجل يشربها في الأوقات التي لا صلاة فيها؛ كبغد العشاء أو بعد صلاة الصبح.

ولما وقع اعتداء من بعض السكارى حيث ضرب آخر بعظم حتى شجّه نزل تحريمها بتاتاً، فجاءت الآية الكريمة من سورة المائدة تنهى عنها وتبين مضارها ومفاسدها، فقال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَهْوَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩١﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴿٩٢﴾﴾، فكانت هذه الآية هي الفاصل النهائي لتحريمها تحريماً أبدياً. وقد ذكرت ما جاء في تحريمها من الأحاديث وبيان ما في هذه الآية من الدلائل على تحريمها في التفسير وفي كتاب الأشربة، فمن شاء التوسع في ذلك فليرجع إليها وبالله التوفيق.

السنة الرابعة

اغتيال خالد بن سفيان الهذلي على يد عبدالله بن أنيس

[٣١٢] عن عبدالله بن أنيس رضي الله تعالى عنه قال: دعاني رسول الله ﷺ فقال: «إنه قد بلغني أن خالد بن سفيان بن نبيج يجمع لي الناس ليغزوني وهو بعرة فأتته فاقته»، قال: يا رسول الله أنعت لي حتى أعرفه، قال: «إذا رأيته وجدت له قشغريزة»، قال: فخرجت متوشحاً بسيفي حتى وقعت عليه وهو بعرة مع طعن يرتاد لهن منزلاً، وحين كان وقت العصر، فلما رأيته وجدت ما وصف لي رسول الله ﷺ من القشغريزة، فأقبلت نحوه، وخشيت أن يكون بيني وبينه محاولة تشغليني عن الصلاة، فصليت وأنا أمشي نحوه أومئ برأسي الركوع والسجود، فلما انتهيت إليه قال: من الرجل؟ قلت: رجل من العرب سمع بك ويجمع لك لهذا الرجل فجاءك لهذا، قال: أجل أنا في ذلك، قال: فمشيت معه شيئاً حتى إذا

أمكنتني حملت عليه بالسيف حتى قتلته ثم خرجت وتركت ظعائنه مكبات عليه، فلما قدمت على رسول الله ﷺ فرآني فقال: «أفلق الوجع»، قال: قلت: قتله يا رسول الله، قال: «صدقت»، قال: ثم قام معي رسول الله ﷺ فدخل بيته فأعطاني عصا، فقال: «أمسك هذه عندك يا عبدالله بن أنيس»، قال: فخرجت بها على الناس فقالوا: ما هذه العصا؟ قال: قلت: أعطانيها رسول الله ﷺ وأمرني أن أمسكها، قالوا: أولاً تزجج إلى رسول الله ﷺ فتسأله عن ذلك، قال: فرجعت إلى رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله لم أعطيتني هذه العصا؟ قال: «آية بيني وبينك يوم القيامة إن أقل الناس المتخضرون يومئذ يوم القيامة»، فقرنها عبدالله بسيفه فلم تزل معه حتى إذا مات أمر بها فصبت معه في كفته ثم دفنا جميعاً.

رواه أحمد (٤٩٦/٣)، وأبو داود في باب صلاة الطالب (١٢٤٩)، والبيهقي في الكبرى (٢٥٦/٣) من طريق ابن إسحاق حدثني محمد بن جعفر بن الزبير عن ابن عبدالله بن أنيس عن أبيه به، واللفظ لأحمد ورجاله ثقات غير ابن عبدالله ذكره ابن أبي حاتم وسكت عن حاله. أما ابن حبان فذكره في الثقات رغم أنه لم يزوه عنه إلا محمد بن جعفر، وهو وإن كان ثقة من رجال الصحيحين فإنه لا يرفع عنه الجهالة، ومع ذلك فقد سكت عنه أبو داود والمنذري وجوده ابن كثير في تفسيره وحسنه الحافظ في الفتح، وأورده النور في المجمع (٢٠٣/٦، ٢٠٤) برواية أحمد والطبراني، وقال: رجاله ثقات - يعني رجال الطبراني - .

«أنيس» هو مصغر أنس. «بعرة» - بضم العين ثم راء ونون مفتوحين - وادٍ بحداء عرفات. «قشغريزة» - بضم القاف وفتح الشين وسكون العين بعدها راء مكسورة فياء ثم راء مفتوحة - هي رعدة تصيب الإنسان من الخوف... «طعن» - بضم الظاء والعين - جمع ظعينة، والمراد نساؤه. «يزتاد» أي يطلب لهن منزلاً أو يتحرى لهم مكاناً ليئناً. «المتخضرون» أو المختضرون أي: المتكؤون على المخاصر جمع مخصرة وهي ما يمسكها الإنسان بيده من عصا وغيرها، والمراد به هنا الذين يأتون يوم القيامة معهم أعمال صالحة يتكؤون عليها.

كان من آثار ما أصيب به المسلمون بأحد أن تجزأت عليهم القبائل العربية وحاولت الإغارة على المدينة لانتهاج خيرها، وحسبوا أن ما فيها أصبح غنيمة باردة لهم، وجعل خالد بن سفيان الهذلي يجمع الجموع من القبائل لحرب المسلمين والهجوم على المدينة، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فبعث إليه أحد أبطاله الشجعان ليقتله، فخرج حتى وصل إليه بعد مراحل تروبو على العشر، فخدعه بمعسول كلامه حتى وثق به، فلما تمكن منه علاه بسيفه فقتله، ثم كثر راجعاً ليُبشّر النبي ﷺ بقتله.

وفي هذه القصة لاغتيال ذلك العدو فوائد تتجلى في الآتي:

أولاً: في ذلك مغامرة رائقة وفداء رائع من هذا الصحابي الجليل في اغتيال ذلك العدو الذي كان يكيد للنبي ﷺ وللإسلام والمسلمين.

ثانياً: فيها مشروعية قتل من تظاهر بالعداوة للإسلام والمسلمين على غرة وخدعة، وهذا لا خلاف فيه بين أئمة الإسلام وعلمائه.

ثالثاً: فيما فعله هذا الصحابي من الصلاة ماشياً مع استدبار الكعبة صحة تلك الصلاة، وأن الصلاة قد تسقط بعض شروطها وفرائضها للحاجة والضرورة كهذه الحادثة، وقد سمى الفقهاء هذه الصلاة على هذه الحالة صلاة الطالب...

رابعاً: كان من مكافأة رسول الله ﷺ لعبدالله بن أنيس على هذا الفداء أن أعطاه عضا يأتي بها يوم القيامة كعلامة بينه وبينه ﷺ حتى يخضه بشفاعة ونفع في ذلك اليوم العظيم.

❁ قصة أصحاب الرجيع

[٢١٣] عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: بعث رسول الله ﷺ عشرة رهط سرية عينا، وأمر عليهم عاصم بن ثابت الأنصاري جد عاصم بن عمر، فانطلقوا حتى إذا كانوا بالهدأة، وهو بين عسفان ومكة، ذكروا ليحيى

من هذيل يقال لهم بنو ليحيان، فنقروا لهم قريبا من مائتي رجل كلهم رام، فاقتصوا آثارهم حتى وجدوا ماكلهم تمرا تزودوه من المدينة، فقالوا: هذا تمر يثرب، فاقتصوا آثارهم فلما رأهم عاصم وأصحابه لجأوا إلى فدقيد، وأحاط بهم القوم، فقالوا لهم: انزلوا وأعطونا بأيديكم ولكم العهد والميثاق ولا نقتل منكم أحداً.

قال عاصم بن ثابت أمير السرية: أما أنا فوالله لا أنزل اليوم في ذمة كافر، اللهم أخبر عتا نبيك، فرموهم بالنبل فقتلوا عاصماً في سبعة، فنزل إليهم ثلاثة رهط بالعهد والميثاق، منهم حبيب الأنصاري، وابن دثنة ورجل آخر، فلما استمكثوا منهم أطلقوا أوتار قسيهم فأوثقوهم، فقال الرجل الثالث: هذا أول الغدر، والله لا أصحابكم، إن في هؤلاء لأسوة - يريد القتلى - فجرروه وعالجوه على أن يصحبهم فأبى فقتلوه، فانطلقوا بحبيب، وابن دثنة حتى باعوهما بمكة بعد وقعة بدر، فابتاع حبيباً بنو الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف، وكان حبيب هو قتل الحارث بن عامر يوم بدر، فلبث حبيب عندهم أسيراً، فأخبرني عبيدالله بن عياض أن بنت الحارث أخبرته أنهم حين أجمعوا قتله فاستعار من بعض بنات الحارث موسى يستجد بها فأعارتها، فدرج بني لها وهي غافلة حتى أتاه فوجدته مُجْلِسَه على فخذه والموسى بيده، قالت: ففزعت فزعة عرفها حبيب، فقال: أتخشين أن أقتله؟ ما كنت لأفعل ذلك.

قالت: والله ما رأيت أسيراً قط خيراً من حبيب، والله لقد وجدته يوماً يأكل قطفاً من عنب في يده، وإنه لموثق بالحديد وما بمكة من ثمرة.

وكانت تقول: إنه لرزق رزقه الله خبيباً، فلما خرجوا به من الحرم ليقتلوه في الحل، قال لهم حبيب: دعوني أصلي ركعتين، فتركوه فركع ركعتين، فقال: والله لولا أن تحسبوا أن ما بي جزع لزدت، ثم قال: اللهم أخصهم عدداً، واقتلهم بئداً، ولا تُبقي منهم أحداً، ثم أنشأ يقول:

فَلَسْتُ أَبَالِي جِينِ أَقْتَلُ مُسْلِماً عَلَى أَيِّ جَنْبٍ كَانَ اللَّهُ مَضْرَعِي
وَذَلِكَ فِي ذَاتِ الْإِلَهِ وَإِنْ يَشَأْ يُبَارِكْ عَلَى أَوْصَالِ شَيْلِوِ مُمْرَعِ

ثم قام إليه أبو سزوة عقبة بن الحارث فقتله، وكان خبيب سن لكل مسلم قتل صبراً الصلاة، فاستجاب الله تعالى لعاصم بن ثابت يوم أصيب فأخبر النبي ﷺ أصحابه خبرهم وما أصيبوا، وبعث ناس من كفار قريش إلى عاصم خدثوا أنه قُتِلَ لِيُؤْتُوا بشيء منه يُعْرَفُ، وكان قد قتل رجلاً من عظمائهم يوم بدر، فبعث على عاصم مثل الظلة من الدبر فحمته من رسولهم، فلم يقدروا على أن يقطعوا من لحمه شيئاً.

رواه أحمد (٢/٢٩٥، ٣١٥)، والبخاري في المغازي (٣٨٢/٨، ٣٨٧) وفي مواضع، وأبو داود رقم (٢٦٦٠، ٢٦٦١) في الجهاد، والبيهقي في الدلائل (٣/٣٢٣، ٣٢٥) وغيرهم.

قوله: «فدغد» بفتح الفاءين بينهما دال ساكنة هي الرابية المشرفة. وقوله: «قطفاً من عنب» أي: عنقوداً. وقوله: «بداً» بفتحات أي: متفرقين. وقوله: «أوصال» جمع وصل وهو العضو و«الشلو» بكسر الشين الجسد و«الممزع» أي: المقطع، ومعناه: وإن يشأ الله تعالى يبارك على أعضاء جسد يقطع. وقوله: «مثل الظلة» - بضم الظاء - السحابة. و«الدبر» - بفتح الدال وسكون الباء - هي الزنابير.

في قصة هؤلاء الشهداء العشرة فوائد، وهي كما يلي:

أولاً: فيها مشروعية إرسال الجواسيس يتجسسون على أحوال الكفار وما يريدون... وهذا لا خلاف فيه بين سائر الدول المسلمة والكافرة القديمة والحديثة.

ثانياً: الصحيح أن هذه السرية كانت في شهر صفر أول السنة الرابعة...

ثالثاً: لا ينبغي للمؤمن أن ينزل على عهد كافر وأن يثق به، بل يجب عليه أن يصمد ويقاوم حتى يُقتل، وأن لا يستأجر، وفي القضية خلاف بين الفقهاء.

رابعاً: مشروعية صلاة ركعتين لمن يقتل صبراً، ولا خلاف في ذلك يُعرف.

خامساً: إثبات كرامات الأولياء حيث إن الله عز وجل أكرم عاصماً باستجاب دعوته فأبلغ نبيه ﷺ ما حل بهم من طرف الأعداء؛ هذه كرامة، وكرامة ثانية حماية الله عز وجل لجسده من الكفار بإرسال سحابة من الزنابير ظلت عليه حتى لم يقدروا من الدنو منه، ثم كرامة ثالثة؛ وقعت لخبيب حيث إن الله عز وجل كان يرزقه العنب وهو مقيد في أسره وليس للعنب وجود بمكة في ذلك الإبان، فهذه كرامات أكرم الله بها أولئك الكرام وما عند الله أكرم وأبقى.

❁ قصة القراء السبعين ببئر معونة

[٢١٤] عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: جاء ناس إلى النبي ﷺ فقالوا: أن ابعت معنا رجالاً يُعلمونا القرآن والسنة، فبعث إليهم سبعين رجلاً من الأنصار يقال لهم القراء فيهم خالي حرام، يقرأون القرآن، ويتدارسون بالليل يتعلمون، وكانوا بالنهار يجيئون بالماء فيضعونه في المسجد، ويحتطبون فيبيعونه ويشترون به الطعام لأهل الصفة وللفقراء، فبعثهم النبي ﷺ إليهم فعرضوا لهم فقتلوهم قبل أن يبلغوا المكان، فقالوا: اللهم بلغ عنا نبينا أنا قد لقيناك فرضينا عنك، ورضيت عنا، قال: وأتى رجل حراماً خال أنس من خلفه فطعنه برمح حتى أنفذه، فقال حرام: فزت ورب الكعبة، فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: «إن إخوانكم قد قتلوا، وإنهم قالوا: اللهم بلغ عنا نبينا أنا قد لقيناك، فرضينا عنك، ورضيت عنا».

رواه مسلم في الإمارة (٤٦/١٣، ٤٧) بهذا السياق.

وفي رواية: أن رجلاً ودكواناً وعصيةً وبني لخيان استمذوا رسول الله ﷺ على عدو فأمدهم بسبعين من الأنصار كنا نسميهم القراء في زمانهم، كانوا يَحْتَطِبُونَ بالنهار ويُصَلُّون بالليل حتى إذا كانوا ببئر معونة قتلوهم وغدروا بهم، فبلغ النبي ﷺ فقنت شهراً يدعو في الصباح على

أحياء من العرب على رعل وذكوان وعصية وبني لحيان، قال أنس: فقرأنا فيهم قرآناً ثم إن ذلك رفع: «بلغوا عنا قومنا أنا قد لقينا ربنا فرضي عنا وأرضانا».

رواه أحمد (١٦٧/٣، ٢٥٥)، والبخاري في المغازي (٣٨٩/٨) وفي مواضع، ومسلم في المساجد (١٧٨/٥)، وابن سعد في الطبقات (٥٣/٢، ٥٤).

بئر معونة موضع شرقي المدينة بين أرض بني عامر وبني سليم ناحية نجد كانت به هذه الوقعة في شهر صفر من هذه السنة عقب وقعة الرجيع، وقوله: ابعث معنا رجالاً يُعلمونا القرآن والسنة، وقوله في الرواية الأخرى: استمدوا رسول الله ﷺ على عدو إلخ، وقوله في رواية أخرى للبخاري: بعث النبي ﷺ سبعين رجلاً لحاجة، وقوله في رواية لكعب بن مالك التي رواها عبدالرزاق رقم (٩٧٤/١)، والطبراني برجال الصحيح كما في المجمع (١٢٦/٦، ١٢٧): جاء ملاعب الأسيئة إلى النبي ﷺ فقال: فابعث إلى أهل نجد من شئت، فأنا لهم جاز. في هذا اختلاف وتعارض، وقد حاول الحافظ الجمع بين بعض ذلك فلم يقد شيئاً، وعلى أي فالمقصود هو أن النبي ﷺ بعث سبعين رجلاً من خيار المسلمين وقرائهم للدعوة إلى الله تعالى فغدر بهم الكفار فقتلوا جميعهم إلا رجلاً أو رجلين، وحزن عليهم النبي ﷺ حزناً شديداً وجعل يقنت ويدعو على تلك القبائل شهراً كاملاً في جميع الصلوات الخمس بعدما يرفع رأسه من الركعة الأخيرة وأشرك معهم في القنوت بني لحيان الذين قتلوا عاصماً وأصحابه في سرية الرجيع، هذا مما لا ينبغي أن يُختلف فيه، وما عدا ذلك فالروايات فيه مختلفة وارجع إلى كتب السيرة. وفي هذه القصة فوائد:

منها: ما كان عليه الصحابة من دراستهم للقرآن وقيام الليل ومساعدتهم الفقراء أهل الصفة.

ومنها: مشروعية إرسال البعوث للدعوة إلى الله تعالى بشرط أن يكونوا من أهل العلم والدين وتركية النفوس.

ومنها: أن من كان في طريق الدعوة وقُتِل لذلك كان فائزاً سعيداً، ولذلك جاء في الرواية أن حراماً ابن ملحان أخا أم سُلَيْمِ خال أنس لما قتلوه وهو يحدثهم عن الإسلام قال: الله أكبر فزت ورب الكعبة، ونضح الدم على وجهه ورأسه فرحاً بما ناله من الشهادة.

ومنها: إكرام الله عز وجل لأولئك القرءاء حيث لقوا الله فرضي عنهم ورضوا عنه، وسألوه أن يبلغ نبيّه ﷺ عنهم ما نالوه من حفاوة ورضوان.

ومنها: أن الله تعالى لما أوحى إلى نبيّه ما نزل بهم كان ذلك قرآناً يُتلى ثم نُسخ وُرفع.

ومنها: مشروعية القنوت في سائر الصلوات إذا نزلت بالمسلمين نازلة، وبهذا قال كل الأئمة مالك والشافعي وأحمد والظاهرية وأهل الحديث إلا أبا حنيفة رحم الله الجميع. أما مشروعيته لغير ذلك، فقال به مالك والشافعي في الصبح، وابن حزم في جميع الصلوات.

[٣١٥] وعن عروة بن الزبير رضي الله تعالى عنه قال: لما قُتِل الذين ببئر معونة وأسير عمرو بن أمية الضمري قال له عامر بن الطفيل: من هذا؟ فأشار إلى قتيل فقال له عمرو بن أمية: هذا عامر بن فهيرة، فقال: لقد رأيته بعدما قُتِل رُفِع إلى السماء حتى إني لأنظر إلى السماء بينه وبين الأرض ثم وُضِع...

رواه البخاري في المغازي (٣٩٣/٨، ٣٩٤) وهو وإن كان مرسلًا فالقصة واردة من طرق أخرى متصلة.

فهذه كرامة حصلت لعامر بن فهيرة رضي الله تعالى عنه بعد موته وهو مولى لأبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه، وكان ممن صحبهم في الهجرة. وقوله في هذه الرواية: وأسير عمرو بن أمية الضمري جاء في كتب السيرة عند ابن إسحاق وغيره أن عمرواً هذا كان رجلاً آخر في سرح القوم، فلما قُتِل إخوانهم جاءوا وإذا الخيل التي أصابتهم واقفة. أما الرجل

الأنصاري، فقاتل حتى قُتِل، وأما عمرو بن أمية فَاسْرُوه، ولما علم عامرُ بن الطفيل رئيسُ القوم أنه من مضر أطلقه بعد أن جَزَّ ناصيته واعتقه عن رغبة كانت على أمه فيما زعم. ذكره ابن إسحاق في قصة طويلة مرسلة.

وبالجملَة، فهذه الحادثة والتي قبلها كان لهما الأثر الشديد في نفس النبي ﷺ ونفوس أصحابه، وتألّموا لذلك أشدّ الألم، ولذلك دعا النبي ﷺ على أولئك القبائل شهراً كاملاً في جميع الصلوات الخمس: «اللّٰهُمَّ عَلَيْكَ بِرِغْلِ وَذِكْوَانٍ وَعُصْبَةِ عَصْتِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﷺ».

[٢١٦] وقد جاء عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: قنّت رسولُ الله ﷺ شهراً متتابعاً في الظهر والعصر والمغرب والعشاء وصلاة الصبح في دُبُرِ كُلِّ صلاة إذا قال: سمع الله لمن حمده من الركعة الأخيرة يدعو على أحياء من بني سليم على رعل وذكوان وعُصبة ويؤمن مَنْ خلفه...

رواه أحمد (٣٠١/١)، وأبو داود (١٤٤٣)، والحاكم (٢٢٥/١) وصححه ووافقه الذهبي.

✽ غزوة بني النضير

[٢١٧] عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه قيل له: سورة التوبة؟ قال: التوبة هي الفاضحة، ما زالت تنزل حتى ظنوا أنها لم تبق أحداً منهم إلا ذكر فيها، قيل له: سورة الأنفال؟ قال: نزلت في بدر، قيل: سورة الحشر؟ قال: نزلت في بني النضير.

رواه البخاري في المغازي (٣٣٩/٨)، ومسلم في التفسير (١٦٥/١٨).

[٢١٨] وعن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما أنه قال: حَرَّقَ رسولُ الله ﷺ نخلَ بني النضير وقَطَعَ، وهي البُوَيْرَةُ فنزلت: «مَا قَطَعْتُمْ

مِن لَيْسَةٍ أَوْ تَرَكَتُمُوهَا فَأَيْمَةٌ عَلَى أَصُولِهَا فَيَاذَنَ اللَّهُ»، وفي رواية: أن النبي ﷺ حَرَّقَ نخلَ بني النضير، قال: ولها يقول حسان بن ثابت:

وَهَانَ عَلَى سِرَاةِ بَنِي لُؤَيٍّ حَرِيقٌ بِالْبُوَيْرَةِ مُسْتَطِيرٌ

رواه البخاري (٣٣٥/٨، ٣٣٦)، ومسلم (١٧٤٦)، والترمذي (١٤١٩)، وأبو داود (٢٦١٥) كلّهم في الجهاد، ورواه الترمذي أيضاً في التفسير (٣٠٨٥)، وأبو داود (٢٦١٥)، وابن ماجه (٢٨٤٤).

[٢١٩] وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: كانت غزوة بني النضير - وهم طائفة من اليهود - على رأس ستة أشهر من غزوة بدر، وكان منزلهم ونخلهم بناحية المدينة، فحاصروهم رسول الله ﷺ حتى نزلوا على الجلاء، وعلى أن لهم ما أقلت الإبل والأمتعة والأموال إلا الحلقة - يعني السلاح - فأنزل الله تعالى فيهم: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ١ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ﴾ الآية، فكان ذلك أول حشر في الدنيا إلى الشام.

رواه الحاكم (٤٨٣/٢)، والبيهقي في الدلائل (٤٤٤/٢) وصححه الحاكم على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي.

[٢٢٠] وعن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: حاربت النضير وقريظة فأجلى بني النضير، وأقر قريظة ومنّ عليهم حتى حاربت قريظة فقتل رجالهم وقسم نساءهم وأولادهم وأموالهم بين المسلمين إلا بعضهم لحقوا بالنبي ﷺ فآمنوا وأسلموا، وأجلى يهود المدينة كلّهم: بني قينقاع، وهم رهط عبدالله بن سلام، ويهود بني حارثة وكل يهود المدينة.

رواه البخاري في المغازي (٣٣٣/٨، ٣٣٤).

[٢٢١] وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في قول الله عزّ وجلّ: ﴿مَا قَطَعْتُمْ مِّن لَّيْسَةٍ مِّنَ الْلَيْسَةِ﴾ الآية، قال: «الليسة» النخلة، ﴿وَلِيْحْرَى الْفَسِيْقَيْنِ﴾ قال: «استنزلوهم من حصونهم»، قال: وأمروا بقطع النخل فحكّ في صدورهم، فقال المسلمون: قد قطعنا بعضاً وتركنا بعضاً، فلنَسْأَلَنَّ رسولَ الله ﷺ هل

لنا فيما قطعنا من أجر، وهل علينا فيما تركنا من وزر، فأنزل الله عز وجل:
﴿مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْتَةٍ أَوْ نَزَعْتُمْهَا فَأَيْمَةٌ﴾ الآية.

رواه الترمذي (٣٠٨٦)، والنسائي في الكبرى (٤٨٣/٦) بسند

صحيح.

بنو النضير من القبائل اليهودية الثلاث التي كانت بضواحي المدينة، وأصلهم من نسل نبي الله هارون عليه السلام، وكان عبدالله بن سلام الصحابي منهم، وكذا صفيه أم المؤمنين كانت منهم. وسكن أهلها خيبر بعد جلائهم.

وقد قدمنا أن الكفار بعد هجرة النبي ﷺ كانوا ثلاثة أقسام: قسم وادعهم على أن لا يحاربوه، ولا يمالؤا عليه عدوه، وهم طوائف اليهود: قينقاع، والنضير، وقريظة؛ وقسم حاربوه ونصبوا له العداوة كقريش ومن حالفهم، وقسم تاركوه وانتظروا ما يؤول إليه أمره كطوائف العرب، فمنهم من كان يحب ظهوره في الباطن كخزاعة، وبالعكس كبني بكر، ومنهم من كان معه ظاهراً ومع عدوه باطناً وهم المنافقون.

فكان أول من نقض العهد من اليهود بنو قينقاع، فحاربهم في شوال بعد وقعة بدر وأخرجهم من المدينة إلى أذرعات كما تقدم.

ثم نقض العهد ثانياً بنو النضير، وكان رئيسهم حبي بن أخطب، وكان سبب ذلك انهزام المسلمين بأحد، فإنه عقب ذلك نكثوا وخرج كعب بن الأشرف في أربعين راكباً إلى مكة وحالفوا أبا سفيان، فندب رسول الله ﷺ إلى من يقتل كعباً، فكان محمد بن مسلمة وأصحابه كما تقدم، واتفق أن قتل عمرو بن أمية الضمري رجلين من بني عامر خطأ، فقال له النبي ﷺ: «لقد قتلت قتيلين لأدينهما»، فخرج في جماعة من أصحابه لبني النضير ليكلمهم في إعانته على دية الرجلين، فلما أتاهم وكلمهم في ذلك قالوا: نفعل يا أبا القاسم ما أحببت، فأرادوا الغدر به بإلقاء صخرة عليه من فوق سطح بيت، فجاء رسول الله الخبير من الله تعالى بما هموا به، فنهض سريعاً وتوجه إلى المدينة ولحقه أصحابه فأخبرهم بما أراد اليهود، ثم أرسل إليهم

رسول الله ﷺ: «أن اخرجوا من بلدي وقد أجلتكم عشراً»، فلما أرادوا التهيؤ للخروج بعث إليهم عبدالله بن أبي المنافق: لا تخرجوا فإنكم إن قوتلتم لنصرتكم، ولئن أخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحداً أبداً، فعند ذلك تربصوا وتحصنوا في حصونهم، وظنوا أنها مانعتهم من الله، فخرج إليهم رسول الله ﷺ فحاصرهم ست ليال، ثم أمر بقطع نخيلهم، فخذف الله في قلوبهم الرعب ولم يروا من ابن أبي مناصرة بل خذلهم كما خذل من قبلهم بني قينقاع، فتنازلوا وسألوا رسول الله ﷺ أن يكف عن دمائهم ويجلبهم وأن لهم ما حملت الإبل من أموالهم وأمتعتهم إلا آلة الحرب، ففعل ﷺ فجعلوا يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين، ولما خرجوا نزل بعضهم بخيبر، ومنهم من سار إلى الشام، وكان رئيسهم حبي بن أخطب ممن نزل بخيبر.

وأسلم منهم: يامين بن عمرو، وأبو سعد بن وهب.

❁ فوائد القصة وأحكامها

اختلف أهل السير في وقت هذه الغزوة وتاريخها، فذهب الزهري نقلاً عن عروة بن الزبير وهو الذي روته عائشة أنها كانت قبل أحد، وذهب ابن إسحاق وأكثر أهل المغازي أنها كانت بعد أحد وبئر معونة، وأيد هذا الرأي ابن حزم في جوامع السير وابن القيم في زاد المعاد. قال ابن القيم: بل الذي لا شك فيه أنها كانت بعد أحد، والتي كانت بعد بدر ستة أشهر هي غزوة بني قينقاع، وقريظة بعد الخندق، وخيبر بعد الحديبية.

وفي القصة مشروعية قطع الأشجار وتحريق المزارع... عند الجهاد لإغاثتهم، وليكون ذلك أدعى لاستسلامهم، كما فيها أن أراضي النضير ومزارعهم ونخيلهم تركوها نقلاً لرسول الله ﷺ، فكانت لرسول الله ﷺ خاصة لم يخمسها لأنها لم يُوجف عليها بخيل ولا ركاب، فكان يأخذ منها

نفقة سنة لأهله والباقي يجعله مجعل الله عز وجل والمصالح العامة.

وقد نزلت في هذه القصة وغزوة النضير عدة آيات، فنزل في شأن اليهود قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَلْتَهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَدَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا بِأَوَّلِ الْآبَصْرِ ﴿٦﴾ وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ ﴿٧﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٨﴾ مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِيَنَةٍ أَوْ نَضَعْتُمَا قَائِمَةً عَلَى أَوَّلِيهَا فَيَاذِنِ اللَّهُ وَلِيُخْرِىَ الْفَاسِقِينَ ﴿٩﴾

وقال في الفتياء: ﴿وَمَا آفَاءَ اللَّهِ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْحَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ﴾، ﴿مَا آفَاءَ اللَّهِ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَالرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾، وقال في شأن المنافقين في زعمهم مناصرة اليهود: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ بَشِيرٌ لَكِنُيُونَ ﴿١١﴾﴾ الآية.

قوله: ﴿لِأَوَّلِ الْحَشْرِ﴾ أي: في أول مرة حشروا فيها للشام وأخرجوا من جزيرة العرب، إذ لم يصعب هذا الذل والخزي قبل. وقوله: ﴿وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ﴾، يعني: لولا أن الله قضى عليهم بالخروج من أوطانهم بالأهل والأولاد لعذبهم في الدنيا بالقتل كما فعل بإخوانهم قريظة، ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله، أي: سبب ذلك مخالفتهم لله ولرسوله وارتكابهم ما ارتكبوا من جرائم ونقض للعهود. وقوله تعالى: ﴿مَا آفَاءَ اللَّهِ﴾ إلخ، الفتياء ما يؤخذ من الكفار من غير قتال كما وقع من بني النضير، فإن أموالهم أخذت بدون حمل الإبل وغيرها على السير ولا ركوب عليها لقطع شقة، وما كان كذلك كان خاصاً لله ولرسوله ﷺ لا يخمس ولا حظ فيه للحاضرين على العموم، وقد قدمنا الكلام على هذا في التفسير وفي الجهاد.

✽ غزوة بدر الثانية

[٢٢٢] عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: لما انصرف أبو سفيان والمشركون عن أحد وبلغوا الرُّوحاء، قال أبو سفيان: لا محمد قتلتم، ولا الكواعب أردفتكم، شر ما صنعتم، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فندب الناس فانتدبوا حتى بلغوا حمراء الأسد أو بئر بني عيينة، فأنزل الله عز وجل: ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ﴾، وذلك أن أبا سفيان قال للنبي ﷺ: مؤعدك موسم بدر حيث قتلتم أصحابنا، فأما الجبان فرجع. وأما الشجاع فأخذ أهبه القتال والتجارة فاتوه فلم يجدوا به أحداً وتسوقوا، فأنزل الله عز وجل ذكره: ﴿فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمَسَّهُمْ سُوءٌ﴾.

رواه النسائي في الكبرى (٣١٧/٦)، وابن جرير (١٨٠/٤) بسند صحيح وقد تقدم في غزوة حمراء الأسد، «الكواعب» الفتيات اللاتي برزت ونهدت ثديهن.

كانت بدر يعقد فيها سوق تجاري في شعبان من كل سنة، ولما حلَّ الأجل الذي جعله أبو سفيان موعداً في بدر ولم يتيسر له الخروج أراد أن يخذل المسلمين عن الخروج ويزعجهم، فاستأجر نعيم بن مسعود الأشجعي ليأتي المدينة ويرجف بما جمعه أبو سفيان من الجموع العظيمة، فقدم نعيم المدينة فقال: إن الناس قد جمعوا لكم فاحشواهم، فلم يلتفت عليه السلام لهذا الإرجاف اتكالا على ربه، بل قالوا: ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾، فخرج ﷺ بألف وخمسمائة من أصحابه ولم يزلوا سائرين حتى أتوا بدرأ فلم يجدوا بها أحداً، فأقاموا ببدر لا يشاركونهم في تجارته أحد، ﴿فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمَسَّهُمْ سُوءٌ﴾ الآية.

[٢٢٣] وعن ابن عباس أيضاً قال: ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ قالها إبراهيم عليه السلام حين ألقى في النار، وقالها محمد ﷺ حين قالوا: إن الناس قد جمَعُوا لكم فاحشواهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل.

رواه البخاري في التفسير (٢٩٧/٩)، والنسائي في الكبرى (٣١٦/٦)،
وابن جرير (١٨٢/٤).

فالأية الأولى وهي: ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقْبَلُوا الْإِسْلَامَ﴾ الخ، جاءت في
غزوة حمراء الأسد. وقوله عز وجل: ﴿الَّذِينَ قَالُوا لَهُمْ النَّاسُ إِنَّا نَحْنُ قَدْ
جَعَلْنَاكُمْ فَاخِشْتُمْهُمْ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ﴾ جاءت في شأن بدر
والخروج لها.

فقوله تعالى: ﴿قَالَ لَهُمُ النَّاسُ﴾ المراد به نعيم بن مسعود، وقوله:
﴿إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَعَلُوا لَكُمْ﴾ هو أبو سفيان وأصحابه، فزادهم ذلك القول إيماناً
ويقيناً بالله عز وجل، ولذلك قالوا: ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ﴾ أي: كافينا أمرهم ﴿وَيَعْمَلُ
الْوَكِيلُ﴾ المفوض إليه الأمر هو سبحانه.

وقوله: ﴿فَانْقَلَبُوا﴾ أي: رجعوا من بدر ﴿بِغَنَمٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَصْلٍ﴾ بسلامة
وربح في تجارتهم ﴿لَمْ يَمَسَّهُمْ﴾ لم يصبهم سوء لا قتل ولا جراحة. وقوله
تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَلِكَ كَيْدٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ يُوَفِّئُ
أَوْلِيَآءَهُ﴾ وهم الكفار ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ﴾ الآية، بمعنى أن الشيطان هو الذي
حملهم على تلك المقالة فلا تخشوهم وخافون في ترك أمري إن كنتم
مؤمنين.

✽ زواجه ﷺ بأم سلمة رضي الله تعالى عنها

[٢٢٤] عن أم سلمة رضي الله تعالى عنها قالت: لما توفي أبو سلمة
وانقضت عدتها خطبها رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله إن في ثلاث
خصال: أنا امرأة كبيرة، فقال رسول الله ﷺ: «أنا أكبر منك»، وأنا امرأة
غيرور، قال: «أدعو الله عز وجل فيذهب غيرتك»، قالت: يا رسول الله وإني
امرأة مضيئة، قال: «هم إلى الله ورسوله»، فتزوجها فجعل يأتيها فوجدتها
ترضع فانصرف ثم أتتها فوجدتها ترضع فانصرف، قال: فبلغ ذلك عمار بن

ياسر فأتاها^(١) فقال: حُلَّتْ بَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَبَيْنَ حَاجَتِهِ هَلَمْ الصَّبِيَّةَ،
قال: فأخذها فاسترضع لها فأتاها رسول الله ﷺ فقال: «أين زَنَابُ»، يعني
زينب، قالت: يا رسول الله أخذها عمار، فدخل بها. وفي رواية: فقال
رسول الله ﷺ: «إني آتيكم الليلة»، قالت: فقمتم فأخرجت حَبَابَ من
شعير كانت في جرابٍ وأخرجت شحماً فعصرتُه له، قالت: فبات النبي ﷺ
ثم أصبح، فقال حين أصبح: «إِنَّ لِكَ عَلَى أَهْلِكَ كِرَامَةً، فَإِنْ شِئْتَ سَبَّعْتُ
لِكَ وَإِنْ أَسْبَعْتُ أُسْبِعُ لِنِسَائِي».

رواه أحمد (٣٠٧/٦، ٣١٣، ٣١٤) مطولاً، ورواه مسلم (٢٢٠/٦)،
(٢٢٢)، وأبو داود، وابن ماجه بعضه، وأخرجه ابن سعد (٩٠/٨)، والبيهقي
في الدلائل (٤٦٤/٣)، وللحديث طرق وألفاظ وقد قدمنا بعض طرقه
وألفاظه في التفسير وفي النكاح.

أم سلمة هي هند بنت أبي أمية بن المغيرة المخزومية القرشية أسلمت
قديماً وهاجرت مع زوجها وابن عمها أبي سلمة إلى الحبشة فولدت لهما بها
سلمة ثم قديماً مكة وهاجرا إلى المدينة كما تقدم، وولد لها بالمدينة عمر
ودرة وزينب، وتوفي عنها أبو سلمة رضي الله تعالى عنه من جراحات
أصابته بأحد، فلما انقضت عدتها من نفاس زينب تزوجها رسول الله ﷺ
في جمادى الآخرة سنة أربع، كذا في الإصابة وغيرها. وقيل: توفي أبو
سلمة في جمادى الآخرة وتزوجها رسول الله ﷺ في سؤال كما عند ابن
سعد (٨٧/١) وغيره، وذكره الحاكم أيضاً وسكت عنه الذهبي.

وتوفيت سنة إحدى وستين وهي آخر نساء النبي ﷺ موتاً، بعد أن
جاءها نعي قتل الحسين عليه السلام، وسيأتي شيء من هذا في فضائلها إن
شاء الله تعالى.

وفيما أجاب النبي ﷺ أم سلمة عما اعتذرت به وما فعله معها
وتحملة، غاية في حُسن الخلق والملاطفة والمجاملة والمعاملة الطيبة،
وكيف لا والله عز وجل يقول له: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾.

(١) كان عمار أخاها لأما.

✽ ولادة الإمام الحسين عليه السلام

قدّمنا أن الحسن عليه السلام وُلد في السنة الثالثة في رمضان منها، ثم علقت سيدتنا فاطمة بالحسين عليه السلام عقب طهرها.

فوُلد في السنة الرابعة على الصحيح في شعبان منها.

والحسين هو أحد ريحانتي رسول الله ﷺ وأحد سادات شباب أهل الجنة قُتِل شهيداً بكرِبلَاء أيام يزيد بن معاوية على يد عامله على الكوفة والبصرة عبيدالله بن زياد، وستأتي ترجمته كأخيه الحسن في الفضائل إن شاء الله تعالى.

✽ خلاصة أحداث السنة الرابعة

وهي كالآتي: اغتيال خالد بن سفيان الهذلي، قصة أصحاب الرجيع، قصة القرءاء بئر معونة، غزوة بني النضير، فوائد القصة، غزوة بدر الثانية، زواج النبي ﷺ بأم سلمة رضي الله تعالى عنها، ولادة الحسين عليه السلام.

✽ السنة الخامسة

غزوة بني المصطلق أو غزوة المُرَيْسِع

[٢٢٥] عن محمد بن إسحاق رحمه الله تعالى عن جماعة من شيوخه كلُّ قد حدّثه ببعض حديث بني المصطلق، قال: بلغ رسول الله ﷺ أن بني المصطلق يجمعون له، وقائدهم الحارث بن أبي ضرار أبو جويرية بنت الحارث زوج رسول الله ﷺ، فلما سمع بهم رسول الله ﷺ خرج إليهم

حتى لقيهم على ماء لهم يقال له المريسيع من ناحية قُدَيْد إلى الساحل، فتزاحف الناس واقتتلوا، فهزم الله بني المصطلق، وقُتِل الحارث بن أبي ضرار أبو جويرية وقُتِل من قتل منهم، ونفل رسول الله ﷺ أبناءهم ونساءهم وأموالهم وكان رسول الله ﷺ أصاب منهم سبياً كثيراً قسمه بين المسلمين، وكان فيما أصاب يومئذ جويرية بنت أبي ضرار سيّدة قومها...

ذكره ابن هشام (٢٣٥/٣) وسنده صحيح غير أنه مرسل، وقال النور (١٤٢/٦): رواه الطبراني ورجاله ثقات.

[٢٢٦] وعن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما أن النبي ﷺ أغار على بني المصطلق وهم غارون وأنعامهم تُسقى على الماء فقتل مقاتلتهم، وسبى ذراريهم وأصاب يومئذ جويرية.

رواه أحمد (٣١/٢، ٣٢، ٥١)، والبخاري في العتق رقم (٢٥٤١) ج (٩٧/٦)، ومسلم في الجهاد (١٧٣٠ ج ٣٥/١٢، ٣٦)، وأبو داود فيه أيضاً (٢٦٣٢)، والبيهقي في الكبرى (٥٤/٩، ١٠٧) وقد تقدّم في الجهاد.

[٢٢٧] وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: لما قسم رسول الله ﷺ سبايا بني المصطلق وقعت جويرية بنت الحارث في السهم لثابت بن قيس بن الشماس أو لابن عم له، وكاتبته على نفسها، وكانت امرأة حُلوة مَلّحة، لا يراها أحدٌ إلا أخذت بنفسه، فأتت رسول الله ﷺ تستعينه في كتابتها، قالت: فوالله ما هو إلا أن رأيتها على باب حُجرتي فكرفهتها وعرفت أنه سيرى منها ما رأيت، فدخلت عليه فقالت: يا رسول الله أنا جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار سيّد قومه، وقد أصابني ما لم يخف عليك، فوقع في السهم لثابت بن قيس بن الشماس أو لابن عم له، فكاتبته على نفسي فجئتك أستعينك على كتابتي، قال: «فهل لك خير من ذلك؟» قالت: وما هو يا رسول الله؟ قال: «أقضي كتابتك وأتزوجك»، قالت: نعم يا رسول الله، قال: «قد فعلت».

قالت: وخرج الخبر إلى الناس أن رسول الله ﷺ تزوّج جويرية بنت

سنة ٤٤٤

الحارث، فقال الناس: أصهارُ رسول الله ﷺ، فأرسلوا ما بيدهم، قالت: فلقد أُعْتِقَ بتزويجه إياها مائة أهل بيت من بني المصطلق، فما أعلم امرأة أعظم بركةً على قومها منها.

رواه أحمد (٢٧٧/٦)، وأبو داود في العتق (٣٩٣١)، والحاكم (٢٦/٤)، والطبراني في الكبير (٦١/٢٤)، وسنده حسن أو صحيح.

«بنو المُصْطَلِق» بضم الميم وسكون الصاد وفتح الطاء بعدها لام مكسورة آخرها قاف؛ هم بطن من بني خزاعة. أما «المُرَيْسِيعُ» بضم الميم وفتح الراء وسكون الياء وكسر السين هو اسم ماء لبني خزاعة من ناحية قُدَيْد بضم القاف مصغَّر موضع قريب من عسفان ومَرَّ الظهران. وقوله: «أغار عليهم» أي: هاجمهم وهم غارون غافلون. وقولها: «حلوة ملاحه» أي: جميلة مليحة.

اختلف علماء السيرة والغزوات متى كانت هذه الغزوة على ثلاثة أقوال، فقيل: كانت سنة ست، قاله ابن إسحاق وتبعه جماعة؛ كابن جرير وابن عبد البر وابن حزم وابن الأثير وغيرهم. وقيل: كانت في سنة أربع، ورجحه موسى بن عقبة والإمام مالك والبخاري والنوي وغيرهم. وقالت طائفة ثالثة: إنها كانت في شعبان من السنة الخامسة، وقال بهذا القول ابن سعد وابن قتيبة والبلاذري وابن القيم والذهبي وابن كثير والحافظ في آخرين، وهذا القول هو الأصح والأظهر لأدلة ظاهرة تؤيده، وقد ذكر بعضها في الفتح (٤٣٤/٨) من كتاب المغازي، وكان لهذه الغزوة أسباب، منها: أن هذه القبيلة ساعدت قريشاً على حرب المسلمين في أحد. ومنها: أنهم كانوا يجمعون الجموع استعداداً لمحاربة النبي ﷺ، فخرج إليهم ﷺ في جمع كثيف وولّى على المدينة زيد بن حارثة وخرج معه من نسائه سيّدتنا عائشة رضي الله تعالى عنها، فسار ﷺ فقاتلهم وهزمهم وسبى نساءهم وذريتهم وأستاقوا الإبل والشيء، وكانت الإبل ألفي بغير والشيء خمسة آلاف، فقسمها رسول الله ﷺ بين أصحابه.

✽ زواجه ﷺ بجويرية

وكان في جملة السبي جويرية بنت الحارث سيّد القوم، فوَقعت في سهم ثابت بن قيس، فكانت فاتت النبي ﷺ تستعينه على ذلك، فأدى عنها كتابتها وتزوجها ﷺ، فكانت أعظم الناس بركةً على قومها؛ إذ عُتِقَ بسببها مائة أهل بيت من قبيلتها، ثم أسلمت القبيلة عن بكرة أبيها، فأصبحوا عوناً للمسلمين بعد أن كانوا عليهم، وههنا يظهر أثر الكرم والعفو والمعاملة الجميلة مع السياسة النبيلة من النبي ﷺ، فإنه كان ينظر بعيداً، فلم يكن همّه التمتع بجويرية المليحة فحسب، بل كان يرى والله تعالى أعلم أنها بنت سيّد قومها وقبيلتها كانت من القبائل العربية المشهورة التي لها بال، فأراد بزواجه بينت سيد قومها استمالتهم إليه إذ أصبحوا أصهاره ﷺ.

✽ محاولة المنافقين إثارة الفتنة بين المسلمين

[٢٢٨] عن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما قال: كنا مع النبي ﷺ في غزوة، قال: يرون أنها غزوة بني المصطلق، فكسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار، فقال الأنصاري: يا لَأَنْصَارِ، وقال المهاجري: يا لَلْمُهَاجِرِينَ، فسمع ذلك رسول الله ﷺ فقال: «ما بالُ دَعْوَى الجاهلية؟» قالوا: يا رسول الله كسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار، فقال: «دعوها فإنها مُنْتَبَهَةٌ»، فسمع بذلك عبد الله بن أبيّ فقال: فعلوها؟ أما والله لئن رجعنا إلى المدينة لَيُخْرِجَنَّ الأعرضُ منها الأذل، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فقام عمر فقال: يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق، فقال النبي ﷺ: «دَعُوهُ لا يتحدّثُ الناسُ أن مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أصحابه»، وكانت الأنصار أكثر من المهاجرين حين قدموا المدينة ثم إن المهاجرين كثروا بعد.

رواه البخاري في التفسير (٢٧٤/١٠، ٢٧٥)، ومسلم في البر والصلة

[٣٢٩] وعن زيد بن أرقم رضي الله تعالى عنه قال: كنت مع عمي، فسمعت عبدالله بن أبي ابن سلول يقول لأصحابه: لا تُنْفِقُوا على مَنْ عِنْد رسول الله حتى يَنْفُضُوا... ولئن رجعنا إلى المدينة لِيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذْلَ.

فذكرت ذلك لعمي فذكر ذلك عمي للنبي ﷺ، فدعاني النبي ﷺ فحدثته، فأرسل رسول الله ﷺ إلى عبدالله بن أبي وأصحابه فحلفوا ما قالوا، فكذبتني رسول الله ﷺ وصدقه، فأصابني شيء لم يصبني شيء قط مثله، فجلست في البيت، فقال لي عمي: ما أردت إلا أن كذبك رسول الله ﷺ ومقتك، فأنزل الله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ﴾، فبعث إلي رسول الله ﷺ فقرأها ثم قال: «إن الله قد صدقك».

رواه البخاري في التفسير ومسلم في صفات المنافقين والترمذي وغيرهم، وقد تقدم في التفسير.

قوله: «فكسع» - بفتحتين - أي: ضرب دبره بيده أو بصدر قدمه. وقوله: «دعوها» أي: دعوى الجاهلية وهي الاستغاثة للانتصار. وقوله: «مُنتنة» أي: هذه الدعوى قذرة خبيثة. وفي الحديثين بيان بعض فضائح المنافقين ومكرهم وكيدهم للمسلمين وإرادتهم الشر لهم، وهكذا كان شأنهم وتصرفاتهم في جميع مواقفهم مع المسلمين أي كانوا حضراً أم سفراً، وقد بلغ من حقد عدو الله ابن سلول على رسول الله ﷺ وعلى المسلمين أنه فاه بأنه إذا رجع إلى المدينة ليخرجن منها الأذل - يقصد النبي عليه السلام وأصحابه - وزاد عدو الله نهي الأنصار عن النفقة على المهاجرين حتى ينفضوا ويرجعوا إلى ديارهم بمكة. هذه بعض مشاهد المنافقين ومواقفهم ضد الإسلام والمسلمين، وقد أنزل الله عز وجل سورة سميت باسمهم تسجل عليهم فضائحهم وكذبهم ومكرهم تتلى على السنة المؤمنين على مدى العصور والأجيال.

وفي حديث جابر بيان سياسة النبي ﷺ وحكمته في صرفه عمر عن

قتل ابن أبي المنافق؛ لأن السياسة تقتضي عدم قتله، لأن الإسلام كان لا يزال لم ينتشر في القبائل العربية، التي لا تزال كافرة، فإذا قتل أحداً ممن يتظاهر بالإسلام وهو منافق، أشيع بين الناس بأن محمداً يقتل أصحابه، فيكون ذلك من أسباب عدم إسلامهم.

وقوله ﷺ: «دعوها فإنها مُنتنة» كان علاجاً لما قد كان يقع من حمية الجاهلية بين المهاجرين والأنصار كما حصل مرّات، فكان ﷺ ينعم الطيب ورنم المصلح المرشد.

هذه حادثة أولى وقعت في هذه الغزوة وهم قافلون إلى المدينة كانت من إثارة عدو الله رأس المنافقين ابن سلول، ثم تأتي حادثة أخرى تعتبر من أعظم الأحداث في تاريخ الإسلام، كانت أيضاً من إثارة وإشاعة ذلك العدو تلك هي:

❁ حادثة الإفك

[٣٣٠] عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: كان رسول الله ﷺ إذا أراد سفراً أقرع بين أزواجه، فأيتهن خرج سهمها خرج بها رسول الله ﷺ معه، قالت: فأقرع بيننا في غزوة غزاها فخرج فيها سهمي، فخرجت مع رسول الله ﷺ بعدما أنزل الحجاب، فكنت أحمّل في هودجني، وأنزل فيه، فسيرنا حتى إذا فرغ رسول الله ﷺ من غزوته تلك وقفل دنونا من المدينة قافلين أذن ليلة بالرحيل، فقمنا حين آذنوا بالرحيل، فمشيت حتى جاوزت الجيش، فلما قضيت شأني أقبلت إلى رجلي فلمست صدري فإذا عقد لي من جزع ظفار قد انقطع، فرجعت فالتمست عقدي فحبسني ابتغاؤه، قالت: وأقبل الرهط الذين كانوا يرحلونني، فاحتملوا هودجني فرحلوه على بعيري الذي كنت أركب عليه، وهم يحسبون أنني فيه، وكان النساء إذ ذاك خفافاً لم يهلن، ولم يغشهن اللحم إنما يأكلن العلقمة من الطعام فلم يستنكر القوم خفة الهودج حين رفعوه وحملوه، وكنت جارية

حديثة السن، فبعثوا الجمل فساروا ووجدت عقدي بعد ما استمرّ الجيش، فجئت منازلهم، وليس بها منهم داع ولا مُجيب، فتيّمت منزلي الذي كنتُ به، وظننت أنهم سيفقدوني فيرجعون إليّ، فبينما أنا جالسة في منزلي غلبتني عيني فنمت، وكان صفوان بن المُعطل السُلَمي ثم الذُكوانيّ من وراء الجيش، فأصبح عند منزلي، فرأى سوادَ إنسانٍ نائم فعرفني حين رأني، وكان رأني قبل الحجاب، فاستيقظت باسترجاعه حين عرفني، فخمّرتُ وجهي بجلبابي، ووالله ما تكلمنا بكلمة، ولا سمعتُ منه كلمةً، غير استرجاعه وهوى حتى أناخ راحلته، فوطيء على يدها فقمّت إليها فركبتها، فانطلق يقود بي الراحلة حتى أتينا الجيش مُوغرين في نحر الظهيرة وهم نزول، قالت: فهلك من هلك، وكان الذي تولى كبر الإفك عبد الله بن أبي ابن سلول. فذكرت الحديث بطوله.

رواه أحمد والبخاري في مواضع، ومسلم في التوبة، والنسائي في الكبرى وفي المجتبى، وقد تقدم بطوله مع شرحه والكلام عليه مبسوطاً في التفسير، فلا داعي لإيراده بطوله، فارجع إليه تستفد.

فهذه الحادثة النكراء كانت من جملة أحداث غزوة بني المصطلق خلافاً لمن جعلها في غزوة أخرى.

النظر ١٤٩ سفر عنده من تاريخ * * * ما من سار عشر ليال
من صومان السار ١٤٩

✽ ریح شديدة تهب لموت عظیم من المنافقين

[٢٢٢١] عن جابر رضي الله تعالى عنه قال: قدم رسول الله ﷺ من سفر، فلما كان قرب المدينة هاجت ريحٌ شديدة تكاد أن تدفن الراكب، فقال رسول الله ﷺ: «بُعِثت هذه الریح لموت منافق»، فلما قدم المدينة، فإذا منافق عظیم من المنافقين قد مات.

أخرجه أحمد (٣/٣١٥، ٣٤١، ٣٤٦)، ومسلم في صفات المنافقين (١٧/١٢٧)، وأبو يعلى (٢٣٠٣).

«هاجت» أي: تحرّكت ریح شديدة الهبوب. وقوله: «قدم من سفر» كان ذلك في هذه الغزوة كما رواه ابن إسحاق، ولما هبّت تأدّى بها الصحابة وتخوّفوها، فقال لهم رسول الله ﷺ: «لا تخافوها...». وقوله: «إذا منافق عظیم» بيّنه ابن إسحاق بأنه كان رفاعه بن زيد بن التابوت أحد من كان أسلم نفاقاً من يهود بني قينقاع.

والحديث يدلّ على أن ما ينزل بهذا الكون من الكوارث والشدائد كشدة الأرياح، وكثرة الأمطار الخارجة عن العادة والسيول والفيضانات والزلازل... وغير ذلك، كل ذلك يقع من الله تعالى بإذنه يدلّ على غضب منه على عباده إما لإصرارهم على الكفر إن كانوا كفاراً، وإما لإسرافهم في المعاصي وتمالّئهم عليها وعدم رجوعهم إلى الله عزّ وجلّ إن كانوا مسلمين، وإما لهلاك أحد أساطين الكفر والظلم والنفاق، فيغضب الله عزّ وجلّ لذلك، فيظهر أثر غضبه في هذا الكون، وهذه سنة إلهية في عباده، والقرآن مليء بالكلام على ذلك؛ كقوله: «فَلَمَّا آسَفُونَا أَي: أغضبونا» «أَنقَمْنَا مِنْهُمْ»، وقوله: «وَيَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا هَذِهِ السُّبُلَ الَّتِي سَلَكَتُمُوهَا لَمَّا ظَلَمْتُمْ»، وقوله: «وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ»... وقد جاء في حديث الشفاعة الطويل أن الله عزّ وجلّ سيغضب يوم القيامة غضباً لم يغضب مثله قبله ولا بعده، وما ذلك إلا لحضور جميع الكفرة والظلمة والجبابرة من يوم بداية ظهورهم إلى يوم القيامة، فيكون غضباً عليهم حتى إن أكابر عباده المختارين يخشونه ولا يتجرّؤون على مكالمته. جنبنا الله مواقع سخطه وغضبه، آمين.

* * *

✽ غزوة الخندق ويقال لها الأحزاب:

حفر الخندق

[٢٢٢٢] عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: خرج رسول الله ﷺ إلى الخندق، فإذا المهاجرون والأنصار يحفرون في غداة باردة، فلم يكن لهم

«الإهالة» الشحم أو مطلق الدهن. وقوله: «سنخة» - بفتح السين وكسر النون ثم خاء مفتوحة - أي متغيرة الطعم واللون.

غزوة الخندق أو الأحزاب كانت من أخطر الغزوات على النبي ﷺ والمسلمين كأحد، وكانت في السنة الخامسة في شوال على أصح القولين. قال ابن القيم في الهدى النبوي: إذ لا خلاف أن أحداً كانت في شوال سنة ثلاث، وواعد المشركون رسول الله ﷺ في العام المقبل، وهو سنة أربع، ثم أخلفوه، لأجل جذب تلك السنة، فرجعوا، فلما كانت سنة خمس جاءوا لحربه، هذا قول أهل السير والمغازي، وهو قول ابن سعد وابن إسحاق وعروة وقطع به الذهبي واعتمده الحافظ في الفتح، وكان من أسباب الغزوة أيضاً أن أشرف يهود بني النضير بعد أن أجلهم النبي ﷺ أرادوا الانتقام منه، فذهب وفد منهم لمكة المكرمة فاتصلوا بكفار قريش وحرّضوهم على محاربة النبي ﷺ والمسلمين، فتحزّبوا وجمعوا القبائل العربية من غطفان، وبني مزة، وبني سليم، وبني أسد، وساندتهم أيضاً يهود قريظة ومن تبعهم، وكان القائد العام للكل أبو سفيان فزحفوا تجاه المدينة بجيش قوي عظيم مكون من عشرة آلاف مقاتل.

ولما بلغ رسول الله ﷺ ما أرادوه استشار الصحابة في ذلك، فأشار إليه سلمان الفارسي رضي الله تعالى عنه بحفر الخندق حول المدينة، فاستحسن ذلك منه، فشرعوا يحفرون، وكانت الخندق خاصة بشرق شمال المدينة إلى غربها لأنها التي كانت عارية. أما الجهة الشرقية والجنوبية، فكانت مشتبكة بالنخيل والمنازل والدور. وقد قاسى المسلمون صعوبات وشدائد جسيمة في حفر الخندق، وشارك في ذلك معهم النبي ﷺ، فكان ينقل التراب ويتمثل بشعر ابن رواحة: والله لولا الله ما اهتدينا الخ، وأصابهم نصب ومخمصة حتى أنهم أكلوا الشحم المتغير بشيع المساغ.

عبيد يعملون ذلك لهم، فلما رأى ما بهم من التصب والجوع قال: «اللهم إن العيش عيش الآخرة، فاغفر للأنصار والمهاجرة»، فقالوا مجيبين له: نحن الذين بايعوا محمداً، على الجهاد ما بقينا أبداً.

وفي رواية قال: جعل المهاجرون يحفرون الخندق حول المدينة وينقلون التراب على متونهم وهم يقولون: نحن الذين بايعوا محمداً، على الإسلام ما بقينا أبداً، قال: يقول النبي ﷺ وهو يجيبهم: «اللهم إنه لا خير إلا خير الآخرة، فبارك في الأنصار والمهاجرة»، قال: يؤتون بيليء كفي من الشعر فيصنع لهم بإهالة سنخة، توضع بين يدي القوم، والقوم جياع، وهي بشعة في الحلق، ولها ريح مئنة.

رواه البخاري في المغازي (٣٩٨/٨)، ومسلم في الجهاد والسير (١٨٠٥ ج ١٢/١٢).

[٣٣٣] ونحوه عن سهل بن سعد بلفظ: جاءنا رسول الله ﷺ ونحن نحفر الخندق ونقل التراب على أكتافنا، فقال رسول الله ﷺ: «اللهم لا عيش إلا عيش الحديث».

رواه البخاري (٣٩٦/٨، ٣٩٧)، ومسلم في الجهاد (١٨٠٤).

[٣٣٤] وعن البراء رضي الله تعالى عنه قال: كان النبي ﷺ ينقل التراب يوم الخندق وقد وازى التراب بياض بطنه، وكان كثير الشعر، فسمعت يرتجز بكلمات ابن رواحة وهو ينقل التراب:

والله لولا الله ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا
فأنزلن سكيناً علينا
وثبت الأقدام إن لاقينا إن الأولى قد بعوا علينا
إذا أرادوا فتنة أبينا

ورفع بها صوته: «أبيننا، أبيننا».

رواه البخاري (٤٠٤/٨، ٤٠٥)، ومسلم رقم (١٨٠٣).

[٣٣٥] عن جابر رضي الله تعالى عنه قال: إننا يوم الخندق نُحْفِرُ فَعَرَضَتْ كُدْيَةٌ شَدِيدَةٌ، فَجَاءُوا النَّبِيَّ ﷺ فَقَالُوا: هَذِهِ كُدْيَةٌ عَرَضَتْ فِي الْخَنْدِقِ، فَقَالَ: «أَنَا نَازِلٌ»، ثُمَّ قَامَ وَبَطْنُهُ مَعْصُوبٌ بِحَجَرٍ، وَلَيْشْنَا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ لَا نَذُوقُ ذَوْاقًا، فَأَخَذَ النَّبِيُّ ﷺ الْمِغْوَلَ فَضَرَبَ فِي الْكُدْيَةِ فَعَادَ كَثِيبًا أَهْيَلٍ أَوْ أَهْثَمٍ.

فقلت: يا رسول الله! ائذن لي إلى البيت، فقلت لامرأتي: رأيت بالنبي ﷺ شيئاً ما كان في ذلك صبرٌ، فعندك شيء؟ قالت: عندي شعير وعناق، فذبحت العناق وطحننت الشعير حتى جعلنا اللحم في البرمة، ثم جئت رسول الله ﷺ والعجيين قد انكسر، والبرمة بين الأثافي قد كادت تَنْضَجُ، فقلت: طَعِمْتُمْ لِي، فقم أنت يا رسول الله ورجل أو رجلان، قال: «كم هو؟» فذكرت له، قال: «كثيرٌ طيبٌ»، قال: قل لها: لا تنزع البرمة ولا الخبز من الثور حتى آتي، فقال: قوموا، فقام المهاجرون والأنصار فلما دخل على امرأته قال: ويحك جاء النبي ﷺ بالمهاجرين والأنصار ومن معهم، قالت: هل سألك؟ قلت: نعم، فقال: «ادْخُلُوا وَلَا تَضَاغَطُوا»، فجعل يكسر الخبز ويجعل عليه اللحم، ويخمر البرمة والثور إذا أخذ منه، ويُقَرَّبُ إِلَى أَصْحَابِهِ ثُمَّ يُنْزَعُ، فلم يزل يكسر الخبز ويغرف حتى شبعوا وبقيت بقية، قال: «كُلِّي هَذَا وَأَهْدِي، فَإِنَّ النَّاسَ أَصَابَتْهُمْ مَجَاعَةٌ».

وفي رواية قال: لما حفر الخندق رأيت بالنبي ﷺ خَمْصًا شَدِيدًا... وفيه: فجننته فساررته، فقلت: يا رسول الله ذبحنا بُهَيْمَةً وطحننا صاعاً من شعير كان عندنا فتعال أنت ونفر معك، فصاح النبي ﷺ فقال: «يا أهل الخندق إن جابراً قد صنع سُوراً فَحَيَّ هَلَا بِكُمْ»، قال: فاجريئ له عجيناً فبصق فيه وبارك ثم عمد إلى بُرْمَتِنَا فبصق وبارك ثم قال: «ادْعُ خَابِرَةَ فَلْتَخْبِزْ مَعَكَ وَاقْدِجِي مِنْ بَرْمَتِكَ وَلَا تُنْزِلُوها»، وهم ألف، فأقسم بالله لقد أكلوا حتى تركوه، وانحرفوا وإن بُرْمَتِنَا لَتَغِطُّ كما هي، وإن عجيننا ليخبز كما هو.

رواه البخاري في المغازي (٣٩٩/٨، ٤٠٢) بالروایتين، ومسلم في الأشربة (٢١٥/١٣) بالرواية الثانية.

«كدية» بضم الكاف وسكون الدال قطعة من الأرض غليظة لا تؤثر فيها الفؤوس. «معصوب» أي: مربوط عليه بعصابة. «لا نذوق ذواقاً» أي: لا نأكل طعاماً. «المعول» بكسر الميم هو الفأس. «كثيباً» أي: صار رملاً. «أهيل» بفتح الهمزة وسكون الهاء أي: سائلاً لا يتماسك. «عناق» بفتح العين هي الأنثى من أولاد المعز قبل أن يتم لها سنة. «التثور» المخبز. «ويحك» كلمة حنان وإشفاق. «ولا تضاغطوا» أي: لا تتزاحموا. «ويخمر البرمة» أي: يغطيها. «مجاعة» بفتح الميم أي: جوعاً، ويقال مخمصة. «فانكفأت» أي: ملئت. «جراب» بكسر الجيم وعاء من جلد ونحوه. «فساررته» أي: كلمته سراً. «لتغط» أي لتصوت بغليانها.

في هذا الحديث الشريف معجزتان هامتان من جملة معجزات النبي ﷺ أظهرهما الله عز وجل على يده الشريفة آية على عظيم قدرته وبيانا بأنه عز وجل لا يعجزه شيء أراد كائناً ما كان، إذ هو الفعال لما يريد.

وكانت المعجزة الأولى في تفتيت تلك الكدية التي أغيت المعاول وأقوياء الرجال حتى صارت رملاً سائلاً بضربة النبي ﷺ التي كانت مؤيدة بقدرة الله عز وجل، وقد جاء في رواية لابن عباس أنها كانت صخرة، فقال: «بسم الله» فضربها فوقعت فلقة ثلثها، فقال: «الله أكبر قصور الروم ورب الكعبة»، ثم ضرب أخرى فوقعت فلقة، فقال: «الله أكبر قصور فارس والروم ورب الكعبة»، فقال عندها المنافقون: نحن نخندق وهو يعدنا قصور فارس والروم... رواه الطبراني وسنده صحيح، انظر مجمع الزوائد (١٣١/٦، ١٣٢)، فدللت هذه الرواية على معجزتين أخريتين ثالثة ورابعة، وهما رؤيته ﷺ قصور ملوك فارس والروم وأنها سيملكها المسلمون في مستقبل الزمان، كما جاء في أحاديث أخرى التي أخبرت بذلك صراحة.

أما المعجزة الثانية في حديث جابر، فهي البركة في تكثير الطعام ولحم عناق وصاع من شعير أشبعا ألف رجل حتى تركوا ذلك، إن هذا شيء خارق

للعادة وقد وقع مثل هذا غير ما مرّة كما يأتي في المعجزات إن شاء الله تعالى.

❁ موقع المشركين في غزوة الخندق من المسلمين

[٢٢٦] عن سيدتنا عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: ﴿إِذْ جَاءَكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ﴾، قالت: كان ذلك يوم الخندق.

رواه البخاري (٤٠٣/٨)، ومسلم (٣٠٢٠) في التفسير (١٥٧/١٨).

هذا بيان من الله عز وجل عن مواقع الكفار ومنزلهم عند غزوة الخندق، وما نزل بالمسلمين من الشدة والخوف، وقد أوضح ذلك ابن إسحاق وغيره، فقال: نزلت قريش بمجتمع السيول في عشرة آلاف من أحابيشهم ومن تبعهم من بني كنانة وتهامة، ونزل عيينة في غطفان ومن معهم من أهل نجد إلى جانب أحد بباب نعمان.

وخرج رسول الله ﷺ والمسلمون حتى جعلوا ظهورهم إلى سلع في ثلاثة آلاف، والخندق بينه وبين القوم، وجعل النساء والذراري في الآطام.

❁ من مشاهد المعركة

[٢٢٧] عن جابر رضي الله تعالى عنه قال: اشتد الأمر يوم الخندق، فقال رسول الله ﷺ: «ألا رجل يأتينا بخبر بني قريظة؟» فانطلق الزبير فجاء بخبرهم، ثم اشتد الأمر أيضاً فذكر ثلاث مرات، فقال رسول الله ﷺ: «إن لكل نبي حوارٍ والزبير حوارِي».

رواه أحمد (٣٠٧/٣، ٣١٤، ٣٦٥)، والبخاري (٨٢/٨)، ومسلم (١٨٨/١٥) كلاهما في الفضائل، وابن ماجه (١٢٢) ويأتي حديث ابن الزبير في الفضائل إن شاء الله تعالى.

حاصر الكفار المسلمين بضعة عشر يوماً، واشتد الحال على المسلمين وزادهم شدة ما بلغهم عن يهود قريظة من نقضهم العهد ودعمهم لكفار قريش، فأرسل رسول الله ﷺ نحو خمسمائة رجل يحرسون المدينة خوفاً على النساء والذراري من اليهود وغيرهم، ثم أرسل ﷺ الزبير يستجلي له الخبر، فلما جاءهم وجدهم حائنين أثر الشر باد على وجوههم، ونالوا من رسول الله ﷺ والمسلمين أمامه، فرجع وأخبر الرسول بذلك، وهناك اشتد وجل المسلمين وزلزلوا زلزالاً شديداً كما يأتي في الآيات في ذلك؛ فأراد النبي ﷺ أن يعطي عيينة بن حصن ومن معه ثلث ثمار المدينة على أن يرجعوا، فقال له سعد بن معاذ، وسعد بن عباد: كنا نحن وهم على الشرك لا يطمعون منا في شيء من ذلك، فكيف نفعله بعد أن أكرمنا الله عز وجل بالإسلام وأعزنا بك نعطيهم أموالنا، ما لنا بهذا من حاجة، ولا نعطيهم إلا السيف^(١). ولما اشتد عليهم الحصار تكلم بعض المنافقين وأظهروا نفاقهم، وأنزل الله تعالى: ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾ (١٦) الآيات ستأتي. وكان الذين جاءوهم من فوقهم بنو قريظة، ومن أسفل منهم قريش وغطفان، ولم يقع في هذه الغزوة حرب ومواجهة إلا مراماة بالنبل لكن عمرو بن عبد ود العامري اقتحم هو ونفر معهم خيولهم من ناحية ضيقة من الخندق، فبارزه الإمام علي عليه السلام فقتله، وبرز نوفل بن عبدالله المخزومي فبارزه الزبير فقتله، ورجعت بقية الخيول منهزمة، ذكر ذلك ابن إسحاق وغيره.

❁ محاولة بعض الكفار إيذاء النساء والذراري

[٢٢٨] عن رافع بن خديج رضي الله تعالى عنه قال: لم يكن حصن

(١) قصة هذه المفاوضة رواها البزار والطبراني بسند حسن كما قال النور في مجمع الزوائد (١٣٢/٦).

أحصن من حصن بني حارثة، فجعل النبي ﷺ النساء والصبيان والذراري فيه، وقال: «إِنَّ الْمَمَّ بَكَرٌ أَحَدٌ فَأَلْمِغَنَ بِالسِّيفِ»، فجاءه رجل من بني ثعلبة يقال له نجدان على فرس حتى كان في أصل الحصن، ثم جعل يقول للنساء: انزلن إلى خير لكن، فحَرَكَنَّ السِّيفَ فَأَبْصَرَهُ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فابتدر الحصن قوم فيهم رجل من بني حارثة يقال له ظَهَيْرُ بْنُ رَافِعٍ، فقال: يا نجدان أبرز، فبرز إليه فحمل على رأسه فقتله، وأخذ رأسه فذهب به إلى النبي ﷺ.

عزاه الهيثمي في المجمع (١٣٣/٦) للطبراني وقال: رجاله ثقات.

إن الإنسان من حيث هو في كل العصور والأجيال يحب أهله وأولاده بطبيعته، ولذلك تجده يفديهم بماله ونفسه ويدافع ويقاتل دونهم.

ولذلك حصن النبي ﷺ النساء والصبيان... في حصن مانع قبل مجيء الكفار، ومع ذلك فقد كان المسلمون يحرسونهن من الخارج ويراقبونهن، وقد أرشدهن النبي ﷺ إلى إظهار علامة إن رأين شراً، فلما جاء ذلك الثعلبي يريد بهن سوءاً بادر من جاءه فبرز له وقتله...

وقد ذكر ابن إسحاق كما عند ابن هشام قصة اليهودي الذي جعل يطيف بالحصن، فنزلت صفة عمّة رسول الله ﷺ بعمود فضربته به حتى قتلتها، وفيها ما حصل بينها وبين حسان لكن سندها ضعيف.

✽ انشغال المسلمين عن الصلاة حتى غابت الشمس

[٢٢٩] عن جابر رضي الله تعالى عنه قال: إن عمر جاء يوم الخندق بعدما غربت الشمس جعل يسب كفار قريش، قال: يا رسول الله ما كذت أن أصلي حتى كادت الشمس أن تغرب، قال النبي ﷺ: «والله ما صليتها»، فنزلنا مع النبي ﷺ بَطْحَانَ فتوضأنا لها فصلّى العصر بعد ما غربت الشمس ثم صلي بعدها المغرب.

رواه البخاري في المغازي (٤٠٩/٨)، ومسلم في المساجد من كتاب

الصلاة (١٣١/٥، ١٣٢)، والترمذي وابن ماجه (٦٨٦) كلاهما في الصلاة أيضاً، ورواه أحمد أيضاً (٤٠٤/١، ٤٥٦).

[٢٤٠] وعن علي رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ يوم الأحزاب: «شغلونا عن الصلاة الوسطى حتى غربت الشمس، ملأ الله قبورهم وبيوتهم»، أو قال: «قبورهم وبيوتهم ناراً».

رواه البخاري (٤٠٩/٨)، ومسلم (١٢٧/٥، ١٢٨) وتقدم في الصلاة.

[٢٤١] وعن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال: حُسِنَا يَوْمَ الْخَنْدَقِ عَنِ الصَّلَاةِ حَتَّى كَانَ بَعْدَ الْمَغْرَبِ، وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يَنْزَلَ فِي الْقِتَالِ مَا نَزَلَ. وَفِي رِوَايَةٍ: قَبْلَ أَنْ يَنْزَلَ صَلَاةُ الْخَوْفِ «فَرَجَالًا أَوْ رُكْبَانًا»، فَلَمَّا كُنْفِنَا الْقِتَالَ وَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾، أَمَرَ النَّبِيَّ ﷺ بِإِلَّا فَأَقَامَ الظَّهْرَ فَصَلَّاهَا كَمَا يَصَلِّيهَا فِي وَقْتِهَا.

رواه أحمد (٢٥/٣، ٤٩، ٦٧)، وابن خزيمة (٩٩٦)، وابن حبان (٢٨٥)، والطحاوي في المعاني (٣٣١/١)، والبيهقي (٤٠٢/١) بسند صحيح.

«بطحان» - بضم الباء - وإد وراء جبل سلع بالمدينة.

وهذه الأحاديث الثلاث تدل على أن النبي ﷺ والمسلمين في بعض أيام الخندق شغلوا بمقاومة الكفار وحصارهم عن أداء عدة صلوات في أوقاتها كالظهرين مثلاً، فإنهم لم يصلّوها حتى غابت الشمس فصلّوها مع المغرب، وكان هذا التفويت عن الوقت قبل أن تنزل صلاة الخوف، كما في حديث أبي سعيد. وهو يرّد على طائفتين من العلماء، فيردّ على من يستدل بهذه الأحاديث على جواز إخراج الصلاة عن وقتها للضرورة كالقتال مثلاً. كما يرّد على من يقول بأن غزوة الرقاع كانت قبل الخندق، فإن النبي ﷺ صلى فيها صلاة الخوف كما يأتي، ويؤخذ من هذا التفويت للظهر والعصر معاً أن الحصار من الكفار كان شديداً على المسلمين، بحيث اشتد عليهم الأمر على طول خطّ الخندق حتى لم يتمكنوا من أداء الصلاة، وهذا واضح من الآية الآتية: ﴿هَذَاكَ أَبَتِي الْمُؤْمِنُونَ وَزَلُّوا زَلْزَالًا شَدِيدًا﴾.

* دعاء النبي ﷺ على الكفار واستجابة دعوته

[٣٤٤] عن عبدالله بن أبي أوفى رضي الله تعالى عنه قال: دعا رسول الله ﷺ على الأحزاب فقال: «اللَّهُمَّ مُنْزِلَ الْكِتَابِ، سَرِيعَ الْحِسَابِ، اهْزِمِ الْأَحْزَابَ، اللَّهُمَّ اهْزِمْهُمْ وَزَلِّزْلِهِمْ».

رواه البخاري (٤١٠/٨) في الغزوات وفي الجهاد، ومسلم في الجهاد والسير (٤٧/١٢)، وأبو داود (٢٦٣١) كذلك.

[٣٤٥] وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ كان يقول: «لا إله إلا الله وحده أعز جُنْدُه، ونَصْرُ عِبْدِه، وَعَلْبُ الْأَحْزَابِ وَحْدَه فلا شيء بعده».

رواه البخاري في المغازي (٤١٠/٨)، ومسلم في الذكر والدعاء باب التعوذ من شر ما عمل (٤٣/١٧).

قوله: «وزلزلهم» أي: حرك قلوبهم بالخوف والرعب وأزعجهم وحركهم بالشدائد.

لما اشتد الحصار على المسلمين وطوقهم الكفار على طول خط الخندق من شرق الحرة الشرقية فشمال المدينة إلى غربها قبالة سلع، وبلغت القلوب الحناجر من الهول والخوف التجأ النبي ﷺ إلى بارئته يدعوه ويستغيثه ويستنصره، فأجاب الله عز وجل دعاءه فنصره وكفى الله المؤمنين القتال، وكان ذلك بأسباب ثلاثة:

أولاً: جاء رجل اسمه نُعَيْم بن مسعود إلى رسول الله ﷺ وقد أسلم فعرض عليه تنفيذ أي أمر يريده ﷺ، فقال له: «خَدَلْنَا عَنَا إِنْ اسْتَطَعْتَ، فَإِنَّ الْحَرْبَ خُدْعَةٌ»، فخرج نعيم فأتى بني قريظة وهم يحسبون لا يزال مشركاً، فأقنعهم أن لا يتورطوا مع قريش في قتال حتى يأخذوا منهم رهائن كي لا ينصرفوا، فيبقون وحدهم في المدينة دون أي نصير لهم على محمد وأصحابه فحسنوا رأيه، ثم خرج حتى أتى قريشاً فأنبأهم بأن بني قريظة قد ندموا على ما صنعوا، وأنهم قد اتفقوا خفية مع رسول الله ﷺ على أن

يختطفوا عدداً من أشرف قريش وغطفان فيسلموهم له ليقتلهم، فإن أرسلت إليكم يهود يلتمسون منكم رهناً من رجالكم فيأياكم أن تسلموهم رجلاً منكم، ثم خرج حتى أتى غطفان فقال لهم مثل ما قال لقريش، فتألب بعضهم على بعض وساءت الظنون وارتفعت الثقة فيما بينهم، وأصبح كل فريق منهم يتهم الفريق الآخر بالغدر والخيانة، ذكره ابن سعد (٦٩/٢)، وابن هشام (١٧٩/٣، ١٨١) مطولاً.

ثانياً: جاءت الكفار ريح صرصرٌ مُخِيفَةٌ في ليلة مظلمةٍ حالكَةٍ باردةٍ، فقلبت قُدُورَهُمْ واقتلعت خِيَامَهُمْ، وقَطَعَتْ أوتادَهُمْ، وكان هذا مصداقاً لقوله ﷺ:

[٣٤٤] «نُصِرْتُ بِالصَّبَا، وَأُهْلِكْتُ عَادَ بِالدَّبُورِ».

رواه البخاري (١٧٤/٣)، ومسلم (١٩٧/٦) كلاهما في الاستسقاء من حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، ورواه البخاري في المغازي أيضاً.

«الصِّبَا» - بفتح الصاد المشددة - الريح الشرقية، و«الدبور» الريح الغربية.

فنصر الله عز وجل نبيه ﷺ والمسلمين في هذه الغزوة بالريح الشرقية بعثها إليهم فأفزعتهم وأزعبتهم وزلزلت قلوبهم، وصارت تلقي الرجل على أم رأسه.

ثالثاً: أرسل الله عز وجل كذلك عليهم جنداً من ملائكته، فزلزلت قلوبهم وألقت فيها الرعب والخوف، فانسحبوا منهزمين. وفي إرسال الملائكة والريح عليهم يقول عز وجل: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُودًا لَمَّ تَرَوْهَا﴾، ويوضح هذا الفزع والرعب الذي أصاب الكفار وانهزامهم حديث حذيفة الآتي، وهو:

[٣٤٥] فعن حذيفة رضي الله تعالى عنه قال: والله لقد رأيتنا مع رسول الله ﷺ بالخندق وصلى رسول الله ﷺ من الليل هويماً، ثم التفت إلينا فقال: «مَنْ رَجُلٌ يَقُومُ فَيَنْظُرُ لَنَا مَا فَعَلَ الْقَوْمُ»، يشترط له

رسول الله ﷺ أنه يرجع؛ أدخله الله الجنة، فما قام رجل، ثم صلى رسول الله ﷺ هويماً، ثم التفت إلينا فقال: «من رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم ثم يرجع - يشترط له رسول الله ﷺ الرجعة - أسأل الله تعالى أن يكون رفيقي في الجنة»، فما قام رجل من القوم من شدة الخوف وشدة الفزع، وشدة البرد، فلما لم يقم أحد دعاني رسول الله ﷺ فلم يكن لي بد في القيام حين دعاني فقال: «يا حذيفة فاذهب فادخل في القوم فانظر ما يفعلون ولا تُحدثن شيئاً حتى تأتينا»، قال: فذهبت فدخلت في القوم، والريح وجنود الله تفعل ما تفعل، لا تقر لهم قدر، ولا ناز، ولا بناء، فقام أبو سفيان بن حرب فقال: يا معشر قريش لينظر امرؤ إلى جليسه، فقال حذيفة: فأخذت بيد الرجل الذي جنبي، فقلت: من أنت؟ فقال: أنا فلان بن فلان، ثم قال أبو سفيان: يا معشر قريش إنكم والله ما أصبحتم بدار مقام، لقد هلك الكراع، وأخلفتنا بنو قريظة، بلغنا منهم الذي نكره، ولقينا من هذه الريح ما ترون، والله ما تطمئن لنا قدر، ولا تقوم لنا ناز، ولا يستمسك لنا بناء، فارتحلوا فإني مرتحل، ثم قام إلى جملة وهو معقول، فجلس عليه ثم ضربه فوثب على ثلاث، فما أطلق عقله إلا وهو قائم، ولولا عهد رسول الله ﷺ: «لا تُحدث شيئاً حتى تأتيني» ثم شئت لقتلته بسهم، قال حذيفة: ثم رجعت إلى رسول الله ﷺ وهو قائم يصلي في ميزط لبعض نسائه مرجل، فلما رأني أدخلني إلى رحله، وطرح علي طرف المرط ثم ركع وسجد وإنه لفيه فلما سلم أخبرته الخبر، وسمعت غطفان بما فعلت قريش وانشروا إلى بلادهم.

وفي رواية: فمضيت كأنما أمشي في حمام حتى أتيتهم، فإذا أبو سفيان يضلبي ظهره بالنار، فوضعت سهمي في كبد قوسي وأردت أن أرميه، ثم ذكرت قول رسول الله ﷺ: «لا تدعهم علي»، ولو رميته لأصبتة... الحديث.

رواه ابن أبي شيبة وأحمد (٣٩٢/٥، ٣٩٣)، ومسلم في الجهاد والسير (١٤٥/١٢)، والحاكم (٣١/٣)، والبيهقي في الكبرى (١٥٩/٩) وفي الدلائل (٤٤٩/٣، ٤٥٤) والسياق لأحمد وغيره، وعزاه النور (١٣٦/٦) للبزار وقال: رجال ثقات.

قوله: «الكراع» - بضم الكاف - اسم لجميع الخيل. و«المرط» - بكسر الميم - تقدم أنه كساء من صوف أو نحوه. «مرجل» أي: فيه أرقام وخطوط. «كأنما أمشي في حمام» يعني أنه لم يجد البرد الذي أصاب الناس. «لا تدعهم» أي: لا تحركهم.

فهذا الحديث بين ما نزل بالأحزاب من الشدة والرعب والفزع وما أصابهم من الفتنة والانهازم بداية من قائدهم أبي سفيان الذي كان أول من ركب جملة، وقام به منهزماً خائفاً لا يلوي على أحد، ثم انسحبوا من ليلتهم وكانوا كما قال تعالى: ﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْبِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْفِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾، وبذلك أزاح الله عز وجل عن المسلمين هذه الغمة التي تحزب فيها الأحزاب من عرب ويهود على المسلمين والحمد لله رب العالمين.

[٣٤٦] وعن عائشة رضي الله تعالى عنها في حديث لها عن يوم الخندق، قالت: ويرمي سعداً رجلاً من المشركين من قريش يقال له ابن العرقعة بسهم له، فقال له: خذها وأنا ابن العرقعة، فأصاب أتحله فقطعه، فدعا الله سعد فقال: لا تُمِثني حتى تقر عيني من بني قريظة، قالت: وكانوا حلفاء ومواليه في الجاهلية، قالت: فرقى كلمه، وبعث الله عز وجل الريح على المشركين ﴿وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْفِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾، فلحق أبو سفيان ومن معه بتهمة، ولحق عيينة بن حصن ومن معه بنجد ورجعت بنو قريظة فتحصنوا في صياصبيهم، ورجع رسول الله ﷺ إلى المدينة وأمر بقبه من آدم فضربت على سعد في المسجد.

الحديث رواه أحمد (١٤١/٦، ١٤٣) بسند حسن وجوده ابن كثير في السيرة، ويأتي كاملاً في غزوة بني قريظة مع أحاديث أخرى في شأن سعد رضي الله تعالى عنه.

وهذا الحديث من تمام الكلام على انهزام الكفار وانسحابهم والتفريق على المسلمين وكشف ما نزل بهم من الشدة والغمة بضعة عشر يوماً.



✽ تبشير النبي ﷺ أصحابه بأن الكفار لا يغزونهم بعد الأحزاب

[٣٤٧] فعن سليمان بن صُرْد رضي الله تعالى عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول حين جلى الأحزاب عنه: «الآن نغزؤهم ولا يغزؤننا، نَحْنُ نَسِيرُ إِلَيْهِمْ».

رواه أحمد (٢٦٢/٤)، والبخاري في المغازي (٤٠٨/٨، ٤٠٩).

في هذا الحديث معجزة ظاهرة للنبي ﷺ حيث أخبر الصحابة بأن الكفار قد انتهى أمرهم من شن الغارة عليهم، وأن المسلمين هم الذين سيسيروا إليهم، فكان الأمر كما أخبر، فلم تمض إلا سنتان وأشهر ففاجؤوهم بفتح مكة المكرمة، واستؤصل الكفر فلم يَبْقَ له أثر بمكة التي كانت محط نظر العرب.

✽ وضع النبي ﷺ سلاحه بعد رحيل الكفار واغتساله واستجماره

[٣٤٨] عن كعب بن مالك رضي الله تعالى عنه قال: لما رجع النبي ﷺ من طلب الأحزاب فنزل المدينة، ووضَع لأُمته، واغتسل، واستَجَمَرَ.

عزاه النور في المجمع (١٤٠/٦) لأوسط الطبراني وقال: رجاله ثقات، وعزاه الحافظ في المطالب رقم (٤٣٢٨) لإسحاق بن راهويه وحسنه.

«لأُمته» آلات الحرب من دروع ومغفر... واستجمر أي بَحَّر بنحو عود ونحوه.

✽ خلاصة غزوة الأحزاب وبعض ما يؤخذ منها

كانت هذه الغزوة امتداداً من غزوة بدر، فإن كفار قريش بعد أن انهزموا ببدر تلك الهزيمة التَّكْرار لم يتحمّلوها ولم يهدأ لهم بال، ولا قرَّ لهم قرار من يومها، ولم يزالوا جادّين في أخذهم الثَّار من النبي ﷺ والمسلمين حتى مرَّ حول عليهم وهم يعدّون العدة لحربهم، فهاجموا المدينة، فكانت وقعة أحد، ولما أصاب المسلمين ما أصابهم بها وانصرف المشركون تجرّأ على المسلمين بعض القبائل العربية ونقض بنو النضير عهدهم مع النبي ﷺ، فحاصروهم ﷺ ثم أجلاهم، وكان منهم رئيسهم حُيَيِّ بن أخطب الذي نزل بخيبر، فذهب في جماعة من قومه إلى مكة فقابلوا رؤساء قريش وحرّضوهم على حرب رسول الله ﷺ ومَنّوهم المُساعدة على ذلك ليأخذوا ثأرهم ويستردّوا بلادهم، فوجدوا من كفار قريش القبول لما طلبوا ليتّموا هم الآخرون نصرهم الذي انتصروه في غزوة أحد، فإنهم ندموا على ذلك كما تقدم، ثم ذهب اليهود إلى قبيلة غطفان وحرّضوا رجالها أيضاً وأخبروهم بمبايعة قريش لهم على الحرب، فوجدوا منهم ارتياحاً.

فتجهّز الجميع واجتمعوا وتوجّهوا نحو المدينة بجيش جرّارٍ عَزَمَ يتكوّن من أكثر من عشرة آلاف مقاتل، مُدْعَمِينَ بثلاثمائة فرس، وألفٍ بغير، وكان جميعهم في هذه المرّة يريدون استئصال النبي ﷺ ومَن معه من المسلمين والقضاء عليهم وأخذ أموالهم وسبى نساءهم وذريتهم، ولكن الله عزّ وجلّ حَيَّب سعيهم وردّ مكرهم في نحورهم، فما كان عزّ وجلّ ليسلّطهم على نبيّه وأصحابه البرّة، فلقد فوجؤوا بحفر الخندق من الحرّة الشرقية فشمال المدينة إلى الحرّة الغربية، فعلموا أن هذه مكيدة لم يكن للعرب بها معرفة، وبذلك حصّن الله عزّ وجلّ المسلمين ومدينتهم من كَيْد الأعداء، ولم يكن كبير قتال غير مناوشات وبعض المبارزات بيّد أنه اشتدّ الأمر على المسلمين لأنهم حوصروا بضعة عشر يوماً في قول أو بضعاً وعشرين يوماً في قولٍ آخر، حكاهما أهل السيرة والمغازي، انظر ابن سعد

(٦٩/٢، ٧٣)، وابن هشام (٢٧٤/٣). وازداد الأمر عليهم شدة عندما علموا نقض قريظة عهدهم ومساعدتهم كفار قريش، ثم جاء نصر الله عز وجل وهزيمة الكفار فانسحبوا مخزيين مدحورين، وقد نأخذ من أحداث هذه الغزوة أموراً:

منها: أن السبب فيها وإثارتها كان من يهود بني النضير، فإنهم الذين حرّكوا ما كان كامناً في قلوب قريش من حرب النبي ﷺ وتتميمهم النصر الذي حظوا به في أحد.

ومنها: ما شاهدنا من مشاركة النبي ﷺ أصحابه في حفر الخندق حتى غطى التراب بياض بطنه الشريف، وهذا من تمام تواضعه وحسن أخلاقه.

ومنها: صبره على الجوع كأصحابه حتى ربط بطنه بعصابة من شدة الجوع، ولما جاءه جابر وسارره في أن يذهب معه هو ونفر من أصحابه لم يكن ليذهب في نفر قليل فيتناولوا ما يشبعهم دون غيرهم، بل نادى في الجيش بأعلى صوته: «ألا إن جابراً صنع لنا طعاماً، فحيّ هلاً»، فذهب بألف من أصحابه، فأكل جميعهم حتى شبعوا وهذا من كمال شفقتة ورحمته بأصحابه ﷺ.

ومنها: ما ظهر من تينك المعجزتين، وهما كما تقدم تفتيت تلك الصخرة التي لم تؤثر فيها المعاول بضرب النبي ﷺ، ثم البركة في الطعام حتى شبع من خبز صاع شعير، ولحم عناق ألف رجل.

ومنها: شجاعة الزبير وشهامته حيث انتدب فذهب إلى بني قريظة ليأتي النبي ﷺ بخبرهم والناس في أشد ما يكونون من الخوف والجزع والجوع والبرد.

ومنها: جواز مصالحة الكفار على ضريبة يؤديها المسلمون لهم إذا اقتضت الحاجة ذلك، وكانت فيها مصلحة عامة للمسلمين، وهذا وإن كان النبي ﷺ لم يفعله، لكنه هم به.

ومنها: أن الأمر في هذه الغزوة كان شديداً على المسلمين جداً كما

في القرآن الكريم، حتى إنهم في بعض الأيام لم يتمكنوا من أداء الصلاة في وقتها، ففاتتهم صلاتا الظهر والعصر حتى غربت الشمس، وهذا كان قبل فرضية صلاة الخوف، ومن قال خلاف هذا فهو غلط.

ومنها: مشروعية الدعاء عند نزول الشدائد؛ لأن المؤمن ليس له ملجأ إلا إلى الله، وبذلك يكون عبداً خالصاً لله عز وجل.

ومنها: أن الله عز وجل جنوداً ينصر بها عباده المؤمنين كالريح والأمطار والزلازل والفيضانات والحيوانات وغيرها من خلقه تعالى، فضلاً عن ملائكته المقربين الذين جعلهم قائمين على هذه الكائنات.

✽ شهداء الخندق

واستشهد في هذه الغزوة: أنس بن أوس بن عتيك، وعبدالله بن سهل، والطفيّل بن الثعمان، وثعلبة بن عثمة، وكعب بن زيد.

ورمي سعد بن معاذ بسهم في أكله فمات منه بعد حكمه في بني قريظة كما يأتي، وكل هؤلاء من الأنصار رضي الله تعالى عنهم، وقد نزل في هذه الغزوة من القرآن نحو من عشرين آية بدايةً من قوله عز وجل: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَخُذُوا لَهَا ثَرَوَهَا﴾ إلى قوله عز وجل: ﴿وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾.

✽ غزوة بني قريظة

[٢٤٩] عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: أصيب سعد بن معاذ يوم الخندق رماه رجل من قريش يقال له جبان بن العرقية رماه في الأكل،

فضرب النبي ﷺ خيمة في المسجد ليعوده من قريب، فلما رجع رسول الله ﷺ من الخندق وضع السلاح واغتسل، فأتاه جبريل عليه السلام، وهو يَنْفُضُ رأسه من الغبار، فقال: قد وضعت السلاح، والله ما وضعتهُ إخراج إليهم، قال النبي ﷺ: «فأين؟» فأشار إلى بني قريظة، فأتاهم رسول الله ﷺ فنزلوا على حكمه، فردَّ الحكم إلى سعد، قال: فإني أحكم فيهم أن يُقتل المُقاتِلَةُ، وأن تُسبَى النساءُ والذريةُ، وأن تُقسَمَ أموالُهُم، فقال رسول الله ﷺ: «لقد حكمت فيهم بحكم الله عزَّ وجلَّ».

رواه البخاري في المغازي (٤١١/٨، ٤١٦، ٤١٧)، ومسلم في الجهاد والسَّير (٩٤/١٢، ٩٥).

[٢٥٠] وعن أنس رضي الله تعالى عنه قال: كآني أنظر إلى الغبار ساطعاً في زُقاق بني عَنَمٍ موكِبٍ جبريل عليه السلام حيث سار رسول الله ﷺ إلى بني قريظة.

رواه البخاري في المغازي (٤١١/٨) وفي بدء الخلق.

[٢٥١] وعن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: قال النبي ﷺ لما رجع من الأحزاب: «لا يُصَلِّيَنَّ أحدُ العصر إلا في بني قريظة»، فأدرك بعضهم العصر في الطريق فقال بعضهم: لا نصلي حتى نأتيها، وقال بعضهم: بل نصلي لم يرد منا ذلك، فذكر ذلك للنبي ﷺ فلم يعتف واحداً منهم.

رواه البخاري في المغازي (٤١٢/٨)، ومسلم في الجهاد (٩٧/١٢).

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال: نزل أهل قريظة على حكم سعد بن معاذ، فأرسل رسول الله ﷺ إلى سعد، فأتاه على حمار، فلما دنا قريباً من المسجد قال رسول الله ﷺ للأَنْصار: «قوموا إلى سيديكم أو خيركم»، ثم قال: «إن هؤلاء نزلوا على حكمك»، قال: تُقتل مقاتلتهم، وتُسبَى ذريتهم، قال: فقال النبي ﷺ: «قضيت بحكم الله».

رواه البخاري (٤١٥/٨)، ومسلم (٩٣/١٢، ٩٤).

«الأكلح» عرق في الذراع.

كان السبب في غزو هؤلاء التُّتني هو نقضهم عهد النبي ﷺ كما تقدم في حديث الزبير الذي ذهب إليهم ليأتي بخبرهم، ولذلك لما رجع النبي ﷺ من الأحزاب ووضع سلاحه واغتسل جاءه جبريل عليه السلام مغبراً رأسه وهو يَنْفُضُهُ، فأمره بالخروج إلى قريظة، فخرج ﷺ راكباً على حمار وأمر أصحابه أن يُسرِعُوا السير بحيث لا يصلون العصر إلا في بني قريظة، وكانوا ثلاثة آلاف مقاتل، ومعهم ستة وثلاثون فرساً، ولواؤه ﷺ بيد الإمام علي عليه السلام، واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم رضي الله تعالى عنه، ولما وصل المسلمون إلى قريظة ورآهم اليهود تحصنوا في حصونهم، وألقى الله الرعب في قلوبهم، فحاصروهم المسلمون خمساً وعشرين ليلة، فلما رأوا أن لا مناص من الحرب، وأنهم إن استمروا على ذلك ماتوا جوعاً طلبوا من النبي ﷺ أن ينزلوا على ما نزل عليه بنو النضير من الجلاء بالأموال وترك السلاح، فلم يقبل منهم ذلك، بل قال: لا بد من النزول والرضا بما يحكم عليهم، فنزلوا على حكمه ففعلوا ثم أمر برجالهم فقيدوا، فجاءه رجال من حلفائهم الأوس وسألوه ﷺ أن يعاملهم كما عامل بني قينقاع حلفاء إخوانهم الخزرج، فقال لهم: «ألا يرضيكم أن يحكم فيهم رجل منكم؟» فقالوا: نعم، فاختر سيدهم سعد بن معاذ فأرسل إليه، فأتي به على حمار والتفَّ حوله جماعة من الأوس يقولون له: أحسن في مواليك، فقال رضي الله تعالى عنه: لقد آن لسعد أن لا تأخذه في الله لومة لائم، فلما نزل قال له النبي ﷺ: «إن هؤلاء نزلوا على حكمك»، فقال: إني أحكمُ أن تُقتلوا الرجال، وتُسبوا النساء والذرية، فقال عليه الصلاة والسلام: «لقد حكمت فيهم بحكم الله يا سعد»، ثم أمر بتنفيذ الحكم، فقتل جميع رجالهم وكانوا نحواً من سبعمائة رجل، وقيل: ثمانمائة أو تسعمائة، وقيل: أربعمائة، وهذا الأخير هو الذي جاء به حديث جابر الآتي، ومن كان يشك فيه هل هو بالغ أم لا كشف عن عاتقه، فإن وجدته أثبت قتله وإلا تركه، كما في الحديث التالي:

[٢٥٢] فعن عطية القُرظي قال: كنت من سبني بني قريظة، فكانوا ينظرون، فمن أثبت الشعر قُتِل، ومن لم يُثبِت لم يُقتل، فكنْتُ فيمن لم

يُنْبِت. وفي رواية: فكشفوا عانتي فوجدوها لم تُنبت فجعلوني في السبي...

رواه أحمد ((٣١٠/٤، ٣٨٣)) و(ج ٣١١/٥، ٣١٢)، وأبو داود في الحدود (٤٤٠٤، ٤٤٠٥)، والترمذي في الجهاد والسير (١٤٥٥)، والنسائي في الطلاق، وابن ماجه في الحدود (٢٥٤١) وحسنه الترمذي وصححه.

ثم جُمِعَتْ غنائمُهم فكانت ألفاً وخمسمائة سيف، وثلاثمائة درع، وألفي رمح، وخمسمائة ترس وحجفة، ووجد عندهم أثاث كثير وأواني وجمال نواضح وشياه، فخمس ذلك كله، وبعد تمام هذا الحكم وتنفيذه انفجر جرح سعد فمات كما يوضحه الآتي:

✽ موت سعد بن معاذ

[٢٥٣] فعن جابر رضي الله تعالى عنه قال: رُمي يوم الأحزاب سعد بن معاذ فقطعوا أكله فحسمه رسول الله ﷺ بالنار فانفخت يده، فحسمه أخرى فانفخت يده فنزقه، فلما رأى ذلك قال: اللهم لا تُخرج نفسي حتى تقرّ عيني من بني قريظة، فاستمسك عرقه فمما قطرة قطرة، حتى نزلوا على حكم سعد، فأرسل إليه فحكم أن تُقتل رجالهم ويستحي نساءهم وذرائعهم، يستعين بهم المسلمون، قال رسول الله ﷺ: «أصبت حكم الله فيهم»، وكانوا أربعمائة، فلما فرغ من قتلهم انفتق عرقه فمات.

رواه أحمد (٣٥٠/٣)، والترمذي (١٤٥٣)، والدارمي (٢٥١٢) وغيرهم وحسنه الترمذي وصححه وهو في الطب من مسلم (١٩٤/١٤) مختصراً.

وقوله: «فحسمه» أي: كواه بالنار لينقطع الدم.

[٢٥٤] وعن عائشة رضي الله تعالى عنها أن سعداً قال: اللهم إنك تعلم أنه ليس أحد أحب إليّ أن أجاهدكم فيك من قوم كذبوا رسولك ﷺ

وأخرجوه، اللهم فإني أظنّ أنك قد وضعت الحرب بيننا وبينهم، فإن كان بقي من حرب قريش شيء فأبقني له، حتى أجاهدكم فيك، وإن كنت وضعت الحرب فأفجرها واجعل موتي فيها، فانفجر من لبيته، فلم يرعهم، وفي المسجد خيمة من بني غفار إلا الدم يسيل إليهم، فقالوا: يا أهل الخيمة ما هذا الذي يأتينا من قبلكم، فإذا سعد يغذو جرحه دمًا، فمات منها رضي الله تعالى عنه.

رواه البخاري (٤١٢٢)، ومسلم (١٧٦٩) وهو بعض حديث عائشة السابق أول الفصل.

✽ نهاية اليهود من المدينة وما نزل بهم

[٢٥٥] عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: حاربت قريظة والنضير فأجلى بني النضير، وأقر قريظة ومنّ عليهم حتى حاربت قريظة، فقتل رجالهم وقسم نساءهم، وأولادهم، وأموالهم بين المسلمين، إلا بعضهم لحقوا بالنبي ﷺ فأمنهم وأسلموا، وأجلى يهود المدينة كلهم بني قينقاع وهم رهط عبدالله بن سلام، ويهود بني حارثة، وكل يهود المدينة.

رواه البخاري في حديث بني النضير من المغازي (٣٣٣/٨)، ومسلم في الجهاد (٩١/١٢)، وأبو داود (٣٠٠٥).

✽ قتل يهودية واحدة من قريظة

[٢٥٦] عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: لم يقتل من نساءهم إلا امرأة واحدة قالت: والله إنها لعندي تتحدّث معي تضحك ظهراً وبطناً، ورسول الله ﷺ يقتل رجالهم بالسوق إذ هتف هاتفٌ باسمها: أين فلانة؟

قالت: أنا والله، قالت: قلت: ويلك وما لك؟ قالت: أقتُل، قالت: قلت: ولم؟ قالت: حَدَّثًا أَخَذْتُهُ، قالت: فانطلق بها ففُضِرَتْ عُنُقُهَا، وكانت عائشة رضي الله تعالى عنها تقول: والله ما أنسى عَجَبِي من طيبِ نفسها، وكثرة ضَحِكِهَا، وقد عَرَفْتُ أنها تُقْتَلُ.

رواه أحمد (٢٧٧/٦)، وأبو داود (٢٦٧١)، والحاكم (٣٥/٣، ٣٦)، والبيهقي في الكبرى (٨٢/٩) وصححه الحاكم على شرط مسلم ووافقه الذهبي.

❁ فوائد أحاديث هذه الغزوة

في حديث عائشة الأولى مع حديث أنس دليل على أن الملائكة لم يتخلَّفوا عن رسول الله ﷺ في غزوة قط، فقد حضروا معه بدرًا وأحدًا والأحزاب، وبعد أن زلزلوا كفار قريش في الخندق وأرعبوهم حتى انسحبوا منهزمين، ها هم الآن يلتحقون بالنبي ﷺ ويمرّون بزقاق المدينة في موكب خاص بهم حتى يرتفع الغبار ساطعاً من أثر خيولهم، فيأتي جبريل النبي ﷺ فيأمره بأمر من الله عز وجل بالخروج لقريظة الغادرين.

وفي حديث ابن عمر دليل على أن المجتهد المخطيء لا يُعْتَفَى ولا يُلام، فإن الصحابة رضي الله تعالى عنهم الذين سمعوا رسول الله ﷺ يقول لهم: «لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة» حمل ذلك بعضهم على ظاهره، فاجتهدوا ولم يصلوا حتى خرج الوقت، وبلغوا إلى قريظة والبعض الآخر حملوه على المعنى؛ بأن المراد بذلك هو الإسراع في السير، وليس المراد بذلك الصلاة في قريظة، ولو خرج الوقت؛ فكان الصواب هنا مع من صلوا بالطريق. أما الآخرون فأخطأوا في اجتهادهم لكن النبي ﷺ لم يلمهم على ما فعلوا، وهكذا يجب أن يُعامل المجتهدون المخطئون، فلا يعقَّبون ولا يشتمون كما يفعله من لا دين له ولا أدب.

وفي حديث أبي سعيد دليل على مشروعية القيام لأهل الفضل والعلم والدين، وليس هذا من القيام المذموم. قال القاضي عياض: وليس هذا من القيام المنهَى عنه، وإنما ذلك فيمن يقومون عليه وهو جالس ويمثلون قياماً طول جلوسه. قال النووي في شرح مسلم (٩٣/١٢): القيام للقادم من أهل الفضل مستحب، وقد جاء فيه أحاديث، ولم يصح في النهي شيء صريح إلخ.

وأحاديث عائشة وأبي سعيد وجابر تدل على مشروعية نزول الكفار على حكم بعض أفراد المسلمين إذا كان أهلاً لذلك، وأنه إذا حكم فيهم ينفذ حكمه كما حصل من سعد بن معاذ بأمر من النبي ﷺ.

وفي حديث عطية القرظي دليل على جواز النظر إلى العورة لأجل الحاجة والمصلحة، ولا ينبغي أن يختلف في مثل هذا، كما فيه دليل على أن إنبات شعر العانة يدل على بلوغ الغلام، وأنه يعتبر رجلاً يعامل معاملة الرجال في الأحكام الشرعية...

وحديث جابر يدل على أن قتلى قريظة كانوا أربعمائة، بينما ذكر ابن إسحاق أنهم كانوا سبعمائة. وقال غيره: إنهم كانوا بين الثمانمائة والتسعمائة، وقد جمع الحافظ في الفتح بين ذلك، فانظره (٤١٨/٨).

وحديثا عائشة وجابر يدلان على أن سعداً كان قد رمي في أكحله بالخندق، وأنه سأل الله عز وجل أن لا يقبض نفسه حتى تقر عينه من بني قريظة، رغم أنهم كانوا مواليه في الجاهلية، فلما حكم فيهم ونفذ حكمه انفجر الجرح فمات منه رضي الله تعالى عنه عقب رجوعه إلى المدينة من قريظة، وستأتي أحاديث تتعلق به في الفضائل.

وحديث عائشة الأخير يدل على أن النبي ﷺ لم يقتل النساء إلا امرأة واحدة كانت قد سبق لها أن ألقَتْ رَحَى على رجل مسلم فقتلته فقتلها النبي ﷺ لذلك. أما غيرها من سائر الرجال، فهم كما قال ابن إسحاق: خندقوا لهم خنادق، ففُضِرَتْ أعناقهم فيها فجرى الدم في الخنادق، وقسم أموالهم ونساءهم وأبناءهم بين المسلمين... ويقتل هؤلاء اليهود أراح الله

المسلمين من شرّ مجاورة اليهود الذين طالما غدروا وخانوا ومكروا وأفسدوا، ولم تبق إلا بقية من كبارهم بخبير مع أهلها، وستأتي نوبتهم بإذن الله تعالى وفي هذه الغزوة جاءت الآيتان من سورة الأحزاب وهما قوله تعالى:

﴿وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِبِهِمْ وَقَدَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٦٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَنْكُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ قَدِيرًا ﴿٦٧﴾﴾.

ومعناه: وأنزل الله عز وجل اليهود من بني قريظة الذين ظاهروا كفار قريش وأعانوهم ونقضوا العهد أنزلهم من صياصبهم أي: حصونهم، وألقى في قلوبهم الخوف الشديد حتى فتحوا الحصون واستسلموا، فكنتم أيها المسلمون فريقاً منهم تقتلون، وهم الرجال وفريقاً تأسرونهم وهم النساء والذرية، وأورثكم الله أرضهم وعقارهم وخيلهم وأموالهم التي تركوها وأرضاً أخرى لم تطؤها بعد وهي خيبر، وستأتي.

✽ من نتائج وراثه أرض قُرَيْظَةَ والنُّضِير

[٢٥٧] عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: كان الرجل يجعل للنبي ﷺ النخلات حتى افتتح قريظة والنضير، وأن أهلي أمروني أن آتي النبي ﷺ فأسأله الذين كانوا أعطوه أو بَعْضَهُ، وكان النبي ﷺ قد أعطاه أم أيمن، فجاءت أم أيمن فجعلت الثوب في عنقي تقول: كلاً والذي لا إله إلا هو لا يُعْطِيكَهُمُ وقد أعطانيها، أو كما قالت، والنبي ﷺ يقول: «لك كذا»، وتقول: كلا والله حتى أعطاه، حسبت أنه قال: عشرة أمثاله، أو كما قال.

رواه البخاري في المغازي (٤١٤/٨) وفي الخمس وفي غير ذلك، ومسلم في الجهاد والسير (١٠١/١٢)، ويأتي من طريق آخر ولفظ آخر في

غزوة خيبر، وفي رواية للبخاري (٣٣٥/٨) قال: كان الرجل يجعل للنبي ﷺ النخلات حتى افتتح قريظة والنضير، فكان بعد ذلك يردّ عليهم.

كان من ثمرات غزوة قريظة والنضير أن توسع النبي ﷺ وملك أرضاً ونخيلاً مما جاء في نصيبه من مغانمها، فجعل يردّ النخلات التي كان الصحابة أعطوها إياه، ومنها نخل أم سليم أم أنس، وكان النبي ﷺ قد أعطى ذلك لحاضنته أم أيمن رضي الله تعالى عنها، فامتنعت من ردّها لأهلها، وصارت تحلف وتقول: كلاً والذي لا إله إلا هو، فجعل النبي ﷺ يلاطفها ويعرض عليها بدل النخلات حتى أعطاه في مقابلتها عشرة أمثالها، وهذا منه تبرع وإكرام لها، لما لها من حقّ الحضانة، وسيأتي مزيد للكلام على أم أيمن في الفضائل.

✽ زواجه ﷺ بزَيْنَب بنت جحش

إرسال زيد بن حارثة لخطبتها للرسول عليه السلام

[٢٥٨] عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: لما انقضت عدّة زينب قال رسول الله ﷺ لزيد: «فادْكُرْهَا عَلَيَّ»، قال: فانطلق زيد حتى أتاه وهي تُحَمِّرُ عَجِينَهَا، قال: فلما رأيتها عظمت في صدري حتى ما أستطيع أن أنظر إليها أن رسول الله ﷺ ذكرها فولّيتها ظهري ونكصت على عقيب، فقلت: يا زينب أرسل رسول الله ﷺ يذكرك، قالت: ما أنا بصانعة شيئاً حتى أوامر ربي، فقامت إلى مسجدها ونزل القرآن، وجاء رسول الله ﷺ فدخل عليها بغير إذن، قال: ولقد رأيتنا أن رسول الله ﷺ أطعمنا الخبز واللحم حين امتدّ النهار، فخرج الناس وبقي رجال يتحدثون في البيت بعد الطعام، فخرج رسول الله ﷺ واتبعته فجعل يتبع حُجْر نساءه يُسلم عليهنّ ويقلن: يا رسول الله كيف وجدت أهلك؟ قال: فما أدري أنا أخبرته أن القوم خرجوا أو أخبرني، قال: فانطلق حتى دخل البيت، فذهبت أدخل معه فألقى الستر بيني وبينه ونزل الحجاب، قال: ووعظ القوم بما وعظوا به.

وفي رواية: أصبح رسول الله ﷺ عروساً بزینب بنت جحش، قال: وكان تزوجها بالمدينة، فدعا الناس للطعام بعد ارتفاع النهار، فجلس رسول الله ﷺ وجلس معه رجالٌ بعد ما قام القوم، حتى قام رسول الله ﷺ فمشى، فمشيت معه حتى بلغ باب حُجْرَةِ عائشة ثم ظن أنهم قد خرجوا، فرجع ورجعت معه، فإذا هم جلوس مكانهم، فرجع فرجعتُ الثانية، حتى بلغ حجرة عائشة، فرجع فرجعت، فإذا هم قد قاموا، فضرب بيني وبينه الستر، وأنزل الله آية الحجاب.

وفي رواية: أن أم سليم أهدت إلى رسول الله ﷺ طعاماً يوم زواج زينب، قال: تزوج رسول الله ﷺ فدخل بأهله، قال: فصنعتُ أمي أم سليمَ حَيْساً فجعلته في تورٍ، فقالت: يا أنس اذهب بهذا إلى رسول الله ﷺ فقل: بعثت بهذا إليك أمي، وهي تُقرئك السلام، وتقول: إن هذا لك منا قليل يا رسول الله، قال: فذهبت بها إلى رسول الله ﷺ فقلت: إن أمي تقرئك السلام وتقول: إن هذا لك منا قليل يا رسول الله، فقال: «ضعه»، ثم قال: «أذهب فاذعُ فلاناً وفلاناً وفلاناً، ومن لقيت»، وسمى رجلاً، قال: فدعوتُ من سَمَى ومن لقيت، قيل لأنس: عدد كم كانوا؟ قال: زهاء ثلاثمائة.

قال: وقال لي رسول الله ﷺ: يا أنس «هات التور»، قال: فدخلوا حتى امتلأت الصفة والحجرة، فقال رسول الله ﷺ: «لِيَتَحَلَّقَ عَشْرَةَ عَشْرَةَ، وَلِيَأْكُلَ كُلُّ إِنْسَانٍ مِمَّا يَلِيهِ»، قال: فأكلوا حتى شبعوا، قال: فخرجت طائفة، ودخلت طائفة حتى أكلوا كلهم، فقال لي: «يا أنس ارفع»، قال: فرفعت، فما أدري حين وضعت كان أكثر أم حين رفعت، قال: وجلس طوائف منهم يتحدثون في بيت رسول الله ﷺ ورسول الله ﷺ جالس وزوجته مَوْلِيَةً وجهها إلى الحائط، فثقلوا على رسول الله ﷺ، فخرج رسول الله ﷺ فسلم على نسائه ثم رجع، فلما رأوا رسول الله ﷺ قد رجع ظنوا أنهم قد ثقلوا عليه، قال: فابتدروا الباب، فخرجوا كلهم، وجاء رسول الله ﷺ حتى أرخى الستر ودخل، وأنا جالس في الحجرة فلم يلبث إلا يسيراً حتى خرج عليّ وأنزلت هذه الآية، فخرج رسول الله ﷺ وقرأهن

على الناس: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَظِيرٍ إِنَّهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَسِينِينَ لِجَدِيدٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ» الآية، قال أنس: أنا أخذت الناس عهداً بهذه الآيات، وحجبت نساء النبي ﷺ.

الحديث برواياته رواه البخاري في التفسير (١٤٨/١٠) وفي التوحيد رقم (٧٤٢١) وغيرهما، ومسلم في النكاح (٢٢٧/٩، ٢٣٣)، والنسائي في الكبرى (٤٣٤/٦، ٤٣٦) بالفاظ مطوّلاً ومختصراً.

قوله: «فاذكُرْها عليّ» أي: اخطبها لي. «عظمت في صدري» يعني هابها واستجلبها من أجل إرادة النبي ﷺ تزوجها، ولذلك تأدب فأعطاهما ظهره وكلمهما. «حتى أوامر ربّي» أي: حتى أستخير الله. قوله: «حيساً» - بفتح الحاء وسكون الياء - هو تمر يُنزع نواه ويخلط مع الأقط والسمن ويُعجن ذلك فيكون كالشريد. وقوله: «في تور» - بفتح التاء وسكون الواو - هو الآنية.

زينت بنت جحش هي بنت عمّة رسول الله ﷺ أُمَيْمَةَ تزوجها النبي ﷺ سنة خمس على الصحيح زوّجها الله عز وجل إياه بدون ولي ولا شهود ولا صداقٍ خصيصة من الله تعالى له ولها، وكانت قبله تحت زيد بن حارثة رضي الله تعالى عنه، وكانت تتعاطم عليه لكونها قرشية ذات حسب وزيد مولى فطلقها زيد، فلما انقضت عدتها بعثه إليها يخطبها له ﷺ، فأرادت أن تستخير الله في ذلك، فأنزل الله تعالى القرآن على نبيه ﷺ يزوجه بها، وهو قوله عز وجل: «فَلَمَّا فَضِنَ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا» الآية، زيد هو ابن حارثة، والوطر الحاجة.

[٢٥٩] وعن أنس رضي الله تعالى عنه قال: جاء زيد بن حارثة يشكو، فجعل النبي ﷺ يقول: «اتق الله وأمسك عليك زوجك»، قال أنس: لو كان رسول الله ﷺ كاتباً شيئاً لكتبتم هذه الآية، قال: فكانت زينب تفخر على أزواج النبي ﷺ تقول: زوّجكُن أهاليكُن وزوّجني الله تعالى من فوق سبع سموات.

وفي رواية: لما نزلت هذه الآية: ﴿وَتَخْفَى فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ﴾ في شأن زينب بنت جحش، جاء زيد يشكو فهم بطلاقها، فاستأذن النبي ﷺ، فقال النبي ﷺ: «أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ».

رواه البخاري في التفسير (١٤٢/١٠) وفي التوحيد (١٨٣/١٨، ١٨٤)، والترمذي (٣٠٠٣، ٣٠٠٥)، والحاكم (٤١٧/٢) وانظر ما سبق في التفسير.

لما ضاق صدر زيد بن حارثة مما كانت تعامله به السيدة زينب من التعالي عليه... هم بطلاقها، فأتى النبي ﷺ يشكوها إليه، وكان الذي زوجه إياها، فقال له: «اتَّقِ اللَّهَ وَأَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَلَا تَطْلُقْهَا»، فقال الله تعالى: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفَى فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ».

فكان الذي أخفاه في نفسه هو ما أوحاه الله تعالى إليه بأنه سيتزوجها إذا طلقها زيد، وكان يخاف إن تزوجها أن يُعَيِّرَهُ النَّاسُ بأنه تزوج زوجة ابنه زيد حيث إنه كان ينسب إليه حتى نزل: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾، وقوله: ﴿أَدْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ﴾.

[٣٦٠] وعن أنس رضي الله تعالى عنه قال: قال عمر: قلت: يا رسول الله يدخل عليك البر والفاجر، فلو حجبت أمهات المؤمنين، فأنزل الله عز وجل آية الحجاب.

رواه أحمد والبخاري في التفسير (٣٣٥/٩ ج ١٠/١٤٦، ٢٨٦)، والنسائي في الكبرى (٤٣٥/٦).

[٣٦١] وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: كنت آكل مع النبي ﷺ حنيساً من قَعْنَب، فمرَّ عمر رضي الله تعالى عنه فدعاه فأكل فأصاب أصبعه أصبغ، فقال: «حَسُّ أَوْه»، لو أطاع فيكن ما رأيتكن عين»، فنزل الحجاب.

رواه النسائي في الكبرى (٤٣٥/٦) وعزاه في المجمع (٩٣/٧) لأوسط الطبراني، وقال: رجاله رجال الصحيح غير موسى بن أبي كثير وهو ثقة.

«قَعْنَب» بفتح القاف وسكون العين قدح ضخم. وقوله: «حس» كلمة تقال إذا أصيب الإنسان بضربة أو بشيء ما عن غفلة، و«أوه» كلمة تقال عند التوجع والشكاية.

الحديثان يدلان على أن آية حجاب نساء النبي ﷺ كان نزولها بسبب سيدنا عمر، بينما حديث أنس المتقدم يذكر أنه كان بسبب زينب، وقد جمع بين ذلك إما بتعدد النزول، أو يكون نزل بأحد السببين، ثم صادف الثاني النزول فأخبر كل بما علم، والله تعالى أعلم.

وفي حديث أنس في قصة زواج زينب بجميع رواياته أحكام وآداب وفوائد: فمنها: جواز خطبة المرأة بواسطة زوج سابق لها وقد طلقها، وليس في ذلك غضاضة إن أطاق ذلك.

ومنها: خصيصة للنبي ﷺ ولزينب حيث تزوجها بأمر الله تعالى بلا ولي ولا شهود ولا صداق، بل بمجرد نزول قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ نِّهَاً وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا﴾، وهذا شيء لم يكن ولا يكون لأحد غيرهما.

ومنها: مشروعية الوليمة في العرس وأن يكون طعامها اللحم وغيره من الفواكه ونحوها، وقد تقدم حديث: «أولم ولو بشاة»، فانظر ذلك فيما سبق من النكاح.

ومنها: ظهور تلك المعجزة النبوية في تكثير الطعام وبركته حتى أكل منه ثلاثمائة رجل حتى شبعوا وبقي الطعام على حاله لم يتقص منه شيء.

ومنها: مشروعية الإهداء للعروس بعض ما يحتاجه في وليمته من الطعام ونحوه.

ومنها: إرشاد المسلم إلى أنه ينبغي له أن ينصرف من الوليمة فور فراغه من تناول الطعام، وأن لا يمكث ويظل على أهل الدار فيثقل عليهم، فإن ذلك قد يؤذيهم أشد الإذابة كما صدر من أولئك نفر مع النبي ﷺ، حيث مكثوا بالمنزل بعد أكلهم وهو يريد أهله، وجعل يخرج ويدخل وهم جالسون حتى نزل القرآن يؤنبهم: ﴿فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مَسْتَقْسِمِينَ لِحَدِيثِ إِنْ دَلِكُمْ كَانَ يُؤْذَى النَّبِيُّ فَيَسْتَحْيِ مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسَأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾.

ومنها: أن حجاب نساء النبي ﷺ هو حجاب خاص، وذلك لأشخاصهن وجميع أجسامهن، فلا يرى منهن شيء أصلاً، كما في الآية الكريمة: ﴿وَإِذَا سَأَلْتَهُنَّ مَتَعًا فَسَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾، وهذا بخلاف غيرهن، فإن حجابهن مقيد بغير ما ظهر منهن.

ومنها: فضل زينب رضي الله تعالى عنها، وأن لها خصيصة ليست لغيرها؛ حيث تولى الله تعالى تزويجها بدون واسطة أحد، وستأتي فضائلها في موضعه إن شاء الله تعالى.

✽ خلاصة ما وقع في السنة الخامسة من الأحداث

كان في هذه السنة من الأحداث الآتي: غزوة بني المصطلق، زواجه ﷺ بجُوَيْرِيَةَ بنت الحارث، إثارة المنافقين الفتنة بين المهاجرين والأنصار، حادث الإفك، ريح شديدة هبت لموت منافق عظيم، غزوة الخندق، المعجزات التي وقعت فيها...، انشغال المسلمين عن صلاتي الظهر والعصر حتى غربت الشمس، دعاء النبي ﷺ على الأحزاب واستجابة دعائه، انهزام الأحزاب بزلزلة الملائكة قلوبهم وهبوب ريح شديدة عاصفة، خلاصة غزوة الأحزاب وفوائدها، شهداء الخندق، غزوة بني قريظة، نهاية اليهود من المدينة، فوائد غزوة قريظة، من نتائج ورائة أرض النضير وقريظة، زواجه ﷺ بزَيْنَب بنت جحش رضي الله تعالى عنها.

✽ السنة السادسة

مقتل أبي رافع بن أبي الحُقَيْق اليهودي لعنه الله تعالى

[٣٦٢] عن البراء بن عازب رضي الله تعالى عنهما قال: بعث رسول الله ﷺ إلى أبي رافع اليهودي رجلاً من الأنصار، فأمر عليهم

عبد الله بن عتيك، وكان أبو رافع يُؤذي رسول الله ﷺ ويُعين عليه، وكان في حصن له بأرض الحجاز، فلما دنوا منه وقد غربت الشمس، وراح الناس يسرحهم، فقال عبدالله لأصحابه: اجلسوا مكانكم فإني منطلقٌ ومُتَلَطِّفٌ للبوابِ لعلِّي أن أدخل، فأقبل حتى دنا من البواب ثم تَفَتَّع بثوبه كأنه يَقضي حاجةً وقد دخل الناس، فهتَفَ به البواب: يا عبدالله إن كنت تريد أن تدخل فادخل، فإني أريد أن أغلق الباب، فدخلت فكمنت، فلما دخل الناس أغلق الباب ثم علق الأغاليق على وتد، قال: فقممت إلى الأقاليد فأخذتها ففتحت الباب، وكان أبو رافع يُسَمِّرُ عنده، وكان في عَلَائِي له، فلما ذهب عنه أهل سَمَرِه صعدت إليه فجعلت كلما فتحت باباً أغلقت علي من داخل، قلت: إن القوم نذروا بي لم يخلصوا إلي حتى أقتله، فانتهيت إليه، فإذا هو في بيت مظلم وسط عياله، لا أدري أين هو من البيت، فقلت: أبا رافع، قال: من هذا؟ فأهويت نحو الصوت، فأضربه ضربةً بالسيف، وأنا دهش، فما أغنيت شيئاً، وصاح، فخرجت من البيت فأمكت غير بعيد ثم دخلت إليه فقلت: ما هذا الصوت يا أبا رافع؟ فقال: لأمك الويل، إن رجلاً في البيت ضربني قبل بالسيف، قال: فأضربه ضربةً أثخنته، ولم أقتله، ثم وضعت ضبيب السيف في بطنه حتى أخذ في ظهره، فعرفت آتي قتلته، فجعلت أفتح الأبواب باباً باباً حتى انتهيت إلى درجة له فوضعت رجلي وأنا أرى أنني انتهيت إلى الأرض، ف وقعت في ليلة مُقَمَّرَة، فانكسرت ساقِي فَعَصَبْتُهَا بعمامة، ثم انطلقت حتى جلست على الباب، فقلت: لا أخرج الليلة حتى أعلم أقتله أم لا، فلما صاح الديك قام الناعي على السور فقال: أنعي أبا رافع تاجر أهل الحجاز، فانطلقت إلى أصحابي، فقلت: النجاء، فقد قتل الله أبا رافع، فانتهيت إلى النبي ﷺ فحدثته فقال لي: «ابسط رجلك»، فبسطت رجلي فمسحها فكأنها لم أشتكها قط.

رواه البخاري في الجهاد (٤٩٦/٦) وفي المغازي (٣٤٤/٨، ٣٤٨)

طرق.

«سرحهم» - بفتح السين وسكون الراء - أي: مواشيهم. «تفتع» أي: غطى رأسه بثوب. «هتف» أي: ناداه وصاح به. «فكمنت» أي:

❁ قصّة ثُمَامَة بِنِ أُنْثَالِ الحَنْفِيّ

[٣٦٣] عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: بعث رسول الله ﷺ خيلاً قبيل نجد، فجاءت برجل من بني حنيفة يقال له ثُمَامَة بن أنثال سيد أهل اليمامة، فربطوه بسارية من سواري المسجد، فخرج إليه رسول الله ﷺ فقال: «ماذا عندك يا ثُمَامَة؟» فقال: عندي يا محمد خير، إن تقتل تقتل ذا دم، وإن تُنعم تُنعم على شاكِر، وإن كنت تريد المال فسل تُعْطَ منه ما شئت؛ فتركه رسول الله ﷺ حتى كان من الغد، فقال: «ما عندك يا ثُمَامَة؟» قال: ما قلت لك، إن تُنعم تُنعم على شاكِر، وإن تقتل تقتل ذا دم، وإن كنت تريد المال فسل تُعْطَ منه ما شئت، فتركه رسول الله ﷺ حتى كان من الغد، فقال: «ماذا عندك يا ثُمَامَة؟» فقال: عندي ما قلت لك، إن تُنعم تُنعم على شاكِر، وإن تقتل تقتل ذا دم، وإن كنت تريد المال فسل تُعْطَ منه ما شئت. فقال رسول الله ﷺ: «أطلقوا ثُمَامَة»، فانطلق إلى نخيل قريب من المسجد فاغتسل ثم دخل المسجد، فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، يا محمد والله ما كان على الأرض وجه أبغض إليّ من وجهك، فقد أصبح وجهك أحب الوجوه كلّها إليّ، والله ما كان من بلد أبغض إليّ من بلدك، فأصبح بلدك أحب البلاد كلّها إليّ، وإن خيلك أخذتني وأنا أريد العمرة، فماذا ترى؟ فبشّره رسول الله ﷺ وأمره أن يعتمر، فلما قدم مكة قال له قائل: أصبّوت؟ فقال: لا ولكنني أسلمت مع رسول الله ﷺ، ولا والله لا يأتاكم من اليمامة حبة حنطة حتى يأذن فيها رسول الله ﷺ.

رواه البخاري في المساجد (١٠٢/٢، ١٠٦) وفي المغازي (١٥٠/٩)، (١٥١) في وفد بني حنيفة، ومسلم في الجهاد (٨٧/١٢، ٨٩)، وأبو داود (٢٦٧٩)، والنسائي في الطهارة (٩١/١)، وقد تقدّم في المساجد مختصراً.

كان رسول الله ﷺ قد بعث محمد بن مسلمة في ثلاثين راكباً لشنّ الغارة على بني بكر بن كلاب بناحية ضربة وهو موضع يبعد عن المدينة لجهة نجد بسبع ليالٍ، فساروا يكمثون النهار، ويسيرون الليل حتى دهّموهم

اختبأت. «الأغاليق» المفاتيح وهي الأقاليد واحداً إقليد. «يسمر عنده» أي: يتحدث الناس عنده ليلاً. «علالي» واحداً عليّة أي: غرفة. «نذّر بي» - بكسر الذال - أي: علموا بي. «لم يخلصوا» أي: لم يصلوا إليّ. «فأهويت» أي: قصدت جهته. «أثختته» أي: أوهنته. «ضبيب سيفي» - بالضاد - على وزن رغيف، وقيل: هو بالظاء وهو طرف حدّ السيف. «صاح» أي: صرخ. كان أبو رافع من كبار تجّار الجزيرة ومن أشرف اليهود وكان يسكن في حصن له بمخيبر أو قريب منها، وكان يُعادي رسول الله ﷺ ويؤذيه ويؤلب عليه الناس، وقد كان ممّن أعان غطفان وغيرهم من مشركي العرب بالمال الكثير على رسول الله ﷺ في الأحزاب، فبعث إليه رسول الله ﷺ من يقتله، وكانوا جماعة من الأنصار منهم عبدالله بن أنيس الأنصاري، وعبدالله بن عتبة، ومسعود بن سنان، وأبو قتادة، وخزاعي بن أسود، وأميرهم عبدالله بن عتيك وهو الذي تولى قتله.

وكان هذا الحادث في رمضان سنة ست على المشهور، وقيل: سنة خمس وقيل غير ذلك، وهذه هي العملية الفدائية الثالثة التي صدرت من الصحابة بإذن النبي ﷺ ضدّ الكفار المحاربين.

وفي الحديث جواز قتل مؤذي النبي ﷺ والطاعن فيه، ولا خلاف في ذلك بين العلماء. وفيه مشروعية هجوم القليل من المسلمين على الكثير من الكفار، وفيه جواز قتل الكافر المحارب غيلة مبيتاً بين أهله، وفيه شجاعة عبدالله بن عتيك ومغامرته وذكاؤه وفطنته، وفيه ما كان عليه الصحابة رضي الله تعالى عنهم من المسارعة إلى امثال أمر رسول الله ﷺ ولو كان فيه هلاكهم، وفيه فضل الأنصار رضي الله تعالى عنهم، فإن الذين نفّذوا العمليات في قتل كعب بن الأشرف، وخالد الهذلي، وأبي رافع بن أبي الحقيق، كلّهم كانوا من الأنصار رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم وجعل الفردوس مثواهم وإيانا معهم.

فقتلوا منهم عشرة وهرب باقيهم، فاستاقوا النَّعَمَ وَالشِّيَآةَ وعادوا راجعين، وفي طريقهم التقوا ثمامة بن أثال وكان من عظماء بني حنيفة، فأسرَّوه وهم لا يعرفونه، فلما أتوا به رسول الله ﷺ وعرفه وعامله بمنتهى مكارم الأخلاق وهو موثق بالمسجد، وأطلق سراحه بعد ثلاث، فهداه الله عز وجل فذهب واغتسل وأشهر إسلامه واعترف للنبي ﷺ بما كان يكتنه قلبه له ولبلده من البغضاء، وما انقلب إليه من المحبة، وما ذلك إلا لما عامله به النبي ﷺ من المعاملة الحسنة والعموِّعته.

وفي هذا الحديث من الفوائد والفقهِ: أن للمسلمين أن يأسروا أي كافر محارب وجدوه في بلاد الكفر، وأنه يجوز إدخال الكافر المسجد للمصلحة والحاجة والضرورة، وأن الكافر يشرع له الاغتسال عند إسلامه، وأن الإمام له الخيار في معاملة الأسير بين العفو وغيره، وأن الأسير ينبغي أن يُعامل المعاملة الحسنة ولا سيِّما إذا كان سيداً في قومه، فإنه من السنة إنزال الناس منازلهم، وخاصة إذا كان يرجى من إسلامه اتباع غيره له، وفيه ما صار إليه ثمامة من حبه للنبي ﷺ بعد فترة وجيزة من بغضه إياه، وفيه صدق إيمانه ووفائه للنبي ﷺ يتجلى ذلك في قوله لكفار مكة: والله لا يأتيكم من اليمامة حبة حنطة حتى يأذن فيها رسول الله ﷺ، وثمامة هذا كان له القدم الراسخ في تثبيت قومه بني حنيفة عندما ظهر مسيلمة الكذاب وارتدوا واتبعوه، وكان له شأن في قتالهم.

✽ غزوة بني لحيان

[٣٦٤] عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: إن رسول الله ﷺ نزل بين ضجنان وعسفان، فقال المشركون: إن لهم صلاة هي أحب إليهم من آبائهم وأبنائهم، وهي العصر، فأجمَعُوا أمرهم فمیلوا عليهم ميلة واحدة، وأن جبريل عليه السلام أتى النبي ﷺ فأمره أن يقسم أصحابه شطرين، فيصلي بعضهم، وتقوم الطائفة الأخرى وراءهم ليأخذوا حذرهم وأسلحتهم،

ثم تأتي الأخرى فيصلون معه، ويأخذ هؤلاء حذرهم وأسلحتهم لتكون لهم ركعة ركعة مع رسول الله ﷺ، ولرسول الله ﷺ ركعتان.

رواه أحمد (٥٢٢/٢) والترمذي في التفسير (٢٨٣٩) والنسائي في صلاة الخوف (١٤٢/٣) وحسنه الترمذي وصححه.

[٣٦٥] وعن أبي عيَّاش الزُّرْقِي رضي الله تعالى عنه قال: كنا مع رسول الله ﷺ بعُسفان فاستقبلنا المشركون عليهم خالد بن الوليد، وهم بيننا وبين القبلة، فصلَّى رسول الله ﷺ الظهر، فقالوا: قد كانوا على حال لو أصبنا غرَّتهم، ثم قالوا: تأتي عليهم الآن صلاة هي أحب إليهم من أبنائهم وأنفسهم، قال: فنزل جبريل عليه السلام بهذه الآيات بين الظهر والعصر: ﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ﴾ الخ، قال: فحضرت الصلاة، فأمرهم رسول الله ﷺ فأخذوا السلاح، قال: فصفنا صفين، قال: ثم ركع، فركعنا جميعاً، ثم رفع، فرفعنا جميعاً، ثم سجد النبي ﷺ بالصف الذي يليه، والآخرين قيام يحرسونهم، فلما سجدوا وقاموا جلس الآخرون، فسجدوا في مكانهم، ثم تقدم هؤلاء إلى مصاف هؤلاء وجاء هؤلاء إلى مصاف هؤلاء، قال: ثم ركع فركعوا جميعاً، ثم رفع فرفعوا جميعاً، ثم سجد النبي ﷺ والصف الذي يليه، والآخرين قيام يحرسونهم، فلما جلس جلس الآخرون، فسجدوا فسلم عليهم ثم انصرف، قال: فصلاها رسول الله ﷺ مرتين، مرة بعُسفان ومرة بأرض بني سليم.

رواه أحمد (٥٩/٤، ٦٠)، وأبو داود (١٢٣٦)، والنسائي في صلاة الخوف (١٤٥٨)، والحاكم (٣٣٧/١، ٣٣٨) وصححه على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

«عسفان» - بضم العين وسكون السين - موضع بينه وبين مكة نحو من سبعين كيلو. و«ضجنان» - بفتح الحين ويسكن الجيم - جبل قريب من مكة، قالوا: بينه وبين مكة خمسة وعشرون ميلاً.

في الحديثين بيان بداية تشريع صلاة الخوف، وأن النبي ﷺ أول ما صلاها كان بعسفان، في غزوة بني لحيان وبها نزلت آية صلاة الخوف.

وكان سببها كما قال علماء السيرة والمغازي: أنه لما أصيب خبيب وعاصم وأصحابهما في سرية الرجيع خرج رسول الله ﷺ طالباً بدمائهم في السنة السادسة ليصيب في بني لحيان غرة، فسلك طريق الشام ليري أنه لا يريد لحيان حتى نزل بأرضهم، فوجدوا وقد حُذِرُوا وَتَمَنَعُوا فِي رُؤُوسِ الْجِبَالِ، فقال رسول الله ﷺ: «لَوْ أَنَا هَبَطْنَا عَسْفَانَ لَرَأَتْ قَرِيشٌ أَنَا قَدْ جِئْنَا مَكَّةَ»، فخرج في مائتي راكب حتى نزل عسفان ثم بعث فارسين، حتى جاء كراع الغميم ثم انصرفا، فكان ما حدث به أبو عيَّاش الزرقني وأبو هريرة من صلاة الخوف.

وقد قدمنا في صلاة الخوف - الجزء الثاني - أن النبي ﷺ صلاها مرات متعدّدة، وقد ذكرت هناك حديثي جابر وصالح بن خوات أنه ﷺ صلاها بذات الرقاع، كما ذكرت حديث ابن عباس أنه صلاها أيضاً بغزوة ذي قُرد، كما ستأتي الإشارة إلى ذلك، وراجع الجزء الثاني ص (٤٨٠)، (٤٨٢).

❁ قصة عُكْلٍ وَعُرَيْتَةَ

[٣٦٦] عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: إن ناساً من عُكْلٍ وَعُرَيْتَةَ قدموا المدينة على رسول الله ﷺ وتكلّموا بالإسلام، فقالوا: يا نبي الله إنا كنا أهل ضرع، ولم نكن أهل ريف واستوخموا المدينة، فأمرهم رسول الله ﷺ بَدْوِدٍ وَرَاعٍ، وأمرهم أن يخرجوا فيه فيشربوا من ألبانها وأبوالها، فانطلقوا حتى إذا كانوا بناحية الحرة كفروا بعد إسلامهم، وقتلوا راعي النبي ﷺ واستاقوا الدوّدَ، فبلغ النبي ﷺ، فبعث الطلب في آثارهم فأمر بهم فسمّروا أَعْيُنَهُمْ، وقطعوا أيديهم، وتُرِكُوا فِي نَاحِيَةِ الْحَرَّةِ حَتَّى مَاتُوا عَلَى حَالِهِمْ.

رواه البخاري في التفسير (٣٤٣/٩) وفي مواضع، ومسلم في القسامة،

وأبو داود (٤٣٦٤)، والنسائي والترمذي وغيرهم، وقد تقدم في التفسير وفي المرتدين.

و«استوخموا» هو معنى رواية مسلم، «فاجتووا المدينة» أي: لم يوافقهم هواؤها فمرضوا. وقوله: «فسمّروا أعينهم» أي: كحلها، وفي رواية: وسمّل أي: فقاها. وللحديث فوائد كثيرة ويدخل في أبواب عديدة وراجع ما تقدم في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا﴾ الخ. من التفسير وكتاب المحاربين وقطاع الطريق...

❁ غزوة الحديبية وبيعة الرضوان ومصالحة المشركين:

وقت الحديبية

[٣٦٧] عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: اعتمر رسول الله ﷺ أربع عَمَرٍ كُلُّهُنَّ فِي ذِي الْقَعْدَةِ إِلَّا الَّتِي كَانَتْ مَعَ حَجَّتِهِ، عمرة من الحديبية في ذي القعدة، وعمرة من العام المقبل في ذي القعدة، وعمرة من الجعرانة حيث قسم غنائم حنين في ذي القعدة، وعمرة مع حجّته.

رواه أحمد (١٣٤/٣، ٢٥٦)، والبخاري في الحجّ وفي المغازي (٤٤٥/٨)، ومسلم في الحجّ رقم (١٢٥٣)، وأبو داود والترمذي كلاهما في الحجّ وقد تقدم في الحجّ.

الحديبية موضع بينه وبين مكة نحو عشرين كيلو وهي نهاية الحرم من ناحية الغروب، وكان هذا الحادث في ذي القعدة من السنة السادسة، والسبب في ذلك أنه ﷺ رأى رؤيا مؤدّاهَا أَنَّهُ دَخَلَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ مَكَّةَ الْمَكْرَمَةَ مَعْتَمِرِينَ مُخَلِّقِينَ وَمُقَصِّرِينَ، فنادى في الصحابة بذلك، فخرج قاصداً مكة للاعتمار، وأحرموا من ذي الحليفة فلما وافوا الحديبية خرج المشركون فصدّوهم عن الدخول إلى مكة، وبعد مفاوضات وقع الصلح على أن يرجعوا، وأن يأتوا العام المقبل.

✽ عدد أصحاب الحديبية وبيعة الرضوان

[٣٦٨] عن جابر رضي الله تعالى عنه قال: قال لنا رسول الله ﷺ يوم الحديبية: «أنتم خير أهل الأرض»، وكنا ألفاً وأربعمائة، ولو كنتُ أبصر اليوم لأريتكنم مكانَ الشجرة.

رواه أحمد (٣/٣٩٦)، والبخاري في غزوة الحديبية (٤٤٨/٨، ٤٤٩)، ومسلم في الإمارة (٣/١٣)، وفي رواية لهما: كنا ألفاً وخمسمائة.

[٣٦٩] وعن عبدالله بن أبي أوفى رضي الله تعالى عنه قال: كان أصحاب الشجرة ألفاً وثلاثمائة، وكانت أسلمُ ثمن المهاجرين. رواه البخاري (٤٤٩/١)، ومسلم (٣/١٣).

حديث جابر بروايته الأولى يدل على أن عدد أهل بيعة الرضوان كانوا ألفاً وأربعمائة، بينما الرواية الثانية تدل على أنهم كانوا ألفاً وخمسمائة.

أما رواية ابن أبي أوفى، فتدل على أنهم كانوا ألفاً وثلاثمائة، وأكثر الروايات أنهم كانوا ألفاً وأربعمائة، ولذلك رجحها البيهقي وغيره، أما غير ذلك فجمع بينها النووي ثم الحافظ بما فيه نظر.

✽ سياق قصة الحديبية والصلح والبيعة وما يتبع ذلك

[٣٧٠] عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم قالوا: خرج رسول الله ﷺ زمن الحديبية في بضع عشرة مائة من أصحابه، فلما أتى ذا الحليفة قلد الهذلي وأشعره وأحرم منها بعمره وبعث عيناً له من خزاعة، وسار حتى إذا كان بغدير الأشطاط أتاه عينه، فقال: إن قريشاً جمعوا لك جمعوا، وقد جمعوا لك الأحابيش، وهم مقاتلوك وصادوك ومانعوك، فقال: «أشيروا أيها الناس عليّ أترون أن أميل على عيالهم وذرايهم هؤلاء الذين يريدون أن يصدونا عن البيت، أم ترون أن نؤم البيت، فمن صدنا عنه قاتلناه؟» فقال أبو بكر: يا رسول الله خرجت عامداً لهذا البيت لا تريد قتل

أحد ولا حرباً، فتوجه له فمن صدنا عنه قاتلناه؟ قال النبي ﷺ: «فامضوا على اسم الله».

حتى إذا كان ببعض الطريق قال النبي ﷺ: «إن خالد بن الوليد في خيل لقريش طليعة، فانطلق يركض نذيراً لقريش»، فوالله ما شعر بهم خالد حتى إذا هم بقترة الجيش، فانطلق يركض نذيراً لقريش، وسار النبي ﷺ حتى إذا كان بالثنية التي يهبط عليهم منها بركت به راحلته، فقال الناس: حل حل فالحل، فقالوا: خلأت القصواء، فقال النبي ﷺ: «ما خلأت القصواء وما ذلك لها بخلق، ولكن حبسها حبس الفيل»، ثم قال: «والذي نفسي بيده لا يسألوني خطة يعظمون فيها حرمة الله إلا أعطيتهم إناها»، ثم زجرها فوثبت فعدل عنهم حتى نزل بأقصى الحديبية على ثمد قليل الماء يتبرضه الناس تبرضاً، فلم يلبث الناس حتى نزحوه وشكبي إلى رسول الله ﷺ العطش، فانزع سهماً من كنانته، ثم أمرهم أن يجعلوه فيه، فوالله ما زال يجيش لهم بالزبي حتى صدروا عنه، فبينما هم كذلك إذ جاء بديل بن ورقاء الخزاعي في نفر من قومه، فقال: إني تركت كعب بن لؤي، وعامر بن لؤي، نزلوا أعداد مياه الحديبية معهم العوذ المطافيل، وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت، فقال النبي ﷺ: «إنا لم نجى لقتال أحد، ولكن جئنا معتمرين، وإن قريشاً قد نهكتهم الحرب وأضرت بهم فإن شاؤوا ماددتهم مدة ويحلوا بيني وبين الناس، فإن أظهر فإن شاؤوا أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس فعلوا، وإلا فقد جموا، وإن أبوا فوالذي نفسي بيده لأقاتلنهم على أمري هذا حتى تنفرد سالفتي أو لئن قذنت الله أمره»، قال بديل: سأبلنهم ما تقول، فانطلق حتى أتى قريشاً، فقال: إنا جئنا من عند هذا الرجل وسمعناه يقول قولاً، فإن شئتم أن تعرضه عليكم فعلنا، فقال سفهاؤهم: لا حاجة لنا أن نخبرنا عنه بشيء، وقال ذوو الرأي: هات ما سمعته يقول، قال: سمعته يقول كذا وكذا، فحدثهم بما قال رسول الله ﷺ، فقام عروة بن مسعود فقال: أي قوم أولستم بالوالد؟ قالوا: بلى، قال: أولست بالولد؟ قالوا: بلى، قال: فهل تتهموني؟ قالوا: لا، قال: ألسنتم تعلمون أني استنفرت أهل عكاظ فما بلحوا عليّ، جئتكم بأهلي وولدي ومن

أطاعني، قالوا: بلى، قال: فإن هذا قد عرض عليكم خطبة رشد فاقبلوها ودعوني آتة، قالوا: إيته، فأتاه فجعل يكلم النبي ﷺ، فقال النبي ﷺ نحواً من قوله لبديل بن ورقاء، فقال عروة عند ذلك: أي محمد أرايت إن استأصلت أمر قومك، هل سمعت بأحد من العرب اجتاح أصله قبلك، وإن تكن الأخرى فإني والله لا أرى وجوهاً، وإني لأرى أشواباً من الناس خليفاً أن يفروا ويدعوك، فقال له أبو بكر: امصص بظّر اللات نحن نفرّ وندعه؟ قال: من ذا؟ قال: أبو بكر، قال: أما والذي نفسي بيده لولا يد لك عندي لم أجزك بها لأجبتك، قال: وجعل يكلم النبي ﷺ فكلما كلمه أخذ بلحيته، والمغيرة بن شعبة قائم على رأس النبي ﷺ ومعه السيف وعليه المغفر، فكلما أهوى عروة بيده إلى لحية النبي ﷺ ضرب يده بنصل السيف، وقال: أخر يدك عن لحية النبي ﷺ، فرفع عروة رأسه، وقال: من هذا؟ قالوا: المغيرة بن شعبة، فقال: أي غدر ألسنت أسعى في غدرتك؟ وكان المغيرة بن شعبة صحب قوماً في الجاهلية فقتلهم وأخذ أموالهم ثم جاء فأسلم، فقال النبي ﷺ: «أما الإسلام فأقبل، وأما المال فلست منه في شيء»، ثم إن عروة جعل يزعم أصحاب النبي ﷺ بعينه، قال: فوالله ما تنخم رسول الله ﷺ نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم فذلك بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه، وإذا تكلم خفصوا أصواتهم عنده، وما يحدون النظر إليه تعظيماً له.

فرجع عروة إلى أصحابه فقال: أي قوم والله لقد وفدت على الملوك كسرى، وقيصر، والنجاشي، والله ما رأيت ملكاً قط يعظّمه أصحابه ما يعظّم أصحاب محمد محمداً، وأنه قد عرض عليكم خطبة رشد فاقبلوها.

فقال رجل من كنانة: دعوني آتة، فقالوا: إيته، فلما أشرف على النبي ﷺ وأصحابه قالوا: هذا فلان وهو من قوم يعظّمون البدن فابعثوها له، فبعث له واستقبله الناس يلبون، فلما رأى ذلك قال: سبحان الله ما ينبغي لهؤلاء أن يصدّوا عن البيت، فلما رجع إلى أصحابه قال: رأيت البدن قد قلّدت وأشعرت، فما أرى أن يصدّوا عن البيت، فقام رجل منهم يقال

له مكرز بن حفص، فقال: دُعوني آتة، فقالوا: إيته، فلما أشرف عليهم قال النبي ﷺ: «هذا مكرز وهو رجل فاجر»، فجعل يكلم النبي ﷺ، فبينما هو يكلمه إذ جاء سهيل بن عمرو فقال: هات اكتب بيننا وبينكم كتاباً، فدعا النبي ﷺ الكاتب، فقال له النبي ﷺ: «اكتب بسم الله الرحمن الرحيم»، فقال سهيل بن عمرو: أما الرحمن فوالله ما أدري ما هو، ولكن اكتب باسمك اللهم كما كنت تكتب، فقال المسلمون: والله لا نكتبها إلا بسم الله الرحمن الرحيم، فقال النبي ﷺ: «اكتب باسمك اللهم».

ثم قال: «هذا ما قضى عليه محمد رسول الله ﷺ»، فقال سهيل: والله لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت، ولا قاتلناك، اكتب محمد بن عبدالله، فقال النبي ﷺ: «إني لرسول الله وإن كذبتوني، اكتب محمد بن عبدالله». قال الزهري: وذلك لقوله: «لا يسألوني خطة يعظّمون فيها حرمان الله إلا أعطيتهم إياها»، فقال له النبي ﷺ: «على أن تخلوا بيني وبين البيت، فنتطوف به»، فقال سهيل: والله لا يتحدث العرب أنا أخذنا صغطة ولكن ذلك من العام المقبل، فكتب فقال سهيل: وعلى أن لا يأتيك منا رجل وإن كان على دينك إلا رددته إلينا، فقال المسلمون: سبحان الله كيف يردّ إلى المشركين، وقد جاء مسلماً...

فبينما هم على ذلك إذ جاء أبو جندل بن سهيل بن عمرو يرسف في قيوده، وقد خرج من أسفل مكة حتى رمى بنفسه بين أظهر المسلمين، فقال سهيل: هذا يا محمد أول من أفاضيك عليه أن تردّه إليّ، فقال النبي ﷺ: «إنا لم نقض الكتاب بعد»، قال: فوالله إذا لا أصالحك على شيء أبداً، فقال النبي ﷺ: «فأجزه»، قال: ما أنا بمجيز ذلك لك، قال: «بلى فافعل»، قال: ما أنا بفاعل، قال مكرز: بلى قد أجزناه لك، قال أبو جندل: أي معشر المسلمين أزد إلى المشركين وقد جئت مسلماً، ألا ترون ما قد لقيت، وكان قد عذب عذاباً شديداً.

قال عمر بن الخطاب: فأتيت نبي الله ﷺ فقلت: ألسنت نبي الله حقاً؟ قال: «بلى»، قلت: ألسنا على الحق وعدونا على الباطل؟ قال: بلى، قلت: فلم نعطي الدنيا في ديننا إذن؟ قال: «إني رسول الله ولست أعصيه وهو

ناصرى»، قلت: أو لست كنت تحدثنا أننا سنأتي البيت ونطوف به؟ قال: «بلى، فأخبرتكم أنا تأتيه العام»، قلت: لا، قال: «فإنك آتية ومطوف به».

قال: فأتيت أبا بكر، فقلت: يا أبا بكر، أليس هذا نبي الله حقاً؟ قال: بلى، قلت: ألسنا على الحق وعدونا على الباطل؟ قال: بلى، قلت: فلم نُعطي الدِّيَّة في ديننا إذا؟ قال: أيها الرجل إنه رسول الله وليس يعصي ربه وهو ناصره، فاستمسك بعرزته، فوالله إنه على الحق، قلت: أو ليس كان يحدثنا أنا سنأتي البيت ونطوف به؟ قال: بلى، قال: فأخبرك أنك تأتيه العام؟ قلت: لا، قال: فإنك تأتيه وتطوف به. قال عمر رضي الله تعالى عنه: فعملتُ لذلك أعمالاً.

قال: فلما فرغ من قضية الكتاب قال رسول الله ﷺ لأصحابه: «قوموا فأنحروا ثم اخلقوا»، قال: فوالله ما قام منهم رجل حتى قال ﷺ ذلك ثلاث مرّات، فلما لم يقم منهم أحد دخل ﷺ على أم سلمة رضي الله تعالى عنها فذكر لها ما لقي من الناس، قالت له أم سلمة رضي الله تعالى عنها: يا نبي الله أتحب ذلك؟ اخرج ثم لا تكلم أحداً منهم كلمة حتى تنحر بدنك وتدعو حالقك فيحلقك، فخرج رسول الله ﷺ فلم يكلم أحداً منهم حتى فعل ذلك نحر بدنه ودعى حالقه فحلقه، فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا وجعل بعضهم يحلق بعضاً حتى كاد بعضهم يقتل بعضاً غمّاً، ثم جاءه نسوة مؤمنات فأنزل الله عز وجل: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ﴾ إلى قوله: ﴿وَلَا تُنكِحُوا بِعِصْمِ الْكُوفَرِ﴾، فطلق عمر رضي الله عنه يومئذ امرأتين كانتا له في الشرك، فتزوج إحداهما معاوية بن أبي سفيان، والأخرى صفوان بن أمية.

ثم رجع النبي ﷺ إلى المدينة، فجاء أبو بصير رجل من قريش وهو مسلم، فأرسلوا في طلبه رجلين، فقالوا: العهد الذي جعلت لنا، فدفعه إلى الرجلين فخرجا به حتى إذا بلغا ذا الحليفة فتزولا يأكلون من تمر لهم، فقال أبو بصير لأحد الرجلين: والله إنني لأرى سيفك هذا يا فلان جيداً، فاستلّه الآخر فقال: أجل والله إنه لجيد، لقد جربت منه ثم جربت، فقال أبو بصير: أرني أنظر إليه، فأمكنه منه فضربه حتى برد، وفر الآخر حتى أتى

المدينة، فدخل المسجد يَغْدُو فقال رسول الله ﷺ حين رآه: «لقد رأى هذا ذعراً»، فلما انتهى إلى النبي ﷺ قال: قُتِلَ والله صاحبي وإني لمقتول، فجاء أبو بصير فقال: يا رسول الله قد والله أوقى الله ذمتك قد رددتني إليهم ثم نَجَّاني الله تعالى منهم، فقال النبي ﷺ: «وَيْلَ أُمَّه مِسْعَرُ حَرْبٍ لَوْ كَانَ مَعَهُ أَحَدٌ»، فلما سمع ذلك عرف أنه سيرده إليهم، فخرج حتى أتى سيف البحر، قال: وَتَقَلَّتْ مِنْهُمْ أَبُو جَنْدَلُ بْنُ سَهِيلٍ فَلَحِقَ بِأَبِي بَصِيرٍ، فجعل لا يخرج من قريش رجل قد أسلم إلا لحق بأبي بصير، حتى اجتمعت منهم عصابة، فوالله ما يسمعون بعير خرجت لقريش إلى الشام إلا اعترضوا لها فقتلوهم وأخذوا أموالهم، فأرسلت قريش إلى النبي ﷺ تناشده الله والرحم لما أرسل إليهم، فمن أتاه منهم فهو آمن، فأرسل النبي ﷺ إليهم وأنزل الله عز وجل: ﴿وَمَوْءَاظِكُمْ بِرِجَالِكُمُ وَآيَاتِكُمْ عَنْهُمْ يُطْنِ مَكَّةَ﴾، حتى بلغ ﴿حِمَاةَ الْجَاهِلِيَّةِ﴾.

وكانت حميتهم أنهم لم يقرؤا أنه رسول الله ﷺ، ولم يقرؤا بسم الله الرحمن الرحيم، وحالوا بينهم وبين البيت.

رواه البخاري في الشروط مطولاً (٢٥٧/٦، ٢٨٠) ورواه في المغازي (٤٥٠/٨، ٤٥٩، ٤٦٠) مختصراً، ورواه أحمد (٣٢٨/٤، ٣٣١، ٣٣٢)، وأبو داود (٢٧٦٥، ٤٦٥٥)، وابن حبان (٢١٦/١١، ٢٢٦) وغيرهم مطولاً ومختصراً.

[٣٧١] وعن عبدالله بن معقل رضي الله تعالى عنه قال: كنا مع رسول الله ﷺ بالحديبية في أصل الشجرة، فذكر أمر الكتابة ثم قال: فيينا نحن كذلك إذ خرج علينا ثلاثون شاباً عليهم السلاح فثاروا في وجوهنا، فدعى عليهم رسول الله ﷺ فأخذ الله عز وجل بأبصارهم، فقمنا إليهم فأخذناهم، فقال رسول الله ﷺ: «هل جئتم في عهد أحد، وهل جعل لكم أحد أماناً؟ فقالوا: لا، فخلى سبيلهم فأنزل الله عز وجل: ﴿وَمَوْءَاظِكُمْ بِرِجَالِكُمُ وَآيَاتِكُمْ عَنْهُمْ يُطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَنْظَرَكُمُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾.

رواه أحمد (٨٦/٤، ٨٧)، والحاكم وسنده صحيح على شرط مسلم.
 [٢٧٢] وعن أنس رضي الله تعالى عنه أن ثمانين رجلاً من أهل مكة
 هبطوا على رسول الله ﷺ من جبل التنعيم متسلحين، يريدون غرة
 النبي ﷺ وأصحابه، فأخذهم مسلماً فاستحياهم، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَمَوْ
 لِدِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِطَّنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾.
 رواه أحمد (١٢٢/٣، ١٢٥)، ومسلم في الجهاد (١٨٧/١٢)، وأبو
 داود (٢٦٨٨)، والترمذي في تفسير الفتح (٣٠٤٩).

[٢٧٣] وعن البراء رضي الله تعالى عنه قال: اعتمر النبي ﷺ في ذي
 القعدة فابى أهل مكة أن يدعوه يدخل مكة حتى قاضاهم على أن يقيموا بها
 ثلاثة أيام، فلما كتبوا الكتاب كتبوا: هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله،
 قالوا: لا نُقِرُّ بهذا، ولو نعلم أنك رسول الله ما منعناك شيئاً، ولكن اكتب:
 محمد بن عبد الله، قال ﷺ: «أنا رسول الله، وأنا محمد بن عبد الله»، ثم
 قال ﷺ لعلي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه: «امحُ رسول الله»، قال: لا
 والله لا أمحوك أبداً، فأخذ رسول الله ﷺ الكتاب وليس يحسن يكتب، فقال
 رسول الله ﷺ: «أرني مكانه حتى أمحوه»، فمحاه وكتب مكان رسول الله ﷺ
 محمداً، فكتب: هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله أن لا يدخل مكة بالسلاح
 إلا السيف في القرب ولا يخرج منها بأحد يتبعه، ولا يمنع أحداً من أصحابه
 أراد أن يقيم بها. . . الحديث يأتي كاملاً في عمرة القضاء.

رواه أحمد والبخاري في الحج وفي الصلح وفي المغازي، ومسلم في
 صلح الحديبية (١٣٦/١٢، ١٣٧).

✽ شرح غريب حديث المسور وغيره

«الأحابيش» جمع أهبوش - بضم الهمزة والياء - هم قبائل من العرب
 كانوا تحالفوا مع قريش. «يركض» أي: يضرب الفرس عدواً. «خلأت» أي:
 حرنت. «حلّ حلّ» بفتح الحاء يقال ذلك للناقة إذا وقفت ولم تسر.

«حبسها حبس الفيل» أي: حبسها الله عز وجل عن دخول مكة كما حبس
 الفيل عن دخولها. «خطة» - بضم الخاء - أي: خصلة. «تمد» - بفتح
 أي: حفيرة فيها ماء مثمود أي: قليل. «يتبرضه» أي: يأخذونه قليلاً قليلاً.
 «يجيش» بفتح الجيم وكسر الجيم أي: يفور. «العود» - بضم العين - جمع
 عائد هي الناقة ذات اللبن. «المطافيل» هي الأمهات التي معها أولادها،
 والمراد أنهم أتوا بنوقهم ذوات الألبان والأولاد، وبنسائهم وأطفالهم لإرادة
 طول المقام، ويكون ذلك أدعى إلى عدم الفرار. «جموا» أي: استراحوا
 وهو بفتح الجيم وضم الميم المشددة. «حتى تفرد سالفتي» السالفة هي
 صفحة العنق وكنى بذلك عن القتل أي: حتى أقتل. «استفرت» أي: طلبت
 منهم النفار للقتال. «فلما بلجوا» بفتح الباء وتشديد اللام أي: امتنعوا.
 «اجتاح» أي: أهلك أصله بالكلية. «أشواباً» أي: أخلاطاً. «خليقاً» أي:
 حقيقاً. «امصص بظر اللات» امصص بآلف وصل وصادين الأولى مفتوحة
 أمر من المص وهو الرضاعة والبظر بفتح الباء وسكون الظاء المعجمة هي
 قطعة تبقى بعد الختان في فرج المرأة، واللات اسم صنم لقريش وثقيف،
 وأراد أبو بكر بهذا سب عروة بإقامة من كان يعبد من الأصنام مقام أمه،
 وكان العرب يستون بذلك فيقولون: امصص بظر أمك، فأقام أبو بكر اللات
 مقام أم عروة. «غدر» بضم الغين وفتح الدال هو معدول عن غادر مبالغة
 في الغدر. «جعل يرمق» بفتح الياء وضم الميم أي: يلحظ. «وما يجدون»
 بضم الياء أي: لا ينظرون إليه متأملين بل يغضون أبصارهم احتراماً له.
 «رجل فاجر» لأنه كان غداراً. «ضغطة» بضم الضاد وسكون الغين أي:
 قهراً. «يرسف» أي: يمشي مشياً بطيئاً بسبب قيده. «فلم تُعطي الدنيا» أي:
 الخصلة الخسيصة. «فاستمسك بعززه» بفتح الغين هو للإبل بمنزلة الركب
 للفرس، والمراد بذلك التمسك بأمره ﷺ وترك مخالفته كالذي يركب
 الفرس فلا يفارقه. «حتى برد» بفتحين أي: حتى خمدت حواسه وهو كناية
 عن الموت. «ذُعراً» بضم الذال وسكون العين أي: خوفاً. وقوله في حديث
 أنس: «غرة» بكسر الغين أي: في غفلته. وقوله: «سلمات» بفتحين على
 الصحيح أي: منقادين. «فاستحياهم» أي: لم يقتلهم.

حديث المسور حديث عظيم فيه فوائد وأحكام وآداب وقواعد تستحق الإفراد بالشرح، وأهم ما جاء فيه وما في الفصل الأمور الآتية:

أولاً: خروج النبي ﷺ قاصداً مكة للاعتماد تصديقاً للرؤيا التي رآها، والتي سيصدقها الله تعالى له في السنة السابعة، وفيها يقول عز وجل: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِينَ مَحَلِّينَ رُءُوسِكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ﴾...

ثانياً: صد الكفار النبي ﷺ وأصحابه عن الدخول إلى مكة لأداء العمرة، وكان ذلك منهم ظلماً سافراً كان من المفروض أن يُقاتلوا على ذلك، لكن حكمة الله اقتضت غير ذلك، وفي هذا المشهد يقول الله تعالى عن كفار قريش: ﴿هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْمَدَى مَعَكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ حِمْلَهُمْ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ لَّزَّ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَّوَّهُمْ فَنُصِيبِكُمْ مَنَعَرَةً مَخْرُوعَةً يُعْرَبُ عَلَيْهَا لِيَدْخُلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾.

فأخبر تعالى بأن قريشاً منعوا المسلمين عن الدخول إلى مكة، والحالة أن هديهم كان معكوفاً أي محبوساً عن أن يصل محله ومكانه الذي يُذبح فيه وهو الحرم.

ومعنى قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ﴾ الخ، يعني: لولا كراهة أن تهلكوا أناساً مؤمنين بين أظهر الكفار حال كونكم جاهلين بهم فيصيبكم بهلاكهم مكروه لما كف أيديكم عنهم ولأذن لكم في فتح مكة وقتال المشركين بها، ولو تزيلوا وتميز بعضهم عن بعض وانفصل المؤمنون عن الكفار لعذبنا الكافرين منهم أشد العذاب.

ثالثاً: ما حصل من التفاوض ومصالحة الكفار، وذلك وإن لم يُرض المسلمون وصدر من بعضهم انتقاد له، فقد كان في ذلك خير كبير وفتح مبين، وقد جاء ذلك مبيّناً واضحاً في الحديث التالي.

[٣٧٤] عن مجمّع بن جارية رضي الله تعالى عنه قال: شهدنا الحديبية، فلما انصرفنا وجدنا رسول الله ﷺ واقفاً عند كراع الغميم، وقد

جمع الناس قرأ عليهم: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾ الآية، فقال رجل: يا رسول الله أو فتح هو؟ قال: «إي والذي نفسي بيده إنه لفتح».

رواه أبو داود (٢٧٣٦)، وابن جرير (٧١/٢٦)، والحاكم (٤٥٩/٢) وصححه على شرط مسلم، قال الذهبي: ولم يخرج مسلم لمجمع ولا لأبيه شيئاً، وهما صحبيان.

[٣٧٥] وعن البراء قال: أتعدون أنتم الفتح فتح مكة، وقد كان فتح مكة فتحاً، ونحن نعدّ الفتح بيعة الرضوان يوم الحديبية. رواه البخاري في المغازي رقم (٤١٥٠، ٤١٥١).

قال الحافظ في الفتح: فقوله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾، المراد بالفتح هنا الحديبية لأنها كانت مبدأ الفتح المبين على المسلمين لما ترتب على الصلح الذي وقع منه الأمن ورفع الحرب وتمكن من يخشى الدخول في الإسلام والوصول إلى المدينة من ذلك إلخ.

ومن الخير العظيم الذي نشأ عن هذا الصلح أنه دخل في الإسلام في هذه السنة والسنة السابعة ما لم يدخل في السنين الأوائل الطوال، فقد كان ﷺ في هذه الغزوة في ألف وأربعمائة، وكان في غزوة الخندق في ثلاثة آلاف، ودخل مكة في الفتح في عشرة آلاف.

رابعاً: كانت المصالحة على الشروط التالية: أولاً: أن توضع الحرب بين المسلمين وبين كفار قريش عشر سنين، وأن يأمن الناس بعضهم من بعض. ثانياً: أن يرجع المسلمون عامهم ذلك وأن يأتوا العام المقبل وأن يدخلوا مكة بلا سلاح إلا السيوف في القرب، ولا يزيدوا على إقامة ثلاثة أيام. ثالثاً: من أتى المدينة من مسلمي مكة رُدّ، ومن أتى مكة من مسلمي المدينة لا يُردّ، وعند هذا الشرط التفت الصحابة إلى رسول الله ﷺ يسألونه: أنكتب هذا يا رسول الله؟ قال: «إنه من ذهب منا إليهم فأبعده الله، ومن جاءنا منهم فسيجعل الله له فرجاً ومخرجاً»، رواه مسلم.

خامساً: كان كاتب الصلح الإمام عليّ عليه السلام، وعندما أنف الكفار من كتابة بسم الله الرحمن الرحيم... ورسول الله، حمية منهم

❁ بيعة الرضوان

[٣٧٦] عن المسور بن مخرمة رضي الله تعالى عنه في حديث الحديبية أن رسول الله ﷺ بعث عثمان إلى قريش يخبرهم أنه لم يأت لحرب، وأنه جاء زائراً لهذا البيت معظماً لحرمة، فخرج عثمان حتى أتى مكة ولقيه أبان بن سعيد بن العاص، فنزل عن دابته، وحمله بين يديه وردد خلفه وأجاره حتى بلغ رسالة رسول الله ﷺ، فانطلق عثمان حتى أتى أبا سفيان وعظماء قريش، فبلغهم عن رسول الله ﷺ ما أرسله به، فقالوا لعثمان: إن شئت أن تطوف بالبيت فطُف به، فقال: ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله ﷺ، فاحتبسته قريش عندها، فبلغ رسول الله ﷺ أن عثمان قد قُتل...

رواه أحمد (٣٢٣/٤، ٣٢٦)، وابن إسحاق كما في ابن هشام (٢٦٣/٣)، وابن سعد (٩٧/٢) وسنده صحيح.

[٣٧٧] عن معقل بن يسار رضي الله تعالى عنه قال: لقد رأيتني يوم الشجرة والنبى ﷺ يبايع الناس، وأنا رافع غُضناً من أغصانها عن رأسه، ونحن أربع عشرة مائة، قال: لم نبايعه على الموت، ولكن بايعناه أن لا نَقِرَّ.

رواه أحمد (٢٥/٥)، ومسلم في الإمارة (٥/١٣).

[٣٧٨] وعن جابر رضي الله تعالى عنه قال: كنا يوم الحديبية أربع عشرة مائة، فبايعناه وعمر أخذ بيده تحت الشجرة وهي سمره فبايعناه غَيْرَ الجَدِّ بن قيس الأنصاري اختبأ تحت بطن بعيره.

رواه مسلم أيضاً (٢/١٣، ٣)، وفي رواية: بايعناه على أن لا نفر ولم نبايعه على الموت.

[٣٧٩] وعن سلمة بن الأكوع رضي الله تعالى عنه أنه قيل له: على أي شيء بايعتم رسول الله ﷺ يوم الحديبية؟ قال: على الموت.

لجاهليتهم، وأمر النبي ﷺ بمخو ذلك امتنع وحلف على ذلك، فيؤخذ من هذا أن الأدب قد يقدم على الأمر، فعلى عليه السلام لم يمتنع من مخو اسم الله واسم رسوله ﷺ تكبراً ومحادة لله ولرسوله، بل امتنع من ذلك تأذياً مع اسم الله واسم رسوله عليه الصلاة والسلام، فأقره النبي ﷺ على ذلك فتولى محوه بيده الشريفة نظراً لمصلحة الصلح.

سادساً: في قوله ﷺ لعلي: «أرني مكانه حتى أمحوه»، مع قول البراء: وليس يُحسِن يكتب، دليل على أنه عليه الصلاة والسلام لم يتعلم الكتابة وأنه بقي على أميته التي وصفه الله بها، والتي كانت كاملاً ومعجزة في حقه، خلافاً لمن قال بأنه كان يكتب حتى وقع بسبب ذلك شتائم وسباب وتكفير وتضليل بين بعض العلماء.

سابعاً: ما صدر من الصحابة من كراهية الصلح وعدم امتثالهم لما أمرهم به ﷺ من نحر البدن وحلق الرؤوس والاستحلال من العمرة هو شيء عظيم جداً، لكن الله عز وجل عفا عنهم وسامحهم وغفر لهم ورضي عنهم؛ لأن ذلك كان فوق طاقتهم فلم يتحملوه.

ويؤخذ من هذه الحادثة أن في النساء من لهن رأي صائب ونظر سديد، فإن أم سلمة رضي الله تعالى عنها أشارت إلى النبي ﷺ بأمر كان ناجحاً، فسلم الصحابة بسببه من المخالفة فنحروا وحلقوا...

ثامناً: قوله: ثم جاء نسوة مؤمنات، فأنزل الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ﴾ إلخ، يقتضي أن ذلك وقع في الحديبية وليس كذلك، بل جئته بالمدينة داخل مدة الصلح.

تاسعاً: جاء في سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ﴾ الآية، حديث أنس في هبوط أناس من جبل التنعيم على رسول الله ﷺ يريدون غزته فأسرهم المسلمون، ثم عفا عنهم ﷺ، بينما جاء في حديث ابن معقل نزولها في قصة أخرى، فمن المحتمل أن تكون نزلت عند مصادفة القصتين، فالله تعالى أعلم.

رواه البخاري في غزوة الحديبية (٤٥٥/٨)، ومسلم في الإمارة (٦/١٣).

[٢٨٠] وعن عبدالله بن زيد رضي الله تعالى عنه أنه أتاه آت، فقال: هناك ابن حنظلة يبايع الناس، فقال: على ماذا؟ قال: على الموت، قال: لا أبايع على هذا أحداً بعد رسول الله ﷺ، وكان شهد معه الحديبية. رواه البخاري (٤٥٤/٨)، ومسلم (٦/١٣).

ابن حنظلة: هو عبدالله بن حنظلة بن أبي عامر الأنصاري، كان أهل المدينة خلعوا بيعة يزيد بن معاوية، فبعث إليهم جيشاً، فقام عبدالله بن حنظلة يطالب أهل المدينة أن يبايعوه على قتال جيش يزيد حتى الموت... كان احتباس سيدنا عثمان بمكة من طرف كفارها وإشاعة قتله سبباً في حمل النبي ﷺ على مبايعة الصحابة على قتال الكفار والسمود وعدم الفرار.

وقد اختلفت الأحاديث كما نرى على ماذا كان يبايعهم ﷺ.

فحديثاً معقل وجابر يدلان على أنه بايعهم على أن لا يفروا من العدو عند القتال، وأنه يجب عليهم الصبر والسمود. أما حديثاً سلمة بن الأكوع وعبدالله بن زيد فيدلان على أنه بايعهم على الموت، وقد جمع بين هذه الأحاديث جماعة من العلماء كل بما ظهر له. وحملها الترمذي على أنه بايع قوماً على الموت، وبايع آخرين على عدم الفرار، والأمر في ذلك سهل وواضح.

وأهل بيعة الرضوان يعتبرون أفضل أهل الأرض بعد أهل بدر، فكلاهما من أهل الجنة كما تقدم، ويأتي في الفضائل، وفي أهل بيعة الحديبية جاءت الإشادة في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ الخ، فهم مَرْضِيُونَ عند الله عز وجل ومن رضي عنه فلا يسخط عليه أبداً.

✽ نزول سورة الفتح

[٢٨١] عن عمر رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ كان يسير في بعض أسفاره، وكان عمر بن الخطاب يسير معه ليلاً، فسأله عمر عن شيء فلم يُجِبْه، فذكر الحديث وفيه: وجئت رسول الله ﷺ فسلمتُ فقال: «لقد أنزلت عليّ الليلة سورة هي أحب إليّ مما طلعت عليه الشمس»، ثم قرأ: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾.

رواه أحمد والبخاري والترمذي وغيرهم، وتقدم في التفسير.

[٢٨٢] وعن أنس رضي الله تعالى عنه قال: أنزلت على النبي ﷺ: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ الآية، مَرَّجَعَهُ مِنَ الْحَدِيثِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لقد نزلت عليّ آية هي أحب إليّ من الدنيا وما فيها»، فتلاها رسول الله ﷺ.

رواه البخاري ومسلم وغيرهما، وقد تقدم أيضاً في التفسير.

الحديثان يدلان على أن سورة الفتح نزلت في الطريق مرجع النبي ﷺ من الحديبية، خلاف ما يُفهم من بعض الروايات أنها نزلت بالحديبية، والله تعالى أعلم.

✽ تفجير البئر التي نضبت بالحديبية ببركة النبي ﷺ

[٢٨٣] عن البراء بن عازب رضي الله تعالى عنهما قال: تَعَدُونَ أَنْتُمْ الفتح فتح مكة، وقد كان فتح مكة فتحاً، ونحن نعد الفتح بيعة الرضوان يوم الحديبية كتنا مع النبي ﷺ أربع عشرة مائة والحديبية بئر فنَزَحْنَاهَا فلم نترك فيها قَطْرَةً، فبلغ ذلك النبي ﷺ فأتى فجلس على شفيرها، ثم دعا بإناء من ماء منها فتوضأ ثم مضمض ودعا ثم صبّه فيها، فتركها غير بعيد، ثم إنها أصدرت لنا نحن وركائنا، وفي رواية: «إيتوني بدلو من مائها».

رواه البخاري (٤٤٥/٨، ٤٤٧).

«نزحناها» أي: أخذنا ماءها حتى لم يبق منه شيء. «أصْدَرْتَنَا» أي: أنهم رجعوا عنها، وقد رووا هم وإبلهم.

[٢٨٤] وتقدم في حديث المسور الطويل قوله: فعدل عنهم حتى نزل بأقصى الحديبية على ثمد قليل الماء يتبرّضه الناس تبرّضاً، فلم يلبثه الناس حتى نزحوه، وشكى إلى رسول الله ﷺ العطش، فانتزع سهماً من كنانته، ثم أمرهم أن يجعلوه فيه، فوالله ما زال يجيش لهم بالرّي حتى صدروا عنه. رواه البخاري وغيره وتقدم.

[٢٨٥] وعن سلمة بن الأكوع رضي الله تعالى عنه قال: قدمنا مع رسول الله ﷺ الحديبية ونحن أربع عشرة مائة، وعليها خمسون شاة لا ترويهما، قال: فقعد رسول الله ﷺ على جبا الركية، فإما دعا وإما بزق فيها، فجاشت فسقينا واستقينا.

رواه أحمد (٥٢/٤، ٥٤)، ومسلم في غزوة ذي قرد (١٧٤/١٢)، (١٧٥)، وأبو داود في الجهاد (٢٧٥٢) وغيرهم.

«جبا الركية» الجبا ما حول البئر، والركية هي البئر. «وجاشت» أي: فاضت وارتفعت.

في هذه الأحاديث الثلاثة بيان ما حصل في بئر الحديبية من بركة النبي ﷺ في مائها بعد أن نزحوها، ففاضت ماء حتى رووا جميعهم وملاوا أسقيتهم وسقوا إبلهم وركائبهم، فهذه أول معجزة صدرت من النبي ﷺ في هذه الغزوة، والخلاف الواقع في كونه وضع سهماً فيها أو صب فيها من فضل وضوئه أو دعا أو بزق، كل ذلك يحتمل وقوعه فحدث كل بما شاهد ولا يكون ذلك طعناً في أصل المعجزة.

✽ فوران الماء من بين أصابعه ﷺ

[٢٨٦] عن جابر رضي الله تعالى عنه قال: عطش الناس يوم الحديبية ورسول الله ﷺ بين يديه ركة فتوضأ منها ثم أقبل الناس نحوه، فقال

رسول الله ﷺ: «ما لكم؟» قالوا: يا رسول الله ليس عندنا ماء نتوضأ به ولا نشرب إلا ما في ركوتك، قال: فوضع النبي ﷺ يده في الركوة، فجعل الماء يفور من بين أصابعه كأمثال العيون، قال: فشربنا وتوضأ، فقيل لجابر: كم كنتم يومئذ؟ قال: لو كنا مائة ألف لكفانا، كنا خمس عشرة مائة.

رواه البخاري في الحديبية (٤٤٧/٨، ٤٤٨)، ومسلم في الإمارة (٣/١٣، ٤).

«ركوة» بفتح الراء وسكون الكاف إناء صغير من جلد يُشرب فيه الماء. «يفور» أي: يخرج بتدفق. وهذه معجزة ثانية وقعت له ﷺ غير ما سبق من جريان البثر وفيضاتها؛ لأن هذه المرة فار الماء مثل فوران العيون، والينابيع من بين أصابعه الشريفة حتى شرب جميع الجيش، وصرح جابر بأنهم لو كانوا مائة ألف لكفاهم ذلك.

✽ نمو الطعام والماء ببركة النبي ﷺ

[٢٨٧] عن سلمة بن الأكوع رضي الله تعالى عنه قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ في غزوة، فأصابنا جهد حتى هممنا أن ننحر بعض ظهرنا، فأمرنا النبي ﷺ فجمعنا مزاودنا، فبسطنا له نطعاً فاجتمع زاد القوم على النطع، فتطاوت لأحزر كم هو فحزرته كربضة العنز، ونحن أربع عشرة مائة، فأكلنا حتى شبعنا، ثم حشونا جربنا، ثم قال رسول الله ﷺ: «هل من وضوء؟» فجاء رجل بإداوة له فيها فأفرغها في قدح، فتوضأنا كلنا ندغفقه دغفقه أربع عشرة مائة.

رواه مسلم في اللقطة (٣٣/١٢، ٣٤) قبل الجهاد.

«جهد» بفتح الجيم أي: مشقة، أما بالضم فالمراد به الوسع والطاقة. «بعض ظهرنا» أي: جمالنا التي نركبها. «نطعاً» بفتح النون والطاء مع سكونها هو بساط من جلد. «لأحزر» بضم الزاي أي أقدر. «كربضة العنز» بضم الراء

وكسرها أي: جثة العنز إذا بركت، والعنز أنثى المعز. «حشونا» أي: ملأنا.
«جربنا» بضم الجيم والراء جمع جراب أي: مزادنا وأوعيتنا. «ندغفقه» بضم
النون وفتح الدال وسكون الغين مع كسر الفاء أي: نصبه صباً.

ففي هذا الحديث معجزتان، الأولى: تكثير الطعام ونموه حتى شبع
منه ألف وأربعمائة نفر وملأوا أوعيتهم بينما لم يكن مما جمعه من
مزاودهم إلا مثل موضع بروك الشاة من التمر. المعجزة الثانية: نمو الماء
في الإداوة حتى توضع عن آخرهم، وكلهم يصب الماء صباً، فهذه
المعجزات كلها وقعت وصدرت من النبي ﷺ في هذه الغزوة؛ الحديبية،
وكم له من أمثالها، وسيأتي لها موضع إن شاء الله تعالى.

✽ في أعقاب الحديبية وامتحان النساء المهاجرات

[٣٨٨] عن المسور بن مخرمة رضي الله تعالى عنهما قال: كان فيما
اشترط سهيل بن عمرو على النبي ﷺ أن لا يأتيك منا أحد وإن كان على
دينك إلا ردّته إلينا، وخلّيت بيننا وبينه؛ فكره المؤمنون ذلك وامتعصوا
منه، وأبى سهيل إلا ذلك، فكاتبه النبي ﷺ على ذلك فردّ يومئذ أبا جندل
إلى أبيه سهيل بن عمرو ولم يأتها أحد من الرجال إلا ردّه في تلك المدة
وإن كان مسلماً.

وجاءت المؤمنات مهاجرات، وكانت أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط
ممن خرج إلى رسول الله ﷺ يومئذ وهي عاتق، فجاء أهلها يسألون
النبي ﷺ أن يُرجعها إليهم، فلم يرجعها إليهم لما أنزل الله تعالى فيهن؛
﴿إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا
تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَأَهُنَّ حِلٌّ لَكُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾.
رواه البخاري وتقدم مطولاً.

[٣٨٩] وعن عائشة رضي الله تعالى عنها أن رسول الله ﷺ كان
يمتحن من يهاجر إليه بهذه الآية: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يَبَيِّنُكَ﴾

إلى ﴿عَفُورٌ رَجِيمٌ﴾، قالت: فمن أقرّ بهذا الشرط من المؤمنات، قال لها:
«قد بايعتك».

رواه البخاري في التفسير (٢٦١/١٠)، ومسلم في الإمامة (١٠/١٣)
وغيرها، وانظر ما سبق في الإيمان (ج ١/١١٤، ١١٧).

بعد رجوعه ﷺ من الحديبية ونزوله المدينة جعل يأتيه رجال ونساء
من مسلمي مكة فآزبن مهاجرين، فكان ﷺ من جاء منهم من الرجال
ردّهم وفاء بالعهد، أما النساء فكان لا يردهن لأنهن لم يكن في جملة
الصلح والعهد، وأمره الله عز وجل أن يمتحنهن بهذه الآية: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِذَا
جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يَبَيِّنُكَ﴾ الخ، فمن أقرت بذلك واعترفت بأنها ما خرجت إلا
رغبة في الله وفي رسوله ﷺ تركها ولم يردها إلى الكفار.

وكان في جملة النسوة المهاجرات أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط،
وكانت عاتقاً، أي: قاربت الحلم واستحقت الزواج، أو التي عتقت عن
الامتحان في الخروج للخدمة أو الكريمة على أهلها، فهذه المعاني كلها تحتلها
العاتق، وهذه السيدة كانت قد أسلمت قديماً، ولما هاجرت تبعها أخاؤها فلم
يردها النبي ﷺ إليهما، وكانت لم تتزوج بعد فتزوجها زيد بن حارثة ولما قُتل
تزوجها الزبير بن العوام ثم فارقتها فتزوجها عبدالرحمن بن عوف، ولما توفي
تزوجها عمرو بن العاص، فماتت عنده بعد شهر رضي الله تعالى عنها، وليكن
هذا آخر الكلام على غزوة أو عمرة الحديبية، وقد تركنا أشياء وقعت فيها أثرنا
تركها اختصاراً. وصلى الله وسلّم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه.

✽ خلاصة ما وقع من الأحداث في السنة السادسة

وقع فيها مقتل أبي رافع اليهودي، قصة ثمامة بن أثال سيد أهل
اليمامة، غزوة بني لحيان، قصة عكّل وعزينة، غزوة الحديبية وبيعة
الرضوان، وما حصل فيها من الأحداث والمعجزات، في أعقاب الحديبية.

[٢٩٠] عن سلمة بن الأكوع رضي الله تعالى عنه قال: خرجت قبل أن يُؤدَّنَ بالأولى، وكانت لِقاحُ رسول الله ﷺ تَزَعَى بذي قرد، قال: فلقيني غلامٌ لعبدالرحمن بن عوف فقال: أخذت لِقاحُ رسول الله ﷺ، قلت: مَنْ أخذها؟ قال: غَطْفَانُ، قال: فَصَرَخْتُ ثلاثَ صَرَخَاتٍ: يا صَباحاهُ، قال: فأسمعتُ ما بين لابَتَيِ المدينة، ثم اندفعتُ على وجهي حتى أدركتهم وقد أخذوا يَسْتَقُون من الماء، فجعلت أزميهم بنبلي، وكنت رامياً، وأقول: أنا ابنُ الأكوع، اليومُ يومُ الرُّضْع، وأزْتَجِرُ حتى استنقذتُ اللِّقَاحَ منهم، واستلبتُ منهم ثلاثين بُردةً، قال: وجاء النبي ﷺ والناسُ فقلت: يا نبي الله قد حميتُ القومَ الماءَ وهم عطاشٌ، فابعث إليهم الساعة، فقال: «يا ابن الأكوع، ملكت فأسجج»، قال: ثم رجعتنا ويُرِدُّني رسولُ الله ﷺ على ناقته حتى دخلنا المدينة.

رواه البخاري (٤٦٦/٨، ٤٦٩)، ومسلم في الجهاد (١٢/١٧٢٧)، وكذا أحمد (٤٨/٤)، وأبو داود (٢٧٥٢).

«قرد» بفتحين وبضمّتين وبضمّ أوله وفتح ثانيه وبالأول ضبطه أهل الحديث وهو ماء نحو بريد مما يلي غطفان. قوله: «قبل أن يؤدَّن بالأولى» أي: بصلاة الصبح. قوله: «لقاح» بكسر اللام جمع لقحة بالكسر والفتح وهي الثوق والإبل ذوات الدرّ واللبن. «فصرخت» أي ناديت بأعلى صوتي. وقوله: «الرُّضْع» بضم الراء مع شديدها وفتح الضاد المشددة جمع راضع وهو اللثيم، أي: هذا اليوم يوم هلاك اللثام، وقيل فيه غير ذلك كما يعلم من الفتح (٤٦٧/٨). قوله: «فأسجج» بهمزة قطع وسكون السين وكسر الجيم آخره حاء، ومعناه: فأحسن وأرفق فقد حصلت النكاية.

غزوة قرد ويقال لها غزوة الغابة وهو موضع قرب المدينة من ناحية الشمال فيه أموال لأهل المدينة، قال البخاري: وهي الغزوة التي أغاروا على لقاح النبي ﷺ قبل خيبر بثلاث، وكانت في السنة السابعة بعد الحديبية.

وحديث سلمة هذا يبيّن سبب ذلك، وهو أن غطفان أغاروا على إبل رسول الله ﷺ وكانت عشرين لقحة، فقتلوا راعيها وأسروا امرأة وفروا، فتبعهم سلمة بن الأكوع وكان يسبق الخيل بعدوه فلحقهم وجعل يرميهم حتى تركوا اللقّاح كلها، ثم رموا له ثلاثين بردة وثلاثين رمحاً يستخفون أو لعله يتركهم، وجاءت الأمداد والخيل ورسول الله ﷺ، فلحقوا سلمة عند العشاء، فأمره رسول الله ﷺ بتركهم ثم رجعوا، والحديث التالي مع طوله يفصل ما حصل في هذا الحادث.

[٢٩١] فعن سلمة أيضاً قال: قدمنا الحديبية مع رسول الله ﷺ فذكر ما يتعلق بها، ثم قال: ثم خرجنا راجعين إلى المدينة فنزلنا منزلاً بيننا وبين بني لحيان جبل وهم المشركون، فاستغفر رسول الله ﷺ لمن رقي هذا الجبل الليلة كأنه طليعة للنبي ﷺ وأصحابه، قال سلمة: فرقيت تلك الليلة مرتين أو ثلاثاً، ثم قدمنا المدينة فبعث رسول الله ﷺ بظهره مع رباح غلام رسول الله ﷺ وأنا معه، وخرجت معه بفرس طلحة أنديه مع الظهر، فلما أصبحنا إذا عبدالرحمن الفزاري قد أغار على ظهر رسول الله ﷺ، فاستأقاه أجمع وقتل راعيها، قال: فقلت: يا رباح خذ هذا الفرس فأبلغه طلحة بن عبدالله وأخبر رسول الله ﷺ أن المشركين قد أغاروا على سرحه، قال: ثم قمت على أكمة فاستقبلت المدينة، فناديت ثلاثاً: يا صباحاه، ثم خرجت في آثار القوم أرميهم بالنبل وأرتجز أقول:

أنا ابنُ الأكوعِ واليومُ يومُ الرُّضْعِ

فألحق رجلاً منهم فأصك سهماً في رحله حتى خلص نصل السهم إلى كتفه، قال: قلت: خذها

وأنا ابنُ الأكوعِ واليومُ يومُ الرُّضْعِ

قال: والله ما زلت أرميهم وأغقر بهم، فإذا رجع إليّ فارس أتيت شجرة فجلست في أصلها ثم رميته فعقرت به، حتى إذا تضايق الجبل فدخلوا في تضايقه علوت الجبل، فجعلت أرديهم بالحجارة، قال: فما زلت

كذلك أتبعهم حتى ما خلق الله من بعير من ظهر رسول الله ﷺ إلا حلفته وراء ظهري، وخلقوا بيني وبينه، ثم أتبعتهم أرميهم حتى ألقوا أكثر من ثلاثين بردة وثلاثين رمحاً، يستخفون ولا يطرحون شيئاً إلا جعلت عليه أراماً من الحجارة يعرفها رسول الله ﷺ وأصحابه حتى أتوا متضايقاً من ثنية، فإذا هم قد أتاهم فلان بن بدر الفزاري، فجلسوا يتفحون - يعني يتغدون - وجلست على رأس قرّة، قال الفزاري: ما هذا الذي أرى؟ قالوا: لقينا من هذا البرح، والله ما فارقنا منذ غلّس يزميناً، حتى انتزع كل شيء في أيدينا، قال: فليقم إليه نفر منكم أربعة، قال: فصعد إليّ منهم أربعة في الجبل، قال: فلما أمكنوني من الكلام، قال: قلت: هل تعرفوني؟ قالوا: لا، ومن أنت؟ قال: قلت: أنا سلمة بن الأكوع والذي كرم وجه محمد ﷺ لا أطلب رجلاً منكم إلا أدركته، ولا يطلبني رجل منكم فيؤذركني، قال أحدهم: أنا أظن، قال: فرجعوا فما برحت مكاني حتى رأيت فوارس رسول الله ﷺ يتخللون الشجر، قال: فإذا أولهم الأخرم الأسدي، على إثره أبو قتادة الأنصاري، وعلى إثره المقداد بن الأسود الكندي، قال: فأخذت بعنان الأخرم قال: فولوا مدبرين، قلت: يا أخرم اخذهم لا يفتطعون حتى يلحق رسول الله ﷺ وأصحابه، قال: يا سلمة إن كنت تؤمن بالله واليوم الآخر، وتعلم أن الجنة حق، والنار حق، فلا تحل بيني وبين الشهادة، قال: فخلّيته فالتقى هو وعبدالرحمن، قال: فعقر عبدالرحمن فرسه وطعنه عبدالرحمن فقتله، وتحول على فرسه ولحق أبو قتادة فارس رسول الله ﷺ بعبدالرحمن فطعنه فقتله، فوالذي كرم وجه محمد ﷺ لتبعتهم أعدو على رجلي حتى ما أرى ورائي من أصحاب محمد ﷺ ولا غبارهم شيئاً حتى يعدلوا قبل غروب الشمس إلى شغب فيه ماء يقال له ذو قرد ليشربوا منه وهم عطاش، قال: فنظروا إليّ أعدو وراءهم فخلّيتهم عنه - يعني أجليتهم عنه - فما ذاقوا منه قطرة، قال: ويخرجون فيشتدون في ثنية، قال: فاعدو فالحق رجلاً منهم فأصكهم بسهم في نغص كتفه، قال: قلت: خذها

وأنا ابن الأكوع واليوم يوم الرضع

قال: يا ثكلته أمه أكوّعه بكرة، قال: قلت: نعم يا عدو نفسه أكوّعك بكرة، قال: وأزدوا فرسين على ثنية، قال: فجئت بهما أسوقهما إلى رسول الله ﷺ قال: ولحقني عامر بسطيحة فيها مذقة من لبن وسطيحة فيها ماء فتوضأت وشربت ثم أتيت رسول الله ﷺ وهو على الماء الذي خلّيتهم عنه، فإذا رسول الله ﷺ قد أخذ تلك الإبل وكل شيء استنقذته من المشركين، وكل رمح وبردة، وإذا بلال نحرنا ناقه من الإبل الذي استنقذت من القوم، وإذا هو يشوي لرسول الله ﷺ من كبدها وسنامها، قال: قلت: يا رسول الله خلني فأتخب من القوم مائة رجل فأتبع القوم، فلا يبقى منهم مخبر إلا قتلته، فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه في ضوء النار، فقال: «يا سلمة أتراك كنت فاعلاً؟» قلت: نعم، والذي أكرمك، فقال: «إنهم الآن ليقرّون في أرض غطفان»، قال: فجاء رجل من غطفان فقال: نحر لهم فلان جزوراً، فلما كشفوا جلدها رأوا غباراً، فقالوا: أتاكم القوم فخرجوا هاربين، فلما أصبحنا قال رسول الله ﷺ: «كان خير فرساننا اليوم أبو قتادة، وخير رجالنا سلمة»، قال: ثم أعطاني رسول الله ﷺ سهمين: سهم الفارس وسهم الرّاجل، فجمعهما لي جميعاً، ثم أردفني رسول الله ﷺ وراءه على العضباء راجعين إلى المدينة، قال: فبينما نحن نسير قال: وكان رجل من الأنصار لا يسبق شداً، قال: فجعل يقول: ألا مسابق إلى المدينة؟ هل من مسابق؟ فجعل يعيد ذلك، قال: فلما سمعت كلامه قلت: أما تكرم كريماً، ولا تهاب شريفاً، قال: لا، إلا أن يكون رسول الله ﷺ، قال: قلت: يا رسول الله بأبي وأمي دزني فلاسابق الرجل، قال: «إن شئت»، قال: قلت: أذهب إليك، وثنيّ رجلي فطفرزت فعدوت، قال: فربطت عليه شرفاً أو شرفين، ثم إنني رفعت حتى ألحقه قال: فأصكّه بين كتفيه، قال: قلت: قد سبقت والله، قال: أنا أظن، قال: فسبقت إلى المدينة، قال: فوالله ما لبثنا إلا ثلاث ليال حتى خرجنا إلى خيبر مع رسول الله ﷺ . . .

رواه أحمد (٥٢/٤، ٥٤)، ومسلم في الجهاد (١٧٧/١٢، ١٨٣)، وأبو داود (٢٧٥٢) وغيرهم.

«طليلة» أي: عين يتجسس الأخبار. «أنديه» بضم الهمزة ثم نون

مفتوحة ثم دال مكسورة مشددة أي: أسقيه قليلاً ثم أرسله للمرعى ثم أسقيه... «أصك ظهره» أي: أضربه. «أرديهم بالحجارة» أي: ألقيها عليهم من فوق لتسقطهم. «فحليتهم» بالحاء أي: طردتهم عن الماء. «نغض كتفه» بضم النون وسكون الغين آخره ضاد هو العظم الرقيق على طرف الكتف. «يا ثكلته أمه» أي: يا من فقدته أمه. «أكوعه بكرة» معناه أنت الأكوع التي كنت بكرة هذا النهار. «فطفرت» أي: وثبت وقفزت. «فربطت عليه» أي: حبست نفسي من الجري الشديد. «والشرف» ما ارتفع من الأرض.

والحديث الشريف بين بتفصيل ما حصل في هذه الغزوة من البداية إلى النهاية، وقد فاز فيها سلمة بن الأكوع الذي يحدثنا عنها فهو الذي سبق الصحابة إلى الخروج خلف أولئك الذين أغاروا على لقاح الرسول ﷺ، وهو الذي قاتلهم وطردهم وهزمهم بمفرده، وهو الذي استنقذ اللقاح كاملة، وهو الذي تسبب في تلك الغنيمة من البرود والثياب والرماح والفرسين... وهو الذي أزعجهم وأعطاهم درساً لم ينسوه طوال حياتهم... وكل ذلك يدل على فضله وشجاعته وشهامته وقوته. ومن غريب أمره الذي انفرد به عن أهل زمانه شدة عدوه وجريه، فإنه كان؛ يسبق الخيل والفرسان ولا يلحقه طالب مهما كان سواء كان راكباً أم راجلاً.

ولما صدر منه من النكاية في العدو واستعادة اللقاح والحصول على الغنيمة أعطاه رسول الله ﷺ سهمين: سهم الفارس وسهم الراجل، ولذلك فقد يقال إن هذه الغزوة كانت مركزة على سلمة هذا رضي الله تعالى عنه.

❁ قصة المرأة المسلمة التي أسيرت مع العصابة

ناقة رسول الله ﷺ

[٣٩٢] عن عمران بن حصين رضي الله تعالى عنه قال: كانت ثقيف حلفاء لبني عقيّل، فأسرت ثقيف رجلين من أصحاب رسول الله ﷺ،

وأسر أصحاب رسول الله ﷺ رجلاً من بني عقيّل وأصابوا معه العصابة، فأثنى عليه رسول الله ﷺ وهو في الوثاق، قال: يا محمد فأناه، فقال: «ما شأنك؟» فقال: بِمَ أَخَذْتَنِي وَبِمَ أَخَذْتَ سَابِقَةَ الْحَاجِّ؟ فقال: «إعظماً لذلك أخذتك بجريرة خلفائك ثقيف»، ثم انصرف عنه فناده، فقال: يا محمد، يا محمد، وكان رسول الله ﷺ رحيماً رقيقاً فرجع إليه، فقال: «ما شأنك؟» قال: إني مسلم، قال: «لو قتلها وأنت تملك أمرك أفلحت كل الفلاح»، ثم انصرف فناده فقال: يا محمد يا محمد، فأناه فقال: «ما شأنك؟» قال: إني جائع فأطعمني وظمآن فاسقني، قال: «هذه حاجتك»، ففدي الرجلين، قال: وأسرت امرأة من الأنصار وأصيبت العصابة، فكانت المرأة في الوثاق وكان القوم يُريحون نَعْمَهُم بين يدي بيوتهم، فانفلتت ذات ليلة من الوثاق فأتت الإبل فجعلت إذا دنت من البعير رغاً فتركه حتى تنتهي إلى العصابة فلم تَزْعُ، قال: وناقة مُنَوَّقة، فقعدت في عَجْزِهَا ثم زجرتها فانطلقت، ونذروا بها فطلبوها فأعجزتهم، قال: ونذرت الله إن نجّاه الله تعالى عليها لتنحرثها، فلما قدمت المدينة رآها الناس، فقالوا: العصابة ناقة رسول الله ﷺ، فقالت: إنها نذرت إن نجّاه الله عليها لتنحرثها، فأثوا رسول الله ﷺ فذكروا ذلك له، فقال: «سبحان الله بشما جرّتها نذرت الله إن نجّاه الله عليها لتنحرثها، لا وفاء لنذر في معصية، ولا فيما لا يملك العبد».

رواه أحمد (٤٣٣/٤، ٤٣٤)، ومسلم في النذور (٩٩/١١، ١٠١)، والدارمي (٢٥٠٨) في السير.

«أخذتك بجريرة» أي: بجنايتهم حيث أسروا رجلين من المسلمين. «لو قتلها وأنت تملك أمرك» يعني لو أسلمت قبل أسرك لما أسرت. «ناقة منوَّقة» بضم الميم وفتح النون والواو المشددة ثم قاف أي: مذللة. «ونذروا» بكسر الذال أي: علموا.

وفي الحديث إباحة مال الكافر المحارب أو المُوالي له، وأنه لا يستحقه وإن أسلم، وأن الأسير الكافر إذا أسلم أحرز دمه وماله ولا تسقط عنه الرقبة، وللإمام أن يمنّ عليه أو يفدي به أسيراً مسلماً. وفيه أن النذر

في معصية باطل لا يصح ولا كفارة فيه عند الجمهور... وفيه أن النذر لا يصح فيما لا يملكه الإنسان، ولا ينبغي أن يختلف في هذا، وقد تقدم الكلام على النذر وأحكامه.

* غزوة خيبر تاريخ وقتها *

[٢٩٢] عن المسور بن مخرمة رضي الله تعالى عنهما قال: انصرف رسول الله ﷺ من الحديبية، فنزلت عليه سورة الفتح فيما بين مكة والمدينة، فأعطاه الله فيها خيبر بقوله: ﴿وَعَدَّكُمْ اللَّهُ مَقَانِرَ كَبِيرَةٍ تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ﴾، يعني خيبر، فقدم المدينة في ذي الحجة، فأقام بها حتى سار إلى خيبر في المحرم.

رواه ابن إسحاق، ومن طريقه البيهقي في الدلائل (١٩٧/٤)، وكذا أورده ابن كثير في السيرة (٣٤٤/٣)، وابن القيم في الهدى (٣١٧/٣) وسنده حسن صحيح.

خيبر مدينة شمال المدينة بينهما مائتا كيلو كانت ذات مزارع وعيون وحصون، وكان يسكنها اليهود منذ قرون فغزاها النبي ﷺ عقب قدومه من الحديبية بعد أن أقام بالمدينة ثلاثة أيام، كما تقدم في حديث ابن الأكوع الذي أخرجه مسلم، وكان السبب في غزو يهود خيبر هو ما كان من تهيجهم للأحزاب ضد رسول الله ﷺ، وممن كان له القدم الأعلى في ذلك حبيبي بن أخطب سيد بني النضير وقريظة الذي كان أجلي من بني النضير وسكن خيبر، فخرج إليهم ﷺ وحاصروهم بضع عشرة ليلة، وقاتلهم قتالاً شديداً إلى أن فتحها عنوةً ووجد عندهم غنائم كثيرة متنوعة، فقسمها بين أصحابه كما أمره الله تعالى كما يأتي.

* استخلافه ﷺ على المدينة سبأ بن عرْفُطَة *

[٢٩٤] عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أنه قدم المدينة في رهط من قومه والنبي ﷺ بخيبر، وقد استخلف سبأ بن عرْفُطَة على المدينة، قال: فانتهيت إليه وهو يقرأ في صلاة الصبح في الركعة الأولى: بِـ ﴿كَهَيَّصَ ۝١﴾، وفي الثانية: ﴿وَبَلَّ لِلْمُطَفِّينَ ۝٢﴾، قال: فقلت لنفسي: ويل لفلان إذا اکتال بالوافي، وإذا كال كال بالناقص، قال: فلما صلی زودنا شيئاً حتى أتينا خيبر، قال: فكلم رسول الله ﷺ المسلمين فأشركونا في سبأهم.

رواه أحمد (٣٤٥/٢، ٣٤٦)، والطيالسي (٢٣٦٣) مع المنحة، والحاكم (٣٦/٣، ٣٧)، والبيهقي في الدلائل (١٩٨/٤)، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي. الحديث يأتي فقهه في قسمة غنائم خيبر وفي الفضائل.

* خروجه ﷺ ليلاً وحذاء عامر بن الأكوع وفتحهم خيبر...

[٢٩٥] عن سلمة بن الأكوع رضي الله تعالى عنه قال: خرجنا مع النبي ﷺ إلى خيبر، فسرنا ليلاً فقال رجل من القوم لعامر: يا عامر ألا تُسمعنا من هُنَيْهَاتِكَ؟ وكان عامر رجلاً شاعراً، فنزل يَخْدُو بالقوم يقول: اللَّهُمَّ لولا أنت ما اهْتَدَيْنَا، ولا تصدَّقْنَا ولا صلَّينا، فاغفرْ فداءً لك ما اتَّقَيْنَا، وثبَّتْ الأقدامَ إن لاقَيْنَا، وألْقَيْنَ سَكِينَةً عَلَيْنَا، إنا إذا صيَحَ بنا أبِينَا، وبالصِّياحِ عَوَّلُوا عَلَيْنَا، فقال رسول الله ﷺ: «من هذا السائق؟» قالوا: عامر بن الأكوع، قال: «يرحمه الله»، قال رجل من القوم: وجبت يا نبي الله، لولا أمتعتنا به فأتينا خيبر فحاصرناهم حتى أصابتنا مَخْمَصَةٌ شديدة، قال: إن الله فتحها عليكم، فلما أمسى الناس مساء اليوم الذي فتحت عليهم أوقدوا نيراناً كثيرة، فقال النبي ﷺ: «ما هذه النيران؟ على أي شيء توقدون؟» قالوا: على لحم، قال: «على أي لحم؟» قالوا: لحم

حُمُرِ الْإِنْسِيَّةِ، قال النبي ﷺ: «أَهْرِيقُوهَا وَاكْسُرُوهَا»، فقال رجل: يا رسول الله أو نهريقها ونغسلها، قال: «أو ذاك»، فلما تصافَّ القوم كان سيف عامر قصيراً، فتناول به ساق يهودي ليضربه، ويرجع ذباب سيفه فأصاب عين ركبة عامر فمات منه، قال: فلما قفلوا، قال سلمة: رأني رسول الله ﷺ وهو آخذ يدي، قال: ما لك؟ قلت له: فذاك أبي وأمي، زعموا أن عامراً حَبَطَ عمله، قال النبي ﷺ: «كَذَبَ مَنْ قَالَهُ إِنَّ لَهُ أَجْرَيْنِ وَجَمَعَ بَيْنَ أَصْبَعِيهِ، إِنَّهُ لِحَاجِدٍ مُجَاهِدٍ، قُلْ عَرَبِيٌّ مَشَى بِهَا مِثْلَهُ»...

وفي رواية: فلما قدمنا خيبر خرج مَلِكُهُمْ مَرْحَبٌ يَخْطِرُ بِسَيْفِهِ، ويقول:

قد علمت خيبرُ أنني مَرْحَبُ شَاكِي السِّلَاحِ بَطْلٌ مُجَرَّبُ
إذا الحُرُوبُ أَقْبَلَتْ تَلَهُبُ

قال: وَبَرَزَ عُمِيَّ عَامِرُ، قال:

قد عَلِمْتُ خَيْبِرُ أَنِّي عَامِرُ شَاكِي السِّلَاحِ بَطْلٌ مُغَامِرُ

قال: فاختلفا ضربتين فوق سيف مرحب في ترس عامر، وذهب عامر يَسْفُلُ له، فرجع سيفه على نفسه فقطع أكحلته، فكانت فيها نفسه، قال سلمة: فخرجت فإذا نَفَرٌ من أصحاب النبي ﷺ يقولون: بطل عمل عامر قتل نفسه، قال: فأتيت النبي ﷺ وأنا أبكي، فقلت: يا رسول الله بطل عمل عامر، قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قَالَ ذَلِكَ؟» قال: قلت: ناس من أصحابك، قال: «كذب من قال ذلك بل له أجره مرتين»، ثم أرسلني إلى علي وهو أزمَدُ، فقال: «لأعطين الراية رجلاً يحب الله ورسوله أو يحبه الله ورسوله»، قال: فأتيت علياً فجئت به أقوده وهو أزمَدُ حتى أتيت به رسول الله ﷺ، فبصق في عينه فبرأ وأعطاه الراية وخرج مرحب، فقال:

قد علمت خيبرُ أنني مَرْحَبُ شَاكِي السِّلَاحِ بَطْلٌ مُجَرَّبُ
إذا الحُرُوبُ أَقْبَلَتْ تَلَهُبُ

فقال علي:

أنا الذي سَمَّيْنِي أُمِّي حَيْدَرَةَ كَلَيْتِ غَابَاتِ كَرِيَةِ الْمَنْظَرَةَ
أُوْفِيهِمْ بِالصَّاعِ كَنْيَلِ السَّنْدَرَةَ

قال: فضرب رأس مرحب فقتله، ثم كان الفتح على يديه.

رواه البخاري (٣/٩، ٤، ٥، ٦)، ومسلم (١٢/١٨٤، ١٨٦، ١٦٥)، واللفظ الأول للبخاري والثاني لمسلم.

«هُنَيْهَاتِكُ» جمع هُنَيْهَةٍ تصغير هَنَّةٍ وهو اسم جنس وقصدهم: أسمعنا من شعرك الذي تحدو وترنم به، والخدء الترنم والغناء للإبل لتسرع. «مخمصة» أي: مجاعة. «ذباب سيفه» أي: طرفه الأعلى أو حده. «ترس عامر» الترس هو الدرقة التي يلقي بها السيوف ونحوها. «أزمَدُ» الرمد بفتحيتين مرض يصيب العين فتهيج. وقول علي «حيدرة» هو اسم للأسد. «والسندرة» مكيال واسع.

وفي هذا الحديث بيان بعض أحداث غزوة خيبر، ففيه أنهم خرجوا من المدينة ليلاً، وفيه أن عامر بن الأكوخ كان يحدو بهم وسيأتي حكم الحداء مع الأغاني في كتاب الأدب، وفيه أنهم حاصروا خيبر ونزلت بهم حينذاك مجاعة شديدة، وفيه تحريم الحُمُرِ الأهلية، وبالتالي نجاستها. وفيه أن قاتل نفسه خطأ لا حرج عليه، وأن من قتل نفسه كذلك في الجهاد كان شهيداً، وفيه فضل الإمام علي عليه السلام، وأنه يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، كما فيه شجاعته وشهامته وأن له مزية عظيمة في هذه الغزوة، حيث قتل ملك يهود خيبر مرحب، وكان الفتح على يديه رضي الله تعالى عنه.

✽ طعامهم في طريقهم إلى خيبر

[٣٩٦] عن سويد بن النعمان رضي الله تعالى عنه أخبر أنه خرج مع النبي ﷺ عام خيبر حتى إذا كنا بالصهباء، وهي من أدنى خيبر صلى

العصر ثم دعا بالأزواد، فلم يُؤت إلا بالسويق، فأمرَ به فثُرِي، فأكل وأكلنا، ثم قام إلى المغرب فمضمض ومضمضنا ثم صلى ولم يتوضأ...

رواه البخاري في غزوة خيبر (٣/٩) وفي الطهارة وفي مواضع، وكذا أحمد (٤٦٢/٣)، وابن ماجه (٤٩٢).

هذا طعام الصحابة وهم قاصدون محاربة اليهود إنه السويق، وهو دقيق الشعير المقلي، فليس هناك لحم ولا خبز مرقق ولا فواكه ولا مشروبات ولا مرطبات.

✽ مفاجأة المسلمين يهود خيبر في الصباح

[٢٩٧] عن أنس رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ أتى خيبر ليلاً، وكان إذا أتى قوماً بليل لم يُغز عليهم حتى يُصبح، فلما أصبح خرجت اليهود بمساحيهم ومكاتلهم، فلما رأوه قالوا: محمد والله محمد والخميس، فقال النبي ﷺ: «خَرَيْتَ خَيْبِرُ، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين».

وفي رواية: صبحنا خيبر بكرة، فخرج أهلها بالمساحي، فلما بصروا بالنبي ﷺ قالوا: محمد والله محمد والخميس، فقال النبي ﷺ: «الله أكبر، خربت خيبر، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين»، فأصبنا من لحوم الحمر فنأدى منادي منادي النبي ﷺ: «إن الله ورسوله ينهيانكم عن لحوم الحمر، فإنها رجس».

وفي رواية: فخرجوا يسعون في السكك، فقتل النبي ﷺ المقاتلة وسبى الذرية وكان في السبي صفيّة، فصارت إلى دحية الكلبي، ثم صارت إلى النبي ﷺ فجعل عتقها صداقها. وفي رواية: إن رسول الله ﷺ غزا خيبر قال: فصلينا عندها صلاة الغداة بعلس فركب نبي الله ﷺ وركب أبو طلحة وأنا رديف أبي طلحة، فأجرى نبي الله ﷺ في زقاق خيبر، وإن

ركبتي لتمس فخذ نبي الله ﷺ، فلما دخل القرية قال: «الله أكبر» إلخ...
رواه أحمد (١٠٢/٣، ١٦١، ١٦٨، ٢٠٦)، والبخاري (٧/٩، ٨)،
ومسلم في الجهاد (١٦٤/١٢)، والترمذي في السير رقم (١٤١٧) بألفاظ
مطوّلاً ومختصراً*.

«مساحيهم» جمع مسحاة وهي آلة من آلات الحرث. «ومكاتلهم» جمع مكاتل وهو القفة الكبيرة. «محمد والخميس» يعنون محمداً والجيش.
«بغلس» بفتحين وهو اختلاط بياض الصبح بالظلام.

وفي هذا الحديث أمور، أولاً: أنه ﷺ أتى خيبر ليلاً ولم يُغز عليهم حتى صلى الصبح ثم صبحهم وهم خارجون لمزارعهم. ثانياً: إنه ﷺ تفاءل بما رأى من آلات التخريب، فأخذ من ذلك خراب خيبر، ولذلك بشرهم بقوله: «إن الله فتحها عليكم»، كما تقدم في رواية سلمة. ثالثاً: في هذه الغزوة حرّم حمر الأهلية ويأتي ما فيها. رابعاً: في قوله: فقتل المقاتلة وسبى الذرية وكان في السبي صفيّة؛ في هذا اختصار، وسيأتي مطوّلاً مفصلاً.

✽ حملة راية النبي ﷺ

[٢٩٨] عن سهل بن سعد رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر: «لأعطين هذه الراية غداً رجلاً يفتح الله على يديه، يُحب الله ورسوله، ويُحبه الله ورسوله»، قال: فبات الناس يدوكون ليلتهم: أيهم يُعطاه، فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله ﷺ كلهم يرجو أن يُعطاه، فقال: «أين علي بن أبي طالب؟» فقيل: هو يا رسول الله يشتكي عينيه، قال: «فأرسلوا إليه»، فأتى به فبصق رسول الله ﷺ في عينيه ودعا له خيراً، حتى كأن لم يكن به وجع، فأعطاه الراية، فقال عليّ: يا رسول الله أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا، فقال: «انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم

ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه، فوالله لأن يَهْدِيَ اللهُ بك رجلاً واحداً خيرٌ لك من أن يكون لك حُمْرُ النَّعَمِ».

رواه أحمد (٣٣٣/٥)، والبخاري في غزوة خيبر (١٧/٩)، ومسلم في الفضائل (١٧٧/١٥) وفي الباب عن أبي هريرة وسعد بن أبي وقاص كلاهما عند مسلم، وعن عليّ عند البخاري وعن سلمة بن الأكوع عند البخاري ومسلم، وسيأتي بعضها في الفضائل.

«يُدوكون» أي: يخوضون. والحديث يدلّ على أن الراية كانت عند الإمام عليّ بمفرده، وقد جاء أنه عليه السلام كان قد أعطاها لأبي بكر فقاتل قتالاً شديداً ثم رجع، وأنه أعطاها بعده عمر فقاتلهم في نفر من الصحابة فرجعوا مهزومين، رواهما الحاكم (٣٧/٣) الأول من حديث بريدة، والثاني من حديث عليّ، وصححهما ووافقه الذهبي.

ثم بعد ذلك قال: وفعل ما جاء في هذا الحديث، وكان ذلك آخر أيام خيبر، وعلى يدي الإمام عليّ وقع الفتح كما تقدم، وفي الحديث دليل على مشروعية الدعوة مطلقاً ولو كانوا ممن بلغتهم، وفيه فضل الدعوة إلى الله تعالى وأن من هدى الله على يديه ولو رجلاً واحداً كان خيراً له من اكتساب أنفس الإبل وهي الحُمْر.

✽ الأعرابي الشهيد

[٣٩٩] عن شداد بن الهاد رضي الله تعالى عنه أن رجلاً من الأعراب جاء إلى النبي عليه السلام فأمن به واتبعه، ثم قال: أهاجر معك، فأوصى به النبي عليه السلام بعض أصحابه، فلما كانت غزوة خيبر أو حين غنم النبي عليه السلام سبياً فقسم وقسم له، فأعطى أصحابه ما قسم له، وكان يرعى ظهرهم، فلما جاء دفعوه إليه، فقال: ما هذا؟ قالوا: قسم قسمه لك النبي عليه السلام، فأخذه فجاء به إلى النبي عليه السلام فقال: ما هذا؟ قال: «قسمته لك»، قال: ما على

هذا أتبعك، ولكنني أتبعك على أن أزمي إلى ههنا - وأشار إلى حلقه بسهم - فأموت فأدخل الجنة، فقال: «إن تصدق الله يصدّقك»، فلبثوا قليلاً ثم نهضوا في قتال العدو، فأتي به النبي عليه السلام يحمل قد أصابه سهم حيث أشار، فقال النبي عليه السلام: «أهو هو؟» قالوا: نعم، قال: «صدق الله فصدقه»، ثم كفنه النبي عليه السلام في جبة النبي عليه السلام، ثم قدمه فصلّى عليه، فكان فيما ظهر من صلاته: «اللهم هذا عبدك خرج مهاجراً في سبيلك فقتل شهيداً أنا شهيد على ذلك».

رواه النسائي في الجنائز في الصلاة على الشهداء (٤٩/٤)، والطحاوي في المعاني (٢٩١/١)، والحاكم (٥٩٥/٣، ٥٩٦)، والبيهقي في الكبرى (١٥/٤، ١٦) وسنده صحيح.

الحديث يدلّ على صدق ذلك الأعرابي في إيمانه وهجرته وخروجه مع النبي عليه السلام، وأنه صدق الله فصدقه فختم له بالشهادة ودخول الجنة كما تمتى.

✽ رجل شجاع يقاتل مع المسلمين يموت وماله النار

[٤٠٠] عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: شهدنا خيبر، فقال رسول الله عليه السلام لرجل ممن معه يدعي الإسلام: «هذا من أهل النار»، فلما حضر القتال قاتل الرجل أشدّ القتال حتى كثرت به الجراحة، فكاد بعض الناس يرتاب، فوجد الرجل ألم الجراحة فأهوى بيده إلى كنانته فاستخرج منها أسنهماً فنحر بها نفسه، فاشتدّ رجال من المسلمين فقالوا: يا رسول الله، صدق الله حديثك انتحر فلان فقتل نفسه، فقال: «قم يا فلان فأذن إنه لا يدخل الجنة إلا مؤمناً، إن الله يؤيد الدين بالرجل الفاجر».

رواه البخاري في غزوة خيبر (١٠/٩)، ومسلم في الإيمان باب غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه (١٢٢/٢).

[٤٠١] وعن سهل بن سعد الساعدي رضي الله تعالى عنه قال: إن رسول الله ﷺ التقى هو والمشركون فاقتتلوا، فلما مال رسول الله ﷺ إلى عسكريه مال الآخرون إلى عسكريهم، وفي أصحاب رسول الله ﷺ رجل لا يدع لهم شاة إلا أتبعها يضربها بسيفه، فقالوا: ما أجزأ منا اليوم أحدٌ كما أجزأ فلان، فقال رسول الله ﷺ: «أما إنه من أهل النار»، فقال رجل من القوم: أنا صاحبه أبداً، قال: فخرج معه كلما وقف وقف معه، وإذا أسرع أسرع معه، قال: فجرح الرجل جرحاً شديداً، فاستعجل الموت فوضع نصل السيف بالأرض وذبابه بين ثدييه، ثم تحامل على سيفه فقتل نفسه، فخرج الرجل إلى رسول الله ﷺ فقال: أشهد أنك رسول الله، قال: «وما ذاك؟» قال: الرجل الذي ذكرت أنفاً إنه من أهل النار فأعظم الناس ذلك، فقلت: أنا لكم به، فخرجت في طلبه حتى جرح جرحاً شديداً، فاستعجل الموت، فوضع نصل سيفه بالأرض، وذبابه بين ثدييه، ثم تحامل عليه فقتل نفسه، فقال رسول الله ﷺ عند ذلك: «إن الرجل ليعمل عملاً أهل الجنة فيما يبدو للناس، وهو من أهل النار، وإن الرجل ليعمل عملاً أهل النار فيما يبدو للناس وهو من أهل الجنة».

رواه البخاري (١٢/٩، ١٣)، ومسلم في الإيمان (١٢٣/٢، ١٢٤).

قوله: «لا يدع شاة» الشاة والشاة الخارج والخارجة عن الجماعة، ويعتبرون به عن الشجاع إذا كان لا يلقاه أحد إلا قتله. وقوله: «ذباب السيف» أي: طرفه الأسفل الحاد، وأما طرفه الأعلى فمقبضه.

بين الحديثين تغاير، فإن في الأول: فأهوى بيده إلى كنانته فاستخرج منها أسهماً فنحر بها نفسه، بينما جاء في الثاني: فوضع نصاب سيفه بالأرض وذبابه بين ثدييه، الخ. فيحتمل أن تكون القصة وقعت لرجلين، ويحتمل أن يكون ذلك وقع من تصرف الرواة، والله تعالى أعلم.

غير أن من تكلم على الحديثين جعلهما لرجل واحد كان منافقاً يقال له قزمان الظفري، قاله الخطيب البغدادي. وقوله في الحديث الأول: «إن الله يؤيد الدين» الخ، يدل على أن الدين قد يتأيد ويتقوى وينتشر بسبب الكافر

والمنافق والعالم الفاجر... وهذا باب واسع، فإن التأيد يكون بأمر شتى، وليس خاصاً بالقتال.

وفي قوله في الحديث الثاني: إن الرجل ليعمل إلخ، دليل على أن الأعمال بالخواتيم وأن الظواهر لا تدل على الشقاوة ولا السعادة، غير أن من ختم له بالشقاوة ممن كان ظاهره الإيمان والالتزام يكون غالباً في إيمانه دخن وفي قلبه دغل، وقد تقدم شيء من هذا في القدر.

وفي الحديثين معجزة للنبي ﷺ حيث أخبر بمآل الرجل، فوقع كما أخبر فصدق الله تعالى فيما قال.

✽ رجل يغفل من الغنيمة

في موت فلا يصلي عليه النبي ﷺ

[٤٠٢] عن زيد بن خالد الجهني رضي الله تعالى عنه أن رجلاً من أصحاب النبي ﷺ توفي يوم خيبر، فذكروا ذلك لرسول الله ﷺ فقال: «صلوا على صاحبكم»، فتغيرت وجوه الناس لذلك، فقال: «إن صاحبكم غل في سبيل الله»، ففتشنا متاعه فوجدنا خرزاً من خرز يهود لا يساوي درهمين.

رواه أحمد (١١٤/٤ ج ١٩٢/٥)، وأبو داود في الجهاد (٢٧١٠)، والنسائي في الجنائز (٥٢/٤)، وابن ماجه (٢٨٤٨)، والحاكم (١٢٧/٢)، والبيهقي في الكبرى (١٠١/٩) وسنده صحيح، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

في الحديث عظم وزر الغلول من الغنيمة وفي القرآن الكريم: ﴿وَمَنْ يَفْغُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾، وقد تقدم حكم الغلول في التفسير وفي الجهاد.

✽ تحريم المتعة والحمر الأهلية بخيبر

[٤٠٣] عن عليّ عليه السلام أن رسول الله ﷺ نهى عن متعة النساء يوم خيبر، وعن أكل لحوم الحمر الإنسية.

رواه البخاري (٢١/٩) و(ج ٧١/١١)، ومسلم (١٨٩/٩)، والترمذي (١٠٠٣)، وابن ماجه (١٩٦١).

وفي رواية لمسلم عن عليّ أنه سمع ابن عباس يُليّن في مُتعة النساء، فقال: مهلاً يا ابن عباس، فإن رسول الله ﷺ نهى عنها يوم خيبر، وعن لحوم الحُمُر الإنسيّة...

[٤٠٤] وعن جابر رضي الله تعالى عنه: نهى رسول الله ﷺ يوم خيبر عن لحوم الحمر الأهلية ورخص في الخيل.

رواه البخاري (٢٢/٩)، ومسلم (٩٥/١٣) كلاهما في الصيد.

وفي الباب عن أنس وابن أبي أوفى والبراء وابن عمر وابن عباس وزاهر الأسلمي، وكلها في الصحيح.

متعة النساء تقدّم الكلام عليها مستوفى في كتاب النكاح، وقلنا باتفاق تحريمها بين العلماء والأئمة إلا الشيعة. أما الحمر الإنسية، فالإجماع على تحريمها. وأما الخيل، فمذهب الشافعي وأحمد وأهل الحديث على إباحتها، وقد تقدم ذلك في الأطلعة بما أغنى عن إعادته.

✽ إباحة شحم أهل الكتاب، وجواز أكل المجاهد

ما يحتاجه من طعام الكفار

[٤٠٥] عن عبدالله بن مغفل رضي الله تعالى عنه قال: أصبّت جراباً من شحم يوم خيبر، قال: فالتزمته، فقلت: لا أعطي اليوم أحداً من هذا

شيئاً، قال: فالتفت فإذا رسول الله ﷺ مُبتَسِماً. وفي رواية: رُمي إلينا جرابٌ فيه طعام وشحم يوم خيبر، فوثبُت لآخذه فالتفتُ، فإذا رسول الله ﷺ فاستحييتُ منه.

رواه البخاري (٢١/٩) في خيبر، ومسلم (١٠٢/١٢)، وأبو داود (٢٧٠٢) كلهم في الجهاد.

في الحديث إباحة أكل طعام الغنيمة في دار الحرب، وقد حكى القاضي عياض الإجماع على ذلك ما دام المسلمون في دار الحرب، فيأكلون قدر حاجتهم.

✽ شان اليهود بعد انهزامهم وما آل إليه أمرهم

[٤٠٦] عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما أن رسول الله ﷺ قاتل أهل خيبر حتى ألجأهم إلى قَصْرِهِمْ، فغلبَ على الأرض والنخل والزَّرْع، فصالحوه على أن يُجْلُوا منها، ولهم ما حَمَلَتْ رِكَابُهُمْ ولرسول الله ﷺ الصفراء والبيضاء والحلقة ويخرجوا منها، فاشتراط عليهم أن لا يكتُموا شيئاً، ولا يُغَيِّرُوا شيئاً، فإن فعلوا فلا ذمّة لهم ولا عِصْمَة، فغَيَّبُوا مسكاً فيه مالٌ وحليٌّ لِحَيِّ بنِ أَخْطَب، كان احتَمَلَه معه إلى خيبر حين أُجْلِيَتْ النَّضِيرُ، فقال رسول الله ﷺ لعمّ حَيِّ سعية: «ما فَعَلَ مِسْكَ حَيِّ الذي جاء به مِن النَّضِيرِ؟» فقال: أذهبته النفقات والحروب، فقال رسول الله ﷺ: «العهد قريبٌ، والمالُ أكثرُ من ذلك»، فدفعه رسول الله ﷺ إلى الزبير فَمَسَّهُ بعذاب، وكان حَيِّ قبل ذلك قد دخل خربة، فقال: قد رأيت حَيِّاً يطوف في خربة هُهْنَا، فذهبوا فطافوا فوجدوا المسك في الخربة، فقتل رسول الله ﷺ ابْنِي أَبِي الحَقِيق وأحدهما زوج صفية بنت حَيِّ بن أَخْطَب، وسبى رسول الله ﷺ نساءهم وذرائعهم وقسم أموالهم للنكت الذي نكثوا، وأراد أن يُجْلِيَهُمْ منها، فقالوا: يا محمد دعنا نكون في هذه الأرض نُضَلِحُهَا، ونقوم عليها، ولم يكن لرسول الله ﷺ ولا لأصحابه

غلمان يقومون عليها، وكانوا لا يتفرغون أن يقوموا عليها؛ فأعطاهم خبير على أن لهم الشطر من كل نخل وزرع وشيء ما بدا لرسول الله ﷺ، وكان عبدالله بن رواحة يأتيهم كل عام يخرضها عليهم ويضمّتهم الشطر، قالوا: فشكروا إلى رسول الله ﷺ شدة خرضه وأرادوا أن يزّشوه، فقال: يا أعداء الله أتطمعونني السخّ؟ والله لقد جئتكم من عند أحبّ الناس إليّ، ولأنتم أبغض الناس إليّ من عدتكم من القردة والخنازير، ولا يحملني بغضي إياكم وحبّي إياه على أن لا أعدل عليكم، فقالوا: بهذا قامت السموات والأرض.

قال: ورأى رسول الله ﷺ بعين صفيه خضرة، فقال: «يا صفيه ما هذه الخضرة؟»، فقالت: كان رأسي في حجر ابن أبي الحقيق وأنا نائمة فرأيت كأن قمراً وقع في حجري فأخبرته بذلك فلطمني، وقال: تمنين ملك يشرب؟ قالت: وكان رسول الله ﷺ من أبغض الناس إليّ قتل زوجي وأبي، فما زال يعتذر إليّ ويقول: إن أباك ألب عليّ العرب، وفعل وفعل حتى ذهب ذلك من نفسي. وكان رسول الله ﷺ يعطي كل امرأة من نسائه ثمانين وسقاً من تمر كل عام، وعشرين وسقاً من شعير، فلما كان زمن عمر بن الخطاب غشوا المسلمين وألقوا ابن عمر من فوق بيت ففدغوا يديه، فقال عمر بن الخطاب: من كان له سهم من خبير فليحضر حتى نقسمها بينهم، فقسمها بينهم، وقال رئيسهم: لا تُخرجنا دعنا نكون فيها كما أقرنا رسول الله ﷺ وأبو بكر، فقال عمر لرئيسهم: أترأه سقط عني قول رسول الله ﷺ: «كيف بك إذا أفضت بك راحلتك نَحْوَ الشام يوماً ثم يوماً»، وقسمها عمر بين من كان شهد خبير من أهل الحديدية...

رواه ابن حبان (١٦٩٧) بالموارد، والبيهقي في الدلائل (٢٢٩/٤)، (٢٣٠) كاملاً وسنده صحيح، وروى أطرافاً منه أحمد (٢٢/٢، ٢٧)، والبخاري في مواضع، ومسلم (١٥٥١)، وأبو داود (٣٤٠٨)، والترمذي (١٣٨٣)، وابن ماجه (٢٤٦٧) وتقدّم بعضه في المساقاة.

«الصفراء والبيضاء» هما الذهب والفضة. «والحلقة» بفتححات وتسكن اللام هي السلاح. «فغيبوا مسكاً» المسك بفتح الميم الجلد، ومعناه: أخفوا

جلداً مملوءاً بالمال. قوله: «فمسه عذاب» أي: جعل يعذبه ليعترف بما أخفوه. قوله: «فقدغوا» أي: كسروا يديه.

في هذا الحديث فوائد، وهي كالآتي:

أولاً: جواز تعذيب الأسير الكافر لأجل المصلحة العامة إذا أنكر ما هو معلوم لقائد الجيش، وأراد منه الاعتراف.

ثانياً: من نكث العهد من الكفار للمسلمين قتالهم وسيبهم.

ثالثاً: فيه مشروعية المزارعة والمساقاة، وقد تقدم ذلك في موضعه.

رابعاً: في قوله: وكان يعطي كل امرأة من نسائه ثمانين، في رواية لأحمد وغيره: مائة وثمانين.

خامساً: قوله: فقال عمر: من كان له سهم من خبير إلخ، في رواية عند أحمد وغيره: فلما قام عمر قسم خبير فخبر أزواج النبي ﷺ أن يقطع لهن من الأرض أو يضمن لهن الوسوق كل عام، فاختلفوا؛ فمنهن من اختارت أن يقطع لها الأرض، ومنهن من اختارت الوسوق، وكانت حفصة وعائشة ممن اخترن الوسوق، وفي ذلك من عدالة الفاروق وأدبه مع أمهات المؤمنين ما لا يخفى رضي الله تعالى عنه وعنهنّ وعنا معهم، آمين.

سادساً: وفيه تنفيذ عمر وصية رسول الله ﷺ بإجلاء اليهود من الحجاز؛ لأن إقرارهم بخبير من النبي ﷺ كان مؤقتاً لكنهم لما اعتدوا على عبدالله بن عمر رأى عمر من المصلحة تعجيل إجلائهم.

❁ قصة صفيه بنت خبيّ وسببها وتزوج النبي ﷺ بها

[٤٠٧] عن أنس رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ غزا خبير، فذكر الحديث كما سبق، فقال: وأصبناها عتوةً، وجمع السبي، فجاءه دخية فقال: يا رسول الله أعطني جارية من السبي، فقال: اذهب فخذ جارية،

فأخذ صفية بنت حُيَيِّ، فجاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا نبي الله أعطيت دحية صفية بنت حُيَيِّ سيد قريظة والنضير ما تصلح إلا لك، قال: «ادعوه بها»، قال: فجاء بها، فلما نظر إليها النبي ﷺ قال: «خذ جارية من السبي غيرها»، قال: وأعتقها وتزوجها، فقال له ثابت: يا أبا حمزة ما أصدقها؟ قال: نفسها أعتقها وتزوجها حتى إذا كان بالطريق جهَّزتها له أم سلمة فأهدتها له من الليل فأصبح النبي ﷺ عروساً، فقال: «من كان عنده شيء فليجيء به»، قال: وبسط نطعاً قال: فجعل الرجل يجيء بالأقط، وجعل الرجل يجيء بالتمر، وجعل الرجل يجيء بالسمن، فحاسوا حَيْساً، فكانت وليمة رسول الله ﷺ.

وفي رواية: وهزمهم الله عز وجل ووقعت في سهم دحية جارية جميلة، فاشتراها رسول الله ﷺ بسبعة أرؤس، ثم دفعها إلى أم سليم تصنعها له وتهيئها، قال: وأحسبه قال: وتعتد في بيتها، وهي صفية بنت حُيَيِّ، قال: وجعل رسول الله ﷺ وليمتها التمر والأقط والسمن، فُحِصَّتْ الأرض أفاجيص، وجيء بالأنطاع فوضعت فيها، وجيء بالأقط والسمن فشح الناس، وقال الناس: لا ندري أتزوجها أم اتخذها أم ولد؟ قالوا: إن حجبتها فهي امرأتها، وإن لم يحجبها فهي أم ولد، فلما أراد أن يركب حجبتها، فقعدت على عَجْز البعير فعرفوا أنه قد تزوجها، فلما دنوا من المدينة دفع رسول الله ﷺ ودفعنا فعثرت الناقة العضباء ونذر رسول الله ﷺ وندرت، فقام فسترها، وقد أشرفت النساء فقلن: أبعده الله اليهودية، قال: قلت: يا أبا حمزة أوقع رسول الله ﷺ؟ قال: إي والله لقد وقع.

وفي رواية: صارت صفية لدحية في مقسمه وجعلوا يمدحونها عند رسول الله ﷺ، قال: ويقولون: ما رأينا في السبي مثلها، قال: فبعث إلى دحية فأعطاه بها ما أراد، ثم دفعها إلى أمي، فقال: «أصلحها»، قال: ثم خرج رسول الله ﷺ من خيبر حتى إذا جعلها في ظهره نزل ثم ضرب عليها القبة، فلما أصبح قال رسول الله ﷺ: «من كان عنده فضل زاد فليأتنا به»، قال: فانطلقنا حتى إذا رأينا جُدْر المدينة هَشِسْنَا إليها فرفعنا مَطِيئًا، ورفع رسول الله ﷺ قال: فعثرت مَطِيئته، قال: وصفية خلفه قد

أردفها رسول الله ﷺ، قال: فعثرت مطية رسول الله ﷺ فصُرِعَ وصرعت، قال: فليص أحد من الناس ينظر إليه ولا إليها حتى قام رسول الله ﷺ فسترها، قال: فأتيناها فقال: «لم تُصَرِّ»، قال: فدخلنا المدينة، فخرج جواري نسائه يتراءينها، ويشمتن بصرعها.

رواه مسلم في النكاح (٢١٩/٩، ٢٢٧) بجميع هذه الروايات، ورواه البخاري في المغازي (١٩/٩، ٢٠) مختصراً بلفظ: قدمنا خير فلما فتح الله عليه الحصن دُكِرَ له جمال صفية بنت حُيَيِّ بن أخطب، وقد قُتِلَ زوجها وكانت عروساً، فاصطفاها النبي ﷺ لنفسه، فخرج بها حتى بلغنا الصهباء حلت، فبنى بها رسول الله ﷺ...

وفي رواية: قام النبي ﷺ بين خيبر والمدينة ثلاث ليال يبني عليه بصفية، فدعوت المسلمين إلى وليمته وما كان فيها من خبز ولحم، وما كان فيها إلا أن أمر بلالاً بالأنطاع فبسطت، فألقى عليها التمر والأقط والسمن...

قوله: «عنوة» أي: قهراً. «جهَّزتها له» أي: أصلحت من أمرها وهيأتها له ﷺ. قوله: «وتعتد في بيتها» المراد بالعدة هنا الاستبراء بحیضة. وقوله: «فحصت الأرض» بضم الفاء وكسر الحاء أي: كشف التراب من أعلى الأرض وحفرت يسيراً ليضعوا عليها الأنطاع. «وندر» بفتح نون أي: سقط. وقوله: «في مقسمه» أي: قسمته من الغنيمة. قوله: «هَشِسْنَا» أي: نشطنا وانبعثت نفوسنا إليها.

في هذا الحديث الشريف بيان لقصة صفية وزواج النبي ﷺ بها، وفي ذلك أمور:

أولاً: كانت صفية هذه بنت سيد قومها حُيَيِّ بن أخطب، وكانت من أجمل النساء وأظرفهن يضرب بجمالها المثل.

ثانياً: لما وقعت في السبي أخذها دحية الكلبي بإذن من النبي ﷺ، ثم لما أخبر بأنها سيِّدة شريفة في قومها أمره بالتنازل عنها وعوضه عنها سبعة رؤوس من المغنم فيهم جارية غيرها، وإنما فعل ذلك إكراماً لها لأن

أمثالها لا تكون إلا لسيد القوم وأشرفهم، ولا أشرف وأكرم منه ﷺ، ثم إنها مع شرفها كانت قد أُصيبت في والدها وزوجها الذي كان لا يزال عروساً بها، فأراد ﷺ أن يجبر خاطرها ويسليها ويكرمها بتزوجها بها، وقد كان الأمر كذلك، فقد انقلب بغضها له حباً جَباً وحزنها فرحاً وأصبحت أمّاً للمؤمنين وزوجاً لسيد العالمين.

ثالثاً: فيه مشروعية البناء بالزوجة في السفر، ولا يعرف في ذلك خلاف بين العلماء.

رابعاً: فيه بيان عدم وجوب الذبح في الوليمة، وأنه قد يكتفى فيها بأي طعام خلافاً لابن حزم الذي يوجب الوليمة بالذبح ولو بشاة.

خامساً: فيه أن الأنبياء بشر كسائر البشر في جواز طرود الأعراض البشرية عليهم كما وقع للنبي ﷺ من الصرع والسقوط عن ناقته مع صفة زوجته، وأن مثل ذلك لا يخذش في نبوته ومقامه.

سادساً: فيه ما عليه النساء وخاصة الضرائر، لا سيما الشواب من شدة الغيرة والحسد... فأولئك النسوة لما سمعن بصفية وجمالها وأن النبي ﷺ تزوجها غزن منها وحسدها، ولذلك لما بلغهن صرعها عن الناقة شمتن بها وفرحن بذلك، وفي الحديث غير ذلك من الفوائد.

✽ وضع اليهود السم للنبي ﷺ في الشاة

[٤٠٨] عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: لما قُتِحت خيبر أُهْدِيَتْ لرسول الله ﷺ شاةٌ فيها سُمٌّ، فقال رسول الله ﷺ: «اجمعوا لي من ههنا من اليهود»، فجمعوا له فقال لهم رسول الله ﷺ: «إني سألتكم عن شيء، فهل أنتم صادقون عنه؟» فقالوا: نعم يا أبا القاسم، فقال لهم رسول الله ﷺ: «من أبوكم؟» قالوا: أبونا فلان، فقال رسول الله ﷺ: «كذبتهم، بل أبوكم فلان»، قالوا: صدقت وبررت، فقال: «هل أنتم

صادقونني عن شيء إن أنا سألتكم عنه؟» فقالوا: نعم يا أبا القاسم، وإن كذبتناك عرفت كما عرفته في أبنينا، فقال لهم رسول الله ﷺ: «من أهل النار؟» فقالوا: نكون فيها يسيراً ثم تخلفونا فيها، فقال لهم رسول الله ﷺ: «اخسؤوا فيها والله لا نخلفكم أبداً»، ثم قال لهم: «هل أنتم صادقون عن شيء إن سألتكم عنه؟» فقالوا: نعم، فقال: «هل جعلتم في هذه الشاة سُمّاً؟» فقالوا: نعم، فقال: «ما حملكم على ذلك؟» فقالوا: أردنا إن كنت كاذباً أن نستريح منك، وإن كنت نبياً لم يضرّك.

رواه أحمد (٤٥١/٢)، والبخاري في الهدية وفي الطب وفي الجزية وفي المغازي (٣٧/٩، ٣٨) مطولاً ومختصراً، ورواه أيضاً أبو داود في الديات (٤٥٠٩)، والدارمي في المقدمة (٧٠).

[٤٠٩] وعن أنس رضي الله تعالى عنه أن امرأة يهودية أتت رسول الله ﷺ بشاة مسمومة فأكل منها، فجيء بها إلى رسول الله ﷺ فسألها عن ذلك، قالت: أردت لأقتلك، فقال: «ما كان الله لِيَسْلُطَكَ على ذلك أو عليّ»، قال: قالوا: ألا نقتلها؟ قال: «لا»، فما زلت أعرفها في لهوات رسول الله ﷺ.

رواه البخاري في الهبة (٢٦١٧) (ج ١٥٩/٥)، ومسلم في الطب (١٧٨/١٤)، وأبو داود (٤٥٠٨).

ونحوه عند أبي داود والدارمي (٦٩) من حديث جابر، وفيه: فأخذ النبي ﷺ منها الذراع فأكل منها وأكل الرهط من أصحابه معه، ثم قال لهم النبي ﷺ: «ارفعوا أيديكم»، وفيه: فعفا عنها رسول الله ﷺ ولم يعاقبها، وتوفي بعض أصحابه الذين أكلوا من الشاة، واحتجم النبي ﷺ على كاهله من أجل الذي أكل من الشاة... وهو وإن كان فيه انقطاع فإنه يتأيد بسابقه.

[٤١٠] وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يقول في مرضه الذي مات فيه: «يا عائشة، ما أزال أجد ألم الطعام الذي أكلت بخيبر، فهذا أوان وجدت انقطاع أبهري من ذلك السم».

رواه أحمد (١٨/٦)، وذكره البخاري في وفاة النبي ﷺ معلقاً (١٩٥/٩)، والدارمي في المقدمة (٦٨)، وكذا رواه البزار والحاكم والإسماعيلي، كما ذكره الحافظ في الفتح.

قوله: «لَهَوَات» جمع لهاة وهي اللحمة الحمراء المعلقة في أصل الحنك كان السم بقي سواداً يُعرف في لهواته. «كاهله» الكاهل أعلى الظهر. وقوله: «فهذا أوان وجدت انقطاع أبهري» الأبهري عرق في الظهر متصل بالقلب إذا انقطع مات صاحبه.

وفي هذه الأحاديث بيان مكر اليهود بالنبي ﷺ وإرادتهم قتله، وكان ذلك باتفاق رؤسائهم بعثوا إليه امرأة بشاة مملوءة سمّاً كهديّة له ﷺ، لكنّ الله عزّ وجلّ أطلعه على ذلك بعدما تناول منها لقمة ومات بعض أصحابه من ذلك، فلما جمع اليهود وسألهم عن ذلك صارحوه بما أرادوا من قتله.

واختلف العلماء رحمهم الله تعالى هل قتل النبي ﷺ تلك اليهودية أم لا؟، الذي ذكرناه عن صحيح مسلم أنه لم يقتلها، وكذا ما جاء في حديث جابر أنه عفا عنها، وورد في بعض الآثار أنه قتلها لما توفي بشر بن البراء والصحيح الأول، وانظر شرح مسلم للنووي (١٧٩/١٤)، والشفا للقاضي عياض بتهدبيي (١١٩)، وشرح الزرقاني على المواهب (٢٤٢/٢)، وفي قوله ﷺ: «ما أزال أجد ألم الطعام... انقطاع أبهري» هو يدلّ على أنه توفي بسبب تلك اللقمة المسمومة، وأنها كانت تؤلمه المرّة بعد المرّة حتى مات بها ﷺ، وسيأتي مزيد لهذا في وفاته.

✽ كيف قسم رسول الله ﷺ غنائم خيبر

[٤١١] عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: قسم رسول الله ﷺ يوم خيبر للفرس سهمين، وللراجل سهماً. قال: فسرّه نافع فقال: إذا كان مع الرجل فرس فله ثلاثة أسهم، فإن لم يكن له فرس فله سهم.

رواه أحمد (٦٢/٢، ٧٢، ٨٠)، والبخاري (٢٤/٩)، ومسلم (٨٣/١٢)، وأبو داود (٢٧٣٣)، والترمذي (١٤٢٢).

ففيه أن الفارس يأخذ ثلاثة أسهم والراجل يأخذ سهماً واحداً، وبهذا قال مالك والشافعي وأحمد والجمهور عملاً بهذا الحديث.

[٤١٢] وعن بشير بن أبي حثمة رضي الله تعالى عنه قال: قسم رسول الله ﷺ خيبر نصفين نصفاً لنوابه وحاجته، ونصفاً بين المسلمين، قسمها بينهم على ثمانية عشر سهماً.

رواه أبو داود في الخراج من سننه (٣٠١٠) بسند حسن.

الحديث ظاهر في أنه ﷺ أخذ من مغنم خيبر نصفها والنصف الآخر قسمه بين الصحابة.

وقوله: قسمها بينهم على ثمانية عشر سهماً، لأنها كانت خاصة بمن حضر الحديبية، وهم كانوا أربع عشرة مائة وكان معهم مائة فرس، فإذا قسم عليهم كانت ألفاً وثمانمائة سهم كل سهم يقسم على مائة، فثمانية عشر سهماً تأتي ثمانمائة سهم؛ للراجل سهم وللفارس سهمان، وكان معهم مائة فرس وحظهم أربعمائة سهم.

✽ سهم ذوي القربى

[٤١٣] عن جبير بن مطعم رضي الله تعالى عنه أنه جاء هو وعثمان بن عفان يكلمان رسول الله ﷺ فيما قسم الخمس بين بني هاشم وبني المطلب، فقلت: يا رسول الله قسمت لإخواننا بني المطلب ولم تعطنا شيئاً، وقربتنا وقربتهم منك واحدة، فقال النبي ﷺ: «إنما بنو هاشم وبني المطلب واحد»، قال جبير: ولم يقسم لبني عبد شمس ولا لبني نوفل من ذلك الخمس، كما قسمت لبني هاشم وبني المطلب، قال: وكان أبو بكر يقسم الخمس نحو قسم رسول الله ﷺ غير أنه لم يكن يعطي قربي

رسول الله ﷺ ما كان النبي ﷺ يعطيهم، قال: وكان عمر بن الخطاب يعطيهم منه، وعثمان بعده.

رواه أحمد (٤/٨١، ٨٣، ٨٥)، والبخاري في غزوة خيبر (٤٢٢٩)، وأبو داود في الخراج (٢٩٧٨، ٢٩٨٠)، والنسائي وابن ماجه (٢٨٨١) وغيرهم.

في الحديث دليل على أن خمس ذوي القربى من الغنيمة خاص بقرابته ﷺ من بني هاشم وبني المطلب، أما غيرهم من بني عبد شمس وبني نوفل الذين كان منهم عثمان وجبير بن مطعم فلا حظ لهم في ذلك، وعلل النبي ذلك بأن بني هاشم وبني المطلب كانوا شيئاً واحداً في الجاهلية والإسلام، حتى إنهم دخلوا مع النبي ﷺ والشعب وقاسوا معه ما قاسى، وهذا بخلاف بني عمهم بني نوفل وبني عبد شمس، فإنهم كانوا مع الكفار.

✽ حديث الحجاج بن علاط مع العباس وأهل مكة

[٤١٤] عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: لما فتح رسول الله ﷺ خيبر قال الحجاج بن علاط: يا رسول الله إن لي بمكة مالا، وإن لي بها أهلاً، وإنني أريد أن آتيهم، فأنا في حل إن أنا نلت منك؟ وقلت شيئاً، فأذن له رسول الله ﷺ أن يقول ما شاء، فأتى امرأته حين قدم، فقال: اجمعي لي ما كان عندك، فإني أريد أن أشتري من غنائم محمد وأصحابه، فإنهم قد استبيحوا، أو أصيبت أموالهم، قال: ففشا ذلك في مكة فانقمع المسلمون وأظهر المشركون فرحاً وسروراً، قال: وبلغ الخبر العباس رضي الله تعالى عنه فغير وجعل لا يستطيع أن يقوم، قال معمر: فأخبرني عثمان الجزري عن مقسم قال: فأخذ ابناً له يشبه رسول الله ﷺ يقال له قثم فاستلقى فوضعه على صدره وهو يقول: جبي قثم، شبيه ذي الأنف الأسم، نبي رب ذي النعم، برغم أنف من رغم، قال ثابت عن أنس: ثم

أرسل غلاماً له إلى الحجاج: ويلك ما جئت به وماذا تقول؟ فما وعد الله خير مما جئت به، قال: فقال الحجاج بن علاط لغلامه: اقرأ على أبي الفضل السلام وقل له: فليخل لي في بعض بيوت لآتيه فإن الخبر على ما يسره، فجاءه غلامه، فلما بلغ باب الدار قال: أبشر يا أبا الفضل، قال: فوثب العباس فرحاً، حتى قبل بين عينيه فأخبره بما قال الحجاج فأعتقه، قال: ثم جاء الحجاج فأخبره أن رسول الله ﷺ قد افتتح خيبر، وغنم أموالهم، وجرت سهام الله في أموالهم، واصطفى رسول الله ﷺ صفيّة بنت حبي فآخذها لنفسه وخيرها أن يعتقها وتكون زوجته، أو تلحق بأهلها، فاختارت أن يعتقها وتكون زوجته، ولكني جئت لما كان لي ههنا أردت أن أجمعه فأذهب به، فاستأذنت رسول الله ﷺ فأذن لي أن أقول ما شئت، فأخف عني ثلاثاً ثم اذكر ما بدا لك، قال: فجمعت امرأته ما كان عندها من متاع وحلي فجمعتها، فدفعته إليه ثم انشمر به، فلما كان بعد ثلاث أتى العباس امرأة الحجاج فقال: ما فعل زوجك؟ فأخبرته أنه ذهب يوم كذا وكذا، وقالت: لا يخزيك الله يا أبا الفضل لقد شق علينا الذي بلغك، قال: أجل لا يخزيني الله ولم يكن بحمد الله إلا ما أحببنا، فتح الله خيبر على رسول الله ﷺ وجرت فيها سهام الله واصطفى رسول الله ﷺ صفيّة بنت حبي لنفسه، فإن كانت لك حاجة في زوجك فالحقي به، قالت: أظنك والله صادقاً، قال: فإني صادق الأمر على ما أخبرتك، قال: ثم ذهب حتى أتى مجالس قريش وهم يقولون إذا مر بهم: لا يصيبك إلا خير يا أبا الفضل، قال لهم: لم يصيبني إلا خير بحمد الله، قد أخبرني الحجاج بن علاط أن خيبر قد فتحها الله على رسوله ﷺ وجرت فيها سهام الله واصطفى صفيّة لنفسه، وقد سألتني أن أخفي عليه ثلاثاً، وإنما جاء ليأخذ ماله، وما كان له من شيء ههنا ثم يذهب، قال: فرد الله الكأبة التي كانت بالمسلمين على المشركين وخرج المسلمون ومن كان دخل بيته مكتتباً حتى أتوا العباس فأخبرهم الخبر، وسر المسلمون ورد الله تبارك وتعالى ما كان من كأبة أو غيظ أو حزن على المشركين.

رواه عبدالرزاق في المصنف رقم (٩٧٧١)، وأحمد (٣/١٣٨، ١٣٩)،

صحابياً وقد قدمنا حكم هذا في الجهاد. وقصة هذا الغال هنا غير ما تقدم من الغال الذي لم يصل عليه، والله تعالى أعلم.

✽ نوم الصحابة عن صلاة الفجر حتى طلعت الشمس

[٤١٦] عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ حين قفل من غزوة خيبر سار ليلة حتى إذا أدركه الكرى عرس، وقال لبلال: «أكلأ لنا الليل»، فصلّى بلال ما قدّر له ونام رسول الله ﷺ وأصحابه، فلما تقارب الفجر استند بلال إلى راحلته مواجهة الفجر فغلبته عيناه وهو مُسْتَنِدٌ إلى راحلته، فلم يستيقظ رسول الله ﷺ ولا بلال ولا أحد من أصحابه حتى ضربتهم الشمس، فكان رسول الله ﷺ أولهم استيقاظاً، ففزع رسول الله ﷺ فقال: «أي بلال»، فقال بلال: أخذ بنفسي الذي بأبي أنت وأمي يا رسول الله أخذ بنفسك، قال: «اقتادوا»، فاقتادوا رواحلهم شيئاً ثم توضع رسول الله ﷺ وأمر بلالاً فأقام الصلاة فصلّى بهم الصبح، فلما قضى الصلاة قال: «من نسي الصلاة فليصلها إذا ذكرها، فإن الله تعالى قال: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾».

رواه مسلم (١٨١/٥، ١٨٣، ١٩٣)، وأبو داود (٤٣٥، ٤٣٦)،
والترمذي (٢٩٥٩)، وابن ماجه (٦٩٧).

ورواه البخاري في الصلاة (٢١١/٢) عن أنس، وقد قدمنا في الصلاة أن هذه القصة رواها أبو قتادة وعمران بن حصين وغيرهما.

قوله: «الكرى» بفتح الحين التعاس. «فعرس» بفتح الحين مع تشديد الراء أي: نزل آخر الليل للنوم. «أكلأ» احفظ. «اقتادوا» سوقوا رواحلهم.

كان في نوم النبي ﷺ كالصحابه حتى طلعت الشمس تشريع من الله عز وجل لهذه الحالة، علماً بأن النبي ﷺ كان تنام عيناه ولا ينم قلبه، ولكنه في هذه الحالة نام قلبه ليشرع لنا حكم من نام عن صلاته غلبة.

وأبو يعلى (٣٤٧٩)، وابن حبان (١٦٩٨) بالموارد وغيرهم بسند صحيح، وأورده النور في المجمع (١٥٤/٦، ١٥٥) برواية أحمد وأبي يعلى والبخاري والطبراني، قال: ورجاله رجال الصحيح، وقال ابن كثير في سند أحمد: على شرط الشيخين.

هذه قصة عجيبة من هذا الصحابي تدلّ على دهاء عظيم منه ومكر بكفار قريش وما فعله وقاله من كذب وطعن في رسول الله ﷺ يدلّ على جواز مثله إن كانت فيه مصلحة عامة للمسلمين، بل يجوز للإنسان أن يتظاهر بالكفر للمصلحة كما قال العلماء.

وكان فيما أخفاه وأبداه العباس بشارة عظيمة للمسلمين وفرح وسرور لهم بفتح خيبر وانتصار رسول الله ﷺ على اليهود.

✽ رجوع رسول الله ﷺ من خيبر وقصة الغال من الغنيمة

[٤١٥] عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ يوم خيبر، فلم نغنم ذهباً ولا فضة إلا الأموال والثياب والمتاع، فأهدى رجل من بني الضبيب يقال له رفاعة بن زيد لرسول الله ﷺ غلاماً يقال له: مدعم، فوجه رسول الله ﷺ إلى وادي القرى حتى إذا كان بوادي القرى بينما مدعم يحطّ رحلاً لرسول الله ﷺ إذا سهم عائر فقتله، فقال الناس: هنيئاً له الجنة، فقال رسول الله ﷺ: «كلا والذي نفسي بيده إن السمنلة التي أخذها يوم خيبر من الغنائم لم تصبها المقاسم لتشتعل عليه ناراً»، فلما سمع الناس ذلك جاء رجل بشراك أو شراكين إلى النبي ﷺ، فقال: «شراك من نار أو شراكان من نار».

رواه البخاري في الأيمان والنذور وفي المغازي (٢٩/٩، ٣٠)،
ومسلم في الإيمان (١٢٨/٣)، وأبو داود (٢٧١١) وغيرهم.

في الحديث عظم جرم الغلول من الغنيمة، وأن الغال يعدّب ولو كان

وقوله: «اقتادوا» في رواية لمسلم: «فإن بهذا الوادي شيطاناً»، والحديث يدل على أنه لا تفريط في النوم إذا عمل النائم الاحتياط للقيام في الوقت، كأن كلف من يوقظه أو هياً لذلك جهازاً ينبهه. أما إذا لم يحتط وينام حتى يخرج الوقت كان أثماً أشد الإثم، ويزيد هذا تفصيلاً حديث أبي قتادة الآتي، هو:

[٤١٧] عن أبي قتادة رضي الله تعالى عنه قال: خطبنا رسول الله ﷺ فقال: «إنكم تسيرون عشيبتكم وليتكم وتأتون الماء إن شاء الله غداً»، فانطلق الناس لا يلوي أحد على أحد، قال: فبينما رسول الله ﷺ يسير حتى انبهار الليل وأنا إلى جنبه، قال: فنعم رسول الله ﷺ فقال عن راحلته فأتيته فدعمته من غير أن أوقظه حتى اعتدل على راحلته، قال: ثم سار حتى إذا كان من آخر السحر مائة ميل هي أشد من الميلتين الأولتين حتى كاد ينجفل فأتيته فدعمته فرقع رأسه، فقال: «من هذا؟» قلت: أبو قتادة، قال: «متى كان هذا مسيرك متي؟» قلت: ما زال هذا مسيري منذ الليلة، قال: «حفظك الله بما حفظت به نبيه»، ثم قال: «هل ترانا نخفي على الناس»، قال: «هل ترى من أحد؟»، قلت: هذا راكب، ثم قلت: هذا راكب آخر حتى اجتمعنا فكنا سبعة ركب، فقال رسول الله ﷺ عن الطريق، فوضع رأسه ثم قال: «احفظوا علينا صلاتنا»، فكان أول من استيقظ رسول الله ﷺ والشمس في ظهره، قال: فقمنا فزعين ثم قال: «اركبوا»، فركبنا فسرنا حتى إذا ارتفعت الشمس نزل ثم دعا بميضاة كانت معي فيها شيء من ماء، قال: فتوضاً منها وضوءاً دون وضوء، قال: وبقي فيها شيء من ماء، ثم قال لأبي قتادة: «احفظ علينا ميضاتك فسيكون لها نياً»، ثم أذن بلال بالصلاة فصلى رسول الله ﷺ ركعتين، ثم صلى الغداة فصنع كما كان يصنع كل يوم، قال: وركب رسول الله ﷺ وركبنا معه، قال: فجعل بعضنا يهمس إلى بعض: ما كفارة ما صنعنا بتفريطنا في صلاتنا؟ ثم قال: «ما لكم في أسوة»، ثم قال: «أما إنه ليس في النوم تفريط، إنما التفريط على من لم يصل حتى يجيء وقت الصلاة الأخرى، فمن فعل ذلك فليصلها حين ينتبه لها، فإذا كان من الغد فليصلها عند

وقتها» ثم قال: «ما ترون الناس صنعوا؟» قال ثم قال: «أصبح الناس فقدوا نبيهم»، فقال أبو بكر وعمر: رسول الله بعدكم لم يكن ليخلفكم، وقال الناس: إن رسول الله ﷺ بين أيديكم، فإن يطيعوا أبا بكر وعمر يرشدوا، قال: فاتتهنا إلى الناس حين امتد النهار وحمي كل شيء، وهم يقولون: يا رسول الله هلكننا عطشنا، فقال: «لا هلك عليكم»، ثم قال: «أطلقوا لي غمري»، قال: ودعا بالمیضاة فجعل رسول الله ﷺ يصب وأبو قتادة يستقيهم، فلم يعد أن رأى الناس ماء في الميضاة تكابوا عليها، فقال رسول الله ﷺ: «أحسنوا الملاء كلكم سيروى»، قال: ففعلوا، فجعل رسول الله ﷺ يصب وأستقيهم حتى ما بقي غيري وغير رسول الله ﷺ، قال: ثم صب رسول الله ﷺ فقال لي: «اشرب»، فقلت: لا أشرب حتى تشرب يا رسول الله، قال: «إن ساقى القوم آخرهم شرباً»، قال: فشربت وشرب رسول الله ﷺ، قال: فأتى الناس الماء جامين رواء.

رواه البخاري في مواقيت الصلاة (٢٠٦/٢، ٢٠٧) مختصراً، ومسلم قبيل صلاة المسافرين (١٨٣/٥، ١٨٩)، وأبو داود رقم (٤٣٧، ٤٣٨)، ورواه مسلم من حديث عمران بن حصين بنحوه مطولاً.

قوله: «لا يلوي أحد على أحد» أي: لا يعطف. «انبهار الليل» أي: انتصف. «فدعمته» أي: أقمت ميله وصرت تحته كالدعامة للبناء. «ينجفل» أي: يسقط. «دون وضوء» أي: خفيفاً. «يهمس» بفتح الياء وكسر الميم هو الكلام الخفي. «لا هلك» بضم الهاء وسكون اللام من الهلاك. «أطلقوا لي غمري» بضم الغين وفتح الميم هو القدح الصغير. «أحسنوا الملاء» الملاء بفتح الميم واللام آخره همزة الملاء هو الخلق والعشرة. «جامين رواء» أي: نشاطاً مستريحين.

في هذا الحديث الشريف معجزات للنبي ﷺ وأحكام وفوائد:

ففيه إخباره ﷺ بأن الميضاة سيكون لها نياً، وكان الأمر كذلك، وهذه معجزة، كما فيه تكثير الماء القليل ببركته ﷺ، وهذه معجزة ثانية، ومعجزة ثالثة في قوله ﷺ: «كلكم سيروى»، ومعجزة رابعة في قوله: قال

أبو بكر وعمر كذا وقال الناس كذا، ولم يكونوا معهم. ومعجزة خامسة في قوله ﷺ: «إنكم تسرون عشيتكم وليتكم وتأتون الماء»، وكان كذلك ولم يكن أحد من الصحابة يعلم ذلك.

وفيه أنه ﷺ لما ناموا عن صلاة الصبح ارتحلوا وذهبوا حتى ارتفعت الشمس ثم نزلوا، فأذن بلال وصلى النبي ﷺ الفجر ثم صلى بهم الغداة، كما كان يصنع كل يوم، وبهذا قال جمهور أهل العلم، وفيه أن وقت الصلاة يمتد حتى يدخل وقت الصلاة الأخرى، وهو عام في كل الصلوات إلا الصبح، فيخرج بطلوع الشمس، وفيه أن ساقى القوم يشرب آخرهم، وفيه غير ذلك.

✽ عودة مهاجري الحبشة وقسمة الرسول لهم من المغانم وما جاء في فضلهم رضي الله تعالى عنهم

[٤١٨] عن أبي موسى رضي الله تعالى عنه قال: بلغنا مَخْرَجَ رسول الله ﷺ ونحن باليمن، فخرجنا مهاجرين إليه أنا وأخوان لي أنا أصغرهما أحدهما أبو بردة، والآخر أبو زهم، إما قال بضعا وإما قال ثلاثة وخمسين أو اثنين وخمسين رجلاً من قومي، قال: فركبنا سفينة فآلقنا سفينتنا إلى النجاشي بالحبشة، فوافقنا جعفر بن أبي طالب وأصحابه عنده، فقال جعفر: إن رسول الله ﷺ بعثنا ههنا وأمرنا بالإقامة فأقيموا معنا، فأقمنا معه حتى قدمنا جميعاً، قال: فوافقنا رسول الله ﷺ حين افتتح خيبر فأسهم لنا - أو قال: أعطانا منها - وما قسم لأحدٍ غاب عن فتح خيبر منها شيئاً إلا لمن شهد معه إلا لأصحاب سفينتنا مع جعفر وأصحابه قسم لهم معهم، قال: فكان ناس من الناس يقولون لنا - يعني لأهل السفينة -: نحن سبقناكم بالهجرة، قال: فدخلت أسماء بنت عميس وهي ممن قدم معنا على حفصة زوج النبي ﷺ زائرة، وقد كانت هاجرت إلى النجاشي فيمن هاجر إليه، فدخل عمر على حفصة وأسماء عندها، فقال عمر حين رأى أسماء: من

هذه؟ قالت: أسماء بنت عميس، قال عمر: الحبشية هذه البحرية هذه، فقالت أسماء: نعم، فقال عمر: سبقناكم بالهجرة فنحن أحق برسول الله ﷺ منكم، فغضبت وقالت كلمة: كذبت يا عمر كلاً والله كنتم مع رسول الله ﷺ يُطعم جائعكم، ويَعْظُمُ جاهلكم، وكنا في دار أو في أرض البُعْداء البُعْضاء في الحبشة، وذلك في الله وفي رسوله ﷺ، وأيم الله لا أطمع طعاماً، ولا أشربُ شراباً، حتى أذكر ما قلت لرسول الله ﷺ ونحن كنا نُؤذَى ونخافُ، وسأذكر ذلك لرسول الله ﷺ وأسأله، والله لا أكذب ولا أزيغ ولا أزيد على ذلك، قال: فلما جاء رسول الله ﷺ قالت: يا نبي الله إن عمر قال كذا وكذا، فقال رسول الله ﷺ: «ليس بأحق بي منكم وله ولأصحابه هجرة واحدة، ولكم أنتم أهل السفينة هجرتان»، قالت: فلقد رأيت أبا موسى وأصحاب السفينة يأتوني أرسلأ يسألوني عن هذا الحديث، ما من الدنيا شيء هُم به أفرح ولا أعظم في أنفسهم مما قال لهم رسول الله ﷺ، قال أبو بردة: فقالت أسماء: فلقد رأيت أبا موسى وإنه لَيَسْتَعِيدُ هذا الحديث مِنِّي.

«كذبت» أرادت أخطأت. «أرض البُعْداء» تعني في النسب. «البُعْضاء» تعني الحبشة لأنهم كانوا مسيحيين، وكان النجاشي مسلماً يخفي إسلامه ويُوْرِي.

في هذا الحديث دليل على أن النبي ﷺ أسهم لأهل السفينة ولم يُسهم لغيرهم ممن لم يحضر غزوة خيبر، هكذا قال أبو موسى، وقد قدمنا في حديث أبي هريرة رقم (٣٩٤) أنه قدم هو وأصحابه من اليمن على رسول الله ﷺ وهو بخيبر فأشركهم في الغنيمة.

وفي الحديث فضل هؤلاء المهاجرين الذين جاءوا في السفينة وأن لهم فضلاً على الصحابة الذين هاجروا مع النبي ﷺ من مكة إلى المدينة حيث إنه كانت لهم هجرتان، فكانوا بذلك أحق وأولى بالنبي ﷺ من غيرهم، ومن أبرز هؤلاء جعفر بن أبي طالب وأسماء بنت عميس وأبو موسى الأشعري وأخوه أبو بردة رضي الله تعالى عنهم، وستأتي فضائلهم في الفضائل.

✽ رفع الصحابة أصواتهم بالتكبير
عند قفولهم ونهي النبي عن ذلك

[٤١٩] عن أبي موسى رضي الله تعالى عنه قال: لما غزا رسول الله ﷺ خيبر - أو قال: لما توجه رسول الله ﷺ - أشرف الناس على واد فرفعوا أصواتهم بالتكبير: الله أكبر، الله أكبر، فقال رسول الله ﷺ: «إزيعوا على أنفسكم إنكم لا تدعون أصم ولا غائباً، إنكم تدعون سميعاً بصيراً وهو معكم»، قال: وأنا خلف دابة رسول الله ﷺ فسمعني وأنا أقول: لا حول ولا قوة إلا بالله، فقال لي: «يا عبدالله بن قيس»، قلت: لبيك رسول الله، قال: «ألا أدلك على كلمة من كنوز الجنة؟» قلت: بلى يا رسول الله فذاك أبي وأمي، قال: «لا حول ولا قوة إلا بالله».

رواه أحمد (٤٠٢/٤)، والبخاري في المغازي وفي الدعوات، ومسلم في الذكر وغيرهم وقد تقدم في الأذكار والدعوات من الجزء الثاني حديث رقم (١٦٠٠)، وانظر تهذيبي للجامع (٣٢٣٥).

الحديث يدل على أنه لا ينبغي للمسلم أن يتعب نفسه في رفع صوته بذكر الله وندائه، فإنه عز وجل قريب سميع بصير معنا أينما كنا، ولذلك لما سأل الصحابة رسول الله ﷺ: «أقرب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه؟» فأنزل الله عز وجل: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾.

وفي الحديث فضل لا حول ولا قوة إلا بالله، لأن فيها تبري العبد من حوله وقوته، وأنه لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضرراً إلا بالله، وأنه متصف بالضعف والعجز... وقد تقدم شيء من هذا في الأدعية.

✽ رد المهاجرين المناثح التي أعطاهم الأنصار إياها

[٤٢٠] عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: لما قدم المهاجرون من مكة إلى المدينة قدموا وليس بأيديهم شيء، وكان الأنصار أهل الأرض والعقار،

فقسامهم الأنصار على أن أعطوهم أنصاف ثمار أموالهم كل عام ويكفونهم العمل والمؤونة، وكانت أم أنس بن مالك وهي تُدعى أم سليم، وكانت أم عبدالله بن أبي طلحة كان أخاً لأنس لأمه، وكانت أعطت أم أنس رسول الله ﷺ عذاقاً لها، فأعطاه رسول الله ﷺ أم أيمن مولاته أم أسامة بن زيد، قال: لما فرغ رسول الله ﷺ من قتال أهل خيبر وانصرف إلى المدينة رد المهاجرون إلى الأنصار منائحهم التي كانوا منحوهم من ثمارهم، قال: فرد رسول الله ﷺ إلى أمي عذاقها وأعطى رسول الله ﷺ أم أيمن مكانهن من حائطه.

قال ابن شهاب: وكان من شأن أم أيمن أم أسامة بن زيد أنها كانت وصيفة لعبدالله بن عبد المطلب، وكانت من الحبشة، فلما ولدت آمنة رسول الله ﷺ بعد ما توفي أبوه فكانت أم أيمن تحضنه، حتى كبر رسول الله ﷺ فأعتقها، ثم أنكحها زيد بن حارثة، ثم توفيت بعدما توفي رسول الله ﷺ بخمسة أشهر.

رواه البخاري في الهبة (٢٦٣٠)، ومسلم في الجهاد (٩٩/١٢).

قوله: «العذاق» بكسر العين جمع عذق والمراد بذلك النخيل. «والمناثح» جمع منيحة وهي المنحة والعطية.

وفي الحديث فضل الأنصار وكرمهم وإيثارهم المهاجرين على أنفسهم، وقد مدحهم الله على ذلك في كتابه الكريم، حيث قال: ﴿وَيُؤْتُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾، وتأتي فضائلهم ومناقبهم.

وفي الحديث ما كان عليه النبي ﷺ من إكرام ذويه ومن أحسن إليه، فهذه أم أيمن وصيفة والده وحاضنته كان يبالي في البرور بها والإحسان إليها ويعاملها معاملة أمه، وكان يصبر على أذاها وسوء أدبها معه، وكانت تجعله في المعاملة كولدها رضي الله تعالى عنها، وصلى الله وسلم وبارك على نبيه وعلى آله وصحبه، والحديث قد تقدم في غزوة بني النضير بنحوه.

✽ شبع الصحابة من التمر بعد فتح خيبر

[٤٢١] عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: لما فتحت خيبر قلنا: الآن نشبع من التمر.

رواه البخاري في غزوة خيبر (٣٦/٩)، ونحوه عنده عن ابن عمر بلفظ: ما شَبَعْنَا حتى فَتَحْنَا خَيْبَرَ، إنما قالوا ذلك لأنهم كانوا قد أحرزوا على نخيل كثير وخيبر كانت معروفة بكثرة التمر، فوسَّع الله عزَّ وجلَّ على الصحابة بعد أن كانوا في ضيقٍ وقلةٍ.

✽ تأمير النبي ﷺ على أهل خيبر أحد الأنصار

[٤٢٢] عن أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله تعالى عنهما قالوا: إن رسول الله ﷺ بعث أخوا بني عدي من الأنصار إلى خيبر فأمره عليها. رواه البخاري في المغازي (٣٧/٩) مُعلِّقاً، ووصله أبو عوانة والدارقطني كما في الفتح. والحديث يدلُّ على أن اليهود بخيبر كانوا قد أصبحوا تحت حكم رسول الله ﷺ ونفوذه يأترون بأوامره ويتهون عن نواهيهِ... ولذلك بعث إليهم أميراً من الأنصار.

✽ خلاصة ما جاء في غزوة خيبر بإيجاز

كان يهود خيبر أشجع قوم وأعظمهم شكيمة وأكثرهم قوَّة وأغنى يهود الجزيرة، وكل ذلك لم يُغنهم شيئاً بعد أن عثوا في الأرض فساداً وألبوا العرب على النبي ﷺ، وخاصة في غزوة الأحزاب، فغزاهم النبي ﷺ وحاصره أياماً وليالي متوالية حتى استسلموا رغم عدتهم وقوتهم وشجاعتهم لأنهم رأوا ما لا طاقة لهم به، فقد فتحت حصونهم الكثيرة واحدة إثر الأخرى، وكلما فتح

حصن انتقلوا إلى الذي يليه، فنزلوا على شروط شرطها عليهم النبي ﷺ، وأراد أن يُجليهم كما أُجلى مَنْ قبلهم من بني النضير... لكنهم استعطفوا النبي ﷺ وطلبوا منه البقاء بخيبر على أن يعملوا بها وللنبي ﷺ وللمسلمين نصف دخلها ومحصولاتها، فأبقاهم حتى غدروا أيام الفاروق رضي الله تعالى عنه فأجلاهم وأخرجهم من الجزيرة كباقي اليهود الآخرين.

ويفتح خيبر وانهزام يهودها انكسرت شوكة اليهود، وخاف العرب المجاورون للمدينة سطوة النبي ﷺ وأصبحوا حذرين، وخاصة قبيلة غطفان تلك القبيلة العدوَّة اللدودة التي طالما حاربت النبي ﷺ وأعانت عليه... وفاز النبي ﷺ بالنصر المبين ورجع بمغانم كثيرة، ووسَّع الله تعالى على المسلمين بما غنموه في هذه الغزوة وأنجز الله وعده ونصر عبده وهزم عدوَّه والحمد لله وحده.

وأبرز ما في هذه الغزوة من الأحداث زواج النبي ﷺ بصفية رضي الله تعالى عنها، وتحريم زواج المتعة، وتحريم الحمر الإنسية، ورجوع مهاجري الحبشة وكان فيهم ابن عم الرسول ﷺ جعفر بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه، وفرح النبي ﷺ بقدومه حتى قال مبتهجاً: «والله ما أدري بأيُّهما أفرح؟ بفتح خيبر أم بقدوم جعفر؟» رواه الحاكم (٢١١/٤)، والطبراني كما في المجمع (٢٧٢/٩) وصححه الحاكم، وللحديث طرق يحسن بها. ومن أظهر أحداثها تلك المعجزات النبوية المتوالية، ونومهم عن صلاة الصبح حتى أشرقت الشمس. وصلى الله وسلَّم وبارك على نبيِّه ومصطفاه وعلى آله وزوجه وصحبه أبد الأبدين.

✽ فتح وادي القرى وصلح أهل فدك وتيماء^(١)

ذكر أهل المغازي أن النبي ﷺ لما رجع من فتح خيبر مرَّ على

(١) وادي القرى وفدك مساكن لليهود، كانت بين تبوك وخبير. وتيماء بفتح التاء وسكون الياء بلدة بين وادي القرى والشام كذا في معجم البلدان.

وادي القرى، وكان يسكنه اليهود، فدعاهم إلى الله تعالى وإلى الاستسلام فأبؤا وقاتلوا فقاتلهم المسلمون وأصابوا منهم أحد عشر رجلاً وغنموا منهم مغنم كثيرة خمسها رسول الله ﷺ وترك الأرض في أيدي أهلها يزرعونها بشطر ما يخرج منها، وأرسل عليه الصلاة والسلام من يطلب من يهود فذك الانقياد والطاعة، فصالحوا رسول الله ﷺ على أن يحقن دماءهم ويتركوا الأموال، وكانت أرض فذك هذه لرسول الله ﷺ خاصة ينفق منها على نفسه ويعول منها صغير بني هاشم ويزوج منها أيمهم، ولما بلغ يهود تيماء ما فعله المسلمون بيهود خيبر وفذك ووادي القرى صالحوا رسول الله ﷺ على أداء الجزية وأن يمكثوا في بلادهم مطمئنين. هذا خلاصة ما ذكره الطبري وابن سيد الناس وابن كثير وصاحب المواهب وشارحها وابن القيم والبيهقي، ولم يصح شيء من ذلك على طريقة المحدثين، وإن صح ذكر هذه الثلاث وادي القرى، وفذك، وتيماء في الأحاديث الصحيحة. وذكرها على هذا النهج ليس من شرط كتابنا، وإنما ذكرناها لورود مصاريف متوجاتها ودخلها في الأحاديث الصحيحة والله تعالى أعلم.

❁ سرية أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه إلى نجد قبل بني فزارة

[٤٢٣] عن سلمة بن الأكوع رضي الله تعالى عنه قال: غزونا فزارة وعلينا أبو بكر أمرة رسول الله ﷺ، فلما كان بيننا وبين الماء ساعة، أمرنا أبو بكر فعرسنا ثم شن الغارة، فورد الماء فقتل من قتل عليه، وسبى، وأنظر إلى عني من الناس فيهم الذراري، فخشيت أن يسبقوني إلى الجبل، فرميت بسهم بينهم وبين الجبل، فلما رأوا السهم وقفوا، فجئت بهم أسوقهم، وفيهم امرأة من بني فزارة عليها قشع من آدم، معها ابنة من أحسن العرب، فسقتهم حتى أتيت بهم أبا بكر، فنقلني أبو بكر ابنتها، فقدمنا المدينة وما كشفت لها ثوباً، فلقيني رسول الله ﷺ في السوق، فقال: «يا

سلمة هب لي المرأة»، فقلت: يا رسول الله والله لقد أعجبتني، وما كشفت لها ثوباً، ثم لقيني رسول الله ﷺ من الغد في السوق، فقال لي: «يا سلمة هب لي المرأة لله أبوك»، فقلت: هي لك يا رسول الله فوالله ما كشفت لها ثوباً، فبعث بها رسول الله ﷺ إلى أهل مكة، ففدى بها ناساً من المسلمين كانوا أسروا بمكة.

رواه أحمد (٤٦/٤)، ومسلم في الجهاد (٦٧/١٢، ٦٨)، وأبو داود (٢٦٩٧)، والبيهقي في الدلائل (٤/٢٩٠).

«فعرسنا» أي: نزلنا آخر الليل للاستراحة والنوم. «شن الغارة» أي: هاجمهم في حالة غفلتهم. «عنى من الناس» أي: جماعة. «الذراري» هم النساء والأطفال. «عليها قشع» أي: نطع من الجلد. «فنقلني» أي: أعطانيها نافلة. «وما كشفت لها ثوباً» هو كناية عن عدم جماعها. في الحديث ما فطر عليه الرجال من إعجابهم بالجمال والحسن، وفيه صبر ابن الأكوع وحبس نفسه عن البنت مع حسنها وجمالها وصغرها، وفيه جواز تبادل الأسرى وفداء الرجال المسلمين بالنساء الكافرات، ولا يجوز فداؤهم بالنساء المسلمات إطلاقاً.

❁ سرية غالب بن عبدالله الليثي إلى الخرقات من جهينة

[٤٢٤] عن أسامة بن زيد رضي الله تعالى عنهما قال: بعثنا رسول الله ﷺ في سرية فصبحنا الخرقات من جهينة، فأدركت رجلاً فقال: لا إله إلا الله، فطعنته فوقع في نفسي من ذلك فذكرته للنبي ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «أقال لا إله إلا الله وقتلته؟» قال: قلت: يا رسول الله إنما قالها خوفاً من السلاح، قال: «أفلا كشفت عن قلبه حتى تعلم أقالها أم لا»، فما زال يكررها عليّ حتى تمتيت أني أسلمت يومئذ.

رواه أحمد (٥٠٧/٥)، والبخاري في المغازي (٥٨/٩)، ومسلم في الإيمان (٩٩/٢، ١٠٠، ١٠١)، وأبو داود (٢٦٤٣).

في الحديث تحريم قتل الكافر إذا قال لا إله إلا الله، وإن قالها تعوداً فإننا لا ندري ما ينطوي عليه قلبه، ولذلك عاتب النبي ﷺ أسامة على قتله الرجل الذي قال لا إله إلا الله بعد أن قتل جماعة من المسلمين كما في رواية عند مسلم، وقال له: «أفلا كشفت على قلبه» الخ.

وزاد أهل المغازي: أنهم غنموا في هذه السرية الشاء والتعم والذرية، وكانت سهمانهم عشرة أبعرة لكل رجل أو عدلها من النعم.

❁ سرية أخرى لغالب الليثي لبني الملوّح بالكديد

[٤٢٥] عن جندب بن مكيث الجهني قال: بعث رسول الله ﷺ غالب بن عبد الله الكلبي - كلب ليث - إلى بني الملوّح بالكديد، وأمره أن يُغيّر عليهم فخرج فكنت في سريته، فمضينا حتى إذا كنا بقديد لقينا بها الحارث بن مالك وهو ابن البرصاء الليثي، فأخذناه فقال: إني جئت لأسلم، فقال غالب بن عبد الله: إن كنت إنما جئت مسلماً، فلن يضرّك رباط يوم وليلة، وإن كنت غير ذلك استوثقنا منك، قال: فأوثقه رباطاً، ثم خلف عليه رجلاً أسود كان معنا، فقال: امكث معه حتى نمّر عليك، فإن نازعك فاحتزّ رأسه، قال: ثم مضينا حتى أتينا بطن الكديد، فنزلنا عشيئته بعد العصر، فبعثني أصحابي في ريثة، فعمدت إلى تلّ يطلعني على الحاضر فانبطحت عليه، وذلك المغرب، فخرج رجل منهم فنظر فرآني منبطحاً على التلّ، فقال لامرأته: والله إني لأرى على التلّ سواداً ما رأيته أوّل النهار، فانظري لا تكون الكلاب اجتزت بعض أوعيتك، قال: فنظرت فقالت: لا والله ما أفقد شيئاً، قال: فناوليني قوسي وسهمين من كنانتي، قال: فناولته فرماني بسهم فوضعه في جنبي، قال: فنزعته فوضعتة ولم أتحرك، ثم رماني بآخر فوضعه في رأس منكبتي، فنزعتة ووضعتة ولم أتحرك، فقال لامرأته:

والله لقد خالطه سهامي، ولو كان دابةً لتحرك، فإذا أصبحت فابتغي سهمي فخذيتها لا تمضغهما عليّ الكلاب، قال: وأمهلناهم حتى راحت رائحتهم حتى إذا احتلبوا وعطنوا أو سكنوا وذهبت عتمة من الليل شننا عليهم الغارة فقتلنا من قتلنا منهم واستقنا النعم، فوجهنا قافلين، وخرج صريخ القوم إلى قومهم مغوثاً، وخرجنا سراعاً حتى نمّر بالحارث بن البرصاء وصاحبه فانطلقنا به معنا، وأتانا صريخ الناس فجاءنا ما لا قبيل لنا به، حتى إذا لم يكن بيننا وبينهم إلا بطن الوادي أقبل سيل حال بيننا وبينهم، بعثه الله تعالى من حيث شاء، ما رأينا قبل ذلك مطراً ولا حالاً، فجاء بما لا يقدر أحد أن يقوم عليه، فلقد رأيناهم وقوفاً ينظرون إلينا ما يقدر أحد منهم أن يتقدم، ونحن نحوزها سراعاً حتى أسندناها في المشلل، ثم حددناها عنا فأعجزنا القوم بما في أيدينا.

رواه أحمد (٤٦٧/٣، ٤٦٨) مطولاً، وأبو داود (٢٦٧٨) مختصراً، وعزاه الهيثمي (٢٠٢/٦) لأحمد والطبراني وقال: رجاله ثقات، فقد صرح ابن إسحاق بالسماع في رواية الطبراني، وهو عند ابن سعد أيضاً (١٢٤/٢) من طريقه.

«الكديد» بفتح الكاف وكسر الدال بينه وبين مكّة تسعون كيلو وهو من ديار بني الملوّح. «قديد» بضم القاف وفتح الدال وسكون الياء هو وإد فيه عيون وقرى لبني سُلَيْم وغيرهم بينه وبين مكّة نحو من مائة وعشرين كيلو. «ريثة» هو العين والطلية يتجسس الأخبار للقوم. «احتلبوا» أي: حلبوا مواشيهم. «عتمة من الليل» أي: ذهبت مدة من ظلمة الليل. «قافلين» أي: راجعين. «مغوثاً» أي: طالباً الإغاثة. «المشلل» اسم جبل يهبط منه إلى قديد.

وفي هذا الحديث ما كان عليه الصحابة من التجلّد والصبر في سبيل الله وتحمل المتاعب... وفيه تحيّن الأوقات للهجوم على الكفار، وذلك في أوقات غفلتهم أو نومهم، وفيه تلك الكرامة التي أكرم الله بها هذا الجيش حيث بعث الله تعالى إليهم سيلاً عارماً حال بينهم وبين عدوهم، ولولا

❁ سرية عبدالله بن حذافة السهمي

[٤٢٧] عن عبدالله بن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾، قال: نزلت في عبدالله بن حذافة السهمي إذ بعثه النبي ﷺ في سرية.

رواه أحمد رقم (٣١٢٤)، والبخاري في التفسير (٣٢٢/٩)، ومسلم في الإمارة (٢٣٣/١٢)، وأبو داود (٢٦٢٤)، والترمذي... كلاهما في الجهاد والنسائي في البيعة.

[٤٢٨] وعن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال: إن رسول الله ﷺ بعث علقمة بن مجرّز على بعث وأنا فيهم، فلما انتهى إلى رأس غزاته أو كان ببعض الطريق استأذن منه طائفة من الجيش، فأذن لهم وأمر عليهم عبدالله بن حذافة بن قيس السهمي، فكنت فيمن غزا معه، فلما كان بعض الطريق أوقد ناراً ليضطلّوا أو ليصنّعوا عليها صنيعاً، فقال عبدالله وكانت فيه دعابة: أليس لي عليكم السمع والطاعة؟ قالوا: بلى، قال: فما أنا بأمركم بشيء إلا صنعتموه؟ قالوا: نعم، قال: فإني أغزّم عليكم إلا توائبتم في هذه النار، فقام ناس فتَحَجَّزُوا فلما ظنّ أنهم واثبون قال: أمسكوا على أنفسكم، فإنما كنت أمزح معكم، فلما قدمنا ذكروا ذلك للنبي ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «مَنْ أَمَرَكُم مِنْهُمْ بِمَعْصِيَةِ اللَّهِ فَلَا تَطِيعُوهُ».

رواه أحمد (٦٧/٣)، وابن ماجه (٢٨٦٣)، وابن حبان (١٥٥٢) بالموارد، والحاكم (٦٣٠/٣، ٦٣١)، وأبو يعلى (١٣٤٩)، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي، وكذا صححه البوصيري في الزوائد.

«فتحجزوا» أي: ربطوا أزرهم في أوساطهم تأهباً للدخول في النار. «ليضطلّوا» أي: ليستدفنوا من البرد. «فيه دعابة» أي: مزاح.

سرية عبدالله بن حذافة هذه جاءت في البخاري (٣٢٢/٩)، ومسلم في الإمارة (٢٢٣/١٢).

لطف الله تعالى بهم بذلك السبيل لأفناهم الكفار وأبادوهم لكثرتهم وقلة المسلمين، لكن الله جنود السموات والأرض.

❁ سرية بطن إضم

[٤٢٦] عن عبدالله بن أبي حذرد رضي الله تعالى عنه قال: بعثنا رسول الله ﷺ إلى إضم، فخرجت في نفر من المسلمين فيهم أبو قتادة الحارث بن ربعي ومُحَلِّم بن جثامة بن قيس، فخرجنا حتى إذا كنا ببطن إضم مر بنا عامر بن الأضبط الأشجعي على قعود له مع مُتَبِّع له ووَطْب من لبن، فسلم علينا بتحية الإسلام فأمسكنا عنه، وحمل عليه محلم بن جثامة فقتله لشيء كان بينه وبينه، وأخذ بعيره ومتاعه، فلما قدمنا على رسول الله ﷺ أخبرناه الخبر، فنزل فينا القرآن: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْفَىٰ إِلَيْكُمْ أَسْلَمْنَا لَسْتُمْ مَوْمِنًا تَبَيَّنُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَكَانٌ كَثِيرٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنْ أَكَلَّكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾.

رواه أحمد (١١/٦)، وابن سعد (١٣٣/٢)، وابن جرير (٢٢٢/٥)، وابن أبي حاتم (ج ٣/١٠٤٠)، والبيهقي في الدلائل (٣٠٥/٤)، وعزاه النور في المجمع (٨/٧) لأحمد والطبراني وقال: رجاله ثقات.

«إضم» - بكسر الهمزة وفتح الضاد - موضع بينه وبين المدينة ثلاثة بُرْد. «قعود» بفتح القاف البعير المتخذ للركوب. «متبع» تصغير متاع. «وطب» بفتح الواو وسكون الطاء وعاء اللبن.

والحديث كالأية يدلان على عدم قتل من تظاهر بما يدل على إسلامه، وأن الواجب في ذلك أن تثبت ولا تقول إنه ليس بمسلم من أول وهلة، وقد جاءت الآية الكريمة تعاتب من قتل من ألقى إليهم السلم، وأن من قتله كان قصده أخذ ما كان معه من الجمل والمتاع.

[٤٢٩] عن ابن عباس وعند أحمد (٨٢/١)، والبخاري ومسلم (٢٢٧، ٢٢٦/١٢) في الإمارة عن الإمام علي عليه السلام بلفظ آخر مغاير لحديث أبي سعيد وسياقه كما عند مسلم، قال: بعث رسول الله ﷺ سرية واستعمل عليهم رجلاً من الأنصار وأمرهم أن يسمعوا له ويطيعوا، فأغضبوه في شيء، فقال: اجمعوا لي حطباً، فجمعوا له، ثم قال: أوقدوا ناراً، فأوقدوا ثم قال: ألم يأمركم رسول الله ﷺ أن تسمعوا لي وتطيعوا؟ قالوا: بلى، قال: فادخلوها، قال: فنظر بعضهم إلى بعض، فقالوا: إنما فررنا إلى رسول الله ﷺ من النار، فكانوا كذلك، وسكن غضبه وطفئت النار، فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبي ﷺ فقال: «لو دخلوها ما خرجوا منها، إنما الطاعة في المعروف»، وفي رواية: «لو دخلتموها لم تزالوا فيها إلى يوم القيامة»، فالقصة واحدة وقعت لعبدالله بن حذافة، فتصرف الرواة في نقلها كما يقع كثيراً في الأحاديث؛ إذ قد يروون الحديث بالمعنى فيقع فيه التصرف، وقد يحدث الراوي بالحديث من حفظه، فيطول عليه العهد فيأتي به بلفظ آخر بزيادة ونقصان، وإذا صحت الأسانيد فلا بد من قبول الجميع ويجب الجمع بين ما تعارض ولا يجوز طرح بعضها أو الطعن في الرواة الثقات، وقد تقدم الكلام على طاعة الإمام في الجهاد، كما تقدم الكلام على الآية في التفسير.

✽ غزوة ذات الرقاع

وهي غزوة مُحارِب خصفة من بني ثعلبة من غطفان، قال البخاري (٤٢١/٨) وهي التي صلى فيها النبي ﷺ صلاة الخوف، وتسمى أيضاً «غزوة نجد».

[٤٣٠] عن أبي موسى الأشعري رضي الله تعالى عنه قال: خرجنا مع النبي ﷺ في غزاة ونحن في تسعة نفر بيننا بعير نعقبه، فتعبت أقدامنا، ونقبت قدمائنا، وسقطت أظفاري، فكنا نلث على أرجلنا الخرق، فسُميت

غزوة ذات الرقاع، لما كنا نعصب من الخرق على أرجلنا.

رواه البخاري في المغازي (٤٢٥/٨)، ومسلم في الجهاد (١٩٧/١٢).

محارب: هو ابن خصفة بن قيس غيلان، وغطفان قبيلة عظيمة من القبائل المجاورة للمدينة، وكانت لهم يد كبرى في مساعدة كفار قريش في الخندق، ولهم مع النبي ﷺ أحداث.

وقوله: «نعتبه» أي: نركبه مناوبة. «نقبت» بكسر القاف أي: قرح من الحفى وتنفطت.

الحديث يدل على أن هذه الغزوة كانت بعد خيبر، لأن أبا موسى لم يأت مع أصحاب السفينة إلا أيام خيبر، وهذا القول هو الراجح كما قال البخاري وأيده ابن كثير في السيرة والحافظ في الفتح، وقبله ابن القيم في الهدي، ويؤيده أيضاً حديث أبي هريرة، وهو:

[٤٣١] ما رواه أحمد (٣٢٠/٢)، والنسائي، وابن حبان (٥٨٥) عن مروان بن الحكم أنه سأل أبا هريرة: هل صليت مع رسول الله ﷺ صلاة الخوف؟ فقال أبو هريرة: نعم، فقال له: متى؟ قال: عام غزوة نجد قام رسول الله ﷺ لصلاة العصر وقامت معه طائفة، وطائفة أخرى مقابلة العدو، فذكر الحديث في صفة صلاة الخوف، وسنده صحيح.

وأبو هريرة إنما جاء زمن خيبر، وقد قدمنا حديث قدومه سابقاً، وخالف أهل المغازي هذا التاريخ، وقالوا: إنها كانت قبل خيبر. قال الحافظ: والأولى الاعتماد على ما ثبت في الصحيح. وقول أبي موسى: فسُميت غزوة ذات الرقاع لما كنا نعصب من الخرق على أرجلنا، هذا هو القول الصحيح في تسميتها بذلك، وقيل غير ذلك، كما أن قوله: «ونحن في سبعة نفر» لا يدل على أن رجال الغزوة كانوا مجرد هذا العدد، بل مراده أن السبعة كانوا متصاحبين يتعاقبون البعير.

* من أحداث هذه الغزوة: صلاة الخوف

[٤٢٢] عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: غزوت مع رسول الله ﷺ قبل نجد فَوَارَيْنَا العدو فصاففنا لهم. وفي رواية: إن رسول الله ﷺ صَلَّى بِأَحْدَى الطائِفَتَيْنِ وَالطَائِفَةَ الْأُخْرَى مُوَاجِهَةً الْعَدُوِّ، ثُمَّ انصَرَفُوا فقاموا في مقام أصحابهم، فجاء أولئك فصلَّى بهم ركعة ثم سلم عليهم، ثم قام هؤلاء فقصوا ركعتهم، وقام هؤلاء فقصوا ركعتهم. رواه البخاري في المغازي (٤٣٠/٨).

وقد تقدم في صلاة الخوف أحاديث في الموضوع؛ كحديث جابر قال: كنا مع النبي ﷺ بذات الرقاع وأقيمت الصلاة فصلَّى بطائفة ركعتين الخ، رواه البخاري ومسلم، وحديث صالح بن خوات عمَّن صلى مع رسول الله ﷺ يوم ذات الرقاع صلاة الخوف الخ، رويها أيضاً. وحديث ابن عباس أن رسول الله ﷺ صَلَّى بِذِي قَرْدٍ وَصَفَّ النَّاسَ خَلْفَهُ صَفِّينِ الخ، رواه أحمد والنسائي والحاكم وصححه. وهناك الكلام على صلاة الخوف بتفصيل، فارجع إلى ذلك في الجزء الثاني ص (٤٨٠، ٤٨١، ٤٨٢).

قوله: «فوارينا» أي: قاتلنا.

* محاولة غورث اغتيال النبي ﷺ

[٤٢٣] عن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما أخبر أنه غزا مع رسول الله ﷺ قِبَلَ نَجْدٍ، فَلَمَّا قَفَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَفَلَ مَعَهُ، فَأَدْرَكْتَهُمُ الْقَائِلَةُ فِي وَادٍ كَثِيرِ الْعِضَاءِ، فَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَتَفَرَّقَ النَّاسُ فِي الْعِضَاءِ يَسْتِظِلُّونَ بِالشَّجَرِ، وَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ تَحْتَ سَمْرَةٍ فَعَلَّقَ بِهَا سَيْفَهُ، قَالَ جَابِرٌ: فَبَيْنَمَا نَوْمَةٌ ثَمَّ إِذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدْعُونَا فَجِئْنَا، فَإِذَا عِنْدَهُ أَعْرَابِي

جالس، فقال رسول الله ﷺ: «إِنَّ هَذَا اخْتَرَطَ سِنْفِي وَأَنَا نَائِمٌ فَاسْتَيْقَظْتُ وَهُوَ فِي يَدِهِ صَلْتًا، فَقَالَ لِي: «من يمنعك مني؟» قلت: الله، فها هو ذا جالس»، ثم لم يعاقبه رسول الله ﷺ.

وفي رواية: «أقبلنا مع رسول الله ﷺ حتى إذا كنا بذات الرقاع قال: كنا إذا أتينا على شجرة ظليلة تركناها لرسول الله ﷺ، قال: فجاء رجل من المشركين وسيف رسول الله ﷺ مُعَلَّقٌ بِشَجَرَةٍ، فَأَخَذَ سَيْفَ نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ فَأَخْتَرَطَهُ، فَقَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «أَتَخَافُنِي؟» قَالَ: «لا»، قال: فمن يمنعك مني؟ قال: «الله يَمْتَعُنِي مِنْكَ»، قال: فتهدده أصحاب رسول الله ﷺ، فأغمد السيف وعلقه، ثم ذكر صلاة الخوف.

رواه البخاري باللفظ الأول في المغازي (٤٣١/٨)، وأحمد (٣٦٤/٣)، ومسلم في صلاة الخوف (١٢٩/٦) باللفظ الثاني وعلقه البخاري (٤٣٢/٨).

قوله: «قِبَلَ نَجْدٍ»؛ لأن غطفان من نجد. «القائلة» هي وسط النهار وقت القيلولة والاستراحة. «كثير العضاة» قيل: هو ما عظم من السم؛ وهي الشجرة الكثيرة الورق، وقيل: العضاة كل شجر يعظم له شوك. وقوله: «ظليلة» أي: كثيرة الظل.

وفي الحديث معجزة للنبي ﷺ حيث حفظ من ذلك الأعرابي بعد أن تمكن من أخذ سيفه وإشهاره في وجهه، فسقط السيف من يده فأخذه رسول الله ﷺ فقال: «من يمنعك مني؟» قال: كن خير آخذ.

[٤٢٤] فعن جابر قال: قاتل رسول الله ﷺ محارب خصفه بنخل فأرأوا من المسلمين غيرة، فجاء رجل منهم يقال له غورث بن الحارث حتى قام على رسول الله ﷺ بالسيف، فقال: من يمنعك مني؟ قال: «الله»، فسقط السيف من يده فأخذه رسول الله ﷺ فقال: «من يمنعك مني؟» قال: كن خير آخذ، قال: «أتشهد أن لا إله إلا الله؟» قال: لا، ولكنني أعاهدك أن لا أقاتلك، ولا أكون مع قوم يقاتلوك، فخلَّى سبيله، قال: فذهب إلى أصحابه قال: قد جئتكم من عند خير الناس...

رواه أحمد (٣٦٥/٣) بسند صحيح.

قوله: «غورث» بفتح الغين وسكون الواو ثم راء مفتوحة آخره ثاء، وهذا الحديث بين الأعرابي الذي أبهم في الرواية الأولى.

وفي الحديث ما كان عليه النبي ﷺ من التسامح والعمو ومقابلة الجاهلين بالصفح الجميل، وبذلك ملك القلوب، وأحبه ألد أعدائه ﷺ.

❁ قصة الحارسين مع المشرك

[٤٣٥] عن جابر رضي الله تعالى عنه قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ في غزوة ذات الرقاع، فأصيبت امرأة من المشركين، فلما انصرف رسول الله ﷺ قافلاً وجاء زوجها وكان غائباً، فحلف أن لا ينتهي حتى يهريق دمأ في أصحاب محمد ﷺ، فخرج يتبع أثر النبي ﷺ، فنزل النبي ﷺ منزلاً فقال: «من رجل يكلؤنا؟» فانتدب رجل من المهاجرين ورجل من الأنصار، فقالا: نحن يا رسول الله، قال: «فكونا بقم الشعب»، قال: وكانوا نزلوا إلى شعب الوادي، فلما خرج الرجلان إلى قم الشعب، قال الأنصاري للمهاجري: أي الليل أحب إليك أن أكفيك أوله أو آخره؟ قال: اكفني أوله، فاضطجع المهاجري فنام، وقام الأنصاري يصلي، وأتى الرجل فلما رأى شخص الرجل عرف أنه ربيثة القوم فرماه بسهم، فوضعه فيه، فنزعه فوضعه وثبت قائماً، ثم رماه بسهم آخر فوضعه فيه، فنزعه فوضعه، وثبت قائماً، ثم عاد له بثالث فوضعه فيه فنزعه ووضعه ثم ركع وسجد ثم أهب صاحبه، فقال: اجلس فقد أوتيت، فوثب فلما رأهما الرجل عرف أن قد نذروا به، فلما رأى المهاجري ما بالأنصاري من الدماء، قال: سبحان الله ألا أهبتني؟ قال: كنت في سورة أقرؤها فلم أحب أن أقطعها حتى أنفذها، فلما تابع الرمي ركعت فأريتك، وأيم الله لولا أن أضيع ثغراً أمرني رسول الله ﷺ بحفظه لقطع نفسي قبل أن أقطعها وأنفذها.

رواه أحمد (٣٤٤/٣، ٣٥٩)، مؤبو داود (١٩٨)، والبيهقي في الكبرى (١٥٠/٩) وفي الدلائل (٣٧٩/٣) بسند حسن.

«يكلؤنا» يحفظنا. «ربيثة القوم» أي: طليعتهم التي تحرسهم. «نذروا به» علموا به وفطنوا له.

وفي الحديث مشروعية حراسة الجيش وأخذ الحذر من العدو، وفيه فضل ذلك الأنصاري وعظم محبته لله عز وجل وتعظيمه لكتابه، وبالتالي صبره على ألم السهام الثلاث وصموده قائماً يتلذذ بتلاوة كتاب الله تعالى، ولم يقطع قراءته إعظماً لصلاته وتقديراً لتلك السورة، ويزيد فيحلف فيقول: لولا أن رسول الله ﷺ أمره بالحراسة، وخشي إن استرسل في صلته أن يضيع ما أمر به لما ركع وسجد وسلم، فهكذا كان يقين الصحابة وهكذا كانت عزائمهم رضي الله تعالى عنهم.

❁ قصة جمل جابر مع النبي ﷺ

[٤٣٦] عن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما قال: خرجت مع رسول الله ﷺ في غزاة فأبطأ بي جملي، فأتى علي رسول الله ﷺ فقال لي: «يا جابر»، قلت: نعم، قال: «ما شأنك؟» قلت: أبطأ بي جملي وأغنيا فتخلفت فنزل فحجته بمحجته، ثم قال: «اركب»، فركبت فلقد رأيتني أكفه عن رسول الله ﷺ، فقال: «أتزوجت؟» فقلت: نعم، فقال: «بكرأ أم ثيباً؟» فقلت: بل ثيب، قال: «فهلأ جارية تلاعبها وتلاعبك»، فقلت: إن لي أخوات فأحببت أن أتزوج امرأة تجمعهن وتمشطهن وتقوم عليهن، قال: «أما إنك قادم، فإذا قدمت فالكنيس الكنيس»، ثم قال: «أتبيع جملك؟» قلت: نعم، فاشتراه مني بأوقية، ثم قدم رسول الله ﷺ وقدمت بالغداة، فجئت المسجد فوجدته على باب المسجد فقال: «الآن حيث قدمت؟» قلت: نعم، قال: «فدع جملك وادخل فصل ركعتين»، قال: فدخلت فصليت ثم

رجعت، فأمر بلالاً أن يزن لي أوقية، فوزن لي بلال، فأرجح في الميزان قال: فانطلقت فلما وليت قال: «اذع لي جابراً» فدعيت فقلت: الآن يرده عليّ الجمل، ولم يكن شيء أبغض إليّ منه، فقال: «خذ جملك ولك ثمنه».

رواه أحمد (٢٩٩/٣، ٣٠٣، ٣١٤)، والبخاري في البيوع (٢٢٤/٥) وفي مواضع، ومسلم في النكاح وفي المساقاة (٣٠/١١، ٣١، ٣٦)، وأبو داود (٢٥٠٥) وباقي أهل السنن وغيرهم بألفاظ مطوّلاً ومختصراً، وقد تقدم في البيوع، في بيع المركوب واشترط ركوبه إلى موضع ما.

قوله: «في غزاة» جاء التصريح ببيان أنها غزوة ذات الرقاع، كما رواه ابن إسحاق بسند حسن صحيح. «أبطأ جملي» أي: تأخر. «وأغيا» أي: عجز عن السير. «بمحجنة» المحجنة هي عصا معكوفة. وقوله: «الكيس الكيس» هو بفتح الكاف وسكون الياء؛ هو العقل والفتنة والظرافة، كأنه قال له: كن فطناً عاقلاً.

وفي الحديث فوائد: منها: جواز بيع المركوب واشترط ركوبه إلى وقت ما، ومنها: استحباب واستحسان التزوّج بالأبكار وبالثيبات إذا كان في ذلك مصلحة راجحة، ومنها: سنة البداءة بصلاة ركعتين في المسجد لمن قدم من سفر، ومنها: كرم النبي ﷺ وسخاؤه الذي لا مثيل له، ومنها: معجزته ﷺ في سير الجمل ونشاطه ببركته ﷺ وأثر عصاه التي حجته بها، فكان بعد ذلك لا يُسبق، وفيه غير ذلك.

✽ عمرة القضاء

وما حصل فيها من أحداث

[٤٣٧] عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: قدم رسول الله ﷺ وأصحابه فقال المشركون: إنه يقدم عليكم وقد هنتهم حمى يثرب، فأمرهم

رسول الله ﷺ أن يرموا الأشواط الثلاثة، وأن يمشوا ما بين الركنين، ولم يمنعه أن يأمرهم أن يرملوا الأشواط كلها إلا الإيقاع عليهم.

وفي رواية: لما قدم النبي ﷺ لعامة الذي استأمن قال: «ارملوا ليرى المشركون قوتكم»، والمشركون من قبل قعقعان.

وفي رواية: إن قريشاً قالت: إن محمداً وأصحابه قد وهنتهم حمى يثرب، فلما قدم رسول الله ﷺ لعامة الذي اعتمر فيه قال لأصحابه: «ارملوا بالبيت ثلاثاً ليرى المشركون قوتكم»، فلما رملوا قالت قريش: ما وهنتهم؟

وفي رواية: هؤلاء الذين زعمتم أن الحمى قد وهنتهم، هؤلاء أجلد من كذا وكذا.

رواه البخاري في عمرة القضاء (٥٠/٩، ٥١) وفي الحج، ومسلم في الحج رقم (١٢٦٦)، وأبو داود (١٨٨٦)، والنسائي كلاهما في الحج أيضاً، وأخرجه أحمد (٣٠٦/١) بالرواية الثالثة وسنده صحيح.

«وهنتهم» بتخفيف الهاء وتشديدها أي: أضعفتهم. «ويثرب» اسم للمدينة في الجاهلية. «الإبقاء عليهم» أي: الرفق بهم والإشفاق عليهم.

قد تقدم أن النبي ﷺ لما صدّه الكفار عام الحديبية تصالحوا على أن يرجع ويأتي العام المقبل، وشرطوا عليه شروطاً في ذلك كما في الحديث التالي وما بعده.

[٤٣٨] عن عبدالله بن عمرو رضي الله تعالى عنهما أن رسول الله ﷺ خرج معتمراً، فحال كفار قريش بينه وبين البيت، فنحر هديه وحلق رأسه بالحديبية، وقاضاهم على أن يعتمر العام المقبل، ولا يحمل سلاحاً عليهم إلا سيوفاً، ولا يقيم بها إلا ما أحياوا، فاعتمر من العام المقبل فدخلها كما كان صالحهم، فلما أن قام بها ثلاثاً أمره أن يخرج، فخرج.

رواه البخاري في عمرة القضاء (٤٩/٩).

[٤٣٩] وعن البراء بن عازب رضي الله تعالى عنه قال: لما اعتمر

النبي ﷺ في ذي القعدة فأبى أهل مكة أن يدعوه يدخل مكة حتى قاضاهم على أن يقيم بها ثلاثة أيام، فذكر الكتاب قال: فكتب: هذا ما قاضى عليه محمد بن عبدالله، لا يدخل مكة السلاح إلا السيف في القراب، وأن لا يخرج من أهلها بأحد إن أراد أن يتبعه، وأن لا يمنع من أصحابه أحداً إن أراد أن يقيم بها، فلما دخلها ومضى الأجل أتوا علياً، فقالوا: قل لصاحبك اخرج عنا، فقد مضى الأجل، فخرج النبي ﷺ فبعثه ابنة حمزة تنادي: يا عم، يا عم، فتناولها علي فأخذ بيدها وقال لفاطمة عليها السلام: دونك ابنة عمك احملها، فاختصم فيها علي، وزيد، وجعفر، قال علي: أنا أخذتها، وهي بنت عمي، وقال جعفر: ابنة عمي وخالتها تحتي، وقال زيد: ابنة أخي، ففضى بها النبي ﷺ لخالتها، وقال: «الخالة بمنزلة الأم»، وقال لعلي: «أنت مني وأنا منك»، وقال لجعفر: «أشبهت خلقي وخلقي»، وقال زيد: «أنت أخونا ومولانا»، وقال علي: ألا تتزوج بنت حمزة؟ قال: «إنها ابنة أخي من الرضاعة».

رواه البخاري في عمرة القضاء (٤٢/٩، ٤٩)، ومسلم في الجهاد في صلح الحديبية (١٣٥/١٢، ١٣٨).

فهذان الحديثان يبينان ما شرطوا عليه ﷺ إذا أتى معتمراً في العام المقبل وقد وفى لهم بذلك، فقد جاء في هذه السنة السابعة في ذي القعدة منها ودخل مكة هو وأصحابه وطافوا وسعوا بين الصفا والمروة وحلقوا وقصروا تصديقاً للرؤيا التي رآها ﷺ في السنة الماضية، كما قال تعالى: «لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ» الآية، وبعد أن مضى الأجل المضروب، أمره بالخروج، فخرج ﷺ.

وفي حديث البراء اختصام الإمام علي وأخيه جعفر وزيد بن حارثة رضي الله تعالى عنهم في بنت حمزة رضي الله تعالى عنهما أيهم يكفلها، فأعطاهما النبي ﷺ جعفر؛ لأن خالتها أسماء بنت عميس كانت عنده، وقال: «إن الخالة بمنزلة الأم»، فهي أحق بالحضانة من غيرها، ثم طيب ﷺ خواطر جميعهم بما يليق بهم، قال للإمام علي: «أنت مني وأنا

منك» يعني في النسب والصهر والمحبة والسابقة في الإسلام، وقال لجعفر: «أشبهت خلقي وخلقي»، وهي منقبة لجعفر، أما قوله لزيد: «أنت أخونا» أي: في الإيمان، «ومولانا» أي: حيث إنه أعتقه، وقد جاء في الحديث الصحيح: «إن مولى القوم منهم»، وتقدم في الزكاة.

وقد جاء في رواية عند أحمد عن علي ومرسل محمد الباقر أن جعفر قام فحجج حول رسول الله ﷺ دار عليه، فقال النبي ﷺ: «ما هذا؟» قال: شيء رأيت الحبشة يصنعونه بملوكهم، ذكره الحافظ في الفتح قال: وحجج - بفتح المهملة وكسر الجيم - أي: وقف على رجل واحدة وهو الرقص بهيئة مخصوصة.

[٤٤٠] وعن أنس رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ دخل مكة في عمرة القضاء، وعبدالله بن رواحة بين يديه يمشي، وهو يقول:

خَلُّوا بَنِي الْكُفَّارِ عَنْ سَبِيلِهِ الْيَوْمَ نَضْرِبُكُمْ عَلَى تَنْزِيلِهِ
ضَرْباً يُزِيلُ الْهَامَ عَنْ مَقِيلِهِ وَيُذْهِلُ الْخَلِيلَ عَنْ خَلِيلِهِ

فقال له عمر: يا ابن رواحة بين يدي رسول الله ﷺ وفي حرم الله تقول الشعر؟ فقال رسول الله ﷺ: «خُلِّ عنه يا عمر، فهي أسرع فيهم من نضحة الثبل».

رواه الترمذي آخر الأدب رقم (٢٦٥٦) بتهذيبه، والنسائي في الحج باب إنشاد الشعر في الحرم، وابن حبان (٢٢٠، ٢٢١)، والترمذي في الشمائل رقم (٢٤٥)، وأبو يعلى (٣٤٤٠)، والبيهقي في الكبرى (٢٨٨/١٠) وحسنه الترمذي وصححه.

«الهام» جمع هامة وهو أعلى الرأس. «عن مقيله» أي: موضعه. «ويذهل» أي: ينسي.

وفي الحديث إباحة إنشاد الشعر في الحرم، وهجو الكفار به، وأنه يُعتبر من جهاد اللسان، كما أنه قد يكون أشد على الكفار من زنيهم وضربهم بالأسلحة.

[٤٤١] وعن ابن أبي أوفى رضي الله تعالى عنه قال: لما اعتمر رسول الله ﷺ سترناه من غلمان المشركين ومنهم أن يؤذوا رسول الله ﷺ.

رواه البخاري في عمرة القضاء (٥٠/٩)، وأبو داود (١٩٠٣)، وابن ماجه (٢٩٩٠) كلاهما في الحج.

كانوا يسترونه خوفاً عليه من السفهاء والصبيان أن يرموه بشيء فيؤذوه، وقد حفظه الله تعالى فلم يصب بسوء ﷺ.

✽ تزوجه ﷺ بميمونة

[٤٤٢] عن ميمونة رضي الله تعالى عنها قالت: تزوجني النبي ﷺ ونحن حلالان بسرف.

رواه مسلم (١٩٧/٩)، وأبو داود (١٨٤٣)، والترمذي (٧٥١)، وابن ماجه (١٩٦٤) كلهم في الحج، وأحمد (٣٣٣/٦، ٣٣٥).

وفي رواية للترمذي وغيره: تزوجها وهو حلال، وبنى بها حلالاً، وماتت بسرف ودفناها في الظلة التي بنى بها فيها.

«سرف» بفتح السين وكسر الراء؛ موضع خارج مكة بنحو من خمسة عشر كيلو في طريق المدينة، وهناك قبرها، والحديث يدل على أن النبي ﷺ تزوجها ودخل بها وهو حلال، ويؤيده حديث أبي رافع، وهو:

[٤٤٣] عن أبي رافع رضي الله تعالى عنه قال: تزوج رسول الله ﷺ ميمونة وهو حلال، وبنى بها وهو حلال، وكنت أنا الرسول فيما بينهما.

رواه أحمد (٣٩٢/٦، ٣٩٣)، والترمذي في الحج (٧٤٩) وحسنه، وهو كما قال.

فالحديث صريح كسابقه في أنه تزوجها وبنى بها وهو حلال، وكان

ذلك في هذه العمرة، وخالف هذا ابن عباس في الحديث الآتي:

[٤٤٤] عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: تزوج النبي ﷺ ميمونة وهو محرم، وبنى بها وهو حلال، وماتت بسرف. وفي رواية: في عمرة القضاء.

رواه البخاري في عمرة القضاء (٥١/٩)، ومسلم في النكاح (١٩٦/٩)، (١٩٧)، وأبو داود (١٨٤٤)، والترمذي (٧٥٠)، والنسائي وابن ماجه (١٩٦٥) وغيرهم، ولم يوافق ابن عباس على ما قال، والجمهور من العلماء على خلافه.

✽ تزوجه ﷺ بأم حبيبة

وفي هذه السنة تزوج النبي ﷺ أم حبيبة رَمْلَةَ بنت أبي سفيان رضي الله تعالى عنها، وكان من خبرها أنها أسلمت قديماً وهاجرت إلى الحبشة مع زوجها عبيد الله بن جحش فتصّر زوجها وارتد ففارقته وكانت رأت كأن آت أتاها في نومها، فقال: يا أم المؤمنين، ففزع ذلك فما هو إلا أن انقضت عدتها، فبعث النبي ﷺ يخطبها، فزوجه إياها النجاشي وأصدقها أربعمئة دينار ثم جهّزها وبعث بها في جماعة إلى رسول الله ﷺ ومعها ابنتها حبيبة التي وُلدت لها بالحبشة، وكان ذلك في السنة السابعة، وقيل: السادسة، والأول أشهر، وسيأتي بعض كلام عليها في ذكر أمهات المؤمنين إن شاء الله تعالى.

✽ خلاصة ما وقع من أحداث في السنة السابعة

حصل في هذه السنة أحداث، وهي:

غزوة ذي قرد ويقال لها غزوة الغابة، وقصة المرأة التي أُسِرَتْ مع

ناقة النبي ﷺ العضاء. وفرت بها، وغزوة خيبر وفيها أحداث عدة كقصص الأعرابي الشهيد، والرجل البطل الذي كان مآله النار، والغال من الغنيمة الذي مات ولم يصل عليه النبي ﷺ، وتحريم المتعة والحمر الإنسية، ومآل اليهود بعد انهزامهم، وتزوج النبي ﷺ بصفية بنت حيي، ووضع السّم للنبي ﷺ في الشاة، وكيف قسم النبي ﷺ مغانم خيبر، وقصة الحجاج بن علاط مع أهل مكة، ونوم الصحابة عن صلاة الصبح في قفولهم، وعودة مهاجري الحبشة، وردّ المهاجرين مائحتهم إلى الأنصار، وفتح وادي القرى ومصالحة أهل فدك وتيماء، ثم سرية أبي بكر إلى بني فزارة، وسرية غالب بن عبدالله الليثي إلى الحرقات، ثم سرية إلى بني الملوّح بالكديد، ثم سرية بطن إضم، ثم سرية عبدالله بن حذافة، ثم غزوة ذات الرقاع وأحداثها، كصلاة الخوف، وقصة غورث الذي أراد الفتك بالنبي ﷺ، وقصة الحارسين مع ذلك المشرك الذي أسرت زوجته، وقصة جابر في الجمل، ثم عمرة القضاء، ثم تزوجه ﷺ بميمونة، وتزوجه ﷺ بأم حبيبة رضي الله تعالى عنها وعن سابقتها.

السنة الثامنة

مكاتبه ﷺ إلى الملوك والرؤساء يدعوهم إلى الإسلام

[٤٤٥] عن أنس رضي الله تعالى عنه أن نبي الله ﷺ كتب إلى كسرى، وإلى قيصر، وإلى النجاشي، وإلى كل جبار، يدعوهم إلى الله تعالى، وليس النجاشي الذي صلى عليه النبي ﷺ.

رواه مسلم في الجهاد (١١٢/١٢)، والترمذي في الأدب (٢٥٣١)، والنسائي في الكبرى وغيرهم.

«كسرى» بفتح الكاف وكسرهما لقب من ملك الفرس، و«قيصر» لقب لمن ملك الروم، و«النجاشي» لقب من ملك الحبشة، و«العزير» لكل من

ملك مصر، و«فرعون» لكل من ملك القبط وهي ألقاب قديمة.

والحديث يدل على أن النبي ﷺ كاتب المشركين من المجوس والنصارى يدعوهم إلى الله تعالى والتدين بالدين الحق، وهذه السنة ينبغي أن ينهجها أمراء المسلمين في كل العصور، فيراسلون رؤساء الكفار وزعماءهم يدعوهم إلى الإسلام ويبيّنون لهم محاسنه...

رسالته عليه السلام إلى هرقل ملك الروم

[٤٤٦] وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: حدّثني أبو سفيان من فيه إلى في، قال: انطلقت في المدة التي كانت بيني وبين رسول الله ﷺ، قال: فبيننا أنا بالشام إذ جيء بكتاب من النبي ﷺ إلى هرقل، قال: وكان دخية الكلبى جاء به فدفعه إلى عظيم بصرى، فدفعه عظيم بصرى إلى هرقل، فذكر الحديث وفيه: ثم دعا بكتاب رسول الله ﷺ فقرأه فإذا فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله ﷺ إلى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى، أما بعد فإنّي أدعوك بدعاية الإسلام أسلم تسلم، وأسلم يؤتتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَمَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾.

قال: فلما فرغ من قراءة الكتاب ارتفعت الأصوات عنده وكثر اللغظ وأمر بنا فأخرجنا، قال: فقلت لأصحابي حين خرجنا: لقد أمر أمر ابن أبي كبشة إنه ليخافه ملك بني الأصفر، فما زلت موقناً بأمر رسول الله ﷺ أنه سيظهر حتى أدخل الله علي الإسلام.

رواه أحمد (٢٦٣/١)، والبخاري في بدء الخلق وفي الجهاد وفي

التفسير (٢٨١/٩، ٢٩٠)، ومسلم في الجهاد (١٠٣/١٢، ١١١)، والترمذي في الأدب (٢٥٣٢) مطولاً ومختصراً، وقد تقدم في التفسير مطولاً.

وكان رد هرقل على الكتاب رداً جميلاً، وكاد أن يُسلم لكنه آثر المُلك والرئاسة على الإسلام، فبقي كافراً حتى مات على كفره فخر دنياه وآخرته.

✽ رسالته ﷺ إلى كسرى ملك الفرس

[٤٤٧] عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن رسول الله ﷺ بعث بكتابه إلى كسرى مع عبدالله بن خذافة السهمي فأمره أن يدفعه إلى عظيم البحرين، فدفعه عظيم البحرين إلى كسرى، فلما قرأه مزقه، فدعا عليهم رسول الله ﷺ أن يمزقوا كل ممزق.

رواه أحمد (٢٤٣/١، ٣٠٥)، والبخاري في آخر المغازي (١٩١/٩).

وكسرى هذا هو ابن هرمز بن أنوشروان. قوله: «مزقه» أي: قطعه. قوله: «أن يمزقوا كل ممزق» أي: يتفرقوا ويتقطعوا، وكان الأمر كذلك فقد استجاب الله دعاء نبيه ﷺ فاغتيل كسرى هذا قتله ولده زربان ثم تقطع ملكهم ومزق على أيدي الجيوش الإسلامية أيام الصديق والفاروق رضي الله تعالى عنهما.

✽ رسالته ﷺ إلى المقوقس حاكم مصر

[٤٤٨] عن عبدالرحمن بن عبد القاري رحمه الله أن رسول الله ﷺ بعث حاطب بن أبي بلتعة إلى المقوقس صاحب الإسكندرية، فمضى بكتاب

رسول الله ﷺ إلى المقوقس فقَبِلَ الكتاب وأكرم حاطباً، وأحسن نُزله وسرَّحه إلى النبي ﷺ، وأهدى له مع حاطب كسوة وبغلة بسزجها، وخادمتين، إحداهما أم إبراهيم، وأما الأخرى فوهبها رسول الله ﷺ لجهم بن قيس العبدي.

رواه ابن إسحاق كما عند ابن هشام والبيهقي في الدلائل (٣٩٥/٤) وسنده حسن صحيح مع إرساله، بيد أن له شاهداً يتأيد به رواه البيهقي في الدلائل (٣٩٥/٤، ٣٩٦) من حديث حاطب وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وإن كان ضعيفاً فإنه لم يُتهم بكذب وليس ضعفه بشديد.

وكتابه ﷺ إلى المقوقس وما أجابه به وصالحه عليه مشهور قد يُقارب التواتر.

[٤٤٩] وقد جاء عن أبي ذر رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنكم ستفتحون أرضاً يذكر فيها القيراط فاستوصوا بأهلها خيراً، فإن لهم ذمةً ورحماً».

رواه مسلم (٩٦/١٦، ٩٧).

فهذه الأرض المُشار إلى فتحها هي مصر، وقوله: «فإن لهم ذمة» أي: عهداً بما عاقده ﷺ مع المقوقس. وقوله: «ورحماً» لأن هاجر عليها السلام كانت مصرية وهي أم نبي الله إسماعيل عليه السلام. وفي رواية «فإن لهم صهراً» ومعناه: أن مارية أم إبراهيم عليه السلام منهم أيضاً، فهم أصهار النبي ﷺ، وهذه أمور كلها معلومة ضرورة عند علماء السيرة والمغازي.

✽ إسلام عمرو بن العاص وخالد بن الوليد

[٤٥٠] عن عمرو بن العاص قال: لما انصرفنا من الأحزاب عن الخندق جمعت رجالاً من قريش كانوا يرون مكاني ويسمعون مني، فقلت لهم: تعلمون والله إنني لأرى أمر محمد يعلو الأمور علواً كبيراً منكرأ، وإنني

قد رأيت رأياً فما ترون فيه؟ قالوا: وما رأيت؟ قال: رأيت أن الحق بالنجاشي فنكون عنده، فإن ظهر محمد على قومنا كنا عند النجاشي، فإننا نكون تحت يديه أحب إلينا من أن نكون تحت يدي محمد، وإن ظهر قومنا فنحن من قد عرف فلن يأتينا منهم إلا خير، فقالوا: إن هذا الرأي، قال: فقلت لهم: فأجمعوا له ما تُهدِي له، وكان أحب ما يُهدى إليه من أرضنا الأدم، فجمعنا له أدماً كثيراً، فخرجنا حتى قدمنا عليه، فوالله إنا لعنده إذ جاء عمرو بن أمية الضمري، وكان رسول الله ﷺ قد بعثه إليه في شأن جعفر وأصحابه، قال: فدخل عليه ثم خرج من عنده، قال: فقلت لأصحابي: هذا عمرو بن أمية الضمري لو قد دخلت على النجاشي فسألته إياه فأعطانيه فضربت عنقه، فإذا فعلت ذلك رأيت قريش أني قد أجزأت عنها حين قتل رسول محمد ﷺ، قال: فدخلت عليه فسجدت له كما كنت أصنع، فقال: مرحباً بصديقي أهديت لي من بلادك شيئاً؟ قال: قلت: نعم أيها الملك، قد أهديت لك أدماً كثيراً، قال: ثم قدمته إليه فأعجبه واشتهاه، ثم قلت له: أيها الملك إني قد رأيت رجلاً خرج من عندك وهو رسول رجل عدو لنا فأعطنيه لأقتله، فإنه قد أصاب من أشرافنا وخيارنا، قال: فغضب ثم مَدَّ يده فضرب أنفه ضربة ظننت أنه قد كسره، فلو انشقت الأرض لدخلت فيها فرقاً منه، ثم قلت: أيها الملك والله لو ظننت أنك تكره هذا ما سألتك، فقال له: أتسألني أن أعطيك رسول رجل يأتيه الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى لتقتله؟ قال: قلت: أيها الملك، أذاك هو؟ فقال: ويحك يا عمرو أتعني وأتبعه، فإنه والله لعلى الحق وليظهرن على من خالفه كما ظهر موسى على فرعون وجنوده، قال: قلت: فبايعني له على الإسلام، قال: نعم فيسقط يده وبايعته على الإسلام، ثم خرجت إلى أصحابي وقد حال رأيي عما كان عليه وكتمت أصحابي إسلامي، ثم خرجت عامداً لرسول الله ﷺ لأسلم، فلقيت خالد بن الوليد وذلك قبيل الفتح وهو مقبل من مكة، فقلت: إيه يا أبا سليمان، قال: والله لقد استقام المنسم، وأن الرجل لنبي اذهب إليه والله أسلم فحَتَّى مَتَّى؟ قال: قلت: والله ما جئت إلا لأسلم، قال: فقدمنا على رسول الله ﷺ، فقدم

خالد بن الوليد فأسلم وبايع ثم دنوت فقلت: يا رسول الله إني أبايعك على أن تغفر لي ما تقدم من ذنبي - ولا أذكر وما تأخر -، قال: فقال رسول الله ﷺ: «يا عمرو بايع، فإن الإسلام يجب ما كان قبله، وأن الهجرة تجب ما كان قبلها»، قال: فبايعته ثم انصرفت. قال ابن إسحاق: وقد حدثني من لا أتهم أن عثمان بن طلحة بن أبي طلحة كان معهما أسلم حين أسلما.

رواه أحمد (٤/١٩٨، ١٩٩، ٢٠٤، ٢٠٥)، والحاكم (٣/٤٥٤) وسنده صحيح على شرط مسلم في رواية لأحمد، وآخره وهو: «فإن الإسلام يجب ما قبله» إلخ في الإيمان من صحيح مسلم رقم (١٢١).

في الحديث أن إسلام هؤلاء كان في هذه السنة قبل الفتح، وفيه أن إسلام عمرو بن العاص كان سببه إرشاد النجاشي، والله تعالى إذا أراد شيئاً هباً أسبابه وههنا كلام طويل لأهل المغازي في إسلام عمرو وخالد أضربنا عنه لأنه ليس على شرطنا.



✽ غزوة مؤتة

[٤٥١] عن عبدالله بن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: أمر رسول الله ﷺ في غزوة مؤتة زيد بن حارثة، فقال رسول الله ﷺ: «إن قُتِل زيدُ فجعفر، وإن قُتِل جعفر فعبداً بن رواحة»، قال عبدالله: كنت فيهم في تلك الغزوة فالتمسنا جعفر بن أبي طالب فوجدناه في القتلى، ووجدنا فيه بضعا وتسعين من طعنة ورمية، وفي رواية: ليس منها شيء في دبره - يعني في ظهره -.

رواه البخاري في المغازي (٩/٥٢، ٥٣).

[٤٥٢] وعن أنس رضي الله تعالى عنه قال: خطب رسول الله ﷺ

فقال: «أخذ الراية زيد فأصيب، ثم أخذها جعفر فأصيب، ثم أخذها عبد الله بن رواحة فأصيب، ثم أخذها خالد بن الوليد عن غير إمرة ففتح عليه، وما يسرني - أو قال - ما يسرهم أنهم عندنا»، قال: وأن عيني لتدرفان، وفي رواية: إن النبي ﷺ نعى زيدا وجعفرأ وابن رواحة للناس قبل أن يأتي خبرهم، وفيه: «حتى أخذ الراية سيف من سيوف الله حتى فتح الله عليهم».

رواه البخاري في المغازي (٥٤/٩) وفي علامات النبوة.

[٤٥٣] وعن خالد بن الوليد قال: لقد انقطعت في يدي يوم مؤتة تسعة أسياف، فما بقي في يدي إلا صفحة يمانية.

رواه البخاري في المغازي (٥٧/٩).

[٤٥٤] وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: لما جاء قتل ابن حارثة وجعفر بن أبي طالب وعبد الله بن رواحة رضي الله تعالى عنهم جلس رسول الله ﷺ يُعرف فيه الحزن، قالت: وأنا أطلع من صائر الباب - تعني من شق الباب - فأتاه رجل فقال: أي رسول الله إن نساء جعفر، قال: فذكر بكاءهن فأمره أن ينهأهن...

رواه البخاري (٥٥/٩، ٥٦).

[٤٥٥] وعن أبي قتادة رضي الله تعالى عنه قال: بعث رسول الله ﷺ جيش الأمراء وقال: «عليكم زيد بن حارثة فإن أصيب فجعفر، فإن أصيب جعفر فعبد الله بن رواحة»، فذكره بنحو ما تقدم في حديث أنس، وفيه: «ثم أخذ اللواء خالد بن الوليد ولم يكن من الأمراء هو أمر نفسه»، فوضع رسول الله ﷺ أصبعه وقال: «اللهم هو سيف من سيوفك فانصره»، فيومئذ سمي خالد سيف الله، ثم قال النبي ﷺ: «انفروا فأميدوا إخوانكم ولا يتخلفن أحد»، فنفر الناس في حر شديد مشاة وركباناً.

رواه أحمد (٢٩١/٥، ٣٠٠، ٣٠١)، والنسائي في الكبرى (٦٩/٥)

بسند صحيح.

[٤٥٦] وعن عوف بن مالك الأشجعي رضي الله تعالى عنه قال: خرجت مع من خرج مع زيد بن حارثة من المسلمين في غزوة مؤتة، ووافقني مددي من اليمن ليس معه غير سيفه، فنحر رجل من المسلمين جزوراً، فسأله المددي طابقة من جلده، فأعطاه إياه فاتخذها كهيئة الدرقة ومضينا فلقينا جموع الروم، وفيهم رجل على فرس له أشقر عليه سرج مذهب، وسلاح مذهب، فجعل الرومي يُغري بالمسلمين، وقعد له المددي خلف صخرة، فمر به الرومي فعزب فرسه فخر وعلاه فقتله، وحاز فرسه وسلاحه، فلما فتح الله للمسلمين بعث إليه خالد بن الوليد فأخذ منه السلب. قال عوف: فأتيته فقلت: يا خالد، أما علمت أن رسول الله ﷺ قضى بالسلب للقاتل؟ قال: بلى، ولكنني استكثرت، فقلت: لتردنه إليه ولأعرفنكها عند رسول الله ﷺ، فأبى أن يرد عليه. قال عوف: فاجتمعنا عند رسول الله ﷺ فقصت عليه قصة المددي وما فعل خالد، فقال رسول الله ﷺ: «يا خالد زد عليه ما أخذت منه»، قال عوف: فقلت: دونك يا خالد ألم أف لك؟ فقال رسول الله ﷺ: «وما ذاك؟» فأخبرته فغضب رسول الله ﷺ وقال: «يا خالد لا ترد عليه، هل أنتم تاركو أمرائي؟ لكم صفة أمرهم وعليهم كذره».

رواه أحمد (٢٦/٦، ٢٧، ٢٨)، ومسلم في الجهاد باب استحقاق القاتل سلب القتيل (٦٤/١٢، ٦٥)، وأبو داود في الجهاد كذلك (٢٧١٩).

«مؤتة» بضم الميم وسكون الواو وتهمز هي بالقرب من البلقان من الأردن.

وكانت هذه الغزوة في جمادى الأولى من السنة الثامنة باتفاق أهل المغازي إلا من لا يعتد به، وكان السبب فيها أن شرحبيل بن عمرو الغساني وهو من أمراء قيصر على الشام قتل رسولا أرسله النبي ﷺ إلى صاحب بصرى، فجهز إليهم النبي ﷺ جيشاً مكوناً من ثلاثة آلاف مقاتل وأمر عليهم في البداية زيد بن حارثة، وأمرهم إن قتل أن يؤمروا جعفر، فإن قتل أمروا ابن رواحة، فساروا حتى وصلوا لمؤتة بأطراف الشام، فوجدوا هنالك

جموعاً من الروم تقدّر بمائة وخمسين ألفاً، فالتحم القتال وقاتل الصحابة رضي الله تعالى عنهم قتال الأبطال، فأصيب زيد وكانت الراية بيده، فأخذها جعفر فأصيب بعد صبرٍ عظيم، ثم أخذها ابن رواحة فأصيب وهؤلاء الثلاثة هم أمراء النبي ﷺ، ثم أخذ الراية بدون أمر من النبي ﷺ خالد بن الوليد فكان الفتح على يديه، يقال: إنه غير الجيش فالمقدمة جعلها مؤخرة والعكس، والميمنة جعلها ميسرة، فلما أصبحوا ورأى الروم ذلك دخلهم الرعب فظنّوا أن المسلمين قد جاءهم المدد، فانهزموا وجعلوا يولّون الأدبار، فكان ذلك فتحاً على المسلمين ونصراً لهم ثم دفنوا من قُتل من المسلمين هنالك، وجعلوا الأمراء الثلاثة في حفرة واحدة ثم رجعوا قافلين.

وقد أوحى إلى النبي ﷺ ما نزل بالجيش وقتل أمراءه الثلاثة، فأخبر أصحابه بذلك قبل أن يصل الجيش وعيناه تدرقان بالدموع وحزنٌ لذلك حزناً شديداً ﷺ، وفي جملة هذه الأحاديث التي ذكرناها فوائد، وهي:

أولاً: مشروعية قتال الكفار ومهاجمتهم إذا صدر منهم قتل لبعض المسلمين واعتداء عليهم، كسفير مثلاً أو بريد أو داعية ونحو ذلك.

ثانياً: في ذلك مشروعية تأمير شخص أو أشخاص على الجيش من طرف الخليفة.

ثالثاً: في ذلك صبر جعفر وصموده أمام الجيوش الكافرة وعدم انهزامه ولم يولّهم ظهره قط حتى سقط مقبلاً، وفيه بضع وتسعون ما بين طعنة وضربة ورمية، وذلك يدل على شجاعته رضي الله تعالى عنه.

رابعاً: فيها جواز الائتمار على الجيش بدون إذن الخليفة إذا اقتضت المصلحة ذلك، وكان المؤتمر كفوفاً في ذلك عالماً بشؤون الحرب وخطاها.

خامساً: فيها منقبة لخالد بن الوليد حيث سماه النبي ﷺ سيف الله.

سادساً: كان لخالد في تلك الغزوة الفضل والمّنة على ذلك الجيش؛

لأنه بمهارته وفطنته ومعرفته بالشؤون الحربية أنقذ ذلك الجيش المسلم القليل من الجيش الكافر العرمرم السيال، وأين تقع ثلاثة آلاف من مائة ألف وخمسين ألفاً فقد لطف الله بالمسلمين ونصرهم في ذلك المشهد نصراً عزيزاً، ولولا لطف الله ورحمته ثم مهارة خالد لأفني جيش المسلمين وقُتل جميعهم.

سابعاً: كان لخالد مواقف عظيمة في الفتوحات الإسلامية كما كان ذلك له أيام كفره.

ثامناً: في حديث عوف دليل على أن المسلمين كانت لهم مغنم في هذه الغزوة، وذلك يدل على نصرهم في الجملة.

تاسعاً: في حديث عائشة دليل على النهي عن البكاء على الميت، وهو محمول على النياحة ورفع الصوت على عادات الجاهلية، وذلك معلوم تحريمه ضرورة.

وستأتي بعض فضائل هؤلاء الأصحاب الأمراء في الفضائل إن شاء الله تعالى.



✽ غزوة ذات السلاسل

[٤٥٧] عن عمرو بن العاص قال: بعث إليّ رسول الله ﷺ فقال: «خذ عليك ثيابك وسلاحك ثم اثبتني»، فأتيته وهو يتوضأ، فصعد في النظر ثم طأطأ فقال: «إني أريد أن أبعثك على جيش فيسلمك الله ويغنيك، وأرغب لك من المال رغبةً سالحة»، قال: قلت: يا رسول الله ما أسلمت من أجل المال، ولكنني أسلمت رغبةً في الإسلام، وأن أكون مع رسول الله ﷺ، فقال: «يا عمرو، نعم المال الصالح للمزء الصالح».

رواه أحمد (١٩٧/٤، ٢٠٢)، والبخاري في الأدب المفرد (٢٩٩)، وابن حبان (٢٢٧٧) بالموارد، والحاكم (٢٣٦/٢) وصححه الحاكم والذهبي

وعزاه النور في المجمع (٣٥٢/٨) لأحمد وكبير الطبراني وأوسطه وأبي يعلى قال: ورجال أحمد وأبي يعلى رجال الصحيح.

[٤٥٨] وعنه رضي الله تعالى عنه قال: إن رسول الله ﷺ بعثه في ذات السلاسل، فسأله أصحابه أن يُوقدوا ناراً فمَنَعَهُمْ، فكلّموا أبا بكر فكلّمه في ذلك، فقال: لا يُوقد أحدٌ منهم ناراً إلا قذفته فيها، قال: فلقوا العدو فهزّمهم فأرادوا أن يتبعوهم فمَنَعَهُمْ، فلما انصرفوا ذكروا ذلك للنبي ﷺ فسأله، فقال: كرهت أن آذن لهم أن يُوقدوا ناراً فيرى عدوهم قتلهم، وكرهت أن يتبعوهم فيكون لهم مددٌ فحمّد أمره، فقال: يا رسول الله من أحب الناس إليك؟ قال: «عائشة»، قلت: من الرجال؟ قال: «أبوها»، قلت: ثم من؟ قال: «عمر»، فعَدَّ رجالاً فسكت مخافة أن يجعلني في آخرهم.

رواه الترمذي في المناقب في فضل عائشة (٣٦٤٧)، وابن حبان (١٦٦٥) بالموارد.

وآخره رواه أحمد (٢٠٣/٤)، والبخاري في فضل أبي بكر (٢٢/٨)، (٢٣) وفي المغازي (١٣٧/٩)، ومسلم رقم (٢٣٨٤) بلفظ: إن النبي ﷺ بعثه على جيش ذات السلاسل فاتيته فقلت: أي الناس أحب إليك؟ قال: «عائشة»، فقلت: من الرجال؟ قال: «أبوها»، قلت: ثم من؟ قال: «ثم عمر بن الخطاب»، فعَدَّ رجالاً، فسكت مخافة أن يجعلني في آخرهم.

[٤٥٩] وعنه قال: اختلّمتُ في ليلة باردة في غزوة ذات السلاسل فأشفقتُ إن اغتسلتُ أن أهلك، فتيّمتُ، ثم صلّيت بأصحابي الصبح، فذكروا ذلك للنبي ﷺ فقال: «يا عمرو صلّيت بأصحابك وأنت جنب؟» فأخبرته بالذي منعني من الاغتسال، وقلت: إني سمعت الله تعالى يقول: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾، فضحك رسول الله ﷺ ولم يقل شيئاً...

وفي رواية عن أبي قيس مولى عمرو بن العاص: أن عمراً كان على سرية فأصابهم بردٌ شديدٌ لم يروا مثله، فخرج لصلاة الصبح، فقال:

احتلّمت البارحة، ولكنني والله ما رأيتُ برداً مثل هذا، فغسل مغابنه وتوضأ للصلاة ثم صلّى بهم، فلما قدم على رسول الله ﷺ سأل رسول الله ﷺ أصحابه: «كيف وجدتم عمراً وصحبته؟» فأنشأ عليه خيراً، وقالوا: يا رسول الله صلّى بنا وهو جنب، فأرسل إلى عمرو فسأله، فأخبره بذلك وبالذي لقي من البرد وقال: إن الله قال: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾...

رواه أحمد (٢٠٣/٤، ٢٠٤)، وأبو داود (٣٣٤، ٣٣٥)، وابن حبان (٢٠٢) بالموارد، والحاكم (١٧٧/١)، والبيهقي (٢٢٥/١، ٢٢٦) كلهم في الطهارة وسنده صحيح وصححه الحاكم وافقه الذهبي وصححه جماعة وهو في البخاري معلقاً في التيمم باب إذا خاف الجنب على نفسه المرض أو الموت إلخ (٤٧١/١)، وتكلّم عليه الحافظ وقوّاه (٤٧٢/١).

«فصعد في النظر» أي: تأمل فيه ناظراً إلى أعلاه وأسفله. «فغسل مغابنه» هي: بواطن الفخذين.

قوله: «ذات السلاسل» هو موضع وراء وادي القرى بينه وبين المدينة عشرة أيام وسمي بذلك إما لارتباط المشركين بعضهم إلى بعض كالسلسلة لئلا يفروا، وإما لرمال هنالك كالسلسلة. وإما لماء يقال له السلسل، أقوال، وهي من بلاد بلخ، وعُدرة، وبنو القين وهي قبائل وبطون من قضاة، ويقال لها أيضاً: غزوة لخم وجذاع، وكان سبب هذه الغزوة على ما ذكره ابن سعد (ج ٢/١٣١)، أن رسول الله ﷺ بلغه أن جمعاً من قضاة قد تجمّعوا يريدون أن يدنوا إلى أطراف رسول الله ﷺ، فدعا رسول الله ﷺ عمرو بن العاص فعقد له لواء أبيض، وجعل معه راية سوداء، وبعثه في ثلاثمائة من سراة المهاجرين والأنصار، ومعهم ثلاثون فرساً، وأمره أن يستعين بمن يمرّ به من بلخي وعُدرة وبلقين، فسار الليل وكمن النهار، فلما قرب من القوم بلغه أن لهم جمعاً كثيراً، فبعث رافع بن مكيث الجهني إلى رسول الله ﷺ يستمده فبعث إليه أبا عبيدة بن الجراح في مائتين، وعقد له لواء وبعث معه سراة المهاجرين والأنصار، وفيهم أبو بكر وعمر، وأمره أن

يلحق بعمره وأن يكونا جميعاً ولا يختلفا، فلحق بعمره قال: وسار حتى وطىء بلاد بِلْيَ ودوخها، حتى أتى إلى أقصى بلادهم، وبلاد عذرة وبلقين، ولقي في آخر ذلك جمعاً فحمل عليهم المسلمون فهربوا في البلاد وتفترقوا، فلم يتبعهم، فجمعوا غنائمهم ورجعوا سالمين ظافرين، وكانت هذه الغزوة عند الجمهور في جمادى الآخرة سنة ثمان من الهجرة.

وفي جملة ما ذكرناه من الأحاديث أحكام وفوائد:

فمنها: جواز تأمير المفضول على الفاضل إذا كان في المفضول صفة تتعلق بالولاية ليست في الفاضل، فإن تأمير النبي ﷺ عمرو بن العاص على جيش فيه أبو بكر وعمر كان لما فيه من العلم والمعرفة بالشؤون الحربية.

ومنها: منقبة لعمر بن العاص؛ حيث أمره النبي ﷺ على أكابر المهاجرين والأنصار وساداتهم، غير أن ذلك لا يدل على أفضليته عليهم، ولكنه يقتضي أن له فضلاً في الجملة.

ومنها: مدح المال الحلال للرجل الطيب الروح، وأنه يكون له بلغة وعوناً على دينه، وهذا بخلاف الرجل الخبيث النفس، فإن المال يزيده طغياناً وفساداً، وعليه يُحمل قوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظٌ ۚ﴾ (٦) ﴿أَنْ رَأَاهُ اسْتَفْتَى ۙ﴾ (٧)، وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ ۗ﴾.

ومنها: فضل الصديق وعائشة رضي الله تعالى عنهما وأنها كانا أحب الناس إلى رسول الله ﷺ، وهذا قد يحمل على الناس الأجانب. أما الأقارب، فأحب الناس إليه بضعته مولاننا فاطمة، وريحانته سيدنا الحسن وسيدنا الحسين، وأبوهما الإمام عليّ عليهم السلام، وهم أصحاب الكساء الذين جللهم به، وقال: «اللَّهُمَّ هؤُلاءِ أَهْلُ بَيْتِي فَأَذِيبْ عَنْهُمْ الرِّجْسَ وَطَهِّرْهُمْ تَطْهِيراً».

ومنها: أن عمرو بن العاص لما رأى ما فعله معه رسول الله ﷺ من تقديمه في الإمارة واختياره على غيره، ظن أن له فضلاً على غيره، وأنه أحب الناس إلى رسول الله ﷺ، فسأل النبي ﷺ عن أحب الناس إليه،

فذكر له ما في الحديث، فسكت خشية أن يجعله آخر الناس، ومع ذلك فإن له فضلاً ومزية.

ومنها: جواز التيمم خوفاً من التضرر بالماء البارد، وهذا قد تقدم في الطهارة.

ومنها: وقوع الاجتهاد أيام النبوة وجواز العمل بعموم النصوص، وهذا مما لا ينبغي أن يختلف فيه لتضافر الأدلة على ذلك.

✽ غزوة سيف البحر وهي غزوة جيش الخبّط

[٤٦٠] عن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما قال: بعثنا رسول الله ﷺ ثلاثمائة راكب أميرنا أبو عبيدة بن الجراح نرصد عير قريش، فأقمنا بالساحل نصف شهر، فأصابنا جوع شديد، حتى أكلنا الخبّط، فسمي ذلك الجيش جيش الخبّط، فألقى لنا البحر دابةً يقال لها العنبر، فأكلنا منه نصف شهر، وأذهتاً من ودكته حتى ثابت إلينا أجسامنا، فأخذ أبو عبيدة ضلعاً من أضلاعه فنصبه، فعمد إلى أطول رجل معه. وفي رواية: وأخذ رجلاً وبعبيراً فمرّ تحته، قال جابر: وكان رجل من القوم نحر ثلاث جزائر، ثم نحر ثلاث جزائر، ثم نحر ثلاث جزائر، ثم إن أبا عبيدة نجاه.

وفي رواية: بعث رسول الله ﷺ بعثاً قبيل الساحل، وأمر عليهم أبا عبيدة بن الجراح، وهم ثلاثمائة، فخرجنا وكنا ببعض الطريق فبني الزاد، فأمر أبو عبيدة بأزواد الجيش فجمع فكان مِزْوَدَ تمر، فكان يقوتنا كل يوم قليلاً قليلاً، حتى فني، فلم يكن يصيبنا إلا تمرّة تمرّة، فقلت: وما تُغني عنكم تمرّة؟ فقال: لقد وجدنا فقدها حين فنيّت، ثم انتهينا إلى البحر فإذا حوت مثل الطّرب، فأكل منه القوم ثمان عشرة ليلة.

وفي رواية: فلما قدمنا المدينة ذكرنا ذلك للنبي ﷺ فقال: «كلوا

رزقاً أخرجه الله، أطعمونا إن كان معكم»، فاتاه بعضهم بعضو فأكله.

وفي رواية: بعثنا رسول الله ﷺ وأمر علينا أبا عبيدة نلتقى عيراً لقريش، وزودنا جراباً من تمر لم يجد لنا غيره، فكان أبو عبيدة يعطينا ثمرة تمر، قال: فقلت: كيف كنتم تصنعون بها؟ قال: نمصها كما يمض الصبي، ثم نشرب عليها من الماء فتكفينا يومنا إلى الليل، وكنا نضرب بعضينا الخبط، ثم نبله بالماء فنأكله، قال: وانطلقنا على ساحل البحر فرفع لنا على ساحل البحر كهيئة الكثيب الضخم، فأتيناها فإذا هي دابة تدعى العنبر، قال: قال أبو عبيدة: مينة، ثم قال: لا بل نحن رسل رسول الله ﷺ وفي سبيل الله وقد اضطررتم فكلوا، قال: فأقمنا عليه شهراً ونحن ثلاثمائة حتى سمئنا، قال: ولقد رأيتنا نغترف من وقب عينه بالقلال الدهن، ونقتطع منه القدر كالثور أو كقدر الثور، فلقد أخذ منا أبو عبيدة ثلاثة عشر رجلاً فأعدهم في وقب عينه، وأخذ ضلعاً من أضلاعه فأقامها ثم رحل أعظم بعير معنا فمر من تحتها وتزودنا من لحمه وشائق، فلما قدمنا المدينة أتينا رسول الله ﷺ فذكرنا ذلك له، فقال: «هو رزق أخرجه الله لكم، فهل معكم من لحمه شيء فتطعمونا»، قال: فأرسلنا إلى رسول الله ﷺ منه فأكله.

وفي رواية: بعث رسول الله ﷺ بعثاً إلى جهينة واستعمل عليهم رجلاً.

رواه البخاري في الشركة (٢٤٨٣) وفي الجهاد (٢٩٨٣) وفي المغازي (٤٣٦٠، ٤٣٦١) (ج ١٤٠/٩، ١٤٤) وفي الذبائح (٥٤٩٣، ٥٤٩٤)، ومسلم في الصيد والذبائح باب إباحة ميتات البحر (٨٤/١٣، ٨٩)، واختص بالروایتين الأخيرتين.

«سيف البحر» بكسر السين هو ساحله. قوله: «نرصد» بضم الصاد في رواية: «نلتقى عيراً لقريش»، وفي رواية لمسلم: «بعثنا إلى أرض جهينة»، ويأتي الجمع بين ذلك. قوله: «نأكل الخبط» بفتح الخاء والباء هو ورق السلم. «فأكلنا منه نصف شهر» في رواية للبخاري في الجهاد: «ثمانية عشر

يوماً»، وفي رواية لمسلم: «فأقمنا عليه شهراً» وقد جمع بين هذه الروايات القاضي عياض في إكمال المعلم (٣٧٧/٦)، والنووي في شرح مسلم (٨٨/١٣)، والحافظ في الفتح (١٤١/٩) ورجح النووي رواية الشهر لأنها زيادة.

«بؤذكِهِ» الودك بفتحيتين هو دسم اللحم. «جزائر» جمع جزور وهو الجمل. «وقب عينه» بفتح الواو هي القطع. «وشائق اللحم» هي أن تغلى غلاء قبل نضجها ثم تحمل في الأسفار لثلاثا تنتن.

كانت هذه الغزوة في رجب من السنة الثامنة، بعث النبي ﷺ ثلاثمائة مقاتل إلى بلاد جهينة لترقب عير قريش وترصده، غير أن في ذلك إشكالاً من ناحيتين: من ناحية كون ذلك الوقت كان النبي ﷺ لا يزال مهادناً لكفار قريش وهو لا يتصور منه نقض العهد أبداً. ومن ناحية أخرى كان ذلك في شهر رجب وهو من أشهر الحرم، وقد يجاب عن الأول بأنه يحتمل أن يكون وقع ذلك بعد ما نقض كفار قريش العهد بمساعدتهم لبني بكر على خزاعة، وما وقع فتح مكة إلا بسبب ذلك، وقد كان الفتح في رمضان وهو قريب من رجب، أفاده ولي الدين العراقي في «شرح التقريب». أما الثاني، فقد يكون بعد نسخ النهي عن القتال في الأشهر الحرم أو يكون في أواخر رجب بحيث لا يصلون إلى مقصدهم إلا في شعبان... ولا مناص من هذا التأويل.

وفي الحديث مشروعية المواساة عند اشتداد المجاعة، وفيه حصول البركة في طعامهم القليل واكتفاؤهم في يومهم بتمر واحدة يمتصونها ويشربون عليها الماء، وتلك كرامة أكرمهم الله تعالى بها، وفيه لطف الله ورفقه بهم، حيث أخرج لهم من البحر تلك الدابة العظيمة حتى أكلوا منها شهراً حتى سمئوا وصحوا، وهي كرامة أخرى تفضل الله بها عليهم.

وفيه إباحة ما يرميه البحر من حيوانه ولا ينبغي أن يختلف في شيء من ذلك كيفما كان نوعه أو شكله؛ لعموم قوله تعالى: «أجل لكم صيد البحر وطعامه»، وللفقهاء أنظار في ذلك لا ينبغي أن يشتغل بها ويعتمد

عليها بعد هذه الآية، وبعد قول النبي ﷺ: «هو الطهور ماؤه الحِلُّ مَبْتَتَه»،
رواه أحمد وأهل السنن وتقدم في الطهارة.

✽ الفتح الأكبر فتح مكة المكرمة وقت هذه الغزوة

[٤٦١] عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن النبي ﷺ خرج في
رمضان من المدينة ومعه عشرة آلاف، وذلك على رأس ثمان سنين ونصف
من مقدمه المدينة، فسار هو ومن معه من المسلمين إلى مكة يصوم
ويصومون حتى بلغ الكديد، وهو ماء بين عسفان وقديد أظروا.

رواه البخاري في المغازي (٦٣/٩، ٦٥) وفي الصيام رقم (١٩٤٨)،
ومسلم في الصيام (٢٣١/٧، ٢٣٢) وتقدم في الصيام، وفيه: أظروا
فلم يزل مفطراً حتى انسلخ الشهر.

«الكديد» بفتح الكاف وكسر الدال، وقديد بضم القاف مصغراً، وقد
تقدم بيان موضعهما كعسفان.

الحديث يدل على أن الفتح كان في رمضان وهو إجماع، وإنما
اختلفوا في اليوم؛ فعند ابن إسحاق عن مشايخه أنه كان في عشر بقين من
رمضان في يوم الجمعة، وعلى هذا الجمهور وقيل غير ذلك، وفيه أن
الصحابة الذين رافقوا النبي ﷺ في هذا الفتح كانوا عشرة آلاف فيهم
المهاجرون والأنصار وأقوام من أسلم وغفار، ومزينة وجُهينة وسليم.

وقوله: «على رأس ثمان سنين ونصف» قال الحافظ وغيره: وهو
وهم، والصواب على رأس سبع سنين ونصف، وهذا متفق عليه بين علماء
السيرة وغيرهم، وفيه أن النبي ﷺ وأصحابه خرجوا من المدينة صائمين
حتى وصلوا الكديد، فأظروا وأمر أصحابه أن يُفطروا ودخلوا مكة
مُفطرين ومكثوا فيها بقية رمضان مفطرين.

[٤٦٢] وكان لهذه الغزوة سبب باتفاق علماء السيرة وهو ما رواه ابن
إسحاق بسند صحيح كما نقله ابن هشام (٣٠/٤)، والبيهقي في الدلائل (٥/٥)،
(٧)، وابن كثير في السيرة (٥٢٦/٣) من حديث المسور بن مخرمة رضي الله
تعالى عنه ومروان بن الحكم أنهما حدثا قالا: كان في صلح رسول الله ﷺ
يوم الحديبية بينه وبين قريش أنه من شاء يدخل في عقد محمد وعهده دخل،
ومن شاء أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل، فتوالت خزاعة فقالوا: نحن
ندخل في عقد محمد ﷺ وعهده، وتوالت بنو بكر فقالوا: نحن ندخل في
عقد قريش وعهدهم، فمكثوا في تلك الهدنة نحو السبعة والثمانية عشر شهراً،
ثم إن بني بكر وثبوا على خزاعة ليلاً بماء لهم يقال له الوتير قريب من مكة،
فقاتلت قريش: ما يعلم بنا محمد وهذا الليل وما يرانا أحد، فأعانوهم بالكراع
والسلاح، فقاتلوهم معه للطعن على رسول الله ﷺ، فركب عمرو بن سالم
إلى رسول الله ﷺ فأخبره بما حصل وأنشده أبياتاً من شعره، منها قوله:

يا رب إني ناشدُ محمداً حلف أبينا وأبيه الأثلدا
قد كنتم ولدأ وكننا والدا نمة أسلمنا فلم نخرغ يدا
فانصر رسول الله نصراً أعتدا وادع عباد الله يأتوا مددا

إلى آخر ما قال. فقال رسول الله ﷺ: «نصرت يا عمرو بن سالم»،
فما برح رسول الله ﷺ أن مرّت عنانته في السماء، فقال ﷺ: «إن هذه
السحابة لتستهل بنصر بني كعب»، ولهذه القصة شواهد.
فكان سبب هذه الغزوة إذاً؛ نكث كفار قريش عهد النبي ﷺ بقتالهم
حلفاءه خزاعة.

✽ رسالة حاطب بن أبي بلتعة إلى كفار قريش

[٤٦٣] عن علي رضي الله تعالى عنه قال: بعثني رسول الله ﷺ أنا
والزبير والمقداد، فقال: «انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ، فإن بها ظعينة معها

كِتَابٍ فَخَذُوهُ مِنْهَا»، قال: فانطلقنا تَعَادَى بنا حَيْلُنَا حتى أتينا الروضة، فإذا نحن بالظعينة، قلنا لها: أَخْرِجِي الكِتَابَ فقالت: ما معي كتاب، فقلنا: لَتُخْرِجَنَّ الكِتَابَ أو لَتُلْقِيَنَّ الثياب، فأخرجته من عقاصها. وفي رواية: فَأَنْخَنَاهَا فَالْتَمَسْنَا فلم نَرَ كِتَابًا، فقلنا: ما كَذَبَ رسول الله ﷺ لتخرجن الكتاب أو لَتُجَرِّدَنَّكِ، فلما رأت الجدَّ أَهْوَتْ إلى حُجْرَتِهَا وهي محتجزة بِكِسَاءٍ، فأخرجته من عقاصها، فأتينا به رسول الله ﷺ فإذا فيه: من حاطب بن أبي بَلْتَعَةَ إلى ناس بمكة من المشركين يُخبرهم ببعض أمر رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «يا حاطب ما هذا؟» قال: يا رسول الله لا تعجل عليَّ إني كنت امرأةً مُلْصَقًا في قريش، يقول: كنت حليفًا، ولم أكن من أنفُسِهَا، وكان من معك من المهاجرين من لهم قرابات يَحْمُونَ أهلِيهم وأموالهم، فأحببتُ إذ فاتني ذلك من النسب فيهم أن أتخذ عندهم يدًا يَحْمُونَ قرابتي، ولم أفعله ارتداداً عن ديني، ولا رضاً بالكفر بعد الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: «أما إنه قد صدقكم»، فقال عمر: يا رسول الله دَغْنِي أضرب عُنُقَ هذا المنافق. فقال: «إنه قد شهد بدراناً، ما يدريك لعلَّ الله اطلع على من شهد بدراناً، فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم»، فأنزل الله السورة: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ حَرَجْتُمْ جِهَدًا فِي سَبِيلِي وَآيَاتِي مَرْضَانِي تُشْرُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١﴾».

رواه أحمد (٨٠/١)، والبخاري في الجهاد وفي المغازي وفي غزوة بدر (٣٠٧/٨) وفي التفسير (٢٥٨/١٠، ٢٥٩)، ومسلم في الفضائل (٢٤٩٤)، وأبو داود (٢٦٥٠، ٢٦٥١)، والترمذي في التفسير (٣٠٨٨) وقد تقدم في التفسير وما فيه فأغنى عن إعادة ذلك، وسيأتي أيضاً في الفضائل.

والشاهد منه هو كتابة حاطب الرسالة إلى قريش يُخبرهم بسر من أسرار رسول الله ﷺ، وتلك خيانة عظمى وجريمة شنعاء، ولولا أنه بدري وأهل بدر مغفور لهم لكان له وللنبي ﷺ شأن.

❁ سِياقَةُ قِصَّةِ الْفَتْحِ وَمَا حَصَلَ قَبْلَهُ وَعِنْدَهُ وَبَعْدَهُ مِنْ أَحْدَاثٍ: كِتْمَانِ الرَّسُولِ وَجِهَتِهِ عَنْ أَصْحَابِهِ

[٤٦٤] عن عائشة رضي الله تعالى عنها أن أبا بكر رضي الله تعالى عنه دخل عليها وهي تُعْزِلُ حَنْطَةَ، فقال: ما هذا؟ أمركم رسول الله ﷺ بالجهاز؟ قالت: نعم فَتَجَهَّزْ، قال: وإلى أين؟ قالت: ما سمى لنا شيئاً غير أنه قد أمرنا بالجهاز.

رواه ابن إسحاق - ابن هشام (٣٨/٤) بسند صحيح، وأورده الهيثمي (١٦١/٦) من طريق آخر، وعزاه لأبي يعلى ورجاله رجال الصحيح غير حزام بن هشام بن حبيش، وقد وثقهما ابن حبان.

في الحديث مشروعية تعمية الأخبار عن الأعداء وكتمان سر وجهه الجيوش، وقد كان ذلك من هديه ﷺ، كما في هذا الحديث، فإنه أمر أهله بالجهاز للسفر وما بيّن لهم وجهه اتجاهه، وهكذا جاء في حديث كعب بن مالك الطويل الآتي في غزوة تبوك، حيث قال: «كان إذا سافر ورى بجهته»... يعني عمل التورية.

❁ إِسْلَامُ أَبِي سَفْيَانَ بْنِ الْحَارِثِ وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي أُمِيَّةٍ وَأَبِي سَفْيَانَ بْنِ صَخْرٍ قَبْلَ الْفَتْحِ

[٤٦٥] عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: ثم مضى رسول الله ﷺ لسفره واستخلف على المدينة أبا رُهم كلثوم بن الحصين بن عتبة الغفاري، وخرج لعشر مضي من رمضان، فصام رسول الله ﷺ وصام الناس معه، حتى إذا كانوا بالكديد بين عسفان وأميح أظفر ثم مضى حتى نزل مَرَّ الظُّهْرَانِ في عشرة آلاف من المسلمين، فسبعت سُلَيْمٌ، وألقت مُزَيْنَةُ وفي كل القبائل عدد وإسلام، وأوعب مع رسول الله ﷺ المهاجرون والأنصار، فلم يتخلف عنه منهم أحد، وقد عميت الأخبار على قريش، فلا

يأتيهم خبر رسول الله ﷺ ولا يدرون ما هو صانع، وكان أبو سفيان بن الحارث، وعبدالله بن أبي أمية بن المغيرة قد لقيا رسول الله ﷺ بثنية العقاب فيما بين مكة والمدينة، فالتمسا الدخول عليه، فكلمته أم سلمة رضي الله تعالى عنها فقالت: يا رسول الله ابن عمك، وابن عمتك، وصهرك، فقال: «لا حاجة لي فيهما، أما ابن عمي فهتك عِزِّي، وأما ابن عمتي وصهري فهو الذي قال لي بمكة ما قال»، فلما خرج الخبر إليهما بذلك ومع أبي سفيان بن الحارث ابن له، فقال: والله ليأذنتن رسول الله ﷺ أو لأخذن بيد ابني هذا، ثم لنذهبن في الأرض حتى نموت عطشاً أو جوعاً، فلما بلغ ذلك رسول الله ﷺ رقى لهما فدخلا عليه، فأنشد أبو سفيان قوله في إسلامه واعتذاره مما كان مضى فيه، فقال: لعمرك إني يوم أحمل راية، لتغلب خيل اللات خيل محمد، لكالمُدْلج الحَيْرَانِ أَظْلَمَ لِيْه، فهذا أوان الحق أهدي وأهتدي، فقل لثقيف لا أريد قتالكم، وقل لثقيف تلك عندي، فأوعدي، إلى آخر ما قال.

فلما أنشد رسول الله ﷺ إلى الله من طردت كل مطرد، ضرب رسول الله ﷺ في صدره، فقال: «أنت طردتني كل مطرد»، قال:

فلما نزل رسول الله ﷺ بمر الظهران قال العباس: واصباح قريش، والله لئن دخل رسول الله ﷺ مكة عنوة قبل أن يستأمنوه إنه لهلاك قريش آخر الدهر. قال العباس: فجلست على بغلة رسول الله ﷺ البيضاء، فخرجت عليها حتى جئت الأراك، فقلت: لعلي ألقى بعض الحطابة، أو صاحب لبن، أو ذا حاجة، يأتي مكة فيخبرهم بمكان رسول الله ﷺ فيستأمنوه قبل أن يدخلها عنوة، قال: فوالله إني لأسير عليها وألتمس ما خرجت له، إذ سمعت كلام أبي سفيان، وبديل بن ورقاء، وهما يتراجعان، وأبو سفيان يقول: ما رأيت كالليوم قط نيراناً ولا عسكرياً، قال: يقول بديل: هذه والله نيران خزاعة قد حمشها الحرب، فقال أبو سفيان: خزاعة والله أقل وأذل من أن تكون هذه نيرانها وعسكرها. فقلت: يا أبا حنظلة تعرف صوتي؟ فقال: أبو الفضل؟ قلت: نعم، قال: ما لك فداك أبي وأمي؟ فقلت: هذا والله رسول الله ﷺ في الناس، واصباح قريش، قال: فما

الحيلة فداك أبي وأمي؟ قال: قلت: والله لئن ظفر بك ليضربن عنقك فازكب عجز هذه البغلة، فركب ورجع صاحبا، فخرجت به فكلما مررت بنار من نيران المسلمين، فقالوا: ما هذا؟ فإذا رأوا بغلة رسول الله ﷺ عليها عمه العباس قالوا: هذه بغلة رسول الله ﷺ عليها عمه، حتى مررنا بنار عمر بن الخطاب، فقال: من هذا؟ وقام إلي فلما رآه على عجز البغلة عرفه، فقال: والله عدو الله الحمد لله الذي أمكن منك، فخرج يشتد نحو رسول الله ﷺ ودخل، ورفعت البغلة فسبقته بقدر ما تسبق الدابة البطيئة الرجل البطيء، فاقترحت عن البغلة، فدخلت على رسول الله ﷺ ودخل عمر، فقال: هذا عدو الله أبو سفيان قد أمكن الله منه في غير عهد ولا عقد، فدعني أضرب عنقه، فقلت: قد أجرته يا رسول الله، ثم جلست إلى رسول الله ﷺ فأخذت برأسه، فقلت: والله لا يناجيه الليلة رجل دوني، فلما أكثر عمر قلت: مهلاً يا عمر، فوالله لو كان رجلاً من بني عدي ما قلت هذا، ولكنه من بني عبد مناف، فقال: مهلاً يا عباس، لا تقل هذا فوالله لإسلامك حين أسلمت كان أحب إلي من إسلام الخطاب أبي لو أسلم، وذلك أني عرفت أن إسلامك أحب إلي رسول الله ﷺ من إسلام الخطاب، فقال رسول الله ﷺ: «يا عباس، اذهب به إلى رحلك، فإذا أصبحت فاتني به»، فذهبت به إلى الرحل فلما أصبحت غدوت به، فلما رآه رسول الله ﷺ قال: «ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أن لا إله إلا الله؟» فقال: بأبي وأمي ما أحلمك، وأكرمك، وأوصلك، وأعظم عفوك، لقد كاد أن يقع في نفسي أن لو كان إله غيره لقد أغنى شيئاً بعد، فقال: «ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أني رسول الله»، فقال: بأبي وأمي ما أحلمك، وأكرمك، وأوصلك، وأعظم عفوك، أما هذا فكان في النفس منها حتى الآن شيء، قال العباس: فقلت: ويلك أسلم واشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله قبل أن يضرب عنقك، فشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، قال العباس: فقلت: يا رسول الله إن أبا سفيان يحب الفخر فاجعل له شيئاً، فقال: «نعم، من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن أغلق بابَه فهو آمن»، فلما انصرف إلى مكة ليخبرهم قال

رسول الله ﷺ: «احبسه بمضيق من الوادي عند حطم الخيل حتى تمر به جنود الله تعالى»، فحبسه العباس حيث أمره رسول الله ﷺ فمَرَّت القبائل على ركبها، فكلما مرت قبيلة قال: من هذه؟ فأقول: بنو سُليم، فيقول: ما لي ولبنو سليم، ثم تمر أخرى فيقول: ما هؤلاء؟ فأقول: مزينة، فيقول: ما لي ولمزينة، فلم يزل يقول ذلك حتى مَرَّت كتيبة رسول الله ﷺ الخضراء فيها المهاجرون والأنصار، لا يرى منهم إلا الحدق، قال: من هؤلاء؟ فقلت: هذا رسول الله ﷺ في المهاجرين والأنصار، فقال: ما لأحد بهؤلاء قَبْل، والله لقد أصبح مُلْكُ ابن أخيك اليومَ لعظيم، فقلت: ويحك يا أبا سفيان إنها النبوة، قال: فنعم إذاً، فقلت: النجاء إلى قومك، فخرج حتى أتاهم بمكة فجعل يصيح بأعلى صوته: يا معشر قريش، هذا محمد قد أتاكم بما لا قَبْل لكم به، فقامت امرأته هند بنت عتبة وأخذت بشاربه فقالت: اقتلوه الحَمِيَّة، الدِّسيم، فبئس طليعة قوم، فقال أبو سفيان: لا يغرنكم هذه من أنفسكم، من دخل دارَ أبي سفيان فهو آمِن، فقالوا: ويحك ما تغني عنا دارك؟ قال: ومن أغلق بابَه فهو آمِن، ومن دخل المسجد فهو آمِن، ففتَرَق الناس إلى دورهم وإلى المسجد.

رواه الحاكم (٤٣/٣، ٤٤) مختصراً وصححه على شرط مسلم ووافقه الذهبي وأورده النور برواية الطبراني مطولاً (١٦٤/٦، ١٦٧)، وقال: رجاله رجال الصحيح، وجاء بسياق آخر وهو الآتي:

✽ دخول النبي ﷺ من كداء بأعلى مكة ورُكزت الراية بالحجون

[٤٦٦] عن عروة رضي الله تعالى عنه قال: لما سار رسول الله ﷺ عام الفتح، فبلغ ذلك قريشاً خرج أبو سفيان بن حرب، وحكيم بن جزام، وبُدَيْل بن ورقاء يلتمسون الخبر عن رسول الله ﷺ، فأقبلوا يسرون حتى أتوا مَرَّ الظهران، فإذا هم بنيران كأنها نيران عرفة، فقال أبو سفيان: ما

هذه؟ لكانها نيران عرفة؟ فقال بدیل بن ورقاء: نيران بني عمرو، فقال أبو سفيان: عمرو أقل من ذلك، فراهم ناس من حرس رسول الله ﷺ، فأدركوهم فأخذوهم فأتوا بهم رسول الله ﷺ، فأسلم أبو سفيان، فلما سار قال للعباس: «احبس أبا سفيان عند خَطْمِ الجبل حتى ينظر إلى المسلمين»، فحبسه فجعلت القبائل تمر مع النبي ﷺ تمر كتيبة كتيبة على أبي سفيان، فمَرَّت كتيبة قال: يا عباس من هذه؟ قال: هذه غفار، فذكر مثل ما تقدم من الكتاب، ثم قال: حتى أقبلت كتيبة لم يَرَ مثلها، قال: من هذه؟ قال: هؤلاء الأنصار عليهم سعد بن عبادَة معه الراية، فقال سعد بن عبادَة: يا أبا سفيان اليوم يوم الملحمة اليوم تستحل الكعبة، فقال أبو سفيان: يا عباس حبذا يومُ الذمَارِ، ثم جاء كتيبة وهي أقل الكتاب فيهم رسول الله ﷺ وأصحابه وراية النبي ﷺ مع الزبير بن العوام، فلما مَرَّ رسول الله ﷺ بأبي سفيان قال: ألم تعلم ما قال سعد بن عبادَة؟ قال: «ما قال؟»، قال: كذا وكذا، فقال: «كذب سعد، ولكن هذا يومُ يُعْظَمُ الله فيه الكعبة، ويوم تُكسى فيه الكعبة»، قاله وأمر رسول الله ﷺ أن تُرَكَّز رايته بالحجون.

رواه البخاري في فتح مكة من المغازي (٦٥/٩، ٦٩)، والحديث وإن كان ظاهره الإرسال فإنه متصل عن نافع بن جبير عن العباس كما في آخر الحديث. [٤٦٧] وعن عائشة رضي الله تعالى عنها: أن النبي ﷺ دخل عام الفتح من كداء بأعلى مكة. رواه البخاري (٧٩/٩) ومثله عنده عن الزبير رضي الله تعالى عنه.

✽ كيف رتب النبي ﷺ الجيش عند دخوله مكة وماذا قال لهم وما صدر من الأنصار بعد الفتح وماذا قال لهم النبي ﷺ وطوافه بالبيت

[٤٦٨] عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أنه ذكر فتح مكة، فقال: أقبل رسول الله ﷺ حتى قدم مكة، فبعث الزبير على إحدَى الْمُجَنَّبَتَيْنِ،

وبعث خالدًا على المجنبة الأخرى، وبعث أبا عبيدة على الحُسْر فأخذوا بطن الوادي، ورسول الله ﷺ في كتيبة، قال: فنظر فرآني فقال: «أبو هريرة!» قلت: لبيك يا رسول الله، قال: «اهتف لي بالأنصار»، وفي رواية: «لا يأتيني إلا أنصاري»، قال: فأطافوا به، ووبَّسَتْ قريشٌ أوباشاً لها وأتباعاً، فقالوا: نقدم هؤلاء، فإن كان لهم شيء كنا معهم، وإن أصيبوا أعطينا الذي سُئِلنا، فقال رسول الله ﷺ: «تَرَوْنَ إِلَى أُوَيْشِ قَرِيشٍ وَأَتْبَاعِهِمْ»، ثم قال بيده إحداهما على الأخرى، ثم قال: «حتى توافوني بالصفاء»، قال: فانطلقنا، فما شاء أحد منا أن يقتل أحداً إلا قتله، وما أحد منهم يوجه إلينا شيئاً، قال: فجاء أبو سفيان، فقال: يا رسول الله أُبَيِّحَتْ خَضْرَاءُ قَرِيشٍ لَا قَرِيشٍ بَعْدَ الْيَوْمِ، ثم قال ﷺ: «من دخل دار أبي سفيان فهو آمن»، فقالت الأنصار بعضهم لبعض: أما الرجل فأدركنه رغبةً في قريته ورأفةً بعشيرته، قال أبو هريرة: وجاء الوحي، وكان إذا جاء الوحي لا يخفى علينا، فإذا جاء فليس أحد يرفع طَرْفَهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَتَّى يَنْقُضِيَ الْوَحْيَ، فلما انقضى الوحي قال رسول الله ﷺ: «يا معشر الأنصار»، قالوا: لبيك يا رسول الله، قال: «قلت: أما الرجل فأدركنه رغبةً في قريته»، قالوا: قد كان ذلك، قال: «كلا، إني عبدُ الله ورسولُه هاجرتُ إِلَى اللَّهِ وَالْيَكْمِ، وَالْمَخِيَا مَخِيَاكُمْ، وَالْمَمَاتُ مَمَاتُكُمْ»، فأقبلوا إليه ليكون ويقولون: والله ما قلنا الذي قلنا إلا الضَّنُّ بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ، فقال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُصَدِّقَانِكُمْ وَيُغْدِرَانِكُمْ»، قال: فأقبل الناس إلى دار أبي سفيان وأغلق الناس أبوابهم، قال: وأقبل رسول الله ﷺ حَتَّى أَقْبَلَ إِلَى الْحَجَرِ فَاسْتَلَمَهُ ثُمَّ طَافَ بِالْبَيْتِ، قَالَ: فَآتَى عَلَى صَنْمٍ إِلَى جَنْبِ الْبَيْتِ كَانُوا يَعْبُدُونَهُ، قَالَ: وَفِي يَدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَوْسٌ وَهُوَ آخِذٌ بِسِيَةِ الْقَوْسِ، فَلَمَّا أَتَى عَلَى الصَّنَمِ جَعَلَ يَطْعُمُهُ فِي عَيْنِهِ، وَيَقُولُ: «جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ»، فَلَمَّا فَرَّغَ مِنْ طَوَافِهِ أَتَى الصِّفَا فَعَلَا عَلَيْهِ حَتَّى نَظَرَ إِلَى الْبَيْتِ وَرَفَعَ يَدَيْهِ، فَجَعَلَ يَحْمَدُ اللَّهَ وَيَدْعُو بِمَا شَاءَ أَنْ يَدْعُو. وَفِي رِوَايَةٍ: «يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ هَلْ تَرَوْنَ أُوَيْشَ قَرِيشٍ؟» قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: «انظُرُوا إِذَا لَقَيْتُمُوهُمْ غَدًا أَنْ تَخْضُدُوهُمْ خَضْدًا»، وَأَخْفَى بِيَدِهِ وَوَضَعَ يَمِينَهُ عَلَى شِمَالِهِ،

وقال: «موعدكم الصفا»، قال: فما أشرف يومئذ لهم أحدٌ إلا أَنَامُوهُمْ، وفيه... ومن ألقى السلاح فهو آمن، ومن أغلق بابه فهو آمن.

رواه مسلم في الجهاد (١٢٦/١٢، ١٢٣)، وأبو داود في الخراج (٣٠٢٤)، وكذا أحمد (٥٣٨/٢).

قوله: «المجنبتين» بضم الميم وفتح الجيم وكسر النون المشددة تشنية مجنبة، المجنبة من الجيش هي الميمنة، فإن للجيش ميمنة، وميسرة ومقدمة، ومؤخرة، والوسط يكون فيه القائد. وقوله: «الحسر» بضم الحاء وفتح السين المشددة هم الرجال الذين لا دروع عليهم. قوله: «ووبشت» بفتحات مع تشديد الباء أي: جمعت أوباشاً وجموعاً من قبائل شتى. وقوله: «احصدوهم حصداً» بضم الصاد وكسرها أي: اقتلوهم قتلاً وأبيدوهم. وقوله: «المحيا محياكم» إلخ، معناه محل حياتي وموتي معكم بالمدينة. وقوله: «فما أشرف يومئذ لهم أحدٌ إلا أَنَامُوهُ» أي: فما ظهر أحد يريد القتال إلا قتلوه وطرحوه على الأرض كالنائم.

❁ الإذن لرسول الله ﷺ بالقتال بمكة وتحطيمه الأصنام ودخوله الكعبة وصلاته بها

[٤٦٩] عن أبي شُرَيْحٍ الْعَدَوِيِّ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ لِعَمْرُو بْنِ سَعِيدٍ وَهُوَ يَبْعَثُ الْبُعُوثَ إِلَى مَكَّةَ: إِذْ ذُنَّ لِي أَيُّهَا الْأَمِيرُ أَحَدْتُكَ قَوْلًا قَامَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْغَدَ مِنَ الْفَتْحِ سَمِعْتَهُ أُذُنَايَ، وَوَعَاهُ قَلْبِي، وَأَبْصَرْتُهُ عَيْنَايَ حِينَ تَكَلَّمَ بِهِ، أَنَّهُ حَمَدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ مَكَّةَ حَرَّمَهَا اللَّهُ تَعَالَى وَلَمْ يُحَرِّمْهَا النَّاسُ، لَا يَحِلُّ لِمَرِيءٍ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يَسْفِكَ بِهَا دَمًا، وَلَا يَغْضِبَ بِهَا شَجْرًا، فَإِنْ أَحَدٌ تَرَخَّصَ لِقِتَالِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِيهَا، فَقُولُوا لَهُ: إِنَّ اللَّهَ إِذَنْ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَلَمْ يَأْذَنْ لَكُمْ، وَإِنَّمَا أُذُنٌ لَهُ فِيهِ سَاعَةٌ مِنْ نَهَارٍ، وَقَدْ عَادَتْ حَرَمَتُهَا الْيَوْمَ كَحَرَمَتِهَا بِالْأَمْسِ، وَلِيَبْلُغَ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ».

رواه البخاري في المغازي (٨١/٩)، ومسلم في الحج (١٢٧/٩)،
(١٢٨)، والترمذي وغيرهم.

[٤٧٠] وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: لما فتح الله عز وجل على رسول الله ﷺ مكة قام في الناس فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «إن الله حبس عن مكة الفيل، وسلط عليها رسوله والمؤمنين، وإنها لن تحل لأحدٍ كان قبلي وأنها أحلت لي ساعة من نهار، وأنها لن تحل لأحد بعدي» الحديث.

رواه البخاري في العلم وفي الحج، ومسلم فيه (١٢٨/٩، ١٢٩) وتقدم كسابقه ولاحقه في الحج.

[٤٧١] وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ يوم فتح مكة: «إن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات والأرض، فهو حرامٌ بحرمته الله إلى يوم القيامة، وأنه لا يحل القتال فيه لأحد قبلي، ولم يحل لي إلا ساعة من نهار».

رواه البخاري (٤٠٨/٤، ٤٢٠)، ومسلم (١٢٣/٩، ١٢٦) كلاهما في الحج.

«أن يسفك» أي: يُريق بها دم مسلم ظلماً و«لا يعضد» أي: لا يقطع.
«حبس عن مكة» أي: منعه من هدم الكعبة واستحلال الحرم.

[٤٧٢] وعن عبدالله بن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: دخل النبي ﷺ مكة يوم الفتح وحول البيت ستون وثلاثمائة نُصْب، فجعل يَطْعُنُهَا بعود في يده، ويقول: «جاء الحق وزهق الباطل»، «جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ».

رواه البخاري في المغازي (٧٧/٩) وفي التفسير، ومسلم في الجهاد (١٣٣/١٢)، والترمذي في تفسير بني إسرائيل (٢٩٣٦).

[٤٧٣] وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: دَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ البيت، وجد فيه صورة إبراهيم وصورة مريم، فقال ﷺ: «أما لهم فقد

سَمِعُوا أَنَّ الْمَلَائِكَةَ لَا تَدْخُلُ بَيْتًا فِيهِ صُورَةٌ، هَذَا إِبْرَاهِيمُ مَصُورٌ فَمَا لَهُ يَسْتَقْسِمُ».

وفي رواية: لما رأى الصور في البيت لم يدخل حتى أمر بها فمُحِيتْ، ورأى إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام بأيديهما الأزلام، فقال: «قاتلهم الله، والله إن استقسما بالأزلام قط».

رواه البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٣٥١، ٣٣٥٢)، وأبو داود (٢٠٢٧) والروايتان للبخاري.

[٤٧٤] وعن جابر رضي الله تعالى عنه قال: دخلنا مع النبي ﷺ مكة في البيت، وحول البيت ثلاثمائة وستون صنماً تُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ، قَالَ: فَأَمَرَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَكُبَّتْ كُلُّهَا لُجُوجُهَا، ثُمَّ قَالَ: «جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ، إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا»، ثُمَّ دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْبَيْتَ، فَصَلَّى رَكَعَتَيْنِ فَرَأَى فِيهِ تَمَثُّلَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ، وَقَدْ جَعَلُوا فِي يَدِ إِبْرَاهِيمَ الْأَزْلَامَ يَسْتَقْسِمُ بِهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «قَاتِلْهُمْ اللَّهُ، مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَسْتَقْسِمُ بِالْأَزْلَامِ»، ثُمَّ دَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَزَعْفَرَانَ فَلَطَخَهُ بِتِلْكَ التَّمَاتِيلِ.

رواه ابن أبي شيبة في المصنف (٤٠٣/٧) رقم (٣٦٩٠٥) في المغازي وحسنه الحافظ في المطالب العالية والبوصيري في الإتحاف.

[٤٧٥] وعن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما أن رسول الله ﷺ أقبل يوم الفتح من أعلى مكة على راحلته مردفاً أسامة بن زيد ومعه بلال ومعه عثمان بن طلحة من الحجبة حتى أناخ في المسجد، فأمره أن يأتي بمفتاح البيت، فدخل رسول الله ﷺ ومعه أسامة بن زيد وبلال وعثمان بن طلحة، فمكث فيه نهراً طويلاً ثم خرج فاستبق الناس، فكان عبدالله بن عمر أول من دخل فوجد بلالاً وراء الباب قائماً فسأله: أين صلى رسول الله ﷺ؟ فأشار له إلى المكان الذي صلى فيه، قال عبدالله: نسيت أن أسأله كم صلى سجدة؟

رواه البخاري في الجهاد رقم (٢٩٨٨) وفي الصلاة وفي المغازي باب

حجة الوداع رقم (٤٤٠٠) وغيرها، ومسلم (٨٣/٩)، وأبو داود (٣٠٢٣)،
والنسائي (١٧١/٥)، وابن ماجه (٣٠٦٣) كلهم في الحج.

✽ إسلام والد أبي بكر الصديق، ومن أهدر رسول الله دماءهم
وإجارة أم هانئ رجلين من أقاربها
واغتسال النبي بعد الفتح وصلاته ثمان ركعات

[٤٧٦] عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله تعالى عنهما قالت: لما
وقف رسول الله ﷺ ببذي طوى قال أبو قحافة لابنة له من أصغر ولده:
أي بنيت أظهري بي على أبي قبيس، قالت: وقد كف بصره، قالت:
فأشرفت به عليه، قال: يا بنيت ماذا ترين؟ قالت: أرى سواداً مجتمعاً، قال:
تلك الخيل، قالت: وأرى رجلاً يسعى بين ذلك السواد مقبلاً ومدبراً، قال:
يا بنيت ذلك الوازع - يعني الذي يأمر الخيل ويتقدم إليها - ثم قالت: قد والله
انتشر السواد، فقال: قد والله إذا دفعت الخيل فأسرعي بي إلى بيتي فأغظت
به وتلقاه الخيل قبل أن يصل إلى بيته وفي عنق الجارية طوق لها من ورق،
فتلقاها رجل فاقطعه من عنقها، قالت: فلما دخل رسول الله ﷺ مكة
ودخل المسجد آتاه أبو بكر رضي الله تعالى عنه بأبيه يقوده، فلما رآه
رسول الله ﷺ قال: «هلا تركت الشيخ في بيته حتى أكون أنا آتية فيه»،
قال أبو بكر: يا رسول الله هو أحق أن يمشي إليك من أن تمشي أنت إليه،
قال: فأجلسه بين يديه ثم مسح صدره، ثم قال له: «أسلم» فأسلم ودخل به
أبو بكر رضي الله تعالى عنه على رسول الله ﷺ ورأسه كأنه نعام، فقال
رسول الله ﷺ: «غَيِّرُوا هَذَا مِنْ شَعْرِهِ»، ثم قام أبو بكر فأخذ بيد أخته،
فقال: أنشد بالله وبالإسلام طوق أختي فلم يجبه أحد، فقال: يا أختي
احتسبي طوقك.

رواه أحمد وابن حبان (١٧٠٠) بالموارد، والحاكم (٤٦/٣، ٤٧)،
والبيهقي في الدلائل (٩٥/٥، ٩٦) وصححه الحاكم على شرط مسلم ووافقه

الذهبي، وأورده الهيثمي (١٧٣/٦، ١٧٤) برواية أحمد والطبراني وقال:
رجالهما ثقات.

قوله: «أظهري» أي: إضعدي بي على الجبل. «طوق من ورق» عقد
من حلي يُعلق في العنق. «ثغامة» بفتح الثاء هو شجر أبيض الزهر طيب
الرائحة.

[٤٧٧] عن أنس رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ دخل مكة
وعلى رأسه المغفر، فلما وضعه عن رأسه، قيل: هذا ابن خطل متعلق
بأستار الكعبة، قال: «أقتلوه».

رواه البخاري في الجهاد وفي المغازي (٧٦/٩) وفي اللباس، ومسلم
في الحج (١٣١/٩) كالبخاري أيضاً، والترمذي في الجهاد (١٥٥٢) وباقي
الجماعة.

«المغفر» بكسر الميم وسكون الغين ثم فاء مفتوحة وراء، هو غطاء
من حديد للرأس كان يُلبس قديماً.

[٤٧٨] وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه قال: لما كان
يوم فتح مكة أمّن رسول الله ﷺ الناس إلا أربعة نفر وامرأتين، وقال:
«اقتلوهم وإن وجدتموهم متعلقين بأستار الكعبة: عكرمة بن أبي جهل،
وعبدالله بن خطل، ومقيس بن صباب، وعبدالله بن أبي سرح»، فأما عبدالله بن
خطل فأذرك وهو متعلق بأستار الكعبة فاستبق إليه سعيد بن حريث،
وعمار بن ياسر فسبق سعيد عمّاراً وكان أشبّ الرجلين فقتله، وأما مقيس بن
صباب فأدركه الناس في السوق فقتلوه، وأما عكرمة فركب البحر فأصابتهم
عاصف فقال أصحاب السفينة: اخلصوا فإن آلهتكم لا تُغني شيئاً ههنا، فقال
عكرمة: والله لئن لم يُنجني من البحر إلا الإخلاص لا ينجيني في البر
غيره: اللهم إن لك علي عهداً، إن أنت عافيتني مما أنا فيه، أن آتي
محمداً ﷺ حتى أضع يدي في يده فلاجدنه عفواً كريماً، فجاء فأسلم،
وأما عبدالله بن أبي سرح فإنه اختبأ عند عثمان بن عفان فلما دعا
رسول الله ﷺ إلى البيعة جاء به حتى أوقفه على النبي ﷺ، قال: يا

رسول الله بايع عبدالله، قال: فرفع رأسه فنظر إليه ثلاثاً، كل ذلك يَأْبَى، فبايعه بعد ثلاث، ثم أقبل على أصحابه، فقال: «أما كان فيكم رجلٌ رشيدٌ يقوم إلى هذا حيث رأيته كففتُ يدي عن بيعته فيقتله؟» فقالوا: وما يُدْرِينَا يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا فِي نَفْسِكَ، هَلْ أَوْمَأْتَ إِلَيْنَا بَعِينِكَ؟ قال: «إِنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ خَائِنَةٌ أَعْيُنٍ».

رواه أبو داود في الجهاد (٢٦٨٣) وفي الحدود (٤٣٥٩)، والنسائي في تحريم الدم (٩٧/٧، ٩٨)، وأبو يعلى (٧٥٧)، والطحاوي في المعاني (٣٣٠/٣)، والحاكم (٤٥/٣) وصححه على شرط مسلم ووافقه الذهبي، وأورده النور في المجمع مطوّلاً (١٦٨/٦، ١٦٩) برواية أبي يعلى والبخاري قال: ورجالهما ثقات.

[٤٧٩] وعن أم هانئ رضي الله تعالى عنها قالت: ذهبت إلى رسول الله ﷺ عام الفتح فوجدته يغتسل وفاطمة ابنته تسترّه، قالت: فسلمتُ عليه فقال: «من هذه؟» فقلتُ: أنا أم هانئ بنتُ أبي طالب، فقال: «مرحباً بأم هانئ»، فلما فرغ من غسله قام فصلّى ثماني ركعاتٍ مُلتحفاً في ثوبٍ واحد، فلما انصرف قلت: يا رسول الله زعم ابنُ أُمِّي عَلِيٌّ أَنَّهُ قَاتِلٌ رَجُلًا قَدْ أَجْرَزْتَهُ فَلَانَ بْنِ هُبَيْرَةَ، فقال رسول الله ﷺ: «قَدْ أَجْرَزْنَا مَنْ أَجْرَزْتَ يَا أُمَّ هَانِئٍ»، قالت أم هانئ: وذاك ضحى.

رواه البخاري في الصلاة رقم (٣٥٧) وفي الجزية والموادعة (٣١٧١) وغيرهما، ومسلم في الصلاة (٢٢٩/٥، ٢٣١، ٢٣٣)، وأبو داود في أمان المرأة من الجهاد (٣٧٦٣)، والترمذي في السير (١٤٥٠) بتهذيب، وابن ماجه في الطهارة (٤٦٥) وغيرهم.

مبايعة النبي ﷺ الناس يوم الفتح

[٤٨٠] عن مُجَاشِعِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله تعالى عنه قال: أتيتُ النبي ﷺ بأخي بعد الفتح، فقلت: يا رسول الله جئتُك بأخي لتبايعه علي

الهجرة، قال: «ذَهَبَ أَهْلُ الْهَجْرَةِ بِمَا فِيهَا»، فقلت: على أي شيء تبايعه؟ قال: «أَبَايَعُهُ عَلَى الْإِسْلَامِ، وَالْإِيمَانِ، وَالْجِهَادِ».

رواه أحمد (٤٦٨/٣)، والبخاري في المغازي (٨٦/٩)، ومسلم في الإمارة (٧/١٣) وقد تقدم في الإيمان.

[٤٨١] وعن الأسود بن خلف رضي الله تعالى عنه أنه رأى النبي ﷺ يبايع الناس يوم الفتح، قال: فجلس عند قرب دار سمرة، قال الأسود: فرأيت النبي ﷺ جلس فجاءه الناس؛ الصغار والكبار والنساء فبايعوه على الإسلام والشهادة، فقلت: فما الإسلام؟ قال: الإيمان بالله، فقلت: وما الشهادة؟ قال: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله.

رواه أحمد (٤١٥/٣ ج ٤/١٦٨)، والحاكم (٢٩٦/٣) وسنده حسن أو صحيح.

لا تُغزى مكة بعد فتحها، ولا يُقتل قرشي صبراً بعد ذلك

[٤٨٢] عن الحارث بن مالك الليثي رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال يوم فتح مكة: «لَا تُغزَى هَذِهِ بَعْدَ هَذَا الْيَوْمِ أَبَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ».

رواه أحمد (٤١٢/٣) ج ٤/٣٤٣، والترمذي في السير (١٤٧٦)، وابن حبان والحاكم (٦٢٧/٣) وسنده صحيح على شرط مسلم عند الترمذي.

[٤٨٣] وعن مُطِيعِ بْنِ الْأَسْوَدِ رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول يوم فتح مكة: «لَا يُقْتَلُ قُرَشِيٌّ صَبْرًا بَعْدَ هَذَا الْيَوْمِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ».

رواه أحمد (٤١٢/٣)، ومسلم في الجهاد (١٣٤/١٢).

قوله: «صَبْرًا» أي: يقتل حبساً.

✽ مدة إقامته ﷺ بمكة بعد الفتح

[٤٨٤] عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: أقام النبي ﷺ بمكة تسعة عشر يوماً يُصلي ركعتين.

رواه أحمد (٢٢٣/١)، والبخاري في المغازي (٨٢/٩)، وأبو داود (١٢٣٠)، والترمذي في قصر الصلاة (٤٩٤)، وابن ماجه (١٠٧٥).

✽ خلاصة ما جاء في أحاديث الفتح

وما فيها من فوائد

قال ابن القيم رحمه الله تعالى في الهدى النبوي: الفتح الأعظم الذي أعز الله به دينه، ورسوله، وجنده، وحزبه الأمين، واستنقذ به بلده وبيته الذي جعله هدى للعالمين من أيدي الكفار والمشركين، وهو الفتح الذي استبشر به أهل السماء، وضربت أطناب عزه على منابك الجوزاء، ودخل الناس به في دين الله أفواجا، وأشرق به وجه الأرض ضياءً وابتهاجا...

أقول: لما بلغ النبي ﷺ معاونة قريش حلفاءهم بني بكر على حلفاء النبي ﷺ خزاعة جعل ذلك نكثاً للعهد ونقضاً لما صالحهم عليه، فاستحقوا لذلك القتال، فأمر أصحابه بالجهاز للسفر وأخفى وجهته وعمى ذلك على العيون والأعداء، فجمع الجموع والجيوش من المهاجرين والأنصار وممن أسلم من القبائل العربية؛ كغفار وبني سليم وجهينة... وأمر على المدينة أبا رهم كئثوم بن حصين الغفاري وخرج سنة ثمان لعشر مضيئ من رمضان في عشرة آلاف مقاتل، ولم يتخلف عنه أحد من المهاجرين والأنصار رضي الله تعالى عنهم، فساروا وهم صيام ولا يعلم كفار قريش عنهم شيئاً حتى وصلوا الكديد، فأفطر رسول الله ﷺ وأفطر أصحابه.

[٤٨٥] وجاء في رواية لم تتقدم عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه، أنه قال: سافرنا مع رسول الله ﷺ إلى مكة ونحن صيام، فنزلنا منزلاً، فقال رسول الله ﷺ: «إنكم قد ذنوتُم من عدوكم والفطر أقوى لكم»، فكانت رخصة؛ منا من صام ومنا من أفطر، ثم نزلنا منزلاً آخر فقال: «إنكم مضبحوا عدوكم والفطر أقوى لكم فأفطروا»، فكانت عزمة فأفطروا...

رواه أحمد (٣٥/٣)، والبيهقي في السنن (٢٤٢/٤)، وعزاه لمسلم وهو عنده مختصر.

وعندما نزل ﷺ بمر الظهران أوقدوا النيران، وكان أبو سفيان قد خرج هو ورجلان يتجسسون الأخبار فأسير أبو سفيان، وأتى به النبي ﷺ فأسلم وأمر النبي ﷺ عمه العباس أن يحبسه في موضع لتعرض عليه جيوش المسلمين، فجعلت تمر عليه الكتائب كتيبة كتيبة، فلما مرت عليه كتيبة النبي ﷺ ومعه المهاجرون والأنصار، قال: ما لأحد بهؤلاء قبيل، فسبق الجيوش إلى مكة يُنذر أهلها بمجيء النبي ﷺ ومن معه من الجيوش العرمرة الجزارة، وقال لهم: يا معشر قريش هذا محمد قد أتاكم بما لا قبيل لكم به، وكان النبي ﷺ قد أمّنه وأمن كل من دخل داره، وكل من ألقى السلاح أو دخل بيته، ولما وصل النبي ﷺ إلى أطراف مكة قسم الجيش، فأرسل بعضه ليدخل من أسفل مكة وكان فيهم خالد بن الوليد، ودخل ﷺ من كداء - بفتح الكاف والمد - من أعلى مكة في جماعة، وركز رايته بالحجون قرب المعلاة مقبرة أهل مكة وأمر أصحابه بقتال كل من تعرض لهم، وقال لهم: «اللقاء عند الصفا»، فانتشروا ووقع قتال في طريق خالد بأسفل مكة، ودخل النبي ﷺ وسار حتى جاء البيت فحطم ما كان عنده من نضب وكانت ستين وثلاثمائة، فجعل يطعنها ويلتو قوله تعالى: ﴿جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ﴾ ﴿جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾ ﴿٤٩﴾، ثم طاف بالبيت وأمر بالصور التي كانت داخل الكعبة فأزيلت ثم دخلها وصلى فيها ما شاء الله، ثم خرج وأتى الصفا حتى نظر إلى البيت، فجعل يحمد الله تعالى ويدعوه، وأمر بقتل

أشخاص من الناس كان منهم من يهجو النبي ﷺ، ومنهم من كان أسلم فارتد فقتل من قُتل منهم، وأسلم من أسلم كابن أبي سرح، وعكرمة بن أبي جهل، ودخل النبي ﷺ دار أم هانئ أو غيرها، فاغتسل وفاطمة تستره، ثم صلى ثمان ركعات وكان وقت الضحى شكراً لله تعالى على هذا الفتح العظيم.

وخطب النبي ﷺ الناس ثاني يوم الفتح عند الكعبة خطبة بليغة ذكر فيها كثيراً من شرائع الدين وأحكامه، فبعد أن حمد الله وأثنى عليه، وقال: «لا إله إلا الله وحده، نصر عبده، وهزم الأحزاب وحده»، ذكر حُرمة مكة، وأن الله أحلَّ له منها ساعة من نهار، وقال: «إن أعتى الناس على الله عزَّ وجلَّ ثلاثة: رجل قتل فيها، ورجل قتل غير قاتله، ورجل طلب بدخل في الجاهلية، وقال: «يا أيها الناس إنه ما كان من جلفٍ في الجاهلية، فإن الإسلام لم يزد إلا شدة، ولا جلفٍ في الإسلام ولا هجرة بعد الفتح، والمسلمون يدُّ على مَنْ سواهم، تتكافؤ دماؤهم، يُجيزُ عليهم أذنانهم ويُرُدُّ عليهم أقصاهم، لا يُقتل مؤمنٌ بكافر، ودية الكافر نصفُ دية المسلم»، وقال: «إن كل مائرة كانت في الجاهلية ودم ومالٍ تحت قدمي هاتين إلا ما كان من سقاية الحجِّ وسدانة البيت، فأني أمضيها لأهلها على ما كانت»، وقال: «إن الله قد أذهب عنكم عبية الجاهلية وفخرها بالآباء، مؤمنٌ تقي أو فاجر شقي»، وقال: «كلُّكم من آدم وآدم من ترابٍ» إلى غير ذلك مما قاله في ذلك اليوم العظيم.

وبايع الناس يومه رجالهم ونساءهم وأطفالهم على أصول الدين وقواعده وشرائعه، وجمع قريشاً وقال لهم: «ما تظنون أني فاعل بكم؟» قالوا: خيراً أخ كريم وابن أخ كريم، فقال ﷺ: «أذهبوا فأنتم الطلقاء»، فلما عفا عنهم أسلم جميعهم، وكان ممن أسلم في هذا اليوم أبو قحافة والد أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنهما، ومعاوية بن أبي سفيان وغيرهما.

وبعد هذا اليوم أقام بمكة المكرمة تسعة عشر يوماً يقصر الصلاة ويتم

من خلفه من أهل مكة، وكان نازلاً بالأبطح بأعلى مكة، بخيف بني كنانة حيث تقاسم الكفار على مقاطعته ﷺ وتعاهدوا على الكفر.

✽ من فوائد أحاديث الفتح

في قصة حاطب مع الطعينة معجزة للنبي ﷺ حيث أخبر بما فعل حاطب وبالمراة الحاملة رسالته لقريش، وفيها فضل أهل بدر، وأن من سبقت له من الله العناية لا تضره الجنابة، وفيها جواز تفتيش المرأة المتهمة ولو بالاطلاع على زينتها وعورتها الداخلية، وفيها ما كان عليه العرب من احترام المرأة وعدم التعرض لها... وفي قصة إسلام أبي سفيان ابن عم النبي ﷺ وأبي سفيان بن حرب ظهور عفوه وصفحه ﷺ عن ألد أعدائه وحلمه معهم، وهم الذين كانوا بالأمس يؤذونه ويحاربونه ويهاجمونه في عقر داره ويؤلبون عليه الجموع والجيوش وفيما فعل النبي ﷺ بإيقاف أبي سفيان لعرض جيوش المسلمين عليه إرهاب له وتعريفه بكثرة ما جاء به ﷺ من الكتاب، ولذلك لما شاهد تلك الجيوش أربع وقال مفصحاً: ما لأحد بهؤلاء قتل، وذهب مُسرِعاً يُنذر قومه.

وفيما ذكرناه أن النبي ﷺ دخل مكة في رمضان، وكان ذلك يوم الجمعة في عشرين خلت منه على المشهور، وأنه دخلها مُجلاً غير محرم على رأسه المغفر، ولما وضعه كانت على رأسه عمامة سوداء كما في الصحيح ويأتي في السمائل، وفيها: أنه دخلها من أعلاها فسلك طريق الحجون ثم المعلاة ثم نزل حتى أتى البيت ولم يلق حرباً في طريقه، وفيها: أن الجيوش فرقها ﷺ وأمرهم أن يقاتلوا من تعرض لهم، وفيها: أنه ﷺ فتح مكة عنوة لا صلحاً، وهو قول جمهور العلماء والأئمة، ويدلُّ لذلك قوله لأم هانئ: «قد أجزنا من أجرت»، وقوله: «من دخل دار أبي سفيان فهو آمن... ومن ألقى السلاح فهو آمن»، فلو كانوا كلهم آمنين لم يحتج إلى هذا، ولو كان صلحاً لما وقع قتال ولما قال ﷺ: «أخضدوهم

حَضَاءً، وفيها: تطهير الكعبة من النصب التي كانت منصوبة عليها ومن صور الأنبياء داخلها، وفيها: اجتناب مواضع الصور وأنه لا يدخل إليها، وخاصة لمن يريد الصلاة، وفيها: مشروعية قتل المرتدّ ومن يسبّ النبي ﷺ، وهذا لا خلاف فيه بين المسلمين، فإن ابن خطل كان يهجو النبي ﷺ مع مغنيته، وابن أبي سرح كان أسلم ثم ارتدّ، وتكلّم في النبي ﷺ وهكذا غيرهم، وفيها جواز الصلاة داخل الكعبة ولا خلاف فيها بالنسبة للنافلة، واختلف في صلاة الفريضة داخلها أو في الحجر، فمنعها الجمهور وأجازها البعض، وهو مقتضى القياس، وفيها غير ذلك من الفوائد والأحكام الواضحة.

وفي هذه الغزوة حرّم النبي ﷺ زواج المتعة تحريماً أبدياً كما قدّمنا في النكاح.

* بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ خَالِدًا إِلَى بَنِي جَذِيمَةَ *

[٤٨٦] عن عبدالله بن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: بعث النبي ﷺ خالد بن الوليد إلى بني جَذِيمَةَ، فدعاهم إلى الإسلام فلم يحسنوا أن يقولوا أسلمنا، فجعلوا يقولون: صبأنا صبأنا، فجعل خالد يقتل منهم ويأسر، ودفع إلى كل رجل منّا أسيره حتى إذا كان يوم، أمر خالد أن يقتل كل رجل منّا أسيره، فقلت: والله لا أقتل أسيري، ولا يقتل رجل من أصحابي أسيره، حتى قدّمنا على النبي ﷺ، فذكرناه فرفع النبي ﷺ يديه وقال: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ خَالِدٌ» مرتين.

رواه أحمد (١٥١/٢)، والبخاري في المغازي (١١٨/٩، ١١٩)، والنسائي في القضاء (٢٠٨/٨، ٢٠٩) وغيرهم.

«جَذِيمَةَ» بفتح الجيم وكسر الذال من بني عامر كانوا بأسفل مكّة من ناحية يَلَمْلَمَ، وهذا البعث كان في شوال عقب فتح مكّة قبل الخروج إلى

حنين، فاتاهم خالد في ثلاثمائة نفر وفيهم عبدالله بن عمر، فلما رأوهم قالوا لهم: صَبَأْنَا صَبَأْنَا - يعنون أسلمنا - فلم يُخَسِّئُوا التَّغْيِيرَ فأمر خالد أصحابه بأسرهم وتوثيقهم، ودفع لكل رجل واحد منهم ثم سار مسافة، فأمر كل رجل يقتل أسيره، فامتنع ابن عمر ومنع أصحابه من ذلك وقتل خالد بعضهم، فلما أخبر النبي ﷺ بذلك تبرأ مما صنع خالد لأنه قتل ناساً قد أسلموا، وكان ذلك خطأً منه.

* غزوة حُنَيْنِ *

مشاهدٌ من الغزوة وانهازم بعض
الصّحابة ثمّ وقوع النّصر

[٤٨٧] عن العباس رضي الله تعالى عنه قال: شهدت مع رسول الله ﷺ يوم حنين فلزمت أنا وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب رسول الله ﷺ فلم نفارقه، ورسول الله ﷺ على بغلة له بيضاء أهداها له فزوة بن نفاثة الجذامي، فلما التقى المسلمون والكفار ولّى المسلمون مديريين، فطفق رسول الله ﷺ يركض بغلته قبيل الكفار، قال العباس: وأنا أخذ بلجام بغلة رسول الله ﷺ أكفها إرادة أن لا تسرع، وأبو سفيان أخذ بركاب رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «أي عباس ناد أصحاب السّمرّة»، فقال العباس: وكان رجلاً صبيّاً، فقلت بأعلى صوتي: أين أصحاب السّمرّة، قال: فوالله لكان عطفتهم حين سمعوا صوتي عطفة البقر على أولادها، فقالوا: يا لبيك، يا لبيك، قال: فافتتلوا والكفار، والدعوة في الأنصار يقولون: يا معشر الأنصار، قال: ثم قصرت الدعوة على بني الحارث بن الخزرج، فنظر رسول الله ﷺ وهو على بغلته كالمتطاول عليها إلى قتالهم، فقال رسول الله ﷺ: «هذا حين حيمي الوطيس»، قال: ثم أخذ رسول الله ﷺ حصيات فرمى بهنّ وجوه الكفار، ثم قال: «انهزموا وربّ محمد»، قال: فذهبت أنظر فإذا القتال على هيئته

فيما أرى، قال: فوالله ما هو إلا أن رماهم بحصياته فما زلت أرى حدّهم
كَلِيلًا وَأَمْرَهُمْ مُدْبِرًا... .

رواه مسلم في الجهاد (١١٣/١٢، ١١٧)، والنسائي في الكبرى
(١٩٥/٥).

«أصحاب السّمرّة» هم أهل بيعة الرضوان. «حَمِي الوَطَيْسُ» الوطيس
هو التّثور ويعبرون بذلك عن اشتداد القتال. «حدّهم» بفتح الحاء وفتح الدال
المشدّدة أي: قوّته ضعيفة.

[٤٨٨] وعن أبي إسحاق السّبيعي رحمه الله تعالى قال: جاء رجل إلى
البراء فقال: أكنتم وليتم يوم حنين يا أبا عمار، فقال: أشهد على
نبي الله ﷺ ما ولي، ولكنه انطلق أخفأ من الناس وحسّر إلى هذا الحي
من هوازن وهم قوم رماة، فرموا برشق من نبل كأنها رجل من جراد،
فانكشفوا، فأقبل القوم إلى رسول الله ﷺ، وأبو سفيان بن الحارث يقود
بغلته، فنزل ودعا واستنصر، وهو يقول:

«أنا النّبِيُّ لا كَذِبُ أنا ابنُ عبدِ المُطَلِّبِ»

«اللّهم نصرك». قال البراء: كنا والله إذا احمرّ البأس نتقي به، وأن
الشجاع منا للذي يُحاذي به - يعني النبي ﷺ - .

رواه مسلم في الجهاد أيضاً (١١٧/١٢، ١١٨، ١٢٠، ١٢١).

وفي رواية: وأنا لما حملنا عليهم انكشفوا فأكببنا على الغنائم
فاستقبلونا بالسهام.

«أخفأ» جمع خَفَ أي: ليس معهم سلاح يثقلهم. «والحسر» بضم
الحاء وفتح السين المشدّدة جمع حاسر وهو الذي لا درع له. «والرشق»
الرّمي. «رجل من جراد» أي: جماعة منها.

[٤٨٩] وعن سلمة بن الأكوع رضي الله تعالى عنه قال: لما غشوا
رسول الله ﷺ يوم حنين نزل عن بغلته ثم قبض قبضة من تراب من

الأرض ثم استقبل به وجوههم، فقال: «شاهت الوجوه»، فما خلق الله منهم
إنساناً إلا ملأ عينه تراباً بتلك القبضة، فولوا مدبرين.

رواه مسلم في الجهاد (١٢١/١٢، ١٢٢) مطوّلاً.

«حُنَيْن» موضع بين مكّة والطائف وراء عرفات كانت به هذه الواقعة،
وكان ذلك في أوائل شوال بعد فتح مكة المكرمة، وسبب ذلك أنه لما فتح
النبي ﷺ مكة المكرمة وأسلم منهم مَنْ أسلم سمعت بذلك هوازن،
فاجتمعوا وأجمعوا على محاربة النبي ﷺ وكان رئيسهم مالك بن عوف
النضري، فجمع القبائل من هوازن ومَنْ وافقه من ثقيف، فخرج إليهم
رسول الله ﷺ في عشرة آلاف ممن جاء معه من المدينة ثم من أسلم من
أهل مكّة، ولما وصل إلى حُنَيْن وجد مالك بن عوف قد خرج ومَنْ معه
بكل ما يملكون من إبل وشيأه ونساء وأطفال، ثم التحم القتال فوق ما وقع
من الهزيمة.

[٤٩٠] قال أنس رضي الله تعالى عنه: افتتحنا مكّة ثم إننا غزونا حيناً
فجلى المشركون بأحسن صفوف رأيت، قال: فصُفّت الخيل، ثم صُفّت
المقاتلة، ثم صُفّت النساء من وراء ذلك، ثم صُفّت الغنم، ثم صُفّت
النعم... وفي رواية: أقبلت هوازن وغطفان وغيرهم بذراريهم ونعمهم ومع
النبي ﷺ يومئذ عشرة آلاف ومعه الطلقاء، فأدبروا عنه حتى بقي
وحده...

رواه مسلم في الزكاة في إعطاء المؤلّفة قلوبهم (١٥٣/٧، ١٥٤).

[٤٩١] وفي حديث لابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: كنت مع
النبي ﷺ يوم حُنَيْن، قال: فولّى الناس وثبتت معه ثمانون رجلاً من
المهاجرين والأنصار، فنكصنا على أقدامنا نحواً من ثمانين قدماً ولم نولّهم
الدبر...

رواه أحمد (٤٥٤/١)، والحاكم (١١٧/٢) بسند صحيح وصححه
الحاكم ووافقه الذهبي، فهو يدلّ على أنه بقي مع النبي عليه الصلاة والسلام
ثمانون رجلاً.

وفي حديث البراء أن هوازن انكشفوا في البداية، فلما اشتغل الصحابة بالغنائم استقبلوهم بالسهم، فانهزموا وولّوا مدبرين، ولم يبق مع النبي ﷺ إلا القليل، ثم أمر العباس أن ينادي بالأنصار، فنادى فاجتمعوا واجتمع باقي الجيش ونزل النبي ﷺ عن بغلته وأخذ حصيات فرمى بها القوم، وقال: «شاهت الوجوه»، فلم يبق أحد من جيش المشركين إلا أصيب من تلك الحصيات، وقال ﷺ: «انهزموا ورب محمد»، فضَعَفَتْ قُوَّتُهُمْ وانهزموا وولّوا مدبرين.

✽ بشارة النبي ﷺ لأصحابه بغنائم هوازن

[٤٩٢] عن سَهْلِ بْنِ الْحَنْظَلِيِّ رضي الله تعالى عنه قال: إنهم ساروا مع رسول الله ﷺ يوم حُنين فاطنّبوا السير حتى كانت عشيّة، فحضرت الصلاة عند رسول الله ﷺ فجاءه رجلٌ فارسٌ، فقال: يا رسول الله إنّي انطلقت بين أيديكم حتى طلعت على جبل كذا وكذا، فإذا أنا بهوازن عن بكرة أبيهم بظعنهم، ونعمهم، وشاتهم اجتمعوا إلى حنين، فتبسم رسول الله ﷺ وقال: «تِلْكَ غَنِيمَةُ الْمُسْلِمِينَ غَدًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى».

قوله: «فَاطنّبُوا السَّيْرَ» أي: بالغوا وأسرعوا. قوله: «بكرة أبيهم» بكسر الباء وسكون الكاف أي: جميعهم ولم يتخلف منهم أحد.

فهذه كانت بشارة من النبي ﷺ بانهزام المشركين وانتصار المسلمين وأخذهم غنائمهم، فكان الأمر كذلك، لقد صدق الله وعده رسوله ﷺ، فبعد أن انهزم المشركون تركوا وراءهم كل ما جاءوا به من مال وأهل، فأمر النبي ﷺ بجمع ذلك السبي والغنائم، وكانت كما قال أهل المغازي أربعة وعشرين ألف بعير، وأكثر من أربعين ألف شاة، وأربعة آلاف أوقية من الفضة، والشيء الكثير من النساء والأطفال فأخذ الجميع وأنزله بالجعرانة.

وكان المشركون بعد انهزامهم تفرّقوا ثلاث فرق: فرقة لحقت بالطائف، وفرقة لحقت بنخلة، وفرقة عسكرت بأوطاس.

✽ غزوة أوطاس

[٤٩٣] عن أبي موسى الأشعري رضي الله تعالى عنه قال: لما فرغ النبي ﷺ من حنين بعث أبا عامر - يعني الأشعري على جيش إلى أوطاس، فلقي دُرَيْدَ بْنَ الصَّمَّةِ، فقتل دُرَيْدَ وهزم أصحابه، قال أبو موسى: وبعثني مع أبي عامر فرمى أبو عامر في ركبتة؛ رماه جشمي بسهم فأثبته في ركبتة، وانتهيت إليه، فقلت: يا عمّ، من رماك؟ فأشار إلى أبي موسى، فقال: ذاك قتالي الذي رماني، فقصدت له فلحقته، فلما رأيته ولى، فاتبعته وجعلت أقول له: أَلَا تَسْتَجِي؟ أَلَا تَتُبْتُ؟ فكفّ، فاختلفنا ضربتين بالسيف فقتلته، ثم قلت لأبي عامر: قتل الله صاحبك، قال: فانزع هذا السهم، فنزعته فنزى منه الماء فقال: يا ابن أخي أقرىء النبي ﷺ السلام، وقل له: يستغفر لي، واستخلفني أبو عامر على الناس فمكث يسيراً ثم مات، فرجعت فدخلت على النبي ﷺ في بيته على سرير مُرْمَلٍ وعليه فراش قد أثر رمال السرير بظهره وجنبه، فأخبرته بخبرنا وخبر أبي عامر، وقلت له: قال لي: قل له يستغفر لي، فدعا بماء فتوضأ ثم رفع يديه، وقال: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِعَبِيدِ أَبِي عامر»، حتى رأيتُ بياض إبطيه، ثم قال: «اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَوْقَ كَثِيرٍ مِنْ خَلْقِكَ أَوْ مِنْ النَّاسِ»، فقلت: ولي فاستغفر، فقال: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَيْسِ ذَنْبِهِ، وَأَدْخِلْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَدْخَلًا كَرِيمًا»، قال أبو بردة: إحداهما لأبي عامر والأخرى لأبي موسى.

رواه البخاري في المغازي (١٠٣/٩، ١٠٤) وفي الجهاد، ومسلم في الفضائل (٥٩/١٦، ٦٠).

«أوطاس» قال العلماء: هو وادٍ في ديار هوازن وبه كانوا عسكروا هم وثقيف، ثم التقوا بحنين، ولما انهزموا ذهب طائفة منهم إلى هذا الوادي

الثانية، فانصرف ﷺ بالمسلمين فسألوه أن يدعوا على ثقيف من أهل الطائف، فقال كما في الحديث التالي:

[٤٩٩] عن جابر رضي الله تعالى عنه قال: قالوا: يا رسول الله أحرقتنا نبأ ثقيف فاذعُ الله عليهم، فقال: «اللهم اهدِ ثقيفاً».

رواه أحمد (٣/٣٤٣)، والترمذي في المناقب (٣٧٠٥) وحسنه وصححه. فاستجاب الله دعاءه فبعد انصرافه ﷺ وذهابه إلى المدينة أسلموا وبعثوا وفداً لهم إليه كما يأتي في مبحث الوفود، ولما كان محاصراً للطائف نزل إليه جماعة من الرقيق فأسلموا وأعتقهم ولم يردهم إلى ساداتهم بعد إتيانهم مسلمين، وكان منهم أبو بكره كما في حديث البخاري المتقدم.

[٥٠٠] فعن رجل من ثقيف أن رسول الله ﷺ كان يطلق من يأتيه من العبيد، قال: فسألنا رسول الله ﷺ أن يرده علينا أبا بكره وكان عبداً لنا أتى رسول الله ﷺ وهو محاصر ثقيف فأسلم فأبى أن يرده علينا، فقال: «هو طليق الله ثم طليق رسوله ﷺ».

رواه أحمد (٤/١٦٨) بسند صحيح.

تقسيم غنائم حنين وإعطاء المؤلفة قلوبهم ومقولة الأنصار في ذلك وقول النبي ﷺ لهم

[٥٠١] عن أنس رضي الله تعالى عنه قال وهو يتحدث عن غزوة حنين: فانهزم المشركون وأصاب يومئذ غنائم كثيرة، فقسم في المهاجرين والطلقاء، ولم يُعطِ الأنصار شيئاً، فقالت الأنصار: إذا كانت شديدة فنحن ندعى ويُعطى الغنيمة غيرنا، فبلغه ذلك فجمعهم في قبة، فقال: «يا معشر الأنصار ما حديثٌ بلغني عنكم؟» فسكتوا، فقال: «يا معشر الأنصار، ألا ترضون أن يذهب الناس بالدنيا، وتذهبون برسول الله ﷺ تحوزونه إلى

بيوتكم؟» قالوا: بلى، فقال النبي ﷺ: «لو سلك الناس وادياً وسلكت الأنصارُ شِعْباً لأخذتُ شِعْبَ الأنصارِ».

رواه البخاري في المغازي (٩/١١٥، ١١٦، ١١٧)، ومسلم في الزكاة (٧/١٥٠، ١٥٣).

[٥٠٢] وعن عبدالله بن زيد بن عاصم رضي الله تعالى عنه قال: لما أفاء الله على رسوله ﷺ يوم حنين قَسَمَ في الناس في المؤلفة قلوبهم، ولم يُعطِ الأنصار شيئاً، فكأنهم وجدوا إذ لم يُصنَبْهم ما أصاب الناس فخطبهم، فقال: «يا معشر الأنصار ألم أجدكم ضلالاً فهداكم الله بي، وكنتم متفرقين فألفكم الله بي، وكنتم عالةً فأغناكم الله بي؟» كلما قال شيئاً قالوا: الله ورسوله آمن، ثم قال: «ألا ترضون أن يذهب الناس بالشاة والبعير، وتذهبون بالنبي ﷺ إلى رجالكم، لولا الهجرة لكنث امرءاً من الأنصار، ولو سلك الناس وادياً وشِعْباً لسلكت وادي الأنصار وشِعْبها، الأتصارُ شِعَارٌ، والناس دِئَارٌ، إنكم ستلقون بعدي أثرةً، فاصبروا حتى تلقوني على الحوض».

رواه البخاري في المغازي (٩/١٠٩، ١١٤) وفي المناقب، ومسلم في الزكاة (٧/١٥٧)، وابن ماجه (١٦٤).

[٥٠٣] وعن رافع بن خديج رضي الله تعالى عنه قال: أعطى رسول الله ﷺ أبا سفيان بن حرب، وصفوان بن أمية، وعيينة بن حصن، والأقرع بن حابس، كل إنسانٍ منهم مائة من الإبل، وأعطى عباس بن مرداسٍ دون ذلك، فقال عباس بن مرداس:

أَتَجْعَلُ نَهْيِي وَنَهْبَ الْعَيْدِ بِدِ بْنِ عُيَيْنَةَ وَالْأَقْرَعِ
فَمَا كَانَ بَدْرٌ وَلَا حَابِسٌ يَفُوقَانِ مِرْدَاسَ فِي الْمَجْمَعِ
وَمَا كُنْتُ دُونَ امْرِئٍ مِنْهُمَا وَمَنْ تَخْفِضِ الْيَوْمَ لَا يُزْفَعِ

قال: فأتته له رسول الله ﷺ مائة.

رواه مسلم في الزكاة (٧/١٥٥، ١٥٦).

الثانية، فانصرف ﷺ بالمسلمين فسألوه أن يدعو على ثقيف من أهل الطائف، فقال كما في الحديث التالي:

[٤٩٩] عن جابر رضي الله تعالى عنه قال: قالوا: يا رسول الله أحرقتنا نبال ثقيف فاذعُ الله عليهم، فقال: «اللهم اهدِ ثقيفاً».

رواه أحمد (٣/٣٤٣)، والترمذي في المناقب (٣٧٠٥) وحسنه وصرحه. فاستجاب الله دعاءه فبعد انصرافه ﷺ وذهابه إلى المدينة أسلموا وبعثوا وفداً لهم إليه كما يأتي في مبحث الوفود، ولما كان محاصراً للطائف نزل إليه جماعة من الرقيق فأسلموا واعتقهم ولم يردهم إلى ساداتهم بعد إتيانهم مسلمين، وكان منهم أبو بكره كما في حديث البخاري المتقدم.

[٥٠٠] فعن رجل من ثقيف أن رسول الله ﷺ كان يطلق من يأتيه من العبيد، قال: فسألنا رسول الله ﷺ أن يرده علينا أبا بكره وكان عبداً لنا أتى رسول الله ﷺ وهو محاصر ثقيف فأسلم فأبى أن يرده علينا، فقال: «هو طليق الله ثم طليق رسوله ﷺ».

رواه أحمد (٤/١٦٨) بسند صحيح.

تقسيم غنائم حنين وإعطاء المؤلفة قلوبهم ومقولة الأنصار في ذلك وقول النبي ﷺ لهم

[٥٠١] عن أنس رضي الله تعالى عنه قال وهو يتحدث عن غزوة حنين: فانهزم المشركون وأصاب يومئذ غنائم كثيرة، فقسم في المهاجرين والطلقاء، ولم يُعطِ الأنصار شيئاً، فقالت الأنصار: إذا كانت شديدة فنحن ندعى ويُعطى الغنيمة غيرنا، فبلغه ذلك فجمعهم في قبّة، فقال: «يا معشر الأنصار ما حديثٌ بلغني عنكم؟» فسكتوا، فقال: «يا معشر الأنصار، ألا ترضون أن يذهب الناس بالدنيا، وتذهبون برسول الله ﷺ تحوزونه إلى

بيوتكم؟» قالوا: بلى، فقال النبي ﷺ: «لو سلّك الناس وادياً وسلّك الأنصارُ شِعباً لأخذتُ شِعبَ الأنصارِ».

رواه البخاري في المغازي (٩/١١٥، ١١٦، ١١٧)، ومسلم في الزكاة (٧/١٥٠، ١٥٣).

[٥٠٢] وعن عبدالله بن زيد بن عاصم رضي الله تعالى عنه قال: لما أفاء الله على رسوله ﷺ يوم حنين قسّم في الناس في المؤلفة قلوبهم، ولم يُعطِ الأنصار شيئاً، فكأنهم وجدوا إذ لم يُصنّبهم ما أصاب الناس فخطبهم، فقال: «يا معشر الأنصار ألم أجدكم ضلّالاً فهداكم الله بي، وكنتم متفرّقين فألّفكم الله بي، وكنتم عالّةً فأغناكم الله بي؟» كلما قال شيئاً قالوا: الله ورسوله أمرن، ثم قال: «ألا ترضون أن يذهب الناس بالشاة والبعير، وتذهبون بالنبي ﷺ إلى رحالكُم، لولا الهجرة لكنّنا امرءاً من الأنصار، ولو سلّك الناس وادياً وشِعباً لسلكتُ واديّ الأنصار وشِعبها، الأنصارُ شِعَارٌ، والناس دِئَارٌ، إنكم ستلقون بعدي أثرةً، فاصبروا حتى تلقوني على الحوض».

رواه البخاري في المغازي (٩/١٠٩، ١١٤) وفي المناقب، ومسلم في الزكاة (٧/١٥٧)، وابن ماجه (١٦٤).

[٥٠٣] وعن رافع بن خديج رضي الله تعالى عنه قال: أعطى رسول الله ﷺ أبا سفيان بن حرب، وصّفوان بن أمية، وعيينة بن حصن، والأقرع بن حابس، كل إنسانٍ منهم مائة من الإبل، وأعطى عباس بن مرداسٍ دون ذلك، فقال عباس بن مرداس:

أتجعلُ نَهبي ونَهَبَ العبيدِ يدُ بنِ عُيَيْنَةَ والأقرعِ
فما كانَ بَدْرٌ ولا حَابِسٌ يَفوقانِ مِرَداسَ في المَجْمَعِ
وما كنتُ دونَ امرئٍ مِنْهُمَا ومَنْ تَخْفِضُ اليَوْمَ لا يُزْفَعِ

قال: فأتته له رسول الله ﷺ مائة.

رواه مسلم في الزكاة (٧/١٥٥، ١٥٦).

[٥٠٤] وعن عبدالله رضي الله تعالى عنه قال: لما كان يوم حُنينٍ أثار رسول الله ﷺ ناساً في القسمة، فأعطى الأقرع بن حابس مائة من الإبل، وأعطى عيينة مثل ذلك، وأعطى أناساً من أشراف العرب، وآثرهم يومئذ في القسمة، فقال رجل: والله إن هذه لقسمة ما عدلَ فيها، وما أريدَ فيها وجهُ الله، قال: فقلت: والله لأخبرنَّ رسولَ الله ﷺ، قال: فأتيتُه فأخبرته بما قال، فتغيَّر وجهُه حتى كان كالصُرف، ثم قال: «فمن يَعدِل إن لم يعدل الله ورسولُه ﷺ»، ثم قال: «يَزَحْمُ اللهُ موسى قد أُوذِيَ بِأَكْثَرِ من هذا فصبر»، قال: قلت: لا جَرَمَ ولا أرفع إليه بعدها حديثاً.

رواه البخاري (٦٣/٧) في فرض الخُمس وفي المغازي (١١٦/٩)، (١١٧)، ومسلم في الزكاة (١٥٧/٧، ١٥٨).

«الطلقاء» هم الذين منَّ عليهم النبي ﷺ وأطلقهم يوم الفتح، فأسلموا. «المؤلفة قلوبهم» هم الذين كانوا حديثي عهدهم بالإسلام. «الأنصار شعار والناس دثار» الشعار الثوب الذي يلي الجسد، والدثار الذي يكون فوقه، ومعناه: أن الأنصار هم البطانة والخاصة والأصفياء... وستأتي لهذا بقية في الفضائل.

وفي هذه الأحاديث مشروعية إعطاء المؤلفة قلوبهم من الفَيء والغنيمة وإيثارهم على غيرهم، وذلك لتحببهم في الإسلام وتعريفهم بأن الإسلام دين المواساة والرحمة والصفح والعفو، وفيها أنه يقدم في ذلك أشرفهم ورؤساؤهم، فإن أبا سفيان كان من كبار أشراف أهل مكَّة، وكذا صفوان بن أمية والأقرع وعيينة وعباس بن مرداس كانوا من رؤساء القبائل العربية وأشرفها، فأراد ﷺ بما أعطاهم استمالة قلوبهم وقلوب ذويهم للإسلام وتحببهم في الله ورسوله ﷺ، ولذلك لما عتب الأنصار على ما صنع قال لهم: «إن قريشاً حديث عهدٍ بجاهلية ومُصيبة، وإنني أردت أن أجبرهم وأتالفهم».

رواه مسلم عن أنس في الزكاة (١٥٢/٧)، فكان ما فعله مع أولئك المؤلفة قلوبهم الطلقاء من جملة حكيمه ﷺ وسياسته الشرعية.

أما ما قاله ذلك الرجل في شأن قسمة النبي ﷺ وعدم مؤاخذته بما قال فيه، ونسبته إلى الظلم والجور، فقد تقدم حكمه في الكلام على الخوارج، ويأتي شيء من هذا لاحقاً.

✽ مجيء هوازن مسلمين ورد السبي عليهم

[٥٠٥] عن المسور بن مخرمة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قام حين جاءه وفد هوازن مُسلمين، فسألوه أن يرُدَّ إليهم أموالهم وسبيهم، فقال لهم رسول الله ﷺ: «معي من ترون، وأحب الحديث إليَّ أصدقُه، فاختروا إحدَى الطائفتين: إما السبي، وإما المال، وقد كنت استأثنت بكم»، وكان أنظَرهم رسول الله ﷺ بضع عشرة ليلة حين قفل من الطائف، فلما تبين لهم أن رسول الله ﷺ غير رادِّ إليهم إلا إحدى الطائفتين، قالوا: فإننا نختار سبينا، فقام رسول الله ﷺ في المسلمين فأثنى على الله بما هو أهله، ثم قال: «أما بعد، فإن إخوانكم قد جاءونا تائبين، وإنني قد رأيت أن أرُدَّ إليهم سبيهم، فمن أحب منكم أن يُطَيَّب ذلك فليُفعل، ومن أحب منكم أن يكونَ على حَظِّه حتى نُعْطِيه إياه من أول ما يُفِيءُ اللهُ علينا فليُفعل»، فقال الناس: قد طيَّبنا ذلك يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: «إننا لا نَدْرِي مَنْ أَذِنَ مِنْكُمْ في ذلك مِمَّنْ لَمْ يَأْذُنْ، فارجعوا حتى يرفعَ إلينا عُرفاؤكم أمركم»، فرجع الناس فكلَّمهم عُرفاؤهم ثم رجعوا إلى رسول الله ﷺ فأخبروه أنهم قد طيَّبوا وأذِنوا.

رواه البخاري في المغازي (٩٤/٩، ٩٥) وفي الوكالة وفي مواضع.

«عرفاؤكم» جمع عريف بفتح العين وكسر الراء المخففة هو الذي يتعرَّف شؤون القوم. وقوله: «استأثنت» أي استنظرت وأخرت قسم السبي لِتَحْضُرُوا فائبطاتكم.

لما فرغ النبي ﷺ من غزوة حُنين أخذ الغنائم وذهب إلى الجعرانة

ولم يقسمها، فبعث أبا عامر إلى أوطاس ثم خرج في جيشه إلى الطائف وحاصرها أربعين يوماً ثم قفل، فرجع إلى الجعرانة وتأخر مدة ثم قسم الغنائم، ثم بعد ذلك جاءه وفد هوازن مسلمين تائبين يطلبون منه رضاً رده سبيهم وما أخذه منهم، وكان في هذا الوفد تسعة نفر من أشرفهم فأسلموا وبايعوا ثم كلموه، فقالوا: يا رسول الله إن فيمن أصبتم الأمهات، والأخوات، والعمّات، والخالات، وهنّ مخازي الأقبام، فقال رضاً: «سأطلب لكم وقد وقعت المقاسم، فأبي الأمرين أحب إليكم السبي أم المال؟»، فاختاروا الأهل والأولاد، فمنّ عليهم النبي رضاً بما كان عنده... وخير أصحابه بين تنازلهم عما عندهم وبين أن يكونوا على نصيبهم حتى يكافئهم مما يفى الله عليه، فلبى كل المسلمين ما دعاهم إليه رضاً إلا بعض جفاة الأعراب فامتنعوا من ردّ ما عندهم. وقول أولئك النفر: إن فيما أصبتم الأمهات والأخوات: يعنون بذلك ما سباه من بني سعد، وقد كان مسترضعاً عند حليلة السعدية وهم أهل قبيلتها، ويقال: إنه كان في السبي أخوه وأخته من الرضاعة، ولا يصح في ذلك شيء وإن ذكره أهل المغازي والسير.

❁ فوائد غزوة حنين وما يتبعها وما في ذلك من عبر وحكم ودروس

أولاً: كان النبي رضاً استعار من صفوان بن أمية وهو على شزركه آلات من الآلات الحربية كما في الحديث التالي:

[٥٠٦] فعنه أن رسول الله رضاً استعار منه أدرعاً يوم حنين، فقال: أغضب يا محمد؟ فقال: «لا بل عارية مضمونة».

رواه أحمد (٤٠١/٣ و ٤٦٥/٦)، وأبو داود (٣٥٦٢)، والحاكم (٤٢/٢)، والبيهقي في السنن (٨٩/٦) وهو صحيح لغيره، وقد تقدّم في البيوع.

واستدلّ بهذا الحديث من أجاز الاستعانة بالكافر على الكافر، وفي ذلك خلاف بين الفقهاء، وقد جازاه النبي رضاً جزاءً وفاقاً بعد نصره بخنين حتى أصبح أحبّ الناس إليه.

[٥٠٧] فعن ابن شهاب قال: غزا رسول الله رضاً غزوة الفتح فتح مكة، ثم خرج رسول الله رضاً بمن معه من المسلمين فاقتتلوا بخنين، فنصر الله دينه والمسلمين وأعطى رسول الله رضاً يومئذ صفوان بن أمية مائة من النعم، ثم مائة، ثم مائة، قال: والله لقد أعطاني رسول الله رضاً ما أعطاني، وإنه لأبغض الناس إليّ، فما برح يُعطيني حتى إنه لأحبّ الناس إليّ.

رواه أحمد (٤٦٥/٦)، ومسلم في الفضائل (٧٣/١٥)، والترمذي في الزكاة في المؤلفّة قلوبهم (٥٨٩).

قوله: «إنه لأبغض الناس إليّ» لأن والده أمية بن خلف وولد له كانا قتيلاً ببدر، فكان ذلك حاملاً له على بغضه رضاً، لكن هذا البغض سرعان ما انقلب محبة لإحسانه رضاً ومعاملته الجميلة معه.

ثانياً: كان من أسباب هزيمة المسلمين بخنين إعجابهم بكثرتهم وغفلتهم عن نصر الله عزّ وجلّ، كما قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَصَافَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحَبَتْ ثُمَّ وَانْتَمْتُمْ مُدْبِرِينَ﴾.

[٥٠٨] وعن أنس رضي الله تعالى عنه قال: لما اجتمع يوم حنين أهل مكة وأهل المدينة أعجبتهم كثرتهم، فقال القوم: اليوم والله لا نقاتل حين اجتمعنا، فكره رضاً ما قالوا، ما أعجبهم من كثرتهم.

رواه الحاكم وصححه، فالإعجاب بالقوة والكثرة من أسباب الهزيمة، وهذا درس بليغ لكل الأجيال من المسلمين، وأنهم يجب عليهم أن يتعلّقوا بالله عزّ وجلّ وأن يعتمدوا عليه في جميع أمورهم ولا يعتمدوا على قوتهم أو عدد جيوشهم مهما كانت، فإن النصر ليس في ذلك، وإنما هو من عند الله، فقد ينصر القليل على الكثير كما فعل بهم ببدر، وقد يهزم الكثير

بالقليل كما حصل بخنين، فإن عددهم بهذه الغزوة لم يتقدم له مثل قبلها، ومع ذلك انهزموا لإعجابهم واعتمادهم على قوتهم.

ثالثاً: في ذلك شجاعة النبي ﷺ وصموده أمام جيوش المشركين وثباته وعدم تزعزعه عن مكانه، رغم أن أكثر المسلمين انهزموا وتفزقوا ولم يبق معه ثابِتاً إلا القليل من نحو ثمانين نفرأ، وهو يقول: «أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب».

رابعاً: معجزة له ﷺ، بل معجزتان: إيصال الحصى والتراب إلى أعين الكفار كافة وانهزامهم بقوله: «انهزموا ورب محمد»، مع دعائه ﷺ بالنصر.

خامساً: معجزة له قبل المعركة بإخباره ﷺ بأن كل ما جاء به المشركون سيكون غداً غنيمة للمسلمين، فكان كما قال.

سادساً: كان الطلقاء والأعراب الذين جاءوا معه ﷺ هم الذين انهزموا أولاً، وتبعهم غيرهم، ولذلك لما نادى العباس بأصحاب السمرة التفوا حوله بسُرعة وهم يُجيبون: يا ليك يا ليك، وفي هذا تنبيه للمسلمين في أن لا يصحبوا معهم في مهمة أو مشهد إلا من كان مؤمناً موثقاً به، وإلا أفسد عليهم ما يريدون.

سابعاً: كان عقب تلك الهزيمة من المسلمين نصر الله لرسوله ﷺ ونزول السكينة عليه وعلى من حوله من المؤمنين، وأنزل جنوداً من عنده عز وجل تحمي رسوله وتدعمه، يقول الله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿٥٩﴾ الآية.

ثامناً: ثبت في هذه الغزوة أن أم سليم كان معها خنجر فشكاها زوجها إلى النبي ﷺ فدار بينهما ما في الحديث التالي:

[٥٩] فعن أنس رضي الله تعالى عنه قال: إن أم سليم أتخذت يوم خنين خنجراً، فكان معها فراها أبو طلحة فقال: يا رسول الله هذه أم سليم

معها خنجر، فقال لها رسول الله ﷺ: «ما هذا الخنجر؟» قالت: أتخذته إن دنا مني أحد من المشركين بقرت به بطنه، فجعل رسول الله ﷺ يضحك، قالت: يا رسول الله أقتل من بعدنا من الطلقاء، انهزموا بك، فقال رسول الله ﷺ: «يا أم سليم إن الله قد كفى وأحسن».

رواه أحمد (٣/١٩٠)، ومسلم في الجهاد (١٢/١٨٧، ١٨٨).

«خنجر» بكسر الخاء وفتحها وهو: سكين كبيرة ذات حدين.

وفيه جواز الغزو بالنساء ولا خلاف في ذلك، فقد كان نساء النبي ﷺ ونساء الصحابة يخرجن مع الرجال، قالت أم سليم: فيسقين الماء ويداوين الجرحى، رواه مسلم وغيره. ولم يثبت في حديث ما أن امرأة قتلت مع النبي ﷺ في صف الرجال ودخولها المعارك وما ورد في ذلك فباطل كما قدمنا في غزوة أحد، ولذلك لما استأذنته عائشة في الجهاد قال لها: «عليكن جهاد لا قتال فيه: الحج والعمرة».

أما اتخاذ أم سليم للخنجر، فكان منها احتياطاً للدفع عن نفسها، وهذا لا خلاف في جوازه.

تاسعاً: في حديث بعث أبي عامر إلى أوطاس، فضله وفضل ابن أخيه أبي موسى الأشعري، حيث إن النبي ﷺ دعا لهما بتينك الدعوتين العظيمتين، ودعاؤه ﷺ مستجاب.

عاشراً: لما لم يتمكن المسلمون من فتح الطائف وطالت المحاصرة ورأى النبي ﷺ المصلحة في الانصراف دعا معهم بالهداية فهداهم الله وجاءوه إلى المدينة مسلمين، كما يأتي.

حادي عشر: كان في تقسيمه ﷺ الغنائم وإيثاره أشرف الطلقاء ورؤساء العرب على غيرهم من المهاجرين والأنصار سياسة دينية؛ لأنه كان في ذلك مصلحة عظيمة رجعت على الإسلام بخير كبير، على أن المؤلفة قلوبهم قد جعل الله عز وجل لهم حصة خاصة تعطى لهم من الزكاة، فهم

من مصاريفها الثمانية المذكورين في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ
وَالْمَسْكِينِ﴾ الآية.

ثاني عشر: فضل الأنصار على غيرهم وعظم محبة الرسول ﷺ لهم، وأنهم خواصه وشعاره، وأن الناس سيرجعون إلى ديارهم بالمال والشاه، وهم سيرجعون إلى ديارهم ويلاذهم برسول الله ﷺ وحببيه، وأنه سيبقى معهم حتى يُدفنَ بين أظهرهم، وقد أزال عنهم تلك الوسواس التي خطرت لهم حتى فاه بها بعض أحداثهم، بالمزينة العظمى التي نالوها بوجوده ﷺ عندهم، فندموا على ما قالوا وفاضت دموعهم ورضوا بما قال لهم نبي الله ﷺ.

✽ عمرته ﷺ من الجعرانة

[٥١٠] عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: اعتمر رسول الله ﷺ أربع عُمَر كَلَهَنَ في ذي القعدة إلا التي كانت مع حجته: عمرة من الحديبية في ذي القعدة، وعمرة من العام المقبل في ذي القعدة، وعمرة من الجعرانة، حيث قسم غنائم حُنين في ذي القعدة، وعمرة مع حجته.

رواه أحمد (١٣٤/٣، ٢٥٦)، والبخاري في الحج وفي المغازي (٤١٤٨)، ومسلم (١٢٥٣)، وأبو داود (١٩٩٤) كلهم في الحج، ورواه الترمذي عن ابن عباس.

[٥١١] وعن مُحَرِّشِ الكعبي الخزاعي أن النبي ﷺ خرج ليلاً من الجعرانة حين أمسى معتمراً، فدخل مكة ليلاً فقصى عمرته ثم خرج من تحت ليلته، فأصبح بالجعرانة كبائت حتى إذا زالت الشمس خرج من الجعرانة في بطن سرف حتى جاء الطريق طريق المدينة بسرف، قال: فلذلك خفيت عمرته على كثير من الناس. وفي رواية: فنظرت إلى ظهره كأنه سبيكة فضة.

رواه أحمد (٤٢٦/٣، ٤٢٧)، وأبو داود (١٩٩٦)، والترمذي (٨٣٢)، والنسائي (١٥٧/٥) وسنده حسن.

«الجعرانة» بكسر الجيم والعين وفتح الراء المشددة وتسكن العين مع تخفيف الراء هو: موضع شرق شمال مكة المكرمة بينه وبينها نحو من عشرين كيلو، نزلها النبي ﷺ بغنائم حنين وبها قسمها، ثم لما جاء هوازن تائبين ورد عليهم سبيهم أحرم هو وأصحابه بعمره من هذا الموضع ونزلوا مكة فقصوا عمرتهم، ثم رجع ﷺ إلى الجعرانة من ليلته وأصبح بها، فلما زالت الشمس خرج حتى نزل بسرف ثم أتجه قافلاً إلى المدينة. وذكر علماء المغازي أنه ﷺ جعل عتاب بن أسيد عاملاً على مكة وخلف بها معاذ بن جبل يعلمهم شرائع الدين، وجعل على من أسلم من أهل الطائف مالك بن عوف النضري بعدما أسلم.

ملحوظة: تضافرت الأحاديث الصحاح بأن النبي ﷺ اعتمر من الجعرانة وقد خفي ذلك على ابن عمر ونافع مولاة وغيرها فنفوا ذلك. قال ابن كثير: وقد أطبق النقلة ممن عداهما على رواية ذلك من أصحاب الصحاح والسنن كلهم.

✽ سرايا ذكرها علماء المغازي هاهنا في هذه السنة ليست لها أسانيد معتمدة

منها: سرية خالد بن الوليد بعثه النبي ﷺ إلى هدم العزى وهو صنم كان بنحلة تعظمه قريش وكنانة ومضر، فانتهى إليها خالد فهدمها، وكان هنالك بيت فخرجت منه امرأة سوداء ناشرة شعرها تولول، فعلاها بالسيف حتى قتلها، وكان ذلك في خمس بقين من رمضان من هذه السنة بعد الفتح.

ومنها: سرية عمرو بن العاص، بعثه النبي ﷺ إلى سواع وهو صنم

كان على ثلاثة أميال من مكة، فذهب إليه فهدمه وكسره، وكان ذلك أيضاً آخر رمضان.

ومنها: سرية سعد بن زيد الأشهلي بعثه النبي ﷺ إلى تهديم مناة وهو صنم للأوس والخزرج كان بالمُسَلَّل، فخرج بعد الفتح في عشرين فارساً حتى انتهى إليها، فخرجت إليه امرأة عريانة سوداء نائرة الرأس تدعو بالويل وتضرب صدرها، فضربها سعد بن زيد فقتلها وأقبل على الصنم ومعه أصحابه فهدموه.

أورد هذه السرايا كل من ابن إسحاق وابن سعد.

✽ خلاصة ما وقع في السنة الثامنة من أحداث

في هذه السنة من الأحداث: مكاتبته ﷺ للملوك، رسالته إلى هرقل، رسالته إلى كسرى، رسالته إلى المقوقس، إسلام عمرو بن العاص، وخالد بن الوليد، غزوة مؤتة، غزوة ذات السلاسل، غزوة سيف البحر، الفتح الأكبر فتح مكة المكرمة، رسالة حاطب إلى أهل مكة، كتمان الرسول وجهته، خروجه من المدينة متوجهاً إلى مكة، نزوله الكديد وإفطاره، نزوله بمر الظهران، إسلام أبي سفيان بن حرب، دخول النبي ﷺ مكة من كداء بأعلاها، كيف رتب الجيش عند دخوله مكة، الإذن من الله لرسوله بالقتال في مكة ساعة من نهار، تحطيمه الأصنام ودخول الكعبة، إسلام أبي قحافة والد أبي بكر، اغتساله عليه السلام وصلاته ثمان ركعات بعد الفتح، إهداره دماء جماعة من الكفار، مبايعته الناس على شرائع الدين، إخباره بأن مكة لا تُغزى، مدة إقامته بمكة بعد الفتح، بعث النبي ﷺ إلى بني جديمة، غزوة حنين، بشارة النبي بالنصر وأخذ الغنيمة، غزوة أوطاس، غزوة الطائف، تقسيم الغنائم، مجيء هوازن مسلمين تائبين، عمرته ﷺ من الجعرانة، سرايا ذكرها أهل المغازي ليست على شرطنا.

✽ السنة التاسعة جمع الصدقات

[٥١٢] عن أبي حميد الساعدي رضي الله تعالى عنه قال: استعمل رسول الله ﷺ رجلاً من الأزدي يقال له ابن اللثبية على الصدقة، فلما قدم قال: هذا لكم، وهذا أهدي لي، فقام رسول الله ﷺ على المنبر، فحمد الله وأثنى عليه وقال: «ما بال عامل أبعته فيقول: هذا لكم، وهذا أهدي لي، أفلا تعد في بيت أبيه أو بيت أمه حتى ينظر أيهدى إليه أم لا؟ والذي نفس محمد بيده، لا ينال أحد منكم منها شيئاً إلا جاء به يوم القيامة يحمله على عنقه إن كان بغيراً له رعاء، أو بقرة لها خوار، أو شاة تيعر»، ثم رفع يديه حتى رأينا عُفْرَتِي يُطَيِّئُهُ ثم قال: «اللهم هل بلغت» مرتين.

رواه أحمد (٤٢٣/٥)، والحميدي (٨٤٠)، والبخاري في مواضع في الجمعة وفي الأيمان والنذور رقم (٦٦٣٦) وفي الحيل (٦٩٧٩) وفي الأحكام (٧١٧٤) باب هدايا العمال، ومسلم في الإمارة (٢١٨/١٢، ٢١٩)، وأبو داود في الخراج (٦٩٤٦) وغيرهم.

«اللثبية» بضم اللام المشددة وسكون التاء. و«الأزد» بفتح الهمزة؛ أزد شنوءة اليمنية. «تيعر» بفتح التاء وسكون الياء ثم عين مكسورة ومفتوحة أي: شاة تصيح.

لما قدم النبي ﷺ المدينة بعد فراغه من الفتح وحنين وأوطاس والطائف، وقسم الغنائم واعتماره ودخلت السنة التاسعة بعث رسول الله ﷺ رجلاً جباة يجمعون الزكوات من الأعراب الذين أسلموا، وكان ابن اللثبية من بينهم، فلما جاء بالصدقة وقد أهدي إليه شيء، بين ذلك للنبي ﷺ، فلم يقبل ذلك منه بل أنكر عليه وأخبر بأن من فعل مثل فعله جاء يوم القيامة حاملاً ذلك على عنقه، وفي هذا دليل على أن ما يأخذه الموظف مع الدولة من هدايا لأجل عمله يعدّ غلولاً أو رشوة، فلا يجوز له أخذ ذلك

وليضعه في حساب الدولة الإسلامية، وقد قدمنا شيئاً من هذا سابقاً في الإمارة في باب هدايا العمال والموظفين.

✽ إسلام عدي بن حاتم الطائي

[٥١٣] عن عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ قَالَ: لَمَّا بَعَثَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ النَّبِيَّ ﷺ فَزَرَزْتُ مِنْهُ حَتَّى كُنْتُ فِي أَقْصَى أَرْضِ الْمُسْلِمِينَ مِمَّا يَلِي الرُّومَ، قَالَ: فَكْرَهُتُ مَكَانِي الَّذِي أَنَا فِيهِ حَتَّى كُنْتُ لَهُ أَشَدَّ كِرَاهِيَةً لَهُ مِنِّي مِنْ حَيْثُ جِئْتُ، قَالَ: قُلْتُ: لَأَتَيْنَنَّ هَذَا الرَّجُلَ فَوَاللَّهِ إِنْ كَانَ صَادِقًا فَلَأَسْمَعَنَّ مِنْهُ، وَإِنْ كَانَ كَاذِبًا مَا هُوَ بِضَائِرِي، قَالَ: فَأَتَيْتُهُ وَاسْتَشْرَفَنِي النَّاسَ وَقَالُوا: عَدِي بْنُ حَاتِمٍ، قَالَ: فَقَالَ لِي: «يَا عَدِي بْنُ حَاتِمٍ أَسْلِمْتَ تَسْلِمًا»، قَالَ: قُلْتُ: إِنِّي مِنْ أَهْلِ دِينِ، قَالَ: «يَا عَدِي بْنُ حَاتِمٍ أَسْلِمْتَ تَسْلِمًا»، قَالَ: قُلْتُ: إِنِّي مِنْ أَهْلِ دِينِ قَالَهَا ثَلَاثًا، قَالَ: «أَنَا أَعْلَمُ بِدِينِكَ مِنْكَ»، قَالَ: قُلْتُ: أَنْتَ أَعْلَمُ بِدِينِي مِنِّي؟ قَالَ: «نَعَمْ»، قَالَ: أَلَيْسَ تَرَأْسُ قَوْمِكَ؟ قَالَ: قُلْتُ: بَلَى، قَالَ: «فِيئَانَهُ لَا يَجِلُّ فِي دِينِكَ الْمِزْبَاعُ»، قَالَ: فَلَمَّا قَالَهَا تَوَاضَعْتُ لَهَا، قَالَ: «وَإِنِّي قَدْ أَرَى أَنَّ مِمَّا يَمْنَعُكَ خِصَاصَةَ تَرَاهَا مِمَّنْ حَوْلِي، وَأَنَّ النَّاسَ عَلَيْنَا إِلْبًا وَاحِدًا هَلْ تَعْرِفُ مَكَانَ الْحَيْرَةِ؟» قَالَ: قُلْتُ: قَدْ سَمِعْتُ بِهَا وَلَمْ أَتْهَا، قَالَ: «لَتَوْشِكَنَّ الظُّعِينَةُ أَنْ تَخْرُجَ مِنْهَا بِغَيْرِ جَوَارٍ حَتَّى تَطُوفَ بِالْكَعْبَةِ، وَلَتَوْشِكَنَّ كَنُوزَ كَسْرَى بْنِ هُرْمُزٍ تَفْتَحُ»، قَالَ: قُلْتُ: كَسْرَى بْنُ هُرْمُزٍ؟ قَالَ: «كَسْرَى بْنُ هُرْمُزٍ» - ثَلَاثَ مَرَاتٍ - «وَلِيَوْشِكَنَّ أَنْ يَبْتَغِيَ مِنْ يَقْبَلُ مَالَهُ مِنْهُ صَدَقَةٌ فَلَا يَجِدُ»، قَالَ: فَلَقَدْ رَأَيْتُ اثْنَتَيْنِ؛ قَدْ رَأَيْتُ الظُّعِينَةَ تَخْرُجُ مِنَ الْحَيْرَةِ بِغَيْرِ جَوَارٍ حَتَّى تَطُوفَ بِالْكَعْبَةِ، وَكُنْتُ فِي الْخَيْلِ الَّتِي أَغَارَتْ عَلَى الْمَدَائِنِ، وَأَيْمُ اللَّهِ لَتَكُونَنَّ الثَّلَاثَةُ إِنَّهُ لِحَدِيثِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَدِيثِيهِ...

رواه أحمد (٣٧٧/٤، ٣٧٨)، وابن حبان (٢٢٨٠) بالموارد، والحاكم (٥١٨/٤، ٥١٩)، والبيهقي في الدلائل (٣٤٣/٥) بسند حسن وهو صحيح

لطريق آخر له رواه أحمد (٣٧٨/٤)، والطبراني قال الهيثمي (٢٠٨/٦) ورجاله رجال الصحيح غير عباد بن حُبَيْشٍ وهو ثقة.

وقوله: «لتوشكن الظعينة»... «ولتوشكن كنوز كسرى» الخ، هو في الصحيح ويأتي في التنبؤات النبوية من المعجزات.

وعدي بن حاتم مشهور كوالده بالكرم والجود.

✽ غزوة تبوك وهي غزوة العسرة

وهي آخر غزواته ﷺ

إخباره ﷺ عن وجهة خروجه لتبوك

[٥١٤] عن كعب بن مالك رضي الله تعالى عنه قال: كان رسول الله ﷺ قَلَمًا يريد غزوة يَغزوها إِلا وَرَى بِغَيْرِهَا، حَتَّى كَانَتْ غَزْوَةُ تَبُوكَ، فَغَزَاهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي حَرٍّ شَدِيدٍ، اسْتَقْبَلَ سَفَرًا بَعِيدًا، وَمَفَازًا، اسْتَقْبَلَ غَزْوَ عَدَدٍ كَبِيرٍ، فَجَلَّ لِلْمُسْلِمِينَ لِيَتَأَهَّبُوا أَهْبَةً عَدُوَّهُمْ، أَخْبَرَهُمْ بِوَجْهِهِ الَّذِي يَرِيدُهُ.

رواه البخاري في الجهاد رقم (٢٩٤٨) هكذا مختصرًا، ورواه مسلم في التوبة (٢٧٦٩) ويأتي مطولاً.

تبوك مدينة مشهورة وكانت في القديم أرضاً قاحلة وموقعها شمال المدينة بينهما نحو من سبعمائة كيلو، وهي إلى الأردن أقرب.

وكان سبب هذه الغزوة أن النبي ﷺ بلغه أن الروم جمعوا له جمعاً وجيوشاً ليغزوه فجهز لهم جيشاً جزاراً مكوناً من ثلاثين ألف مسلم، وكان من عاداته إذا أراد غزو قوم ورى وأوهم بغير جهته، ولما كانت هذه الغزوة أظهر شأنها للناس ليتأهبوا ويستعدوا لسفر طويل وعدو كثير.

✽ أمر النبي ﷺ بالصدقة والإنفاق
استعداداً للغزوة ولإعداد الجيش

[٥١٥] عن عبدالرحمن بن سمرة رضي الله تعالى عنه قال: جاء عثمان إلى النبي ﷺ بألف دينار في ثوبه حين جهّز النبي ﷺ جيش العسرة، قال: فصَبَّها في حجر النبي ﷺ، فجعل النبي ﷺ يَقْلِبُها بيده ويقول: «ما ضَرَّ ابنَ عَفَّانَ ما عَمِلَ بعدَ اليومِ»، يردّها مراراً.

رواه أحمد (٦٣/٥)، والترمذي في مناقب عثمان (٣٤٧٣) وحسنه، والحاكم (١٠٢/٣) وصححه ووافقه الذهبي، والحديث صحيح لشواهده ويأتي بعضها في الفضائل.

لما حَضَّ النبي ﷺ على الإنفاق لتجهيز الجيش، تسابق المسلمون إلى الإنفاق وتنافسوا في ذلك، وكان أكثرهم نفقةً وتجهيزاً على الإطلاق عثمان رضي الله تعالى عنه، فأتى بألف دينار فوضَعها في حجر النبي ﷺ حتى بَشَّرَه بأنه لا يَضُرُّه أي عملٍ عَمِلَه بعد هذا الإنفاق.

[٥١٦] بل قد جاء عن عبدالرحمن بن خَبَّاب السُّلَمي رضي الله تعالى عنه قال: خرج رسول الله ﷺ فحَتَّ على جيش العسرة، فقال عثمان بن عفان: عليّ مائة بعير بأحلاسها وأقتابها، قال: ثم حَتَّ، فقال عثمان: عليّ مائة أخرى بأحلاسها وأقتابها، قال: ثم نزل مرقاة من المنبر، ثم حَتَّ فقال عثمان: عليّ مائة أخرى بأحلاسها وأقتابها، قال: فرأيت النبي ﷺ يقول بيده هكذا يحركها كالمتعجب: «ما على عثمانٍ ما عَمِلَ بَعْدَ هذا».

رواه أحمد (٧٥/٤)، وأصله في البخاري في الوقف (٣٣٦/٦) وفي الفضائل (٥٤/٨) معلقاً ووصله الإسماعيلي بسند صحيح بلفظ: «... أَلَسْتُمْ تعلمون أنه قال: من جهّز جيش العسرة فله الجنة فجهّزته...»، ويأتي في الفضائل كاملاً.

✽ البكّاءون الذين اسْتَحْمَلُوا النبي ﷺ فلم يجد ما يَحْمِلُهُمْ عليه

[٥١٧] عن أبي موسى رضي الله تعالى عنه قال: أرسلني أصحابي إلى رسول الله ﷺ أسأله الحُمْلان لهم، إذ هم معه في جيش العسرة وهي غزوة تبوك، فقلت: يا نبي الله إن أصحابي أرسلوني إليك لتحملهم، فقال: «والله لا أُحْمِلُكُمْ على شيء»، ووافقته وهو غضبانٌ ولا أشعُرُ، ورجعت خزيناً من منع النبي ﷺ ومن مخافة أن يكون النبي ﷺ وجد في نفسه عليّ، فرجعت إلى أصحابي، فأخبرتهم الذي قال النبي ﷺ، فلم أَلْبَثْ إلا سُوَيْعَةً إذ سمعتُ بلالاً ينادي: أي عبد الله بن قيس، فأجبتة فقال: أجب رسول الله ﷺ يدعوك، فلما أتيتة قال: «خذ هذين القَرِينَيْنِ، وهذين القَرِينَيْنِ لِسِتَّةِ أُبْعِرَةٍ ابتاعَهُنَّ حينئذٍ من سعد، فانطلق بهنَّ إلى أصحابك، فقل: إن الله أو قال: إن رسول الله ﷺ يَحْمِلُكُمْ على هؤلاء فاركبوهن»، فانطلقت إليهم بهن فقلت: إن النبي ﷺ يحملكم على هؤلاء ولكني والله لا أدْعُكُمْ حتى يَنْطَلِقَ معي بعضكم إلى من سمع مقالة رسول الله ﷺ لا تظنوا أنني حدّثتكم شيئاً لم يَقُلْه رسول الله ﷺ، فقالوا لي: والله إنك عندنا لمُصَدِّقٌ ولتَفْعَلُنَّ ما أَحْبَبْتِ، فانطلق أبو موسى بَنَقَرٍ منهم حتى أتوا الذين سمعوا قول رسول الله ﷺ منعه إياهم ثم إعطاءهم بعدُ فحدّثوهم بمثل ما حدّثهم به أبو موسى.

رواه البخاري في غزوة تبوك (١٧٥/٩) وفي فرض الخمس رقم (٣١٣٣)، ومسلم (١٠٨/١١، ١١١)، وأبو داود والنسائي ثلاثتهم في الأيمان والنذور وقد تقدم في التفسير بلفظ آخر.

الحديث يوضح لنا حالة الصحابة عند هذه الغزوة، وأنهم كانوا مُعْسِرِينَ في المركوب كما كانوا معسرين في النفقة، بل وفي الماء أيضاً مع القَيْظِ والحرِّ الشديد، ولذلك سَمِيَتِ الغزوة بغزوة العسرة. وهؤلاء الأصحاب الذين أتوا النبي ﷺ يستحملونه فلم يجدوا عنده شيئاً يحملهم عليه فرجعوا وهم يبكون، ثم بعد بعث إليهم فحملهم على أبعرة اشتراها،

وقد ذكر علماء المغازي وغيرهم أنّ من البكائين هؤلاء الأشعريين، وأبناء
مُقَرَّن وهم سُويد، ومَغِقِل، والثُّعْمان، ومنهم جماعة من الأنصار.

* تاريخ خروجه ﷺ إلى تبوك

[٥١٨] عن كعب بن مالك رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ خرج
يوم الخميس في غزوة تبوك، وكان يحب أن يخرج يوم الخميس.

رواه البخاري في الجهاد رقم (٢٩٥٠) مختصراً هكذا، ويأتي مطولاً
مع بيان تخريجه.

كانت غزوة تبوك في شهر رجب من السنة التاسعة قبل حجة الوداع
بلا خلاف، وكان خروجه ﷺ يوم الخميس، وكان يحب خروجه في
أسفاره يومه.

* تشييع الإمام عليّ النبي ﷺ واستخلافه على أهل البيت

[٥١٩] عن سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه أن علياً رضي الله
تعالى عنه خرج مع النبي ﷺ حتى جاء نية الوداع، وعليّ رضي الله تعالى
يبكي ويقول: تُخَلِّفُنِي مَعَ الْخَوَالِفِ، فقال: «أَوْ مَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي
بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى إِلَّا النَّبُوءَةَ».

رواه أحمد (١٧٠/١) بسند صحيح.

[٥٢٠] وعنه قال: خَلَّفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ
السَّلَامُ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَتُخَلِّفُنِي فِي النِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ؟

٤٩٨

فقال: «أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى، غير أنه لا نبي
بعدي»... .

رواه أحمد (١٨٢/١، ١٨٥) وفي مواضع، والبخاري في غزوة تبوك
(١٧٦/٩) وفي الفضائل، ومسلم في الفضائل (١٧٥/١٥، ١٧٦) وغيرهما،
وهو حديث متواتر ويأتي في الفضائل كاملاً.

في الحديثين دليل على أن الإمام علياً لم يخرج مع النبي ﷺ إلى
تبوك، بل جعله خليفة بعده على أهله وعلى المدينة وبشره بأنه وزيره
وخليفته في حياته كما كان هارون مع أخيه موسى عليهما السلام. وفي
الحديث الأول بيان أن الإمام خرج مع النبي ﷺ مودعاً له حتى وصل معه
إلى نية الوداع، وهو موضع قريب من الحرم الشريف يبعد عنه بأقل من
ميلين.

* مروره ﷺ على الحجر؛ بلاد ثمود وأمره بالبكاء عند الدخول إليها ونهيته عن الشرب... من مائها

[٥٢١] عن عبدالله بن عمر رضي الله تعالى عنهما أن رسول الله ﷺ
لما مرَّ بالحجر قال: «لَا تَدْخُلُوا عَلَى هَؤُلَاءِ الْمُعَذِّبِينَ»، وفي رواية: «لَا
تَدْخُلُوا مَسَاكِنَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ إِلَّا أَنْ تَكُونُوا بَاكِينَ، فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا
بَاكِينَ فَلَا تَدْخُلُوا عَلَيْهِمْ أَنْ يَصِيبَكُمْ مَا أَصَابَهُمْ»، ثم تَقَنَّعَ بِرِدَائِهِ وَهُوَ عَلَى
الرَّحْلِ، وَفِي رِوَايَةٍ: ثُمَّ زَجَرَ فَأَسْرَعَ حَتَّى خَلَّفَهَا.

رواه أحمد (٦٦/٢، ٧٢)، والبخاري في أحاديث الأنبياء (١٩٠/٧)
وفي المغازي (١٨٩/٩)، ومسلم في الزهد (١١١/١٨)، والنسائي في
الكبرى (٣٧٣/٦) وقد تقدّم في التفسير.

[٥٢٢] وعنه أن الناس نزلوا مع رسول الله ﷺ أرض ثمود الحجر

٤٩٩

فاستقوا من بثرها واعتجنوا به، فأمرهم رسول الله ﷺ أن يُهريقوا ما استقوا من بثرها، وأن يعلفوا الإبل العجينَ وأمرهم أن يستقوا من البثر التي كانت تردّها الناقةُ.

رواه البخاري في الأنبياء رقم (٣٣٧٩)، ومسلم في الزهد (٢٩٨٠) وغيرهما.

«أصحاب الحجر» هم ثمود قوم صالح عليه السلام، وقد تقدمت قصته معهم، وأن الله عز وجل عذبهم وأهلكهم بعد أن عقروا الناقة. والحديثان يدلان على وجوب الابتعاد عن دور المغضوب عليهم ومساكن المعدبين والمرور عليها بسرعة، وأن من دخلها ينبغي له أن يعتبر بأهلها ويبكي خشية أن يصيبه مثل ما أصابهم، والعاقل من وعظ بغيره، وفيهما عدم تناول مياههم لأنها من آثار المغضوب عليهم، وقد أخذ العلماء من حديث ابن عمر هذا، تحريم الدخول إلى دور الكفار والظلمة وأهل الطغيان والفجور، وانظر ما تقدم في تفسير سورة إبراهيم، وراجع لهذا المعنى زاد المعاد لابن القيم... عند تكلمه على هذه الغزوة.

✽ بعض ما أصاب الصحابة في طريقهم لتبوك من الشدة والفرج

[٥٢٣] عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: قيل لعمر رضي الله تعالى عنه: حدثنا من شأن ساعة العسرة، فقال عمر: خرجنا إلى تبوك في قيظ شديد، فنزلنا منزلاً أصابنا فيه عطش حتى ظننا أن رقابنا ستقطع، حتى إن كان الرجل ليذهب يلمس الرجل فلا يرجع حتى يظن أن رقبته ستقطع، حتى إن كان الرجل لينحر بعيه فيعصر فرثه فيشربه، ويجعل ما بقي على كبده. فقال أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه: يا رسول الله إن الله عز وجل قد عودك في الدعاء خيراً فادع الله لنا، قال: «أتحب ذلك؟» قال:

نعم، فرفع يديه فلم يرجعهما حتى قالت السماء فأظلت ثم سكبت، فملؤوا ما معهم، ثم ذهبنا ننظر فلم نجدها جاوزت العسكر.

رواه ابن حبان (١٧٠٧) بالموارد، والحاكم (١٥٩/١) بسند صحيح، وأورده النور في المجمع (١٩٤/٦، ١٩٥) برواية البزار وأوسط الطبراني وقال: رجال البزار ثقات، وهو في دلائل النبوة للبيهقي (٢٣١/٥).

«العسرة» بضم العين الشدة. «قيظ» بفتح القاف وسكون الياء هو الحر. «يلتمس» أي: يطلب. «سكبت» أي: صببت. في الحديث بيان ما نال الصحابة من الشدة العظيمة والعسرة في هذه الغزوة، كما فيه معجزة للنبي ﷺ حيث أمطهم الله عز وجل الماء الغزير ولم يتعد الجيش.

[٥٢٤] وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: لما كان يوم غزوة تبوك أصاب الناس مجاعةً، فقالوا: يا رسول الله لو أذنت لنا فننحر نواضحنا فأكلنا وادّهنّا، فقال عمر: يا رسول الله إن فعلت قلّ الظهرُ ولكن ادعهم بفضل أزوادهم وادع الله لهم فيها بالبركة، لعلّ الله أن يجعل في ذلك بلاغاً، فقال رسول الله ﷺ: «نعم»، فدعا ينطع فبسطه ثم دعا بفضل أزوادهم، فجعل الرجل يأتي بكف ذرة، ويجيء الآخر بكف تمر، ويجيء الآخر بكسرة حتى اجتمع على النطع من ذلك شيء يسير، فدعا رسول الله ﷺ بالبركة، ثم قال لهم: «خذوا في أوعيتكم»، حتى ما تركوا في العسكر وعاء إلا ملؤوه فأكلوا حتى شبعوا وفضلت فضلة، فقال رسول الله ﷺ: «أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله لا يلقي الله بها عبدٌ غير شاك فيخجّب عن الجنة».

رواه مسلم في الإيمان (٢٢١/١، ٢٢٦).

«نواضحنا» أي جمالنا وهي الإبل التي يُستقى عليها. «أزوادهم» واحدها زاد وهو ما يتزوّد المسافر من مأكّل «نطع» بفتح النون والطاء وبكسر النون وسكون الطاء وغيرها لغات، وهي جلد الإبل أو غيره المدبوغ المسبوت شعره أو وبره. «وفضلت فضلة» أي: بقيت بقية. «غير شاك» أي: غير مرتاب بل مستيقناً من قلبه.

هذا لون آخر من العسرة حصل للصحابة رضي الله تعالى عنهم في طريقهم لتبوك؛ ذلك هو الجوع وقلة الزاد حتى هموا بنحر جمالهم ليقناتوا بها، لكن الرسول ﷺ نذّبهم إلى جمع ما بقي عندهم من أزواد فجمعوه فوضعه على جلد، فدعا الله عز وجل وبرك عليه فأمرهم أن يملؤوا أوعيتهم ففعلوا حتى ما بقي وعاء في الجيش إلا ملؤوه، فكانت هذه معجزة أخرى تضاف إلى سابقتها.

* مروره ﷺ على حديقة امرأة بوادي القرى، وإخباره بهبوب ريح عاصفة بتبوك، ونهيه أصحابه عن القيام

[٥٢٥] عن أبي حميد الساعدي رضي الله تعالى عنه قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ في غزوة تبوك فأتينا وادي القرى على حديقة لامرأة، فقال: «أخرصوها»، فخرصناها وخرصها رسول الله ﷺ عشرة أوسق، وقال: «أخصبها حتى نرجع إليك إن شاء الله»، فانطلقنا حتى قدمنا تبوك، فقال رسول الله ﷺ: «ستهب عليكم الليلة ريح شديدة، فلا يقم فيها أحد منكم، ومن كان له بعير فليشد عقاله»، فهبت ريح شديدة فقام رجل فحملة الريح حتى ألقته بجبل طيء، ثم أقبلنا حتى قدمنا وادي القرى فسأل رسول الله ﷺ المرأة عن حديقتها: «كم بلغ تمرها؟» فقالت: بلغ عشرة أوسق.

رواه أحمد (٤٢٤/٥)، والبخاري في الزكاة (١٤٨١)، ومسلم في الفضائل في معجزاته ﷺ (٤١/١٥، ٤٣)، وأبو داود (٣٠٧٩) وغيرهم.

«وادي القرى» موضع كان يسكنه اليهود بين خيبر وتبوك. «أخرصوها» أي: قدروا كم فيها من تمر، وأصل الخرص التخمين والظن.

وفي هذا الحديث معجزتان للنبي ﷺ، أولاهما: مطابقة الواقع لخرصه الحديقة، فإنه خرصها عشرة أوسق، فخرج كذلك. ثانيهما: إخباره

بهبوب تلك الريح الشديدة فهبت كما أخبر، وفيه عقاب مخالف نهيه ﷺ، فإنه نهى عن القيام عند ما تأتي الريح، فخالف رجل ذلك، فقام فطارت به وألقته بجبل فهلك.

* قصة عين تبوك وما وقع فيها من بركة النبي ﷺ وإخباره عن تبوك بأنها ستصبح جنانا

[٥٢٦] عن معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه: أنهم خرجوا مع رسول الله ﷺ عام تبوك، فقال: «إنكم ستأتون غداً إن شاء الله عين تبوك، وإنكم لن تأتوها حتى يضحى النهار، فمن جاءها فلا يمَس من مائها شيئاً»، فأتاها والعين مثل الشراك تبض بشيء من ماء، فغرف من العين قليلاً قليلاً حتى اجتمع في شيء، ثم غسل فيه وجهه ويديه، ثم أعاده فيها فخرجت العين فاستقى الناس، ثم قال رسول الله ﷺ: «يوشك يا معاذ إن طالت بك حياة أن ترى ما هاهنا قد ملئ جنانا».

رواه مسلم (٢٣٧/٥، ٢٣٨) و(ج ١٥/١٥، ٤٠، ٤١) في الفضائل.

«حتى يضحى» أي: حتى يرتفع النهار إلى وقت الضحى. «تبض» بكسر الباء أي: تسيل. «يوشك» أي: يقرب أو يسرع. «ملئ جنانا» أي: بساتين.

في هذا الحديث أربع معجزات: إخباره ﷺ الصحابة بأنهم سيدخلون تبوك غداً، وأنهم سيصلون إليها وقت الضحى، ثم بركته في الماء القليل حتى جرت العين ونبتت، ثم إخباره بأن تبوك ستصبح في المستقبل ذات بساتين وقد صدق هذا الواقع، فتبوك اليوم مدينة ذات مياه وبساتين وسكان... فصلّى الله وسلّم وبارك على هذا النبي العظيم الزكي الطاهر وعلى آله وأصحابه.

[٥٢٧] عن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما قال: أقام رسول الله ﷺ بتبوك عشرين يوماً يقصر الصلاة.

رواه عبدالرزاق (٤٣٣٥)، وأحمد (٢٩٥/٣)، وأبو داود (١٢٣٥)، وابن حبان رقم (٥٤٦) بالموارد، والبيهقي في الكبرى (١٥٢/٣) بسند صحيح وصححه جماعة كابن حزم والنووي وغيرهما.

لما نزل ﷺ بتبوك جعل ينتظر الكفار الذين كانوا يريدون غزوه، فمكث ينتظرهم عشرين يوماً، فألقى الله في قلوبهم الرعب وجبئوا فانصرفوا وتفرقوا فرجع ﷺ سالماً غانماً ظافراً، وقول جابر هنا: يقصر الصلاة، هذا قد تقدم في كتاب الصلاة فارجع إليه تستفد.

وقد حصل للنبي ﷺ في هذه الغزوة انتصار وفتح كما في الآتي.

✽ ✽ ✽

✽ إهداء ملك أيلة للنبي ﷺ بغلة

[٥٢٨] عن أبي حميد الساعدي رضي الله تعالى عنه قال في حديثه السابق قبل حديثين: وأهدى ملك أيلة للنبي ﷺ بغلة بيضاء، وكساه بُرداً، وكتب له يتخرهم.

رواه البخاري في الزكاة (١٤٨١) وغيره.

«أيلة» بهمزة مفتوحة ثم ياء ساكنة فلام مفتوحة؛ مدينة في أطراف الحجاز على ساحل البحر الأحمر وسط بين المدينة المنورة ودمشق.

قال علماء المغازي: لما كان رسول الله ﷺ نازلاً بتبوك أتاه يوحنا بن رؤبة صاحب أيلة، فصالح رسول الله ﷺ وأعطاه الجزية وأهدى للنبي ﷺ بغلة بيضاء، وأثابه النبي ﷺ فكساه برداً وكتب له كتاباً جاء فيه: «بسم الله

الرحمن الرحيم، هذه أمة من الله ومحمد النبي رسول الله ﷺ ليحثة بن رؤبة وأهل أيلة سفنهم وسيارتهم في البر والبحر، لهم ذمة الله ومحمد النبي ومن كان معهم من أهل الشام وأهل اليمن وأهل البحر، فمن أحدث منهم حدثاً فإنه لا يحول ماله دون نفسه، وأنه طيب لمن أخذه من الناس وأنه لا يحل أن يمنعوا ماء يردونه ولا طريقاً يردونه من بر أو بحر».

✽ ✽ ✽

✽ قصة أكيدر صاحب دومة الجندل وإهداؤه

للنبي ﷺ حلة من سندس

[٥٢٩] عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: إن أكيدر دومة الجندل أهدى لرسول الله ﷺ حلة من سندس فعجب الناس منها، فقال: «والذي نفس محمد بيده إن مناديل سعد بن معاذ في الجنة أحسن من هذا».

رواه أحمد (١١١/٣، ١٢٢، ٢٠٧، ٢٢٩)، ومسلم في الفضائل (٢٣/١٥)، ورواه البخاري ومسلم (٢٢/١٥)، والنسائي في الكبرى (٦٢/٥)، والترمذي في المناقب عن البراء.

«أكيدر» بضم الهمزة وفتح الكاف ثم ياء ساكنة فдал مكسورة. «ودومة» بضم الال وفتحها ثم واو ساكنة فميم مفتوحة. «والجندل» بفتح الجيم وسكون النون ثم دال مفتوحة.

أكيدر كان ملكاً عظيماً من طرف هرقل بدومة الجندل، وهو حصن وقرى من أطراف الشام، فبعث إليه النبي ﷺ خالد بن الوليد في جيش، قيل: كانوا أربعمائة فارس، فأخذ ويمن وجد معه فأتي به النبي ﷺ فأهدى له حلة سندس وصالحه على أداء الجزية، وقد ذكر علماء المغازي قصته في ذلك، وهي مع شهرتها ليست على شرطنا إلا ما ذكرناه من إهدائه الحلة إلى النبي ﷺ، وفي الحديث فضل سعد بن معاذ وتأتي مناقبه.

✽ ✽ ✽

✽ استهزاء المنافقين بآيات الله وبرسوله وبقراء المؤمنين

[٥٢٠] عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: قال رجل في غزوة تبوك في مجلس يوماً: ما رأينا مثل قرآنا هؤلاء، لا أرغب بطوناً، ولا أكذب ألسنة، ولا أجبن عند اللقاء، فقال رجل في المجلس: كذبت ولكنك منافق، لأخبرن رسول الله ﷺ، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ ونزل القرآن، قال عبدالله: فانا رأيت متعلقاً بحَقَبِ ناقة رسول الله ﷺ والحجارة تنكيه، وهو يقول: يا رسول الله إنما كنا نخوض ونلعب، والنبي ﷺ يقول: «إِذَا بَلَغَ آيَاتَهُ وَرَسُولَهُ كُتِمَ تَسْتَهْزِءُونَ».

رواه ابن جرير (١٧٢/١٠)، وابن أبي حاتم (١٨٣٩/٦) في تفسيريهما وسنده صحيح.

«بِحَقَبِ» بفتح الحزائم الذي يلي حقو البعير. «تَنكِيه» أي: تجرحه.

إن المنافقين قد مكروا مكروهم في هذه الغزوة وعاثوا فساداً بطعنهم في مقدسات الإسلام واستهزائهم بالله وبرسوله وبالمؤمنين، بل بلغ بهم الحال أن أرادوا الفُتْكَ برسول الله ﷺ كما يأتي قريباً. وهذا الطاعن هنا واحد منهم وقد رماه الصحابة بالحجارة، وهو مستجير بناقة رسول الله ﷺ عندما علموا باستهزائه.

[٥٢١] وعن كعب بن مالك رضي الله تعالى عنه قال: قال محشي بن حمير: لودِدْتُ أَنِّي أَقَاصَى عَلَى أَنْ يَضْرِبَ كُلَّ رَجُلٍ مِنْكُمْ مِائَةَ عَلَى أَنْ يَنْجُو مِنْ أَنْ يَنْزَلَ فِيْنَا قُرْآنٌ، فقال رسول الله ﷺ لعمار بن ياسر: «أَدْرِكُ الْقَوْمَ فَإِنَّهُمْ قَدْ احْتَرَقُوا فَسَلُّهُمْ عَمَّا قَالُوا، فَإِنْ هُمْ أَنْكَرُوا وَكْتَمُوا فَقُلْ: بَلَى قَدْ قَلْتُمْ كَذَا وَكَذَا» فأدرَكهم، فقال لهم، فجاءوا يعتذرون فأنزل الله عز وجل: «لَا تَمْتَدِرُوا قَدَّ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ» الآية، فكان الذي عفا الله عنه محشي بن حمير فتسمى عبدالرحمن، وسأل الله تعالى أن يُقتل شهيداً، وألا يعلم بمقتله، فقتل في اليمامة لا يعلم مقتله ولا من قتله ولا يرى له أثر ولا عين.

رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٨٣١/٦) بسند حسن صحيح لحال ابن إسحاق وقد صرح بالتحديث.

[٥٢٢] وعنه أيضاً قال: لما نزل القرآن فيه ذكر المنافقين، وما قال رسول الله ﷺ قال الجلاس: والله لئن كان هذا الرجل صادقاً لنحن أشتر من الحمير، قال: فسمعها عمير بن سعد فقال: والله يا جلاس إنك لأحب الناس إليّ أحسنهم عندي أثراً أو أعزهم على أن يدخل عليه شيء يكرهه، ولقد قلت مقالة لئن ذكرتُها لتَفْضَحَنَّكَ، ولئن سكنتُ عنها لتَهْلِكَنِي، ولأحدهما أشتر عليّ من الأخرى، فمشى إلى رسول الله ﷺ فذكر له مقال الجلاس، فحلف بالله ما قال ولقد كذب عليّ، فأنزل الله تعالى: «يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ» الآية.

رواه ابن إسحاق، ومن طريقه ابن أبي حاتم (١٨٤٣/٦) وسنده حسن وهو صحيح لشاهدين عن زيد بن أرقم وابن عباس رواهما ابن أبي حاتم (١٨٤٣/٦)، وانظر ابن جرير (١٨٥/١٠).

في المنافقين من تخلف عن هذه الغزوة واعتذر كذباً، ومنهم من خرج طمعاً في الغنيمة، وكان الخارجون يعيشون خبلاً الآونة بعد الآونة، ويتكلمون في الإسلام ويشتمون رسول الله ﷺ وينتقصونه ويسخرون من المؤمنين، ففضح الله الطائفتين وأنزل فيهم قرآناً يتلى، بين مكروهم وخداعهم وأبان عوارهم وأظهر كفرهم وسجل عليهم الخزي والهوان واللعنة والطرده من رحمة الله تعالى.

وسورة التوبة مليئة بالكلام عليهم، وقد تقدم بعض هذا في التفسير.

✽ محاولة المنافقين اغتيال رسول الله ﷺ

[٥٢٣] عن أبي الطفيل رضي الله تعالى عنه قال: لما أقبل رسول الله ﷺ من غزوة تبوك أمر منادياً فنادى: إن رسول الله ﷺ آخذ

بِالْعَقَبَةِ فَلَا يَأْخُذُهَا أَحَدٌ، فَبَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُودُهُ حُدَيْفَةَ، وَيَسُوقُهُ عَمَّارٌ، إِذْ أَقْبَلَ رَهْطٌ مُتَلَثِّمُونَ عَلَى الرَّوَاحِلِ، فَعَسَوْا عَمَّاراً، وَهُوَ يَسُوقُ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَقْبَلَ عَمَّارٌ يَضْرِبُ وَجْهَ الرَّوَاحِلِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «قَدْ قُذِّ» حَتَّى هَبَطَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْوَادِي فَلَمَّا هَبَطَ وَرَجَعَ عَمَّارٌ، قَالَ: «يَا عَمَّارُ هَلْ عَرَفْتَ الْقَوْمَ؟» قَالَ: «قَدْ عَرَفْتُ عَامَّةَ الرَّوَاحِلِ وَالْقَوْمِ مِتَلَثِّمُونَ، فَقَالَ: «هَلْ تَدْرِي مَا أَرَادُوا؟» قَالَ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «أَرَادُوا أَنْ يُتَفَرَّوْا بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَيَطْرَحُوهُ».

قال: فسأل عمار رجلاً من أصحاب النبي ﷺ فقال: نشدتك بالله كم تعلم كان أصحاب العقبة؟ قال: أربعة عشر رجلاً، فقال: إن كنت فيهم فقد كانوا خمسة عشر، قال: فعذر رسول الله ﷺ منهم ثلاثة، قالوا: ما سمعنا منادي رسول الله ﷺ وما علمنا ما أراد القوم، فقال عمار: أشهد أن الإثنى عشر الباقيين حرب لله ولرسوله ﷺ في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد.

رواه أحمد (٤٥٣/٥) بسند صحيح، قال النور (١٩٥/٦): ورجاله رجال الصحيح.

ورواه مسلم في صفات المنافقين (١٢٥/١٧) مختصراً.

هذا اللون من المكر الذي صدر من هؤلاء المنافقين خطير، فهو أقيح وأشنع ما أرادوا فعله به ﷺ، فلم يكفهم لعنهم الله ما كانوا يؤذون به رسول الله ﷺ من وقت لآخر من الشتائم والكلام البذيء، وما كانوا يُوقدونه من الفتن والعداوة بين المسلمين حتى أرادوا ههنا الفتك بالنبي ﷺ واللقاء عن راحلته في الجبل، لكن الله عز وجل كان حافظاً نبيه، لم يكلمه إلى أعدائه منذ أن اصطفاه واختاره لرسالته.

✽ معجزة النبي ﷺ في طريقه إلى المدينة من غزوة تبوك

[٥٣٤] عن فضالة بن عبيد الأنصاري رضي الله تعالى عنه قال: غزونا

مع النبي ﷺ غزوة تبوك فجهد بالظهر جهداً شديداً، فشكوا إلى النبي ﷺ ما بظهورهم من الجهد، فَتَحَيَّنَ بِهِمْ مَضِيْقاً، فسار النبي ﷺ فِيهِ، فقال: «مُرُوا بِاسْمِ اللَّهِ»، فَمَرَّ النَّاسُ عَلَيْهِ بِظُهُورِهِمْ، فَجَعَلَ يَنْفِخُ بِظُهُورِهِمْ «اللَّهُمَّ احْمِلْهُمْ عَلَيَّهَا فِي سَبِيلِكَ إِنَّكَ تَحْمِلُ عَلَى الْقَوِيِّ وَالضَّعِيفِ، وَعَلَى الرُّطْبِ وَالْيَابِسِ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ»، قَالَ: فَمَا بَلَّغْنَا الْمَدِينَةَ حَتَّى جَعَلَتْ تَنَازَعُنَا أَرْمَتَهَا.

رواه أحمد (٢٠/٦) بسند حسن وله طريق آخر رواه البزار والطبراني بسند ضعيف، كما في المجمع (١٩٣/٦).

«جهد بالظهر» بلغت المشقة والتعب بالإبل أقصاها. «فتحين» أي: قصد أن يسير بهم في موضع ضيق. «ينفخ بظهورهم» أي: ينفخ في الإبل ويدعو الله تعالى.

ففي الحديث معجزة له ﷺ، ولولا دعاؤه مع الإبل لهلك الجيش ورواحلهم لأنها جهدت وأعيت وكادت أن تسقط إلى الأرض، ولذلك لما دعا الله عز وجل بالحمل عليها قواها الله تعالى فأسرعت السير ونشطت...

✽ ما قاله ﷺ حين أشرف على المدينة مرجعه من تبوك

[٥٣٥] عن أبي حميد الساعدي رضي الله تعالى عنه قال: أقبلنا مع النبي ﷺ من غزوة تبوك حتى إذا أشرفنا على المدينة، قال: «هذه طابة وهذا أحد جبل يحبنا ونحبه».

رواه البخاري في المغازي رقم (٤٤٢٢) وهو عنده في الزكاة، ومسلم في الفضائل وغيرها مطولاً وتقدم بعضه برقم (٥٢٥).

كان النبي ﷺ يحب المدينة كثيراً، وكان إذا قدم من سفر فرآها أسرع في السير، وههنا قال: هذه طابة - يعني طيبة - وهذا جبل أحد يحبنا

ونحبّه، كل ذلك قاله فرحاً بقدمه إلى مدينته الحبيبة التي ألفها وأحبّها وأحبّ أهلها الأنصار.

✽ استقبال الناس النبي عليه السلام عند قدمه عند ثنية الوداع

[٥٢٦] عن السائب بن يزيد رضي الله تعالى عنه قال: لما قدم النبي ﷺ من غزوة تبوك تلقاه الناس، فلقيته مع الصبيان على ثنية الوداع. رواه أحمد (٤٤٩/٣)، والبخاري (٥٣٢/٦)، وأبو داود (٢٧٥٩)، والترمذي (١٥٧٦) كلّهم في الجهاد في تلقّي الغزاة والغائب.

هكذا تلقى المسلمون رجالاً ونساءً وأطفالاً النبي ﷺ فرحاً بقدمه سالمًا من هذه الغزوة الشاقة والسفر الطويل الذي غاب فيه هو وأصحابه أكثر من خمسين يوماً، ولا تسأل عن فرح المسلمين بقدمه ﷺ شأنهم في كل مشاهدته وأسفاره التي كان يغيب فيها عنهم رضي الله تعالى عنهم.

✽ حديث كعب بن مالك في توبته وتوبة صاحبيه وما فيه من عبر وفوائد

[٥٢٧] عن كعب بن مالك رضي الله تعالى عنه قال: وهو يحدث حين تخلف عن قصة تبوك لم أتخلف عن رسول الله في غزوة إلا في غزوة تبوك، غير أنني كنت تخلفت في غزوة بدر، ولم يُعاب أحدًا تخلف عنها، إنما خرج رسول الله ﷺ يريد عير قريش، حتى جمع الله بينهم وبين عدوّهم على غير ميعاد، ولقد شهدت مع رسول الله ﷺ ليلة العقبة،

حين تواتقنا على الإسلام، وما أحبّ أن لي بها مشهد بدر، وإن كانت بدر أذكر في الناس منها.

كان من خبري أنني لم أكن قط أقوى ولا أيسر حين تخلفت عنه في تلك الغزاة، والله ما اجتمعت عندي قبله راحلتان قط، حتى جمعتهما في تلك الغزوة ولم يكن رسول الله ﷺ يريد غزوة إلا ورى بغيرها، حتى كانت تلك الغزوة، غزاها رسول الله ﷺ في حرّ شديد، واستقبل سفراً بعيداً، ومفازاً، وعدوّاً كثيراً، فجلى للمسلمين أمرهم ليتأهبوا أهبةً غزوهم، فأخبرهم بوجهه الذي يريد، والمسلمون مع رسول الله ﷺ كثير، ولا يجمعهم كتابٌ حافظٌ - يريد الديوان - قال: فما رجل يريد أن يتعيب إلا ظنّ أن سيخفى له ما لم ينزل فيه وحي الله، وغزا رسول الله ﷺ تلك الغزوة حين طابت الثمار والظلال، وتجهّز رسول الله ﷺ والمسلمون معه، فطفقت أغدو لِكَيْ أتجهّز معهم، فأرجع ولم أقض شيئاً، فأقول في نفسي: أنا قادرٌ عليه، فلم يزل يتمادى بي حتى اشتد بالناس الجِدُّ فأصبح رسول الله ﷺ والمسلمون معه ولم أقض من جهازي شيئاً، فقلت: أتجهّز بعده بيوم أو يومين ثم ألحقهم، فغدوت بعد أن فصلوا لأتجهّز فرجعت ولم أقض شيئاً، ثم غدوت، ثم رجعت ولم أقض شيئاً، فلم يزل بي حتى أسرعوا وتفارط الغزو، وهممت أن أرتحل فأدركهم، وليتني فعلت، فلم يُقدّر لي ذلك، فكننت إذا خرجت في الناس بعد خروج رسول الله ﷺ فطفت فيهم أخزني أنني لا أرى إلا رجلاً مغموصاً عليه النفاق، أو رجلاً ممن عذر الله من الضعفاء، ولم يذكّرني رسول الله ﷺ حتى بلغ تبوك، فقال وهو جالس في القوم بتبوك: «ما فعل كعب؟» فقال رجل من بني سلمة: يا رسول الله حبسه بُزْدَاهُ ونظّره في عطفه، فقال معاذ بن جبل: بشئ ما قلت، والله يا رسول الله ما علمنا عليه إلا خيراً، فسكت رسول الله ﷺ، فبينما هو على ذلك رأى رجلاً مبيضاً يزول به السراب، فقال رسول الله ﷺ: «كن أبا خيثمة»، فإذا هو أبو خيثمة الأنصاري، وهو الذي تصدق بصاع التمر حين لَمَزَهُ المنافقون.

قال كعب: فلما بلغني أنه توجه قافلاً حضرني همّي وطفقت أتذكر

الكذب وأقول: بماذا أخرج من سَخَطِهِ غداً، واستعنتُ على ذلك بكل ذي رأي من أهلي، فلما قيل: إن رسول الله ﷺ قد أظلم قادمًا، زاح عني الباطل، وعرفت أنني لن أخرج منه أبداً بشيء فيه كذب، فأجمعتُ صدقَه، وأصبح رسول الله ﷺ قادمًا، وكان إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد فيركع فيه ركعتين، ثم جلس للناس، فلما فعل ذلك جاءه المُخَلَّفون فطفقوا يعتذرون إليه ويحلفون له، وكانوا بضعة وثمانين رجلاً، فقبل منهم رسول الله ﷺ علانيتهم، وبايعهم واستغفر لهم، ووكل سرائرهم إلى الله تعالى، فجنته فلما سلّمت عليه تبسّم تبسّم المُغْضَبِ، ثم قال: «تعال»، فجنّت أمّشي حتى جلست بين يديه، فقال لي: «ما خلّفك؟ ألم تكن قد ابتعت ظهرك؟» فقلت: بلى إني والله يا رسول الله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أن سأخرج من سخطه بعُذر، ولقد أعطيت جدلاً، ولكني والله لقد علمتُ لئن حدّثتُك اليوم حديث كذبٍ ترضى به عني لَيُوشِكَنَّ الله أن يُسَخِّطَك عليّ، ولئن حدّثتُك حديث صدقٍ تجدّ عليّ فيه إني لأرجو فيه عفو الله، لا والله ما كان لي من عُذرٍ، والله ما كنت قطّ أقوى، ولا أيسر مني حين تخلّفت عنك، قال رسول الله ﷺ: «أما هذا فقد صدق، فقم حتى يقضي الله فيك»، فقمّت وثار رجال من بني سلمة فاتبعوني فقالوا لي: والله ما علمناك كنتِ أذنبت ذنباً قبل هذا، ولقد عجزت أن لا تكون اعتذرت إلى رسول الله ﷺ بما اعتذر إليه المُتَخَلِّفون، قد كان كافيك ذنبك استغفارُ رسول الله ﷺ لك، فوالله ما زالوا يُؤنّبونني حتى أردت أن أرجع فأكذبت نفسي، ثم قلت لهم: هل لقي هذا معي أحدٌ؟ قالوا: نعم، رجلان قالا مثل ما قلت، فقيل لهما مثل ما قيل لك، فقلت: من هما؟ قالوا: مُرارة بن الربيع العمري، وهلال بن أمية الواقفي، فذكروا لي رجلين صالحين قد شهدا بدماء فيهما أسوة، فمضيت حين ذكروهما لي.

ونهى رسول الله ﷺ المسلمين عن كلامنا أيها الثلاثة من بين من تخلف عنه، فاجتنبنا الناس وتغيروا لنا حتى تنكرت في نفسي الأرض، فما هي التي أعرف، فلبثنا على ذلك خمسين ليلة، فأما صاحبائي فاستكانا وقعدا في بيوتهما يبكيان، وأما أنا فكنت أشب القوم وأجلدهم، فكنت أخرج

فأشهد الصلاة مع المسلمين وأطوف في الأسواق ولا يكلمني أحد، وأتى رسول الله ﷺ فأسلم عليه وهو في مجلسه بعد الصلاة، فأقول في نفسي: هل حرّك شفّته بردّ السلام عليّ أم لا؟ ثم أصلي قريباً منه فأسأله النّظر، فإذا أقبلت على صلاتي أقبل إليّ، وإذا التفت نحوه أعرض عني، حتى إذا طال عليّ ذلك من جفوة الناس مشيت حتى تسوّرتُ جدار حائط أبي قتادة وهو ابن عمّي وأحب الناس إليّ، فسلمت عليه، فوالله ما ردّ عليّ السلام، فقلت: يا أبا قتادة، أنشدك بالله هل تعلمني أحبّ الله ورسوله؟ فسكت فعدت له فنشدته فسكت فعدت له فنشدته، فقال: الله ورسوله أعلم، ففاضت عيناي وتولّيت حتى تسوّرت الجدار، قال: فيينا أنا أمشي بسوق المدينة إذا نَبَطِي من أنباط أهل الشام ممن قدم بالطعام يبيعه بالمدينة يقول: من يدلّ عليّ كعب بن مالك؟ فطفق الناس يشيرون له حتى إذا جاءني دفع إليّ كتاباً من ملك غسان، فإذا فيه: أما بعد، فإنه قد بلغني أن صاحبك قد جفاك ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعةً فالحق بنا نواسيك، فقلت لما قرأتها: وهذا أيضاً من البلاء، فتيّمت بها التنور فسجّرتُ بها حتى إذا مضت أربعون ليلة من الخمسين إذا رسول الله ﷺ يأتيني، فقال: إن رسول الله ﷺ يأمرُك أن تعتزل امرأتك، فقلت: أطلقها أم ماذا أفعل؟ قال: لا بل اعتزلها ولا تقربها، وأرسل إلى صاحبتي مثل ذلك، فقلت لامرأتي: الحقي بأهلك فتكوني عندهم حتى يقضي الله في هذا الأمر، قال: فجاءت امرأة هلال بن أمية رسول الله ﷺ، فقالت: يا رسول الله إن هلال بن أمية شيخ ضائع ليس له خادم، فهل تكره أن أخدمه؟ قال: لا، ولكن لا يقرّبك»، قالت: إنه والله ما به حركة إلى شيء، والله ما زال يبكي منذ كان من أمره ما كان إلى يومه هذا، فقال لي بعض أهلي: لو استأذنت رسول الله ﷺ في امرأتك كما أذن لامرأة هلال بن أمية أن تخدمه؟ فقلت: والله لا أستأذن فيها رسول الله ﷺ وما يُدريني ما يقول رسول الله ﷺ إذا استأذنته فيها وأنا رجل شاب، فلبثت بعد ذلك عشر ليال حتى كملت لنا خمسون ليلة من حين نهى رسول الله ﷺ عن كلامنا؛ فلما صلّيت صلاة الفجر صبح خمسين ليلة وأنا على ظهر بيت من بيوتنا،

فبينما أنا جالس على الحال التي ذكر الله قد ضاقت عليّ نفسي، وضاقت عليّ الأرض بما رَحِبَتْ، سمعت صوت صارخ أَوْفَى على جبل سَلَع بأعلى صوته: يا كعبُ بنَ مالكِ أبشِر، قال: فخرزْتُ ساجداً وعرفت أن قد جاء فرَجٌ.

وأذن رسول الله ﷺ بتوبة الله علينا حين صَلَّى صلاة الفجر، فذهب الناس يبشروننا، وذهب قِبَل صاحبيّ مُبَشِّرُونَ، وركَضَ إليّ رجل فرساً وسعى ساع من أسلم فأوفى على الجبل، وكان الصوت أسرع من الفرس، فلما جاءني الذي سمعت صوته يبشرنى نزعته له ثوبي فكسوته إياهما يبشراه، والله ما أملك غيرهما يومئذ، واستعرت ثوبين فلبستهما وانطلقت إلى رسول الله ﷺ فتلقاني الناس فوجاً فوجاً يُهْتَوْنِي بالتوبة يقولون: لَتَهْنِكَ توبة الله عليك، قال: حتى دخلت المسجد فإذا رسول الله ﷺ جالسٌ حوله الناس فقام إليّ طلحةُ بن عبدة الله يُهَزِّول حتى صافحني وهنّاني، والله ما قام إليّ رجل من المهاجرين غيره ولا أنساها لطلحة، قال: فلما سلّمْتُ على رسول الله ﷺ، قال رسول الله ﷺ وهو يَبْرُقُ وجهه من السرور: «أبشِر بخير يوم مرَّ عليك منذ ولدتك أمك»، قال: قلت: أمِنَ عندك يا رسول الله أم من عند الله؟ قال: «لا بل من عند الله»، وكان رسول الله ﷺ إذا سُرَّ استنار وجهه حتى كأنه قطعة قمر، وكنا نعرف ذلك منه، فلما جلست بين يديه قلت: يا رسول الله إن من توبتي أن أتخلع من مالي صدقة إلى الله وإلى رسول الله ﷺ، قال رسول الله ﷺ: «أمسِكْ عليك بعض مالك فهو خيرٌ لك»، قلت: فإني مُمَسِّكٌ سهمي الذي بخبير، فقلت: يا رسول الله إن الله إنما نجاني بالصدق، وإن من توبتي أن لا أحدث إلا صدقاً ما بقيت، فوالله ما أعلم أحداً من المسلمين أبلاه الله في صدق الحديث منذ ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ أحسن مما أبلاني ما تعمدت منذ ذكر ذلك لرسول الله ﷺ إلى يومي هذا كذباً، إنني لأرجو أن يحفظني الله فيما بقيت، وأنزل الله على رسوله ﷺ: «لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ» إلى قوله: «وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ»؛ فوالله ما أنعم الله عليّ من نعمة قط بعد أن هداني للإسلام أعظم في نفسي من صدقي رسول الله ﷺ.

أن لا أكون كذبتة فأهلك كما هلك الذين كذبوا، فإن الله قال للذين كذبوا حين أنزل الوحي شرّاً ما قال لأحد، فقال تبارك وتعالى: ﴿سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لَعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رَجِسٌ وَمَآؤُهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٥٥﴾ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِيَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِن تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٥٦﴾﴾.

قال: وكنا تخلّفنا أيها الثلاثة عن أمر أولئك الذين قبل منهم رسول الله ﷺ حين حلفوا له فبايعهم واستغفر لهم وأرجأ رسول الله ﷺ أمرنا حتى قضى الله فيه، فبذلك قال الله: ﴿وَعَلَى الْفَلَكِ الشَّامِ الْذَّبِخَاتُ﴾ وليس الذين ذكر الله مما خلفنا عن الغزو إنما هو تخليفه إيانا وإرجاؤه أمرنا عمّن حلف له واعتذر إليه، فقبل منه.

وفي رواية: فلبثت كذلك حتى طال عليّ الأمر وما من شيء أهتم إليّ من أن أموت فلا يصليّ عليّ النبيّ ﷺ أو يموت رسول الله ﷺ فأكون من الناس بتلك المنزلة، فلا يكلمني أحد منهم ولا يصليّ عليّ، فأنزل الله تبارك وتعالى توبتنا على نبيّه ﷺ حين بقي الثلث الأخير من الليل ورسول الله ﷺ عند أم سلمة وكانت أم سلمة مَحْسِنَةً في شأني مَعْنِيَةً في أمري، فقال رسول الله ﷺ: «يا أم سلمة تيب على كعب»، قالت: أفلا أرسل إليه فأبشره؟ قال: «إذا يخطمكم الناس فيمنعونكم النوم سائر الليلة»، حتى إذا صَلَّى رسول الله ﷺ صلاة الفجر آذن بتوبة الله علينا، قال: وكنا أيها الثلاثة الذين خُلِفُوا عن الأمر الذي قُبِلَ من هؤلاء الذين اعتذروا حين أنزل الله لنا التوبة، فلما ذكر بشر ما ذكر به أحد، قال الله سبحانه: ﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا لَنْ تُؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ تَبَّأْنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ﴾.

رواه البخاري في المغازي وفي التفسير (٤١٢/٩، ٤١٣) وفي أكثر من ستّة مواضع، ومسلم في التوبة (٨٧/١٧، ٩٧)، وأبو داود والترمذي والنسائي مطوّلاً ومختصراً وقد تقدم في التفسير بأخصر من هذا.

✽ بيان غريب ما في الحديث

«تواثقنا على الإسلام» أي: تعاهدنا. «فَجَلَى لِلْمُسْلِمِينَ» أي: أظهر لهم جهة سفره. «لِيَتَأَقْبُوا» أي: ليستعدوا. «مغموصاً عليه» مطعوناً عليه. «السراب» هو ما يظهر للإنسان في البرية كأنه ماء. «ابتعت ظهرك» أي: اشتريت راحلة تركبها. «فسجرت» أي: أحرقت. «أبلاه الله» أي: أنعم عليه.

✽ خلاصة غزوة تبوك وما فيها من فوائد وعبر

كانت هذه الغزوة أكبر غزواته وأشقها على الصحابة وأبعدها مسافة وآخرها غزاة، كان الروم قد جمعوا جمعوا كثيرة وأرادوا غزو النبي ﷺ، فأذن ﷺ بالخروج إليهم وحث الصحابة على الانفاق وأمرهم بالاستعداد وجلى لهم الأمر، وكانوا في وقت عُسْرٍ شديد، فخرج ﷺ في ثلاثين ألفاً ولم يتخلف عنه إلا المنافقون وأصحاب الأعداء والثلاثة الذين تاب الله عليهم، وكان خروجه يوم الخميس في رجب من السنة التاسعة، وخلف على أهله وعلى أهل المدينة الإمام علياً عليه السلام، فسار ومز في طريقه على الحجر وديار ثمود، كما مز على وادي القرى ثم تابع السير إلى أن بلغ تبوك، وقد قطع هذه المسافة في أربع عشرة مرحلة، فنزل تبوك وجعل ينتظر الروم عشرين يوماً فألقى الله في قلوبهم الرُغْبَ وتفرقوا، وفي أيام نزوله ﷺ بتبوك أتاه ملك أيلة وأهدى إليه ﷺ بغلة وصالحه على أداء الجزية، وكتب له ﷺ كتاباً في ذلك يبين له فيه بعض ما أعطاه وما شرط عليه، ثم بعث خالد بن الوليد إلى أكيندر دومة الجندل فأتي به وأهدى إلى النبي ﷺ حلة حرير وصالحه أيضاً على أداء الجزية، ثم رجع ﷺ قافلاً وحدثت في مقدمه أحداث كإرادة المنافقين الفتك به ﷺ فحفظه الله عز وجل، ووقوع البركة في الظهور والرواحل بعد أن جهدوا جهداً شديداً، كما وقعت له معجزات أخرى في ذهابهم من إمطارهم منفردين دون غيرهم

وإمدادهم بالبركة في الطعام وجري عين تبوك بالماء وإخباره ﷺ بأنها ستكون بها جنان إلى غير ذلك مما حصل من الأحداث.

وفي الغزوة من الفوائد مشروعية التعمية على الأعداء والتورية في الأمور، كما فيها إظهار قائد الجيش الجهة التي يريدتها إذا اقتضى الأمر ذلك، وكان فيه مصلحة أكيدة، وفيها التنافس في الصدقة في سبيل الله وتجهيز المجاهدين، وفيها فضل سيدنا عثمان، وأنه مغفور له لا يضره ما عمل بعد أن جهز المسلمين تجهيزاً لا مثيل له.

وفيها وجوب الخروج للجهاد إذا تعين كهذه الغزوة، وأنه لا يجوز التخلف عنه إلا لعذر كمرض مثلاً أو ضعف... وفيها: فضل الإمام علي عليه السلام حيث جعله النبي ﷺ عنده بمثابة هارون من موسى، وفيها: أن أرض الغضب أو العذاب لا يجوز الإقامة بها ولا سكنها ولا الشرب من مائها، وأن داخلها يجب عليه أن يدخلها وهو باك مع إسراعه فيها، كما وقع منه ﷺ في ديار ثمود. وفيها: مشروعية خرص الثمار وغيرها لأجل الزكاة أو الجزية كما خرص النبي ﷺ حديقة تلك المرأة بوادي القرى، كما في ذلك معجزة له ﷺ حيث خرج العدد الذي خرصه ﷺ. وفيها: هبوب تلك الرياح العاصفة التي أخبر بها ﷺ قبل وقوعها وأخذت رجلاً فالقتته في جبال طيء لمخالفته للنهي النبوي. وفيها: مشروعية مصالحة أهل الكتاب على أداء الجزية وقبول هداياهم، فإن ملك أيلة، وأكيندر كلاهما كانا نصرانيين. وفيها كفر من استهزأ بآيات الله أو بالله أو برسوله، ولو كان هازلاً كما يحصل اليوم من الممثلين والممثلات فقد قال الله تعالى لأولئك المنافقين: ﴿لَا تَعْتَدُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾، وقد كانوا قالوا: ﴿إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾.

أما حديث كعب، فقد أخذ منه العلماء أحكاماً وفوائد وعبراً، وهذه خلاصتها:

ففيه: جواز طلب أموال الكفار من الحربيين، وجواز الغزو في الشهر الحرام، وأن الذين تخلفوا عن هذه الغزوة بدون عذر كانوا آثمين قد أتوا

كبيرة. وفيه: عظم المعصية، وأنها موقع غضب الله، فإن أولئك الثلاثة ما أمر النبي ﷺ بمقاطعتهم إلا لما أتوا من الذنب العظيم تأديباً لهم وزجراً لغيرهم، وفي ذلك: مشروعية هجران العاصي المجاهر بقدر الحاجة إذا كان في هجره مصلحة وزجر له، وفي ذلك عبرة لنا ولكل الأجيال المنحرفة المدعية للإسلام، والإسلام بريء منها؛ فهؤلاء الصحابة ما تعاملوا بالزنا وأكلوا الحرام، ولا سفكوا دماء الأبرار، ولا أظهروا الفساد في الأرض، ولا كانت لهم مراقص يرقص فيها رجالهم ونساؤهم عرايا، ولا كانت لهم دور مفروشة مهيأة للزنا والفجور، ولا كانت لهم أندية وحانات يجتمع فيه العراة والعرايا وشربة الخمر، وإنما صدر منهم أمر واحد لا يعبؤ به الناس وهو التخلف عن الغزو مع الرسول ﷺ، ومع ذلك فانظر ماذا فعل معهم النبي ﷺ والمسلمون.

فماذا نقول نحن مسلمي اليوم، وقد ارتكبنا كل أنواع الجرائم والفواحش وانحللنا من قيود الشريعة، فلم يبق لنا من الإسلام إلا الأسمي والدعاوى والشعارات... وفيه فضل هؤلاء الثلاثة حيث تاب الله تعالى عليهم وغفر لهم ورحمهم وأتى لأحدنا بما تفضل عليهم، وفيه خسارة أولئك المنافقين الذين اعتذروا لرسول الله ﷺ كذباً وزوراً ومخادعة، ففضحهم الله عز وجل وأخبر عنهم بأنهم رجس ومأواهم جهنم، وفيه مشروعية بداية المسافر بالمسجد عند قدومه وصلاته فيه ركعتين، وفيه الخروج لملاقاة الغزاة والمسافرين، وفيه عظم مكانة الصّدق في القول والفعل، وأن ماله الفرج والسعادة، وفيه صحة صلاة المنفرد، خلافاً لابن حزم الذي يشترط الجماعة، وفيه غير ذلك مما يدرك بالإمعان فيه.

✽ قدوم وفد ثقيف على النبي ﷺ بالمدينة

[٥٣٨] عن جابر رضي الله تعالى عنه أنه سُئِلَ عن شأن ثقيف إذ بايَعَتْ، قال: اشترطت على النبي ﷺ أن لا صدقة عليها ولا جهاد، وأنه

سمع النبي ﷺ بعد ذلك يقول: «سَيَصَدَّقُونَ وَيُجَاهِدُونَ إِذَا أَسْلَمُوا».

رواه أبو داود في الخراج والإمارة والفئء (٣٠٢٥) وسنده حسن صحيح.

[٥٣٩] وعن عثمان بن أبي العاص أن وفد ثقيف قدموا على رسول الله ﷺ فأنزلهم المسجد ليكون أرق لقلوبهم، فاشترطوا على النبي ﷺ أن لا يُخَشَرُوا، ولا يُغَشَرُوا، ولا يُجَبُّوا ولا يُسْتَعْمَلَ عليهم غيرهم، فقال: «إِنَّ لَكُمْ أَنْ لَا تُخَشَرُوا وَلَا تُغَشَرُوا وَلَا يُسْتَعْمَلَ عَلَيْكُمْ غَيْرَكُمْ»، وقال النبي ﷺ: «لا خير في دين لا ركوع فيه»، وقال عثمان بن أبي العاص: يا رسول الله علمني القرآن واجعلني إمام قومي.

رواه أحمد (٢١٨/٤)، وأبو داود (٣٠٢٠) في الإمارة والخراج وسنده صحيح إلا ما قيل في عدم سماع الحسن البصري من عثمان بن أبي العاص، غير أن معنى الحديث ثابت.

قوله: «لا يحشروا» بضم الياء وسكون الحاء وفتح الشين أي: لا يجمعون إلى الغزو، ولا تضرب عليهم البعوث، وقيل: لا يجمعون إلى عامل الزكاة ليأخذ صدقة أموالهم، بل يأخذها في أماكنهم. وقوله: «ولا يُغَشَرُوا» هو في الشكل كسابقه، أي: لا يؤخذ عشر أموالهم. وقوله: «ولا يُجَبُّوا» بضم الياء وفتح الجيم ثم باء مضمومة مشددة. والتجبية أن يقوم الإنسان قيام الراكع، وقيل: هو السجود ومرادهم بذلك أن لا يصلوا.

لما أسلم مالك بن عوف النضري الذي كان يرأس هوازن أنعم عليه النبي ﷺ وجعله أميراً على من أسلم من قومه، فكان يغزوا ثقيفاً ويضيق عليهم حتى ألجأهم إلى الدخول في الإسلام فأسلموا مصداقاً لقوله ﷺ: «اللهم اهد ثقيفاً»، فبعثوا وفداً منهم إلى رسول الله ﷺ مكوثاً من بضعة عشر رجلاً، وكان فيهم رئيسهم كنانة بن عبد ياليل وعثمان بن أبي العاص، وكان أصغرهم، فقدموا على النبي ﷺ في رمضان فور مقدمه من تبوك، فأنزلهم بالمسجد وأكرم نزلهم، فبايعوه ﷺ على الإسلام وشرط لهم رسول الله ﷺ شروطاً... فقالوا له: لا تضرب علينا البعوث للغزو، ولا

تأخذ منا عشر أموالنا، ولا تأمرنا بالصلاة، ولا تستعمل علينا غيرنا، فأجابهم إلى ما قالوا، غير أنه قال لهم: لا خير في دين لا ركوع فيه، يعني: ليس فيه صلاة، وأخبر عليه السلام بأنهم إذا تمكن الإسلام من قلوبهم سيصدقون ويجاهدون... وفي هذه القصة إشارة إلى أنه ينبغي أن يتسامح مع من يريد الدخول في الإسلام، وأن لا يكثر عليه من بيان التكاليف، فإنه إذا خالط الإيمان قلبه فسوف يأتي بجميع التكاليف بدون كبير كلفة ولا إكراه.

✽ تامير النبي عليه السلام عثمان بن أبي العاص على الطائف

[٥٤٠] عن عثمان بن أبي العاص قال: لما استعملني رسول الله عليه السلام على الطائف جعل يعرض لي شيء في صلاتي حتى ما أدري ما أصلي، فلما رأيت ذلك رحلت إلى رسول الله عليه السلام فقال: «ابن أبي العاص؟» قلت: نعم يا رسول الله، قال: «ما جاء بك؟» قلت: يا رسول الله عرض لي شيء في صلاتي حتى ما أدري ما أصلي، قال: «ذاك الشيطان أذنه»، فدنوت منه فجلست على صدور قدمي، قال: فضرب صدري بيده وتفل في فمي، وقال: «أخرج عدو الله»، ففعل ذلك ثلاث مرات ثم قال: «الحق بعملي»، قال: فلعمري ما أحسبه خالطني بعد.

رواه ابن ماجه في الطب رقم (٣٥٤٨)، قال البوصيري: إسناده صحيح، رجاله ثقات.

[٥٤١] في الحديث أن عثمان هذا كان عاملاً على الطائف وإماماً لقومه، وقد جاء في حديث له، قلت: يا رسول الله اجعلني إمام قومي، فقال: «أنت إمامهم واقتد بأضعفهم واتخذ مؤذناً لا يأخذ على أذانه أجراً».

رواه أحمد (٢١٧/٤)، وأبو داود (٥٣١)، والنسائي وابن ماجه (٩٨٧) بسند صحيح، وتقدم في الصلاة بالاختصار على الأذان، انظر (ج ١/٢٩٦) رقم حديث (٥٣٨).

وفيه أن الشيطان قد يحول بين الإنسان وبين صلاته، وقد تقدم في الأذان ما يدل على ذلك، وهذا الشيطان الذي كان يوسوس عثمان هذا كان جنياً طارئاً وليس قرينه، ولذلك أخرجه النبي عليه السلام برقيه وتفله، بل هو شيطان خاص بالصلاة للحديث التالي:

[٥٤٢] عن عثمان بن أبي العاص رضي الله تعالى عنه قال: قلت: يا رسول الله إن الشيطان قد حال بيني وبين صلاتي وقراءتي، قال: فقال عليه السلام: «ذاك شيطان يقال له: خنزب، فإذا أحسنته فتعوذ بالله منه واتفل عن يسارك ثلاثاً»، قال: ففعلت، فأذهب الله عني.

رواه أحمد (٢١٦/٤)، ومسلم في السلام رقم (٢٢٠٣).

فهذا الحديث مطابق للحديث السابق، ذكر هناك مطولاً وهنا مختصراً، ويين فيه هنا أن اسم هذا الشيطان خنزب - بكسر الخاء وسكون النون وفتح الزاي - وأنه شيطان الصلاة، وفيه دليل على أن التفل في الصلاة لا يطلها.

✽ حجّ أبي بكر بالناس في السنة التاسعة وإردافه بالإمام علي رضي الله تعالى عنهما

[٥٤٣] عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنهما قال: بعثني أبو بكر في تلك الحجة في مؤذنين يوم النحر بمنى أن لا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان، ثم أزدف رسول الله عليه السلام بعلي بن أبي طالب، وأمره أن يؤذن ببراءة، قال أبو هريرة: فأذن معنا علي يوم النحر في أهل منى ببراءة، وأن لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان إلا الذين عاهدتم من المشركين.

رواه البخاري في التفسير (٣٨٨/٩، ٣٩٠) وفي مواضع، ومسلم في الحج (١١٥/٩، ١١٦) وغيرهما.

[٥٤٤] وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: بعث النبي عليه السلام

أبا بكر وأمره أن يُنادي بهؤلاء الكلمات، ثم أتبعه علياً، فبينما أبو بكر في بعض الطريق إذ سمع زُغَاءَ ناقية رسول الله ﷺ القَصْوَاءِ، فخرج أبو بكر فزعاً فظن أنه رسول الله ﷺ، فإذا عليّ فدفع إليه كتاب رسول الله ﷺ وأمر علياً أن يُنادي بهؤلاء الكلمات، فانطلقا فحجاً فقام عليّ أيام التشريق، فنادى: ذمّة الله ورسوله ﷺ بريئة من كل مشرك، فسيحوا في الأرض أربعة أشهر، ولا يُحجَّن بعد العام مشرك، ولا يطوفن بالبيت عريان، ولا يدخل الجنة إلا مؤمن، وكان عليّ ينادي فإذا عبي قام أبو بكر فنادى.

رواه الترمذي في التفسير (٣٨٩١) بهذيبي بسند صحيح.

[٥٤٥] وعن أنس رضي الله تعالى عنه قال: بعث النبي ﷺ ببراءة مع أبي بكر، ثم دعاه فقال: لا يَنْبَغِي لأحدٍ أن يُبَلِّغَ هذا إلا رجلٌ من أهلي، فدعا علياً فأعطاه إياه.

رواه الترمذي أيضاً (٢٨٩٠) بسند صحيح على شرط مسلم.

بعد أن فتحت مكة المكرمة أصبحت دار إسلام والسلطة فيها للإسلام والمسلمين، ولما حضر موسم الحج في السنة التاسعة بعث النبي ﷺ الصديق رضي الله تعالى عنه أميراً على الحج، وأمره أن يُنادي في الموسم بأن لا يحج بعد ذلك العام أحد من المشركين، ولا يطوف بيت الله عريان كما كان الحال في الجاهلية، ولما خرج وكان في بعض الطريق لحقه الإمام عليّ عليه السلام وإذا به قد بعثه النبي ﷺ مردفاً لأبي بكر بنفس ما بعثه به، فتعاونوا على ذلك مع جماعة من مساعديهم كما قال أبو هريرة رضي الله تعالى عنه، وقد تقدم لنا شيء من هذا في التفسير.

✽ وفود القبائل العربية على النبي ﷺ في السنة التاسعة

كانت القبائل العربية تنتظر سكان الحرم من أهل مكة إلى ماذا سيؤول أمرهم تجاه النبي ﷺ، فلما فتحت مكة وأسلم أهلها علمت هذه القبائل

أن النبي ﷺ قد انتصر على أهل الحرم، وأن أمره في انتشار، وازدادوا هلعاً بعد انهزام هوازن ومن شايعها أمام جيوش الإسلام، فلم يجدوا عند ذلك بداً من إشهارهم إسلامهم ومبايعتهم النبي ﷺ عليه، ودخولهم معه فيما دخل فيه أشراف العرب وهم سكان الحرم، فجعلوا يبعثون إليه ﷺ الوفود تبايعه نيابة عنهم، وكان أول وفد قدم عليه وفد ثقيف من أهل الطائف كما تقدم، وبعد حجة الصديق والإمام عليّ رضي الله تعالى عنهما وأذانهما في الحرم بأنه لا يُقَرَّبُ النَّبِيَّتُ بعد هذا العام مشرك ولا يطوف به عريان، توالى الوفود على النبي ﷺ... وهم بضعة عشر وفداً، وسنذكرها وفداً وفداً بإذن الله تعالى وعونه.

✽ وفد بني تميم

[٥٤٦] عن عمران بن حصين رضي الله تعالى عنه قال: دخلت على النبي ﷺ وعقلت ناقتي بالباب فاتاه ناس من بني تميم، فقال: «أقبلوا البشري يا بني تميم»، قالوا: قد بشرتنا فأعطينا مرتين، ثم دخل عليه ناس من أهل اليمن، فقال: «أقبلوا البشري يا أهل اليمن إن لم يقبلها بنو تميم»، قالوا: قد قبلنا يا رسول الله، قالوا: قد جئناك نسألك عن هذا الأمر، قال: «كان الله ولم يكن شيء غيره، وكان عرشه على الماء، وكتب في الذكر كل شيء وخلق السموات والأرض».

رواه البخاري والترمذي والنسائي في الكبرى، وقد تقدم في التفسير وغيره.

قوله: «نسألك عن هذا الأمر» يعنون هذا العالم، وما فيه، ومن خلقه، وكيف كان الشأن قبله، لذلك أجابهم النبي ﷺ بأنه كان الله وحده ولم يكن شيء معه ولا أحد سواه، ثم خلق هذا العالم. وانظر ما سبق في بدء الخلق.

[٥٤٧] وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: لا أزال أحبّ بني تميم بعد ثلاث سمعتهن من رسول الله ﷺ يقولها فيهم: «هم أشدُّ أمتي على الدجال»، وكانت فيهم سبيّة عند عائشة فقال: «أعتقها فإنها من ولد إسماعيل»، وجاءت صدقاتهم فقال: «وهذه صدقات قومي».

رواه البخاري في المغازي (١٤٦/٩)، ومسلم في الفضائل ويأتي هنالك.

«سبية» بفتح السين وكسر الباء ثم ياء مشدّدة وتُخَفَّف أي: جارية مسبية.

وفي الحديث جواز استرقاق العرب، وقد تقدم ذلك في الجهاد، وفيه فضل هذه القبيلة وقد قدّمنا في التفسير أنه تخاصم الصديق والفراروق رضي الله تعالى عنهما في تأمير القعقاع بن معبد، والأقرع بن حابس وكانا من بني تميم.

✽ وفد بني عامر

[٥٤٨] عن عبدالله بن الشخير رضي الله تعالى عنه أنه وقد إلى النبي ﷺ في رهط من بني عامر، قال: فأتيناه فسلمنا عليه، فقلنا: أنت ولينا، وأنت سيّدنا، وأنت أطول علينا، وأنت أفضلنا علينا فضلاً، وأنت الجفّة الغراء، فقال: «قولوا قولتكم ولا يستجركم الشيطان»، وربما قال: «ولا يستهويئكم».

رواه أحمد (٢٥/٤)، وأبو داود في الأدب (٤٨٠٦)، والنسائي في الكبرى (٧٠/٦).

ما قاله هؤلاء في النبي ﷺ كلّه حق، ولكنه تواضع فحذّروهم من ذلك لثلا يقيسوا غيره عليه ﷺ فيمدحوه بما لا يجوز بما ليس فيه. وبنو

عامر هؤلاء هم الذين كان منهم عامر بن الطفيل رئيسهم الذي غدر بالقراء السبعين حتى قُتلوا عن آخرهم، كما تقدم في غزوة بئر معونة.

✽ وفد ضمام بن ثعلبة عن قومه بني سعد بن بكر

[٥٤٩] عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: بعث بنو سعد بن بكر ضمام بن ثعلبة وافتدأ إلى رسول الله ﷺ فقدم عليه وأناخ بعيره على باب المسجد ثم عقله ثم دخل المسجد، ورسول الله ﷺ جالس في أصحابه، وكان ضمام رجلاً جليلاً أشعر ذا غديرتين، فأقبل حتى وقف على رسول الله ﷺ في أصحابه، فقال: أيكم ابن عبد المطلب؟ فقال رسول الله ﷺ: «أنا ابن عبد المطلب»، قال: محمد، قال: «نعم»، فقال: ابن عبد المطلب إني سائلك ومُغْلِظ في المسألة، فلا تجدّن في نفسك، قال: «لا أجدّ في نفسي فسأل ما بدا لك»، قال: أنشدك الله إلهك وإله من كان قبلك وإله من هو كائن بعدك، الله بعثك إلينا رسولا؟ قال: «نعم»، قال: أنشدك الله إلهك وإله من كان قبلك، وإله من هو كائن بعدك، الله أمرك أن تأمرنا أن نعبده وحده لا نُشرك به شيئاً، وأن نخلع هذه الأنداد التي كانت آباؤنا يعبدون معه؟ قال: «اللهم نعم»، قال: فأنشدك الله إلهك وإله من كان قبلك وإله من هو كائن بعدك، الله أمرك أن نصلي هذه الصلوات الخمس؟ قال: «اللهم نعم».

قال: ثم جعل يذكر فرائض الإسلام فريضة فريضة: الزكاة، والصيام، والحج، وشرائع الإسلام كلها يناشده عند كل فريضة كما يناشده في التي قبلها، حتى إذا فرغ قال: فإني أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله ﷺ، وسأؤدي هذه الفرائض وأجتنب ما نهيتني عنه ثم لا أزيد ولا أنقص.

قال: ثم انصرف راجعاً إلى بعيره، فقال رسول الله ﷺ حين ولى: «إن يصدّق ذو العقبين يدخل الجنة»، قال: فأتى إلى بعيره فأطلق عقاله

ثم خرج حتى قدم على قومه فاجتمعوا إليه، فكان أول ما تكلم به أن قال: بثست اللات والعزى، قالوا: صه يا ضمام اتق البرص والجذام، اتق الجنون. قال: ويلكم إنهما والله لا يضران، ولا ينفعان، إن الله عز وجل قد بعث رسولاً وأنزل عليه كتاباً استنقذكم به مما كنتم فيه، وإني أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، إني قد جئتكم من عنده بما أمركم به ونهاكم عنه، قال: فوالله ما أمسى من ذلك اليوم وفي حضره رجل ولا امرأة إلا مسلماً، قال: يقول ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: فما سمعنا بوفد قوم كان أفضل من ضمام بن ثعلبة.

رواه أحمد (٢٦٤/١)، وأبو داود في الصلاة (٤٨٧)، وابن سعد (٢٩٩/١)، والحاكم (٥٤/٣، ٥٥) وصححه ووافقه الذهبي، وتقدم نحوه من حديث أنس في كتاب الإيمان وهو في الصحيحين وغيرهما.

قوله: «رجلاً جلدأ» بفتح الجيم وسكون اللام أي: قوياً. «أشعر» أي: كثير الشعر. «غديرتين» أي: ضفيرتين وهما العقيصتان. قوله: «أنشدك بالله» أي: أسألك بالله رافعاً صوتي بطلب ذلك.

كان ضمام هذا جافياً لا يعرف كيف يخاطب الرسول الكريم ﷺ على عادات سكان البادية الذين يغلب عليهم الغلظة والقساوة والجفاء، ومع ذلك فقد كان سؤاله سؤال الحكماء، وكان خير وافر لقومه، فقد أسلموا بدعوته عن آخرهم، والحديث يدل على أن الحج كان مفروضاً في هذه السنة، وقد قدمنا ما في ذلك في الحج وغيره.

✽ وفد عبد القيس

[٥٥٠] عن مزينة العصري رضي الله تعالى عنه قال: بينا النبي ﷺ يتحدث أصحابه إذ قال لهم: «سيطلع عليكم من ههنا ركب هم خير أهل المشرق»، فقام عمر فتوجه نحوهم فلقي ثلاثة عشر راكباً فقال: من القوم؟ قالوا: من بني عبد القيس، قال: فما أقدمكم هذه البلاد أتجارة؟ قالوا: لا،

قال: أما إن النبي ﷺ قد ذكركم آنفاً فقال خيراً، ثم مشى معهم حتى أتوا النبي ﷺ، فقال عمر للقوم: هذا صاحبكم الذي تريدونه، فرمى القوم بأنفسهم من ركائبهم، فمنهم من مشى إليه، ومنهم من هزول، ومنهم من سعى حتى أتوا النبي ﷺ، فأخذوا بيده فقبلوها، وتخلف الأشج في الركاب حتى أناخها، وجمع متاع القوم، ثم جاء يمشي حتى أخذ بيد الرسول ﷺ فقبلها، فقال له النبي ﷺ: «إن فيك خلتين يحبهما الله ورسوله»، فقال: جيلٌ جيلتُ عليه أم تخلقاً مني؟ قال: «بل جيلٌ»، قال: الحمد لله الذي جبلني على ما يحب الله ورسوله.

رواه أبو يعلى (٦٨١٥)، والبيهقي في الدلائل (٣٢٧/٥)، والبخاري في الأدب المفرد (٩٧٥) عن الوازع بن عامر مختصراً، وأورده النور (٣٨٨/٩) برواية الطبراني وأبي يعلى قال: ورجالهما ثقات وفي بعضهم اختلاف، فالحديث حسن جيد.

تقدم لنا حديث ابن عباس في مجيء وفد عبد القيس إلى النبي ﷺ في كتاب الإيمان بأبسط وأحسن من هذا، وهو في الصحيحين وغيرهما.

غير أن حديث الباب فيه أن الوفد قبلوا يد النبي ﷺ، وهي فائدة وزائدة عزيزة تدل على جواز تقبيل يد الأكابر والصالحين، وقد جمع العلماء الأحاديث والآثار في ذلك من آخرهم المحدث السيد عبدالله بن الصديق رحمه الله تعالى له كتاب «إعلام النبيل بجواز التقبيل» ويأتي لهذا موضوع في الأدب.

✽ شغل وفد عبد القيس النبي ﷺ

عن راتبة الظهر

[٥٥١] عن كُرَيْبِ رحمه الله تعالى أن ابن عباس والمسور بن مخرمة وعبدالرحمن بن أزهر رضي الله تعالى عنهم أرسلوه إلى عائشة رضي الله

❁ وفد بني حنيفة وخبر مسيلمة الكذاب والأسود العنسي

[٥٥٢] عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: قدم مُسَيْلِمَةُ الكَذَّابُ على عهد رسول الله ﷺ فجعل يقول: إن جعل لي مُحَمَّدُ الأَمْرَ مِن بَعْدِهِ تَبَعْتُهُ، وَقَدِيمُهَا فِي بَشَرٍ كَثِيرٍ مِنْ قَوْمِهِ، فَأَقْبَلَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَمَعَهُ ثَابِتُ بْنُ قَيْسِ بْنِ شِمَّاسٍ، وَفِي يَدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قِطْعَةً جَرِيدٍ حَتَّى وَقَفَ عَلَى مَسَيْلِمَةَ فِي أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: لَوْ سَأَلْتَنِي هَذِهِ الْقِطْعَةَ مَا أُعْطَيْتُكَهَا، وَلَنْ تَعْدُوَ أَمْرَ اللَّهِ فِيكَ، وَلَنْ أُدْبِرْتَ لِغَيْرَتِكَ اللَّهُ، وَإِنِّي لَأُرَاكَ الَّذِي أُرَيْتَ فِيهِ مَا رَأَيْتَ وَهَذَا ثَابِتٌ يُجِيبُكَ عَنِّي ثُمَّ انصَرَفَ عَنْهُ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَسَأَلْتُ عَنْ قَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «وَإِنِّي لَأُرَاكَ الَّذِي أُرَيْتَ فِيهِ مَا رَأَيْتَ»، فَأَخْبَرَنِي أَبُو هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «بَيْنَمَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُ فِي يَدِي سَوَارِينَ مِنْ ذَهَبٍ فَأَهْمَنِي شَأْنُهُمَا، فَأَوْحَى إِلَيَّ فِي الْمَنَامِ أَنْ أَنْفِخْهُمَا، فَنَفِخْتُهُمَا فَطَارَا، فَأَوْلَتْهُمَا كَذَابِينَ يَخْرُجَانِ مِنْ بَعْدِي؛ أَحَدُهُمَا الْعَنْسِيُّ، وَالْآخَرُ مَسَيْلِمَةُ».

وفي رواية: «بينما أنا نائمٌ أتيتُ بخزائن الأرض فوضع في كفي سواران من ذهب فكبرا عليّ، فأوحى إليّ أن أنفخهما فنفختهما فذهبا فأولتهما الكذابين اللذين أنا بينهما: صاحب صنعاء، وصاحب اليمامة».

رواه البخاري في المغازي (١٥١/٩، ١٥٢)، ومسلم في الرؤيا وغيرهما، وقَدَّرُ الرُّؤْيَا مِنْهُ تَقْدِيمًا فِي الرُّؤْيَا.

«مُسَيْلِمَةُ» بضم الميم وفتح السين وسكون الياء ثم لام مكسورة هو الكذاب الذي ادعى النبوة أيام النبي ﷺ باليمامة، وتبعه قومه بنو حنيفة، ولما توفي النبي ﷺ ارتد كثير من الأعراب والتحقوا به واتبعوه فبعث إليه الصديق رضي الله تعالى عنه جنود الله، فوقعت معارك طاحنة بينه وبينهم أودت بقتله وانهزام جنده، وكان وفد على النبي ﷺ وطلب منه أن يجعل الخلافة له بعده، فقال له النبي ﷺ: «لو سألتني هذه القطعة - يعني من جريد النخل - لما أعطيتها، ولن تعدو أمر الله فيك...» إلى آخره، فكان كما أخبر.

تعالى عنها، فقالوا: اقرأ عليها السلام منا جميعاً وسلها عن الركعتين بعد صلاة العصر، وقل لها: إنا أخبرنا أنك تصليهما، وقد بلغنا أن النبي ﷺ نهى عنهما، وقال ابن عباس: وكنت أضرب الناس مع عمر بن الخطاب عنهما، قال كُرَيْبٌ: فدخلت على عائشة رضي الله تعالى عنها فبلغتها ما أرسلوني، فقالت: سل أم سلمة، فخرجت إليهم فأخبرتهم بقولها، فردوني إلى أم سلمة بمثل ما أرسلوني إلى عائشة، فقالت أم سلمة رضي الله تعالى عنها: سمعت النبي ﷺ ينهى عنهما، وأنه صلى العصر ثم دخل عليّ وعندني نسوة من بني حرام من الأنصار فصلاهما، فأرسلنا إليه الخادم فقلت: قومي إلى جنبه فقوكي: تقول أم سلمة: يا رسول الله ألم أسمك تنهى عن هاتين الركعتين فأراك تصليهما، فإن أشار بيده فاستأخري، ففعلت الجارية، فأشار بيده فاستأخرت عنه، فلما انصرف قال: يا بنت أبي أمية سألت عن الركعتين بعد العصر، إنه أتاني أناس من عبد القيس بالإسلام من قومهم فشغلوني عن الركعتين اللتين بعد الظهر، فهما هاتان.

رواه البخاري في الصلاة رقم (١٢٢٣) وفي المغازي (١٤٨/٩)، ومسلم في صلاة المسافرين رقم (٨٣٤)، وأبو داود في الصلاة (١٢٧٣).

كان النبي ﷺ يحافظ على الرواتب، كالصلاة قبل الظهر وبعدها كما تقدم في النوافل من الصلاة، فلما قدم عليه وفد عبد القيس انشغل معهم في شأن إسلامهم... حتى حضرت العصر، فصلى العصر ثم قضى الركعتين اللتين فاتاه بعد الظهر ثم داوم عليهما؛ لأنه ﷺ كان إذا صلى صلاة أثبتها وحافظ عليها، ويعد ذلك من خصائصه كما قالوا.

وفي الحديث جواز الإشارة في الصلاة لإفهام الغير، وفيه اهتمام النبي ﷺ بالمسلمين الجدد، وأنه قدّم كلامه معهم في شؤون الإسلام على صلاة النافلة، لأن ذلك كان أهم وأعم منفعة من تلك الصلاة.

أما «العنسي»، فكان ادعى النبوة باليمن بمدينة صنعاء فقتل أيضاً على يد جنود الله تعالى، قتله فيروز بمساعدة المرزبان زوجة العنسي، وكان ذلك آخر حياة النبي ﷺ، وسيأتي مزيد لقصة مسيلمة في فضائل الصديق رضي الله تعالى عنه.

✽ وفد الأشعريين

[٥٥٣] عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يَقْدَمُ عَلَيْكُمْ أَقْوَامٌ هُمْ أَرْقُ مِنْكُمْ قَلْبِيًّا»، قال: فقدم الأشعريون فيهم أبو موسى الأشعري، فلما دنوا من المدينة كانوا يرتجزون يقولون: غداً نَلْقَى الأَجِبَةَ مُحَمَّدًا وَجَزِينَةَ.

رواه أحمد (١٠٥/٣، ١٨٢، ٢١٢، ٢٦٢) وفي مواضع، وأبو يعلى والبيهقي في الدلائل (٣٥١/٥) وإسناده صحيح.

[٥٥٤] وعن جُبَيْرِ بْنِ مُطْعَمٍ رضي الله تعالى عنه قال: بينما نحن مع رسول الله ﷺ بطريق مكة؛ إذ قال: «يَطْلُعُ عَلَيْكُمْ أَهْلُ الْيَمَنِ كَأَنَّهُمُ السَّحَابُ هُمْ خِيَارُ مَنْ فِي الأَرْضِ»، فقال رجل من الأنصار: ولا نحن يا رسول الله؟ فسكت، قال: ولا نحن يا رسول الله ﷺ فسكت قال: ولا نحن يا رسول الله ﷺ فقال في الثالثة كلمة ضعيفة: «إلا أنتم».

رواه أحمد (٨٤/٤)، والطبراني وأبو يعلى (٧٣٦٤)، قال النور في المجمع (٥٥/١٠): وإسناده حسن.

في الحديثين فضل أهل اليمن من الأشعريين وغيرهم، وأنهم من خيار أهل الأرض، وذلك لقوة إيمانهم ورقة قلوبهم وشدة محبتهم لله تعالى ولرسوله ﷺ، وسيأتي مزيد لهذا في الفضائل، وقول أنس: فيهم أبو موسى الأشعري يحتمل أن يكون وهماً، ويحتمل أن يكون أبو موسى بعدما جاء أيام خيبر رجع إلى بلاده فجاء مع الوفد.

✽ وفد مُزَيْنَةَ

[٥٥٥] عن النُّعْمَانِ بْنِ مُقَرَّنٍ رضي الله تعالى عنه قال: قدمنا على رسول الله ﷺ في أربعمئة من مزينة، فأمرنا رسول الله ﷺ بأمره، فقال بعض القوم: يا رسول الله ما لنا طعام نتزوده؟ فقال النبي ﷺ لعمر: «زَوْدُهُمْ»، فقال: ما عندي إلا فاضلة من تَمْرٍ وما أراها تُغني عنهم شيئاً، فقال: «انطلق فزودهم»، فانطلق بنا إلى عُليَّةَ له، فإذا فيها تمر مثل البكر الأورق، فقال: خذوا، فأخذ القوم حاجتهم قال: وكنْتُ أنا في آخر القوم، قال: فالتفتُ وما أفقِدُ موضعَ تمرَةٍ، وقد احتمل منه أربعمئة رجلٍ...

رواه أحمد (٤٤٥/٥) بسند صحيح، إن صح سماع سالم بن أبي الجعد من النعمان، لكنه له شاهد عن دكين بن سعد، قال: أتينا رسول الله ﷺ ونحن أربعون وأربعمئة نسأله الطعام فذكره بنحوه. رواه أحمد (١٧٤/٤) من طرق بعضها صحيحة، وعزاه النور (٣٠٤/٨، ٣٠٥) كسابقه لأحمد والطبراني وقال: رجالهما رجال الصحيح...

قوله: «فاضلة» أي: الباقي منه. «وما أراها» بضم الهمزة أي: ما أظنها. «تُغني» أي: تُجزي. «عُليَّة» بضم العين وكسرهما بعدها لام مشددة مكسورة ثم ياء مشددة مفتوحة هو بيت منفصل عن الأرض. «البكر» بفتح الباء الفتية من الإبل. «الأورق» هو ما فيه بياض إلى سواد، ومراده بهذا التشبيه أن ذلك التمر قليل.

وفي الحديث معجزة للنبي ﷺ ظهرت في طعام عمر وتمره بنمائه وبركته حتى تزود منه أربعمئة نفر، وبقي كما كان لم ينقص منه شيء.

✽ وفد دُوَيْسِ قَوْمِ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله تعالى عنه

[٥٥٦] عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: جاء الطفيل بن عمرو

إلى النبي ﷺ فقال: إن دوساً قد هلكت عَصَتْ وأَبَتْ، فاذعُ الله عليهم، فقال ﷺ: «اللَّهُمَّ اهْدِ دَوْسًا وَائْتِ بِهِمْ».

رواه البخاري في المغازي (١٦٤/٩) وفي الجهاد وفي الدعوات، ومسلم في الفضائل (٧٧/١٦).

«دوس» بفتح الدال وسكون الواو بلدة باليمن كان منهم أبو هريرة، والطَّفِيل بن عمرو . أما الطفيل، فكان قد أسلم قديماً، والنبي ﷺ لا يزال بمكة لم يهاجر بعد، ثم وفد إليه بالمدينة أيام الوفود وأخبره عن عصيان دوس، فدعا معهم ﷺ بالهداية فوقفهم الله فأسلموا.

✽ وفد نَجْران

[٥٥٧] عن حُذَيْفَةَ رضي الله تعالى عنه قال: جاء العاقب والسيد صاحباً نجران إلى رسول الله ﷺ يريدان أن يلاعناه، قال: فقال أحدهما لصاحبه: لا تفعل، فوالله لئن كان نبياً فلاعتنا لا نفلح نحن ولا عَقِبْنَا من بعدنا، قال: إنا نعطيك ما سألتنا، وابتعت معنا رجلاً أميناً، ولا تبعث معنا إلا أميناً، فقال: «لأبعثن معكم رجلاً أميناً حَقَّ أمين»، فاستشرف له أصحاب رسول الله ﷺ فقال: «قم يا أبا عَبِيدَةَ بن الجراح»، فلما قام قال رسول الله ﷺ: «هذا أمينٌ هذه الأمة».

رواه أحمد (٣٩٨/٥، ٤٠٠)، والبخاري في المغازي (١٥٦/٩، ١٥٧) وفي الفضائل، ومسلم في الفضائل (١٩٢/١٥)، والترمذي في المناقب أيضاً... وابن ماجه (١٣٥) وغيرهم، ونحوه عن ابن مسعود رواه أحمد (٤١٤/١)، والحاكم (٢٦٧/٣) بسندٍ صحيح.

«نجران» بلد كبير بين الحجاز واليمن وهو إلى اليمن أقرب، وهو في حدود المملكة العربية الآن كان يسكنه قديماً النصارى والآن يسكنه الشيعة بكثرة.

وكان قد وفد منه إلى النبي ﷺ هذان الرجلان من كبار المسيحيين، وأرادا ملاحظته ﷺ كما أمره الله تعالى بذلك فخافا من ذلك على أنفسهما وعلى عقبهما من الهلاك، فصالحا النبي ﷺ على أداء الجزية، وكان ذلك ألفي حلّة: ألفاً في رجب، وألفاً في صفر، ومع كل حلّة أوقية من فضة، وفي سنن أبي داود (٣٠٣٦) عن ابن عباس أنه عليه الصلاة والسلام صالحهم على ألفي حلّة وعارية ثلاثين درعاً، وثلاثين فرساً، وثلاثين بعيراً، وثلاثين من كل صنف من أصناف السلاح يغزون بها، والمسلمون ضامنون لها حتى يرذوها عليهم... على أن لا تهدم لهم بيعة ولا يخرج لهم قس ولا يفتنوا عن دينهم ما لم يحدثوا حدثاً أو يأكلوا الزبا، ويقال: إن هذين العاقب والسيد أسلما بعد ذلك كما ذكره ابن سعد.

والمباهلة قدمنا معناها في التفسير عند قوله تعالى من سورة آل عمران: «فَقُلْ تَمَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ» الآية، والكلام على أبي عبيدة يأتي في الفضائل.

✽ وفد كندة والأشعث بن قيس

[٥٥٨] عن الأشعث بن قيس رضي الله تعالى عنه قال: أتيت رسول الله ﷺ في وفد كندة ولا يروني إلا أفضلهم، فقلت: يا رسول الله أستم منّا؟ فقال: «نحن بنو النضر بن كنانة لا نقفوا أمتنا ولا ننتفي من أبيتنا».

قال: فكان الأشعث بن قيس يقول: «لا أوتى برجل نفى رجلاً من قريش من النضر بن كنانة إلا جلده الحد».

رواه أحمد (٢١١/٥، ٢١٢)، وابن ماجه وغيرهما وسنده صحيح وتقدم في نسب النبي ﷺ رقم (١).

الأشعث بن قيس سيد كندة وأميرها في الجاهلية والإسلام وفد على

النبي ﷺ في جمع من قومه وأسلم، ولما كانت أيام الصديق امتنع كقومه من أداء الزكاة، فبعث إليهم من قاتلهم وأتى بالأشعث موثقاً إلى أبي بكر، فراجع شأنه وحسن إسلامه فزوجه الصديق أخته وحضر المشاهد والفتوحات وأبلى البلاء الحسن، ثم كان مع الإمام علي عليه السلام، فشهد معه صفين والنهروان وتوفي بعد مصالحة الحسن عليه السلام معاوية عام ٤٠، وله أخبار كثيرة مشهورة في كتب التاريخ.

✽ قُدُومُ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْبَجَلِيِّ

[٥٥٩] عن جرير بن عبدالله البجلي رضي الله تعالى عنه قال: لما دنوت من المدينة أنخت راحلتي ثم حللت عييتي، ثم لبست حلتي، ثم دخلت فإذا رسول الله ﷺ يخطب فرماني الناس بالحدق، فقلت لجليسي: يا عبد الله هل ذكرني رسول الله ﷺ؟ قال: نعم ذكرك بأحسن الذكر بينما هو يخطب إذ عرض له في خطبته، وقال: «يدخل عليكم من هذا الباب أو من هذا الفج من خير ذي يمن ألا إن على جبهته مسحة ملك»، قال جرير: فحمدت الله عز وجل على ما أبلاني.

رواه أحمد (٣٥٦/٤، ٣٦٠، ٣٦٤)، والحميدي (٨٠٠) وغيرهما بسند صحيح.

[٥٦٠] وعنه قال: ما حجني عنه رسول الله ﷺ منذ أسلمت، ولا رأني إلا تبسم.

رواه أحمد (٣٥٨/٤، ٣٦٥)، والبخاري في المناقب (١٣٢/٨)، ومسلم في الفضائل (٣٤/١٦، ٣٥)، والترمذي (٣٥٩١)، وابن ماجه (١٥٩).

جرير بن عبدالله البجلي كان من خثعم اليمنية أسلم في هذه السنة مؤخرأ، وكان من أشرف قومه جميل الصورة طويلاً، كانت قامته ثلاثة

أمتار، ولذلك لما قدم على النبي ﷺ ودخل المسجد رماه الناس بأبصارهم ينظرون إليه تعجباً من طوله وجمال صورته، وفي الحديثين فضيلة له حيث أثنى النبي ﷺ عليه وأنه كان لا يحجبه عنه، كما كان لا يراه إلا تبسم ﷺ.

✽ بعث النبي ﷺ جريراً جريراً لِيَتَخَرَّبَ ذِي الْخَلْصَةِ

[٥٦١] عن جرير رضي الله تعالى عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: «الآ تُرَبِّحُنِي مِنْ ذِي الْخَلْصَةِ»، فقلت: بلى، فانطلق في خمسين ومائة فارس من أحمس، وكانوا أصحاب خيل، وكنت لا أثبت على الخيل، فذكرت ذلك للنبي ﷺ فَضَرَبَ يَدَهُ عَلَى صَدْرِي وَقَالَ: «اللَّهُمَّ ثَبِّتْهُ، واجعله هادياً مهدياً»، قال: فما وقعت عن فرس بعد، قال: وكانت ذو الخلصة بيتاً باليمن لختعم وبجيلة في نُصْبٍ تُعْبَدُ لَهَا الْكَعْبَةُ - يعني اليمانية - قال: فأناها فحرَّقها بالنار وكسرهما، قال: ولما قدم جرير اليمن كان بها رجل يستقسم بالأزلام، ف قيل له: إن رسول الله ﷺ هاهنا، فإن قدر عليك ضرب عنقك، قال: فبينما هو يضرب بها إذ وقف عليه جرير فقال: لَتَكْسُرَنَّهَا وَلتَشْهَدَنَّ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ أَوْ لِأَضْرِبَنَّ عَنْقَكَ، قال: فكسرها وشهد. ثم بعث جرير رجلاً من أحمس يُكْنَى أبا أَرْطَاةَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ يَبْشُرُهُ بِذَلِكَ، فلما أتى النبي ﷺ قال: يا رسول الله والذي بعثك بالحق ما جئت حتى تركتها كأنها جمل أجرب، قال: فبرك النبي ﷺ على خيل أحمس ورجالها خمس مرات.

رواه أحمد (٣٦٢/٤، ٣٦٥)، والحميدي (٨٠١)، والبخاري في المغازي (١٣٢/٩، ١٣٥)، ومسلم في الفضائل (٣٥/١٦، ٣٦)، وأبو داود والترمذي في المناقب وابن ماجه.

«ذو الخلصة» - بفتحات - هو اسم صنم كان بيت في أرض خثعم، وكانوا يسمونها الكعبة اليمانية. وقوله: «كأنها جمل أجرب» هو عبارة عن

تهديمها وتفريق حجارتها ونزع زينتها وإذهاب بهجتها، وأصبحت كأنها سوداء لما وقع فيها من التحريق.

وفي الحديث وجوب تهديم أثر الشرك وإزالة علاماته وتحريق ذلك، وفيه فضل جرير وقومه الأحمسيين حيث دعا معهم النبي ﷺ خمس مرات، وفيه تخصيص جرير بالدعاء معه بالثبات على الخيل، وأن يكون هادياً لغيره مهدياً في نفسه.

✽ بعث النبي ﷺ بُعوثاً إلى اليمن للدعوة إلى الله تعالى إرسال عليّ وخالد إلى همدان

[٥٦٢] عن البراء بن عازب رضي الله تعالى عنه قال: بعثنا رسول الله ﷺ مع خالد بن الوليد إلى اليمن، قال: ثم بعث علياً بعد ذلك مكانه، فقال: «مُر أصحاب خالد من شاء منهم أن يُعَقَّبَ معك فليُعَقَّبْ، ومن شاء فليُفَقِلْ»، فكنْتُ فيمن عَقَّبَ معه قال: فغَنِمْتُ أوقاي ذوات عدد. زاد في رواية: فكنْتُ ممن عَقَّبَ معه، فلما دَنَوْنَا من القوم خرجوا إلينا فصَلَّى بنا عليّ وصفنَا صفّاً واحداً، ثم تقدم بين أيدينا فقرأ عليهم كتاب رسول الله ﷺ، فأسلمت همدانُ جميعاً، فكتب عليّ إلى رسول الله ﷺ بإسلامهم، فلما قرأ الكتاب خَرَّ ساجداً ثم رفع رأسه وقال: «السلام على همدان».

رواه البخاري في المغازي (١٢٧/٩) بالرواية الأولى، والإسماعيلي في المستخرج على البخاري بالزيادة الثانية كما أفاده الحافظ.

قوله: «من شاء أن يُعَقَّبَ» أي: يرجع إلى اليمن ليصيب غزوة أخرى، وقيل: يرجع إلى بلده ليخلفه غيره... وكلاهما محتمل. وفي الحديث مشروعية إرسال الدعوة إلى الله تعالى والقتال على الإسلام، وفيه مشروعية سجود الشكر وقد تقدم ذلك في الصلاة، وقد جاءت أحاديث أخرى تتعلق

بعث الإمام عليّ إلى اليمن تقدّم بعضها في الجهاد وفي الحجّ، وتأتي أخرى في الفضائل.

✽ إرسال معاذ وأبي موسى إلى اليمن

[٥٦٣] عن أبي موسى الأشعري رضي الله تعالى عنه قال: أقبلت إلى النبي ﷺ ومعني رجلان من الأشعريين أحدهما عن يميني، والآخر عن شمالي، وكلاهما سأل العمل والنبي ﷺ يستاك، فقال: «ما تقول يا أبا موسى؟ أو يا عبدالله بن قيس؟» قلت: والذي بعثك بالحقّ ما أطلعاني على ما في أنفسهما، وما شعرت أنهما يطلبان العمل، وكأني أنظر إلى سواكه تحت شفته، فلهث وقال: «لن نستعمل أو لا نستعمل على عملنا من أراده، ولكن اذهب أنت يا أبا موسى أو يا عبدالله بن قيس»، فبعثه على اليمن ثم أتبعه معاذ بن جبل، قال: فلما قدم عليه معاذ قال: انزل، وألقى له وسادة، وإذا رجل عنده مُوثق، قال: ما هذا؟ قال: كان يهودياً فأسلم ثم رجع إلى دينه دين السوء قال: لا أجلس حتى يُقتل، قضاء الله ورسوله، قال: نعم اجلس، قال: لا أجلس حتى يُقتل، قضاء الله ورسوله - ثلاث مرات - فأمر به فقتل ثم تذاكروا قيام الليل فقال معاذ: أما أنا فأنام وأقوم، أو أقوم وأنام، وأرجو في نومتي ما أرجو في قومتي.

وفي رواية: بعث النبي ﷺ أبا موسى ومعاذاً إلى اليمن، فقال: «يَسْرًا وَلَا تُعَسِّرَا، وَبَشْرًا وَلَا تُنْفِرَا، وَنَطَاطًا»، فقال أبو موسى: يا نبيّ الله إن أرضنا فيها شراب من الشعير الممزّر، وشراب من العسل البتّع، فقال: «كل مسكر حرام»، فانطلقا فقال معاذ لأبي موسى: كيف تقرأ القرآن؟ قال: قائماً وقاعداً، وعلى راحلتي وأتفوّقه تفوّقاً. قال: أما أنا فأنام وأقوم، فأحتسب نومتي كما أحتسب قومتي.

وضرب فسطاطاً فجعل يتزاوران فزار معاذ أبا موسى، فإذا رجل موثق فقال: ما هذا؟ فقال أبو موسى: يهودي أسلم ثم ارتدّ، قال معاذ: لأضربن عنقه.

رواه أحمد (٤/٤١٠، ٤١٦، ٤١٧)، والبخاري في المغازي (١٢٢/٩، ١٢٣، ١٢٥) وفي الأدب وفي الأحكام، ومسلم في الأشربة وابن ماجه فيه (٣٣٩١).

في الحديث بروايته أمور، أولاً: عدم توظيف أحد في شؤون الدولة ممن يطلبها، وقد تقدم ذلك في الخلافة. ثانياً: قتل المرتد، وهذا لا خلاف فيه. ثالثاً: الاقتصاد في العبادة. رابعاً: مشروعية التيسير على الناس وتبشيرهم بدل التشديد والتثبيس، وذلك يختلف باختلاف المدعوين والزمان والمكان. خامساً: تحريم كل شراب يسكر من أي نوع كان، وقد تقدم هذا في الأشربة مبسوطاً.

✽ وصية النبي ﷺ معاذاً عند إرساله إلى اليمن

[٥٦٤] عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ لمعاذ بن جبل حيث بعثه إلى اليمن: «إنك ستأتي قوماً من أهل الكتاب فإذا جتتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فإن هم أطاعوا لك بذلك، فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوك بذلك، فأخبرهم أن الله قد فرض عليه صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم، فإن هم أطاعوا لك بذلك، فإيتاك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم، فإنه ليس بينه وبين الله حجاب».

رواه أحمد (١/٢٣٣)، والبخاري في الزكاة وفي المغازي (١٢٦/٩)، ومسلم في الإيمان (١/١٩٦)، وأبو داود (١٥٨٤)، والترمذي (٥٥٦)، والنسائي في الكبرى (٥/٢) وفي المجتبى (٣/٥)، وابن ماجه (١٧٨٣) كلهم في الزكاة، وتقدم مختصراً في أول الزكاة من الجزء الثاني ص (٥٢٨).

وفي الحديث بيان ما يُدعى إليه أهل الكتاب من الشرائع، وفيه

وجوب تجنّب كرائم أموال الناس في أخذ الزكاة، وفيه التحفظ من الظلم خشية دعوة المظلوم، فإنها مقبولة عند الله لا تُردّ وإن كان فاسقاً.

✽ خروج النبي ﷺ مع معاذ يودّعه ويخبره بأنه لن يراه بعد

[٥٦٥] عن عاصم بن حُميد السكوني رضي الله تعالى عنه أن معاذ بن جبل لما بعثه النبي ﷺ إلى اليمن، فخرج النبي ﷺ يوصيه ومعاذ راكب ورسول الله ﷺ يمشي تحت راحلته، فلما فرغ قال: «يا معاذ إنك عسى أن لا تُلْقاني بعد عامي هذا، ولعلك أن تُمرَّ بمسجدي وقبري»، فبكى معاذ خاشعاً لفراق النبي ﷺ، فقال له النبي ﷺ: «لا تبك يا معاذ، البكاء - أو إن البكاء - من الشيطان».

رواه أحمد (٥/٢٣٥)، وابن حبان (٢/٤١٤) مع الإحسان، والبيهقي في السنن (١٠/٨٦) وفي الدلائل (٥/٤٠٤، ٤٠٥)، وعزاه النور (١٠/١٣١)، (١٣٢) للطبراني وقال: إسناده جيّد وأورده أيضاً (٩/٢٢) وقال: رواه أحمد بإسنادين ورجال الإسنادين رجال الصحيح غير راشد بن سعد وعاصم بن حميد وهما ثقتان، فالحديث صحيح، وللحديث زيادة ستأتي في موضع آخر.

في الحديث علّم من علامات النبوة حيث أخبر ﷺ معاذاً، وقد بعثه إلى اليمن بأنه سوف لا يلقاه بعد عامه ذاك، وأنه سوف يأتي فيجده قد توفي ﷺ فيأتي مسجده وقبره الشريف، فكان الأمر كذلك، فكانت تلك آخر رؤية رآه فيها، فتوفي ﷺ ومعاذ باليمن.

وفيه: البكاء من فراق الأحبة، وقوله عليه السلام: «لا تبك إن البكاء من الشيطان» ليس هذا على إطلاقه، فإن البكاء المذموم هو ما كان فيه شقّ الشياطين، ولطم الخدود ولسلق اللسان، وما عدا ذلك فمحمود، لا سيما

البكاء شوقاً إلى الله وإلى رسوله ﷺ، بل ذلك يعدّ من أشرف الأحوال جعلنا الله تعالى من أهله، آمين. ولعل معاذاً ظهر مع بكائه ما يذم عليه.

✽ من أحداث هذه السنة (٩) هلاك ابن أبي المنافق

[٥٦٦] عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: لما تُوفّي عبد الله بن أبي سلول جاء ابنه عبد الله بن عبد الله إلى رسول الله ﷺ فسأله أن يعطيه قميصه يكفن فيه إته فأعطاه، ثم سأله أن يصلي عليه، فقام رسول الله ﷺ ليصلي عليه، فقام عمر فأخذ بثوب رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله تصلي عليه وقد نهاك الله أن تصلي عليه، فقال رسول الله ﷺ: «إنما خيرني الله فقال: «استغفر لهم أو لا تستغفر إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم»، وسأزيده على سبعين»، قال: إنه منافق، فصلّي عليه رسول الله ﷺ، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّا تَأْتِيهِمْ وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ﴾ الآية.

رواه البخاري في التفسير (٤٠٣/٩، ٤٠٨)، ومسلم في الفضائل (١٦٧/١٥) وفي صفات المنافقين (١٢١/١٧) وغيرهما.

وقد تقدم في التفسير مع حديث آخر لعمر رضي الله تعالى عنه.

كان عبد الله بن أبي سلول رأس المنافقين شريراً خبيثاً له مواقف شهيرة في الطعن في الإسلام وعداوة النبي ﷺ ومصادقته لليهود ضد الإسلام، وهو الذي أثار قصة الإفك وقذف السيدة عائشة بصفوان بن المعطل رضي الله تعالى عنهما، وكان له ولد اسمه عبد الله صادقاً في إسلامه تأسّف على والده بعد موته منافقاً، وأراد أن تلحقه بركة النبي ﷺ، وهيئات هيهات، فسأل النبي ﷺ أن يعطيه قميصه ليكفنه فيه فأعطاه إياه ثم طلب منه أن يصلي عليه عسى الله أن يرحمه فصلّي عليه فنزل القرآن

ينهاه عن الصلاة على المنافقين وعن القيام على قبورهم، وذلك لكفرهم وفسقهم، وكان ذلك من موافقات عمر الذي أراد أن يمنع النبي ﷺ من الصلاة على ذلك الخبيث.

أما القميص الذي أعطاه النبي ﷺ عبد الله، فكان بسبب يد له عند النبي ﷺ كما في الحديث التالي:

[٥٦٧] فعن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما قال: لما كان العباس بن عبد المطلب بالمدينة طلبت الأنصار ثوباً يكسونه فلم يجدوا قميصاً يصلح عليه إلا قميص عبد الله بن أبي فكسوه إياه. وفي رواية: لما كانوا يوم بدر أتى بالعباس ولم يكن عليه ثوب فنظر النبي ﷺ له قميصاً فوجدوا قميص عبد الله بن أبي يقدر عليه، فكساه النبي ﷺ إياه، فلذلك نزع النبي ﷺ قميصه الذي ألبسه.

قال سفيان بن عيينة رحمه الله تعالى: كانت له عند النبي ﷺ يَدٌ فَأَحَبَّ أَنْ يَكْفَنَهُ...

رواه البخاري في الجهاد باب الكسوة للأسارى رقم (٣٠٠٨).

✽ خلاصة ما وقع في السنة التاسعة من أحداث

وقع فيها بداية جمع الصدقات، وإسلام عدي بن حاتم الطائي، وغزوة تبوك وفيها أحداث: كإخباره بوجهة خروجه، وأمره بالصدقة استعداداً للغزوة، وذكر البكائين، واستخلافه الإمام علياً على المدينة، ومروره ﷺ على بلاد ثمود، وما أصاب الصحابة في طريقهم من الشدة، ومرورهم على حديقة امرأة بوادي القرى وإخباره ﷺ بهبوب ريح عاصفة وما حصل في عين تبوك من بركة النبي ﷺ، ومدة إقامته بتبوك، وإهداء ملك أيلة للنبي ﷺ بغلة بيضاء، وقصة أكيدر دومة الجندل، واستهزاء المنافقين بالله وبآياته ورسوله، ومحاولتهم الفتك برسول الله ﷺ، وبركته ﷺ في الإبل

والرواحل بعد جهدها، ثم دخوله ﷺ المدينة واستقبال الناس إياه بشيئة الوداع، ثم ذكر حديث كعب بن مالك الطويل في توبة الله على الثلاثة الذين خلفوا، ثم قدوم وفد ثقيف على النبي ﷺ مسلمين، ثم تأمير النبي ﷺ عثمان بن أبي العاص على الطائف، ثم حج أبي بكر بالناس، ثم وفود القبائل العربية على النبي ﷺ كوفد بني تميم، ووفد بني عامر، ووفد ضمام بن ثعلبة من بني سعد بن بكر، ووفد عبد القيس، ووفد بني حنيفة، ووفد الأشعريين ووفد مزينة، ووفد دوس، ووفد نجران، ووفد كندة، ووفد جرير بن عبدالله البجلي، ثم بعثه لتخريب ذي الخليفة، ثم بعث النبي ﷺ الإمام علياً وخالد بن الوليد وأبا موسى الأشعري ومعاذ بن جبل إلى اليمن، ثم وصية النبي ﷺ معاذ بن جبل وخروجه معه مشياً له، ثم هلاك ابن أبي المنافق.

السنة العاشرة حجة الوداع

أهم أحداث السنة العاشرة حجة النبي ﷺ التي سُميت حجة الوداع، وقد تقدمت بما فيها في كتاب الحج.

بعض خطبه ﷺ في هذه الحجة غير ما تقدم

[٥٦٨] عن أبي بكر رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ قال: «إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق السموات والأرض، السنة اثنا عشر شهراً، منها أربعة حرم، ثلاث متواليات: ذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم، ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان، أي شهر هذا؟» قلنا: الله ورسوله أعلم، فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، قال: «أليس ذو الحجة؟»

قلنا: بلى، قال: «فأي بلد هذا؟» قلنا: الله ورسوله أعلم، فمكث حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه فقال: «أليس قلنا بلى، قال: «فأي يوم هذا؟» قلنا: الله ورسوله أعلم، فمكث حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، فقال: «أليس يوم النحر؟» قلنا: بلى، قال: «فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام، كحرمة يومكم هذا، في بلدكم هذا، في شهركم هذا، وستلقون ربكم فسيألکم عن أعمالکم، ألا فلا ترجعوا بعدي ضللاً يضرب بعضكم رقاب بعض، ألا ليلغ الشاهد الغائب، فلعل بعض من يبلغه يكون أوعى له من بعض من سمعه»، ثم قال: «ألا هل بلغت» مرتين.

رواه أحمد (٣٧/٥، ٧٣)، والبخاري في العلم وفي الحج وفي بدء الخلق وفي التفسير (٣٩٤/٩)، ومسلم (١٦٧/١١).

[٥٦٩] وعن عمرو بن الأحوص رضي الله تعالى عنه أنه شهد حجة الوداع مع رسول الله ﷺ، فحمد الله وأثنى عليه وذكر ووعظ ثم قال: «أي يوم أحرم؟ أي يوم أحرم؟ أي يوم أحرم؟» فقال الناس: يوم الحج الأكبر يا رسول الله، قال: «فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام، كحرمة يومكم هذا، في بلدكم هذا، في شهركم هذا، ألا لا يخني جان إلا على نفسه، ولا يخني والد على ولده، ولا ولد على والده، ألا إن المسلم أخو المسلم، فليس يحل لمسلم من أخيه شيء إلا ما أحل من نفسه، ألا وإن كل ربا في الجاهلية موضوع لكم رؤوس أموالكم، لا تظلمون ولا تظلمون، غير ربا العباس بن عبد المطلب فإنه موضوع كله، ألا وإن كل دم كان في الجاهلية موضوع، وأول دم وُضِع من دماء الجاهلية دم الحارث بن عبدالمطلب، كان مُسْتَرَضِعاً في بني ليث فقتلته هذيل، ألا واستوصوا بالنساء خيراً، فإنما هن عوان عندكم ليس تملكون منهن شيئاً غير ذلك، إلا أن يأتين بفاحشة مبينة، فإن فعلن فاهجروهن في المضاجع، واضربوهن ضرباً غير مبرح، فإن أظعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلاً، ألا إن لكم على نسائكم حقاً، ولنسائكم عليكم حقاً، فأما حقكم على نسائكم فلا يُؤطئن من تکرهون، ولا يأذن في بيوتكم من تکرهون، ألا وإن حقهن عليكم أن تحسنوا إليهن في كسوتهن وطعامهن».

رواه أحمد (٤٩٩/٣)، والترمذي في الفتن (٢٩٩٠) وفي التفسير (٢٨٨٨)، وابن ماجه في الحج (٣٠٥٥)، والبيهقي في السنن (٢٧/٨)، وحسنه الترمذي وصححه في الموضعين. وزاد في الموضع الأول: «ألا وإن الشيطان قد آيس أن يُغيب في بلادكم هذه أبداً، ولكن ستكون له طاعة فيما تحتقرون من أعمالكم فيرضى به»، وهذه الزيادة جاءت في مسلم...

[٥٧٠] وعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ وهو على ناقته المُخَضَّرَةَ بعرفات، فقال: «أتدرون أي يوم هذا؟ وأي شهر هذا؟ وأي بلد هذا؟» قالوا: هذا بلد حرام، وشهر حرام، ويوم حرام، قال: «ألا وإن أموالكم ودماءكم عليكم حرام كحرمه شهركم هذا، في يومكم هذا، ألا وإنني فرطكم على الحوض، وأكاثركم الأمم، فلا تسودوا وجهي، ألا وإنني مستنقذ أناساً، ومستنقذ مني أناس فأقول: يا رب أصحابي، فيقول: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك». رواه ابن ماجه (٣٠٥٧) وسنده صحيح.

[٥٧١] وفي الباب عن ابن عمر في البخاري وفيه: «ألا هل بلغت» ثلاثاً، كل ذلك يجيبونه: ألا نعم، قال: «ويحكم - أو - ويلكم لا تزجعن بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض».

[٥٧٢] وعن أبي أمامة رواه أحمد (٢٥١/٥)، والترمذي في الصلاة، وابن حبان (٧٩٥)، والحاكم (٣٨٩، ٩/١)، وصححه ووافقه الذهبي وفيه: «اتقوا الله ربكم، وصلوا خمسكم، وصوموا شهركم، وأدوا زكاة أموالكم، وأطيعوا إذا أمركم، تدخلوا جنة ربكم»... «إن الله قد أعطى كل ذي حق حقه، فلا وصية لوارث، والولد للفراش وللعاهر الحجر وحسابهم على الله، ومن ادعى إلى غير أبيه أو اتقى إلى غير مواليه فعليه لعنة الله التابعة إلى يوم القيامة، لا تنفق المرأة شيئاً من بيتها إلا بإذن زوجها»، فقيل: يا رسول الله ولا الطعام؟ قال: «ذلك أفضل أموالنا»، قال: ثم قال رسول الله ﷺ: «العارية مؤداة، والمنحة مردودة، والدّين مقضي، والزعيم غارم»، ومن أشهر خطبه في حجة الوداع خطبته الواردة في حديث جابر في صفة حجته ﷺ وهي كنعو حديث ابن الأحوص، وفيها زيادة: «وقد

تركت فيكم ما لن تضلوا بعده، إن اعتصمتم به كتاب الله وأنتم تسألون عني فما أنتم قائلون؟» قالوا: نشهد أنك قد بلغت وأدّيت ونصحت، فقال بأصبعه السبابة يرفعها إلى السماء وينكتها: «اللهم اشهد، اللهم اشهد...» ثلاث مرات... رواه مسلم في الحج (١٧٠/٨، ١٩٤) في صفة حجة النبي ﷺ.

خطبه ﷺ في حجة الوداع كانت يوم سابع الحجة قبل يوم التروية ويوم عرفة، ويوم النحر، ويوم ثانيه بمنى، وكانت أجمعهن خطبة يوم عرفة، ويلاحظ في هذه الخطب أنه جاء فيها كثير من الأحكام والوصايا والمواعظ، وقد تقدم الكثير من أجزائها مفزقاً في الكتب والأبواب فيما سلف، وسيأتي الكلام على بعضها في مواضعها إن شاء الله تعالى.

وفي هذه الخطب دليل على أن الخطيب أو الداعية ينبغي له أن يُدكر الناس بالكلام الجامع المشتمل على سائر جوانب أمور الديانة من عقائد وعبادات ومعاملات وآداب وأخلاق والشؤون الزوجية والجناحية وما إلى ذلك، وخاصة إذا كانت المجامع عامة كموسم الحج وأيام العيد والجُمع... اقتداءً بالنبي ﷺ كما في هذه الخطب وغيرها.

السنة الحادية عشرة

بعث النبي ﷺ أسامة بن زيد إلى فلسطين

[٥٧٣] عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: بعث رسول الله ﷺ بعثاً وأمر عليهم أسامة بن زيد رضي الله تعالى عنهما فطعن الناس في إمرته، فقام رسول الله ﷺ - يعني على المنبر - فقال: «إن تطعنوا في إمرته فقد كنتم تطعنون في إمرة أبيه من قبل، وإيم الله إن كان لخليقاً للإمرة، وإن كان ليمن أحب الناس إليّ، وإن هذا لمن أحب الناس إليّ بعده»، وفي رواية: «أوصيكم به، فإنه من صالحكم».

رواه أحمد (٢٠/٢، ٨٩، ١٠٦، ١١٠)، والبخاري في المغازي (٢١٨/٩) وفي المناقب وفي الأحكام، ومسلم في الفضائل (١٩٥/١٥)،
والترمذي في المناقب (٣٥٨٧) بتهذيبي.

«بعث بعثاً» أي: أرسل جيشاً. «وأمر» بتشديد الميم مع فتحها أي:
جعله عليهم أميراً.

لما حج النبي ﷺ قدم المدينة آخر ذي الحجة ومكث المحرم، ولما
كان آخر صفر نذب الصحابة لغزو الروم، وكان ابتداء ذلك قبل مرضه ﷺ
ودعا أسامة فقال: «سيز إلى موضع قتل أبيك فأوطئهم الخيل، فقد ولّيتك
هذا الجيش وأغز صباحاً على أبنّي وخرق عليهم وأسرغ المسير تسبق
الخير، فإن ظفرك الله بهم فأقلّ اللبث فيهم»، وفي رواية عند ابن إسحاق:
وأمره أن يوطئ الخيل تخوم البلقاء والداروم من أرض فلسطين، فتجهز
الناس، إلخ... فبدأ برسول الله ﷺ وجعه في اليوم الثالث، فعقد لأسامة
لواء بيده فأخذه أسامة فدفعه إلى بريدة وعسكر بالجرف، وكان الجيش
مكوناً من ثلاثة آلاف مقاتل، وقيل أكثر من ذلك، وكان ممن انتدب مع
أسامة كبار المهاجرين والأنصار، منهم: أبو بكر، وعمر، وأبو عبيدة،
وسعد، وسعيد، وقتادة بن النعمان، وسلمة بن أسلم، فتكلم في ذلك قوم
فردّ عليهم عمر وأخبر النبي ﷺ، فخطب ﷺ بما ذكر في الحديث، ثم
اشتدّ الوجع برسول الله ﷺ فتأخر الجيش وانتظر حتى توفي رسول الله ﷺ
واستخلف الصديق رضي الله تعالى عنه فجهزه وساروا عشرين ليلة إلى
الجهة التي أمروا بها فقاتلوا وغنموا ورجعوا سالمين، وكان الصديق وعمر
رضي الله تعالى عنهما تخلفا لمصلحة المسلمين وللمصيبة العظمى التي
أصابتهم بموت النبي ﷺ.

❁ بداية مرضه ﷺ ووفاته

[٥٢٤] عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: أول ما اشتكى

رسول الله ﷺ في بيت ميمونة، وفي رواية: لما ثقل رسول الله ﷺ
واشتدّ به وجعه استأذن أزواجه أن يمرض في بيتي فأذن له، فخرج وهو بين
الرجلين تخطّ رجلاه في الأرض بين عباس بن عبدالمطلب، وبين رجل
آخر، قال ابن عباس: هو عليّ.

قالت عائشة: إن رسول الله ﷺ لما دخل بيتي واشتدّ به وجعه قال:
«أهريقوا عليّ من سبغ قزب لم تخلل أوكيتهن لعليّ أغهد إلى الناس»،
فأجلسناه في مخضب لحفصة زوج النبي ﷺ، ثم طفقنا نصب عليه من
تلك القرب حتى طفق يشير إلينا بيده أن قد فعلتُن، قالت: ثم خرج إلى
الناس فصلّى بهم وخطبهم.

رواه أحمد (١١٧/٦)، والحميدي (٢٣٣)، والبخاري في مرض
النبي ﷺ ووفاته (٢٠٦/٩، ٢٠٧)، ومسلم في الاستخلاف في الصلاة...
«المخضب» جفنة يُغسل فيها الثياب.

[٥٢٥] وعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: دخلت على
رسول الله ﷺ وهو يُوعك فمسسته بيدي، فقلت: يا رسول الله إنك
لثوعك وعكاً شديداً، فقال رسول الله ﷺ: «أجل إني أوعك كما يوعك
رجلان منكم»، قال: فقلت ذلك أن لك أجرين، فقال رسول الله ﷺ:
«أجل»، ثم قال رسول الله ﷺ: «ما من مسلم يصيبه أذى من مرضٍ فما
سواه إلا حطّ الله به سيئاته كما تحطّ الشجرة ورَقّها».

رواه أحمد (٤٥٥/١)، والبخاري في المرض وغيره، ومسلم في البرّ
والصلة وقد تقدم.

«الوعك» - بفتحين - شدة الحمى ووجعها.

[٥٢٦] وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: ما رأيت رجلاً اشتدّ
عليه الوجع من رسول الله ﷺ.

رواه أحمد (١٨١/٦)، والبخاري في المرض (١٤/١٢)، ومسلم في
البرّ والصلة رقم (٢٥٧٠)، والترمذي في الزهد (٢٢١٧)، وابن ماجه
(١٦٢٢) في الجنائز وقد تقدم أيضاً.

[٥٧٧] وعن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال: خطب النبي ﷺ فقال: إن الله خير عبداً بين الدنيا وبين ما عنده، فاختار ما عند الله، فبكى أبو بكر رضي الله تعالى عنه، فقلت في نفسي: ما يبكي هذا الشيخ إن يكن الله خير عبداً بين الدنيا وبين ما عنده فاختار ما عند الله، فكان رسول الله ﷺ هو العبد، وكان أبو بكر أعلمنا، قال: «يا أبا بكر لا تَبْكُ إن من آمن الناس عليّ في صحبته وماله أبا بكر، ولو كنت متخذاً خليلاً من أمّتي لاتخذت أبا بكر، ولكن أخوة الإسلام ومودته، لا يَتَّقِينِ في المسجد باب إلا سُدَّ إلا باب أبي بكر».

رواه البخاري في الصلاة وفي المناقب (١٢/٨، ١٤)، ومسلم في الفضائل (١٤٩/١٥، ١٥١)، والترمذي في المناقب (٣٤٣٣).

[٥٧٨] وفي رواية: خرج علينا رسول الله ﷺ في مرضه الذي مات فيه ونحن في المسجد عاصباً رأسه بخرقه حتى أهوى نحو المنبر، فاستوى عليه وابتغاه قال: «والذي نفسي بيده إني لأنظر إلى الحوض من مقامي هذا»، ثم قال: «إن عبداً عرّضت عليه الدنيا وزينتها فاختار الآخرة»، قال: فلم يفتن لها غير أبي بكر فذرفت عيناه فبكى، ثم قال: بل نفديك بأبائنا وأمّهاتنا وأنفسنا وأموالنا يا رسول الله، قال: ثم هبط فما قام عليه حتى الساعة.

رواه الدارمي في المقدمة باب وفاة النبي ﷺ رقم (٧٨) وسنده عنده حسن.

اهتمامه ﷺ بالصلاة وأمره أبا بكر أن يصلي بالناس

[٥٧٩] عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: ثقل النبي ﷺ فقال: «أصلى الناس؟» قلنا: لا هم ينتظرونك، قال: «ضعوا لي ماء في المِخْضَبِ»، قالت: ففعلنا فاغتسل فذهب لِنِئْوَةٍ فَأَغْوَمِي عليه ثم أفاق، فقال ﷺ: «أصلى الناس؟» قلنا: لا هم ينتظرونك يا رسول الله، والناس

عكوف في المسجد ينتظرون النبي ﷺ لصلاة العشاء الآخرة، فأرسل النبي ﷺ إلى أبي بكر بأن يصلي بالناس، فاتاه الرسول فقال: إن رسول الله ﷺ يأمرُك أن تصلي بالناس، فقال أبو بكر: وكان رجلاً رقيقاً: يا عمر صل بالناس، فقال عمر: أنت أحقّ بذلك، فصلّى أبو بكر تلك الأيام، ثم إن النبي ﷺ وجد من نفسه خِفةً فخرج بين رجلين أحدهما العباس لصلاة الظهر وأبو بكر يصلي بالناس، فلما رآه أبو بكر ذهب ليتأخّر فأوماً إليه النبي ﷺ بأن لا يتأخّر، فقال: «أجلساني إلى جنبه»، فأجلساه إلى جنب أبي بكر قال: فجعل أبو بكر يصلي وهو ياتم بصلاة النبي ﷺ والناس بصلاة أبي بكر والنبي ﷺ قاعداً...

رواه البخاري في الجماعة من الصلاة (٢٩٢/٢، ٢٩٥) وفي الوفاة النبوية (٢٠٦/٩)، ومسلم (١٣٦/٤، ١٣٨)، والنسائي (٧٨/٢) كلاهما في الصلاة.

[٥٨٠] وعنهما في رواية قالت: لما ثقل رسول الله ﷺ جاء بلال يؤذنه بالصلاة، فقال: «مُرُوا أبا بكر فليصل بالناس»، قالت: فقلت: يا رسول الله إن أبا بكر رجل أسيف وإنه متى يثم مقامك لا يسمع الناس فلو أمرت عمر، فقلت له، فقال رسول الله ﷺ: «إنك لانتن صواحب يوسف، مُرُوا أبا بكر فليصل بالناس»، قالت: فأمروا أبا بكر يصلي بالناس، فلما دخل في الصلاة وجد رسول الله ﷺ من نفسه خِفةً فقام يهادى بين رجلين ورجلاه تخطان في الأرض، قالت: فلما دخل المسجد سمع أبو بكر جسسه ذهب يتأخّر فأوماً إليه رسول الله ﷺ: قِم مَكَانَكَ، فجاء رسول الله ﷺ حتى جلس عن يسار أبي بكر قالت: فكان رسول الله ﷺ يصلي بالناس جالساً، وأبو بكر قائماً يقتدي أبو بكر بصلاة النبي ﷺ ويقتدي الناس بصلاة أبي بكر...

رواه أحمد (٢١٠/٦، ٢٢٤)، والبخاري ومسلم (١٤٠/٤).

قوله: «رجل أسيف» أي: سريع الحزن والبكاء رقيق القلب.

✽ اجتماع نسائه عنده ﷺ ومساررتة لمولاتنا فاطمة

ابنته عليها السلام

[٥٨١] عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: اجتمع نساء النبي ﷺ فلم يغادر منهن امرأة، فجاءت فاطمة تمشي كأن مشيتها مشية رسول الله ﷺ، فقال: «مرحبا بابنتي»، فأجلسها عن يمينه أو عن شماله، ثم إنه أسرَّ إليها حديثاً فبكت فاطمة، ثم إنه سارها فضحكت أيضاً، فقلت لها: ما يُبكِكِكِ؟ فقلت: ما كنت لأقْشِي سِرَّ رسول الله ﷺ، فقلت: ما رأيتُ كالِيوم فرحاً أقرب من حزن، فقلت لها حين بكت: أخْصَلِكِ رسول الله ﷺ بحديثه دوننا ثم تبكين. وسألتهَا عما قال، فقالت: ما كنت لأقْشِي سِرَّ رسول الله ﷺ حتى إذا قُبِضَ سألتها فقالت: إنه كان حدَّثني «أن جبريل كان يعارضه بالقرآن كل عام مرّة، وأنه عارضه به في العام مرّتين، ولا أراني إلا قد حضر أجلي وأنك أول أهلي لحوقاً بي، ونعم السلفُ أنا لك»، فبكيت لذلك، ثم إنه سارني فقال: «ألا ترضين أن تكوني سيّدة نساء المؤمنين، أو سيّدة نساء هذه الأمة»، فضحكت لذلك.

رواه البخاري في علامات النبوة وفي الوفاة النبوية (٢٠١، ٢٠٠/٩)، وفي المناقب، ومسلم في الفضائل (٦/٥/١٦، ٧).

✽ محاوره علي والعباس في شأن الولاية

[٥٨٢] عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: إن علي بن أبي طالب خرج من عند رسول الله ﷺ في وجعه الذي تُوقى فيه، فقال الناس: يا أبا الحسن كيف أصبح رسول الله ﷺ؟ فقال: أصبح بحمد الله بارئاً، فأخذ بيده العباس بن عبد المطلب فقال له: أنت والله بعد ثلاث عبدُ العصا، وإني والله لأرى رسول الله ﷺ سوف يتوقى من وجعه هذا، إنني لأعرف وجوه بني عبد المطلب عند الموت، اذهب بنا إلى رسول الله ﷺ

فلنساله فيمن هذا الأمر؟ إن كان فينا علمنا ذلك، وإن كان في غيرنا علمناه فأوصى بنا، فقال علي عليه السلام: إنا والله لئن سألتها رسول الله ﷺ فمَنَعَتَاها لا يُعْطِيَتَاها النَّاسُ بعده، وإني والله لا أسألها رسول الله ﷺ.

رواه عبدالرزاق في المصنّف رقم (٩٧٥٤)، وابن سعد في الطبقات (٢٤٥/٢) وهو في البخاري في الاستذنان وفي الوفاة النبوية (٢٠٨/٩).

✽ إيتوني بكتاب أكتب لكم كتاباً لا تضلّوا بعدي

[٥٨٣] عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه قال: يومَ الخميس وما يومُ الخميس، ثم بكى حتى بلّ دمعهُ الخصى، فقيل: يا ابن عباس، وما يوم الخميس؟ قال: اشتد برسول الله ﷺ وجعه، فقال: «إيتوني أكتب لكم كتاباً لا تضلّوا بعدي»، فتنازعا وما ينبغي عند نبي تنازع، وقالوا: ما شأنه؟ أهجر؟ استفهموه، قال: «دعوني فالذي أنا فيه خير، أوصيكم بثلاث: أخرجوا المشركين من جزيرة العرب، وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم»، قال: وسكت عن الثالثة أو قالها فنسيتها. وفي رواية: لما حُضِرَ رسول الله ﷺ وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب، فقال النبي ﷺ: «هلم أكتب لكم كتاباً لا تضلّون بعده»، فقال عمر: إن رسول الله ﷺ قد غلب عليه الوجع، فمنهم من يقول: قزبوا يكتب لكم كتاباً لن تضلّوا بعده، ومنهم من يقول ما قال عمر، فلما أكثروا اللغو والاختلاف عند رسول الله ﷺ قال: «قوموا».

رواه أحمد (٢٢٢/١، ٣٢٤، ٣٥٥)، والحميدي (٥٢٦)، والبخاري في الوفاة النبوية (١٩٧/٩، ٢٠٠) وفي العلم وفي الجهاد وفي الاعتصام، ومسلم في الوصية (٨٩/١١، ٩٠)، وأبو داود (٣٠٢٩).

✽ اشتداد المرض عليه ﷺ وما حصل له بعد ذلك وما كان يقول

[٥٨٤] عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: لَمَّا ثَقُلَ النَّبِيُّ ﷺ جَعَلَ يَنْعَشُهُ، فَقَالَتْ فَاطِمَةُ عَلَيْهَا السَّلَامُ: وَكَرَبْتُ أَبَاهُ، فَقَالَ: «لَيْسَ عَلَيَّ أَيْبُكَ كَرَبْتُ بَعْدَ الْيَوْمِ»، فَلَمَّا مَاتَ قَالَتْ: يَا أَبَتَاهُ أَجَابَ رِبَاءَ دَعَا، يَا أَبَتَاهُ مِنْ جَنَّةِ الْفَرْدَوْسِ مَاوَاهُ، يَا أَبَتَاهُ إِلَى جَبْرِيلَ نُنَعَاهُ، فَلَمَّا دُفِنَ قَالَتْ فَاطِمَةُ عَلَيْهَا السَّلَامُ: يَا أَنَسُ أَطَابَتْ نَفُوسُكُمْ أَنْ تَحْثُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ التُّرَابَ.

رواه أحمد (١٤١/٣، ١٩٧)، والبخاري في الوفاة النبوية (٢١٥/٩)، والترمذي في الشمائل (٣٧٩)، والنسائي في الجنائز وابن ماجه (١٦٢٩)، والدارمي في المقدمة (٨٨).

[٥٨٥] وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: كان رسول الله ﷺ وهو صحيح يقول: «إِنَّهُ لَمْ يُقْبَضْ نَبِيٌّ قَطُّ حَتَّى يَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ، ثُمَّ يُحْيَا أَوْ يُخَيَّرُ»، فَلَمَّا اشْتَكَى وَحَضَرَهُ الْقَبْضُ وَرَأَسَهُ عَلَى فَخْذِ عَائِشَةَ غَشِيَ عَلَيْهِ، فَلَمَّا أَفَاقَ شَخَّصَ بَصَرَهُ نَحْوَ سَقْفِ الْبَيْتِ، ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ فِي الرَّفِيقِ الْأَعْلَى»، فَقُلْتُ: إِذَا لَا يُجَاوِزُنَا، فَعَرَفْتُ أَنَّهُ حَدِيثُهُ الَّذِي كَانَ يَحْدُثُنَا وَهُوَ صَحِيحٌ.

رواه البخاري في الوفاة النبوية (٢٠٣/٩)، ومسلم في الفضائل (٢٠٩/١٥) وغيرهما.

[٥٨٦] وعن عائشة قالت: كنت أسمع أنه لن يموت نبي حتى يخير بين الدنيا والآخرة، قالت: فسمعت النبي ﷺ في مرضه الذي مات فيه وأخذته بحة يقول: «مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً»، قالت: فظننته خير حينئذٍ.

رواه أحمد (٤٨/٦، ١٧٦، ٢٠٠، ٢٧٤)، والبخاري (٢٠٢/٩)، ومسلم في الفضائل وابن ماجه (١٦٢٠).

✽ من آخر وصاياه

[٥٨٧] عن عليّ عليه السلام قال: كان آخر كلام رسول الله ﷺ: «الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم».

رواه أحمد (٧٨/١، ٣٨٨)، وأبو داود (٥١٥٦)، وابن ماجه (٢٦٩٨) وسنده صحيح لغيره، فإن له شواهد، وانظر تهذيبي للخصائص رقم (٦٨٢).

✽ خروجه على الصحابة وابتسامه

ثم دخوله فلم يخرج إلى يوم القيامة

[٥٨٨] عن أنس رضي الله تعالى عنه أن أبا بكر كان يصلي لهم في وجع رسول الله ﷺ الذي توفّي فيه حتى إذا كان يوم الاثنين، وهم صفوف في الصلاة كشف رسول الله ﷺ ستر الحجرة فنظر إلينا وهو قائم كأن وجهه ورقة مضعف ثم تبسم رسول الله ﷺ ضاحكاً، قال: فهبتنا ونحن في الصلاة من فرح بخروج رسول الله ﷺ، ونكص أبو بكر على عقبه ليصل الصف، وظن أن رسول الله ﷺ خارج للصلاة، فأشار إليهم رسول الله ﷺ بيده «أن أتموا صلاتكم»، قال: ثم دخل رسول الله ﷺ وأرخى الست قال: فتوفي من يومه ذلك.

رواه أحمد (١١٠/٣، ١٦٣، ١٩٦، ٢١١)، والبخاري في الوفاة النبوية (٢٠٩/٩) وفي الصلاة وفي مواضع، ومسلم في الاستخلاف في الصلاة (١٤٣/٤) والنسائي والترمذي وغيرهما.

✽ آخر لحظاته من الحياة وموته عند سيدتنا عائشة

[٥٨٩] عن عائشة رضي الله تعالى عنها كانت تقول: إن من نعم الله

تعالى عليّ أن رسول الله ﷺ توفي في بيتي، وفي يومي، وبين سَخْرِي ونَخْرِي، وأن الله جمع بين ريقِي وريقِهِ عند موته، ودخل عليّ عبدُ الرحمن ويده السواكُ وأنا مُسْنِدَةٌ رسولَ الله ﷺ، فرأيتُه ينظر إليهِ وعرفتُ أنه يحبُ السواك، فقلت: آخِذْهُ لَكَ، فأشار برأسِهِ أن نعم، فتناولتُهُ فاشتدَّ عليه وقلت: أَلَيْتُهُ لَكَ؟ فأشار برأسِهِ أن نعم، فليئتُهُ فأمرَهُ وبين يديه ركوة أو عُلْبَةٌ، فجعل يدخل يديه في الماء فيمسحُ بها وجهه يقول: «لا إلهَ إلا اللهُ إن للموتِ سكراتٍ»، ثم نصب يده فجعل يقول: «في الرفيقِ الأعلى» حتى قُبِضَ ومالت يده.

رواه أحمد (٤٨/٦، ١٢١، ٢٠٠)، والبخاري في الوفاة النبوية (٢١٠/٩) وفي مواضع، والنسائي في الجنائز باب شدة الموت.

✽ خلاصة هذه الأحاديث

في مرضه وموته ﷺ

أحاديث هذا الفصل تشتمل على أمور:

أولاً: كان ابتداء مرضه ﷺ وهو في بيت ميمونة رضي الله تعالى عنها وجعل يسأل أين أنا غداً... فعرف نساؤه أنه يريد بيت عائشة، فأذن له أن يُمرَّضَ عندها لما كان يجد منها من البرور والإحسان.

ثانياً: اختلف علماء السيرة وغيرهم متى ابتداء به المرض، وكم كانت مدته؟ فقيل: ابتداءه يوم الاثنين أو السبت والأكثر على أنه مرض ثلاثة عشر يوماً وتوفي يوم الاثنين بلا خلاف، والجمهور على أن ذلك كان في الثاني عشر من ربيع الأول من السنة الحادية عشرة من الهجرة، وأنه عاش بعد حجته ﷺ ثمانين يوماً، وقيل غير ذلك.

ثالثاً: كان في مرضه يوعك وُعكاً شديداً خلاف غيره ﷺ، حتى إنه كان توضع له ركوة فيها فيضع فيها يده ويمسح بها وجهه الشريف، ويقول: «إن للموت سكرات» أي: غشياناً.

وأمر نساءه أن يفرغن عليه الماء من سبع قرب لم تحلل أو كيتهن، فالله أعلم ماذا كان يريد بذلك، هل كان يبتغي بها تخفيف الألم؟ وهو الظاهر أم غير ذلك...

رابعاً: من خصائص الأنبياء أن الله عز وجل كان يخيّرهم بين الدنيا والآخرة، وهكذا فعل بنينا ﷺ، فخيّرهُ اللهُ تعالى بين الدنيا وزينتها... وبين الآخرة، فاختار ما عند الله وأخير أصحابه بذلك وأبهم عليهم المخير، فلم يفتن لذلك إلا الصديق ولذلك بكى، وقال له: نفديك بآبائنا وأمّهاتنا.

خامساً: في أمره ﷺ الصديق رضي الله تعالى عنه بالصلاة بالناس دليل على ترشيحه للخلافة بعده، وأنه كان أهلاً للإمامة في الدين والدنيا قبل غيره، ولذلك أدلة كثيرة بعضها كالصريحة في ذلك، كما ذكرت ذلك مفصلاً في «فضائل الصحابة».

سادساً: استدل جماعة من الأئمة كمالك وغيره بصلاته ﷺ في مرضه قاعداً والصحابة وراءه قياماً على نسخ صلاته من قعود وأمره ﷺ من صلى خلفه بالعود، وقد اختلف الأئمة في ذلك والذي نختاره وجوب اتباع الإمام في القيام والعود وصلاته ﷺ هذه في مرضه لم تكن عادية، وهي قضية عيين وصلاة طارئة...

سابعاً: في اجتماع أزواجه وابنته رضوان الله تعالى عليهن عنده ﷺ ومساررتة لابنته دليل على فضلها عليهن، وذلك لا خلاف فيه، وسيأتي مزيد لهذا في الفضائل.

ثامناً: كان آخر خروجه وآخر نظرة نظر إليه الصحابة رضي الله تعالى عنهم عندما قام وكشف ستارة البيت ونظر إليهم وهم صفوف يصلون بإمامة الصديق وهو عاصب رأسه ووجهه يتلألأ نوراً يميل إلى صفة ورق المصحف، فكاد الصحابة يفتنون فرحاً ببروزه وخروجه ثم تبسم ابتسامته الشريفة فرحاً باجتماع الصحابة صفوفاً في أداء صلاتهم خلف الصديق رضي الله تعالى عنه، ثم أرخى الستر ودخل.

تاسعاً: عندما اشتدَّ عليه المرض أخذته بحة في حلقه وهو مستند إلى

حبيته مولاتنا عائشة رأسه عند نحرها وسحرها، ويرفع بصره إلى السماء ويقول: «اللهم الرفيق الأعلى» ويقول: «إن للموت سكرات»، وكان آخر ما صنع أن تسوك بسواك عبدالرحمن بن أبي بكر ثم نطق قائلاً: «مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين»، ففاضت روحه الشريفة ولم تشعر عائشة بموته، بل ظنته مغشياً عليه، فكان أول من دخل عليها عمر والمغيرة بن شعبة، فاستأذنا فأذنت لهما فاحتجبت فنظر إليه عمر وقال: ما أشد غشي رسول الله ﷺ، ثم قاما فلما دنوا من الباب قال المغيرة: يا عمر مات رسول الله ﷺ، فقال له: كذبت، ثم جاء أبو بكر فنظر إليه وقال: إنا لله وإنا إليه راجعون، مات رسول الله ﷺ، فقبله وخرج إلى المسجد فخطب الناس، كما يأتي.

عاشراً: في شأن قوله ﷺ: «إيتوني بكتاب أكتب لكم كتاباً» إلخ، اختلف العلماء في الكتاب الذي هم النبي ﷺ به، والظاهر أنه الذي جاء في الحديث التالي:

[٥٩٠] عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: قال لي رسول الله ﷺ في مرضه: «اذع لي أبا بكر وأخاك حتى أكتب كتاباً، فإني أخاف أن يتمنى مُتَمَنٌ، ويقول قائل: أنا أولى وأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر...».

رواه أحمد (٣٤/٦، ١٤٤)، والبخاري في الأحكام (٧٢١٧) وفي المرض (٥٦٦٦)، ومسلم في الفضائل (١٥٥/١٥).

فهذا الذي أمر به عائشة هنا هو الذي أراده بقوله فيما سبق: «إيتوني بكتاب» إلخ، وكل ما يقال سوى هذا فبعيد عن الحق، وبهذا يعرف صواب ما قاله عمر رضي الله تعالى عنه: إن رسول الله ﷺ قد غلب عليه الوجد وعندكم القرآن حسبنا كتاب الله... فكان ذلك من فقهه وفضائله ودقيق نظره، كما قال النووي رحمه الله تعالى وغيره وما جاء في الحديث من قول بعضهم: أهجر رسول الله، كان على وجه الاستفهام؛ لأن الرسول ﷺ لا يصدر منه الهجر وهو الهذي والكلام الساقط. وعلى أي، فالأولى بالمسلم أن يغض الطرف عن مثل هذه الحادثة ولا يتعرض للطعن في كبار أصحاب

رسول الله ﷺ كما هو شأن الروافض عافانا الله تعالى مما ابتلوا به، وانظر لهذا الموضوع النووي على مسلم (١٥٥/١٥).

حادي عشر: لم يثبت عنه ﷺ أنه أوصى بالخلافة نصاً لأحد لا للإمام علي عليه السلام ولا لغيره، وإنما أوصى بكتاب الله عز وجل وبالصلاة وبالممالك وما يدعيه الإمامية الروافض وغيرهم من الوصاية بالخلافة للإمام علي كل ذلك باطل لا يصح منه شيء عند أهل العلم بالحديث، ولا يوجد ذلك إلا في كتبهم الخرافية، وها هما علي والعباس رضي الله تعالى عنهما يتحاوران في شأن الخلافة فيمتنع الإمام علي عليه السلام من سؤال النبي ﷺ إياها وهو في آخر اللحظات من حياته.

❁ ما بعد موته ﷺ

[٥٩١] عن عائشة رضي الله تعالى عنها أن أبا بكر رضي الله تعالى عنه أقبل على فرس من مسكنه بالسُّنْح حتى نزل فدخل المسجد فلم يكلم الناس حتى دخل على عائشة، فتميم رسول الله ﷺ وهو مُعْشَى بثوب جبرية فكشف عن وجهه، ثم أكب عليه فقبله وبكى ثم قال: بأبي أنت وأمي، والله لا يجمع الله عليك موتين، أما الموتة التي كتبت عليك فقد مُتَّها.

وفي رواية: إن رسول الله ﷺ مات وأبو بكر بالسُّنْح - تعني بالعالية - فقام عمر يقول: والله ما مات رسول الله ﷺ، قالت: وقال عمر: والله ما كان يقع في نفسي إلا ذاك وليبعثه الله فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم، فجاء أبو بكر فكشف عن رسول الله ﷺ فقبله، فقال: بأبي أنت وأمي طبت حياً وميتاً، والله الذي نفسي بيده لا يُذيقك الله الموتين أبداً، ثم خرج فقال: أيها الحالف على رسلك، فلما تكلم أبو بكر جلس عمر فحمد الله أبو بكر وأثنى عليه، وقال: ألا من كان يعبد محمداً فإن محمداً ﷺ قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت، وقال: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾،

وقال: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ
انْفَلَتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْفَلِتْ عَلَىٰ عَقَبَيْهِ فَلَنْ يَصُرَ اللَّهُ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ
الشَّاكِرِينَ﴾ (١٤٤).

قال: فَشَجَّ الناس بيبكون... ثم ذكرت قصة الخلافة في سقيفة بني
ساعدة.

رواه البخاري في الفضائل وفي المغازي (٢١١/٩، ٢١٢)، والنسائي
وابن ماجه (١٦٢٧) كلاهما في الجنائز.

[٥٩٢] وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن أبا بكر خرج وعمر
يكلم الناس، فقال: اجلس يا عمر، فأبى عمر أن يجلس فأقبل الناس على
أبي بكر وتركوا عمر، فقال أبو بكر: أما بعد، من كان يعبد منكم
محمدًا ﷺ فإن محمدًا قد مات، ومن كان منكم يعبد الله فإن الله حيٌّ لا
يموت، قال الله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ إلى
قوله: ﴿الشَّاكِرِينَ﴾، قال: والله لكان الناس لم يعلموا أن الله أنزل هذه الآية
حتى تلاها أبو بكر فتلقاها منه الناس كلهم، فما أسمع بشراً من الناس إلا
يتلوها. قال عمر: والله ما هو إلا أن سمعت أبا بكر تلاها، فغفرت حتى ما
تُقَلِّني رجلاي وحتى أهويت إلى الأرض حين سمعته تلاها، علمت أن
النبي ﷺ قد مات.

رواه البخاري في الجنائز (١٢٤٢) وفي المغازي (٤٤٥٤).

«السُّنْح» بضم السين مع تشديدها ثم نون ساكنة آخره حاء مهملة، هو
من عوالي المدينة، وكانت سكنى الصديق رضي الله تعالى عنه ولما توفي
النبي ﷺ لم يحضره، ولما جاء على فرس له وجد المسجد غاصاً
بالصحابه وعمر يخطبهم وينكر موت النبي ﷺ، فدخل أبو بكر بيت عائشة
حيث يوجد النبي ﷺ ولم يكلم أحداً حتى كشف عن وجه رسول الله ﷺ،
فعلم أنه توفي فاسترجع وفداه بأبيه وأمه وقبله وخاطبه قائلاً: طُبِّتَ حياً
وميتاً، ثم خرج إلى الناس وأسكت عمر فخطبهم وثبتهم وطمأنهم وعرفهم
بأن من كان عبداً لله عز وجل فإله لا يزال حياً لا يموت، ومن كان عبداً

للسلطان فالرسول قد جاءه أجله، وذهب إلى رضوان الله تعالى، ثم ذكرهم
بالآيتين الكريمتين آية الزمر: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ (٣٥)، وآية آل عمران:
﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾، فصحا الناس ورجعوا إلى
أنفسهم وتيقنوا وفاة النبي ﷺ ولم يعودوا يترددون في ذلك حتى عمر
الذي كان شديداً في إنكار موته ﷺ رجع عندما سمع ما تلاه الصديق من
القرآن الكريم، ونزل به من الأسى والحزن ما كاد يسقط معه على الأرض،
وهنا تظهر قوة الصديق وعظيم يقينه وشدة ثباته، فقد كان لخطبته إثر الوفاة
النبوية الأثر العظيم في تثبيت الصحابة وإرجاعهم إلى رشدهم.

وعقب هذه الخطبة والنبي ﷺ لا يزال مُسَجِّى في بيته اجتمع
الأنصار في سقيفة بني ساعدة يريدون تأمير سعد بن عبادة، فذهب إليهم أبو
بكر وعمر في جماعة المهاجرين، وبعد مراجعات وأخذ ورد بايعوا الصديق
خليفةً للمسلمين عن رسول الله ﷺ، وقد قدّمنا ما في ذلك في كتاب
الخلافة.

✽ كيف غسل رسول الله ومن تولّى ذلك

[٥٩٢] عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: لما أرادوا غسل
النبي ﷺ قالوا: والله ما ندري أنجزد رسول الله ﷺ من ثيابه كما نجزد
موتانا أو نغسله وعليه ثيابه؟ فلما اختلفوا ألقى الله عز وجل النوم عليهم
حتى ما فيهم رجل إلا ودقته في صدره، ثم كلمهم مُكَلِّمٌ من ناحية البيت
لا يدرون من هو أن اغسلوا النبي ﷺ وعليه ثيابه، فقاموا إلى
رسول الله ﷺ فغسلوه وعليه قميصه، يصبون الماء فوق القميص ويدلّكونه
بالقميص دون أيديهم، فكانت عائشة تقول: لو استقبلتُ من أمري ما
استدبرتُ ما غسله إلا نساؤه.

رواه أحمد (٢٦٧/٦)، وأبو داود (٣١٤١)، وابن ماجه (١٤٦٤)،

وابن حبان (٦٥٩٣، ٦٥٩٤) بالإحسان، وبالمراد (٢١٥٦)، والحاكم (٥٩/٣)، والبيهقي (٣٩٨/٣) كلهم في الجنائز، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي، وقال البوصيري: هذا إسناد صحيح رجاله ثقات.

[٥٩٤] وعن عليّ عليه السلام قال: غَسَلْتُ رسولَ الله ﷺ فذهبتُ أنظر ما يكون من الميت فلم أرَ شيئاً، وكان ﷺ طيباً حياً وميتاً.

رواه ابن ماجه (١٤٦٧)، والحاكم (٣٦٢/١)، والبيهقي (٥٣/٤) بسند صحيح وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

الحديث الأول يدلّ على أن النبي ﷺ غَسَلُوهُ في قميصه ولم يُجَرِّدُوهُ، وكان ذلك بإرشاد من مُتَكَلَّم لم يعرفوا من هو، وتلك خصيصة خَصَّ بِهَا ﷺ من قبل الله تعالى، بينما الحديث الثاني يدلّ على أن الذي تولى تغسيله هو الإمام عليّ عليه السلام مع بعض أهل بيته، كما جاء في حديث سالم بن عبيد عند ابن ماجه وغيره: غسله بنو أبيه، وفيه أنه لم يرَ منه شيء مما يخرج من الميت، بل كان طيباً مطيباً.

✽ كيف كَفَنَ وكيف صَلَّى عليه وأين دُفِنَ؟

[٥٩٥] عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: كَفَنَ رسولَ الله ﷺ في ثلاثة أثواب بيض سَحُولِيَّةٍ من كُرْسُفٍ، ليس فيها قميص ولا عمامة.

أما الحَلَّةُ، فإنما شبه على الناس فيها أنها اشترت له لِيَكْفَنَ فيها، فتركت الحلة، كَفَنَ في ثلاثة أثواب بيض سَحُولِيَّةٍ، فأخذها عبدالله بن أبي بكر فقال: لأحبسها حتى أَكْفَنَ فيها نفسي، ثم قال: لو رضيها الله عز وجل لنبيّه لكفنه فيها فباعها وتصدق بثمنها.

رواه أحمد (٤٠/٦، ٩٣، ١١٨، ١٣٢، ٢١٤، ٢٦٤)، والبخاري (٣٧٨/٣)، ومسلم (٧/٧، ١٠) والأربعة وغيرهم.

قوله: سَحُولِيَّةٌ - بفتح السين - والكُرسف - بضم الكاف والسين بينهما راء ساكنة - هو القطن، وجاء في رواية لأحمد: «جُدِّدَ أدرج فيها إدراجاً»، الحديث يدلّ على أن نبيّنا ﷺ أُدرج وُلِّفَ في ثلاثة أثواب ولم يكن فيها قميص ولا إزار ولا رداء ولا عمامة، بل لُفَّ في الثلاثة لَفًّا.

وفي قول عائشة في شأن الحلة ردّ على من يقول بأنه كَفَنَ في حلة من إزار ورداء، بل ذلك باطل.

[٥٩٦] وعن سالم بن عُبيد رضي الله تعالى عنه قال: قال الصحابة لأبي بكر: يا صاحب رسول الله ﷺ أَيُصَلِّي على رسول الله ﷺ؟ قال: نعم، قالوا: وكيف؟ قال: يدخل قوم فيكبرون ويصلون ويدعون ثم يخرجون، ثم يدخل قوم فيكبرون ويصلون ويدعون ثم يخرجون حتى يدخل الناس، قالوا: يا صاحب رسول الله، يُدْفَنُ رسول الله ﷺ؟ قال: نعم، قالوا: أين؟ قال: في المكان الذي قَبِضَ الله فيه روحه، فإن الله لم يقبض روحه إلا في مكان طيب، فعلموا أن قد صدق.

رواه الترمذي في الشمائل (٣٧٨) مطوّلاً، وابن ماجه في الصلاة (١٢٣٤) مختصراً، والطبراني في الكبير (٦٣٦٧) كاملاً وسنده صحيح.

الحديث يدلّ على أن الصحابة كانوا يصلّون عليه ﷺ أفراداً، فيدخلون أرسالاً فيدعون وينصرفون ولم يؤمهم أحد، كما أنه يدلّ على أنه عليه الصلاة والسلام دُفِنَ في المكان الذي قَبِضَ فيه روحه، وهو بيت مولانا عائشة رضي الله تعالى عنها.

[٥٩٧] وجاء عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: لما قَبِضَ رسولُ الله ﷺ اختلفوا في دفنه، فقال أبو بكر: سمعت من رسول الله ﷺ شيئاً ما نسيته، قال: «ما قَبِضَ الله نبيّاً إلا في الموضع الذي يُحِبُّ أن يُدْفَنَ فيه»، ادفنوه في موضع فراشه.

رواه الترمذي (٩٠٣) بتهذيب بسند ضعيف، لكنه صحيح لشواهد عند أحمد (٧/١، ١٦٠)، وابن ماجه (١٦٢٨)، والترمذي في الشمائل (٣٧١).

❁ كيف حُفِرَ قَبْرُهُ وَمَنْ تَوَلَّى دَفْنَهُ وَمَتَى دُفِنَ

[٥٩٨] عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: لما مات رسول الله ﷺ اختلفوا في اللحد والشق حتى تكلموا في ذلك وارتفعت أصواتهم، فقال عمر: لا تضحَبُوا عند رسول الله ﷺ حياً ولا ميتاً - أو كلمة نحوها - فأرسلوا إلى الشقاق واللاحد فجاء اللاحد فلحد لرسول الله ﷺ ثم دُفِنَ ﷺ.

رواه ابن ماجه (١٥٥٨)، قال البوصيري: إسناده صحيح ورجاله ثقات.

[٥٩٩] وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه قال في مرضه الذي هلك فيه: الحدوا لي لحداً وانصبوا عليّ اللبن نضباً كما صنِعَ برسول الله ﷺ.

رواه مسلم (٩٦٦)، والنسائي (٦٦/٤)، وابن ماجه (١٥٥٦) ثلاثتهم في الجنائز.

[٦٠٠] وعن عليّ عليه السلام قال: ولي دفنه وإجنانته دون الناس أربعة: عليّ والعباس والفضل وصالح مولى رسول الله ﷺ، ولحد رسول الله ﷺ لحداً، ونصب عليه اللبن نضباً.

رواه ابن ماجه (١٤٦٧)، والحاكم (٣٦٢)، والبيهقي (٥٣/٤) وسنده صحيح وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

[٦٠١] وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: دخل قبر رسول الله ﷺ العباس وعليّ والفضل وشقّ لحدّه رجلٌ من الأنصار...

رواه ابن الجارود (٥٤٧)، وابن حبان (٢١٦١) بالموارد، والبيهقي في الدلائل (٢٥٤/٧) وسنده صحيح.

[٦٠٢] وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: توفي رسول الله ﷺ يوم الاثنين ودُفِنَ ليلة الأربعاء.

رواه أحمد (١١٠/٦) رجاله ثقات وله شاهد مرسل صحيح، رواه الترمذي في الشمائل (٣٧٦).

[٦٠٣] وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: جُعِلَ في قبر رسول الله ﷺ قِطِيفَةٌ حمراء.

رواه أحمد (٢٢٨/١، ٣٥٥)، ومسلم (٩٦١)، والترمذي (٩٣٤)، والنسائي (٦٧/٤) كلّهم في الجنائز.

جملة هذه الأحاديث تدلّ على أن قبر النبي ﷺ كان لحداً، وقد تقدم بيانه في الجنائز، وأنه فرشت له قِطِيفَةٌ حمراء، فرشها مولاه شقران كما رواه الترمذي (٩٣٣)، وأن الذي تولى دفنه وإدخاله قبره عليّ والعباس والفضل بن العباس وصالح مولاه رضي الله تعالى عنهم، وأن دفنه كان ليلة الأربعاء، وعلى هذا جمهور أهل العلم، وكان عمره ثلاثاً وستين سنة كما تقدم ويأتي.



❁ من آثار وفاته ﷺ على الصحابة

[٦٠٤] عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: لما كان اليوم الذي دخل فيه رسول الله ﷺ المدينة أضاء منها كل شيء، فلما كان اليوم الذي مات فيه أظلم منها كل شيء، وما نَفَضْنَا عن النبي ﷺ الأيدي حتى أنكرنا قلوبنا.

رواه أحمد (٢٦٨/٣، ٢٨٧)، والترمذي في المناقب (٣٣٩٣) وفي الشمائل (٣٧٤)، والدارمي (٨٩)، وابن ماجه (١٦٣١)، وابن حبان (١٦٢) بالموارد، والحاكم (٥٧/٣) بسند صحيح.

«أضاء» أي: أشرق. «أنكرنا قلوبنا» يعني فقدوا ما كانوا يجدونه من الصفاء ونور النبوة، والإضاءة هنا والظلمة معنويتان، وليس معناه ظهور الأنوار والظلام حسيّاً؛ فمعنى الحديث أنه لما قدم عليهم النبي ﷺ المدينة حصلت الأنوار في القلوب واطمأنت وأتحدت وتحابت وصارت المدينة

كانها مضيئة بوجوده ﷺ بينهم، وبالعكس من ذلك عند موته، فما كانوا يجدونه من النور العظيم في قلوبهم والمحبة التامة والإلفة... فقدوا بعضه ولذلك أنكروا قلوبهم لتغيرها عما كانت عليه، وحق لهم ذلك فإن موته ﷺ كانت أعظم مصيبة أصيب بها المسلمون إلى يوم القيامة.

وقد قالت الحبيبة الطاهرة بضعة الحبيب مولانا فاطمة عليها السلام عندما دُفِنَ عليه الصلاة والسلام: يا أنس أطابت نفوسكم أن تَحْثُوا على رسول الله ﷺ التراب؟! وهذا ما حمل الصحابة على دفنه ﷺ ليلاً بعد أن نام الناس خشية من أن يحصل نزاع في دفنه وعدمه، فإن فراقه كان شديداً على المسلمين، ولا سيما أهل بيته. فصلّى الله وسلّم عليه وعلى آله وأزواجه في الأولين والآخرين أبد الأبدین.

✽ ميراث النبي ﷺ

[٦٠٥] عن عائشة رضي الله تعالى عنها أن فاطمة عليها السلام بنت رسول الله ﷺ أرسلت إلى أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه تسأله ميراثها من رسول الله ﷺ مما أفاء الله عليه بالمدينة وفدك وما بقي من خمس خيبر، فقال أبو بكر: إن رسول الله ﷺ قال: «لا نورث ما تركنا صدقة»، إنما يأكل آل محمد ﷺ في هذا المال، وإني والله لا أغير شيئاً من صدقة رسول الله ﷺ عن حالها التي كانت عليها في عهد رسول الله ﷺ، ولأعملن فيها بما عمل به رسول الله ﷺ، فأبى أبو بكر أن يدفع إلى فاطمة شيئاً، فوجدت فاطمة على أبي بكر في ذلك، قال: فهجرته فلم تكلمه حتى توفيت، وعاشت بعد رسول الله ﷺ ستة أشهر، فلما توفيت دفنها زوجها ابن أبي طالب ليلاً ولم يؤذن بها أباً بكر وصلّى عليها عليّ، وكان لعلّي من الناس وجهة حياة فاطمة، فلما توفيت استنكر وجوه الناس فالتمس مصالحة أبي بكر ومبايعته، ولم يكن بايع تلك الأشهر، فأرسل إلى أبي بكر أن ائتنا ولا يأتنا معك أحد، فقال عمر: والله لا تدخل

عليهم وحدك، فقال أبو بكر: وما عساهم أن يفعلوا بي إني والله لآتيهم، فدخل عليهم أبو بكر فتشهد عليّ بن أبي طالب ثم قال: إنا قد عرفنا يا أبا بكر فضيلتك وما أعطاك الله ولم تُنفس عليك خيراً ساقه الله إليك، ولكنك استبددت علينا بالأمر وكنا نحن نرى لنا حقاً لقرابتنا من رسول الله ﷺ، فلم يزل يكلم عليّ أبا بكر حتى فاضت عينا أبي بكر، فلما تكلم أبو بكر قال: والذي نفسي بيده لقرابة رسول الله ﷺ أحب إليّ أن أصل من قرابتي، وأما الذي شجر بيني وبينك من هذه الأموال فإنني لم آل فيها عن الحق، ولم أترك أمراً رأيت رسول الله ﷺ يصنعه فيها إلا صنعته، فقال عليّ لأبي بكر: موعذك العشية للبيعة، وعذره بالذي اعتذر إليه ثم استغفر وتشهد عليّ بن أبي طالب، فعظم حق أبي بكر وأنه لم يحمله على الذي صنع نفاسة على أبي بكر ولا إنكاراً للذي فضله الله به، ولكننا كنا نرى لنا في الأمر نصيباً، فاستبدد علينا به، فوجدنا في أنفسنا، فسّر المسلمون وقالوا: أصبت، فكان المسلمون إلى عليّ قريباً حين راجع الأمر المعروف.

رواه أحمد (٦/١، ٩)، والبخاري في المناقب (٣٧١١) وفي فرض الخمس (٣٠٩٢) (ج ٧/٦، ١٠) وفي المغازي غزوة خيبر (٤٢٤٠)، ومسلم في الجهاد في قول النبي: لا نورث (٧٦/١٢، ٨١).

[٦٠٦] وعن مالك بن أوس رضي الله تعالى عنه قال: أرسل إليّ عمُرُ بن الخطاب رضي الله تعالى عنه فجئته حين تعالى النهار، قال: فوجدته في بيته جالساً على سرير مُفضياً إلى رماله، متكئاً على وسادة من آدم، فقال: يا مال إنه قد دفن أهل أبيات من قومك، وقد أمرت فيهم برِضخ فخذ فاقسمه بينهم، قال: قلت: لو أمرت بهذا غيري؟ قال: خذه يا مال. قال: فجاء يرفقاً، فقال: هل لك يا أمير المؤمنين في عثمان، وعبدالرحمن بن عوف، والزبير، وسعد؟ فقال عمر: نعم، فأذن لهم فدخلوا، ثم جاء فقال: هل لك في عباس وعليّ؟ قال: نعم، فأذن لهما. فقال عباس: يا أمير المؤمنين اقض بيني وبين هذا الكذاب الآثم الغادر الخائن، فقال القوم: أجل يا أمير المؤمنين، فاقض بينهم وأرخهم. قال مالك بن أوس: يُحَيَّل إليّ أنهم قد كانوا قدموا لذلك. فقال عمر: أتتدا

أُنشِدُكُمْ بالله الذي بإذنه تقوم السماء والأرض، أتعلمون أن رسول الله ﷺ قال: «لا نُورث ما تركناه صدقة»، قالوا: نعم، ثم أقبل على العباس وعلي فقال: أنشدُكما بالله الذي بإذنه تقوم السماء والأرض أتعلمان أن رسول الله ﷺ قال: «لا نورث ما تركناه صدقة»؟ قالوا: نعم، فقال عمر رضي الله تعالى عنه: إن الله عز وجل كان خص رسول الله ﷺ بخاصته لم يُخصَّصْ بها أحدٌ، قال: «مَا آفَاءَ اللَّهِ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَالرَّسُولِ»، ما أدري هل قرأ الآية التي قبلها أم لا؟ قال: فقسم رسول الله ﷺ بينكم أموال بني النضير، فوالله من استأثر عليكم ولا أخذها دونكم حتى بقي هذا المال، فكان رسول الله ﷺ يأخذ منه نفقة سنة، ثم يجعل ما بقي أسوة المال، ثم قال: أنشدكم بالله الذي بإذنه تقوم السماء والأرض أتعلمون ذلك؟ قالوا: نعم، ثم نشد عباساً وعلياً بمثل ما نشد به القوم أتعلمان ذلك؟ قالوا: نعم، قال: فلما توفي رسول الله ﷺ قال أبو بكر: أنا ولي رسول الله ﷺ فجتُّما، تطلب ميراثاً من ابن أخيك، ويطلب هذا ميراث امرأته من أبيها، فقال أبو بكر: قال رسول الله ﷺ: «ما نورث ما تركناه صدقة»، فرأيتماه كاذباً أتماً غادراً خائناً، والله يعلم أنه لصادق باز راشد تابع للحق. ثم توفي أبو بكر وأنا ولي رسول الله ﷺ وولي أبي بكر فرأيتماني كاذباً أتماً غادراً خائناً، والله يعلم أنني لصادق، باز، راشد، تابع للحق، فوليتها ثم جتنتني أنت وهذا وأتما جميعاً وأمرُكما واحد، فقلتما: ادفعها إلينا، فقلت: إن شئت دفعتها إليكما على أن عليكما عهد الله أن تعملوا فيها بالذي كان يعمل رسول الله ﷺ فأخذتماها بذلك، قال: أكذاك؟ قالوا: نعم، قال: ثم جتتماني لأقضي بينكما، ولا والله لا أقضي بينكما بغير ذلك حتى تقوم الساعة، فإن عجزتما عنها فرداها إليّ.

رواه أحمد (٤٧/١، ٤٩، ٦٠، ١٦٢، ١٦٤، ١٩١، ٢٠٨)، والحميدي (٢٢)، والبخاري في الخمس (١٠٧، ١٥) وفي الفرائض، ومسلم في الجهاد في حكم الفتيء (٧١/١٢، ٧٥)، وأبو داود في الخراج والإمارة (٢٩٦٣، ٢٩٦٤، ٢٩٦٥)، والترمذي في السير (١٤٧٦)، والنسائي في الفتيء وغيرهم.

قوله: «تعالى النهار» أي: ارتفع. «مفضياً» بضم الميم وسكون الفاء أي: ليس بينه وبين رماله شيء. «يا مال» بكسر اللام مرخم يا مالك. «دف أهل أبيات» أي: جاءوا لما نزل بهم من الفاقة. «رضخ» أي: عطية قليلة. «يرفاً» بفتح الياء وسكون الراء وفتح الفاء هو حاجب سيدنا عمر رضي الله تعالى عنه. «أثدا» هو أمر من أتأذ أي: تمهلاً وتأنياً. «أتما جميع» أي: متحدان. «وأمرُكما واحد» أي: مطلوبكما وهو طلبهما دفع الفتيء إليهما.

دل حديثا عائشة ومالك بن أوس على أمور:

أولاً: وعليه مدار الحديثين شأن ميراث النبي ﷺ ومجيء مولاتنا فاطمة عليها السلام إلى أبي بكر رضي الله تعالى عنه تطلب منه ميراث أبيها.

[٦٠٧] وقد جاء عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: جاءت فاطمة عليها السلام إلى أبي بكر، فقالت: من يرثك؟ قال: أهلي وولدي، قالت: فما لي لا أرث أبي؟ قال أبو بكر: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا نورث» ولكن أعول من كان رسول الله ﷺ يعوله، وأنتق على من كان رسول الله ﷺ يُنْفِقُ عليه.

رواه الترمذي (١٤٧٥) بتهذيبي بسند حسن وهو صحيح لغيره.

ثانياً: إن الصديق رضي الله تعالى عنه لم يكن ظالماً لمولاتنا فاطمة عليها السلام في امتناعه من دفع نصيبها من تركة النبي ﷺ، بل كان عادلاً في ذلك بازاً تابعاً للحق، ولذلك استدل عليها بأنه ﷺ لا يورث، وأن ما تركه صدقة، وذلك هو شأن سائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام كما قال ﷺ في حديث أبي الدرداء الذي تقدّم في العلم: «إن الأنبياء لم يُورثوا ديناراً ولا درهماً، إنما ورثوا العلم». . . . رواه أحمد وأبو داود والترمذي وغيرهم، وبهذا قال أكثر العلماء. ولذلك فنبينا عليه السلام لا يورث بالإجماع، والحديث الذي استدل به الصديق متواتر، رواه جمع غفير من الصحابة منهم الصديق والفاروق وعلي وعثمان والزبير وعبدالرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص والعباس وأبو هريرة وعائشة وغيرهم.

ثالثاً: هجران مولاتنا فاطمة عليها السلام الصديق كان اجتهاداً منها لشدة موجدتها على الصديق، كما أن الصديق لم يكن ظالماً لها ولا داخلاً في وعيد حديث: «يَغْضِبُهَا مَا يَغْضِبُنِي»، لأنه كان محققاً بارزاً عاملاً بما سمع وشاهد من النبي ﷺ.

رابعاً: بالنسبة للإمام علي عليه السلام كان قد تأخر عن بيعة الصديق في جماعة من بني هاشم وغيرهم لعدم مشاورتهم في ذلك، واستبداد الشيخين وغيرهما بالأمر دون قرابة النبي ﷺ، وكانوا يرون أن لهم حقاً في الخلافة، لكن الإمام علي عليه السلام أدرك الأمر وتصلح مع الصديق ووافق جمهور الصحابة فبايع ودخل فيما دخل فيه الناس وتبعه كل من كان تأخر، ووقع الإجماع بعد ذلك على خلافة الصديق رضي الله تعالى عنه وعرفوا له فضله وأنه كان أحق الناس وأزلاهم بالأمر.

خامساً: التركة النبوية التي وقع فيها التنارع هي صدقة المدينة التي أفاء الله تعالى على نبيه ﷺ من بني النضير، وأراضي فدك بفتح الفاء والدال، وكانت لليهود صالحهم النبي ﷺ فحقن دماءهم وأمنهم وأجلاهم، وبقيت الأراضي له ﷺ، ثم سهمه من خيبر.

وكان النبي ﷺ يأخذ من ذلك لأهله نفقة سنة، وما عدا ذلك يجعله في المصالح العامة والسلاح والكرام عدة في سبيل الله.

فكان الصديق يعمل على ذلك، فكان يُنفق على نساء النبي ﷺ وأهل بيته والباقي يجعله في المصالح العامة، ثم كان الأمر كذلك سنتين من خلافة عمر يعمل في ذلك ما كان يفعله رسول الله ﷺ والصديق بعده، ثم جاءه العباس والإمام علي رضي الله تعالى عنهما يسألانه حفظهما من ذلك فدفع إليهما مال بني النضير وأخذ عليهما عهد الله أن يعملا فيها بما كان يعمل رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر بعده، ثم حصل نزاع بين العباس وعلي رضي الله تعالى عنهما في ذلك، فأتيا عمر ليفصل بينهما، فقال لهما ما ذكر في الحديث.

أما فدك وسهم خيبر، فتركهما تحت تصرفه رضي الله تعالى عنه كما

في رواية لعائشة عند البخاري في الخمس (٩/٧). وأما خيبر وفدك، فأمسكهما عمر وقال: هما صدقة رسول الله ﷺ كانتا لحقوقه التي تعروه ونوابه، وأمرهما إلى من ولي الأمر، وقد تقدم نحو ما ذكرناه هنا في الجهاد وغيره.

سادساً: ما جاء في قول العباس لعلي في بعض الروايات: الكذاب الآثم الغادر الخائن، وقول عمر لهما أيضاً: فرأيتماه كاذباً آثماً غادراً خائناً. كل ذلك يجب حمله على غير ظاهره، فلم يكن علي كذاباً ولا آثماً ولا غادراً ولا خائناً، كما أن الخليفتين لم يكونا كذلك، بل كلهم بارون صادقون صالحون من كبار أهل الجنة رضي الله تعالى عنهم.

سابعاً: قصة مولاتنا فاطمة والإمام علي والعباس رضي الله تعالى عنهم في شأن ميراث النبي ﷺ تدل على أن البشر لا يخرج عن طبيعته التي خلق عليها وغرائزه التي جبل عليها، وهي حب المال والرياسة... فهؤلاء سادات الأمة ومعدن الشرف، وأهل بيت النبوة يتنازعون على الدنيا ويتخاصمون على متاعها... فما بالك بغيرهم وصدق الله تعالى: ﴿رَيْنَ لِلنَّاسِ هُبُ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْأَفْئِطَةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَقَابِلِ﴾.

ثامناً: كان ما حصل من إقصاء الإمام علي عن الخلافة، ومنع الصديق فاطمة إرثها أصلاً ومرجعاً لغلو الشيعة وتطاولهم على الصحابة، وخاصة الخلفاء الثلاثة وباقي العشرة، وأصبح الشيعة وخاصة أهل الرفض منهم لا يخرج مذهبهم عن الكلام على انتزاع الخلافة من علي مع ظلم فاطمة في زعمهم فضلوا بذلك ضلالاً كبيراً، وكتبوا في ذلك مئات المجلدات، كلها خرافات، وأكاذيب، وأباطيل، فالحمد لله الذي عافانا مما ابتلاهم به والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه وزوجه وأتباعه ومحبيه أبد الأبدين.

وبهذا تم الكلام على السيرة النبوية العطرة ويليها شمائل النبي ﷺ.



✽ جملة من صفات النبي ﷺ وشمائله وأخلاقه

جرت عادة علمائنا الذين ألفوا في السيرة النبوية أن يذكروا ضمن ذلك شمائله ﷺ وأخلاقه، إما سابقاً أو لاحقاً.

فكما اهتموا رحمهم الله تعالى بحياته ﷺ وغزواته حتى التحاقه بالرفيق الأعلى، كذلك وجهوا عنايتهم لشمائله وصفاته....

وكان لذلك لا يخلو كتاب من كتب السنة المشرفة على اختلاف أنواعها ومناهج مؤلفيها من ذكر شمائله ﷺ، إما مفردة أو مفردة على جدة في أبواب خاصة بها، لا سيما الجوامع منها كصحيح البخاري مثلاً في المناقب وصحيح مسلم في الفضائل، وجامع الترمذي في المناقب، والنسائي في الكبرى... زيادة على ما ذكره في مختلف الكتب والأبواب، كما أفردوها بالتأليف، وجمعوا فيها ما وصلهم منها بأسانيدهم إلى أصحاب رسول الله ﷺ. وكان ممن كتب في ذلك أبو العباس المستغفري، وأبو بكر المقرئ، وأبو الشيخ الأصبهاني، وأبو عيسى الترمذي وكتابه أشهر ما ألف في ذلك بل وأحسنها وأحلاها، ولذلك اعتنى العلماء عبر العصور بشرحه والتعليق عليه واختصاره، واهتموا بقراءته وسماعه وإسماعه، وطبع عدة طبعات مفرداً ومع شروحه... «وأخلاق النبي ﷺ لأبي الشيخ ابن حيان الأصبهاني وإن كان أكبر منه وأوسع، وقد طبع عام (١٣٧٨) لم يهتم به الناس كاهتمامهم بشمائل إمامنا أبي عيسى الترمذي طيب الله ثراه.

وها نحن بإذن الله تعالى وعونه وتوفيقه نذكر في هذا الجامع عيون ذلك، ونلخص ما جاء في الموضوع من صحيح وحسن من غير إخلال ولا إملال، والله الموفق الهادي.

هذا والشمائل: جمع شمال وهي في الأصل الطبايع والسجايا. وأطلقها العلماء على صفات النبي ﷺ الخلقية - بفتح الخاء وسكون اللام - من طول وقصره، وبياضه وشعره، وصفة عينيه وأنفه، ويديه، ورجليه، وأصابعه، ورأسه ووجهه... كما أطلقوها على خلقه - بضم الخاء واللام -

وهي سجيته وطبيعته، وذلك كحلمه وتحمله الأذى وصبره وكرمه وتواضعه وعفته وزهده وشجاعته إلى غير ذلك من أخلاقه الكريمة، ثم توسعوا فأضافوا إلى ذلك كل ما له تعلق به ﷺ كأكله وشربه ولباسه وضحكه ومزاحه وكلامه ونومه وحجامة وتعطره وارتكائه وجلوسه إلى غير ذلك مما ذكروه وأدرجوه في شمائله.

وقد تقدم لنا كثير منها في كتب وأبواب سابقة، كأنواع عبادته من صلاة وصيام وقيام وتلاوة وذكر ودعاء، وكأكله وما كان يأكله من أنواع الأطعمة، وشربه وما كان يشربه، وأنواع الألبسة التي كان يلبسها إلى غير ذلك مما تقدم، فهذه لا نوردناها ههنا ولا نُعيدها.

ثم إن المقصود من ذكر شمائله ﷺ والأطلاع عليها أمران اثنان: أولاً: التعرف على صفة هذا النبي العظيم ظاهراً وباطناً وخلقاً وخلقاً، ثانياً: الالتئام به ﷺ في أخلاقه الكريمة واتباع أثره، وتلك هي السعادة العظمى؛ لأن أتباعه والافتداء به ﷺ من موجبات محبة الله عز وجل وغفران الذنوب؛ كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾.

فالرسول الأكرم ﷺ هو القدوة لكل مؤمن يرجو الله واليوم الآخر ويذكر الله كثيراً؛ كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ الآية.



✽ صفة خلق رسول الله ﷺ الظاهرة

[٦٠٨] عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: كان رسول الله ﷺ ليس بالطويل البائن، ولا بالقصير، ولا بالأبيض الأمهق، ولا بالجعد القبط، ولا بالسبط. بعثه الله تعالى على رأس أربعين سنة، فأقام بمكة عشر سنين، وبالمدينة عشر سنين، وتوفاه الله على رأس ستين سنة، وليس في رأسه

وَلِخَيْتِهِ عَشْرُونَ شَعْرَةً بَيْضَاءَ... وفي رواية: كان رسول الله ﷺ زَبَعَةً لَيْسَ بِالطَّوِيلِ وَلَا بِالْقَصِيرِ، حَسَنَ الْجَنْسِمْ وَكَانَ شَعْرُهُ لَيْسَ بِجَعْدٍ وَلَا سَبِطٍ (أَسْمَرُ اللَّوْنِ)، إِذَا مَشَى يَتَكَفَّأُ. وفي رواية: كان أزهر اللون ليس بأبيض أمهق ولا آدم، وفي أخرى: كان أزهر اللون كأن عرقه اللؤلؤ إذا مشى تكفأ.

رواه أحمد (٢٤٠/٣)، ومالك في الجامع من الموطأ (١٧٧٢)، والبخاري في المناقب (٣٧٧/٧، ٣٧٩)، ومسلم في الفضائل (٩٩/١٥، ١٠٠)، والترمذي في اللباس (١٦١٠) وفي المناقب وفي الشرائع (٢/١) بألفاظ.

«الطويل البائن» أي: الظاهر. «الأمهق» أي: الشديد البياض كالجص مثلاً. «ولا آدم» أي: ليس أسمر. «الجعد» بفتح وسكون. «القطط» بفتح القاف والطاء وتكسر الطاء وهو الكثير الجعودة والانقباض كشعر الحبشة. «ولا بالسبط» بفتح السين وكسر الياء هو الشعر المسترسل كشعر الروم. «ربعة» بفتح الراء وسكون الباء أي: متوسطاً بين الطول والقصر. «أسمر اللون» هي رواية شاذة، ففي الصحيحين: «أزهر اللون» أي: لونه كلون الزهر. «إذا مشى يتكفأ» أي: يتمايل.

[٦٠٩] وعن البراء بن عازب رضي الله تعالى عنه قال: كان رسول الله ﷺ رجلاً مربعاً بعيد ما بين المنكبين، عَظِيمَ الْجُمَّةِ إِلَى شَحْمَةِ أُذُنَيْهِ عَلَيْهِ حُلَّةٌ حَمْرَاءُ مَا رَأَيْتُ شَيْئاً قَطُّ أَحْسَنَ مِنْهُ.

وفي رواية: ما رأيت من ذي لمة في حلة حمراء أحسن من رسول الله ﷺ له شَعْرٌ يَضْرِبُ مَنْكَبَيْهِ بَعِيدٌ مَا بَيْنَ الْمَنْكَبَيْنِ لَمْ يَكُنْ بِالْقَصِيرِ وَلَا بِالطَّوِيلِ.

وفي رواية ثالثة: كان رسول الله ﷺ أَحْسَنَ النَّاسِ وَجْهًا وَأَحْسَنَهُمْ خَلْقًا.

رواه أحمد (٢٨١/٤، ٢٩٠، ٢٩٥، ٣٠٣)، والبخاري في المناقب (٣٨١/٨)، ومسلم في الفضائل (٩١/١٥، ٩٢)، وأبو داود (٤٠٧٢)، والترمذي (١٥٨١) في اللباس، ورواه أيضاً في المناقب (٣٤١٠) بتهذيب وفي الشرائع (٢٥/٣).

«بعيد» ورد بضم الباء وفتح العين، وفتح وكسر. «عظيم الجمّة» أي: شعر رأسه ﷺ يصل إلى شحمة أذنيه. «حلة حمراء» الحلة عند العرب ما كان فيه إزار ورداء. «ذي لمة» بكسر اللام صفة لنوع من الشعر الطويل. «وأحسنهم خلقاً» بفتح الخاء وسكون اللام هي الصورة الظاهرة للجسم.

[٦١٠] وعن علي عليه السلام قال: لم يكن النبي ﷺ بالطويل ولا بالقصير، شَتْنُ الْكَفَّيْنِ وَالْقَدَمَيْنِ، ضَخْمُ الرَّأْسِ، ضَخْمُ الْكَرَادَيْسِ، طَوِيلُ الْمَسْرِيَّةِ، إِذَا مَشَى تَكْفُؤًا كَأَنَّمَا يَنْحَطُّ مِنْ صَبَبٍ، لَمْ أَرْ قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ مِثْلَهُ ﷺ.

رواه الطيالسي (٢٤٠٩)، وأحمد (٩٦/١، ١٠١، ١٢٧، ١٥١)، وعبدالله في زوائد المسند (١٦٦/١، ١٦٧)، والترمذي في المناقب (٣٤١٢) بتهذيبي وفي الشرائع (٥)، وابن سعد (٤١١/١)، والحاكم (٦٠٦/٢) من طرق بعضها صحيحة أو حسنة وحسنه الترمذي وصححه كما صححه الحاكم والذهبي.

«شَتْنُ الْكَفَّيْنِ» بفتح الشين وسكون الشاء أي: غليظهما. «فخم الكراديس» جمع كردوس بضم الكاف هي رؤوس العظام، ومعناه أنه كان عظيم الأعضاء والعظام كالركبتين والمرفقين والمنكبين. «طويل المسرية» بفتح الميم وسكون السين وضم الراء ثم باء مفتوحة هو الشعر الدقيق الممتد من الصدر إلى السرة. «إذا مشى تكفأ تكفأ» أي: تمايل تمايلاً. «كأنما ينحط من صبيب» أي: كأنما ينزل من أعلى إلى أسفل، والانحطاط هو الانحدار والنزول.

[٦١١] وعن جابر بن سمرة رضي الله تعالى عنه قال: كان رسول الله ﷺ ضَلِيعَ الْفَمِ أَشْكَلَ الْعَيْنِ مَنُهِوسَ الْعَقِبِ.

قال شعبة: قلت لسماك: ما ضليع الفم؟ قال: عظيم الفم. قلت: ما أشكل العين؟ قال: طويل شق العين. قلت: ما منهوس العقب؟ قال: قليل اللحم.

رواه أحمد (٨٦/٥، ٨٨، ٩٧، ١٠٣)، ومسلم في الفضائل

(٩٣/١٥)، والترمذي في المناقب (٣٤٢١) بتهديي وفي الشمائل (٨).

[٦١٢] وعنه قال: رأيت رسول الله ﷺ في ليلة إضحيانٍ وعليه حُلَّةٌ حمراء، فجعلتُ أنظر إليه وإلى القمر فلهو عندي أحسنُ من القمر.

رواه الترمذي في الاستئذان (٢٦١٥) وفي الشمائل (٩)، والدارمي (٥٨)، وأبو الشيخ في أخلاق النبي ﷺ (١٠٧)، والخطيب في التاريخ (٣٥٤/٢)، والحاكم (١٨٦/٤) وحسنه الترمذي وصححه البخاري والحاكم ووافقه الذهبي.

«إضحيان» بكسر الهمزة وسكون الضاد أي: ليلة مُقَمِّرة.

[٦١٣] وعن البراء بن عازب أنه سُئِلَ: أكان وجهُ رسول الله ﷺ مثلَ السِّيفِ؟ قال: لا، بلْ مِثْلَ القَمَرِ.

رواه أحمد (٢٨١/٤)، والطيالسي (٢٤١١) والبخاري في صفة النبي ﷺ (٣٨١/٧)، والترمذي في المناقب (٣٤١١) وفي الشمائل (١٠) وحسنه وصححه.

[٦١٤] ونحوه عن جابر بن سمرة قال له رجل: أكان رسول الله ﷺ وجهه مثل السِّيفِ؟ قال: لا، بلْ مِثْلَ الشَّمْسِ والقمرِ مُسْتَدِيرًا.

رواه مسلم (٩٧/١٥).

[٦١٥] وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: كان رسول الله ﷺ أبيضَ كأنما صيغَ من فضةٍ رجلَ الشَّعْرِ.

رواه الترمذي في الشمائل (١١) ورجاله ثقات غير صالح بن الأخضر ضعيف، لكن الحديث صحيح لشواهد في الباب.

«كأنما صيغ من فضة» أي: كأنه أخذ منها لصفائه وجودة لونه ﷺ.

[٦١٦] وعن مُجَرِّش الكَعْبِيِّ رضي الله تعالى عنه قال: اعتمر النبي ﷺ من الجعرانة ليلاً، فنظرتُ إلى ظَهْرِهِ كأنه سَبِيكَةٌ فضَّة.

رواه أحمد (٤٢٦/٣، ٤٢٧) من طرق صحيحة.

«سبيكة» أي: قطعة من فضة أذيت وأفرغت في قالبها، وذلك غاية في الصفاء.

[٦١٧] وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: ما رأيتُ شيئاً أحسن من رسول الله ﷺ كأنَّ الشَّمْسَ تجري في وجهه.

رواه الترمذي (٣٤١١) في المناقب وفي الشمائل (١١٥)، وابن سعد (٣٧٩/١، ٣٨٠)، وابن حبان (٢١١٨) وسنده صحيح عند بعضهم، وابن لهيعة قد تُوْبِعَ.

[٦١٨] وعن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: ما رأيتُ أحداً أنجَدَ ولا أجودَ ولا أشجعَ ولا أضوأَ ولا أوضأَ من رسول الله ﷺ.

رواه الدارمي (٦٠) بسند صحيح.

«أنجد» أي: أعظمُ نَجْدَةً وعوناً. و«أجود» أي: أكثرُ جوداً. و«أضوأ» أي: أشدُّ نوراً. و«أوضأ» من الوضاءة وهي اللِّمَعان.

[٦١٩] وعن أبي الطُّفَيْلِ رضي الله تعالى عنه قال: رأيتُ النبي ﷺ وما بقي على وجه الأرض أحدٌ رآه غيري، قلتُ له: صفه لي، قال: كان أبيضَ مَلِيحاً مُقَصِّداً.

رواه أحمد (٤٥٥/٥)، ومسلم في الفضائل (٩٣/١٥)، وابن سعد (٤١٧/١)، والترمذي في الشمائل (١٣).

«مَلِيحاً» أي: حسناً من الملاحاة وهي الحُسن والصباحة. «ومقصداً» بضم الميم وفتح القاف والصاد المشددة أي: وسطاً في جسمه.

[٦٢٠] وعن عليّ عليه السلام: كان رسول الله ﷺ أبيضَ مُشْرَباً بحُمْرة ضخم الهامة أهدب الأشفار، وفي رواية: كان أبيض مشرباً بياضه بحمرة وكان أسودَ الحَدَقَةِ أهدب الأشفار. وفي رواية: أدعج العينين.

رواه ابن سعد (٤١٠/١، ٤١٢)، والبيهقي في الدلائل (٢١٢/١)، (٢١٣)، ورواه أحمد (٩٦/١، ١١٦، ١٢٧، ١٣٤) مفرقاً وهو بطرقه حسن

صحيح، وجاء في رواية لعبدالله بن أحمد (١٥١/١)، وابن سعد (٤١١/١) **أَعْرُ أْبْلَجُ أَهْدَبَ الْأَشْفَارِ.**

«مشرّباً بحمرة» بضم الميم وفتح الشين والراء المشددة أي بياضه ممزوج بحمرة وهو الأزهر الوارد في الصحيحين أزهر اللون. «ضخم الهامة» أي: عظيم الرأس. «أهدب الأشفار» أي: طويل شعر أجفان العينين. «أسود الحدة» بفتحات حدقة العين هي سوادها الداخلي، فكانت له **شديدة** السواد. «أدعج العينين» الدعج بفتح العين شدة سواد العين مع سعتها وطول شقها كما تقدم أنه أشكل العين. «أعْرُ» أي: أبيض. «أْبْلَجُ» أي: مُشْرِقٌ مُضِيءٌ.

[٦٢١] وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: كان رسول الله **شَبَحَ الذَّرَاعَيْنِ، بَعِيدَ مَا بَيْنَ الْمَنْكِبَيْنِ، أَهْدَبَ أَشْفَارِ الْعَيْنَيْنِ، لَمْ يَكُنْ سَخَابًا فِي الْأَسْوَاقِ وَلَا فَحَاشًا وَلَا مُتَفَحِّشًا، كَانَ يُقْبَلُ جَمِيعًا وَيُدْبَرُ جَمِيعًا.**

رواه الطيالسي (٢١٣)، وأحمد (٣٢٨/٢) بسند صحيح وصالح مولى التوأمة روى عنه ابن أبي ذئب قبل اختلاطه.

«شبح الذراعين» بفتح الشين وسكون الباء آخره حاء أي: طويلهما أو عريضهما. «سخاب» بفتح السين ويقال بالصاد ثم خاء مشددة أي: لم يكن ممن يرفع صوته في الأسواق كعادة الرعاع وعامة الناس والتجار. «فحاش» أي: لم يكن ينطق بالسفاهة والفحش. «متفحش» أي: ليس ممن يتكلف ذلك فكان بريئاً ومنزهاً من الأمرين. «يقبل جميعاً» معناه: إذا أقبل أقبل بجميع جسده وإذا أدبر كذلك.

فهذه الأحاديث استوعبت أغلب صفة خلقته **الظاهر**، ففيها أنه كان مربوع القامة لا طويلاً ولا قصيراً حسن الوجه، بل أحسن الناس وجهاً أبيض ممزوجاً بحمرة أزهر اللون مليحاً مضيئاً مشرقاً مثل الشمس والقمر، كأن الشمس تجري في وجهه وكأنه صبغ من فضة وضيئاً واسع الفم عظيمه ضخم الرأس، عظيم الركبتين، والقدمين، والمرفقين، ورؤوس أصابعه، وجميع مفاصله، طويل الذراعين، واسع ما بين المنكبين، ظهره في الصفاء

كأنه قطعة سبكت من فضة، قليل لحم عقيبته، كان شعره وسطاً؛ لا جعد كشعر الحبشة، ولا سبطاً كشعر الروم له جمّة ولمّة تصل إلى شحمة أذنيه وطرفيهما، وله شعر متصل من صدره إلى سرتة كالقضب أدهج العينين، أي: شديد سواد حدقتي عينيه مع سعتها، طويل شعر أجفانها أي: أهدب أشعارهما.

وجاء في حديث أم معبد المتقدم في الهجرة النبوية أنها وصفته **بصفات** هذه خلاصتها، قالت: رأيت رجلاً ظاهر الوضوء، أبلج الوجه - مضيئاً مشرقاً - حسن الخلق، لم تبعه ثجلة - أي: ضخامة البطن - ولم تُزِرْ به - أي: لم تنقصه وتعبه - صغلة - أي: رقة ونحول وصغر في الرأس - وسيم، قسيم، في عينيه دَعَجٌ - شديد سوادها مع سعتها - وفي أشفاره وَطْفٌ - أي: طول - وفي صوته صَهْلٌ - أي: حدة وصلابة - وفي عنقه سطح - أي: ارتفاع وطول - وفي لحيته كثافة، أَرْجٌ - تعني أن حاجبيه فيهما تقوس مع طول وامتداد في طرفيهما - أقرنٌ - تعني أن شعرهما مقرون ببعضه - وهذا أصح مما ورد: «سوابغ في غير قرن»، إن صمت فعليه الوقار، وإن تكلم سماه وعلاه البهاء، أجمل الناس وأبهاه من بعيد، وأجمله من قريب، حلو المنطق فصلاً، لا تُزِرْ ولا هَذِرْ - أي: لا قليل ولا كثير - كأن منطقه خرزات نظم يتحدون، ربعة لا تشنؤه من طول، ولا تقتحمه عين من قصر، عُضْنٌ بين غصنين، فهو أنضر الثلاثة منظرًا، وأحسنهم قدرًا... وقد قَدَمْنَا أن حديث قصة أم معبد صحيح فاعلم ذلك، وقد جاءت صفات له **كثيرة** في حديث هند بن أبي هالة الطويل الذي رواه الترمذي في الشمائل رقم (٧)، والبيهقي في الدلائل (٢٥٨/١) وغيرهما، ولولا أنه ضعيف جداً لأوردته.

هذا وقد أجمع العلماء على أن الله عز وجل لم يخلق خلقاً أحسن وأجمل وأكمل ظاهراً وباطناً من هذا الرسول الأكرم **حتى** قال القسطلاني في المواهب: من تمام الإيمان به **الإيمان** بأن الله جعل خلق بدنه الشريف على وجه لم يظهر قبله ولا بعده خلق آدمي مثله.

ورحم الله تعالى القائل:

وَأَجْمَلَ مِنْكَ لَمْ تَرَ قَطُّ عَيْنِي وَأَكْمَلَ مِنْكَ لَمْ تَلِدِ النِّسَاءَ
خُلِقْتَ مُبْرَأً مِنْ كُلِّ عَيْبٍ كَأَنَّكَ قَدْ خُلِقْتَ كَمَا تَشَاءُ

ويرحم الله البوصيري حيث يقول في برده:

فَهُوَ الَّذِي تَمَّ مَعْنَاهُ وَصُورَتُهُ ثُمَّ اضْطَفَاهُ حَبِيْباً بَارِيءُ النَّسَمِ
مُنَزَّةً عَنِ شَرِيكَ فِي مَحَاسِنِهِ فَجَوْهَرُ الْحُسْنِ فِيهِ غَيْرُ مُنْقَسِمِ
كَالشَّمْسِ تَطْهَرُ لِلْعَيْنِ مِنْ بُعْدِ صَغِيرَةٍ وَتَكِلُ الطَّرْفَ مِنْ أَمَامِ
وَكَيْفَ يُدْرِكُ فِي الدُّنْيَا حَقِيْقَتَهُ قَوْمٌ نِيَامَ تَسَلُّوا عَنْهُ بِالْحُلْمِ

يبقى الأمر في قول أنس في الحديث الأول: فأقام بمكة عشر سنين،
وبالمدينة عشر سنين، وتوفاه الله على رأس ستين سنة.

والصحيح المتفق عليه بين العلماء أنه أقام بمكة بعد البعثة ثلاث عشرة
سنة وبالمدينة عشراً كما قدّمنا، وتوفي وله من العمر ثلاث وستون سنة،
رواه أنس نفسه وعائشة وابن عباس وابن مسعود رضي الله تعالى عنهم كما
في صحيح مسلم في الفضائل (١٥/١٠١، ١٠٢، ١٠٣)، فكلهم قالوا: أقام
رسول الله ﷺ بمكة ثلاث عشرة وبالمدينة عشراً، ومات وهو ابن ثلاث
وستين سنة، وما عدا ذلك فغلط أو مؤول كما قال العلماء.

✽ صفة خاتم النبوة

[٦٢٢] عن السائب بن يزيد رضي الله تعالى عنهما قال: ذهبت بي
خالتي إلى النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله إن ابن أختي وجع فمسح ﷺ
رأسي، ودعا لي بالبركة، وتوضأ فشربت من وضوئه، وقمت خلف ظهره
فنظرت إلى الخاتم بين كتفيه فإذا هو مثل زر الحجلة.

رواه البخاري في الطهارة وفي المرض وفي صفة النبي ﷺ
(٣٧٣/٧)، ومسلم في الفضائل (٩٧/١٥، ٩٨)، والترمذي في المناقب
(٣٤/٨) وفي الشماثل (١٥).

«زر» بكسر الزاي والراء المشددة. و«الحجلة» بفتح الحاء وإما بيت كالقبة
له أزرار يعد للعروس يكون أعلاه مثل البيضة أو المراد بالزرّ والحجلة بيض
الطير المعروف.

[٦٢٣] وعن جابر بن سمرة رضي الله تعالى عنه قال: رأيت الخاتم
بين كتفي رسول الله ﷺ غدة حمراء مثل بيضة الحمامة.

رواه أحمد (٩٥/٥، ٩٨، ١٠٧)، ومسلم (٩٧/١٥)، والترمذي
(٣٤١٩) وفي الشماثل (١٦)، وابن سعد (٤٢٥/١)، والحاكم (٩٥/٢).

«غدة» بضم الغين وفتح الدال المشددة؛ قطعة لحم ناتئة تتحرك بتحرك
الإنسان.

[٦٢٤] وعن عبدالله بن سرجس رضي الله تعالى عنه قال: رأيت
النبي ﷺ وأكلت معه خبزاً ولحمًا، أو قال ثريدًا، قال: فقلت: استغفر
لك النبي ﷺ؟ قال: نعم ولكم، ثم تلا هذه الآية: ﴿وَأَسْتَغْفِرُ لَذُنُوبِكَ
وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾، قال: ثم ذرّت خلفه فنظرت إلى خاتم النبوة بين كتفيه
عند ناغض كتفه اليسرى جُمعاً عليه خيلاً كأمثال الثاليل. وفي رواية:
فذرّت هكذا من خلفه فعرف النبي ﷺ الذي أريد، فألقى الرداء عن
ظهره، فرأيت موضع الخاتم على كتفيه.

رواه أحمد (٨٢/٥)، ومسلم (٩٨/١٥، ٩٩)، والترمذي في الشماثل
(٢٢).

«ناغض كتفه» أي: عند أعلاه. «جُمعاً» بضم الجيم وسكون الميم
يريد مثل جمع الكف. «خيلاً» بكسر الخاء جمع خال وهي الشامة في
الجسم. «الثاليل» بفتح الثاء المشددة بعدها همزة ممدودة جمع ثؤلول وهو
خراج صغير يظهر على الجسد له تنوء.

[٦٢٥] وعن أبي زيد عمرو بن أخطب الأنصاري رضي الله تعالى عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: «يا أبا زيد، اذُنٌ مني فامسح ظهري»، فمسحت ظهره فوقعت أصابعي على الخاتم، قلت: وما الخاتم؟ قال: شعراتٌ مجتمعات. في رواية: شعر مجتمع على كتفه.

رواه أحمد (٧٧/٥، ٣٤١)، وابن سعد (٤٢٦/١)، وابن حبان (٢٠٩٦)، والحاكم (٦٠٦/٢) وصححه ووافقه الذهبي.

[٦٢٦] وعن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه أنه سُئِلَ عن خاتم رسول الله ﷺ - يعني خاتم النبوة - فقال: كان في ظهره بَضْعَةٌ ناشِزَةٌ.

رواه أحمد (٦٩/٣)، والترمذي في الشمائل (٢١) من طريقين وهو بهما حسن صحيح.

«بَضْعَةٌ» بفتح الباء أي: قطعة لحم. «ناشِزَةٌ» أي: مرتفعة.

هذا جملة ما صحَّ في خاتم النبوة التي كانت للنبي ﷺ في أعلى ظهره، وحاصلها أنها كانت شبه عُذَّةٍ شاخصة مرتفعة في أعلى كتفه الأيسر الشريف قدر بيضة الحجلة أو الحمامة أو جمع كف اليد عليها ثالكيل وشعيرات.

وقد أخبر كلُّ بما شاهد وظهر له، وهذا الخاتم كان من خصائصه ﷺ، وكان أهل الكتاب يعرفونه من كتبهم التي جاءت صفته ﷺ فيها، وانظر ما سبق في قصة إسلام سلمان الفارسي رضي الله تعالى عنه.

✽ شعره ﷺ وشبيهه وخضابه وترجله

[٦٢٧] عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: كان شعر رسول الله ﷺ إلى أنصاف أُذُنَيْهِ. وفي رواية: كان يَضْرِبُ شعره منكبَيْهِ. وفي أخرى: بين أُذُنَيْهِ وعَاتِقَيْهِ.

رواه مسلم في الفضائل (٩٢/١٥) بجميع رواياته، ورواه أحمد (١١٣/٣، ١٢٥، ١٤٢، ١٥٧، ١٦٥، ٢٠٣) من طرق وألفاظ، ورواه الترمذي في الشمائل (٢٣)، وأبو داود في الترجل (٤١٨٦)، وابن ماجه (٣٦٣٤) ببعضها.

[٦٢٨] وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: كنت أَعْتَسِلُ أنا ورسول الله ﷺ من إناءٍ واحد، وكان له شَعْرٌ فوقَ الجُمَّةِ ودُونَ الوَفْرَةِ.

رواه أحمد (١٠٨/٦، ١١٨)، والترمذي في اللباس (١٩١٢) وفي الشمائل (٢٤)، وأبو داود (٤١٨٧/٧٧) بسند صحيح، وجملة الغسل رواه الشيخان كما تقدم في الطهارة.

[٦٢٩] وعن أم هانئ رضي الله تعالى عنها قالت: قدم رسول الله ﷺ مكةَ قَدَمَةً، وله أربعُ عَدَائِرٍ، وفي رواية: ضَفَائِرٍ.

رواه أحمد (٣٤١/٦)، وأبو داود (٤١٩١)، والترمذي في اللباس (١٦٣٤) وفي الشمائل (٢٥)، وابن ماجه (٣٦٣١) بسند صحيح.

اختلفت الأحاديث في صفة شعره ﷺ طولاً وقصراً، ويرجع ذلك لاختلاف أحواله، فكان في وقتِ جُمَّةٍ يصل إلى منكبَيْهِ ويضرب عاتقه، وفي وقتٍ كان وفرةً يبلغ شحمة أذنيه، وفي وقتٍ آخر كان يتركه حتى يطول فيتخذه ضفائر أربعاً كما كان عند فتح مكة، وتقدم أنه كان عظيم الجُمَّة وأن شعره كان وسطاً لا جعداً ولا سبطاً.

[٦٣٠] وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن رسول الله ﷺ كان يَسْدِلُ شعره، وكان المشركون يَفْرُقُونَ رُؤُوسَهُمْ، وكان أهل الكتاب يسدِّلون رؤوسهم، وكان يُحِبُّ موافقةَ أهل الكتاب فيما لم يُؤْمَر فيه بشيء، ثم فرق رسول الله ﷺ رأسه.

رواه أحمد (٢٨٧/١، ٣٢٠، ٢٦١)، والبخاري في المناقب (٣٨٤/٧)، ومسلم في الفضائل (٩٠/١٥)، وأبو داود (٤١٨٨)، والترمذي في الشمائل (٢٩)، والنسائي في الزينة (١٨٤/٨)، وابن ماجه (٣٦٣٢).

«يفرقون» بكسر الراء وضمة هاء. «يسدلون» وسدل الشعر هو إرساله على الناصية أو إلى القفا، والفرق هو جعله فرقتين إلى جاتيبي الرأس.

والحديث يدل على أنه ﷺ كان يسدل شعر رأسه أولاً موافقة لأهل الكتاب، ثم خالفهم ففرق وهو الذي استقر عليه عمله إلى انتقاله ﷺ.

[٦٢١] وعن عبدالله بن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: إنما كان شيب رسول الله ﷺ نحواً من عشرين شعرة بيضاء.

رواه أحمد (٩٠/٢)، والترمذي في الشمائل (٣٩)، وابن ماجه (٣٦٣٠) قال البوصيري: إسناده صحيح.

[٦٢٢] وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: قال أبو بكر: يا رسول الله قد شيبت، قال: «شيبتي هود والواقعة والمرسلات وعم يتساءلون وإذا الشمس كورت».

رواه الترمذي في التفسير (٣٠٨٠) وفي الشمائل (٤٠)، وأبو يعلى (٦٥/١)، والحاكم (٣٧٦، ٣٤٣/٢) وصححه على شرط البخاري ووافقه الذهبي، وله شاهد عن أبي جحيفة رواه الترمذي في الشمائل (٤١)، وأبو يعلى (٣٦٣/١) بلفظ: «شيبتي هود وأخواتها»، إنما خص هذه السور بأنها شيبته لما فيها من القوارع، وذكر أهوال يوم القيامة، وتغير هذا العالم، واضمحلاله وقيام الناس للبعث... وفي هود قوله عز وجل خطاباً له ﷺ: «فَأَنْتُمْ كَمَا أُمِرْتُمْ» الخ، فيتكبره ﷺ في هذه السور ظهر فيه الشيب.

[٦٢٣] وعن جابر بن سمرة أنه سئل عن شيب رسول الله ﷺ فقال: كان إذا دهن رأسه لم ير منه شيب، وإذا لم يدهن رؤي منه شيء.

وفي رواية: كان قد شبط مقدم رأسه ولحيته، وكان إذا أدهن لم يتبين وإذا شعث رأسه تبين، وكان كثير شعر اللحية. وفي رواية: لم يكن في رأس رسول الله ﷺ شيب إلا شعرات في مفرق رأسه إذا أدهن وازاهن الدهن.

رواه مسلم (٩٧/١٥)، والترمذي في الشمائل (٤٣/٣٨).

قوله: «شبط» بفتح الشين وكسر الميم أي: أبيض شعر مقدم رأسه.

[٦٢٤] وعن أنس رضي الله تعالى عنه قال: إنما كان البياض في عنقته، وفي الصدغين، وقال: ما شأنه الله بيضاء، وفي رواية: لو شئت أن أعد شمطاتي كُن في رأسه فعلت.

رواه مسلم (٩٥/١٥، ٩٦).

قوله: «عنقته» بفتح العين وسكون النون ثم فاء وقاف مفتوحين هو الشعر النابت بين الشفة السفلى والذقن. وقوله: «الصدغين» تشية صدغ بضم الصاد وسكون الدال هو ما بين الأذن والعين ويسمى الشعر النابت عليه أيضاً صدغاً. «ما شأنه» أي: ما عابه. «شمطات» بفتححات والمراد بها شعرات يبيض خالطن سواد شعر رأسه.

الأحاديث الصحيحة تدل على أنه ﷺ لم يشب من شعر رأسه ولحيته إلا شعيرات لم تبلغ عشرين شعرة، كما قال أنس: وتوفي وليس في رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء، وهكذا قال ابن عمر. وكان ذلك في مفرق ومقدم رأسه، وفي عنقته وفي صدغيه، وكان إذا دهن شعره خفي الشيب وصار أحمر، وإذا تركه بدا وظهر.

[٦٢٥] ولذلك قال أبو رمثة رضي الله تعالى عنه: وله شعر قد علاه الشيب وشيبه أحمر.

رواه أبو داود (٤٠٦٥)، والترمذي في الشمائل (٤٢)، والحاكم (١٠٧/٢) وغيرهم وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

وقد تكون تلك الحمرة من الخضاب بالحناء، فقد صبح ذلك عنه ﷺ.

[٦٢٦] فعن عثمان بن موهب قال: دخلت على أم سلمة رضي الله تعالى عنها فأخرجت إلي شعراً من شعر رسول الله ﷺ مخضوباً بالحناء والكتم.

رواه البخاري في اللباس (٤٧٣/١٢، ٤٧٤)، وابن ماجه (٣٦٢٣).

«الكتم» بفتحيتين ورق شجر يصنع به يجعل الشعر مائلاً إلى الحمرة الشديدة.

[٦٣٧] وعن أنس رضي الله تعالى عنه قال: رأيت شعر رسول الله ﷺ مخضوباً.

رواه الترمذي في الشمائل (٤٧) بسند صحيح.

وتقدم لنا في اللباس حديث ابن عمر رضي الله تعالى عنهما: أنه ﷺ كان يصبغ بالصفرة ثيابه ولحيته.

فهذه الأحاديث تدلّ على أنه ﷺ خضب بالحناء وبالصفرة غير أنه جاء ما يعارضها وهو ما رواه مسلم وغيره:

[٦٣٨] فعن أنس رضي الله تعالى عنه أنه سُئِلَ: هل خَضَبَ رسولُ الله ﷺ؟ قال: لم يبلغ ذلك إنما كان شيئاً في صدغيه. وفي رواية: ولم يختضب رسول الله ﷺ إنما كان البياض في عَفَقَيْهِ وفي الصُّدْغَيْنِ.

رواه مسلم (٩٤/١٥، ٩٦)، وأبو داود والترمذي في الشمائل (٣٦).

ولما اختلفت الأحاديث كما ترى في خضابه ﷺ وعدمه ذهب فريق من العلماء إلى الترجيح، وذهب آخرون إلى الجمع بينهما بأنه ﷺ صح عنه الأمران: خضب وترك، واختار هذا القول كثيرون منهم النووي في شرح مسلم (٩٥/١٥)، فقال: والمختار أنه ﷺ صبغ في وقت، وتركه في معظم الأوقات فأخبر كلُّ بما رأى وهو صادق.

[٦٣٩] وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: كنت أُرْجِلُ رأس رسول الله ﷺ وأنا حائض.

رواه البخاري في اللباس (٤٩٠/١٢) وغيره، ومسلم في الطهارة (٢٠٩/٣)، وعند أبي داود (٤١٨٩): كنت إذا أردت أن أفرِّق رأس رسول الله ﷺ صَدَعْتُ الفَرْقَ مِنْ يَأْفُوخِهِ وَأُرْسِلُ نَاصِيَتَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ.

قولها: «أرجل» ترجيل الشعر تسريحه ومشطه. وقولها: «صدعت

الفرق» أي: شققت فرق الشعر. و«يافوخ» هو وسط الرأس.

ففي الحديث مشروعية ترجيل الشعر وتسريحه وجواز مباشرة الحائض ذلك، والترجيل مطلوب لأنه من النظافة غير أنه يكره الإكثار منه بالنسبة للرجال؛ لحديث:

[٦٤٠] عبدالله بن مغفل رضي الله تعالى عنه قال: نهى رسول الله ﷺ عن الترجل إلا غيباً.

رواه أبو داود (٤١٥٩)، والترمذي في اللباس (١٦١٣) وفي الشمائل (٣٤)، والنسائي (١١٤/٨)، وابن حبان (١٤٨٠) بسند صحيح، ودعوى انقطاعه مدفوعة، انظر تهذيبي للجامع (١٦١٣).

«إلا غيباً» بكسر الغين وتشديد الباء أي يفعل يوماً ويترك يوماً. ففي الحديث النهي عن الإكثار من تسريح الشعر والمواظبة عليه كل يوم لأن ذلك نوع من الترف والرفاهية، وقد جاء في حديث لفضالة بن عبيد كان رسول الله ﷺ ينهانا عن كثير من الإرفاه، فالاهتمام بتزيين الهيئة كل حين من شأن النساء والمخثئين.

طيب عرقه ﷺ وتعطره

[٦٤١] عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: كان رسول الله ﷺ أزهر اللون كأنَّ عَرَقَهُ اللُّؤْلُؤُ إِذَا مَشَى تَكَفَّأً، وَلَا مِسْسَتْ دِيبَاجَةٍ وَلَا حَرِيرًا أَلْيَنَ مِنْ كَفِّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَلَا شَمِمْتُ مِسْكَةً، وَلَا عُنْبْرًا، أَطِيبَ مِنْ رَائِحَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

رواه مسلم (٨٥/١٥، ٨٦)، والدارمي (٥٢)، والترمذي في البرِّ والصلة (١٨٥٨) وفي الشمائل (٣٣٨)، وكذا أحمد (٢٠٠/٣، ٢٢٢) وفي مواضع، وأبو داود.

«أزهر اللون» أي: أبيض مشرب بحمرة وهو أحسن الألوان. «كان عرقه اللؤلؤ» يعني في البياض والصفاء. «تكفأ» أي: مال. «ديباجة» هو الثوب الذي يكون سداه ولحمه حريراً.

في الحديث أربع صفات للنبي ﷺ لونه ومشييه وليونة كفه ﷺ، وأنها كانت ألين من الديباج والحريير، وطيب رائحته وأنه كان أطيب من المسك والعنبر ولا أطيب منهما في الدنيا.

[٦٤٢] وعنه قال: دخل علينا رسول الله ﷺ فقالَ عندنا، فَعَرَق وجاءت أُمِّي بقارورة فجعلت تَسْلُتُ العَرَقَ، فاستيقظ النبي ﷺ فقال: «يا أم سليم ما هذا الذين تَصْنَعِينَ؟» قالت: عَرَقٌ نَجَعُهُ لَطِينًا وهو أَطْيَبُ الطَّيْبِ.

وفي رواية: إن النبي ﷺ كان يأتي أم سليم فيقبل عندها فتبسُّط له نَطْعاً فيقبل عليه، وكان كثير العرق، فكانت تجمع عرقه فتجعله في الطيب والقوارير، فقال: «يا أم سليم ما هذا؟» قالت: عرقك أدوفٌ به طيبي.

رواه مسلم (٨٦/١٥، ٨٧) بلفظيه.

«فقال عندنا» أي: نام بمنزلنا في وقت القيلولة وهو وسط النهار. «قارورة» أي: زجاجة. «تسلت» أي: تمسح العرق بأصبعها. «فاستيقظ» أي: قام من النوم. «نطعاً» بفتح النون بساط من جلد. «أدوف» بفتح الهمزة وضَمِّ الدال أي: أخلطه به.

وفي الحديث بروايته بيان طيب رائحة عرقه ﷺ، وأنه كان أطيب الطيب حتى كانت أم سليم تتطيب به وتجمعه في قارورة طيها.

[٦٤٣] وعن جابر بن سمرة قال: صليت مع رسول الله ﷺ الصلاة الأولى، ثم خرج إلى أهله وخرجت معه فاستقبله ولدان، فجعل يمسح خدي أحدهم واحداً واحداً، قال: وأما أنا فمسح خدي قال: فوجدت ليد بَرْدًا أو رِيحًا كأنما أخرجها من جُؤنَةِ عَطَّار.

رواه مسلم (٨٥/١٥).

«جؤنة عطار» بضم الجيم بعدها همزة ساكنة هي سُلَيْلَةٌ مُعَشَّاةٌ بالأدم تكون عند بائعي العطورات والرياحين.

[٦٤٤] وعن أبي جَحْفَةَ رضي الله تعالى عنه قال: فأخذت بيده فوضعتها على وجهي، فإذا هي أبرد من الثلج، وأطيب رائحةً من المسك. رواه البخاري في المناقب (٣٨٢/٧).

فهكذا كان ﷺ كلّه طيباً، بل عرقه وأثر يده أطيب من ريح المسك، فصلّى الله وسلّم وبارك عليه وعلى آله وزوجه وصحابته وعنا معهم آمين. وكان مع رائحته الطيبة في جسمه الطاهر يكثر من استعمال الطيب. [٦٤٥] فعن أنس رضي الله تعالى عنه قال: كان لرسول الله ﷺ سُكَّةٌ يتطيبُ منها.

رواه أبو داود (٤١٦٢)، وابن سعد (٣٩٩/١)، وأبو الشيخ في أخلاق النبي (٩٨) بسندٍ صحيح على شرط مسلم.

«سكة» بضم السين والكاف المشددة المفتوحة وعاء يوضع فيه الطيب. وقد تقدمت أحاديث في كتاب اللباس تتعلق بالطيب.

والطيب محبوب للنفوس، منعش، تحبه الملائكة والأرواح الطيبة، وتكرهه وتنفر منه الأرواح الخبيثة الشريرة.

ولذلك استحَبَّ العلماء تبعاً للسنة استعماله في المجامع العامة والمحافل، ويوم الجمعة وأيام العيد، وعند قراءة القرآن وذكر الله تعالى، ويتأكد استعماله لأهل القرآن والعلم إكراماً لما يحملونه من كتاب الله تعالى والحكمة.

❁ كلامه ﷺ في الشَّعر وغيره

[٦٤٦] عن عائشة رضي الله تعالى عنها أنها قيل لها: هل كان رسول الله ﷺ يتمثل بشيء من الشعر؟ قالت: كان يتمثل بشعر ابن رواحة ويتمثل بقوله: ويأتيك بالأخبار من لم تُزود... .

رواه البخاري في الأدب المفرد (٨٦٧)، والترمذي في الاستئذان (٢٦٥٧) وفي الشمائل (٢٤١) وحسنه وصرحه وذلك لطريقين له.

«من لم تزود» بضم التاء وكسر الواو المشددة من التزويد وهو إعطاء الزاد. ومعناه: أنه قد يأتيك بالأخبار من لم تعطه شيئاً من الزاد، وأول البيت:

سُبِّدِي لَكَ الْإِيَّامَ مَا كُنْتَ جَاهِلًا وَيَأْتِيكَ بِالْأَخْبَارِ مَنْ لَمْ تُزُودْ

وهو صادق في ذلك، والبيت من جنس ما ورد فيه: «إِنَّ مِنَ الشَّعْرِ لِحِكْمَةً».

[٦٤٧] وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ قال: «أَشْعَرُ كَلِمَةٍ تَكَلَّمْتُ بِهَا الْعَرَبُ»، وفي رواية: «أَصْدَقُ كَلِمَةٍ قَالَهَا الشَّاعِرُ» كلمة لبيد، قوله: «أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللَّهَ بَاطِلٌ». وكاد أمية بن أبي الصلت أن يُسَلِّمَ.

رواه البخاري في الأدب (١٥٩/١٣)، ومسلم فيه (١٣/١٥)، والترمذي في الاستئذان (٢٦٥٨) وفي الشمائل (٢٤٢)، وابن ماجه (٣٧٥٧).

ليبيد: هو ابن أبي ربيعة العامري كان من فصحاء العرب في الجاهلية وشعرائهم قدم على النبي ﷺ ثم سكن الكوفة وتوفي سنة (٤١) وله من العمر (١٤٠) سنة، وقد أخبر النبي ﷺ عن قوله هذا: «أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللَّهَ بَاطِلٌ»، بأنه أصدق ما قاله العرب والشعراء وهو من الحكيم الشعريّة، وإنما قال ذلك فيه لغلبة الكذب، والخنا، والفحش، والأمور الخيالية الباطلة على كلامهم، فكان أصدق ما قالوه كلمة لبيد هذه؛ لأن كل ما سوى الله أيّاً كان هو هالك فإن باطل لا ثبات له. وقوله: «كاد أمية» الخ أمية هذا كان في الجاهلية يتكلم في التوحيد، ويذكر البعث والآخرة... ولما جاء نور الإسلام خذله الله فكفر.

[٦٤٨] وعن جندب بن سفيان البجلي رضي الله تعالى عنه قال: أصاب حَجْرٌ إصْبَعَ النَّبِيِّ ﷺ فَدَمِيَتْ، فقال:

هَلْ أَنْتِ إِلَّا إِضْبَعٌ دَمِيَتْ وفي سَبِيلِ اللَّهِ مَا لَقِيَتْ
رواه البخاري ومسلم في الجهاد، وتقدم.

[٦٤٩] وعن جابر بن سمرة قال: جالستُ النبي ﷺ أكثر من مائة مرة، وكان أصحابه يتناشدون الشعر، ويتذكرون أشياء من أمر الجاهلية وهو ساكت، وربما تبسم معهم.

رواه أحمد (١٠٥/٥)، والترمذي في الاستئذان (٢٦٥٩) وفي الشمائل (٢٤٦)، وقال الترمذي: حسن صحيح، ورواه مسلم وأبو داود والنسائي بسياق آخر كلهم في الصلاة.

[٦٥٠] وعن عمرو بن الشريد عن أبيه قال: كنت رذف النبي ﷺ فأنشدته مائة قافية من قول أمية بن أبي الصلت الثقفي كلما أنشدته بيتاً قال لي النبي ﷺ: «هيه»، حتى أنشدته مائة - يعني بيتاً - فقال النبي ﷺ: «إِنْ كَادَ لَيُسَلِّمَ».

رواه أحمد (٣٨٨/٤، ٣٨٩)، ومسلم (٢٢٥٥)، والترمذي في الشمائل (٢٤٨) وابن ماجه...

«رذف» بكسر الراء وسكون الدال أي: راكباً خلفه. «هيه» بكسر الهاء الأولى أي: زدني... كان النبي ﷺ أفصح العرب على الإطلاق لكن الله عز وجل نزهه عن قول الشعر وإنشاده، قال الله تعالى: «وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ»، لأن الشعر أكثره سفاهة وأعذبه أكذبه، والنبي ﷺ يُجَلِّ عن ذلك. نعم كان ينشد بعض أبيات غيره ويتمثل بها، وما جاء من كلامه الموزون ليس من الشعر، وفي حديثي جابر والشريد جواز سماع أشعار الجاهلية إذا كانت خالية من السقطات والكلام الفاحش... وسيأتي في الأدب الكلام على الشعر. أما صفة كلامه ﷺ في تحديده... فقد تقدمت في الجزء الأول من كتاب العلم.

[٦٥١] عن عبدالله بن الحارث بن جَزءٍ رضي الله تعالى عنه قال: ما رأيت أحداً أكثرَ تَبَسُّماً من رسول الله ﷺ. وفي رواية: ما كان ضحك رسول الله ﷺ إلا تَبَسُّماً.

رواه أحمد (١٩٠/٤، ١٩١)، والترمذي في المناقب (٣٤١٦) وفي الشماميل (٢٢٧) وأبو الشيخ في أخلاق النبي ﷺ (ص ٩٠) بسند صحيح.

[٦٥٢] وعن أبي ذر رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إني لأعلم أول رجل يدخل الجنة وأخر رجل يخرج من النار يؤتى بالرجل يوم القيامة فيقال: اغرَضُوا عليه صغار ذنوبه، وأخْبِئُوا عنه كِبَارَهَا، فيقال له: عَمِلْتَ يوم كذا وكذا وهو مُقَرَّرٌ لا يُنْكَرُ، وهو مُشْفِقٌ من كِبَارَهَا، فيقول: أَعْطَوْهُ مكان كل سيئة حسنة، فيقول: إن لي ذنوباً لا أراها ههنا»، قال أبو ذر: فلقد رأيت رسول الله ﷺ ضحكاً حتى بدت نواجذُه...

رواه أحمد (١٥٧/٥، ١٧٠)، ومسلم في الإيمان رقم (١٩٠)، والترمذي في صفة جهنم (٢٤١٥) بتهذيبي وفي الشماميل (١٢٩).

كان الحبيب ﷺ بشراً يطرأ عليه ما يعرض لسائر البشرية من الغرائز والأعراض، فكان يحزن ويبكي، ويفرح ويضحك، وكان أكثر ضحكه التبسم، وصح في أحاديث تناهز العشرين أنه ضحك حتى ظهرت نواجذه الشريفة، وقد جمعها في رسالة لطيفة أستاذنا الحافظ سيدي أحمد الصديق رحمه الله تعالى أسماها «شوارق الأنوار المنيقة»، بظهور النواجذ الشريفة، طُبعت عدة مرات، وتقدم لنا في التفسير والأذكار حديث الإمام علي عليه السلام في ركوبه وقوله في ذلك وضحكه، وقوله: رأيت رسول الله ﷺ صنع كما صنعت ثم ضحك، فقلت: من أي شيء ضحكت يا رسول الله؟ قال: «إن ربك ليعجب من عبده إذا قال رب اغفر لي ذنوبي، يعلم أنه لا يغفر الذنوب أحد غيرُه»، رواه أحمد وأبو داود والترمذي وغيرهم بسند صحيح. ويأتي حديث ابن مسعود رضي الله تعالى عنه في الرقاق، والذي

فيه التحدث عن آخر رجل يخرج من النار ويدخل الجنة، وأن الله عز وجل سيدخله الجنة ويعطيه ما تمنى وعشرة أضعاف الدنيا، فيقول لله عز وجل: أتسخر بي وأنت الملك أو رب العالمين، فضحك النبي ﷺ حتى بدت نواجذه وهو في الصحيحين.

«النواجذ» الأضراس.

[٦٥٣] وعن أنس رضي الله تعالى عنه قال: إن كان رسول الله ﷺ ليَخَالِطُنَا حتى يقول لأخ لي صَغِيرٍ: «يا أبا عُمَيْرٍ ما فعل التَّغْيِيرُ».

رواه البخاري (٢٠٤/١٣، ٢٠٥) ومسلم (١٢٨/١٤) كلاهما في الأدب، والترمذي في البر (١٨٣٤) وفي الشماميل (٢٣٦)، وابن ماجه (٣٧٢٠)، والنسائي في اليوم والليلة.

«التَّغْيِيرُ» تصغير التَّعْر بضم النون وفتح الغين طائر صغير.

كان لأنس أخ صغير وكان له طائر يلعب به فمات فحزن عليه، فمازحه النبي ﷺ بقوله: «يا أبا عُمَيْرٍ ما فعل التَّغْيِيرُ».

[٦٥٤] وعنه قال: إن رجلاً اسْتَحْمَلَ رسول الله ﷺ فقال: «إني حاملك على ولد الناقة»، فقال: يا رسول الله ما أصنع بولد الناقة؟ فقال ﷺ: «وَهَلْ تَلِدُ الإِبِلُ إلا التُّوقَ».

رواه أحمد (٢٦٧/٣)، وأبو داود في الأدب (٤٩٩٨)، والترمذي في البر (١٨٣٧) وفي الشماميل (٢٣٨) وحسنه وصححه وهو صحيح عنده على شرطهما.

«استحمله» أي: طلب منه أن يحمله على جمل.

مازح النبي ﷺ هذا الرجل وأوهمه أنه سيحمله على صغير من النوق، فتوهم الرجل أن الولد لا يطلق إلا على الصغير الذي لا يُركب، فبيّن له ﷺ أنه إنما أراد مداعبته وأن كل أنواع الإبل صغارها وكبارها هن أولاد النوق.

فكان عليه السلام يمازح ولا يقول إلا حقاً، كما صح عنه.

[٦٥٥] فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قالوا: يا رسول الله إنك تُداعِبُنَا، قال: «نعم، غيرَ آتِي لا أقول إلا حقاً».

رواه الترمذي في البرز (١٨٣٥) وفي الشمائل (٢٣٧)، وأحمد (٣٦٠/٢)، والبخاري في الأدب المفرد (٢٦٥) وحسنه الترمذي وصححه.

«تداعبنا» أي: تمازحنا.

[٦٥٦] وعن أنس أن رجلاً من أهل البادية كان اسمه زاهراً، وكان يُهْدِي إلى النبي عليه السلام هَدِيَّةً من البادية فيُجَهِّزُهُ النبي عليه السلام إذا أراد أن يَخْرُجَ، فقال النبي عليه السلام: «إن زاهراً باديتنا ونحن حاضروه»، وكان عليه السلام يحبه، وكان رجلاً دَمِيماً، فاتاه النبي عليه السلام يوماً وهو يبيع متاعه فاحتضنه من خلفه وهو لا يُبْصِرُهُ، فقال: من هذا؟ أرسلني، فالتفت فعرف النبي عليه السلام فجعل لا يَأَلُو ما أَلْصَقَ ظَهْرَهُ بِصَدْرِ النبي عليه السلام حين عرفه، فجعل النبي عليه السلام يقول: «من يشتري هذا العبد؟» فقال: يا رسول الله إذا والله تجدني كاسداً، فقال النبي عليه السلام: «لكن عند الله لست بكاسدٍ»، أو قال: «أنت عند الله غال».

رواه أحمد (١٦١/٣)، والترمذي في الشمائل (٢٣٩)، وابن حبان (٢٢٧٦) بالموارد بسند صحيح على شرط البخاري ومسلم.

«باديتنا» أي: نستفيد منه ما يستفيد الرجل من باديته، والبادي المقيم بالبادية. «حاضروه» أي: يستفيد منا إذا جاءنا. «دميماً» بفتح الدال أي: قبيح الصورة مع كونه مليح السيرة محبوباً عند الله تعالى وعند رسوله عليه السلام. قوله: «لا يَأَلُو» أي: لا يقصر، في رواية ابن حبان: جعل يلزق ظهره بصدرة.

فما صدر منه عليه السلام مع هذا الأعرابي الجليل غاية في المداعبة والمباسطة والتواضع والمعاملة الجميلة، فصلَّى الله وسلَّم وبارك عليه وعلى آله وصحبه وزوجه.

✽ جُلُوسُهُ وَاتِّكَاؤُهُ عليه السلام

[٦٥٧] عن قَيْلَةَ بنت مَخْرَمَةَ أنها رأت رسولَ الله عليه السلام في المسجد وهو قاعِدُ القُرْفِصَاءِ، قالت: فلما رأيتُ رسولَ الله عليه السلام المُتَخَشِّعَ في الجِلْسَةِ فَأَزَعَدْتُ من الفَرْقِ. زاد في رواية: يا مَسْكِينَةَ عَلِيَّكَ السَّكِينَةَ.

رواه البخاري في الأدب المفرد (١١٧٨)، وأبو داود في الأدب (٤٨٤٧)، والترمذي في الشمائل (١١٩) بسند حسن، وقال الحافظ في الأدب من الفتح: سنده لا بأس به، ورواه الطبراني مطولاً وفيه: يا مسكينة، قال النور في المجمع (١٢/٦): رجاله ثقات.

«القرفصاء» بضم القاف والفاء بينهما راء ساكنة هي؛ أن يجلس الإنسان على إلتيه ويلصق فخذيه ببطنه ويضع يديه على ساقيه قابضاً إحداهما بالأخرى ومنها الحَبْوَةُ؛ بأن يجمع بين ظهره وساقيه بثوب فيعتمد على ذلك، وقد صح في أحاديث أنه كان يحتب عليه السلام في جلوسه بيده وغيرها. «فأرعدت» مبني للمجهول أي: حصلت لي رعدة من الفرق - بفتحتين - أي: الخوف والفرع.

[٦٥٨] وعن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: رأيت رسول الله عليه السلام بفتاء الكعبة محتباً بيده هكذا.

رواه البخاري في الأدب من صحيحه (٣٠٦/١٣).

[٦٥٩] وعن أبي سعيد رضي الله تعالى عنه قال: كان رسول الله عليه السلام إذا جلس احتبى بيديه.

رواه أبو داود في الأدب (٤٨٤٦) بسند صحيح ونحوه عنده (٤٠٧٥) عن جابر قال: رأيت رسول الله عليه السلام وهو مُخْتَبٍ بشملة قد وَقَعَ هَدْبُهَا على قدميه، وتقدَّم في اللباس بل جاء نحوه في البخاري عن ابن عمر وفي مسلم عن ابن عباس، فالاحتباء كما يكون بالثوب يكون باليدين وهو القرفصاء.

فكان ذلك من صفات جلوسه عليه السلام وتقدم في الأطعمة أنه قال:

«أجلس كما يجلس العبد»، يعني بذلك جلسة المتواضعين.

[٦٦٠] وعن عبد الله بن زيد رضي الله تعالى عنه أنه رأى النبي ﷺ مستلقياً في المسجد واضعاً إحدى رجله على الأخرى.
رواه الشيخان، ويأتي في الأدب.

ففيه جواز الاستلقاء على القفا ولو في المسجد، وما جاء من النهي عن ذلك محمول على من يخشى انكشاف عورته، وانظر تهذيبي للجامع (٢٥٧٧، ٢٥٧٨).

[٦٦١] وعن جابر بن سمرة قال: رأيت رسول الله ﷺ متكئاً على وسادة على يساره.

رواه أحمد (٨٦/٥، ٨٧)، وأبو داود (٣١٤٣)، والترمذي في الأدب (٢٥٨١) وفي الشرائع (١٢٢) بسند صحيح على شرط مسلم، ويأتي في الزهد وغيره أحاديث في هذا المعنى.

وقد صح في غير ما حديث اتكاؤه؛ كحديث: «ألا أحدثكم بأكبر الكبائر»، وفيه: وكان متكئاً، وهو في الصحيحين ويأتي في الأدب مطولاً كاملاً إن شاء الله تعالى.

لكنه لم يكن يأكل متكئاً كما قدمنا في الأطعمة: «أما أنا فلا أكل متكئاً»، وهو في البخاري.

خَفَهُ وَنَعَلَهُ ﷺ

[٦٦٢] عن بُرَيْدَةَ رضي الله تعالى عنه أن النجاشي أهدى النبي ﷺ خُفَّيْنِ أَسْوَدَيْنِ سَادَجَيْنِ، ثم توضأ ومسح عليهما.

رواه أبو داود (١٥٥)، والترمذي في السنن (٢٦٣٠) وفي الشرائع (٦٩)، وابن ماجه (٥٤٩، ٣٦٢٠) وفيه دلهم بن صالح فيه ضعف لكنه

تَابَعَهُ يَخْتَبِي بَنُ كَثِيرٍ كَمَا فِي أَخْلَاقِ النَّبِيِّ ﷺ لِأَبِي الشَّيْخِ (ص ١٣٣) فَيَتَأَيَّدُ بِهِ، وَلِذَا حَسَّنَهُ التِّرْمِذِيُّ.

قوله: «سادجين» بفتح الحاء وتكسر الذال أيضاً ثنية ساذج أي: خالصين في السواد، والنجاشي هذا ملك الحبشة التي أكرم الصحابة المهاجرين إليه وحماهم، وكان قد أسلم وتوفي في السنة التاسعة وصلى عليه النبي ﷺ صلاة الغائب، وتأتي ترجمته في الفضائل.

[٦٦٣] وعن المغيرة بن شعبة قال: أهدى دحية للنبي ﷺ خُفَّيْنِ فَلَبَسَهُمَا.

رواه الترمذي في السنن (١٦٢٤) وفي الشرائع (٧٠) بسند صحيح، ورواه أبو الشيخ (١٠٥) من طريق آخر.

الخَفَّ غِشَاءٌ لِلرَّجْلِ يُغَطِّي الكَعْبَ يكون من الجلد مخروزاً ومُطَبَّنًا بِقُطْنٍ أَوْ كِتَّانٍ أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ.

والحديثان يدلان على أن النبي ﷺ كان يلبس الخُفَّيْنِ ويمسح عليهما في الوضوء، ولا خلاف في ذلك بين الأئمة والعلماء، كما أن فيهما قبول الهدايا، وقد جاء في ذلك غير ما حديث تقدّم بعضها، ويأتي البعض الآخر.

[٦٦٤] وعن أنس رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ كان نَعْلَاهُ لهُمَا قِبَالَانَ.

رواه البخاري (٤٣٠/١٢)، وأبو داود (٤١٣٤)، والترمذي (١٦٢٧)، والنسائي (١٩٢/٨)، وابن ماجه (٣٦١٥) كلهم في اللباس وهو في الشرائع للترمذي (٧١).

[٦٦٥] وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: كان لنعل رسول الله ﷺ قِبَالَانَ مَثْنِيَّيْنِ شِرَاكُهُمَا.

رواه الترمذي في الشرائع (٧٢)، وابن ماجه (٣٦١٤) بسند صحيح.

القبال - بكسر القاف - ويسمى شنعاً وهو السير والزمام الذي يكون للنعل بين أظبعي الرجلين أحدهما بين الإبهام والتي تليها، والآخر بين الوسطى وأختها. والشراك - بكسر الشين - سير يكون على وجه النعل، فكان لنعله قبالة وشراكان.

❁ صفة مشيه ﷺ

[٦٦٦] عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: ما رأيت شيئاً أحسن من رسول الله ﷺ، كأن الشمس تجري في وجهه، وما رأيت أحداً أسرع من رسول الله ﷺ، كأنما الأَرْضُ تُطَوَّى له، إنا لنُجهد أنفسنا وإنه لغير مكترث.

رواه أحمد (٣٥٠/٢)، والترمذي (٣٤١١) وفي الشرائع (١١٥)، وابن حبان (٢١١٨)، وابن سعد (٣٧٩/١، ٣٨٠) وسنده صحيح عند بعضهم وابن لهيعة قد توبع.

«لنجد» بضم النون وكسر الهاء أي: لنكلف أنفسنا ونحملها فوق طاقتنا لنساويه في المشي. «غير مكترث» بضم الميم وكسر الراء أي: غير مُبالٍ.

في الحديث صفتان للنبي ﷺ إحداهما حسن صورة وجهه الشريف، وأنه كان كالشمس تجري فيه لتلاؤه ولمعانه واستنارته، ثانيهما: صفة مشيه ﷺ وأنه كان يسرع في ذلك لا يُدرك، رغم أن الصحابة الذين كانوا يمشونه كانوا يبالغون جهدهم في السير معه وهو غير مُبالٍ، بل كان يمشي مشياً عادياً، وتلك معجزة له ﷺ في طي الطريق... وقد قدمنا سابقاً في صفته أنه كان إذا مشى تكفواً تكفوفاً كأنما ينحط من صلب.

❁ عيشه ﷺ

[٦٦٧] عن النعمان بن بشير رضي الله تعالى عنه قال: ألتئم في طعام وشراب ما شئتم؟ لقد رأيت نبيكم ﷺ وما يجد من الدقل ما يملأ بطنه. رواه أحمد (٢٦٨/٤)، ومسلم في الزهد (١٠٩/١٨)، والترمذي فيه (٢١٩٠) وفي الشرائع (١٣١).

«الدقل» - بفتحتين - التمر الرديء اليابس.

[٦٦٨] وعن أنس رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ لم يجتمع عنده غداء ولا عشاء من خبز ولحم إلا على صَفَفٍ، وفي رواية: ما شبع من خبز قط ولا لحم إلا على صَفَفٍ. قال مالك بن دينار: سألت رجلاً من أهل البادية ما الضفف؟ قال: أن يتناول مع الناس.

رواه أحمد (٢٧٠/٣)، والترمذي في الشرائع (١٣٨)، وابن سعد (٤٠٤/١)، وأبو الشيخ في الأخلاق (ص ٢٧٨) بسند صحيح على شرط الشيخين، والرواية الثانية رواها الترمذي في الشرائع عن مالك بن دينار مرسلًا وسنده صحيح.

«الضفف» - بفتحتين مع تشديد الضاد - هو الطعام الذي كُثرت عليه الأيدي.

ومعنى الحديث أنه ﷺ لم يكن يجتمع عنده غداء ولا عشاء من خبز ولحم إلا إذا كان عنده ضيوف أو غيرهم، فكان لذلك يشبع من خبز ولحم مما كان يُهدى إليه، وما عدا ذلك فكان لا يجد أحياناً ما يملأ بطنه ويشبعه حتى التمر الرديء.

[٦٦٩] وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: إن كان آل محمد ﷺ نمكث شهراً ما نستوقد بنار، إن هو إلا التمر والماء، إلا أنه كان لرسول الله ﷺ جيران من الأنصار، وكانت لهم منائح فكانوا يرسلون إلى رسول الله ﷺ من ألبانها فيسقيناه.

رواه البخاري في الهبة وفي الرقاق، ومسلم في الزهد (١٠٦/١٨)،
(١٠٧)، والترمذي في الشمائل (١٣٢)، وأبو الشيخ (٢٧٤).

«المنائح» جمع منيحة وهي الناقة أو الشاة الحلوب يعطيها صاحبها
رجلاً يشرب لبنها، ثم يردّها إلى صاحبها عند نفاذ لبنها.

فهكذا كان عيش رسولنا الأكرم ﷺ لا يجد ما يُشبعه من رديء
التمر، ولا تُوقد النار في بيت من بيوت نسائه لتهيئة الطعام وطبخه
شهرًا كاملاً، وما كان طعامه مع أهله إلا التمر والماء، ولم يجتمع
عنده ما يتناوله في الغداء أو في العشاء من خبزٍ ولحمٍ إلا إذا أكل مع
ضيف أو نحوه. وسيأتي بقايا في الزهد والرقائق وغيرها.

* خبز رسول الله ﷺ *

[٦٧٠] عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: ما شبع آل محمد ﷺ
من خبز الشعير يومين متتابعين حتى قبض رسول الله ﷺ.

رواه مسلم (١٠٦/٨)، والترمذي (٢١٧٧)، وابن ماجه، ثلاثتهم في
الزهد وهو في الشمائل (١٤٥).

[٦٧١] وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: ما شبع
رسول الله ﷺ وأهله ثلاثاً تباعاً من خبز البرّ حتى فارق الدنيا.

رواه البخاري في الأظعمة، ومسلم (١٠٨/١٨، ١٠٩)، والترمذي
(٢١٧٨) كلاهما في الزهد، وابن ماجه (٣٣٤٣).

[٦٧٢] وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: كان رسول الله ﷺ
بيت الليالي المتتابعة طاوياً هو وأهله لا يجدون عشاء، وكان أكثر خبزهم
خبز الشعير.

رواه الترمذي في الزهد (٢١٨٠) وفي الشمائل (١٤٧)، وابن ماجه في
الأظعمة (٢٣٤٧) وحسنه الترمذي وصححه.

«طاوياً» أي: جائعاً.

[٦٧٣] وعن سهل بن سعد رضي الله تعالى عنه أنه قيل له: أكل
رسول الله ﷺ النقيّ - يعني الحُوّارَى - فقال: ما رأى رسول الله ﷺ
النقيّ حتى لقي الله عزّ وجلّ، فقيل له: هل كانت لكم مناخلٌ على عهد
رسول الله ﷺ؟ قال: ما كانت لنا مناخل، قيل: كيف كنتم تصنعون
بالشعير؟ قال: كنا نَنفُخُه فيطيرُ منه ما طار ثم نُثْرِيه ثم نَعَجِيه.

رواه أحمد (٣٧٢/٥)، والبخاري في الأظعمة (٤٨١/١١)، والترمذي
في الزهد (٢١٨٤) وفي الشمائل (١٤٨)، وابن ماجه (٣٣٧٥)، وابن سعد
(٤٠٨/١).

الحُوّارَى - بضم الحاء وفتح الواو المشدّدة آخره راء ثم ألف مقصورة -
هو الدقيق المنخول المرقق الأبيض.

فهذه الأحاديث تدلّ بجملتها على أن أكثر خبز رسول الله ﷺ كان
من الشعير، ومع ذلك فلم يكن يشبع منه ولا من غيره كالبرّ يومين أو ثلاثاً
متواليين. أما الخبز النقيّ المعمول من الدقيق المنخول الرقيق فلم يره قطّ
فضلاً عن أن يأكله، فصلى الله وسلّم وبارك عليه وعلى آله وزوجه وصحبه
وعتّا معهم، آمين.

* فراش رسول الله ﷺ *

[٦٧٤] عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: إنما كان فراشُ
رسول الله ﷺ الذي ينامُ عليه من أدمٍ حَسُوهُ لَيْفٌ.

رواه البخاري في الرقاق (٧٣/١٤)، ومسلم في اللباس (٥٨/١٤)،

والترمذي (١٦١٨)، وأبو داود (٤١٤٧)، والترمذي في الشمائل أيضاً (٣٢١).

«أدم» بفتحين جمع أديم وهو الجلد المدبوغ. «والليف» ليف النخل والجمار.

فراش رسولنا الأعظم الذي كان ينام عليه من الجلد محشو بليف النخل، فلم يكن له فراش من كتان أو قطن أو صوف بل جلد مدبوغ، فكيف لو رأى فرشنا ووسائدنا وأغظيتنا، فاللهم عفوك وغفرانك.

[٦٧٥] وعن أبي بردة رضي الله تعالى عنه في قصة أبي عامر وأبي موسى الأشعري في غزوة أوطاس، وقول أبي موسى: فلما رجعت إلى النبي ﷺ دخلت عليه وهو في بيت على سرير مُزْمَلٍ وعليه فراش وقد أتر رمال السرير بظهر رسول الله ﷺ وجنبه.

رواه البخاري (١٠٤/٩)، ومسلم في الفضائل (٦٠/١٦)، وقد تقدم في المغازي.

[٦٧٦] وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في سؤاله عُمَرَ عن قوله تعالى: ﴿إِنْ نُؤبَىٰ إِلَى اللَّهِ فَقَدِ اصْتَدَّتْ قُلُوبُكُمْ﴾، فذكر الحديث وفيه عن عمر: فإذا الغلام يدعوني فقال: ادخل أذن لك، قال: فدخلت فإذا رسول الله ﷺ مُتَّكِيٌّ عَلَى رَمْلٍ حَصِيرٍ، فرأيت أثره في جنبه... الحديث يأتي مطولاً في الزهد، وتقدم مختصراً في التفسير، وهو في الصحيحين. والسرير المرمل المنسوج بشريط وحبل.

فهكذا كان فراش رسول الله ﷺ إما جلدٌ مَحْشُوٌّ بليف النخل، أو سريرٌ منسوجٌ بجبال حتى تؤثر في ظهره وجنبه الشريف؛ فراشٌ بسيطٌ للغاية لا ينام أو يجلس عليه في العادة إلا من بلغ بهم الفقر والحاجة النهاية، فلنقارن نحن معاصر أمته وأتباع سنته حالتنا بما كان عليه ﷺ من الإعراض عن الدنيا وزينتها ومستلذاتها... ويأتي مزيد لهذا في الرقاق والزهد.

* أخلاقه ﷺ *

[٦٧٧] عن سعد بن هشام رحمه الله تعالى قال: سألت عائشة رضي الله تعالى عنها عن خُلُقِ رسول الله ﷺ، فقالت: أَمَا تَقْرَأُ الْقُرْآنَ؟ قلت: بلى، قالت: كان خُلُقُهُ الْقُرْآنَ.

رواه أحمد (٩١/٦، ٩٣)، ومسلم في صلاة الليل (٢٥/٦، ٢٦).

«خُلُقٌ» بضمّتين هو السجية والطبيعة.

فقول السيدة هنا: كان خُلُقُهُ الْقُرْآنَ، تعني أنه ﷺ صار امتثال القرآن أمراً ونهياً وخبراً سجية وصفة له تَطَبَّعَهُ، وترك طَبَّعَهُ الْجِبَلِيَّ، فمهما أمره القرآن بشيء امتثله، ومهما نهاه عن شيء تركه وابتعد عنه مع ما كان مجبولاً عليه من قبل الله عزّ وجلّ من التخلّق بكل خلق سنّي، كما يأتي.

ولذلك أنسى الله عزّ وجلّ عليه ونوّه به بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾، فلا أعظم في الدنيا من الخلق الذي أشاد الله تعالى به ووصف به نبيّه وحبيبه الخاتم ﷺ.

[٦٧٨] وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ»، وفي رواية: «مكارم الأخلاق».

رواه أحمد (٣٨١/٢)، والبخاري في الأدب المفرد (٢٧٣)، وابن سعد (١٩٢/١)، والحاكم (٦١٣/٢) وصححه على شرط مسلم ووافقه الذهبي، قال ابن عبد البر: هو حديث صحيح متصل من وجوه صحاح.

ومعنى الحديث أنه بُعث إلى الناس ليُكَمِّلَ تَخَلُّقاً وتبليغاً ما كان قد تَبَقَّى من الأخلاق الصالحة الكريمة التي لم يكن مُتَّصِفاً بها أحدٌ من الأنبياء أو غيرهم من العرب أو سائر الأجناس والأمم قبله ﷺ، فقد أتم ذلك بأخلاقه وأقواله عليه السلام.

✽ حُسْنُ عَشْرَتِهِ وَمَعَامَلَتِهِ الطَّيِّبَةِ

[٦٧٩] عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين فما قال لي: أف قط، وما قال لي، لشيء صنعتُه لِمَ صنعتُه، ولا لشيء تركته لِمَ تركته، وكان رسول الله ﷺ من أحسن الناس خُلُقًا.

رواه البخاري ومسلم والدارمي والترمذي مطولاً، وقد تقدم بسياقٍ آخر في طيب جسمه ﷺ.

هذا غاية في حسن المعاشرة ومعاملة الخادم، فعشرة أعوام من خدمة أنس له ﷺ لم يَر منه فيها عِتَاباً أو تَغْنِيْفاً لشيء فعله أو تركه وما تَأَفَّف منه طوال هذه المدة، وكيف لا وهو أحسن الناس خُلُقًا بشهادة الله عز وجل.

[٦٨٠] وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: استأذن رجل على رسول الله ﷺ وأنا عنده، فقال: «بئس أخو العشيرة»، فلما خرج قلت: يا رسول الله قلت ما قلت، ثم أَلنْتَ له القول فقال: «يا عائشة إن مِن شَرِّ الناس مَن تَرَكَ الناس أو وَدَعَهُ الناس اتِّقَاءً فُحْشِيهِ».

رواه أحمد (٣٨/٦، ٨٠، ١٥٨، ١٧٣)، والبخاري (١٤٤/١٣)، ومسلم (١٤٤/١٦)، والترمذي (١٨٤١)، وأبو داود (٤٧٩١) كلهم في الأدب وهو في شمائل الترمذي (٣٤٣).

ما فعله ﷺ مع ذلك المنافق هي مجاملة مشروعة في معاملة الآخرين ولو كانوا كافرين أو فاسقين، وهي من تمام حسن الأخلاق وليست من التَّفَاق، كما قد يتوهم. قال ابن بطال: المداراة من أخلاق المؤمنين وهي: خفض الجناح للناس ولين الكلام وترك الإغلاظ لهم في القول... ويأتي مزيد لهذا في الأدب.



✽ حلمه ﷺ وعفوه مع المقدرة

[٦٨١] عن عائشة رضي الله تعالى عنه قالت: ما خَيْرَ رسولٍ الله ﷺ في أمرين قط إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثماً، فإن كان إثماً كان أبعد الناس منه، وما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه إلا أن تُتْهَكَ حُرْمَةُ الله تعالى، فَيَنْتَقِمُ الله بها.

وفي رواية: ما رأيت رسول الله ﷺ مُنْتَصِراً من مَظْلَمَةٍ ظَلَمَهَا قط ما لم تكن حُرْمَةً من محارم الله، وما ضرب بيده شيئاً قط إلا أن يجاهد في سبيل الله، وما ضرب خادماً ولا امرأة.

رواه أحمد (٣٢/٦)، والبخاري في المناقب (٣٨٥/٧، ٣٨٦) وفي الأدب، ومسلم في الفضائل (٨٤/١٥)، والترمذي في الشمائل (١٩٩) بالفاظ وزيادة ونقصان.

«أيسرهما» أي: أسهلها. «مظلمة» بكسر اللام وفتحها.

هكذا كان خلقه مع الآخرين لا ينتقم لنفسه ممن ظلمه أو اعتدى عليه، ولم يعرف عنه أنه ضرب أحداً لا زوجة من زوجاته، ولا بنتاً من بناته، ولا خادماً ولا عبداً ولا أمة فضلاً عن غيرهم، وإنما كان ينتقم ويغضب لله إذا رأى حرمة من حرمت الله اتُّهِكَتْ.

[٦٨٢] وعن أنس رضي الله تعالى عنه قال: كنت مع النبي ﷺ وعليه برد غليظ الحاشية فَجَبَذَهُ أعرابي بردائه جَبَذَةً شديدة، حتى أثرت حاشية البرد في صَفْحَةِ عُنُقِيهِ، ثم قال: يا محمد مُرُّ بي من مال الله الذي عندك، فالتفت إليه النبي ﷺ ثم ضحك، ثم أمر له بعتاء.

رواه البخاري في اللباس (٣٩٠/١٢)، ومسلم في الزكاة (١٤٦/٧) وغيرهما.

هذا سوء أدب كبير من هذا الأعرابي، وإذابة شديدة منه للنبي ﷺ، ومع ذلك قابله بالضحك والعتاء ولم يصنع معه شيئاً يَسُوءُهُ.

[٦٨٣] وعن جَعْدَةَ قال: أتَيْتِ النَّبِيَّ ﷺ برجل فقيل له: هذا أراد أن يقتلك، فقال له النبي ﷺ: «لم تُرْعِ وَلَوْ أَرَدْتَ ذَلِكَ لَمْ يُسَلِّطَكَ اللهُ عَلَيَّ».

رواه أحمد (٤٧١/٣) بسندٍ صحيح، وأورده الهيثمي في المجمع (٢٢٧/٨) برواية أحمد والطبراني وقال: رجاله رجال الصحيح غير أبي إسرائيل الجشمي وهو ثقة.

«لم ترع» مبني للمجهول أي: لا تفزع لمكروه ولا تخف. وهذا نهاية ما يكون من الحلم والعفو، وقد تقدّمت أحاديث في حلمه وعفوه ﷺ في غضون السيرة؛ كحديث ابن عمرو عن التوراة: ولا يجزىء السيئة بالسيئة، ولكن يعفو ويصفح، وحديث ابن السعنة اليهودي وفيه: يسبق حلمه جهله. وحديث عفوه عن غورث الذي اخترط سيفه وأراد قتله، وحديث عفوه عن اليهودية التي سمّته، وحديث عفوه عن ابن أبي المنافق، وحديث عفوه عمّن قال له: اعدل يا محمد، فإنّ هذه قسمة ما أريد بها وجه الله، إلى غير ذلك مما لا يحصى كثرة.

✽ جوده وسخاؤه وكرمه ﷺ

[٦٨٤] عن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما قال: ما سُئِلَ رسول الله ﷺ عن شيء فقال: لا.

رواه البخاري في الأدب (٦٥/١٣)، ومسلم في الفضائل (٧١/١٥)، والدارمي (٧١).

[٦٨٥] وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: كان النبي ﷺ أجود الناس بالخير، وأجود ما يكون في شهر رمضان، وكان إذا لقيته جبريل عليه السلام أجود بالخير من الريح المُرسلة.

رواه أحمد (٣٦٣/١، ٢٨٨)، والبخاري في بدء الوحي (٣٤/١، ٣٥) وفي الإيمان وفي الصيام... ومسلم في الفضائل (٦٨/١٥، ٦٩).

٦٠٤

[٦٨٦] وعن أنس رضي الله تعالى عنه أن رجلاً سأل النبي ﷺ فأعطاه غنماً بين جبلين، فرجع إلى قومه وقال: أسلموا فإن محمداً يُعطي عطاءً من لا يخشى فاقة.

رواه مسلم في الفضائل (٧٢/١٥).

الفاقة: الفقر.

هكذا كان كرمه ﷺ، فكانت الدنيا عنده أحقر شيء وأصغر في عينيه، فلم يكن يعاب بها ولا بما سبق له منها، فلذلك كان يعطي منها أعطية خيالية، وقد قدمنا في غزوة حنين أنه أعطى أبا سفيان والأقرع بن حابس وعُيَيْنة بن حصن وصفوان بن أمية مائة مائة من الإبل، وردّ على هوازن ألوف الأنعام، وكان ذلك عادة له حتى قبل النبوة صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عليه وعلى آله وصحبه.

✽ شجاعته ﷺ

[٦٨٧] قال ابن عمر رضي الله تعالى عنهما: ما رأيت أشجع ولا أنجد ولا أجود ولا أرضى من رسول الله ﷺ.

رواه الدارمي في مقدمة سننه (٦٠) بسندٍ صحيح.

[٦٨٨] وعن البراء بن عازب رضي الله تعالى عنه قال: كنّا والله إذا اخمّر البأس تنقّي به، وأما الشجاع منا الذي يحاذي به - يعني النبي ﷺ - .

رواه مسلم (١٢٠/١٢).

[٦٨٩] وقال عليّ رضي الله تعالى عنه: ولقد رأيتنا يوم بدر ونحن نلوذ بالنبي ﷺ وهو أقربنا إلى العدو، وكان من أشدّ الناس يومئذ بأساً.

رواه أحمد (٨٦/١) بسندٍ صحيح.

[٦٩٠] وعن العباس رضي الله تعالى عنه قال: فلما التقى المسلمون

٦٠٥

والكفار ولّى المسلمون مُدبرين، فَطَفِقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَرْكُضُ بَغْلَتَهُ نَحْوَ الكِفَارِ، وَأَنَا آخِذٌ بِلِجَامِهَا أَكْفُهَا إِرَادَةً أَنْ لَا تُسْرِعَ، وَأَبُو سَفِيَانَ - يَعْنِي ابْنَ الحَارِثِ ابْنَ عَمِّ الرِّسُولِ - آخِذٌ بِرِكَابِهِ ثُمَّ نَادَى بِالمُسْلِمِينَ . . .

رواه مسلم في السّير (١١٧/١٣، ١١٨) وفي رواية للبراء: والنبي ﷺ يقول: «أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب»، رواه البخاري ومسلم وقد تقدم في غزوة حُنين.

[٦٩١] وقال أنس رضي الله تعالى عنه: كان رسول الله ﷺ أحسن الناس وأجود الناس وأشجع الناس، لقد فرّج أهل المدينة ليلةً فانطلق ناسٌ قبّل الصوت فتلقّاهم رسول الله ﷺ راجعاً قد سبّهم إلى الصوت، وقد استبرأ الخبر على فرسٍ لأبي طلحة عُرزي والسيوف في عنقه، وهو يقول: «لن ترأعوا».

رواه أحمد (١٤٧/٣، ١٨٥، ٢٧١)، والبخاري في الجهاد (٤٦٣/٦) وفي مواضع، ومسلم في الفضائل (٦٧/١٥، ٦٨).

«لن ترأعوا» أي: لا تفزعون ولا تخافون.

هذه نماذج من شجاعته ﷺ ونجدته، وأنه كان لا يُجَارَى في ذلك، وحسبك أن الصحابة كانوا إذا اشتد القتال اتقوا به ﷺ، وأي شجاعة أعظم من صموده أمام جيوش هوازن... وركوضه نحوهم وقد انهزم عنه الصحابة وهو على بغلته يقول بكل شجاعة: «أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب»، فلم يكن ولا يكون أشجع منه ﷺ.

✽ حياة ﷺ

[٦٩٢] عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال: كان رسول الله ﷺ أشدّ حياءً من العذراء في خدرها، وكان إذا كره شيئاً عرف في وجهه.

رواه أحمد (٧١/٣، ٧٩، ٩٢) وفي مواضع، والبخاري في المناقب (٣٨٧/٧، ٣٨٨)، ومسلم في الفضائل (٧٨/١٥)، والترمذي في الشمائل (٣٥١)، وأبو الشيخ في الأخلاق (٤٠/٣٩).

«العذراء» هي البنت البكر. و«الخدر» بكسر الخاء محل تسترها.

فالعذراء في خدرها إذا فاجأها أحد فيه احمرت وخجلت وحصل لها تغيير، وهذا الخلق خاص بالبنت العفيفة البعيدة عن مخالطة الرجال المصونة. أما البنت التي تعتاد الخروج ومزاحمة الرجال، فلا يكون لها هذا خلقاً، بل تكون صفيقة الوجه وقحة، وعلى أي فالنبي ﷺ كان من خلقه هذا الحياء الشديد، ولذلك كان لا يواجه أحداً بما يكره كما في الحديث التالي.

[٦٩٣] عن أنس رضي الله تعالى عنه أنه دخل عليه رجل به أثر صُفْرَة، فلم يقل له شيئاً، وكان لا يواجه أحداً بما يكره، فلما خرج قال: «لو قلت له: يغسل هذا أو ينزعها».

رواه أحمد (١٣٣/٣، ١٥٤، ١٦٠)، وأبو داود في الأدب (٤١٨٢)، والبخاري في الأدب المفرد (٤٣٦)، وأبو الشيخ (٧٠) وسنده صحيح لولا سلم العلوي فمُختلف فيه.

وكان إذا بلغه شيء عن قوم خطب فقال: «ما بال أقوام يقولون كذا وكذا أو يفعلون كذا»، ولا يسمي أحداً، وهذا من عظيم حيائه ﷺ، وذلك وارد في الصحيحين وغيرهما، فالحياء خلق كريم، وهو من أعظم شعب الإيمان وكله خير، وانظر ما سبق في كتاب الإيمان من الجزء الأول ص (٩٧).

✽ وفاؤه ﷺ وحسن عهده وصلة رحمه

[٦٩٤] عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: كان النبي ﷺ إذا أتى

بهديّة قال: «أذهبوا بها إلى بَيْتِ فُلانة، فإنها كانت صَدِيقَةً لخدِيجَة، إنَّها كانت تُحِبُّ خَدِيجَةَ».

رواه البخاري في الأدب المفرد (٢٣٢)، وابن حبان (٤٦٧/١٥) مع الإحسان، والحاكم (١٧٥/٤) وصححه ووافقه الذهبي.

[٦٩٥] وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: ما غَزْتُ على امرأة ما غَزْتُ على خديجة لما كنتُ أَسْمَعُهُ يذكُرُها، وإن كان لَيَذْبَحُ الشاةَ فيُهْدِيها إلى خَلاتِليها.

رواه البخاري في المناقب (١٣٥/٨، ١٣٦)، ومسلم في الفضائل (٢٠١، ٢٠٠/١٥)، والترمذي في المناقب (٣٦٥٢) وفي البرِّ والصلة.

[٦٩٦] وعنَّها قالت: استأذنت هالة بنت خُوَيْلِدٍ أخت خديجة على رسول الله ﷺ فعرَّفها استئذان خديجة فارتاح لذلك، فقال: «اللَّهِمَّ هالَةَ بنتِ خويلد».

رواه البخاري (١٤٠/٨)، ومسلم (٢٠١/١٥، ٢٠٢) كلاهما في فضائل الصحابة.

قوله: «فارتاح» أي: هَشَّ وَسَرَّ بها لأنه تذكُر بها حبيبتَه الأولى خديجة.

[٦٩٧] وعنَّها أيضاً قالت: جاءت عجوز إلى النبي ﷺ وهو عندي، فقال لها رسول الله ﷺ: «من أنت؟» قالت: أنا جَنّامة المُرَيَّة، قال: «بل أنتِ حَسَّانة المُرَيَّة، كَيْفَ أَنْتُمْ؟ كَيْفَ حَالُكُمْ؟ كَيْفَ كُنْتُمْ بَعْدَنا؟» قالت: بخير بأبي أنت وأمي يا رسول الله، فلما خرجت قلت: يا رسول الله تُقْبِلُ على هذه العجوز هذا الإقبال، قال: «إنَّها كانت تأتينا زمنَ خديجة وإن حُسِّنَ العَهْدُ مِنَ الإيمان».

رواه الحاكم (١٦/١) وصححه على شرطهما، ووافقه الذهبي، ورواه القضاعي في مسند الشهاب (١٠٢/٢)، والبيهقي في الشعب (٥١٧/٦) من طرق هو بها صحيح.

«حسن العهد» أي: العهد الحسن وهو الوفاء به ورعاية الحُرْمَة، فهكذا كان ﷺ وفتياً بصحبته لخديجة، فلم ينسها طوال حياته رغم أن الله عزَّ وجلَّ أبدله نساء كريمات حساناً؛ لأنَّ خديجة أزرته ونصرته وقطعت معه أشواطاً صَعْبَةً من حياته، وكانت نعمت الناصر المؤيد له ﷺ، يُضَافُ إلى ذلك ما رزق له معها من الأولاد لذلك كان يكرم صديقاتها وأقربها ويُحَسِّنُ إليهنَّ . . .

[٦٩٨] وعن عمرو بن العاص أن رسول الله ﷺ قال: «إنَّ آلَ بني فلان ليسوا لي بأولياء، غيرَ أن لهم رَحِمًا سَأَلُها بِبِلالِها».

رواه البخاري في الأدب من صحيحه (٢٤/١٣، ٢٥، ٢٦)، ومسلم في الإيمان (٨٧/٣).

«سَأَلُها بِبِلالِها» والمراد بالبِلال هنا صلة الرحم، ومنها الشفاعة يوم القيامة، واختلف في المراد بآل فلان هنا من هم؟ فقيل: آل العاص، وقيل: آل أبي طالب الكفار كما جاء مصرحاً به في مستخرج أبي نعيم على البخاري بسندٍ صحيح بلفظ: «إنَّ لبني طالب رَحِمًا أَبَلُها بِبِلالِها»، والله تعالى أعلم.

[٦٩٩] وعن عمر بن السائب رحمه الله تعالى: أن رسول الله ﷺ كان جالساً يوماً فأقبل أبوه من الرضاعة، فوضع له بعض ثوبه فقعد عليه، ثم أقبلت أمه فوضع لها شقَّ ثوبه من جانبه الآخر فجلست عليه، ثم أقبل أخوه من الرضاعة، فقام ﷺ فأجلسه بين يديه.

رواه أبو داود في الأدب (٥١٤٥) وهو مرسل صحيح وهو مشهور في كتب السيرة. وهذا هو اللائق بأخلاقه ﷺ مع الأباعد، فكيف بأبيه وأمه وأخيه من الرضاعة . . . وقد تقدم ما كان يعامل به أم أيمن حاضنته من الملاطفة والتذلل لها والتواضع البالغ معها.

التواضع ضدّ التكبر وهو بالنسبة للنبي ﷺ باب واسع جاءت فيه أخبار عدّة في مناسبات وأحوال، فلنقرأها بإمعان وتبصّر، فما أحوجنا إلى التخلّق بها والاتساء به ﷺ فيها، فإن التواضع من صفات العبودية لله عزّ وجلّ.

[٧٠٠] عن عمر رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تُظَرُونِي كما أَظَرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ، إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ، فَقُولُوا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ».

رواه أحمد (٢٣/١)، (٢٤، ٥٥)، والبخاري في ذكر عيسى من أحاديث الأنبياء (٣٠٠/٧) وغيرها.

«الإطراء» المبالغة في المدح والتجاوز فيه بالباطل والتغالي في ذلك، فنهيه عن الغلو في مدحه، وقوله: «إنما أنا عبد» إلخ، من تواضعه وتنازله عن مقامه السامي، وفي قوله: «لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى» إلخ، إشارة إلى جواز مدحه ما لم يبلغ إلى حدّ الشرك والكفر مثل ما فعل النصارى في عيسى عليه السلام.

[٧٠١] وعن أنس رضي الله تعالى عنه أن امرأة كان في عقلها شيء، فقالت: يا رسول الله إن لي إليك حاجة، فقال: «يا أمّ فلان انظري أيّ السكك شئت حتى أقضي لك حاجتك»، فخلا معها في بعض الطرق حتى فرغت من حاجتها.

رواه أحمد (١١٩/٣)، (١٧٤، ٢١٤)، ومسلم في الفضائل (٨٢/١٥)، (٨٣)، وأبو داود (٤٨١٨، ٤٨١٩)، والترمذي في الشمائل (٢٨٥)، وذكره البخاري معلقاً في الأدب، ورواه في النكاح (٢٤٦/١١) مختصراً.

«السكك» جمع سكة وهي الطريق، وقوله: فخلا معها، هذا ليس من الخلوّة المنهي عنها، لأنه كان في الطريق بعيداً من سماع الناس كلامها، وكانوا يرونه واقفاً معها.

وما صنعه مع هذه المرأة نهاية في تواضعه ﷺ، فلا يفعل مثل ذلك ويتنازل له إلا المتواضعون. أما الأنانيون والمتعاضمون فلا يتصوّر صدور ذلك منهم.

[٧٠٢] وعن أنس أيضاً قال: كان النبي ﷺ يُدعى إلى خُبز الشعير والإهالة السنيحة فيجيب، ولقد كان له دزغ عند يهودي فما وجد ما يفكها حتى مات.

رواه البخاري (٥٠٦/٥)، والنسائي (٢٥٤/٧)، والترمذي في السنن (١٠٩٧) وفي الشمائل (٣٢٦)، وابن ماجه (٢٤٣٧) وغيرهم.

«الإهالة السنيحة» هو الشحم المتغير.

ففي الحديث تنازله وإجابته داعيه لتناول خبز الشعير والشحم المتغير وعدم تأفّفه من ذلك وتأخره عن الإجابة، وذلك من كمال تواضعه، والدّرع التي دفعها رهناً لليهودي كانت في مقابل ثلاثين صاعاً من الشعير، وتوفي والدّرع مرهونة، ويأتي هذا في الرقائق إن شاء الله تعالى.

[٧٠٣] وعن أنس أيضاً قال: حجّ رسول الله ﷺ على رَخلٍ رَثٌ، وعليه قطعة لا تُساوي أربعة دراهم، فقال: «اللهم اجعله حجاً لا رياء فيه ولا سُمعة».

وفي رواية: كتنا نرى ثمنها أربعة دراهم، فلما استوت به راحلته قال: «ليتك بحجة لا سُمعة فيها ولا رياء».

رواه الترمذي في الشمائل (٣٢٧)، وابن ماجه في المناسك (٢٨٩٠)، وابن سعد (١٧٧/٢) وهو وإن كان ضعيفاً فإنه صحيح لطرقه ولشاهدين له عن ابن عباس رواه الطبراني في الأوسط، وعن بشر بن قدامة رواه النسائي في الكبرى (٣٣٢/٤، ٣٣٣).

ورواه البخاري في الحجّ بسياق آخر، وفيه: حجّ على رَحلٍ إلخ.

«الرحل» هو للبعير كالسرج للفرس. و«الرت» البالي.

وأي تواضع أعظم من هذا، رحله رثّ وفراشه عليه لا يساوي أربعة دراهم، وهو يخاف أن يكون حجّه غير مقبول، فيدعو الله عزّ وجلّ أن يجعله خالصاً لوجهه لا يخالطه رياء ولا سمعة، فكيف يا ترى يكون حال مترفي زماننا وذوي السلطة منهم في أيام حجّهم مما يستحيي الشيطان أن يكون عليه.

[٧٠٤] وعنه قال: لم يكن شخص أحبّ إليهم من رسول الله ﷺ، قال: وكانوا إذا رأوه لم يَقُومُوا لِمَا يَعْلَمُونَ من كراهته لذلك.

رواه البخاري في الأدب المفرد (٦٣)، والترمذي في الأدب (٢٥٦٧) وفي الشمائل (٣٢٨)، وأبو الشيخ في الأخلاق (٦٣) وسنده صحيح على شرط مسلم عند الترمذي وغيره، ولذلك قال فيه: حسن صحيح.

كان يكره القيام له لأن ذلك من عادات الجبابة والظلمة، فكان يتعد عن التشبه بهم تواضعاً منه ﷺ، وقد ثبت عنه الأمر بالقيام لسعد بن معاذ كما تقدم في غزوة بني قريظة، وصحّ في الصحيحين أن طلحة بن عبيدالله قام لكعب بن مالك ولم يُنكر عليه النبي ﷺ، وقد ألف العلماء في مشروعية القيام لأهل الفضل وتحريمه لغير ذلك.

وقوله: «لم يكن شخص أحبّ إليهم من رسول الله ﷺ» هذا شيء متواتر عنهم رضي الله تعالى عنهم وصارت به الركبان، ولذلك كانوا يؤثرونه على أنفسهم... وهاجروا في رضاه أوطانهم وقدموا بين يديه أرواحهم وقاتلوا معه آباءهم وأبناءهم وعشائرهم، حتى إن أبا عبيدة قتل أباه ومصعب بن عمير أخاه، وعمر خاله فضلاً عن أعمامهم وبنينهم وأخوالهم... ولذلك كانوا أفضل الناس بعد الأنبياء، وكان جميعهم في الجنة كما قال تعالى عنهم: ﴿وَكُلًّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحَسَنَى﴾.

[٧٠٥] وعن أنس أيضاً قال: قال رسول الله ﷺ: «لو أهدني إليّ كراع لقبلتُ، ولو دُعيتُ عليه لأجبتُ».

رواه أحمد (٢٠٩/٣)، والترمذي في الأحكام (١٢١٢) وفي الشمائل

(٣٣٠) وقال: حسن صحيح، ورواه البخاري في الهبة (١٢٧/٦) وفي النكاح، وأحمد (٤٢٤/٢، ٥١٢) عن أبي هريرة.

«الكراع» بضم الكاف ما رُقّ من الرجل وهو مرغوب عنه في العادة، ومع ذلك يقول الحبيب الأكرم ﷺ: «لو أهدني إليّ لقبلت، ولو دُعيت عليه لأجبتُ»، وهل لهذا مثل في التواضع؟ لا والله.

[٧٠٦] وعن جابر رضي الله تعالى عنه قال: جاءني رسول الله ﷺ ليس براكبٍ بَغْلٍ ولا بِرَذْوَنٍ، وفي رواية: أتاني رسول الله ﷺ يَعُودُنِي وأبو بكر وهما ماشيان.

رواه أحمد (٣٧٣/٣)، والبخاري في المرضى (٢١٨/١٢)، وأبو داود (٣٠٩٦)، والترمذي في الشمائل (٣٣١).

«برذون» بكسر الباء وسكون الراء والواو بينهما ذال مفتوحة هو نوع من الدوابّ يشبه الحمير عظيم الخلقة. وفي الحديث بيان تواضعه ﷺ من جهة زيارته لأصحابه ماشياً لم يتكلّف ركوب الخيل أو البغال بل ولا الحمير، وهذا بخلاف المتعاضمين، فإنهم يستنكفون المشي على الأقدام لمثل ذلك، ولا سيما إذا كان المزور بعيد الدار كجابر هنا، فإن منزله كان في بني سلمة وبينها وبين بيوت النبي ﷺ أكثر من ثلاثة أميال.

[٧٠٧] وعن عائشة رضي الله تعالى عنه أنها سُئِلت: هل كان رسول الله ﷺ يعمل في بيته؟ قالت: نعم، كان رسول الله ﷺ يَخْصِفُ نَعْلَهُ، وَيَخِيْطُ ثَوْبَهُ، وَيَعْمَلُ فِي بَيْتِهِ كما يَعْمَلُ أَحَدُكُمْ فِي بَيْتِهِ.

رواه أبو الشيخ في أخلاق النبي ﷺ (ص ٦٢)، وعبدالرزاق في المصنّف (٢٠٤٩٢) ومن طريقه البغوي في شرح السنّة (٣٦٧٥) وسنده صحيح على شرطهما.

«يخصف نعله» أي: يخرزها وهذا غاية في تواضعه ﷺ، فإن مثل هذه الأشياء لا يباشرها العظماء والكبراء لتكبرهم وأنايتهم وتعاضمهم.

[٧٠٨] وعن أبي موسى رضي الله تعالى عنه قال: كان رسول الله ﷺ

يركب الحمار، ويلبس الصوف، ويعتقل الشاة، ويأتي مراعاة الضيف.

رواه أبو الشيخ في أخلاق النبي (ص ١٢٩)، والحاكم (٦١/١) وصححه على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي وللحديث طرق وشواهد.

فهذه الخصال لا يتصف بها إلا الطبقة الفقيرة ذات الفاقة، أما طبقة الأغنياء أو العظماء من ذوي السلطة، فمن المستحيل عادة أن يتخلقوا بذلك. ومن عظيم تواضعه ﷺ أنه كان يتأخر في الطريق عن أصحابه ويقدمهم أمامه، ولا يتقدمهم كعادة عظماء أهل الدنيا، وحضرنى الآن في هذا ثلاثة أحاديث، وهي:

[٧٠٩] عن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا مشى منى أصحابه أمامه، وتركوا ظهره للملائكة.

رواه ابن ماجه (٢٤٦)، والحاكم (٢٨١/٤) وصححه على شرط الشيخين، وقال البوصيري: إسناده صحيح رجاله ثقات.

[٧١٠] وعن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنه قال: ما رُئي رسول الله ﷺ يأكل مُتَكِنًا قَطُّ، ولا يَطَأُ عَقِبَهُ رَجُلَانِ.

رواه أحمد (١٦٥/٢، ١٦٧)، وأبو داود (٣٧٧٠)، وابن ماجه (٢٤٤)، وابن سعد (٣٨٠/١)، وأبو الشيخ (٢١٣) وسنده حسن صحيح.

[٧١١] وعن جابر رضي الله تعالى عنه حدث: أن رسول الله ﷺ كان يتخلف في المسير، فيزجي الضعيف ويزدق ويدعو لهم.

رواه أبو داود (٢٦٣٩)، والحاكم (١١٥/٢) وصححه على شرط مسلم ووافقه الذهبي.

«فيزجي» أي: يسوق. و«يزدق» أي: يجعله راكباً خلفه ردفه.

فهذه الأحاديث دالة على أنه ﷺ كان لا يتقدم أصحابه في المسير ابتعاداً من التشبه بالجبابرة والمتكبرين والمعجبين بأنفسهم، وتخلقاً بأخلاق عباد الله المتواضعين.

وبهذا تم ما أردنا كتابته من شمائل نبينا وأخلاقه ﷺ، وقد تقدم كثير منها في غضون الكتاب كما سبق أن أشرنا إليه.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه وزوجه وأتباعه ومحبيه.

خاتمة هامة

إتماماً للفائدة واقتداء بعلمائنا الذين كتبوا في السيرة رأينا أن نتبع الشمائل بذكر زوجات النبي ﷺ وسراريه وأولاده، ومواليه، وخدمه، وكتابه، كما ذكره علماء السيرة والمحدثون والمؤرخون.

أما زوجاته، فاللاني دخل بهن إحدى عشرة امرأة وهن سيداتنا وأمهاتنا:

خديجة بنت خويلد، ثم سودة، ثم عائشة، ثم حفصة، ثم زينب بنت خزيمة، وتوفيت في حياته، ثم أم سلمة، ثم زينب بنت جحش، ثم جويرية بنت الحارث، ثم أم حبيبة بنت أبي سفيان، ثم صفية بنت حيي الإسرائيلية، ثم ميمونة بنت الحارث الهلالية وهي آخر من تزوج بها، تزوجها في عمرة القضاء.

فهؤلاء نساؤه المعروفات اللاني دخل بهن بدون خلاف.

وأما من خطبها ولم يتزوجها أو وهبت نفسها له ولم يتزوجها فأبلغهن بعضهم إلى ثلاثين، والمعروف الصحيح أنه بعث إلى الجونية ليتزوجها فدخل عليها فاستعادت منه فأعازها ولم يتزوجها، وكذلك التي دخل عليها ورأى بكشحها بياضاً فأمرها بالانصراف ولم يدخل بها، وما عدا ذلك فلا يُعرف.

وَاتَّفَقُوا أَنَّهُ تُوْفِي عَنْ تِسْعِ نِسْوَةٍ بِاسْتِثْنَاءِ خَدِيجَةَ وَزَيْنَبَ بِنْتِ خَزِيمَةَ اللَّتَيْنِ تُوْفِيَتَا فِي حَيَاتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَكَانَ أَوَّلَ زَوْجَاتِهِ لِحَوْقًا بِهِ زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ تُوْفِيَتِ سَنَةَ عِشْرِينَ، وَأَخْرَهَنَّ مَوْتًا أُمَّ سَلْمَةَ تُوْفِيَتِ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَسَتِينَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُنَّ، وَيَأْتِي لَهُنَّ مَزِيدٌ فِي الْفَضَائِلِ.

وَأَمَّا سِرَارِيهِ اللَّاتِي كَانَ يَنْكَحُهُنَّ بِمَلِكِ الْيَمِينِ، فَأَرَبَعٌ: مَارِيَةُ الْقُبْطِيَّةُ أُمَّ وَلَدِهِ إِبْرَاهِيمَ، وَرِيحَانَةُ النَّضْرِيَّةُ أَوْ الْقُرْظِيَّةُ، وَجَارِيَةُ وَهَبَتْهَا لَهُ زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ وَجَارِيَّةٌ أُخْرَى جَمِيلَةٌ أَصَابَهَا فِي بَعْضِ السَّبْيِ.

وَأَمَّا مَوَالِيهِ، فَأَوَّصَلَهُمْ بَعْضُهُمْ كَابِنِ عَسَاكِرٍ فِي تَارِيخِ دِمَشْقِ (ج ١٧٢/٤، ٢٠٤) إِلَى تِسْعِ وَثَلَاثِينَ، وَأَشْهَرُهُمْ: زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ، وَأَبُو رَافِعٍ، وَثُوبَانُ، وَصَالِحٌ، وَشُقْرَانُ، وَأَبُو كَبْشَةَ، وَسَفِينَةُ، وَأَنْجَشَةُ، وَأَفْلَحُ، وَرِيحَانَةُ، وَرَضْوَى، وَسَلْمَى أُمَّ رَافِعٍ، وَمَارِيَةُ. وَمَوْلَاتِهِ وَحَضِينَتُهُ أُمَّ أَيْمَنَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ.

وَأَمَّا خَدَّامُهُ، فَمِنْهُمْ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ كَانَ صَاحِبَ نَعْلِيهِ وَسَوَاكِهِ، وَعَقْبَةُ بْنُ عَامِرِ الْجَهْنِيِّ صَاحِبَ بَغْلَتِهِ، وَبِلَالُ بْنُ رَبَاحٍ، وَأَبُو ذَرِّ الْغِفَارِيِّ، وَأَيْمَنُ بْنُ أُمَّ أَيْمَنَ حَاضِنَتُهُ كَانَ عَلَى مَطْهَرَتِهِ... رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ.

وَأَمَّا كِتَابُهُ، فَمِنْهُمْ الْخُلَفَاءُ الْأَرْبَعَةُ، وَالزَّبِيرُ بْنُ الْعَوَامِ، وَعَامِرُ بْنُ فَهِيرَةَ، وَأَبِي بْنُ كَعْبٍ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ، وَخَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ، وَخَالِدُ بْنُ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ، وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ وَكَانَ أَلْزَمَهُمْ لِهَذَا الشَّأْنِ وَأَخْصَهُمْ بِهِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ.

وَكَانَ مِنْ ذِكْرِنَا مَوْجُودَةً تَرَاجِمُهُمْ وَأَخْبَارَهُمْ فِي «الْإِصَابَةِ» وَ«الْاِسْتِعَابِ» وَ«أَسَدِ الْغَابَةِ».

وَأَمَّا أَعْمَامُهُ، فَكَانُوا اثْنَيْ عَشَرَ، أَشْهَرُهُمْ: حَمْزَةُ، وَالْعَبَّاسُ، وَأَبُو طَالِبٍ، وَأَبُو لَهَبٍ، وَقَتْمٌ، وَلَمْ يُسَلِّمْ مِنْهُمْ إِلَّا حَمْزَةُ وَالْعَبَّاسُ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا.

وَأَمَّا عَمَّاتُهُ، فَكَرَّ سَتًّا، أَسَلِمَ مِنْهُنَّ صَفِيَّةُ أُمُّ الزَّبِيرِ بْنِ الْعَوَامِ، وَاخْتَلَفَ فِي إِسْلَامِ عَاتِكَةَ وَأُرْوَى.

وَأَمَّا أَوْلَادُهُ، فَأَوْلَاهُمْ الْقَاسِمُ، وَبِهِ كَانَ يَكْنَى، مَاتَ طِفْلًا.

وَزَيْنَبُ، قِيلَ: هِيَ أَكْبَرُ أَوْلَادِهِ، ثُمَّ رَقِيَّةُ وَأُمُّ كَلْثُومِ ثُمَّ فَاطِمَةُ وَهِيَ أَصْغَرُهُنَّ، وَقِيلَ غَيْرَ ذَلِكَ. ثُمَّ وُلِدَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ وَكَانَ يُقَالُ لَهُ الطَّيِّبُ وَالطَّاهِرُ، وَكُلُّهُمُ مِنْ خَدِيجَةَ، ثُمَّ وُلِدَ لَهُ إِبْرَاهِيمُ مِنْ مَارِيَةَ الْقُبْطِيَّةِ، وَكُلُّهُمْ تُوْفُوا فِي حَيَاتِهِ إِلَّا فَاطِمَةَ، فَعَاشَتْ بَعْدَهُ سِتَّةَ أَشْهُرٍ، وَكُلُّ هَذَا لَا خِلَافَ فِيهِ.

وَبِهَذَا تَمَّ قَسْمُ السَّيْرَةِ وَالشَّمَائِلِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بِنِعْمَتِهِ تَمَّ الصَّالِحَاتِ.

وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَزَوْجِهِ وَأَتْبَاعِهِ أَبَدَ الْأَبْدِينَ.

فِي كِتَابِ السَّيْرَةِ الْعَطْرَةِ مِنَ الْأَحَادِيثِ الزَّائِدَةِ عَلَى الصَّحِيحِينَ مَائَتَانِ وَبِضْعَةَ عَشَرَ حَدِيثًا، وَيَلِيهِ الْمَنَاقِبُ وَالْفَضَائِلُ.





فهرس الأحداث العامة

الصفحة	الموضوع
٨	نسبه الشريف
٢٧	مولده
٣١	رضاعه
٣٧	وفاة أمه
٤٨	تزوج به خديجة
٥٧	بعثته وبدء الوحي
١١٩	وفاة خديجة
١٣٧	بيعة العقبة
١٤٦	الهجرة إلى المدينة
١٥٢	حديث الهجرة
١٧١	السنة الأولى
١٨٢	بناؤه بعائشة
١٨٨	نزول الإذن بالقتال
١٨٩	المغازي وعددها
١٩١	السنة الثانية
١٩٦	غزوة بدر الكبرى
٢٥٢	السنة الثالثة
٢٥٦	غزوة أحد
٣٠٤	السنة الرابعة

الفهرس المفصل

الصفحة	الموضوع
٥	المقدمة
٧	كتاب السيرة النبوية
٨	نسبه الشريف وطهارة أصله ﷺ
١٣	البشارة بالنبى ﷺ على لسان إبراهيم وعيسى عليهما السلام
١٤	البشارة به ﷺ في التوراة والإنجيل
١٦	تبشير اليهود والأخبار والرهبان به ﷺ
٢٤	فوائد هذه الأحاديث
٢٦	إخبار الكهّان ببعثته ﷺ
٢٧	مولده ﷺ
٢٨	من فوائد هذه الأحاديث
٣١	خاتمة
٣١	ذكر رضاعه ﷺ وما حصل له أيامه
٣٧	وفاة أمّه آمنه بنت وهب وكفالة جده ﷺ وموته وكفالة عمّه أبي طالب
٤٠	نشأته على مجانبة أمور الجاهلية وحفظه من آفات الشباب
٤٣	رعيه الغنم في صغره ﷺ
٤٤	سفره ﷺ مع عمّه أبي طالب إلى الشام وقصة بَجِيرَا الراهب
٤٦	حضور النبي ﷺ حلف الفضول
٤٨	تزوج رسول الله ﷺ خديجة رضي الله تعالى عنها
٥٠	مشاركة النبي ﷺ في بناء الكعبة مع قريش

الصفحة	الموضوع
٣٢٠	السنة الخامسة
٣٢٥	حادث الإفك
٣٢٧	غزوة الخندق
٣٥٦	السنة السادسة
٣٦٣	غزوة الحديبية وبيعة الرضوان
٣٨٢	السنة السابعة
٣٨٨	غزوة خيبر
٤٣٢	عمرة القضاء
٤٣٨	السنة الثامنة
٤٣٩	مكاتبته إلى الملوك
٤٤٣	غزوة مؤتة
٤٥٤	فتح مكة المكرمة
٤٥٧	فتح مكة المكرمة
٤٧٥	غزوة حنين
٤٩٣	السنة التاسعة
٤٩٥	غزوة تبوك
٥٢٢	عام الوفود
٥٤٢	السنة العاشرة
٥٤٢	حجة الوداع
٥٤٥	السنة الحادية عشرة
٥٤٦	بداية مرض نبي الله ﷺ
٥٥٣	آخر لحظاته من الدنيا
٥٧٠	شمائله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ومجد وكرم وشرف وعظم



الصفحة	الموضوع
١١١	الانتقام من المستهزئين برسول الله ﷺ
١١٣	قصة ابن أم مكتوم الأعمى مع النبي ﷺ
١١٤	دعاء النبي ﷺ على قريش لما استعصوا
١١٥	قصة غلبة الروم والرهان بين الصديق وبين قريش
١١٦	أبو طالب: وفاته وترجمته ومآله
١١٩	وفاة خديجة وتزوج الرسول ﷺ بعائشة وسودة
١٢١	خروج النبي ﷺ إلى الطائف
١٢٤	خروج الصديق مهاجراً إلى الحبشة ورجوعه في جوار ابن الدغنة
١٢٧	الإسراء والمعراج
	عرض رسول الله ﷺ نفسه على القبائل العربية في الأسواق ومواسم
١٣٢	الحج ووفود الأنصار عليه ﷺ
	قدوم الأنصار لأول مرة يلقون فيها رسول الله ﷺ وذكر بيعة العقبة
١٣٤	الأولى
١٣٦	بدء إسلام الأنصار رضي الله تعالى عنهم
١٣٧	بيعة العقبة الأولى
	إرسال الرسول ﷺ مُصَعَّبَ بن عُمَيْرَ إلى المدينة وانتشار الإسلام فيها
١٣٨	بسببه
١٤١	بيعة العقبة الثانية
١٤٦	الهجرة إلى المدينة: رؤيا الرسول ﷺ دار هجرته في منامه
١٤٧	أول من هاجر إلى المدينة من الصحابة
١٤٧	ما أصاب أبا سلمة وزوجته من البلاء
١٥٠	هجرة الرسول ﷺ إلى المدينة المنورة
	مؤامرة كفار قريش على قتل النبي ﷺ وخروجه من بين أظهرهم ولحقوه
١٥٠	والصديق بالغار
١٥٢	تعمية الكفار عن إبصار رسول الله وأبي بكر في الغار
١٥٢	حديث هجرة النبي ﷺ
١٥٣	رسول الله ﷺ والصديق في الغار ثلاث ليال

الصفحة	الموضوع
٥٤	تسليم الحجر على النبي ﷺ قبل المبعث
٥٥	خاتمة
٥٧	بعثة النبي ﷺ وبدء الوحي والمرحلة الأولى المكية، عمره ﷺ يوم بُعث
٥٨	بداية الوحي وصفته
٦٦	صفة الوحي وكيف كان يتلقاه النبي ﷺ؟
٦٩	بداية الدعوة
٧٠	مراحل الدعوة في حياة النبي ﷺ
٧٠	السابقون إلى الإسلام وأول من أسلم منهم
٧٣	الجهر بالدعوة إلى الله تعالى
٧٦	الإيذاء لرسول الله ﷺ
٨٦	إيذاء صحابة رسول الله ﷺ وعدوان المشركين عليهم
٨٩	الوليد بن المغيرة وقوله في القرآن
٩٠	تفاوض قريش مع نبي الله ﷺ
٩٣	اقتراح كفار قريش على النبي ﷺ الآيات
٩٣	انشقاق القمر
٩٤	اقتراحهم عليه أن يجعل لهم الصفا ذباً
٩٥	إسلام حمزة عم النبي ﷺ
٩٦	إسلام أبي ذر رضي الله تعالى عنه
٩٧	إسلام ضِمَادِ الأَزْدِيِّ
٩٨	إسلام الجن
٩٩	تحطيم رسول الله والإمام عليّ الأصنام وتلطيفها بالعدرة
١٠٠	الهجرة إلى الحبشة
١٠٥	الهجرة الثانية
١٠٦	من فوائد حادث الهجرة إلى الحبشة وعيبره
	أحداث وقعت بين الهجرة إلى الحبشة وبين الإسراء: إسلام عمر بن
١٠٧	الخطاب رضي الله تعالى عنه
١٠٩	حصار النبي ﷺ ومن كان معه من بني هاشم وبني المطلب في الشَّعْبِ

الصفحة	الموضوع
١٩٠	أولى غزواته ﷺ
١٩٠	غزوة الأبواء
١٩٠	سرية حمزة
١٩١	أحداث السنة الأولى
١٩١	السنة الثانية غزوة بواط
١٩٢	غزوة العُشَيْرَة (٢)
١٩٢	غزوة بدر الأولى
١٩٣	سرية عبدالله بن جحش
١٩٤	تحويل القبلة
١٩٥	فرضية صوم رمضان
١٩٦	غزوة بدر الكبرى وما يتعلق بها، تاريخ الغزوة
١٩٦	بعثه ﷺ من يتجسس على قافلة قريش
١٩٧	سبب الغزوة وندب الرسول المسلمين إلى الخروج من غير إلزام
١٩٨	مشاورة رسول الله ﷺ أصحابه في المدينة قبل الخروج
١٩٩	عدد أصحاب بدر وقلة مراكبهم
٢٠١	ردّه ﷺ عن الخروج من لم يحتلم
٢٠٢	عدم استعانته ﷺ بالمشرك
٢٠٢	رؤيا عاتكة بنت عبد المطلب وإنذار ضمضم لقريش
٢٠٥	خوف أمية بن خلف من الخروج لبدر وقصته مع سعد بن معاذ
٢٠٦	كم كان عدد المشركين في بدر وبيان بعض من خرج من صناديدهم
٢٠٨	إخبار النبي ﷺ بمصارع القوم
٢٠٨	استشارته ﷺ الصحابة مرة ثانية
٢١٠	رسول الله ﷺ يدعو الله عز وجل ويتضرع إليه ليلة بدر
٢١٢	بداية المعركة والأمر في البداية بالرمي
٢١٢	المبارزة
٢١٤	رمي النبي ﷺ كفاً من الحصى في وجوه الكفار فانهزموا
٢١٤	مشاهد وأحداث من وقعة بدر، صنيع عمير بن الحُمام وقتاله

الصفحة	الموضوع
١٥٤	قصة سراقه مع رسول الله ﷺ والصديق
١٥٥	أهل المدينة ينظرون رسول الله ﷺ
١٥٥	وصول رسول الله ﷺ إلى المدينة وتاريخ ذلك
١٥٦	غريب الحديث
١٥٧	استراحته عند صخرة في القائلة وشربه اللبن
١٥٨	حديث أم مَعْبِد الخزاعية
١٦٤	رسول الله ﷺ بقاء وتأسيسه مسجده
	دخول رسول الله ﷺ المدينة وفرح أهلها بقدمه ونزوله على أبي أيوب
١٦٥	الأنصاري
١٦٦	سكناه ﷺ بدار أبي أيوب الأنصاري وتأدبه معه وتبرّكه بآثاره
	خلاصة ما تقدم من المبعث إلى نهاية الهجرة من الأعمال النبوية
١٦٧	والأحداث
	المرحلة الثانية من حياة النبي ﷺ: السنة الأولى من الهجرة وحوادثها؛
١٧١	التاريخ
١٧٢	مجيء عبدالله بن سلام إلى النبي ﷺ وإسلامه
١٧٣	بناء المسجد النبوي الشريف
١٧٦	فرضية الصلاة أربعاً بالمدينة وإيقاء صلاة السفر على أصلها
١٧٦	إسلام سَلْمَان الفارسي
١٧٧	المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار
١٧٩	مبايعة النبي ﷺ نساء الأنصار
١٨٠	مرض بعض الصحابة مَقْدَمُهُم المدينة ودعاء النبي ﷺ في ذلك
١٨١	أول مولود في الإسلام في المدينة للمهاجرين
١٨٢	بناؤه ﷺ بعائشة رضي الله تعالى عنها
١٨٤	بَدْءُ الأَدَانِ بالمدينة
١٨٥	مَتَاوَأَةُ اليهود والمنافقين للنبي ﷺ
١٨٨	نزول الإذن من الله بالقتال
١٨٩	المغازي وعدد غزوات النبي ﷺ

الصفحة	الموضوع
٢٥٦	غزوة أحد تاريخ الوقعة وسببها
٢٥٧	رؤياه ﷺ في شأن أحد وما سيحصل فيها ومشاورته أصحابه في الخروج وعدمه
٢٦٠	استعداده ﷺ بلبس درعين من حديد
٢٦١	من رده النبي ﷺ يوم أحد من الأطفال
٢٦١	خذلان عبدالله بن أبي رسول الله ﷺ، ورجوعه من الطريق بنحو من ثلاثمائة نفر من المنافقين
٢٦٣	ما قبل المعركة ودعاء النبي ﷺ عندها
٢٦٤	كيف هباً النبي ﷺ الجيش وسواه، وبداية المعركة وما حصل أولها من النصر ثم الهزيمة، وما وقع وقيل في ذلك
٢٦٨	مشاهد مختلفة من المعركة: رجلا ن يدعوان فيستجاب لهما
٢٦٩	أنس بن النضر وشجاعته وشهادته
٢٧٠	استشهاد سعد بن الربيع وبه سبعون ضربة
٢٧١	قتيل شهيد تغسله الملائكة
٢٧١	رجل استشهد ودخل الجنة ولم يصل قط
٢٧٢	عمرو بن الجموح وبشارته بالجنة، وصحة رجله العرجاء
٢٧٢	عبدالله بن حرام والد جابر تظلل الملائكة ويكلمه الله عز وجل
٢٧٣	كفاحاً
٢٧٤	قصة مقتل حمزة سيد الشهداء رضي الله تعالى عنه
٢٧٧	قتل مصعب بن عمير أول مهاجر في الإسلام
٢٧٩	ما حل برسول الله ﷺ في هذه الغزوة من النكبات
٢٨١	دعاء رسول الله ﷺ على كفار أحد ولعنه إياهم
٢٨١	دفاع الأبطال عن رسول الله ﷺ، الأنصار السبعة
٢٨٢	دفاع طلحة بن عبيدالله بعد قتل جماعة
٢٨٤	دفاع سعد بن أبي وقاص
٢٨٥	أبو طلحة الأنصاري وشهامته
٢٨٦	نزول الملائكة وقتالها دون النبي ﷺ
٢٨٦	دور النساء الصحابيات في أحد

الصفحة	الموضوع
٢١٥	الزبير بن العوام وعبيدة بن سعيد
٢١٦	استشهاد حارثة بن سراقة
٢١٦	شجاعة رسول الله ﷺ يوم بدر
٢١٧	قتال سعد بن أبي وقاص
٢١٧	استفتاح أبي جهل يوم بدر ثم مصرعه
٢٢٠	مصراع أمية بن خلف
٢٢١	شهود الملائكة غزوة بدر وقتالهم مع المسلمين
٢٢٤	عدد القتلى والأسارى من المشركين يوم بدر
٢٢٤	قذف القتلى في القليب ووقوف النبي ﷺ عليهم ونداؤه إياهم بأسمائهم
٢٢٦	هزيمة الكفار واختلاف الصحابة في الغنائم
٢٢٨	الأسارى والاختلاف في شأنهم
٢٣٠	قدوم زيد بن حارثة المدينة مبشراً بالنصر
٢٣١	فداء الأسارى وقتل عقبة بن أبي معيط في الطريق إلى المدينة
٢٣٢	قتل عقبة بن أبي معيط في الطريق
٢٣٣	قصة العباس في أسره وفدائه
٢٣٤	العفو عن أبي العاص زوج زينب بنت رسول الله ﷺ
٢٣٥	كيف تلقى قريش خبر هزيمتهم ببدر
٢٣٧	أهل بدر لن يدخلوا النار وإن فعلوا ما فعلوا إلا أن يشركوا
٢٣٨	أسماء من شهد بدرأ من المهاجرين والأنصار
٢٣٩	خلاصة ما اشتملت عليه غزوة بدر
٢٤٣	أحداث وقعت بين بدر وأحد: غزوة بني قينقاع
٢٤٦	غزوة السويق
٢٤٧	زواج علي وفاطمة رضي الله تعالى عنهما
٢٥١	أحداث السنة الثانية
٢٥٢	السنة الثالثة مقتل كعب بن الأشرف
٢٥٥	تزوج رسول الله ﷺ حفصة بنت عمر رضي الله تعالى عنهما
٢٥٦	تزوج سيدنا عثمان بن عفان بأم كلثوم بنت النبي ﷺ

الموضوع	الصفحة
امرأة أصيب أبوها وأخوها وزوجها ولم تبال بذلك وتسال عن رسول الله ﷺ	٢٨٧
طريقة دفن الشهداء والصلاة عليهم وعددهم وأسمائهم، الأمر بدفنهم في مضاجعهم	٢٨٨
كيفية دفن الشهداء وهل يصلّى عليهم وكيف يُكفّنون؟	٢٨٩
ثناء النبي ﷺ على ربّه ودعاؤه بعد انتهاء المعركة	٢٩٢
الشهداء أحياء عند ربّهم يرزقون	٢٩٣
عدد شهداء أحد وبعض أسمائهم	٢٩٤
خلاصة هذه الغزوة	٢٩٥
غزوة حمراء الأسد	٣٠١
بعض حوادث هذه السنة غير ما سبق: تزوّجه ﷺ بزَيْنَبِ بِنْتِ خُزَيْمَةَ ..	٣٠٢
ولادة الحسن بن عليّ وفاطمة عليهم السلام	٣٠٣
تحريم الخمر	٣٠٣
السنة الرابعة اغتيال خالد بن سفيان الهذليّ على يد عبدالله بن أبيّس ..	٣٠٤
قصة أصحاب الرجيع	٣٠٦
قصة القراء السبعين بيثر معونة	٣٠٩
غزوة بني النضير	٣١٢
فوائد القصة وأحكامها	٣١٥
غزوة بدر الثانية	٣١٧
زواجه ﷺ بأمّ سلمة رضي الله تعالى عنها	٣١٨
ولادة الإمام الحسين عليه السلام	٣٢٠
خلاصة أحداث السنة الرابعة	٣٢٠
السنة الخامسة غزوة بني المصطلق أو غزوة المريسيع	٣٢٠
زواجه ﷺ بجويرية	٣٢٣
محاولة المنافقين إثارة الفتنة بين المسلمين	٣٢٣
حادث الإفك	٣٢٥
ريح شديدة تهب لموت عظيم من المنافقين	٣٢٦

الموضوع	الصفحة
غزوة الخندق ويقال لها الأحزاب، حفر الخندق	٣٢٧
معجزتان في حفر الخندق	٣٣٠
موقع المشركين في غزوة الخندق من المسلمين	٣٣٢
من مشاهد المعركة	٣٣٢
محاولة بعض الكفار إيذاء النساء والذراري	٣٣٣
انشغال المسلمين عن الصلاة حتى غابت الشمس	٣٣٤
دعاء النبي ﷺ على الكفار واستجابة دعوته	٣٣٦
تبشير النبي ﷺ أصحابه بأن الكفار لا يغزونهم بعد الأحزاب	٣٤٠
وضع النبي ﷺ سلاحه بعد رحيل الكفار واغتساله واستجماره	٣٤٠
خلاصة غزوة الأحزاب وبعض ما يؤخذ منها	٣٤١
شهداء الخندق	٣٤٣
غزوة بني قريظة	٣٤٣
موت سعد بن معاذ	٣٤٦
نهاية اليهود من المدينة وما نزل بهم	٣٤٧
قتل يهودية واحدة من قريظة	٣٤٧
فوائد أحاديث هذه الغزوة	٣٤٨
من نتائج ورائة أرض قُرَيْظَةَ والنَّضِير	٣٥٠
زواجه ﷺ بزَيْنَبِ بِنْتِ جَحْش، إرسال زيد بن حارثة لخطبتها للرسول عليه السلام	٣٥١
خلاصة ما وقع في السنة الخامسة من الأحداث	٣٥٦
السنة السادسة مقتل أبي رافع بن أبي الحقيقّ اليهودي لعنه الله تعالى ..	٣٥٦
قصة ثمامة بن أثال الحنفيّ	٣٥٩
غزوة بني لحيان	٣٦٠
قصة عُكْلٍ وَعُرَيْتَةَ	٣٦٢
غزوة الحديبية وبيعة الرضوان ومصالحة المشركين، وقت الحديبية	٣٦٣
عدد أصحاب الحديبية وبيعة الرضوان	٣٦٤
سياق قصة الحديبية والصلح والبيعة وما يتبع ذلك	٣٦٤

٤٠٨ حديث الحجاج بن علاط مع العباس وأهل مكة
٤١٠ رجوع رسول الله ﷺ من خيبر وقصة الغال من الغنيمة
٤١١ نوم الصحابة عن صلاة الفجر حتى طلعت الشمس
٤١٤ عودة مهاجري الحبشة وقسمة الرسول لهم من المغانم وما جاء في فضلهم رضي الله تعالى عنهم
٤١٦ رفع الصحابة أصواتهم بالتكبير عند قفولهم ونهي النبي عن ذلك
٤١٦ رد المهاجرين المنافع التي أعطاهم الأنصار إياها
٤١٨ شبع الصحابة من التمر بعد فتح خيبر
٤١٨ تأمير النبي ﷺ على أهل خيبر أحد الأنصار
٤١٨ خلاصة ما جاء في غزوة خيبر بإيجاز
٤١٩ فتح وادي القرى وصلح أهل فذك وتيماء
٤٢٠ سرية أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه إلى نجد قبل بني قزارة
٤٢١ سرية غالب بن عبد الله الليثي إلى الحُرقات من جهينة
٤٢٢ سرية أخرى لغالب الليثي لبني الملوّح بالكديد
٤٢٤ سرية بطن إضم
٤٢٥ سرية عبدالله بن حذافة السهمي
٤٢٦ غزوة ذات الرقاع
٤٢٨ من أحداث هذه الغزوة: صلاة الخوف
٤٢٨ محاولة غورث اغتيال النبي ﷺ
٤٣٠ قصة الحارسين مع المشرك
٤٣١ قصة جمل جابر مع النبي ﷺ
٤٣٢ عمرة القضاء وما حصل فيها من أحداث
٤٣٦ تزوجه ﷺ بميمونة
٤٣٧ تزوجه ﷺ بأم حبيبة
٤٣٧ خلاصة ما وقع من أحداث في السنة السابعة
٤٣٨ السنة الثامنة: مكاتبه ﷺ إلى الملوك والرؤساء يدعوهم إلى الإسلام
٤٣٩ رسالته عليه السلام إلى هرقل ملك الروم

٣٧٠ شرح غريب حديث المسور وغيره
٣٧٥ بيعة الرضوان
٣٧٧ نزول سورة الفتح
٣٧٧ تفجير البئر التي نصبت بالحديبية ببركة النبي ﷺ
٣٧٨ فوران الماء من بين أصابعه ﷺ
٣٧٩ نمو الطعام والماء ببركة النبي ﷺ
٣٨٠ في أعقاب الحديبية وامتحان النساء المهاجرات
٣٨١ خلاصة ما وقع من الأحداث في السنة السادسة
٣٨٢ السنة السابعة غزوة ذي قرد وهي غزوة الغابة
٣٨٦ قصة المرأة المسلمة التي أُسِرَتْ مع العضباء ناقة رسول الله ﷺ
٣٨٨ غزوة خيبر: تاريخ وقوعها
٣٨٩ استخلافه ﷺ على المدينة سبأ بن عُزَظَة
٣٨٩ خروجه ﷺ ليلاً وحذاء عامر بن الأكوع وفتحهم خيبر
٣٩١ طعامهم في طريقهم إلى خيبر
٣٩٢ مفاجأة المسلمين يهود خيبر في الصباح
٣٩٣ حملة راية النبي ﷺ
٣٩٤ الأعرابي الشهيد
٣٩٥ رجل شجاع يقاتل مع المسلمين يموت وماله النار
٣٩٧ رجل يغل من الغنيمة فيموت فلا يصلّي عليه النبي ﷺ
٣٩٨ تحريم المتعة والحمر الأهلية بخيبر
٣٩٨ إباحة شحم أهل الكتاب، وجواز أكل المجاهد ما يحتاجه من طعام الكفار
٣٩٩ شأن اليهود بعد انهزامهم وما آل إليه أمرهم
٤٠١ قصة صفية بنت حُيَيٍّ وسببها وتزوج النبي ﷺ بها
٤٠٤ وضع اليهود السم للنبي ﷺ في الشاة
٤٠٦ كيف قسم رسول الله ﷺ غنائم خيبر
٤٠٧ سهم ذوي القربى

الصفحة	الموضوع
٤٧٨	بشارة النبي ﷺ أصحابه بغنائم هوازن
٤٧٩	غزوة أوطاس
٤٨٠	غزوة الطائف
٤٨٢	تقسيم غنائم حُنين وإعطاء المؤلفة قلوبهم ومقالة الأنصار في ذلك وقول النبي ﷺ لهم
٤٨٥	مجيء هوازن مسلمين وردة السبي عليهم
٤٨٦	فوائد غزوة حنين وما يتبعها وما في ذلك من عبر وحكم ودروس
٤٩٠	عمرته ﷺ من الجعترانة
٤٩١	سرايا ذكرها علماء المغازي هاهنا في هذه السنة ليست لها أسانيد معتمدة
٤٩٢	خلاصة ما وقع في السنة الثامنة من أحداث
٤٩٣	السنة التاسعة: جمع الصدقات
٤٩٤	إسلام عدي بن حاتم الطائي
٤٩٥	غزوة تبوك وهي غزوة العسرة وهي آخر غزواته ﷺ، إخباره ﷺ عن وجهة خروجه لتبوك
٤٩٦	أمر النبي ﷺ بالصدقة والإنفاق استعداداً للغزوة ولإعداد الجيش
٤٩٧	البيكؤون الذين استخملوا النبي ﷺ فلم يجد ما يحملهم عليه
٤٩٨	تاريخ خروجه ﷺ إلى تبوك
٤٩٨	تشجيع الإمام عليّ النبي ﷺ واستخلافه على أهل البيت
٤٩٩	مروره ﷺ على الحجر؛ بلاد ثمود وأمره بالبكاء عند الدخول إليها ونهيبهم عن الشرب... من مانها
٥٠٠	بعض ما أصاب الصحابة في طريقهم لتبوك من الشدة والفرج
٥٠٢	مروره ﷺ على حديقة امرأة بوادي القرى، وإخباره بهبوب ريح عاصفة بتبوك، ونهيه أصحابه عن القيام
٥٠٣	قصة عين تبوك وما وقع فيها من بركة النبي ﷺ وإخباره عن تبوك بأنها ستصبح جناناً
٥٠٤	مدة إقامته ﷺ بتبوك
٥٠٤	إهداء ملك أيلة للنبي ﷺ بغلة

الصفحة	الموضوع
٤٤٠	رسالته ﷺ إلى كسرى ملك الفرس
٤٤٠	رسالته ﷺ إلى المقوقس حاكم مصر
٤٤١	إسلام عمرو بن العاص وخالد بن الوليد
٤٤٣	غزوة مؤتة
٤٤٧	غزوة ذات السلاسل
٤٥١	غزوة سيف البحر وهي غزوة جيش الحَظ
٤٥٤	الفتح الأكبر فتح مكة المكرمة: وقت هذه الغزوة
٤٥٥	رسالة حاطب بن أبي بلتعة إلى كفار قريش
٤٥٧	سياقة قصة الفتح وما حصل قبله وعنده وبعده من أحداث، كتمان الرسول وجهته عن أصحابه
٤٥٧	إسلام أبي سفيان بن الحارث وعبدالله بن أبي أمية وأبي سفيان بن صخر قبل الفتح
٤٦٠	دخول النبي ﷺ من كدَاء بأعلى مكة ورُكزت الراية بالحجُون
٤٦١	كيف رتب النبي ﷺ الجيش عند دخوله مكة وماذا قال لهم وما صدر من الأنصار بعد الفتح وماذا قال لهم النبي ﷺ وطوافه بالبيت
٤٦٣	الإذن لرسول الله ﷺ بالقتال بمكة وتحطيمه الأصنام ودخوله الكعبة وصلاته بها
٤٦٦	إسلام والد أبي بكر الصديق، ومن أهدر رسول الله دماءهم وإجارة أم هانيء رجلين من أقاربها واغتسال النبي ﷺ بعد الفتح وصلاته ثمان ركعات
٤٦٨	مبايعة النبي ﷺ الناس يوم الفتح
٤٦٩	لا تُغزى مكة بعد فتحها، ولا يُقتل قرشي صبراً بعد ذلك
٤٧٠	مدة إقامته ﷺ بمكة بعد الفتح
٤٧٠	خلاصة ما جاء في أحاديث الفتح وما فيها من فوائد
٤٧٣	من فوائد أحاديث الفتح
٤٧٤	بَعَثَ النبي ﷺ خالداً إلى بني جَدِيمَةَ
٤٧٥	غزوة حُنين: مشاهد من الغزوة وانهزام بعض الصحابة ثم وقوع النَّصْر

- ٥٠٥ قصة أكيدر صاحب دومة الجندل وإهداؤه للنبي ﷺ حلة من سندس ...
- ٥٠٦ استهزاء المنافقين بآيات الله وبرسوله ويقراء المؤمنين
- ٥٠٧ محاولة المنافقين اغتيال رسول الله ﷺ
- ٥٠٨ معجزة النبي ﷺ في طريقه إلى المدينة من غزوة تبوك
- ٥٠٩ ما قاله ﷺ حين أشرف على المدينة مرجعه من تبوك
- ٥١٠ استقبال الناس النبي عليه السلام عند قدومه عند ثنية الوداع
- ٥١٠ حديث كعب بن مالك في توبته وتوبة صاحبيه وما فيه من عبر وفوائد ..
- ٥١٦ بيان غريب ما في الحديث
- ٥١٦ خلاصة غزوة تبوك وما فيها من فوائد وعبر
- ٥١٨ قدوم وفد ثقيف على النبي ﷺ بالمدينة
- ٥٢٠ تأمير النبي ﷺ عثمان بن أبي العاص على الطائف
- حجّ أبي بكر بالناس في السنة التاسعة وإردافه بالإمام علي رضي الله
- ٥٢١ تعالى عنهما
- ٥٢٢ وفود القبائل العربية على النبي ﷺ في السنة التاسعة
- ٥٢٣ وفد بني تميم
- ٥٢٤ وفد بني عامر
- ٥٢٥ وفد ضمّام بن ثعلبة عن قومه بني سعد بن بكر
- ٥٢٦ وفد عبد القيس
- ٥٢٧ شغل وفد عبد القيس النبي ﷺ عن راتبة الظهر
- ٥٢٩ وفد بني حنيفة وخبر مسيلمة الكذاب والأسود العنسي
- ٥٣٠ وفد الأشعريين
- ٥٣١ وفد مُزَيِّنَة
- ٥٣١ وفد دؤس قوم أبي هريرة رضي الله تعالى عنه
- ٥٣٢ وفد نَجْرَان
- ٥٣٣ وفد كندة والأشعث بن قيس
- ٥٣٤ قُدوم جَرِير بن عبد الله البجلي
- ٥٣٥ بعث النبي ﷺ جريراً لِتَحْرِيبِ ذِي الْخَلْصَةِ

- بعث النبي ﷺ بُعوثاً إلى اليمَن للدَّعْوَةِ إلى الله تعالى، إرسال عليّ وخالد
- ٥٣٦ إلى هَمْدان
- ٥٣٧ إرسال معاذ وأبي موسى إلى اليمن
- ٥٣٨ وصية النبي ﷺ معاذاً عند إرساله إلى اليمن
- ٥٣٩ خروج النبي ﷺ مع معاذ يودّعه ويخبره بأنه لن يراه بعد
- ٥٤٠ من أحداث هذه السنة (٩) هلاك ابن أبي المنافق
- ٥٤١ خلاصة ما وقع في السنة التاسعة من أحداث
- ٥٤٢ السنة العاشرة حجة الوداع
- ٥٤٢ بعض خطبه ﷺ في هذه الحجة غير ما تقدم
- ٥٤٥ السنة الحادية عشرة: بعث النبي ﷺ أسامة بن زيد إلى فلسطين
- ٥٤٦ بداية مرضه ﷺ ووفاته
- ٥٤٨ اهتمامه ﷺ بالصلاة وأمره أبا بكر أن يصلي بالناس
- ٥٥٠ اجتماع نسائه عنده ﷺ ومساررتة لمولاتنا فاطمة ابنته عليها السلام
- ٥٥٠ محاوراة عليّ والعباس في شأن الولاية
- ٥٥١ إيتوني بكتاب أكتب لكم كتاباً لا تضلّوا بعدي
- ٥٥٢ اشتداد المرض عليه ﷺ وما حصل له بعد ذلك وما كان يقول
- ٥٥٣ من آخر وصاياه
- ٥٥٣ خروجه على الصحابة وابتسامه ثم دخوله فلم يخرج إلى يوم القيامة
- ٥٥٣ آخر لحظاته من الحياة وموته عند سيّدتنا عائشة
- ٥٥٤ خلاصة هذه الأحاديث في مرضه وموته ﷺ
- ٥٥٧ ما بعد موته ﷺ
- ٥٥٩ كيف غسل رسول الله ومن تولى ذلك
- ٥٦٠ كيف كفن وكيف صلي عليه وأين دفن؟
- ٥٦٢ كيف حفر قبره ومن تولى دفنه ومتى دفن
- ٥٦٣ من آثار وفاته ﷺ على الصحابة
- ٥٦٤ ميراث النبي ﷺ
- ٥٧٠ جملة من صفات النبي ﷺ وشمائله وأخلاقه

٥٧١	صفة خَلْقِ رسولِ الله ﷺ الظاهرةُ
٥٧٨	صفة خاتم النبوة
٥٨٠	شعره ﷺ وشيبهه وخضابه وترجله
٥٨٥	طيب عرقه ﷺ وتعطره
٥٨٧	كلامه ﷺ في الشعر وغيره
٥٩٠	ضحك رسول الله ﷺ ومزاحه ﷺ
٥٩٣	جُلُوسُهُ وَأَتْكَأُوهُ ﷺ
٥٩٤	خَفِّهِ وَنَعْلَهُ ﷺ
٥٩٦	صفة مشيه ﷺ
٥٩٧	عيشه ﷺ
٥٩٨	خبز رسول الله ﷺ
٥٩٩	فراش رسول الله ﷺ
٦٠١	أخلاقه ﷺ
٦٠٢	حُسْنُ عَشْرَتِهِ وَمَعَامَلَتِهِ الطَّيِّبَةَ
٦٠٣	حلمه ﷺ وعفوه مع المقدرة
٦٠٤	جوده وسخاؤه وكرمه ﷺ
٦٠٥	شجاعته ﷺ
٦٠٦	حياؤه ﷺ
٦٠٧	وفاؤه ﷺ وحسن عهده وصلة رحمه
٦١٠	تواضعه ﷺ
		خاتمة هامة تتضمن أسماء زوجاته - ﷺ - مواليه، وخدامه، وكتابه،
٦١٥	وأعمامه، وعمّاته، وأولاده
٦١٩	فهرس الأحداث العامة
٦٢١	الفهرس المفصل



إِتْحَافٌ لِأَهْلِ الْوَفَا

بِتَهْدِيَةِ

كِتَابِ السِّيَرِ

بِتَعْرِيفِ حُقُوقِ الْمُصْطَفَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

لِلْإِمَامِ الْقَاضِي عِيَّاضِ أَيْحَصِبِيِّ

تَأليف

الشيخ عبد الله بن عبد الفتاح دار الثليدي

حَفِظَهُ اللهُ تَعَالَى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا
مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَبُرُوكِهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ
الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ
مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾ [آل عمران : ١٦٤].

﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا
عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَبُرُوكِهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا
مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ
وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣﴾ [الجمعة : ٢ ، ٣].

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٧﴾ ﴾
[الأنبياء : ١٠٧].

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿١﴾ ﴾ [القلم : ٤].
﴿ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا
النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ ۗ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾
[الأعراف : ١٥٧].

«إنما أنا رحمة مهداة» [حديث صحيح].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وكفى ، وسلام على عباده الذين اصطفى ، وعلى آله وأصحابه أهل الصفا والوفا .

وبعد : فهذا كتاب وضعته بتوفيق الله تعالى في تهذيب كتاب : «الشفاء بحقوق المصطفى» للإمام أبي الفضل القاضي عياض اليعصبى السبتي المغربي .

ونقّيته من كل ما يجب أن يجلّ عنه مقام النبوة الأشرف ، ولا ينبغي أن يضاف إلى جنبه المقدس ﷺ . وجعلت بين يدي الكتاب مقدمة هامة تشتمل على النقاط الآتية :

- شخصية الرسول الأعظم ﷺ .
- كلمة عن تاريخ ما ألف حول الرسول ﷺ عبر العصور .
- القاضي عياض ، وأقوال المؤرخين فيه ، وشيوخه ، ومعاصروه ، وآثاره .
- الشفا وما قيل فيه .
- منهج عياض في الشفا ، وخلاصة ما أودعه فيه .
- كلمة عمّا في الكتاب من ملاحظة .

– جملة من الأحاديث والأخبار الموضوعة والمنكرة وما لا أصل لها، التي ذكرت في الشفا وحذفتها.
– منهجي في تهذيب الشفا.

والله المسؤول أن ينفع به كما نفع بأصله، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، وأن يتقبله هديةً مني إلى هذا النبي العظيم، عليه منه وعلى آله وأصحابه أفضل الصلاة وأزكى التسليم، وحسبنا الله ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

المؤلف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين،
ورضى الله عن آله الطيبين وصحابته الأكرمين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم
الدين.

شخصية الرسول الأعظم ﷺ

كان لشخصية الحبيب المصطفى ﷺ الأثر العظيم في تربية الأجيال من
البشرية وتكوينهم وهدايتهم إلى ما يسعدهم.

فلقد تجسدت فيه ﷺ كمالات الكُمل، وأخلاق العظماء. هذه
الشخصية الفذة التي غيرت مجرى التاريخ، وصنعت الأمم، وبنيت
الحضارات، والتي تداخلت في حياتها وشخصيتها مظاهر البشرية والتربية
السامية.

فلسيرته ﷺ، وأخلاقه، وتاريخ جهاده، ومعالم نبوته، ومعجزاته،
وفضائله الدور الأول في بناء الإنسان وتوجيهه للخير، وربطه برب الأرض
والسما، وتبصيره بالمفاهيم والحقائق العليا بعد شرودٍ وضياغ، وانحرافٍ
واعوجاج. وقد تناولت هذه الشخصية العظيمة أقلام العلماء عبر الأجيال،
وكتبوا في جانبها المجلدات والأسفار، وجمعوا حولها كل ما طاب لهم أن

يجمعه مما له تعلق به ﷺ؛ فلهم الفضل العظيم على من جاء بعدهم من
اللاحقين فجزاهم الله خير الجزاء وأوفاه .

كلمة عن تاريخ ما ألف

حول الرسول ﷺ عبر العصور

لقد اهتم المسلمون منذ العصر الأول من فجر الإسلام، واعتنوا بنشر
سيرة الرسول ﷺ، وغزواته، وخصائصه، وأعلام نبوته، وأخلاقه،
وشمائله؛ بداية من عصر الصحابة رضوان الله عليهم، الذين حفظوا لنا أخبار
النبي ﷺ في جميع المجالات، وسيرته الذاتية بكل جوانبها على
الخصوص؛ وذلك عن طريق الخبر والرواية والحديث في بادئ الأمر، ثم
تبع ذلك مرحلة التدوين والتصنيف .

وكان عبد الله بن عمرو (ت ٦٣)، وعبد الله بن عباس (ت ٦٨)،
والبراء بن عازب (ت ٧٤) رضي الله تعالى عنهم ممن عرفوا بتخصصهم
— دون سائر الصحابة — في الحديث بغزوات النبي ﷺ وتدريسها
للناس . . .

ثم جاءت مرحلة التابعين، فنجد: عروة بن الزبير رضي الله تعالى
عنهما (ت ٩٢، ٩٣) يؤلف كتاباً في مغازي رسول الله ﷺ، ويتلوه أبان بن
عثمان رضي الله تعالى عنهما (ت ١٠٥)، ووهب بن منبه رحمه الله تعالى
(ت ١١٠)، وابن شهاب الزهري رحمه الله تعالى (ت ١٢٤)، فلكلّ منهم
كتاب «المغازي» .

ثم يتلوهم موسى بن عقبة رحمه الله تعالى (ت ١٤١) فألف «الغزوات
النبوية»، وهي أهم المغازي؛ كما قاله مالك والشافعي رحمهما الله .
ثم يأتي بعد هؤلاء إمام أهل المغازي: محمد بن إسحاق رحمه الله
تعالى (ت ١٥١) فجمع لنا كتابه الكبير: «السيرة النبوية» مستوعباً لذلك .

ثم يتلوه محمد بن عمر الواقدي (ت ٢٠٧) فيؤلف «المغازي».

ثم يتبعه كاتبه الإمام محمد بن سعد (ت ٢٣٠)، فيضع كتابه العظيم، المعروف بـ «طبقات ابن سعد» فيخصص فيه جناحًا لغزوات رسول الله ﷺ وشمائله وأخلاقه.

وعبد الملك بن هشام، هو الآخر (ت ٢١٣، ٢١٨) الذي اختصر سيرة ابن إسحاق وهذبها وزاد عليها زيادات تكميلية.

ثم جاء عصر التدوين العام للحديث النبوي الشريف فكتبت فيه: الجوامع، والسنن، والمسانيد... أوردوا في غضونهم الكثير الطيب من ذلك.

وخصصوا للجانب النبوي العزيز – ممن ألف على الكتب والأبواب والموضوعات – أجنحة خاصة، وكتبًا، وأبوابًا، ضمّنوها ما جاء في سيرة الرسول الكريم وحياته ﷺ، وغزواته، وفضائله، وأخلاقه، ودلائل نبوته.

فهذا البخاري رضي الله تعالى عنه (ت ٢٥٦) يترجم في صحيحه لكتاب «المناقب»، وكتاب «علامات النبوة»، وكتاب «المغازي» فيذكر فيها كل ما جاء على شرطه من الأحاديث النبوية في ذلك.

وتلميذه مسلم رضي الله تعالى عنه (ت ٢٦١) له في صحيحه: كتاب «الفضائل»، و «الجهاد والسير»، أورد فيها أحاديث كثيرة تتعلق بجانب النبي ﷺ.

وهكذا أبو عيسى الترمذي رضي الله تعالى عنه (ت ٢٦٩) له: كتاب «المناقب» آخر «جامعه»، و «شمائله المفردة» التي سارت بها الركبان.

وباقى أصحاب السنن: أبو داود (ت ٢٧٥) والنسائي (ت ٣٠٣)، وابن ماجه (ت ٢٧٣) رضي الله تعالى عنهم، قد رووا جمهرة ضخمة من

الأحاديث والآثار في المعجزات والخصائص، مفرقة في كتبهم.

وفي المسند للإمام أحمد رضي الله تعالى عنه (ت ٢٤١) ما يزيد على مائتي حديث في ذلك، ترجم لها الشيخ البنا رحمه الله تعالى في «الفتح الرباني»... وهكذا لم يخل كتاب من كتب السنة من الروايات في هذا الباب.

ثم إلى جانب هذا نجد الذين استوعبوا المعجزات والخصائص والشمائل، وقصدوا إلى جمعها كثيرين، ابتداء من المائة الثالثة: «كأعلام النبوة» لأبي داود السجستاني، ولابن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦)، و«دلائل النبوة» لأبي بكر الفريابي (ت ٣٠١)، و«شرف المصطفى» لأبي سعيد عبد الرحمن النيسابوري (ت ٣٠٧)، و«دلائل النبوة» لثابت السَّرْقُسْطِي (ت ٣١٣)، و«أعلام النبوة» لعبد الرحمن بن فُطَيْس القُرْطُبِي (ت ٤٠٢)، و«دلائل النبوة» لأبي نعيم الأصبهاني (ت ٤٣٠)، و«دلائل النبوة» للبيهقي (ت ٤٥٨)، و«أعلام النبوة» لأبي عمر يوسف بن عبد البر القرطبي (ت ٤٦٣) و«دلائل النبوة» لأحمد بن عمر بن الحارث المرِّي الدلائي (ت ٤٧٨)، و«دلائل النبوة» للماوردي (ت ٥٠٠)، و«شفاء الصدور في أعلام نبوة الرسول» لأبي الربيع سليمان بن سبع السبتي (ت ٥٢٠)، و«الشفاء بتعريف حقوق المصطفى»، وهو كتابنا هذا الذي نحن بصدد تهذيبه للقاضي عياض اليحصبي السبتي (ت ٥٤٤)، و«الوفاء في فضائل المصطفى» لابن الجوزي (ت ٥٩٧)، و«الآيات البيئات في المعجزات» لابن دحية السبتي (ت ٦٣٣) و«الخصائص النبوية» لأبي يوسف بن مسدي الغرناطي (ت ٦٦٣)، و«بداية السؤل في خصائص الرسول» لابن عبد السلام (ت ٦٦٠)، و«غاية السؤل في خصائص الرسول» لابن الملقن (ت ٨٠٤) و«الأنوار بخصائص النبي المختار» للحافظ ابن حجر

(ت ٨٥٣)، و «الخصائص والمعجزات» للحافظ السيوطي (ت ٩١١)،
و «المواهب اللدنية» للقسطلاني (ت ٩٢٣)، وهو كتاب عظيم جامع
للموضوع. إلى آخر الجريدة الطويلة.

وهذا بالإضافة إلى ما ذكر في بطون التواريخ: كابن جرير الطبري
(ت ٣١٠)؛ ومحبي الدين النووي (ت ٦٧٦) فقد ذكر في «تهذيب الأسماء
واللغات» أكثر من خمسين معجزة وكثيراً من الخصائص؛ وأبي الفداء ابن
كثير (ت ٧٧٤)، فقد خصص من كتابه «البداية والنهاية» قسمًا خاصًا للسيرة
النبوية ودلائل النبوة والشمائل المحمدية.

وهكذا تتابعت المسيرة في هذا المجال، فلا يحصى مَنْ كتب في هذا
الموضوع من السابقين واللاحقين حتى عصرنا هذا.

القاضي عياض

والقاضي عياض هو: أبو الفضل عياض بن موسى اليحصبي
الأندلسي الفاسي السبتي. كان أسلافه بالأندلس، ثم رحل جده عمرو،
أو عمر إلى مدينة فاس. ولما دخل بنو عبيد المغرب انتقل إلى مدينة سبتة،
وكان رجلاً موسراً؛ فاشترى بها أرضاً وبني عليها داراً ومسجداً جعله وقفاً
— وهو الآن كنيسة —.

وبسبته ولد عياض ونشأ وشب وشاب، وبها حفظ القرآن بعدة
قراءات، وقرأ العلوم العربية والأدبية، وعلم الكلام، والفقه، والأصول. ثم
رحل إلى الأندلس فأخذ عن أعلام قرطبة، ولازم أبا علي الصدفي الحافظ
بمرسية، وسمع عليه كثيراً. وحمل عن عدد كبير من جلة شيوخ العلم
والرواية في الأندلس. ثم رجع إلى بلده فولي قضاءها للمرابطين، كما ولي
لهم قضاء غرناطة ما يقارب سنة، ثم رجع لسبتة ليتولى قضاءها مرة ثانية.

ولما تولى الموحدون المغرب والأندلس بايعهم، ثم ما لبث أن قاد

الثورة مع أهل بلده سبته سنة ٥٤٣ على نظام الموحدين ، وقتلوا من كان بها من الموحدين وحرقوهم بالنار ، فسارع عبد المؤمن فحصر سبته ثم دخلها ؛ فراجع أهلها طاعته وجاءوا إليه تائبين ، فعفا عنهم وعن القاضي عياض ، ثم أخذه معه إلى مراکش وأمره بسكناها . وبقي بها إلى أن وافاه أجله المحتوم عام ٥٤٤ مغرباً عن وطنه ، رحمه الله تعالى وإيانا رحمةً واسعةً .

أقوال المؤرخين في عياض

وما حلّوه به من أوسمة

ترجم القاضي عياض الكثير من المؤرخين ، كولده محمد في تأليف خاص به ، وتلميذه ابن بشكوال في «الصلة» وابن الأبار في «معجمه» وفي «التكملة» ، وابن الخطيب في «الإحاطة» . وعلى هؤلاء اعتمد من جاء بعدهم كالنووي في «تهذيب الأسماء واللغات» ، وابن خلكان في و «فيات الأعيان» ، والذهبي في «تذكرة الحفاظ» وفي «سير الأعلام» وفي «العبر» ، وابن كثير في «البداية والنهاية» ، وابن فرحون في «الديباج» ، والمقري في «أزهار الرياض» ، والكتاني ابن جعفر في «سلوة الأنفاس» ، وابن مخلوف في «شجرة النور» ، وعبد الحي الكتاني في «فهرس الفهارس» ، وغيرهم مما يطول . . . وكلهم متفقون على إمامته وحفظه . . .

وإلى القارىء بعض ما قالوا فيه :

قال ولده : وكان من أئمة الحديث في وقته ، أصولياً ، متكلماً ، فقيهاً ، بصيراً بالأحكام ، نحوياً ، رياناً من الأدب ، شاعراً مجيداً ، بليغاً خطيباً ، حافظاً للغة والأخبار والتواريخ . . .

وقال تلميذه خلف بن بشكوال : وعني بلقاء الشيوخ والأخذ عنهم . وجمع من الحديث كثيراً ، وله عناية كبيرة به ، واهتمام بجمعه ، وتقويده .

وهو من أهل العلم والتفنن والذكاء والفهم، استقضى بسبته مدة طويلة، حمدت سيرته فيها.

وقال ابن الأبار في «معجم أصحاب الصدفي»: المحدث الحافظ الحافل... قال: وكان لا يُدرك شأوه ولا يُبلغ مداه في العناية بصناعة الحديث، وتقييد الآثار، وخدمة العلم، مع حسن التفنن والتصرف الكامل في فهم معانيه، إلى اضطلاع بالأدب، وتحقيقه بالنظم والنشر، ومهارته بالفقه. قال: وبالجملة، فكان جمال العصر، ومفخرة الأفق، وينبوع المعرفة، ومعدن الإفادة، وإذا عُدَّت رجالات الغرب فضلاً عن الأندلس حسب فيهم صدرًا.

وقال ابن الخطيب في «الإحاطة»: القاضي الإمام المجتهد. ثم نقل ما ذكرناه عن ولد القاضي.

وقال النووي في «تهذيب الأسماء واللغات»: عياض، الإمام المالكي... وهو إمام بارع متقن. متمكن في علم الحديث، والأصولين، والفقه، والعربية. وله مصنفات في كل نوع من العلوم المهمة...

وقال ابن خلكان: هو إمام الحديث في وقته، وأعرف الناس بعلومه، وبالنحو واللغة وكلام العرب وأيامهم وأنسابهم...

وقال عنه الذهبي في «السير»: الإمام العلامة الحافظ الأوحد، شيخ الإسلام، القاضي أبو الفضل عياض. قال: واستبحر من العلوم، وجمع وألف، وسارت بتصانيفه الركبان، واشتهر اسمه في الآفاق...

وقال في «تذكرة الحفاظ» العلامة، عالم المغرب... الحافظ.

وقال في «العبر»: ... والقاضي عياض... العلامة... أحد الأعلام.

وقال ابن كثيرة في «البداية والنهاية»: . . . أحد مشاهير المالكية . . .
وكان إمامًا في علوم كثيرة، كالفقه واللغة والحديث والأدب وأيام الناس .
وقال ابن العماد في «الشذرات»: العلامة . . . الحافظ، أحد الأعلام .
وقال السخاوي: أعرف الناس في وقته بعلوم الحديث، وبالنحو
واللغة وكلام العرب . . . إلخ .
وقال ابن مخلوف في «شجرة النور»: الشيخ الإمام، قاضي الأئمة،
وشيخ الإسلام، وقدوة العلماء الأعلام . . .
وأقوال المؤرخين في مدحه والثناء عليه كثيرة جدًا .

شيوخ عياض ومعاصروه من العلماء

وله مشايخ كثيرون ضمّنهم فهرسته الغنية وهم نحو مائة شيخ .
من أشهرهم: الحافظ أبو علي الصدي (ت ٥١٤)، والحافظ أبو علي
الجباني (ت ٤٩٨)، والمازري (ت ٥٣٠)، والقاضي أبو بكر ابن العربي
(ت ٥٤٣) في آخرين . ومن أشهر من عاصره من علماء الشرق والغرب
أبو حامد حجة الإسلام الغزالي (ت ٥٠٥)، ومحمود الزمخشري
(ت ٥٣٨)، والشيخ عبد القادر الجيلاني (ت ٥٦١)، وأبو النجيب
السهروردي (ت ٥٦٣)، وأبو العباس بن العريف (ت ٥٣٦)، وعلي بن
حرّازم (ت ٥٥٩) في آخرين .

آثار عياض

وله آثار وتآليف رائقة، منها: «الإكمال في شرح مسلم» كمل به كتاب
«المعلم» للمازري، وهو عمدة النووي في شرحه لمسلم . . . وقد طبع في
تسع مجلدات مؤخرًا .

ومنها: «مشارك الأنوار في غريب الموطأ والصحيحين». وفيه يقول ابن الصلاح:

مشارك أنوار تسنت بسبته وذا عجب كون المشارق بالغرب

ومنها: «الشفاء بحقوق المصطفى» الذي سنفرد الكلام عليه قريبًا.

ومنها: «الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع»، وهو من مصادر ابن الصلاح في علوم الحديث.

وله غير ذلك . .

ولتضلعه من العلوم وتبحره واطلاعه وتحقيقاته؛ اعتمده أكابر من جاء بعده من العلماء والحفاظ، ونقلوا كلامه، واحتجوا به.

الشفاء بتعريف حقوق المصطفى ﷺ

من أحسن كتب القاضي عياض رحمه الله «الشفاء» ذلك الكتاب العظيم الذي لم يؤلف في الإسلام مثله، والذي هو أجمع كتاب في فضائل نبينا ﷺ، ومعجزاته، وشمائله، وحقوقه، وجميع ما يتعلق به ﷺ؛ فهو كتاب حافل عظيم الفائدة.

وقد انتفع به الناس، وعكف على قراءته والرجوع إليه كل الطبقات، وعم المشارق والمغارب، ولا تخلو مكتبة عالم منه.

كما اعتنى الناس بشرحه وتخريج أحاديثه واختصاره، فله أكثر من ثلاثين شرحًا ما بين مطول ومختصر، من أشهرها - المطبوعة - : شرحه لعللي القاري، والخفاجي، والشمني . . .

كما خرج أحاديثه جماعة، من أشهرهم: الحافظ السيوطي الذي له «مناهل الصفا» - طبع مرارًا - وقد فاتته بعض أحاديث استدركتها في التخريج، كما بيض لنحو ثلاثين حديثًا لم يجدها، وفي بعض تخاريجه نوع من تقصير.

ومن أشهر مختصرات الشفا: اختصاره للأستاذين الجليلين جمال الدين سيروان، ونور الدين قره علي لكنهما أوردا - تبعًا للقاضي - بعض الأحاديث الموضوعية، وكثيرًا من الضعيفة، كما عزيا بعض الأحاديث للصحيح وليست فيه، وأبقيا كذلك أقوالاً لا مستند لها، ولسنا بصدد بيان ذلك هنا، فقد يكون له موضع آخر.

هذا وقد أثنى على «الشفا» كثير من الأعلام والعلماء والحفاظ.

قال ابن خلكان: وكل تواليفه بديعة.

وقال ابن فرحون في «الديباج»: . . . أبدع فيه كل الإبداع، وسلّم له أكفأؤه كفاءته فيه، ولم ينازعه أحد في الانفراد به، ولا أنكروا مزية السبق إليه، بل تشوفوا للوقوف عليه، وأنصفوا في الاستفادة منه، وحمله الناس وطارت نسخه شرقًا وغربًا.

وقال الذهبي في «السير»: وتواليفه نفيسة، وأجلها وأشرفها كتاب «الشفا». . . وقال في «العبر»: وصنف التصانيف البديعة.

وقال ابن العماد: وصنف التصانيف البديعة، ومن مصنفاته «الشفا» الذي لم يسبق إلى مثله.

وقال سيدي محمد بن جعفر في «الرسالة المستطرفة»: هو كتاب عظيم النفع، وكثير الفائدة. لم يؤلّف مثله في الإسلام، وقد جربت قراءته لشفاء الأمراض المزمنة وتفريج الكروب، ودفع الخطوب.

وقال بعضهم: كانت الشمس تطلع على الناس من المشرق وتغرب في الغرب، وجاءنا نحن أهل المشرق شمسٌ أخرى من المغرب الأقصى وهي كتاب «الشفا» لعياض.

منهج القاضي عياض في الشفا

جعل القاضي رحمه الله تعالى كتابه «الشفا» أقسامًا أربعة، تحت كل قسم عدة أبواب، وفي كل باب فصول^(١). وفي غضون كل فصل ما يطرب القارئ من نفائس الأبحاث المعززة بالآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، وأقوال الأئمة، والعلماء من مفسرين ومحدثين وفقهاء ومتكلمين وأصوليين...

ونستطيع أن نجمل للقارئ ونلخص له ما بسطه المؤلف في السطور الآتية:

ففي القسم الأول: ذكر قدره ﷺ وعظمته، وما أثنى الله به عليه ومدحه، وما شرفه به من خصائص وفضائل ومعجزات.

وأورد في هذا القسم جملة من الأقسام القرآنية التي أقسم الله بها في حقه ﷺ. ثم فصل ما احتوت عليه سورة الفتح والنجم والضحي من فضائله وعلو منزلته. ثم ذكر صفاته خَلْقًا وَخُلُقًا، بداية من شرف نسبه... ثم جوامع كلمه. ثم أخلاقه، كحلمه وعفوه وجوده وشجاعته وحيائه وحسن عشرته ورحمته وحسن عهده وتواضعه وأمانته، وصدق لهجته وعفته ووقاره ومروءته وزهده وخوفه من ربه. ثم ذكر أن الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم كلهم متفقون على الاتصاف بهذه الكمالات البشرية.

ثم أردف ذلك بما خصه الله عزَّ وجلَّ به من خصائص وفضائل، كحادث الإسراء، تلك المعجزة العظمى الفريدة، والحوض، والمحبة، والخلة، والشفاعة العظمى، والمقام المحمود والوسيلة، والكوثر، وما أعطاه من الأسماء، وما خص به من تسميته ببعض أسماء الله الحسنى.

(١) وهي نحو من مائة وأربعين فصلاً.

ثم ذكر ذيلًا لهذا ويبيّن فيه مقام الألوهية، وأنه تعالى لا يشبه أحدًا من خلقه، وأنه منزّه عن ذلك ذاتًا وصفاتٍ وأفعالاً. ثم ختم هذا القسم بما أجرى الله تعالى على يديه وما منحه من الآيات والمعجزات. وتكلم على النبوة والرسالة والوحي والمعجزة. ثم أورد المعجزات، فبدأ بمعجزة القرآن الخالدة وذكر ما فيه من أنواع الإعجاز. ثم تابع ذلك بمعجزة انشقاق القمر، ونبع المياه، وتكثيرها ببركته، وتكثير الطعام، والبركة فيه. ثم معجزة كلام الشجر، وشهادتها له. ثم حنين الجذع. ثم معجزة إحياء الأموات. ثم إجابة دعواته. ثم انقلاب الأعيان مما مسه أو باشره.

ثم ذكر جملة واسعة مما أخبر به من المغيبات، وهو من النفاسة بمكان. ثم عصمته من الناس. ثم ما ظهر من الآيات عند ولادته ورضاعه. وما أخبر به عن نبوته الأحبار والرهبان.

وهنا انتهى القسم الأول من الكتاب، وقد أخذ منه النصف.

أما القسم الثاني فيشمل: ما يجب على الأنام من حقوقه ﷺ: كالإيمان به، ووجوب طاعته واتباع سنته، وضلال من خالف أمره وهديه.

ثم لزوم محبته وثواب ذلك، وما ورد عن السلف في هذا الصدد، ووجوب مناصحته وتعظيمه وتوقيره وبره ﷺ واحترامه حيًا وميتًا، وكيف كان الصحابة والسلف معه ومع حديثه، ثم وجوب توقير آله وذريته وزوجاته وصحابته واحترامهم وبرهم وتعظيمهم، وإكرام مشاهدته وأمكنته ﷺ.

ثم وجوب الصلاة عليه ﷺ، وبيان مواضعها، وكيفيتها، وصيغها. ثم فضلها ووصولها إليه. ثم ذم الغافلين عنها. ثم الكلام في الصلاة على غيره استقلالاً. ثم زيارة قبره، وحكمها وآدابها. ثم فضل الحرمين الشريفين، وذكر المنبر والقبر والروضة وما يتبع ذلك.

أما القسم الثالث: فأورد فيه: ما يجب اعتقاده فيه ﷺ، وما يستحيل في حقه، وما يجوز، وما يمتنع، أو يصح من الأحوال البشرية أن يضاف إليه. وافتتح ذلك ببيان أنه وسائر الأنبياء بشر، يطرأ عليهم ما يطرأ على البشر، وأن الله تعالى جعلهم وسائط بينه وبين خلقه، وأعطاهم من الصفات الروحانية ما يؤهلهم لملاقات سكان الملائكة، كما جعل لهم صفات يواجهون بها البشر. ثم ذكر أن الأنبياء، ومنهم نبينا ﷺ كانوا على غاية من المعرفة بالله والعلم به وبصفاته والإيمان به، ووضوح العلم واليقين والعصمة من كل ما يضادها من وقت نبوتهم حتى مماتهم.

ثم تكلم على عصمة الأنبياء قبل النبوة وبعدها، وخاصة فيما سبيله البلاغ من الأقوال ثم أجاب عن مطاعن وشبهات تعلق بها بعض الملحدين وأعداء الدين فذكر منها قصة الغرائق وأبطلها، ورد على من صحح ما جاء فيها... وفندها. ثم بين إخباره عن أمور الدنيا، وأحوال نفسه ﷺ. ثم أجاب عن بعض الأحاديث التي استشكلها من لم يهتد لحلها.

ثم تكلم على عصمة الأنبياء في جوارحهم من كبار الفواحش، وكنتم الرسالة، والتقصير في التبليغ، وانجر ذلك للكلام على الصغائر، هل يجوز صدورها منهم أم لا؟ ورجح عدم الوقوع مطلقاً، ثم أبطل القول بالجواز، وأجاب عن الآيات والأحاديث التي توهم الجواز فأجاد وأفاد.

ثم بين أن الأنبياء وغيرهم سواء في عدم المؤاخذة على السهو والنسيان. ثم ألحق الملائكة عليهم السلام بالأنبياء في العصمة، ورد ما جاء من الخرافات في قصة هاروت وماروت.

ثم رجع للكلام على ما يطرأ على الأنبياء من العوارض البشرية، وأنهم كباقي البشر يجوعون ويعطشون، ويلحقهم الغضب والحزن والفرح والإعياء والضعف، ويمرضون ويتداونون، وقد يصابون بالسحر، ويؤثر فيهم السم

والعين بإذن الله تعالى ويؤذون من طرف الخلق بالسباب والضرب والقتل .

ثم رد على من طعن في حديث سحره ﷺ من أهل الزيغ والبدعة، وأجاب عن ذلك بما يدل على أن مثل ذلك لا يؤثر في عصمته ﷺ، وفي هذا الصدد ذكر قصة طلاق زيد بن حارثة زينب وتزوجه ﷺ بها، ورد على من نسب إليه في ذلك ما يجعل عنه ولا يليق بجناحه المقدس .

ثم تكلم على حديث أمره ﷺ بإحضار كتاب ليكتب لهم عند موته، وتنازع الصحابة في ذلك، وأجاب عنه بما لا يبقى لطاعن ولا رافضي حجة على مدعاه .

كما أجاب عن حديث سبه ولعنه ﷺ لبعض أصحابه، وعن حديث «بئس أخو العشيرة» وأن ذلك لا يחדش في عرضه ولا دينه . في أحاديث أخرى .

ثم ختم هذا القسم بالسر والحكمة في ابتلاء الأنبياء، وإجراء الأمراض وشدتها عليهم . وهو بحث هام ممتع، يحمل بشارة رائعة لكل مؤمن مبتلى في نفسه وأهله وماله .

أما القسم الرابع : وهو مسك ختام الكتاب، فأفرده لمن تنقص النبي ﷺ أو سبه، وما يتبع ذلك من سب الله، وأنبيائه، وملائكته، وأهل بيت النبي ﷺ، وزوجاته، وصحابته صلوات الله وسلامه عليهم جميعاً .

وصرد ما هو سب أو نقص من نص أو تعريض، وأن كل من سبه أو عابه أو ألحق به نقصاً في نفسه أو نسبه أو دينه، أو شبهه بشيء على طريق السب أو الإزراء، سواء كان قاصداً أو غير قاصد كان كافراً، يجب قتله بإجماع المسلمين، كمن كذبه أو كذب ما جاء به، ولا فارق . ثم ذكر أدلة ذلك .

وأجاب عن الأحاديث الواردة في عدم قتله من كان يؤذيه أو يسبه في حياته . ثم بين حكم من أتى في كلامه بمجمل من القول مما فيه احتمال ، وأن ذلك يُرجع فيه إلى اجتهاد الحاكم ، وأنه يجب تأديب من صدر منه ذلك ، كمن يؤدب من ذكره مستشهداً به على نقص ناله ونحو ذلك ، كمن قيل له : إنك راعي غنم ، فيقول : إن رسول الله كان يرعى الغنم ؛ فهذا يجب تأديبه .

ثم ذكر ما تجوز حكايته مما قيل فيه من سب أو نقص مع حكاية ما يجوز عليه من الأعراض البشرية ، لكن مع التوقير والتعظيم له ﷺ ، ثم بين ما قاله العلماء وحكموا به في هذا المجال . . . من سب وإذاية ، وعقوبته واستتابته ووراثته ماله وتوبته .

ثم ختم القسم بحكم من سب الله أو نفى وجوده أو ربوبيته له ، أو سب ملائكة الله أو أنبياءه أو كتبه أو كذب بشيء من ذلك أو نفاه .

وبين ما هو عند العلماء من المقالات كفر ، وما اختلف فيه ، أو توقف في حكمه . . . وهو بحثٌ هامٌ جداً ينبغي الاهتمام به .

ثم ختم الكتاب بحكم سب آل البيت وأمهات المؤمنين وصحابة رسول الله ﷺ وعليهم من الله الرضوان أجمعين .

كلمة عمّا في الكتاب من ملاحظة

غير أن الذي يلفت الأنظار كثيراً – ويقلق القارئ للشفا ويلاحظ عليه وعلى مؤلفه – هو ما أودعه فيه من أحاديث موضوعة ومنكرة ، وما لا أصل لها ، فضلاً عن الضعيفة ، مع أقوال وآراء باطلة لا مستند لها ؛ الأمر الذي ترك الحافظ الذهبي يقول قولته المشهورة في الشفا ، حيث قال في «سير أعلام النبلاء» : «أجل مؤلفاته وأشرفها الشفا لولا ما حشاه بالأحاديث المفتعلة ، عمل إمام لا نقد له من فن الحديث ولا ذوق . . . والله يشبهه على حسن قصده ، وينفع بشفائه ، وقد فعل . وكذا فيه من التأويلات البعيدة . . . إلخ .

وقد صدق فيما قال، فالاعتراف بالحق فضيلة، فقول شيخ شيخنا سيدي محمد بن جعفر رحمه الله تعالى في الرسالة المستطرفة: ولم ينصف الذهبي في قوله: (إنه محشو بالأحاديث الموضوعية والتأويلات الواهية الدالة على قلة نقده، مما لا يحتاج قَدْرُ النبوة له. . فإنه تحامل منه لا ينبغي، كما قاله غير واحد. . إلخ). هو كلام غير سديد، والله يغفر للجميع ويرحمهم.

نعم ذلك لا يضع من جلاله وقدر الشفا ومؤلفه؛ فإنه قد يكون له عذر أو أعذار في إيراد ما ذكره؛ حيث إنه أولاً: ذكر ذلك تقليداً منه لغيره، كالخطيب ابن الربيع سليمان بن سبع في كتابه شفاء الصدور. والكاتب قد يتكاسل أحياناً عن البحث والمراجعة، فيعتمد على غيره، فيقع في الخطأ. وهذا يقع كثيراً للمؤلفين والكتاب من جميع طبقات أهل العلم، من مفسرين، ومحدثين، وفقهاء، ومتصوفة، وأدباء، ومؤرخين. . . والأمثلة على ذلك كثيرة كما لا يخفى على من له أدنى اطلاع.

ثانياً: إن أكثر العلماء جروا على الترخيص في العمل بالأحاديث الضعيفة في الفضائل. . . وقد يبالغون فيذكرون الموضوعات. . . إما خطأ أو تقليداً من اللاحق للسابق. ولذلك كان التقليد في كل شيء، وبالأحرى في العلم مذموماً، لا ينبغي لأهل التحقيق سلوكه بحال.

وهذه جملة من الأحاديث والأخبار الموضوعية
والمنكرة وما لا أصل لها التي ذكرت في الشفا

وإتماماً لفائدة القارىء أشير هنا لبعض ما أودعه القاضي في شفاؤه من الأخبار الساقطة الباطلة، والتي حذف جميعها من تهذيبي للكتاب، وهي نحو من مائة وخمسين حديثاً فأكثر، وهي كالاتي باختصار.

①
 في الباب الأول من القسم الأول: قال ابن الكلبي: كتبت للنبي ﷺ
 خمسمائة أم... إلخ: (موضوع). حكى أن النبي ﷺ قال لجبريل عليه
 السلام هل أصابك من هذه الرحمة شيء... إلخ: (لا أصل له). عن جعفر
 الصادق في قوله تعالى: ﴿فَسَلِّمْ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾ [الواقعة: ٩١]،
 أي: سلامتهم من أجل كرامة محمد ﷺ: (هو غريب شاذ). قول عمر: من
 فضيلتك عند الله الكلام بطوله: (لا أصل له). تفسير (يس) بالنبي ﷺ:
 (لا أصل له). تفسير النجم إذا هوى، والفجر... إلخ بالنبي ﷺ: (كلاهما
 باطل، من التفسير البدعي). قول الكلبي في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْ
 شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ﴾ [الصافات: ٨٣]، أي: إن من شيعة محمد لإبراهيم:
 (هو تفسير باطل منكر يخالف سياق القرآن).

وفي الباب الثاني: بني الدين على النظافة: (لا أصل له) مع شهرته
 على الألسنة. ابتلاع الأرض ما يخرج منه: (موضوع). قالت عائشة
 رضي الله تعالى عنها: ما رأيت فرج رسول الله ﷺ قط: (لا أصل له). كان
 يرى في الظلمة كما يرى في الضوء: (موضوع). لما كلم الله موسى عليه
 السلام كان يبصر النملة على الصفا (موضوع). مات حتف أنفه: (لا أصل
 له). أنا أفصح العرب: (لا أصل له). كانت روحه ﷺ نوراً بين يدي الله
 تعالى قبل أن يخلق آدم بألفي عام: (موضوع). كان في أهله لا يسألهم
 طعاماً: (لا أصل له). ويخالفه ما في الصحيح: «أنه كان يسألهم ذلك».

ولد باسطاً يديه إلى الأرض رافعاً رأسه إلى السماء: (موضوع). أن
 رجلاً أتى النبي ﷺ يسأله، فاستسلف نصف وسق... إلخ: (لا أصل له).
 كان من حيائه لا يثبت بصره في وجه أحد: (لا أصل له). إن الله أمر السماء
 والأرض أن تطيعك: (موضوع). تفسير قوله تعالى: ﴿مُطَاعٌ ثُمَّ آمِينَ﴾
 [التكوير: ٢١]، قال أكثر المفسرين على أنه محمد ﷺ: (هو غلط، بل أكثر

المفسرين أنه جبريل ؛ فالقول الأول شاذٌ، انظر: الطبري وابن كثير والرازي والقرطبي والألوسي . . .). لم يمتلىء جوف النبي ﷺ شبعاً قط: (لا أصل له بهذا اللفظ، وقد شبع مراراً). المعرفة رأس مالي: (موضوع). بكى داود حتى نبت العشب من دموعه، وحتى اتخذت الدموع في خده أخدوداً: (خرافة إسرائيلية). كان عيسى عليه السلام يلبس الشعر، ويأكل الشجر: (هي كسابقتها). كان يحيى عليه السلام يأكل مع الوحش لئلا يخالط الناس: (خرافة).

وفي الباب الثالث: إن الله خلق الخلق فجعلهم قسمين في تقسيم أصحاب اليمين وأصحاب الشمال: ﴿وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمِ﴾ [السجدة: ١٠، ٩]، وأن المراد بذلك النبي ﷺ: (هو تفسير غريب شبه موضوع). لما خلق الله آدم أهبطني من صلبه إلى الأرض وجعلني في صلب نوح . . إلخ: (موضوع). حديث في شق قلبه بسياق غريب (باطل موضوع). لما أسري بي إلى السماء إذا على العرش مكتوب «لا إله إلا الله محمد رسول الله، أيدته بعلي»: (موضوع من وضع الشيعة الروافض). عن جعفر الصادق: إذا كان يوم القيامة نادى منادٍ ألا ليقيم من اسمه محمد فليدخل الجنة: (موضوع). ما ضر أحدكم أن يكون في بيته محمد ومحمدان وثلاثة: (موضوع). حديث أبي هريرة في الإسراء بسياق منكر: (موضوع). حديث في بدء الأذان ليلة الإسراء: (موضوع)، من وضع الرافضة. حديث أنس في الإسراء، وفيه: «ودنا الجبار رب العزة فتدلى حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى: (هذا منكر). وهو في الصحيح. إن للنبوة أثقلاً، وإن يونس تفسخ منها . . إلخ: (لا أصل له). «لي عشرة أسماء»؛ فذكر منها طه ويس: (موضوع). أتاني ملك فقال لي «أنت قثم»: (لا أصل له).

وفي الباب الرابع: «إني منزل عليك توراة حديثة تفتح بها أعيناً»: (باطل). حديث الجذع، فبعض طرقه أنه قال له: «إن شئت أردك إلى الحائط الذي كنت فيه وإن شئت أغرسك في الجنة»: (هذه الرواية باطلة). إن أسكفة البيت أمنت: (موضوع). مرض النبي ﷺ فأتاه جبريل بطبق فيه رمان وعنب: (لا أصل له). لما طلبته قريش قال له ثبير: اهبط يا رسول الله فإنني أخاف أن يقتلوك على ظهري فيعذبني الله: (منكر لا أصل له). حديث كلام الضب المشهور: (موضوع). قصة الراعي والذئب: (موضوع). وكذا ما وقع لأبي سفيان وصفوان بن أمية مع الذئب: (أيضاً كل ذلك باطل). وقد صحت القصة بغير هذه السياقات الباطلة).

كلام الطائر مع العباس بن مرداس: (باطل). كلام العضباء: (موضوع). حديث في حمام مكة: (موضوع). حديث نبات الشجر على فم الغار ووقوف الحمامتين: (لا يصح شيء في ذلك). حديث الظبية المشهور وتكلمها معه ﷺ: (موضوع). كلام الحمار الذي أصابه بخبير: (لا أصل له). حديث الناقة التي شهدت عند النبي لصاحبها أنه ما سرقها وأنها ملكه: (موضوع). حديث العنز التي أتت رسول الله في عسكره فحلبها: (باطل). حديث أنه قال لفرسه «لا تبرح» فما تحرك حتى صلوا: (لا أصل له). قوله عن سحنون: أن أهل الحديث أجمعوا على أن رسول الله ﷺ قتل اليهودية التي سمته: (هو إجماع غير صحيح، والخلاف في ذلك معروف).

حديث أنه أتى بصبي قد شب لم يتكلم قط، فقال له: «من أنا؟» فقال: رسول الله ﷺ: (لا أصل له). حديث مبارك اليمامة الذي تكلم وشهد لرسول الله ثم لم يتكلم بعد: (باطل). حديث الذي طرح بنته في واد، فنادها النبي ﷺ باسمها: «أجيبني بإذن الله» فخرجت وهي تقول: لبيك وسعديك: (خرافة). حديث حبيب بن فديك أن أباه ابيضت عيناه فنفت فيها

رسول الله ﷺ فأبصر: (باطل). حديث في رمي كلثوم بن الحصين في نحره وبرئه ببصاق رسول الله ﷺ: (لا أصل له). حديث في قطع أبي جهل يوم بدر يد معوذ بن عفراء فجاء رسول الله ﷺ يحملها، فبصق عليها وألصقها فلصقت: (لا أصل له).

حديث خبيب بن يساف وأنه أصيب يوم بدر بضربة على عاتقه حتى مال شقه، فرده رسول الله ﷺ: (لا أصل له). حديث الخثعمية التي أتت رسول الله ﷺ بصبي لا يتكلم، فمضمض فاه وغسل يديه فشرب ذلك فبريء وعقل: (لا أصل له). حديث دعائه لمعاوية بالتمكين: (موضوع). أحاديث دعواته لابن جعفر والمقداد وغرقده وعلي والطفيل وفاطمة: (لا يصح شيء منها، وفيها ما لا أصل له). دعاؤه على صبي قطع صلاته: (لا أصل له). تبريكه على فرس لجعيل الأشجعي حتى كان لا يملك رأسه نشاطاً: (لا أصل له). ركوبه حماراً قطوفاً لسعد بن عبادة فرده هملاًجاً لا يساير: (لا أصل له).

وما ذكره في انقلاب الأعيان: (أكثره موضوع أو لا أصل له). كسكب وضوئه في بئر قباء. وبزقه في بئر كانت في دار أنس. وإعطائه الحسن والحسين لسانه فمصاه وكانا يبكيان عطشاً فسكتا. وكتفله في أفواه الصبيان المراضع فيجزئهم ريقه إلى الليل. وكحديث حنش بن عقيل في سقيه شربة من سوق من سؤر رسول الله ﷺ فكان يجد شبعها إذا جاع وريها إذا عطش وبردها إذا ظمى. ودفعه لعكاشة جذل حطب ولعبد الله بن جحش عسيب نخل فانقلبا لكل منهما سيفاً. إلى غير ذلك من الأباطل والأكاذيب التي لا أصل لها.

إخباره بملك بني أمية وولاية معاوية ووصايته واتخاذ بني أمية مال الله دولاً: (باطل). إخباره بأن عثمان سيقتل وهو يقرأ القرآن وإنه سيقطر دمه

على قوله تعالى: ﴿ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ ﴾ [البقرة: ١٣٧]: (موضوع).
حديث الراعي الذي ذهب ليخبر قريشاً بهجرة النبي ﷺ، فضرب على قلبه
فما درى ما يصنع: (لا أصل له). قصة شيبة بن عثمان الحجبي في يوم
حنين أراد قتل النبي ﷺ فلما دنا منه ارتفع إليه شواظ من نار: (لا أصل له).
حديث: «أصل كل داء البرودة»: (موضوع). «المعدة حوض البدن»:
(موضوع). قوله للأقرع أو عيينة: «أنا أفرس بالخيل منك»: (لا أصل له).
«لا تمدوا بسم الله الرحمن الرحيم»: (موضوع). «ألف الدواة وحرف
القلم»: (موضوع).

حديث هامة بن الهيم بن لاقس بن إبليس وأنه أتى النبي ﷺ: (موضوع).
أحاديث في ولادته ﷺ: كرؤية أم عثمان بن العاص تدلّي النجوم. وقول
الشفا لما سقط على يدي واستهل: سمعت قائلاً يقول: «رحمك الله» وأضاء
لي ما بين المشرق والمغرب. وارتجاج أبواب كسرى، وسقوط شرفاته
وفيض بحيرة طبرية، وخمود نار فارس: وأن كل ذلك (لا يصح منه شيء).
حديث خديجة ونساء رأينه لما قدم من السفر وملكان يظلاله: (لا يصح). أن
حليمة رأت غمامة تظله لما كان عندهما: (باطل). كان قبل مبعثه نزل تحت
شجرة يابسة فاعشوشبت ما حولها وأينعت فأشرفت وتدلّت عليه أغصانها:
(لا أصل له). صلاة الملائكة على جسده واستئذان ملك الموت عليه:
(لا أصل له). تعزية الخضر والملائكة أهل بيته عند موته: (موضوع).

وفي الباب الأول من القسم الثاني: «كفى بقوم حمقاً - أو قال:
ضلالاً - أن يرغبوا عما جاء به نبيهم»: (لا أصل له بهذا السياق).

وفي الباب الثاني: كان رجل عند النبي لا يطرف بصره... إلخ:
(لا أصل له). أن امرأة قالت لعائشة: اكشفي لي قبر رسول الله ﷺ. فكشفت
لها. فبكت حتى ماتت: (لا أصل له).

وفي الباب الثالث : معرفة آل محمد براءة من النار : (موضوع ، وضعه الشيعة الرافضة). هذا عمي وصنو أبي ، وهؤلاء أهل بيتي فاسترهم من النار : (موضوع). أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم : (موضوع). مثل أصحابي كمثل الملح : (موضوع). أيها الناس إني راضٍ عن أبي بكر فاعرفوا له ذلك : (موضوع). أيها الناس احفظوني في أصحابي وأصهارى وأختاني : (موضوع). أتى بجنابة فلم يصل عليها فقال : كان يبغض عثمان : (موضوع من وضع الأمويين). من حفظني في أصحابي كنت له حافظاً يوم القيامة : (موضوع).

وفي الباب الرابع : لا صلاة لمن لم يصل علي : (موضوع). الدعاء بين الصلاتين علي لا يرد : (لا أصل له). من سلم عليّ عشرًا فكأنما أعتق رقبة : (لا أصل له). ليردن عليّ أقوام لا أعرفهم إلا بكثرة صلاتهم عليّ : (لا أصل له). الصلاة على النبي أمحق للذنوب من الماء البارد للنار : (لا أصل له). من نسي الصلاة علي نسي طريق الجنة : (لا أصل له). من الجفاء أن أذكر عند الرجل فلا يصلّي عليّ : (لا أصل له). أكثروا من السلام على نبيكم كل جمعة : (لا أصل له). أكثروا من الصلاة عليّ في الليلة الزهراء واليوم الأزهري : (لا أصل له). ما من أحد يدعو الله تعالى عند الركن والميزاب : (لا أصل له). من صلّى خلف المقام ركعتين غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر : (موضوع).

وفي الباب الأول من القسم الثالث : حديث في بدء الوحي ، ذكره ابن إسحاق : (ظاهر البطلان). كان يشهد مع المشركين مشاهدتهم : (باطل موضوع ، وقد اعترف ببطلانه المؤلف). إني لأنسى أو أنسى لأسن : (لا أصل له). وقال فيه المؤلف : في الحديث الصحيح). ما قاله في يعقوب ويوسف وأيوب : (مجرد إسرائيليات باطلة يمجها العقل السليم).

وفي الباب الأول من القسم الرابع: لا يبلغ الكلب في دم مسلم: (لا أصل له). من سب نبيًا فاقتلوه ومن سب أصحابي فاضربوه: (فيه من رمي بالكذب). أن رجلاً سبه فقتله الزبير: (لا يصح). حديث في قتل عقبة بن أبي معيط: (لا يصح). حديث أن رجلاً كذب على النبي ﷺ فبعث عليًا والزبير إليه ليقتلاه: (لا يصح).

وفي الباب الثالث: لا تسبوا أصحابي، فإنه يجيء قوم في آخر الزمان... إلخ: (موضوع).

هذا ما تيسر لي ذكره، وقد تركت ضعفه أو أكثر، مما هو ضعيف أو باطل، وقد حذف جميعها من التهذيب.

منهجي في تهذيب الشفا

كان منهجي في تهذيب هذا الكتاب كالآتي:

أولاً: حذف لآسانيد المؤلف التي روى بها بعض ما أورده، وهي نحو ستين حديثاً، وفيها الصحيح والضعيف.

ثانياً: حذف ما لا داعي له من الكلام أو النقول المجهولة الأصل أو الآراء التي لا مستند لها أو كانت ضعيفة غير معتمدة.

ثالثاً - وهي أهمها - : تنقية الكتاب من كل ما فيه من الأحاديث الضعيفة بجميع أقسامها، بداية من الموضوع والمنكر وما لا أصل له، أو كان شديد الضعف. ولم أبق منها إلا جملة يسيرة مما ضعفها ليس شديداً، أو كان منجبراً.

رابعاً: تخريجي للأحاديث التي ذكرها، سواء كانت عنده مسندة أو معلقة، أو كانت مخرجة مع تقصير في التخريج، ككون الحديث في الصحيح وهو يقتصر على عزوه لبعض السنن مثلاً، أو هو في المسند والسنن

ويرويه من طريق الطبراني، أو نحو ذلك، كما ستراه وتدركه. وقد رجعت في جميع الأحاديث المخرجة إلى أمهاتها وأصولها، مع بيان أجزائها وصفحاتها، أو أرقام أحاديثها، والتنصيب على رتبة كل حديث: من صحة أو حسن. وقد أتوسع أحياناً في ذكر بعض ألفاظ المتون وسياقاتها وبعض شواهدا أو ما يناسبها.

خامساً: تبعت المؤلف في تخطيطه وأسلوبه، غير أنني استبدلت فصوله بعناوين خاصة جعلتها مناسبة للموضوعات، وقد أغير أيضاً بعض عبارات الكتاب وكلماته وجمله . . .

سادساً: قد زدت بعض الأحاديث في صلب الكتاب وفي الهوامش اقتضاها المقام، وقد وضعت أمامها رمزاً هو هذا: [ز].

سابعاً: شرحت في الغالب بعض الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، وحققت بعض ما اختلفت فيه أنظار العلماء. وذكرت في الهوامش فوائد هامة رائعة. فجاء الكتاب — بحمد الله تعالى وتوفيقه — خالياً من كل ما يريب القارئ أو يحول بينه وبين مبتغاه، وهو الأول من نوعه، فلا أعلم أحداً سبق لتهديب هذا الكتاب على هذا النهج.

والقصد في كل ذلك وجه الله تعالى، وخدمة الجنب النبوي الأسنى، ونصح المؤمنين المحبين لهذا النبي الكريم ﷺ. ولا أرجو من أحد في ذلك جزاء ولا شكوراً. وصلى الله وسلّم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وزوجه وحزبه.

وكتبه أبو الفتوح عبد ربه

الشيخ عبد الله بن عبد القادر اليلدي

بتاريخ ٢١ ربيع ٢ عام ١٤٢٠

بطنجة المغرب

إِتْحَافُ أَهْلِ الْوَفَا

بِتَهْدِيَةِ

كِتَابِ السِّيَرِ

بِتَعْرِيفِ حُقُوقِ الْمُصْطَفَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

لِلْإِمَامِ الْقَاضِي عِيَّاضِ أَيْحَصِبِيِّ

تَأليف

الشيخ عبد الله بن عبد الفتاح دار الثليدي

حَفِظَهُ اللهُ تَعَالَى

$$\begin{array}{r} 17 \\ 22 \\ \hline 25 \end{array}$$

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

خطبة الأصل

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلِّمْ تَسْلِيمًا إِلَى يَوْمِ
الدين .

قال الإمام الحافظ أبو الفضل عياض بن موسى اليحصبي رحمة الله
عليه .

الحمد لله المُنْفَرِدِ بِاسْمِهِ الْأَسْمَى^(١)، الْمُخْتَصِّ بِالْعِزِّ الْأَحْمَى^(٢)،
الذي ليس دُونَهُ مُتَّهَى، وَلَا وَرَاءَهُ مَرْمَى^(٣). الظاهر لا تخيُّلاً ولا وهماً،
الباطن تقدُّساً لا عُدْمًا^(٤). وسع كلِّ شيء رحمة وعلماً، وأسبغ على أوليائه
نِعْمًا عُمًا^(٥). وبعث فيهم رسولاً من أَنفُسِهِمْ أَنفُسَهُمْ^(٦) عُرْبًا وَعُجْمًا،

(١) أي: الأرفع .

(٢) أي: الذي لا يشوبه ذل .

(٣) أي: ليس للقرب منه نهاية ولا وراء معرفته والإيمان به غاية تطلب .

(٤) أي: هو الظاهر بأدلته التكوينية الدالة على وجوده قطعاً بلا توهم ولا تخيل . . وإنه
الباطن لا تدرك كنهه العقول، منزّه عن صفات الحدوث، متعال وليس بمفقود
فعدم ظهور ذاته لا يقتضي نفي وجوده .

(٥) أسبغ بمعنى أتم وأكمل . وعمّا بضم العين، أي: تامة .

(٦) أنفسهم الأولى بضم الفاء، أي: منهم أصلاً ونسباً، والثانية بفتح الفاء من النفاسة،
أي: أشرفهم وأعلاهم .

وأزكاهم مَحْتَدًا ومنمى^(١)، وأرجحهم عقلاً وحلمًا، وأوفرهم علمًا، وأقواهم يقينًا وعزمًا، وأشدّهم بهم رافة ورُحمًا، زكّاه روحًا وجسمًا، وحاشاه عيبًا ووضمًا، وآتاه حكمةً وحكمًا، وفتح به أعينًا عميًا، وقلوبًا غُلفًا، وآذانا صُمًّا^(٢)؛ فأمن به، وعزّره^(٣)، ونصره من جعل الله له في مغنم السعادة قسمًا، وكذّب به وصدف عن^(٤) آياته من كتب الله عليه الشقاء حتمًا.

﴿ وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ ﴾^(٥) [الإسراء: ٧٣].

صلى الله عليه وسلم صلاة تنمو^(٦) وتُمنى، وعلى آله وصحبه وسلّم تسليمًا.

«أما بعد» أشرق الله قلبي وقلبك بأنوار اليقين، ولطف بي وبك^(٧) بما لطف بأوليائه المتقين، الذي شرفهم الله بنزّل قدسه^(٨)، وأوحشهم من

(١) محتدًا: بفتح الميم وكسر التاء، أي: أصلاً وطبعًا، ومنمى بفتح الميمين، أي: نموًا وارتقاءً.

(٢) في ذلك إشارة للحديث الآتي في صفته ﷺ في التوراة وهو في «صحيح البخاري وغيره».

(٣) أي: عظمه ووقره، وهو بزاء ثم راء، وفي القرآن الكريم ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ، أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

(٤) أي: أعرض، قال الله تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجِرِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٧].

(٥) المراد بالعمى هنا عمى القلب والبصيرة، فمن كان في هذه الحياة لا يهتدي إلى الحق ولا إلى الخير فهو في الآخرة أشد عمى وضلالاً عن طريق النجاة.

(٦) أي: تزيد.

(٧) اللطف من الله تعالى التوفيق والعصمة والرفق والرافة.

(٨) نُزِّل بضمّين ما يهيؤ للضيف من الكرامة، ويطلق على المنزل ومنه قوله تعالى في =

الخليقة بأنسه، وخصَّهم من معرفته ومشاهدة عجائب ملكوته^(١)، وآثار قدرته؛ بما ملأ قلوبهم حيرة^(٢)، وولَّه عقولهم في عظمتة حيرة؛ فجعلوا همَّهم به واحداً، ولم يروا في الدارين غيره مشاهدًا؛ فهم بمشاهدة جماله وجلاله يتنعمون، وبين آثار قدرته وعجائب عظمتة يترددون، وبالانقطاع إليه والتوكل عليه يتعززون، لهجين^(٣) بصادق قوله: ﴿قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾^(٤) [الأنعام: ٩١].

فإنك كررت عليَّ السؤال في مجموع يتضمن التعريف بقدر المصطفى عليه الصلاة والسلام، وما يجب له من توقير وإكرام، وما حكم من لم يعرف واجب عظيم ذلك القدر، أو قصر في حق منصبه الجليل قلامه ظفر. وأن

= أهل الجنة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٧﴾ خَالِدِينَ فِيهَا...﴾ [الكهف: ١٠٧، ١٠٨].

(١) الملكوت هو العالم العلوي كما أن الملك يقال للعالم السفلي أو الملك يقال للظاهر والملكوت للباطن.

(٢) الحبرة بفتح الحاء وسكون الباء: من الحبور وهو السرور. وولَّه بتشديد اللام المفتوحة، أي: جعلها والهة بتفكرها في عظمتة تعالى. والحيرة من التحير بما غشاها من جمال وبهاء.

(٣) بفتح اللام وكسر الهاء، أي: مولعين و متمسكين.

(٤) سياق الآية الكريمة، جاء في الكلام عن اليهود بداية من قوله عز وجل: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ قُلْ مَن أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْمَعُونَ قَرَأْتُمُهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعَلَّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا ءَابَاؤُكُمْ﴾ [الأنعام: ٩١]، أي: علمتم يا معشر اليهود من دين الله وهدايته بهذا القرآن ما لم تعلموا به من قبل لا أنتم ولا آباؤكم. عقب ذلك أمر الله تعالى نبيه ﷺ أن يجيبهم بقوله: قل الله، أي: هو الذي أنزل هذا القرآن العظيم... ثم اتركهم في باطلهم الذي يخوضون فيه ويهزؤون ويلعبون... والقاضي رحمه الله تعالى ذهب في الآية إلى معنى آخر غير ظاهر سياقها من باب الإشارة.

أجمع لك ما لأسلافنا وأئمتنا في ذلك من مقال، وأبينه بتنزيل صور وأمثال.

فاعلم أكرمك الله أنك حملتني من ذلك أمراً إمرأ^(١)، وأرهقتني^(٢) فيما ندبتني إليه عسراً، وأرقيتني بما كلفتني مرتقى صعباً، ملأ قلبي رعباً؛ فإنَّ الكلام في ذلك يستدعي تقرير أصول، وتحرير فصول، والكشف عن غوامض ودقائق من علم الحقائق، مما يجب للنبيّ ويُضاف إليه أو يمتنع أو يجوز عليه، ومعرفة النبي والرسول، والرسالة والنبوة، والمحبة والخُلة، وخصائص هذه الدرجة العلية.

وهنا مَهَامُهُ فيحُّ تحارُّ فيها القطا^(٣)، وتقصر بها الخطأ. ومجاهل تضل فيها الأحلام؛ إن لم تهتد بعلم علم، ونظيرٍ شديد. ومداحض تزل بها الأقدام؛ إن لم تعتمد على توفيق من الله وتأييد.

لكني لِمَا رجوته لي ولك في هذا السؤال والجواب من نوال وثواب، بتعريف قدره العظيم الجسيم، وخلقه العظيم، وبيان خصائصه التي لم تجتمع قبلُ في مخلوق، وما يُدان الله تعالى به من حقّه الذي هو أرفع الحقوق ﴿لَيْسَتَيْنِ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا﴾ [المدثر: ٣١].

ولما أخذ الله تعالى على الذين أوتوا الكتاب ﴿لَتَبَيَّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾ [آل عمران: ١٨٧]^(٤).

(١) إمرأ الثانية بكسر الهمزة بمعنى شديد فهو صفة للأمر الأولى المفتوحة.

(٢) أي: أوقعتني فيما يشق ويعسر علي.

(٣) المهامه: جمع مهممة، وهي المفازة الواسعة التي لا ماء فيها. والفيح: بكسر الفاء جمع فيحاء وهي الأرض الواسعة. والقطا: طائر يضرب به المثل في كمال الهداية.

(٤) هذا إشارة منه إلى قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾ [آل عمران: ١٨٧].

ثم ذكر بسنده من طريق أبي داود عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من سئل عن علم فكتمه ألجمه الله بلجام من نار يوم القيامة»^(١).

فبادرت إلى نكتِ سافرة عن وجه الغرض، مؤدياً من ذلك الحق المفترض. اختلستها^(٢) على استعجال لما المرء بصدده من شغل البدن والبال، بما قلده من مقاليد المحنة التي ابتلي بها^(٣)؛ فكادت تشغل عن كل فرض ونفل، وترد بعد حسن التقويم إلى أسفل سفلى. ولو أراد الله بالإنسان خيراً لجعل شغله وهمه كله فيما يحمد غداً، ولا يذم محله، فليس ثم سوى نضرة النعيم أو عذاب الجحيم. ولكان عليه بخويصته^(٤) واستنقاذ مهجته^(٥)، وعمل صالح يستزيده، وعلم نافع يفيدُه أو يستفيده.

جبر الله تعالى صدع قلوبنا، وغفر عظيم ذنوبنا. وجعل جميع استعدادنا لمعادنا، وتوفر دواعينا فيما ينجيننا ويقربنا إليه زلفى، ويحفظنا بمنه ورحمته . . .

(١) رواه أبو داود ٣٦٥٨ في العلم، والترمذي ٢٤٦٥ فيه، وابن ماجه في المقدمة ٢٦١/٢٦٦، وكذا أحمد ٢/٢٦٣، ٣٠٥، والطيالسي ٨٩، والحاكم ١/١٠١، وصححه على شرط الشيخين ووافقه الذهبي. والحديث صحيح وله طرق أخرى وشواهد، منها ثلاثة صحيحة عن ابن مسعود وابن عباس وعبد الله بن عمرو رضي الله عنهم. وقد كنت جمعت طرقه في رسالة خاصة.

قال الخطابي رحمه الله تعالى في معنى هذا الحديث هذا في العلم الذي يلزمه تعليمه إياه ويتعين فرضه عليه . . . إلخ، وقد ذكرته بتمامه في «بداية الوصول».

(٢) الاختلاس اختطاف الشيء بسرعة.

(٣) وهي السعي وراء العيش وفتنة الحياة والأهل والأولاد . . . وما أعظمها من محنة.

(٤) وهو مصغر خاصة، والمراد بذلك أن يلزم أمر نفسه وما يهيمه من دينه ودنياه.

(٥) أي: تخليص روحه مما يهلكه.

ولما نويت تقريبه ودرّجْتُ تبويبه، وخلصت تفصيله؛ ترجمته^(١)
بـ «الشَّفَا بِتَعْرِيفِ حُقُوقِ الْمُصْطَفَى» وحصرْتُ الكلام فيه في أربعة
أقسام:

● القسم الأول: في تعظيم العليِّ الأعلى لقدر هذا النبي: قولاً،
وفِعْلاً. وفيه أربعة أبواب:

الباب الأول: في ثنائه تعالى عليه، وإظهاره عظيم قدره لديه. وفيه
عشرة فصول.

الباب الثاني: في تكميله تعالى له المحاسن خَلْقًا وَخُلُقًا، وقرانه جميع
الفضائل الدينية والدنيوية فيه نَسَقًا. وفيه سبعة وعشرون فصلاً.

الباب الثالث: فيما ورد من صحيح الأخبار ومشهورها؛ بعظيم قدره
عند ربه ومنزلته، وما خصه الله به في الدارين من كرامته. وفيه اثنا عشر
فصلاً.

الباب الرابع: فيما أظهره الله تعالى على يديه من الآيات والمعجزات،
وشرفه به من الخصائص والكرامات. وفيه ثلاثون فصلاً.

● القسم الثاني: فيما يجب على الأنام من حقوقه عليه الصلاة
والسلام. وفيه أربعة أبواب:

الباب الأول: في فرض الإيمان به، ووجوب طاعته، واتباع سنته.
وفيه خمسة فصول.

الباب الثاني: في لزوم محبته، ومناصحته. وفيه ستة فصول.

الباب الثالث: في تعظيم أمره، ولزوم توقيره وبره. وفيه سبعة
فصول.

(١) أي: سمّيته بهذا الاسم.

الباب الرابع : في حكم الصلاة عليه والتسليم ، وفرض ذلك وفضيلته .
وفيه عشرة فصول .

● القسم الثالث : فيما يستحيل في حقه ﷺ ، وما يجوز عليه ، وما يمتنع ، ويصح من الأمور البشرية أن يضاف إليه . وهذا القسم – أكرمك الله تعالى – هو سرّ الكتاب ، ولباب ثمرة هذه الأبواب . وما قبله له كالقواعد والتمهيدات والدلائل على ما نوره فيه من النكت البينات . وهو الحاكم على ما بعده ، والمنجز من غرض هذا التأليف وَعَدَه ، وعند التقصّي لموعده ، والتقصّي عن عهده يَشْرِقُ صدر العدو اللعين ، وَيُشْرِقُ قلب المؤمن باليقين ، وتملاً أنواره جوانح صدره ، ويقدر العاقل النبيّ حق قدره .
ويتحرر الكلام فيه في بابين .

الباب الأول : فيما يختص بالأمور الدينية ، ويتثبت به القول في العصمة . وفيه ستة عشر فصلاً .

الباب الثاني : في أحواله الدنيوية ، وما يجوز طروءه عليه من الأعراض البشرية . وفيه تسعة فصول .

● القسم الرابع : في تصرف وجوه الأحكام على من تنقّصه أو سبّه ﷺ . وينقسم الكلام فيه في بابين :

الباب الأول : في بيان ما هو في حقه سبّ ونقص من تعريض أو نصّ .
وفيه عشرة فصول .

الباب الثاني : في حكم شائئه ومؤذيه ومنتقصه ، وعقوبته ، وذكر استتابته ، والصلاة عليه ، وورائته . وفيه خمسة فصول .

وختمناه بباب ثالث : جعلناه تكملة لهذه المسألة ، ووصلة للباينين

اللَّذِينَ قَبْلَهُ، فِي حَكْمٍ مِنْ سَبِّ اللَّهِ تَعَالَى، وَرِسْلِهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ،
وَأَلِ النَّبِيِّ ﷺ، وَصَحْبِهِ. وَأَخْتَصَرَ الْكَلَامَ فِيهِ فِي عَشْرَةِ فُصُولٍ.
وَبِتَمَامِهَا يَتَنَجَزُ الْكِتَابُ، وَتَتِمُّ الْأَقْسَامُ وَالْأَبْوَابُ. وَبِاللَّهِ تَعَالَى لَا إِلَهَ
سِوَاهُ أَسْتَعِينُ.

* * *

القسم الأول

في تعظيم العلي الأعلى

لقدر النبي المصطفى ﷺ قولاً وفعلاً

لا خفاء على من مارس شيئاً من العلم أو خُصَّ بأدنى لمحة من الفهم بتعظيم الله قدر نبينا ﷺ وخصوصه إياه بفضائل ومحاسن لا تنضب لزمام^(١)، وتنويهه من عظيم قدره بما تكلَّ عنه الألسنة والأقلام.

فمنها: ما صرَّح به تعالى في كتابه وتبَّه به على جليل نصابه وأثنى به عليه من أخلاقه وآدابه^(٢) وحضَّ العباد على التزامه وتقلُّد إيجابه.

فكان جل جلاله هو الذي تفضل وأولى، ثم طهر وزكَّى، ثم مدح بذلك وأثنى، ثم أثاب عليه الجزاء الأوفى؛ فله الفضل بدءاً وعوداً، والحمد أولى وأخرى.

ومنها: ما أبرزه للعيان من خلقه^(٣) على أتم وجوه الكمال والجلال؛ وتخصيصه بالمحاسن الجميلة، والأخلاق الحميدة، والمواهب الكريمة،

-
- (١) أي: فضائله ومحاسنه كثيرة لا تجتمع ولا تنحصر ولا تدخل تحت ضبط.
- (٢) كقوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَّ خُلِقَ عَظِيمٌ﴾ [القلم: ٤]، وقوله تعالى: ﴿فِيمَا رَحِمَةٌ مِّنَ اللَّهِ لَئِن تَأْتَى الْبُرُوجُ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، وأمثال ذلك كثير في القرآن.
- (٣) بفتح الخاء وسكون اللام: هي الصفة الجسمية التي خلقه الله عليها.

والفضائل العديدة؛ وتأيده بالمعجزات الباهرة، والبراهين الواضحة،
والكرامات البينة: التي شاهدها من عاصره، وراها من أدركه، وعلمها علم
يقين من جاء بعده؛ حتى انتهى علم حقيقة ذلك إلينا (١)، وفاضت أنواره
علينا كثيرة كثيراً... حتى انتهى علم حقيقة ذلك إلينا (١)

ثم أسند من طريق أبي عيسى الترمذي من حديث أنس رضي الله
تعالى عنه أن النبي ﷺ أتى بالبراق - ليلة أسري به - ملجماً مسرجاً،
فاستصعب عليه، فقال له جبريل عليه السلام: أبعلمك تفعل هذا؟! فما
ركبك أحد أكرم على الله منه. قال: فافرض عرقاً (٢).

الذي يروونه



-
- (١) وسيأتي ذلك في الباب الرابع من القسم الأول مفصلاً إن شاء الله تعالى ص ٢١٣.
(٢) ذكره الترمذي في سورة الإسراء من التفسير رقم ٢٩٢٩ بتهذيبي. ورواه أيضاً
أحمد ١٦٤/٣ وغيره، وسنده صحيح، رجاله رجال الشيخين. والبراق دابة طويل
أبيض فوق الحمار، ودون البغل، يضع حافره عند منتهى بصره. هكذا جاء وصفه
في الأحاديث الصحيحة. وقوله «ملجماً... إلخ، أي: له لجام وسرج كما يفعل
بالخيل ونحوها. وقوله: «فاستصعب»، أي: استعسر عليه وامتنع من الركوب
عليه، وذلك لبعده عن عهد الأنبياء الذين كانوا يركبونه. وقوله: فافرض، أي: سال
عرقه حجلاً وحياءً من النبي ﷺ.

وفي الحديث أنه لا أحد أكرم على الله منه ﷺ، فيدل على أنه أفضل من كل
مخلوق على الإطلاق، خلافاً للزمخشري وابن حزم ومن شد من العلماء.

الباب الأول

في ثناء الله تعالى عليه ﷻ

وإظهاره عظيم قدره لديه

في ثناء الله - تعالى - على النفس - والإيمان - لله المولى المولى
اعلم أن في كتاب الله العزيز آيات كثيرة مُفصَّحة^(١) بجميل ذكر
المصطفى ﷺ، وعدِّ محاسنه، وتعظيم أمره، ورفع قدره، اعتمدنا منها
على ما ظهر معناه، وبيان فحواه. وجمعنا ذلك في عشرة فصول: وذكرنا في

* * *

ما جاء من ذلك مجرى المدح والثناء وتعداد المحاسن

وامتنانه تعالى على عباده بعبثة هذا النبي العظيم

قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا
عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾^(٢) [التوبة: ١٢٨].

قال أبو الفضل رحمه الله: أعلم الله تعالى المؤمنين أو العرب أو أهل
مكة أو جميع الناس - على اختلاف المفسرين من المواجه بهذا

(١) مفصحة، أي: ناطقة.

(٢) الرأفة: شدة الرحمة. والرحمة رقة وتعطف تحمل على الإحسان، وهي بهذا المعنى

محال في حق الله تعالى كما بيّن في موضعه.

الخطاب^(١) - أنه بعث فيهم رسولا من أنفسهم يعرفونه ويتحققون مكانه، ويعلمون صدقه وأمانته؛ فلا يتهمونهم بالكذب وترك النصيحة لهم لكونه منهم، وأنه لم تكن للعرب قبيلة إلا ولها على رسول الله ﷺ ولادة أو قرابة. وهو عند ابن عباس^(٢) وغيره معنى قوله تعالى: ﴿إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ [الشورى: ٣١].

وكونه من أشرفهم وأرفعهم وأفضلهم - على قراءة الفتح^(٣) - هذه نهاية المدح.

ثم وصفه بأوصاف حميدة، وأثنى عليه بمحامد كثيرة؛ من حرصه على هدايتهم ورشدهم وإسلامهم وشدة ما يُعنتهم^(٤) ويضربهم في دنياهم وأخراهم، وعزته عليه، ورأفته ورحمته بمؤمنينهم؛ فأعطاه الله تعالى اسمين من أسمائه: وهما ﴿رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [النور: ٢٠]^(٥).

(١) جمهور المفسرين على أن الخطاب للعرب.

(٢) رواه البخاري في التفسير ١٠/١٨٥، وكذا رواه أحمد وابن جرير ٢٣/٢٥، وهذا التفسير هو المعتمد. وهناك تفسير ثانٍ للآية لا داعي لإيراده فانظره مبسوطاً عند ابن كثير وغيره.

(٣) هذه القراءة وردت عن ابن عباس وابن محيصة والزهري وعبد الله بن قسيط. انظر: القرطبي ٣٠١/٨، والألوسي ٥٢/٦، وجاء بها حديث رواه الحاكم ٢٤٠/٢ مرفوعاً. ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ [التوبة: ١٢٨]، يعني: من أعظمتكم قدرًا. وهي وإن كانت قراءة شاذة فمعناها صحيح.

(٤) أي: ما يشق عليهم ولا يطيقونه.

(٥) من أسماء الله تعالى ما يجوز وصف الآدمي بها كهذين الاسمين ومنها ما هي من خصائص الرب تعالى وهي كثيرة. انظرها فيما ألف في الأسماء والصفات، وسيأتي بحث في ذلك، ويلاحظ أن الله تعالى وصفه عليه السلام في آية الباب بأوصاف خمسة، كلها في غاية ما يكون من المدح والثناء.

وقال تعالى في آية ثانية: ﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ١٥١].

وقال في آية ثالثة: ﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ، وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ [آل عمران: ١٦٤].

وقال في آية رابعة: ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيَّةِنَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ، وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ﴾ [الجمعة: ٣].

وقال في آية خامسة: ﴿ رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [البقرة: ١٢٩] (١).

وعن علي رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿ مِنْ أَنْفُسِكُمْ ﴾ [التوبة: ١٢٨] قال: «نسبًا وصهرًا وحسبًا، ليس في أبائي من لدن آدم سفاح، كلها نكاح» (٢).

(١) ذكر الله تعالى عباده المؤمنين في هذه الآيات بنعمته العظمى، وامتن عليهم ببعثه هذا النبي الكريم ﷺ الذي علمنا آياته وكتابه وحكمته وزكانا من أدران الشرك والوثنية والفواحش. فبعثه ﷺ من أصول النعم الخمس التي لا يد للإنسانية في إيجادها فلله الحمد حمدًا كثيرًا دائمًا أبدًا على ذلك.

(٢) أخرجه بنحوه ابن أبي عمر العدني في مسنده كما في المطالب العالية ١٧٧/٤، وأبو نعيم في الدلائل ص ١١، وهو وإن كان ضعيفًا فقد جاء بنحوه من مرسل محمد الباقر رضي الله تعالى عنه. رواه الطبراني في الأوسط رقم ٤٧٢٥، والبيهقي في السنن ١٩٠/٧ قال ابن كثير في البداية: وهذا مرسل جيد. وانظر: مجمع الزوائد ٢١٤/٨.

بعثته ﷺ رحمة للعالمين

قال الله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [١٠٧] [الأنبياء]:
[١٠٧]. فكانت حياته رحمة ومماته رحمة، كما قال ﷺ: «حياتي خير لكم،
وموتي خير لكم»^(١).

وكما قال ﷺ: «إذا أراد الله رحمة بأمة قبض نبيها قبلها فجعله لها فرطاً
وسلفاً»^(٢).

فهو ﷺ رحمة للعالمين^(٣) من الجن والإنس، رحمة للمؤمن

(١) رواه البزار ٨٤٥ مع كشف الأستار عن ابن مسعود بلفظ: «حياتي خير لكم تحدثون
ويحدث لكم، ووفاتي خير لكم تعرض على أعمال فما رأيت من خير حمدت الله،
وما رأيت من شر استغفرت الله لكم». وسنده صحيح على شرط مسلم وأصله عند
أحمد ٣٨٧/١، وأورده النور في المجمع ٢٢٤/٩ برواية البزار وقال: رجاله رجال
الصحيح. وأخرجه ابن سعد في الطبقات ١٩٤/٢ وإسماعيل القاضي في فضل
الصلاة على النبي ﷺ ص ١٢ من حديث بكر بن عبد الله المزني به مرفوعاً وهو
مرسل صحيح. والحديث صريح في أن النبي ﷺ يستغفر لأمة بعد موته، وأن
أعمال الأمة تعرض عليه فيرى حسناتها وسيئاتها، والحديث الشريف يحمل بشارة
عظيمة للأمة الإسلامية صالحيتها وعاصيتها..

(٢) رواه مسلم في الفضائل ٥٢/١٥ من حديث أبي موسى الأشعري وله بقية وهو من
الأحاديث التي قيل بانقطاعها في مسلم وأجيب عنه بأنه جاء متصلاً من طريق آخر.
والفرط بفتح الحين هو الذي يسبق القوم ليهيئ لهم ما ينبغي تهيئته.

(٣) رجع هذا القول واختاره ابن جرير ١٠٦/١٧، فقال بعد أن ذكر القولين للمفسرين:
وأولى القولين في ذلك بالصواب، القول الذي روي عن ابن عباس وهو أن الله أرسل نبيه
محمدًا ﷺ رحمة لجميع العالم مؤمنهم وكافرهم، فأما مؤمنهم فإن الله هداه به وأدخله
بالإيمان به وبالعامل بما جاء من عند الله الجنة، وأما كافرهم فإنه دفع به عنه عاجل البلاء
الذي كان ينزل بالأمم المكذبة رسلها من قبله. وقال الألويسي ١٠٦/٩: والذي أختاره
أنه ﷺ إنما بعث رحمة لكل فرد من العالمين ملائكتهم وإنسهم وجنهم... إلخ.

بالهداية، وللمنافق بالأمان من القتل، وللكافر بتأخير العذاب. قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: هو رحمةٌ للمؤمنين والكافرين؛ إذ عوفوا مما أصاب غيرهم من الأمم المكذبة^(١).

تسميته ﷺ في القرآن نورًا

وقد سماه الله تعالى في القرآن نورًا وسراجًا منيرًا.

فقال تعالى: ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴾^(٢)
يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ ﴿ [المائدة: ١٥، ١٦].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾^(٣) وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴿ [الأحزاب: ٤٥، ٤٦].

(١) أخرجه ابن جرير ١٠٦/١٧ وغيره وفي سننه المسعودي ولا يضر هنا. ومما يتعلق بالآية الكريمة حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قيل: يارسول الله ادع الله على المشركين، قال: «إني لم أبعث لعانًا، وإنما بعثت رحمةً». رواه مسلم ١٥٠/١٦. وحديثه أيضًا قال: قال رسول الله ﷺ: «إنما أنا رحمةٌ مهداة». رواه الحاكم ٣٥/١ وصححه على شرطهما ووافقه الذهبي. ورواه ابن سعد ١٩٢/١، والدارمي رقم ١٥ عن أبي صالح السمان مرسلًا بسند صحيح، وعزاه النور في المجمع ٣٥٧/٨ للبزار والطبراني وقال: رجال البزار رجال الصحيح. وقوله مهداة بكسر الميم، أي: هاد، وبفتحها، أي: مهداة إليكم بمعنى الهدية.

(٢) لم يذكر ابن جرير في الآية الكريمة غير هذا المعنى فقال ١٦١/٦، يعني بالنور محمدًا ﷺ الذي أنار الله به الحق وأظهر به الإسلام، ومحق به الشرك، فهو نور لمن استنار به بين الحق... إلخ. وتبعه ابن كثير والجلال، وقال الألوسي: قد جاءكم من الله نور عظيم وهو نور الأنوار، والنبي المختار ﷺ. وبه أيضًا صدر الفخر الرازي.

(٣) سماه السراج لأنه جلى به ظلمات الشرك واهتدى به الضالون كما يجلى الظلام =

شرح صدره ﷺ، ووضع وزره، ورفع ذكره

قال الله تعالى: ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾ الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾ ﴾ [الشرح: ١ - ٤].

شرح: وسَّعَ. والمراد بالصدر: القلب.

قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: شرحه بنور الإسلام^(١)، وقال الحسن: ملأه حكماً وعلماً^(٢).

وقوله: ﴿ وَوَضَعْنَا... ﴾ إلخ، قيل: ما سلف من ذنبك، يعني: قبل النبوة. وقيل: أراد ثقل أيام الجاهلية. وقيل: ما أثقل ظهره من الرسالة حتى بلغها. وقيل: عصمناك، ولولا ذلك لأثقلت الذنوب ظهرك^(٣).

بالسراج المضيء، فقد أثار الله عز وجل بنور نبوته البصائر كما ينور السراج الأبصار. ووصفه بالإنارة لأن من السرج ما لا يضيء، ووصفه بالسراج ولم يصفه بالشمس، لأن الشمس لا يوقد منها بخلاف السراج فإنه يوقد منه أنوار كثيرة. وهكذا شأنه ﷺ فهو مصدر العلوم الإلهية والمعارف الربانية وأسباب الهداية والسعادة، ومنه تفرعت بما أفاض الله تعالى عليه من وحيه وأنعم عليه برسالته.

(١) أخرجه ابن مردويه وابن المنذر عنه، ورواه ابن أبي حاتم عن عكرمة.

(٢) أورده القرطبي في تفسيره ١٠٤/٢٠ بلا عزو ولا سند، ويؤيده حديث الإسراء الطويل، وفيه: ثم حُشِيَ إيماناً وحكمةً.

قال المفسرون: ألم نفتح ونوسع ونلن لك قلبك بالإيمان والنبوة والعلم والحكمة؟ في معنى هذه الآية للمفسرين سبعة أقوال ذكرها الألويسي وغيره... (٣)

اقتصر الشيخ منها على أربعة، ولم يذكر ابن جرير غير القول الأول والثاني فقال: ﴿ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿١﴾ ﴾ [الشرح: ٢]، يقول: وغفرنا لك ما سلف من ذنوبك، وحططنا عنك ثقل أيام الجاهلية التي كنت فيها. ونقل المعنى الأول عن مجاهد وقتادة وابن زيد.

واختار أبو حيان كون وضع الوزر كناية عن عصمته ﷺ عن الذنوب، وتطهيره من =

وقوله: ﴿وَرَفَعْنَا...﴾ إلخ، قال أبو الفضل رحمه الله تعالى: هذا تقرير من الله جل اسمه لنبيه ﷺ على عظيم نعمه لديه، وشريف منزلته عنده، وكرامته عليه؛ بأن شرح قلبه للإيمان والهداية، ووسّعه لوعي العلم وحمل الحكمة؛ ورفع عنه ثقل أمور الجاهلية، وبغّضه لسيّرها وما كانت عليه بظهور دينه على الدين كله؛ وخطّ عنه عهدة أعباء الرسالة والنبوة لتبليغه للناس ما نزل إليهم، وتنويهه بعظيم مكانه وجليل رتبته ورفعة ذكره؛ وقرانه مع اسمه اسمه.

قال قتادة رحمه الله تعالى: رفع الله ذكره في الدنيا والآخرة، فليس خطيب، ولا متشهد، ولا صاحب صلاة، إلّا يقول: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله ﷺ^(١).

وروى أبو سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ قال: أتاني جبريل عليه السلام فقال: إن ربي وربك يقول: تدري كيف رفعت ذكرك؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: إذا ذكرتُ ذكرتُ معي^(٢).

الأدناس، عبر عن ذلك بالوضع على سبيل المبالغة في انتفاء ذلك... وكذا قال الرازي. وقوله: ﴿الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ﴾ [الشرح: ٣]، أي: الذي أثقل وأوهن ظهره.

وسياتي البحث عن عصمة الأنبياء في موضعه إن شاء الله تعالى... مع بقية البحث في السورة.

(١) رواه ابن جرير ٢٣٥/٣٠ عنه من طريقين والبيهقي في الدلائل ٦٣/٧. وأخرجه أيضاً بمعناه عن مجاهد بسند صحيح. وحكاه الألويسي عن محمد بن كعب والضحاك والحسن وغيرهم. ولا خلاف في هذا المعنى.

(٢) رواه ابن جرير ٢٣٥/٣٠، وأبو يعلى وابن حبان في صحيحه ١٧٥/٨ بالإحسان وسنده حسن صحيح لولا رواية دراج عن أبي الهيثم فإن فيها عندهم ضعفاً. علماً بأن الترمذي وغيره يحسنون له. وهو في المجمع ٣٥٤/٨. ومعنى الحديث صحيح.

ومن ذكِّره معه تعالى أن قرن طاعته بطاعته، واسمه باسمه، فقال تعالى: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠]، وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ﴾ [الفتح: ١٠]، وقال: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾ [آل عمران: ٣٢]. وقال: ﴿فَإِنْ نُنزِعْكُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩]، وقال: ﴿فَتَأْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [التغابن: ٨]. في أي كثيرة. وقد جمع في كثير منها بواو العطف المشتركة. ولا يجوز جمع هذا الكلام في غير حقه ﷺ.

ثم أسند من طريق أبي داود^(١) عن حذيفة رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ قال: «لا يقولنَّ أحدكم: ما شاء الله وشاء فلان. ولكن: ما شاء الله ثم شاء فلان».

قال الخطابي رحمه الله تعالى: أرشدهم ﷺ إلى الأدب في تقديم مشيئة الله تعالى على مشيئة من سواه، واختارها بثم التي هي للنسق والتراخي، بخلاف الواو التي هي للاشتراك.

ومثله الحديث الآخر: أن خطيباً خطب عند النبي ﷺ فقال: من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعصهما. فقال له النبي ﷺ: بئس خطيب القوم أنت، قم — أو قال: اذهب^(٢). قال أبو سليمان: كره منه الجمع بين

(١) ذكره أبو داود في الأدب من سننه ٤٩٨٠، ورواه أيضاً أحمد ٣٨٤/٥، ٣٩٤، ٣٩٨. والطحاوي في المشكل ٩٠/١، والبيهقي في السنن ٢١٦/٣ من طريق شعبة به وسنده صحيح، وله شاهد عن ابن عباس عند البخاري في الأدب المفرد ٧٨٧، وابن ماجه ٢١١٧، وأحمد ٢١٤/١، ٢٢٤، ٣٤٧ وغيرهم، وسنده حسن أو صحيح، وآخر عن الطفيل بن سخبرة. رواه أحمد ٧٢/٥ وغيره وسنده صحيح أيضاً.

(٢) رواه أحمد ٢٥٦/٤، ٣٧٩، ومسلم في الجمعة ٥٩/٤، وأبو داود فيها أيضاً =

الاسمين بحرف الكناية؛ لما فيه من التسوية .

وذهب غيره إلى أنه إنما كره له الوقوف على (يعصهما) .

وقول أبي سليمان أصح؛ لما روي في الحديث الصحيح^(١) أنه قال:
(ومن يعصهما فقد غوى)، ولم يذكر الوقوف على (يعصهما) .

وقد اختلف الفسرون وأصحاب المعاني في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾ [الأحزاب: ٥٦]، هل ﴿يُصَلُّونَ﴾ راجعة على الله تعالى والملائكة أم لا؟ فأجازه بعضهم، ومنعه آخرون؛ لعللة التشريك، وخصّوا الضمير بالملائكة، وَقَدَّرُوا الْآيَةَ: (إن الله يصلي؛ وملائكته يصلون)^(٢) .

رسول الله ﷺ هو الذي جاء بالصدق وصدق به

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾^(٣)
لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الزمر: ٣٣، ٣٤] .
أكثر المفسرين على أن الذي جاء بالصدق هو حبيينا محمد ﷺ^(٣) .

= ١٠٩٩، وفي الأدب ٤٩٨١، والنسائي في النكاح ٧٤/٦ وغيرهم من حديث
عدي بن حاتم .

(١) هو الحديث السابق .

(٢) وقد بين ذلك القرطبي ٢٣٢/١٤ وغيره .

(٣) ذكر هذا القول ابن جرير ٣/٢٥ عن علي وقتادة وابن زيد والسدي وحكاه ابن كثير
أيضاً ٩٣/٦ عن مجاهد وقتادة والربيع بن أنس وابن زيد قال: والرسول ﷺ أولى
الناس بالدخول في هذه الآية على هذا التفسير فإنه جاء بالصدق وصدق المرسلين
وآمن بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله . . . إلخ .
أما ابن جرير فقال: والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله تعالى ذكّره عني
بقوله: ﴿والذي جاء بالصدق . . . إلخ﴾ كل من دعا إلى توحيد الله وتصديق رسوله =

وقال بعضهم : وهو الذي صدق به .

وقال غيره : الذي صدق به : المؤمنون . وقيل أبو بكر . وقيل : علي .
وقيل غير ذلك^(١) .

بعض صفاته ﷺ في القرآن والتوراة

وصفه تعالى له بالشهادة وما يتعلق بها من الشناء والكرامة

قال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا
إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴿٤٦﴾ ﴾ [الأحزاب : ٤٥ ، ٤٦] .

جمع الله عزَّ وجلَّ له في هذه الآية ضروريًا من رتب الأثره، وجملة
أوصاف من المدحة، فجعله شاهدًا على أمته لنفسه بإبلاغهم الرسالة، وهي
من خصائصه ﷺ، ومبشرًا لأهل طاعته، ونذيرًا لأهل معصيته، وداعيًا إلى
توحيده وعبادته، وسراجًا منيرًا يهتدى به للحق . .

ثم أسند من طريق البخاري في صحيحه : عن عطاء بن يسار رحمه الله
تعالى قال : لقيت عبد الله بن عمرو رضي الله تعالى عنهما فقلت : أخبرني
عن صفة رسول الله ﷺ . قال : أجل . . والله إنه لموصوف في التوراة ببعض
صفته في القرآن : (يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدًا ومبشرًا ونذيرًا وحرزًا
للأميين ، أنت عبدي ورسولي ، سميتك المتوكل . ليس بفظ ولا غليظ ، ولا
سخاب في الأسواق ، ولا يجزي بالسيئة السيئة ، ولكن يعفو ويصفح . ولن
يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء ، بأن يقولوا : لا إله إلا الله . ويفتح به

= والعمل بما ابتعث به رسوله ﷺ من بين رسل الله وأتباعه والمؤمنين به ، وأن يقال :
الصدق هو القرآن وشهادة أن لا إله إلا الله ، والمصدق به المؤمنون بالقرآن من
جميع خلق الله كائنًا من كان من نبي الله وأتباعه .

(١) انظر هذه الأقوال وأصحابها عند ابن جرير ٣/٢٥ .

أعينا عميًّا، وأذانًا صمًّا، وقلوبًا غُلْفًا^(١).

ومثله عن عبد الله بن سلام رضي الله تعالى عنه^(٢). وكعب الأخبار رحمه الله تعالى^(٣)، وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ...﴾ إلخ^(٤) [الأعراف: ١٥٧].

وقال تعالى: ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَنَّفُضُوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

ذَكَرَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْهُ أَنَّهُ جَعَلَ رَسُولَهُ ﷺ رَحِيمًا بِالْمُؤْمِنِينَ، رءُوفًا، لِيِّنِ الْجَانِبِ. وَلَوْ كَانَ فَظًا خَشِنًا فِي الْقَوْلِ لَتَفَرَّقُوا مِنْ حَوْلِهِ. وَلَكِنْ جَعَلَهُ اللَّهُ

(١) ذكره البخاري في البيوع ٢٤٦/٥، وفي تفسير سورة الفتح ٢٠٧/١٠، ٢٠٨، ورواه في الأدب المفرد رقم ٢٤٦، وكذا رواه أحمد ١٧٤/٢ وغيره.

وقوله: حرزًا... إلخ، أي: حصنًا وحفظًا لهم من الضلال في الدنيا ومن عذاب الله في الآخرة: والأميون هم العرب. وقوله: ليس بفظ، الفظاظة هي الغلظة والقساوة والعنف. وقوله: ولا سخاب ويقال سخاب هو الرافع صوته. وقوله: الملة... إلخ، هي دين إبراهيم الذي غيره العرب وعوجوه فبعث هذا الرسول ليقممه ويرجعه إلى أصله الخالص. وقوله: وقلوبًا... إلخ، أي: التي كانت عايبها أغشية... من الظلام... وهذا حديث عظيم في باب فضائل النبي ﷺ.

(٢) هذا ذكره البخاري معلقًا، وعنه أورده البيهقي في الدلائل ٣٧٦/١، وكذا الدارمي رقم ٦ بنحو ما سبق.

(٣) رواه عنه الدارمي في سننه رقم ٥ بسند صحيح، ورواه من طريقين آخرين ٨/٧ بنحوه وسند أحدهما حسن. وانظر: الدلائل للبيهقي ٣٧٦/١، والبداية لابن كثير ٦١/٦.

(٤) الآية الكريمة جاءت في سياق تحدته تعالى عن رحمته التي وسعت كل شيء، يعني في الدنيا، ثم خصصها في الآخرة لمن اتقاه، ثم تابع الكلام على المتقين فجعل منهم المؤمنين من أهل الكتاب الذين يجدون صفة هذا الرسول في كتبهم... إلى آخر ما ذكر عنهم.

تعالى سمحاً سهلاً طلقاً برّاً لطيفاً. هكذا قاله الضحاك^(١).

وقال تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة: ١٤٣].

أبان الله تعالى فضل نبينا ﷺ وفضل أمته بهذه الآية، وفي قوله في الآية الأخرى: ﴿ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ﴾ [الحج: ٧٨]. كذلك في قوله تعالى: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴾ [النساء: ٤١]^(٢).

وقوله تعالى: ﴿ وَسَطًا ﴾، أي: عدولاً خياراً.

ومعنى هذه الآية: وكما هديناكم فكذلك خصصناكم وفضلناكم بأن جعلناكم أمةً خياراً عدولاً لتشهدوا للأنبياء عليهم الصلاة والسلام على أممهم، ويشهد لكم الرسول بالصدق.

إن الله جل جلاله إذا سأل الأنبياء: هل بلغتكم؟ فيقولون: نعم. فتقول أممهم: ما جاءنا من بشير ولا نذير. فتشهد أمة محمد ﷺ للأنبياء، ويزكيهم النبي ﷺ^(٣).

(١) لا مفهوم للضحاك فكل المفسرين قالوا بهذا المعنى.

(٢) وقال في آية رابعة: ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ... ﴾ [النحل: ٨٩]، وكلها صريحة في شهادته ﷺ على أمته يوم القيامة.

(٣) هذا معنى حديث رواه أحمد ٣/٣٢، والبخاري في التفسير ٩/٢٣٨، ٢٣٩، وفي بدء الخلق، وفي الاعتصام والترمذي ٢٧٧٢، والنسائي في الكبرى ٦/٢٩٢، وغيرهم عن أبي سعيد الخدري عنه ﷺ: «يدعى نوح» يوم القيامة فيقال له: هل بلغت؟ فيقول نعم، فيُدعى قومه فيقال لهم: هل بلغتكم؟ فيقولون: ما أتانا من نذير وما أتانا من أحد، فيقال لنوح: من يشهد لك؟ فيقول: محمد وأمه، قال: فذلك قوله: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا... ﴾ [البقرة: ١٤٣]، ونحوه باتم منه عند أحمد ٣/٥٨، وابن ماجه في الزهد ٤٢٨٤ بسند صحيح على شرطهما.

ما ورد من خطابه إياه ﷺ مورد الملاطفة والمبرة

(العفو قبل العتاب والتبشير قبل الوقوع فيما يعاتب عليه)

فمن الأول: قوله تعالى: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ﴾ (١) [التوبة:

[٤٣]. حسن الملاطفة والعفو من العتاب

قال العلماء: هذا افتتاح كلام، بمنزلة: أصلحك الله وأعزك الله.

فأخبره تعالى بالعفو قبل أن يخبره بما صدر منه من الإذن للمتخلفين.

فهو تعالى برحمته به، أخبره بالعفو؛ حتى سكن قلبه، ثم قال له: لم

أذنت لهم بالتخلف حتى يتبين لك الصادق في عذره من الكاذب.

وفي هذا من عظيم منزلته عند الله ما لا يخفى على ذي لب، ومن

إكرامه إياه وبره به ما يقطع دون معرفة غايته نياط القلب.

قال أبو الفضل رحمه الله تعالى: يجب على المسلم - المجاهد نفسه

الرأئض برمام الشريعة خلقه -، أن يتأدب بأداب القرآن في قوله وفعله

(١) قال الألويسي: وهذا عتاب لطيف من اللطيف الخبير سبحانه لحبيبه ﷺ على ترك

الأولى، وهو التوقف عن الإذن إلى انجلاء الأمر وانكشاف الحال... قال:

والمحققون على أنها خارجة مخرج العتاب كما علمت على ترك الأولى

والأكمل... إلخ، وقال: وفي تصدير الخطاب بما صدر به تعظيم لقدر النبي ﷺ

وتوقير له وتوفير لحرمة عليه الصلاة والسلام. وقد أخذ من هذه الآية الكريمة

وغيرها جواز اجتهاد الرسول ﷺ، والقضية مبسوطة في كتب الأصول، قال

عمرو بن ميمون: اثنان فعلهما رسول الله ﷺ باجتهاده، لم يؤمر فيهما بشيء: إذنه

للمنافقين في التخلف، وأخذه الفداء من أسارى بدر. فعاتبه الله كما تسمعون... أما

ما قاله الزمخشري في كشفه حيث زعم أن الكلام كناية عن الجنابة وأن معناه

أخطأت وبشما فعلت... إلخ فهو سوء أدب مع مقام النبوة، وجناية منه على نفسه

قبل غيره. عصمنا الله من الزلل وقلة الأدب.

ومعاطاته ومحاوراته؛ فهو عنصر المعارف الحقيقية، وروضة الآداب الدينية والدينية. وليتأمل هذه الملاطفة العجيبة في السؤال من رب الأرباب، المنعم على الكل، المستغني عن الجميع، ويستشير ما فيها من الفوائد، وكيف ابتداء بالإكرام قبل العتب، وأنس بالعفو قبل ذكر الذنب إن كان ثم ذنب. ^{من المبرور} ^{من التصديق} ^{من يعاتب}

ومن الثاني: قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا أَنْ تُبَنِّنَكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٤]، قال بعض المتكلمين: عاتب الله الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم بعد الزلات^(١)، وعاتب نبينا ﷺ قبل وقوعه؛ ليكون بذلك أشد انتهاءً ومحافظةً لشرائط المحبة، وهذه غاية العناية. ثم انظر: كيف بدأ بثباته وسلامته قبل ذكر ما عتبه عليه وخيف أن يركن إليه؟ ففي أثناء عتبه براءته وفي طي تخويفه تأمينه وكرامته...

إكرامه تعالى نبيه ﷺ بتصديقه، وتسليته إياه وبره به
قال تعالى: ﴿قَدْ نَعَلْنَا إِبْرَاهِيمَ إِذْ يَمُرُّ بِالْحَرَمِ الَّذِي يُقُولُونَ فَاِنَّهُمْ لَا يَكْذِبُونَكَ وَلَكِنْ الظَّالِمِينَ بِنَايَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [٣٣] ﴿وَلَقَدْ كَذَّبْتَ رَسُولٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبْرًا عَلَى مَا كَذَّبُوا وَأَوْذُوا حَتَّىٰ أَلْتَهُمُ نَصْرًا﴾ [الأنعام: ٣٣، ٣٤].

قال علي رضي الله تعالى عنه: قال أبو جهل للنبي ﷺ: إنا لا نكذبك، ولكن نكذب بما جئت به. فأنزل الله تعالى: ﴿فَاِنَّهُمْ لَا يَكْذِبُونَكَ...﴾ [الأنعام: ٣٣] (٢).

(١) سيأتي الكلام في صفحة ٣٨٨ وما بعدها على ما صدر من الأنبياء وما جاء فيهم في القرآن، وفي الآية الكريمة بيان عصمته ﷺ حتى من الركون والميل القليل إلى ما دعاه إليه الكفار وذلك بتثبيت الله عز وجل إياه.

(٢) رواه الترمذي ٢٨٦٦ بتهذيبي، والحاكم ٣١٥/٢ وسنده صحيح. وصححه الحاكم على شرطهما، ووافقه الذهبي ولا يضر إرساله في طريق له.

ففي هذه الآية منزع لطيف المأخذ من تسليته تعالى له ﷺ وإلطافه في القول: بأن قرّر عنده أنه صادق عندهم، وأنهم غير مكذبين؛ له معترفون بصدقه قولاً واعتقاداً؛ فدفع بهذا التقرير اشتداد الأمر عليه بسمة الكذب، ثم جعل الذم لهم بتسميتهم جاحدين ظالمين، فقال تعالى: ﴿وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ (٣٣)، وحاشاه من العيب، وطوقهم بالمعادنة بتكذيب الآيات حقيقة الظلم؛ إذ الجحد إنما يكون ممن علم الشيء ثم أنكره، كقوله تعالى: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل: ١٤].

ثم سلاه وصبره وآتسه بما ذكره عن قبله ووعدته بالنصر بقوله: ﴿وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَنَّهُمْ نَصَرْنَا﴾.

ومما ذكر من خصائصه ﷺ وبر الله تعالى به أن الله تعالى خاطب جميع الأنبياء بأسمائهم فقال: ﴿يَتَادُمُ﴾ ﴿يَنُوحُ﴾ ﴿يَتَابَرِهِيْمُ﴾ ﴿يَمُوسَىٰ﴾ ﴿يَنَدَاوُدُ﴾ ﴿يَعِيسَىٰ﴾ ﴿يَنزَكَرِيَّا﴾ ﴿يَيَحْيَىٰ﴾، ولم يخاطبه هو إلا ب: ﴿يَتَايَهَا الرَّسُولُ﴾ ﴿يَتَايَهَا النَّبِيُّ﴾ ﴿يَتَايَهَا الْمُرْسَلُ﴾ ﴿يَتَايَهَا الْمُدْتَرِئُ﴾ (١).

قسمه تعالى بعظيم قدره ﷺ (٢)

قال الله تعالى: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الحجر: ٧٢].

- (١) ذكر هذا مبسوطاً أبو نعيم في الدلائل ٦/٥. وانظر تهذيبي للخصائص ص ٣٥٧.
- (٢) ذكر الشيخ رحمه الله تعالى في هذا الفصل والذي يليه عدة أقسام أقسم الله تعالى بها تنويهاً بنبئه ﷺ وتكريماً له وتعظيمًا، وهي كالآتي:
أولاً: قسمه تعالى بعمره وحياته العطرة. ثانيًا: قسمه بالقرآن على أنه من المرسلين.
ثالثًا: قسمه بالبلد الأمين، وهو حال فيه. رابعًا: قسمه بالضحى والليل على أنه ما تركه وما أبغضه. خامسًا: قسمه بالنجم على أنه ما ضلّ وما غوى وما ينطق عن الهوى.
سادسًا: قسمه بالقلم وما يسطرون على أنه ليس بمجنون، وأن له الأجر غير المقطوع، وأنه لعلى خلق عظيم. وكلها أقسام في نهاية العظمة على فضل هذا الرسول الكريم ﷺ.

اتفق أهل التفسير^(١) في هذا أنه قسم من الله جل جلاله بمدة حياة حبيبنا محمد ﷺ، ومعناه: وبقائك يا محمد. أو: وعيشك وحياتك.. وهذه نهاية التعظيم، وغاية البر والتشريف.

قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: ما خلق الله تعالى وما ذرأ وما برأ نفساً أكرم عليه من محمد ﷺ، وما سمعت الله تعالى أقسم بحياة أحد غيره^(٢).

قسمه تعالى بالقرآن على أن نبينا لمن المرسلين

قال الله تعالى: ﴿يَسَّ ۝١ وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ۝٢ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ۝٣﴾ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٤﴾ [يس: ١ - ٤]. فأقسم تعالى بكتابه الكريم على أنه ﷺ لمن المرسلين بوحيه إلى عباده، وعلى صراط مستقيم، أي: طريق لا اعوجاج فيه ولا عدول عن الحق. قال النقاش: لم يقسم الله تعالى لأحد من أنبيائه بالرسالة في كتابه إلا له. وفيه من تعظيمه بذلك وتمجيده ما لا يخفى.

(١) وكذا نقل ذلك القاضي أبو بكر في أحكام القرآن فقال: قال المفسرون بأجمعهم: أقسم الله تعالى ههنا بحياة سيدنا محمد ﷺ، وتبعه القرطبي على ذلك.

وهذا الذي لم يذكر سواه ابن جرير فقال ٤٤/١٤: يقول تعالى لنيته سيدنا محمد ﷺ: وحياتك يا محمد إن قومك من قريش لفي شركهم يعمهون، يقول: لفي ضلالتهم وجهلهم يترددون.. قال: وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل... إلخ، ونحوه عند الألويسي وغيره، وأصل عمرك ضم العين ولكنها فتحت لكثرة الاستعمال، أما من قال: بأن القسم بعمر لوط فهو قول ضعيف، وإن قاله الزمخشري ومن تبعه.

(٢) رواه ابن جرير ٤٤/١٤ من طريقين عنه: أحدهما سنده صحيح، وكذا رواه أبو نعيم ١٣/١٢، والبيهقي كلاهما في الدلائل.

قسمه تعالى بالبلد الأمين لحلول نبي الله به

قال الله تعالى: ﴿لَا أَقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ ﴿١﴾ وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ ﴿٢﴾﴾^(١) [البلد:

١، ٢].

قيل: لا أقسم به إذا لم تكن فيه بعد خروجك منه. وقيل: «لا» زائدة، أي: أقسم به، وأنت به يا محمد حلال، أو حل لك ما فعلته فيه.. والمراد بالبلد عند هؤلاء: مكة.

وقوله: ﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ﴿٣﴾﴾ من قال: «أراد آدم»؛ فهو عام، ومن قال: «هو إبراهيم وما ولد»؛ فهي إن شاء الله تعالى إشارة إلى حبيبنا محمد ﷺ، فتتضمن السورة القسم به ﷺ في موضعين.

قسمه تعالى جده له لتحقيق مكانته عنده

قسمه بالضحي والليل على أنه ما تركه وما أبغضه

قال الله تعالى: ﴿وَالضُّحَى ﴿١﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى ﴿٢﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ﴿٣﴾﴾

[الضحى: ١ - ٣].

اختلف في سبب نزول هذه السورة، فقيل: كان ترك النبي ﷺ قيام الليل لعذر نزل به، فتكلمت امرأة في ذلك بكلام^(٢).

(١) معناه عند المفسرين: أقسم تعالى بالبلد الحرام، وهي مكة المكرمة التي شرفها الله تعالى وجعلها حرماً آمناً تشریفاً لها. ﴿وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ ﴿٢﴾﴾، أي: والحالة هذه وأنت يا رسولي ساكن مقيم بهذا البلد.

قال البيضاوي: أقسم بالبلد الحرام، وقيد بحلولة عليه السلام فيه إظهاراً لمزيد فضله وإشعاراً بأن شرف المكان بشرف أهله.. وأما قوله: ووالد وما ولد، فالمراد به آدم وما تناسل منه من الصالحين فهو قَسَمٌ ثَانٍ بالأنبياء، ومنهم نبينا صلوات الله وسلامه عليهم.

(٢) هذا رواه أحمد ٤/٣١٢، ٣١٣، والبخاري في قيام الليل، وفي التفسير =

وقيل : بل تكلم به المشركون عند فترة الوحي ؛ فنزلت السورة^(١) .

قال أبو الفضل رحمه الله تضمنت هذه السورة من كرامة الله له وتنويهه به وتعظيمه إياه ستة وجوه . . .

الأول : القسم له عما أخبره به . من حاله بقوله تعالى : ﴿ وَالضُّحَىٰ ۝١ ﴾
وَأَلَيْلٍ إِذَا سَجَىٰ ۝٢﴾ ، أي : ورب الضحى . وهذا من أعظم درجات المبرة .

الثاني : بيان مكانته عنده وحظوته لديه بقوله تعالى : ﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣﴾ ، أي : ما تركك وما أبغضك . وقيل : ما أهملك بعد أن اصطفاك .

الثالث : قوله تعالى : ﴿ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ۝٤﴾ ، أي : مالك في مرجعك عند الله ، وما ادخر لك من الشفاعة والمقام المحمود خير لك وأعظم مما أعطاك في الدنيا .

الرابع : قوله تعالى : ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ۝٥﴾ ، وهذه آية جامعة لوجوه الكرامة وأنواع السعادة وشتات الإنعام في الدارين والزيادة .

الخامس : ما عده تعالى عليه من نعمه وقرره من آلائه قبله في بقية السورة : من هدايته إلى ما هداه له ، أو هداية الناس به — على اختلاف التفاسير — . ولا مال له فأغناه بما آتاه ، أو بما جعل في قلبه من القناعة والغنى . وبيتمًا ؛ فرق له عمه وآواه إليه . ذكره بهذه المنن وأنه على المعلوم

= ٣٣٩/١٠ ، ٣٤٠ ، ومسلم في السير ٢٥٦/١٣ ، وغيرهم من حديث جندب بن سفيان قال : اشتكى رسول الله ﷺ فلم يقم ليلتين أو ثلاثاً فجاءت امرأة فقالت : يا محمد إني لأرجو أن يكون شيطانك قد تركك ، لم أره قربك منذ ليلتين أو ثلاث ، فأنزل الله : والضحى . . . إلخ ، والمرأة هي زوجة أبي لهب لعنهما الله . (١) هذا رواه الترمذي في التفسير ٣١٢٧ عن جندب ، وحسنه وصححه ، وأصله في الصحيحين .

من التفسير لم يهمله في حال صغره وعيلته ويُتمه، وقبل معرفته به، ولا ودعه ولا قلاه. فكيف بعد اختصاصه واصطفائه؟

السادس: أمره بإظهار نعمته عليه وشكر ما شرفه به بنشره وإشادة ذكره بقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ (١١)﴾، فإن من شكر النعمة التحدث بها، وهذا خاص له عام لأُمَّته.

سورة النجم وما انطوت عليه من فضائل وخصائص لنبينا ﷺ
قال الله تعالى: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ (١) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ (٢) وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ (٤)﴾ إلى قوله تعالى: ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ (١٨)﴾ [النجم: ١ - ١٨].

اختلف المفسرون في قوله تعالى: ﴿وَالنَّجْمِ﴾ بأقويل معروفة، منها:
النجم على ظاهره^(١). تضمنت هذه الآيات من فضله وشرفه العِد ما يقف دونه العَدُّ.

وأقسم تعالى اسمه على هداية المصطفى وتنزيهه عن الهوى وصدقه فيما تلا، وأنه وحى يوحى أوصله إليه عن الله جبريل وهو الشديد القوي، ثم أخبر تعالى عن فضيلته بقصة الإسراء، وانتهائه إلى سدرة المنتهى، وتصديق بصره فيما رأى، وأنه رأى من آيات ربه الكبرى. ولما كان ما كاشفه ﷺ من ذلك الجبروت وشاهده من عجائب الملكوت لا تحيط به العبارات، ولا

(١) ذهب ابن عباس ومجاهد وسفيان الثوري وغيرهم إلى أن النجم هنا المراد به الشريا، واختاره ابن جرير ٤١/٢٦. فأقسم تعالى بهذا النجم - لما فيه من المنفعة والمعلمة للعباد، إذا هوى وسقط غائبا عن الأفق - على براءة الرسول ﷺ من الضلال والغي والكذب، كما اتهمه بذلك كفار قريش. ثم استرسل يعدد ما تفضل به عليه من نعمة المعراج.

وهذه السورة مع سورة الإسراء، كلاهما تتحدثان عن معجزة الإسراء، وسيأتي ذلك.

تستقل بحمل سماع أدناه العقول؛ رمز عنه تعالى بالإيماء والكناية الدالة على التعظيم فقال تعالى: ﴿ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ۗ ﴾ (١٠)، وقال: ﴿ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ ۗ ﴾ (١٨)، انحسرت الأفهام عن تفصيل ما أوحى، وتاهت الأحلام في تعيين تلك الآيات الكبرى.

قال أبو الفضل رحمه الله تعالى: اشتملت هذه الآيات على إعلام الله تعالى بتزكية جملته ﷺ وعصمتها من الآفات في هذا المسرى؛ فزكى فؤاده، ولسانه، وجوارحه.

فقلبه، بقوله تعالى: ﴿ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ۗ ﴾ (١١)، ولسانه بقوله: ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۗ ﴾ (٢)، وبصره بقوله: ﴿ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ۗ ﴾ (١٧).

قسمه تعالى بالنجوم والليل والصبح

على أن هذا القرآن هو وحي من الله جاء به جبريل وأن النبي ليس بمجنون

قال تعالى: ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنُوسِ ۗ (١٥) الْجَوَارِ الْكُنُوسِ ۗ (١٦) وَاللَّيْلِ إِذَا عَسَسَ ۗ (١٧) وَالصُّبْحِ إِذَا نَشَسَ ۗ (١٨) إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۗ (١٩) ﴾، إلى قوله: ﴿ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيرٍ ۗ ﴾ (٢٥) [التكوير: ١٥ - ٢٥].

أي: أقسم أنه لقول رسول كريم (أي: كريم عند مرسله ذي قوة) على تبليغ ما حملة من الوحي (مكين) أي: متمكن المنزلة من ربه رفيع المحل عنده. مطاع ثم، أي: في السماء (أمين على الوحي). وهذه الأوصاف كلها لجبريل (١).

(١) هذا قول جمهور المفسرين، ولم يذكر ابن جرير غيره ٣٠/٧٩، ٨٠.

وقوله: ﴿ بِالْخُنُوسِ ۗ ﴾ (١٥)، ﴿ الْكُنُوسِ ۗ ﴾ (١٦). إلخ كل منهما صفة للنجوم، فالخنس جمع خانس، وهي الكواكب المضيئة التي تخنس وتختفي عن الأبصار نهارًا. =

وقوله: ولقد رأى، يعني: محمداً ﷺ رأى جبريل في صورته . . ﴿ وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِظَنِينٍ ﴾ ، أي بمتهم ، ومن قرأها بالضاد فمعناه: ما هو ببخيل بالدعاء ، والتذكير بحكمه ويعلمه ، وهذه لحبيبتنا محمد ﷺ باتفاق .

قسمه تعالى

بالقلم وما يسطرون على تبرئته من الجنون
وأن له الأجر غير الممنون وأنه لعلی خلق عظیم

قال تعالى: ﴿ ت وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾ مَا أَنْتَ بِمَجْنُونٍ ﴿٢﴾ ﴾ (١)

والكنس جمع كانس، وهي النجوم التي تغيب ليلاً. وقوله: ﴿ وَالْأَيْلِ إِذَا عَسَسَ ﴾ (٤٧)، أي: أقبل بظلامه، وقوله: ﴿ وَالصُّبْحِ إِذَا نَفَسَ ﴾ (١٨)، أي: أضاء وتبلج واتسع ضياؤه.

أقسم تعالى بهذه الكائنات والآيات الباهرات الدالة عليه على أن ما يقوله الرسول ﷺ وما أتى به ليس كما يقوله المشركون من أنه سحر أو شعر وكهانة . . وإنما هو كلام الله عز وجل، جاء به جبريل، ذلك الملك العظيم الذي وصفه بأنه رسول كريم . . إلخ، ثم نفى الجنون عن رسولنا الكريم، وأنه رأى جبريل بين السماء والأرض، وأنه ليس بمتهم على ما جاء به، ولا ببخيل عليه بتبليغ ما أمر به، وأن هذا القرآن ليس من قول الشيطان، كما زعم أولئك الجاحدون المعاندون. فما هو إلا ذكر للعالمين وموعظة لمن شاء أن يتبع الحق ويسلك طريق الأبرار.

وقد اغتر الزمخشري في كشافه بهذه الأوصاف التي جاءت في جبريل مع اقتصاره تعالى على نفى الجنون عن نبينا ﷺ، ففضل جبريل عليه ﷺ، وجهل أو تجاهل ما جاء في القرآن الكريم من التنويه بقدره ﷺ وفضائله وخصائصه . . التي تؤهله للتفوق على كل مخلوق أيًا كان، لكنَّ الزمخشري مشى على مذهبه الاعتزالي في تفضيل الملائكة على البشر مطلقاً، وهو خطأ واضح.

(١) أقسم هنا بالقلم وما يكتب به من العلوم والمعارف عبر العصور والأجيال على أمور ثلاثة: تبرئة الرسول ﷺ من الجنون، وأن له أجراً غير مقطوع، وأنه مفطور على الأخلاق الطيبة والشمائل الكريمة.

[القلم: ١، ٢]، أقسم الله تعالى بما أقسم به من عظيم قسمه على تنزيه المصطفى مما غمسه الكفرة به وتكذيبهم له، وأنسه وبسط أمله بقوله محسنًا خطابه: ﴿ مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴾ (٢). وهذه نهاية المبرة في المخاطبة، وأعلى درجات الآداب في المحاورة.

ثم أعلمه بما له عنده من نعيم دائم وثواب غير منقطع لا يأخذه عدو ولا يمن به عليه فقال: ﴿ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴾ (٣). ثم أثنى عليه بما منحه من هباته وهداه إليه وأكد ذلك تميمًا للتمجيد بحرف التأكيد فقال تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ (٤)، قيل: القرآن (١). وقيل: الإسلام. وقيل: الطبع الكريم. وقيل: ليس لك همة إلا الله تعالى. فأثنى عليه بحسن قبوله لما أسداه إليه من نعمه، وفضله بذلك على غيره؛ لأنه جبله على ذلك الخلق، فسبحان اللطيف الكريم المحسن الجواد الحميد الذي يسر للخير وهدى إليه. ثم أثنى على فاعله وجازاه عليه سبحانه ما أنمى نواله وأوسع إفضاله. ثم سلاه عن قولهم بعد هذا بما وعده به من عقابهم وتوعدهم بقوله: ﴿ فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ﴾ (٥) الثلاث الآيات. ثم عطف بعد مدحه على ذم عدوه وذكر سوء خلقه، وعدّ معايبه، متوليًا ذلك بفضله ومنتصرًا لنبيه ﷺ، فذكر بضع عشرة خصلة من خصال

(١) لا منافاة بين هذه الأقوال، غير أنه جاء في صحيح مسلم وغيره عن السيدة الطيبة مولاتنا عائشة رضي الله تعالى عنها، وقد سئلت عن خلق رسول الله فقالت: كان خلقه القرآن. وسيأتي في أخلاقه.

والآيات الكريمات التي جاءت هنا بالذم والطعن والتهديد نزلت في الوليد بن المغيرة وكان دعيا ابن بغي ساقطًا، ولذلك وصفه الله عز وجل بتلك الأوصاف النابية السافلة التي عمّت وشملت كل خلق سيئ خسيس تتصف به البشرية. وقوله: ﴿ سَنَسْمُو عَلَىٰ الْخُرْطُورِ ﴾ (١٦)، معناه أنه سيجعل على أنفه علامة بالخطم عليه يُعرف بها إلى موته. وقد خطم أنفه يوم بدر بالسيف.

الدم فيه بقوله تعالى: ﴿فَلَا تَطْعِ الْمُكَذِّبِينَ﴾ (٨) وَدُّوْا لَوْنَهُنَّ فَبَدَّهِنَّ ﴿٩﴾ وَلَا تَطْعِ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَشَّامٍ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ مَنَاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ عُنْتَلٍ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾ أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴿١٤﴾ إِذَا تَتَلَّى عَلَيْهِ ءَأَيْنُنَا فَالْكُ أَسْطُرٍ الْأَوَّلِيَّتِ ﴿١٥﴾ .

ثم ختم ذلك بالوعيد الصادق بتمام شقائه وخاتمة بواره بقوله تعالى: ﴿سَنَسِيئُهُ عَلَى الْمُرْطُورِ﴾ (١٦) فكانت نصره الله تعالى له أتم من نصرته لنفسه، وردّه تعالى على عدوه أبلغ من رده وأثبت في ديوان مجده.

ما ورد من قوله تعالى في جهته ﷺ مورد الشفقة والإكرام

قال تعالى: ﴿طه﴾ (١) مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ﴿٢﴾ إِلَّا تَذَكْرَةً لِمَنْ يَخْشَى ﴿٣﴾ [طه: ١ - ٣].

اختلفت أقوال المفسرين وأهل التأويل في كلمة «طه»، فقيل: هي من الحروف المقطعة، وقيل: معناه: يا رجل. وقيل غير ذلك^(١).

ولا خفاء فيما في هذه الآية من الإكرام وحسن المعاملة والشفقة،

(١) الجمهور على أن معناه: يا رجل، ورد ذلك عن ابن عباس وعكرمة ومجاهد وابن جبير وعطاء والحسن وقتادة والضحاك في آخرين. أوردهم ابن جرير ١٣٥/١٧، ١٣٦، واختاره، فقال: والذي هو أولى بالصواب عندي من الأقوال فيه: قول من قال معناه: يا رجل، لأنها كلمة معروفة في مكة فيما بلغني... إلخ، وتبعه ابن كثير وغيره. وعلى كلِّ فالآية ظاهرة في مبرته تعالى نبيه ورحمته به وحسن معاملته، فيكون المعنى على ما قال جمهور المفسرين: يا رجل، ما أنزلنا عليك هذا القرآن لتشقى بإتعايب نفسك، وحملها على المشاق، والمبالغة في مكابدة الشدائد من: قيام الليل ومجاورة الطغاة وفرط التأسف على كفرهم وعدم إيمانهم، بل أنزلناه تذكراً وموعظةً ورحمةً ونوراً ودليلاً لمن يخشى.

ومثل هذا في المبرة قوله تعالى: ﴿ فَلَعَلَّكَ بِنَجْعِ نَفْسِكَ عَلَىٰ آثَرِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٦﴾ ﴿١﴾ [الكهف: ٦].

أي: قاتل نفسك لذلك غضبًا أو غيظًا أو جزعًا.

ومثله قوله تعالى أيضًا: ﴿ لَعَلَّكَ بِنَجْعِ نَفْسِكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ إِنْ نَشَأْ نُزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ ﴿٤﴾ ﴿٢﴾ [الشعراء: ٣، ٤].

ومن هذا الباب قوله تعالى: ﴿ فَأَصْدَعُ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضُ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴿١١﴾ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ نَعَلْنَا أَنَّاكَ بِضَيْقِ صَدْرِكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿١٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ ﴿١٨﴾ وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴿١٩﴾ ﴾ ﴿٣﴾ [الحجر: ٩٤، ٩٩].

(١) ﴿ بِنَجْعِ نَفْسِكَ ﴾، أي: قاتلها غمًا وغيظًا، وقوله: (أسفًا)، أي: حزنًا، أي: لعلك مهلك نفسك وقاتلها لإعراضهم وعدم إيمانهم بهذا القرآن.

(٢) قوله: (إن نشأ... إلخ، معناه: لا تحزن على عدم إيمانهم؛ فلو شئنا إيمانهم لأنزلنا معجزة تأخذ بقلوبهم فيؤمنون، قهراً عليهم. ولكن سبق في علمنا شقاؤهم فأرح نفسك من التعب.

وبعبارة أخرى: لو شئنا لأنزلنا آية من السماء تضطرهم إلى الإيمان قهراً فتظل أعناقهم منقادة خاضعة للإيمان قسراً وقهراً، ولكن لا نفعل لأننا نريد أن يكون إيمانهم اختيارياً لا اضطرارياً.

(٣) قوله: ﴿ فَأَصْدَعُ... ﴾ إلخ، أي: اجهر بما أمرتك به وبلغه للناس ولا تلتفت إلى ما يقول المشركون. إنا كفيناك شر أعدائك الساحرين بإهلاكنا إياهم. وقد فعل عز وجل؛ فأباد جميع من كان يؤذيه ويسخر منه.

وقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ نَعَلْنَا أَنَّاكَ بِضَيْقِ... ﴾ إلخ يعني: باستهزائهم بك وتكذيبهم إياك ورميهم إياك بالعظائم، وفي هذا ما لا يخفى من نمط الشفقة عليه ﷺ.

وقوله: ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ ﴿١٨﴾ ﴾... إلخ، أي: نزه ربك واحمده وأقبل عليه بالتعبّد وصلّ له حتى يأتيك أجلك، فلا تلتفت إلى ما يرمونك به وما يقولون فيك وفي القرآن.

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ اسْتَهْزَيْتُمْ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ (٤١) [الأنبياء: ٤١].

قال المفسرون: سلاه تعالى بما ذكر وهون عليه ما يلقاه من المشركين، وأعلمه أن من تمادى على ذلك يحل به ما حل بمن قبله.

ومثل هذه التسلية قوله تعالى: ﴿وَإِن يَكْذِبُواكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ﴾ (٢) [فاطر: ٤].

ومن هذا قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ (٣) مَا آتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾ [الذاريات: ٥٢].

عزاه الله تعالى بما أخبر به عن الأمم السالفة ومقاتلتها لأنبيائهم قبله ومحنتهم بهم، وسلاه بذلك عن محنته بمثله من كفار مكة، وأنه ليس أول من لقي ذلك ثم أمره بالإعراض عنهم بقوله: ﴿فَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ﴾ (٥٤)، أي لا تلام في أداء ما بلغت وإبلاغ ما حملت فقد بذلت الجهد وأديت الأمانة.

ومثله قوله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور: ٤٨]، أي اصبر على أذاهم فإنك بحيث نراك ونحفظك. سلاه الله تعالى بهذا في أي كثيرة من هذا المعنى.

(١) الاستهزاء هو السخرية والضحك والتهكم، وقوله: ﴿فحاق...﴾ إلخ، أي: فحل ونزل بهم جزاء ما كانوا به يسخرون، وذلك في الدنيا بالهلاك والإبادة، وفي الآخرة بالنار والعذاب الأليم الخالد.

(٢) يعني إذا قابلك قومك بالكذب فليست بأول من فعل به ذلك، فقد كذبت الأمم الرسل من قبلك، فلك بهم أسوة.

(٣) أي: كما كذبك قومك يا حبيبي وقالوا عنك: «ساحر مجنون»... كذلك قال المكذبون الأولون لرسولهم، فلا تحزن لما يقول المجرمون.

ما أخبر الله تعالى به في كتابه العزيز
من عظيم قدره وشريف منزلته على الأنبياء،

وحظوة رتبته عليهم

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَّا آتَيْنَاكُمْ مِنْ كِتَابٍ
وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ، وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ
وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨١﴾ [آل
عمران: ٨١].

قال العلماء: استخص الله تعالى سيدنا محمداً ﷺ بفضل لم يؤته غيره
أبانه به. وهو ما ذكره في هذه الآية.

قال المفسرون^(١): أخذ الله الميثاق بالوحي فلم يبعث نبياً إلا ذكر له
محمداً ونعته وأخذ عليه ميثاقه إن أدركه ليؤمنن به. وقيل: أن يبينه لقومه

(١) أي: جمهورهم، وهذا التفسير هو المختار، وهو الذي رجحه ابن جرير ٣/٣٣٣.
وقوله: ﴿مِيثَاقٌ...﴾ إلخ، الميثاق هو العهد المؤكد. وقوله: ﴿إِصْرِي﴾ الأصل
فيه الشيء الثقيل، ومعناه هنا: عهدي، و﴿لَمَّا﴾ في قوله: ﴿لَمَّا آتَيْنَاكُمْ﴾،
اختلف فيها على أقوال، قيل: شرطية بمعنى مهما. ورجحه ابن جرير. وقيل:
موصولة، أي: للذين أتيناكم. وما بعدها صلتها، وقيل: مصدرية، أي: لأجل
إتياني إياكم بعض الكتاب... إلخ، ومعنى الآية على كل الوجوه: واذكروا يا أهل
الكتاب حين أخذ الله العهد المؤكد على النبيين لما أتيناكم، أي: لهما أعطيناكم
أيها النبيون من كتاب وحكمة أو للذي أتيناكم به، أو من أجل ما أتيناكم... إلخ،
ثم أتاكم رسول من عندي بكتاب مصدق لما بين أيديكم وهو رسولنا محمد ﷺ
لتصدقنه وتنصرنه، أقررتم واعترفتن بهذا الميثاق وأخذتم عليه عهدي الثقيل؟
قالوا: أقررنا واعترفنا بذلك. قال: فاشهدوا على أنفسكم وأتباعكم وإنا معكم في
جملة الشاهدين عليكم وعليهم، فمن تولى وأعرض ونكث هذا العهد بعد ذلك
فأولئك هم الفاسقون والخارجون عن طاعتي.

ويأخذ ميثاقهم أن يبينوه لمن بعدهم. وقوله: ﴿ثُمَّ جَاءَكُمْ﴾ الخطاب لأهل الكتاب المعاصرين لسيدنا محمد ﷺ.

قال علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه: «لم يبعث الله نبياً من آدم فمن بعده إلا أخذ عليه العهد في محمد ﷺ لئن بعث وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه، ويأخذنَّ العهد بذلك على قومه»^(١).

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾^(٢) [الأحزاب: ٧].

وقال عز من قائل: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآدَمَ دَاوُدَ زُلْفَارًا﴾^(٣) وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا^(٤) رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا^(٥) لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَكُ يَشْهَدُونَ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا^(٦) [النساء: ١٦٣ - ١٦٦].

-
- (١) أخرجه ابن جرير ٣/ ٣٣٢ عنه، وعن السدي وقتادة والحسن.
- (٢) هذا من جملة فضائله ﷺ، حيث قدمه في الذكر على أولي العزم وأكابر حاملي الرسالات. ومعنى الآية: واذكر وقت أخذنا من النبيين ﷺ العهد المؤكد باليمين أن يقوموا بما التزموا به، وأن يصدق بعضهم بعضاً، وأن يؤمنوا برسالات جميعهم، ومنهم خاتمهم الحبيب محمد ﷺ، وأخذنا منك يا محمد الميثاق ومن إخوانك الذين سبقوك من أولي العزم، وهم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى، فهؤلاء هم مشاهير الرسل وأرباب الشرائع الإلهية، وقدم نبينا ﷺ تعظيماً له وتشريفاً لشأنه ومزيداً لشرفه، ثم رتب سائرهم حسب وجودهم في الزمان.
- (٣) وهذه أيضاً من جملة فضائله؛ فهي كسابقتها حيث قدمه ﷺ في الذكر على سائر الأنبياء والرسل الخاص منهم والعام، وإن تأخرت عنهم نبوته؛ وذلك لتقدمه عليهم في الفضل ﷺ.

ففي ذلك تفضيل نبينا ﷺ لتخصيصه بالذكر قبلهم وهو آخرهم بعثاً .

وقال تعالى : ﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ ﴾ (١) [البقرة : ٢٥٣] .

قال أهل التفسير : أراد بقوله : ﴿ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ ﴾ حبيبا محمداً ﷺ ، لأنه بعث إلى الأحمر والأسود ، وأحلت له الغنائم ، وظهرت على يديه المعجزات ، وليس أحد من الأنبياء أعطي فضيلة أو كرامة إلا وقد أعطي ﷺ مثلها (٢) .

رفع العذاب عن قومه بسببه

وإعلان الله تعالى خلقه بصلاته عليه وولايته له

قال الله تعالى : ﴿ وَمَا كَانُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ ﴾ [الأنفال : ٣٣] ، أي : لا يعذبهم ما كنت بمكة المكرمة . فلما خرج ﷺ من مكة ، وبقي فيها من بقي من المؤمنين ، نزل : ﴿ وَمَا كَانُ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ (٣)

(١) التفاضل بين الأنبياء والرسل واقع مقطوع به ، فهم متفاضلون حسب ما خصوا به من الفضائل والمكارم والدرجات عند الله . ولذلك ذكر هنا بعض ذلك بقوله : منهم من كلم الله ، وذلك كآدم وموسى ونبينا محمد ﷺ ، كلمهم بدون واسطة ولا سفير . وهذه خصيصة فضلوا بها على غيرهم .

وقوله : ﴿ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ ﴾ . . هو نبينا ﷺ بالاتفاق ، لأنه مفضل على كافة الرسل .

(٢) وقد ذكر جملة منها أبو نعيم ، والبيهقي في الدلائل ، والسيوطي في الخصائص ، والقسطلاني في المواهب ؛ فصرّدوا نموذجاً مما أعطيه الأنبياء ، ثم أوتي نبينا مثله ، وهذا غاية الفضل والشرف .

(٣) ما ذكره المؤلف هنا في هذه الآية هما قولان من جملة أقوال ثمانية للمفسرين ، أورد ابن جرير منها سبعة ، واختار ما ذكره بقوله : ٣٣٨/٩ : وأولى هذه الأقوال =

[الأنفال: ٣٣]، وهذا مثل قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا رِجَالُ الْمُؤْمِنُونَ وَنِسَاءُ الْمُؤْمِنَاتِ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَّوَّهُمْ فِتْصِيْبِكُمْ مِنْهُمْ مَعْرَةٌ بَغَيْرِ عِلْمٍ لِيَدْخُلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣٥﴾ [الفتح: ٣٥] (١).

فلما هاجر المؤمنون نزلت: ﴿وَمَا لَهُمْ آلَا يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ (٢) [الأنفال: ٤٣].

وهذا من أبين ما يُظهر مكانته ﷺ ودفعه العذاب عن أهل مكة بسبب كونه، ثم كون أصحابه بعده بين أظهرهم. فلما خلت مكة منهم عذبهم الله

عندي في ذلك بالصواب قول من قال: تأويله: «وما كان الله ليعذرهم وأنت فيهم»، يا محمد، وبين أظهرهم مقيم حتى أخرجك من بين أظهرهم، لأنني لا أهلك قرية وفيها نبيها، وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون من ذنوبهم وكفرهم، ولكنهم لا يستغفرون من ذلك، بل هم مصرون عليه فهم للعذاب مستحقون. وبهذا قال ابن عباس وابن جبير وعكرمة ومجاهد والسدي وغيرهم، واختار هذا القول الحافظ في الفتح.

وفي التفسير من صحيح البخاري ٣٧٩/٩: عن أنس رضي الله عنه قال: قال أبو جهل: اللّٰهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً... إلخ فنزلت: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَا لَهُمْ آلَا يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ [الأنفال: ٣٣، ٣٤].

(١) هذه الآية الكريمة جاءت تتحدث عن المؤمنين والكافرين في قصة الحديدية، ومعنى الآية: لولا كراهة أن تهلكوا أناساً مؤمنين بين أظهر الكفار حال كونكم جاهلين بهم فيصيبكم بإهلاكهم مكروه لما كف أيديكم عنهم ولأذن لكم في القتال والفتح، فلو تزيّلوا وتفرقوا وتميز بعضهم عن بعض، وانفصل المؤمنون عن الكفار لعذبنا الكافرين أشد العذاب.

(٢) أي: وما شأنهم وما يمنعهم أن يعذبهم الله وهم يمنعون المؤمنين عن المسجد الحرام.

تعالى بتسليط المؤمنين عليهم وغلبتهم إياهم، وحكم فيه سيوفهم وأورثهم أرضهم وديارهم وأموالهم... إلخ.

وقال ﷺ: «أنا أمان لأصحابي»^(١)، قيل: أمان لهم من البدع. وقيل: من الاختلاف والفتن^(٢). فهو ﷺ الأمان الأعظم ما عاش، وما دامت سنته قائمة، فإذا أميتت سنته جاء البلاء وتوالت الفتن^(٣).

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

أبان الله تعالى فضل نبيه ﷺ بصلاته عليه، ثم بصلاة ملائكته وأمر عباده بالصلوة والتسليم عليه.

وهي من الله عز وجل رحمة، ومن الملائكة ومنا دعاء، وسيأتي البحث في الصلاة عليه ﷺ.

وقال تعالى: ﴿وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ

(١) أخرجه أحمد ٤/٣٩٩، ومسلم في الفضائل ١٦/٨٢، ٨٣، وابن حبان ١٦/٢٣٤ من حديث أبي موسى قال: صلينا المغرب مع رسول الله ﷺ. فذكر الحديث وفيه: «النجوم أمنة للسماء، فإذا ذهب النجوم أتى السماء ما توعد، وأنا أمنة لأصحابي فإذا ذهب أتى أصحابي ما يوعدون، وأصحابي أمنة لأمتي فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون».

(٢) كل ذلك مراد، وقد حصل ما تنبأ به، فقد وقعت فتن وحروب وردة وأمور خطيرة بعد موته، وهكذا بالنسبة لأصحابه فقد كان الدين أيامهم ظاهراً وهم على عقيدة واحدة وسلوك واحد وعلى الجادة التي تركهم عليها رسول الله ﷺ، ولكنهم عندما انقضوا ظهرت البدع وانتشر الفساد وعم الظلم البلاد.

(٣) وهو الداء العضال الذي نزل بالأمة جزاء انحرافها وإخلاؤها إلى الحياة.

وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ ﴿١﴾ [التحریم : ٤].

﴿مَوْلَانُهُ﴾ ، أي : وليه ﴿وَصَلِّحُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ قيل : الأنبياء . وقيل :
الملائكة . وقيل : أبو بكر وعمر وعلي رضي الله تعالى عنهم . وقيل :
المؤمنون ، على ظاهره .

ما تضمنته سورة الفتح من كرامته ﷺ

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا
تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿٢﴾ وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيمًا ﴿٣﴾ إِلَى
قَوْلِهِ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ
عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمَسِيئَتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾ ﴾ [الفتح : ١ - ١٠].

تضمنت هذه الآيات من فضله ، والثناء عليه ، وتكريم منزلته عند الله
تعالى ونعمته لديه ما يقصر الوصف عن الانتهاء إليه .

فابتدأ جل جلاله بإعلامه بما قضاه له من القضاء البين ، بظهوره وغلبته
على عدوه ، وعلو كلمته وشريعته ، وأنه مغفور له غير مؤاخذ بما كان وما

(١) تظاهرا ، أي : تتعاوننا عليه والكلام هنا مع السيدتين عائشة وحفصة رضي الله تعالى
عنهما ، عندما تعاونتا عليه في شأن شربه العسل عند زينب أو تحريم مارية على
نفسه ، وفي الآية فضل عظيم وعناية كاملة بنبيه ﷺ ، حيث أخبره بأنه وليه
وناصره ، وكذا جبريل وملائكته تعالى وصالح المؤمنين ، فالكل ظهير وعون له ﷺ
فماذا يغني تظاهر امرأتين من نساءه عليه مع هذه الجيوش الجرارة يرأسها ربها
ومدبر الأرض والسماء ، فلا جرم أنه عليه الصلاة والسلام لا يغلب ولا يقهر ، وفي
الآية الكريمة تأديب وعتاب لنساءه ﷺ ولكل من رام سوء الأدب معه .
ومع هذا العتاب للسيدتين في الآية فلا تظنن أن في ذلك غضاضة لهما ولا ذمًا ولا
نقصًا لجنابهما ، فقد تجاوز الله عنهما وغفر لهما وهما من جملة زوجاته الطاهرات
في الجنة .

يكون أراد غفران ما وقع وما لم يقع . وجعل سبحانه امتنانه عليه بالفتح سبباً للمغفرة، والكل من عنده لا إله غيره، منة بعد منة وفضلاً بعد فضل .

ثم قال: ﴿وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ﴾ [الفتح: ٢]، قيل: بفتح مكة والطائف، وقيل: يرفع ذكرك في الدنيا وينصرك ويغفر لك . فأعلمه بتمام نعمته عليه بخضوع متكبري عدوه له وفتح أهم البلاد عليه وأحبها له، ورفع ذكره وهدايته الصراط المستقيم المبلغ الجنة والسعادة، ونصره النصر العزيز .

ومنته على أمتة المؤمنين بالسكينة والطمأنينة التي جعلها في قلوبهم، وبشارتهم بما لهم عند ربهم بعدد، وفوزهم العظيم، والعمو عنهم، والستر لذنوبهم، وهلاك عدوهم في الدنيا والآخرة، ولعنهم وبعدهم من رحمته، وسوء متقلبهم . وذلك قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ إلى قوله: ﴿وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ . ثم قال تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ ﴿٨﴾ لِيُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٩﴾ [الفتح: ٤ - ٨] .

فعد محاسنه وخصائصه من شهادته على أمته لنفسه بالتبليغ لهم . وقيل: شهيداً لهم بالتوحيد، ومبشراً لأمته بالثواب . وقيل: بالمغفرة، ومندراً عدوه بالعذاب . وقيل: محذراً من الضلالات ليؤمن بالله ثم به من سبقت له من الله الحسنى .

ويعزروه، أي: يجلبونه . وقيل: ينصرونه وقيل يببالغون في تعظيمه .

ويوقروه، أي: يعظمونه ويحترمونه؛ وهذا في حقه ﷺ .

ثم قال: ﴿وَسُبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ ﴿٩﴾ [الفتح: ٩]، هذا راجع إلى الله تعالى باتفاق . قال الإمام جعفر بن محمد الباقر رضي الله تعالى عنهما: من تمام نعمته عليه أن جعله حبيبه، وأقسم بحياته، ونسخ به شرائع غيره،

وعرج به إلى المحل الأعلى، وحفظه في المعراج حتى ما زاغ البصر وما طغى، وبعثه إلى الأحمر والأسود، وأحل له ولأمته الغنائم، وجعله شفيحاً مشفحاً، وسيد ولد آدم، وقرن ذكره بذكره، ورضاه برضاه، وجعله أحد ركني التوحيد^(١).

ثم قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِيكُ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ﴾ [الفتح: ١٠]، يعني بيعة الرضوان^(٢)، أي: إنما يبايعون الله ببيعتهم إياك. ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾، يريد عند البيعة. قيل: قوة الله. وقيل: ثوابه. وقيل: منته. وقيل: عقده^(٣). وهذه استعارات وتجنيس في الكلام، وتأكيذ لعقد بيعتهم إياه، وعظم شأن المبايع ﷺ.

وقد يكون من هذا قوله تعالى: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ [الأنفال: ١٧]، وإن كان الأول في باب المجاز^(٤) وهذا في باب الحقيقة، لأن القاتل والرامي بالحقيقة هو الله، وهو

-
- (١) هذه الفضائل ستأتي مفصلة للمؤلف إن شاء الله تعالى ص ١٦٢ وما بعدها.
- (٢) وهي التي بايع فيها الصحابة بالحديبية تحت الشجرة على الموت، وكانت في السنة السادسة، وكانوا ألفاً وأربعمائة، وقد أخبر الله تعالى عنهم بأنه رضي عنهم، وجاء عن النبي ﷺ بأنهم مغفور لهم ولا يدخل أحد منهم النار.
- (٣) هذه أقوال للخلف في يد الله عز وجل، وهكذا يؤولون آيات وأحاديث الصفات، ومذهب السلف وهو مذهب أهل الحديث إبقاء ذلك على ظاهره مع تفويض حقيقته ومعناه إلى الله تعالى فتفسيره هو قراءته وإمراره كما جاء. علمًا بأن الله عز وجل منزّه عن الجارحة ومماثلته لخلقه، وأنه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

فالتوحيد إثبات وجود ذات لا تشبه الذوات، غير معطلة عن الأسماء والصفات وما سوى ذلك فبدع ووساوس ودخول فيما لا يعني.

- (٤) هذا لا داعي له فإن مذهب السلف على خلافه كما عرفت قبل.

خالق فعله ورميه وقدرته عليه ومشيبته، ولأنه ليس في قدرة البشر توصيل تلك الرمية حيث وصلت حتى لم يبق منهم من لم تملأ عينيه، وكذلك قتل الملائكة لهم حقيقة. وقد قيل في هذه الآية الأخرى: إنها على المجاز العربي، ومقابلة اللفظ ومناسبه، أي: ما قتلتموهم وما رميتهم أنت إذ رميت وجوههم بالحصباء، والتراب، ولكن الله رمى قلوبهم بالجزع، أي: إن منفعة الرمي كانت من فعل الله، فهو القاتل والرامي بالمعنى وأنت بالاسم^(١).

ما أظهره الله تعالى في كتابه العزيز من كرامته عليه ومكانته عنده

وما خص به من ذلك سوى ما انتظم فيما ذكرناه قبل

من ذلك ما قص الله تعالى من قصة الإسراء في سورة (سبحان) و (النجم) وما انطوت عليه القصة من عظيم منزلته وقربه ومشاهدته ما شاهد من العجائب^(٢).

ومن ذلك عصمته من الناس بقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾^(٣) [المائدة: ٦٧]، وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينِ﴾^(٤) [الأنفال: ٣٠].

(١) فالآية الكريمة صريحة في أن الله هو الفاعل وحده وهو خالق فعل الرامي والقاتل، فهي كمنحوق قوله تعالى حكاية عن الخليل عليه السلام: «والله خلقكم وما تعلمون».

وهذا لا ينافي كسب الإنسان الذي جعل الله الثواب والعقاب مرتبين عليه.

(٢) حادث الإسراء والمعراج سيأتي له محل خاص إن شاء الله تعالى ص ١٦٨.

(٣) سيأتي الكلام على عصمته من الناس في بحث خاص ص ٢٩٢.

(٤) اتفق المفسرون على أن هذه الآية نزلت تذكرة للنبي ﷺ بنعمته عليه؛ حيث أنجاه =

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا نَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ﴾^(١) [التوبة: ٤٠].

وما دفع الله به عنه في هذه القصة من أذاهم بعد تحريمهم لهلكه، وخلوصهم نجيا في أمره، والأخذ على أبصارهم عند خروجه عليهم وذولهم عن طلبه في الغار، وما ظهر في ذلك من الآيات، ونزول السكينة عليه، وقصة سراقه بن مالك^(٢) حسبما ذكره أهل الحديث والسيرة في قصة الغار وحديث الهجرة.

= مما تأمر به عليه المشركون قبل هجرته حيث عقدوا مؤتمرا ضده، فأدلى كل في شأنه بما أوحاه إليه شيطانه، فقال بعضهم: نثبته، أي: نوثقه ونحبسه حتى يموت. وقال آخر: نخرجه ونطرده من بلادنا. وقال ثالث: بل نقتله. فاتفقوا على ذلك، ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين، فخيَّب الله سعيهم وأعمى أبصارهم فخرج من بيته ليلاً ومرَّ بينهم فلم يشعروا به.

وقد جاء بما ذكر في الآية حديث عن ابن عباس. رواه أحمد ٣٤٨/١. وانظر: مجمع الزوائد ٢٧/٧، وللقصة طرق وشواهد عند ابن إسحاق وغيره.

(١) وهذه الآية هي الأخرى تتحدث عما أنعم الله تعالى عليه من النصر المبين على الأعداء، وأيده بجنود لا قبل لأحد بها، وأنزل سكينته عليه ولم يكن معه من الناس غير صاحبه الصديق رضي الله تعالى عنه.

والآية جاءت في أعقاب التوبيخ والعتاب الذي وجه لمن تخلف عن غزوة تبوك، بداية من قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَالًا كَثِيرًا إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنَا قُلْنَا إِلَى الْأَرْضِ﴾ [التوبة: ٣٨]، إلى أن قال: ﴿إِلَّا نَنْصُرُوهُ﴾ [التوبة: ٤٠]، يعني: إذا تخلفتم وتركتموه ولم تنصروه فسينصره الله تعالى الذي نصره وحده حين كان ثاني اثنين، أي: أحد اثنين لا ثالث لهما حيث كانا في الغار وهو يطمئن قلب صاحبه بقوله: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾، ويقوله ﷺ: «يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما». رواه البخاري في المناقب ١١/٨، وفي الهجرة النبوية ٢٦٠٠، وكذا رواه مسلم.

(٢) رواه أحمد ١٧٥/٤، ١٧٦، والبخاري في الهجرة ٢٣٩/٨، ٢٤٢، وجاء من حديث الصديق: رواه أحمد ٢/١، ٣، والبخاري في علامات النبوة ٤٣٥/٧، ٤٣٦، وفي المناقب. ومسلم في الزهد ١٤٧/١٨، ١٥٠، ١٥١. وجاء أيضًا من =

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ۝۱ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ ۝۲ إِنَّكَ شَانِئُكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ۝۳ ﴾ [الكوثر: ١ - ٣]، أعلمه الله تعالى بما أعطاه. والكوثر: حوضه، وقيل: نهر في الجنة^(١)، وقيل: الخير الكثير، وقيل: الشفاعة، وقيل: المعجزات الكثيرة، وقيل: النبوة، وقيل: المعرفة. ثم أجاب عنه عدوه ورد عليه قوله: فقال تعالى: ﴿ إِنَّكَ شَانِئُكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ۝۳ ﴾، أي عدوك ومبغضك^(٢) هو الأبر الحقيقير الذليل أو المفرد الوحيد أو الذي لا خير فيه.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ۝۸۷ ﴾ [الحجر: ١٥].

قيل: السبع المثاني السور الطوال الأول، والقرآن العظيم أم القرآن. وقيل: السبع المثاني أم القرآن، والقرآن العظيم سائره. وقيل السبع المثاني ما في القرآن من أمر ونهي، وبشرى وإنذار، وضرب مثل وإعداد نعم،

= حديث البراء عند البخاري في الهجرة ٢٤٦/٨، ومسلم في الأشربة ١٣/١٧٩، ١٨٠، وأحمد ٤/٢٨٠، ٢٨١ مطولاً. وانظر: ألفاظهم عند مخرجيها.

(١) ما ذكره في الكوثر هي أقوال للمفسرين، والصحيح أنه نهر في الجنة خصّه الله تعالى به والأحاديث به متواترة. وأحسن ما فسره القرآن الوارد فيه أو في السنة. وقد أخرجه أحمد ٣/١٠٢، ومسلم في أوائل الصلاة ٤/١١٢، ١١٣ وغيرها عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: بينا رسول الله ﷺ بين أظهرنا في المسجد إذا غفي إغفاء ثم رفع رأسه متبسماً، قلنا: ما أضحكك يا رسول الله؟ قال: «لقد أنزلت عليّ آناً سورة فقرأ: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ... ﴾ إلخ، ثم قال: «أتدرون ما الكوثر؟»... فإنه نهر في الجنة وعدنيه ربي عز وجل، عليه خير كثير، ترد عليه أمتي يوم القيامة، آيته عدد النجوم في السماء... إلخ.

(٢) وهو العاص بن وائل أو أبو جهل لعنهما الله.

وَاتَيْنَاكَ نَبَأَ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ. وقيل: سميت أم القرآن مثنائي لأنها تثنى في كل ركعة، وقيل: بل الله تعالى استثناها لحبيبه محمد ﷺ وذخرها له دون الأنبياء. وسمي القرآن مثنائي لأن القصص تثنى فيه. وقيل: السبع المثنائي: أكرمناك بسبع كرامات: الهدى والنبوة والرحمة والشفاعة والولاية والتعظيم والسكينة^(١).

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾^(٢) [النحل: ٤٤].

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ﴾ [سبأ: ٢٨]. وقال تعالى: ﴿قُلْ يَتَّبِعُوا النَّاسَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ

(١) ما ذكره من الأقوال كلها تشملها الآية الكريمة، غير أن الذي ورد به النص الصحيح الصريح هو أنها الفاتحة.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: أم القرآن هي السبع المثنائي والقرآن العظيم. رواه البخاري ٤٥٣/٩، والترمذي ٢٩٢٢ كلاهما في التفسير، ونحوه عن أبي سعيد بن المعلى، رواه أحمد ٤٥٠/٣، والبخاري ٤٥٣/٩ و ٤٣٠/١٠ وغيرهما. واختار هذا القول جمهور المفسرين. وذهب ابن عباس وابن مسعود وابن عمر وابن جبير ومجاهد والضحاك إلى أنها السبع السور الطوال من البقرة إلى الأنفال مع التوبة كما ذكر ذلك ابن جرير وابن كثير وغيرهما، قال ابن كثير: لا ينافي وصف غيرها من السبع الطوال بذلك كما لا ينافي وصف القرآن بكماله بذلك أيضاً، قال: فإن ذكر الشيء لا ينفي ذكر ما عداه إذا اشتركا في تلك الصفة... إلخ.

(٢) هذا امتنان من الله عز وجل على نبيه ﷺ بإنزال القرآن عليه الذي هو أشرف كتاب وأفضله وأوعاه وأجمعه للعلوم والمعارف والحقائق، ووكّل سبحانه تبيينه وتفسيره إليه عليه الصلاة والسلام، ولذا قال له: وأنزلنا إليك يا رسولي الذكر، أي: القرآن المذكر الموقظ للقلوب الغافلة والفتاح للأفئدة المقفلة، لتبين للناس، أي: لتعرفهم الأحكام والحلال والحرام ومراد الله مما نزل إليهم.

جَمِيعًا ﴿ [الأعراف: ١٥٨] فهذه من خصائصه ﷺ؛ فرسالته عامة لكل الأجيال^(١).

وقال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾ [إبراهيم: ٤]، فخصهم بقومهم، وبعث الحبيب محمد ﷺ إلى الخلق كافة كما قال ﷺ: بعثت إلى الأحمر والأسود^(٢).

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ ﴾ [الأحزاب: ٦]، قال أهل التفسير: ﴿ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴾ . . . ، أي: ما أنفذه فيهم من أمر فهو ماضٍ عليهم كما يمضي حكم السيد على عبده. وقيل: اتباع أمره أولى من اتباع رأي النفس^(٣).

(١) الآيتان صريحتان في عموم دعوته ﷺ إلى جميع الناس بداية من جيله ﷺ إلى قيام الساعة، فكل من سمع به ولم يؤمن به وبما جاء به كان من الهالكين ولا يقبل منه أي دين غير الإسلام. وهذا مع كونه إجماعًا مقطوعًا به، هناك من طمس الله بصائرهم، وأعمى عن الحق قلوبهم، من فَيَسَّارُونَ بين الأديان ويقولون كلها على الحق، وهذه ردة ممن ينتمي إلى الإسلام، وكفر بَوَاحٍ ممن يعتقد أو يقوله، ولو كان للإسلام حكم لأعدم بدون استتابة.

وقد قال الله تعالى: ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٨٥]، وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة عنه ﷺ: «لا يسمع بي أحد من هذه الأمة، من يهودي ولا نصراني، ثم لم يؤمن بي وبما جئتُ به إلا كان من أهل النار».

وقوله تعالى: ﴿ كَافَّةً ﴾ هو معنى جميعًا، فرسالته تشمل كل الأجناس والأمم . . .

(٢) الحديث رواه أحمد ٤/٤١٦ من حديث أبي موسى مطولاً بسند صحيح.

وجاء من حديث جابر: رواه مسلم في أول المساجد ٣/٥، ٤، وأبي ذر عند أحمد ٥/١٤٥، ١٤٦، وابن عباس رواه أحد أيضًا ١/٢٥٠.

(٣) فهو ﷺ أحق بهم من أنفسهم في كل شيء من أمور الدنيا والدين، وهو أرفق بهم وأعطف عليهم. وحكمه أنفذ، وطاعته أوجب.

﴿ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ ﴾ ، أي : في الحرمة كالأمهات ، حرم نكاحهن عليهم بعده تكرامة له وخصوصية ، ولأنهن له أزواج في الجنة رضي الله تعالى عنهن وقدس سرهن .

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾^(١) [النساء : ١١٣] .
قيل : فضله العظيم بالنبوة . وقيل : بما سبق له في الأزل .



(١) في ذلك امتنان عظيم من الله عز وجل على نبيه ﷺ بما أنزل عليه من هذا القرآن العظيم والكتاب المبين الخالد ، وما أعطاه من السنة وعلمه من العلوم والحقائق ، وما أطلعه عليه من المغيبات التي لم يكن له بها علم ، وإن فضله عليه عظيم بما منحه من النبوة والوحي وأنواع النعم الدنيوية والأخروية التي لم يعطها أحداً قبله ولا ينالها أحد بعده ﷺ .

الباب الثاني

في تكميل الله تعالى له المحاسنَ خلقًا وخلقًا وقرانه جميع الفضائل الدينية والدنيوية فيه نسقًا

اعلم أيها المحب لهذا النبي الكريم، الباحث عن تفاصيل جميل قدره العظيم، أن خصال الجمال والكمال في البشر نوعان: ضروري دنيوي؛ اقتضته الجبلة وضرورة الحياة، ومكتسب ديني؛ وهو ما يحمد فاعله ويقرب إلى الله زلفى. ثم هو على فنين أيضًا: منها ما يتخلص لأحد الوصفين، ومنها ما يتمازج ويتداخل.

فأما الضروري المحض: فما ليس للمرء فيه اختيار ولا اكتساب، مثل ما كان في جبلة من كمال خلقتة وجمال صورته، وقوة عقله وصحة فهمه، وفصاحة لسانه، وقوة حواسه وأعضائه، واعتدال حركاته، وشرف نسبه، وعزة قومه وكرم أرضه، ويلحق به ما تدعوه ضرورة حياته إليه، من غذائه، ونومه، وملبسه، ومسكنه، ومنكحه، وماله وجاهه. وقد تلحق هذه الخصال الآخرة^(١) بالأخرية إذا قصد بها التقوي ومعونة البدن على سلوك طريقها، وكانت على حدود الضرورة وقواعد الشريعة.

(١) يعني من قوله: «من غذائه» إلى «جاهه»، ولهذا يذكر الأصوليون هذا القسم من أمور الجبلة مع هذا التفصيل الذي أشار إليه المؤلف هنا.

وأما المكتسبة الأخروية: فسائر الأخلاق العملية والآداب الشرعية^(١)، من: الدين، والعلم، والحلم، والصبر، والشكر، والعدل، والزهد، والتواضع، والعفو، والعفة، والجود، والشجاعة، والحياء، والمروءة، والصِّمت، والتُّؤدة، والوقار، والرحمة، وحسن الأدب والمعاشرة وأخواتها، وهي التي جماعها حسن الخلق . . .

وقد يكون من هذه الأخلاق ما هو في الغريزة وأصل الجبلة لبعض الناس، وبعضهم لا تكون فيه، فيكتسبها ولكنه لا بد أن يكون فيه من أصولها في أصل الجبلة، شعبة كما سنبينه إن شاء الله تعالى، وتكون هذه الأخلاق دنيوية إذا لم يُرد بها وجه الله والدار الآخرة، ولكنها كلها محاسن وفضائل باتفاق أصحاب العقول السليمة، وإن اختلفوا في موجب حسنها وتفضيلها . . .

قال أبو الفضل رحمه الله تعالى: إذا كانت خصال الكمال والجلال ما ذكرناه ورأينا الواحد منا يتشرف بواحدة منها أو اثنتين — إن اتفقت له — في كل عصر، إما من نسب، أو جمال، أو قوّة، أو علم، أو حلم، أو شجاعة، أو سماحة، حتى يعظّم قدره، ويضرب باسمه الأمثال، ويتقرر له بالوصف بذلك في القلوب أثرٌ وعظمة، وهو منذ عصور خَوالٍ رَمَمٌ بَوال^(٢). فما ظنك بعظّم قدرٍ من اجتمعت فيه كل هذه الخصال إلى ما لا يأخذه عد، ولا يعبر عنه مقال، ولا ينال بكسب ولا حيلة، إلا بتخصيص الكبير المتعالي، من: فضيلة النبوة والرسالة، والخلة والمحبة، والاصطفاء، والإسراء، والرؤية، والوحي، والشفاعة، والوسيلة، والفضيلة، والدرجة الرفيعة، والمقام المحمود، والبراق والمعراج،

(١) وهي التي أمرنا باتباعه والافتداء به فيها وجوبًا أو استحبابًا.

(٢) أي: منذ أزمنة ماضية وعظام بالية.

والبعث إلى الأحمر والأسود، والصلاة بالأنبياء، والشهادة بين الأنبياء
والأمم، وسيادة ولد آدم، ولواء الحمد، والبشارة والنذارة، والأمانة،
والهداية، ورحمة للعالمين، وإعطاء الرضى، والكوثر، وسماع القول،
وإتمام النعمة، والعفو عما تقدم وما تأخر.

وشرح الصدر، ووضع الوزر، ورفع الذكر، وعزة النصر، ونزول
السكينة، والتأييد بالملائكة، وإيتاء الكتاب والحكمة، والسبع المثاني
والقرآن العظيم، وتزكية الأمة، والدعاء إلى الله، وصلاة الله تعالى
والملائكة، والحكم بين الناس بما أمره الله، ورفع الإصر والأغلال عنهم،
والقسم باسمه، وإجابة دعوته، وتكليم الجمادات والعجم، وإحياء
الموتى، وإسماع الصم، ونبع الماء من بين أصابعه، وتكثير القليل،
وانشقاق القمر، وقلب الأعيان، والنصر بالرعب، والأطّلاع على
الغيب، وظل الغمام، وتسبيح الحصا، وإبراء الآلام، والعصمة من
الناس... إلى ما لا يحويه محتفل ولا يحيط بعلمه إلاّ مانحة ذلك ومفضّله
به، لا إله غيره، إلى ما أعدّه له في الدار الآخرة من منازل الكرامة، ودرجات
القدس، ومراتب السعادة والحسنى والزيادة التي تقف دونها العقول،
ويحار دون إدراكها الوهم^(١).

قال أبو الفضل: إن قلت أكرمك الله لا خفاء على القطع بالجملة
أنه ﷺ أعلا الناس قدرًا، وأعظمهم محلاً، وأكملهم محاسن وفضلاً، وقد

(١) في هذه الفضائل والخصائص ما هو ضعيف كذكره القرب والدنو إشارة لقوله
تعالى: ﴿ثُمَّ دَنَا...﴾ إلخ، في سورة النجم؛ فإن ذلك كان بينه وبين جبريل،
وكذا قوله: والمكانة عند ذي العرش، والطاعة ثمّ، إشارة إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ
لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٦٩﴾ ذِي قُوَّةٍ...﴾ إلخ، فإن المراد به جبريل كما تقدم. وكذا قوله:
ورد الشمس... إلخ. فإن الحديث بذلك ضعيف عند جمهور المحدثين.

ذهبت في تفاصيل خصال الكمال مذهباً جميلاً شوقني إلى أن أقف عليها من أوصافه ﷺ تفصيلاً .

فاعلم - وفقني الله وإياك ونور قلبي وقلبك، وضاعف في هذا النبي الكريم حبي وحبك - أنك إذا نظرت إلى خصال الكمال التي هي غير مكتسبة وفي جبهة الخلقة، وجدته ﷺ حائزاً لجمعيتها، محيطاً بشتات محاسنها دون خلاف بين نقلة الأخبار لذلك، بل قد بلغ بعضها مبلغ القطع .

صفته وصورته

أما الصورة وجمالها وتناسب أعضائه في حسنهما، فقد جاءت الآثار الصحيحة والمشهورة الكثيرة بذلك، من حديث: علي، والبراء بن عازب، وأبي هريرة، وجابر بن سمرة، وأنس بن مالك، وكعب بن مالك، وأبي الطفيل، وابن عمر، ومُجَرِّش الكعبي، وعائشة، وأم هانئ، وأبي جحيفة... وغيرهم، رضي الله تعالى عنهم:

[ز] من أنه ﷺ كان أحسن الناس وجهًا، كالشمس والقمر، أزهر اللون، أبيض، مليحًا، مُقَصِّدًا، كأنما صِيغَ مِنْ فِضَّةٍ، أشكل العينين، أهدب الأشفار، ضليع الفم، شثن الكفين والقدمين، طويل الذراعين والكفين، ضخم الرأس والكراديس، منهوس العقبين، بريق الساقين، رجل الشعر فوق الجمة ودون الوفرة، وكانت له غدائر يوم فتح مكة، ليس بالطويل ولا بالقصير، طويل المسربة، إذا مشى تكفا كأنما ينحطّ من صَبَبٍ، أضوا الناس وأجود الناس وأشجع الناس . يقول ناعته: لم أر قبله ولا بعده مثله ﷺ^(١) .

(١) أورد المؤلف صفته ﷺ ملخصة من أحاديث مزيجية، فيها الصحيح والضعيف، فاقترنت منها على بعض ما صحَّ وحذفت ما ضعف منها، وقوله: فقد جاءت الآثار الصحيحة... إلخ، أصحها وأشهرها ما أشرت إليه وسأخرجه بإذن الله تعالى:

فحديث علي عليه الصلاة والسلام: رواه الطيالسي ٢٤٠٩، وأحمد ١/٩٦،
١٠١، ١٢٧، ١٥١، وابنه في الزوائد ١/١١٦، ١١٧، والترمذي في المناقب
٢٤١٢ بتهديبي، وفي الشمائل رقم ٥، وابن حبان ٢١١٧، وابن سعد ١/٤١١،
والحاكم ٢/٦٠٦، من طرق بعضها صحيحة أو حسنة، وحسنه الترمذي وصححه
هو والحاكم، ووافقه الذهبي.

وحديث البراء: رواه البخاري في المناقب ٧/٣٨١، ومسلم في الفضائل
١٥/٩١، وأبو داود في الترجل وفي اللباس، والنسائي في الزينة، والترمذي في
اللباس ١٥٨١ وغيره، وكذا أحمد ٤/٢٨١، ٢٩٠، ٢٩٥، ٣٠٣، وغيرهم.
وحديث أنس: رواه البخاري في اللباس ١٢/٤٨٠ باب الجعد.

وحديث أبي هريرة: رواه الطيالسي ٢١٣، وأحمد ٢/٣٢٨ بسند صحيح.
وحديث جابر بن سمرة: رواه أحمد ٥/٨٦، ٨٨، ٩٧، ١٠٣، ومسلم ١٥/٦٣،
٩٢، والترمذي في المناقب ٣٤١٥، وفي الشمائل ٨، وغيرهم.
وحديث كعب بن مالك: رواه البخاري في مواضع منها في المناقب ٧/٣٨٣،
٣٨٤، ومسلم في التوبة، والترمذي في التفسير ٣٨٩٦، وباقي الجماعة في حديثه
الطويل في توبته.

وحديث أبي الطفيل: رواه أحمد ٥/٤٥٥، ومسلم ١٥/٩٣، والترمذي في
الشمائل ١٣.

وحديث ابن عمر: رواه الدارمي رقم ٦٠ بسند صحيح.
وحديث مُجَرِّش: رواه أحمد ٣/٤٢٦، ٤٢٧ من طرق صحيحة.
وحديث عائشة: رواه الترمذي في اللباس، باب ما جاء في الجمعة واتخاذ الشعر،
وابن ماجه فيه ٣٦٣٥، وكذا أحمد ٦/١٠٨، ١١٨، وصححه الترمذي.
وحديث أم هانئ: رواه أبو داود ٤١٩١، والترمذي في اللباس، وابن ماجه كذلك
٣٦٣١، وكذا أحمد ٦/٣٤١ بسند صحيح.

وحديث أبي جحيفة: رواه أحمد ٤/٣٠٨، ٣٠٩، والبخاري في مواضع،
ومسلم في الصلاة، وأبو داود ٥٢٠، والترمذي في الأذان ١٧٦، وباقي الجماعة،

وقال البراء: ما رأيت من ذي لَمَّةٍ في حُلَّةٍ حمراء أحسن من رسول الله ﷺ (١).

وقال أبو هريرة رضي الله تعالى عنه: ما رأيت شيئاً أحسن من رسول الله ﷺ، كأن الشمس تجري في وجهه (٢).

وقال جابر بن سمرة: وقال له رجل: كان وجهه ﷺ مثل السيف؟ فقال: لا، بل مثل الشمس والقمر (٣).

والدارمي ١٢٠١ وغيرهم.

ومن أراد الوقوف على أكثر ألفاظها فليرجع إلى تهذيبي للخصائص من رقم ٢٤ إلى ٤٠.

شرح الألفاظ الواردة في صفته ﷺ

أزهر اللون، أي: نيّره. مليحاً، أي: حسناً. مُقَصِّداً، أي: وسطاً. كأنما صيغ من فضة، أي: في صفاء لونه كأنه أخذ من فضة. أشكل العينين، أي: في بياضها شيء من حمرة. أهدب الأشفار، أي: طویل شعر الأجنان. ضليع الفم، أي: واسع وعظيمه. شثن الكفين، أي: غليظهما. والكراديس، جمع كردوس وهي: رؤوس العظام. منهوس العقبين، أي: لحمهما قليل. رَجَل الشعر - بكسر الجيم - ، أي: بيّن الجعودة والسبوطه. غدائير، جمع غديرة، وهي: الضفيرة. طویل المشربة، هي: الشعر الدقيق الذي كأنه قضيب من الصدر إلى السرة. كأنما ينحط... إلخ، أي: كأنما ينزل من علو إلى سفلى.

(١) تقدم تخريجه ص ٨٦ وهو الحديث الثاني.

(٢) رواه أحمد ٢/٢٥٠، والترمذي في المناقب ٣٤٢٢، وابن حبان ٢١١٨، وابن سعد ٣/٣٧٩، وهو صحيح، وابن لهيعة له متابعة صحيحة عند ابن حبان.

(٣) تقدم تخريجه ص ٨٦، وهو في صحيح مسلم. ونحوه عن البراء: أنه سئل: أكان

وجه رسول الله ﷺ مثل السيف؟ قال: لا، ولكن مثل القمر. رواه البخاري في المناقب ٧/٣٨١، والترمذي كذلك ٣٤٠٥.

والأحاديث في بسط صفته ﷺ مشهورة كثيرة فلا نطول بسردها^(١).

نظافته وطيب ريحه وعرقه . . .

وأما نظافة جسمه وطيب ريحه وعرقه ونزاهته عن الأقدار وعورات الجسد، فكان قد خصَّه الله تعالى في ذلك بخصائص لم توجد في غيره، ثم تمَّها بنظافة الشرع وخصال الفطرة العشر.

ثم أسند من طريق مسلم عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: ما شِمْتُ عَبْرًا قَطُّ وَلَا مِسْكَ وَلَا شَيْئًا أَطِيبَ مِنْ رِيحِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ^(٢).

وعن جابر بن سمرة أنه ﷺ مَسَحَ خَدِّي، قال: فوجدت لِيَدِهِ بَرْدًا وَرِيحًا كَأَنَّهَا أَخْرَجَهَا مِنْ جُؤْنَةِ عَطَّارٍ^(٣).

وكان رسول الله ﷺ في دار أنس فعرق، فجاءت أمه بقارورة تَجْمَعُ

-
- (١) وقد أشرنا إلى أصحابها وأشهرها، وفي ذلك غنية لمن يقنع بالثابت الصحيح.
- (٢) هو عند مسلم في الفضائل ١٥/٨٥، ٨٦. ورواه أحمد ٣/٢٢٢، ٢٢٨، ٢٧٠، والبخاري في المناقب ٧/٣٨٦، ٣٨٧، والدارمي ٦٢، ولفظه عند مسلم: كان رسول الله ﷺ أزهر اللون كأن عرقه اللؤلؤ إذا مشى تكفأ، ولا مسست ديباجة ولا حريرًا ألين من كف رسول الله ﷺ ولا شممته.
- وقوله: تكفأ، أي: مال يمينًا وشمالًا. وقوله ديباجة: هو الحرير نفسه.
- (٣) رواه مسلم أيضًا في الفضائل ١٥/٨٥ قال: صليت مع رسول الله ﷺ الصلاة الأولى ثم خرج إلى أهله وخرجت معه، فاستقبله ولدان فجعل يَمْسَحُ خَدِّي أَحَدِهِمْ وَاحِدًا وَاحِدًا، قال: وأما أنا فَمَسَحَ خَدِّي. قال: فوجدت . . . إلخ.
- وجاء في المناقب من صحيح البخاري ٧/٣٨٢ في حديث أبي جحيفة قال: وقام الناس فجعلوا يأخذون يديه فيمسحون بها وجوههم، قال: فأخذت بيده فوضعتها على وجهي فإذا هي أبرد من الثلج، وأطيب رائحة من المسك . . .
- وقوله: جُؤْنَة، بضم الجيم وسكون الهمزة، وعاء مغطى بجلد يضع فيه العطار طيبه.

فيها عرقه، فسألها رسول الله ﷺ عن ذلك فقالت: نجعله في طيبنا وهو من أطيّب الطيب^(١).

وعن أنس قال: كان رسول الله ﷺ إذا مرّ في طريق من طُرُق المدينة وُجِدَ منه رائحة المسك، فيقال: مرّ رسول الله ﷺ في هذا الطريق^(٢).

ومن هذا حديث عليّ رضي الله تعالى عنه قال: غَسَلْتُ النبي ﷺ فذهبتُ أنظر ما يكون من الميتِ فلم أجد شيئاً، فقلت: طبت حياً وميتاً^(٣).

ومثله قال أبو بكر رضي الله تعالى عنه حين قبّل النبي ﷺ^(٤).

ومن هذا القبيل شرب عبد الله بن الزبير رضي الله تعالى عنهما دم حجامته ﷺ فقال عليه الصلاة والسلام: «ويل لك من الناس، وويل لهم منك»^(٥). ولم ينكر عليه.

(١) رواه مسلم في الفضائل ٨٦/١٥، ٨٧، وهذا من قبيل إجلالهم لرسول الله وتعظيمهم له وتبركهم بآثاره ﷺ.

(٢) رواه أبو يعلى رقم ٣١١٣، والبخاري. قال نور الدين في المجمع ٢٨٢/٨ رجال أبي يعلى وثقوا. وقال الحافظ في الفتح ٣٨٣/٧: إسناده صحيح. وهو عند أبي الشيخ في أخلاق النبي ص ٩٧.

(٣) رواه ابن ماجه ١٤٦٧، والحاكم ٣٦٢/١ كلاهما في الجنائز. وقال البوصيري في الزوائد: هذا إسناده صحيح، ورجاله ثقات. وصححه الحاكم على شرطهما. أما الذهبي فقال: منقطع.

(٤) يعني بعد موته، وهذا أخرجه البزار رقم ٨٥٢ مطولاً، من حديث ابن عمر بسند صحيح، وقال نور الدين في المجمع ٣٧/٩، ورجاله رجال الصحيح غير علي بن المنذر وهو ثقة. وأصل تقييله لنبي الله ﷺ في الجنائز ٣٥٧/٣، والمغازي ٢١١/٩ من صحيح البخاري عن عائشة رضي الله تعالى عنها في قصة موته ﷺ.

(٥) رواه البزار ١٤٥/٣، والطبراني والحاكم ٥٥٤/٣، قال الهيثمي في المجمع ٢٧٠/٨ رجاله رجال الصحيح غير هنيذ بن القاسم، وهو ثقة. ونحوه وقع لسفيانة. انظر: المجمع ٢٧٠/٨. وانظر ما سيأتي ص ٢٨١ - ٢٨٢.

[ز] وعن حَكِيمَةَ بنت أُمَيِّمَةَ، عن أمها رضي الله تعالى عنها قالت: كان للنبي ﷺ قدح من عيدان يبول فيه ويضعه تحت سريره، فقام فطلبه فلم يجده، فسأل فقال: أين القدح؟ قالوا: شربته بركة خادم أم سلمة التي قدمت معها من أرض الحبشة، فقال النبي ﷺ: «لقد احتظرت من النار بحِطَارٍ...»^(١).

وإقراره ﷺ على شرب الدم والبول من غير أن يأمر من شرب ذلك بغسل فمه... يدل على طهارة ذلك منه وطيبه. وبهذا قال جمع من العلماء والأئمة.

ومن هذا الفصل ما جاء عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه ﷺ نام حتى سُمِعَ له غطيط، فقام فصلّى ولم يتوضأ^(٢)؛ لأنه ﷺ كان محفوظاً في نومه كيقظته من الأقدار وما يشينه ﷺ.

وفور عقله وذكاء لبه وقوة حواسه

واعتدال حركاته وحسن شمائله

لا مريّة أنه ﷺ كان أعقل الناس وأذكاهم. ومن تأمل تدبيره أمر بواطن الخلق وظواهرهم وسياسة العامة والخاصة، مع عجيب شمائله وبديع سيره،

(١) رواه الطبراني، قال الهيثمي ٢٧٠/٨، ٢٧١: رجاله رجال الصحيح غير عبد الله بن أحمد وحكيمة، وكلاهما ثقة، والحديث أصله عند أبي داود رقم ٢٤، والنسائي ٣١/١، وابن حبان ١٤١، والحاكم ١٦٧/١، والبيهقي ٩٩/١ وسنده حسن، وصححه الحاكم والذهبي بموافقتهم.

وقوله: احتظرت، أي: جعلت واتخذت بينك وبين النار حظيرة، أي: وقاية.

(٢) رواه أحمد ٢٤٤/١، ٣٤١، والبخاري في العلم ٢٢٣/١، وفي الأذان، وفي التمني، ومسلم في الفضائل، وأبو داود في التطوع، وغيرهم. والغطيط، هو: صوت النائم.

فضلاً عما أفاضه من العلم وقرّره من الشرع دون تعلّم سبق ولا ممارسة تقدّمت ولا مطالعة للكتب منه؛ لم يمتّر في رُجْحَانِ عقله وثقوب فهمه لأول بديهة، وهذا مما لا يحتاج إلى تقريره لتحقيقه.

وقد قال عليه الصلاة والسلام: «إني لأراكم من وراء ظهري». وفي بعض الروايات: «إني لأنظر من ورائي كما أنظر من بين يدي»^(١).

[ز] فيكون له عينان من ورائه يبصر بهما ولا مانع يمنع من ذلك غير أنّ المختار هو التسليم والإيمان بما قال ﷺ.

وجاء في أحاديث كثيرة صحيحة أنه ﷺ كان يرى الملائكة^(٢)

(١) هو وارد عن أنس وأبي هريرة.

فحديث أنس رواه أحمد ٣/١٧٠، ١٧٨، ٢٧٤، ٢٧٩، والبخاري في الصلاة ٢/٦١، ٣٦٨، ومسلم في تحريم سبق الإمام ٤/١٥٠، بلفظ: «استووا، فوالله إني لأراكم من خلفي كما أراكم من بين يدي» لفظ أحمد، وللباقي بمعناه. وحديث أبي هريرة رواه أحمد ٢/٣٠٣، ٣٧٥، والبخاري في المصدرين السابقين، ومسلم كذلك ٤/١٤٩، ولفظ مسلم. «والله لأبصر من ورائي كما أبصر من بين يدي»، ولفظ البخاري: «إني لأراكم من وراء ظهري».

وظاهر ما في الباب أن المراد بالرؤية الإبصار، وهو الظاهر، وغيره عدول عن صريح الألفاظ، ويكون ذلك من خصائصه وفضائله ﷺ.

(٢) رؤيته للملائكة تواترت بها الأخبار، فرئيسهم جبريل الذي كان لا يفارقه يومياً.

وجاءه مرة ملك الجبال لما رجع من الطائف، وقال له: وقد بعثني إليك ربك لتأمرني بما شئت، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشيين، الحديث. رواه البخاري في بدء الخلق، ومسلم في الجهاد ١٢/١٥٤.

وجاءه مرة ملك لم ينزل قط إلى الأرض فسلم وقال: أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبي قط قبلك: فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة، لن تقرأ بحرف منها =

والشياطين^(١)، ورفع له بيت المقدس حين وصفه لقريش صبيحة ليلة الإسراء^(٢).

[ز] وجاء أنه ﷺ كان بالبطحاء فأتى عليه يزيد بن ركانة - أو ركانة بن يزيد - ومعه أعنز له، فقال له: يا محمد، هل لك أن تصارعني، فقال: ما تسبقني؟ قال: بشاة من غنمي. فصارعه فصرعه، فأخذ شاة. قال ركانة:

إلاً أعطيته. رواه مسلم في فضائل القرآن ٩١/٦.

وعن أبي ذر قال: قال رسول الله ﷺ: «إني أرى ما لا ترون وأسمع ما لا تسمعون، أظت السماء وحق لها أن تئط، ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملك واضع جبهته ساجداً لله». رواه أحمد ١٧٣/٥، والترمذي في الزهد ٢١٣١، وابن ماجه ٤١٩٠ وغيرهم، وسنده حسن أو صحيح. وقال ﷺ: «إني لأسمع أطيظ السماء، وما تلام أن تئط، وما فيها موضع شبر إلا وعليه ملك ساجد أو قائم». رواه الطحاوي في مشكل الآثار ٤٣/٢، والطبراني في الكبير عن حكيم بن حزام بسند صحيح، وسيأتي في معجزة الإسراء ما شاهده في تلك الليلة وما رأى من الملائكة، وهذا باب واسع لمن تتبعه.

(١) جاء في حديث الإسراء من حديث أبي هريرة: «فلما نزلت إلى السماء الدنيا نظرت إلى أسفل مني فإذا أنا برهج ودخان وأصوات، فقلت: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذه الشياطين يحومون على أعين بني آدم لا يتفكرون في ملكوت السموات والأرض، لولا ذلك لرأوا العجائب». رواه أحمد ٥٣/٢، ٣٦٣/٣، وابن ماجه ٢٢٧٣ بسند حسن. وحديث أخذه العفريت من الجن في الصحيحين في أحاديث أخرى لمن تتبعها.

(٢) رواه البخاري في الإسراء ٧/٦/١٠، وفي المناقب ١٩٨/٨، ومسلم في الإيمان ٢٣٧/٢، والترمذي في تفسير سورة الإسراء، من حديث جابر بن عبد الله، ونحوه في مسلم عن أبي هريرة. وسياقه عن جابر: «لما كذبتني قريش حين أسري به إلى بيت المقدس قمت في الحجر فجلى الله لي بيت المقدس، فطفقت أخبرهم عن آياته وأنا أنظر إليه».

هل لك في العود؟ قال: ما تسبقني. قال أخرى... ذكر ذلك مرارًا، فقال: يا محمّد، والله ما وضع أحد جنبي إلى الأرض، وما أنت الذي تصرعني، فأسلم وردّ عليه رسول الله ﷺ غنمه^(١). وكان هذا أشد وأقوى أهل زمانه، فصرعه ﷺ.

[ز] وقال أبو هريرة رضي الله تعالى عنه: ما رأيت أحدًا أسرع من رسول الله ﷺ في مشيه كأنما الأرض تُطوى له، إنا لنُجهد أنفسنا وهو غير مكترث^(٢).

[ز] وهو يدل على قوته وقوة أعضائه وسرعة مشيه التي تفوق بها على شباب الصحابة.

وفي صفته عليه الصلاة والسلام أنّ ضحكه كان تبسّمًا، إذا التفت التفت معًا وإذا مشى مشى تَقَلُّعًا كأنما يَنْحَطُّ مِنْ صَبَبٍ^(٣).

(١) رواه البيهقي في الكبرى ١٨/١٠ عن سعيد بن جبير مرسلًا، وسنده صحيح. وجاء متصلًا عن ابن عباس. رواه الخطيب في المؤتلف والمختلف، وأبو الشيخ في الفروسية، كلاهما من طريق حماد بن سلمة عن عمرو بن دينار عن أبي جبير عن ابن عباس. وسندهما حسن صحيح. وللحديث شاهد رواه أبو داود ٤٠٧٨، والترمذي في اللباس ١٦٣٧، والحاكم ٤٥٢/٣، وهو وإن كان سنده ضعيفًا فهو صالح للاستشهاد به.

(٢) تقدم تخريجه رقم ٢ ص ٨٧، وقوله: إنا لنجهد... إلخ، أي: لنبالغ طاقتنا في مماشاته وهو غير مبالٍ بنا.

(٣) هو مركب من حديثين، فحديث التبسم وارد عن عبد الله بن الحارث بن جزء، رواه الترمذي في المناقب ٣٤١٦، ٣٤١٧، وفي الشمائل ١٩٤، وكذا أحمد ١٩٠/٤، ١٩١ بسند صحيح.

وحديث الالتفات والمشى، رواه الترمذي في الشمائل رقم ٥، وابن سعد في الطبقات ١/٤١٠ عن إبراهيم بن محمد ابن الحنفية عن الإمام علي عليه السلام، وسنده ضعيف وإن كان معناه صحيحًا.

فصاحة لسانه وبلاغة مقاله

وأما فصاحة اللسان وبلاغة القول، فقد كان ﷺ من ذلك بالمحل الأفضل، والموضع الذي لا يجهل سلاسة طبع، وبراعة منزع، وإيجاز مقطع، ونصاعة لفظ، وجزالة قول، وصحة معان، وقلة تكلف؛ أُوتِيَ جوامع الكلم، وخصَّ ببدائع الحكم، وعلم السنة العرب؛ فكان يخاطب كل أمة منها بلسانها، ويحاورها بلغتها، حتى كان كثير من أصحابه يسألونه في غير موطن عن شرح كلامه. ومن تأمل حديثه وسيره علم ذلك وتحققه.

وليس كلامه مع قريش والأنصار وأهل الحجاز ونجد ككلامه مع ذي المعشار الهمداني وطهفة النهدي وقطن بن حارثة العليمي والأشعث بن قيس ووائل بن حجر الكندي وغيرهم من ملوك حمير وحضرموت واليمن.

وأما كلامه المعتاد وفصاحته المعلومة، وجوامع كلمه وحكمه المأثورة، فقد أَلَّفَ الناس فيها الدواوين، وجمعت في ألفاظها ومعانيها الكتب، ومنها ما لا يوازي فصاحة، ولا يبارى بلاغة.

من جوامع كلمه ﷺ :

كقوله: «المُسلمون تتكافأُ دِمَاؤُهُمْ، وَيَسْعَى بِذِمَّتِهِمْ أَذْنَاهُمْ، وَهُمْ يَدُّ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ»^(١).

وقوله: «المرءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ»^(٢).

(١) رواه أحمد ٢/١٩١، ١٩٢، ٢١١، وأبو داود ٢٧٥١، ٤٥٣١، وابن ماجه ٣٦٨٥/٢٦٥٩، وابن الجارود ١٠٧٣، والبيهقي ٢٩/٨ بسند حسن، وقوله: «تتكافأُ»، أي: تتساوى، وقوله: «وهم يد... إلخ»، أي: قوة يتعاونون على أعدائهم.

(٢) رواه البخاري في الأدب ١٣/١٧٧، ١٧٨، ومسلم في البر والصلوة ١٦/١٨٨ =

وقوله: «الناسُ معادن»^(١).

وقوله: «المستشار مؤتمن»^(٢).

وقوله: «أسلم تسلم يُؤتكَ اللهُ أجرَكَ مرَّتين»^(٣).

وقوله: «وإنَّ أَحَبَّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبُكُمْ مِنِّي مجالسُ يومِ القيامةِ أحاسنُكُمْ أخلاقًا الموطَّؤون أكنافًا الذين يَأْلَفُونَ وَيُؤْلَفُونَ»^(٤).

وقوله: «ذو الوجهين لا يكون عند الله وجيهاً»^(٥).

= وغيرهما من حديث ابن مسعود. وورد عن نحو من عشرين نفسًا، وهو متواتر. وانظر كتابي جواهر البحار رقم ٣٦٦.

(١) رواه الطيالسي ٧١، والبخاري في المناقب ٣٢٩/٧، ٣٤٠ وغيره، ومسلم في البر ١٦/١٨٥، من حديث أبي هريرة، والمعادن والأصول والأنساب.

(٢) حديث متواتر رواه أبو داود ٥١٢٨، والترمذي في الأدب ٢٦٣٣، وابن ماجه ٣٦٤٥، وغيرهم عن أبي هريرة، ورواه أحمد ٥/٢٧٤، وابن ماجه ٣٧٤٦، وابن حبان ١٩٩١ عن أبي مسعود، وفي الباب عن جماعة.

(٣) حديث مشهور روياه في قصة كتابته ﷺ إلى هرقل عظيم الروم، وحديثه في أول البخاري.

(٤) وارد عن جابر، رواه الترمذي في البر والصلة رقم ١٨٦١ بسند صحيح، وعن عبد الله بن عمرو رواه أحمد ٢/١٨٩، وابن حبان ١٩١٦، وعن أبي ثعلبة الخشني رواه أحمد ٤/١٩٣، وابن حبان ١٩١٧ بسند صحيح، وعن أبي هريرة رواه الطبراني في الصغير.

وقوله: «الموطئون... إلخ، أي: المتذللون المتواضعون.

(٥) رواه البخاري في الأدب ١٣/٨٥، وفي الأحكام ١٦/٢٩٤، ومسلم في البر ١٦/١٥٦ بلفظ: «إن من شر الناس ذا الوجهين، الذي يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه»، وهو أيضًا عند أبي داود والترمذي، كلهم عن أبي هريرة. ورواه أبو داود ٤٨٧٣، والبخاري في الأدب المفرد ١٨٨، وابن حبان ١٩٧٩، وغيرهم من حديث عمار بن ياسر مرفوعًا بلفظ: «من كان له وجهان في الدنيا كان له يوم =

ونهي عن قيل وقال وكثرة السؤال، وإضاعة المال، ومنع وهات،
وعقوق الأمهات، ووأد البنات^(١).

وقوله: «اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَاتَّبِعِ السَّبِيلَ الْحَسَنَةَ تَمَحُّجًا، وَخَالِقِ
النَّاسَ بِخَلْقِ حَسَنٍ»^(٢).

وقوله: «أَحَبُّ حَبِيبِكَ هَوْنًا مَا عَسَى أَنْ يَكُونَ بَغِيضِكَ يَوْمًا مَا»^(٣).

وقوله: «الظلم ظلمات يوم القيامة»^(٤).
... إلى ما روته الكافة عن الكافة من مقاماته ومحاضراته وخطبه
وأدعيته ومخاطباته وعهوده، مما لا خلاف أنه نزل من ذلك مرتبة لا يُقاس
بها غيره، وحاز فيها سَبَقًا لا يقدر قدره.

وقد جمعت من كلماته التي لم يسبق إليها، ولا قدر أحد أن يفرغ في
قالبه عليها، كقوله: «حَمِيَّ الوَطِيسِ»^(٥).

-
- = القيامة لسانان من نار». وسنده حسن. وأخرجه البخاري في الأدب المفرد عن
أبي بكر بلفظ: «لا ينبغي لذي الوجهين أن يكون أمينًا». . أما لفظ الشيخ فلم
أجده. وذو الوجهين، هو الذي يأتي كل طائفة بما يرضيها، ويذم ويقبِّح غيرها،
وهذا محض الكذب وصفة من صفات المنافقين، نعوذ بالله تعالى من ذلك.
- (١) رواه البخاري في الاستقراض وفي الزكاة، وفي الأدب ١٣/٨، ٩، ١١، ومسلم
في الأفضية ١٢/١٢، ١٣ وغيرها.
- (٢) رواه أحمد ٥/١٥٣، والترمذي في البر ١٨٣١، والدارمي ٣٧٩٤، والحاكم
٥٤/١، عن أبي ذر وسنده صحيح، وصححه الترمذي والحاكم. ونحوه عن
معاذ، رواه أحمد ٥/٢٣٦، والترمذي ١٨٣٢.
- (٣) رواه البخاري في الأدب المفرد رقم ١٣٢١، والترمذي في البر برقم ١٨٤٢،
وسنده عنده صحيح على شرط مسلم، ثم إن له شواهد.
- (٤) رواه البخاري في المظالم ٦/٢٥، ومسلم في البر ١٦/١٣٤ عن ابن عباس.
- (٥) رواه مسلم في غزوة حنين في السير ١٢/١١٦ ضمن حديث طويل عن العباس، =

وقوله: «لا يُلدغ المؤمن من جحر مرتّين»^(١).

وقوله: «السعيد من وعظ بغيره»^(٢). . . في أخواتها ما يدرك الناظر العجب في مُضْمَنِيهَا، ويذهب به الفكر في أداني حكمها.

فجمع له بذلك ﷺ قوّة عارضة البادية وجزالتها ونصاعة ألفاظ الحاضرة ورونق كلامها، إلى التأييد الإلهي الذي مَدَدَهُ الوحي الذي لا يحيط بعلمه بشر.

شرف نسبه وكرم بلده

وأما شرف نسبه وكرم بلده ومنشئه فمما لا يحتاج إلى إقامة دليل، ولا بيان مشكل ولا خفي منه؛ فإنه نُخْبَةٌ بني هاشم، وسُلَالَةٌ قريش وصَمِيمُهَا، وأشرف العرب وأعزهم نفراً، من قبل أبيه وأمه، ومن أهل مكة أكرم بلاد الله على الله وعلى عباده^(٣).

ورواه النسائي أيضاً في الكبرى ١٩٥/٥، ولفظه عندهما: «هذا حين حمي الوطيس. . .»، أي: هذا وقت اشتداد الحرب.

(١) رواه أحمد ١١٥/٢، والبخاري في الأدب ١٣/١٤٦، ١٤٧، ومسلم آخر الكتاب ١٨/١٢٤، وابن ماجه في الفتن ٣٩٨٢ من حديث أبي هريرة، وله سبب. انظره في مظانة.

(٢) هو في القدر من صحيح مسلم ١٦/١٩٣ من قول ابن مسعود قال: «الشقي من شقي في بطن أمه، والسعيد من وعظ بغيره». وقد قَصَّرَ في التخريج من رواه للدليمي.

(٣) فعن عبد الله بن عدي أن رسول الله ﷺ قال لمكة: «واللَّهِ إِنَّكَ لَخَيْرُ أَرْضِ اللَّهِ، وَأَحَبُّ أَرْضِ اللَّهِ إِلَى اللَّهِ، وَلَوْلَا أَنِي أُخْرِجْتُ مِنْكَ مَا خَرَجْتُ». رواه أحمد ٤/٣٠٥، والترمذي ٣٦٨١ في المناقب، وابن ماجه ٣١٠٨، وابن ماجه ١٠٢٥ وصححه الترمذي.

ثم أسند من طريق البخاري عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه : أنَّ رسول الله ﷺ قال : «بُعِثْتُ من خير قرون بني آدم قرناً فقرناً، حتى كنت من القرن الذي كنت منه»^(١).

وعن العباس رضي الله تعالى عنه قال : قال النبي ﷺ : «إِنَّ الله خلق الخلق فجعلني من خيرهم من خير قرونهم، ثم تخير القبائل فجعلني من خيرهم قبيلة، ثم تخير البيوت فجعلني من خير بيوتهم، فأنا خيرهم نفساً، وخيرهم بيتاً»^(٢).

وعن وائلة بن الأسقع رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «إِنَّ اللّه اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل، واصطفى من ولد إسماعيل بني كنانة، واصطفى من بني كنانة قريشاً، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم». قال الترمذي : وهذا حديث صحيح^(٣).

(١) رواه أحمد ٣٧٣/٢، والبخاري في صفة النبي ﷺ ٣٨٤/٧، والمراد بالبعث هنا قلبه في أصلاب آبائه وأرحام أمهاته الذين كانوا يعيشون في خير طبقات أجيالهم طبقة طبقة إلى أن وجد في طبقة عصره الذي كان بيته فيه أشرف البيوت وأطهرها.

(٢) الحديث رواه أحمد ٢١٠/١، والطيالسي ٢٤٠٥، والترمذي في المناقب ٣٣٧٥، وحسنه وصححه عن العباس أنه جاء إلى رسول الله ﷺ وكأنه سمع شيئاً، فقام النبي على المنبر، فقال : «من أنا؟ قالوا: أنت رسول الله عليك السلام، قال : «أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، إن الله خلق الخلق...» فذكره بنحوه.

(٣) رواه أحمد ١٠٧/٤، ومسلم في الفضائل ٣٦/١٥، والترمذي في المناقب ٣٣٧٤، ٣٣٧٦، والبخاري في التاريخ ٤/١، والخطيب في تاريخ بغداد ٦٤/١٣، وحسنه الترمذي وصححه، وهذه الأحاديث ظاهرة في شرف نسبه وطهارته ورفعته وفضل أجداده.

الأخلاق التي تدعو إليها ضرورة الحياة

وأما ما تدعو ضرورة الحياة إليه مما فصلناه، فعلى ثلاثة أضرب: ضربُ الفضل في قلته، وضربُ الفضل في كثرته، وضربُ تختلف الأحوال فيه .

فأما الضرب الأول، وهو: ما يكون التمدُّح والكمال بقلته اتفاقاً، وعلى كل حال عادة وشريعة، كالغذاء، والنوم، ولم تزل العرب والحكماء تتمدح بقلتهما وتذم بكثرتهما؛ لأنَّ كثرة الأكل والشرب دليل على التَّهم والإفراط في شهوة الطعام، والحرص والشره. وشدة الحرص وغلبة الشهوة مُسبِّبٌ لمضار الدنيا والآخرة؛ جالب لأدواء الجسد وثقل النفس وامتلاء الدماغ، وقلته دليل على القناعة وملك النفس ومنعها من الشهوات. وقمع الشهوة مُسبِّبٌ للصحة وصفاء خاطر وحدة الذهن. كما أنَّ كثرة النوم دليلٌ على الرذالة وفتور النفس والضعف، وعدم الذكاء والفطنة، مُسبِّبٌ للكسل والعجز وتضييع العمر في غير نفع، وقساوة القلب وغفلته وموته وظلمته.

والشاهد على هذا ما يعلم ضرورة، ويوجد مشاهدة، وينقل متواتراً من كلام الأمم المتقدمة، والحكماء السالفين، وأشعار العرب وأخبارها، وصحيح الحديث، وآثار من سلف وخلف مما لا يحتاج إلى الاستشهاد عليه، وإنما تركنا ذكره هنا اختصاراً واقتصاراً على اشتها العلم به، وقد كان ﷺ قد أخذ من هذين الفنين بالأقل، هذا ما لا يدفع من سيرته، وهو الذي أمر به وحضَّ عليه لا سيَّما بارتباط أحدهما بالآخر.

ثم أسند من طريق الطبراني عن المقدم بن معديكرب رضي الله تعالى عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: «ما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطنه، حسبُ ابن آدم أكلاتٌ يُقْمَنُ صلِّبه، فإن كان لا محالة فثلثُ طعامه،

وثالث لشرابه، وثالث لنَفْسِهِ^(١).

وكثرة النوم يأتي من كثرة الأكل والشرب. قال بعض السلف:
لا تأكلوا كثيرًا، فتشربوا كثيرًا، فترقدوا كثيرًا^(٢)، فتخسروا كثيرًا.

وقد روي عنه ﷺ أنه كان أحبَّ الطعام إليه ما كان على ضفف^(٣)،
أي: كثرة الأيدي. أو الضيق والشدة.

وعن عائشة رضي الله تعالى عنها: لم يمتلىء جوف النبي ﷺ شبعًا
قط^(٤).

(١) هذا يعد تقصيرًا في التخريج، فالحديث أخرجه أحمد ١٣٢/٤، والترمذي في
الزهد ٢١٩٨، وابن ماجه ٣٣٤٩، والحاكم ٣٣١/٤، ٣٣٢، وسنده صحيح.
وصححه الترمذي والحاكم والذهبي.

وقوله: «أكلات»، بضم الهمزة والكاف، أي: لقيمات. وقوله: «صلبه»، أي: ظهره.
وفي الحديث إرشاد إلى الإقلال من الأكل، وقد اتفق على ذلك الأطباء
والحكماء، فالحديث قاعدة وأصل في الطب الوقائي.

(٢) عزاه أبو حامد الغزالي في الإحياء إلى بعض الزهاد.

(٣) جاء في معنى هذا حديثان: أحدهما عن جابر مرفوعًا: «إن أحب الطعام إلى الله ما
كثرت عليه الأيدي». رواه أبو يعلى ٢٠٤٥، والطبراني في الأوسط ٧٣١٣،
وأبو نعيم في تاريخ أصبهان ٩٦/٢، وسنده حسن. وله شاهد عن أبي هريرة،
رواه أبو نعيم أيضًا ٨١/٢، وهو حسن في الشواهد، مؤيد للأول... وفيه عننة
ابن جريج وأبي الزبير. أما الحديث الثاني، فعن أنس: أن رسول الله ﷺ لم يجمع
له غداء ولا عشاء من خُبْزٍ ولَحْمٍ إلَّا على ضَفَفٍ. رواه أحمد ٢٧٠/٣، والترمذي
في الشمائل ١٣٨، وابن سعد في الطبقات ٤٠٤/١، وأبو الشيخ في أخلاق النبي
٢٨٧، وابن حبان في صحيحه ٢٧٤/١٤، وسنده صحيح على شرط الشيخين.

(٤) هذا لا أصل له بهذا اللفظ، وجاء في معناه أحاديث عن جماعة.

فعن عائشة: ما شبع رسول الله ﷺ من خبز شعير يومين متتابعين حتى قبض.
أخرجه الشيخان، والترمذي في الزهد ٢١٧٧، وفي رواية: والله ما شبع من خبز =

وأما قوله ﷺ: «ألم أر البرمة فيها لحم؟»^(١). إذا لعلَّ سبب سؤاله ظنه ﷺ اعتقادهم أنه لا يحل له، فأراد بيان سنته، إذ رآهم لم يُقدّموه إليه مع علمه أنهم لا يستأثرون عليه به، فصدّق عليهم ظنه، وبين لهم ما جهلوه من أمره بقوله: «هو لها صدقة، ولنا هديّة»^(٢).

وفي صحيح الحديث قوله ﷺ: «أما أنا فلا آكل متكئا»^(٣). والالتكاء هو: التمكن للأكل والتّعدّد في الجلوس له كالمتربع وشبهه من تمكن الجلسات التي يعتمد فيها الجالس على ما تحته، والجالس على هذه الهيئة يستدعي الأكل ويستكثر منه. والنبي ﷺ إنما كان جلوسه للأكل جلوس المُستوفز مُقعياً^(٤). ويقول: «إنما أنا عبدٌ آكل كما يأكل العبد، وأجلس كما

ولحم مرتين في يوم. رواه الترمذي، ورواه مسلم ١٠٨/١٨ بدل «لحم» «زيت». وعن أبي هريرة: ما شبع رسول الله ﷺ وأهله ثلاثاً تباغاً من خبز البر حتى فارق الدنيا. رواه البخاري، ومسلم في الزهد ١٠٨/١٨، ١٠٩، والترمذي فيه ٢١٧٨، وغيرهم.

وعن ابن عباس: كان رسول الله ﷺ يبيت الليالي المتتابعة طاوياً وأهله لا يجدون عشاءً. رواه الترمذي ٢١٨٠، وابن ماجه ٣٣٤٧. وعن أبي أمامة: ما كان يفضل عن أهل بيت رسول الله ﷺ خبز الشعير. رواه الترمذي ٢١٧٩ بسند صحيح.

(١) هو حديث واحد جاء عن عائشة في قصة عتق بريرة.. وفيه: فدخل رسول الله ﷺ والبرمة تفور بلحم، فقرب إليه خبز وإدام.. فقال ﷺ: «ألم أر البرمة فيها لحم؟» قالوا: بلى.. فقال هو: «عليها صدقة وهو لنا هدية». رواه البخاري في النكاح، وفي الطلاق، ومسلم في الزكاة، وفي العتق وغيرهما.

(٢) نفس المرجع السابق.

(٣) رواه البخاري في الأطعمة ١١/٤٧١، ٤٧٢، وأبو داود ٣٧٦٩، والترمذي ١٦٧٥، عن أبي جحيفة رضي الله تعالى عنه.

(٤) رواه مسلم في الأطعمة، في التواضع في الأكل ١٣/٢٢٧، ٢٢٨ عن أنس، قال: =

يَجْلِسُ الْعَبْدُ^(١). وليس معنى الحديث في الاتكاء الميل على شق عند المحققين.

وكذلك نومه ﷺ كان قليلاً؛ شهدت بذلك الآثار الصحيحة، ومع ذلك فقد قال ﷺ: «إِنَّ عَيْنِي تَنَامَانُ وَلَا يَنَامُ قَلْبِي»^(٢). وكان نومه على جانبه الأيمن استظهاراً على قلة النوم؛ لأنه عن الجانب الأيسر أهناً للصدر والقلب وما يتعلّق به من الأعضاء الباطنة حينئذ؛ لميلها إلى الجانب الأيسر، فيستدعي ذلك الاستئصال فيه والطول، وإذا نام النائم على الأيمن تعلّق القلب وقلّب، فأسرّع الإفاقة، ولم يغمّره الاستغراق. *بالتصحيح*
والضرب الثاني: ما يتفق التمدّح بكثرته، والفخر بوفوره، كالنكاح والجاه. أما النكاح فمتفق فيه شرعاً وعادة، فإنه دليل الكمال، وصحة الذكورية، ولم يزل التفاخر بكثرته عادة معروفة، والتماذج به سيرة ماضية. وأما في الشرع فسنة مأثورة.

= رأيت رسول الله ﷺ مقعياً يأكل تمرًا.

وفي رواية.. وهو مُحْتَفَزٌ يَأْكُلُ مِنْهُ أَكْلًا ذَرِيْعًا. قال النووي: مقعياً، أي: جالساً على أليته ناصباً ساقيه، ومحتفز بالزاي: مستعجل مستوفز غير متمكن في جلوسه، وهو معنى مقعياً.

(١) رواه ابن سعد ٢٨١/١، والبغوي في شرح السنة ٢٨٧/١١ من حديث عائشة، وسنده عندهما ضعيف، وأورده الهيثمي في المجمع ١٩/٩، برواية أبي يعلى وقال: إسناده حسن. وله شاهد عن الحسن مرسلًا، رواه أحمد في الزهد برقم ٢١ وسنده صحيح. وشاهد آخر مرسلًا أيضًا عن عطاء بن أبي رباح، رواه أحمد في الزهد ٢٠، ورواه عبد الرزاق في المصنف ٤١٦/١٠ عن يحيى بن أبي كثير وأيوب السختياني مرسلًا فالحديث لهذه الشواهد صحيح، خلافاً لمن ضعفه.

(٢) رواه البخاري في التهجد ٢٧٥/٣، ومسلم في صلاة الليل ١٧/٦ من حديث عائشة رضي الله تعالى عنها.

وقد قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: أفضل هذه الأمة أكثرها نساء^(١). مشيراً إليه ﷺ.

وقد قال ﷺ: «تَنَاجُحُوا تَنَاسَلُوا فَإِنِّي مُبَاهٍ بِكُمْ الْأُمَّمَ»^(٢).

ونهى عن التَّبَتُّلِ^(٣)، مع ما فيه من قمع الشهوة وغيض البصر الذي نبه عليهما ﷺ بقوله: «مَنْ كَانَ ذَا طَوَّلٍ فَلْيَتَزَوَّجْ، فَإِنَّهُ أَغْضُ لِلْبَصْرِ وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ»^(٤).

(١) رواه أحمد ٢٣١/١، والبخاري في أول النكاح ١٥/١١ عن سعيد بن جبير قال: قال لي ابن عباس: هل تزوجت؟ قلت: لا، قال: فتزوج فإن خير هذه الأمة... إلخ.

(٢) الحديث ورد من حديث أنس، رواه أحمد ١٥٨/٣، ٢٤٥، وابن حبان ٣٣٨/٩، والبيهقي ٨١/٧، ٨٢ بلفظ: «تزوجوا الولود الودود فإنني مكائر بكم الأنبياء يوم القيامة»، وعزاه الهيثمي في المجمع ٢٥٢/٤، ٢٥٨ لأحمد والطبراني، وحسن إسناده. ومن حديث معقل بن يسار رواه أبو داود ٢٠٥٠ في النكاح، والنسائي ٦٥/٦، ٦٦، وابن حبان ٣٦٤/٩، والطبراني ٥٠٨/٢٠، والحاكم ١٦٢/٢، والبيهقي ٨١/٧ من طرق وسنده صحيح، وصححه الحاكم والذهبي. ومن حديث أبي أمامة رواه البيهقي ٧٨/٧ بسند حسن في الشواهد. ومن حديث ابن عمرو رواه أحمد ١٧١/٢، ١٧٢. ومن حديث سهل بن حنيف، رواه الطبراني في الأوسط برقم ٥٧٤٢. فالحديث صحيح.

وقوله: مباه، أي: مفاخر بكثرتم الأنبياء وأمهم.

(٣) رواه البخاري ١٩/١١، ومسلم ١٧٦/٩، ١٧٧، كلاهما في النكاح من حديث سعد بن أبي وقاص. والتبتل هنا: الإعراض عن التزوج، يعني مع الاستطاعة.

(٤) هو بهذا اللفظ رواه الطبراني ولا يصح، ورواه البخاري ١٠/١١، ومسلم ١٧٢/٩ وغيرهما عن ابن مسعود بلفظ: «يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ مِنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، فَإِنَّهُ أَغْضُ لِلْبَصْرِ وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وَجَاءٌ».

حتى لم يره العلماء مما يقدح في الزهد. وقد كان زهَّاد الصحابة رضي الله تعالى عنهم كثيري الزوجات والسراري، كثيري النكاح، وحُكي في ذلك عن عليّ والحسن وابن عمر وغيرهم غير شيء، وقد كره غير واحد أن يلقى الله غير متزوِّج.

فإذا قيل: كيف يكون النكاح وكثرته من الفضائل، وهذا يحيى بن زكريا عليهما السلام قد أثنى الله تعالى عليه أنه كان حصورًا. فكيف يشني الله عليه بالعجز عمّا تعدّه فضيلة؟! وهذا عيسى ابن مريم عليه السلام تبَّتْ من النساء، فلو كان فضيلة لنكح.

والجواب: إنّ ثناء الله تعالى على يحيى بأنه حصور ليس كما قال بعضهم أنه كان هيوبًا أو لا ذكر له. بل قد أنكر هذا حدّاق المفسّرين ونقّاد العلماء، وقالوا: هذه نقيصة وعيب، ولا يليق بالأنبياء عليهم السلام، وإنما معناه أنه معصوم من الذنوب، أي: لا يأتيها كأنه حصر عنها. وقيل: مانعًا نفسه من الشهوات، وقيل: ليست له شهوة في النساء^(١). فبان لك من هذا أنّ عدم القدرة على النكاح نقص، وإنما الفضل في كونها موجودة، ثم قمعها إما بمجاهدة كعيسى عليه السلام، أو بكفاية من الله تعالى كيحيى عليه السلام فضيلة زائدة لكونها مشغلة في كثير من الأوقات، حاطة إلى الدنيا.

ثم هي في حق من أُقْدِرَ عليها ومُلْكَهَا وقام بالواجب فيها ولم يشغله عن ربّه: درجة علياء، وهي درجة نبيّنا ﷺ الذي لم تشغله كثرتهم عن عبادة ربّه، بل زاده ذلك عبادة لتحسينهن وقيامه بحقوقهن واكتسابه لهن، وهدايته إياهن، بل صرّح أنها ليست من حظوظ دنياه هو، وإن كانت من حظوظ دنيا غيره، فقال ﷺ: «حُبِّبَ إِلَيَّ مِنْ دُنْيَاكُمْ...»^(٢).

(١) انظر الحق في الحصور: عند ابن جرير ٣/٢٥٥، ٢٥٧.

(٢) رواه أحمد ٣/١٩٩، والنسائي في عشرة النساء ٧/٥٨، ٦٠، والحاكم ٢/١٦٠، =

فدَلَّ أَنَّ حُبَّهُ لِمَا ذَكَرَ مِنَ النِّسَاءِ وَالطَّيِّبِ اللَّذِينَ هُمَا مِنْ أَمْرِ دُنْيَا غَيْرِهِ،
 وَاسْتِعْمَالِهِ لِذَلِكَ لَيْسَ لِدُنْيَاهُ بَلْ لِآخِرَتِهِ لِلْفَوَائِدِ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا فِي التَّزْوِيجِ
 وَلِلْقَاءِ الْمَلَائِكَةِ فِي الطَّيِّبِ، وَلِأَنَّهُ أَيْضًا مِمَّا يَدْعُو إِلَى الْجَمَاعِ وَيُعِينُ عَلَيْهِ
 وَيَحْرِكُ أَسْبَابَهُ، وَكَانَ حُبُّهُ لِهَاتَيْنِ الْخَصْلَتَيْنِ لِأَجْلِ غَيْرِهِ وَقَمَعَ شَهْوَتَهُ، وَكَانَ
 حُبُّهُ الْحَقِيقِي الْمَخْتَصَّ بِذَاتِهِ فِي مَشَاهِدَةِ جَبْرُوتِ مَوْلَاهُ وَمَنَاجَاتِهِ. وَلِذَلِكَ
 مَيَّزَ بَيْنَ الْحَبِيبِ وَفَصَلَ بَيْنَ الْحَالِينِ، فَقَالَ: «وَجَعَلْتَ قِرَةَ عَيْنِي فِي
 الصَّلَاةِ»^(١). فَقَدْ سَاوَى يَحْيَى وَعَيْسَى فِي كِفَايَةِ فَتْنَتِهِنَّ وَزَادَ فَضِيلَةَ بِالْقِيَامِ
 بِهِنَّ، وَكَانَ ﷺ مِمَّنْ أُقْدِرَ عَلَى الْقُوَّةِ فِي هَذَا وَأُعْطِيَ الْكَثِيرَ مِنْهُ، وَلِهَذَا أُبِيحَ
 لَهُ مِنْ عَدَدِ الْحَرَائِرِ مَا لَمْ يُبَحْ لِغَيْرِهِ.

وَقَدْ رُوِيَ عَنِ أَنَسٍ أَنَّهُ ﷺ كَانَ يَدُورُ عَلَى نِسَائِهِ فِي السَّاعَةِ مِنَ اللَّيْلِ
 وَالنَّهَارِ وَهِنَّ إِحْدَى عَشْرَةَ. قَالَ أَنَسٌ: وَكُنَّا نَتَحَدَّثُ أَنَّهُ أُعْطِيَ قُوَّةَ ثَلَاثِينَ
 رَجُلًا^(٢). وَرَوَى نَحْوَهُ عَنْ أَبِي رَافِعٍ، وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهِ:
 «هَذَا أَطِيبٌ وَأَطْهَرُ»^(٣).

= والبيهقي ٧٨/٧ عن أنس بلفظ: «حُبَّبَ إِلَيَّ مِنْ دُنْيَاكُمْ النِّسَاءُ وَالطَّيِّبُ، وَجُعِلَتْ
 قِرَةُ عَيْنِي مِنَ الصَّلَاةِ»، وَجَوَّدَهُ الْعِرَاقِيُّ وَحَسَّنَهُ الْحَافِظُ وَصَحَّحَهُ الْحَاكِمُ، وَلَهُ
 شَاهِدٌ عَنْ عَائِشَةَ عِنْدَ أَحْمَدَ ٧٢/٦ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ لَوْلَا وَجُودُ رَجُلٍ مَبْهَمٍ فِيهِ.

- (١) نفس المرجع السابق.
 (٢) رواه البخاري في الغسل ١/٣٩٢، ٤٠٦، ٤٠٧، وفي النكاح ١١/٢٢٩، باب من
 طاف على نسائه في غسل واحد. وهو عند أحمد ٣/٩٩، ١٦٦، ٢٢٥، ٢٣٩،
 والبخاري أيضًا، ومسلم ٣/٢١٧، وأبي داود ٢١٨، والترمذي ١٢٣، والنسائي
 ١/١١٨، و٤٤/٦ من المجتبى، والدارمي ٧٥٩، ٧٦٠، وغيرهم بلفظ: كان
 يطوف على نسائه بغسل واحد.
 (٣) رواه أبو داود ٢١٩ بلفظ: طاف ذات على يوم على نسائه يغتسل عند هذه وعند
 هذه... وقال: «هذا أزكى وأطيب وأطهر»، وسنده حسن.

وقال سليمان عليه السلام: لأطوفنَّ الليلة على مائة امرأة أو تسع وتسعين^(١). وأنه فعل ذلك.

وقد كان لداود عليه السلام على زهده وأكله من عمل يده تسع وتسعون امرأة، وقد نبّه تعالى على ذلك في الكتاب العزيز بقوله: ﴿إِنَّ هَذَا أَخِي لَكُمُتَسَعٌ وَسَعُونَ نَجَّةً...﴾ إِنْخ الآية [ص: ٢٣].

[ز] وسيأتي الكلام على قصته في ذلك وتحقيق الحق فيها ص ٤٠٦.

وفي حديث أنس عنه عليه السلام: فَضَّلْتُ عَلَى النَّاسِ بِأَرْبَعٍ: بالسَّخَاءِ، وَالشَّجَاعَةِ، وَكَثْرَةِ الْجَمَاعِ، وَقُوَّةِ الْبَطْشِ^(٢).

وأما الجاه، فمحمود عند العقلاء عادة وبقدر جاهه عظمه في القلوب.

وقد قال الله تعالى في صفة عيسى عليه السلام: ﴿وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾^(٣) [آل عمران: ٤٥].

(١) رواه أحمد ٢/٢٩٩، ٢٧٥، والبخاري في الجهاد ٦/٣٧٤، ٣٧٥، وفي الأيمان والنذور ١٤/٣٣٣، ٤١٩، وفي الأنبياء ٧/٢٧٠، وفي التوحيد ١٧/٢٢١، ومسلم ١١/١١٩، والنسائي كلاهما في الأيمان والنذور، واللفظ للبخاري في الجهاد.

قال الحافظ في الفتح ٧/٢٧١، وفيه ما خص به الأنبياء من القوة على الجماع الدال ذلك على صحة البنية وقوة الفحولية وكمال الرجولة مع ما هم فيه من الاشتغال بالعبادة والعلوم... إِنْخ.

(٢) رواه الطبراني في الأوسط ٦٨١٢، قال الهيثمي في المجمع ٨/٢٦٩: رجاله موثقون، فهو حسن. هذا، وقد طعن الشيعة في حديث طوافه ﷺ على نسائه بغسل واحد... وليس ذلك بأوليات تكذيبهم للسنن الصحيحة والآثار المتواترة، بل والطعن في القرآن وتحريفه وتأويله بالتأويل الباطلة الباطنية الدال ذلك على كفرهم.

(٣) وجيهاً، أي: له جاه وسيادة وتعظيم في الدنيا والآخرة.

لكن آفاته كثيرة، فهو مضر لبعض الناس لعقبى الآخرة، فلذلك ذمّه من ذمّه ومدح ضده، وورد في الشرع مدح الخمول^(١)، وذمّ العلوّ في الأرض^(٢).

وكان ﷺ قد رُزِقَ من الحِشمة والمكانة في القلوب والعظمة قبل النبوة عند الجاهلية وبعدها، وهم يكذبونه ويؤذون أصحابه، ويقصدون أذاه في نفسه خفية، حتى إذا واجههم أعظموا أمره وقضوا حاجته، وأخباره في ذلك معروفة سيأتي بعضها.

وقد كان يَبْهْتُ وَيَفْرَقُ لرؤيته من لم يره، كما روي عن قيلة أنها لما رآته أُرْعِدَتْ من الفرق فقال: «يا مسكينة عليك السكينة»^(٣). وفي حديث

(١) كحديث سعد بن أبي وقاص عنه ﷺ، قال: «إن الله يحب العبد التقي الغني الخفي». رواه أحمد ١/١٦٨، ومسلم في أوائل الزهد ١٨/١٠٠، وله سبب يراجع في مسلم. وكحديث أنس عنه ﷺ: «كم من أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره». . . . رواه الترمذي في المناقب ٣٦١٤ بسند حسن، وهو صحيح لغيره لشواهد له، منها عن أبي بكر عنه ﷺ: «رب أشعث مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبره». رواه مسلم في باب جهنم ١٧/١٨٧. ومنها حديث عقبة: «أملك عليك لسانك وليسعك بيتك وإياك على خطيئتك». رواه الترمذي في الزهد ٢٢٢٦، وأحمد ٤/١٥٨، ٢٥٩، وسنده صحيح عند أحمد في طريق.

(٢) ففي حديث كعب بن مالك مرفوعاً: ما ذئبان جائعان أرسلتا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف. رواه أحمد ٣/٤٦٠، والترمذي في الزهد ٢١٩٤، والدارمي ٢٧٣٣، وابن حبان ٣٤٧٢ وغيرهم، وحب الشرف والحرص على المال كلاهما من حب العلو في الأرض.

(٣) رواه البخاري في الأدب المفرد ١١٧٨، وأبو داود في الأدب ٤٨٤٧، والترمذي في الشمائل رقم ١١٩ وسنده حسن: ورواه الطبراني مطولاً، وفيه قوله: «يا مسكينة. . .» إلخ، وقال فيه نور الدين في المجمع ٦/١٢، رجاله ثقات.

أبي مسعود: أن رجلاً قام بين يديه فأرعد، فقال له: «هون عليك، فإني لست بملك...» الحديث^(١).

فأما عظيم قدره بالنبوة وشريف منزلته بالرسالة، وإنافة رتبته بالاصطفاء والكرامة في الدنيا؛ فأمر هو مَبْلَغُ النَّهْيَةِ، ثم هو في الآخرة سيّد ولد آدم. وعلى معنى هذا الفصل نظمنا هذا القسم بأسره.

وأما الضرب الثالث، فهو: ما تختلف الحالات في التمدح به والتفاخر بسببه والتفضيل لأجله، ككثرة المال، فصاحبه على الجملة معظم عند العامة لاعتقادها توصله به إلى حاجاته وتمكّن أغراضه بسببه، وإلا فليس فضيلة في نفسه، فمتى كان المال بهذه الصورة وصاحبه منفقاً له في مهماته ومهمات من اعتراه وأمله، وتصريفه في مواضعه مشترياً به المعالي والثناء الحسن والمنزلة من القلوب؛ كان فضيلة في صاحبه عند أهل الدنيا. وإذا صرفه في وجوه البر وأنفقه في سبل الخير وقصد بذلك الله والدار الآخرة؛ كان فضيلة عند الكل بكل حال. ومتى كان صاحبه ممسكاً له غير موجهه وجوهه، حريصاً على جمعه؛ عاد كثرته كالعدم، وكان منقصة في صاحبه، ولم يقف به على جدد السلامة، بل أوقعه في هوة رذيلة البخل ومدمة الندالة.

فإذا التمدح بالمال وفضيلته عند مفضله ليست لنفسه، وإنما هو للتوصل به إلى غيره، وتصريفه في متصرفاته. فجامعه إذا لم يضعه مواضعه، ولا وجهه وجوهه؛ غير مليء بالحقيقة، ولا غنى بالمعنى، ولا ممتدح عند

(١) رواه الحاكم في المغازي من المستدرک ٤٧/٣، ٤٨ ومن طريقه البيهقي في الدلائل ٦٩/٥، وصححه الحاكم على شرط الشيخين ووافقه الذهبي، ثم رواه البيهقي مرسلًا وقال: هو المحفوظ، وله شاهد عن جرير بن عبد الله رواه الحاكم في التفسير ٤٦٦/٢، وصححه على شرطهما ووافقه الذهبي، وفيه. كالذي قبله: «هون عليك فإنما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد».

أحد من العقلاء، بل هو فقير أبداً، غير واصل إلى غرض من أغراضه، إذ ما بيده من المال الموصل لها لم يسلط عليه، فأشبهه خازن مال غيره ولا مال له، فكأنه ليس في يده منه شيء. والمنفق مليء غنى بتحصيله فوائد المال، وإن لم يبق في يده من المال شيء.

فانظر سيرة نبينا ﷺ وخلقه في المال؛ تجده: قد أُوتِيَ خزائن الأرض ومفاتيح البلاد، وأحلت له الغنائم ولم تحلّ لنبيّ قبله، وفتح عليه في حياته ﷺ بلاد الحجاز واليمن وجميع جزيرة العرب وما داني ذلك من الشام والعراق، وجلبت إليه من أخماسها وجزيتها وصدقاتها ما لا يُجبي للملوك إلا بعضه، وهادته جماعة من ملوك الأقاليم؛ فما استأثر بشيء منه، ولا أمسك منه درهماً، بل صرفه مصارفه، وأغنى به غيره، وقوى به المسلمين، وقال: «مَا يَسْرُنِي أَنَّ لِي أَحَدًا ذَهَبًا يَبِيْتُ عِنْدِي مِنْهُ دِينَارٌ إِلَّا دِينَارٌ أُرْصِدُهُ لِدِينٍ»^(١). ومات ودرعه مرهونة في نفقة عياله^(٢).

واقصر من نفقته وملبسه ومسكنه ما تدعو ضرورته إليه، وزهد فيما سواه، فكان يلبس ما وجد، فيلبس في الغالب الشملة والكساء، الخشن

(١) رواه البخاري في الاستئذان ٣٠١/١٣، وفي الرقاق ٤١/١٤ وفي مواضع، ومسلم في الزكاة ٧٤/٧، باب تغليظ عقوبة من لا يؤدي الزكاة، وكذا أحمد ١٤٩/٥، ١٦٠ من حديث أبي ذر رضي الله تعالى عنه، وفي الباب أحاديث.

(٢) رواه أحمد والترمذي في البيوع ١٠٩٦، والدارمي ٣٥٨٥، وابن ماجه ٢٤٣٩، والبيهقي ٣٦/٦ عن ابن عباس، وسنده عندهم صحيح على شرطهما، وفي رواية: مرهونة بعشرين صاعاً من طعام أخذه لأهله. ونحوه عن أنس، رواه البخاري ٢٠٦/٥، ٦٥/٦، ٦٦، والترمذي ١٠٩٧، والنسائي ٢٥٤/٧، وابن ماجه ٣٧ وغيرهم وفيه: ولقد رهن له درع مع يهودي بعشرين صاعاً... إلخ. وهو عند البخاري أيضاً في البيوع ٣٠٦/٥ وفي الرهن ٦٧/٤ عن عائشة رضي الله تعالى عنها وعن أسماء بنت يزيد عند ابن ماجه ٢٤٣٨ بسند حسن.

والبرد الغليظ، ويقسم على من حضره أقبية الديباج المخوصة بالذهب، ويرفع لمن لم يحضر... (١) إذ المباهاة في الملابس والتزين بها ليست من خصال الشرف والجلالة وهي من سمات النساء. والمحمود: منها نقاوة الثوب والتوسط في جنسه، وكونه لبس مثله غير مسقط لمروءة جنسه مما لا يؤدي إلى الشهرة في الطرفين. وقد ذمّ الشرع ذلك (٢).

(١) الأمر كما قال رحمه الله تعالى، ففي صحيح البخاري عن سهل بن سعد: أنه لبس شملة أهدتها إليه امرأة، ٣٩٠/١٢ من كتاب اللباس. وعن عائشة أنها أخرجت كساءً وإزارًا غليظًا وقالت: قبض رسول الله ﷺ في هذين. رواه البخاري ٣٩٢/١٣، ومسلم ٥٦/١٤، ٥٧ في اللباس، وعن عائشة قالت: خرج ذات غداة وعليه مرط مرجل من شعر أسود. رواه مسلم ٥٧/١٤، والترمذي وغيرهما. وعن أنس كنت أمشي مع رسول الله ﷺ وعليه برد نجراني غليظ الحاشية... الحديث رواه البخاري ٣٩٠/١٢. وعن المسور بن مخرمة في قسمته الأقبية... إلخ. رواه البخاري في اللباس ٣٨٣/١٢، ومسلم في الزكاة ١٤٧/٧.

وانظر حديث أسماء في الجبة الطيالية المكفوفة بالديباج عند مسلم ٤٢/١٤، وحديث المغيرة في جبة من صوف عند البخاري ٣٨٣/١٢، وحديث عائشة في الخميصة التي ألتهته عن صلواته في البخاري ٣٩٢/١٢، وحديث جابر في قصة فيبيصة ﷺ الذي كفن به ابن أبي المنافق عند البخاري ومسلم، وحديث علي في ردائه عند البخاري ٣٧٩/١٢، وحديث أنس في البرود اليمينية عند الشيخين.

وانظر مسند أحمد ٢٢٧/٢، ٢٢٨، ٤/١٦٣، ٦/١٣٢، ١٤٤، ٢١٩، وأبا داود ٤٠٦٠، والترمذي في اللباس، والنسائي في الزينة، والترمذي أيضًا في الأدب إلى غير ذلك مما توجد فيها الملابس النبوية. وانظر: شمائل الترمذي أيضًا، فكان ﷺ لا يتقيد بلباس خاص، بل يلبس ما وجد ويسر له من غير تكلف...

(٢) فقد أخرجه أحمد ٩٢/٢، ١٣٩، وأبو داود ٤٠٢٩، وابن ماجه ٣٦٠٧، ٣٦٠٦، عن ابن عمر عنه ﷺ: «من لبس ثوب شهرة ألبسه الله يوم القيامة ثوب مذلة ثم ألهب فيه نارًا». وسنده حسن، وله شاهد عن أبي ذر. رواه ابن ماجه ٣٦٠٨، وحسنه البوصيري في الزوائد. ولباس الشهرة قد يكون لنفاسته، أو خسته، فكلاهما مذموم شرعًا.

وغاية الفخر فيه في العادة عند الناس إنما يعود إلى الفخر بكثرة الموجود ووفور الحال . وكذلك التباهي بجودة المسكن وسعة المنزل وتكثير آلاته وخدمه ومركوباته . ومن ملك الأرض وجُبيَ إليه ما فيها وترك ذلك زهدًا وتنزُّهاً فهو حائز لفضيلته المالية ومالك للفخر بهذه الخصلة إن كانت فاضلة، زائدٌ عليها في الفخر، ومُعْرِقٌ في المدح بإضرابه عنها وزهده في فانيها وبذلها في مظانها.

الأخلاق الحميدة والآداب الشريفة المكتسبة

وأما الخصال المكتسبة من الأخلاق الحميدة، والآداب الشريفة التي اتفق جميع العقلاء على تفضيل صاحبها، وتعظيم المتصف بالخلق الواحد منها، فضلاً عما فوقه، وأثنى الشرع على جميعها، وأمر بها، ووعد السعادة الدائمة للمتخلق بها، ووصف بعضها بأنه من أجزاء النبوة، وهي المسماة بحسن الخُلُق، وهو الاعتدال في قوى النفس وأوصافها، والتوسط فيها، دون الميل إلى منحرف أطرافها. فجميعها كانت خلق نبينا ﷺ على الانتهاء في كمالها والاعتدال إلى غايتها، حتى أثنى الله تعالى عليه بذلك، فقال تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤ ﴾ [القلم: ٤]، قالت عائشة رضي الله تعالى عنها: كان خلقه القرآن^(١)، يرضى برضاه ويسخط بسخطه. وقال ﷺ: «بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»^(٢). قال أنس رضي الله تعالى عنه:

(١) رواه أحمد ٩١/٦، ١٦٣، ومسلم في صلاة الليل ٢٥/٦، ٢٦ عن سعد بن هشام أنه سأل عائشة عن خُلُقِ رسول الله ﷺ فقالت: أما تقرأ القرآن؟ قال: بلى، قالت: كأن خلقه القرآن. ومعناه: أنه كان متخلقاً بأخلاق القرآن؛ فكل خلق كريم دعا إليه القرآن أو رغب فيه أو مدحه كان متحلياً ومتصفاً به، وكل خلق دنيء سافل نهى عنه القرآن أو ذمه؛ كان منزهاً عنه بعيداً عن الاتصاف به.

(٢) رواه أحمد ٣٩٨/٢، ٣٨١، والبخاري في الأدب المفرد ٢٧٣، وابن سعد ١٩٢/١، والحاكم ٦١٣/٢، وصححه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وقال =

كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خُلُقًا^(١). وكان فيما ذكره المحققون مجبولاً عليها في أصل خلقته وأول فطرته، لم تحصل له باكتساب ولا رياضة إلاً بحول إلهي، وخصوصية ربانية.

وهكذا سائر الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، ومن طالع سيرهم منذ صباهم إلى مبعثهم حقق ذلك، كما عرف من حال عيسى وموسى ويحيى وسليمان وغيرهم عليهم السلام. بل غرزت فيهم هذه الأخلاق في الجبل، وأودعوا العلم والحكمة في الفطرة. قال الله تعالى: ﴿وَأَتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ [مريم: ١٢]. قال المفسرون^(٢): أعطى الله يحيى العلم بكتاب الله تعالى في حال صباه. وقيل في قوله تعالى: ﴿مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ٣٩]، صدق يحيى بعيسى وهو ابن ثلاث سنين، فشهد له أنه كلمة الله وروحه، وقيل: صدقه وهو في بطن أمه، فكانت أم يحيى تقول لمريم: إني أجد ما في بطني يسجد لما في بطنك تحية له^(٣).

وقد نص الله على كلام عيسى في مهده فقال: ﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَنِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾ [مريم: ٣٠]، وقال تعالى: في داود وسليمان

-
- = ابن عبد البر: هو حديث صحيح، متصل من وجوه صحاح عن أبي هريرة. ومعنى الحديث: أنه ﷺ بعث إلى الناس ليكمل تخلقًا وتبليغًا ما بقي من الأخلاق الصالحة الكريمة التي لم يكن متصفاً بها أحد من الأنبياء أو غيرهم من العرب أو سائر الأجناس والأمم قبله ﷺ وشرف وعظم ومجد وكرم.
- (١) رواه مسلم في الفضائل ٧١/١٥، ورواه البخاري في الأدب والوصايا والديات، وأبو داود في الأدب ٤٧٧٤ مطولاً، وأوله: خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين... وفيه: وكان من أحسن الناس خلقًا. وقد تقدم تخريجه بطوله.
- (٢) لم يذكر ابن جرير ٥٥/١٦ غيره، وتبعه المفسرون على ذلك.
- (٣) هذا أيضاً متفق عليه بين المفسرين وقالوا: هو أول من صدق بعيسى. وقد أورد ابن جرير وابن كثير وغيرهما ما ذكره المؤلف هنا غير قوله: وهو ابن ثلاث سنين.

﴿ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾ [الأنبياء: ٧٩]. وقصة المرأتين والصبي وحكم داود وسليمان معروفة جاءت في الصحيح^(١). وقال المفسرون في قوله تعالى: ﴿ ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ ﴾ [الأنبياء: ٥١]، أي هديناه صغيرًا. قاله مجاهد وغيره^(٢)، وقيل: أوحى الله تعالى إلى يوسف وهو صبي عندما هم إخوته بإلقائه في الجب، يقول الله تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنْتَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا... ﴾ الآية^(٣) [يوسف: ١٥]، إلى غير ذلك مما ذكر من أخبارهم عليهم السلام.

وقال ﷺ: «لم أهم بشيء مما كانت الجاهلية تفعله إلاّ مرتين فعصمني الله منهما ثم لم أعد»^(٤).

وهكذا ثم يتمكن الأمر لهم وتترادف نفحات الله تعالى عليهم، وتشرق أنوار المعارف في قلوبهم حتى يصلوا إلى الغاية ويبلغوا باصطفاء الله تعالى لهم بالنبوة في تحصيل هذه الخصال الشريفة النهاية دون ممارسة ولا رياضة.

(١) روى قصة ذلك أحمد ٣٤٠/٤، والبخاري في الأنبياء ٧/٢٧٥، وفي الفرائض ٥٨/١٥، ومسلم ١٨/١٢ في الأفضية، وغيرهم. وانظر بسطها ومعناها وفوائدها في: كتابي الفوائد والعبر رقم ١٤.

(٢) نقله عنه ابن جرير ٣٦/١٦، وقال في معنى الآية: ووقفناه للحق وأنقذناه من بين قومه وأهل بيته من عبادة الأوثان كما فعلنا ذلك بمحمد ﷺ... الخ.

(٣) قال ابن جرير ١٦١/١٢: أوحى إلى يوسف وهو في الجب أن سينبئهم بما صنعوه وهم لا يشعرون بذلك الوحي وذكر معنى ذلك ابن كثير وغيره.

(٤) رواه ابن إسحاق في السيرة، والبخاري، والبيهقي في الدلائل ٣٤/٢، ٣٥ بسند حسن، وابن إسحاق صرح بالتحديث وأورده الهيثمي برواية البزار وقال ٢٢٦/٨: رجاله ثقات، وقال الحافظ: إسناده حسن، وصححه السيوطي في مناهل الصفا. وانظر لفظه مطولاً في: تهذيب الخصائص رقم ٦٣.

قال الله تعالى : ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ ءَأَنبَتَهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۗ ﴾^(١) [القصص :

١٤] ، وقد نجد غيرهم يطبع على بعض هذه الأخلاق دون جميعها، ويولد عليها، فيسهل عليه اكتساب تمامها عناية من الله تعالى كما نشاهد من خلقة بعض الصبيان على حسن السمات أو الشهامة أو صدق اللسان أو السماحة، وكما نجد بعضهم على ضدها فبالاكتساب يكمل ناقصها، وبالرياضة والمجاهدة يستجلب معدومها ويعتدل منحرفها، وباختلاف هذين الحالين يتفاوت الناس فيها، وكل ميسر لما خلق له. ولهذا قد اختلف السلف فيها: هل هذا الخلق جبلة أو مكتسبة . .

وحكى الطبري عن بعض السلف: أن الخلق الحسن جبلة وغريزة في العبد، وحكاه عن عبد الله بن مسعود والحسن، وبه قال هو. والصحيح ما أصلناه.

وهذه الأخلاق المحمودة والخصال الجميلة الشريفة كثيرة، ولكننا نذكر أصولها، ونشير إلى جميعها، ونحقق وصفه ﷺ بها إن شاء الله تعالى.

فصل ١١

العقل أصل فروع الأخلاق الكريمة

أما أصل فروع هذه الأخلاق وعنصر ينابيعها: فالعقل، الذي منه ينبعث العلم والمعرفة، ويتفرع من هذا ثقبوب الرأي، وجودة الفطنة، والإصابة، وصدق الظن، والنظر للعواقب، ومصالح النفس، ومجاهدة

(١) هذه الآية جاءت في كليم الله عليه السلام، وجاء مثلها في سيدنا يوسف، وليس فيها: ﴿ وَاسْتَوَىٰ ﴾. فجرت سنة الله تعالى في أنبيائه أنه تعالى يؤتيهم العلم والنبوة والحكمة عندما يبلغون سن الكمال والاستواء، وهي الأربعون سنة أو ما يقاربها، وهكذا يفعل بالمحسنين من أتباعهم، جعلنا الله تعالى منهم.

الشهوة، وحسن السياسة والتدبير، واقتناء الفضائل، وتجنب الرذائل.

وقد أشرنا إلى مكانه منه ﷺ، وبلوغه منه ومن العلم الغاية القصوى التي لم يبلغها بشر سواه، وإن جلاله محله من ذلك ومما تفرع منه متحققة عند من تتبع مجاري أحواله واطراد سيره، وطالع جوامع كلامه، وحسن شمائله، وبدائع سيره، وحكم حديثه، وعلمه بما في التوراة والإنجيل والكتب المنزلة، وحكم الحكماء وسير الأمم الخالية وأيامها، وضرب الأمثال، وسياسة الأنام، وتقرير الشرائع، وتأصيل الأداب النفيسة، والشيم الحميدة، إلى فنون العلوم التي اتخذ أهلها كلامه ﷺ فيها قدوة، وإشاراته حجة، كتعبير الرؤيا والطب والحساب والفرائض والنسب، وغير ذلك مما سنبينه في معجزاته إن شاء الله تعالى دون تعليم ولا مدارس ولا مطالعة كتب من تقدم، ولا الجلوس إلى علمائهم، بل نبي أمي لم يعرف بشيء من ذلك حتى شرح الله صدره، وأبان أمره وعلمه وأقرأه، يعلم ذلك بالمطالعة عن حاله ضرورة وبالبرهان القاطع على نبوته نظرًا، فلا نطول بسرد الأفاصيل وآحاد القضايا؛ إذ مجموعها ما لا يأخذه حصر ولا يحيط به حفظ جامع، وبحسب عقله كانت معارفه ﷺ إلى سائر ما علمه الله تعالى وأطلع عليه من علم ما يكون وما كان، وعجائب قدرته وعظيم ملكوته، قال الله تعالى: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ (١) [النساء: ١١٣].

حارت العقول في تقدير فضله عليه وخرست الألسن دون وصف يحيط بذلك أو ينتهي إليه.

(١) أي: أنزل عليك القرآن والسنة، وعلمك من الشرائع والأمور الغيبية ما لم تكن تعلمه، وكان فضله عظيمًا عليك بالنبوة والوحي، وسائر النعم الجسيمة التي لم يؤتها غيرك.

حلمه ﷺ وعفوه مع المقدرة

وأما الحلم والاحتمال والعتفو مع المقدرة، والصبر على ما يكره، وبين هذه الألقاب فرق، فإن الحلم حالة تقرر وثبات عند الأسباب المحركات، والاحتمال حبس النفس عند الآلام والمؤذيات، ومثلها الصبر ومعانيها متقاربة، وأما العفو فهو ترك المؤاخذة.

وهذا كله مما أدب الله تعالى به نبيه ﷺ فقال تعالى: ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ [الأعراف: ١٩٩].

روي أن النبي ﷺ لما نزلت عليه هذه الآية سأل جبريل عليه السلام عن تأويلها فقال له: حتى أسأل العالم. ثم ذهب، فأتاه فقال يا محمد: إن الله يأمرك أن تصل من قطعك، وتعطي من حرمك، وتعفو عمن ظلمك^(١).

وقال تعالى: ﴿ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ ﴾ [لقمان: ١٦].

وقال تعالى: ﴿ فَأَصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ ﴾ [الأحقاف: ٣٤].

وقال: ﴿ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا ﴾ [النور: ٢٢].

وتال: ﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنَ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾^(٢) [الشورى: ٤٠].

(١) الحديث رواه ابن جرير ١٥٥/٩ من طرق مرسلًا ووصله ابن أبي حاتم عن جابر، قال ابن كثير: وله شواهد، وما ذكر هو أحد التفاسير للآية.

وقال ابن جرير: والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله أمر نبيه ﷺ أن يأمر الناس بالعرف وهو المعروف في كلام العرب قال: فمن المعروف: صلة رحم من قطع، وإعطاء من حرم، والعفو عمن ظلم، وكل ما أمر الله به من الأعمال أو ندب إليه فهو من العرف.

(٢) أولوا العزم، هم: أصحاب القوة والثبات والحزم والجد في الدنيا، وهم خمسة، ساداتنا: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ونبينا صلوات الله وسلامه عليهم. وقوله: ﴿ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنَ عَزْمِ... ﴾ إلخ، أي: الأمور المأمور بها والمعزوم عليها. =

ولا خفاء بما يؤثر من حلمه واحتماله، وأن كل حلیم قد عرفت منه زلة، وحفظت عنه هفوة، وهو ﷺ لا يزيد مع كثرة الأذى إلا صبراً وعلى إسراف الجاهل إلا حلمًا.

ثم أسند من طريق الترمذي فمالك عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: ما خَيْرَ رسول الله ﷺ في أمرين قط إلا اختار أيسرهما، ما لم يكن إثماً، فإن كان اثماً كان أبعد الناس منه. وما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه، إلا أن تنتهك حرمة الله تعالى فينتقم الله بها^(١).

وروي أن النبي ﷺ لما كسرت رباعيته وشج وجهه يوم أحد شق ذلك على أصحابه شقاً شديداً، وقالوا: لو دعوت عليهم فقال: «إني لم أبعث لعاناً ولكني بعثت داعياً ورحمة، اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون»^(٢).

= وفي هذه الآيات الكريمات الندب إلى الأخذ بالأفضل والأكمل من الأخلاق، كالتبصر والصفح والعتو عن المسيئين والجاهلين والحلم وعدم مقابلة السيئة بمثلها.

(١) الترمذي في الشمائل رقم ٣٠٠ أسنده من طريقه. ورواه أحمد ٣٢/٦ مطولاً، وفي مواضع، والبخاري في المناقب ٣٨٥/٧، ٣٨٦، وفي الأدب وفي الحدود، ومسلم في الفضائل ٨٤/١٥، وأبو داود في الأدب ٤٧٨٥، وقوله: تنتهك، أي: تؤتى منتهكة حرمتها.

(٢) وهو مركب عنده من عدة أحاديث وكلها صحيحة:
الأول: كسر رباعيته وشج وجهه... إلخ. رواه مسلم في غزوة أحد من كتاب السير ١٤٩/١، عن أنس: أنه ﷺ كسرت رباعيته يوم أحد وشج في رأسه، فجعل يسלט الدم عنه ويقول: «كيف يفلح قوم شجوا نبيهم وكسروا رباعيته، وهو يدعوهم إلى الله». فأنزل الله عز وجل: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ...﴾ إلخ. وفي معناه حديث أبي هريرة عنده أيضاً ١٥٠/١٢، وفيه: «اشتد غضب الله على رجل يقتله رسول الله في سبيل الله».

الحديث الثاني: «اللهم اهد قومي...» إلخ، جاء عن ابن مسعود رضي الله عنه =

قال أبو الفضل رحمه الله تعالى: انظر ما في هذا القول من جماع الفضل ودرجات الإحسان وحسن الخلق وكرم النفس وغاية الصبر والحلم، إذ لم يقتصر ﷺ على السكوت عنهم حتى عفا عنهم، ثم أشفق عليهم ورحمهم ودعا وشفع لهم فقال: «اغفر» أو «اهد»، ثم أظهر سبب الشفقة والرحمة بقوله لقومي، ثم اعتذر عنهم بجهلهم فقال: «فإنهم لا يعلمون».

ولما قال له الرجل: اعدل فإن هذه قسمة ما أريد بها وجه الله؛ لم يزد في جوابه أن بيّن له ما جهله ووعظ نفسه وذكرها بها بما قال له: «ويحك! فمن يعدل إن لم أعدل، خِبْتُ وخَسِرْتُ إن لم أعدل»^(١).

قال: كأنني أنظر رسول الله ﷺ يحكي نبياً من الأنبياء ضربه قومه وهو يسبح الدم عن وجهه ويقول: «اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون». رواه أحمد ١/٤٤١، ٣٨٠، ٤٢٧، والبخاري في الأنبياء ٧/٣٣٠، ومسلم في السير ١٢/١٠٠، ١٥٠، وفي صحيح ابن حبان ٩٧٢ بالموارد، وشعب الإيمان ٨/١٤٤، والدلائل ٣/٢١٥ للبيهقي عن سهل بن سعد نحوه، قال النور في المجمع ٦/١١٧: ورجاله رجال الصحيح.

الحديث الثالث: «إني لم أبعث لعائناً... إلخ». رواه مسلم في الأدب ١٦/١٥٠ وتقدم تحت رقم ٤٦ في التتمة. أما ما ذكره المؤلف بطوله فذكره البيهقي في الشعب رقم ١٤٤٧.

(١) رواه أحمد ٣/٥٦، ٥٧، والبخاري في علامات النبوة ٧/٤٣٠، وفي الأنبياء ٧/١٨٧، وفي المغازي ٩/١٣٠، ١٣١، وفي المرتدين ١٥/٣٢٠، ٣٢٤، ومسلم في الزكاة ٧/١٦١، ١٦٢، ١٦٧، وأبو داود ٤٧٦٣ وغيرهم من حديث أبي سعيد الخدري. وانظر ألفاظ الحديث وبعض طرقه في فضائل الصحابة لكاتبه.

والرجل الذي قال له: اعدل.. إلخ، هو ذو الخويصرة المنافق الخارجي حرقوص التميمي، وكان من الخوارج الذين قاموا ضد الإمام علي عليه السلام، وقتل يوم النهروان.

ولما تصدى له غورث به الحارث ليفتك به ورسول الله ﷺ منتبذ تحت شجرة وحده قائلاً والناس قائلون في غزاة، فلم يتبته رسول الله ﷺ إلا وهو قائم والسيف صلتا في يده فقال: من يمنعك مني؟ فقال: «الله»، فسقط السيف من يده، فأخذه النبي ﷺ وقال: «من يمنعك مني؟» قال: كن خير آخذ. فتركه وعفا عنه، فجاء إلى قومه فقال: جئكم من عند خير الناس^(١).

ومن عظيم خبره في العفو عفوهُ عن اليهودية التي سمّته في الشاة بعد اعترافها على الصحيح من الرواية^(٢).

وأنه لم يؤاخذ لبيد بن الأعصم إذ سحره^(٣)، وقد أعلم به، وأوحي

(١) وهو بطوله وبهذا السياق عند أحمد ٣/٣٦٥، ٣٩٠، والحاكم ٣/٢٩، وابن إسحاق وابن هشام وغيرهم، وسنده صحيح، وهو عند أحمد ٣/٣١١، ٣٦٤، والبخاري في الجهاد وفي غزوة ذات الرقاع ٨/٤٣٠، ومسلم في الصلاة، وفي الفضائل ١٥/٤٤، ٤٥ وغيرهم، من حديث جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما قال: غزونا مع رسول الله ﷺ غزوة قبل نجد، فلما قفل رسول الله ﷺ أدركته القائلة يوماً بوادٍ كثير العضاة فنزل رسول الله ﷺ وتفرق الناس في العضاة يتظللون بالشجر ونزل رسول الله ﷺ تحت سمرة فعلق بها سيفه فنام نومة فإذا رسول الله ﷺ يدعوننا فجئناه، فإذا عنده أعرابي جالس. فقال: «إن هذا اخترط سيفي وأنا نائم فاستيقظت وهو في يده صلتاً فقال لي: من يمنعك مني؟ فقلت: الله، فشام السيف وجلس». ثم لم يعاقبه.

وقوله: صلتاً، أي: مسلولاً. وقوله: فشام، أي: جعله في غمده.

(٢) رواه البخاري في الهبة ٦/١٥٩ وغيرها، ومسلم في الطب والمرض ١٤/١٧٨ من حديث أنس وفيه: فجيء بها فقيل: ألا نقتلها؟ قال: لا، وانظر ما يأتي برقم ٥٣٠، والحديث وارد عن أبي هريرة مطولاً رواه أحمد ٢/٤٥١، والبخاري في الجزية، وفي المغازي ٩/٣٧، ٣٨، وفي الطب وفي الهبة، والدارمي في المقدمة وغيرهم، وعن ابن عباس وجابر وغيرهما.

(٣) حديث سحره ﷺ رواه أحمد ٦/٥٧، ٦٣، ٩٦، والبخاري في بدء الخلق =

إليه بشرح أمره، ولا عتبُ عليه فضلاً عن معاقبته .

وكذلك لم يؤخذ عبد الله بن أبي وأشباهه^(١) من المنافقين بعظيم ما نقل عنهم في جهته قولاً وفعلاً، بل قال لمن أشار بقتل بعضهم: «لا، لئلا يتحدث أن محمداً يقتل أصحابه»^(٢).

= ١٤٥/٧، وفي الطب وفي الأدب وفي الدعوات، ومسلم في الطب ١٧٤/١٤، ١٧٨ وغيرهم، من حديث عائشة رضي الله تعالى عنها، ورواه أحمد ٣٦٧/٤ وغيره بسند حسن عن زيد بن أرقم رضي الله تعالى عنه، وفيه: فقام رسول الله ﷺ كأنما نشط من عقال فما ذكر ذلك اليهودي ولا رأى في وجهه قط حتى مات. وانظر ألفاظ الحديث في المصادر السابق.

وقد طعن في أحاديث الباب بعض العقلانيين؛ بحجة أن ذلك ينافي عصمة النبي ﷺ، وقد أجيب عن هذه الشبهة، بما لا يتسع لإيراد ذلك في هذا المقام. (١) جاء في التفسير من صحيح البخاري ٢٩٨/٩، ٣٠٠، وفي السير من صحيح مسلم ١٥٧/١٢، ١٥٨، ١٥٩ من حديث أسامة بن زيد رضي الله تعالى عنهما أن النبي ﷺ ركب حماراً... حتى مر بمجلس فيه أخلاط من المسلمين والمشركين عبدة الأوثان واليهود فيهم عبد الله بن أبي، فلما غشيت المجلس عجاجة الدابة خمر عبد الله بن أبي أنفه بردائه، ثم قال: لا تغبروا علينا. فدعاهم النبي ﷺ إلى الله... فقال ابن أبي: فلا تؤذنا في مجالسنا... ثم ركب النبي ﷺ حتى دخل على سعد بن عبادة فقال: «أي سعد... إلخ، تسمع إلى ما قال أبو حباب يريد عبد الله بن أبي قال: كذا وكذا. قال: اعف عنه يا رسول الله واصفح... قال: فعفا عنه... ورواه أيضاً من حديث أنس بسياق آخر وفيه قول ابن أبي: إليك عني فوالله لقد آذاني نتن حمارك... وجاء أيضاً عن زيد بن أرقم في قول عبد الله بن أبي لا تنفقوا على من عند رسول الله... إلخ، ونزول الآية في ذلك وعفوه عنه أيضاً، رواه البخاري في تفسير سورة المنافقين ٢٦٩/١٠، ٢٧٠، ٢٧١، ٢٧٢، وفي الباب أحاديث.

(٢) جاء ذلك في حديث جابر بن عبد الله بسبب قوله ابن أبي: لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل. فبلغ ذلك النبي ﷺ فقام عمر فقال: يا رسول الله =

وعن أنس رضي الله تعالى عنه قال: كنت مع النبي ﷺ وعليه برد غليظ الحاشية فجبذه أعرابي بردائه جبذة شديدة حتى أثرت حاشية البرد في صفحة عاتقه، ثم قال: يا محمد مر لي من مال الله الذي عندك... ثم أمر له بعتاء... يعني ولم يعاقبه بل ضحك، عليه السلام^(١).

وقالت عائشة رضي الله تعالى عنها: ما رأيت رسول الله ﷺ منتصرًا من مظلمة ظلمها قط، ما لم تكن حرمة من محارم الله، وما ضرب بيده شيئًا قط إلا أن يجاهد في سبيل الله، وما ضرب خادمًا ولا امرأة^(٢).

وجيء إليه برجل فقيل: هذا أراد أن يقتلك. فقال له النبي ﷺ: لَنْ تُرَاعَ وَلَوْ أُرِدْتَ ذَلِكَ لَمْ تُسَلِّطْ عَلَيَّ^(٣).

= دعني أضرب عنق هذا المنافق. فقال النبي ﷺ: «دعه لا يتحدث الناس إن محمدًا يقتل أصحابه».

رواه البخاري في تفسير المنافقين ١٠/٢٧٤، ٢٧٧، ومسلم في البر والصلة ١٦/١٣٧، ١٣٨ وغيرهما مطولاً.

(١) رواه البخاري في اللباس ١٢/٣٩٠، وفي الأدب ومسلم في الزكاة في إعطاء المؤلفلة قلوبهم ٧/١٤٦، وأبو داود في الأدب والنسائي في القسامة.

وفيه: يا محمد مر لي من مال الله الذي عندك. فالتفت إليه النبي ﷺ ثم ضحك ثم أمر له بعتاء. وليس فيه: فإنك لا تحمل لي من مالك ولا من مال أهلك... إلخ.

(٢) رواه مسلم بنحوه ١٥/٨٤، وأحمد ٦/٣٢، وروى بعضه أبو داود ٤٧٨٦،

والترمذي في الشمائل ١٩٩ وهو معنى حديثنا السابق ص ١١٧ هامش رقم (١).

(٣) رواه أحمد ٣/٤٧١ بسند صحيح، وأورده النور في المجمع ٨/٢٢٧ برواية أحمد

والطبراني، وقال: رجاله رجال الصحيح غير أبي إسرائيل الجشمي وهو ثقة. وفيه: «لم ترع، لم ترع» مكرراً وبحرف لم، ومعناه: لا تفزع لمكروه ولا تخف، وهذا نهاية ما يكون من الحلم والعفو والصفح... فهل لنا أن نأتسي به في هذا الخلق العظيم.

وجاءه زيد بن سعة قبل إسلامه يتقاضاه ديناً عليه فجبذ ثوبه عن منكبه وأخذ بمجامع ثيابه وأغلظ له ثم قال: إنكم يا بني عبد المطلب مطلٌّ. فانتهره عمر وشدد له في القول، والنبي ﷺ يتبسم، فقال رسول الله ﷺ: «أنا وهو كنا إلى غير هذا منك أحوج يا عمر تأمرني بحسن القضاء وتأمره بحسن التقاضي»، ثم قال: «لقد بقي من أجله ثلاث». وأمر عمر أن يقضيه ماله ويزيده عشرين صاعاً لما روعه، فكان سبب إسلامه وذلك أنه كان يقول: ما بقي من علامات النبوة شيء إلا وقد عرفتها في وجه محمد إلا اثنتين لم أخبرهما، يسبق حلمه جهله، ولا تزيد شدة الجهل إلا حِلماً. فاخبرته بهذا فوجدته كما وصف^(١).

والحديث عن حلمه ﷺ وصبره وعفوه عند المقدره أكثر من أن تأتي عليه، وحسبك ما ذكرناه مما في الصحيح والمصنفات الثابتة إلى ما بلغ متواتراً مبلغ اليقين من صبره على مقاساة قريش وأذى الجاهلية ومصابرة الشدائد الصعبة معهم^(٢) إلى أن أظهره الله عليهم وحكّمه فيهم وهم لا

(١) قصة هذا الحبر الجليل رواها ابن حبان ٢١٠٥ مع الموارد، والحاكم ٦٠٤/٣، ٦٠٥، وأبو نعيم في الدلائل ص ٩١، وصححه الحاكم ولم يوافق الذهبية وأورده النور ٢٣٩/٨، ٢٤٠ برواية الطبراني وقال: رجاله ثقات وهو من رواية عبد الله بن سلام. وزيد هذا كان من أحبار اليهود وعلمائهم، من الله عليه بالإسلام وأخلص لله ولرسوله ﷺ، وشهد معه المشاهد، وتوفي في غزوة تبوك رضي الله تعالى عنه، وسعة بضم السين وتفتح مع النون، ويقال بالياء.

(٢) وورد بذلك أحاديث كثيرة، نستحضر منها الآن: حديث ابن مسعود في وضع أشقاهم بين كتفيه ﷺ سلا جزور. ورواه البخاري في الصلاة، وفي الجزية، وفي المناقب وفي الجهاد. ومسلم في الجهاد ١٥١/١٢، ١٥٤، وكذا أحمد ٣١٧/١، ٣٩٣ وغيرهم.

وحديث عبد الله بن عمرو في وثوب كفار قريش عليه ﷺ فأحاطوا به... قال: فلقد رأيت رجلاً منهم أخذ بمجمع رداه... الحديث رواه البخاري في أوائل السيرة ١٦٨/٨، وفي التفسير ١٧٥/١٠، وأحمد ٢٠٤/٢، ٢١٨ وغيرهما بألفاظ. =

يشكون في استئصال شأفتهم وإبادة خضرائهم، فما زاد على أن عفا وصفح، وقال: «ما تقولون إني فاعل بكم؟» قالوا: خيراً، أخ كريم وابن أخ كريم، فقال: «أقول كما قال أخي يوسف: ﴿لَا تَثْرِبَ عَلَيْكُمْ﴾ [يوسف: ٩٢]. «اذهبوا فأنتم الطلقاء»^(١).

وقال أنس: هبط ثمانون رجلاً من التنعيم صلاة الصبح ليقتلوا رسول الله ﷺ فأخذوا، فأعتقهم رسول الله ﷺ، فأنزل الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾^(٢) [الفتح: ٣٤].

وقال لأبي سفيان – وقد سيق إليه بعد أن جلب إليه الأحزاب وقتل

وحدیث ابن عباس فی تعاقد الکفار عند الحجر . . لو أنهم رأوا النبي ﷺ لقاموا إليه قیام رجل واحد لا یفارقونه حتی یقتلوه . . إلخ . رواه أحمد ٣٠٣/١ ، ٣٦٨ من طریقین وكلاهما سنده صحیح فی أحادیث أخرى كثيرة .

(١) هو بهذا السياق ذكره ابن إسحاق مفصلاً كما في سيرة ابن هشام ٢/٢٧٤، ونقله عنه ابن كثير في السيرة ٣/٥٧٠، والقسطلاني في المواهب ٢/٣٢٨ مع شرحه للزرقاني، وعزاه العراقي في المغني إلى الوفا في فضائل المصطفى، لابن الجوزي، وضعفه، وأخرجه النسائي في التفسير من الكبرى ٦/٣٨٢، ٣٨٣ مطولاً، والبيهقي في السير من السنن الكبرى أيضاً ٩/١١٨، وفي الدلائل ٥/٥٨ من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه . . وفيه: ثم أتى الكعبة فأخذ بعضادتي الباب فقال: «ما تقولون وما تظنون؟» قالوا: نقول: ابن أخ وابن عم حليم رحيم، قال: وقالوا ذلك ثلاثاً، فقال رسول الله ﷺ: «أقول كما قال يوسف: ﴿لَا تَثْرِبَ عَلَيْكُمْ أَيُّومَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾» [يوسف: ٩٢]، قال: فخرجوا كأنما نُشِروا من القبور فدخلوا في الإسلام . وسنده صحيح .

(٢) رواه مسلم في السير ١٢/١٨٧، والترمذي في التفسير ٣٠٤٩، وأبو داود في الجهاد ٢٦٨٨، والنسائي في الكبرى ٦/٤٦٤، والبيهقي في السنن ٩/١١٩ من حديث أنس رضي الله تعالى عنه .

عمه وأصحابه ومثل بهم، فعفا عنه ولاطفه في القول: «ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أن لا إله إلا الله»، فقال: بأبي أنت وأمي ما أحلمك وأوصلك وأكرمك^(١). وكان ﷺ أبعد الناس غضبًا وأسرعهم رضى، ﷺ^(٢).

جوده وسخاؤه وكرمه ﷺ

وأما الجود والكرم والسخاء والسماحة، ومعانيها متقاربة، فكان ﷺ لا يوازي ويقاوم في هذه الأخلاق الكريمة ولا يباري ويعارض بهذا وصفه كل من عرفه ﷺ.

ثم أسند من طريق البخاري عن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما قال: ما سئل رسول الله ﷺ عن شيء فقال: لا. وعن أنس وسهل بن سعد مثله^(٣).

وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: كان النبي ﷺ أجود الناس بالخير وأجود ما كان في شهر رمضان، وكان إذا لقيه جبريل عليه السلام أجود بالخير من الريح المرسلة^(٤).

-
- (١) رواه البيهقي في الدلائل ٣٤/٥، وأورده الهيثمي في المجمع ١٦٧/٦ مطولاً برواية الطبراني وقال: رجاله رجال الصحيح.
- (٢) هذا معلوم من سيرته ضرورة.
- (٣) هو عند البخاري في الأدب ٦٥/١٣/١٣، باب حسن الخلق والسخاء، ومسلم ٧١/١٥، باب في سخائه، والدارمي رقم ٧١. أما حديث أنس فرواه مسلم وهو الآتي بعد حديث ابن عباس، أما حديث سهل فرواه الدارمي ٧٢ من طريق الطيالسي ٢٤٤١، ورواه أحمد ٣٣٣/٥، ٣٣٤، وهو عند الآخرين مطول في قصة البردة التي أعطاها للرجل الذي سأله إياها وهو محتاج إليها.
- (٤) رواه أحمد ٣٦٣/١، ٢٨٨، والبخاري في بدء الوحي ٣٤/١، ٣٥، وفي الأيمان =

وعن أنس رضي الله تعالى عنه أن رجلاً سأله فأعطاه غنماً بين جبلين فرجع إلى قومه وقال: أسلموا؛ فإن محمداً يعطي عطاء من لا يخشى فاقة^(١).

وأعطى غير واحد مائة من الإبل، وأعطى صفوان مائة، ثم مائة، ثم مائة^(٢).

وقد قال له ورقة بن نوفل: إنك تحمل الكل، وتكسب المعدوم^(٣).

= وفي الصيام وغير ذلك. وذكره في الأدب ٦٤/١٣ معلقاً، ومسلم في الفضائل ٦٨/١٥، ٦٩.

(١) رواه مسلم في الفضائل، باب في سخائه ٧٢/١٥.

وقوله: لا يخشى الفاقة، أي: لا يخاف الفقر؛ لغناه بربه عز وجل.

(٢) إعطاؤه صفوان مائة ثم مائة ثم مائة عند مسلم في الفضائل ٧٣/١٥ عن سعيد بن المسيب عنه.

وعن رافع بن خديج رضي الله تعالى عنه قال: أعطى رسول الله ﷺ أبا سفيان بن حرب وصفوان بن أمية وعيينة بن حصن والأقرع بن حابس، كل إنسان منهم مائة من الإبل، وأعطى عباس بن مرداس دون ذلك، فقال في ذلك أبياتاً فاتم له مائة. رواه مسلم في الزكاة ١٥٥/٧، ١٥٦. ونحوه عن ابن مسعود عنده أيضاً ٥٧/٧ بلفظ: لما كان يوم حنين آثر رسول الله ﷺ ناساً في القسمة فأعطى الأقرع بن حابس مائة من الإبل وأعطى عيينة مثل ذلك، وأعطى أناساً من أشرف العرب وآثرهم يومئذٍ بالقسمة... إلخ، ورواه البخاري في المغازي أيضاً ١١٦/٩، ١١٧.

وفي تصرفه ﷺ هذا سياسة منه لأولئك الرؤساء وأشراف العرب تأليفاً لهم وتحبيباً فيه وفي اعتناق دين الإسلام. وإذا دخل هؤلاء في الإسلام أتتسى بهم قبائلهم وقومهم كما حصل.

(٣) رواه البخاري في أول صحيحه في بدء الوحي ١/٢٠، ٣٢، وفي التفسير ٣٢٤/١٠، ٣٥١، ومسلم في الإيمان ٣/١٩٧، ٢٠٤، وكذا أحمد ٦/٢٣٢، =

وهذه كانت خلقه ﷺ قبل أن يبعث فكيف بعد ذلك .

ورد على هوازن سبائها، وكانت ستة آلاف^(١) يعني ما بين النساء، والأطفال .

وأعطى العباس من الذهب ما لم يطق حمله^(٢) .

وجاءه رجل فسأله فقال: «ما عندي شيء، ولكن ابتع عليّ فإذا جاءنا شيء قضينا» فقال له عمر: ما كلفك الله ما لا تقدر عليه، فكره النبي ﷺ ذلك . فقال رجل من الأنصار: يا رسول الله أنفق ولا تخش من ذي العرش إقلالاً . فتبسم رسول الله ﷺ وعرف البشر وجهه، وقال: «بهذا أمرت» . ذكره الترمذي^(٣) .

٢٣٣ وغيرهم، غير أن القول لخديجة رضي الله تعالى عنها وليس لورقة . وقولها: تحمل الكل: بفتح الكاف، هو: من لا يستقل بنفسه . والمعدوم هو الفقير . . ووصفته بتلك الصفات التي هي من مكارم الأخلاق واستدلت بذلك على أن الله عز وجل لم يكن ليخزيه فيسلط عليه الشيطان؛ لأن مثله في أخلاقه لا يكون إلا محفوظاً بعناية الله محفوظاً من تسلط الشيطان وتلاعبه به . فرض الله تعالى عن مولاتنا خديجة وجزاها عن نبيّنا وعنا أفضل الجزاء .

(١) رواه البخاري في المغازي ٩/٩٤، ٩٥، وفي الأحكام ١٦/٢٩٢، وكذا في الخمس ٧/٤٥ عن المسور بن مخرمة . . وانظر لفظه مبسوطاً عنده .

(٢) ذكره البخاري في المساجد من كتاب الصلاة ٢/٦٢ معلقاً عن أنس رضي الله تعالى عنه مطولاً . وأورده في الجهاد كذلك مختصراً ٩/٥٠٨ ووصله أبو نعيم في المستخرج كما قال الحافظ .

(٣) ذكره في الشمائل، باب خلق رسول الله ﷺ ٣٠٥، وكذا رواه أبو الشيخ في أخلاق النبي ص ٥٣، وهو في المجمع ١٠/٢٤٢ برواية البزار جميعهم روه عن عمر، وطرقه كلها ضعيفة، والذي ورد ثابتاً هو قوله ﷺ لبلال: أنفق بلال ولا تخش من ذي العرش إقلالاً . رواه البزار والطبراني وغيرهما عن بلال وكذا عن أبي هريرة =

قال أنس: كان رسول الله ﷺ لا يدخر شيئاً لغد^(١). والخبر بجوده ﷺ
وكرمه كثير.

١٤

شجاعته ﷺ

وأما الشجاعة والنجدة فكان ﷺ منهما بالمكان الذي لا يجهل، قد
حضر المواقف الصعبة، وفر الشجعان والأبطال عنه غير مرة وهو ثابت
لا يبرح ومقبل لا يدبر ولا يتزحزح. وما من شجاع إلا وقد أحصيت له فرة،
وحفظت عنه جولة سواه.

ثم أسند من طريق البخاري عن البراء بن عازب وسأله رجل: أفررتم
يوم حنين عن رسول الله ﷺ؟ قال: لكن رسول الله ﷺ لم يفر. ثم قال: لقد
رأيت على بغلته البيضاء وأبو سفيان أخذ بلجامها والنبى ﷺ يقول: «أنا
النبى لا كذب، أنا ابن عبد المطلب»^(٢).

وذكر مسلم عن العباس قال: فلما التقى المسلمون والكفار، ولى
المسلمون مدبرين، فطفق رسول الله ﷺ يركض بغلته نحو الكفار، وأنا أخذ
بلجامها أكفها إرادة أن لا تسرع، وأبو سفيان أخذ بركابه، ثم نادى

= وله طرق يصح معها، وقد حسن بعضها الهيثمي في المجمع ٢٤١/١٠. وانظر
١٢٦/٣ منه أيضاً.

(١) رواه الترمذي في الزهد ٢١٨٢ بتهذيبي وابن حبان ٢١٣٩، ورواه الترمذي
أيضاً في الشمائل رقم ٣٠٤ في باب خلق رسول الله وسنده صحيح. وقوله:
كان لا يدخر، يعني: لنفسه لكمال توكله ﷺ على الله ومع هذا، فقد جاء في
الصحيح أنه كان يأخذ لأهله نفقة سنة تشريعاً لضعفة أمته والقاصرين عن بلوغ
رتبته ﷺ.

(٢) وهو عند البخاري في المغازي، باب قوله تعالى: ويوم حنين ٨٨/٩، ٩٣، وفي
الجهاد ٦٢/٦، ومسلم في السير ١١٧/١٢، ١١٨ وغيرهما.

بالمسلمين . . . الحديث (١) .

وقال ابن عمر رضي الله تعالى عنهما: ما رأيت أشجع ولا أنجد ولا أجود ولا أرضى من رسول الله ﷺ (٢) .

وقال علي رضي الله تعالى عنه: إنا كنا إذا حمي البأس - ويروى: اشتد البأس - واحمرت الحدق اتقينا برسول الله ﷺ فما يكون أحد أقرب إلى العدو منه ولقد رأيتنا يوم بدر ونحن نلوذ بالنبي ﷺ وهو أقربنا إلى العدو، وكان من أشد الناس يومئذ بأساً (٣) .

وعن أنس رضي الله تعالى عنه كان ﷺ أحسن الناس وأجود الناس وأشجع الناس؛ لقد فرغ أهل المدينة ليلة فانطلق ناس قبل الصوت فتلقاهم رسول الله ﷺ راجعاً قد سبقهم إلى الصوت وقد استبرا الخبر على فرس لأبي طلحة عري والسيف في عنقه وهو يقول: لن تراعوا (٤) .

(١) هو عند مسلم أيضاً في السير، باب غزوة حنين ١٢/١١٣، ١١٧، ورواه أيضاً النسائي في الكبرى. وأبو سفيان المذكور في الحديث هو ابن الحارث بن عم رسول الله ﷺ كان قد أسلم عام الفتح وحسن إسلامه .

(٢) رواه الدارمي في مقدمة سننه ٦٠ بسند صحيح .

(٣) رواه أحمد ١/٨٦ مختصراً من قوله: ولقد رأيتني يوم بدر . . . وسنده صحيح ورواه النسائي .

وأوله: رواه مسلم ١٢/١٢٠، وأبو الشيخ في الأخلاق ٥٨ من حديث البراء بن عازب، قال: كنا والله إذا احمر البأس نتقي به، وأما الشجاع منا الذي يحاذي به، يعني: النبي ﷺ .

(٤) رواه أحمد ٣/١٤٧، ١٨٥، ٢٧١، والبخاري في الجهاد ٦/٤٦٣، وفي الأدب وفي مواضع، ومسلم في الفضائل ١٥/٦٧، ٦٨، والترمذي في الجهاد ١٥٤٥ وابن ماجه ٢٧٧٢ وغيرهم، وفيه: لقد وجدناه بحرًا: يعني فرس أبي طلحة. وقوله: لن تراعوا، أي: لا تفزعون ولا تخافون، وهذا من عظيم شجاعته وعدم خوفه ﷺ .

ولما رآه أبي بن خلف يوم أحد - وهو كان يقول: أين محمد؟ لا نجوت إن نجا. وقد كان يقول للنبي ﷺ حين افتدى يوم بدر: عندي فرس أعلفها كل يوم فرقاً من ذرة، أقتلك عليها. فقال له النبي ﷺ أنا أقتلك إن شاء الله - فلما رآه يوم أحد شدَّ أبيُّ على فرسه على رسول الله ﷺ، فاعترضه رجال من المسلمين، فقال النبي ﷺ هكذا - أي: خلوا طريقه - وتناول الحربة من الحارث بن الصمة فانتفض بها انتفاضة تطايروا عنه تطاير الشعراء عن ظهر البعير إذا انتفض ثم استقبله النبي ﷺ فطعنه في عنقه طعنة تدأداً منها عن فرسه مراراً. وقيل: بل كسر ضلعاً من أضلاعه، فرجع إلى قريش يقول: قتلني محمد. وهم يقولون: لا بأس عليك، فقال: لو كان ما بي بجميع الناس لقتلهم؛ أليس قد قال: أنا أقتلك. والله لو بصق علي لقتلني. فمات بسرف في قفولهم إلى مكة^(١).

حياؤه ﷺ

وأما الحياء والإغضاء فكان ﷺ أشد الناس حياءً، وأكثرهم عن العورات إغضاء. قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ذَلِكَ كَمَا كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَجِيءُ مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَجِيءُ مِنَ الْحَقِّ﴾ [الأحزاب: ٥٣]، فوصفه الله عز وجل بالحياء من الناس.

ثم أسند من طريق البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه كان رسول الله ﷺ أشد حياءً من العذراء، في خدرها وكان إذا كره شيئاً

(١) هذه القصة رواها موسى بن عقبة وابن سعد في الطبقات ٤٦/٢ وعبد الرزاق في المصنف ٣٥٦/٥، ٣٥٧، والبيهقي في الدلائل ٢٥٨/٣، عن عروة بن الزبير وسعيد بن المسيب مرسلًا، وسنده صحيح. ورواه الواقدي موصولاً عن أبي بن كعب فيما ذكره ابن كثير في السيرة، والزرقاني في شرح المواهب، وغيرهما. والقصة مشهورة في كتب السيرة، بسياقات وألفاظ.

عرفناه في وجهه^(١). وكان ﷺ لطيف البشرة رقيق الظاهر لا يشافه أحدًا بما يكرهه حياءً وكرم نفس.

فعن عائشة رضي الله عنها: كان النبي ﷺ إذا بلغه عن أحد ما يكرهه لم يقل: ما بال فلان يقول كذا، ولكن يقول: ما بال أقوام يصنعون أو يقولون كذا، ينهى عنه، ولا يسمي فاعله^(٢).

وروى أنس رضي الله تعالى عنه أنه ﷺ دخل عليه رجل به أثر صفرة فلم يقل له شيئاً، وكان لا يواجه أحدًا بما يكره، فلما خرج قال: «لو قلت له

(١) وهو عند البخاري في المناقب، باب صفة رسول الله ﷺ ٧/٣٨٧، ٣٨٨، ومسلم في الفضائل ١٥/٧٨، وعن ابن عباس كان رسول الله ﷺ يغسل من وراء الحجرات - البيوت - وما رأى أحد عورته قط رواه البزار، قال الحافظ: وإسناده حسن.

والعذراء هي: البنت البكر. والخدر: محل تسترها، وهذا الحياء في مثل هذه العذراء طبعاً لا يكون إلا في البنت الطيبة العفيفة التي نشأت نزيهة بعيدة عن الرجال.

(٢) رواه أبو داود في الأدب ٤٧٨٨ وأبو الشيخ في أخلاق النبي ﷺ ٧١، والبيهقي في الدلائل ١/٢٣٧، وسنده حسن صحيح، ورواه أحمد ٦/٤٥، ١٨١، والبخاري في الأدب، باب ٧٢، ومسلم في الفضائل ١٥/١٠٦، ١٠٧، والنسائي في الكبرى ٦/٦٧ بنحوه ولفظه رخص رسول الله ﷺ في أمر فتنزه عند ناسر فبلغ ذلك النبي ﷺ فغضب حتى بان الغضب في وجهه ثم قال: «ما بال أقوام يرغبون عما رخص لي فيه، فوالله لأنا أعلمهم بالله وأشدهم له خشية».

وفي الصحيحين وغيرهما في حديث قصة بريرة: «ما بال أقوام يشترطون شروطاً ليست في كتاب الله...» الحديث، وفي النكاح من صحيح مسلم ٩/١٧٦ عن أنس مرفوعاً: «ما بال أقوام قالوا كذا وكذا، لكني أصلي وأنام وأصوم وأفطر وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني»، فهذا كان هديه ﷺ، فكان لا يعين أحدًا تخلقاً منه يخلق الحياء..

يغسل هذا؟ ويروى: ينزعها^(١).

وقالت: عائشة رضي الله تعالى عنها في الصحيح: لم يكن النبي ﷺ فحاشاً ولا متفحشاً ولا سخاباً في الأسواق، ولا يجزي بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويصفح^(٢).

وقد حكى مثل هذا الكلام عن التوراة عن ابن سلام وعبد الله بن عمرو بن العاص^(٣).

حسن عشرته وأدبه وبسط خلقه ﷺ

وأما حسن عشرته وأدبه وبسط خلقه ﷺ مع أصناف الخلق فبحيث انتشرت به الأخبار الصحيحة.

قال علي رضي الله تعالى عنه في وصفه عليه الصلاة والسلام، كان

(١) رواه أحمد ١٣٣/٣، ١٥٤، ١٦٠، وأبو داود في الأدب ٤١٨٢، والبخاري في الأدب المفرد ٤٣٦، وأبو الشيخ في أخلاق النبي ٧٠، وسنده صحيح لولا سلم العلوي، ضعفه الجمهور، ووثقه ابن معين وضعفه مرة أخرى. غير أن معنى الحديث صحيح وليس فيه ما ينكر.

(٢) رواه الترمذي في البر والصلة ١٨٥٩ بتهذيبي، وفي الشمائل ٢٩٨، وكذا أحمد ١٧٤/٦، ٢٣٦، ٢٤٦، والطيالسي بسند صحيح. ورواه البخاري في صفة النبي ٣٨٥/٧، و١٠٣/٨، والترمذي في البر، وأحمد ١٨٩/٢ عن عبد الله بن عمرو بأوله، وقال في آخره: «إن من خياركم أحسنكم أخلاقاً...» وحديث عائشة ليس في أحد الصحيحين كما يوهمه كلام المؤلف رحمه الله تعالى.

والفاحش هو من طبعه الفحش في جميع تصرفاته قولاً وعملاً... والمتفحش الذي يتكلف ذلك. فكان النبي ﷺ منزهاً عنهما معاً.

(٣) تقدم ذكر ذلك ص ٥٢ وتخرجه ص ٥٣.

أوسع الناس صدراً، وأصدق الناس لهجة وألينهم عريكة، وأكرمهم عشرة^(١).

وقال الله تعالى: ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِنْ لَمْ يَأْتِ بِدَلِيلٍ لَأَنْفَضُوهُ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ﴾ [آل عمران: ١٥٩]. وقال: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [المؤمنون: ٩٦].

وكان يجيب من دعاه^(٢) ويقبل الهدية ولو كانت كراعاً، ويكافئ عليها^(٣).

قال أنس رضي الله تعالى عنه: خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين فما قال لي: «أف» قط، وما قال لشيء صنعته ولا لشيء تركته: «لم تركته»^(٤).

(١) رواه الترمذي في المناقب مطولاً ٣٤١٣ بسند ضعيف لكن معناه صحيح، وقد روى بعضه أحمد ١/٨٩، ١٠١، وابن حبان ٢١١٧ بسند صحيح. واللهجة: اللسان. والعريكة: الطبيعة.

(٢) هذا جاء في أحاديث كثيرة، كحديث أنس واستدعاء أبي طلحة إياه، وحديث جابر في استدعائه أيضاً، في غزوة الخندق وحديث الرجل الخياط الذي استدعاه أيضاً وحديث اليهودي الذي استدعاه فأطعمه ودكاً. وغير ذلك، وكلها أحاديث صحيحة.

(٣) رواه أحمد ٢/٤٧٩، ٤٨١، ٥١٢، والبخاري في الهبة ٦/١٢٧، وفي النكاح ١١/١٥٤، زاد أحمد: وما رأيت رسول الله ﷺ عاب طعاماً قط، إن اشتهاه أكله وإلا تركه. والحديث رواه أيضاً: الترمذي في الأحكام رقم ١٢١٢ عن أنس. وقوله: «ويكافئ عليها» هذا جاء من حديث عائشة رضي الله تعالى عنها، رواه أحمد ٦/٩٠، والبخاري في الهبة ٦/١٣٧، وأبو داود في البيوع ٣٥٣٦ والترمذي في البر والصلة ١٧٩٩، وقوله: ويكافئ، أي: يعطي مثلها ويجازي عليها صاحبها.

(٤) هو في الصحيحين وقد تقدم تخريجه ص ٨٨.

وقال جرير بن عبد الله: ما حجبني رسول الله ﷺ قط منذ أسلمت ولا رأني إلا تبسم^(١).

وكان يمازح أصحابه ويخالطهم ويحادثهم ويداعب صبيانهم ويجلسهم في حجره^(٢) ويجيب دعوة الحر والعبد والأمة والمسكين ويعود المرضى في أقصى المدينة^(٣)، ويقبل عذر المعتذر^(٤).

(١) رواه البخاري في المناقب ٨/١٣٢، ومسلم في الفضائل ١٦/٣٤، ٣٥، والترمذي في المناقب ٣٥٩١، وابن ماجه ١٥٩ وغيرهم.

(٢) جاء هذا في أحاديث كحديث أنس في الرجل الذي قال له: «إني حاملك على ولد الناقة» يمازحه، فلما قال له: ماذا أصنع بولد الناقة؟ فقال له: «وهل تلد الناقة إلا النوق» وهو في الأدب لأبي داود ٤٩٩٨، والبر والصلة للترمذي ١٩٩٢، وفي الشمائل ٢٣٨، وحديث أبي هريرة: قالوا: يا رسول الله إنك تداعبنا، قال: «نعم، غير أنني لا أقول إلا حقا». رواه الترمذي في البر ١٩٩١، وفي الشمائل ٢٣٧، وحديث أنس كان رسول الله ﷺ يخالطنا حتى يقول لأخ لي صغير: «يا أبا عمير ما فعل النغير». رواه البخاري في الأدب، ومسلم في الفضائل، والترمذي في الصلاة ٢٣٣، وفي البر ١٩٩٠، وابن ماجه في الأدب ٣٧٢٠ وغيرهم.

وقوله: «ويجلسهم في حجره»، من ذلك حديث أم قيس بنت محصن: أنها أتت بابن لها صغير لم يأكل الطعام إلى رسول الله ﷺ فبال على ثوبه. وحديث عائشة: أتني رسول الله ﷺ بصبي يحنكه فبال عليه. وكلاهما في الصحيح، ولا شك أنهما ما بالا عليه إلا لكونهما كانا في حجره.

(٣) رواه الترمذي في الجنائز ٩٠٢، وفي الشمائل ٢٨٦، وابن ماجه في الزهد ٤١٧٨ وغيرهما، ورجاله رجال الصحيح غير مسلم الأعور ضعيف، ورواه الحاكم ٤٦٦/٢ وصححه، والحديث أكثر أبعاضه صحيح، وانظر على سبيل المثال: المجمع ٩/٢٠، ٢١.

(٤) كما جاء في حديث كعب بن مالك الطويل في نزول توبته. . فكان يقبل اعتذارهم. وهو في الصحيحين، وتقدم، ويأتي.

وقال أنس: ما التقم أحدٌ أذن رسول الله ﷺ فينحي رأسه حتى يكون الرجل هو الذي ينحي رأسه. وما أخذ أحدٌ بيده فيرسل يده حتى يرسله الآخر^(١). وكان يبدأ من لقيه بالسلام ويبدأ أصحابه بالمصافحة^(٢). يكرم من يدخل عليه وربما بسط له ثوبه ويؤثره بالوسادة التي تحته، ويعزم عليه في الجلوس عليها إن أبى^(٣). ويكني أصحابه^(٤) ويدعوهم بأحب أسمائهم تكريماً لهم.

- (١) رواه أبو داود ٤٧٩٤، وابن ماجه ٣٧١٦، وابن سعد في الطبقات ١/٣٧٨، والبغوي في شرح السنة ١٣/٢٤٥، وهو وإن كان سنده ضعيفاً فإن له شاهداً بنحوه. رواه الطبراني في الأوسط رقم ٨٦٨٣، والبخاري ٢٤٧٣ عن أبي هريرة، وسنده حسن، فالحديث حسن صحيح. وقوله: «ما التقم أحدٌ أذن... إلخ» معناه والله أعلم: أن كل من دنا منه عليه الصلاة والسلام ليناجيه في حاجته قريباً من لا ينصرف عنه حتى ينصرف صاحب الحاجة.
- (٢) هو في حديث هند بن أبي هالة. وجاء في أحاديث أنه كان يبدأ أصحابه بالسلام، منها: حديث أنس: أنه ﷺ استأذن على سعد بن أبي وقاص فقال: «السلام عليكم ورحمة الله، حتى سلّم ثلاثاً...» الحديث. وفي رواية: أنه كان يزور الأنصار، فإذا جاء دور الأنصار جاء صبيان الأنصار حوله فيدعو لهم ويمسح رؤوسهم ويسلم عليهم، فأتى بابن سعد... إلخ. رواه أحمد ١٣٧/٣ بالرواية الأولى والبخاري بالثانية وسندهما صحيح. وجاء في أحاديث أخرى أنه كان يسلم عليهم ويسلم على نسائهم. فعن أسماء بنت يزيد قالت: مرّ علينا النبي ﷺ في نسوة فسلم علينا. رواه أبو داود في الأدب ٥٢٠٤، وابن ماجه ٣٧٠١ بسند صحيح. وعن أنس قال: أتى رسول الله ﷺ على غلمان يلعبون فسلم عليهم. رواه الشيخان، وأبو داود ٥٢٠٢.
- (٣) كما فعل بعدي بن حاتم. انظر قصته عند الترمذي في التفسير ٢٧٦٢، والمسند ٤/٢٥٧، ٣٧٧، ٣٧٩ وغيرهما، وورد عن جرير بن عبد الله البجلي أنه دخل على النبي ﷺ فألقى إليه كساءه. رواه الطبراني في الأوسط والصغير والبخاري من طرق. انظر: مجمع الزوائد ٨/١٥، ١٦، وعن ابن عمر أنه دخل على رسول الله ﷺ فألقى إليه وساده حشوها ليف، قال: فلم أقعد عليها؛ بقيت بيني وبينه. رواه أحمد، قال في المجمع ٨/١٧٤: ورجاله رجال الصحيح.
- (٤) من أشهر ما جاء في ذلك حديث: «قم أبا تراب» كنى بذلك الإمام علي بن =

وقال عبد الله بن الحارث: ما رأيت أحداً أكثر تسمّاً من رسول الله ﷺ^(١).

وقال أنس: كان خدم المدينة يأتون رسول الله ﷺ إذا صَلَّى الغداة بأنيتهم فيها الماء، فما يؤتى بآنية إلاّ غمس يده فيها، وربما كان ذلك في الغداة الباردة، يريدون به التبرك^(٢).

شفقته ورحمته لجميع الخلق ﷺ

وأما الشفقة والرأفة والرحمة لجميع الخلق فقد قال تعالى فيه: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨]. وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^(٣) [الأنبياء: ١٠٧].

قال العلماء: من فضله ﷺ أن الله تعالى أعطاه إسمين من أسمائه، بمعنى: أنه نعت بهما، فقال: ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾.

ثم أسند من طريق مسلم عن ابن شهاب قال: غزا رسول الله ﷺ غزوة

= أبي طالب رضي الله تعالى عنه وهو في الصحيح. وجاء في ذلك أحاديث أخرى. وثبت في صحيح مسلم وسنن أبي داود ٤٩٥٢، والترمذي ٢٦٤٦ وغيرهم: أنه سمى امرأة: «جميلة» بعد أن كان اسمها «عاصية».

(١) رواه أحمد ٤/١٩٠، ١٩١، والترمذي في المناقب رقم ٣٤١٦، ٣٤١٧، وفي الشمائل ١٩٤، وأبو الشيخ في الأخلاق، وسنده صحيح في طريق، ولذا قال الترمذي فيه: حديث صحيح غريب. وانظر ما تقدم ص ١٣٣ هامش رقم (١).

(٢) رواه أحمد ٣/١٣٧، ومسلم في الفضائل ١٥/٨١، ٨٢.

وفي الحديث مشروعية التبرك بالآثار النبوية، وهذه كانت عادة الصحابة معه ﷺ كما جاء في أحاديث أخرى صحيحة.

(٣) الآيتان تقدمتا ص ٤٣، ٤٦.

وذكر حنينًا قال: فأعطى رسول الله ﷺ صفوان بن أمية مائة من النعم ثم مائة، ثم مائة. قال ابن شهاب: حدثنا سعيد بن المسيب أن صفوان قال: والله لقد أعطاني ما أعطاني وإنه لأبغض الخلق إلي، فما زال يعطيني حتى إنه لأحب الخلق إلي^(١).

ومن شفقتة ﷺ على أمته تخفيفه وتسهيله عليهم، وكراهته أشياء مخافة أن تفرض عليهم. كقوله ﷺ: «لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك مع كل وضوء»^(٢).

وخبر صلاة الليل^(٣)، ونهيهم عن الوصال^(٤)، وكراهته دخول الكعبة

-
- (١) هو عند مسلم في الفضائل. وانظر ما تقدم رقم ٢ ص ١٢٥.
- (٢) رواه أحمد ٢/٤٦٠، ٤٠٠، ٢٥٠، ٤٣٣، وابن خزيمة ١/٧٣، والحاكم به، وفي رواية: «لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة» رواه البخاري معلقًا مجزومًا ومسلم ٣/١٤٢، ١٤٣، باب السواك من كتاب الطهارة.
- (٢) يشير بذلك إلى حديث عائشة في تأخره عن الخروج في الليلة الثالثة للصلاة بهم صلاة الليل في رمضان، وقوله لهم: «لقد علمت مكانكم». وفي رواية: «قد رأيت الذي صنعتهم، ولم يمنعني من الخروج إليكم إلا أنني خشيت أن تفرض عليكم...» رواه البخاري في التهجد ٣/٢٥٣، ٢٥٤، وفي الوضوء وفي الأذان وفي التراويح، ومسلم في صلاة المسافرين ٦/٤١، ٤٢ في باب التراويح ونحوه عن زيد بن ثابت. رواه مسلم ٦/٧٠، ٧١ وغيره.
- (٤) رواه البخاري ٥/١٠٩، ١١٠، ومسلم ٧/٢١٢ وغيرهما عن أبي هريرة عنه ﷺ: «إياكم والوصال.. إني لست كهيتكم إني أبيت عند ربي يطعمني ويسقيني».
- وفي رواية عن أبي سعيد: «لا تواصلوا، فأياكم إذا أراد أن يواصل فليواصل حتى السحر» روياه أيضًا. والوصال هو الصيام من غير أن يتخلله فطر ولا سحور.

لثلاث تعنت أمته^(١)، ورغبته لربه أن يجعل سبه ولعنه لهم رحمة بهم^(٢)، وأنه كان يسمع بكاء الصبي فيتجوز في صلاته^(٣).

ومن شفقتة ﷺ أن دعا ربه وعاهده فقال: أيما رجل سببته أو لعنته فاجعل ذلك له زكاة ورحمة وصلاة وطهورًا وقربة تقربه بها إليك يوم القيامة^(٤). ولما كذبه قومه أتاه جبريل عليه السلام فقال له: إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك، وقد أمر ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم فناداه ملك الجبال وسلم عليه وقال: مرني بما شئت، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين. قال النبي ﷺ: «بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده ولا يشرك به

(١) رواه أحمد ١٣٨/٦، وأبو داود ٢٠٢٩، والترمذي ٧٧٤، وابن ماجه ٣٠٦٤، والحاكم، وحسنه الترمذي وصححه، وكذا الحاكم، وأقره الذهبي، وهو من حديث عائشة قالت: خرج النبي ﷺ من عندي قرير العين طيب النفس فرجع إلي وهو حزين فقلت له. فقال: «إني دخلت الكعبة ووددت أني لم أكن فعلت، إني أخاف أن أكون أتعبت أمتي من بعد».

(٢) انظر الحديث الآتي ص ١٣٨ هامش رقم (١).

(٣) رواه أحمد ٢/٣، ٥، والبخاري ٣٤٣/٢، ومسلم ١٨٧/٤، وأبو داود ٧٨٩ وغيرهم، وكلهم في الصلاة من حديث أنس ولفظه: «إني لأدخل الصلاة، أريد إطالتها، فأسمع بكاء الصبي فأخفف من شدة وجد أمه به». وفي رواية: «خشية أن تفتن أمه».

(٤) رواه أحمد ٢/٣٩٠، ٤٨٨، ٤٩٦، والبخاري في الدعوات ١٣/٤٢٥، ٤٢٦، ومسلم في البر ١٦/٥١ عن أبي هريرة. ورواه مسلم عن عائشة وجابر وأنس أيضًا. انظر: ١٦/١٥٠، ١٥١، ١٥٢، ١٥٣، غير أن هذا محمول على من كان غير أهل للدعاء عليه كما في حديث مسلم عن أنس: «إنما أنا بشر أرضى كما يرضى البشر، وأغضب كما يغضب البشر، فأيما أحد دعوت عليه من أمتي بدعوة ليس لها أهل...» إلخ.

شيئاً»^(١).

وقالت عائشة رضي الله تعالى عنها: ما خير رسول الله ﷺ بين أمرين إلا اختار أيسرهما^(٢).

وقال ابن مسعود رضي الله تعالى عنه كان رسول الله ﷺ يتخولنا بالموعظة مخافة السامة علينا^(٣).

وعن عائشة رضي الله تعالى عنها أنها ركبت بعيراً وفيه صعوبة فجعلت تُردّده فقال ﷺ: عليك بالرفق^(٤).

خُلُقُهُ ﷺ فِي الْوَفَاءِ وَحُسْنِ الْعَهْدِ

وأما خُلُقُهُ ﷺ فِي الْوَفَاءِ وَحُسْنِ الْعَهْدِ وَصَلَةِ الرَّحِمِ:

فعن أنس رضي الله تعالى عنه: كان النبي ﷺ إذا أتى بهدية قال: «أذهبوا بها إلى بيت فلانة، فإنها كانت صديقة لخديجة، إنها كانت تحب خديجة»^(٥).

(١) رواه البخاري في بدء الخلق ٧/١٢٣، ١٢٤، ومسلم في الجهاد والسير ١٢/١٥٤ وغيرهما من حديث عائشة.

(٢) تقدم تخريجه ص ١١٧ هامش رقم (١).

(٣) رواه أحمد ١/٣٧٧ وفي مواضع، والبخاري في العلم ١/١٧١، ١٧٢ وغيره، ومسلم في المنافقين ١٧/١٦٣، ١٦٤، والترمذي في الأدب ٢٦٦٦، وقوله: يتخولنا، أي: يتعاهدنا المرة بعد المرة خوفاً من أن نمل ونسأم.

(٤) رواه مسلم في البر والصلة ١٦/١٤٧، وأبو داود في الأدب ٤٨٠٨، وكذا رقم ٢٤٧٨ بنحوه. وفي رواية: «إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه».

ولا يخفى ما في هذه الأخبار من عظيم شفقتة ورحمته بأمتة ﷺ وسائر الخلق.

(٥) رواه البخاري في الأدب المفرد رقم ٢٣٢، وابن حبان ١٥/٤٦٧، والحاكم ٤/١٧٥ وغيرهم، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: ما غرت على امرأة ما غرت على خديجة؛ لما كنت أسمع يذكرها، وإن كان ليذبح الشاة فيهدىها إلى خلائلها^(١). واستأذنت عليه اختها فارتاح إليها^(٢) ودخلت عليه امرأة فهش لها وأحسن السؤال عنها، فلما خرجت قال: «إنها كانت تأتينا أيام خديجة وإن حسن العهد من الإيمان»^(٣).

وقال ﷺ: «إن آل بني فلان ليسوا لي بأولياء، غير أن لهم رحمًا سألها ببلالها»^(٤).

وقد صلى عليه الصلاة والسلام بأمامة ابنة ابنته زينب يحملها على عاتقه فإذا سجد وضعها، وإذا قام حملها^(٥).

-
- (١) البخاري في المناقب ٨/١٣٥، ١٣٦، ومسلم في الفضائل ١٥/٢٠٠، ٢٠١، والترمذي في المناقب ٣٦٥٢ بتهذيبي، وفي البر والصلة أيضًا.
- (٢) البخاري ٨/١٤٠، ومسلم ١٥/٢٠١، ٢٠٢ كلاهما في فضائل الصحابة، ولفظه: استأذنت هالة بنت خويلد أخت خديجة على رسول الله ﷺ فعرف استئذان خديجة فارتاح لذلك فقال: «اللهم هالة بنت خويلد...» الحديث.
- وقوله: «فارتاح»، أي: هس وسرَّ بها؛ لذكره بها حبيبه خديجة.
- (٣) رواه الحاكم في الإيمان ١/١٦، وصححه ووافقه الذهبي. وانظر: جواهر البحار لكاتبه رقم حديث ٤٨٥.
- (٤) رواه البخاري في الأدب من صحيحه ١٣/٢٤، ٢٥، ٢٦، ومسلم في الإيمان ٣/٨٧ من حديث عمرو بن العاص.
- وقوله: «غير أن لهم رحمًا...» إلخ، جاء في حديث آخر لأبي هريرة مطولاً في نزول قوله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾. رواه أحمد ٢/٣٣٣، ٥١٦، والبخاري في التفسير وغيره، ومسلم في الإيمان ٣/٨٠، ٨١، والترمذي ٢٩٧٨ وغيرهم. والمراد بالبلال هنا: الصلة.
- (٥) رواه البخاري ٢/١٣٧، ١٣٨، ومسلم ٤/٣١، ٣٢. كلاهما في الصلاة.

وعن عُمَرَ بن السائب رحمه الله تعالى أن رسول الله ﷺ كان جالسًا يومًا فأقبل أبوه من الرضاعة فوضع له بعض ثوبه فقعد عليه، ثم أقبلت أمه فوضع لها شق ثوبه من جانبه الآخر فجلست عليه، ثم أقبل أخوه من الرضاعة فقام ﷺ فأجلسه بين يديه^(١).

وفي حديث خديجة رضي الله تعالى عنها أنها قالت له ﷺ: أبشر فوالله لا يخزيك الله أبدًا، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق^(٢).

تواضعه ﷺ

وأما تواضعه ﷺ على علو منصبه ورفعة رتبته فكان أشد الناس تواضعًا وأعدمهم كبرًا، وحسبك أنه خير بين أن يكون نبيًا ملكًا أو نبيًا عبدًا، فاختار أن يكون نبيًا عبدًا^(٣).

ثم أسند من طريق أبي داود عن أبي أمامة رضي الله تعالى عنه قال: خرج علينا رسول الله ﷺ متوكئًا على عصا فقمنا له فقال: لا تقوموا كما تقوم الأعاجم يعظم بعضهم بعضًا^(٤).

-
- (١) رواه أبو داود في الأدب ٥١٤٥ وهو مرسل صحيح، وهو مشهور في السيرة وغيرها. وما فيه هو اللائق بخُلُقِه الكريم مع سائر الخلق، فكيف بأبيه وأمه وأخيه.. من الرضاعة؛ فهو إمام الأوفياء.
- (٢) تقدم تخريجه ص ١٢٥ هامش رقم (٣).
- (٣) رواه أحمد ٢/٢٣١ من حديث أبي هريرة بسند صحيح، وأورده الهيثمي برواية أحمد والبخاري وأبي يعلى وقال ١٨/٩، ١٩: رجال الأوليين رجال الصحيح.
- (٤) هو بهذا السياق رواه أبو داود في الأدب ٥٢٣٠، وابن ماجه في الدعاء ٣٨٣٦ وسنده ضعيف، لكن النهي عن فعل فارس والروم وقيامهم على ملوكهم رواه مسلم في الصلاة في ائتمام المأموم بالإمام ٤/١٣٢، ١٣٣، وجاء في الأدب =

وقال ﷺ: إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد، وأجلس كما يجلس العبد^(١).

وكان ﷺ يركب الحمار ويردف خلفه، ويعود المساكين، ويجالس الفقراء، ويجيب دعوة العبد، ويجلس بين أصحابه مختلطاً بهم، حيث انتهى به المجلس جلس^(٢).

وفي حديث عمر رضي الله تعالى عنه، عنه ﷺ: لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، إنما أنا عبد، فقولوا: عبد الله ورسوله^(٣).

وعن أنس رضي الله تعالى عنه: أن امرأة كان في عقلها شيء جاءته فقالت: إن لي إليك حاجة، قال: «اجلسي يا أم فلان في أي طرق المدينة شئت اجلس إليك حتى أقضي حاجتك»، قال: فجلست فجلس النبي ﷺ إليها حتى فرغت من حاجتها^(٤).

قال أنس: كان رسول الله ﷺ يركب الحمار، ويجيب دعوة العبد،

= المفرد للبخاري ٩٤٦، وفيه عند الترمذي، وفي الشمائل ٢٨٩ بسند صحيح عن أنس: لم يكن شخص أحب إليهم من رسول الله ﷺ، وكانوا إذا رواه لم يقوموا لما يعلمون من كراهته لذلك، وورد في مطلق القيام غير ذلك.

- (١) تقدم تخريجه ص ١٠٢.
- (٢) تقدم أيضاً مختصراً. انظر ما سبق ص ١٣٣.
- (٣) رواه أحمد ٢٣/١، ٢٤، ٤٧، ٥٥، والبخاري في ذكر عيسى من أحاديث الأنبياء ٣٠٠/٧.

- والإطراء المبالغة في المدح والتجاوز فيه بالباطل والتغالي في ذلك.
- (٤) أحمد ٣/١١٩، ١٧٤، ٢١٤، ومسلم في الفضائل ٨٢/١٥، ٨٣، وأبو داود ٤٨١٨، ٤٨١٩، والترمذي في الشمائل ٢٨٥، وكذا رواه البخاري معلقاً في الأدب ورواه في النكاح ٢٤٦/١١ مختصراً. وفي هذا الحديث نهاية تواضعه ﷺ.

وكان يوم قريظة على حمار مخطوم بحبل من ليف عليه أكاف^(١).

وكان يدعى إلى خبز الشعير والإهالة السنخة فيجيب^(٢).

وحجَّ ﷺ على رحل رث، وعليه قطيفة ما تساوي أربعة دراهم فقال: «اللَّهُم اجعله حجًّا مبرورًا لا رياء فيه ولا سمعة^(٣)»، هذا وقد فتحت عليه الأرض، وأهدى في حجته ﷺ مائة بدنة^(٤).

ولما فتحت عليه مكة ودخلها بجيوش المسلمين طأطأ على رحله رأسه حتى كاد يمس قادمته تواضعًا لله تعالى^(٥).

ومن تواضعه ﷺ قوله: لا تفضلوني على يونس بن متى^(٦) ولا تفضلوا

(١) تقدم قريبًا ص ١٣١ - ١٣٣.

(٢) رواه البخاري ٥٠٦/٥، والنسائي ٢٥٤/٧، والترمذي في السنن ١٠٩٧، وفي الشرائع ٣٢٦، وابن ماجه ٢٤٣٧ وغيرهم.

والإهالة: الشحم المذاب. والسنخة، بفتح السين وكسر النون: المتغيرة الريح.
(٣) رواه الترمذي في الشرائع رقم ٣٢٧، وابن ماجه في المناسك ٢٨٩٠، وابن سعد في الطبقات ١٧٧/٢ من حديث أنس. وهو وإن كان سنده ضعيفًا فإنه صحيح لطرقة، وشاهدين له: عن ابن عباس، رواه الطبراني في الأوسط رقم ١٤٠٠، وعن بشر بن قدامة، رواه النسائي ٣٣٢/٤، ٣٣٣ في الكبرى.

(٤) رواه مسلم في الحج من حديث جابر.

(٥) رواه أبو يعلى في المسند رقم ٣٣٨٠، والحاكم ٤٧/٣ في المغازي، والبيهقي في الدلائل ٦٨/٥، ٦٩ وصححه الحاكم ووافقه الذهبي كلهم من حديث أنس. وله شاهد مرسل عند ابن هشام في السيرة ١٩/٤، والبيهقي في الدلائل ٦٨.

(٦) رواه أحمد ٤٠٥/٢، ٥٣٩، عن أبي هريرة، والبخاري في تفسير سورة الأنعام ٣٦٣/٩، وفي الصافات ١٦٣/١٠، وفي الأنبياء ٢٤٠/٧، ومسلم في الفضائل ١٣٣/١٥، ١٣٤، عن أبي هريرة وابن عباس بالفاظ منها: «لا ينبغي لعبد أن يقول: أنا خير من يونس بن متى». ومنها: «من قال: أنا خير من يونس بن متى =

بين الأنبياء^(١) ولا تخيرونني على موسى^(٢) ونحن أحق بالشك من إبراهيم،
ولو لبث ما لبثت يوسف في السجن لأجبت الداعي^(٣).

وقال للذي قال له: يا خير البرية: ذاك إبراهيم^(٤).

وقالت عائشة رضي الله تعالى عنها: كان في بيته في مهنة أهله: يفلي
ثوبه ويحلب شاته، ويرقع ثوبه، ويخصف نعله^(٥).

وعن أنس رضي الله تعالى عنه: إن كانت الأمة من إماء أهل

= فقد كذب» وليس عندهم لفظ المؤلف. ورواه البخاري أيضًا في سورة الصافات
عن ابن مسعود ١٠/١٦٣.

(١) رواه البخاري في الخصومات، وفي سورة الأعراف ٩/٣٧٣ وغيرهما، عن
أبي سعيد الخدري، ورواه مسلم في الفضائل ١٥/١٣٠ عن أبي هريرة بلفظه.

(٢) رواه البخاري في الأنبياء ٧/٢٥٤، وفي الرقاق وغيرهما، ومسلم في الفضائل
١٥/١٣١، وكلاهما بقصة الأنصاري الذي لطم اليهودي.

(٣) رواه أحمد ٢/٣٢٦، والبخاري في الأنبياء ٧/٢٢٢، ٢٢٤، ومسلم في الفضائل
١٥/١٢٣ عن أبي هريرة وغيرهم، واختلف في قوله: «نحن أحق
بالشك... إلخ، فقليل معناه: لو كان الشك متطرقاً إلى الأنبياء لكنت أنا أحق به
منهم، وقد علمتم أنني لم أشك فاعلموا أنه لم يشك. وقال هذا تواضعاً منه ﷺ
أو قبل أن يعلمه الله بأنه أفضل من إبراهيم..»

(٤) رواه أحمد ٣/١٧٨، ١٨٤، ومسلم في الفضائل ١٥/١٢١، ١٢٢ من حديث
أنس.

(٥) رواه أحمد ٦/٤٩، ١٢٦، ٢٠٦، والبخاري في الصلاة ٢/٣٠٣، وفي الأدب
١٣/٧٠، والترمذي في القيامة ٢٣٠٩ بلفظه، إلى قولها: «في مهنة أهله». وباقية

جاء من طرق أخرى عنها، فقد رواه بباقيه كاملاً البخاري في الأدب المفرد ٥٣٩،
٥٤٠، وروى بعضه أحمد ٦/٢٥٦، والترمذي في الشمائل ٢٩٣، وابن حبان

٢١٣٦ بالموارد، وسنده صحيح عند بعضهم كما عند أحمد وابن حبان.

وقوله: «يفلي ثوبه»، يعني ينقيه من غبار ونحوه، وليس من القمل.

المدينة لتأخذ بيد رسول الله ﷺ فنطلق به حيث شاءت حتى تقضي حاجتها^(١).

ودخل عليه رجل فأصابته من هيبتته رعدة فقال له: «هون عليك فإني لست بملك، إنما أنا ابن امرأة من قريش تأكل القديد»^(٢).

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه: دخلت السوق مع النبي ﷺ فاشترى سراويل وقال للوزان: «زن وأرجح» وذكر القصة، قال: فوثب إلى يد النبي ﷺ يقبلها ف جذب يده، وقال: «هذا تفعله الأعاجم بملوكها ولست بملك، إنما أنا رجل منكم». ثم أخذ السراويل، فذهبت لأحمله، فقال: «صاحب الشيء أحق بشيئه أن يحمله»^(٣).

عدله وأمانته وعفته وصدق لهجته ﷺ

وأما عدله ﷺ وأمانته وعفته وصدق لهجته فكان ﷺ آمن الناس، وأعدل الناس، وأصدقهم لهجة، منذ كان، اعترف له بذلك محادوه وأعداؤه، وكان يسمى قبل النبوة بالأمين.

قال ابن إسحاق: كان يسمى الأمين بما جمع الله فيه من الأخلاق

(١) رواه أحمد ٣/١١٩، ٢١٤، والبخاري في الأدب معلقاً ١٣/١٠١، ١٠٢ مجزوماً به، ومسلم في الفضائل ١٥/٨٢، ٨٣، وأبو داود ٤٨١٨، ٤٨١٩، والترمذي في الشمائل ٢٨٥، وقد تقدم.

(٢) تقدم ص ١٠٨ هامش (١).

(٣) قصة مساومة السراويل والأمر بالوزن والترجيح صحيحة. رواها أحمد ٤/٣٥٢، وأبو داود ٣٣٣٦، والترمذي ١١٨٤، وابن ماجه ٢٢٢٠، والدارمي ٢٥٨٨، والحاكم ٢/٣٠، ٣١، و٤/١٩٢، وغيرهم، عن سويد بن قيس، وسنده صحيح على شرط مسلم عند بعضهم، وحسنه الترمذي وصححه هو والحاكم والذهبي، أما باقيه من التقبيل، وقوله: «هذا تفعله الأعاجم» فرواه الطبراني بسند ضعيف.

ولما اختلفت قريش وتحازبت عند بناء الكعبة فيمن يضع الحجر حكموا أول داخل عليهم فإذا بالنبي ﷺ داخل - وذلك قبل نبوته - ، فقالوا: هذا محمد، هذا الأمين، قد رضينا به^(٢).

وقال ﷺ: والله إني لأمين في السماء أمين في الأرض^(٣).

ثم أسند من طريق أبي عيسى الترمذي عن علي رضي الله تعالى عنه أن أبا جهل قال للنبي ﷺ: إنا لا نكذبك ولكن نكذب بما جئت به.

(١) قال ابن هشام في السيرة ٢٠٧/١: فشب رسول الله ﷺ والله تعالى يكلؤه ويحفظه ويحوطه من أقدار الجاهلية؛ لما يريد به من كرامته ورسالته حتى بلغ أن كان رجلاً أفضل قومه مروءة وأحسنهم خلقاً، وأكرمهم حياءً، وأحسنهم جواراً، وأعظمهم حلماً، وأصدقهم حديثاً وأعظمهم أمانةً، وأبعدهم من الفحش والأخلاق التي تدنس الرجال، تنزيهاً وتكرماً؛ حتى ما اسمه في قومه إلاّ الأمين؛ لما جمع الله فيه من الأمور الصالحة..

(٢) رواه أحمد ٤٢٥/٣، والحاكم وصححه، عن السائب بن يزيد، وأورده النور في المجمع ٢٩٢/٣ و ٢٢٩/٨ وقال: فيه هلال بن جناب وهو ثقة وفيه كلام، وبقية رجاله رجال الصحيح وله شاهد عن الإمام علي، رواه الطبراني. قال الهيثمي ٢٢٩/٨: ورجال الصحيح غير حفص بن عمر الضرير وخالد بن عرعة وكلاهما ثقة.. والقصة مشهورة في كتب السيرة. انظر ابن هشام ٢٢٢/١، ٢٢٤.

(٣) رواه عبد الرزاق في المصنف ١٤٠٩١ عن زيد بن أسلم مرسلًا بسند صحيح، وعزاه العراقي لابن راهويه، والخرائطي في مكارم الأخلاق وابن مردويه في التفسير وقال: سنده ضعيف.. وهذا غير ضائره لا سيما وقد أخرج أحمد ٤/٣، والبخاري في المغازي وغيرها، ومسلم في الزكاة عن أبي سعيد الخدري في حديث الخوارج، وفيه قوله: «ألا تأمّوني وأنا أمين من في السماء! يأتيني خبر من السماء صباحًا ومساءً...» إلخ.

فأنزل الله تعالى: ﴿ فَإِنَّهُمْ لَا يَكْذِبُونَكَ وَلَكِنَّ... ﴾ الآية^(١) [الأنعام: ٣٣].

وسأل هرقل عنه أبا سفيان فقال: هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال به؟ قال: لا^(٢).

وفي الحديث أنه ﷺ ما لمست يده يد امرأة قط لا يملك رقبتها^(٣).

وفي حديث علي في وصفه ﷺ: أصدق الناس لهجة^(٤).

وقال في الصحيح: «ويحك فمن يعدل إن لم أعدل، خبت وخسرت إن لم أعدل»^(٥).

قالت عائشة رضي الله تعالى عنها: ما خير رسول الله ﷺ في أمرين إلاّ اختار أيسرهما ما لم يكن إثماً، فإن كان إثماً كان أبعد الناس منه^(٦).

وذكر أبو جعفر الطبري عن علي رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ: «ما هممت بشيء مما كان أهل الجاهلية يعملون به غير مرتين، كل ذلك يحول الله بيني وبين ما أريد من ذلك، ثم ما هممت بسوء حتى أكرمني الله برسالته، قلت ليلةً لغلام كان يرعى معي لو أبصرت لي غنمي حتى أدخل مكة فأسمر بها كما يسمر الشباب، فخرجت لذلك حتى جئت أول دار من مكة سمعت عزفاً بالدفوف والمزامير لعرس بعضهم فجلست أنظر فضرب علي

(١) تقدم تخريجه ص ٥٦.

(٢) رواه أحمد ٢٦٣/١، والبخاري في بدء الوحي ١/٣٥، ٤٨، وفي التفسير ٩/٢٨١، ٢٩٠، ومسلم في الجهاد ١٢/١٠٣، ١٠٤، ١١١ مطولاً.

(٣) رواه أحمد ٦/١٥٣، والبخاري في الأحكام ١٦/٣٣٠، وفي التفسير ١٠/٢٦١، ومسلم في الإمارة ١٣/١٠، ١١، والترمذي في التفسير ٣٠٨٩ وغيرهم.

(٤) تقدم ص ٨٦.

(٥) تقدم ص ١١٨.

(٦) تقدم أيضاً ص ١١٧.

أذني فنمت فما أيقظني إلا مس الشمس فرجعت ولم أقض شيئاً، ثم عراني مرة أخرى مثل ذلك، ثم لم أهم بشيء بعد ذلك بسوء^(١).

وقارؤه وصمته وتؤدته ومروءته وحسن هديه ﷺ

وأما وقاره ﷺ وصمته وتؤدته ومروءته وحسن هديه ﷺ فمما طارت به الركبان وظهر كظهور الليل والنهار.

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا جلس في المجلس احتبى بيديه^(٢).

وكذلك كان أكثر جلوسه محتبياً.

وعن جابر بن سمرة رضي الله تعالى عنه: أنه ﷺ تربع وربما جلس القرفصاء^(٣).

(١) تقدم كذلك ص ١١٣.

(٢) رواه أبو داود في الأدب ٤٨٤٦، والترمذي في الشمائل ١٢١، والبيهقي في

الكبرى ٢٣٦/٣ وهو وإن كان سنده ضعيفاً، فإن متنه صحيح لشواهده الكثيرة.

منها: عن ابن عمر قال: رأيت رسول الله ﷺ بفناء الكعبة محتبياً بيده هكذا. رواه

البخاري في الاستئذان ٣/٣٠٦، والإسماعيلي، وأبو نعيم كما في الفتح.

ومنها: عن أبي هريرة: أن النبي ﷺ خرج يوماً فأخذ بيده، قال: ثم انصرف وأنا

معه حتى جئنا المسجد فجلس فاحتبى.. رواه أحمد ٥٣٢/٢، والبخاري في

الأدب المفرد ١١٨٣، وأصله في الصحيحين.

ومنها: عن سيدنا علي. رواه أحمد ١٥٢/١ بسند حسن.

ومنها: عن رجل من بني سليط. رواه أحمد ٦٩/٤، ٢٤/٥، ٣٨١ بسند صحيح،

وفي الباب غير ذلك؛ فالحديث صحيح خلافاً لما يوهمه كلام المناوي في

الفيض.

(٣) رواه مسلم في المساجد ١٧١/٥، وأبو داود في الأدب ٤٨٥٠ وغيرهما بنحوه

وليس فيه: وربما جلس القرفصاء. وانظر ما تقدم قبله.

وفي صفته ﷺ يخطو تكفوفاً ويمشي هوناً كأنما ينحط من صيب^(١).

وقال عبد الله بن مسعود: إن أحسن الهدى هدى محمد ﷺ^(٢).

وعن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما كان في كلام رسول الله ﷺ ترتيل أو ترسيل^(٣).

وقالت عائشة رضي الله تعالى عنها: كان رسول الله ﷺ يحدث حديثاً لو عده العاد أحصاه^(٤).

وكان ﷺ يحب الطيب والرائحة الحسنة ويستعملها كثيراً ويحضر عليهما^(٥).

ويقول: «حب إلي من دنياكم النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة^(٦)».

ومن مروءته ﷺ نهيه عن النفخ في الطعام والشرب^(٧)، والأمر بالأكل

-
- (١) جاء هذا في حديث للإمام علي بنحوه، رواه أحمد ٩٦/١، ١٢٧، ١٥١، والترمذي في المناقب، وفي الشمائل، وابن حبان ٢١١٧، والحاكم ٦٠٦/٢ من طرق، وحسنه الترمذي وصححه، وكذا صححه الحاكم. ونحوه عن أبي الطفيل عند أبي داود وغيره، وعن أنس في الصحيحين، وغيرها: إذا مشى يتكفأ... إلخ.
 - (٢) رواه البخاري في الأدب ١٢٥/١٣، وأوله: «فإن أحسن الحديث كتاب الله وأحسن الهدى... إلخ، ورواه في الاعتصام مطولاً...»
 - (٣) رواه أبو داود في الأدب ٤٨٣٨ بسند صحيح.
 - (٤) رواه البخاري في المناقب ٣٨٩/٧، ومسلم في الفضائل ٥٣/١٦ وغيرهما،
 - (٥) هذا معلوم من شمائله.
 - (٦) تقدم تخريجه ص ١٠٥.
 - (٧) رواه أحمد ٣٠٩/١، ٣٥٧، وأبو داود ٣٧٢٨، والترمذي ١٧٣٥ وابن حبان ١٣٦٨ عن ابن عباس. ورواه الترمذي ١٧٣٤، والدارمي ٢١٢٧، وابن حبان ١٣٦٧ عن أبي سعيد الخدري وكلاهما صحيح.

مما يلي^(١)، والأمر بالسواك، وانقاء البراجم والرواجب، واستعمال خصال الفطرة^(٢).

زهده عليه السلام في الدنيا

وأما زهده عليه السلام فقد تقدم من الأخبار أثناء هذه السيرة ما يكفي، وحسبك من تقلله منها وإعراضه عن زهرتها، وقد سيقت إليه بحذافيرها وترادفت عليه فتوحها إلى أن توفي عليه السلام ودرعه مرهونة عند يهودي في نفقة عياله^(٣)، وهو يدعو ويقول: اللهم اجعل رزق آل محمد قوتاً^(٤).

ثم أسند من طريق مسلم من حديث عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: ما شبع رسول الله عليه السلام ثلاثة أيام تباعاً من خبز حتى مضى لسبيله. وفي رواية أخرى: من خبز شعير يومين متواليين، ولو شاء لأعطاه الله ما لا يخطر ببال. وفي أخرى: ما شبع آل رسول الله عليه السلام من خبز برّ حتى لقي الله عزّ وجلّ^(٥).

(١) رواه البخاري في الأطعمة ١١/٤٥٠، ٤٥١، ومسلم في الأشربة ١٣/١٩٢، ١٩٣

عن عمّار بن أبي سلمة أن رسول الله عليه السلام قال له: كل بيمينك ومما يليك... إلخ.

(٢) رواه مسلم في الطهارة ٣/١٤٧ عن عائشة رضي الله تعالى عنها عنه عليه السلام: عشر من

الفطرة وفيه غسل البراجم والسواك... إلخ. وفي اللباس من البخاري ١٢/٤٥٦،

٤٦٩، ٤٧٠، وفي الطهارة عند مسلم ٣/١٤٦، وباقي الجماعة عن أبي هريرة

عنه عليه السلام: خمس من الفطرة... إلخ، والبراجم: عقود الأصابع.

(٣) تقدم ص ١٠٩.

(٤) البخاري في الرقاق ١٤/٧٣، وفي الإيمان، وفي الأطعمة، ومسلم في الزهد

١٨/١٠٥، والترمذي كذلك ٢١٨١، والنسائي، وابن ماجه وغيرهم عن

أبي هريرة.

(٥) هو عند مسلم في الزهد ١٨/١٠٥، ١٠٦، ورواه البخاري في الرقاق ١٤/٧٠

بنحوه، وفي رواية: ما أكل آل محمد عليه السلام أكلتين في يوم إلا إحداهما تمر. رواه

البخاري ١٤/٧١. وفي رواية لهما: إن كنا لننظر إلى الهلال ثلاثة أهلة في شهرين =

وقالت عائشة رضي الله تعالى عنها: ما ترك رسول الله ﷺ دينارًا ولا درهماً ولا شاة ولا بعيراً^(١).

وفي حديث عمرو بن الحارث: ما ترك رسول الله ﷺ إلا سلاحه وبغلته، وأرضاً جعلها صدقة^(٢).

قالت عائشة رضي الله تعالى عنها: ولقد مات وما في بيتي شيء يأكله ذو كبد إلا شطر شعير في رف لي^(٣).

وعنها قالت: إن كنا آل محمد لنمكث شهرًا ما نستوقد نارًا، إن هو إلا التمر والماء^(٤).

وعن عبد الرحمن بن عوف: هلك رسول الله ﷺ ولم يشبع هو وأهل بيته من خبز الشعير^(٥).

= وما أوقدت في أبيات رسول الله ﷺ نار... إلخ. وفي رواية لمسلم ١٠٦/١٨، والترمذي ٢١٧٧ عنه: ما شبع رسول الله ﷺ من خبز شعير يومين متتابعين حتى قبض. وفي رواية لها أيضًا: والله ما شبع من خبز ولحم مرتين في يوم، وقال مسلم من خبز وزيت.

(١) رواه مسلم ٨٩/١١، وأبو داود ٢٨٦٣، والنسائي ٢٠٠/٦، وابن ماجه ٢٦٩٥، كلهم في الوصايا.

(٢) البخاري في الخمس، باب نفقة نساء النبي ﷺ بعد وفاته ١٧/٧، وفي الوصايا وفي آخر المغازي، والنسائي في الأحباس ١٩٠/٦، ١٩١ وغيرهما. وفي رواية للنسائي وغيره: ما ترك دينارًا ولا درهماً ولا عبدًا ولا أمةً إلا بغلته الشهباء... إلخ.

(٣) رواه البخاري في الخمس ١٧/٧، وفي الرقاق ٥٨/١٤، ٥٩، ومسلم في الزهد ١٠٧/١٨ وغيرهما. وقولها: «في رف لي» بفتح الراء وتشديد الفاء: هو شيء يشبه الطاق أو خشبة معلقة يوضع عليها الحاجيات.

(٤) هذه عند مسلم ١٠٦/١٨، ١٠٧.

(٥) رواه الترمذي في الشمائل ١٣٩، والبخاري. وهو حسن لغيره.

وعن عائشة وأبي أمامة وابن عباس نحوه .

قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما : كان رسول الله ﷺ يبيت هو وأهله الليالي المتتابعة طاوياً لا يجدون عشاء^(١) .

وعن أنس رضي الله تعالى عنه ما أكل رسول الله ﷺ على خوان ولا في سُكْرَجَة ولا خبز له مُرَقَّق ولا رأى شاة سميطة قط^(٢) .

وعن عائشة رضي الله تعالى عنها : إنما كان فراشه ﷺ الذي ينام عليه أدمًا حشوه ليف^(٣) .

وكان ينام أحياناً على سرير مرمول بشريط حتى يؤثر في جنبه ﷺ^(٤) .

(١) حديث عائشة تقدم قريباً ص ١٤٩ ، وحديث أبي أمامة رواه الترمذي في الزهد ٢١٧٩ ، وحسنه وصححه ، ولفظه : ما كان يفضل عن أهل بيت رسول الله ﷺ خبز الشعير . وحديث ابن عباس رواه الترمذي ٢١٨٠ ، وابن ماجه ٣٣٤٧ وحسنه الترمذي وصححه وزاد : وكان أكثر خبزهم الشعير . . وفي الباب عن أبي هريرة : ما شبع رسول الله ﷺ وأهله ثلاثاً تباعاً من خبز البر حتى فارق الدنيا . رواه مسلم ١٠٨/١٨ ، ١٠٩ ، والترمذي ٣١٧٨ كلاهما في الزهد ، وابن ماجه ٣٣٤٣ في الأطعمة .

(٢) رواه البخاري في الرقاق ٥٨/١٤ ، ٧٣ .

والخوان بكسر الخاء هو المائدة ، والسكرجة بضم الثلاثة مع تشديد الراء : إناء يوضع فيه المُهَضَمَات ، والشاة السميطة التي ينزع صوفها وتشوى .

(٣) البخاري في الرقاق ٧٢/١٤ ، ومسلم في اللباس ٥٨/١٤ ، وأبو داود ٤١٤٧ ،

والترمذي ١٦/٨ ، وكذا أحمد ٤٨/٦ ، ٥٦ ، ١٠٤ وفي مواضع . . والأدم هو الجلد وقوله حشوه ، أي : داخله محشو بأصول النخل .

(٤) ورد هذا المعنى في أحاديث منها : حديث عمر رضي الله تعالى عنه في قصة

اعتزاله ﷺ نساءه في مشربة - غرفة - وفيه أنه دخل عليه . . وإنه لعلى حصير ما بينه وبينه شيء ، وتحت رأسه وسادة من آدم حشوها ليف . . . فرأيت أثر الحصير =

خوفه ﷺ من ربه وطاعته له وشدة عبادته

وأما خوفه ربه وطاعته له وشدة عبادته فعلى قدر علمه بربه .
ولذلك قال ﷺ فيما رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه
قال: قال رسول الله ﷺ: «لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم
كثيراً»^(١).

في جنبه . . . الحديث رواه أحمد ٣٤/١، والبخاري في العلم وفي النكاح وفي
التفسير ٢٨٤/١٠، ومسلم في الطلاق ٨٢/١٠، ٩٢، والترمذي في التفسير
٣١٠٠ وغيرهم مطولاً . وفي آخره: «أفي شك أنت يا ابن الخطاب؟» وفي أخرى:
«أما ترضى أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة؟»

ومنها حديث أبي موسى، رواه البخاري في غزوة أوطاس ١٠٤/٩، ومسلم
٦٠/١٦ في الفضائل، وفيه: فدخلت على النبي ﷺ في بيته على سرير مرمل
وعليه فراش قد أثر رمال السرير في ظهره وجنبه . . . إلخ .

ومنها حديث أنس رواه أحمد ١٣٩/٣، ١٤٠، وأبو يعلى ٢٧٨٣، وابن حبان
٩٤/٨، وأورده النور في المجمع ٣٢٦/١٠ برواية أحمد وأبي يعلى وقال:
رجال أحمد رجال الصحيح غير مبارك بن فضالة، وقد وثقه جماعة وضعفه
جماعة . . . وفيه: دخلت على رسول الله ﷺ وهو على سرير مضطجع مرمل
بشريط . . . وقد أثر الشريط بجنب رسول الله ﷺ . . . إلخ .

فهذا عيش رسول الله ﷺ، وهذه حياته المتواضعة، فأين حياتنا البذخة من حياته
المتقشفة؟! وأين فرشنا وملابسنا ومركوباتنا القارونية من حالته في كل ذلك
البسيطة؟! إننا والله ما أحرنا لهذا النعيم والبذخ إلا لشر، نسأل الله تعالى العفو
والمغفرة؛ فحالتنا تكذب دعوانا اتباع هذا الرسول العظيم صلوات الله وسلامه
عليه وعلى آله . وقوله: «مرمول بشريط» يعني: منسوج بحبل .

(١) رواه البخاري في التفسير وفي الرقاق وفي الاعتصام، ومسلم في الفضائل،
والترمذي في التفسير وفي الزهد ٢١٣٥، والدارمي ٢٧٣٨، وباقي الجماعة .
ومثله عن عائشة في صلاة الكسوف، رواه الجماعة .

وعن أبي ذر رضي الله تعالى عنه أنه رضي الله عنه قال: «إني أرى ما لا ترون وأسمع ما لا تسمعون، أظت السماء وحق لها أن تئط، ما فيها موضع أربع أصابع إلاّ وملك واضع جبهته ساجداً لله تعالى، والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً، وما تُلذتُم بالنساء على الفرش، ولخرجتم إلى الصعدات تجأرون إلى الله... لوددت أني شجرة تعضد»^(١).

وفي حديث المغيرة رضي الله تعالى عنه قال: صَلَّى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتفخت قدماه، وفي رواية: كان يصلي حتى ترم قدماه، فقيل له: أتتكلف هذا وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: «أفلا أكون عبداً شكوراً»^(٢). ونحوه عن عائشة وأبي هريرة^(٣).

(١) رواه أحمد ٥/١٧٣، والترمذي في الزهد ٢١٣٤، وابن ماجه ٤١٩٠، والحاكم ٥٧٩/٤ بسند صحيح، وغلط من عزاه إلى مسلم.

وقوله: أظت، أي: صوتت. وقوله: الصعدات، بضم الصاد والعين: هن الطرقات. وقوله: تجأرون، أي: ترفعون أصواتكم. وقوله: تعضد، أي: تقطع. وفي الحديث: ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم من العلم بالله، وما كان يشاهده من عالمي الملك والملكوت ومما لو اطلع عليه أحدنا لهام على وجهه في المفاوز رافعاً صوته مستجيراً بالله عز وجل، ولزهد في هذه الحياة ومشتياتها...

(٢) رواه البخاري في صلاة الليل ٣/٢٥٦، وفي الرقاق وغيرهما، ومسلم في المنافقين ١٧/١٦٢، وفي صفة القيامة... والترمذي ٣٦٩، والنسائي في الصلاة، وابن ماجه ١٤١٩.

(٣) حديث عائشة رواه أحمد ٦/١١٥، والبخاري في تفسير الفتح ١٠/٢٠٦، ومسلم ١٧/١٦٢، وغيرهما، أما حديث أبي هريرة فرواه الترمذي في الشمائل ٢٢٢، وابن خزيمة في صحيحه ١١٨٤، وكذا ابن ماجه ١٤٢٠ وغيرهم. وسنده حسن صحيح.

وقولهما: «حتى ترم قدماه، أو تورمت» معناهما: انتفخت كما في رواية. وفي أخرى حتى تظطر. والظطر: الشقوق.

وقالت عائشة رضي الله تعالى عنها: كان عمل رسول الله ﷺ ديمة، وأيكم يطيق ما كان رسول الله ﷺ يطيق^(١).

وقالت: كان يصوم حتى نقول لا يفطر، ويفطر حتى نقول: لا يصوم^(٢)، ونحوه عن ابن عباس وأم سلمة^(٣).

وقال أنس: كنت لا تشاء أن تراه في الليل مصلياً إلا رأيتَه مصلياً، ولا نائمًا إلا رأيتَه نائمًا^(٤).

وقال عوف بن مالك قال: كنت مع رسول الله ﷺ فاستاك ثم توضأ ثم قام يصلي، فقامت معه، فبدأ فاستفتح البقرة فلا يمر بآية رحمة إلا وقف فسأل، ولا يمر بآية عذاب إلا وقف فتعوذ، ثم ركع فمكث بقدر قيامه يقول: سبحان ذي الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة، ثم سجد وقال مثل ذلك، ثم قرأ آل عمران، ثم سورة سورة، يفعل مثل ذلك^(٥).

= وكل هذا كان يتكلفه ليقوم بشكر الله تعالى على ما أولاه وتفضل عليه من نعم ﷺ.

(١) رواه البخاري في الصوم ٤٠/٥، ومسلم في صلاة المسافرين ٧٢/٦.

(٢) رواه مسلم في الصيام ٣٦/٨، ٣٧، ٣٨.

(٣) حديث ابن عباس رواه البخاري ١١٩/٥، ومسلم ٣٨/٨ كلاهما في الصيام، وحديث أم سلمة رواه الترمذي في الشمائل ٢٥٥، وابن ماجه بسند صحيح.

(٤) رواه البخاري في الصوم ١١٩/٥، ومسلم بنحوه في الصيام ٣٩/٨، والترمذي في الشمائل ٢٥٣، وابن خزيمة ٢١٣٤، وفي أوله: كان يصوم من الشهر حتى نرى أنه لا يريد أن يفطر منه، ويفطر حتى نرى أنه لا يريد أن يصوم من الشهر شيئاً... إلخ.

(٥) رواه أبو داود ٨٧٣، والنسائي ١٥٠/٢، ١٧٧، والترمذي في الشمائل ٦٧ بسند صحيح.

وعن حذيفة رضي الله تعالى عنه مثله وقال: سجد نحوًا من قيامه وجلس بين السجدين نحوًا منه وقام حتى قرأ البقرة وآل عمران والنساء والمائدة^(١).

وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: قام رسول الله ﷺ بآية من القرآن ليلة^(٢).

وعن عبد الله بن الشخير رضي الله تعالى عنه قال: أتيت رسول الله ﷺ وهو يصلي ولجوفه أزيز كأزيز المرجل^(٣).

وقال ﷺ: «إني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة». وفي رواية: «سبعين مرة»^(٤).

(١) رواه مسلم في صلاة الليل ٦/٦٠، ٦١، وأبو داود ٨٧١، ٨٧٤، والنسائي ١٧٧/٢، ١٨٣، والترمذي ٢٣٥، وفي الشرائع ٢٧٠.

(٢) رواه الترمذي في الشرائع ٢٧١، وفي الجامع ٤٠١، ومن طريقه البغوي في شرح السنة ٩١٤ بسند صحيح، وله شاهد صحيح عن أبي ذر رضي الله تعالى عنه. رواه أحمد ١٥٦/٥، ١٧٠، ١٧٧، والنسائي في الكبرى ٦/٣٤٠، وابن ماجه ١٣٥٠، والطحاوي في المعاني ١/٣٤٧، والحاكم ١/٢٤١، وصححه ووافقه الذهبي. ولفظه: قام النبي ﷺ حتى أصبح بآية، والآية: ﴿إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٨]. وآخر عن أبي سعيد رواه أحمد ٦٢/٣ بسند صحيح.

(٣) رواه الترمذي في الشرائع ٣١٥، وأبو داود في الصلاة ٩٠٤، والنسائي في البكاء من الصلاة ١٢/٣ وسنده صحيح.

(٤) رواه أحمد ٢١١/٤، ٢٦٠، ومسلم في الدعوات ١٧/٢٣، وأبو داود ١٥١٥ من حديث الأغر المزني وفي أوله: «إِنَّهُ لَيَغَانُ عَلَى قَلْبِي وَإِنِّي أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ...» إلخ، وفي رواية لمسلم ١٧/٢٤: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ تَوَبُوا إِلَى اللَّهِ فَإِنِّي أَتُوبُ فِي الْيَوْمِ إِلَيْهِ مِائَةَ مَرَّةٍ» وجاء نحوه عن أبي هريرة. رواه النسائي في الكبرى ٦/١١٤، وابن =

الأنبياء والرسل كلهم

متصفون بصفات الكمال البشري

اعلم وفقنا الله وإياك أن صفات جميع الأنبياء والرسل صلوات الله وسلامه عليهم: من كمال الخلق وحسن الصورة وشرف النسب وحسن الخلق وجميع المحاسن هي هذه الصفات، لأنها صفات الكمال. والكمال والتمام البشري، والفضل الجميع لهم صلوات الله وسلامه عليهم، إذ رتبهم أشرف الرتب، ودرجاتهم أرفع الدرجات، ولكن فضل الله بعضهم على بعض.

قال الله تعالى: ﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾^(١) [البقرة: ٢٥٣]. وقال: ﴿ وَلَقَدْ آخَرْنَا نَهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَىٰ الْعَالَمِينَ ﴾ [الدخان: ٣٢].

وقال ﷺ: «إن أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر...» ثم قال آخر الحديث: «على خلق رجل واحد على صورة أبيهم آدم عليه السلام طوله ستون ذراعًا في السماء»^(٢).

= ماجه ٣٨١٥ بسند صحيح. وعن أنس عنه ﷺ: «إني أستغفر الله في اليوم وأتوب إليه أكثر من سبعين مرة». رواه النسائي ٦/١١٤.

وقوله: «ليغان» الغين يكون للمقربين، وهو بمنزلة الغيم للأبرار، والغفلة للعامة، والرین لقلوب الكفار. فهو غين أنوار لا غين أغيار. فانظر أيها المسلم إلى حالة هذا الرسول العظيم فهو مع كونه مغفورًا له ما تقدم وما تأخر؛ كان يتكلف كل ما مريبك من أنواع العبادات مع شدة خوفه من ربه، وكثرة بكائه وتضرعه إليه عز وجل، ودوام استغفاره، وتتابع توبته.

(١) فهم متفاضلون حسب مراتبهم. وأفضلهم أولوا العزم، ثم أشرف الجميع نبينا ﷺ كما تقدم ص ٦٨، ٦٩.

(٢) رواه البخاري في أوائل أحاديث الأنبياء ٧/١٧٥، ومسلم في الجنة ١٧/١٧١، =

وفي حديث أبي هريرة: «رأيت موسى فإذا هو: رَجُلٌ ضَرْبٌ، رِجْلٌ، أَقْنَى، كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنْوَاءَ. وَرَأَيْتُ عَيْسَى فَإِذَا هُوَ: رِجُلٌ رُبْعَةٌ كَثِيرٌ خَيْلَانِ الْوَجْهِ، أَحْمَرٌ، كَأَنَّهُ خَرَجَ مِنْ دِيمَاسٍ. قَالَ: وَأَنَا أَشْبَهُ وَلِدَ إِبْرَاهِيمَ بِهِ»^(١).

وقال في صفة موسى في رواية: «كأحسن ما أنت راء من آدم الرجال».

وفي حديث أبي هريرة عنه رضي الله عنه: «ما بعث الله تعالى من بعد لوط نبياً إلا في ذروة من قومه». ويروى: «في ثروة»، أي: كثرة ومنعه^(٢).

وفي حديث هرقل: وسألتك عن نسبه فذكرت أنه فيكم ذو نسب وكذلك الرسل تبعث في أنساب قومها^(٣).

وقال الله تعالى في أيوب: ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نَعِمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿١٤٤﴾﴾ [ص: ٤٤].

وقال تعالى: ﴿يَبْحَثُ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَاَتَيْنَهُ الْحُكْمَ صَبِيحًا ﴿١٢﴾ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٣﴾ وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾ وَسَلَّمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴿١٥﴾﴾ [مريم: ١٢ - ١٥].

= ١٧٢، من حديث أبي هريرة، وفي رواية: لا اختلاف بينهم ولا تباغض؛ قلوبهم قلب واحد..

(١) البخاري في أحاديث الأنبياء ٧/٢٣٩، ٢٤٠، ومسلم في الإيمان ٢/٢٣٢، ٢٣٨. وقوله: ضرب، أي: خفيف اللحم. ورجل، بكسر الجيم، أي: شعره بين الجعودة والسبوط. والأقنى: هو الطويل الأنف مع ارتفاع وسطه ورقة أرنبته. وشنوءة: قبيلة يمنية. وقوله: خيلان: هن الشامات. والديماس: الحمام.

(٢) رواه أحمد ٢/٥٣٣، والترمذي رقم ٢٩١٤، وابن جرير ١٢/٨٧، في تفسير سورة هود، والحاكم ٢/٥٦١، وصححه وأقره الذهبي وهو على شرط مسلم، والحديث أصله في الصحيحين من حديث أبي هريرة. وانظر كتابي «العبر».

(٣) تقدم، وهو في الصحيحين. انظر ما سبق ص ١٤٦.

وقال: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِإِحْسَانٍ مُّصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصّٰلِحِيْنَ ﴾ [آل عمران: ٣٩].

وقال: ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ [ذرية بعضها من بعض والله سميعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾] [آل عمران: ٣٣، ٣٤].

وقال في نوح: ﴿ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴾ [الإسراء: ٣].

وقال في عيسى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴾ [٤٥] وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصّٰلِحِيْنَ ﴿٤٦﴾ [آل عمران: ٤٥].

وقال في نوح: ﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَنِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴾ [٣٠] وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴾ [٣١] [مريم: ٣٠، ٣١].

وقال في موسى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ ءَادُوا مُوسَىٰ . . . ﴾ [موسى: ٦٩].

وقال النبي ﷺ: «كان موسى رجلاً حَيًّا سَتِيرًا، ما يرى من جسده شيء استحياء . . .» الحديث^(١).

وقال تعالى فيه: ﴿ إِنَّكَ خَيْرٌ مِّنْ أَسْتَجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴾ [٢٦].

وقال في وصف جماعة منهم: ﴿ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴾ [١٠٧].

وقال مخاطبًا لخاتمهم: ﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ ﴾ [الأحقاف: ٣٥].

(١) البخاري في الأنبياء ٢٤٧/٧، ٢٤٨، ومسلم ١٢٦/١٥ في الفضائل من حديث أبي هريرة.

وقال: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا ﴾ إلى قوله:
﴿ فِيهِدَهُمُ اقْتَدَاءً ﴾ [آل عمران: ٨٤ - ٩٠].

فوصفهم بأوصاف جملة من الصلاح والهدى والاجتباء والحكم
والنبوة.

وقال: ﴿ فَبَشِّرْهُ بِعَلْمٍ حَلِيمٍ ﴾.

وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ﴿١٧﴾
أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴾ [الدخان: ١٧].

وقال: ﴿ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴾ [الصافات: ١٠٢].

وقال في إسماعيل: ﴿ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ
أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ﴾ [مريم: ٥٤، ٥٥].

وقال: ﴿ وَأَذْكَرَ عَبْدَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولَى الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ ﴿٤٥﴾ إِنَّا
أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ ﴾ [ص: ٤٥-٤٨].

وقال في داود: ﴿ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ [ص: ١٧ - ٢٠]. ثم قال: ﴿ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَءَاثَيْنَاهُ
الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخُطَابِ ﴾ [ص: ٢٠].

وقال في يوسف: ﴿ قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْكُمْ ﴾ [يوسف: ٥٥].

وقال عن موسى: ﴿ قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا ﴾ [الكهف: ٦٩].

وقال عن شعيب: ﴿ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ [القصص: ٢٧].

وقال: ﴿ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَمْلِكَ لَكُمْ إِلَهًا مَّا أَنهَلِكُمْ إِلَهًا مَّا أَنهَلِكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا
اسْتَطَعْتُ ﴾ [هود: ٨٨].

وقال: ﴿وَلَوْ طَاءَ آئِنْتَهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ [الأنبياء: ٧٤].

وقال: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا
وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠]. في آيات كثيرة ذكر تعالى فيها
من خصالهم ومحاسن أخلاقهم الدالة على كمالهم.

وجاء من ذلك في الأحاديث كثير كقوله ﷺ: «إنما الكريم ابن الكريم
ابن الكريم ابن الكريم، يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم، نبي ابن
نبي ابن نبي ابن نبي»^(١).

وفي حديث أنس عنه ﷺ: «وكذلك الأنبياء، تنام أعينهم ولا تنام
قلوبهم»^(٢).

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ قال: «خفف على
داود القرآن فكان يأمر بدابته فتسرج فيقرأ القرآن قبل أن تسرج، ولا يأكل إلا
من عمل يده»^(٣). قال تعالى: ﴿وَأَنَّا لَهُ الْحَدِيدُ﴾ [سبأ: ١٠، ١١].

وقال ﷺ: «أحب الصلاة إلى الله صلاة داود، وأحب الصيام إلى الله
صيام داود، وكان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه، ويصوم يوماً
ويفطر يوماً»^(٤).

(١) رواه البخاري في الأنبياء ٧/٢٢٨، ٢٢٥، ١٩٨، ومسلم في الفضائل ١٥/١٣٤،
من حديث أبي هريرة.

(٢) تقدم ص ١٠٣.

(٣) البخاري في الأنبياء ٧/٢٦٥، وأحمد ٢/٣١٤، والبيهقي ٦/١٢٧، عن
أبي هريرة.

(٤) رواه البخاري في صلاة الليل وفي الأنبياء ٧/٢٦٦، ومسلم في الصيام ٨/٤٦
وغيرهما من حديث عبد الله بن عمرو.

وقال ﷺ: «لقد كان الأنبياء قبلي يتلى أحدهم بالفقر والقمل، وكان أحب إليهم من العطاء إليكم»^(١).

وأخباره في هذا كله مسطوره، وصفاتهم في الكمال وجميل الأخلاق وحسن الصور والشمائل معروفة مشهورة^(٢)، فلا نطول بها ولا تلتفت إلى ما تجده في كتب بعض جهلة المؤرخين والمفسرين مما يخالف هذا.

هذا وقد آتيناك أكرمك الله تعالى من ذكر الأخلاق الحميدة والفضائل المجيدة وخصال الكمال العديدة وأريناك صحتها له ﷺ وجلبنا من الآثار ما فيه مقنع، والأمر أوسع، فمجال هذا الباب في حقه ﷺ ممتد ينقطع دون نفاذه الأدلاء، وبحر علم خصائصه زاهر لا تكدره الدلاء. ولكننا أتينا فيه بالمعروف بما أكثره في الصحيح والمشهور من المصنفات، واقتصرنا في ذلك بقل من كل، وغيض من فيض، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وزوجه وصحبه.



(١) رواه الحاكم ٣٠٧/٤ عن أبي سعيد الخدري وصححه على شرط مسلم ووافقه الذهبي.

(٢) وما اصطفاهم الله عز وجل وجعلهم حملة رسالاته وسفراء بينه وبين عباده إلا لما حباهم تعالى من صفات الكمال البشري. فالله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس. والله أعلم حيث يجعل رسالاته.

الباب الثالث

فيما ورد من صحيح الأخبار ومشهورها بعظيم قدره عند ربه ومنزلته وما خصه به في الدارين من كرامته ﷺ

لا خلاف أنه أكرم البشر، وسيد ولد آدم، وأفضل الناس منزلة عند الله^(١)، وأعلاهم درجة، وأقربهم زلفى. واعلم أن الأحاديث الواردة في ذلك كثيرة جدًا وقد اقتصرنا منها على صحيحها ومنتشرها، وحصرنا معاني ما ورد منها في اثني عشر فصلاً.

الفضل الأول
ما ورد في ذكر مكانته عند ربه

واصطفائه ورفعته وسيادته

وما خصه الله به في الدارين

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قالوا يا رسول الله متى وجبت لك النبوة؟ قال: «وآدم بين الروح والجسد»^(٢).

(١) نقل الإجماع على ذلك غير واحد من الأعلام حتى قالوا: نبينا أفضل - بالإطباق - من كل مخلوق على الإطلاق، ولا عبرة بخلاف ابن حزم والزمخشري؛ حيث إن الأول فضل عليه الملائكة مطلقاً، والثاني فضل عليه جبريل عليه السلام.

(٢) رواه الترمذي في المناقب ٣٣٧٧ بتهذيبه، والحاكم ٦٠٩/٢ وغيرهما، وسنده صحيح على شرط مسلم، وحسنه الترمذي وصححه، ويأتي حديث العرياض في هذا ص ١٦٦.

وعن وائلة بن الأسقع رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل، واصطفى من ولد إسماعيل بني كنانة، واصطفى من بني كنانة قريشاً، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم»^(١).

وعن أنس رضي الله تعالى عنه أنه ﷺ قال: «أنا أكرم ولد آدم على ربي ولا فخر»^(٢).

وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما عنه ﷺ: «أنا أكرم الأولين والآخرين ولا فخر»^(٣).

وعن عائشة رضي الله تعالى عنها عنه ﷺ: «أتاني جبريل عليه السلام فقال: قلبت مشارق الأرض ومغاربها فلم أر رجلاً أفضل من محمد، ولم أر بني أب أفضل من بني هاشم»^(٤).

(١) رواه أحمد ١٠٧/٤، ومسلم في الفضائل ٣٦/١٥، والترمذي في المناقب ٣٣٧٤، ٣٣٧٦، والبخاري في التاريخ ٤/١، والخطيب في التاريخ أيضاً ٦٤/١٣. وفي الحديث شرف نسبه ﷺ وأن الله اختاره على سائر الأنساب..

(٢) رواه الترمذي في المناقب ٣٣٨٤ وحسنه، وهو حسن صحيح لشاهدين له، وأوله عنده: «أنا أول الناس خروجاً إذا بعثوا، وأنا خطيبهم إذا وفدوا، وأنا مبشرهم إذا أسوا، لواء الحمد يومئذ بيدي، وأنا أكرم... إلخ.

(٣) رواه الترمذي في المناقب ٣٣٩١ مطولاً، والدارمي ٤٨، ولمعناه شواهد يحسن بها.

(٤) الطبراني في الأوسط ٦٢٨١، والبيهقي ١٧٦/١، وأبو نعيم كلاهما في الدلائل. وموسى بن عبيد لا يضر هنا، لأن معنى الحديث وارد في أحاديث. ولذا قال الحافظ: لوائح الصحة لائحة على صفحات هذا المتن. انظر: الزرقاني على المواهب ٦٨/١.

وعن أنس رضي الله تعالى عنه : أن النبي ﷺ أتى بالبراق ليلة أسري به فاستصعب عليه ، فقال له جبريل : بمحمد تفعل هذا؟! فما ركبك أحد أكرم على الله منه . فارفض عرقاً^(١) .

وروى عنه ﷺ أبو هريرة وجابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهم أنه ﷺ قال : «أعطيت خمساً – وفي بعضها ستاً – لم يعطهن نبي قبلي : نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، فأیما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لي الغنائم، ولم تحل لنبي قبلي، وبعثت إلى الناس كافة، وأعطيت الشفاعة»^(٢) .

وفي رواية : «بعثت إلى الأحمر والأسود»^(٣) .

قيل : السود : العرب ؛ لأن الغالب على ألوانهم الأدمة فهم من السود، والأحمر : العجم . وقيل : البيض والسود من الأمم . وقيل : الأحمر : الإنس، والسود : الجن .

وفي الحديث الآخر عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه : «نصرت بالرعب، وأوتيت جوامع الكلم، وبيننا أنا نائم إذ جيء بمفاتيح خزائن الأرض فوضعت في يدي» . وفي رواية عنه : «وختم بي

(١) تقدم أول الكتاب ص ٤٢ .

(٢) رواه مسلم في كتاب المساجد ٥/٥ عن أبي هريرة بزيادة : ست : وختم بي النبيون . ورواه البخاري في التيمم وغيره، ومسلم في المساجد ٣/٥ ، ٤ باللفظ المذكور . وفي الباب عن الإمام علي وابن عمر وأنس وأبي سعيد وحذيفة وأبي موسى وأبي الدرداء وأبي أمامة والسائب بن يزيد وأكثرها صحيحة، ولا نطيل بتخريجها .

(٣) رواه أحمد ٤/٤١٦ بسند صحيح، ولا يضره السبيعي لثبوت المتن من غير جهته، وقد تقدم ص ٨٠ .

النبيون»^(١).

وعن عقبه بن عامر رضي الله تعالى عنه قال: قال ﷺ: «إني فرط لكم وأنا شهيد عليكم، وإني والله لأنظر إلى حوضي، وإني قد أعطيت مفاتيح خزائن الأرض، وإني والله ما أخاف عليكم أن تشركوا بعدي ولكن أخاف عليكم أن تنافسوا فيها»^(٢).

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله تعالى عنهما: أن رسول الله ﷺ قال: «أنا محمد النبي الأمي، لا نبي بعدي، أوتيت جوامع الكلم وخواتمه»^(٣).

وعن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما عنه ﷺ: «بعثت بين يدي الساعة»^(٤).

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أنه ﷺ قال: «ما من نبي من الأنبياء إلا وقد أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيت وحياً أوحى الله إلي؛ فأرجوا أن أكون أكثرهم تبعاً يوم القيامة»^(٥).

(١) رواه البخاري في التعبير ٥٨/١٦ وفي الاعتصام، ومسلم في المساجد ٥/٥ وغيرهما.

(٢) رواه أحمد ١٤٩/٤، والبخاري في الجنائز ٤٥٤/٣، وفي علامات النبوة وفي المغازي وفي الرقاق، ومسلم في الفضائل ٥٧/١٥، ٥٩ وغيرهم.

وقوله: «إني أعطيت مفاتيح خزائن الأرض... إلخ، فيه إشارة إلى ما فتح الله على أمته من الممالك عبر العصور. وفي الحديث إيذان بأن الأمة ستتنافس في الدنيا وإن ذلك من أسباب هلاكها وضعفها كما قد حصل.

(٣) رواه أحمد ١٧٢/٢ بسند حسن.

(٤) رواه أحمد ٥٠/٢، ٩٢ وغيره. وهو حديث حسن وتمامه: «... بالسيف حتى يعبد الله وحده لا شريك له، وجعل رزقي تحت ظل رمحي، وجعل الذل والصغار على من خالف أمري، ومن تشبه بقوم فهو منهم». وانظر: حواشي الاستنصار لكاتبه.

(٥) رواه أحمد ٣٤١/٢، ٤٥١، والبخاري في فضائل القرآن، ومسلم في الإيمان

١٨٦/٢.

معنى هذا عند المحققين: بقاء معجزته ﷺ ما بقيت الدنيا، وسائر معجزات الأنبياء ذهبت للحين، ولم يشاهدها إلا الحاضر، لها ومعجزة القرآن يقف عليه قرن بعد قرن عياناً لا خبراً إلى يوم القيامة^(١).

وسياتي بسط لهذا في إعجاز القرآن إن شاء الله تعالى.

وعن علي رضي الله تعالى عنه: «كل نبي أعطي سبعة نجباء وزراء رفقاء من أمته، وأعطي نبيكم ﷺ أربعة عشر نجيباً، منهم: أبو بكر وعمر وابن مسعود وعمار»^(٢).

وقال ﷺ: «إن الله قد حبس عن مكة الفيل وسلط عليها رسوله والمؤمنين، وإنها لا تحل لأحد بعدي، وإنما أحلت لي ساعة من نهار»^(٣).

وعن العرباض بن سارية رضي الله تعالى عنه: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إني عبد الله وخاتم النبيين وإن آدم لمنجدل في طينته، وعدة أبي إبراهيم، وبشارة عيسى ابن مريم»^(٤).

(١) هذا ليس على ظاهره؛ فإن القرآن لا يبقى ليوم القيامة، بل سيرفع قبيل الساعة، كما صح بذلك حديث رواه ابن ماجه وغيره.

(٢) رواه أحمد ١/٨٨، ١٤٨، والترمذي في المناقب ٣٥٦١، وصححه الشيخ أحمد شاکر في الموضوعين من تعاليقه على المسند، وجاء عددهم في المسند ١/١٤٨: حمزة، وجعفر، وعلي، وحسن، وحسين، وأبو بكر، وعمر، والمقداد، وعبد الله بن مسعود، وأبو ذر، وحذيفة، وسلمان، وعمار، وبلال.

(٣) ورد عن أبي هريرة. رواه أحمد ٢/٢٣٨، والبخاري في العلم ١/٢١٦، ٢١٧، وفي اللقطة وفي الديات، ومسلم في الحج ٩/١٢٨، ١٣٠ وغيرهم. وعن ابن عباس في الصحيحين. وعن أبي شريح العدوي عند الشيخين أيضاً.

(٤) رواه أحمد ٤/١٢٧، ١٢٨، وابن حبان في الموارد ٢٠٩٣، والحاكم ٢/٦٠٠، وسنده صحيح في طريق لأحمد، وعند ابن حبان، وله شواهد عن أبي أمامة، وعن خالد بن معدان الآتي. وقوله: «وإن آدم لمنجدل... إلخ، يعني: كنت نبياً وآدم لا يزال مطروحاً في طينته لم ينفخ فيه الروح بعد.

وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: إن الله فضل محمد ﷺ على أهل السماء وعلى الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم. قالوا: فما فضله على أهل السماء؟ قال: إن الله تعالى قال لأهل السماء: ﴿ وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنْتِ إِلَهُ مِنْ دُونِي ﴾ [الأنبياء: ٢٩]، وقال لمحمد ﷺ: ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ﴾ [الفتح: ١].

قالوا: فما فضله على الأنبياء؟ قال: إن الله تعالى قال: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيَلْسَنَ قَوْمِهِ ﴾ [إبراهيم: ٤]، وقال لمحمد: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ ﴾^(١) [سبأ: ٢٨].

وعن خالد بن معدان رحمه الله تعالى: أن نفراً من أصحاب رسول الله ﷺ قالوا: يا رسول الله، أخبرنا عن نفسك. قال: «نعم، أنا دعوة أبي إبراهيم - يعني: قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ ﴾ [البقرة: ١٢٩] -، وبشارة عيسى، ورأت أمي حين حملت بي أنه خرج منها نورٌ أضاء له قصور بصرى من أرض الشام، واسترضعت في بني سعد بن بكر، فبينما أنا مع أخ لي خلف بيوتنا نرعى بهماً لنا إذ جاءني رجلان عليهما ثياب بيض معهما طست من ذهب مملوء ثلجاً، فأضجعاني، فشقاً قلبي وبطني وغسلاه بذلك الثلج، حتى إذا أنقياه رداه كما كان، ثم قال أحدهما لصاحبه: زنه بعشرة من أمته. فوزنني بعشرة فوزنتهم. ثم قال: زنه بمائة من أمته. فوزنني بمائة فوزنتهم. ثم قال: زنه بألف من أمته. فوزنني بألف فوزنتهم. فقال: دعه عنك فلو وزنته

(١) رواه الدارمي في المقدمة ٤٧ بسند صحيح، وأورده النور في المجمع ٢٥٤/٨ برواية الطبراني وقال: رجاله رجال الصحيح، غير الحكم بن أبان وهو ثقة. وما ذكره الحبر ابن عباس ظاهر في فضل رسولنا الكريم على أهل السماء وأهل الأرض ﷺ.

بأمتهم لوزنهم»^(١).

وعن أنس رضي الله تعالى عنه: أن رسول الله ﷺ أتاه جبريل عليه السلام وهو يلعب مع الغلمان، فأخذه فصرعه، فشق عن قلبه، فاستخرج القلب واستخرج منه علقة سوداء، فقال: هذا حظ الشيطان. ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم، ثم لأمه، ثم أعاده في مكانه. وجاء الغلمان يسعون إلى أمه يعني طئره فقالوا: إن محمداً قد قتل. فاستقبلوه وهو منتقع اللون. قال أنس: وكنت أرى أثر ذلك المخيط في صدره^(٢).

وعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: إن الله نظر إلى قلوب العباد، فاختر منها قلب محمد ﷺ فاصطفاه لنفسه فبعثه برسالته^(٣).

الإسراء والمعراج

هذا الفصل معقود لما تضمنته كرامة الإسراء من المناجاة والرؤية وإمامة الأنبياء، والعروج به إلى سدرة المنتهى وما رأى من آيات ربه الكبرى وما انطوى عليه من درجات الرفعة مما نبه

(١) رواه ابن إسحاق في السيرة بسند حسن، وقد صرح بالتحديث. وله شاهد عن أبي ذر بنحوه، رواه الدارمي ١٤، ويغني عن الكل الحديث التالي.
وقوله: «وبشارة عيسى» يشير إلى قوله تعالى في سورة الصف: ﴿وَمُبَشِّرًا بِأَنِّي مِنْ بَعْدِي أُسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ [الصف: ٦]، وقوله: «ورأت أمي حين حملت بي» في رواية العرباض: رأت حين وضعت. وفي الحديث فضائل ومزايا وخصائص ظاهرة لبنينا ﷺ.

(٢) رواه أحمد، ومسلم في الإسراء من كتاب الإيمان ٢/٢١٦، ٢١٧. والظهير: هي المرضعة. وفي الحديث خصيصة له ﷺ، حيث أخرج حظ الشيطان من قلبه، ولذلك كان سالمًا من وساوسه.

(٣) أورده في المجمع ٨/٢٥٣.

عليه الكتاب العزيز وشرحته صحاح الأخبار .

قال الله تعالى : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ (١) [الإسراء : ١] .

وقال تعالى : ﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ۝٥ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ ۝٦ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ۝٧ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ۝١٠ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ۝١١ أَفَتَمُرُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ۝١٢ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝١٣ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ ۝١٤ عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ ۝١٥ إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ۝١٦ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ۝١٧ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ ۝١٨ ﴾ (٢) [النجم : ١ - ١٨] .

فلا خلاف بين المسلمين في صحة الإسراء به ﷺ إذ هو نص القرآن ، وجاءت بتفصيله وشرح عجائبه وخواص نبينا محمد ﷺ فيه أحاديث كثيرة

(١) حادث الإسراء والمعراج من أبهى معجزات نبينا ﷺ وأكبر الآيات، وأعظم خصائصه، أكرمه الله تعالى به في أعقاب تلك المحن والبلايا التي صبت عليه بعد موت حبيبته الأولى مولاتنا خديجة رضي الله تعالى عنها، التي طالما أزرته ونصرته بجاهها وحسبها ومالها... فجاء الإسراء عقب ذلك تثبيتاً واطمئناناً وتسليّة له ﷺ .

(٢) هذه السورة سورة النجم مع أوائل سورة ﴿ سُبْحَانَ ﴾ جاء فيهما ذكر الإسراء والمعراج صراحة، فما قاله بعض المفتونين من المعاصرين بأن المعراج لم يرد به ذكر إلا في أخبار آحاد هو جهل منه وزيف، فماذا يقول وبماذا يجيب عن قوله تعالى في هذه السورة ﴿ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝١٣ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ ۝١٤ ﴾ [النجم : ١٣ ، ١٤] ، فأين جاءت سدرة المنتهى؟! أوليست فوق السموات عند جنة المأوى؟! وقد رأى النبي ﷺ جبريل هنالك على صفته الأصلية، فلندع عنا أمثال هؤلاء المبتدعة العقلانيين ولنسر في طريقنا .

منتشرة^(١)، رأينا أن نقدم أكملها ونشير إلى زيادة من غيره يجب ذكرها.

عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أوتيت بالبراق وهو دابة أبيض طويل فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه، قال: فركبته حتى أتيت بين المقدس فربطته بالحلقة التي يربط بها الأنبياء، ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين، ثم خرجت فجاءني جبريل عليه السلام بإناء من خمر وإناء من لبن فاخترت اللبن، فقال جبريل اخترت الفطرة.

ثم عرج بنا إلى السماء فاستفتح جبريل ف قيل: من أنت؟ قال جبريل. قال: ومن معك؟ قال محمد. قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه. ففتح لنا فإذا أنا بآدم ﷺ، فرحب بي ودعا لي بخير. ثم عرج بنا إلى السماء الثانية فاستفتح جبريل ف قيل: من أنت؟ قال جبريل. قال: ومن معك؟ قال محمد. قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه. ففتح لنا فإذا أنا بابني الخالة عيسى ابن مريم ويحيى بن زكريا - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِمْ وَعَلَى نَبِيِّنَا وَسَلَّم - ، فرحبا بي ودعوا لي بخير. ثم عرج بنا إلى السماء الثالثة فذكر مثل الأول، ففتح لنا، فإذا أنا بيوسف ﷺ، وإذا هو قد أعطي شطر الحسن فرحب بي ودعا لي بخير. ثم عرج بنا إلى السماء الرابعة، وذكر مثله، فإذا أنا بإدريس عليه السلام فرحب بي ودعا لي بخير، قال الله تعالى: ﴿ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾ ﴾ [مريم: ٥٧]. ثم عرج بنا إلى السماء الخامسة، فذكر مثله، فإذا أنا بهارون عليه السلام فرحب بي ودعا لي بخير. ثم عرج بنا إلى السماء السادسة، فذكر مثله، فإذا أنا بموسى عليه السلام فرحب بي ودعا لي بخير. ثم عرج

(١) قد جاء فيه وفي المعراج أحاديث فاقت التواتر، جمعها جماعة من الحفاظ، وقد أورد جملة منها ابن كثير في التفسير، وفي البداية والنهاية، وكذا الحافظ السيوطي في الخصائص الكبرى وغيرها.

بنا إلى السماء السابعة، فذكر مثله، فإذا أنا بإبراهيم عليه السلام مسندًا ظهره إلى البيت المعمور، وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه.

ثم ذهب بي إلى سدرة المنتهى، وإذا ورقها كأذان الفيلة وإذا ثمرها كالقلال، قال: فلما غشيها من أمر الله ما غشي تغيرت، فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها، فأوحى الله إليّ ما أوحى، ففرض عليّ خمسين صلاةً في كل يوم وليلة، فنزلت إلى موسى، فقال: ما فرض ربك عليّ أمتك؟ قلت خمسين صلاة. قال: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف؛ فإن أمتك لا يطيقون ذلك؛ فإنني قد بلوت بني إسرائيل وخبرتهم. قال: فرجعت إلى ربي، فقلت: يا رب خفف عن أمتي. فحط عني خمسًا. فرجعت إلى موسى فقلت: حط عني خمسًا. قال: إن أمتك لا يطيقون ذلك، فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف.

قال: فلم أزل أرجع بين ربي تعالى وبين موسى حتى قال: يا محمد إنهن خمس صلوات كل يوم وليلة لكل صلاة عشر، فتلك خمسون صلاة، ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة، فإن عملها كتبت له عشرًا، ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب شيئًا، فإن عملها كتبت سيئة واحدة. قال: فنزلت حتى انتهيت إلى موسى فأخبرته، فقال: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف، فقال رسول الله ﷺ: فقلت: قد رجعت إلى ربي حتى استحيت منه^(١).

قال القاضي رحمه الله تعالى جود ثابت رحمه الله تعالى هذا الحديث

(١) رواه أحمد ١٤٨/٣، ومسلم في الإيمان ٢/٢٠٩، ٢١٥، ٢١٧، ٢٢٥، وهو في البخاري في التوحيد من طريق شريك بن أبي نمر، وروايته هذه مطعون فيها.

عن أنس ما شاء، ولم يأت أحد عنه بأصوب من هذا، فروايته أتقن من غيره وأجود.

وقد وقعت في حديث الإسراء، زيادات نذكر منها نكتًا مفيدة في غرضنا.

منها: في حديث ابن شهاب عن أنس عن أبي ذر أن رسول الله ﷺ قال: «فرج سقف بيتي فنزل جبريل، ففرج صدري ثم غسله من ماء زمزم، ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة وإيمانًا فأفرغها في صدري، ثم أطبقه، ثم أخذ بيدي فخرج بي إلى السماء... وفيه قول كل نبي له: مرحبًا بالنبى الصالح والأخ الصالح. إلا آدم وإبراهيم فقالا له: والابن الصالح»^(١).

وفيه: عن ابن عباس: «ثم عرج بي حتى ظهرت بمستوى أسمع فيه صريف الأقدام»^(٢).

وفي حديث مالك بن صعصعة: «فلما جاوزته - يعني موسى - بكى فنودي: ما يبكيك؟ قال: رب، هذا غلام بعثته بعدي يدخل من أمتة الجنة أكثر مما يدخل من أمتي»^(٣).

وفي حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه: وقد رأيتني في جماعة من الأنبياء، فحانت الصلاة فأممتهم، فقال لي قائل: يا محمد، هذا مالك خازن النار فسلم عليه، فالتفت فبدأني بالسلام»^(٤).

(١) رواه البخاري في أول الصلاة وفي الأنبياء، ومسلم في الإيمان ٢/٢١٧، ٢٢٥.

(٢) رواه البخاري أول الصلاة ٧/٢، وفي الأنبياء، ومسلم في الإيمان ٢/١٢٠ وغيرهما.

(٣) رواه البخاري في المناقب، باب المعراج ٨/٢٠٠، وفي بدء الخلق في ذكر الملائكة، ومسلم في الإيمان ٢/٢٢٣.

(٤) رواه مسلم في الإيمان ٢/٢٣٧، ٢٣٨، وهو في البخاري في أحاديث الأنبياء ٧/٢٣٩، ٢٤٠ بلفظ آخر.

وفي حديث ابن مسعود رضي الله تعالى عنه: وانتهى بي إلى سدرة المنتهى وهي في السماء السادسة إليها ينتهي ما يعرج به من الأرض فيقبض بها، وإليها ينتهي ما يهبط من فوقها فيقبض منها، قال تعالى: ﴿إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى﴾ [النجم: ١٦]، قال: فراش من ذهب^(١).

وفي رواية قال: فأعطي رسول الله ﷺ ثلاثاً، أعطي الصلوات الخمس، وأعطي خواتيم سورة البقرة، وغفر لمن لا يشرك بالله شيئاً من أمته المقحّمات^(٢).

الإسراء كان بالجسم والروح يقظة

الصحيح والحق الذي ذهب إليه معظم السلف والخلق والمحققين أن إسراءه ﷺ كان يقظة بجسده وروحه. وعليه تدل الآية الكريمة ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾ [الإسراء: ١]، وصحيح الأخبار والاعتبار، ولا يعدل عن الظاهر إلى التأويل إلا عند الاستحالة، وليس في الإسراء

(١) مسلم في الإيمان ٢/٣، ٣.

(٢) نفس المرجع السابق.

بيان ما جاء في هذه الأحاديث من المفردات:

قوله: «البراق» هو: دابة كان معداً لركوب الأنبياء. قوله: «اخترت الفطرة» أي: الطريقة التي فطر الله عليها خلقه، وهي التوحيد. قوله: «فرحب بي»، أي: قال لي: مرحباً. قوله: «شطر الحسن»، أي: نصف حسن ما أعطيه بنو آدم، وقد كان في منتهى الجمال. قوله: «غشيها»، أي: غطاها من أنوار الله. قوله: «قد بلوت»، أي: اختبرت، قوله: «بمستوى»، أي: مكان مرتفع في فضاء مستوي. قوله: «صريف الأقلام»، أي: صوت حركتها وجريانها على المخطوط فيه مما تكتبه الملائكة.

وفي هذه الأحاديث من فضائل نبينا ﷺ وعظيم منزلته ما لا يخفى على من أمعن فيها.

بجسده وحال يقظته استحالة؛ إذ لو كان منامًا لقال: بروح عبده ولم يقل بعبده. وقوله تعالى: ﴿ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى ﴾ [النجم: ١٧]، والبصر من الجسم وليس روحًا.

ثم لو كان منامًا لما كانت فيه آية ولا معجزة، ولما استبعده الكفار، ولا كذبوه فيه، ولا ارتد به ضعفاء من أسلم وافتتنوا؛ به إذ مثل هذا من المنامات لا ينكر، بل لم يكن ذلك منهم إلا وقد علموا أن خبره إنما كان عن جسمه وحال يقظته. . . إلى ما ذكر في الحديث من ذكر صلواته بالأنبياء ببيت المقدس في رواية أنس، وفي السماء على ما روى غيره، وذكر مجيء جبريل له بالبراق، وخبر المعراج، واستفتاح السماء فيقال: ومن معك؟ فيقول: محمد. ولقائه الأنبياء فيهم وخبرهم معه وترحيبهم به، وشأنه في فرض الصلاة ومراجعتهم مع موسى في ذلك، وقوله: فأخذ جبريل بيدي فخرج بي إلى السماء ثم عرج بي حتى ظهرت بمستوى أسمع فيه صريف الأقلام، وأنه وصل إلى سدرة المنتهى، وأنه دخل الجنة ورأى فيها ما ذكره.

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عنه عليه السلام قال: «لقد رأيتني في الحجر وقريش تسألني عن مسراي، فسألني عن أشياء لم أثبتها فكُربت كُربًا ما كُربتُ مثله قط، فرفعه الله لي أنظر إليه^(١)».

هل رأى رسول الله عليه السلام ربه ليلة الإسراء

اختلف العلماء من الصحابة فمن بعدهم في رؤيته عليه السلام، ربه فأنكرته أم المؤمنين مولاتنا عائشة رضي الله تعالى عنها.

(١) تقدم تخريجه وأنه بهذا اللفظ عند مسلم في الإيمان. انظر ص ١٧٢.
قوله: «لم أثبتها»، هو بضم الهمزة وسكون الثاء وكسر الباء، أي: لم أتحققها.
وقوله: «فكُربتُ» بضم الكاف، أي: حصلت لي كربة ودخلني غم. [وهذا عند سؤالهم له عن وصف المسجد الأقصى].

فمن مسروق رحمه الله تعالى أنه قال لعائشة رضي الله تعالى عنها: يا أم المؤمنين هل رأى محمد ربه؟ فقالت: لقد قف شعري مما قلت!! ثلاث من حدثك بهن فقد كذب: من حدثك أن محمداً رأى ربه فقد كذب، ثم قرأت: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْآبْصَارُ﴾ [الأنعام: ١٠٣]، وذكر الحديث^(١).

وقال جماعة بقول عائشة رضي الله تعالى عنها، وهو المشهور عن ابن مسعود. وقال بإنكار هذا وامتناعه في الدنيا جماعة من المحدثين والفقهاء والمتكلمين^(٢).

وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنه أنه رآه بعينه^(٣)، وهو المشهور عنه.

وقال: إن الله اختص موسى بالكلام وإبراهيم بالخلعة ومحمد بالرؤية^(٤).

(١) أسنده من طريق مسلم وهو عنده في الإيمان ٨/٣، ١٠، وأخرجه البخاري في بدء الخلق ٧/١٢٥، وفي تفسير سورة النجم ١٠/٢٢٩، ٢٣٠.

(٢) لقوله ﷺ: «واعلموا أنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا». رواه مسلم وغيره.

(٣) في المسند ١/٢٨٥، ٢٩٠ عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «رأيت ربي عز وجل...» وسنده صحيح في طريق له، وفي المسند ١/٢٢١، وفي تفسير سورة بني إسرائيل من صحيح البخاري ١٠/١٣ عنه في قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ﴾ [الإسراء: ٦٠]، قال: هي رؤيا عين أريها رسول الله ﷺ ليلة أسري به.. وجاء عنه في قوله تعالى: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾ [النجم: ١١، و ١٣]، قال: رآه بفؤاده مرتين. رواه مسلم في الإيمان ٧/٣.

(٤) رواه ابن خزيمة في التوحيد ص ١٣٠، والحاكم ٤٦٩/٢ بإسناد صحيح، ولفظه: أتعجبون أن تكون الخلعة لإبراهيم، والكلام لموسى، والرؤية لمحمداً؟! وابن خزيمة ممن يرجح الرؤية بعيني الرأس.

وعن معاذ رضي الله تعالى عنه النبي ﷺ قال: «رأيت ربي - وذكر كلمة - فقال: يا محمد فيم يختصم الملاء الأعلى...» الحديث (١).

وبالرؤية قال عكرمة والحسن البصري وكان يحلف على ذلك. وروى ذلك أيضاً عن ابن مسعود وأبي هريرة وهو قول أحمد بن حنبل، فقد قال: أنا أقول بحديث ابن عباس: بعينه رآه رآه... حتى انقطع نفسه. وروى عنه غير ذلك. وقال أبو الحسن الأشعري رحمه الله تعالى وجماعة من أصحابه: أنه رأى الله تعالى ببصره وعيني رأسه، وقال: كل آية أوتيها نبي من الأنبياء عليهم السلام فقد أوتي مثلها نبينا ﷺ، وخص من بينهم بتفضيل الرؤية (٢).

قال القاضي عياض رحمه الله تعالى (٣): ووقف بعض مشايخنا في هذا وقال: ليس لذلك دليل واضح، ولكنه جائز أن يكون.

قال عياض: والحق الذي لا امتراء فيه أن رؤيته تعالى في الدنيا جائزة عقلاً، وليس في العقل ما يحيلها، والدليل على جوازها في الدنيا سؤال موسى عليه السلام لها، ومحال أن يجهل نبي ما يجوز على الله وما لا يجوز عليه، بل لم يسأل إلاً جائزاً غير مستحيل، ولكن وقوعه ومشاهدته من الغيب

(١) رواه أحمد ٢٤٣/٥، والترمذي في تفسير سورة ص رقم ٣٠٢٣، والحاكم ٥٢١/١، وصححه البخاري والترمذي وغيرهما، وهو عندهم مطولاً، لكن ذلك كان في المنام فإنه جاء فيه: «فنعست في صلاتي فاستثقلت، فإذا أنا بربي تبارك وتعالى في أحسن صورة...» الحديث. ونحوه عن ابن عباس عند أحمد والترمذي بسند صحيح.

(٢) انظر مذاهب العلماء وأقوالهم في ذلك: عند النووي في شرح مسلم ٤/٣، ٥، وفي فتح الباري للحافظ ابن حجر ١٠/٢٣٠، ٢٣١.

(٣) وما ذكر هنا نقله عنه النووي في شرح مسلم ٤/٣ أيضاً ببعض تغيير.

الذي لا يعلمه إلا مَنْ علمه الله . . . فقال له الله تعالى : ﴿ لَنْ تَرِنِّي ﴾ [الأعراف : ١٤٣] ، أي : لن تطيق ولا تحتمل رؤيتي . ثم ضرب له مثلاً مما هو أقوى من بنية موسى وأثبت وهو الجبل .

وكل هذا ليس فيه ما يحيل رؤيته في الدنيا بل فيه جوازها على الجملة ، وليس في الشرع دليل قاطع على استحالتها ولا امتناعها ، إذ كل موجود فرؤيته جائزة غير مستحيلة ولا حجة لمن استدل على منعها بقوله تعالى : ﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ ﴾ [الأنعام : ١٠٣] ، لاختلاف التأويلات في الآية / وقد قيل فيها : لا تحيط به الأبصار . وهو قول ابن عباس . وكذا قوله تعالى : ﴿ لَنْ تَرِنِّي ﴾ فإن معناه : ليس لبشر أن يطيق أن ينظر إليّ في الدنيا ، وأنه من نظر إليّ مات ؛ بدليل ما حصل للجبل عند التجلي له .

وقال مالك رحمه الله : لم ير في الدنيا ؛ لأنه باق ، ولا يرى الباقي بالفاني ، فإذا كان في الآخرة ورزقوا أبصاراً باقية رؤى الباقي بالباقي .

وهذا الكلام حسن ؛ لكنه لا دليل فيه على الاستحالة إلا من حيث ضعف القوة ، فإذا قوى الله تعالى من شاء من عباده وأقدّره على حمل أعباء الرؤية لم تمتنع في حقه .

وبالجملة فليس في العقل ما يمنع من الرؤية في الدنيا ، وليس هناك دليل قاطع بمنعها ولا بثبوتها لنبينا ﷺ ، فالأولى الإمساك عن ذلك وتفويض أمرها إلى عالم الغيب والشهادة^(١) .

(١) وقد رجّح القرطبي في المفهم القول بالوقف في هذه المسألة ، وعزاه لجماعة من المحققين ، وقواه بأنه ليس في الباب دليل قاطع ، وغاية ما استدل به للطائفتين ظواهر متعارضة قابلة للتأويل . . . إلخ ، نقله في الفتح .
قال الحافظ : وجنح ابن خزيمة في كتاب التوحيد ص ١٢٩ فما بعدها إلى ترجيح الإثبات ، وأطنب في الاستدلال له بما يطول ذكره ، وحمل ما ورد عن ابن عباس =

المناجاة والدنو الواردان في قصة الإسراء

أما ما ورد في هذه القصة من مناجاته ﷺ وكلامه معه بقوله: ﴿ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ﴾ [النجم: ١٠]، إلى ما تضمنته الأحاديث؛ فأكثر المفسرين^(١) على أن الموحى هو الله عزَّ وجلَّ إلى جبريل وجبريل إلى الحبيب محمد ﷺ.

وذهب آخرون^(٢) إلى أنه ﷺ كلمه الربُّ عز وجل وناجاه بلا واسطة جبريل.

قال القاضي رحمه الله تعالى: وكلام الله تعالى لحبيينا محمد ﷺ ومن اختصه من أنبيائه: جائز غير ممتنع عقلاً، ولا ورد في الشرع قاطع يمنع، فإن صح في ذلك خبر اعتمد عليه. وكلامه لموسى عليه السلام كائن حق مقطوع به نص ذلك في الكتاب، وأكدته بالمصدر دلالة على الحقيقة، فقال

على أن الرؤيا وقعت مرتين: مرة بعينه ومرة بقلبه... إلخ.

وكذا رجح القول بالرؤية النووي رحمه الله تعالى في شرح مسلم ٥/٣، ونسبه لأكثر العلماء، فقال بعد ذكر أقوال أهل العلم: فالحاصل أن الراجح عند أكثر العلماء أن رسول الله ﷺ رأى ربه بعيني رأسه ليلة الإسراء؛ لحديث ابن عباس وغيره مما تقدم، وإثبات هذا لا يأخذونه إلا بالسمع من رسول الله ﷺ، هذا مما لا ينبغي أن يتشكك فيه... إلخ.

(١) وهو الذي استصوبه شيخ المفسرين ابن جرير ٤٧/٢٦، وصححه ابن كثير ٤٤٧/٦.

(٢) نقل هذا عن سعيد بن جبير وغيره، وعلى كلا التفسيرين لا ينافي مناجاته ﷺ ومكالمته لربه في هذه الليلة، بل حديث أنس وغيره ظاهر في ذلك، حيث إنه جعل يتردد بين موسى وبين ربه ويطلب التخفيف على أمته من شأن الصلاة كما تقدم، حتى خاطبه بقوله: ﴿ مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلَ لَدِيَّ ﴾، وقال له: يا محمد إنهن خمس صلوات كل يوم وليلة... إلخ.

تعالى: ﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴾ [الأنعام: ١٦٤]، ورفع مكانه على ما ورد في الحديث - في السماء السادسة بسبب كلامه، ورفع حبيبنا محمداً ﷺ فوق هذا كله حتى بلغ مستوى وسمع صريف الأقلام، فكيف يستحيل في حقه هذا أو يبعد سماع الكلام؟! فسبحان من خص من شاء بما شاء، وجعل بعضهم فوق بعض درجات.

وأما ما ورد في ظاهر الآية من الدنو والقرب من قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ دَنَا فَدَدَّنَا ﴾ [النجم: ٨، ٩]، فأكثر المفسرين^(١) أن الدنو والتدلي منقسم ما بين محمد وجبريل عليهما السلام، أو مختص بأحدهما من الآخر أو من سدرة المنتهى.

قال الرازي^(٢): وقال ابن عباس: هو محمد، دنا فتدلى من ربه. وقيل: معنى دنا: قرب وتدلى: زاد في القرب. وقيل غير ذلك.

قال القاضي رحمه الله تعالى: اعلم أن ما وقع من إضافة الدنو والقرب هنا من الله أو إلى الله فليس بدنو مكان ولا قرب غاية، بل دنوه ﷺ من ربه وقربه منه على القول الثاني: إبانة عظيم منزلته وتشريف رتبته وإشراق أنوار معرفته ومشاهدة أسرار غيبه وقدرته، ومن الله تعالى له مبرة وتأنيس وبسط وإكرام. ويتأول فيه ما يتأول في قوله: «ينزل ربنا إلى سماء

(١) بهذا القول صدّر ابن جرير جازماً به ونسبه لأهل التأويل، وأسنده عن الحسن وقتادة والربيع ٤٤/٢٦ وهو قول الجمهور من أهل التفسير.

(٢) لم أر هذا النقل عند الرازي في تفسيره لهذه الآية، وقد أخرجه عن ابن عباس ابن جرير ٤٥/٢٦، وجاء في حديث أنس في قصة الإسراء من طريق شريك بن أبي نمر... «ودنا الجبار رب العزة فتدلى حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى فأوحى الله إليه ما شاء...» الحديث. لكن العلماء تكلموا في هذه الرواية رغم أنها في الصحيح.

الدنيا»^(١) على أحد الوجوه نزول إفضال وإجمال وقبول وإحسان . . . وهكذا يقال في قوله: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾ [النجم: ٩]، على من جعل الضمير عائداً إلى الله لا إلى جبريل، فهو كحديث: «من تقرب مني شبراً تقربت منه ذراعاً . . .» الحديث^(٢)، فذهب السلف حملة على ظاهره مع التفويض. ومذهب الخلف تأويله بما يليق من التنزيه لله عزَّ وجلَّ.

تفضيله ﷺ في القيامة بخصوص الكرامة

عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا أول الناس خروجاً إذا بعثوا، وأنا خطيبهم إذا وفدوا، وأنا مبشرهم إذا أيسوا، لواء الحمد بيدي، وأنا أكرم ولد آدم على ربي ولا فخر»^(٣).

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ قال: «أنا أول من

-
- (١) أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما من حديث أبي هريرة، وله ألفاظ.
(٢) أخرجه أيضاً البخاري في التوحيد، ومسلم في الذكر ١١/١٧ من حديث أبي هريرة، وأوله عنه ﷺ، قال الله عز وجل: «إذا تقرب عبدي . . . إلخ. وهذا وأمثاله مما يجب الإيمان به وأن لا يفسر ولا يؤول مع تنزيه الله تعالى عما لا يليق به ونفي التشبيه عنه بخلقه.

خاتمة

في قصة الإسراء والمعراج من الآيات والخصائص النبوية والفوائد والعبر الشيء الكثير، فيا ليت لو وُجدَ من أهل العلم والتحقيق من يتتبع أخباره في السنة المطهرة الصحيحة باستيعاب ويشرحها ويستخرج ما فيها من كنوز وحكم وأسرار ويخرجها للمسلمين عسلاً مصفى، مع العلم بأن هناك من ألف في الموضوع من الأقدمين والمعاصرين، لكنهم لم يستوعبوا ولم يأتوا بكل ما في القصة كاملاً، وبالله المستعان وعليه التكلان.

- (٣) تقدم أن الترمذي أخرجه وأنه حسن لغيره. انظر: ص ١٦٣.

تنشق عنه الأرض فأكسى الحلة من حلل الجنة، ثم أقوم عن يمين العرش،
ليس أحد من الخلائق يقوم ذلك المقام غيري»^(١).

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة وبيدي لواء الحمد ولا فخر، وما من نبي يومئذ آدم فمن سواه إلاّ تحت لوائي، وأنا أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر»^(٢).

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عنه صلى الله تعالى قال: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة وأول من ينشق عنه القبر، وأول شافع وأول مشفع»^(٣).

وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما عنه ﷺ قال: «أنا حامل لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر، وأنا أول شافع وأول مشفع ولا فخر، وأنا أول من يحرك حلق الجنة فيفتح لي فأدخلها فيدخلها معي فقراء المؤمنين ولا فخر، وأنا أكرم الأولين والآخرين ولا فخر»^(٤).

وعن أنس رضي الله تعالى عنه عنه ﷺ قال: «أنا أول الناس يشفع في الجنة وأنا أكثر الناس تبعاً»^(٥).

ومحيطه قال: قال النبي ﷺ: «أنا سيد الناس يوم القيامة، وتدرّون لم

النبي ﷺ

- (١) رواه الترمذي في المناقب ٣٣٧٩ بتهذيبي، وحسنه وصححه.
- (٢) رواه الترمذي ٣٣٨٩، وأحمد ٢/٤، وابن ماجه في الزهد ٤٣٠٨ وسنده حسن، وقد تقدم ص ١٦٣.
- (٣) رواه مسلم في الفضائل ٣٧/١٥.
- (٤) رواه الترمذي في المناقب ٣٣٩١، والدارمي ٤٨، وروى بعضه أحمد ٢٨١/١، ٢٨٢ في حديث الشفاعة، وهو حسن لغيره.
- (٥) رواه مسلم في الإيمان ٧٣/٣.

ذلك؟ يجمع الله الأولين والآخرين». وذكر حديث الشفاعة^(١).

فقوله ﷺ: أنا سيد الناس يوم القيامة، هو سيدهم في الدنيا ويوم القيامة، ولكن أشار ﷺ لانفراده فيه بالسؤدد والشفاعة دون غيره؛ إذ لجأ الناس إليه في ذلك فلم يجدوا سواه، والسيد هو الذي يلجأ الناس إليه في حوائجهم فكان حينئذ سيداً منفرداً من بين البشر لم يزاخمه أحد في ذلك ولا ادعاه كما قال تعالى: ﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [غافر: ١٦]، والملك له تعالى في الدنيا والآخرة، لكن في الآخرة انقطعت دعوى المدعين لذلك في الدنيا. وكذلك لجأ إلى رسولنا محمد ﷺ جميع الناس في الشفاعة فكان سيدهم في الأخرى من دون دعوى^(٢).

وعن أنس رضي الله تعالى عنه: قال رسول الله ﷺ: «آتي باب الجنة يوم القيامة فأستفتح، فيقول الخازن: من أنت؟ فأقول: محمد. فيقول: بك

(١) هذا حديث أبي هريرة وهو عند البخاري في تفسير سورة بني إسرائيل وغيره، ومسلم في الإيمان ٦٥/٣ فما بعدها، أما حديث أنس فرواه مسلم في الإيمان ٦٢، ٥٩، ٥٣/٣.

(٢) في هذه الأحاديث المذكورة في هذا الفصل من فضائل نبينا وخصائصه ﷺ ما لا يخفى، ففيها أنه أول من يقوم من قبره عند البعث، وأنه خطيب الخلائق في ذلك اليوم، وأنه الذي يأتيهم بالبشارة من عند الله إذا حصل لهم بأس من الفرج، وأن لواء الحمد والكرامة بيده يومه، وأنه أكرم بني آدم على الله، وأنه سيقوم عن يمين العرش في مقام لا يقوم فيه غيره، وأن كل الأنبياء سيكونون تحت لوائه، وأنه أول شافع وأول مُشَفَّع، وأول من يدخل الجنة ويشفع فيها، وأنه أكثر الناس تبعاً، وأنه سيقوم المقام المحمود الذي يحمده فيه الأولون والآخرون... كل ذلك حدث به عن نفسه تحدثاً بنعمة الله تعالى لا تفاخراً منه ولا إعجاباً ولا احتقاراً لغيره من إخوانه الأنبياء، صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين.

أمرت أن لا أفتح لأحد قبلك»^(١).

حوض نبينا ﷺ

عن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «حوضي مسيرة شهر، وزواياه سواء، وماؤه أبيض من الورق، وريحه أطيب من المسك، كيزانه كنجوم السماء، من شرب منه لم يظمأ أبداً»^(٢).
وعن أبي ذر نحوه وقال: «طوله ما بين عمان إلى أيلة يشخب فيه ميزابان من الجنة»^(٣).
وعن ثوبان مثله، وقال: «أحدهما من ذهب والآخر من ورق»^(٤).
وعن حارثة بن وهب: «كما بين المدينة وصنعاء»^(٥).

-
- (١) رواه أحمد ١٣٦/٣، ومسلم في الإيمان ٧٣/٣: فيه أنه ﷺ أول من يدخل الجنة إطلاقاً وهذه مزية وخصيصة عظيمة.
- (٢) رواه البخاري في الرقاق ٢٦٦/١٤، ٢٦٩، ومسلم في الفضائل ٥٥/١٥، وابن حبان ٦٤٥٣ بالإحسان وغيرهم.
- وقوله: «وزواياه... إلخ، معناه: أن طوله وعرضه سواء، و«الورق»، بكسر الراء: الفضة. وفي رواية: «أبيض من الثلج». «كيزانه»: في رواية: «أباريق». وفي أخرى: «أنيته أكثر من عدد نجوم السماء وكواكبها». «لم يظمأ»، أي: لم يعطش بعد.
- (٣) رواه مسلم ٦١/١٥، ٦٢.
- «عمان»، بضم العين وتخفيف الميم: إمارة معروفة، وقد أخطأ من ضبطه بفتح العين وتشديد الميم، وهي عاصمة الأردن. وأيلة: مدينة بفلسطين على البحر. «يشخب» بفتح الياء والخاء، أي: يصب فيه.
- (٤) رواه مسلم ٦٢/١٥، وابن حبان ٦٤٥٥، وابن أبي شيبة ٤٤٣/١١، و١٤٦/١٣.
- (٥) رواه البخاري في الرقاق ٢٧٤/١٤، ومسلم ٦٠/١٥. صنعاء: هي عاصمة اليمن، مدينة مشهورة تاريخية.

وقال أنس: «أيلة وصنعاء»^(١).

وقال ابن عمر: «كما بين الكوفة والحجر الأسود»^(٢).

وأحاديث الحوض رواها غير ما تقدم ابن مسعود، وسهل بن سعد، وأبو سعيد الخدري، وحذيفة، وجابر بن سمرة، وعقبة وغيرهم رضي الله تعالى عنهم^(٣).

(١) رواه البخاري ٢٧٠/١٤، ومسلم ٦٤/١٥، وابن حبان ٦٤٥٩.

(٢) الذي في البخاري ٢٦٦/١٤، ومسلم ٦١/١٥: أمامكم حوض كما بين جرباء وأذرح - وهما قريتان بالشام بينها ثلاث ليال - وقد ذكر غير واحد أنه وقع في هذه الرواية حذفًا من بعض الرواة، وقالوا: إن الصواب عرضه مثل ما بينكم وبين جرباء وأذرح. أفاده الحافظ في الفتح. أما رواية المصنف فلم أرها.

(٣) كلها عند البخاري في الرقاق، ومسلم في الفضائل، غير حديثي عائشة وجابر بن سمرة فتفرد بهما مسلم، وفي الباب عن جماعة آخرين لم نذكرهم اختصارًا، فهي متواترة.

خلاصة أحاديث الحوض

الحوض هو غير الكوثر، فالأول هو الذي جاءت فيه تلك الأحاديث الكثيرة الوارد فيها أن أقوامًا سيطردون عنه، وهم الذين ارتدوا بعده من أهل القبائل العربية، كما هو معروف، وهذا الحوض غير مختص بنبينا ﷺ، بل جاء في سنن الترمذي وغيره: «لكل نبي حوض».

وجملة ما جاء في الأحاديث أن حوض نبينا ﷺ مسيرته مقدار شهر أو نحو ذلك، وأن طوله وعرضه سواء، وأن ماءه أبيض من الورق أو الثلج، وأطيب من المسك، وأحلى من العسل. كيزانه وأوانيه أكثر من عدد النجوم، وأنه يمد من الجنة بميزابان. ومن شرب منه لا يظمأ بعده أبدًا. والصحيح أنه قبل الصراط.

أما الكوثر فهو نهر في الجنة، وهو المختص بنبينا ﷺ، وفيه جاءت السورة الكريمة يمتن فيها تعالى عليه ﷺ، فعن أنس رضي الله تعالى عنه قال: بينا رسول الله ﷺ ذات يوم بين أظهرنا إذ أغفى إغفاءً، ثم رفع رأسه متبسّمًا، فقلنا: =

تفضيله ﷺ بالمحبة والخلة

جاءت بهذا الآثار الصحيحة، واختص على السنة المسلمين بحبيب الله .

فعن أبي سعيد رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «لو كنت متخذاً خليلاً غير ربي لاتخذت أبا بكر» .

وفي حديث آخر: «وإن صاحبكم خليل الله» .

ما أضحكك يا رسول الله؟ قال: «أنزلت عليّ آناً سورة، فقرأ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَكَ الْكَوْثَرَ﴾ ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ﴾ ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ [الكوثر: ١ - ٣]، قال: أتدرون ما الكوثر؟ فقلنا: الله ورسوله أعلم، فإنه نهر وعدنيه ربي عز وجل عليه خير كثير، وهو حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة آيته عدد النجوم». الحديث رواه أحمد ١٠٢/٣، ١٦٤، ٢٣٦، ومسلم ١١٢/٤، وأبو داود ٧٨٤ كلاهما في الصلاة، والنسائي في التفسير ٥٢٣/٦، وفي رواية لأحمد والترمذي في التفسير ٣١٤١: عنه ﷺ: «رأيت نهراً في الجنة حافتاه قباب اللؤلؤ، فقلت: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الكوثر الذي أعطاك الله عز وجل». وأصله في صحيح البخاري في التفسير ٣٦٢/١٠، والترمذي ٣١٤١ في حديث الإسراء. وعن عائشة رضي الله تعالى عنها أنها سئلت عن قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَكَ الْكَوْثَرَ﴾ [الكوثر: ١]، قالت: هو نهر أعطيه نبيكم ﷺ، شاطئاه عليه درّ مجوف آيته كعدد النجوم. رواه البخاري ٣٦٢/١٠، والنسائي ٥٢٣/٦ كلاهما في التفسير.

وقد اتفق أهل السنة على وجوب الإيمان بكل من الحوض والكوثر، لا أحرمنا الله وأحببنا ومشائخنا وجميع المؤمنين من الشرب منهما آمين .

ملحوظة: جاء في حديث أنس المذكور في الكوثر طرد المرتدين عن الحوض... إلخ. ولا شك أن ذلك إدراج حديث في حديث، فإن الطرد سيكون عن الحوض خارج الجنة قبل الصراط ولا معنى لطردهم من الكوثر داخل الجنة، والله أعلم.

وعن ابن مسعود: «وقد اتخذ الله صاحبكم خليلاً»^(١).

وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: جلس ناس من أصحاب النبي ﷺ ينتظرونه، قال: فخرج حتى إذا دنا منهم سمعهم يتذاكرون، فسمع حديثهم، فقال بعضهم: عجباً إن الله اتخذ إبراهيم من خلقه خليلاً. وقال آخر: ما هذا بأعجب من كلام موسى؛ كلمه الله تكليماً. وقال آخر: فعيسى كلمة الله وروحه. وقال آخر: آدم اصطفاه الله. فخرج عليهم فسلم وقال: «قد سمعت كلامكم وعجبكم؛ إن الله اتخذ إبراهيم خليلاً وهو كذلك، وموسى نجي الله وهو كذلك، وعيسى روح الله وهو كذلك، وآدم اصطفاه الله وهو كذلك، ألا وأنا حبيب الله ولا فخر، وأنا أكرم الأولين والأخريين ولا فخر»^(٢).

قال القاضي رحمه الله تعالى: اختلف في تفسير الخلة وأصلها. فقيل: الخليل المنقطع إلى الله الذي ليس في انقطاعه إليه ومحبته له اختلال. وقيل: الخليل: المختص. واختار هذا غير واحد. وقال بعضهم: أصل الخلة

(١) حديث أبي سعيد رواه أحمد ١٨/٣، والبخاري في الصلاة، وفي الفضائل ١٢/٨، ١٣، ١٤، ومسلم كذلك ١٤٩/١٥، ١٥٠، ١٥١، والترمذي في المناقب ٣٤٣٣ وابن حبان ٦٥٩٤ وغيرهم مطولاً في خطبة له ﷺ آخر حياته. والحديث الآخر رواه أحمد ٤٧٨/٣، والترمذي في المناقب ٣٤٣٢ عن أبي المعلى مطولاً أيضاً.

أما حديث ابن مسعود فأخرجه أحمد ١/٣٧٧، ٣٨٩، ٤٠٩، ٤٣٣، ومسلم في الفضائل ١٥/١٥١، ١٥٢، ١٥٣، وابن ماجه في المقدمة ٩٣ وغيرهم. ويلاحظ أن أحاديث الخلة متواترة.

(٢) رواه الترمذي ٣٣٩١، والدارمي ٤٨ وهو وإن كان في سنده زمعة بن صالح، وفيه ضعف، فقد روى له مسلم مقروناً بغيره، والحديث معناه صحيح يشهد له القرآن، وأواخره تقدم أنه حسن.

الاستصفاء، وسمي إبراهيم خليل الله؛ لأنه يوالي فيه ويعادي فيه .
وخلة الله له نصره وجعله إماماً لمن بعده . وقيل : الخليل أصله الفقير
المحتاج المنقطع ، مأخوذ من الخلة ، وهي الحاجة ، فسمي بها إبراهيم لأنه
قصر حاجته على ربه ، وانقطع إليه بهمه ، ولم يجعله قبل غيره ، إذ جاءه
جبريل وهو في المنجنيق ليرمى به في النار فقال : ألك حاجة؟ قال : أما
إليك فلا .

وقال أبو بكر بن فورك : الخلة : صفاء المودة التي توجب الاختصاص
بتخلل الأسرار . وقال بعضهم : أصل الخلة المحبة ، ومعناها : الإسعاف
والإلطف والترفيح والتشفيح . وقد بين ذلك في كتابه تعالى بقوله : ﴿ وَقَالَتِ
الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاؤُاَ لِلّٰهِ وَأَحِبُّوْهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ ﴾ [المائدة :
١٨] ، فأوجب للمحبوب أن لا يؤاخذ بذنوبه . قال : هذا ، والخلة أقوى من
البنوة ، لأن البنوة قد تكون فيها العداوة كما قال تعالى : ﴿ إِنْ مِنْكُمْ مِنْ
أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ ﴾ [التغابن : ١٤] .

ولا يصح أن تكون عداوة مع خلة ، فإذا تسمية إبراهيم ومحمد عليهما
الصلاة والسلام بالخلة إما لانقطاعهما إلى الله ووقف حوائجهما عليه
والانقطاع عن دونه والإضراب عن الوسائط والأسباب ، أو لزيادة
الاختصاص منه تعالى لهما وخفي إطفاه عندهما ، وما خال بواطنهما من
أسرار إلهية ومكتون غيوبة ومعرفة ، أو لاستصفائه لهما واستصفاء قلوبهما
عن سواه حتى لم يخال لهما حب لغيره ؛ ولهذا قال بعضهم : الخليل من
لا يتسع قلبه لسواه . وهو عندهم معنى قوله ﷺ : «ولو كنت متخذاً خليلاً
لاتخذت أبا بكر خليلاً ، لكن أخوة الإسلام»^(١) .

(١) تقدم ص ١٨٥ ، ١٨٦ .

واختلف العلماء أرباب القلوب: أيهما أرفع درجة الخلّة أو درجة المحبة؟ فجعلهما بعضهم سواء، فلا يكون الحبيب إلاّ خليلاً، ولا الخليل إلاّ حبيباً، لكنه خص إبراهيم بالخلّة ومحمداً بالمحبة. وبعضهم قال: درجة الخلّة أرفع، واحتج بقوله ﷺ: «لو كنت متخذاً خليلاً غير ربي عز وجل...»^(١) فلم يتخذه. وقد أطلق المحبة لبنته فاطمة وابنيها وأسامة^(٢) وغيرهم رضي الله تعالى عنهم. وأكثرهم جعل المحبة أرفع من الخلّة؛ لأن درجة الحبيب نبينا أرفع من درجة الخليل إبراهيم عليهما الصلاة والسلام.

(حسنة)

وأصل المحبة: الميل إلى ما يوافق المحب، ولكن هذا في حق من يصح الميل منه والانتفاع بالوفوق، وهي درجة مخلوق، فأما الخالق فمنزّه عن الأغراض؛ فمحبته لعبده تمكينه من سعادته وعصمته وتوفيقه وتهيئة أسباب القرب وإفاضة رحمته عليه، وقصواها كشف الحجب عن قلبه حتى يراه بقلبه وينظر إليه ببصيرته فيكون كما قال في الحديث: «فإذا أحببته كنت سمعه

(١) تقدم ص ١٨٥.

(٢) أما محبة فاطمة رضي الله تعالى عنها، فعن بريدة رضي الله تعالى عنه قال: كان أحب النساء إلى رسول الله ﷺ فاطمة. رواه الترمذي ٣٦٣٦، والحاكم ٥٥/٣، وصححه ووافقه الذهبي. وأما الحسنان رضي الله تعالى عنهما، فعن البراء رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ أبصر حسناً وحسيناً فقال: «اللّهُمَّ إني أحبهما فأحبهما»، رواه الترمذي ٣٥٥٤ وحسنه وصححه وجاء عنه أنه قال في الحسن: «اللّهُمَّ إني أحبه فأحبه»، رواه البخاري ٩٦/٨، ومسلم ١٩٣/١٥، ١٩٤، والترمذي ٣٥٥٦، كلهم في المناقب، وفضائل الصحابة. وأما أسامة رضي الله تعالى عنه، فعنه أن النبي ﷺ كان يأخذه والحسن فيقول: «اللّهُمَّ أحبهما فإني أحبهما». رواه البخاري في الفضائل ٨/٨٩، ٩٠، ٩٦، وفي الأدب ٤٠/١٣، ٤١، والنسائي في الكبرى ٨١٧١ وغيرهما.

الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ولسانه الذي ينطق به»^(١)، ولا ينبغي أن يفهم من هذا سوى التجرد لله والانقطاع إلى الله والإعراض عن غير الله وصفاء القلب لله وإخلاص الحركات لله، كما قالت عائشة رضي الله تعالى عنها: كان خلقه القرآن^(٢).

فإذا مزية الخلعة وخصوصية المحبة حاصلة لنبينا محمد ﷺ بما دلت عليه الآثار الصحيحة المنتشرة المتلقاة بالقبول من الأمة، وكفى بقوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ . . . ﴾ الآية [آل عمران: ٣١]. حكى أهل التفسير أن هذه الآية لما نزلت قال الكفار: إنما يريد محمد أن نتخذه حناناً كما اتخذت النصارى عيسى ابن مريم. فأنزل الله رغماً على مقاتلتهم وغيظاً لهم هذه الآية: ﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ ﴾ [آل عمران: ٣٢]. فزاده الله شرفاً بأمرهم بطاعته، وقرنها بطاعته، ثم توعدهم على التولي عنه بقوله تعالى: ﴿ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكٰفِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٣٢].

ولنستمع إلى الفوارق التي فرق الله بها بين خليله إبراهيم وبين حبيبه محمد عليهما الصلاة والسلام. فذكر في الخليل أنه قال: ﴿ وَالَّذِي أَدْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خِطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴾ [الشعراء: ٨٢].

وقال في الحبيب: ﴿ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ [الفتح: ٢].

والخليل قال: ﴿ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُعْتَبُونَ ﴾ [الشعراء: ٨٧].

(١) أخرجه البخاري في الرقاق في باب التواضع ١٤/١٢٥، ١٣١، مطولاً من حديث أبي هريرة، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: هو أصح حديث في الأولياء. . . وهو من أفراد البخاري عن باقي الجماعة، وما قاله الذهبي فيه مدفوع بما ذكره الحافظ في الفتح ١٤/١٢٦.

(٢) تقدم ص ٦٤.

والحبيب قيل له: ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ﴾ [التحریم: ٨]. فابتدىء
بالبشارة قبل السؤال.

والخليل قال في المحنة: ﴿حَسْبِيَ اللَّهُ﴾ [التوبة: ١٢٩].

والحبيب قيل له: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ﴾ [الأنفال: ٦٤].

والخليل قال: ﴿وَأَجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾ [الشعراء: ٨٤].

والحبيب قيل له: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ [الشرح: ٤]. أعطي بلا
سؤال.

والخليل قال: ﴿وَأَجْنِبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥].

والحبيب قيل له: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾
والله أعلم [الأحزاب: ٣٣].

تفضيله ﷺ بالشفاعة والمقام المحمود

قال الله تعالى: ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩].

وعن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: إن الناس يصيرون يوم
القيامة جُثًّا كل أمة تتبع نبيها يقولون: يا فلان اشفع لنا، يا فلان اشفع لنا.
حتى تنتهي الشفاعة إلى النبي ﷺ، فذلك يوم يبعثه الله المقام
المحمود^(١).

وفي رواية عنه في حديث الشفاعة قال: فيمشي حتى يأخذ بحلقة الجنة
فيومئذ يبعثه الله المقام المحمود الذي وعد^(٢).

(١) أسنده من طريق البخاري، وهو عنده في التفسير ١٠/١٠، والنسائي ٦/٣٨١ في

الكبرى. وقوله: «جثي» بالضم ثم فتح الشاء، أي: جماعات فزعة جاثية.

(٢) أخرجه البخاري أيضًا في الزكاة ٤/٨١، ٨٢.

وعن أبي موسى رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ قال: «خُيِّرْتُ بين أن يدخل نصف أمتي الجنة وبين الشفاعة فاخترت الشفاعة لأنها أعم، أترونها للمتقين؟ ولكنها للمذنبين الخطائين»^(١).

وعن أم حبيبة رضي الله تعالى عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «أُرِيتُ ما تلقى أمتي من بعدي، وسفك بعضهم دماء بعض، وسبق لهم من الله ما سبق للأمم قبلهم، فسألت الله أن يؤتيني شفاعة يوم القيامة فيهم ففعل»^(٢).

وقال حذيفة رضي الله تعالى عنه: يجمع الله الناس في صعيد واحد حيث يسمعهم الداعي وينفذهم البصر، حفاة عراة كما خلقوا، سكوتاً لا تكلم نفس إلا بإذنه، فينادى محمد فيقول: «ليك وسعديك والخير في يديك والشر ليس إليك، والمهتدي من هديت، وعبدك بين يديك ولك وإليك، لا ملجأ ولا منجأ منك إلا إليك، تباركت وتعاليت، سبحانك رب البيت»، قال: فذلك المقام المحمود الذي ذكر الله^(٣).

(وقال جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما الميزيد الفقير) سمعت بمقام محمد يعني الذي يبعثه الله فيه قال: قلت: نعم، قال: فإنه مقام محمد المحمود الذي يخرج الله به من يخرج يعني من النار وذكر حديث الشفاعة في إخراج الجهنميين، وعن أنس نحوه^(٤).

(١) رواه أحمد ٤/٤١٤، ٤١٥، وابن ماجه ٤٣١١ بسند صحيح. وله شاهد عن

عوف بن مالك رواه الترمذي في الزهد ٢٢٥٨، وابن ماجه ٤٣١٧ بسند صحيح.

(٢) رواه أحمد ٦/٤٢٧، ٤٢٨، والحاكم ١/٦٨ بسند صحيح.

وفيه: أن تقاتل المسلمين لا يخرجهم من الإيمان، وهذا ما عليه أهل السنة، وأن أهل الكبائر لا يخلدون في النار.

(٣) رواه النسائي في الكبرى ٦/٣٨١، وابن جرير ١٥/١٤٤، ١٤٥ من طريقين، وكلاهما سنده صحيح.

(٤) رواه مسلم في الإيمان ٣/٥١.

وعلى أن المقام المحمود مقامه عليه الصلاة والسلام للشفاعة مذاهب السلف من الصحابة والتابعين وعامة أئمة المسلمين، وبذلك جاءت مفسرة في صحيح الأخبار عنه عليه الصلاة والسلام.

حديث الشفاعة في الموقف

عن أنس وأبي هريرة رضي الله تعالى عنهما وغيرهما - دخل حديث بعضهم في حديث بعض - قال ﷺ: «يجمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة فيهتمون، أو قال فيلهمون فيقولون: لو استشفعنا إلى ربنا» وفي رواية: «ماج الناس بعضهم في بعض».

وفي أخرى: «وتدنو الشمس فيبلغ الناس من الغم ما لا يطيقون، ولا يحتملون، فيقولون: ألا تنظرون من يشفع لكم؟ فيأتون آدم فيقولون: أنت آدم أبو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأسكنك جنته وأسجد لك ملائكته وعلمك أسماء كل شيء، اشفع لنا عند ربك حتى يريحنا من مكاننا، ألا ترى ما نحن فيه؟ فيقول: إن ربي غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولا يغضب بعده مثله، ونهاني عن الشجرة فعصيت، نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى نوح».

فيأتون نوحًا فيقولون: أنت أول الرسل إلى أهل الأرض، وسماك الله عبدًا شكورًا، ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما بلغنا؟ ألا تشفع لنا إلى ربك؟ فيقول: إن ربي غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولا يغضب بعده مثله، نفسي نفسي - ويذكر خطيئته التي أصاب: ساءل ربه بغير علم - وفي رواية: وقد كانت لي دعوة دعوتها على قومي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى إبراهيم فإنه خليل الله.

فيأتون إبراهيم فيقولون: أنت نبي الله وخليله من أهل الأرض، اشفع

لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه؟ فيقول: إن ربي قد غضب اليوم غضبًا — فذكر مثله، ويذكر كلمات كذبهن — نفسي نفسي، لست لها ولكن عليكم بموسى، فإنه كليم الله، وفي رواية: فإنه عبد آتاه الله التوراة وكلمه وقربه نجيًا.

قال: فيأتون موسى فيقول: لست لها — ويذكر خطيئته التي أصاب وقتله النفس — نفسي نفسي، ولكن عليكم بعيسى فإنه روح الله وكلمته.

فيأتون عيسى فيقول: لست لها، ولكن عليكم بمحمد صلى الله تعالى عليه وعليهم جميعًا وسلّم، عبد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر.

فأوتى فأقول: أنا لها. فأنطلق فأستأذن على ربي، فيؤذن لي، فإذا رأته وقعت ساجدًا.

وفي رواية: فآتي تحت العرش فأختر ساجدًا.

وفي رواية: فأقوم بين يديه فأحمده بمحامد لا أقدر عليها إلا أنه يُلهمنيها الله.

وفي رواية: فيفتح الله عليّ من محامده وحسن الثناء، عليه شيئًا لم يفتح على أحد قبلي.

وفي رواية: فيقال: يا محمد ارفع رأسك سل تعطه، واشفع تشفع، فأرفع رأسي فأقول: يا رب، أمّتي. يا رب أمّتي، فيقول: أدخل من أمّتك من لا حساب عليهم من الباب الأيمن من أبواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب.

وفي رواية: فأقول: يا رب أمّتي أمّتي. فيقال: انطلق، فمن كان في قلبه مثقال حبة من برة أو شعيرة من إيمان فأخرجه. فأنطلق فأفعل، ثم أرجع إلى ربي فأحمده بتلك المحامد. وذكر مثل الأول وقال فيه: مثقال حبة من

خردل . قال : فأفعل ، ثم أرجع . . . وذكر مثل ما تقدم ، وقال فيه : من كان في قلبه أدنى أدنى من مثقال حبة من خردل . فأفعل . وذكر في المرة الرابعة فيقال لي : ارفع رأسك وقل يسمع لك ، واشفع تشفع ، وسل تعطه . فأقول : يا رب ائذن لي فيمن قال : لا إله إلا الله . قال : ليس ذلك إليك ، ولكن وعزتي وكبريائي وعظمتي . . . لأخرجن من النار من قال لا إله إلا الله .

وفي رواية : فأقول : يا رب ، ما بقي في النار إلا من حبسه القرآن أي من وجب عليه الخلود .

وفي رواية حذيفة : فيأتون محمداً ﷺ فيشفع ، فيضرب الصراط ، فيمرون : أولهم كالبرق ، ثم كالريح ، والطير ، وشد الرجال . ونيكم ﷺ على الصراط يقول : اللهم سلّم سلّم . حتى يجتاز الناس . وذكر آخرهم جوازاً .

وفي رواية : فأكون أول من يجيز^(١) .

فقد اجتمع من اختلاف ألفاظ هذه الآثار أن شفاعته ﷺ ومقامه المحمود من أول الشفاعات إلى آخرها من حيث يجتمع الناس للحشر وتضييق بهم الحناجر ويبلغ منهم العرق والشمس والوقوف مبلغه وذلك قبل الحساب ، فيشفع حينئذ لإراحة الناس من الموقف ، ثم يوضع الصراط ويحاسب الناس كما جاء في الحديث عن أبي هريرة وحذيفة ، وهذا الحديث أتقن فيشفع في تعجيل من لا حساب عليه من أمتة إلى الجنة ، ثم

(١) حديث أنس وأبي هريرة كلاهما عند البخاري ١٤ / ٢٢٤ ، ٢٣٤ ، ٢٤١ ، ٢٥٩ في الرقاق وغيره ، ومسلم في الإيمان ٣ / ٢٣ ، ٦٤ ، ورواه أحمد ٢ / ٤٣٥ ، ٤٣٦ ، والبخاري في التفسير ، ومسلم في الإيمان ٣ / ٦٥ ، ٧١ ، والترمذي في القيامة وفي الزهد ٢٢٥ وحديث حذيفة عند مسلم ٣ / ٧٠ .

يشفع فيمن وجب عليه العذاب ودخل النار منهم، (حسبما تقتضيه الأحاديث،
الصحيحة) ثم فيمن قال: لا إله إلا الله . وليس هذا لسواه ﷺ .

وفي الحديث المنتشر الصحيح: «لكل نبي دعوة يدعو بها، واختبأت
دعوتي شفاعاً لأمتي يوم القيامة»^(١).

قال أهل العلم معناه: دعوة أُعْلِمَ أنها تستجاب لهم ويبلغ فيها
مرغوبهم . وإلا فكم لكل نبي منهم من دعوة مستجابة، ولنبينا ﷺ منها ما لا
يعد، لكن حالهم عند الدعاء بها بين الرجاء والخوف، وضمنت لهم إجابة
دعوة فيما شاءوه ويدعون بها على يقين من الإجابة .

فتكون هذه الدعوة هنا مخصوصة بالأمة مضمونة الإجابة، وإلا فقد
أخبر ﷺ أنه سأل لأمته أشياء من أمور الدين والدنيا أعطي بعضها، ومنع

(١) ورد هذا عن جماعة من الصحابة عن أبي هريرة، رواه أحمد ٢/٢٧٥، ٣١٣،
٣٨١، ٣٩٦، ٤٢٦، والبخاري في الدعوات ١٣/٣٤٠ وفي التوحيد، ومسلم في
الإيمان ٣/٧٣، ٧٥ وغيرهم، وعن أنس رواه البخاري في الدعوات ١٣/٣٤١،
ومسلم في الإيمان ٣/٧٥ .

وعن جابر رواه أحمد ٣/٣٨٤، ومسلم في الإيمان ٣/٧٧ وغيرهما . وعن
أبي ذر، رواه أحمد ٥/١٤٨، وابن حبان ٦٤٦٢ بالإحسان وسنده صحيح في
جماعة آخرين .

فائدة: ينبغي أن يعرف أن أحاديث شفاعة نبينا ﷺ تنقسم إلى قسمين: شفاعته
العظمى لإراحة الناس من هول الموقف، وهذه متفق عليها لا ينكرها حتى
المعتزلة، وهي من خصائصه ﷺ أما الثانية فهي شفاعته لإخراج العصاة من النار
وهذه قد أنكرها المعتزلة وغيرهم رغم أن أحاديثها متواترة كأولى، وهي غير
مختصة به ﷺ، بل هي عامة، فيشفع الأنبياء والملائكة والمؤمنون . . ثم إن
النبي ﷺ له شفاعات أوصلها بعضهم إلى خمس عشرة شفاعة . وقد أوضحت
ذلك بأدلته في كتاب الشفاعة هيا الله لي إخرجه .

بعضها وادخر لهم هذه الدعوة ليوم الفاقة وخاتمة المحن وعظيم السؤال والرغبة، جزاه الله أحسن ما جزى نبياً عن أمته ﷺ وبارك عليه وعلى آله وصحبه كثيراً دائماً.

تفضيله ﷺ في الجنة بالوسيلة، والدرجة الرفيعة والكوثر والفضيلة

عن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما: أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا علي، فإنه من صلى علي مرة صلى الله عليه عشراً، ثم سلوا لي الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل الله لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة»^(١).

وفي حديث لأبي هريرة: الوسيلة أعلا درجة في الجنة^(٢).

وعن أنس رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «بيننا أنا أسير في الجنة إذ عرض لي نهر حافتاه قباب اللؤلؤ، قلت لجبريل: ما هذا؟ قال: هذا الكوثر الذي أعطاك الله. قال: ثم ضرب بيده إلى طينته فاستخرج مسكاً»^(٣).
وعن عائشة وعبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهم مثله، قال: «ومجراه على الدر والياقوت، وماؤه أحلى من العسل وأبيض من الثلج».

وفي رواية عنه: «فإذا هو يجري، ولم يشق شقاً، عليه حوض ترد عليه أمتي...» وذكر حديث الحوض^(٤).

-
- (١) رواه أحمد ١٦٨/٢، ومسلم ٨٥/٤، وأبو داود ٥٢٣، والترمذي ٣٣٩٠.
(٢) رواه الترمذي في المناقب ٣٣٨٦ وهو وإن كان سنده ضعيفاً فإنه يحسن بما سبق.
(٣) رواه البخاري ٣٦٢/١٠، والترمذي ٣١٤١، كلاهما في التفسير، وقد تقدم.
(٤) تقدم ص ١٨٣ وما بعدها أيضاً أنه رواه البخاري وغيره. وحديث ابن عمر رواه أحمد رقم ٥٣٥٥، ٥٩١٣، ٦٤٧٦، والترمذي ٣١٤٢ بسند صحيح.

وعن ابن عباس قال: الكوثر: الخير الكثير الذي أعطاه الله إياه .

وقال سعيد بن جبير والنهر الذي في الجنة من الخير الذي أعطاه الله^(١) .

وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في قوله تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ﴾ [الضحى: ٥]، قال: ألف قصر من لؤلؤ ترابهن المسك وفيه ما يصلحهن . وفي رواية: وفيه ما ينبغي له من الأزواج والخدم^(٢) .

الجواب عن أحاديث التفضيل

فإن قيل: إذا تقرر من دليل القرآن وصحيح الأثر وإجماع الأمة كونه ﷺ أكرم البشر، وأفضل الأنبياء، فما معنى الأحاديث الواردة بنهيه عن التفضيل؟ كقوله ﷺ فيما رواه ابن عباس عنه: «ما ينبغي لعبد أن يقول: أنا خير من يونس بن متى»^(٣) .

وفي حديث أبي هريرة في اليهودي الذي قال: والذي اصطفى موسى على البشر. فلطمه رجل من الأنصار وقال: تقول ذلك ورسول الله ﷺ بين أظهرنا! فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: لا تفضلوا بين الأنبياء». وفي رواية: «لا تخيروني على موسى . . .» وفيه: «ولا أقول: إن أحداً أفضل من يونس بن متى»، وفي رواية: «من قال: أنا خير من يونس بن متى فقد كذب»^(٤) .

(١) رواه البخاري في التفسير ٣٦٣/١٠، والنسائي في الكبرى ٥٢٣/٦، وقد قدمنا قريباً الإشارة إلى الفرق بين الكوثر والحوض فارجع إليه .

(٢) رواه ابن جرير ٢٣٢/٣٠ من طريقين هو بهما حسن صحيح، ولذلك صححه السيوطي . وقوله: ترابهن . . . ما يصلحهن، أي: القصور .

(٣) تقدم تخريجها في بحث تواضعه ﷺ ص ١٤٠ .

(٤) نفس التعليق السابق .

وعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ: «لا يقولن أحدكم أنا خير من يونس بن متى»^(١).

وفي حديثه الآخر: فجاءه ﷺ رجل فقال: يا خير البرية. فقال: «ذاك إبراهيم»^(٢).

فاعلم أن للعلماء في هذه الأحاديث تأويلات:

أحدها: أن نهيه عن التفضيل كان قبل أن يعلم أنه سيد ولد آدم، فنهي عنه لأن ذلك يحتاج إلى توقيف، وأن من فضل بلا علم فقد كذب، وهو منزه عن مثل ذلك. وكذلك قوله: «لا أقول إن أحداً أفضل منه»: لا يقتضي تفضيله هو، وإنما هو في الظاهر كف عن التفضيل.

الوجه الثاني: أنه قاله ﷺ على طريق التواضع ونفي التكبر والعجب.

وهذا لا يسلم من الاعتراض

الوجه الثالث: ألا يفضل بينهم تفضيلاً يؤدي إلى تنقص بعضهم أو الغض منه، لا سيما في جهة يونس عليه السلام إذ أخبر الله تعالى بما أخبر لئلا يقع في نفس من لا يعلم منه بذلك غضاظة وانحطاط من رتبته الرفيعة، إذ قال تعالى عنه: ﴿إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾﴾ [الصفافات: ١٤٠]؛ ﴿إِذْ ذَهَبَ مُغْضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ [الأنبياء: ٨٧]، فربما يخيل لمن لا علم عنده حطيظته بذلك.

(١) نفس التعليق السابق.

(٢) رواه أحمد ٣/١٧٨، ١٨٤، ومسلم في الفضائل ١٥/١٢١، وقوله هذا تواضع منه ﷺ، أو هو مؤول بمعنى: خير برية زمانه، للإجماع على أفضليته ﷺ على سائر العالمين. وانظر: أجوبة القاضي رحمه الله تعالى عقب ذلك.

الوجه الرابع: منع التفضيل في حق النبوة والرسالة، فإن الأنبياء فيها على حد واحد، إذ هي شيء واحد لا يتفاضل، وإنما التفاضل في زيادة الأحوال والخصوص والكرامات والرتب والألطف، وأما النبوة في نفسها فلا تتفاضل، وإنما التفاضل بأمور أخرى زائدة عليها، ولذلك كان منهم رسل، ومنهم أولو العزم من الرسل، ومنهم من رُفِعَ مكانًا عليا، ومنهم من أوتي الحكم صبيًا، وأوتي بعضهم الزبور، وبعضهم البيئات، ومنهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات. قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ...﴾ الآية [الإسراء: ٥٥]. وقال: ﴿تِلْكَ أَرْسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ...﴾ الآية [البقرة: ٢٥٣].

قال بعضهم: والتفضيل المراد لهم هنا في الدنيا، وذلك بثلاثة أحوال: أن تكون آيته ومعجزاته أبهر وأشهر، أو تكون أمته أذكى وأكثر، أو يكون في ذاته أفضل وأطهر. وفضله في ذاته راجع إلى ما خصه الله به من كرامته واختصاصه من كلام أو خلة أو رؤية أو ما شاء الله من الطافه وتُحَفِ وإيَّاهِ واختصاصه. فحفظ ﷺ موضع الفتنة من الأوهام من يسبق إليه بسببها جرح في نبوة يونس عليه السلام، أو قدح في اصطفائه، وحط في رتبته ووهن في عصمته شفقة منه ﷺ على أمته.

وقد يتوجه على هذا الترتيب وجه خامس: وهو أن يكون «أنا» راجعًا إلى القائل نفسه، أي: لا يظن أحد وإن بلغ من الذكاء والعصمة والطهارة ما بلغ أنه خير من يونس لأجل ما حكى الله عنه، فإن درجة النبوة أفضل وأعلى، وأن تلك الأقدار لم تحطه عنها حبة خردل ولا أدنى.

وسياتي في القسم الثالث مزيد لهذا إن شاء الله تعالى. وبهذا سقطت شبهة المعترضين، وبالله التوفيق وهو المستعان لا إله إلا هو.

أَسْمَاؤُهُ ﷺ وما تضمنته من فضيلته

عن جبير بن مطعم رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: لي خمسة أسماء: أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب^(١).

وقد سماه الله تعالى في كتابه محمدًا وأحمد، فمن خصائصه تعالى له أن ضمن أسماءه ثناءه فطوى أثناء ذكره عظيم شكره.

فأما اسمه أحمد فأفعل مبالغة من صفة الحمد، ومحمد مُفَعَّلٌ مبالغة من كثرة الحمد، فهو ﷺ أجل من حَمِدَ، وأفضل من حُمِدَ، وأكثر الناس حمدًا، فهو أحمد الحامدين وأحمد المحمودين، ومعه لواء الحمد يوم القيامة ل يتم له كمال الحمد، يشتهر في تلك العرصات بصفة الحمد، وبيعه ربه هناك مقامًا محمودًا كما وعده يحمده فيه الأولون والآخرون بشفاعته لهم، ويفتح عليه فيه من المحامد كما قال ﷺ: «ما لم يعط غيره» وسمى أمته في كتب أنبيائه بالحامدين، فحقيق أن يسمى محمدًا وأحمد. ثم في هذين الاسمين من عجائب خصائصه وبدائع آياته فن آخر، هو أن الله جل اسمه حمى أن يسمى بهما أحد قبل زمانه.

أما أحمد الذي أتى في الكتب وبشرت به الأنبياء فمنع الله تعالى بحكمته أن يسمى به أحد غيره، ولا يُدعى به مدعو قبله؛ حتى لا يدخل لبس على ضعيف القلب أو شك، وكذلك محمد أيضًا لم يسم به أحد من العرب ولا غيرهم إلى أن شاع قبيل وجوده ﷺ وميلاده أن نبيًا يبعث اسمه محمد،

(١) رواه الطيالسي ٢٣١٣ مع العون، وأحمد ٤/٨٠، ٨٣، ٨٤، والبخاري في صفة النبي ٧/٣٦٦، ٣٦٨، ومسلم في الفضائل ١٥/١٠٤، والترمذي في الأدب، والدارمي في الرقاق، وزاد أحمد في رواية: والخاتم. وسنده صحيح.

فسمى قوم قليل من العرب أبناءهم بذلك رجاء أن يكون أحدهم هو، والله أعلم حيث يجعل رسالته، وهم نحو من ستة لا سابع لهم. ثم حمى الله تعالى كل من تسمى به أن يدعى النبوة، أو يدعيها أحد له أو يظهر عليه سبب يشكك أحدًا في أمره حتى تحققت العلامتان له ﷺ ولم ينازع فيهما.

وأما الماحي الذي يمحو الله به الكفر. ففسر في الحديث، ويكون محو الكفر إمّا من مكة وبلاد العرب وما زوي له من الأرض وواعد أنه يبلغه ملك أمته، أو يكون المحو عامًا بمعنى الظهور والغلبة، كما قال تعالى: ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ [التوبة: ٣٣].

وأما قوله: «وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي»، أي: على زماني وعهدي، أي: ليس بعدي نبي، كما قال تعالى: ﴿وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ [الأحزاب: ٤٠].

وأما العاقب فسمى به؛ لأنه عقب غيره من الأنبياء.

وفي الصحيح: «أنا العاقب الذي ليس بعدي نبي». وقيل: معنى «على قدمي»، أي: يحشر الناس بمشاهدتي، كما قال تعالى: ﴿لِنَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣]. وقيل: «على قدمي» على سابقتي، قال الله تعالى: ﴿أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ [يونس: ٢]. وقيل: «على قدمي»، أي: قدامي وحولي، أي: يجتمعون إليّ يوم القيامة. وقيل: «على قدمي»: على سنتي.

وقوله: لي خمسة أسماء قيل: إنها موجودة في الكتب المتقدمة وعند أولي العلم من الأمم السالفة. وفي حديث أبي موسى الأشعري رضي الله تعالى عنه قال: كان النبي ﷺ يسمي لنا نفسه أسماء فيقول: «أنا محمد، وأحمد، والمقفي، والحاشر، ونبي التوبة، ونبي الملحمة»، ويروى

«المرحمة» و «الراحة» وكل صحيح إن شاء الله (١).

ومعنى المقفي معنى العاقب.

وأما نبي الرحمة والتوبة والمرحمة والراحة فقد قال الله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]. وكذا وصفه بأنه يزيكهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ويهديهم إلى صراط مستقيم، وبالمؤمنين رؤوف رحيم. وقد قال ﷺ في صفة أمته: «إنها أمة مرحومة» (٢).

وقد قال تعالى فيهم: ﴿ وَتَوَّاصُوا بِالصَّبْرِ وَتَوَّاصُوا بِالْمَرْحَمَةِ ﴾ [البلد: ١٧]، أي: يرحم بعضهم بعضاً. فبعثه ﷺ ربُّه تعالى رحمةً لأُمَّته، ورحمةً للعالمين، ورحيمًا بهم، ومترحمًا ومستغفرًا لهم. وجعل أمته أمة مرحومة، ووصفها بالرحمة.

وأمرها ﷺ بالتراحم، وأثنى عليه، فقال: «إن الله يحب من عباده

(١) حديث أبي موسى رواه أيضًا الطيالسي ٢٣١٢، وأحمد ٤/٣٩٥، ٤٠٤، ٤٠٧، ومسلم ١٥/١٠٥.

(٢) رواه أحمد ٤/٤١٠، ٤٠٨، وأبو داود ٤٣٧٨ في الأدب، والبخاري في التاريخ ٣٨/١، ٣٩، والحاكم ٤/٤٤٤ من طرق هو بها صحيح. وصححه الحاكم ووافقه الذهبي، وهو عندهم عن أبي موسى الأشعري، ورواه رجل من الصحابة أيضًا. وسياقه: عن أبي بردة قال: بينما أنا واقف في السوق في إمارة زياد إذ ضربت بإحدى يدي على الأخرى تعجبًا، فقال رجل من الأنصار - قد كانت لوالده صحبة مع رسول الله ﷺ - : مم تعجب يا أبا بردة؟ قلت: أعجب من قوم دينهم واحد، ونبئهم واحد، ودعوتهم واحدة، وحجهم واحد، وغزوهم واحد، يستحل بعضهم قتل بعض! قال: فلا تعجب، فإني سمعت والذي أخبرني أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «أمتي أمة مرحومة، ليس عليها عذاب في الآخرة، إنما عذابها في الدنيا الفتن والزلازل». رواه البخاري في التاريخ ١/٣٨، والحاكم ٤/٣٥٣، ٣٥٤، وصححه هو والذهبي.

الرحماء»^(١)، وقال: «الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء»^(٢).

وأما رواية: «نبي الملحمة» فإشارة إلى ما بعث به من القتال والسيف ﷺ. وهي صحيحة. وروى حذيفة رضي الله تعالى عنه مثل حديث أبي موسى وفيه: «ونبي الرحمة، ونبي التوبة، ونبي الملاحم»^(٣).

وقد جاءت من ألقابه ﷺ وسماته في القرآن عدة كثيرة سوى ما ذكرناه كالنور، والسراج المنير، والمنذر، والنذير، والمبشر، والبشير، والشاهد، والشهيد، والحق المبين، وخاتم النبيين، والرءوف الرحيم، والأمين، ورحمة للعالمين، ونعمة الله، والعروة الوثقى، والصراط المستقيم، والكريم، والنبي الأمي، وداعي الله... في أوصاف كثيرة، وسمات جلية.

وجرى منها في كتب الله المتقدمة وكتب أنبيائه وأحاديث رسوله وإطلاق الأمة جملة شافية، كتسميته بالمصطفى، والمجتبى، وأبي القاسم، والحيب، ورسول رب العالمين، والشفيع المشفع، والمتقي، والمصلح، والصادق، والمصدق، والهادي، وسيد ولد آدم،

(١) رواه البخاري ٣/٣٩٧، ٣٩٩، ومسلم ٦/٢٢٤، ٢٢٥، كلاهما في الجنائز من

حديث أسامة بن زيد رضي الله تعالى عنهما.

(٢) رواه أحمد ٢/١٦٠، وأبو داود في الأدب ٤٩٤١، والترمذي في البر ١٧٧٠، والحاكم ٤/٢٤٨ وغيرهم من حديث ابن عمرو، وحسنه الترمذي وصححه، وكذا صححه الحاكم، ووافقه الذهبي، وذلك لشواهد. وهذا هو الحديث المسلسل بالأولية.

(٣) رواه أحمد ٥/٤٠٥، والترمذي في الشمائل ٣٦٠ من طريقين وكلاهما سنده صحيح على شرط الصحيح.

وسيد المرسلين، وإمام المتقين، وقائد الغر المحجلين، وحبیب الله،
وخليل الرحمن، وصاحب الحوض المورود والمعراج وراكب البراق . . .

ومن أسمائه في الكتب: المتوكل، والمختار، ومقيم السنة،
والمقدس، وروح الحق، وهو معنى البارقليط في الإنجيل، ومعناه: الذي
يفرق بين الحق والباطل. قاله ثعلب.

وأوصافه وسماته كثيرة، وفيما ذكر كفاية، وبالله التوفيق.

تشریف الله تعالى نبيه بما سماه به

من أسمائه الحسنی ووصفه به من صفاته العلی

اعلم رحمتنا الله وإياك أن الله تعالى خص كثيراً من الأنبياء بكرامة
خلعها عليهم من أسمائه، كتسميته إسحاق وإسماعيل بعليم وحليم،
وإبراهيم بحليم، ونوح بشكور، وعيسى ويحيى ببر، وموسى بكريم
وقوي، ويوسف بحفيظ عليم، وأيوب بصابر، وإسماعيل بصادق الوعد،
كما نطق بذلك الكتاب العزيز من مواضع ذكرهم، وفضل نبينا سيدنا
محمدًا ﷺ بأن حلاه منها في كتابه العزيز وعلى السنة أنبيائه صلوات الله
وسلامه عليه وعليهم بعدة كثيرة، اجتمع لنا منها جملة بعد إعمال الفكر
وإحضار الذكر، إذ لم نجد من جمع منها فوق اسمين ولا من تفرع فيها
لتأليف فصلين، وحررنا منها في هذا الفصل نحو ثلاثين اسمًا، ولعل الله
تعالى كما ألهم إلى ما علم منها وحققه يتم النعمة بإبانة ما لم يظهره لنا الآن
ويفتح غلغه.

فمن أسمائه تعالى: الحميد. ومعناه: المحمود، لأنه حمد نفسه
وحمده عباده. ويكون أيضًا بمعنى الحامد لنفسه ولأعمال الطاعات. وسمى
النبي ﷺ محمدًا وأحمد، فمحمد بمعنى محمود، وأحمد بمعنى أكبر من

حَمْدٌ وَأَجَلٌ مِنْ حُمدٍ . وقد أشار إلى نحو هذا حسان بقوله :
 وشَقَّ له من اسمِهِ لِيُجِلَّهُ فذو العرش محمودٌ وهذا محمدٌ
 ومن أسمائه تعالى : الرؤوف الرحيم . وهما بمعنى متقارب . وسماه
 في كتابه بذلك فقال : بالمؤمنين رؤوف رحيم .

ومن أسمائه تعالى : الحق المبين ، ومعنى الحق : الموجود والمتحقق
 أمره ، وكذلك المبين ، أي : البين أمره وإلهيته . ويكون بمعنى : المبين
 لعباده أمر دينهم ومعادهم . وتسمى النبي ﷺ بذلك ، في كتابه ، فقال :
 ﴿ حَتَّى جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُبِينٌ ﴾ [الزخرف : ٢٩] . وقال : ﴿ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ
 الْمُبِينُ ﴾ [الحجر : ٨٩] . وقال : ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾
 [يونس : ١٠٨] . وقال : ﴿ فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ ﴾ [الأنعام : ٥] . قيل :
 محمد . وقيل : القرآن . ومعناه هنا : ضد الباطل ، والمتحقق صدقه وأمره ،
 وهو بمعنى الأول . والمبين : البين أمره ورسالته ، أو المبين عند الله تعالى ما
 بعثه به ، كما قال تعالى : ﴿ لَتُبَيِّنَنَّ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ [النحل : ٤٤] .

ومن أسمائه تعالى : النور . ، ومعناه : ذو النور ، أي : خالقه ، أو منور
 السموات والأرض بالأنوار ، ومنور قلوب المؤمنين بالهداية . وسماه نورًا
 فقال تعالى : ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴾ [المائدة : ١٥] ،
 قيل : محمد . وقيل القرآن . وقال فيه : ﴿ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴾ [الأحزاب : ٤٦] ،
 قيل : سمي بذلك لوضوح أمره وبيان نبوته ، وتنوير قلوب
 المؤمنين والعارفين بما جاء به .

ومن أسمائه تعالى : الشهيد . ومعناه : العالم وقيل الشاهد على عباده
 يوم القيامة . وسماه شهيدًا فقال : ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا ﴾ [الأحزاب :
 ٤٥] . وقال : ﴿ وَيَكُونُ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة : ١٤٣] ، وهو بمعنى
 الأول .

ومن أسمائه تعالى: الكريم، ومعناه: الكثير الخير. وقيل: المفضل.
وقيل: العفو. وقيل: العلي. وسماه تعالى كريماً، وفي الحديث: «أنا أكرم
ولد آدم» ومعاني الاسم في حقه ﷺ صحيحة.

ومن أسمائه تعالى: العظيم. ومعناه: الجليل الشأن، الذي كل شيء
دونه. وقال في النبي ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].

ومن أسمائه تعالى: الشكور. ومعناه: المشيب على العمل القليل.
وقيل: المثني على المطيعين. ووصف بذلك نبيه نوحاً عليه السلام فقال:
﴿إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ [الإسراء: ٣]، وقد وصف النبي ﷺ بذلك
فقال: «أفلا أكون عبداً شكوراً؟»^(١)، أي: معترفاً بنعم ربي، عارفاً بقدر
ذلك، مثنياً عليه، مُجهداً نفسي في الزيادة من ذلك؛ لقوله: ﴿لِيَن
شَكَرْتُمْ لِأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧].

ومن أسمائه تعالى: العليم، والعلّام، وعالم الغيب والشهادة.
ووصف نبيه ﷺ بالعلم وخصه بمزية منه فقال: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ
وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٣]. وقال: ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ
الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٥١].

ومن أسمائه تعالى: الأول والآخر. ومعناهما: السابق للأشياء قبل
وجودها، والباقي بعد فنائها، وتحقيقه: أنه ليس له أول ولا آخر. وقال ﷺ في
حق نفسه: «أنا أول من تنشق عنه الأرض وأول من يدخل الجنة، وأول شافع
وأول مشفع»^(٢). ووصف نفسه بأنه خاتم الأنبياء والرسل فلا نبي بعده^(٣).

(١) تقدم تخريجه من رواية عائشة والمغيرة ص ١٥٣.

(٢) تقدم كل ذلك. انظر ص ١٨٠، ١٨١.

(٣) تقدم في أحاديث ص ١٦٢ وما بعدها.

وقال: «نحن الآخرون السابقون»^(١).

ومن أسمائه تعالى: الصادق، وورد في الحديث أيضاً اسمه الصادق المصدوق^(٢).

ومن أسمائه تعالى: الولي والمولى، ومعناها: الناصر. وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ [المائدة: ٥٥]، وقال ﷺ: «أنا ولي كل مؤمن»^(٣). وقال الله تعالى: ﴿الَّتِي أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأحزاب: ٦]. وقال ﷺ: «من كنت مولاه فعلي مولاه»^(٤).

(١) رواه البخاري في الجمعة ٤/٣، ٦ وفي مواضع، ومسلم في الجمعة أيضاً بنحوه.

(٢) جاء هذا في حديث ابن مسعود قال: حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق: إن خلق أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوماً نظفة... الحديث. رواه أحمد ٤١٤/١، ٤٣٠، والبخاري في بدء الخلق ٧/١١٤، وفي أحاديث الأنبياء ٧/١٧٨، وفي القدر وفي التوحيد، ومسلم ١٦/١٨٩، والترمذي كلاهما في القدر، وأبو داود في السنة ٤٧٠٨، وغيرهم.

(٣) رواه مسلم في الجمعة ٦/١٥٤ مطولاً بلفظ: أنا أولى بكل مؤمن من نفسه وهو لفظ أبي داود، كلاهما عن جابر، ورواه البخاري في الفرائض ١/١٠، وفي الحوالة، وكذا أحمد ٢/٤٥٣ عن أبي هريرة بنحوه.

(٤) رواه أحمد ٤/٤٧٠ وابن حبان ٢٢٠٥، والنسائي في الكبرى ٨١٤٨ من حديث أبي الطفيل بسند صحيح، ورواه أحمد ١/١١٨، والنسائي في الكبرى ٨٤٦٤، والحاكم ٣/١٠٩، من حديث الإمام علي، وصححه الحاكم على شرط الشيخين، ورواه الترمذي ٣٤٨٥ مختصراً بسند صحيح، ورواه أحمد ٥/٣٥٠، ٣٦١، والنسائي في الكبرى ٨٤٦٥ عن بريدة بسند صحيح، وللحديث طرق كثيرة منها صحاح وحسان كما قال الحافظ. وقال الحافظ الذهبي في تذكرة الحفاظ ٢/١٠٤٣: له طرق جيدة. وقال السيوطي: متواتر.

ومن أسمائه تعالى: العفو. ومعناه: الصفوح. وقد وصف الله تعالى بهذا نبيه في القرآن والتوراة، وأمره بالعفو فقال: ﴿ خُذِ الْعَفْوَ ﴾ [الأعراف: ١٩٩]، وقال: ﴿ فَأَعْفُ عَنْهُمْ وَأَصْفَحْ ﴾ [المائدة: ١٣] وقال له جبريل عليه السلام وقد سأله عن قوله تعالى: ﴿ خُذِ الْعَفْوَ ﴾ [الأعراف: ١٩٩]، قال: «أن تعفو عمن ظلمك»^(١). وقال في التوراة في الحديث المشهور في صفتهم: «ليس بفظ ولا غليظ ولكن يعفو ويصفح»^(٢).

ومن أسمائه تعالى: الهادي، وهو بمعنى توفيق الله لمن أراد من عباده، وبمعنى الدلالة والدعاء. قال الله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [يونس: ٢٥]، وأصل الجميع من الميل، وقيل من التقديم. وقال تعالى له: ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [الشورى: ٥٢]. وقال فيه: ﴿ وَدَاعِبًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ ﴾ [الأحزاب: ٤٦]، فالله تعالى مختص بالمعنى الأول^(٣). قال الله تعالى: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ﴾ [القصص: ٥٦]، وبمعنى الدلالة يطلق على غيره تعالى.

ومن أسمائه تعالى: المؤمن المهيمن. قيل: هما بمعنى واحد. فمعنى المؤمن في حقه تعالى: المصدق وعده عباده، والمصدق قوله الحق،

وجاء في بعض طرقه: «اللَّهُمَّ وَالِ مِنْ وَالَاهِ وَعَادِ مِنْ عَادَاهِ»، وهي زيادة صحيحة، وقد أورد لها طرق كثيرة الهيثمي في المجمع ١٠٣/٩، ١٠٨. وانظر: تعاليق صحيح ابن حبان ٦٩٣١.

- (١) تقدم في بحث عفو عمن آذاه ص ١١٦.
- (٢) تقدم أيضاً في صفة ﷺ في حديث عبد الله بن عمرو.
- (٣) يعني: التوفيق. وهو خلق القدرة على الإيمان والطاعة. فهذا المعنى لا دخل لأحد من الخلق فيه، فالله الخالق لكل شيء، أما المعنى الثاني: بمعنى الدلالة والدعوة، فهو عام في الخالق والمخلوق.

والمصدق لعباده المؤمنين ورسله . وقيل : الموحد نفسه ، وقيل : المؤمن عباده في الدنيا من ظلمة والمؤمنين في الآخرة من عذابه ، وقيل : المهيمن بمعنى الأمين مصغر منه ، فقلبت الهمزة هاء ، وقد قيل : إن قولهم في الدعاء « آمين » أنه اسم من أسماء الله تعالى ومعناه معنى المؤمن . وقيل : المهيمن بمعنى الشاهد والحافظ . والنبي ﷺ أمين ومهيمن ومؤمن . وكان ﷺ يعرف بالأمين ، وشهر به قبل النبوة وبعدها . وسماه العباس في شعره مهيمنا في قوله

ثم احتوى بيتك المهيمن من خندف علياء تحتها النطق

قيل : المراد يا أيها المهيمن . قاله العتبي والإمام أبو القاسم القشيري .

وقال تعالى : ﴿ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [التوبة : ٦١] ، أي :

يصدق . وقال ﷺ : « أنا أمانة لأصحابي »^(١) فهذا بمعنى المؤمن .

ومن أسمائه تعالى : القدوس . ومعناه : المنزه عن النقائص ، المطهر

عن سمات الحدث . وسمي بيت المقدس ؛ لأنه يتطهر فيه من الذنوب ، ومنه

الوادي المقدس أو روح القدس ، ووقع في كتب الأنبياء في أسمائه ﷺ

المقدس ، أي المطهر من الذنوب كما قال تعالى : ﴿ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ

ذُنُوبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ [الفتح : ٢] ، أو الذي يُطهر به من الذنوب ويُتنزه باتباعه

عنها ، كما قال تعالى : ﴿ وَيُزَكِّيهِمْ ﴾ [الجمعة : ٢] . وقال : ﴿ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ

الظُلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ ﴾ [المائدة : ١٦] ، أو يكون مقدسا بمعنى :

مطهرا من الأخلاق الذميمة والأوصاف الدنيئة .

ومن أسمائه تعالى : العزيز . ومعناه : الممتنع الغالب ، أو الذي

لا نظير له ، أو المعز لغيره . وقال تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ ﴾

(١) تقدم ص ٧٢ ، وهو في صحيح مسلم وغيره .

[المنافقون: ٨]، أي: الامتناع وجلالة. القدر وقد وصف الله تعالى نفسه بالبشارة والندارة، فقال: ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ﴾ [التوبة: ٢١]، وقال: ﴿أَنَّ اللَّهَ يَبْشُرُكَ بِيَحْيَى﴾ و ﴿يَكَلِّمُهُ مِّنْهُ﴾ [آل عمران: ٣٩]، [٤٥]. وسماه الله تعالى مبشراً ونذيراً وبشيراً، أي: مبشراً لأهل طاعته ونذيراً لأهل معصيته.

جل ربنا أن يشبه خلقه

لا في ذاته ولا في أسمائه وصفاته

"ليس كمثله شيء وهو السميع البصير"

نختم هذا الفصل بما يزيل الإشكال فيما تقدم عن كل ضعيف الوهم سقيم الفهم، يخلصه من مهاوي التشبيه ويزحزحه عن شبه التمويه، وهو أن يعتقد أن الله تعالى جل اسمه، في عظمته، وكبريائه، وملكوته، وحسنى أسمائه وعلي صفاته، لا يشبه شيئاً من مخلوقاته ولا يُشَبَّه به، وأن ما جاء مما أطلقه الشرع على الخالق وعلى المخلوق فلا تشابه بينهما في المعنى الحقيقي؛ إذ صفات القديم بخلاف صفات المخلوق.

فكما أن ذاته تعالى لا تشبه الذوات، كذلك صفاته لا تشبه صفات المخلوقين، إذ صفاتهم لا تنفك عن الأعراض والأغراض، وهو تعالى منزه عن ذلك، بل لم يزل بصفاته وأسمائه، وكفى في هذا بقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١].

ولله در من قال من العلماء والعارفين المحققين: التوحيد: إثبات ذات غير مشبهة للذوات ولا معطلة عن الصفات.

وزاد هذه النكتة الواسطي رحمه الله تعالى بياناً، وهي مقصودنا، فقال: ليس كذاته ذات، ولا كأسمه اسم، ولا كفعله فعل، ولا كصفته صفة،

إلّا من جهة موافقة اللفظ للفظ، وجَلَّتْ الذاتُ القديمة أن تكون لها صفة حديثة، كما استحال أن تكون للذات المحدثّة صفة قديمة .

وهذا كله مذهب أهل الحق والسنة والجماعة، رضي الله تعالى عنهم^(١) .

وقد فسر الإمام أبو القاسم القشيري رحمه الله تعالى قوله هذا؛ ليزيده بياناً فقال: هذه الحكاية تشتمل على جوامع مسائل التوحيد؛ وكيف تشبه ذات الله ذات المخلوقين وهي بوجودها مستغنية؟! وكيف يشبه فعله فعل الخلق؟! وهو لغير جلب أنس ودفع نقص حصل، ولا بخواطر وأغراض وجد، ولا بمشاورة ومعالجة ظهر. وفعل الخلق لا يخرج عن هذه الوجوه .
وقال آخر من مشايخنا: ما تَوَهَّمْتوه بأوهامكم أو أدركتموه بعقولكم فهو محدث مثلكم .

وقال أبو المعالي الجويني: من اطمأن إلى موجود انتهى إليه فكره فهو مشبه . ومن اطمأن إلى النفي المحض فهو معطل . وإن قطع بموجود اعترف بالعجز عن درك حقيقته فهو موحد .

وما أحسن قول ذي النون المصري رحمه الله تعالى: حقيقة التوحيد أن تعلم أن قدرة الله تعالى في الأشياء بلا علاج، وصنعه لها بلا مزاج، وعله كل شيء صنعه ولا علة لصنعه، وما تصور في وهمك فالله بخلافه^(٢) .

(١) ما ذكره سيدي عياض رحمه الله تعالى في هذه الخاتمة هو غاية في التحقيق، وهو المطلوب، والواجب اعتقاده في الله عز وجل وفي صفاته وأفعاله، وكل ما جاء في القرآن الكريم وفي السنة النبوية الصحيحة مما يوهم التشبيه يجب الإيمان به وإمراره كما جاء بدون تأويل ولا تكييف ولا تشبيه ولا تعطيل .

(٢) وهو قولهم أيضاً: فكل ما يخطر ببالك فربنا مخالف لذلك . ذلك أن معرفة كنه ذات الله وصفاته وأفعاله فوق مستوى عقولنا . فحسبنا الإيمان به وكفى . .

وهذا كلام عجيب نفيس محقق؛ فالجملة الأولى تفسير لقوله تعالى:
﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [النحل: ٤٠]، والثانية
تفسير لقوله تعالى: ﴿ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴾ [الأنبياء: ٢٣]،
والثالثة تفسير لقوله جل وعلا: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ [الشورى: ١١].

ثبتنا الله وإياك على التوحيد والإثبات والتنزيه، وجنبنا طريق الضلالة
والغواية من التعليل والتشبيه، بمنه ورحمته... آمين.



الباب الرابع فيما أظهره الله تعالى على يديه من المعجزات وشرفه به من الخصائص والكرامات

قال القاضي رحمه الله تعالى : حسب المتأمل أن يحقق أن كتابنا هذا لم نجعله لمنكر نبوة نبينا ﷺ، ولا لطاعن في معجزاته فنحتاج إلى نصب البراهين عليها وتحصين حوزتها؛ حتى لا يتوصل المطاعن إليها، ونذكر شروط المعجز والتحدي وحدّه وفساد قول من أبطل نسخ الشرائع ورده. بل ألفناه لأهل ملته، المليين لدعوته، المصدقين لنبوته؛ ليكون تأكيداً في محبتهم له، ومنمأة لأعمالهم، وليزدادوا إيماناً مع إيمانهم.

ونيتنا أن نثبت في هذا الباب أمهات معجزاته ومشاهير آياته، لتدل على عظيم قدره عند ربه، وأتينا منها بالمحقق والصحيح الإسناد، وأكثره مما بلغ القطع أو كاد، وأضفنا إليها بعض ما وقع في مشاهير كتب الأئمة.

وإذا تأمل المتأمل المنصف ما قدمناه من جميل أثره وحميد سيره وبراعة علمه ورجاحة عقله وحلمه وجملة كماله وجميع خصاله وشاهد حاله وصواب مثاله، لم يمتز في صحة نبوته وصدق دعوته، وقد كفى هذا غير واحد في إسلامه والإيمان به.

فروينا عن الترمذي وغيره بإسناده: أن عبد الله بن سلام رضي الله تعالى عنه قال: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة جثته لأنظر إليه، فلما استبنت وجهه عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب^(١).

وعن أبي رمثة التيمي قال: أتيت النبي ﷺ ومعني ابن لي فأرأيتَه، فلما رأيته قلت: هذا نبي الله^(٢).

وروى مسلم وغيره: أن ضاذاً لما وفد على رسول الله فقال له النبي ﷺ: «إن الحمد لله نحمده ونستعينه، من يهد الله فلا مضل له، ومن يضل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله»، قال له: أعد علي كلماتك هؤلاء؛ فلقد بلغن قاموس البحر، هات يدك أبايعك^(٣).

معنى النبوة والرسالة والوحي

اعلم أن الله جل اسمه قادر على خلق المعرفة في قلوب عباده، والعلم بذاته وأسمائه وصفاته وجميع تكليفاته ابتداءً دون واسطة لو شاء، كما حكى عن سنته في بعض الأنبياء وذكره بعض أهل التفسير في قوله

(١) رواه أحمد ٤٥١/٥، والترمذي في القيامة ٢٣٠٥، وابن ماجه في الصلاة، وفي الأطعمة ٣٢٥١ وسنده صحيح على شرط البخاري ومسلم.

(٢) حديث أبي رمثة ورد عنه بألفاظ، رواه أحمد ٢/٢٢٦، ٢٢٧، ٢٢٨، و ٤/١٦٣، وأبو داود في الترجل ٤٢٠٦، ٤٢٠٧، ٤٢٠٨، وفي اللباس ٤٠٦٦، والترمذي في الاستئذان ٢٦٢٢، وفي الشمائل ٤٤/٦٣، والنسائي في القسامة رقم ٤٤٩٢، وابن الجارود ٢٧٥ وغيرهم بأسانيد صحيحة.

(٣) رواه أحمد ١/٣٠٢، ومسلم في الجمعة ٦/١٥٦، ١٥٧، ١٥٨، والنسائي وابن ماجه، كلاهما في النكاح من حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنهما. وقوله: قاموس البحر، أي: وسطه أو قعره.

تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا ﴾ [الشورى: ٥١] وجائزاً أن يوصل إليهم جميع ذلك بواسطة تبلغهم كلامه، ارتكون تلك الواسطة إما من غير البشر كالملائكة مع الأنبياء، أو من جنسهم كالأنبياء مع الأمم، ولا مانع لهذا من دليل العقل. وإذا جاز هذا ولم يستحل، وجاءت الرسل بما دل على صدقهم من معجزاتهم، وجب تصديقهم في جميع ما أتوا به؛ لأن المعجز مع التحدي من النبي ﷺ قائم مقام قول الله: صدق عبدي فأطيعوه واتبعوه. وشاهد صدقه: فيما يقوله؛ وهذا كاف، والتطويل فيه خارج عن الغرض.

فالنبوة في لغة من همز مأخوذة من النبأ وهو: الخبر، والمعنى: أن الله تعالى أطلعه على غيبه وأعلمه أنه نبيه، فيكون نبي: منبأ، ففعل بمعنى مفعول. أو يكون مخبراً عما بعثه الله تعالى به، ومنبأ بما أطلعه الله عليه: ففعل بمعنى فاعل. ويكون عند من لم يهمز من النبوة، وهو ما ارتفع من الأرض، ومعناه: أن له رتبة شريفة ومكانة نبهة عند مولاه مُنيفة، فالوصفان في حقه مؤتلفان.

وأما الرسول فهو المرسل. . وإرساله: أمر الله له بالإبلاغ إلى من أرسله إليه، واشتقاقه من التابع، ومنه قولهم: جاء الناس أرسالاً. إذا تبع بعضهم بعضاً، فكأنه ألزم تكرير التبليغ، أو ألزمت الأمة اتباعه.

واختلف العلماء: هل النبي والرسول بمعنى، أو بمعنيين؟

فقيل: هما سواء، وأصله: من الإنباء، وهو الإعلام. واستدلوا بقوله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ ﴾ [الحج: ٥٢]، فقد أثبت لهما الإرسال معاً، قال: ولا يكون النبي إلا رسولاً ولا الرسول إلا نبياً.

وقيل : هما مفترقان من وجه ؛ إذ قد اجتمعا في النبوة التي هي الاطلاع على الغيب والإعلام بخواص النبوة أو الرفعة لمعرفة ذلك وحوز درجتها . وافترقا في زيادة الرسالة للرسول ، وهو الأمر بالإنذار والإعلام . وحجتهم من الآية نفسها : التفريق بين الاسمين . ولو كانا شيئاً واحداً لما حسن تكرارهما في الكلام البليغ . قالوا : والمعنى : وما أرسلنا من رسول إلى أمة أو نبي وليس بمرسل إلى أحد .

وقد ذهب بعضهم إلى أن الرسول من جاء بشرع مبتدئاً ، ومن لم يأت به : نبي غير رسول ، وإن أمر بالإبلاغ والإنذار .

والصحيح والذي عليه الجم الغفير أن كل رسول نبي وليس كل نبي رسول .

وأول الرسل سيدنا آدم ، وآخرهم نبينا^(١) وسيدنا محمد صلوات الله وسلامه عليهم جميعاً .

والأنبياء مائة ألف وأربعة وعشرون ألف نبي ، الرسل منهم ثلاثمائة وثلاثة عشر^(٢) .

وأما الوحي : فأصله الإسراع ، فلما كان النبي يتلقى ما يأتيه من ربه بعجل سمي وحيًا ، وسميت أنواع الإلهامات وحيًا تشبيهاً بالوحي إلى النبي ، وسمي الخط وحيًا لسرعة حركة يد كاتبه . ووحي الحاجب واللحظ : سرعة إشارتهما ، ومنه قوله تعالى : ﴿ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾ [مريم : ١١] ، أي : أوماً ورمز . ومنه قولهم : الوحا الوحا ، أي : السرعة

(١) هذا إجماع لا خلاف فيه .

(٢) جاء هذا في حديث أبي ذر رضي الله تعالى عنه الطويل الذي رواه أحمد ١٧٨/٥ ، ١٧٩ ، وابن حبان رقم ٩٤ ، ٢٠٧٩ بالموارد ، والحاكم ٥٩٧/٢ ورجاله موثقون .

السرعة. وقيل: أصل الوحي: السر والإخفاء، ومنه سمي الإلهام وحياً ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَيْكَ أَوْلِيَاءَهُمْ﴾ [الأنعام: ١١]، أي: يوسوسون في صدورهم، ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَمْرَ مُوسَى﴾ [القصص: ٧]، أي: ألقى في قلبها، وقد قيل ذلك في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا﴾ [الشورى: ٥١]، أي: ما يلقيه في قلبه دون واسطة.

بيان المعجزة وأقسامها وما جاء منها عن نبينا ﷺ

اعلم أن معنى تسميتنا ما جاء به الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم معجزة، هو أن الخلق عجزوا عن الإتيان بمثلها، وهي على ضربين: ضرب هو من نوع قدرة البشر، فعجزوا عنه، فتعجزهم عنه فعل الله تعالى دل على صدق نبيه ﷺ كصرفهم عن تمني الموت، وتعجزهم عن الإتيان بمثل القرآن على رأي بعضهم ونحوه.

وضرب هو خارج عن قدرتهم فلم يقدرُوا على الإتيان بمثله، كإحياء الموتى، وقلب العصا حية، وإخراج ناقة من صخرة، وكلام شجرة، ونبع الماء من الأصابع، وانشقاق القمر، مما لا يمكن أن يفعله أحد، إلا الله، فيكون ذلك على يد النبي ﷺ من فعل الله تعالى، وتحديه من يكذبه أن يأتي بمثله تعجز له.

واعلم أن المعجزات التي ظهرت على يد نبينا ﷺ ودلائل نبوته وبراهين صدقه من هذين النوعين معاً، وهو أكثر الرسل معجزة، وأبهرهم آية. وأظهرهم برهاناً، كما سنبينه، وهي في كثرتها لا يحيط بها ضبط، فإن واحداً منها وهو القرآن الكريم لا يحصى عدد معجزاته بألف ولا ألفين ولا أكثر؛ لأن النبي ﷺ قد تحدى بسورة منه فعجز عنها، قال أهل العلم:

وأقصر السُّور: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَكَ الْكَوْثَرَ﴾^(١)، فكل آية أو آيات منه بعددها
وقدرها معجزة، ثم فيها نفسها معجزات على ما سنفصله فيما انطوى عليه من
المعجزات.

ثم معجزاته ﷺ على قسمين:

قسم منها علم قطعاً، ونقل إلينا متواتراً، كالقرآن، فلا مرية ولا
خلاف بمجيء النبي ﷺ به، وظهوره من قبله، واستدلالة بحجته، وإن
أنكر هذا معاند جاحد فهو كإنكاره وجود حبيبنا محمد ﷺ في الدنيا،
وإنما جاء اعتراض الجاحدين في الحجة به، فهو في نفسه وجميع ما تضمنه
من معجز معلوم ضرورة، ووجه إعجازه معلوم ضرورة ونظراً، كما
سنشرحه.

قال بعض أئمتنا: ويجري هذا المجرى على الجملة أنه قد جرى على
يديه ﷺ آيات وخوارق عادات إن لم يبلغ واحد منها معيناً القطع فيبلغها
جميعها، فلا مرية في جريان معانيها على يديه.

ولا يختلف مؤمن ولا كافر أنه جرت على يديه عجائب، وإنما خلاف
المعاند في كونها من قبل الله، وقد قدمنا كونها من قبل الله، وأن ذلك بمثابة
قوله: صدقت، فقد علم وقوع مثل هذا أيضاً من نبينا ﷺ ضرورة لاتفاق
معانيها، كما يعلم ضرورة جود حاتم، وشجاعة عنتر، وحلم أحنف،
لاتفاق الأخبار الواردة عن كل واحد منهم على كرم هذا، وشجاعة هذا،
وحلم هذا، وإن كان كل خبر بنفسه لا يوجب العلم ولا يقطع بصحته^(٢).

(١) فيها أربع آيات، وأطول السور إطلاقاً سورة البقرة، وأقصر آية ﴿مُذَاهِمَاتَانِ﴾
ونحوها، وأطول آية في القرآن آية المدائنة: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنُمُ
بَدَيْنَ...﴾ إلخ [البقرة: ٢٨٢]، وكلها معجزات للقرآن الكريم.

(٢) وما ذكره في ذلك هو المراد عند الأصوليين وغيرهم بالمتواتر المعنوي.

والقسم الثاني: ما لم يبلغ مبلغ الضرورة والقطع وهو على نوعين: نوع مشتهر منتشر، رواه العدد وشاع الخبر به عند المحدثين والرواة ونقله السير والأخبار، كنبع الماء من بين الأصابع، وتكثير الطعام^(١). ونوع منه اختص به الواحد والاثنان، ورواه العدد اليسير، ولم يشتهر اشتهاً غيره، لكنه إذا جمع إلى مثله اتفقا في المعنى، واجتمعا على الإتيان بالمعجز.

قال أبو الفضل رحمه الله تعالى: وأنا أقول: صدعاً بالحق، إن كثيراً من هذه الآيات المأثورة عنه ﷺ معلومة بالقطع.

أما انشقاق القمر: فالقرآن نص بوقوعه وأخبر عن وجوده، ولا يعدل عن ظاهره إلاً بدليل، وجاء برفع احتمالها صحيح الأخبار من طرق كثيرة^(٢)، ولا يوهن عزمنا خلاف أخرق منحل عُرى الدين، ولا يلتفت إلى سخافة مبتدع يلقي الشك على قلوب ضعفاء المؤمنين، بل نرغم بهذا أنفه، وننبذ بالعراء سخفه.

وكذلك قصة نبع الماء، وتكثير الطعام: رواها الثقات والعدد الكثير عن الجهم الغفير عن العدد الكثير من الصحابة^(٣).

ومنها ما رواه الكافة عن الكافة متصلاً عن حدث بها من جملة الصحابة، وإخبارهم أن ذلك كان في موطن اجتماع الكثير منهم في يوم الخندق، وفي عمرة الحديبية، وغزوة تبوك وأمثالها من محافل المسلمين ومجمع العساكر، ولم يؤثر عن أحد من الصحابة مخالفة للراوي فيما حكاها ولا إنكار عما ذكر عنهم أنهم رأوه كما رواه، فسكوت الساكت منهم كنطق الناطق، إذ هم المنزهون عن السكوت على باطل، والمداهنة في كذب،

(١) سيأتي تخريج ذلك ص ٢٤١ وما بعدها.

(٢) كل ذلك يأتي تخريجه بإذن الله تعالى ص ٢٣٨ وما بعدها.

(٣) كل ذلك يأتي تخريجه بإذن الله تعالى ص ٢٤١ وما بعدها.

وليس هناك رغبة ولا رهبة تمنعهم، ولو كان ما سمعوه منكراً عندهم وغير معروف لديهم لأنكروه كما أنكروا بعض أشياء رواها من السنن والسير وحروف القرآن وخطأ بعضهم بعضاً ووهمه في ذلك مما هو معلوم. فهذا النوع كله يلحق بالقطع من معجزاته ﷺ.

وأيضاً فإن أمثال الأخبار التي لا أصل لها وبنيت على باطل لا بد مع مرور الأزمان وتداول الناس من انكشاف ضعفها وخمولها، كما هو مشاهد في كثير من الأخبار الكاذبة. وأعلام نبينا ﷺ هذه الوارد من طريق الأحاد لا تزداد مع مرور الزمان إلا ظهوراً، ومع تداول وكثرة طعن العدو واجتهاد الملحد على إطفاء نورها إلا قوة وقبولاً، ولا للطاعن عليها إلا حسرة وغليلاً.

وكذلك إخباره ﷺ عن الغيوب وإنباؤه بما يكون وكان، معلوم من آياته على الجملة بالضرورة، وهذا حق لا غطاء عليه. . . وما عندي أوجب قول القائل أن هذه القصص المشهورة من باب خبر الواحد إلا قلة مطالعته للأخبار وروايتها وشغله بغير ذلك من المعارف، وإلا فمن اعتنى بطرق النقل وطالع الأحاديث والسير لم يرتب في صحة هذه القصص المشهورة على الوجه الذي ذكرناه ولا يبعد أن، يحصل العلم بالتواتر عند واحد ولا يحصل عند آخر، فإن أكثر الناس يعلمون بالخبر كون بغداد موجودة وأنها مدينة عظيمة. . . ، وأحد من الناس لا يعلمون اسمها فضلاً عن وصفها.

وهكذا يعلم الفقهاء من أصحاب مالك بالضرورة وتواتر النقل عنه أن مذهبه إيجاب قراءة أم القرآن في الصلاة للمنفرد والإمام، وإجزاء النية أول ليلة من رمضان عما سواه. وأن الشافعي يرى تجديد النية كل ليلة والاقتران في المسح على بعض الرأس. وأن مذهبهما القصاص في القتل بالمحدد وغيره، وإيجاب النية في الوضوء، واشتراط الولي في النكاح. وأن أبا حنيفة

يخالفهما في هذه المسائل . وغيرهم ممن لم يشتغل بمذاهبهم ولا روى أقوالهم لا يعرف هذا من مذاهبهم فضلاً عما سواه .
وعند ذكرنا آحاد هذه المعجزات نزيد الكلام فيها بياناً إن شاء الله تعالى .

إعجاز القرآن وأنواعه

اعلم وفقنا الله تعالى أن كتاب الله العزيز منطوق على وجوه من الإعجاز كثيرة وتحصيلها من جهة ضبط أنواعها في أربعة وجوه :

النوع الأول :

أولها : حسن تأليفه، وفصاحته، ووجوه إعجازه، وبلاغته الخارقة عادة العرب، وذلك أنهم كانوا أرباب هذا الشأن وفرسان الكلام، قد خصوا من البلاغة والحكم ما لم يخص به غيرهم من الأمم، وأوتوا من دراية اللسان ما لم يؤت إنسان، جعل الله لهم ذلك طبعاً وخلقة، وفيهم غريزة وقوة، يأتون منه على البديهة بالعجب، فيخطبون بديهاً في المقامات وشديد الخطب، ويرتجزون به بين الطعن والضرب، ويمدحون ويقدحون، ويرفعون ويضعون، فيأتون من ذلك بالسحر الحلال، فيخدعون الألباب، ويذللون الصعاب، ويذهبون الإحن، ويجرءون الجبان، ويصيرون الناقص كاملاً، ويتركون النبيه خاملاً، منهم البدوي ذو اللفظ الجزل والقول الفصل والمنزع القوي، ومنهم الحضري ذو البلاغة البارعة، والألفاظ الناصعة، والكلمات الجامعة، والطبع السهل، والتصرف في القول القليل الكلفة، الكثير الرونق. وكلا البابين^(١) فلهما في البلاغة الحجة البالغة، والقوة الدامغة، لا يشكون أن الكلام طوع مرادهم، والبلاغة ملك قيادهم؛ قد حووا فنونها واستنبطوا عيونها، ودخلوا من كل باب من أبوابها، وتفننوا في الغث

(١) أي : كلا القسمين من كلام الحضري والبدوي .

والسمين ، وتساجلوا في النظم والنثر ، فما راعهم إلا رسول كريم ، بكتاب عزيز ﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [فصلت : ٤٢] ، أحكمت آياته وفصلت كلماته ، وبهرت بلاغته العقول ، وظهرت فصاحته على كل مقول ، وتظافر إيجازه وإعجازه وتظاهرت حقيقته ومجازه ، وحوث كل البيان جوامعه وبدائعه ، واعتدل مع إيجازه حسن نظمه ومختار لفظه وهم أفصح ما كانوا في هذا الباب مجالاً ، وأشهر في الخطابة رجالاً ، وأوسعهم في الغريب واللغة مقالاً بلغتهم التي بها يتحاورون ، ومنازعهم التي عنها يتناضلون ، صارخاً بهم في كل حين ، ومقرعاً لهم بضعا وعشرين عاماً على رأس الملاء أجمعين : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَبَهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [يونس : ٣٨] .

و ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ ﴾ الآية [البقرة : ٢٣] ، إلى قوله تعالى : ﴿ وَلَنْ تَفْعَلُوا ﴾ [البقرة : ٢٤] .

و ﴿ قُلْ لَنْ أَجْتَمَعِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً ﴾ [الإسراء : ٨٨] .

و ﴿ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُورٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ... ﴾ الآية [هود : ١٣] .

وذلك أن المفترى أسهل ، ووضع الباطل والمخترق على الاختيار أقرب ، واللفظ إذا تبع المعنى الصحيح كان أصعب ، ولهذا قيل : فلان يكتب كما يقال له ، وفلان يكتب كما يريد ، وللأول على الثاني فضل وبينهما شأو بعيد .

فلم يزل يقرعهم ﷺ أشد التقريع ، ويوبخهم غاية التوبيخ ، ويسفه أحلامهم ، ويحط أعلامهم ، ويشتت نظامهم ، ويذم أهتهم وإياهم ، ويستبيح

أرضهم وديارهم وأموالهم، وهم في كل هذا ناكصون عن معارضته، محجمون عن مماثلته، يخادعون أنفسهم بالتشغيب بالتكذيب والإغواء بالافتراء وقولهم: ﴿إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّؤْتَرٌ﴾ [٢١] ﴿إِنَّ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾ [٢٥] [المدثر: ٢٤، ٢٥]، و ﴿سِحْرٌ مُّسْتَمَرٌّ﴾ [القمر: ٢]، و ﴿إِنَّكَ أَفْتَرْتَهُ﴾ [الفرقان: ٤]، و ﴿أَسْطِيرُ الْأُولِينَ﴾ [الأنعام: ٢٥].

والمباهة والرضا بالدينية، كقولهم: ﴿قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾ [البقرة: ٨٨]، و ﴿قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا نَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِي ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ﴾ [فصلت: ٥]، و ﴿لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [فصلت: ٢٦]. والادعاء مع العجز كقولهم: ﴿لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا﴾ [الأنفال: ٣١]. وقد قال الله تعالى لهم: ﴿وَلَنْ تَفْعَلُوا﴾ [البقرة: ٢٤]، فما فعلوا ولا قدروا. ومن تعاطى ذلك من سخفائهم كمسيلمة كشف عواره لجميعهم، وسلبهم الله ما ألفوه من فصيح كلامهم، وإلّا فلم يخف على أهل الميز منهم أنه ليس من نمط فصاحتهم ولا جنس بلاغتهم، بل ولو عنه مدبرين وأتوا مدعين من بين معتد وبين مفتون.

ولهذا لما سمع الوليد بن المغيرة من النبي ﷺ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ﴾ [النحل: ٩٠]، قال: والله إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أسفله لمغدق وإن أعلاه لمثمر، ما يقول هذا بشر^(١).

(١) رواه الحاكم ٥٠٦/٢، ٥٠٧، ومن طريقه البيهقي في الدلائل من حديث ابن عباس، وصححه الحاكم على شرط البخاري ووافقه الذهبي، وذكر ابن إسحاق نحوه في سيرته.

وقوله: لطلاوة، أي: لحسنًا ورونقًا. وقوله: لمغدق، أي: كثير الماء. وقوله: أعلاه لمثمر، أي: ثمره حاصل ناضج، وهو تشبيه منه بأنه كشجرة مسقية مثمرة.

وذكر أبو عبيد أن أعرابياً سمع رجلاً يقرأ: ﴿ فَأَصْدَعُ بِمَا تُؤْمَرُ ﴾ [الحجر: ٩٤]، فسجد وقال: سجدت لفصاحته. وسمع آخر رجلاً يقرأ: ﴿ فَلَمَّا اسْتَيْسَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا ﴾ [يوسف: ٨٠]. فقال: أشهد أن مخلوقاً لا يقدر على مثل هذا الكلام. وحكى الأصمعي أنه سمع جارية تتكلم فقال لها: قاتلك الله ما أفصحك؟! فقالت: أو يعد هذا فصاحة بعد قول الله تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ [القصص: ٧]، فجمع في آية واحدة بين أمرين، ونهيين، وخبرين، وبشارتين^(١).

فهذا نوع من إعجازه، منفرد بذاته، غير مضاف إلى غيره على التحقيق والصحيح من القولين.

وكون القرآن من قبل النبي ﷺ وأنه أتى به معلوم ضرورة. وكونه ﷺ متحدياً به معلوم ضرورة. وعجز العرب عن الإتيان به معلوم ضرورة. وكونه في فصاحته خارقاً للعادة معلوم ضرورة للعالمين بالفصاحة ووجوه البلاغة، وسبيل من ليس من أهلها على ذلك بعجز المنكرين من أهلها عن معارضته، واعتراف المقرين بإعجاز بلاغته.

وأنت إذا تأملت قوله تعالى: ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ ﴾ [البقرة: ١٧٩]، وقوله: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَرَغُوا فَلَا قُوَّةَ وَأُخِذُوا مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴾ [سبأ: ٥١]، وقوله: ﴿ أَدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ

(١) قوله: بين أمرين هما: ﴿ أَرْضِعِيهِ ﴾، ﴿ فَأَلْقِيهِ ﴾، ونهيين، هما: ﴿ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي ﴾، وخبرين، هما: ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ ﴾، ﴿ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ ﴾. وبشارتين، هما: ﴿ إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾. فما أعظم هذا القرآن وما أفصحه، فسبحان الله الذي تكلم به وأنزله على حبيبه، وتكرّم به علينا، فله الحمد في الأولى والآخرة.

حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ [فصلت: ٣٤]، وقوله: ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَنَسَمَاءَ أَقْلَعِي
وَعِضَّ الْمَاءَ وَقُضِيَ الْأَمْرُ﴾ [هود: ٤٤]، وقوله: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِمْ فَمِنْهُمْ مَن
أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَن أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَن خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ
وَمِنْهُمْ مَن أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ
يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾ [العنكبوت: ٤٠]، وأشباهاها من الآي – بل أكثر القرآن –
حققت ما بينته من إيجاز ألفاظها وكثرة معانيها وحسن تأليف حروفها،
وأن تحت كل لفظة منها جملاً كثيرة، وفصولاً جمّة، وعلومًا زواجر،
ملئت الدواوين من بعض ما استفيد منها، وكثرت المقالات في المستنبطات
عنها.

ثم هو في سرد القصص الطوال وأخبار القرون السوالف التي يضعف
في عادة الفصحاء عندها الكلام آية لمتأمله، من ربط الكلام ببعضه ببعض،
كقصة يوسف على طولها. ثم إذا ترددت قصصه اختلفت العبارات عنها على
كثرة تردها حتى تكاد كل واحدة تنسّي في البيان صاحبها، ولا نفور
للنفوس من ترديدها ولا معاداة لمعادها.

النوع الثاني:

الوجه الثاني من إعجازه: صورة نظمه العجيب، والأسلوب الغريب
المخالف لأساليب كلام العرب ومناهج نظمها ونثرها الذي جاء عليه، ولم
يوجد قبله ولا بعده نظير له، ولا استطاع أحد مماثلة شيء منه، بل حارت فيه
عقولهم ولم يهتدوا إلى مثله في جنس كلامهم، ولما سمع كلامه ﷺ
الوليد بن المغيرة وقرأ عليه القرآن رق فجاءه أبو جهل منكراً عليه قال: والله
ما منكم أحد أعلم بالأشعار مني، والله ما يشبه الذي يقول شيئاً من هذا.

وفي خَبَرِهِ الْآخِرِ حِينَ جَمَعَ قَرِيضًا عِنْدَ حُضُورِ الْمَوْسِمِ وَقَالَ: إِنْ وَفُودَ الْعَرَبُ تَرَدُّ فَأَجْمَعُوا فِيهِ رَأْيًا لَا يَكْذِبُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا. فَقَالُوا: نَقُولُ: كَاهِنٌ. قَالَ: وَاللَّهِ مَا هُوَ بِكَاهِنٍ، مَا هُوَ بِزَمَزَمَتِهِ وَلَا سَجْعِهِ. قَالُوا: مَجْنُونٌ. قَالَ: مَا هُوَ بِمَجْنُونٍ وَلَا بِخَنَقِهِ وَلَا وَسُوسَتِهِ. قَالُوا: فَنَقُولُ: شَاعِرٌ. قَالَ: مَا هُوَ بِشَاعِرٍ، قَدْ عَرَفْنَا الشَّعْرَ كُلَّهُ، مَا هُوَ بِشَاعِرٍ. قَالُوا: فَنَقُولُ: سَاحِرٌ. قَالَ: مَا هُوَ بِسَاحِرٍ، وَلَا نَفْثُهُ وَلَا عَقْدُهُ. قَالُوا: فَمَا تَقُولُ؟ قَالَ: مَا أَنْتُمْ بِقَائِلِينَ مِنْ هَذَا شَيْئًا إِلَّا وَأَنَا أَعْرِفُ أَنَّهُ بَاطِلٌ، وَإِنْ أَقْرَبَ الْقَوْلُ أَنَّهُ سَاحِرٌ، فَإِنَّهُ سَحْرٌ يَفْرُقُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَابْنِهِ، وَالْمَرْءِ وَأَخِيهِ، وَالْمَرْءِ وَزَوْجِهِ، وَالْمَرْءِ وَعَشِيرَتِهِ. فَتَفَرَّقُوا وَجَلَسُوا عَلَى السَّبِيلِ يَحْذَرُونَ النَّاسَ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِي الْوَلِيدِ: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾ [المدثر: ١١] الْآيَاتُ (١).

وقال عتبة بن ربيعة حين سمع القرآن: يا قوم قد علمتم أنني لم أترك شيئاً إلا وقد علمته وقرأته وقلته، والله لقد سمعت قولاً، والله ما سمعت مثله قط: ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة (٢).

وفي حديث إسلام أبي ذر رضي الله تعالى عنه ووصف أخاه أنيساً فقال: والله ما سمعت بأشعر من أخي أنيس، لقد ناقض اثني عشر شاعراً في الجاهلية أنا أحدُهُمْ. وأنه انطلق إلى مكة، وجاء إلى أبي ذر يخبر النبي ﷺ قلت: فما يقول الناس؟ قال: يقولون: شاعر، كاهن، ساحر. لقد سمعت قول الكهنة فما هو بقولهم، ولقد وضعته على أقرء الشعر فلم يلتئم، وما

(١) ذكره ابن إسحاق، وأخرجه ابن جرير ١٥٣/٢٩، ١٥٣، ثم البيهقي في الدلائل ١٩٨/٢، وقد أخرج ابن جرير سبب نزول الآية عن ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك وابن زيد.

(٢) رواه ابن إسحاق ١/١٨٥، ١٨٦ مرسلًا بسند حسن، ورواه البغوي في التفسير ٨٩/٦ متصلًا من حديث جابر.

يلتزم على لسان أحد بعدي أنه شعر . وإنه لصادق ، وإنهم لكاذبون^(١) .

والأخبار في هذا صحيحة كثيرة .

والإعجاز لكل واحد من النوعين : الإيجاز والبلاغة بذاتها ، والأسلوب الغريب بذاته ، كل واحد منهما نوع إعجاز على التحقيق ، لم تقدر العرب على الإتيان بواحد منهما ، إذ كل واحد خارج عن قدرتها ، مباين لفصاحتها وكلامها ، وإلى هذا ذهب غير واحد من المحققين . وذهب بعض المقتدى بهم إلى أن الإعجاز : مجموع البلاغة والأسلوب . والصحيح ما قدمناه ، والعلم بهذا كله ضرورة وقطعاً ، ومن تفنن في علم البلاغة وأرهق خاطره ولسانه أدب هذه الصناعة لم يخف عليه ما قلنا .

وقد اختلف أهل السنة في وجه عجزهم عنه ، فأكثرهم يقول : إنه مما جُمعَ في قوة جزالته ونصاعة ألفاظه وحسن نظمه وإيجازه وبديع تأليفه وأسلوبه ، لا يصح أن يكون في مقدور البشر ، وأنه من باب الخوارق الممتنعة عن أقدار الخلق عليها كإحياء الموتى وقلب العصا وتسبيح الحصى .

وذهب الشيخ أبو الحسن رحمه الله تعالى إلى أنه مما يمكن أن يدخل مثله تحت مقدور البشر ويقدرهم الله عليه ، ولكنه لم يكن هذا ولا يكون فمنعهم الله هذا وعجزهم عنه . وقال به جماعة من أصحابه .

وعلى الطريقتين : فعجز العرب عنه ثابت ، وإقامة الحجة بما يصح أن يكون في مقدور البشر وتحديدهم بأن يأتوا بمثله قاطع ، وهو أبلغ في التعجيز وأحرى بالتقريع ، والاحتجاج بمجيء بشر مثلهم بشيء ليس من قدرة البشر

(١) أخرجه مسلم في الفضائل ٢٧/١٦ ، ٣٤ بنحوه ومعناه عن أبي ذر ، وأخرج البخاري معناه في المناقب باب إسلام أبي ذر ١٧٣/٨ عن ابن عباس .

لازم، وهو أبهر آية، وأقنع دلالة، وعلى كل حال فما أتوا في ذلك بمقال، بل صبروا على الجلاء والقتل، وتجرعوا كاسات الصغار والذلل، وكانوا من شموخ الأنف وإبائة الضيم بحيث لا يؤثر ذلك اختيارًا ولا يرضونه إلا اضطرارًا، وإلا فالمعارضة لو كانت من قدرهم والشغل بها أهون عليهم وأسرع بالنجح وقطع العذر وإفحام الخصم لديهم وهم ممن لهم قدرة على الكلام وقدوة في المعرفة به لجميع الأيام، وما منهم إلا من جهد جهده واستنفذ ما عنده في إخفاء ظهوره وإطفاء نوره، فما جلوا في ذلك خبيثة من بنات شفاههم، ولا أتوا بنطفة من معين مياهم مع طول الأمد وكثرة العدد، وتظاهر الوالد وما ولد، بل أبلسوا فما نبشوا، ومنعوا فانقطعوا، فهذان النوعان من إعجازه.

النوع الثالث :

النوع الثالث من الإعجاز: ما انطوى عليه من الأخبار بالمغيبات، وما لم يكن ولم يقع، فوجد كما ورد على الوجه الذي أخبر، كقوله تعالى: ﴿لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ﴾ [الفتح: ٢٧]، وقوله تعالى: ﴿وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ﴾ [الروم: ٣]، وقوله عز وجل: ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ [التوبة: ٣٣]، وقوله جل وعلا: ﴿وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ [النور: ٥٥]، وقوله جل ثناؤه: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ [الفتح: ١]، إلى آخرها.

فكان جميع هذا كما قال تعالى: فغلبت الروم فارس في بضع سنين، ودخل الناس في دين الإسلام أفواجًا، فما مات ﷺ وفي بلاد العرب كلها موضع لم يدخله الإسلام، واستخلف الله المؤمنين في الأرض ومكن فيها دينهم وملكهم إياها من أقصى المشارق إلى أقصى المغرب كما قال ﷺ: «زويت لي الأرض فأريت مشارقها ومغاربها، وسيلغ ملك أمتي ما زوي لي

منها»^(١). وقوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الحجر: ٩]، فكان كذلك لا يكاد يعد من سعي في تغييره وتبديل محكمه من الملحده والمعطله لا سيما القرامطة فأجمعوا كيدهم وحولهم وقوتهم . . . فما قدروا على إطفاء شيء من نوره ولا تغيير كلمة من كلامه، ولا تشكيك المسلمين في حرف من حروفه^(٢) والحمد لله .

ومنه قوله تعالى: ﴿ سَيَهْرَمُ الْجَمْعُ وَيُولُونَ الذُّبْرَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [القمر: ٤٥]، وقوله تعالى: ﴿ قَتَلْتَهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ ﴾ [التوبة: ١٤]. وقوله عز وجل: ﴿ لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى وَإِنْ يُقْتَلُواكُمْ يُولُوكُمْ الَّادْبَارَ ﴾ [آل عمران: ١١١]، فكان كل ذلك .

وما فيه من كشف أسرار المنافقين واليهود ومقالهم وكذبهم في حلفهم وتقريرهم بذلك كقوله تعالى: ﴿ وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ . . . ﴾ الآية [المجادلة: ٨].

وقوله تعالى: ﴿ يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ . . . ﴾ الآية [آل عمران: ١٥٤]. وقوله عز وجل: ﴿ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّعُونَ لِلْكَذِبِ ﴾ الآية [المائدة: ٤١]، وقوله جل علاه: ﴿ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ ﴾ إلى قوله: ﴿ فِي الدِّينِ ﴾ [النساء: ٤٦]. وقد قال مبدياً ما قدره الله واعتقده المؤمنون يوم بدر: ﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ ﴾ [الأنفال: ٧]، ومنه

(١) رواه مسلم في أوائل الفتن ١٨/١٣، وأبو داود ٤٠٢٢، والترمذي ٢٠٠٦، وابن ماجه ١٠، والحاكم ٤/٤٤٩، ٤٥٠ .

(٢) وعلى الرغم مما حوته كتب الشيعة الروافض من الطعن في القرآن – ونقلهم عن أئمة أهل البيت كذباً وافتراء تغييره بالزيادة والنقصان – فإن كل ذلك لم يؤثر في تواتر صحته عند المسلمين شيئاً، بل لم يزد إلا تعظيماً وتقديراً وانتشاراً . . .

قوله تعالى: ﴿ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴾ [الحجر: ٩٥]، وقوله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾ [المائدة: ٦٧]، فكان كذلك على كثرة من رام ضره وقصد قتله. *الأعداء يدان عليهم السلام*

النوع الرابع:

الوجه الرابع: ما أنبأ به من أخبار القرون السالفة والأمم البائدة والشرائع الدائرة، مما كان لا يعلم منه القصة الواحدة إلاّ ألفذ من أحبار أهل الكتاب الذي قطع عمره في تعلم ذلك فيورده النبي ﷺ على وجهه ويأتي به على نضه، فيعترف العالم بذلك بصدقه وصحته وأن مثله لم ينله بتعليم. وقد علموا أنه ﷺ أمي لا يقرأ ولا يكتب ولا اشتغل بمدارسة ولا مجالسة أهل العلم^(١)، ولم يغب عنهم ولا جهل حاله أحد منهم.

وقد كان أهل الكتاب كثيرًا ما يسألونه ﷺ عن هذا فينزل عليه من القرآن ما يتلو عليهم منه ذكرًا، كقصص الأنبياء مع قومهم، وخبر موسى والخضر، ويوسف وإخوته، وأصحاب الكهف، وذو القرنين، ولقمان وابنه، وأشباه ذلك من الأنبياء، وبدء الخلق، وما في التوراة، والإنجيل والزبور، وصحف إبراهيم، وموسى، مما صدقه فيه العلماء بها ولم يقدروا على تكذيب ما ذكر منها، بل أذعنوا لذلك، فمن موفق آمن بما سبق له من خير، ومن شقي معاند حاسد.

ومع هذا لم يحك عن لواحد من النصارى واليهود على شدة عداوتهم له وحرصهم على تكذيبه وطول احتجاجه عليهم بما في كتبهم وتقريرهم بما

(١) ولم يكن إذاك مدارس ولا جامعات ولا أساتذة ولا دكاترة ولا كليات للقراءات ولا للعلوم... فجاء ﷺ بما حارت فيه عقول أكابر المفكرين وأساطين الفلسفة وأخفقوا وأبلسوا عبر العصور والأجيال.

انطوت عليه مصاحفهم، وكثرة سؤالهم له ﷺ وتعنتهم إياه عن أخبار أنبيائهم وأسرار علومهم ومستودعات سيرهم وإعلامه لهم بمكتوم شرائعهم ومضمنات كتبهم، مثل سؤالهم عن الروح وعيسى وحكم الرجم وما حرم إسرائيل على نفسه^(١) وما حرم عليهم من الأنعام ومن طيبات كانت أحلت لهم فحرمت عليهم ببيغيتهم وقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ﴾ [الفتح: ٢٩]، وغير ذلك من أمورهم التي نزل فيها القرآن فأجابهم وعرفهم بما أوحى إليه من ذلك/أنه أنكر ذلك أو كذبه، بل أكثرهم صرح بصحة نبوته وصدق مقاله واعترف بعناده وحسده إياه كأهل نجران وابن سوريا وابني أخطب وغيرهم، ومن باهت في ذلك لما حكاه مخالفة دعي إلى إقامة حجته وكشف دعوته فقيل له^(٢): ﴿قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَةِ فَآتُوهَا إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ﴿١٦﴾ إلى قوله: ﴿الظَّالِمُونَ﴾ ﴿١٧﴾ [آل عمران: ٩٣، ٩٤]، فقرع ووبخ ودعا إلى إحضار ممكن غير ممتنع، فمن معترف بما جحدته، ومتوافق يلقي على فضيحته من كتابه يده^(٣)، ولم يؤثر أن واحداً منهم أظهر خلاف قوله من كتبه ولا أبدى صحيحاً ولا سقيماً من صحفه، قال الله تعالى: ﴿يَتَأْهَلِ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾ [الآيتين: المائدة: ١٥ - ١٦].

(١) أما سؤالهم عن الروح: فرواه البخاري في الاعتصام، وفي التفسير ١٥/١٠، ١٦، ١٧، ١٩، ومسلم في المناقب، والترمذي في التفسير ٢٩٣٩ عن ابن مسعود. وأما حديث سؤالهم عن الرجم فرواه البخاري في المحاربين ١٥/١٨٢، ١٨٣، ومسلم في الحدود ١١/٢٠٩، ٢١٠: وأما حديث سؤالهم عما حرم إسرائيل... إلخ، فرواه أحمد ١/٢٧٣، ٢٧٤، والترمذي في تفسير سورة الرعد ٢٩١٥ وحسنه وصححه وهو من حديث ابن عباس.

(٢) انظر قصة ذلك في التفسير من صحيح البخاري ٩/٢٩٢، ومسلم في الحدود وغيرها.

(٣) في هذا إشارة إلى قصة إحضار التوراة وإلقاء بعض اليهود يده على آية الرجم.

أنواع أخرى من إعجاز القرآن

فهذه الوجوه الأربعة من إعجازه بينة لا نزاع فيها ولا مرية .

* ومن الوجوه البينة في إعجازه من غير هذه الوجوه، أي: وردت بتعجيز قوم في قضايا وإعلامهم أنهم لا يفعلونها، فما فعلوا ولا قدروا على ذلك كقوله تعالى لليهود: ﴿ قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ أَلْدَارُ الْآخِرَةِ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً... ﴾ الآية [البقرة: ٩٤]. قال العلماء: في هذه الآية أعظم حجة وأظهر دلالة على صحة الرسالة؛ لأنه قال لهم: ﴿ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ ﴾ [البقرة: ٩٤] وأعلمهم أنهم لن يتمنوه أبدًا، فلم يتمنه واحد منهم. وعنه ﷺ: «لو أن اليهود تمنوا الموت لماتوا ورأوا مقاعدهم من النار»^(١). فصرفهم الله تعالى عن تمنيه وجزعهم؛ ليظهر صدق رسوله وصحة ما أوحى إليه، إذ لم يتمنه أحد منهم وكانوا على تكذيبه أحرص لو قدروا، ولكن الله تعالى يفعل ما يريد، فظهرت بذلك معجزته وبانت حجته .

وكذلك آية المباهلة من هذا المعنى؛ حيث وفد عليه أساقفة نجران وأبو الإسلام^(٢)، فأنزل الله تعالى عليه آية المباهلة بقوله: ﴿ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ ﴾، إلى قوله: ﴿ فَتَجْعَل لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴾ [آل عمران: ٦١]. فامتنعوا منها ورضوا بأداء الجزية، وذلك أن العاقب عظيمهم قال لهم: قد علمتم أنه نبي، وأنه ما لاعن قومًا نبي قط فبقي كبيرهم ولا صغيرهم .

(١) أخرجه أحمد ٢٤٨/١ وغيره بسند صحيح .

(٢) رواه البخاري في المغازي، باب قصة أهل نجران ١٥٦/٩، ١٥٧، ومسلم في الفضائل ١٩٢/١٥ عن حذيفة رضي الله تعالى عنه قال: جاء العاقب والسيد صاحبنا نجران إلى رسول الله ﷺ يريدان أن يلاعنا، قال: فقال أحدهما لصاحبه: لا تفعل فوالله لئن كان نبيًا فلاعنا لا نفلح نحن ولا عقبنا من بعدنا... الحديث .

ومثله قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ ۚ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِمَّن دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٤﴾ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا﴾ [البقرة: ٢٣، ٢٤]، فأخبرهم أنهم لا يفعلون كما كان.

* ومن وجوه إعجازه: الروعة التي تلحق قلوب سامعيه وأسماعهم عند سماعه، والهيبة التي تعتر بهم عند تلاوته لقوة حاله، وهي على المكذبين به أعظم، حتى كانوا يستثقلون سماعه ويزيدهم نفورًا ويودون انقطاعه لكرهتهم له.

وأما المؤمن فلا تزال روعته به وهيئته إياه — مع تلاوته — تولىه انجذابًا وتكسبه هشاشة وارتياحًا وفرحًا لميل قلبه إليه وتصديقه به، قال الله تعالى: ﴿نَقَشِرُ مِنْهُ جُلُودَ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ رِقْلًا وَمِنْهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الزمر: ٢٣]. وقال تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا...﴾ [الحشر: ٢١].

ويدل على أن هذا شيء خص به، أنه يعتري من لا يفهم معانيه ولا يعلم تفاسيره، كما روي عن نصراني أنه مر بقارىء فوقف يبكي، فقيل له: مم بكيت؟ قال: للشجى والنظم.

وهذه الروعة قد اعترت جماعة قبل الإسلام وبعده، فمنهم من أسلم لها لأول وهلة وآمن به، ومنهم من كفر. فحكى في الصحيح عن جبير بن مطعم قال: سمعت النبي ﷺ يقرأ في المغرب بالطور فلما بلغ هذه الآية: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خُلِقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بَلْ لَا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُضَيِّطُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [الطور: ٣٥ — ٣٧]، كاد قلبي أن يطير للإسلام. وفي رواية: وذلك أول ما وقر الإسلام في قلبي^(١).

(١) رواه البخاري في التفسير ٢٢٦/١٠، ومسلم في الصلاة ١٨٠/٤ وغيرهما. وقوله: «وقر الإسلام... إلخ، أي: تمكن واستقر.

وعن عتبة بن ربيعة أنه كلم النبي ﷺ فيما جاء به من خلاف قومه فتلا عليه: ﴿ حَمَّ ، فَصَلَّتْ . . . ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ صَاعِقَةٌ مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴾ [فصلت: ١ - ١٣]، فأمسك عتبة بيده على في النبي ﷺ وناشده الرحم أن يكف. وفي رواية: فجعل النبي ﷺ يقرأ وعتبة مُصْغٍ، ملقٍ يديه خلف ظهره معتمد عليهما حتى انتهى إلى السجدة فسجد ﷺ وقام عتبة لا يدري بم يراجعه، ورجع إلى أهله ولم يخرج إلى قومه حتى أتوه فاعتذر لهم، وقال: والله لقد كلمني بكلام والله ما سمعت أذناي بمثله قط فما دريت ما أقول له^(١).

وقد حكى عن غير واحد ممن رام معارضته أنه اعترته روعة وهيبة كف بها عن ذلك، فحكى أن ابن المقفع طلب ذلك ورامه وشرع فيه فمر بصبي يقرأ: ﴿ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَسْمَأُ أَقْلِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ ﴾ [هود: ٤٤]، فرجع فمحي ما عمل، وقال: أشهد أن هذا لا يعارض وما هو من كلام البشر، وكان من أفصح أهل زمانه.

وكان يحيى بن حكم الغزال بليغ الأندلس في زمنه، حكى أنه رام شيئاً من هذا، فنظر في سورة الإخلاص ليحذو على مثالها بزعمه، قال: فاعترتني منه خشية ورقة حملتني على التوبة والإنابة.

* ومن وجوه إعجازه كونه آية باقية لا تعدم ما بقيت الدنيا، مع تكفل الله تعالى بحفظه، فقال: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩]، وقال: ﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ . . . ﴾ الآية [فصلت: ٤٢]، وسائر معجزات الأنبياء انقضت بانقضاء أوقاتها فلم يبق إلا خبرها،

= وقول المؤلف هنا: «فحكى في الصحيح» لا يقال هذا في الأحاديث النبوية ولا سيما الصحيحة، وإنما يقال ذلك في الأخبار العادية المحتملة للصدق والكذب.

(١) تقدم في هذا الفصل.

والقرآن العزيز الباهر آياته، الظاهر معجزاته، على ما كان عليه إلى وقتنا هذا، حجة قاهرة، ومعارضته ممتنعة، والأعصار كلها طافحة بأهل البيان وأئمة البلاغة وفرسان الكلام، والملحد فيهم كثير^(١) والمعادي للشرع عتيد، فما منهم من أتى بشيء، تؤثر في معارضته، ولا ألف كلمتين في مناقضته، ولا قدر فيه على مطعن صحيح، بل المأثور عن كل من رام ذلك النكوص على عقبيه.

* ومن وجوه إعجازه أن قارئه لا يمل، وسامعه لا يمجد، بل الإكباب على تلاوته يزيده حلاوة، وترديده يوجب له محبة، لا يزال غصًا طريًا، وغيره من الكلام ولو بلغ في الحسن والبلاغة مبلغه يُملّ مع التردد ويعادى إذا أعيد. وكتابنا يُستلذُّ به في الخلوات، ويؤنس بتلاوته في الأزمان، وسواه من الكتب لا يوجد فيها ذلك، حتى أحدث أصحابها لحونًا وطرقًا يستجلبون بتلك اللحون تنشيطهم على قراءتها.

ولهذا وصف رسول الله ﷺ القرآن بأنه «لا يخلق على كثرة الرد، ولا تنقضي عبره، ولا تفنى عجائبه، هو الفصل ليس بالهزل، ولا يشع منه العلماء، ولا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، هو الذي لم تنته الجن حين سمعته أن قالوا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ﴾ [الجن: ١] (٢).

- (١) وخاصة في عصرنا في القرن الرابع عشر مع الخامس عشر؛ فقد حاولوا تغييره مرارًا، وطبع محرّفًا عدة مرات من طرف اليهود والمبشرين المسيحيين وغيرهم، فافتضحوا وأخفقوا ورد الله كيدهم في نحورهم، وها هو القرآن الكريم ظاهر يتلى ويحفظ في المساجد والكتاتيب والدور ويذاع على أمواج الإذاعات في كل الدول حتى الكافرة منها، وما استطاع أحد إدخال أو إخراج حرف منه، وبقي يتلى كذلك.
- (٢) رواه أحمد ٩١/١، والترمذي ٢٧١٥، والدارمي ٣٣٣٤، ٣٣٣٥. وهو وإن كان سنه ضعيفًا فإن له شاهدًا عن ابن مسعود، رواه الدارمي ٣٣١٨، والحاكم =

* ومن وجوه إعجازه: جمعه لعلوم ومعارف لم تعهد العرب عامة ولا حبينا محمد ﷺ قبل نبوته خاصة بمعرفتها، ولا القيام بها، ولا يحيط بها أحد من علماء الأمم، ولا يشتمل عليها كتاب من كتبهم؛ فجمع فيه من بيان علم الشرائع والتنبيه على طرق الحجج العقلية والرد على فرق الأمم ببراهين قوية، وأدلة بينة، سهولة الألفاظ موجزة المقاصد، رام المتحذلقون بعد أن ينصبوا أدلة مثلها فلم يقدرُوا عليها، كقوله تعالى: ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾ ﴿٨١﴾ [يس: ٨١]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [يس: ٧٩]. وقوله عز وجل: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢].

إلى ما حواه من علوم السير وأنباء الأمم، والمواعظ والحكم، وأخبار الدار الآخرة، ومحاسن الآداب والشيم. قال الله تعالى: ﴿مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [المائدة: ٣٨]، وقال جل علاه: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيِينًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ [النحل: ٨٩]، وقال جل ثناؤه: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾ [الروم: ٥٨].

وقال ﷺ: «فيه نبؤكم وخبر ما كان قبلكم ونبأ ما بعدكم، وحكم ما بينكم، لا يخلقه طول الرد، ولا تنقضي عجائبه، هو الحق ليس بالهزل، من قال به صدق، ومن حكم به عدل، ومن خاصم به فلج، ومن قسم به أقسط، ومن عمل به أجر، ومن تمسك به هدي إلى صراط مستقيم، ومن طلب الهدى من غيره أضله الله، ومن حكم بغيره قصمه الله، هو الذكر الحكيم، والنور المبين، والصراط المستقيم، وحبل الله المتين، والشفاء النافع،

٢٨٩/٢ وصححه، ورده الذهبي. وعلى كل فيتقوى به وليس فيه ما ينكر، بل عليه أنوار النبوة كما لا يخفى.

عصمة لمن تمسك به، ونجاة لمن اتبعه، لا يعوج فيقوم، ولا يزيغ فيستعيب»^(١).

وقال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَنْصُ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [النمل: ٧٦]، وقال تعالى: ﴿هَذَا بَيَّانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى . . .﴾ [آل عمران: ١٣٨]، فجمع فيه مع وجازة ألفاظه وجوامع كلمه أضعاف ما في الكتب قبله التي ألفاظها على الضعف منه مرات.

* ومن وجوه إعجاز: جمعه فيه بين الدليل ومدلوله، وذلك أنه احتج بنظم القرآن وحسن وصفه وإيجازه وبلاغته، وأثناء هذه البلاغة أمره ونهيه، ووعدته ووعيده، فالتالي له يفهم موضع الحجة والتكليف معاً من كلام واحد، وسورة منفردة.

* ومن ذلك: أن جعله في حيز المنظوم الذي لم يعهد، ولم يكن في حيز المنشور، لأن المنظوم أسهل على النفوس، وأوعى للقلوب، وأسمع في الأذان، وأحلى على الأفهام، فالناس إليه أميل، والأهواء إليه أسرع.

* ومن ذلك: تيسيره تعالى حفظه لمتعلميه، وتقريبه على متحفظيه، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ﴾ [القمر: ١٧]، وسائر الأمم لا يحفظ كتبها الواحد منهم فكيف الجماء على مرور السنين عليهم، والقرآن ميسر حفظه للغلمان في أقرب مدة.

* ومن ذلك: مشاكلة بعض أجزائه بعضاً، وحسن ائتلاف أنواعها، وحسن التخلص من قصة إلى أخرى، والخروج من باب إلى غيره، على اختلاف معانيه، وانقسام السورة الواحدة إلى أمر، ونهي، وخبر، واستخبار، ووعد، ووعيد، وإثبات نبوة، وتوحيد، وتفريد، وترغيب،

(١) نفس التعليق السابق.

وترهيب، إلى غير ذلك من فوائده، دون خلل يتخلل فصوله. والكلام الفصيح إذا اعتوره مثل هذ ضعفت قوته ولانت جزالته، وقل رونقه، واضطربت ألفاظه.

فتأمل أول ﴿ص﴾ وما جمع فيها من أخبار الكفار وشقاقهم وتقريرهم بإهلاك القرون من قبلهم، وما ذكر من تكذيبهم بحبيبتنا محمد ﷺ وتعجبهم مما أتى به، والخبر عن اجتماع ملئهم على الكفر، وما ظهر من الحسد في كلامهم، وتعجزهم وتوهينهم، ووعيدهم بخزي الدنيا والآخرة، وتكذيب الأمم قبلهم، وإهلاك الله لهم، ووعيد هؤلاء مثل مصابهم، وتصبير النبي ﷺ على أذاهم، وتسليته بكل ما تقدم ذكره. ثم أخذ في ذكر داود وقصص الأنبياء صلوات الله وسلامهم عليهم. كل هذا في أوجز كلام وأحسن نظام.

وهذا كله وكثير مما ذكرنا أنه ذكر في إعجاز القرآن، إلى وجوه كثيرة ذكرها الأئمة رحمهم الله تعالى لم نذكرها إذ أكثرها داخل في بلاغته، وكذلك كثير مما قدمنا يعد في خواصه وفضائله لا في إعجازه، وحقيقة الإعجاز الوجوه الأربعة الأولى وما بعدها من خواص القرآن وعجائبه التي لا تنقضي والله ولي التوفيق.

معجزة انشقاق القمر

قال الله تعالى: ﴿أَفْتَرَبِ السَّاعَةَ وَأَنْشَقَّ الْقَمَرَ ﴿١﴾ وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرَضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴿٢﴾﴾ [القمر: ١، ٢]، أخبر تعالى بوقوع انشقاقه بلفظ الماضي، وإعراض الكفرة عن آياته. وأجمع المفسرون وأهل السنة على وقوعه^(١).

(١) وكيف لا يجمعون على ذلك والقرآن ينص عليه والأحاديث بذلك متضافرة، حتى قال ابن السبكي في شرح مختصر ابن الحاجب: الصحيح عندي أن انشقاق القمر =

فعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ فرقتين فرقة فوق الجبل وفرقة دونه، فقال رسول الله ﷺ: «اشهدوا»^(١).

وعن أنس رضي الله تعالى عنه أن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم آية فأراهم انشقاق القمر مرتين^(٢).

ونحوه عن ابن عمر وابن عباس وغيرهم رضي الله تعالى عنهم^(٣).

وعن جبير بن مطعم رضي الله تعالى عنه قال: انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ حتى صار فرقتين على هذا الجبل وعلى هذا الجبل، فقالوا: سحرنا محمد، فقال بعضهم: لئن كان سحرنا فما يستطيع أن يسحر الناس كلهم^(٤).

متواتر منصوص عليه في القرآن مروي في الصحيحين وغيرهما من طرق شتى لا يمتري في تواتره. وكذا قال ابن كثير في التفسير: إنه ورد ذلك في الأحاديث المتواترة بالأسانيد الصحيحة قال: وهذا أمر متفق عليه بين العلماء، أن انشقاق القمر قد وقع في زمن النبي ﷺ، وأنه كان إحدى المعجزات الباهرات. وقال القنوجي في فتح البيان: فقد ثبت في الصحيح وغيره من طرق متواترة أنه قد كان ذلك في أيام النبوة. وقال الفخر الرازي: والمفسرون بأسرهم على أن المراد أن القمر انشق... إلخ.

(١) أسنده من طريق البخاري وهو، عنده في التفسير ٢٤٠/١٠، وفي المناقب ١٨٣/٨، ١٨٥، ومسلم في صفة القيامة ١٤٤/١٧، والترمذي ٣٠٦٩، وكذا أحمد رقم ٣٥٨٣ وغيرهم.

(٢) البخاري في التفسير ٢٤١/١٠، وفي المناقب ١٨١/٨، ومسلم في صفة القيامة ١٤٥/١٧.

(٣) حديث ابن عمر رواه مسلم ١٤٤/١٧، ١٤٥.

(٤) رواه أحمد ٨١/٤، ٨٢، والترمذي ٣٠٧٢، والحاكم ٤٧٢/٢ بسند صحيح على شرط مسلم.

والآية مصرحة، ولا يلتفت إلى اعتراض مخذول، بأنه لو كان هذا لم يخف على أهل الأرض، إذ هو ظاهر للجميع؛ إذ لم ينقل لنا عن أهل الأرض أنهم رصدوه تلك الليلة فلم يروه انشق، ولو نقل إلينا عن لا يجوز تمالؤهم لكثرتهم على الكذب لما كانت علينا به حجة؛ إذ ليس القمر في حد واحد لجميع أهل الأرض فقد يطلع على قوم قبل أن يطلع على الآخرين. . . وقد يحول بين قوم وبينه سحاب أو جبال، ولهذا تجد الكسوفات في بعض البلاد دون بعض، وفي بعضنا جزئية، وفي بعضها لا يعرفها إلا المدعون لعلمها ذلك تقدير العزيز العليم.

وآية القمر كانت ليلاً، والعادة من الناس بالليل الهدوء وإغلاق الأبواب، ولا يكاد يعرف من أمور السماء شيئاً إلا من رصد ذلك، وكثيراً ما يحدث الثقات بعجائب يشاهدونها من أنوار نجوم طوالع عظام تظهر في الأحيان بالليل ولا علم عند أحد منها.

= هذا فيما يتعلق بانشقاق القمر. وقد ذكر المؤلف رحمه الله عقبه حديث رجوع الشمس للنبي ﷺ بعدما غربت. وذكر في ذلك حديث أسماء بنت عميس الذي رواه الطحاوي في مشكل الآثار ٨/٢، ٩، وذكر عنه أن رجاله ثقات. وقد ورد أيضاً من حديث جابر، رواه الطبراني في الكبير. والحديث حسنه أبو زرعة العراقي والحافظ السيوطي، وصححه الحافظ أبو الفتح الأزدي، وأورده الحافظ في الفتح وذكر طرقه وقال: قد علمت مما أسلفنا من حكم الحافظ في هذا الحديث وتبين حال رجاله أنه ليس فيهم متهم ولا من أجمع على تركه ولا ح له ثبوت الحديث وعدم بطلانه... إلخ. وكذا أورده الهيثمي ٢٩٧/٨ برواية كبير الطبراني، وقال: بأسانيد، ورجال أحدها رجال الصحيح... إلخ، فانظر بقية كلامه. وأورده ابن الجوزي في الموضوعات وغيره، وقد أظن في بطلانه شيخ الإسلام ابن تيمية في منهاج السنة بما لا مزيد عليه. وذكر لبطلانه أدلة قوية.

نبح الماء من بين أصابعه الشريفة وتكثيره ببركته ﷺ

روي نبح الماء من أصابعه ﷺ جماعة من الصحابة رضي الله تعالى عنهم، كأنس وابن مسعود وجابر وابن عباس وعمران بن حصين وغيرهم.

فعن أنس رضي الله تعالى عنه قال: رأيت رسول الله ﷺ وحانت صلاة العصر، فالتمس الناس الوضوء، فلم يجدوه، فأتي رسول الله ﷺ بوضوء، فوضع رسول الله ﷺ في ذلك الإناء يده وأمر الناس أن يتوضؤوا منه، فرأيت الماء ينبع من بين أصابعه، فتوضأ الناس حتى توضؤوا من عند آخرهم. في رواية: قيل: كم كنتم؟ قال: زهاء ثلاثمائة. وفي رواية: ثمانين. وفي أخرى سبعين رجلاً^(١).

وعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: بينما نحن مع رسول الله ﷺ وليس معنا ماء، فقال لنا رسول الله ﷺ: «اطلبوا من معه فضل ماء»، فأتي بماء فصبه في إناء ثم وضع كفه فيه فجعل الماء ينبع من بين أصابع رسول الله ﷺ^(٢).

وعن جابر رضي الله تعالى عنه قال: عطش الناس يوم الحديبية، ورسول الله ﷺ بين يديه ركوة، فتوضأ منها، وأقبل الناس نحوه وقالوا: ليس عندنا ماء إلا ما في ركوتك فوضع النبي ﷺ يده في الركوة، فجعل الماء يفور من بين أصابعه كأمثال العيون. وفيه: فقيل: كم كنتم؟ قال: لو كنا مائة

(١) رواه أحمد ٣/١٦٥، والبخاري في الطهارة ١/٢٨١، ٢٨٢، وفي علامات النبوة ٧/٣٩٦، ٣٩٧، ٣٩٨، ومسلم في الفضائل ١٥/٣٨، ٣٩، والترمذي ٣٤٠٦. وقوله: الوضوء بفتح الواو، يطلق على الماء الذي يتوضأ به وعلى الآنية التي فيها الماء.

(٢) رواه البخاري في علامات النبوة ٧/٤٠٢، ٤٠٣، والترمذي ٣٤٠٨، وكذا أحمد ١/٤٠٢، ٤٠٦، والدارمي ٢٩.

ألف لكفانا، كنا خمس عشرة مائة^(١).

وعنه في ذكر غزوة، بواط قال لي رسول الله ﷺ: «يا جابر ناد الوضوء»، فذكر الحديث بطوله، وأنه لم يجد إلا قطرة في عزلاء شجب فأتى به النبي ﷺ فغمزه وتكلم بشيء لا أدري ما هو، وقال: «ناد بجفنة الركب»، فأتيت فوضعتها بين يديه. . . وذكر أن النبي ﷺ بسط يده في الجفنة وفرق أصابعه وصب جابر عليه، وقال: «بسم الله»، قال: فرأيت الماء يفور من بين أصابعه ثم فارت الجفنة واستدارت حتى امتلأت، وأمر الناس بالاستقاء فاستقوا حتى رووا، فقلت: هل بقي أحد له حاجة؟ فرفع رسول الله ﷺ يده من الجفنة وهي مملأى^(٢).

ومثل هذا في هذه المواطن الحفلة والجموع الكثيرة لا تتطرق التهمة إلى المحدث به لأنهم كانوا أسرع شيء إلى تكذيبه لما جبلت عليه النفوس من ذلك، ولأنهم كانوا ممن لا يسكت على باطل، فهؤلاء قد رووا هذا وأشاعوه ونسبوا حضور الجماء الغفير له، ولم ينكر أحد من الناس عليهم ما حدثوا به عنهم أنهم فعلوه وشاهدوه فصار كتصديق جميعهم له^(٣).

(١) رواه البخاري في الأشربة ١٢/٢٠٤، ٢٠٥، وفي علامات النبوة ٧/٣٩٨، وفي المغازي ٨/٤٤٧، ٤٤٨، وأحمد ٣/٣٢٩.

وقوله: ركوة بفتح الراء وسكون الكاف إناء من جلد.

(٢) رواه مسلم آخر الكتاب ١٨/١٤٥، ١٤٦.

(٣) قال القرطبي: لم يسمع بمثل هذه المعجزة عن غير نبينا ﷺ، حيث نبع الماء من بين عظمه وعصبه ولحمه ودمه. وقد نقل ابن عبد البر عن المزني أنه قال: نبع الماء من بين أصابعه ﷺ أبلغ في المعجزة من نبع الماء من الحجر، حيث ضربه موسى عليه السلام بالعصا فتفجرت منه المياه؛ لأن خروج الماء من الحجارة معهود، بخلاف خروج الماء من بين اللحم والدم. اهـ. نقله الحافظ في الفتح. وهذه القصة في نبع الماء من بين أصابعه تكررت منه في عدة مواطن في مشاهد =

تفجير الماء ببركته وانبعائه بمسه ودعوته ﷺ

عن معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه في قصة غزوة تبوك وأنهم وردوا العين وهي تبصر بشيء من ماء مثل الشراك، فغرفوا من العين بأيديهم حتى اجتمع في شيء، ثم غسل رسول الله ﷺ فيه وجهه ويديه وأعادها فيها، فجرت بماء كثير فاستقى الناس. وفيه قوله ﷺ: «يوشك يا معاذ إن طالت بك حياة أن ترى ما ههنا قد ملئنا»^(١).

وفي حديث البراء وسلمة بن الأكوع رضي الله تعالى عنهما في قصة الحديدية وهم أربع عشرة مائة وبئرها لا تروي خمسين شاة: فنزحناها فلم نترك فيها قطرة، ففعد رسول الله ﷺ على جباها. قال البراء: وأتي بدلونا فبصق فدعا. وقال سلمة: فإما دعا وإما بصق فيها فجاشت، فأرووا أنفسهم وركابهم^(٢).

= عزيمة حضراً وسفراً. قال العلماء: ووردت من طرق كثيرة يفيد مجموعها العلم القطعي المستفاد من التواتر المعنوي.

(١) رواه أحمد ٥/٢٣٧، ٢٣٨، ومسلم في الفضائل ١٥/٤٠، ٤١ مطولاً. وقوله: «تبص» بفتح التاء وكسر الباب وتشديد الصاد المهملة، أي: تلمع، وفي رواية تبص بالمعجمة، أي: تسيل وتقطر. و«الشراك»: هو سير رقيق يجعل في النعل.

وفي هذا الحديث مع ما فيه من معجزة جريان الماء ببركة لمسه ﷺ فيه معجزة أخرى وهي: إخباره بما وقع حالياً من وجود البساتين والجنان والحدائق في تبوك بما ظهر من المياه. . . وقد أصبحت تبوك اليوم مدينة ذات سكان وعمران. . . بعد أن كانت صحراء قاحلة رملية.

(٢) أما حديث البراء فرواه البخاري في علامات النبوة ٧/٣٩٨، وفي المغازي ٨/٤٤٧، ٤٤٨. وأما حديث سلمة فهو في السير من صحيح مسلم ١٢/١٧٥ مطولاً.

وفي رواية لغيرهما: فأخرج سهمًا من كنانته فوضعه في قعر قليب ليس فيه ماء فروى الناس حتى ضربوا بعطن.

وعن أبي قتادة رضي الله تعالى عنه، وذكر: أن الناس شكوا إلى رسول الله ﷺ العطش في بعض أسفاره، فدعا بالميضأة فجعلها في ضبته، ثم التقم فمها فالله أعلم نفث فيها أم لا، فشرب الناس حتى رووا وملأوا كل إناء معهم فخيّل إليّ أنها كما أخذها مني، وكانوا اثنين وسبعين رجلاً^(١).

وفي رواية عنه: أنه قال له: «احفظ عليّ ميضأتك فإنه سيكون لها نبأ...» وذكر نحوه^(٢).

ومن ذلك حديث عمران بن حصين رضي الله عنه حين أصاب النبي ﷺ وأصحابه عطشٌ في بعض أسفارهم فوجه رجلين من أصحابه، وأعلمها أنهما يجدان امرأة بمكان كذا معها بعير عليه مزادتان... وفيه: فوجداها وأتيا بها إلى النبي ﷺ فجعل في إناء من مزادتيها وقال فيه ما شاء الله أن يقول، ثم أعاد الماء في المزادتين ثم فتحت عزاليها وأمر الناس فملئوا أسقيتهم حتى لم يدعوا شيئاً إلا ملئوه. قال عمران: ويخيّل إليّ أنهما لم تزدادا إلا امتلاءً، ثم أمر فجمع للمرأة من الأزواد حتى ملأ ثوبها، وقال: «اذهبي فإننا لم نأخذ من مائك شيئاً - ولكن الله تعالى سقانا - الحديث بطوله^(٣).

(١) رواه مسلم في المساجد من كتاب الصلاة ٥/١٨٣، ١٨٩ مطولاً. والضبن: ما بين الكشح إلى الإبط.

(٢) نفس المرجع السابق.

(٣) رواه أحمد ٤/٤٣٤، ٤٣٥، والبخاري في التيمم ١/٤٦٤، ٤٧٠، وفي علامات النبوة ٧/٣٩٢، ٣٩٤، ٣٩٥، ومسلم في المساجد ٥/١٨٩، ١٩٢ مطولاً في نومهم حتى طلعت الشمس.

وفي حديث عمر رضي الله تعالى عنه في جيش العسرة . . وذكر ما أصابهم من العطش حتى إن الرجل لينحر بعيره فيعصر فرثه فيشربه فرغب أبو بكر رضي الله تعالى عنه إلى النبي ﷺ في الدعاء، فرفع يديه، فلم يرجعهما حتى قالت السماء، فانسكبت فملئوا ما معهم من آنية، ولم تجاوز العسكر^(١).

معجزة تكثير الطعام ببركته ودعائه ﷺ

عن جابر رضي الله تعالى عنه: أن رجلاً أتى النبي ﷺ يستطعمه، فأطعمه شطر وسق شعير، فما زال يأكل منه وامراته وضيفه حتى كاله، فأتى النبي ﷺ فأخبره، فقال: لو لم تكله لأكلتم منه ولقام بكم^(٢).

* ومن ذلك: حديث أبي طلحة المشهور، وإطعامه ﷺ ثمانين أو سبعين رجلاً من أقراص من شعير جاء بها أنس تحت يده، أي: إبطه، فأمر بها ففتت، وقال فيها ما شاء الله أن يقول^(٣).

وحديث جابر في إطعامه ﷺ يوم الخندق ألف رجل من صاع شعير وعناق. قال جابر: فأقسم بالله لأكلوا حتى تركوه وانحرفوا، وإن برمتنا لتغط كما هي، وإن عجينا ليخبز، وكان رسول الله ﷺ بصق في العجين والبرمة وبارك^(٤).

(١) رواه ابن حبان ١٧٠٧، والحاكم ١٥٩/١ بسند صحيح. وعزاه الهيثمي ١٩٤/٦، ١٩٥، للبزار والطبراني، قال: رجال البزار ثقات. وأقول: هذا باب واسع، إحصاؤه يحتاج إلى تتبع ووقت.

(٢) أسنده من طريق مسلم، وهو عنده في أول الفضائل ٤٠/١٥. وفي هذا الحديث معجزة ظاهرة وبركة واضحة.

(٣) رواه أحمد والبخاري في علامات النبوة ٣٩٩/٧، ٤٠٢، وفي الأطعمة، ومسلم في الأشربة ٢١٧/١٣، ٢٢٣ وغيرهم من طرق وألفاظ.

(٤) رواه البخاري في غزوة الخندق ٣٩٨/٨، ٤٠١، ٤٠٢، ومسلم في الأشربة =

وعن سمرة بن جندب قال: أتى النبي ﷺ بقصعة فيها لحم فتعاقبوها من غدوة حتى الليل يقوم قوم ويقعد آخرون^(١).

ومن ذلك حديث عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله تعالى عنهما قال: كنا مع النبي ﷺ ثلاثين ومائة. . . وذكر في الحديث: أنه عجن صاع من طعام وصنعت شاة فشوي سواد بطنها. قال: وأيم الله ما من الثلاثين ومائة إلا وقد حزَّ له حزة من سواد بطنها، ثم جعل منها قصعتين، فأكلنا أجمعون وفضل في القصعتين، فحملته على البعير^(٢).

ومن ذلك: حديث سلمة بن الأكوع، وأبي هريرة، وعمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه أنهم ذكروا مخمصة أصابت الناس مع النبي ﷺ في بعض مغازيه، فدعا ببقية الأزواد، فجاء الرجل بالحثية من الطعام وفوق ذلك، وأعلاهم الذي أتى بالصاع من التمر، فجمعه على

= ٢١٥/١٣، ٢١٧ وفيه: . . . فجئته فساررته فقلت: يا رسول الله إنا قد ذبحنا بهيمة لنا وطحنت صاعاً من شعير كان عندنا فتعال أنت في نفر معك. فصاح رسول الله ﷺ وقال: «يا أهل الخندق إن جابراً قد صنع لكم سوراً فحيهلاً بكم»، وقال رسول الله ﷺ: «لا تنزلنَّ برمتكم ولا تخبزنَّ عجيتكم حتى أجيء» فجئت وجاء رسول الله ﷺ يقدم الناس، قال: فأخرجتُ له عجيتنا فبصق فيها وبارك، ثم عمد إلى برمتنا فبصق فيها وبارك، ثم قال: «ادعي خابزة فلتخبز معك واقدحي من برمتكم ولا تنزلوها»، وهم ألف، فأقسم بالله لأكلوا حتى تركوه. . . إلخ.

(١) رواه الترمذي في المناقب ٣٤٠٠، والدارمي ٥٧، والحاكم ٦١٨/٢، وصححه الترمذي والحاكم والذهبي، وهو على شرط البخاري ومسلم وفيه: تقوم عشرة وتقعد عشرة، قلنا: فما كانت تمدا؟ قال: من أي شيء تعجب، ما كانت تمد إلا من ها هنا، وأشار بيده إلى السماء.

(٢) رواه البخاري في البيوع، وفي الهبة ١٦٠/٦ وغيرهما، ومسلم ١٦/١٤، ١٧ في الأطعمة. وقوله: «سواد بطنها»، يعني: الكبد. «وحزَّ له»، أي: قطع.

نَطَعٌ. قال سلمة: فحزرتة كربضة العنز، ثم دعا الناس بأوعيتهم فما بقي في الجيش وعاء إلا ملؤه، وبقي منه قدر ما جعل وأكثر، ولو ورد أهل الأرض لكفاهم^(١).

وعن علي رضي الله تعالى عنه: جمع رسول الله ﷺ بني عبد المطلب وكانوا أربعين، منهم قوم يأكلون الجذعة ويشربون الفرق، فصنع لهم مدًا من طعام، فأكلوا حتى شبعوا، وبقي كما هو، ثم دعا بعس فشربوا حتى رووا وبقي كأنه لم يشرب منه^(٢).

وقال أنس رضي الله تعالى عنه: إن النبي ﷺ حين ابتنى بزینب أمره أن يدعو له قومًا سماهم، وكل من لقيت، حتى امتلأ البيت والحجرة، وقدم إليهم تورًا فيه قدر مد من تمر جعل حيسًا، فوضعه قدامه وغمس ثلاث أصابعه، وجعل القوم يتغدون ويخرجون، وبقي التور نحوًا مما كان، وكان القوم أحدًا أو اثنين وسبعين. وفي رواية في هذه القصة أو مثلها: إن القوم كانوا زهاء ثلاثمائة، وأنهم أكلوا حتى شبعوا. وقال لي: «ارفع» فلا أدري، حين وضعت كانت أكثر أم حين رفعت^(٣).

(١) رواه البخاري في الشركة ٥٥/٦ وفي الجهاد، ومسلم قبيل الجهاد ٣٣/١٢، ٣٤، وفيه عند البخاري ذكر عمر. و«المخمصة»: الجوع. و«النطع» بساط من جلد. وقوله: «فحزرتة»، أي: قدرته. و«ربضة العنز» مثل جنتها إذا ربضت في مريضها.

(٢) رواه أحمد ١٥٩/١ بسند صحيح، وأورده نور الدين في المجمع ٣٠٢/٨، وعزاه لأحمد. قال: ورجاله ثقات. وقوله: «بعس». الصواب: بغير، كما في المسند والمجمع، وهو: القدح الصغير.

(٣) الحديث أخرجه البخاري في تفسير سورة الأحزاب ١٤٨/١٠، ومسلم في النكاح ١٣٣/٩، والسياق له مع تغيير يسير. و«الحيس» خليط من تمر وسمن وأقط.

وعن النعمان بن مقرن رضي الله تعالى عنه قال: قدمنا على رسول الله ﷺ في أربعمائة من مزينة، فأمرنا رسول الله ﷺ بأمره، فقال بعض القوم: يا رسول الله ﷺ ما لنا طعام نتزوده؟ فقال النبي ﷺ لعمر: «زودهم». فقال: ما عندي إلا فاضلة من تمر وما أراها تغني عنهم شيئاً. فقال: «انطلق فزودهم». فانطلق بنا إلى عليّة، فإذا فيها تمر مثل البكر الأورق فقال: خذوا. فأخذ القوم حاجتهم. قال: وكنت أنا في آخر القوم، قال: فالتفت وما أفقد موضع تمرّة وقد احتمل منه أربعمائة رجل (١).

ومن ذلك: حديث جابر في دين أبيه بعد موته، وقد كان بذل لغرماء أبيه أصل ماله فلم يقبلوه، ولم يكن في ثمرها سنتين كفاف دينهم، فجاءه النبي ﷺ - بعد أن أمره بجدها وجعلها بيادر في أصولها - فمشى فيها ودعا، فأوفى منه جابر غرماء أبيه وفضل مثل ما كانوا يجدون كل سنة. وفي رواية: مثل ما أعطاهم. قال: وكان الغرماء يهود، فعجبوا من ذلك (٢).

ومنه أيضاً: حديث أبي هريرة حين أصابه الجوع، فاستتبعه النبي ﷺ فوجد لبناً في قدح قد أهدي إليه وأمره أن يدعو أهل الصفة. قال: فقلت: ما هذا اللبن فيهم؟ كنت أحق أن أصيب منه شربة أتقوى بها. فدعوتهم، وذكر أمر النبي ﷺ أن يسقيهم، فجعلت أعطي الرجل فيشرب حتى يروي ثم يأخذه الآخر، حتى روى جميعهم، قال: فأخذ النبي ﷺ

(١) رواه أحمد ٤٤٥/٥، وأبو نعيم ٤٢٧/٢، والبيهقي ٣٦٥/٥، كلاهما في الدلائل. وسنده صحيح.

(٢) رواه أحمد ٣٦٥/٣ مختصراً، والبخاري في الوصايا ٣٤٢/٦، وفي الاستقراض وفي علامات النبوة ٤٠٤/٧، ٤٠٥ مطولاً. والمؤلف اختصره وذكره بالمعنى. وقوله: «أمره بجدها»، أي: بقطع ثمرها.

القدح، وقال: «بقيت أنا وأنت، اقعد فاشرب»، فشربت، ثم قال: «اشرب» وما زال يقولها وأشرب حتى قلت: لا والذي بعثك بالحق ما أجد له مسلكًا. فأخذ القدح، فحمد الله وسمى وشرب الفضلة^(١).

وفي حديث أنس رضي الله تعالى عنه: تزوج رسول الله ﷺ فصنعت أُمي أم سليم حيسًا فجعلته في تور فذهبتُ به إلى رسول الله ﷺ، فقال: «ضعه وادع لي فلانًا وفلانًا ومن لقيت» فدعوتهم، ولم أدع أحدًا لقيته إلا دعوته. . وذكر أنهم كانوا زهاء ثلاثمائة حتى ملؤوا الصفة والحجرة، فقال لهم النبي ﷺ: «تحلقوا عشرة عشرة»، ووضع النبي ﷺ يده على الطعام، فدعا فيه، وقال فيه ما شاء الله أن يقول. فأكلوا حتى شبعوا كلهم، فقال لي: «ارفع»، فما أدري، حين وضعت كانت أكثر أم حين رفعت^(٢).

وأكثر أحاديث هذه الفصول الثلاثة في الصحيح، وقد اجتمع على معنى هذا الفصل بضعة عشر من الصحابة، رواه عنهم أضعافهم من التابعين، ثم من لا يُعدُّ بعدهم، وأكثرها في قصص مشهورة ومجامع مشهورة، ولا يمكن التحدث عنها إلا بالحق، ولا يسكت الحاضر لها على ما أنكر منها^(٣).

(١) رواه أحمد ٥١٥/٢، والبخاري في الاستئذان، وفي الرقاق ٦١/١٤، ٦٧، والترمذي في أبواب صفة القيامة ٢٢٩٨ بتهذيبي مطولاً.

(٢) تقدم تخريجه ص ٢٤٧ وهو عند مسلم بهذا السياق ١٣٣/٩، ولعل المؤلف ذهل عنه فأعاده أو ظنه حديثاً آخر.

(٣) يشير بما ذكره هنا إلى أن معجزة تكثير الطعام ببركته ودعائه جاءت من طرق تفيد التواتر المعنوي؛ لوقوع ذلك وصدوره في أوقات متباينة وجموع متكاثرة في مناسبات وقصص مختلفة، ورواها الجم الغفير من الصحابة فمن بعدهم رضي الله تعالى عنهم؛ فهي من المعجزات والآيات النبوية التي لا يتشكك فيها أو ينكرها إلا مدخول الإيمان ومخدوشه.

معجزته في كلام الشجر

وشهادتها له بالنبوة وإجابتها دعوته ﷺ

عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: كنا مع رسول الله ﷺ في سفر، فدنا منه أعرابي، فقال: «يا أعرابي أين تريد؟» قال: إلى أهلي. قال: «هل لك إلى خير؟» قال: وما هو؟ قال: «تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله». قال: من يشهد لك على ما تقول؟ قال: «هذه الشجرة السَّمرَةُ». وهي بشاطيء الوادي، فأقبلت تخذ الأرض حتى قامت بين يديه، فاستشهدها ثلاثاً، فشهدت أنه كما قال، ثم رجعت إلى مكانها^(١).

وفي الصحيح في حديث جابر بن عبد الله الطويل: ذهب رسول الله ﷺ يقضي حاجته، فلم ير شيئاً يستتر به، فإذا بشجرتين بشاطيء الوادي، فانطلق رسول الله ﷺ إلى إحداهما، فأخذ بغصن من أغصانها، فقال: «انقادي علي بإذن الله»، فانقادت معه كالبعير المخشوش الذي يصانع قائده. وذكر أنه فعل بالأخرى مثل ذلك، حتى إذا كان بالمنصف بينهما قال: «التَّما علي بإذن الله» فالتَّمتا. وفي رواية أخرى: فقال: «يا جابر، قل لهذه الشجرة: يقول لك رسول الله ﷺ الحق بصاحبك حتى أجلس خلفكما» فزحفت حتى لحقت بصاحبها فجلس خلفهما، فخرجت أحضر، وجلست أحدث نفسي، فالتفت فإذا رسول الله ﷺ مقبلاً والشجرتان قد افتترقتا، فقامت

(١) رواه الدارمي ١٦، وابن حبان رقم ٢١١٠، وسنده صحيح على شرط مسلم عند الأول. وعزاه في مجمع الزوائد ٢٩٢/٨ للطبراني وأبي يعلى والبيزار وقال: إن رجاله رجال الصحيح. وقال البوصيري: رواه أبو يعلى بسند صحيح. وانظر: المطالب العالية ٣٨٣٦ للحافظ.

كل واحد منهما على ساق فوق رسول الله ﷺ وقفة فقال برأسه هكذا يمينا وشمالاً^(١).

وعن يعلى بن مرة رضي الله تعالى عنه قال: سافرت مع النبي ﷺ إلى مكة، فرأيت منه شيئا عجيبا: نزلنا منزلا فقال: «انطلق إلى هاتين الشجرتين فقل: إن رسول الله ﷺ يقول لكما أن تجتمعا»، فانطلقت فقلت لهما ذلك، فانترعت كل واحدة من أصلها فنزت كل واحدة إلى صاحبتهما فالتقتا جميعا، ففضى حاجته من ورائهما، ثم قال: «انطلق فقل لهما: فلترجع كل واحدة إلى مكانتها»، فأتيتهما فقلت لهما ذلك، فنزت كل واحدة حتى عادت إلى مكانها^(٢).

وفي حديث ابن مسعود رضي الله تعالى عنه: آذنت النبي ﷺ بالجن ليلة استمعوا له شجرة^(٣).

ومن ذلك: حديث أنس رضي الله تعالى عنه: أن جبريل عليه السلام قال للنبي ﷺ ورآه حزينا: أتحب أن أريك آية؟ قال: «نعم» فنظر رسول الله ﷺ إلى شجرة من وراء الوادي فقال: ادع تلك الشجرة. فجاءت

(١) الحديث روى مسلم بعضه آخر الكتاب ١٨/١٤٢، ١٤٣، وبعضه عند الدارمي رقم ١٧ بسند صحيح. وقوله: «أخضر» بضم الهمزة وكسر الضاد، أي: أعذو وأجري وثبا.

والبعير المخشوش هو: الذي يوضع في أنفه عود ليدل وينقاد. وقوله: التثما، أي: اجتمعا.

(٢) رواه أحمد ٤/١٧٠، ١٧٢، ١٧٣، والحاكم ٢/٦١٧، وصححه ووافقه الذهبي. وقال الهيثمي ٩/٥، ٦: وأحد إسناده - يعني: أحمد - رجاله رجال الصحيح. وقوله: «فنزت»، أي: وثبت ومشت. وأصل النز ما يتحلب من الماء القليل في الأرض.

(٣) رواه البخاري في البعث ٨/١٧٢، ومسلم في الصلاة ٤/١٧١.

تمشى حتى قامت بين يديه . قال : مرها فلترجع . فعادت إلى مكانها . ونحوه
عن سيدنا عمر^(١) .

وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال : جاء أعرابي إلى
رسول الله ﷺ ، قال : بم أعرف أنك نبي ؟ قال : « إن دعوت هذا العذق من
هذه النخلة تشهد أنني رسول الله ؟ » فدعا رسول الله ﷺ فجعل ينزل من
النخلة حتى سقط إلى النبي ﷺ . ثم قال : « ارجع » فعاد ، فأسلم
الأعرابي^(٢) .

قال أبو الفضل رحمه الله تعالى : فهذا ابن عمر وجابر وابن مسعود
ويعلى بن مرة وأنس وابن عباس وغيرهم رضي الله تعالى عنهم ، قد اتفقوا
على معنى ما ذكرنا ، ورواها عنهم من التابعين أضعافهم ، فصارت في
انتشارها من القوة حيث هي^(٣) .

(١) رواه الدارمي رقم ٣٣ ، وابن ماجه في الفتن ٤٠٢٨ ، وسنده صحيح ، ولا يضر
الاختلاف في وصله وانقطاعه فإن حديث عمر يشهد له ، وقد أخرجه البزار ،
وأبو يعلى ، قال الهيثمي ١٠/٩ . وإسناد أبي يعلى حسن ، وكذا يقويه ما في
الباب .

(٢) رواه الترمذي في المناقب ٣٤٠٣ ، وابن حبان رقم ٢١١١ ، وأبو يعلى والدارمي
٢٤ ، والحاكم ٢/٦٢٠ من طرق بعضها صحيحة وحسنه الترمذي وصححه هو
والحاكم على شرط مسلم ووافقه الذهبي . والعذق : بكسر العين ، هو : العرجون
وهو كالعنقود من العنب .

(٣) ومراد المؤلف بما ذكر : بيان شهرة طاعة الشجر وشهادتها له ﷺ وأن ذلك تواتر
عنه في الجملة .

وفي هذه الأحاديث مع ما فيها من عجب معجزاته ﷺ فيها دليل على أن الله تعالى
قد جعل شعوراً وتمييزاً في الجمادات وأنها تدرك الأشياء وتفهم ، ومثل هذا
لا ينكره إلا ضعيف الإيمان أو ذاهبه ؛ فقد قال الله تعالى : ﴿ وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا =

معجزة حنين الجذع

ويعضد هذه الأخبار السالفة الذكر حديث أنين الجذع، وهو في نفسه مشهور منتشر، والخبر به متواتر؛ قد خرج به أهل الصحيح، ورواه من الصحابة بضعة عشر منهم: أبي بن كعب، وجابر بن عبد الله، وأنس بن مالك، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن عباس، وسهل بن سعد، وأبو سعيد الخدري.

ولنقتصر على ثلاثة منها وهي كالآتي:

عن جابر رضي الله تعالى عنه قال: كان جذع يقوم إليه النبي ﷺ، فلما وضع له المنبر سمعنا للجذع مثل أصوات العشار، حتى نزل النبي ﷺ فوضع يده عليه فسكت. وفي رواية: أن النبي ﷺ كان يقوم إلى نخلة، فجعلوا له المنبر، فلما كان يوم الجمعة دفع إلى المنبر، فصاحت النخلة صياح الصبي، فنزل فضمها إليه، فجعلت تثن أنين الصبي الذي يسكن، قال: كانت تبكي على ما كانت تسمع من الذكر عندها^(١).

يَنْفَجِرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ ﴿٧٤﴾ . . ﴿ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَاءً يَشَقُّ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَاءٌ يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ﴾ [البقرة: ٧٤]. وقال تعالى: ﴿ وَإِنَّ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ ﴾ [الإسراء: ٤٤]، وقال تعالى: ﴿ لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ﴾ [الحشر: ٢١]، في أي أخرى. وقال ﷺ: «هذا جبل يحبنا ونحبه»، أخرجاه: وقال عليه الصلاة والسلام: «إني أعرف حجراً بمكة كان يسلم علي». رواه مسلم. وهذا باب واسع لا تسعه هذه العجالة، فالواجب الإيمان بكل ما نطق به القرآن وجاءت به السنة الصحيحة، والله على كل شيء قدير يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد.

(١) رواه أحمد ٣/٣٠٠، والبخاري في الجمعة، وفي البيوع، وفي علامات النبوة ٤١٥/٧، ٤١٦، والدارمي في المقدمة ٣٤ بالفاظ.

وعن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: كان النبي ﷺ يخطب إلى جذع، فلما اتخذ المنبر تحول إليه، فحن الجذع، فأتاه فمسح يده عليه^(١).

وعن أنس رضي الله تعالى عنه: أن رسول الله ﷺ خطب إلى لزق جذع، واتخذوا له منبراً، فخطب عليه، فحن الجذع حنين الناقة، فترل النبي ﷺ فمسه فسكت^(٢). زاد غيره: «والذي نفسي بيده، لو لم ألتمه لم يزل هكذا إلى يوم القيامة»^(٣). قال: فكان الحسن إذا حدث بهذا بكى، وقال: يا عباد الله، الخشبة تحن إلى رسول الله ﷺ شوقاً إليه لمكانه، فأنتم أحق أن تشاققوا إلى لقائه^(٤).

(١) رواه البخاري في علامات النبوة أيضاً ٧/٤١٤ وهو من أفراد.

وقوله في حديث جابر: «أصوات العشار» هي بكسر العين، جمع عشاء، وهي الناقة الحامل التي أتى على حملها عشرة أشهر. وقوله: «فضمها إليه»، أي: احتضنها والتزمها. وقوله: «تئن»، أي: تصوت وتبكي مثل الطفل الصغير الذي تسكته أمه.

(٢) رواه الترمذي في المناقب ٣٤٠٢ بتهذيبي، والدارمي رقم ٤٢، وحسنه الترمذي وصححه.

وقوله: «لِزِقِ جِذْعٍ»، أي: إلى جنبه. والجذع، بكسر الجيم: هو ساق النخلة. وقوله: وزاد غيره: «والذي نفسي بيده لو لم ألتمه... إلخ»، وهو عند أحمد ١/٢٤٩، ٢٦٦، ٣٦٣ من حديث ابن عباس بأسانيد صحيحة لكن بلفظ: «لو لم أحتضنه لحن إلى يوم القيامة». وليس فيه: فأمر به رسول الله ﷺ فدفن تحت المنبر... إلخ.

(٣) نفس المرجع السابق.

(٤) لقد صدق والله الحسن البصري رحمه الله تعالى فإذا كانت الخشبة وهي جماد لا حياة فيها صدر منها هذا الحنين والبكاء شوقاً إلى الحبيب المصطفى ﷺ وتأسفاً على ما كانت تسمع عندها من القرآن والذكر، وأنها لو لم يحتضنها ﷺ لبقيت =

قال القاضي رحمه الله تعالى : فهذا حديث كما تراه خرجه أهل الصحة
عمن ذكرنا وغيرهم من التابعين ضعفهم إلى من لم نذكره، وبدون هذا العدد
يقع العلم لمن اعتنى بهذا الباب^(١).

معجزاته ﷺ في الجمادات

عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال : لقد كنا نسمع تسبيح الطعام
وهو يؤكل^(٢).

وعن جابر بن سمرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ :

تحن إلى يوم القيامة... فكيف بنا ونحن نعقل ونشعر ونفرح ونحزن ونحب
ونبغض... فنحن أحق وأولى بأن نتقطع أكبادنا وتحترق حزنًا عليه ومحبة فيه
وشوقًا إليه ﷺ.

(١) معجزة حنين الجذع من آيات النبوة العظيمة التي لم تقع لأحد من الأنبياء، وقد
أحرج ابن أبي حاتم عن عمرو بن سواد، قال : قال لي الشافعي : ما أعطى الله
نبيًا ما أعطى الله محمدًا ﷺ. فقلت له : أعطى عيسى إحياء الموتى. فقال : أعطى
محمدًا الجذع الذي كان يخطب إلى جنبه... فلما هيئء له المنبر حن الجذع
حتى سمع صوته، فهذا أكبر من ذلك... قال العلامة أحمد شاکر في شرح
المسند: وحنين الجذع من المعجزات الكونية الثابتة لرسول الله ﷺ بالتواتر
القطعي، خلافًا لما يتوهمه الجاهلون أتباع أوروبا الذين يؤمنون أو يتظاهرون
بمعجزات الأنبياء السابقين يزعمون أنهم يؤمنون بها لثبوتها في القرآن، وما
أظنهم يؤمنون إن آمنوا بها إلا تقليدًا لسادتهم؛ دربوهم وعلموهم أنها ثابتة في
التوراة، ثم هم ينكرون كل معجزة لرسول الله ﷺ، يزعمون أن لا معجزة له إلا
القرآن..

(٢) تقدم تخريجه ضمن حديث وأوله : كنا نعد الآيات بركة، وأنتم تعدونها تخويفًا..
فذكر الحديث في نبع الماء من بين الأصابع الشريفة، ثم ذكر ما في الباب من
تسبيح الطعام وهم يأكلونه. وقد أسنده المؤلف هنا من طريق البخاري، وهو عنده
في علامات النبوة. انظر ص ٢٤١ وما بعدها.

«إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلم علي»^(١).

وعن أنس رضي الله تعالى عنه قال: صعد النبي ﷺ وأبو بكر وعمر وعثمان أحدًا، فرجف بهم، فقال: «أثبت أحد فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان»^(٢). ومثله عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه في حراء، وزاد معه: «وعلي وطلحة والزبير»، وقال: «فإنما عليك نبي أو صديق أو شهيد»^(٣).

وعن عثمان رضي الله تعالى عنه في حراء أيضًا، قال: ومعه عشرة من أصحابه أنا فيهم. وزاد: عبد الرحمن وسعدًا^(٤).

وفي حديث سعيد بن زيد رضي الله تعالى عنه أيضًا مثله، وذكر عشرة، وزاد نفسه^(٥).

(١) رواه الطيالسي ٢٤٥٠، وأحمد ٨٩/٥، ومسلم ٣٦/١٥، والترمذي ٣٣٩٩ كلاهما في المناقب. وهذا أيضًا من دلائل نبوته العظيمة، وهو يدل على أن كل الكائنات غير الجن والإنس كانوا على علم بنبوته ﷺ وأنه سيكون له شأن. وهذا الحجر يقال: إنه الحجر الأسود، كما قال المؤلف، وعزاه السهيلي لبعض المسانيد.

(٢) رواه أحمد ١١٢/٣، والبخاري في المناقب ٣٨/٨، ٥٨، وأبو داود في السنة ٤٦٥١، والترمذي في المناقب ٣٤٦٨ وغيرهم.

(٣) رواه أحمد ٤١٩/٢، ومسلم في الفضائل ١٥/١٩٠، ١٩١، والترمذي في المناقب ٣٤٦٩.

(٤) رواه الترمذي ٣٤٧١ بتهديبي، وابن حبان ٢١٩٨ وحسنه الترمذي وصححه، وعلقه البخاري في الوقف ٦/٣٣٦. وفي الفضائل ٨/٥٤، مختصرًا مجزومًا به.

(٥) رواه أحمد ١٨٧/١، ١٨٨، ١٨٩، وأبو داود في السنة ٤٦٤٨، ٤٦٤٩، والترمذي في المناقب ٣٥٢٧ وحسنه وصححه، وابن ماجه ١٣٣، ١٣٤ مطولًا، وفي الباب عن جماعة.

وعن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما أن النبي ﷺ قرأ على المنبر: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ [الأنعام: ٩١]، ثم قال: «يمجد الجبار نفسه يقول: أنا الجبار، أنا الجبار، أنا الكبير المتعال»، فرجف المنبر حتى قلنا: ليخرن عنه^(١).

وعن عبد الله رضي الله تعالى عنه قال: دخل النبي ﷺ مكة يوم

ويلاحظ أن اختلاف الروايات في أحد أو حراء لا تؤثر في الحديث، فإن الكل صحيح، فيحمل ذلك على التعدد، وأن ذلك حصل بأحد وهو جبل بالمدينة، وحصل بحراء وهو جبل بمكة كان يتعبد فيه النبي ﷺ ويختلي فيه قبل النبوة. وعلى أي حال، فهذان الجبلان شعرا بوجود النبي ﷺ وأصحابه الكرام فوقهما فتحركا ورجفا بهم طربا وفرحا، مما يدل دلالة لا يبقى معها شك في أن الجمادات لها شعور وعلم وتغيرات كالعقلاء، ولذلك لما ضرب النبي ﷺ الجبلين برجله الشريفة سكننا تأدبا مع الحضرة النبوية. وفي الحديث مع هذه المعجزة العظيمة فضل الخلفاء الأربعة مع باقي العشرة رضي الله عنهم وأنهم كلهم مبشرون بالجنة، فمن طعن فيهم أو في بعضهم أو ضللهم . . فهو زنديق.

(١) رواه أحمد ٧٢/٢، ٨٧، ٨٨، ومسلم في صفة القيامة ١٧/١٣١، ١٣٢، وابن ماجه ١٩٨ بألفاظ. وأقرب لفظ إلى ما ذكره المؤلف لفظ أحمد، قال: إن رسول الله ﷺ قرأ هذه الآية ذات يوم على المنبر: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ، وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَكَ وَنَعْلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧] - ورسول الله ﷺ يقول هكذا بيده يحركها يقبل بها ويدبر - : يمجد الرب نفسه: أنا الجبار أنا المتكبر، أنا الملك، أنا العزيز، أنا الكريم. فرجف برسول الله ﷺ المنبر حتى قلنا: ليخرن به. ونحوه عند مسلم. وفي معناه أحاديث عن جماعة من الصحابة في الصحيحين وغيرهما.

والشاهد من الحديث هنا هو: تحرك المنبر، وهو جماد من الخشب، وذلك لما سمع من تمجيد الله تعالى نفسه وذكره أسماء جبروته وكبريائه وعظمته، فالجماد أحسن حالا من كثير من الجن والإنس.

الفتح، وحول الكعبة ثلاثمائة وستون نُصْبًا، فجعل يطعنها بعود كان بيده ويقول: «جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل زهوفاً، جاء الحق وما يبدىء الباطل وما يعيد»^(١).

ومن ذلك: حديثه ﷺ مع الراهب في ابتداء أمره: إذ خرج تاجرًا مع عمه، وكان الراهب لا يخرج إلى أحد، فخرج وجعل يتخللهم، حتى أخذ بيد رسول الله ﷺ فقال: هذا سيد العالمين، يبعثه الله رحمة للعالمين. فقال له أشياخ من قريش: ما علمك؟ فقال: إنه لم يبق شجر ولا حجر إلاّ خر ساجدًا له، ولا يسجد إلاّ لنبي. وذكر القصة. ثم قال: وأقبل ﷺ وعليه غمامة تظله، فلما دنا من القوم وجدهم سبقوه إلى فيء الشجرة، فلما جلس مال الفيء إليه^(٢).

(١) رواه البخاري ٧٧/٩، ومسلم ١٣٣/١٢، كلاهما في غزوة الفتح.

والنصب: بضم النون والصاد، وقد تسكن، واحد الأنصاب، وهي هنا الأصنام التي كانوا يعبدونها في الجاهلية.

والشاهد هنا هو أنها كانت تسقط على قفاها كلما أشار إليها بدون أن يمسه، كما جاء في رواية عند ابن حبان من حديث ابن عمر، وعند الطبراني وغيره عن ابن عباس، وإن كان فيهما ضعف، ولذلك لم أوردهما في التهذيب.

(٢) رواه الترمذي في المناقب ٣٣٩٥ بتهذيب، وابن أبي شيبه ٣٦٥٤١، والحاكم ٦١٥/٢ وسنده صحيح، وصححه الحاكم على شرط الشيخين، لكنه فيه ألفاظ منكورة، ولذلك ضعفه الذهبي في الميزان، وقال في تلخيص المستدرک: أظنه موضوعًا فبعضه باطل. وقال الحافظ في الإصابة: رجاله ثقات وليس فيه سوى هذه اللفظة - يعني ذكر بلال، فيحتمل أنها مدرجة فيه مقتطعة من حديث آخر وهما من أحد الرواة. وذكر نحوه ابن القيم وابن الجزري والسيوطي وغيرهم رحمهم الله تعالى.

وعلى كلّ فإني ذكرته لصحة سنده، ولوجود ما يشهد لما فيه من سجود الشجر والحجر له ﷺ.

معجزاته في ضروب الحيوانات

عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: كان عندنا داجن، فإذا كان عندنا رسول الله ﷺ قر وثبت مكانه فلم يجيء ولم يذهب، وإذا خرج رسول الله ﷺ جاء وذهب^(١).

ومن ذلك: قصة كلام الذئب المشهورة عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه: بينما راع يرعى غنمًا له، عرض الذئب لشاة منها، فأخذها منه، فأقعى الذئب، وقال للراعي: ألا تتقي الله تعالى، حلت بيني وبين رزوقي، قال الراعي: العجب من ذئب يتكلم بكلام الإنس. فقال الذئب: ألا أخبرك بأعجب من ذلك؟ رسول الله ﷺ بين الحرتين يحدث الناس بأنباء ما قد سبق. فأتى الراعي النبي ﷺ فأخبره، فقال النبي ﷺ: «فحدثهم» ثم قال: «صدق»^(٢).

(١) رواه أحمد ٦/١١٢، ١١٣، ١٥٠، ٢٠٩، وأبو يعلى ٤٤٢٤، والبزار، والطبراني في الأوسط ٦٥٨٧، قال الهيثمي في المجمع ٩/٤: رجال أحمد رجال الصحيح، وقال ابن كثير في الشمائل: على شرط الصحيح ولم يخرجه وهو حديث مشهور، والداجن هو: كل ما يألف البيوت من الشياخ وغيرها من الحيوانات والطيور.

(٢) رواه أحمد ٣/٨٣، ٨٤، ٨٨، ٨٩، والبزار والحاكم ٤/٤٦٧، من طرق بعضها صحيحة وصححه الحاكم. وقال الهيثمي ٨/٢٩١: ورجال إسنادي أحد رجال الصحيح. وزاد بعضهم في آخره: «ألا إنه من أشراط الساعة كلام السباع الإنس، والذي نفسي بيده لا تقوم الساعة حتى تكلم السباع الإنس، ويكلم الرجل شراك نعله وعذبة سوطه، ويخبره فخذة بما أحدث أهله من بعده»، وهذه الزيادة عند الترمذي في الفتن ٢٠٠٩، وحسنه وصححه. وقوله: «فأقعى»، أي: جلس على مقعدته.

وفي الحديث معجزة ظاهرة للنبي ﷺ حيث تكلم الذئب مع الراعي وأخبره بالنبي ﷺ. كما فيه تنبأته ﷺ بما سيقع في المستقبل من تكلم السباع وغيرها، =

وعن أنس رضي الله تعالى عنه قال: كان أهل بيت من الأنصار لهم جمل يسنون عليه، وأنه استصعب عليهم فمنعهم ظهره، وأن الأنصار جاءوا إلى رسول الله ﷺ فقالوا: إنه كان لنا جمل نستن عليه، وأنه استصعب علينا ومنعنا ظهره، وقد عطش الزرع والنخل. فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: «قوموا» فقاموا، فدخل الحائط والجمل في ناحيته، فمشى النبي ﷺ نحوه، فقالت الأنصار: يا رسول الله ﷺ قد صار مثل الكلب الكلب، وإنا نخاف عليك صولته. قال: «ليس علي منه بأس»، فلما نظر الجمل إلى رسول الله ﷺ أقبل نحوه حتى خر ساجداً بين يديه، فأخذ رسول الله ﷺ بناصيته أذل ما كان قط حتى أدخله في العمل. فقال له أصحابه: يا رسول الله، هذه بهيمة لا تعقل تسجد لك، ونحن نعقل فنحن أحق أن نسجد لك. قال: «لا يصح لبشر أن يسجد لبشر، ولو صلح لبشر أن يسجد لبشر لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها؛ لعظم حقه عليها، لو كان من قدمه إلى مفرق رأسه قرحةً تَنْجِسُ بالقريح والصديد ثم استقبلته فلحسته ما أدت حقه» (١).

= كما هو حاصل الآن من بعض الجمادات كالتلفاز والراديو وآلة التسجيل والكمبيوتر - الحاسوب - وغير ذلك، فهذه كلها من علامات الساعة. وسوف يظهر الله أموراً لا نعرفها الآن، وكل ذلك يعد من معجزاته ﷺ التي أخبر بها أو أشار إليها.

(١) رواه أحمد ٣/١٥٨، ١٥٩، والبزار. قال الهيثمي ٤/٩: رجاله رجال الصحيح غير حفص ابن أخي أنس، وهو ثقة. . وآخره ورد من طرق. وقوله: «يسنون»، أي: يسقون، و«الحائط» هو البستان ذو النخيل وغيره. وقوله: «الكلب الكلب» الثاني مضبوط بكسر اللام وهو مرض خطير يصيب الكلاب فتهاجم وتعض كل من واجهها، وقلما يسلم من تعضه.

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه : أن النبي ﷺ دخل حائطًا فجاء بعير فسجد له . وذكر نحو ما سبق في آخره^(١) .

وعن جابر رضي الله تعالى عنه قال : دفعنا مع رسول الله ﷺ إلى حائط بني النجار ، فإذا فيه جمل لا يدخل الحائط أحدًا إلا شد عليه ، فأتاه النبي ﷺ فدعاه ، فجاء واضعًا مشفره في الأرض حتى برك بين يديه ، فقال : «هاتوا خطامًا» فخطمه ودفعه إلى صاحبه . ثم التفت فقال : «ما بين السماء إلى الأرض إلا يعلم أني رسول الله إلا عاصي الجن والإنس»^(٢) . وفي الباب غير ما ذكرنا .

(١) أورده الهيثمي في المجمع ٧/٩ برواية البزار وقال : روى الترمذي طرفًا من آخره ، وإسناده حسن .

(٢) رواه أحمد ٤/١٠٤ ، والدارمي في المقدمة رقم ٥٦ ، وسنده قد يحسن ، وأورده الهيثمي برواية أحمد في المجمع ٧/٩ ، وقال : رجاله ثقات وفي بعضهم ضعف . .

وقوله : «إلَّا شَدَّ عَلَيْهِ» ، أي : حمل عليه وعدا وراءه .

وفي هذه الأحاديث الثلاثة آيات ودلائل واضحة على نبوته ﷺ وأن كل الحيوانات كانت منقادة له ﷺ ، شاعرة بنبوته ، عالمة برسالاته إلا الثقلين رغم أنها عجماء . وفي حديث أنس وأبي هريرة عظم حق الزوج على زوجته وأنها لا تستطيع القيام بحقوقه ولو أجهدت نفسها في خدمته وطاعته والبرور به . كما أن فيها دليلاً على أن السجود لا يكون إلا لله عزَّ وجلَّ ، ولا يجوز لأي مخلوق مهما كان حاله ، وسجود الجمل له ﷺ لا يقاس عليه لأنه غير مكلف .

ويؤخذ من حديث جابر رضي الله تعالى عنه أن كل الكائنات من العالمين العلوي والسفلي وما بينهما كانت تعلم رسالة نبينا ﷺ وأنه مبعوث إلى الإنس والجن ، ورغم ذلك أنكر رسالته عتاة بني آدم وبني الجن .

وفي حديث ابن عباس في خروجه ﷺ إلى غار ثور قال: فصعدوا في الجبل، فمروا بالغار فرأوا على بابه نسج العنكبوت، فقالوا: لو دخل ههنا لم يكن نسج العنكبوت على بابه^(١).

ومن ذلك أن سفينة تكسرت به سفينة، فخرج إلى جزيرة، فإذا الأسد، فقال له: أنا مولى رسول الله ﷺ. فجعل يغمزه حتى أقامه على الطريق^(٢).

معجزاته في إحياء الموتى وكلامهم

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن يهودية أهدت للنبي ﷺ بخير شاة مصلية سمّتها، فأكل رسول الله ﷺ منها، وأكل القوم فقال: «ارفعوا أيديكم، فإنها أخبرتني أنها مسمومة»، فمات بشر بن البراء. وقال لليهودية: «ما حملك على ما صنعت؟» قالت: «إن كنت نبياً لم يضرك الذي صنعت، وإن كنت ملكاً أرحتُ الناس منك». قال: فأمر بها فقتلت^(٣).

وقد روى هذا الحديث أنس رضي الله تعالى عنه، وفيه: قالت: أردت قتلك. فقال: «ما كان الله ليسلطك على ذلك»،

(١) رواء ابن سعد وأبو يعلى والبزار والحاكم ٦٠٦/٣، وصححه على شرط مسلم ووافقه الذهبي. وانظر المجمع ٣٦٦/٩، ٣٦٧.

(٢) رواء أحمد ٣٤٨/١، وانظر مجمع الزوائد ٢٧/٧.

(٣) رواء أبو داود في الدييات ٤٥١١، ٤٥١٢ وزاد: ثم قال في وجعه الذي مات فيه: «ما زلت أجد من الأكلة التي أكلت بخير، فهذا أوان قطعت أبهري» وسنده عنده حسن، وهو صحيح، فإن أصله في الجزية ٨٢/٧ من صحيح البخاري مطولاً بسياق آخر، وكذا هو في الطب أيضاً ٣٥٧/١٢، وفي غزوة خيبر ٣٨/٩ مختصراً، وليس عنده موت بشر بن البراء ولا أمره بقتل اليهودية.

فقالوا: تقتلها؟! قال: لا^(١).

(١) رواه البخاري في الهبة من صحيحه ١٥٩/٦، ومسلم في الطب ١٧٨/١٤، ١٧٩، وأبو داود في الديات ٤٥٠٨، وفيه: قال أنس: فما زلت أعرفها في لهوات رسول الله ﷺ. وجاء في الوفاة النبوية من صحيح البخاري ١٩٥/٩ معلقاً بصيغة الجزم - ووصله البزار والحاكم والإسماعيلي - عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: كان النبي ﷺ يقول في مرضه الذي مات فيه: «يا عائشة ما أزال أجد ألم الطعام الذي أكلت بخبير، فهذا أوان وجدت انقطاع أبهري من ذلك السم».

قوله: «مصلية» بفتح الميم وسكون الضاد وكسر اللام، أي: مشوية. وقوله: أبهري، الأبهر عرق مستبطن بالظهر متصل بالقلب، إذا انقطع مات صاحبه. وقوله: «لهوات» جمع لهات بفتح اللام وهو اللحامات النواتي في سقف أقصى الفم وفي هذين الحديثين بألفاظهما أحكام وفوائد، وعلم من أعلام نبوته ﷺ، ففيهما قبول هدية أهل الكتاب وإن كانت من النساء، وفيها معجزة باهرة للنبي ﷺ وهي: تكلم الذراع الميتة الهامدة المشوية مع النبي ﷺ بأن فيها سمًا، وفيها تبين نبوته ﷺ لليهود حيث لم يضره ذلك السم، وإنما حملهم على عدم الإيمان به الكبر والعناد والحسد وخبث طبائعهم.

وقد اختلف العلماء في قتل تلك اليهود التي سمتها؛ لاختلاف الأحاديث: فحديث أنس وهو في الصحيحين صريح في أنه لم يقتلها، بينما حديث أبي هريرة يصرح بأنه أمر بقتلها؛ ولذلك فإن البعض ذهب إلى ترجيح ما في الصحيح، وذهب البعض الآخر إلى الجمع وقالوا: إنه أولاً عفا عنها فلما مات بشر بن البراء سلمها لأوليائه فقتلوها قصاصاً. والله تعالى أعلم.

وفي الحديثين مع حديث عائشة دليل على أن النبي ﷺ توفي بسبب ذلك السم الذي لم يزل يؤلمه حتى قطع أبهره آخر حياته ﷺ.

وعلى أي حال، فهذه القصة قد احتوت على معجزة من أبهر المعجزات، وهي تكلم الذراع الميتة مع حضرة النبي ﷺ. وذكر المؤلف رحمه الله تعالى اختلاف الناس في تكلم الجمادات، هل هو كلام يخلقه الله فيها مع حروف =

وذكر عن النعمان بن بشير: أن زيد بن خارجة رضي الله عنه خرَّ ميتاً في بعض أزقة المدينة، فرفع، وسجى، إذ سمعوه بين العشاءين والنساء يصرخن حوله يقول: أنصتوا أنصتوا. فحسر عن وجهه فقال: محمد رسول الله النبي الأمي وخاتم النبيين، كان ذلك في الكتاب الأول. ثم قال: صدق، صدق. وذكر أبا بكر وعمر وعثمان. ثم قال: السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته. ثم عاد ميتاً كما كان^(١).

معجزاته في إبراء المرضى وذوي العاهات

روى النسائي عن عثمان بن حنيف رضي الله تعالى عنه: أن أعمى قال: يا رسول الله، ادع الله أن يكشف لي عن بصري. قال: «فانطلق فتوضأ ثم صلِّي ركعتين، ثم قل: اللّٰهُمَّ إني أسألك وأتوجه إليك بنبيي محمد نبي الرحمة، يا محمد إني أتوجه بك إلى ربك أن يكشف عن بصري، اللهم شفعه فيّ». قال: فرجع وقد كشف الله عن بصره^(٢).

= وأصوات دون تغيير أشكالها؟ أو هو كلام تتكلم به بعد إيجاد الحياة فيها؟ إلى آخر ما قال: والحقيقة أن هذا مما لا يعرف إلا بالنص، وهو هنا مفقود، والله تعالى يفعل ما يشاء، فيجب الوقوف عند ما ورد ولا ندخل في الفضول.

(١) قصة زيد بن خارجة هذا أخرجها ابن أبي الدنيا فيمن عاش بعد الموت ص ١٤، ١٥، ١٦، ١٧، ١٨، ١٩، ومن طريقه البيهقي في الدلائل ٥٦/٦، كما أخرجه من غير طريقه وصححه، ثم قال: وقد روي في التكلم بعد الموت عن جماعة بأسانيد صحيحة، وفي هذا الموضوع كتب ابن أبي الدنيا كتابه «من عاش بعد الموت».

(٢) رواه أحمد ١٣٨/٤ من طرق، والترمذي في الدعوات ٣٣٤١، وابن ماجه ١٣٨٥، والحاكم ٥١٩/١، ٥٢٦ وغيرهم، وسنده صحيح، وصححه الحاكم والطبراني والمنذري والنووي وابن تيمية والهيثمي وابن حجر والسيوطي وغيرهم، ويعرف بحديث الضرير. واستدلوا به على جواز التوسل بالنبي ﷺ إلى الله =

وتفل ﷺ في عيني علي يوم خبير، وكان رمداً فأصبح بارئاً^(١).
 ونفت ﷺ على ضربة بساق سلمة بن الأكوع يوم خبير فبرئت^(٢).
 وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: جاءت امرأة بابن لها به
 جنون، فمسح ﷺ صدره فثَعَّ ثَعَّةً، فخرج من جوفه مثل الجرو الأسود
 فشفني^(٣).

معجزاته في إجابة دعواته ﷺ

وإجابة دعوة النبي ﷺ لجماعة بما دعا لهم وعليهم متواتر على

= عز وجل في قضاء الحاجات ورفع النكبات وكشف الكربات، وقد جربت
 الاستجابة بذلك عبر الأجيال والعصور.

(١) رواه البخاري في المغازي ١٧/٩، ومسلم في الفضائل ١٧٧/١٥، ١٧٨ من
 حديث سهل بن سعد رضي الله تعالى عنه: أن رسول الله ﷺ قال يوم خبير:
 «لأعطين هذه الراية غدا رجلاً يفتح الله على يديه». فلما أصبح قال: «أين
 علي بن أبي طالب؟» قالوا: يشتكي عينيه، قال: «فأرسلوا إليه»، فأتى به فبصق
 رسول الله ﷺ في عينيه ودعا له فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع. وللحديث طريق
 والفاظ.

(٢) رواه البخاري في المغازي ١١/٩، عن يزيد بن أبي عبيدة قال: رأيت أثر ضربة
 في ساق سلمة بن الأكوع فقلت: ما هذه الضربة؟ قال: ضربة أصابني يوم خبير،
 فقال الناس: أصيب سلمة، فأتيت رسول الله ﷺ فنفت فيه ثلاث نفثات، فما
 اشتكيت منها حتى الساعة.

(٣) رواه أحمد ٢٣٩/١، ٢٥٤، ٢٦٨، والدارمي رقم ١٩ كلاهما من طريق فرقد
 السبخي عن سعيد بن جبيرة عنه. وفرقد مختلف فيه؛ وثقه ابن معين. وقال أحمد:
 رجل صالح. وضعفه يحيى القطان وغيره. ولمعناه شواهد صحيحة يتقوى بها.
 وقوله: «ثَعَّ» بالثاء المثناة، أي: قاء وأخرج ما في صدره. وقوله: «الجرو»
 بتثنية الجيم، هو هنا شيء صغير خرج من جوفه. وفي هذه الأحاديث آيات
 وأعلام لنبوته ﷺ ظاهرة لا خفاء بها.

الجملة معلوم، ضرورة.

فمن أنس رضي الله تعالى عنه قال: قالت أُمِّي: يا رسول الله، خادمك أنس، ادع الله له. قال: «اللَّهُمَّ أَكْثَرُ مَالِهِ وَوَلَدُهُ وَبَارِكْ لَهُ فِيمَا آتَيْتَهُ» وفي رواية: فوالله إن مالي لكثير، وإن ولدي وولد ولدي ليتعاذون اليوم على نحو المائة^(١).

ومنه دعاؤه ﷺ لعبد الرحمن بن عوف رضي الله تعالى عنه بالبركة^(٢).

ومنه دعاؤه ﷺ لسعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه أن يجيب الله دعوته^(٣). فما دعا على أحد إلا استجيب له^(٤).

(١) رواه البخاري في الدعوات ٣٩٤/١٣ وفي مواضع، ومسلم في الفضائل ٣٩/١٦، ٤٠، والطيالسي ٢٥٢٤، والترمذي في المناقب ٣٥٩٧، ٣٥٩٨. وقد استجاب الله دعاءه ﷺ في أنس، فوقع له كما دعا ﷺ. وجاء في رواية عند البخاري في الأدب المفرد: «اللهم أكثر ماله وولده، وأطل حياته، واغفر له». وقد طالت حياته حتى جاوز المائة رضي الله تعالى عنه.

(٢) رواه البخاري في النكاح ١٢٩/١١، ولم يصح فيه غير هذا، وكان ذلك عند تزوجه، علمًا بأنه كان ذا ثروة عظيمة ومال وافر اكتسبه بتجارته وأخباره في ذلك معروفة.

(٣) رواه الترمذي في المناقب ٣٥٢١، بتهذيبي، وابن حبان ٢٢١٥ بالموارد، والحاكم ٤٩٩/٣، وأبو نعيم في تاريخ أصبهان ١/١٢١ وسنده صحيح وصححه، الحاكم ووافقه الذهبي.

(٤) فمن ذلك ما رواه البخاري في الصلاة ٣٧٩/٢، ٣٨٢، وفي المناقب، ومسلم في الصلاة ١٧٣/٤ وغيرها، في قصته مع أهل الكوفة حيث شكوه إلى عمر، وفيها دعاؤه على رجل بقوله: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ كَاذِبًا فَأُطِلْ عَمْرَهُ، وَأُطِلْ فَقْرَهُ، وَعَرْضَهُ لِلْفِتَنِ. قال ابن عمير فرأيت شيخًا كبيرًا قد سقط حاجباه على عينيه من الكبر، وقد افتقر، وكان يتعرض للجواري في الطريق ويغمزهن.

ودعا بعز الإسلام بعمر رضي الله تعالى عنه أو بأبي جهل فاستجيب له في عمر^(١).

وقال ابن مسعود رضي الله تعالى عنه: ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر^(٢).

وأصاب الناس في بعض مغازيه عطش، فسأله عمر الدعاء، فدعا فجاءت سحابة فسقتهم حاجتهم، ثم أقلعت^(٣).

ودعا في الاستسقاء، فسقوا. ثم شكوا إليه المطر، فدعا فصحوا^(٤).

ودعا لابن عباس رضي الله تعالى عنه: «اللَّهُم فقهه في الدين وعلمه التأويل»^(٥). فسمي بعد: الحبر، وترجمان القرآن.

ودعا لأم أبي هريرة فأسلمت^(٦).

(١) رواه الترمذي في المناقب ٣٤٥٣، وابن حبان ٢١٧٩ عن ابن عمر: أن رسول الله ﷺ قال: «اللَّهُم أعز الإسلام بأحب هذين الرجلين إليك، بأبي جهل أو بعمر بن الخطاب» قال: وكان أحبهما إليه عمر. وحسنه الترمذي وصححه. وله شواهد عن ابن عباس وابن مسعود وعائشة، ذكرتها في تهذيب الجامع.

(٢) رواه البخاري في المناقب ٤٦/٨، ٧٦، وإنما كان كذلك لقوته رضي الله تعالى عنه وشجاعته.

(٣) تقدم تخريجه في باب دعائه بالبركة في الطعام ص ٢٤٦.

(٤) رواه البخاري ومسلم وغيرهما في الاستسقاء مطولاً.

(٥) هو بهذا اللفظ رواه أحمد ٣٣٥/١ وهو في البخاري في العلم وفي الطهارة وفي المناقب، ومسلم، وغيرهما بلفظ: «اللَّهُم علمه الحكمة»، وفي رواية: «علمه الكتاب»، وقد ظهر أثر هذا الدعاء عليه رضي الله تعالى عنه فكان بحرًا في التفسير.

(٦) في الفضائل من صحيح مسلم ٥١/١٦، ٥٢ عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: كنت أدعو أمي إلى الإسلام وهي مشركة، فدعوتها يوماً فأسمعتني في =

ودعا على مضر فأقحطوا، حتى استعطفته قريش فدعاهم فسقوا^(١).

ودعا على كسرى حين مزق كتابه أن يمزق الله ملكه^(٢). فلم تبق له

رسول الله ﷺ ما أكره، فأتيت رسول الله ﷺ وأنا أبكي قلت: يا رسول الله إني كنت أدعو أمي إلى الإسلام فتأبى عليّ فدعوتها اليوم فأسمعتني ما أكره، فادع الله أن يهدي أم أبي هريرة فقال رسول الله ﷺ: «اللَّهُمَّ أهد أم أبي هريرة»، فخرجت مستبشرة بدعوة نبي الله ﷺ، فلما جئت فصرت إلى الباب فإذا هو مجاف فسمعت أمي خشف قدمي فقالت: مكانك يا أبا هريرة وسمعت خضخضة الماء قال: فاغتسلت ولبست درعها وعجلت عن خمارها ففتحت الباب ثم قالت: يا أبا هريرة، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. قال: فرجعت إلى رسول الله ﷺ فأتيته وأنا أبكي من الفرح، قال: قلت: يا رسول الله أبشر قد استجاب الله دعوتك وهدى أم أبي هريرة، فحمد الله وأثنى عليه وقال خيراً، قال: قلت: يا رسول الله ادع الله أن يحبني أنا وأمي إلى عبادة المؤمنين ويحبهم إلينا، قال: فقال رسول الله ﷺ: «اللَّهُمَّ حَبِّبْ عبيدك هذا - يعني أبا هريرة - وأمه إلى عبادك المؤمنين» وحَبِّبْ إليهم المؤمنين فما خلق مؤمن يسمع بي ولا يراني إلا أحبني.

وفي هذا الحديث معجزتان: الأولى استجابة دعائه ﷺ في هداية أم أبي هريرة وإسلامها. الثانية: استجابة دعائه ﷺ في حب المؤمنين لأبي هريرة وأمه، وقد صدق الله ذلك؛ فكل المؤمنين يحبون أبا هريرة رضي الله تعالى عنه إلا ما كان من الشيعة الروافض فإنهم يبغضونه ويحتقرونه ولا يقيمون له وزناً، وهذا الحديث يدل على أنهم ليسوا بمؤمنين لخروجهم عن دعوة رسول الله ﷺ.

(١) رواه أحمد ٣٨٠/١، والبخاري في مواضع آخرها سورة الدخان ١٠/١٩٢، ١٩٣، ومسلم في القيامة ١٧/١٤٠، ١٤٢، والترمذي رقم ٣٠٤٠، والنسائي ٤٥٥/٦ كلاهما في التفسير.

(٢) رواه البخاري آخر المغازي ٩/١٩١ من حديث ابن عباس. وقوله: «مزق كتابه»، أي: قطعه. وقد استجاب الله دعاء نبيه ﷺ فقام ولد كسرى شيرويه على أبيه فقتله =

باقية ولا بقيت لفارس رياضة في أقطار الدنيا .

وقال : لرجل رآه يأكل بشماله : «كل بيمينك» فقال : لا أستطيع .
فقال : «لا استطعت» فلم يرفعها إلى فيه^(١) .

وعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه في حديثه المشهور في دعائه على
قريش حين وضعوا السلا على رقبته وهو ساجد مع الفرث والدم ، وسماهم .
وقال : فلقد رأيتهم قتلوا يوم بدر^(٢) .

= فمزق الله ملكه حالاً ، ثم أباد الله ملك الأكاسرة على أيدي أبطال الإسلام أيام
الخليفتين أبي بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما ولم يبق لهم أثر .

(١) رواه أحمد ٤/٤٦ ، ومسلم في الأشربة ١٣/١٩٢ عن سلمة بن الأكوع وفيه : «ما
منعه إلا من الكبر» . وفي الحديث جواز الدعاء بالشر على من خالف حكم الله بلا
عذر ، وفيه أن من الكبر عدم قبول الحق . وفي الحديث الصحيح : «الكبر بظن
الحق وغمص الناس» ، أي : عدم قبول الحق ورده ، واحتقار الناس .

(٢) رواه أحمد ١/٣٩٣ ، ٤١٧ ، والبخاري في الطهارة ١/٣٦٤ ، ٣٦٥ ، ٣٦٦ ،
وفي الصلاة وفي الجزية وفي المناقب وفي الجهاد ، ومسلم في الجهاد ١٢/١٥١ ،
١٥٤ وغيرهم ، وسياقه : قال ابن مسعود رضي الله تعالى عنه : بينا
رسول الله ﷺ عند الكعبة وجمع من قريش في مجالسهم فقالوا : أيكم يقوم
إلى جزور بني فلان فيأتي بسلاها فيضعه بين كتفيه إذا سجد . فانبعث أشقى
القوم فجاء به فوضعه بين كتفيه ﷺ ، وثبت النبي ﷺ ساجداً ، وضحكوا
حتى مال بعضهم على بعض من الضحك ، فانطلق منطلق إلى فاطمة وهي
جويرية فأقبلت تسعى حتى ألقته عنه وأقبلت عليهم تسبهم ، فلما قضى
صلاته قال : «اللهم عليك بقريش - ثلاثاً ، ثم سمي - اللهم عليك
بعمرو بن هشام ، - يعني : أبا جهل - وعتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ،
والوليد بن عتبة ، وأمية بن خلف ، وعقبة بن أبي معيط ، وعمارة بن
الوليد . . . الخ .

الجزور هو الجمل ، والسلى : بطن الحيوان وأحشاؤه وما فيها من فرث . وقوله : =

معجزاته في انقلاب الأعيان له فيما لمسه أو باشره

عن أنس رضي الله تعالى عنه: أن أهل المدينة فزعوا مرة، فركب رسول الله ﷺ لأبي طلحة كان يَقُطِفُ أو به قِطَافٌ - وقال غيره: يبطأ - فلما رجع قال: «وجدنا فرسك بحرًا». فكان بعد لا يُجَارَى^(١).
ونخس جمل جابر، وكان قد أعى فنشط حتى كان لا يملك زمامه^(٢).

وفي الصحيح عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله تعالى عنهما: أنها أخرجت جبة طيالسة وقالت: كان رسول الله ﷺ يلبسها، فنحن نغسلها للمرضى يستشفى بها^(٣).

وأتي ﷺ بدلو من ماء زمزم، فمج فيه فصار أطيب من المسك^(٤).
وكان لأم مالك عكة تُهدي فيها للنبي ﷺ سمنًا، فأمرها النبي ﷺ أن لا تَعَصِرَهَا. ثم دفعها إليها، فإذا هي مملوءة سمنًا، فيأتيها بنوها يسألونها الأدم، وليس عندهم شيء، فتَعَمَدَ إليها فتجد فيها سمنًا، فكانت تُقيم أدمها حتى عصرتها^(٥).

-
- = فقالوا أيكم... إلخ: القائل أبو جهل لعنه الله. وقوله: فانبعث أشقى القوم: هو عقبه بن أبي معيط لعنه الله وأخزاه.
- (١) تقدم تخريجه في شجاعته ﷺ ص ١٢٨.
- (٢) قصة بيع جابر بغيره للنبي ﷺ وانبعائه ببركة نبي الله ﷺ رواه أحمد ٣/٣١٤، والبخاري في الجهاد، ومسلم في النكاح، وفي المساقاة ١١/٣٠، ٣٦ وغيرهم.
- (٣) رواه أحمد ٦/٣٤٧، ٣٥٣، ومسلم في اللباس ١٤/٤٣ وجه إيراده هذا الحديث هنا أن المرضى كانوا يعافون من أمراضهم ببركة أثر لباسه ﷺ.
- (٤) رواه أحمد ٤/٣١٥، ٣١٦، ٣١٨، ومن طريقين عن وائل بن حجر وهو بهما حسن، وكذا أخرجه البيهقي في الدلائل ٦/٦٩ عن عبد الجبار عن أبيه وائل.
- (٥) رواه مسلم في الفضائل ١٥/٤٠ من حديث جابر رضي الله تعالى عنه. والعكة =

ومن ذلك : بركة يده ﷺ فيم لمسه وغرسه لسلمان رضي الله تعالى عنه حين كاتبه مواليه على ثلاثمائة ودية يغرسها لهم كلها تعلق وتطعم ، وعلى أربعين أوقية من ذهب فقام ﷺ وغرسها بيده إلا واحدة غرسها غيره ، فأخذت كلها إلا تلك الواحدة ، فقلعها النبي ﷺ وردها فأخذت^(١) .

وأعطى ﷺ قتادة من النعمان – وصلى معه العشاء في ليلة مظلمة مطيرة – عرجوناً وقال : «انطلق فإنه سيضيء لك من بين يديك عشراً ، ومن خلفك عشراً ، فإذا دخلت بيتك فسترى سواداً فاضربه حتى يخرج ؛ فإنه الشيطان» ، فانطلق فأضاء له العرجون حتى دخل بيته ووجد السواد فضربه حتى خرج^(٢) .

ومن ذلك : بركته ﷺ في شاة عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه وكانت لم ينز عليها فحل^(٣) .

= بضم العين : الآنية المعدة للسنن ، وفي الحديث معجزة ظاهرة من وجود السمن في العكة باستمرار متى احتاجوه .

(١) قصة إسلام سلمان وما ذكر فيها رواها ابن إسحاق في السيرة ، ومن طريقه أحمد ٥/٤٤١ ، ٤٤٤ ، وابن سعد في الطبقات ٤/٧٥ ، ٨٠ وغيرهم بسند على شرط مسلم ، وابن إسحاق صرح بالتحديث ، وللحديث طرق وروايات . وانظر المجمع ٩/٣٣٦ ، ٣٣٧ . والودية بكسر الدال ثم ياء مشددة ، واحدة الودي وهي : صغار النخل . وفي قصة سلمان فوائد وعبر . وانظرها مبسوطه مطولة في تهذيب الخصائص لكاتبه رقم ٧ .

(٢) رواه أحمد ٣/٦٥ من حديث أبي هريرة وأبي سعيد مطولاً وسنده صحيح . والعرجون ، بضم العين : أصل العذق من النخلة . وفي هذا الحديث معجزتان : الأولى : إضاءة العرجون لقتادة . ثانيهما : إخباره ﷺ فتادة بأنه سيجد شيطاناً ظاهراً في بيته .

(٣) رواه أحمد ١/٣٧٩ ، ٤٦٢ ، والطيالسي ٢٤٥٦ ، وابن سعد ٣/١٠٦ ، ١٠٧ ، =

ومنها: شاة المقداد^(١).

ومنها: مسحه ﷺ وجه قتادة بن ملحان، فكان لوجهه بريق، حتى كان ينظر في وجهه كما ينظر في المرأة^(٢).

ووضع ﷺ يده على رأس حنظلة بن حذيم وبرك عليه، فكان حنظلة يؤتى بالرجل قد ورم وجهه والشاة قد ورم ضرعها، فيوضع على موضع كف النبي ﷺ فيذهب الورم^(٣).

= وأبو نعيم في الدلائل ١١٣، والبيهقي كذلك ٨٤/٦ بسند حسن صحيح عن ابن مسعود قال: كنت أرى غنماً لعقبة بن أبي معيط فمربي رسول الله ﷺ وأبو بكر فقال: «يا غلام هل من لبن؟» قال: قلت: نعم، ولكن مؤتمن، قال: «فمن شاة لم ينز عليها الفحل؟» فأتيته بشاة فمسح ضرعها فنزل لبن، فحلبه في إناء، فشرب وسقى أبا بكر، ثم قال للضرع: «أقلص»، فقلص، قال: ثم أتيته بعد هذا... الحديث. وقوله: «لم ينز» بفتح الياء، أي: لم يعلها فحل بعد. وقوله: «أقلص» هو أمر من قلص كجلس، ومعناه: أنزرو وارتفع. وهذه أيضاً آية عظيمة وقعت في الشاة ببركة ملامسته لها ﷺ.

(١) أخرج حديثه أحمد ٢/٦، ٣، ٥، ومسلم آخر الأشربة ١٤/١٣، ١٦ كلاهما رواه مطولاً. وخلاصته: أن المقداد وصاحبين له استضافوا الصحابة، فأخذهم النبي ﷺ إلى أهله، وكان له ثلاثة أعنز فأمرهم أن يحتلبوها ويقتسموا ذلك بينهم ففعلوا، وكانوا يرفعون للنبي ﷺ حظه من ذلك، وفي ذات ليلة شرب المقداد نصيب النبي ﷺ فلما جاء لم يجد شيئاً، فرفع رأسه إلى السماء وقال: «اللهم أطعم من أطعمني واسق من سقاني». فقام المقداد ليذبح أحد الأعنز فإذا هي حافلة كلها باللبن، فحلب وشرب النبي ﷺ. ثم أخبره بالواقع. فقال ﷺ: «ما هذه إلا رحمة من الله»، وفي رواية لأحمد: «هذه بركة نزلت من السماء».

(٢) رواه أحمد ٥/٢٧، ٢٨، والبيهقي في الدلائل ٦/٢١٧ وسنده صحيح.

(٣) رواه أحمد ٥/٦٧، ٦٨ وسنده صحيح، وكذا رواه أبو يعلى، وقال الهيثمي في المجمع ٨/٤٠٨ رجاله ثقات. والورم بفتح الراء: هو انتفاخ من مرض ونحوه. وفي الحديث آية في حنظلة ببركة مس النبي ﷺ.

وأخذ ﷺ قبضة من تراب يوم حنين ورمى بها في وجوه الكفار وقال :
«شاهت الوجوه» فانصرفوا يمسحون القذى عن أعينهم^(١) .

وشكى إليه أبو هريرة رضي الله تعالى عنه النسيان ، فأمره ببسط ثوبه ،
وغرف بيده فيه ثم أمره بضمه ، ففعل ، فما نسي شيئاً بعد^(٢) .

وضرب صدر جرير بن عبد الله رضي الله تعالى عنه ودعاه –
وكان ذكر له أنه لا يثبت على الخيل – فصار من أفرس العرب
وأثبتهم^(٣) .

(١) هذا وارد عن جماعة، منهم: سلمة بن الأكوع رضي الله تعالى عنه، رواه مسلم في
الجهاد والسير ١٢/١٢١، ١٢٢، قال: فلما غشوا رسول الله ﷺ نزل عن البغلة ثم
قبض قبضة من تراب من الأرض ثم استقبل وجوههم فقال: «شاهت الوجوه»، فما
خلق الله منهم إنساناً إلا ملاً عينه تراباً بتلك القبضة فولوا مدبرين فهزمهم الله
عز وجل. ومنهم: العباس، رواه مسلم أيضاً ١٢/١١٦ بنحوه. وقوله: شاهت
الوجوه، أي: قبحت.

(٢) رواه البخاري في العلم ١/٢٢٥، ومسلم في الفضائل ١٦/٥٣، ٥٤. وغيرهما
من حديثه قال: ولقد قال رسول الله ﷺ يوماً: «أيكم يبسط ثوبه فيأخذ من حديثي
هذا ثم يجمعه إلى صدره فإنه لم ينس شيئاً سمعه» فبسطت بردة عليّ حتى فرغ من
حديثه ثم جمعتها إلى صدري، فما نسيت بعد ذلك اليوم شيئاً حدثني به... فإكثاره
رضي الله تعالى عنه من الحديث هو أثر من آثار بركة رسول الله ﷺ، فلندع الأعداء
بعد هذا يقولون في هذا الصحابي الجليل ما طابت لهم أنفسهم الخبيثة من
الافتراءات والمطاعن.

(٣) رواه البخاري آخر المغازي في غزوة ذي الخلصة ٩/١٣٤، ١٣٥، ومسلم في
الفضائل ١٦/٣٤، ٣٥، ٣٦ وسياقه: قال لي رسول الله ﷺ: «يا جرير ألا تريخني
من ذي الخلصة – بيت لخشتم كان يدعى كعبة اليمامة – قال: فنفرت في خمسين
ومائة فارس، وكنت لا أثبت على الخيل، فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فضرب يده
في صدره فقال: «اللهم ثبتّه واجعله هاديًا مهديًا...» إلخ.

إخباره بما أطلعه الله به على المغيبات^(١)

الأحاديث في هذا الباب بحر لا يدرك قعره ولا ينزف غمره، وهذه المعجزة من جملة معجزاته المعلومة على القطع، الواصل إلينا خبرها على التواتر؛ لكثرة روايتها واتفاق معانيها على الاطلاع على الغيب.

عن حذيفة رضي الله تعالى عنه قال: قام فينا رسول الله ﷺ مقامًا فما ترك شيئًا يكون في مقامه ذلك إلى قيام الساعة إلا حدثه، حفظه من حفظه ونسيه من نسيه، قد علمه أصحابي هؤلاء، وإنه ليكون منه الشيء فأعرفه فأذكره كما يذكر الرجل وجه الرجل إذا غاب عنه ثم إذا رآه عرفه. ثم قال حذيفة: ما أدري أنسي أصحابي أم تناسوه، والله ما ترك رسول الله ﷺ من قائد فتنة إلى أن تنقضي الدنيا يبلغ من معه ثلاثمائة فصاعدًا إلا قد سماه لنا باسمه واسم أبيه وقبيلته^(٢).

(١) اطلاعه ﷺ على المغيبات ليس اطلاعًا ذاتيًا، ولا اطلاعًا عامًا بحيث لا يغيب عنه شيء كما قد يخيل إلى البعض، بل هو عبد لله عز وجل لا يعلم إلا ما علمه الله من الكائنات وما من شأنه أن يعلمه البشر وما سوى ذلك فهو من خصائص الربوبية، وعلى هذا فما جاء في حديث الترمذي وغيره: «فوضع يده بين كتفيي.. فعلمت ما بين السماء والأرض»، وفي رواية: «فعلمت كل شيء» هو محمول على ما ذكرناه.

فما أخبر به ﷺ من المغيبات القديمة أو التي حدثت بعده الكل بوحى من الله عز وجل وإخبار منه تعالى، وليس له ﷺ ولا لغيره من الأنبياء أو غيرهم قلامه ظفر من ذلك بذواتهم، ومن اعتقد غير ذلك فقد أشرك وأعطى ما هو من خصائص الألوهية لغيره من خلقه وعباده، وإذا كان هذا في أشرف الخليقة على الإطلاق فكيف بغيره من أئمة آل بيته أو آحاد الصالحين من أمته كما يفتره عليهم الشيعة وبعض جهلة المتصوفة، فالرب رب وإن تنازل، والعبد عبد وإن تعالى.

(٢) رواه البخاري في القدر ٢٩٧/١٤، ومسلم ١٥/١٨، وأبو داود ٤٢٣٧ كلاهما في =

وقال أبو ذر رضي الله تعالى عنه: لقد تركنا رسول الله ﷺ وما يحرك طائر جناحيه في السماء إلا ذكرنا منه علماً^(١).

وقد خرج أهل الصحيح والأئمة ما أعلم به أصحابه ﷺ مما وعدهم به من الظهور على أعدائه^(٢)، وفتح مكة^(٣)، وبيت المقدس^(٤)، واليمن، والشام، والعراق^(٥)... وظهور الأمن حتى تظعن المرأة من الحيرة إلى مكة

= الفتن، وليس عندهم قول حذيفة: والله ما ترك رسول الله ﷺ من قائد فتنة... إلخ.

(١) رواه أحمد ١٦٢/٥ ورجاله ثقات غير الأشياخ المجاهيل ويؤيده الحديث السابق وغيره. والحديثان يدلان على أنه ﷺ أخبر أصحابه بكل ما سيقع في أمته من الأحداث، ويؤيد ذلك حديث أبي زيد قال: صَلَّى بنا رسول الله ﷺ الفجر، ثم صعد المنبر فخطبنا حتى حضرت الظهر، ثم نزل فصلي، ثم صعد المنبر فخطبنا حتى حضرت العصر، ثم نزل فصلي، ثم صعد المنبر فخطبنا حتى غربت الشمس، فأخبرنا بما كان وما هو كائن إلى يوم القيامة، فأحفظنا أعلمنا. رواه مسلم في الفتن ١٦/١٨.

(٢) يأتي تخريج ذلك مفصلاً.

(٣) جاء ذلك في حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في قصته مع عمر، وقوله في: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ [الفتح: ١]، قال: فتح مكة... إلخ، رواه البخاري في المغازي ٨١/٩، وفي التفسير ٣٦٧/١٠، وغيره.

(٤) رواه أحمد ٢٥/٦، والبخاري في الجزية ٨٧/٧، وأبو داود في الأدب، وابن ماجه في الفتن ٤٠٤٢ من حديث عوف بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «أعدد ستاً بين يدي الساعة: موتي، ثم فتح بيت المقدس... إلخ».

(٥) رواه البخاري ٤/٤٦٣، ٤٦٥، ومسلم ١٥٨/٩، ١٥٩، كلاهما في الحج من حديث سفيان بن أبي زهير قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «تفتح اليمن فيأتي قوم يبسون فيتحملون بأهليهم ومن أطاعهم، والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون، وتفتح الشام فيأتي قوم يبسون فيتحملون بأهليهم ومن أطاعهم، والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون، وتفتح العراق فيأتي قوم يبسون فيتحملون بأهليهم ومن =

لا تخاف إلا الله^(١) . . . وتفتح خيبر على يدي عليّ في غد يومه^(٢) ، وأن المدينة ستعري^(٣) . . . وما يفتح الله على أمته من الدنيا ويؤتون من زهرتها^(٤) ،

= أطاعهم ، والمدينة خير لهم لو كانوا يعملون» . وقوله : «يسون» بفتح الياء وتضم وكسر الباء ، ومعناه : يزجرون الإبل ويسوقونها . وفي الحديث علم من أعلام النبوة ، حيث أخبر بفتح هذه الأقطار بمدة ، وفيه فضل المدينة على هذه البلاد وغيرها باستثناء مكة المكرمة .

(١) رواه البخاري في علامات النبوة ٧/٤٢٣ ، ٤٢٤ ، عن عدي بن حاتم في حديث طويل يأتي بعضه . وفي معنى هذا الحديث حديث خباب بني الأرت ، وفيه : «وليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمة» . رواه البخاري في علامات النبوة ٧/٤٣١ ، ٤٣٢ ، وفي المبعث ، وفي الإكراه ١٥/٣٤٨ . ورواه أبو داود في الجهاد ، والنسائي في الزينة . وما ذكر في الحديثين وقع كما أخبر وخاصة أيام الفاروق رضي الله تعالى عنه . والظعينة : هي المرأة في اليهودج . والحيرة : بكسر الحاء ، بلدة بقرب الكوفة كانت مقرًا للملوك العرب من طرف الأكاسرة .

(٢) تقدم تخريجه ص ٢٦٥ ، وفيه : «لأعطين الراية غدًا رجلًا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يفتح الله على يديه» .

(٣) رواه البخاري ٤/٤٦١ ، ٤٦٢ ، ومسلم ٩/١٥٩ ، ١٦٠ كلاهما في الحج من حديث أبي هريرة سمعت رسول الله ﷺ يقول : «تتركون المدينة على خير ما كانت ، لا يغشاها إلا العواف . . .» إلخ . وانظر الفتح لذلك ٤/٤٦١ .

(٤) فعن ابن سعيد عنه ﷺ قال : «إن الدنيا حلوة خضرة وإن الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون . . .» رواه مسلم في الرقاق ١٧/٥٥ ، والترمذي في الزهد ، وابن ماجه في الفتن ، وكذا أحمد ٣/١٩ ، ٢٢ . وعن عمرو بن عوف : أن النبي ﷺ قال : «والله ما أخشى عليكم الفقر ، ولكنني أخشى عليكم أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها فتهلككم كما أهلكتهم» ، رواه البخاري في الجزية ، وفي الرقاق ، ومسلم ١٨/٩٥ ، والترمذي ٢٢٨٣ ، كلاهما في الزهد ، وغيرهم .

وقسمتهم كنوز كسرى وقيصر^(١).

وما يحدث بينهم من الفتون، والاختلاف، والأهواء، وسلوك سبيل من قبلهم، وافتراقهم على ثلاث وسبعين فرقة الناجية منها فرقة واحدة^(٢)، وأنها ستكون لهم أنماط^(٣)، ويغدو أحدهم في حلة ويروح في أخرى، ويوضع بين يديه صحيفة وترفع أخرى، ويسترون بيوتهم كما تستر الكعبة. . وقال في آخر الحديث: وأتم اليوم خير منكم يومئذ^(٤). . وقتالهم الترك والخوز والروم^(٥)، وذهب كسرى وفارس حتى لا كسرى ولا فارس بعده،

-
- (١) رواه مسلم في الفتن ٤٣/١٨ عن جابر بن سمرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لتنفتحن عصابة من المسلمين كنوز كسرى التي في القصر الأبيض»، فكنت أنا وأبي فيهم، فأصابنا من ذلك ألف درهم. وسيأتي بعض ذلك قريباً أيضاً.
- (٢) جاء في ذلك، أحاديث، منها: حديث أبي هريرة في تفرق الأمة على ثلاث وسبعين فرقة، رواه أحمد ٣٣٣/٢، وأبو داود ٤٥٩٦، والترمذي في الإيمان ٢٤٥١ وغيرهم. وحسنه الترمذي وصححه. ونحوه عن معاوية، رواه أحمد ١٠٢/٤، وأبو داود ٤٥٩٧ في السنة، وغيرهما، وسنده صحيح، وفيه: «كلها في النار إلا واحدة وهي الجماعة». ومنها حديث: «لتبعن سنن الذين من قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع. . .» الحديث، رواه البخاري في الاعتصام ٦٣/١٧، ٦٤، ومسلم في العلم ٢١٩/١٦، ٢٢٠، وغيرهما عن ابن سعيد.
- (٣) رواه أحمد ٢٩٤/٣، والبخاري في المناقب وفي النكاح، ومسلم في اللباس ٥٨/١٤، وأبو داود فيه ٤١٤٢، والترمذي في الأدب ٢٥٨٤، وغيرهم من حديث جابر. والأنماط، جمع نمط بفتحيتين: نوع من البسط لها حمل رقيق.
- (٤) رواه أحمد ٣٨٧/٣، والحاكم في الهجرة من المستدرک ١٥/٣ وسنده صحيح، وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي، وكل ما في الحديث وقع عبر التاريخ، وفيه نعيش، فصلّى الله وسلم وبارك على هذا النبي العظيم وعلى آله وصحبه وزوجه.
- (٥) رواه أحمد ٣١٩/٢، ٥٣٠، والبخاري في علامات النبوة ٤١٩/٧ وفي مواضع، ومسلم في الفتن ٣٧/١٨، ٣٨، وغيرهم عن أبي هريرة. وفي رواية: «حتى =

وذهاب قيصر حتى لا قيصر بعده^(١) . . . وذكر أن الروم ذات قرون إلى آخر الدهر^(٢) . . . وبذهاب الأمثل فالأمثل من الناس^(٣) ، وتقارب الزمان^(٤) ،

= تقاتلوا الترك صغارًا لاعيين . . . إلخ . والخوز، بالخاء بعدها واو ثم زاي : جيل من العجم .

(١) رواه أحمد ٢/٢٣٣ ، ٢٤٠ ، وفي مواضع ، والبخاري في علامات النبوة ٧/٤٣٨ ، ومسلم في الفتن ١٨/٤١ ، ٤٢ وغيرهم . وقد استؤصلت دولتنا الأكاسرة والأقاصرة أيام خلافة الفاروق رضي الله تعالى عنه .

(٢) في صحيح مسلم من الفتن ١٨/٢٢ عن المستورد، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «تقوم الساعة والروم أكثر الناس» . وجاء في رواية عنه : «أشد الناس عليكم الروم، وإنما هلكتم مع الساعة» . رواه أحمد ٤/٢٣٠ ، ورجاله رجال الصحيح إلا ابن لهيعة وهو حسن الحديث في المتابعات . والروم الآن هم الدول الأوروبية مع أمريكا وهم أعداء الإسلام الألداء الذين يكيّدون للإسلام والمسلمين ، وكل المخزيات والفضائح والنكبات والبلايا النازلة والواقعة بالمسلمين فمن دسائسهم وكيدهم . وقد صدق رسول الله ﷺ فيما قال وبر ، وسوف يهلكهم الله عز وجل في القريب العاجل ، وخاصة العدو العظيم أمريكا فهي زعيمتهم وعندها جمعية أممهم الخرافية .

(٣) رواه أحمد ٤/١٩٣ ، والبخاري في الرقاق ١٤/٢٧ ، ٢٨ ، والدارمي ٢٢/٢٧ من حديث المرداس الأسلمي بلفظ : «يذهب الصالحون الأول فالأول ويبقى حثالة كحثة الشعير أو التمر لا يباليهم الله بالة» «الحثالة» أو الحفالة : الرديء والأرذل من كل شيء . «لا يباليهم الله» ، أي : لا يعبا بهم .

(٤) رواه أحمد ٢/٥٣٧ ، ٥٣٨ ، وابن حبان ١٨٨٧ عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : «لا تقوم الساعة حتى يتقارب الزمان فتكون السنة كالشهر ، ويكون الشهر كالجمعة ، وتكون الجمعة كالיום ، ويكون اليوم كالساعة ، وتكون الساعة كاحتراق السعفة أو الخوصة» . وسنده صحيح ، وله شاهد عن أنس عند الترمذي في الزهد ، وعن أبي بكر أيضًا وهو الآتي عقبه . وقد صدق الواقع ما في هذا الحديث فقد تقارب الزمان بهذه المخترعات الحالية والمركوبات المدهشة التي أنعم الله بها علينا .

وقبض العلم، وظهور الفتن والهرج^(١).

وقال: «ويل للعرب من شر قد اقترب»^(٢). . . وأنه زويت له الأرض فأري مشارقتها ومغاربها وسيبلغ ملك أمته ما زوي له منها^(٣). وكذلك كان، فقد امتدت في المشارق والمغرب ما بين أرض الهند من أقصى المشرق إلى بحر طنجة، وذلك ما لم تملكه أمة من الأمم ولم تمتد في الجنوب ولا في الشمال مثل ذلك. . . وقوله: «لا يزال أهل الغرب ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة»^(٤)، ذهب ابن المديني إلى أنهم العرب لأنهم المختصون بالسقي بالغرب وهي الدلو. وغيره يذهب إلى أنهم أهل المغرب. وقد ورد المغرب كذا في الحديث بمعناه. وفي حديث آخر من رواية أبي أمامة: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق قاهرين لعدوهم حتى يأتيهم أمر

(١) رواه أحمد ٢/٢٣٣، والبخاري ١٦/١٢٠، ومسلم ١٦/٢٢٢، وأبو داود ٤٢٥٥، وابن ماجه ٤٠٥٢ عن أبي بكر عن النبي ﷺ قال: «يتقارب الزمان وينقص العلم»، وفي رواية: «ويقبض العلم، ويلقى الشح، وتظهر الفتن، ويكثر الهرج».

(٢) رواه أحمد ٢/٣٩٠، ٣٩١، ٥٣٦ وفي مواضع، والبخاري، ومسلم، والترمذي ٢٠١٧، وابن ماجه، كلهم في الفتن. ورواه البخاري أيضًا في المناقب وفي الطلاق من حديث زينب: استيقظ النبي ﷺ من نومه محمراً وجهه وهو يقول: «لا إله إلا الله، ويل للعرب من شر قد اقترب، فتح اليوم من ردم يأجوج ومؤجوج مثل هذه - وحلق حلقة -»، وها نحن الآن نعيش في مصداقية هذا الحديث الشريف، فالعرب قد أحاطت بهم الفتن والنكبات والنكسات من كل جهة وتكالبت عليهم الأمم الأخرى.

(٣) رواه أحمد ٥/٢٧٨، ومسلم ١٨/١٣، ١٤، وأبو داود ٤٣٤٩ كلاهما في الفتن من حديث ثوبان مطولاً، وقد تقدم أيضاً ص ٢٨٨. وقوله: «زويت»، أي: جمعت.

(٤) هذه الرواية رواها مسلم في آخر الإمارة ١٣/٦٨، عن سعد بن أبي وقاص.

الله وهم كذلك»^(١).

وخروج ولد العباس بالرايات السود وملكهم أضعاف ما ملكوا^(٢) . . .
وخروج المهدي^(٣) . . . وقتل علي، وأن أشقاها الذي يخضب هذه من
هذه^(٤)، أي لحيته من رأسه . . . وقتل عثمان، وأن الله تعالى عسى أن يلبسه

(١) هذه الرواية رواها أيضًا مسلم في المصدر السابق ٦٥/١٣، وهذا الحديث متواتر ورد
عن جماعة كثيرين، وقد أوردت كثيرًا منهم في بداية الوصول، وهذه الطائفة
لا تنقطع أبدًا حتى يأتي أمر الله بعد عيسى عليه السلام حينما يرفع الله القرآن ولا يبقى
مؤمن على وجه الأرض، وهذه الطائفة مفرقة في الأمة لا تختص بجماعة ولا فرقة،
وهي التي تمثل الأمة المحمدية، ومنها قراء وعلماء وعباد وزهاد ودعاة وعوام . . .

(٢) رواه ابن ماجه في الفتن ٤٠٨٤، والحاكم ٤٦٣/٤ من حديث ثوبان قال: قال
رسول الله ﷺ: «يقتل عند كنزكم ثلاثة، كلهم ابن خليفة، ثم لا يصير إلى واحد
منهم، ثم تطلع الرايات السود من قبل المشرق فيقتلونكم قتلاً لم يقتله قوم، قال:
فإذا رأيتموه فبايعوه ولو حبواً على الثلج، فإنه خليفة الله المهدي».

قال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين. ووافقه الذهبي. وقال البوصيري في
الزوائد: هذا إسناد صحيح رجاله ثقات. أما الحديث الآخر: «إذا رأيتم الرايات
السود . . . إلخ، فموضوع. والمهدي ليس من ولد العباس، وأحاديث المهدي
متواترة تواتراً معنوياً أخرجها الإمام أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي وابن
ماجه، وابن خزيمة وابن حبان وغيرهم، من طرق باسمه معيناً. وجاء في صحيح
مسلم ومسنده أحمد باسم خليفة، وقد ألف في أحاديثه العلماء قديماً وحديثاً.

(٣) نفس المرجع السابق.

(٤) فعن عمار بن ياسر رضي الله تعالى عنهما أن رسول الله ﷺ قال له ولعلي: «ألا
أحدثكما بأشقى الناس؟» قلنا: بلى يا رسول الله. قال: «أحيمر ثمود الذي عقر
الناقة، والذي يضربك يا علي على هذه - يعني: قرنه - حتى تبتل هذه من الدم
- يعني لحيته -». رواه أحمد ٢٦٣/٤، والحاكم ١٤١/٣، وصححه على شرط
مسلم ووافقه الذهبي، وله مع ذلك شواهد. أحيمر: تصغير أحمر وكان اسمه
قُدَّار، على وزن غراب.

قميصًا وأنهم يريدون منه خلعه^(١) . . وأن الفتن لا تظهر ما دام عمر حيًا^(٢) . . وبمحاربة الزبير لعلي، وبنباح كلاب الحوآب على بعض أزواجه، وأنه يقتل حولها قتلى كثيرة وتنجو بعد ما كادت، فنبحت على عائشة عند خروجها إلى البصرة^(٣) . . وأن عمارًا تقتله الفئة

(١) جاء في ذلك عدة أحاديث، منها: حديث أبي موسى الطويل في بشارة الخلفاء الثلاثة بالجنة، وقال في عثمان: «افتح له وبشره بالجنة على بلوى تصيبه». رواه أحمد ٤/٤٠٦، والبخاري في المناقب ٨/٣٥، ٣٨، ومسلم في الفضائل ١٥/١٧٠، ١٧٣، والترمذي في المناقب ٣٤٨٢ بتهذيبي، وغيرهم. وعن عائشة رضي الله تعالى عنها أن النبي ﷺ قال: «يا عثمان إنه لعل الله يقمصك قميصًا، فإن أرادوك على خلعه فلا تخلعه لهم. رواه الترمذي ٣٤٧٧، وابن ماجه ١١٣، والحاكم ٣/٩٩، ١٠٠ وصححه. فهذا القميص هي الخلافة التي ابتلي بها وقتل عليها رضي الله تعالى عنه.

(٢) فعن أبي ذر رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تصيبكم فتنة ما دام هذا فيكم» يعني: عمر. رواه الطبراني في الأوسط، قال في المجمع: رجاله رجال الصحيح غير المهدي بن يحيى، وهو ثقة ثبت... إلخ. وفي حديث حذيفة المشهور في الصحيحين: «إن بينك وبينها بابًا مغلقًا»، قال عمر: أيكسر الباب أم يفتح؟ قال: «لا، بل يكسر»، قال عمر: «إذا لا يغلق»، قال حذيفة: الباب عمر. وهكذا كان، فلما قتل عمر جاءت الفتن وكانت بدايتها أيام عثمان رضي الله عن الجميع.

(٣) فعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: أن رسول الله ﷺ قال لنسائه: «أيتكن صاحبة الجمل الأريب؟ تخرج حتى تنبجها كلاب الحوآب يقتل عن يمينها وعن شمالها قتلى كثيرة وتنجو بعدما كادت». رواه البزار، قال الهيثمي ٧/٢٣٤: رجاله ثقات.

وجاء في حديث قيسر بن أبي حازم عن عائشة: أنها لما نزلت مياه بني عامر نبحت عليها الكلاب، فقالت، أي ماء هذا؟ قالوا: الحوآب، قالت: ما أظنني إلا راجعة. فقال لها بعض من كان معها: بل تقدمين... إلخ، رواه أحمد ٦/٥٢ =

الباغية، فقتله أصحاب معاوية^(١). وقال لعبد الله بن الزبير ويل للناس منك،
وويل لك من الناس^(٢).

وقال في رجل وقد أبلى مع المسلمين أنه: «من أهل النار» فقتل
نفسه^(٣). وقال في جماعة فيهم أبو هريرة وسمرة بن جندب وحذيفة:
«آخركم موتاً في النار»^(٤)، فكان بعضهم يسأل عن بعض، فكان سمرة
آخريهم موتاً؛ هرم وخبرف فاصطلى بالنار فاحترق فيها. وقال:
«الخلافة في قريش»^(٥)، «ولن يزال هذا الأمر في قريش ما أقاموا

= ٩٧، وابن حبان ٦٧٣٢، والحاكم ١٢٠/٣، وسنده صحيح. فالقائل: «بل
تقدمين» يقال: هو الزبير.

(١) رواه أحمد ٣/٥، ٩١، والبخاري في المساجد ٢/٨٧، ٨٨، وفي الجهاد
٦/٣٧٠ وغيرهما، ومسلم في الفتن ١٨/٣٩، ٤٠ عن أبي سعيد الخدري، وورد
عن جماعة آخرين. وكان عمار مع الإمام علي في صفين، فقتله أهل الشام من
أنصار معاوية، وعمره يناهز التسعين رضي الله تعالى عنه.

(٢) رواه الدارقطني في السنن آخر الطهارة ١/٢٢٨، والطبراني عن أسماء بنت الصديق،
ورواه البزار والطبراني وأبو نعيم في الحلية ١/٣٣٠ عن ابن الزبير. وانظر ما سبق ص ٨٩.
وقد صدق الواقع هذا الحديث، وذلك من علامات نبوته، فابن الزبير قد ابتلي
بالخلافة، وحصل منه وله ما أخبر به النبي ﷺ حتى كان آخر أمره أن قتل وفعل
بجثته ما هو معروف.

(٣) رواه البخاري في القدر ١٤/٣٠١، ومسلم في الإيمان ٢/١٢٣، ١٢٤، عن سهل بن
سعد مطولاً ونحوه عن أبي هريرة عندهما أيضاً ورواه أيضاً البخاري في غزوة خيبر.

(٤) رواه الطبراني في الأوسط رقم ٦٢٠٢، والبيهقي في الدلائل ٦/٤٥٨، ٤٥٩، ٤٦٠
من طرق موصولة ومرسلة بمجموعها يرتقي لدرجة الحسن. وانظر: مجمع الزوائد
رقم ١٤٠٧٧.

(٥) رواه أحمد ٤/١٨٥، وابن أبي عاصم في السنة ١٠١٤ من حديث عتبة بن عبد،
وسنده حسن، وقال في المجمع ٤/١٩٢: رجاله ثقات، وصححه أيضاً العراقي.
وله شاهد عن أبي هريرة موقوفاً، رواه ابن أبي عاصم ١٠٢٤ بسند صحيح. وفي =

الدين»^(١) وقال: «يكون في ثقيف كذاب ومبير»^(٢)، فرأوهما: الحجاج والمختار. وأن مسيلمة يعقره الله^(٣). وأن فاطمة أول أهله لحوقاً به^(٤). وأنذر بالردة^(٥). وبأن الخلافة بعده ثلاثون سنة ثم تكون

= الباب عن سفينة عند البخاري ومسلم والترمذي وغيرهم، وعن عمرو بن العاص عند أحمد والترمذي. وانظر تهذيبي للجامع ٢٠٥٣، ٢٠٥٧.

(١) في هذا حديثان، الأول: عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي من الناس اثنان». رواه البخاري في المناقب ٣٤٥/٧، ومسلم في أول الإمارة ٢٠١/١٢. والثاني عن معاوية قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن هذا الأمر في قريش لا يعاديهما أحد إلا كبه الله عز وجل على وجهه ما أقاموا الدين». رواه أحمد ٩٤/٤، والبخاري في المناقب ٣٤٥/٧، وفي الأحكام. وفي الباب عن جابر بن سمرة عند مسلم ٢٠٢/١٢، ٢٠٣ وغيره. وما في الحديثين قد صدقه الواقع، فلم تزل الخلافة في قريش رغم انحرافهم فالأمر فيهم إلى ما شاء الله.

(٢) رواه مسلم في الفضائل ١٠٠/١٦ ضمن حديث لأسماء بنت الصديق رضي الله تعالى عنهما مطولاً، ورواه أحمد ٢٦/٢، ٨٧، ٩١، ٩٢، والترمذي في الفتن ٢٥٠ عن ابن عمر.

(٣) رواه البخاري في علامات النبوة، ومسلم في الرؤيا ٣٣/١٥، ٣٤ عن ابن عباس في مجيء مسيلمة إلى النبي ﷺ في بشر كثير... وفيه قوله ﷺ له: «ولئن أدبرت ليعقرنك الله...» الحديث، فكان كما أخبر، فقد قتل أيام الصديق رضي الله تعالى عنه مع من قتل معه من أتباعه في الواقعة المشهورة.

(٤) رواه أحمد ٧٧/٦، ٢٤٠، والبخاري ٨٠/٨، ٨١، ومسلم ٥/١٦، ٧، كلاهما في المناقب عن عائشة.

(٥) فعن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أنه يجاء برجال من أمتي ويؤخذ بهم ذات الشمال، فأقول: أصحابي، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك...» إلخ، رواه البخاري في التفسير ٣٥٥/٩ وفي مواضع، ومسلم في الجنة ١٧/١٩٣، ١٩٤، والترمذي في التفسير ٢٩٦٣، وكذا أحمد ٢٣٥/١، ٢٥٣ مطولاً.

ملكاً^(١)، فكانت كذلك بمدة الحسن بن علي رضي الله تعالى عنهما. وقال: «إن هذا الأمر بدأ نبوة ورحمة ثم يكون رحمة وخلافة ثم يكون ملكاً عضوداً ثم يكون عتواً وجبروتاً وفساداً في الأمة»^(٢).

وأخبر بشأن أويس القرني^(٣)، وبأمراء يؤخرون الصلاة عن وقتها^(٤)،

وفي مسلم وأبي داود ٤٢٥٢، والترمذي ٢٠٤٩ عن ثوبان مرفوعاً: «لا تقوم الساعة حتى تلحق قبائل من أمتي بالمشركين... إلخ، وهذا ما حصل بعد انتقاله ﷺ، فقد ارتدت عدة قبائل، كما ارتد جماعة من أهل المدينة وغيرها من ضعاف الإيمان... ولا يُعرف مهاجريٌّ أو أنصاريٌّ من مشاهير الصحابة المخلصين أنه ارتد كما يفتره الشيعة الروافض فيحكمون على جميع الصحابة بالارتداد حتى العشرة إلّا نحوًا من ستة عشر نفرًا.

(١) رواه أحمد ٥/٢٢٠، وأبو داود ٤٦٤٦، ٤٦٤٧، والترمذي في الفتن ٢٠٥٣ وغيرهم من حديث سفينة، وإسناده حسن، وهو صحيح لطرقه..

(٢) هو بهذا السياق رواه البزار والبيهقي، وسنده ضعيف، وفي معناه حديث حذيفة مرفوعاً: «إنكم في النبوة ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة، وتكون ما شاء أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء، ثم يكون ملك عضوض، ثم تكون جبرية ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة».

رواه أحمد ٤/٢٧٣، والطيالسي ٢٥٩٣ بسند حسن، وأورده في المجمع ٥/١٨٩ برواية أحمد والبزار والطبراني وقال: رجاله ثقات، وصححه العراقي. فهذا نحن ذا في مرحلة الجبرية وسوف تأتي الخلافة النبوية، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله.

(٣) رواه مسلم في الفضائل ١٦/٩٤، ٩٥، ٩٦ وغيره، وقصته مبسوطه في مسلم وغيره، وهو من خيار التابعين وساداتهم، أخبر النبي ﷺ به وبصفته وأمر الصحابة أن يطلبوا منه الاستغفار، وأخبر عنه بأنه لو أقسم على الله لأبره، فكان موجوداً أيام الفاروق ولقيه واستغفر له رضي الله تعالى عنهما.

(٤) ورد ذلك عن جماعة من الصحابة عن ابن مسعود عند أحمد ١/٣٧٩، ٤٥٥،

٤٥٩، وابن ماجه ١٢٥٥ بسند صحيح. وعن عبادة بن الصامت عند أبي داود =

وسيكون في أمته ثلاثون كذاباً فيهم أربع نسوة^(١)، وفي حديث آخر: «ثلاثون دجالاً كذاباً؛ أحدهم الدجال الكذاب، كلهم يكذب على الله»^(٢)، وقال: «يوشك أن يكثر فيكم العجم يأكلون فينكم ويضربون رقابكم»^(٣). وقال: «لا تقوم الساعة حتى يسوق الناس بعصاة رجل من قحطان»^(٤). وقال: «خيركم قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يأتي بعد ذلك قوم يشهدون ولا يستشهدون، ويخونون ولا يؤتمنون، وينذرون ولا يوفون، ويظهر فيهم السمن»^(٥). وقال: «لا يأتي زمان إلا والذي بعده شر منه»^(٦).

٤٣٣ = وابن ماجه ١٢٥٧ بسند صحيح. وعن أبي ذر عند مسلم وأبي داود

والترمذي وغيرهم في آخرين فكان الأمر كما قال ﷺ.

- (١) رواه أحمد ٣٩٦/٥ عن حذيفة بسند صحيح.
- (٢) رواه مسلم في الفتن ٤٥/١٨، ٤٦ من حديث أبي هريرة، وقد وقع كل ذلك، ونحن في انتظار الدجال الأعور، أعاذنا الله من فتنه.
- (٣) رواه أحمد ١١/٥، ١٧، ٢١، والبزار، وسنده صحيح عند أحمد، وهو من حديث سمرة. ورواه الحاكم ٥١٩/٤ في الفتن عن حذيفة وصححه، ورده الذهبي.

وقد وقع هذا أيضاً ولا زلنا نعيش في آثار ذلك.

- (٤) حديث القحطاني رواه البخاري ١٩٠/١٦، ومسلم ٣٦/١٨ كلاهما في الفتن عن أبي هريرة، ورواه البخاري أيضاً في مناقب قريش ٣٥٦/٧ وهذا لم يأت بعد ولا بد من خروجه، ويقال: إنه سيمهد للخليفة المهدي، والله أعلم.
- (٥) الحديث وارد عن جماعة عن عمران بن حصين رواه أحمد ٤٢٦/٤، ٤٤٠، والبخاري ٦/٨، ٧ والمناقب، ومسلم في الفضائل ٨٧/١٦، ٨٨، ٨٩، وباقي الجماعة، وعن ابن مسعود رواه أحمد ٣٧٨/١ وفي مواضع والشيخان، والترمذي ٣٦٢٧ تهذيبي، وعن أبي هريرة رواه أحمد ٢٢٨/٢، ٤١٠، ٤٧٩، ومسلم ٨٦/١٦، ٨٧، وعن عائشة رواه أحمد ١٥٦/٦، ومسلم ٧٩/١٦ وغير هؤلاء.

- (٦) رواه أحمد ١٣٢/٣، ١٧٧، ١٧٩، والبخاري في الفتن ١٢٧/١٦ عن الزبير بن =

وقال: «هلاك أمتي على يدي أغيلمة من قريش»^(١)، وقال أبو هريرة: لو شئت سميتهم لكم: بنو فلان وبنو فلان. وأخبر بظهور القدرية^(٢). وأخبر بقلة الأنصار حتى يكونوا كالملح في الطعام^(٣)، فلم يزل أمرهم يتبدد حتى لم يبق لهم جماعة. وأنهم سيلقون بعده أثره^(٤). وأخبر بشأن الخوارج وصفتهم والمخدج الذي فيهم، وأن سيماهم التحليق^(٥). وترى رعاة الغنم

= عدي قال: شكونا إلى أنس بن مالك ما نلقى من الحجاج فقال: اصبروا فإنه لا يأتي عليكم عام أو يوم إلا الذي بعده شرٌّ منه حتى تلقوا ربكم عز وجل، سمعته من نبيكم ﷺ.

(١) رواه البخاري ١١٥/١٦، ١١٦، ومسلم ٤١/١٨ كلاهما في الفتن من حديث أبي هريرة قال: إن شئت سميتهم ببني فلان — يشير إلى بعض بني أمية ممن استخلف صغيراً غير كفاء للخلافة.

(٢) رواه أحمد ٩٠/٢، والترمذي في القدر ١٩٨٢، وابن ماجه في الفتن ٤٠٦١، وعن ابن عمر وحسنه الترمذي وصححه بلفظ: «في هذه الأمة خسف أو مسخ أو قذف في أهل القدر».

(٣) ورد ذلك عن ابن عباس وأنس في المناقب ١٢٢/٨، ١٢٣ وغيره، من صحيح البخاري وغيره، وفيه عن ابن عباس: «أيها الناس فإن الناس يكثرون ويقل الأنصار حتى يكونوا كالملح في الطعام...».

(٤) رواه أحمد ١٦٦/٣، وفي مواضع والبخاري في المناقب ١١٨/٨ وفي مواضع، ومسلم في الزكاة عن أنس: «إنكم ستلقون بعدي أثره فاصبروا حتى تلقوني غداً على الحوض».

(٥) الأحاديث بذكر الخوارج متواترة، رواها الجرم الغفير من الصحابة، منهم أبو سعيد الخدري، رواه أحمد ٥٦/٣، ٥٧، والبخاري في دلائل النبوة ٤٣٠/٧، وفي أحاديث الأنبياء ١٨٧/٧، وفي المغازي ١٣٠/٩، ١٣١، وفي استتابة المرتدين ٣٢٠/١٥، ٣٢٤، ومسلم في الزكاة ١٦/٧، ١٦٢، ١٦٧، وأبو داود ٤٧٦٣ وغيرهم، وانظر الأنوار الباهرة وفضائل الصحابة لكاتبه.

رؤوس الناس والعراة الحفاة يتبارون في البنيان وأن تلد الأمة ربثها^(١). وأن قريشًا والأحزاب لا يغزونه أبدًا وأنه هو يغزوهم^(٢).

وأخبر بالموتان الذين يكون بعد فتح بيت المقدس^(٣). وأنهم يغزون في البحر كالمملوك على الأسرة^(٤). وأن الدين لو كان منوطًا بالثريا لناله

(١) جاء هذا في حديثي عمر وأبي هريرة رضي الله تعالى عنهما، فحديث عمر رواه أحمد ١/٥٢، ٥٣، ومسلم ١/١٥٠، ١٦٠، وأبو داود ٤٦٩٥، والترمذي ٢٤٢٩، والنسائي ٨/٨٨، ٨٩ وغيرهم. وحديث أبي هريرة رواه أحمد ٢/٤٢٦، والبخاري ١/١٢٣، ١٣٣، ومسلم ١/١٦١، ١٦٥ وغيرهم. وهذا الحديث هو المعروف بحديث جبريل الذي جاء فيه تعليم كليات الدين.

وقول المصنف: «يتبارون في البنيان» لفظ الحديث: «يتناولون في البنيان»، أي: يتفخرون في إطالتها ويتنافسون فيها، كما هو الواقع منذ أزمته.

(٢) رواه البخاري في المغازي ٨/٤٠٨، ٤٠٩، وأحمد ٣/٢٦٢ عن سليمان بن صرد قال: سمعت النبي ﷺ يقول حين أجلى الأحزاب عنه: «الآن نغزوهم ولا يغزونا، نحن نسير إليهم». فكان الأمر كما قال، ففي السنة السادسة ذهب إلى مكة فوقع صلح الحديبية، وفي السنة السابعة كانت عمرة القضاء، وفي السنة الثامنة غزاهم فكان فتح مكة الأعظم.

(٣) تقدم تخريجه في هذا الفصل ص ٢٧٥، وفيه: «ثم موتان يأخذ فيكم كقعاص الغنم... إلخ، وهو في البخاري.

(٤) جاء ذلك في حديث أنس: أن النبي ﷺ دخل على أم حرام فنام عندها، فاستيقظ وهو يضحك، قالت: ما يضحكك يا رسول الله؟ قال: «ناس من أمتي عرضوا عليّ غزاة في سبيل الله يركبون ثبج هذا البحر ملوكًا على الأسرة...» الحديث. رواه البخاري في الجهاد ٩/٣٥٠، ٣٥١، وفي الاستئذان وفي التعبير، ومسلم في الإمارة ١٣/٥٧، ٥٨ وغيرهما، والشبج بفتح الشاء والباء هو ظهره ووسطه، وكان هذا في خلافة عثمان رضي الله تعالى عنه، حيث غزا معاوية بإذنه قبرص، ثم غزا الروم أيضًا يزيد بن معاوية، وهي الرؤيا الثانية التي جاءت في تكملة الحديث.

رجال من أبناء فارس^(١). وهاجت ريح في غزاته فقال: «هاجت لموت منافق» فلما رجعوا إلى المدينة وجدوا ذلك^(٢)، وأعلم بالذي غل الشملة وحيث هي^(٣)، وبشأن كتاب حاطب إلى أهل مكة^(٤). وأعلم بأنه سيقتل أمية بن خلف^(٥)، وعن مصارع أهل بدر، فكان كما قال^(٦). وقال في الحسن رضي الله تعالى عنه: «إن ابني هذا سيد، وسيصلح الله به بين فئتين^(٧)». وقال لسعد رضي الله تعالى عنه: «لعلك تخلف حتى ينتفع بك

(١) رواه البخاري في تفسير سورة الجمعة ٢٦٦/١٠، ٢٦٨، ومسلم في الفضائل ١٦/١٠٠، ١٠١، عن أبي هريرة بلفظ: «والذي نفسي بيده لو كان الإيمان بالثريا لتناولوه رجال من هؤلاء».

(٢) رواه أحمد ومسلم في صفات المنافقين ١٧/١٢٧.

(٣) رواه البخاري في المغازي ٩/٢٩، ٣٠، وأبو داود ٢٧١١، والنسائي ٧/٢٢ في الجهاد عن أبي هريرة، ونحوه عن عمر عند مسلم في الإيمان ٢/١٢٧.

(٤) رواه البخاري في الجهاد ٨/٣٠٦، ٣٠٧، وفي المغازي ٩/٦١، ٦٢، وفي التفسير ١٠/٢٥٨، ٢٥٩، ومسلم في الفضائل ١٦/٥٤، ٥٧ وغيرهما، وقصته مبسطة عندهما.

(٥) رواه أحمد ١/٤٠٠، والبخاري في علامات النبوة ٧/٤٤١، ٤٤٢، وفي المغازي ٨/٢٨٤، ٢٨٥ وغيرهما من حديث ابن مسعود مطولاً في قتله يوم بدر.

(٦) رواه البخاري في المغازي ٨/٣٠٢، ٣٠٣، ٣٠٤، ومسلم في الجهاد والسير ١٢/١٢٤، ١٢٦، من حديث أنس مطولاً، وفيه: قال ﷺ ليلة بدر: «هذا مصرع فلان إن شاء الله تعالى غداً.. وهذا مصرع فلان إن شاء الله تعالى غداً.. ووضع يده على الأرض»، فوالذي بعثه بالحق ما أخطأوا تلك الحدود... الحديث.

(٧) رواه أحمد ٥/٣٨، ٤٤، ٥١، والبخاري في المناقب ٨/٩٦ من حديث أبي بكر، وقد حقق الله تعالى ما أخبر به حينما تولى عن الخلافة وتركها لمعاوية فحقن دماء المسلمين بذلك الصلح الحكيم.

أقوام ويضربك آخرون»^(١).

وأخبر ﷺ بقتل أهل مؤتة يوم قتلوا^(٢)، وبينهم مسيرة شهر أو أزيد، وبموت النجاشي يوم مات وهو بأرضه^(٣). وأخبر فيروز إذ ورد عليه رسولاً من كسرى بموت كسرى ذلك اليوم، فلما حقق فيروز القصة أسلم^(٤). وأخبر أبا ذر رضي الله تعالى عنه بتطريده كما كان ووجده في المسجد نائمًا، فقال له: «كيف بك إذا أخرجت منه؟» قال: أسكن المسجد الحرام. قال: «فإذا أخرجت منه...» الحديث^(٥). وأخبر أن أسرع أزواجه به لحوقًا أطولهن يدًا^(٦)، فكانت زينب لطول يدها

(١) رواه أحمد ١/١٧٩، والبخاري ٦/٢٩٢، ٣٠٠، ومسلم ١١/٧٦، ٧٩ كلاهما في الوصايا عن سعد نفسه، فوقع كما قال له، فقد عاش دهرًا وانتفع به ناس وضر به آخرون، كما تقدم في دعائه على ذلك الرجل.

(٢) رواه البخاري في علامات النبوة، وفي الجهاد وفي المغازي ٩/٥٤ عن أنس رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ بعث زيدًا وجعفر وابن رواحة، ودفع الراية إلى زيد فأصيبوا جميعًا فنعاهم رسول الله ﷺ إلى الناس قبل أن يجيء الخبر... الحديث. ومؤتة: من بلاد الشام، قريبة من اللقاء، كانت فيها هذه الغزوة مع الروم، وفي السنة الثامنة.

(٣) رواه أحمد ٢/٥٢٩، والبخاري ٣/٤٣٠، ومسلم ٧/٢١ وغيرهم، كلهم في الجنائز عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ نعى النجاشي في اليوم الذي مات فيه... إلخ. «نعي»، أي: أخبرهم بموته، وهذا خلاف النعي المنهى عنه.

(٤) انظر ما سبق أول هذا الفصل ص ٢٧٧.

(٥) رواه أحمد ٦/٤٥٧ عن أسماء بنت يزيد رضي الله تعالى عنها مطولاً، وسنده صحيح، وشهر ثقة تكلم فيه بغير حجة كما قال النووي وغيره، ثم ما في الحديث كله حصل له رضي الله تعالى عنه، ولترجع قصته من المسند ففيها عبر.

(٦) رواه البخاري في الزكاة ٤/٢٨، ومسلم في الفضائل ١٦/٨ من حديث عائشة، ووقع عند البخاري غلط حيث ذكر: فكانت سودة أطولهن يدًا، وإنما هي زينب =

بالصدقة^(١). وأخبر عليه السلام بقتل الحسين عليه السلام بالطف، وأخرج بيده تربة وقال: «فيها مضجعه»^(٢).

وقال في الذين كانوا معه على حراء: «أثبت، فإنما عليك نبي وصديق وشهيد»^(٣). فقتل عمر وعثمان وطلحة والزبير وعلي وطفن سعد رضي الله تعالى عنهم^(٤). وقال عليه السلام لا تقوم الساعة حتى تقتل فئتان دعواهما واحدة^(٥). وأخبر بصفة السحر الذي سحره به لبيد بن الأعصم، وكونه في مشط ومشاطة في جف طلع نخلة ذكر، وأنه ألقي في بير ذروان، فكان كما

= وهي التي كانت أسرع موتًا من أزواجه عليهم السلام، وكانت أطولهن يدًا بالصدقة لا بالجراحة أما سودة فتأخر موتها.

(١) هكذا جاء به مصرحًا عن عائشة في صحيح مسلم.

(٢) أخرج أحمد ١/٨٥ عن الإمام علي عليه السلام قال: دخلت على النبي عليه السلام ذات يوم وعيناه تفيضان، قلت: يا نبي الله أغضبك أحد؟ ما شأن عينيك تفيضان؟ قال: «بل قام من عندي جبريل عليه السلام قبل فحدثني أن الحسين يقتل بشط الفرات. قال: فقال: هل لك إلى أن أشمك من تربته؟ قال: قلت: نعم. فمد يده، فقبض قبضة من تراب فأعطانيها، فلم أملك عيني أن فاضتا» وسنده صحيح، وعزاه الهيثمي في المجمع لأحمد والبزار والطبراني، وقال: رجاله ثقات ٩/١٨٧، وقد قتل الحسين عليه السلام بالعراق عند وادي الفرات بكريلاء كما أخبر عليه السلام، قتلته الأيدي الآئمة أنصار يزيد، وسيلقون جزاءهم العادل على ما فعلوا.

(٣) تقدم تخريجه ص ٢٥٦.

(٤) فكلهم كانوا إذا شهداء.

(٥) رواه أحمد ٢/٣١٣، ٥٣٠، والبخاري ١٦/١٩٦، ومسلم ١٨/١٣، كلاهما في الفتن عن أبي هريرة ورواه البخاري في مواضع. وقد تحقق هذا باقتتال الإمام علي وطلحة والزبير. والإمام علي مع معاوية لأن الكل كان يدعي الحق في جانبه علمًا بأن عليًا كان هو المصيب في تلك الحروب كلها.

قال، ووجد على تلك الصفة^(١). ووصف لكفار قريش بين المقدس حين كذبوه في خبر الإسراء، ونعته إياه نعت من عرفه^(٢) . . . إلى ما أخبر به من الحوادث التي تكون ولم تأت بعد، منها ما ظهرت مقدماتها كقوله ﷺ: «عمران بيت المقدس خراب يثرب، وخراب يثرب خروج الملحمة، وخروج الملحمة فتح القسطنطينية»^(٣).

(١) رواه أحمد ٥٧/٦، ٦٣، ٩٦، والبخاري في بدء الخلق ١٤٥/٧، وفي الطب وفي الأدب وفي الدعوات، ومسلم في الطب ١٧٤/١٤، ١٧٨ وغيرهم من حديث عائشة. و«المشط» بكسر الميم وضمها هي: آلة المشط. والمشاطة بضم الميم هو: الشعر المتساقط عند تسريحه وجف بضم الجيم: وعاء الطلع وهو ثمر النخل عند بروزه.

(٢) ورد هذا عن أبي هريرة، رواه مسلم في الإيمان ٢٣٧/٢، ٢٣٨، قال: قال رسول الله ﷺ: «لقد رأيتني في الحجر وقريش تسألني عن مسراي، فسألوني عن أشياء من بيت المقدس لم أثبتها. قال: فرفعه الله لي أنظر إليه، ما يسألوني عن شيء إلا نباتهم به». الحجر، بكسر الحاء وسكون الجيم، معروف، وقوله: «لم أثبتها» هو بضم الهمزة وسكون الثاء وكسر الباء، أي: لم أتحققها. وعن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «لما كذبتني قريش حين أسري بي إلى بيت المقدس قمت في الحجر فجلى الله لي بيت المقدس فطفقت أخبرهم عن آياته وأنا أنظر إليه». رواه البخاري في الإسراء ٧/٦/١٠، وفي المناقب ١٩٨/٨، ومسلم في الإيمان ٢٣٧/٢، والترمذي في تفسير الإسراء ١٣٥/٤ مع التحفة وغيرهم. وقوله: «فجلى الله»، أي: أظهره لي. وهذه آية باهرة والله في خلقه عجائب الغرائب. وقد تقدم تخريج هذا الحديث في الإسراء ص ١٦٨ وما بعدها.

(٣) رواه أحمد ٢٣٢/٥، ٢٤٥، وأبو داود في الملاحم ٤٢٩٤، والطحاوي في مشكل الآثار ٢١٧/١، والحاكم ٤٢٠/٤، ٤٢١، كلهم من حديث معاذ بن جبل، وسنده جيد والحديث حسن كما قال ابن كثير في النهاية، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي وزادوا: «وفتح القسطنطينية خروج الدجال» وما في هذا الحديث لم يقع بعد ولا بد أن يقع لأنه ﷺ لا ينطق عن الهوى.

ومن أشرط الساعة وآيات حلولها، وذكر النشْر والحشر وأخبار الأبرار والفجار في الجنة والنار، وعرصات القيامة. . وبحسب هذا الفصل أن يكون ديواناً مفرداً يشتمل على أجزاء وحده^(١)، وفيما أشرنا إليه من نكت الأحاديث التي ذكرناها كفاية .

عصمته ﷺ من الناس وكفايته مَنْ آذاه

قال الله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ يَعَصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾ [المائدة: ٦٧] (٢) .

وقال عزَّ وجلَّ: ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ ﴾ [الزمر: ٣٦] (٣) .

وقال جل علاه: ﴿ وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾ [الطور: ٤٨] (٤) .

وقال: ﴿ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴾ [الحجر: ٩٥] (٥) .

وقال: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ [الأنفال: ٣٠] إلى قوله:

﴿ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينِ ﴾ [الأنفال: ٣٠] (٦) .

وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: كان النبي ﷺ يحرس حتى نزلت هذه الآية: ﴿ وَاللَّهُ يَعَصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾ [المائدة: ٦٧] فأخرج رسول الله ﷺ رأسه من القبة فقال لهم: «يا أيها الناس، انصرفوا فقد

(١) وقد ألف علماؤنا رحمهم الله تعالى الشيء الكثير في ذلك، من أهم ذلك: النهاية لابن كثير .

(٢) أي: يحفظك منهم فلا تصاب من طرفهم بسوء .

(٣) أي: أليس الله بكافيه شر أعدائه؟ .

(٤) أي: احبس نفسك لما قضاه الله تعالى عليك، وادع إليه واصدع بما أمرت به ولا تضجر ولا تسأم ولا تخشى أحداً، فإنك بمرأى منا لا يخفى علينا حالك مع أولئك الكفرة الجاحدين المعاندين .

(٥) تقدّم الكلام عليها أول الكتاب ص ٦٦ .

(٦) تقدم أيضاً الكلام عليها ص ٧٦ .

عصمني ربي عز وجل»^(١).

[ز] وعن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما قال: غزونا مع رسول الله ﷺ غزوة قبل نجد، فلما قفل رسول الله ﷺ أدركته القائلة يوماً بواد كثير العضاء، فنزل رسول الله ﷺ وتفرق الناس في العضاء يستظلون بالشجر، ونزل رسول الله ﷺ تحت سمرة فعلق بها سيفه فنام نومة، فإذا رسول الله ﷺ يدعوننا فجئناه فإذا عنده أعرابي جالس فقال: «إن هذا اخترط سيفي وأنا نائم فاستيقظت وهو في يده صلتاً، فقال لي: من يمنعك مني؟ فقلت: الله. فشام السيف وجلس». ثم لم يعاقبه^(٢).

(١) رواه الترمذي ٢٨٤٤، والحاكم ٣١٣/٢، كلاهما في التفسير، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي، وحسنه الحافظ في الفتح.

(٢) رواه أحمد ٣/٣١١، ٣٦٤، والبخاري في الجهاد، وفي غزوة ذات الرقاع ٨/٤٣٠، ٤٣٢، ومسلم في الصلاة وفي الفضائل ١٥/٤٤، ٥٥، وذكر في هذا الحديث بدل ما ذكره المصنف الذي خلط فيه الصحيح والضعيف وما لا أصل له في القصة.

وصاحب هذه القصة هو غورث كما أشار إليه وأخرجها أحمد ٣/٣٦٥، ٣٩٠ مسمى فيها، فقال جابر: قاتل رسول الله ﷺ محارب خصفة بنخل فرأوا من المسلمين غرة، فجاء رجل منهم يقال له غورث بن الحارث حتى قام على رسول الله ﷺ بالسيف فقال: من يمنعك مني؟ قال: «الله»، فسقط السيف من يده فأخذه رسول الله ﷺ بالسيف فقال: «من يمنعك مني؟» قال: «كن خير آخذ»، قال: «أشهد أن لا إله إلا الله؟» قال: لا، ولكنني أعاهدك أن لا أقاتلك، ولا أكون مع قوم يقاتلونك. فخلّى سبيله قال: فذهب إلى أصحابه قال: قد جئكم من عند خير الناس. وسنده صحيح. ورواه أيضاً الحاكم ٣/٢٩، وصححه على شرط الشيخين ووافقه الذهبي، وقد تقدّم أيضاً ص ١١٩.

وقوله: «قفل»، أي: رجع. و«العضاء» كل شجر ذي شوكة. و«اخترط سيفي»، أي: سلّه. وقوله: «فشام السيف»، أي: أدخله في غمده. وقوله: «فخلّى سبيله»، أي: تركه وعفا عنه.

وحمايته ﷺ عن رؤية الكفار في الغار بما هيا الله من الآيات، ومن العنكبوت الذي نسج عليه، كل ذلك مشهور^(١).

وكذا قصته ﷺ مع سراقه بن مالك بن جُعْشُم حين الهجرة وقد جعلت قريش وفي أبي بكر الجعائل، فأنذر به فركب فرسه واتبعه، حتى إذا قرب منه دعا عليه النبي ﷺ فساخت قوائم فرسه، فخر عنها، واستقسم بالأزلام فخرج له ما يكره، ثم ركب ودنا حتى سمع قراءة النبي ﷺ وهو لا يلتفت وأبو بكر رضي الله تعالى عنه تعالى يلتفت وقال للنبي ﷺ: أتينا. فقال: «لا تحزن إن الله معنا»، فساخت ثانية إلى ركبتيها وخر عنها، فزجرها فنهضت ولقوائمها مثل الدخان، فناداهما بالأمان، فوقفا قال: ووقع في نفسي أنه سيظهر رسول الله ﷺ. وفي رواية قال: فوالله لأعمين على من ورائي من الطلب^(٢).

وكذا ما وقع له ﷺ مع أبي جهل عندما قال: هل يعفر محمد وجهه بين أظهركم؟ فقيل: نعم، فقال: واللات والعزى لئن رأيتَه يفعل ذلك لأطأن على رقبته أو لأعفرن وجهه في التراب. فأتى رسول الله ﷺ وهو يصلي ليطأ على رقبته فما فجأهم منه إلا وهو ينكص على عقبه يتقي بيديه، فقيل له: ما لك؟ قال: إن بيني وبينه خندقاً من نار وهولاً وأجنحة. فقال

(١) انظر ما سبق معجزاته في ضروب الحيوانات: ص ٢٥٩.

(٢) ورد ذلك عن أبي بكر وسراقه والبراء بن عازب رضي الله تعالى عنهم، فحديث أبي بكر رواه أحمد ١/٢، ٣، والبخاري في علامات النبوة ٧/٤٣٥، ٤٣٦ وفي المناقب، ومسلم في الزهد ١٨/١٤٧، ١٥٠، ١٥١، وحديث سراقه رواه أحمد ٤/١٧٥، ١٧٦، والبخاري في الهجرة ٨/٢٣٩، ٢٤٢ مطولاً، وحديث البراء رواه أحمد ٤/٢٨٠، ٢٨١، والبخاري في الهجرة ٨/٢٤٩، ومسلم في الأشربة ١٣/١٧٩، ١٨٠، وهو في الواقع يرويه عن أبي بكر. وانظر: ص ٧٧.

رسول الله ﷺ: لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضواً عضواً. وأنزل الله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظِرٌ﴾ [العلق: ٩] (١).

ومن ذلك: نصره بالربع مسيرة شهر كما قال ﷺ (٢).

معارفه وعلومه

ومن معجزاته الباهرة: ما جمعه الله له من المعارف والعلوم، وخص به من الاطلاع على جميع مصالح الدنيا والدين، ومعرفته بأمر شرائعه وقوانين دينه، وسياسة عبادته، ومصالح أمته، وما كان في الأمم قبله، وقصص الأنبياء والرسل، والجبايرة والقرون الماضية من لدن آدم إلى زمنه، وحفظ شرائعهم وكتبهم، ووعى سيرهم، وسرد أنبيائهم وأيام الله فيهم، وصفات أعيانهم، واختلاف آرائهم، والمعرفة بمُددهم وأعمارهم وحكم حكمائهم، ومحااجة كل أمة من الكفرة. ومعارضة كل فرقة من الكتابيين بما في كتبهم، وإعلامهم بأسرارها ومخبات علومها، وإخبارهم بما كتموه من ذلك وغيره.

إلى الاحتواء على لغات العرب وغريب ألفاظ فرقها، والإحاطة بضروب فصاحتها، والحفظ لأيامها وأمثالها وحكمها ومعاني أشعارها، والتخصيص بجوامع كلمها، وإلى المعرفة بضرب الأمثال الصحيحة والحكم البينة لتقريب التفهيم للغامض والتبيين للمشكل، إلى تمهيد قواعد الشرع الذي لا تناقض فيه ولا تخاذل، مع اشتغال شريعته على محاسن

(١) رواه أحمد ٣٧٠/٢، ومسلم في صفة القيامة ١٣٩/١٨، والنسائي في الكبرى ٥١٨/٦ في التفسير.

(٢) جاء هذا في حديث جابر رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أعطيت خمساً لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي نصرت بالربع مسيرة شهر... الحديث. رواه البخاري في التيمم وغيره، ومسلم في المساجد ٣/٥، ٤، وغيرهما. وانظر ص ١٦٤.

الأخلاق ومحامد الآداب، وكل شيء مستحسن مفصل لم ينكر منه ملحد ذو عقل سليم شيئاً إلا من جهة الخذلان، بل كل جاحد له وكافر من الجاهلية به إذا سمع ما يدعو إليه صوبه واستحسنه دون طلب إقامة برهان عليه، ثم ما أحل لهم من الطيبات وحرّم عليهم من الخبائث، وصان به أنفسهم وأعراضهم وأموالهم من المعاقبات والحدود عاجلاً، والتخويف بالنار آجلاً مما لا يعلم علمه ولا يقوم به ولا ببعضه إلا من مارس الدرس والعكوف على كتب.

إلى الاحتواء على ضروب العلم وفنون المعارف كالطب والعبارة والفرائض والحساب والنسب، وغير ذلك من العلوم مما اتخذ أهل هذه المعارف كلامه ﷺ فيها قدوة وأصولاً في علمهم^(١)، كقوله ﷺ: «الرؤيا على رجل طائر»^(٢)، وقوله: «الرؤيا ثلاثة: رؤيا حق، ورؤيا يحدث بها الرجل نفسه، ورؤيا تحزين من الشيطان»^(٣)، وقوله: «إذا تقارب الزمان لم تكذ رؤيا المؤمن تكذب»^(٤)، وقوله: «خير ما تداويتم به السعوط واللدود والحجامة والمشى»^(٥). و«خير الحجامة يوم سبع عشرة، وتسع عشرة،

(١) معنى هذا الفصل تقدم في إعجاز القرآن وقبلة بقليل.

(٢) رواه أحمد ٤/١٠، ١١، ١٢، وأبو داود ٥٠٢٠، والترمذي ٢١٠٦، وابن ماجه ٣٩١٤ وسنده صحيح، وهو من حديث أبي رزّين العُقيلي مطولاً وحسنه الترمذي وصححه. ومعناه: لا يستقر تأويلها حتى تعبر فهي سريعة السقوط إذا عبرت.

(٣) رواه أحمد ٢/٥٠٧، والبخاري ١٦/٦٢، ٦٥، ومسلم ١٥/٢٠، ٢١، والترمذي ٢٠٩٨، ٧١٠٧، ٢١١٦، تهذيبي، وغيرهم من حديث أبي هريرة، كلهم في الرؤيا والتعبير، وفي الباب عن جماعة.

(٤) هو بعض الحديث السابق.

(٥) وهو بهذا السياق رواه الترمذي في الطب ١٨٩٠، ١٨٩٥ من حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، والسعوط والحجامة واللُدُّ وردت في الصحيح في أحاديث، وهذه أنواع من العلاجات والأدوية يتداوى بها.

وإحدى وعشرين»^(١)، و: «في العود الهندي سبعة أشفية، منها ذات الجنب»^(٢)، وقوله: «ما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطنه — إلى قوله: — فإن كان لا بد فثلث للطعام، وثلث للشراب، وثلث للنفس»^(٣).

وقوله — وقد سئل عن سبأ: أرجل هو أم امرأة أم أرض فقال —: رجل ولد عشرة، تيامن منهم ستة، وتشاءم أربعة. . . .» الحديث^(٤)، وقوله ﷺ: «إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض»^(٥)، وقوله في الحوض: «زواياه

-
- (١) هو بعض الحديث السابق وورد عن أنس من فعله ﷺ، رواه الترمذي في الجامع ١٨٩٣، وفي الشمائل ٣٥٧، والحاكم ٢١٠/٤ بسند صحيح.
- (٢) رواه أحمد ٣٥٦/٦، والبخاري ٢٥٤/١٢، ومسلم ١٩٩/١٤، ٢٠٠، ٢٠١.
- كلاهما في الطب عن أم قيس بنت مَحْصَن. والعود الهندي: هو المعروف الذي يستجمر ويبخر به، وذات الجنب: قرحة تخرج داخل الجوف لأحد الجانبين، فإذا تفجرت مات صاحبها شهيداً فدواؤها هو العود يُلْدُّ به من الفم، وفيه أدوية كثيرة.
- (٣) تقدم تخريجه في فصل الأخلاق التي تدعو إليها ضرورة الحياة ص ٩٩.
- (٤) رواه الترمذي في التفسير ٣٠١١، وأبو داود في الحروف ٣٩٧٨، والحاكم ٤٢٤/٢، من حديث فروة بن مسيك. وله شاهد عن ابن عباس رواه أحمد رقم ٢٩٠٠، والحاكم ٤٢٣/٢، ٤٢٤، وصححه، ووافقه الذهبي، وحسنه ابن كثير في تفسيره، فالحديث حسن صحيح إن شاء الله.
- (٥) رواه أحمد ٣٧/٥، ٧٣، والبخاري في بدء الخلق، وفي تفسير براءة ٣٩٤/٩، ومسلم في القسامة ١٦٧/١١، وأبو داود ١٩٤٧، وغيرهم من حديث أبي بكر. ومعنى: «استدارة الزمان. . .» إلخ: أن الجاهلية كانوا إذا عرض لهم قتال في الشهر الحرام استحلوه ونقلوه إلى صفر، ثم إذا عرض لهم قتال فيه أيضاً استحلوه وقاتلوا فيه، ثم نقلوه لربيع الأول، وهكذا حتى يرجع المحرم لحاله، فكانت استدارة الزمان ورجوعه إلى الحالة التي خلقه الله عليها في حجة الوداع. . . وهذا المعنى هو الذي أشار الله إليه في القرآن بقوله: ﴿ إِنَّمَا السَّبْتُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ =

سواء»،^(١) وقوله في الذكر: «وأن الحسنه بعشر أمثالها، فتلك مائة وخمسون على اللسان، وألف وخمسمائة في الميزان»^(٢)، وقوله: «ما بين المشرق والمغرب قبله»^(٣).

وأما علمه ﷺ بلغات العرب وحفظه معاني أشعارها فأمر مشهور، قد نبهنا على بعضه أول الكتاب، وكذلك حفظه لكثير من لغات الأمم، كقوله في الحديث: «سنة سنة»^(٤)، وهي: حسنة بالحبشية. وقوله: «ويكثر الهرج» وهو القتل بها^(٥). إلى غير ذلك مما لا يعلم بعض هذا ولا يقوم به إلا من مارس الدرس والعكوف على الكتب عمره، وهو ﷺ - رجل كما قال

يُصَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحْلُونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُوَاطِّئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ . . . الآية [التوبة: ٣٧].

- (١) الكلام على أحاديث الحوض تقدم تخريجها. انظر ما سبق ص ١٨٣.
- (٢) رواه أبو داود في الأدب ٥٠٦٥ والترمذي في الدعوات رقم ٣١٨٩، وابن ماجه ٩٢٦، وغيرهم من حديث عبد الله بن عمرو عنه ﷺ قال: «خصلتان أو خلتان لا يحافظ عليهما عبد مسلم إلا دخل الجنة، هما يسير ومن يعمل بهما قليل. . . يسبِّح في دبر كل صلاة عشراً، ويحمد عشراً، ويكبر عشراً فذلك خمسون ومائة باللسان، وألف وخمسمائة في الميزان. . .» الحديث، وسنده صحيح.
- (٣) رواه الترمذي ٣٠٧ وابن ماجه ١٠١١، وحسنه الترمذي وصححه، وهو من حديث أبي هريرة. وله شاهد عن ابن عمر، رواه الدارقطني ٢٧٠/١، ٢٧١، والحاكم ٢٠٥/١، ٢٠٦، والبيهقي ٩/٢، وصححه الحاكم على شرطهما، ووافقه الذهبي. وصفة هذه القبلة خاصة بالمدينة ومن على سمتهم من الشمال.
- (٤) رواه أحمد ٣٦٥/٦، والبخاري في هجرة الحبشة ١٨٩/٨، وفي اللباس ٤٢٠/١٢ وغيرهم عن أم خالد بنت خالد، وقال لها ذلك في خميصة أهديت له فكساها إياها، وقال لها: «أبلي وأخلقني». فجعل ينظر إلى علم الخميصة ويشير بيده إليها ويقول: «يا أم خالد هذا سنا. . .» إلخ.
- (٥) تقدم تخريجه في الفصل السابق ص ٢٧٩.

الله تعالى - أمي لم يكتب ولم يقرأ، ولا عرف بصحبة من هذه صفته، ولا نشأ بين قوم لهم علم، ولا قراءة لشيء من هذه الأمور، ولا عرف هو قبلُ بشيء منها، قال الله تعالى: ﴿ وَمَا كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لِآرْتَابِ الْمُبِطِّلُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤٨]، إنما كانت غاية معارف العرب النسب وأخبار أوائلها والشعر والبيان، وإنما حصل ذلك لهم بعد التفرغ لعلم ذلك والاشتغال بطلبه ومباحثة أهله عنه، وهذا الفن نقطة من بحر علمه ﷺ، ولا سبيل إلى جحد الملحد لشيء مما ذكرناه، ولا وجد الكفرة حيلة في رفع ما نصصناه إلّا قولهم: ﴿ أساطير الأولين ﴾ وإنما يعلمه بشر. فرد الله قولهم بقوله: ﴿ لِسَانُ عَرَبٍ مُبِينٌ ﴾ [النحل: ١٠٣] (١).

أنباؤه مع الملائكة والجن وإمداد الله له بالملائكة . . . إلخ

ومن خصائصه ﷺ وكرماته وياهر آياته: أنباؤه مع الملائكة والجن، وإمداد الله له بالملائكة، وطاعة الجنة له، ورؤية كثير من أصحابه لهم؛ قال الله تعالى: ﴿ وَإِنْ تَطَهَّرَ عَلَيْهِ فإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَلِحَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةَ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ ﴾ [التحريم: ٤] (٢).

وقال تعالى: ﴿ إِذْ يُوحَى رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِ مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا . . . ﴾ الآية [الأنفال: ١٢] (٣).

(١) ارجع إلى فصل «بلاغة القرآن» فإن فيه ملخص ما ذكر هنا وزيادة.

(٢) تظاهرا، أي: تعاونا. جاءت الآية الكريمة في شأن أمي المؤمنين عائشة وحفصة رضي الله تعالى عنهما وقصتهما معه ﷺ في شربه العسل عند زينب رضي الله تعالى عنهما، كما هو مبسوط في الصحيح، وفي الآية الكريمة انتصار الله لنبيه مع تأييده إياه بالملائكة وصالح المؤمنين. وقد تقدم ذلك.

(٣) الآية نزلت في شأن غزوة بدر وفيها من تأييد، نبيه وأصحابه بالملائكة ما لا يخفى.

وقال: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ...﴾ الآية [الأنفال: ٩] (١).

وقال جلّ وعلا: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ...﴾ الآية [الأحقاف: ٢٩].

وعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: ﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾ [النجم: ١٨]، قال: رأى جبريل عليه السلام في صورته له ستمائة جناح (٣). والخبر في محادثته مع جبريل وإسرافيل وغيرهما من الملائكة وما شاهده من كثرتهم وعظم صور بعضهم ليلة الإسراء مشهور (٤).

وقد رأهم بحضرته جماعة من أصحابه في مواطن مختلفة. فرأى أصحابه جبريل عليه السلام في صورة رجل يسأله عن الإسلام والإيمان (٥)، ورأى ابن عباس عنده جبريل في صورة دحية (٦)، ورأى سعد على يمينه ويساره جبريل وميكائيل في صورة رجلين عليهما ثياب

(١) نفس التعليق السابق.

(٢) نزلت الآية الكريمة في استماع الجن لقراءة النبي ﷺ وهو يصلي الصبح بأصحابه في نخلة. وسيأتي تخريج الحديث بذلك ص ٣٠٣ هامش (٣).

(٣) رواه مسلم في الإيمان ٢/٣ عنه، والرؤيا كانت ليلة الإسراء عند سدره المنتهى.

(٤) الأخبار بذلك لا تحصى كثرة لمن تتبعها.

(٥) رواه البخاري ومسلم وغيرهما في حديث جبريل المعروف، وقد تقدم تخريجه من حديث عمر وأبي هريرة.

(٦) رؤية ابن عباس لجبريل، رواه أحمد ١/٢٩٣، ٢٩٤، ٣١٢ مطولاً من طرق صحيحة، وأورده الهيثمي في المجمع ٩/٢٧٦ برواية أحمد والطبراني، وقال: بأسانيد، ورجالها رجال الصحيح. أما كونه في صورة دحية، ففي هذه الحالة رآته أم سلمة رضي الله تعالى عنها كما عند البخاري في علامات النبوة، وفي فضائل القرآن، ومسلم في الفضائل ٧/١٦، ٨.

بيض^(١)، ومثله عن غير واحد^(٢)، وسمع بعضهم زجر الملائكة خيلها يوم بدر^(٣)، وقد كانت الملائكة تسلم على عمران بن الحصين^(٤)، ورأى عبد الله بن مسعود الجن ليلة الجن وسمع كلامه وشبههم برجال الزط^(٥)، وقال ﷺ: «إن الشيطان تفلت البارحة ليقطع عليّ صلاتي فأمكنني الله منه فأخذته، فأردت أن أربطه إلى سارية من سواري المسجد حتى تنظروا إليه كلكم فذكرت دعوة أخي سليمان: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْكُمْ﴾ [ص: ٣٥] فرده الله خاسئاً^(٦)».

إخبار الأخبار والرهبان وغيرهم عن نبوته

ومن دلائل نبوته ﷺ وعلامات رسالته ما ترادفت به الأخبار عن الرهبان والأخبار علماء أهل الكتاب من صفته، وصفة أمته، واسمه وعلاماته، وذكر الخاتم الذي بين كتفيه، وما وجد من ذلك في أشعار الموحدين المتقدمين، وما عرّف به من أمره زيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل وعلماء يهود، وما أُلّفِي من ذلك في التوراة والإنجيل مما قد جمعه

(١) رواه البخاري في اللباس، ومسلم في الفضائل ١٥/٦٦، ٦٧ عنه، وكان ذلك يوم أحد.

(٢) منهم حارثة بن النعمان، روى حديثه أحمد ٢/٤٢٦، والبخاري ١/١٢٣، ١٣٣، ومسلم ١/١٦١، ١٦٥ كلاهما في الإيمان.

(٣) أخرجه مسلم في الجهاد ١٢/٨٥ من حديث عمر رضي الله تعالى عنه.

(٤) أخرجه مسلم في الحج وغيره ولم يثبت ما ذكره المؤلف أنها كانت تصافحه.

(٥) روى ذلك أحمد ١/٤٠٠، والترمذي في الأمثال من الجامع ٢٦٦٧، وحسنه وصححه، كلاهما من حديث ابن مسعود. والزط: بضم الزاي، جيل من الهنود.

(٦) رواه البخاري في العمل في الصلاة ٣/٣٢٢، وفي الأنبياء، وفي التفسير، وفي بدء الخلق، ومسلم في المساجد ٥/٢٨، ٢٩، من حديث أبي هريرة.

وقوله: تفلت علي أي: تعرض لي فلتة وفجاءة.

العلماء وبينوه ونقله عنهم ثقات من أسلم منهم، مثل: ابن سلام وابن سعة وأشباههم ممن أسلم من علماء يهود، وبحيرا، ونسطور الحبشة، وصاحب بصرى، وسلمان الفارسي والنجاشي، ونصارى. الحبشة وأساقف نجران وغيرهم ممن أسلم من علماء النصارى وقد اعترف بذلك هرقل وصاحب رومة وعالما النصارى ورؤسائهم، ومقوقس صاحب مصر، والشيخ صاحبه، وابن سوريا، وابن أخطب وأخوه، وكعب بن أسد، وغيرهم من علماء اليهود ممن حمله الحسد والنفاسة على البقاء على الشقاء، والأخبار في هذا كثيرة لا تنحصر.

وقد قرع أسماع اليهود والنصارى بما ذكر أنه في كتبهم من صفته وصفة أصحابه، واحتج عليهم بما انطوت عليه من ذلك صحفهم، وذمهم بتحريف ذلك وكتمانه، وليتهم ألسنتهم ببيان أمره، ودعوتهم إلى المباهلة على الكاذب، فما منهم إلا من نفر عن معارضته، وإبداء ما ألزمهم من كتبهم وإظهاره، ولو وجدوا خلاف قوله لكان إظهاره أهون عليهم من بذل النفوس والأموال وتخريب الديار ونبد القتال.

وقد قال لهم: ﴿ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَةِ فَآتُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [آل عمران: ٩٣]، إلى ما أنذر ربه من الكهان ممن لا ينعذ كثرة، إلى ما ظهر على السنة الأصنام من نبوة وحلول وقت رسالته، وسمع من هواتف الجن وأجواف الصور، وما أكثره مشهور، وإسلام من أسلم بسبب ذلك معلوم مذكور^(١).

(١) ما ذكره في هذا الفصل معلوم ضرورة في الجملة لكثرة ما ورد في ذلك في القرآن والأخبار الصحيحة والآثار المشهورة في كتب السنة والسيرة.

ما ظهر من الآيات عند ولادته ورضاعه

وقبل نبوته وعندها

ومن ذلك ما ظهر من الآيات عند مولده وما رأته أمه من النور الذي خرج معه عند ولادته^(١)، وما تعرفت به حليلة، وزوجها - ظئراه - من بركته ودرور لبنها له ولبن شارفها وخصب غنمها وسرعة شبابه وحسن نشأته ﷺ^(٢).

ومن ذلك: حراسة السماء بالشهب وقطع رصد الشياطين ومنعهم استراق السمع^(٣)، وما نشأ عليه من مجانبة الأصنام والعفة عن أمور الجاهلية^(٤)، وما خصه الله به من ذلك وحماه حتى في ستره في الخبر

(١) جاء ذلك في حديث العرياض.. وأن أم رسول الله ﷺ رأت حين وضعته نورًا أضاءت له قصور الشام. رواه أحمد ٤/١٢٧، ١٢٨، وابن خبان ٢٠٩٣ بالموارد، والحاكم ٢/٦٠٠ بسند صحيح، وهذا من إرهاباته ﷺ قبل نبوته. وقد تقدم.

(٢) رواه أبو يعلى ٧١٦٣ والطبراني في الكبير ٢٤/٢١٢، ٢١٥، وابن خبان ٢٠٩٤، وأبو نعيم ١/١٥٥، والبيهقي ١/١٣٣، كلاهما في الدلائل عن حليلة السعدية، قال الهيثمي في المجمع ٨/٢٢٠: رجالها ثقات.

(٣) رواه البخاري في تفسير سورة الجن ١٠/٢٩٦، ٣٠٠، وفي صفة الصلاة، وكذا مسلم.

(٤) جاء في هذا ما رواه أحمد ٤/٢٢٢، ٥/٣٦٢ عن جار لخديجة رضي الله تعالى عنهما. قال: سمعت النبي ﷺ يقول لخديجة: «أي خديجة والله لا أعبد اللات أبدًا، والله لا أعبد العزى أبدًا..» وسنده صحيح، وما رواه ابن أسحاق والبخاري ٢٤٠٣، والبيهقي في الدلائل ٢/٣٤، ٣٥، عن علي عليه السلام قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما هممت بشيء مما كان أهل الجاهلية يعملون به غير مرتين، كل ذلك يحول الله بيني وبين ما أريد من ذلك، ثم ما هممت بعدهما بشيء حتى أكرمني الله برسالته» قال الهيثمي ٨/٢٢٦: رجاله ثقات. وقال الحافظ: إسناده حسن وقد تقدم ص ١١٣.

المشهور عند بناء الكعبة إذ أخذ إزاره ليجعله على عاتقه ليحمل عليه الحجارة وتعرى فسقط إلى الأرض حتى رد إزاره عليه^(١). ومن ذلك: إضلال الله له بالغمم في سفره^(٢).

ومن ذلك: تحبيب الخلوة إليه حتى أوحى إليه^(٣)، ثم إعلامه بموته ودنو أجله^(٤)، وأن قبره في بيته^(٥)، وأن بين بيته وبين منبره روضة من رياض الجنة^(٦)، وتخيير الله له عند موته^(٧)، وما اشتمل عليه حديث الوفاة من

(١) رواه أحمد ٣/٢٩٥، ٢٨٠، والبخاري في الحج وفي المناقب، ومسلم في كتاب الحيض ٤/٣٣، ٣٤ من حديث جابر.

(٢) تقدم في حديث سفره إلى الشام مع عمه أبي طالب وقصته مع الراهب.

(٣) رواه البخاري أول صحيحه، وغيره، عن عائشة في حديثها الطويل في بداية الوحي له ﷺ.

(٤) ففي صحيح مسلم ٥/١٦، ٦، عن عائشة رضي الله تعالى عنها أن النبي ﷺ أسرَّ إلى فاطمة وقال لها: «إن جبريل كان يعارض بالقرآن كل عام مرة، وأنه عارض به العام مرتين، ولا أرى أجلي إلا قد حضر»، ورواه أيضًا البخاري في علامات النبوة وغيره.

(٥) عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: لما قبض رسول الله ﷺ اختلفوا في دفنه،

فقال أبو بكر سمعت من رسول الله ﷺ شيئًا ما نسيتُه، فقال: ما قبض الله نبيًّا إلا في الموضع الذي يجب أن يدفن فيه»، فدفنوه في موضع فراشه. رواه أحمد ٧/١، والترمذي في الجامع ٩٠٢، وفي الشماثل وابن سعد في الطبقات، والبيهقي ٧/٢٦٠ من طرق هو بها صحيح وله شاهد عن ابن عباس عند البيهقي أيضًا ٧/٢٦٠.

(٦) رواه البخاري ومسلم، كلاهما في الحج من حديث أبي هريرة. والمراد بالبيت هنا: البيت الذي كانت تسكنه عائشة رضي الله تعالى عنها.

(٧) ورد هذا عند أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه - رواه البخاري في

المناقب - ، قال: خطب رسول الله ﷺ الناس يومًا فقال: «إن عبدًا خيره الله بين الدنيا وبين ما عند الله فاختار ما عند الله»، فبكى أبو بكر... الحديث. وعن =

كراماته وتشريفه وسماع الصحابة نداءً من البيت : «أن لا تنزعوا عنه القميص عند غسله»^(١).

خاتمة لهذه الفصول

قال القاضي رحمه الله : قد أتينا في هذا الباب على نكت من معجزاته واضحة وجمل من علامات نبوته مقنعة، في واحد منها الكفاية والغنية، وتركنا الكثير سوى ما ذكرنا وبحسب هذا الباب لو تُقُصِّي أن يكون ديواناً جامعاً يشتمل على مجلدات عدة.

= عائشة قالت : كنا نتحدث أن النبي ﷺ لا يموت حتى يخير بين الدنيا والآخرة... الحديث . رواه البخاري ٢٠١/٩، ٢٠٢، ٣١٦، ومسلم ٢٠٨/١٥، ٢٠٩.

(١) رواه أحمد ٢٦٧/٦، وأبو داود ٣١٤١، وابن حبان ٢١٥٦، والحاكم ٥٩/٣، ٦٠ من حديث عائشة بسند صحيح.

خاتمة لهذه الفصول

ذكر رحمه الله تعالى في هذه الفصول من هذا الباب من المعجزات الدالة على صدق نبوته ﷺ ما يلي : معجزة القرآن، وهو أعظمها وأظهرها وأشهرها وأقواها، ثم معجزة انشقاق القمر، وهو نص القرآن، ثم نبع المياه من بين أصابعه الشريفة، ثم تفجير الماء ببركته ودعوته، ثم تكثير الطعام ببركته ودعائه، ثم كلام الشجر وشهادتها له وإجابتها دعوته، ثم معجزة حنين الجذع الذي تواترت أحاديثه، ثم معجزاته في ضرور الحيوانات، ثم معجزته في إحياء الموتى، ثم معجزاته في إبراء المرضى وذوي العاهات، ثم إجابة دعواته، ثم معجزاته في انقلاب الأعيان له، ثم إخباره بالمغيبات وهو باب واسع، ثم عصمته من الناس وكفاية من آذاه، ثم معارفه وعلومه، ثم أخباره مع الملائكة والجن، ثم أخبار الأخبار والرهبان عن نبوته، ثم ما ظهر من الآيات عند ولادته ورضاعه وقبل نبوته وعندها، ثم إعلامه بموته وبالموضع الذي يدفن فيه وتخيير الله تعالى له.

وهي علامات وآيات لا يردها إلا كافر جاحد، أو ملحد معاند.

ومعجزات نبينا ﷺ أظهر من سائر معجزات الرسل بوجهين :

أحدهما : كثرتها، وأنه لم يؤت نبي معجزة إلا وعند نبينا مثلها، أو ما هو أبلغ منها، فإن أردت فتأمل فصول هذا الباب ومعجزات من تقدم من الأنبياء تقف على ذلك إن شاء الله تعالى . وأما كونها كثيرة فهذا القرآن وكله معجز، وأقل ما يقع الإعجاز فيه عند بعض أئمة المحققين سورة ﴿ إِنَّا آتَيْنَاكَ الْكُوثَرَ . . . ﴾ [الكوثر: ١ - ٣]، أو آية في قدرها، أو كل آية منه كيف كانت، أو كل جملة منتظمة، وإن كان الحق هو الأول لقوله تعالى : ﴿ فَآتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ ﴾ [البقرة: ٢٣]، فهو أقل ما تحداهم به .

وإذا كان هذا ففي القرآن من الكلمات نحو من سبعة وسبعين ألف كلمة ونيّف، وعدد ﴿ إِنَّا آتَيْنَاكَ الْكُوثَرَ ﴾ عشر كلمات، فتجزئ القرآن على نسبة عدد كلمات ﴿ إِنَّا آتَيْنَاكَ الْكُوثَرَ ﴾ أزيد من سبعة آلاف جزء، كل واحد منها معجز في نفسه . ثم إعجازه كما تقدم بوجهين، طريق بلاغته، وطريق نظمه، فصار في كل جزء من هذا العدد معجزتان، فتضاعف العدد من هذا الوجه . ثم فيه وجوه إعجاز آخر من الإخبار بعلوم الغيب، فقد يكون في السورة الواحدة من هذه التجزئة الخبر عن أشياء من الغيب، كل خبر منها بنفسه معجز، فتضاعف العدد كرة أخرى . ثم وجوه الإعجاز الأخر التي ذكرناها توجب التضعيف . هذا في حق القرآن فلا يكاد يأخذ العد معجزاته، ولا يحوى الحصر براهينه .

ثم الأحاديث الواردة والأخبار الصادرة عنه ﷺ في هذه الأبواب وعمّا دل على أمره مما أشرنا إلى جملة يبلغ نحوًا من هذا . . .

الوجه الثاني وضوح معجزاته ﷺ؛ فإن معجزات الرسل كانت بقدر همم أهل زمانهم، وبحسب الفن الذي سما فيه قرنه . فلما كان زمن موسى غاية علم أهله السحر بعث إليهم موسى بمعجزة تشبه ما يدعون قدرتهم

عليه، فجاءهم منها ما خرق عاداتهم ولم يكن في قدرتهم وأبطل سحرهم، وكذلك زمن عيسى أغنى ما كان الطب، وأوفر ما كان أهله، فجاءهم أمر لا يقدرّون عليه، وأتاهم ما لم يحتسبوه من إحياء الميت، وإبراء الأكمه والأبرص، دون معالجة ولا طب. وهكذا سائر معجزات الأنبياء.

ثم إن الله تعالى بعث نبينا محمداً ﷺ وجملة معارف العرب وعلومها أربعة: البلاغة، والشعر، والخبر، والكهانة. فأنزل الله تعالى القرآن الخارق لهذه الأربعة فصول من الفصحاة والإيجاز والبلاغة الخارجة عن نمط كلامهم، ومن النظم الغريب والأسلوب العجيب الذي لم يهتدوا في المنظوم إلى طريقه، ولا علموا في أساليب الأوزان منهجه، ومن الأخبار عن الكوائن والحوادث والأسرار والمخبات والضمائر، فتوجد على ما كانت، ويعترف المخبر عنها بصحة ذلك وصدقه، وإن كان أعدى العدو، فأبطل الكهانة التي تصدق مرة وتكذب عشراً، ثم اجتثها من أصلها برجم الشهب ورصد النجوم، وجاء من الأخبار عن القرون السالفة، وأنباء الأنبياء والأمم البائدة، والحوادث الماضية، ما يعجز من تفرغ لهذا العلم عن بعضه على الوجوه التي بسطناها وبيننا المعجز فيها. ثم بقيت هذه المعجزة الجامعة لهذه الوجوه إلى الفصول الأخر التي ذكرناها في معجزات القرآن ثابتة إلى يوم القيامة بينة الحجة لكل أمة تأتي لا يخفى وجوه ذلك على من نظر فيه وتأمل وجوه إعجازه، إلى ما أخبر به من الغيوب على هذه السبيل فلا يمر عصر ولا زمن إلا ويظهر فيه صدقه بظهور مخبره على ما أخبر، فيتجدد الإيمان ويتظاهر البرهان، وليس الخبر كالعيان، وللمشاهدة زيادة في اليقين، والنفس أشد طمأنينة إلى عين اليقين منها إلى علم اليقين، وإن كان كل عندها حقاً.

وسائر معجزات الرسل انقضت بانقراضهم، وعدمت بعدم ذواتها، ومعجزة نبينا ﷺ لا تبيد ولا تنقطع، وآياته تتجدد ولا

تضمنحل ، ولهذا أشار ﷺ بقوله فيما روينا عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عنه ﷺ قال : « ما من الأنبياء نبي إلا أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر ، وإنما كان الذي أوتيت وحياً أوحاه الله إلي فأرجو أن أكون أكثرهم تابِعاً يوم القيامة »^(١) ، هذا معنى الحديث عند بعضهم ، وهو الظاهر الصحيح إن شاء الله .

وبهذا انتهى الجزء الأول من الشفاء ، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آل وذريته وزوجاته وأصحابه . وكان الفراغ من تهذيب الكتاب وإخراجه من المسودة ضحوة يوم الاثنين عشري ذي القعدة عام ١٤١٩ بطنجة المغرب .



(١) رواه أحمد ٢/٣٤١ ، ٣٥١ ، والبخاري في فضائل القرآن ، ومسلم في الإيمان ٢/١٨٦ ، عن أبي هريرة ، وقد تقدم أيضاً .

ومن إعجاز القرآن العلمي : إشارته إلى هذه العلوم الكونية التي يخوض فيها اليوم علماء الكون التي يظنون جهلاً منهم أنهم سبقوا إلى ذكرها واكتشافها ، وها هو القرآن يذكرها ويشير إليها في غضون سوره وآياته وخاصة سوره المكية ، وقد أشرت إلى ذكر ذلك مع الأمثلة لها في كتابي «دلائل التوحيد» وهو مطبوع ، والحمد لله .

القسم الثاني

فيما يجب على الأنام من حقوقه ﷺ

هذا القسم يشتمل على أربعة أبواب، ومجموعها في وجوب تصديقه واتباعه في سننه، وطاعته، ومحبته، ومناصحته، وتوقيره، وبره، وحكم الصلاة عليه والتسليم، وزيارة قبره ﷺ.

الباب الأول

في فرض الإيمان به

ووجوب طاعته واتباع سنته... إلخ

إذا تقرر بما قدمناه ثبوت نبوته وصحة رسالته، وجب الإيمان به وتصديقه فيما أتى به.

قال الله تعالى: ﴿ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا ﴾ (١)
[التغابن: ٨].

(١) الرسول هو حبيبنا محمد ﷺ بالإجماع. والنور: هو القرآن كذلك.

وقال جل وعلاه: ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾ (٨) لِيُؤْمِنُوا
بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴿ (١) [الفتح: ٨، ٩].

وقال عز من قائل: ﴿ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ . . . ﴾ الآية (٢)
[الأعراف: ١٥٨].

فالإيمان بالنبي حبيبنا محمد ﷺ واجب متعين، لا يتم إيمان إلا به،
ولا يصح إسلام إلا معه.

قال الله تعالى: ﴿ وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ
سَعِيرًا ﴾ [الفتح: ٤٨] (٣).

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن رسول الله ﷺ قال: «أمرت أن
أقاتل الناس حتى يشهدوا، أن لا إله إلا الله، ويؤمنوا بي وبما جئت به، فإذا
فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله» (٤).

(١) تقدم معنى الآية أول الكتاب ص ٧٤، والشاهد هنا الأمر بالإيمان بالرسول
الكريم ﷺ.

(٢) جاءت هذه الآية الكريمة بالأمر العام بوجوب الإيمان بالله ورسوله الحبيب
محمد ﷺ كسابقتيها.

(٣) أعتدنا، أي: أعددنا. والسعير: هو عذاب جهنم ونارها، فهو مهياً لكل من تمرّد
على الله وكفر بآياته ورسله وما جاؤوا به.

(٤) رواه أحمد ٢/٣٤٥، ٤٢٣، وفي مواضع، والبخاري في الزكاة، وفي المرتدين
وفي الاعتصام وفي مواضع، ومسلم في الإيمان، وأبو داود ١٥٥٦، ١٥٥٧،
٢٦٤٠، والترمذي ٢٤٢٥، ٢٤٢٦ في الإيمان، والنسائي ١٠/٥ في الزكاة
و ٧/٧١، ٧٢، ٧٣، وغيرهم من طرق وألفاظ، وهو حديث متواتر.

فقوله ﷺ: «ويؤمنوا بي وبما جئت به» شرط في صحة الإيمان به فمن لم يؤمن
به، وقال: إن ذلك ليس شرطاً في الإيمان؛ كان كافراً مخلداً في النار بالإجماع.
فالفكرة السائدة اليوم بين بعض المنحرفين القائلة بالتسوية بين الأديان، وأن
للإنسان أن يختار أي دين شاء من إسلام أو يهودية أو نصرانية، هي فكرة لا حظ =

والإيمان به ﷺ هو تصديق نبوته ورسالة الله له، وتصديقه في جميع ما جاء به وما قاله، ومطابقة تصديق القلب بذلك شهادة اللسان بأنه رسول الله ﷺ، فإذا اجتمع التصديق بالقلب والنطق بالشهادة بذلك باللسان؛ تمَّ الإيمان به والتصديق له، كما ورد في هذا الحديث نفسه من رواية عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله»^(١).

وقد زاده وضوحًا في حديث جبريل عليه السلام إذ قال: أخبرني عن الإسلام فقال النبي ﷺ: أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله... وذكر أركان الإسلام، ثم سأله عن الإيمان فقال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسوله... الحديث^(٢).

فقد قرر أن الإيمان به محتاج إلى العقد بالجنان، والإسلام به مضطر إلى النطق باللسان، وهذه هي الحالة المحمودة التامة. وأما الحال المذمومة فالشهادة باللسان دون تصديق القلب، وهذا هو النفاق.

قال الله تعالى: ﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴾ [المنافقون: ١]، أي: كاذبون في قولهم ذلك عن اعتقادهم وتصديقهم وهم لا يعتقدونه، فلما لم تصدق

لمعتقدها في الإسلام، وصاحبها إن مات عليها مخلد في النار. وقد جاء في صحيح مسلم عن أبي هريرة عنه ﷺ أنه قال: «لا يسمع من أحد من هذه الأمة من يهودي ولا نصراني ثم لم يؤمن بي وبما جئت به إلا كان من أهل النار»، ويكفي في هذا قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٨٥].

(١) هذه الرواية رواها البخاري ٨٢/١، ومسلم ٢١١/١، ٢١٢، كلاهما في الإيمان.

(٢) حديث جبريل تقدّم تخريجه آخر القسم الأول.

ذلك ضمائرهم لم ينفعهم أن يقولوا بألسنتهم ما ليس في قلوبهم، فخرجوا عن اسم الإيمان، ولم يكن لهم في الآخرة حكمه، إذا لم يكن معهم إيمان ولحقوا بالكافرين في الدرك الأسفل من النار^(١)، وبقي عليهم حكم الإسلام بإظهار شهادة اللسان في أحكام الدنيا المتعلقة بالأئمة وحكام المسلمين الذين أحكامهم على الظواهر بما أظهروه من علامة الإسلام، إذ لم يجعل للبشر سبيل إلى السرائر، ولا أمروا بالبحث عنها، بل نهى النبي ﷺ عن التحكم عليها وذم ذلك وقال: «هلا شققت عن قلبه»^(٢).

والفرق بين القول والعقد ما جعل في حديث جبريل: الشهادة من الإسلام، والتصديق من الإيمان. وبقيت حالتان أخريان بين هذين:

إحدهما: أن يصدق بقلبه ثم يخترم قبل اتساع وقت للشهادة بلسانه فاختلف فيه، فشرط بعضهم من تمام الإيمان القول والشهادة به، ورآه بعضهم مؤمناً مستوجباً للجنة، لقوله ﷺ: «يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان»^(٣). فلم يذكر سوى ما في القلب، وهذا مؤمن بقلبه غير

(١) ولذلك قال الله تعالى فيهم: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾ [النساء: ١٤٥]، لأنهم شر الفرق الكفرية وأخبثها وأخطرها على الإسلام والمسلمين.

(٢) رواه مسلم في الإيمان ٩٩/٢ من حديث أسامة بن زيد رضي الله تعالى عنهما بلفظ: أفلا شققت عن قلبه حتى تعلم قالها أم لا؟... الحديث، وأصله عند البخاري في المغازي وفي الديات ٢١٣/١٥، ٢١٤.

(٣) رواه الترمذي في أبواب صفة جهنم ٢٤١٧ من حديث أبي سعيد الخدري، وأصله في الرقاق ٢٢٢/١٤، وفي التوحيد ٢٠٠/١٧ من صحيح البخاري مختصراً ومطولاً، وفي الإيمان من صحيح مسلم ٢٥/٣، ٢٦ مختصراً، وجاء نحوه عن أنس عند مسلم ٥٩/٣، والترمذي في الإيمان ٢٤١٢ بلفظ: «ما يزن ذرة». وقوله: مثقال، أي: وزن.

عاص ولا مفرط بترك غيره وهذا هو الصحيح في هذا الوجه .

الثانية: أن يصدق بقلبه ويطول مهله وعلم ما يلزمه من الشهادة فلم ينطق بها جملة، ولا استشهاد في عمره ولا مرة، فهذا اختلف فيه أيضاً، فقيل: هو مؤمن لأنه مصدق، والشهادة من جملة الأعمال، فهو عاص بتركها غير مخلد^(١). وقيل: ليس بمؤمن حتى يقارن عقده شهادة اللسان، إذ الشهادة إنشاء عقد والتزام إيمان، وهي مرتبطة مع العقد، ولا يتم التصديق مع المهلة إلا بها، وهذا هو الصحيح^(٢).

وجوب طاعته ﷺ

وأما وجوب طاعته ﷺ فإذا وجب الإيمان به وتصديقه فيما جاء به وجبت طاعته لأن ذلك مما أتى به .

قال الله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ [النساء: ٥٩]. وقال: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾ [آل عمران: ٣٢]. وقال: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠]. وقال: ﴿وَمَا ءَأْتِيَكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: ٧]. وقال: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ [النساء: ٦٩]. وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطِيعَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾^(٣) [النساء: ٦٤].

(١) ومن هذا القبيل ما قيل في أبي طالب، حيث إنه كان يعتقد صحة ما جاء به النبي ﷺ لكنه لم ينطق بالشهادة، ولذلك دافع عنه من ألف رسالة «أسنى المطالب في نجاته أبي طالب».

(٢) كان هو القول الصحيح لظواهر نصوص القرآن والسنة وللإجماع على أنه لا تجري عليه أحكام المسلمين.

(٣) لا خلاف بين المسلمين أن طاعة الرسول ﷺ واجبة كطاعة الله عز وجل بدون أي فارق، وأن سنته في ذلك كالقرآن الكريم إذا وصلت إلينا من الطرق المعتمدة شرعاً.

فجعل طاعة رسوله طاعته، وقرن طاعته بطاعته، ووعد على ذلك
بجزيل الثواب وأوعد على مخالفته بسوء العقاب، وأوجب امتثال أمره
واجتناب نهيه.

قال المفسرون والأئمة: طاعة الرسول في التزام سنته والتسليم لما
جاء به. وقالوا: ما أرسل الله من رسول إلا فرض طاعته على من أرسله إليه.
وقالوا: من يطع الرسول في سننه يطع الله في فرائضه.

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من
أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن أطاع أميرى فقد
أطاعني، ومن عصى أميرى فقد عصاني»^(١).

فطاعة الرسول من طاعة الله، إذ طاعته امتثال لما أمر الله به وطاعة له،
وقد حكى الله عن الكفار في دركات جهنم: ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ
يَلَيْتَنَّا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ﴾^(٢) [الأحزاب: ٦٦]، فتمنوا طاعته حيث
لا ينفعهم التمني.

قال ﷺ: «إذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه، وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما
استطعتم»^(٣).

(١) رواه أحمد ٢/٢٧٠ وفي مواضع، والبخاري في الجهاد، ومسلم في الإمارة
١٢/٢٢٣ من حديث أبي هريرة. والحديث واضح في وجوب طاعته ﷺ كطاعة
الله.

(٢) والآية ظاهرة في أنهم تمنوا طاعة الله وطاعة الرسول، ولم يتمنوا طاعة غيرهما
استقلالاً، وفي ذلك رد على المتعصبين من مقلدة المذاهب، ذلك أن الله تعالى
يوجب طاعتهم واتباعهم على الإطلاق كما أوجب ذلك له ولنبيه.

(٣) رواه أحمد ٢/٢٤٧، ٢٥٨، والبخاري في الاعتصام ١٧/١٩، ٢٠، ومسلم في
الحج ٩/١٠٠، ١٠١، والترمذي في العلم والنسائي، في الحج عن أبي هريرة.

وفي حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، عنه عليه السلام: «كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى»، قالوا: يا رسول الله ومن أبى؟ قال: «من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى»^(١).

وفي الحديث الآخر الصحيح عنه عليه السلام: «مثلي ومثل ما بعثني الله به كمثل رجل أتى قوماً فقال: يا قوم إني رأيت الجيش بعيني، وإني أنا النذير العريان فالنجاء، فأطاعه طائفة من قومه فأدلجوا، فانطلقوا على مهلهم فنجوا وكذب طائفة منهم فأصبحوا مكانهم فصبحهم الجيش فأهلكهم واجتاحهم، فذلك مثل من أطاعني واتبع ما جئت به ومثل من عصاني وكذب ما جئت به من الحق»^(٢).

وفي الحديث الآخر في مثله: «كمثل من بنى داراً وجعل فيها مآدبة، وبعث داعياً، فمن أجاب الداعي دخل الدار وأكل من المآدبة، ومن لم يجب الداعي لم يدخل الدار ولم يأكل من المآدبة. فالدار الجنة، والداعي محمد عليه السلام، فمن أطاع محمداً فقد أطاع الله، ومن عصى محمداً فقد عصى الله، ومحمد فرق بين الناس»^(٣).

(١) رواه أحمد ٣٦١/٢، والبخاري في الاعتصام ١١/١٧، ١٢ وغيرهما. أبى، أي: امتنع. في الحديث: أن طاعته عليه السلام من أسباب دخول الجنة، والعكس بالعكس.

(٢) رواه البخاري في الرقاق، وفي الاعتصام ١٦/١٧، ومسلم في الفضائل ٤٨/١٥، ٤٩، عن أبي موسى. النذير: المبلغ المخوف. والعريان: من التعري، وأصله أن الرجل كان إذا أراد إنذار قومه وإعلامهم بما يوجب الخوف نزع ثوبه، وأشار به إليهم إذا كان بعيداً. والنجاء، أي: اطلبوا الخلاص. وقوله: فأدلجوا، أي: ساروا ليلاً. وقوله: فاجتاحهم، أي: استأصلهم.

(٣) رواه البخاري في الاعتصام ١٢/١٧، ١٣، والترمذي بنحوه عن جابر، ونحوه عن ابن مسعود، رواه أحمد ٤٠٠/١، والترمذي في الأمثال مطولاً بسند صحيح. والمآدبة: بضم الدال، هي الطعام يصنعه الرجل يدعو الناس إليه. وقوله: ومحمد فرق... إلخ، يعني: يفرق بين المؤمنين والكافرين بالإيمان والكفر.

وجوب اتباعه وامتهال سنته والافتداء بهديه

وأما وجوب اتباعه وامتهال سنته والافتداء به ﷺ فقد قال الله تعالى :
﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ [آل عمران :
٣١] (١).

وقال عز وجل : ﴿ فَاتَّبِعُوا بِاللَّهِ وِرَسُولِهِ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يُوْمِتُ بِاللَّهِ
وَكَالِمَتِهِ، وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ (٢) [الأعراف : ١٥٨].

وقال جلّ علاه : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ
بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (٣) [النساء : ٦٥] ، أي : ينقادوا لحكمك ، يقال سلم واستسلم إذا انقاد .

وقال تعالى : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ
وَالْيَوْمَ الْآخِرَ ﴾ (٤) [الأحزاب : ٢١] . قال غير واحد من المفسرين : الأسوة في
الرسول : الافتداء به والاتباع لسنته وترك مخالفته في قول أو فعل .

فأمرهم تعالى باتباعه ، ووعدهم على ذلك الافتداء ؛ لأنه تعالى أرسله
بالبهدى ودين الحق ليزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ويهديهم إلى صراط
مستقيم ، ووعدهم محبته تعالى في الآية الأخرى ومغفرته إذا اتبعوه وآثروه

(١) فجعل علامة محبته تعالى : اتباع رسوله . ووعد على من اتبعه بمحبته تعالى له مع
غفران ذنوبه ، وبإلها من بشارة . وفقنا الله لاتباع هذا الرسول الأعظم وأماتنا على
هديه وطريقته ﷺ .

(٢) أما في هذه الآية فجعل اتباعه طريقًا للهداية ، وهي السعادة الأبدية .

(٣) في هذه الآية الكريمة نفي الإيمان عمن لم يحكم رسول الله ﷺ فيما نزل به من
النوازل ، وأنه يجب عليه مع التحكيم أن لا يجد في نفسه حرجًا من ذلك وينقاد
الانقياد التام لحكمه ﷺ ، وهذا ميزان يزن به المسلم إيمانه ودينه .

(٤) الأسوة ، بكسر الهمزة وضمها : هي القدوة . ونعم القدوة لنا ﷺ .

على أهوائهم وما تجنح إليه نفوسهم، وأن صحة إيمانهم بانقيادهم له ورضاهم بحكمه وترك الاعتراض عليه، كما أن محبة العبد لله والرسول طاعته لهما ورضاه بما أمرا، ومحبة الله لهم عفوه عنهم وإنعامه عليهم برحمته، ويقال: الحب من الله عصمة وتوفيق، ومن العباد طاعة، كما قال القائل:

تَعْصِي الْإِلَهِ وَأَنْتَ تُظْهِرُ حُبَّهُ هَذَا لَعَمْرَى فِي الْقِيَاسِ بَدِيعُ
لَوْ كَانَ حُبُّكَ صَادِقًا لِأَطْعَمَهُ إِنْ الْمُحِبِّ لِمَنْ يُحِبُّ مَطِيعُ

ويقال: محبة العبد لله تعظيمه له وهيبته منه، ومحبة الله له رحمته له وإرادته الجميل له.

وعن العرباض بن سارية رضي الله تعالى عنه في حديثه في موعظة النبي ﷺ أنه قال: «فعلیکم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة»^(١). زاد في حديث جابر بمعناه: «وكل ضلالة في النار»^(٢).

(١) رواه أحمد ٤/١٢٦، ١٢٧، والدارمي ٩٦، وأبو داود في السنة ٤٦٠٧، والترمذي في العلم ٢٤٩٠. وقال: حسن صحيح. وكذا رواه ابن ماجه ٤٣، وابن حبان ١٠٢، والحاكم ١/٩٥، ٩٦، ٩٧ وغيرهم.

(٢) رواه أحمد ٣/٣١٠، ومسلم في الجمعة ٦/١٥٣، ١٥٦، والنسائي في العيدين ٣/١٥٣ وفي السهو، وابن ماجه ٤٥. و«كل ضلالة في النار»، تفرد بها النسائي بسند صحيح.

وقوله: «وكل بدعة ضلالة»: هذا عام مخصوص نص عليه الشافعي والبخاري والنووي والقرطبي وابن العربي؛ والعز ابن عبد السلام وابن الأثير والعراقي والحافظ ابن حجر وغيرهم رحمهم الله تعالى فإن في البدع ما ليست ضلالة كتدوين الحديث النبوي وإحداث العلوم الإسلامية وغير ذلك مما لم يكن أيام النبوة، وفيه ما هو واجب أو مباح أو مستحب، ولذلك قسم العلماء البدع إلى =

وفي حديث أبي رافع رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ قال: «لا ألفين أحدكم متكئاً على أريكته يأتيه الأمر من أمري مما أمرت به أو نهيت عنه فيقول: لا أدري ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه»^(١).

وفي حديث عائشة رضي الله تعالى عنها: صنع رسول الله ﷺ شيئاً ترخص فيه فتنزهه عنه قوم، فبلغ ذلك النبي ﷺ، فحمد الله ثم قال: «ما بال قوم يتنزهون عن الشيء أصنعه؟ فوالله إني لأعلمهم بالله وأشدهم له خشية»^(٢).

وقال ﷺ: «من رغب عن سنتي فليس مني»^(٣).

= خمسة أقسام كما في القواعد لابن عبد السلام والفتح للحافظ وشرح مسلم للنووي.

(١) رواه أحمد ٨/٦، والحميدي ٥٥١، وأبو داود في السنة ٤٦٠٥، والترمذي في العلم ٢٤٧٧ بتهذيبي، وابن ماجه ١٣، والحاكم ١/١٠٨، ١٠٩، وصححه على شرطهما، ووافقه الذهبي وسنده صحيح. ألفين، أي: أجدن. والأريكة: هي السرير. والحديث دليل على أن السنّة المحمدية، هي أصل مستقل بنفسه في التشريع؛ لأن الكل من عند الله، فقبولها والعمل بها واجب محتم. والحديث يشير إلى ما ظهر في هذا العصر من الفرق الضالة التي ترد السنّة المحمدية وتطعن فيها وترفض الاحتجاج بها.

(٢) رواه البخاري في الأدب ٢٧/١٣، وفي الاعتصام، ومسلم في الفضائل ١٥/١٠٦، ١٠٧. وقوله: فتنزهه عنه قوم، أي: تباعدوا. ما بال أقوام، أي: ما شأنهم. وهذا من آدابه الكريمة؛ لأنه لم يكن يواجه أحداً بما يكره. وفي الحديث مشروعية اتباعه ﷺ في كل شيء حتى في الرخص، وفيه: أن سلوك طريق الرخصة أحياناً لا يضع من قدر الرجل الصالح.

(٣) رواه أحمد ٣/٢٤١، ٢٥٩، ٢٨٥، والبخاري ٤/١١، ٥، ومسلم ٩/١٧٥، ١٧٦، كلاهما في النكاح من حديث أنس رضي الله تعالى عنه أن نفرًا من أصحاب النبي ﷺ سألوا أزواج النبي ﷺ عن عمله في السر... فقال بعضهم: لا أتزوج =

وقال ﷺ: «إن بني إسرائيل افترقوا على اثنين وسبعين ملة، وإن أمتي تفترق على ثلاث وسبعين كلها في النار إلا واحدة». قالوا: ومن هم يا رسول الله؟ قال: «الذي أنا عليه اليوم وأصحابي»^(١).

ما ورد عن السلف والأئمة من اتباع سنته وهديه

وأما ما ورد عن السلف والأئمة من اتباع سنته، والافتداء بهديه وسيرته.

فعن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما أنه قيل له: يا أبا عبد الرحمن، إنا نجد صلاة الخوف وصلاة الحضر في القرآن، ولا نجد صلاة السفر. فقال ابن عمر: يا ابن أخي إن الله بعث إلينا محمدًا ﷺ ولا نعلم شيئًا، وإنما نفعل كما رأيناه يفعل^(٢).

النساء، وقال بعضهم: لا آكل اللحم، وقال بعضهم: لا أنام على فراش... فحمد الله وأثنى عليه فقال: «ما بال أقوام قالوا: كذا وكذا، لكني أصلي وأنام، وأصوم وأفطر وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني»، هذا لفظ مسلم، ولفظ البخاري أطول، فالرغبة عن السنة هو تركها والإعراض عنها، وفاعل ذلك ليس من رسول الله ﷺ في شيء.

(١) رواه أحمد ٤/١٠٢، والطيالسي ٢٧٥٤، وأبو داود ٤٥٩٧، والدارمي ٢٥٢١ عن معاوية بنحوه، وسنده صحيح، وله شواهد عن أنس، رواه أحمد ٣/١٢٠، ١٤٥، وابن ماجه ٣٩٩٣ بسند صحيح، وعن عبد الله بن عمرو رواه الترمذي في الإيمان ٢٤٥٧، والحاكم ١/١٢٨، ١٢٩ بلفظ المؤلف، وقوله: «الذي أنا عليه اليوم وأصحابي» طريقته ضعيفة، والذي صحَّ هي قوله: «كلها في النار إلا واحدة وهي الجماعة» ومعناها واحد، فالنتيجة هو أن من خرج على ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه من المهاجرين والأنصار... كان من أهل النار أعم من أن يكون مخلدًا في النار، أم كان ممن تصيبه رحمة الله تعالى... والحديث تقدّم في المغيبات ص ٢٧٧.

(٢) رواه أحمد ٢/٩٤، والنسائي ٣/٩٦، وابن ماجه ١٠٦٥ بسند صحيح، وفي هذا ما كان عليه الصحابة من شدة اتباعهم لرسول الله ﷺ.

وقال عمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنه: سن رسول الله ﷺ وولاية الأمر بعده سننا، الأخذ بها تصديق بكتاب الله، واستعمال لطاعة الله وقوة على دين الله، ليس لأحد تغييرها ولا تبديلها، ولا النظر في رأي من خالفهما. من اقتدى بها فهو مهتد، ومن انتصر بها فهو منصور، ومن خالفها واتبع غير سبيل المؤمنين ولأه الله ما تولى وأصلاه جهنم وساءت مصيراً^(١).

وكتب عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه إلى عماله بتعلم السنة والفرائض واللحن، أي: اللغة وقال: إن ناساً يجادلونكم — يعني بالقرآن — فخذوهم بالسنة، فإن أصحاب السنة أعلم بكتاب الله^(٢).

وعن علي رضي الله تعالى عنه حين قرن، فقال له عثمان: ترى أنني أنهى الناس عنه وتفعله؟ قال: لم أكن أدع سنة رسول الله ﷺ لقول أحد من الناس^(٣).

وقال ابن عمر رضي الله تعالى عنهما: صلاة السفر ركعتان، من خالف السنة كفر^(٤).

وقال عمر رضي الله تعالى عنه ونظر إلى الحجر الأسود: إنك حجر لا تنفع ولا تضر، ولولا أنني رأيت رسول الله ﷺ يقبلك ما قبلتك ثم قبله^(٥).

ورؤي عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما يدير ناقته في مكان، فسئل عنه، فقال: لا أدري إلا أنني رأيت رسول الله ﷺ فعله

(١) عزاه في المناهل إلى اللالكائي في السنة، ولم أقف عليه. وهو كلام في غاية من الأهمية.

(٢) رواه الدارمي في المقدمة ١٢١، ورجاله ثقات غير عمرو بن الأشجع فلم أعرفه.

(٣) رواه مسلم في الحج ٨/٢٠١، ٢٠٢.

(٤) رواه ابن عبد البر في العلم ٢/١٩٥ من طريق الأثرم، وابن حزم في المحلى بسند صحيح، ومراد ابن عمر بالكفر هنا كفر من أنكر السنة وعارضها.

(٥) رواه البخاري ٤/٢٢١، ومسلم ٩/١٦، ١٧ كلاهما في الحج.

ففعَلته^(١).

وقال أبو عثمان الحيري رحمه الله تعالى: من أمر السنة على نفسه قولاً وفعلاً نطق بالحكمة، ومن أمر الهوى على نفسه نطق بالبدعة.

وقال سهل التُّستري رحمه الله تعالى: أصول مذهبنا ثلاثة: الاقتداء بالنبي ﷺ في الأخلاق والأفعال، والأكل من الحلال، وإخلاص النية في جميع الأعمال.

وحكى عن أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى قال: كنت يوماً مع جماعة تجردوا ودخلوا الماء فاستعملت الحديث: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدخل الحمام إلا بمئزر^(٢) ولم أتجرد، فرأيت تلك الليلة قائلاً لي: يا أحمد أبشر، فإن الله قد غفر لك باستعمالك السنة وجعلك إماماً يقتدى بك. قلت: من أنت؟ قال: جبريل.

ضلال من خالف أمره وبدل سنته

ومخالفة أمره وتبديل سنته ﷺ ضلال وبدعة متوعد من الله عليه بالخذلان والعذاب.

قال الله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ

(١) رواه أحمد ٤٨٧٠، والبزار رقم ١٢٨، وسنده صحيح، وقال الهيثمي ١٧٤/١: رجاله موثقون. وذكره بسياق آخر مطولاً ١٧٥/١، وعزاه لأحمد، وقال: رجاله رجال الصحيح.

(٢) هكذا كان السلف مع سنة رسول الله ﷺ فلم يكونوا يقدمون عليها رأي أحد مهما كان علمه وصلاحه، بل كانوا يرون ذلك ضلالاً وخروجاً عن الدين، فلنقارن بينهم وبين المسلمين اليوم... والحديث الذي أشار إليه الإمام أحمد رواه النسائي في الطهارة ١/١٦٣، والترمذي في الأدب ٢٦١٠، والحاكم ٤/٢٨٨ عن جابر، وصححه الحاكم على شرط مسلم، ووافقه الذهبي.

يُصِيبُهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٣﴾ (١) [النور: ٦٣].

وقال: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بُيِّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ، جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ (٢) [النساء: ١١٥].

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ خرج إلى المقبرة وذكر الحديث في صفة أمته وفيه: «فليذادن رجال عن حوضي كما يذاد البعير الضال، فأناديهم ألا هلم، ألا هلم، فيقال: إنهم قد بدلوا بعدك، فأقول: فسحقا فسحقا فسحقا» (٣).

(١) فمخالفته ﷺ توجب الفتنة والعذاب الأليم، ولذلك لما تملأت الأمة اليوم بعلمائها وجهالها وأشرفها وكبارها وصغارها وذكورها وإناثها على ترك الشريعة الإسلامية والإعراض عن أصولها وفروعها واتباعهم لأهوائهم، وإغراقهم في تقليد أوروبا الكافرة الملحدة وأمريكا الطاغية، وتحاكمهم إلى القوانين الوضعية التي خطتها الأيدي الآثمة العلمانية وأشربوا حلاوة الحضارة الغربية.. أقول: لما فعلوا ذلك فتنهم الله عز وجل، وأحاطهم بمشاكل، وسلط عليهم أنواعا من العذاب، وأذاقهم صنوفا من النكبات والنكسات حتى أصبحت الأمة فيما نشاهد، ولا ندرى ماذا سيحدث غدا، وكل ذلك لمخالفتهم أمر الرسول ﷺ.

وقد قال ﷺ في حديث: «وجعل الذل والصغار على من خالف أمري». رواه أحمد وغيره عن ابن عمر، وها هي الأمة الآن قد عمها الذل والهوان، وشملها الخزي والصغار في شرقها وغربها، وحاترت في طريق المخرج مما هي فيه لأنها تأتي البيوت من غير أبوابها.

(٢) لا شك أن من اتصف بما في هذه الآية كان خارجا عن جماعة المسلمين وكان سبيله ومآله العذاب الدائم، ولذلك احتج العلماء بهذه الآية الكريمة على حجية الإجماع وتحريم الخروج عنه.

(٣) رواه أحمد ٢/٢٠٠، ٤٠٨، ومسلم ٣/١٣٧، والنسائي ١/٣٩ كلاهما في الطهارة وابن ماجه في الزهد ٤٣٠٦ وغيرهم. ويجب أن يعلم أن هؤلاء المطرودين عن الحوض هم المرتدون من الأعراب وضعفاء الإيمان الذين قاتلهم =

وروى أنس رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ قال: «فمن رغب عن سنتي فليس مني»^(١).

وقال ﷺ: «من أدخل في أمرنا ما ليس منه فهو رد»^(٢).

وروى أبو رافع رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ قال: «لا ألفين أحدكم متكئاً على أريكته يأتيه الأمر من أمري مما أمرت به أو نهيت عنه فيقول: لا أدري ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه»^(٣).

وفي رواية المقدم رضي الله تعالى عنه: «ألا وإن ما حرم رسول الله ﷺ مثل ما حرم الله»^(٤).

= الصحابة برئاسة الصديق رضي الله تعالى عنه، ولم يكن في هؤلاء المرتدين أحد من المهاجرين والأنصار والمخلصين الصادقين من الصحابة. فحمل الشيعة الخبثاء هذا الحديث وأمثاله على كل الصحابة الذين منهم البديريون وأهل بيعة الرضوان... — ومنهم العشرة المبشرون بالجنة — هو ضلال وزندقة ومروق من الدين فإنه لم ينج عندهم من الصحابة الذين ارتدوا إلا نحوًا من ستة عشر نفرًا، وكفاهم بهذا الاعتقاد ضلالاً وردة وانسلاخاً من ربة الإسلام.

(١) تقدم تخريجه ص ٣١٨.

(٢) الرواية: «من أحدث... إلخ». رواه أحمد ٦/٢٤٠، ٢٧٠ وفي مواضع، والبخاري في الصلح ٦/٢٣٠، وعلقه في البيوع والاعتصام، ورواه مسلم في الأفضية ١٢/١٦، وأبو داود في السنة ٤٦٠٦، وفي رواية: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد» رواه أحمد ومسلم. وهذا الحديث أصل في رد المحدثات والبدع التي لا أصل لها في الدين.

(٣) تقدم تخريجه ص ٣١٨.

(٤) رواه أحمد ٤/١٣٠، ١٣١، والدارمي ٥٥٧، وأبو داود في السنة ٤٦٠٤، والترمذي في العلم ٢٤٧٨، وابن ماجه ١٢ وسنده صحيح. وهو يدل على أن السنة النبوية قرينة القرآن في الوحي والتشريع، وهذا لا خلاف فيه بين المسلمين.

وقال ﷺ: «هلك المتنطعون»^(١).

وقال أبو بكر رضي الله تعالى عنه: لست تاركًا شيئًا كان رسول الله ﷺ يعمل به إلا عملت به، إني أخشى إن تركت شيئًا من أمره أن أزيغ^(٢).



(١) رواه أحمد ١/٣٨٦، ومسلم في العلم ١٦/٢٢٠، وأبو داود ٤٦٠٨ عن ابن مسعود. المتنطعون: المتعمقون المتغالون المتجاوزون الحد، فمن تنطع كان هالكًا، لأن ذلك خلاف هدي الرسول ﷺ.

(٢) رواه البخاري في الخمس ٧/٧، ٨، ٩، وأبو داود في الإمارة ٢٩٦١ من حديث عائشة في قصة سؤال مولاتنا فاطمة عليها السلام من الصديق رضي الله تعالى عنه ميراثها من أبيها ﷺ.

الباب الثاني في لزوم محبته ﷺ

قال الله تعالى : ﴿ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ (١) [التوبة : ٢٤].

فكفى بهذا حُضًا وتنبهًا ودلالة وحجة على إلزام محبته ووجوب فرضها وعظم خطرها واستحقاقه لها ﷺ إذ قرَّع تعالى من كان ماله وأهله وولده أحب إليه من الله ورسوله، وأوعدهم بقوله تعالى : ﴿ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ﴾ ، ثم فسقهم بتمام الآية وأعلمهم أنهم ممن ضل ولم يهده الله .

وعن أنس رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال : « لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين » (٢) .

(١) خص الله عز وجل الآباء والأبناء ومن معهم بالذكر هنا لأن هؤلاء هم أحبة الإنسان وأصوله وفروعه مع ما يملكون من أموال . . . فمن قدمهم على محبة الله ورسوله كان خاسرًا في ماله ضالًا في هذه الحياة .

(٢) رواه البخاري ١/٦٥ ، ومسلم ٢/١٥ ، والنسائي ٨/١٠٠ ، ثلاثتهم في الإيمان .

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه نحوه^(١).

وعن أنس عنه رضي الله عنه قال: «ثلاث من كن فيه، وجد بهن حلاوة الإيمان أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار»^(٢).

وعن عمر رضي الله تعالى عنه أنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم: «لأن أحب إلي من كل شيء إلا نفسي التي بين جنبي، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: «لن يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه»، فقال عمر: والذي أنزل عليك الكتاب لأنت أحب إلي من نفسي التي بين جنبي. فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: «الآن يا عمر»^(٣).

قال سهل رحمه الله تعالى: من لم ير ولاية الرسول عليه في جميع الأحوال، ويرى نفسه في ملكه صلى الله عليه وسلم، لا يذوق حلاوة سنته؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه»^(٤).

(١) رواه البخاري ١/٦٤، والمراد بقوله: «لا يؤمن»، يعني: الإيمان الكامل، وفي هذا شرف عظيم له صلى الله عليه وسلم؛ حيث جعلت محبته مقدمة على كل المحبوبات.

(٢) رواه أحمد ٣/١٠٣، ١٧٤، ٢٣٠، ٢٨٨، والبخاري ١/٦٦، ٦٨، ٦٩، ومسلم ١٣/٢، والترمذي والنسائي ٨/٨٦، ٨٨، كلهم في الإيمان، وما في هذا الحديث ميزان يعرف به المسلم مقدار إيمانه ومحبه لله والرسول صلى الله عليه وسلم، فإن هذه منزلة عزيزة تدل على كمال إيمان صاحبها.

(٣) رواه البخاري في الشركة وفي الدعوات، وفي المناقب ٨/٥٤ وفي الإيمان والندور ١٤/٣٢٩، ٣٣٠، وهو من أفراد البخاري. وقوله: «الآن يا عمر»، يعني: الآن عرفت الحقيقة ونطقت بما يجب أن تكون عليه. وفي الحديث فضل هام لسيدنا عمر رضي الله تعالى عنه، وأنه كان فانيًا كباقي الصحابة في محبة النبي صلى الله عليه وسلم، لا يقدم عليه في ذلك غيره كائنًا من كان.

(٤) كلام سهل — وهو التستري أحد الزهاد — وجيه ومعقول، أما الحديث المشار إليه فتقدم تخريجه قريبًا.

ما جاء في ثواب محبته ﷺ

عن أنس رضي الله تعالى عنه أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: متى الساعة يا رسول الله؟ قال: «ما أعددت لها؟» قال: ما أعددت لها من كثير صلاة ولا صوم ولا صدقة ولكني أحب الله ورسوله. قال: «أنت مع من أحببت»^(١).

وعن صفوان بن عسال بن قدامة رضي الله تعالى عنه قال: هاجرت إلى النبي ﷺ فأتيته فقلت: يا رسول الله ناولني يدك أبايعك. فناولني يده، فقلت: يا رسول الله إني أحبك. قال: «المرء مع من أحب»^(٢).

وروى هذا اللفظ عن النبي ﷺ: ابن مسعود وأبو موسى. وعن أبي ذر بمعناه^(٣).

وعن علي عليه السلام أن النبي ﷺ أخذ بيد حسن وحسين فقال: «من أحبني وأحب هذين وأباهما وأمهما كان معي في درجتي يوم»

(١) رواه البخاري في المناقب ٤٩/٨، وفي الأدب ١٧٩/١٣، ومسلم في البر والصلة ١٦/١٨٥، ١٨٦، ١٨٨، وأبو داود في الأدب ٥١٢٧، والترمذي ٢٢٠٤. وفيه: قال أنس: فما فرحنا بشيء فرحنا بقول النبي ﷺ: «أنت مع من أحببت» قال أنس: فأنا أحب النبي ﷺ وأبا بكر وعمر، وأرجو أن أكون معهم بحبي إياهم، وإن لم أعمل بمثل عملهم.

(٢) رواه الترمذي في الزهد ٢٢٠٥، والنسائي في الطهارة وابن ماجه في الفتن، وأبو نعيم في الحلية ٣٧/٥ و ٢٨٥/٦ و ٣٠٨/٧ بسند صحيح على شرط مسلم.

(٣) حديث ابن مسعود رواه البخاري في الأدب ١٧٧/١٣، ١٧٨، ومسلم في البر ١٨٨/٦، وحديث أبي موسى رواه البخاري في الأدب ١٧٩/١٣، وحديث أبي ذر رواه أحمد ١٥٦/٥، وأبو داود في الأدب ٥١٢٦، والحديث متواتر، وفي هذا الحديث الشريف بجميع ألفاظه بشارة عظيمة للمحبين في الله والرسول ومن يتتمي إليهما جعلنا الله تعالى من صالحهم آمين.

ما روي عن السلف والأئمة من محبتهم للنبي ﷺ وشوقهم له
عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من أشد
أمتي لي حباً ناس يكونون بعدي، يود أحدهم لو رآني بأهله وماله»^(٢).
ومثله عن أبي ذر^(٣).

وتقدم حديث عمر رضي الله تعالى عنه وقوله للنبي ﷺ: «لأنت أحب
إلي من نفسي»^(٤).

وعن عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنه قال: «ما كان أحد أحب
إلي من رسول الله ﷺ»^(٥).

وعن عبدة بنت خالد بن معدان، قالت: ما كان خالد يأوي إلى فراش
إلا وهو يذكر من شوقه إلى رسول الله ﷺ وإلى أصحابه من المهاجرين

(١) رواه أحمد رقم ٥٧٦، والترمذي في المناقب ٣٥٠٤، وحسنه، كما حسنه الشيخ
أحمد شاکر في شرح المسند علماً بأن علي بن جعفر رضي الله تعالى عنهما
لا يعرف بجرح ولا تعديل.

(٢) رواه مسلم في كتاب الجنة ١٨ / ١٧٠، وابن حبان في صحيحه ٢١٥ / ١٦.

(٣) رواه أحمد ١٥٦ / ٥، ويا لها من بشارة في هذين الحديثين للمؤمنين المحبين لهذا
النبي العظيم وفيهما مع ذلك فضل من جاء بعده ممن يؤمن به غيباً.

(٤) تقدم تخريجه قريباً.

(٥) رواه مسلم مطولاً في الإيمان ١٣٧ / ٢، ١٣٨ عن عبد الله بن عمرو في سياقه
موته، وفيه: «أما علمت أن الإسلام يهدم ما قبله وأن الهجرة تهدم ما قبلها، وأن
الحج يهدم ما كان قبله...» الحديث، وفيه التنصيص على توبة عمرو بن العاص
عند موته مما سبق له من الدخول في الحروب والولاية، وغير ذلك، وأن ذلك
يؤيد صحة حديث: «ابنا العاص مؤمنان: هشام وعمرو»، رواه أحمد.

والأنصار يسميهم ويقول: هم أصلي وفصلي، وإليهم يحن قلبي، طال شوقي إليهم فعجل رب قبضي إليك . . حتى يغلبه النوم^(١).

وعن ابن إسحاق: أن امرأة من الأنصار قتل أبوها وأخوها وزوجها يوم أحد مع رسول الله ﷺ فقالت: ما فعل رسول الله ﷺ؟ قالوا: خيرًا هو بحمد الله كما تحبين، قالت: أرونيه حتى أنظر إليه . . فلما رآته قالت: كل مصيبة بعدك جلل^(٢).

وعن زيد بن أسلم رحمه الله تعالى قال: خرج عمر رضي الله تعالى عنه ليلة يحرس الناس فرأى مصباحًا في بيت، وإذا عجوز تنفس صوفًا وتقول:

عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَاةُ الْأَبْرَارِ صَلَّى عَلَيْهِ الطَّيِّبُونَ الْأَخْيَارُ
قَدْ كُنْتَ قَوْمًا بَكَاءًا بِالْأَسْحَارِ يَا لَيْتَ شِعْرِي وَالْمَنَايَا أَطْوَارُ
هَلْ تَجْمَعُنِي وَحَبِيبِي الدَّارُ

تعني النبي ﷺ، فجلس عمر رضي الله تعالى عنه يبكي^(٣).

ولما احتضر بلال رضي الله تعالى عنه نادى امرأته: وا حزناه، فقال!
واطرِّبَاه! غدا ألقى الأحبة، محمدًا وحزبه^(٤).

ولما أخرج أهل مكة زيد بن الدثنة رضي الله تعالى عنه من الحرم ليقتلوه قال له أبو سفيان: أنشدك الله يا زيد أتحب أن محمدًا الآن عندنا

(١) رواه أبو نعيم في الحلية ٥/٢١٠، وخالد هذا كان من كبار الزهاد العباد رضي الله تعالى عنه.

(٢) ذكر ذلك ابن إسحاق في السيرة ٢٥/١٤٣ مع الروض الأنف، وهو في الدلائل للبيهقي ٣/٣٠٢. وقولها: «جلل»، أي: صغير وقليل.

(٣) ذكره ابن المبارك في الزهد ٣٦٢، ٣٦٣، وهذه قصة عجيبة كسابقتها مما يدل على فناء السلف في محبة هذا الرسول العظيم سواء الذكور منهم والإناث.

(٤) وهو كما قال رضي الله تعالى عنه، فنعم الأحبة كانوا ونعم الحزب.

مكانك يضرب عنقه وأنت في أهلك؟ فقال زيد: والله ما أحب أن محمداً الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة وأني جالس في أهلي، فقال أبو سفيان: ما رأيت من الناس أحداً يحب أحداً كحب أصحاب محمد محمداً^(١).

وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: كانت المرأة إذا أتت النبي ﷺ حلفها بالله ما خرجت من بغض زوج ولا رغبة بأرض عن أرض، وما خرجت إلا حباً لله ورسوله ﷺ^(٢).

ووقف ابن عمر على ابن الزبير رضي الله تعالى عنهم بعد قتله فاستغفر له وقال: كنت والله ما علمت صواماً قواماً تحب الله ورسوله ﷺ^(٣).

علامات محبته ﷺ

اعلم أن من أحب شيئاً آثره وآثر موافقته، وإلا لم يكن صادقاً في حبه وكان مدعيًا، فالصادق في حب النبي ﷺ من تظهر علامة ذلك عليه.

وأولها: الاقتداء به واستعمال سنته، واتباع أقواله وأفعاله، وامتنال أوامره واجتناب نواهيه، والتأدب بأدابه في عسره ويسره، ومنشطه ومكرهه، وشاهد هذا قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١].

وإيثار ما شرعه وحض عليه على هوى نفسه وموافقة شهوته.

(١) أخرجه ابن إسحاق ١٦٩/٢، وأخرجه البيهقي في الدلائل ٣/٣٢٦، في شأن خبيب وأنه الذي قال ذلك، وقصة خبرهما في الصحيح مبسوطه.

(٢) أخرج ذلك ابن جرير في سورة الممتحنة ٢٨/٤٤ والبخاري، قال الهيثمي ٧/١٢٣ فيه قيس بن الربيع، وثقه شعبة والثوري وضعفه غيرهما.

(٣) رواه مسلم آخر الفضائل في قتل ابن الزبير ١٦/٩٨، ٩٩.

قال الله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ (١) [الحشر: ٩].

وإسقاط العباد في رضا الله تعالى ، فمن اتصف بما سبق فهو كامل المحبة لله ورسوله ، ومن خالفها في بعض هذه الأمور فهو ناقص المحبة ، ولا يخرج عن اسمها ، ودليله : قوله ﷺ للذي حده في الخمر فلعله بعضهم وقال : ما أكثر ما يؤتى به فقال النبي ﷺ : « لا تلغنه فإنه يحب الله ورسوله » (٢).

ومن علامات محبة النبي ﷺ كثرة ذكره له ، فمن أحب شيئاً أكثر من ذكره .

ومنها : كثرة الشوق إلى لقائه ، فكل حبيب يحب لقاء حبيبه .

وفي حديث الأشعريين عند قدومهم المدينة أنهم كانوا يرتجزون :

غَدًا نَلْقَى الْأَحَبَّ مُحَمَّدًا وَصَحْبَهُ (٣)

ومن علاماته - مع كثرة ذكره - : تعظيمه له وتوقيره عند ذكره ، وإظهار

الخشوع والانكسار مع سماع اسمه . وقد كان أصحاب النبي ﷺ بعده لا يذكرونه إلا خشعوا واقشعرت جلودهم وبكوا (٤) . وكان كثير من التابعين من

(١) في هذه الآية مدح للأتصار رضي الله عنهم بما ذكر فيها من الصفات التي كانوا متخلقين بها .

(٢) رواه البخاري في الحدود ١٥ / ٦٧٨٠ ، وفيه النهي عن لعن من يحب الله ورسوله من العصاة بأن عرف ذلك منه بالقرائن ، وفيه الرد على الخوارج وغيرهم ممن يكفرون العصاة ومن يرتكب الكبائر .

(٣) رواه البيهقي في الدلائل ٥ / ٣٥١ .

(٤) صح ذلك عن جماعة منهم ، وقد ذكر الدارمي في سننه جملة من ذلك ١ / ٧١ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٧٤ .

يفعل ذلك أيضًا محبة له وشوقًا إليه، ومنهم من يفعله تهيئًا وتوقيرًا.

ومنها: محبته لمن أحب النبي ﷺ ومن هو بسببه من آل بيته وصحابته من المهاجرين والأنصار، وعداوة من عاداهم وبغض من أبغضهم وسبهم؛ فمن أحب شيئًا أحب من يحب^(١).

وقد قال ﷺ في الحسن والحسين عليهما السلام: «اللهم إني أحبهما فأحبهما»^(٢). وفي رواية في الحسن: «اللهم إني أحبه فأحب من يحبه»^(٣). وقال ﷺ فيهما: «من أحبهما فقد أحبني، ومن أبغضهما فقد أبغضني»^(٤).

وقال في فاطمة رضي الله تعالى عنها: «إنها بضعة مني يغضبني من

(١) هذا من متطلبات الإيمان، فمن لا يحب في الله ولا يبغض فيه لا اعتداد بإيمانه ولا بمحبته.

(٢) رواه الترمذي في المناقب ٣٥٥٤، من حديث البراء، وحسنه وصححه. وانظر ما سبق ص ١٨٨.

(٣) هذه الرواية رواها أحمد ٣٣١/٢، ٣٢٩، والحميدي ١٠٤٣، والبخاري في البيوع ٢٤٤/٥، وفي اللباس ٤٥١/١٢، ومسلم في الفضائل ١٩٢/١٥، ١٩٣، والنسائي في الكبرى ٨١٦٤ وغيرهم من حديث أبي هريرة بلفظ: «اللهم إني أحبه فأحبه وأحب من يحبه»، قال أبو هريرة: فما كان أحد أحب إليّ من الحسن بن علي بعدما قال رسول الله ﷺ ما قال. وفيه — مع عظم فضل سيدنا الحسن وأخيه سيدنا الحسين عليهما السلام — : بشارة لمن يحبهما بأن الله يحبه، ويالها من كرامة فإن من أحبه الله لا يشقى أبدًا.

(٤) رواه أحمد ٢٨٨/٢، والنسائي في الكبرى ٨١٦٢، وابن ماجه ١٤٣، والحاكم ١٦٦/٣، وصححه ووافقه الذهبي وقال البوصيري: إسناده صحيح ورجاله ثقات.

وفي الحديث أن محبة الحسنين شعار يستدل به على محبة رسول الله ﷺ وعكسه بالعكس عيادًا بالله من ذلك.

أغضبها»^(١).

وقال لعائشة في أسامة بن زيد رضي الله تعالى عنه: «أحبيه فإنني أحبه»^(٢).

وقال: «آية الإيمان حب الأنصار، وآية النفاق بغضهم»^(٣). وقال: «الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضاً بعدي، فمن أحبهم فبحبي أحبهم ومن أبغضهم فبغضي أبغضهم، ومن آذاهم فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله، ومن آذى الله يوشك أن يأخذه»^(٤).

(١) رواه البخاري في المناقب ٨/ ٨٠، ١٠٦، وفي الخمس وفي النكاح، ومسلم في الفضائل ١٦/ ٢، ٣، ٤، وغيرهما من حديث المسور بن مخرمة في قصة إرادة الإمام على التزوج ببنت أبي جهل. وقوله: «بضعة» بفتح الباء، أي: قطعة.

وفي الحديث دليل على أن إغضاب مولاتنا فاطمة عليها السلام إغضاب لرسول الله ﷺ، وهذا ليس على إطلاقه، بل ذلك مقيد بما إذا كان ظلماً لها أو مع الإصرار على إغضابها، وإلا كان الإمام علي أول من يناله هذا الوعيد، وحاشاه من ذلك، وكذلك ما حصل لها مع أبي بكر رضي الله تعالى عنه، فإنه كان محققاً باراً فيما فعل معها رضي الله تعالى عنهما. ودع عنك افتراء المفترين من الشيعة الضالين.

(٢) رواه الترمذي في المناقب ٣٥٨٩ عن عائشة قالت: أراد النبي ﷺ أن ينحي مخاط أسامة، قالت عائشة: دعني حتى أكون أنا التي أفعل. قال: يا عائشة... إلخ، وسنده حسن.

(٣) رواه أحمد ٣/ ١٣٠، ٢٤٩، والبخاري ومسلم ٢/ ٦٣ كلاهما في الإيمان.

(٤) رواه أحمد ٤/ ٨٧ و ٥/ ٥٤، والترمذي ٣٦٣٠ في حديث عبد الله بن مغفل، وحسنه الترمذي وقوله: «الله الله»، أي: اتقوا الله وراقبوه في أصحابي. وقوله: «غرضاً» بفتح الحاء، أي: هدفاً ترمونهم بالقبائح والمساوىء، وكشف عوراتهم.

فهذه الأحاديث كلها دالة على وجوب محبة من كان يحبه رسول الله ﷺ من آل بيته ومواليه وأصحابه، وأن من كان بخلاف ذلك أو أضمر لهم العداوة أو انتقص أحداً منهم أو نال من أعراضهم كان مفترياً في محبته.

فالحقيقة أن من أحب شيئاً أحب كل شيء يحبه، وهذه كانت سيرة السلف، حتى في المباحات وشهوات النفس.

وقد قال أنس رضي الله تعالى عنه حين رأى النبي ﷺ يتبع الدباء من حوالي القصعة، فما زلت أحب الدباء من يومئذ^(١).

وهذا الحسن بن علي وعبد الله بن عباس وابن جعفر رضي الله تعالى عنهم أتوا سلمى وسألوها أن تصنع لهم طعاماً مما كان يعجب رسول الله ﷺ^(٢). وكان ابن عمر رضي الله تعالى عنهما يلبس النعال السبتية ويصنع بالصفرة؛ إذ رأى النبي ﷺ يفعل نحو ذلك^(٣).

ومنها: بغض من أبغض الله ورسوله، ومعاداة من عاداه، ومجانبة من خالف سنته وابتدع في دينه، واستثقاله كل أمر يخالف شريعته.

قال الله تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [المجادلة: ٢٢]^(٤).

وهؤلاء أصحابه ﷺ قد قتلوا أحبائهم وقتلوا آباءهم وأبناءهم في مرضاته.

(١) رواه البخاري في الأطعمة، ومسلم في الأشربة ١٣/٢٢٣، ٢٢٤، والترمذي في الجامع، وفي الشمائل وأبو داود ٣٧٨٢، من حديث أنس نفسه. والدباء: هي اليقطين والقرع.

(٢) رواه الترمذي في الشمائل ١٧٩، من حديث سلمى زوجة أبي رافع رضي الله تعالى عنهما. وفي سنده ضعف.

(٣) رواه البخاري في اللباس ١٢/٤٢٥، ٤٢٦، وفي الحج، ومسلم في الحج ٨/٩٣ أوائله، من حديث ابن عمر نفسه مطولاً. «النعال السبتية هي المدبوغة، والسبت هو القطع.

(٤) المحادة: هي المخالفة. وفي الآية الكريمة ميزان يوزن به إيمان المرء حبه في الله وبغضه فيه.

وقال له عبد الله بن عبد الله بن أبي : لو شئت لأتيتك برأسه . يعني :
أباه^(١) .

ومنها : أن يحب القرآن الذي أتى به ﷺ ، وهدى به واهتدى وتخلق به
حتى قالت عائشة رضي الله تعالى عنها : كان خلقه القرآن^(٢) .
وحبه للقرآن تلاوته ، والعمل به ، وتفهمه ، ويحب سنته ، ويقف عند
حدودها .

قال سهل بن عبد الله رحمه الله تعالى : علامة حب الله حب القرآن ،
وعلامة حب القرآن حب النبي ﷺ ، وعلامة حب النبي ﷺ حب السنة ،
وعلامة حب السنة حب الآخرة ، وعلامة حب الآخرة بغض الدنيا ، وعلامة
بغض الدنيا أن لا يدخر منها إلا زادًا وبلغه إلى الآخرة^(٣) .

ومن علامات حبه للنبي ﷺ شفقتة على أمته ، ونصحه لهم ، وسعيه
في مصالحهم ، ورفع المضار عنهم كما كان ﷺ بالمؤمنين رؤوفًا رحيمًا .
ومن علامات تمام محبته : زهد مدعيها في الدنيا ، وإيثاره الفقر
واتصافه به .

وقد قال ﷺ لرجل – وقد قال له : والله إني لأحبك – : « إن كنت تحبني
فأعد للفقر تجفافًا ، فإن الفقر أسرع إلى من يحبني من السيل إلى منتهاه »^(٤) .

(١) عزاه الهيثمي ١٥٧٦١ للبزار ، وقال : رجاله ثقات . وفيه : « لا ، ولكن بر أباك
وأحسن صحبته » وهو من حديث أبي هريرة ، وله شاهد عن عبد الله نفسه ، رواه
الطبراني ، ورجال الصحيح ، وفيه انقطاع . انظر : المجمع ٣١٧/٩ . وهذه
نهاية محبة الله ورسوله ﷺ ، وهكذا كان كل الصحابة رضي الله عنهم .

(٢) تقدم تخريجه في أخلاقه ﷺ ، وهو في صحيح مسلم وغيره .

(٣) سهل بن عبد الله : هو التستري ، أحد الزهاد المشاهير . وقوله هذا نهاية في النفاسة .

(٤) رواه الترمذي في الزهد ٢١٧١ ، وابن حبان ٢٥٠٥ من حديث عبد الله بن مغفل ، =

ما معنى المحبة للنبي ﷺ وما حقيقتها

اختلف الناس في تفسير محبة الله ومحبة النبي ﷺ، وكثرت عباراتهم في ذلك، وهي في الحقيقة اختلاف أحوال، فقول: هي اتباع الرسول. وقول: اعتقاد نصرته، والذب عن سنته والانقياد لها، وهيبة مخالفته. وقول: هي دوام الذكر للمحبوب، وقول: إثارة المحبوب والشوق إليه. وقول: مواطأة القلب لمراد المحبوب؛ يحب ما أحب ويكره ما كره. وأكثر هذه العبارات إشارة إلى ثمرات المحبة.

أما حقيقتها: فهي الميل إلى ما يوافق الإنسان:

إما لاستلذاذه بإدراكه كحب الصور الجميلة، والأصوات الحسنة، والأطعمة، والأشربة اللذيذة مما كل طبع سليم مائل إليها لموافقته له.

أو لاستلذاذه بإدراكه بحاسة العقل والقلب معاني باطنة شريفة، كحب الصالحين والعلماء وأهل المعروف المأثور عنهم السير الجميلة والأفعال الحسنة، فإن طبع الإنسان مائل إلى الشغف بأمثال هؤلاء حتى يبلغ التعصب بقوم لقوم والتشيع من أمة في آخرين ما يؤدي إلى الجلاء عن الأوطان وهتك الحرم.

أو يكون حبه إياه لموافقته له من جهة إحسانه له وإنعامه عليه، فقد جبلت النفوس على حب من أحسن إليها، فإذا تقرر لك هذا نظرت هذه الأسباب كلها

وسنده حسن. وله شاهد عن أبي ذر، رواه الحاكم ٤/٢٣١، وصححه على شرط مسلم ووافقه الذهبي.

وقوله: «تجفامًا» بكسر التاء، هي آلة للحرب تجعل كدرع للفارس أو للإنسان، ومعناه: إن كنت صادقًا في محبتك فهنيئاً نفسك للصبر على بلايا القلة والحاجة والفاقة، وانظر آلة تقوية تقيك منه.

في حقه ﷺ فعلمت أنه ﷺ جامع لهذه المعاني الثلاثة الموجبة للمحبة .

أما جمال الصورة والظاهر وكمال الأخلاق والباطن فقد ذكرنا منها قبل ما لا يحتاج إلى زيادة .

وأما إحسانه وإنعامه على أمته فكذلك قد مر منه في أوصاف الله تعالى من رأفته بهم ورحمته لهم وهدايته إياهم ، وشفقته عليهم ، واستنقاذهم به من النار وأنه بالمؤمنين رؤوف رحيم ، ورحمة للعالمين ، ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه ، ويتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ويهديهم إلى صراط مستقيم .

فأي إحسان أجل قدرًا وأعظم خطرًا من إحسانه إلى جميع المؤمنين ، وأي إفضال أعم متعة وأكثر فائدة من إنعامه على كافة المسلمين ؛ إذ كان ذريعتهم إلى الهداية ومنقذهم من العماية ، وداعيتهم إلى الفلاح والكرامة ، ووسيلتهم إلى ربهم وشفيعهم ، والمتكلم عنهم ، والشاهد لهم ، والموجب لهم البقاء الدائم ، والنعيم السرمد ، فقد استبان لك أنه ﷺ مستوجب للمحبة الحقيقية شرعاً مما قدمناه من صحيح الأخبار ، وعادة وجبلة مما ذكرناه آنفاً .

فإذا كان الإنسان يحب من منحه في دنياه مرة أو مرتين معروفاً أو استنقذه من هلكة أو مضرة مدة التأذي بها قليل منقطع ، فمن منحه ما لا يبید من النعم ، ووقاه ما لا يغني من عذاب الجحيم أولى بالحب . وإذا كان يُحَبُّ بالطبع مَلِكٌ لحسن سيرته ، أو حاكم لما يؤثر من قوام طريقته ، أو قاصٌّ بعيد الدار لما يشاد من علمه أو كرم شيمته ، فَمَنْ جمع هذه الخصال على غاية مراتب الكمال أحق بالحب وأولى بالميل^(١) .

(١) فصلَّى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وأزواجه أئمة الابدین وجزاه عنا أفضل وأجل وأعلى ما جرى نبياً عن قومه ورسولاً عن أمته .

وقد قال علي رضي الله تعالى عنه في صفته ﷺ: من رآه بديهة هابه،
ومن خالطه معرفة أحبه^(١).

وجوب مناصحته ﷺ

قال الله تعالى: ﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يَنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا
لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَاعَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ٩١].

قال أهل التفسير: إذا نصحوا لله ورسوله: إذا كانوا مخلصين مسلمين
في السر والعلانية.

وعن تميم الداري رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن
الدين النصيحة». قالوا: لمن يا رسول الله؟ قال: «لله ولكتابه ولرسوله وأئمة
المسلمين وعامتهم»^(٢).

قال أئمتنا: النصيحة لله ولرسوله وأئمة المسلمين وعامتهم واجبة.
قال الخطابي رحمه الله تعالى: النصيحة كلمة يعبر بها عن جملة إرادة الخير
للمنصوح له، وليس يمكنه أن يعبر عنها بكلمة واحدة تحصرها، ومعناها في
اللغة: الإخلاص من قولهم نصحت العسل إذ خلصته من شمعه. وقال
الخفاف والزجاج: النصح فعل الشيء الذي فيه الصلاح والملاءمة.

فنصيحة الله تعالى: صحة الاعتقاد له بالوحدانية، ووصفه بما هو

(١) تقدم أول الكتاب ص ٨٥ وما بعدها.

(٢) رواه أحمد ١٠٢/٤، ومسلم في الإيمان ٢/٦/٢٧، وأبو داود في الأدب ٤٩٤٤،
والنسائي في البيعة رقم ٣٩١٣، وفي الباب عن أبي هريرة عند أحمد ٢/٢٩٧،
والترمذي في البر والصلة رقم ١٧٧١ يتهذيبي وسنده حسن لأجل ابن عجلان
وعن ابن عباس عند أحمد ١/٣٥١، وعن ابن عمر عند الدارمي في الرقاق
٢٧٥٧، ورجاله رجال الصحيح.

أهله، وتنزيهه عما لا يجوز عليه، والرغبة في محابه والبعد من مساخطه والإخلاص في عبادته.

والنصيحة لكتابه: الإيمان به والعمل بما فيه وتحسين تلاوته والتخشع عنده والتعظيم له وتفهمه والتفقه فيه والذب عنه من تأويل الغالين وطعن الملحدين.

والنصيحة لرسوله ﷺ: التصديق بنبوته وبكل ما جاء به، وبذل الطاعة له فيما أمر به ونهى عنه، والاعتصام بسنته ونشرها والحض عليها، والدعوة إلى الله وإلى كتابه وإلى رسوله وإليها وإلى العمل بها.

وقال أبو بكر الأجري رحمه الله تعالى وغيره: النصح له يقتضي نصحين: نصحا في حياته ونصحا بعد موته.

ففي حياته: نصح أصحابه له بالنصر والمحاماة عنه ومعاودة من عاداه والسمع والطاعة له وبذل النفوس والأموال دونه كما قال تعالى: ﴿رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ...﴾ الآية [الأحزاب: ٢٣]. وقال: ﴿وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ...﴾ الآية [الحشر: ٨].

وأما نصيحة المسلمين له بعد وفاته فالتزام التوقير والإجلال وشدة المحبة له، والمثابرة على تعلم سنته والتفقه في شريعته، ومحبة آل بيته وأصحابه، ومجانبة من رغب عن سنته وانحرف عنها، وبغضه والتحذير منه، والشفقة على أمته، والبحث عن تعرف أخلاقه وسيرته وآدابه والصبر على ذلك.

فعلى هذا تكون النصيحة إحدى ثمرات المحبة وعلامة من علاماتها كما تقدم.

وحكى الإمام أبو القاسم القشيري رحمه الله تعالى: أن عمرو بن

الليث الصفار أحد ملوك خراسان ومشاهير الثوار، رؤي في النوم فقيل له: ما فعل الله بك؟ فقال: غفر لي، فقيل: بماذا؟ قال: صعدت ذروة جبل يوماً فأشرفت على جنودي فأعجبني كثرتهم فتمنيت أني حضرت رسول الله ﷺ فأعنته ونصرته فشكر الله لي ذلك وغفر لي.

وأما النصح لأئمة المسلمين: فطاعتهم في الحق، ومعاونتهم فيه، وأمرهم به، وتذكيرهم إياه على أحسن وجه، وتنبيههم على ما غفلوا عنه وكنتم عنهم من أمور المسلمين، وترك الخروج عليهم وإغراء العامة وإفساد قلوبهم عليهم.

والنصح لعامة المسلمين: إرشادهم إلى مصالحهم ومعاونتهم في أمر دينهم ودنياهم بالقول والفعل، وتنبيه غافلهم، وتبصير جاهلهم، وإعانة محتاجهم، وستر عوراتهم، ودفع المضار عنهم وجلب المنافع إليهم^(١).



(١) انظر ما قاله الإمام النووي رحمه الله تعالى في شرح مسلم ٢/٢٨، ٢٩ على موضوع النصيحة، فقد: أجاد في ذلك وأفاد، وكذا ما قاله ابن رجب رحمه الله تعالى في شرح الأربعين النووية.

الباب الثالث

في تعظيم أمره ووجوب توقيره وبره ﷺ

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝٨﴾ لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ
وَرَسُولِهِ، وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝٩﴾ (١) [الفتح: ٨، ٩].

وقال تعالى: ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا نُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۝٢﴾ (٢)
[الحجرات: ١].

وقال تعالى: ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا
تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالِكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ۝١﴾ إِنَّ
الَّذِينَ يَغْضُونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلنَّقْوَى لَهُم
مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ۝٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا
يَعْقِلُونَ ۝٣﴾ (٣) [الحجرات: ٢ - ٤].

(١) وقرئت: (وتعززوه) بزاءين: ومعناه: تنصروه وتعظموه وتصيروه عزيزاً.

(٢) وفي الآية الكريمة ذم بالغ لأولئك المتشرعين الذين يقنون للناس قوانين يتحاكمون إليها ويمشون عليها في حياتهم وأنظمتهم، فيا ويلهم ويا خسارتهم.

(٣) هذه آيات كسابقتها خاطب الله تعالى بها صحابة رسول الله ﷺ بالأصالة وأرشدهم إلى الطريق الذي يجب عليهم سلوكه مع حضرة الرسول ﷺ، وتلك آداب رائعة تدل على علو مكانة هذا النبي العظيم ورفيع منزلته عند الله عز وجل.

وقال تعالى: ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا﴾^(١) [النور: ٦٣].

فأوجب تعالى تعزيره وتوقيره، وألزم إكرامه وتعظيمه. قال المفسرون رحمهم الله تعالى: تعزروه: تجلوه وتبالغوا في تعظيمه، وتنصروه وتعينوه^(٢).

ونهى عن التقدم بين يديه بالقول وسوء الأدب بسبقه بالكلام، قال العلماء: لا تقولوا قبل أن يقول وإذا قال فاستمعوا له وأنصتوا. ونهوا عن التقدم والتعجل بقضاء أمر قبل قضائه فيه، وأن يفتاتوا بشيء في ذلك من أمر دينهم إلا بأمره، ولا يسبقوه به^(٣).

ثم وعظهم وحذرهم مخالفة ذلك فقال: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الحجرات: ١]، أي: اتقوه في التقدم بين يديه، أو اتقوا الله في إهمال حقه وتضييع حرمة إنه سميع لقولكم عليم بفعلكم.

ثم نهاهم عن رفع الصوت فوق صوته والجهر لقوله كما يجهر بعضهم لبعض ويرفع صوته، قال العلماء: لا تسابقوه بالكلام وتغلظوا له بالخطاب، ولا تنادوه باسمه نداء بعضكم لبعض، ولكن عظموه ووقروه ونادوه بأشرف ما يحب أن ينادى به: يا رسول الله، يا نبي الله. وهذا كقوله تعالى في الآية

(١) المراد بالدعاء هنا النداء، أي: لا تنادوه باسمه المجرد أو نحو ذلك كما ينادى الواحد منكم صاحبه وقرينه؛ فإن ذلك لا يليق بمقام هذا النبي الكريم عليه الصلاة والسلام.

(٢) اتفق المفسرون على ما ذكره.

(٣) فإن كل ذلك يعد من سوء الأدب وأقبح أنواع التصرف مع الله ورسوله ﷺ، فليتأدب المسلم مع الحضرة الإلهية ومقام الرسول وليقف عند حده ولا يتعدى مقام العبودية.

الأخرى: ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا﴾^(١) [النور: ٦٣].

ثم خوفهم الله تعالى بحبط أعمالهم إن هم فعلوا ذلك وحذرهم منه .
والآية، قيل: نزلت في وفد بني تميم؛ أتوا النبي ﷺ فنادوه: يا محمد، يا محمد، اخرج إلينا. فذمهم الله بالجهل ووصفهم بأن أكثرهم لا يعقلون^(٢).
والآية الأولى نزلت في محاوراة كانت بين أبي بكر وعمر بين يدي النبي ﷺ واختلاف جرى بينهما حتى ارتفعت أصواتهما^(٣).

وقيل: نزلت في ثابت بن قيس، وأنه جلس في بيته وقال: أنا من أهل النار، فسأل عنه النبي ﷺ، فقال: لقد علمتم أني من أرفعكم صوتاً على النبي ﷺ فذكر ذلك للنبي ﷺ. فقال: «بل هو من أهل الجنة»^(٤).

وكان عمر رضي الله تعالى عنه بعد نزول الآية لا يُسمع رسول الله ﷺ حتى يستفهمه^(٥).

وقال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا﴾ [البقرة: ١٠٤].

-
- (١) واستدل بالآية الكريمة، من استحباب قران اسم النبي الشريف بلفظ السيادة ولو في الأذان والإقامة والتشهد وقد ألف في ذلك جماعة من أهل العلم ردًا وقبولاً.
 - (٢) رواه البخاري في التفسير ١٠/٣١٤، ٣١٥ من حديث عبد الله بن الزبير.
 - (٣) هو أيضاً عند البخاري ١/٢١٢، ٣١٣.
 - (٤) رواه مسلم في الإيمان ٢/١٣٤، ١٣٥، من حديث أنس: لما نزلت هذه الآية: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا﴾ [الحجرات: ٢]، جلس ثابت بن قيس في بيته . . . إلخ، وهو عند البخاري في التفسير ١٠/٣١٤، بنحوه بدون ذلك الآية.
 - (٥) هو عند البخاري ١٠/٢١٣، في سياق حديث عبد الله بن الزبير السابق قبل حديث.

قال بعض المفسرين: هي لغة كانت في الأنصار نهوا عن قولها تعظيمًا للنبي ﷺ وتبجيلًا له؛ لأن معناها: ارعنا نرعك. فنهوا عن قولها؛ إذ مقتضاها كأنهم لا يرعونه إلا برعايته لهم. بل حقه أن يرعى على كل حال. وقيل: كانت اليهود تُعَرِّضُ بها للنبي ﷺ بالرعونة، فنهى المسلمون عن قولها قطعًا للذريعة ومنعًا للتشبه بهم في قولها لمشاركة اللفظ^(١).

عادة الصحابة في تعظيمه وتوقيره وإجلاله ﷺ

عن عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنه قال: وما كان أحد أحب إلي من رسول الله ﷺ ولا أجل في عيني منه، وما كنت أطيق أن املاً عيني منه إجلالاً له، ولو شئت أن أصفه ما أطقت؛ لأنني لم أكن أملاً عيني منه^(٢).

وعن أنس رضي الله تعالى عنه: أن رسول الله ﷺ كان يخرج على أصحابه من المهاجرين والأنصار وهم جلوس فيهم أبو بكر وعمر فلا يرفع أحد منهم إليه بصره إلا أبو بكر وعمر، فإنهما كانا ينظران إليه وينظر إليهما ويبتسمان إليه ويبتسم لهما^(٣).

(١) وانظر في ذلك أقوال مفسري السلف عند ابن جرير ١/٤٦٩، ٤٧٢، وابن كثير ١/٢٥٩، ٢/١٦٠. والقول الراجح في ذلك هو الثاني كما يشير إلى ذلك اختيار ابن جرير وابن كثير رحمهما الله تعالى. وقوله: ومنعًا للتشبيه بهم: قال ابن كثير عند هذه الآية وبعد أن ذكر حديث ابن عمر: «... ومن تشبه بقوم فهو منهم»: رواه أحد وغيره، ففيه دلالة على النهي الشديد، والتهديد والوعيد على التشبه بالكفار في أقوالهم وأفعالهم ولباسهم وأعيادهم وعبادتهم، وغير ذلك من أمورهم التي لم تشرع لنا ولا نقر عليها...

(٢) رواه مسلم مطولاً وقد تقدم ص ٣٢٨.

(٣) رواه الترمذي في المناقب ٤٣٤، بسند حسن.

وروى أسامة بن شريك قال: أتيت النبي ﷺ وأصحابه حوله كأنما على رؤوسهم الطير^(١).

وقال عروة بن مسعود حين وجهته قريش عام الحديبية إلى رسول الله ﷺ ورأى من تعظيم أصحابه له ما رأى، وأنه لا يتوضأ إلاّ ابتروا وضوءه وكادوا يقتتلون عليه، ولا يبصق بصاقاً ولا يتنخم نخامة إلاّ تلقوها بأكفهم فدلکوا بها وجوههم وأجسادهم، ولا تسقط منه شعرة إلاّ ابتروها، وإذا أمرهم بأمر ابتروا أمره، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده، وما يمدون إليه النظر تعظيماً له — فلما رجع إلى قريش قال: يا معشر قريش إني جئت كسرى في ملكه، وقیصر في ملكه، والنجاشي في ملكه، وإني والله ما رأيت ملكاً في قوم قط مثل محمد في أصحابه. وفي رواية: إن رأيت ملكاً قط يعظمه أصحابه ما يعظم محمداً أصحابه، وقد رأيت قوماً لا يسلمونه أبداً^(٢).

وعن أنس قال: لقد رأيت رسول الله ﷺ والحلاق يحلقه، وأطاف به أصحابه، فما يريدون أن تقع شعرة إلاّ في يد رجل^(٣).

(١) رواه أحمد ٣٧٨/٤، والترمذي ١٨٨١، وأبو داود ٣٨٥٥، في الطب، وحسنه الترمذي وصححه، واللفظ لأحمد مطولاً، ورواه النسائي في الكبرى وكذا ابن ماجه.

(٢) رواه البخاري في الشروط ٢٥٧/٦، ٢٨٠، مطولاً، وفي المغازي مختصراً ٤٥٩/٨، ٤٦٠ من حديث المسور بن مخرمة.

(٣) رواه مسلم في الفضائل ٨٢/١٥، وفي هذه الأحاديث تعظيم بالغ من الصحابة للنبي ﷺ وإجلال منهم له وتكریم. وفي حديثي عروة وأنس جواز التبرک بآثار أهل الفضل وليس ذلك من الشرك في شيء، ولا هو من الذريعة إليه كما يقوله بعض أهل العلم، كما أن ذلك ليس من خصائصه ﷺ، فإن الخصائص لا تثبت إلاّ بدليل وهو هنا مفقود.

وفي حديث طلحة رضي الله تعالى عنه: أن أصحاب رسول الله ﷺ قالوا لأعرابي جاهل: سله عنم قضى نحبه؟ وكانوا يهابونه ويوقرونه. فسأله، فأعرض عنه إذ طلع طلحة فقال رسول الله ﷺ: هذا ممن قضى نحبه^(١).

وفي حديث قيله: فلما رأيت رسول الله ﷺ جالسًا القرفصاء أرعدت من الفرق، وذلك هيبة له وتعظيمًا^(٢).

احترام النبي ﷺ بعد موته لازم كحياته

واعلم أن حرمة النبي ﷺ بعد موته وتوقيره وتعظيمه لازم كما كان حال حياته وذلك عند ذكره ﷺ وذكر حديثه وسنته وسماع اسمه وسيرته ومعاملة آله وعترته وتعظيم أهل بيته وصحابته.

قال العلماء: واجب على كل مؤمن متى ذكره، أو ذكر عنده ﷺ أن يخضع ويخشع ويتوقر ويسكن من حركته ويأخذ في هيئته وإجلاله بما كان يأخذ به نفسه لو كان بين يديه ويتأدب بما أدبنا الله تعالى به^(٣).

(١) رواه الترمذي في التفسير ٢٩٩٥، وفي المناقب ٣٥١٣، وسنده حسن صحيح، وقوله: «قضى نحبه»، أي: وفي بعهدته ونذره حتى استشهد، وقد كان طلحة ممن قتل شهيدًا في وقعة الجمل؛ رماه مروان بن الحكم بنبل في ركبته رضي الله تعالى عنه.

(٢) تقدم تخريج ذلك في أخلاقه ﷺ ص ١٠٨.

(٣) قال ابن كثير رحمه الله تعالى في تفسيره من سورة الحجرات ٦/٣٧٠: وقال العلماء: يكره رفع الصوت عند قبره ﷺ كما كان يكره في حياته عليه الصلاة والسلام؛ لأنه محترم حيًا، وفي قبره ﷺ دائمًا... وقال قبل ذلك: وقد روينا عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه: أنه سمع صوت رجلين في مسجد النبي ﷺ قد ارتفعت أصواتها فجاء فقال: أتدريان أين أنتما؟ ثم قال: من =

قال القاضي أبو الفضل رحمه الله تعالى: وهذه كانت سيرة سلفنا الصالح وأئمتنا الماضية رضي الله تعالى عنهم.

وفي مناظرة أبي جعفر المنصور العباسي مالكا رحمه الله في مسجد رسول الله ﷺ فقال له مالك: يا أمير المؤمنين لا ترفع صوتك في هذا المسجد، فإن الله تعالى أدب قوماً فقال: ﴿لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾، ومدح قوماً فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ﴾، ودم قوماً فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون﴾ [الحجرات: ٢ - ٤]. وإن حرمة ميتا كحرمة حيا. فاستكان لها أبو جعفر^(١).

وقال مالك - وقد سئل عن أيوب السخيتاني - ما حدثكم عن أحد إلا وأيوب أفضل منه. قال: وحج حجتين، فكنت أرمقه، ولا أسمع منه غير أنه كان إذا ذكر النبي ﷺ بكى حتى أرحمه، فلما رأيت منه ما رأيت وإجلاله للنبي ﷺ كتبت عنه.

وقال مصعب بن عبد الله كان مالك إذا ذكر النبي ﷺ يتغير لونه وينحني حتى يصعب ذلك على جلسائه، فقليل له يوماً في ذلك، فقال: لو رأيت ما رأيت لما أنكرتم علي ما ترون، ولقد كنت أرى محمد بن المنكدر - وكان سيد القراء - لا نكاد نسأله عن حديث أبداً إلا بكى حتى نرحمه. ولقد كنت أرى جعفر بن محمد وكان كثير الدعابة والتبسم فإذا ذكر عنده

= أين أنتما؟ قالوا: من أهل الطائف فقال: لو كنتما من أهل المدينة لأوجعتكما ضرباً.

(١) هذه الحكاية ذكرها المؤلف أيضاً في المدارك وأسندها من طريق علي بن فهر مؤلف فضائل مالك، وهي وإن كان سندها عنده ضعيفاً فإنه كلام حسن معقول. انظر المدارك ١/٢١١، والمواهب اللدنية بشرح الزرقاني ٦/٣٤٩.

النبي ﷺ اصفرَّ وما رأته يحدث عن رسول الله ﷺ إلا على طهارة، ولقد اختلفت إليه زمانًا فما كنت أراه إلا على ثلاث خصال: أما مصليًا، وإما صامتًا، وإما يقرأ القرآن، ولا يتكلم فيما لا يعنيه، وكان من العلماء والعباد الذي يخشون الله عزَّ وجلَّ. ولقد كان عبد الرحمن بن القاسم يذكر النبي ﷺ فيُنظر إلى لونه كأنه نَزف منه الدم وقد جف لسانه في فمه هيبة منه لرسول الله ﷺ. . . ولقد كنت آتي عامر بن عبد الله بن الزبير فإذا ذكر عنده النبي ﷺ بكى حتى لا يبقى في عينه دموع. ولقد رأيت الزهري وكان من أهدأ الناس وأقربهم، فإذا ذكر النبي ﷺ عنده فكأنه ما عرفك ولا عرفته. ولقد كنت آتي صفوان بن سليم وكان من المتعبدين المجتهدين فإذا ذكر النبي ﷺ بكى، فلا يزال يبكي حتى يقوم الناس عنه ويتركوه.

وروي عن قتادة أنه كان إذا سمع الحديث أخذ العويل والزويل^(١).

ولما كثر على مالك الناس قيل له: لو جعلت مستمليًا يسمعهم. فقال: قال الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾ [الحجرات: ٢]، وحرمة حيًا وميتًا سواء.

وكان ابن سيرين ربما يضحك، فإذا ذكر عنده حديث النبي ﷺ خشع. وكان عبد الرحمن بن مهدي إذا قرأ حديث النبي ﷺ أمرهم بالسكوت وقال: ﴿لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾ [الحجرات: ٢]، ويتأول: أنه يجب له من الإنصات عند قراءة حديثه ما يجب له عند سماع قوله.

(١) يقال: زال زواله وزويله، زال جانبه فزعًا وذعرًا وخوفًا. والمراد أخذه الخوف أيضًا. [المعجم الوسيط (زول)]

سيرة السلف في تعظيم رواية حديث رسول الله ﷺ

عن عمرو بن ميمون قال: اختلفت إلى ابن مسعود سنة فما سمعته يقول «قال رسول الله ﷺ» إلا أنه حدث يوماً فجرى على لسانه قال رسول الله ﷺ ثم علاه كرب حتى رأيت العرق ينحدر عن جبهته ثم قال: هكذا إن شاء الله أو فوق ذا أو ما دون ذا أو ما هو قريب من ذا. وفي رواية: فتربد وجهه. وفي رواية: وقد تغرغرت عيناه وانتفخت أوداجه.

وقال إبراهيم بن عبد الله بن قريم الأنصاري قاضي المدينة: مر مالك بن أنس على أبي حازم وهو يحدث فجازره وقال: إني لم أجد موضعاً أجلس فيه فكرهت أن آخذ حديث رسول الله ﷺ وأنا قائم.

وقال مالك رحمه الله تعالى جاء رجل إلى ابن المسيب فسأله عن حديث وهو مضطجع، فجلس وحدثه، فقال له الرجل: وددت أنك لم تتعن. فقال: إني كرهت أن أحدثك عن رسول الله ﷺ وأنا مضطجع.

وروي عن محمد بن سيرين رحمه الله تعالى أنه قد يكون يضحك فإذا ذكر عنده حديث رسول الله ﷺ خشع.

وقال أبو مصعب رحمه الله تعالى: كان مالك بن أنس رحمه الله تعالى لا يحدث بحديث رسول الله ﷺ إلا وهو على وضوء إجلالاً له. وحكى ذلك مالك عن جعفر بن محمد رضي الله تعالى عنهما.

وقال مصعب بن عبد الله: كان مالك بن أنس إذا حدث عن رسول الله ﷺ توضأ وتهياً ولبس ثيابه ثم يحدث. قال مصعب: فسئل عن ذلك فقال: إنه حديث رسول الله ﷺ.

قال مطرف: كان إذا أتى الناس مالكا خرجت إليهم الجارية فتقول لهم: يقول لكم الشيخ: تريدون الحديث أو المسائل؟ فإن قالوا: المسائل؛

خرج إليهم . وإن قالوا: الحديث؛ دخل مغتسله واغتسل وتطيب ولبس ثياباً
جدداً ولبس ساجه وتعمم ووضع على رأسه رداءه وتلقى له منصة فيخرج
فيجلس عليها وعليه الخشوع، ولا يزال يبخر بالعود حتى يفرغ من حديث
رسول الله ﷺ . قال غيره: ولم يكن يجلس على تلك المنصة إلا إذا حدث
عن رسول الله ﷺ . قال ابن أبي أويس: فقيل لمالك في ذلك؟ فقال: أحب
أن أعظم حديث رسول الله ﷺ، ولا أحدث به إلا على طهارة متمكناً . قال:
وكان يكره أن يحدث في الطريق أو وهو قائم أو مستعجل . وقال: أحب أن
أفهم حديث رسول الله ﷺ .

قال عبد الله بن المبارك رحمه الله تعالى: كنت عند مالك وهو يحدثنا،
فلدغته عقرب ست عشرة مرة وهو يتغير لونه ويصفر ولا يقطع حديث
رسول الله ﷺ . فلما فرغ من المجلس وتفرق عنه الناس قلت له:
يا أبا عبد الله لقد رأيت منك اليوم عجباً . قال: نعم، إنما صبرت إجلالاً
لحديث رسول الله ﷺ .

قال ابن مهدي: مشيت يوماً مع مالك إلى العقيق، فسألته عن حديث،
فانتهرني وقال لي: كنت في عيني أجل من أن تسأل عن حديث رسول الله ﷺ
ونحن نمشي .

قال عبد الله بن صالح: كان مالك والليث لا يكتبان الحديث إلا وهما
طهران . وكان قتادة يستحب أن لا يقر أحاديث النبي ﷺ إلا على وضوء
ولا يحدث إلا على طهارة . وكان الأعمش إذا أراد أن يحدث وهو على غير
وضوء تيمم . قال ضرار بن مرة: كانوا يكرهون أن يحدثوا على غير وضوء^(١) .

(١) هذا الفصل والذي قبله أكثر ما فيها مخرج بعضه عند ابن عبد البر في كتاب العلم
١٩٨/٢، ١٩٩، والباقي مذكور في المدارك للمؤلف ١/١٥٤، ١٥٥، ١٥٧،
والمواهب اللدنية ٦/٣١٦، ٣١٧ .

من توقيره برُّ آله وذريته وزوجاته ﷺ

ومن توقيره ﷺ وبره برُّ آله وذريته، وأمّهات المؤمنين أزواجه، كما حض عليه ﷺ وسلكه السلف الصالح رضي الله تعالى عنهم.

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ (١) [الأحزاب: ٣٣].

وقال تعالى: ﴿ وَأَزْوَاجَهُمْ أَهْلَهُمْ ﴾ (٢) [الأحزاب: ٦].

وعن زيد بن أرقم رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أنشدكم الله في أهل بيتي» ثلاثاً. قلنا لزيد: من أهل بيته؟ قال: آل علي، وجعفر، وآل عقيل، وآل العباس (٣).

(١) الآية الكريمة تشمل نساؤه ﷺ وبناته والحسين والإمام علياً عليهم السلام، واختلف في سبب نزولها، فقيل: نزلت بسبب نساته. وهو ظاهر سياق الآية. وقيل: نزلت في علي وفاطمة والحسين وعليهم السلام. ويدل له حديث أم سلمة رضي الله تعالى عنها: أن النبي ﷺ جلل على الحسن والحسين وعلي وفاطمة الكساء، ثم قال: «اللهم هؤلاء أهل بيتي وحامتي، أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً». رواه أحمد ٣٠٤/٦ والترمذي في المناقب ٣٦٣٩ بتهديسي، وله شواهد وطرق صحيحة ذكرتها في الأنوار الباهرة، منها: عن عائشة في صحيح مسلم ١٩٤/١٥، ١٩٥، وعن سعد بن أبي وقاص عنده أيضاً ١٧٥/١٥، ١٧٦، مطولاً، وفيه: «اللهم هؤلاء أهلي...». ويأتي قريباً ص ٣٥٢. وعلى كل فالآية تشمل جميع أهل بيته بما فيهم الذرية وزوجاته. وقوله: «وحامتي»، أي: أقاربي. وهي رواية الترمذي، وفي رواية أحمد: «وخاصتي» بالخاء والصاد.

(٢) أزواجه أمهاتنا في الحرمة والإجلال والتعظيم والبر، ولسن أمهات لنا كالوالدات في كل شيء.

(٣) الحديث رواه أحمد ٣٣٦/٤، ٣٣٧، ٣٧١، ومسلم في الفضائل ١٧٩/١٥، ١٨٠، والنسائي في الكبرى ٨١٤٨، وغيرهم بلفظ: «أذكركم الله في أهل بيتي». =

وقال ﷺ: «إني تارك فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، فانظروا كيف تخلفوني فيهما»^(١).

وعن عمر بن أبي سلمة رضي الله تعالى عنهما: لما نزلت: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣]، وذلك في بيت أم سلمة، دعا فاطمة وحسنا وحسينا فجللهم بكساء وعلى خلف ظهره، ثم قال: «اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهما الرجس وطهرهم تطهيراً»^(٢).

وعن سعد بن وقاص رضي الله تعالى عنه: لما نزلت آية المباهلة دعا رسول الله ﷺ علياً وحسناً وحسيناً وفاطمة وقال: «اللهم هؤلاء

= ومعناه: أذكركم مراقبة الله في الوصية باحترام أهل بيتي، والإحسان إليهم والبرور بهم، ورفع الأذى عنهم والصبر على جفاهم... وآله هنا هم المذكورون وأولادهم ومن تناسل منهم إلى يوم القيامة، فالتفرقة بينهم في المواصلة والبرور من شعار الشيعة الروافض الذين يوالون ذرية البعض ويعادون الباقي.

(١) رواه أحمد والترمذي في المناقب ٣٥٦٠ عن أبي سعيد وزيد بن أرقم بلفظ: «إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أحدها أعظم من الآخر: كتاب الله جبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، ولن يتفرقا حتى يردا على الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما» وسنده صحيح عن زيد، وله مع ذلك طرق صحيحة. وفي الحديث الوصاية بأهل البيت كالقرآن ووجوب التمسك بهما؛ فالقرآن أمره واضح، والعترة يتمسك بعلمائها الربانيين العاملين، وهم موجودون في كل زمان ومكان، فالتمسك بإرشاداتهم واتباعهم واحترامهم وإجلالهم مأمور به كالتمسك بالقرآن. وليس المراد بأهل البيت هنا ما يفهمه الروافض والشيعة الضالون الذين يتركون المحكمات من النصوص ويتعلقون بالمشابهات ليصلوا بذلك إلى تضليل الصحابة وعلماء الأمة وأئمتها ومن حذا حذوهم.

(٢) هذا رواه الترمذي في المناقب ٣٧٨٧، وهو من شواهد حديث أم سلمة السالف.

أهل بيتي»^(١).

وقال النبي ﷺ: «من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه»^(٢).

وقال فيه ﷺ: «لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق»^(٣).

(١) رواه أحمد ١/١٨٥، ومسلم ١٥/١٧٥، ١٧٦، والترمذي ٣٧٣٤ كلاهما في الفضائل والمناقب مطولاً، ورواه النسائي في الكبرى ٨١٤٩ والترمذي في التفسير ٢٩٩٩ مختصراً كما ذكره المؤلف، وهو يفيد ما أفاده ما سبق من أن هؤلاء أهل بيته ﷺ الخاصين.

(٢) رواه أحمد ٤/٤٧٠، وابن حبان ٢٢٠٥ وكذا النسائي في الكبرى ٨١٤٨ عن أبي الطفيل وزيد بن أرقم بسند صحيح. وللحديث طرق كثيرة، قال الحافظ: استوعبها ابن عقدة في كتاب مفرد، منها صحاح ومنها حسان... وقال السيوطي: متواتر. وقد تقدم ص ٢٠٧.

والمراد بالموالاة هنا موالاة المحبة والإسلام والنصرة، وليس المراد بها موالاة الإمامة؛ لأن ذلك يخالف الواقع، والنبي ﷺ لا يخبر بخلاف الواقع، ولأن حملها على ذلك يؤدي إلى تضليل الخلفاء الثلاثة والمهاجرين والأنصار الذين أجمعوا على مبايعتهم. وبهذا ضل الشيعة الرافضة واستحقوا من الله الخزي والطرده بتضليلهم لأفضل خلق الله بعد رسل الله وآل بيت نبيه ﷺ وهم أصحابه الأجلاء أبطال الإسلام وفتحوا الأمصار وناشروا السنة والقرآن والأحكام، رضي الله تعالى عنهم وأماتنا على محبتهم.

(٣) رواه أحمد ١/٨٤، ٩٥، والحميدي ٥٨، ومسلم في الإيمان ٣/٦٤، والترمذي في المناقب ٣٧٣٦، والنسائي في الإيمان من المجتبى ٨/١١٥، ١١٦، وفي الفضائل ٨١٥٣، وفي الخصائص ٨٤٨٥، ٨٤٨٦، ٨٤٨٧ من الكبرى، وابن ماجه ١١٤، وحسنه الترمذي وصححه.

وهذا البغض ليس على إطلاقه كما فهمه الروافض، بل هذا بغض خاص؛ لكونه من السابقين ومن قرابة رسول الله ﷺ ومصاهرتة له على بنته الطاهرة ولشدته على =

وقال للعباس: «والذي نفسي بيده لا يدخل قلب رجل الإيمان حتى يحبكم الله ورسوله»^(١).

وكان يأخذ بيد أسامة بن زيد والحسن رضي الله تعالى عنه ويقول: «اللهم إني أحبهما فأحبهما»^(٢).

وقال أبو بكر رضي الله تعالى عنه: ارقبوا محمدًا في أهل بيته^(٣).

وقال أيضًا: والذي نفسي بيده لقرابة رسول الله ﷺ أحب إلي أن أصل من قرابتي^(٤).

أعداء الله، فمن أبغضه لذلك فلا شك في كفره ونفاقه. أما بغضه لأمر شخصية خاصة عارضة كما يقع بين الأقارب وبين عامة الناس حسب الطبيعة البشرية، أو كان ذلك مع اجتهاد وتأويل فهذا لا يدخل في الحديث. ثم حتى إذا حملنا الحديث على ظاهره ووجدنا من يبغضه ممن صح لنا إيمانه وتواترت لدينا ديانته وإخلاصه كان ذلك نفاقًا عمليًا، بمعنى: أنه متصف بصفة من صفات المنافقين كالكذب والخيانة وخلف الوعد التي هي من صفات المنافقين وتوجد في كثير من المسلمين.

(١) رواه أحمد والطيالسي، والترمذي ٣٥٣١، والحاكم ٣/٣٣٣، وحسنه الترمذي وصححه، ومعناه: أن من لم يحب آل البيت الأطهار عليهم السلام لله ولرسوله ﷺ ولقرابتهم منه فليس بمؤمن إطلاقًا، أو كان في إيمانه خلل وليس خالصًا؛ لأنه لم يدخل قلبه.

(٢) رواه أحمد ٥/٣١٠، والبخاري في المناقب ٨/٨٩، ٩٠، ٩٦، وفي الأدب ١٣/٤٠، ٤١، والنسائي في الكبرى ٨١٧١، عن أسامة بن زيد رضي الله تعالى عنهما. فمن أحبه الله ورسوله ﷺ وجبت محبته وحرم بغضه ومجانبته. والحديث تقدم أيضًا ص ١٨٨.

(٣) رواه البخاري في المناقب ٨/٧٩، ٨٠ من حديث عائشة مطولاً.

(٤) نفس المرجع السابق.

وقال ﷺ: «أحب الله من أحب حسناً»^(١).

وقال ﷺ: «من أحبني وأحب هذين – وأشار إلى حسن وحسين – وأباهما وأمهما كان معي في درجتي في الجنة»^(٢).

وقال ﷺ: «من أهان قريشاً أهانه الله»^(٣).

وقال ﷺ: «قدموا قريشاً ولا تقدموها»^(٤).

وقال ﷺ لأم سلمة رضي الله تعالى عنها: «لا تؤذيني في عائشة»^(٥).

وعن عقبة بن الحارث: رأيت أبا بكر رضي الله تعالى عنه وجعل

(١) رواه الترمذي ٣٥٤٧، وابن ماجه ١٤٤، وابن حبان ٢٢٤٠، والحاكم ١٧٧/٣، وصححه ووافقه الذهبي. وقال البوصيري: إسناده حسن ورجاله ثقات. وفي الحديث بشارة هامة لمحبي الحسن وأن الله تعالى يحبهم.

(٢) تقدم تخريجه ص ٣٢٧.

(٣) رواه أحمد رقم ١٤٧٣، ١٥٨٦، ١٥٨٧، والترمذي ٣٦٧٠، والحاكم ٨٤/٤ من حديث سعد بن أبي وقاص، وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي وهو كما قالوا. وإنما كان مهين قريش مهاناً لأن النبي ﷺ منهم، فإهانتهم تشمله، وفي ذلك خطر كبير على دين المهين.

(٤) رواه البيهقي في معرفة السنن، وفي السنن ١٢١/٣ من طريقين مرسلين صحيحين عن ابن شهاب وأبي بكر بن أبي حثمة. ولهما شواهد تؤيدهما عن عبد الله بن السائب رواه الطبراني في الكبير، قال الهيثمي في الجمع ٢٥/١٠: وفيه أبو معشر، وحديثه حسن، وبقية رجاله رجال الصحيح. وعن علي عزاه السيوطي في الجامع الصغير إلى البزار، فالحديث صحيح، وأشار الحافظ في الفتح إلى صحته.

(٥) رواه أحمد ٢٩٣/٦، والبخاري في المناقب عن عائشة. والخطاب في قوله: «لا تؤذيني» لأم سلمة رضي الله تعالى عنها، التي كانت مرسلة إلى النبي ﷺ من طرق نسائه في شأن هدايا الصحابة إليه يوم عائشة.

الحسن على عنقه وهو يقول: بأبي شبيه بالنبي، ليس شبيهاً بعلي. وعلي رضي الله تعالى عنه يضحك^(١).

وعن الشعبي قال: صَلَّى زيد بن ثابت رضي الله تعالى عنه على جنازة أمه، ثم قربت له بغلته ليركبها فجاء ابن عباس فأخذ بركابه، فقال زيد: خل عنه يا ابن عم رسول الله ﷺ. فقال: هكذا نفعل بالعلماء. فقبل زيد يد ابن عباس وقال: هكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت نبينا^(٢).

ولما فرض عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه لابنه عبد الله في ثلاثة آلاف ولأسامة بن زيد في ثلاثة آلاف وخمسمائة قال عبد الله لأبيه: لم فضلته فوالله ما سبقني إلى مشهد. فقال: لأن زيدا كان أحب إلى رسول الله ﷺ من أبيك، وأسامة أحب إليه منك، فأثرت حب رسول الله ﷺ على حبي^(٣).

وقيل لابن عباس رضي الله تعالى عنهما: ماتت فلانة - لبعض أزواج النبي ﷺ - فسجد، فقيل له: أتسجد هذه الساعة؟ فقال: أليس قال رسول الله ﷺ: إذا رأيتم آية فاسجدوا، وأي آية أعظم من ذهاب أزواج النبي ﷺ^(٤).

-
- (١) رواه البخاري في مناقب الحسن ٩٧/٨ عن عقبة بن الحارث.
 - (٢) رواه الحاكم في الصحابة ٤٣٨/٣ و صححه. وهكذا كان السلف يعظم بعضهم بعضاً ويعرفون أقدار بعضهم.
 - (٣) رواه الترمذي في المناقب ٣٥٨٤ عن عمر، ورجاله رجال الصحيح غير سفيان بن وكيع ففيه لين مع عنعنة ابن جريج، ومع ذلك فالواقع يصدق.
 - (٤) رواه أبو داود في الكسوف ١١٩٧، والترمذي في المناقب باب فضل أزواج النبي ﷺ ٣٦٥٦ بتهديسي وسنده صحيح. ففيه أن ذهاب أهل الفضل وموتهم من آيات الله التي يذكر بها عباده المؤمنين.

وكان أبو بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما يزوران أم أيمن رضي الله تعالى عنها، مولاة النبي ﷺ، ويقولان: كان رسول الله ﷺ يزورها^(١).

من توقيره ﷺ توقير أصحابه وبرهم ومعرفة حقهم رضي الله عنهم

ومن توقيره ﷺ وبره: توقير أصحابه رضي الله تعالى عنهم، وبرهم ومعرفة حقهم والافتداء بهم وحسن الثناء عليهم والاستغفار لهم والإمساك عما شجر بينهم، ومعاودة من عاداهم، والإضراب عن أخبار المؤرخين وجهلة الرواة وضلال الشيعة والمبتدعين القادحة في أحد منهم. وأن يلتمس فيما نقل عنهم من مثل ذلك فيما كان بينهم من الفتن أحسن التأويلات، ويخرج لهم أصوب المخارج؛ إذ هم أهل لذلك، ولا يُذكر أحد منهم بسوء ولا يُغمص عليه أمر بل تذكر حسناتهم وفضائلهم وحميد سيرهم، ويسكت عما وراء ذلك^(٢).

كما قال ﷺ: «إذا ذكر أصحابي فأمسكوا»^(٣).

وقال الله تعالى: ﴿تُحَمَّدُ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ

(١) رواه مسلم في الفضائل ٩/١٦ عن أنس، وكل ما في الفصل بيان ما يوجب توقير النبي ﷺ، كالفصل التالي.

(٢) هذا مذهب الأئمة وكافة علماء أهل السنة كما يعلم من كتب السنة والعقائد، وهذا هو اللائق بالمسلم الملتزم والورع، ودع عنك المفتونين في دينهم والثرثارين الغالين.

(٣) رواه الطبراني في الكبير ٢٤٤/١٠، وحسنه الحافظ في الفتح بزيادة: «وإذا ذكر القدر فأمسكوا» فمقتضاه السكوت عند ذكر مساوي الصحابة وما جرى بينهم من الفتن والحروب والمهاجرة وأن يوكل أمرهم إلى الله تعالى.

يَبْنِيهِمْ... ﴿الآية (١) [الفتح: ٢٩].

وقال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (٢) [التوبة: ١٠٠].

وقال تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ...﴾ الآية (٣) [الفتح: ١٨].

وقال تعالى: ﴿رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ...﴾ الآية (٤) [الأحزاب: ٢٣].

وعن حذيفة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر» (٥).

(١) في هذه الآية الكريمة ثناء عاطر على الصحابة رضي الله تعالى عنهم مع ذكر أوصافهم في التوراة والإنجيل، وأن المؤمنين الصالحين منهم لهم من الله المغفرة والأجر العظيم.

(٢) هذه آية عظيمة في فضل السابقين من المهاجرين والأنصار ومن اتبعهم بإحسان وأن الله تعالى قد رضي عنهم ورضوا عنه وضمن لهم دخول جنته ودار نعميه، ولا شك أن من رضي الله تعالى عنه لا يسخط عليه أبداً وإن عمل ما عمل، ومن هؤلاء السابقين المرضي عنهم الخلفاء الأربعة رضي الله تعالى عنهم وباقي العشرة بإجماع من يعتد به. ودع عنك المفتريين من الروافض الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا.

(٣) هؤلاء هم أهل بيعة الرضوان بالحديبية وقد أخبر النبي ﷺ أنهم جميعهم من أهل الجنة، ولا يدخل النار أحد منهم كما جاء في صحيح مسلم ١٦/٥٧، ٥٨، وغيره عن أم مبشر.

(٤) هذه الآية تشمل كل الصحابة الصادقين من المهاجرين والأنصار وغيرهم ممن جاء بعدهم.

(٥) رواه أحمد ٥/٣٨٥، والترمذي في المناقب ٣٤٣، وابن ماجه ٩٧، وابن حبان =

وقال ﷺ: «الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضاً بعدي...» الحديث^(١).

وقال ﷺ: «لا تسبوا أصحابي فلوا أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه»^(٢).

وقال مالك بن أنس رحمه الله تعالى: من أبغض الصحابة وسبهم فليس له في فيء المسلمين حق، ونزع بآية الحشر: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ الآية^(٣) [الحشر: ١٠]، وقال: من غاظه أصحاب محمد فهو كافر، قال الله تعالى: ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾ [الفتح: ٢٩].

وقال عبد الله بن المبارك رحمه الله تعالى: خصلتان من كانتا فيه نجا: الصدق وحب أصحاب محمد ﷺ.

= ٢١٩٣ عن حذيفة بسند حسن، وكفاهما بهذا فضلاً وشرقاً حيث أمر المسلمون أن يقتدوا بهما، فيجب لذلك احترامهما وإجلالهما.

(١) تقدم تخريجه ص ٣٣٣.

(٢) رواه مسلم في الفضائل ٩٢/١٦، ٩٣، عن أبي هريرة. وفي الباب عن أنس عند أحمد ٢٦٦/٣، مع قصة في أوله. ورواه مسلم عن أبي سعيد الخدري بالقصة باختصار ٩٢/١٦، ٩٣، ورواه البخاري في المناقب ٣٣/٨ بدونها. وفي الحديث فضل عظيم للصحابة فلا يمكن لأحد سواهم الوصول إلى مراتبهم وفضلهم مهما كان حاله فكيف يليق بمن جاء بعدهم من أفراد الأمة أن يلوث لسانه بذكر مثالبهم ويتقدمهم في أعمالهم وسيرهم وهم المغفور لهم المرضي عنهم.

(٣) لأن الله تعالى جعل الناس ثلاثة أقسام: المهاجرين والأنصار، ثم من جاء بعدهم ممن يستغفر لهم وسأل الله أن لا يجعل في قلبه حقداً وبغضاً للذين آمنوا. إذا فمن كان من غير هؤلاء - وليس إلا الشيعة الروافض والخوارج - فلا يستحقون الفيء مع المسلمين إذا كان هناك فيء.

وقال أيوب السخيتاني رحمه الله تعالى : من أحسن الثناء على أصحاب محمد ﷺ فقد برىء من النفاق ، ومن انتقص أحداً منهم فهو مبتدع مخالف للسنة والسلف الصالح ، وأخاف أن لا يصعد له عمل إلى السماء حتى يحبهم جميعاً ويكون قلبه سليماً^(١) .

وقال ﷺ في الأنصار: اعفوا عن مسيئهم واقبلوا من محسنهم^(٢) .

وكان ﷺ: يخرج في جوف الليل إلى البقيع فيدعو لهم ويستغفر كالمودع لهم^(٣) ، وبذلك أمره الله تعالى ، وأمر ﷺ بحبهم وموالاتهم ومعاودة من عاداهم .

من إعظامه إكرام مشاهدته وأمكنته ﷺ

ومن إعظامه ﷺ وإكباره إعظام جميع أسبابه وإكرام مشاهدته وأمكنته من مكة والمدينة ومعاهدته وما لمسّه ﷺ أو عرف به .

ولهذا كان مالك رحمه الله تعالى لا يركب بالمدينة دابة وكان يقول: أستحي من الله أن أطأ تربة فيها رسول الله ﷺ بحافر دابة^(٤) .

(١) كلام الأئمة والعلماء في هذا الموضوع كثير ، وقد أوردت جملة وافية من ذلك في كتاب فضائل الصحابة .

(٢) رواه البخاري في المناقب ١٢٣/٨ ، ومسلم في الفضائل ٦٨/١٦ كلاهما عن أنس ونحوه عن ابن عباس عند البخاري ١٢٢/٨ ، ١٢٣ ، مطولاً ، للأنصار منزلة هامة عند الله وعند رسوله ﷺ لا تقل عن منزلة إخوانهم المهاجرين رضي الله تعالى عن جميعهم ، فيجب احترامهم والبرور بمن بقي من أولادهم .

(٣) رواه مسلم في الجنائز ٧/٤٠ ، ٤٤ ، عن عائشة رضي الله تعالى عنها مطولاً .

(٤) ولتقارن بينه وبين علمائنا اليوم من سكان المدينة ، فسجد بينه وبينهم بوناً شاسعاً . ولا شك أن ذلك يرجع إلى قوة الإيمان والمحبة .

وأفتى في من قال: تربة المدينة رديئة: يضرب ثلاثين درة. وأمر بحبسه، وقال: ما أحوجه إلى ضرب عنقه؛ تربة دفن فيها النبي ﷺ يزعم أنها غير طيبة^(١)!

وفي الصحيح أنه ﷺ قال في المدينة: «من أحدث فيها حدثاً أو آوى محدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً»^(٢).

وقال ﷺ: «من حلف على منبري كاذباً فليتبوأ مقعده من النار»^(٣).

حكى عن بعض المشايخ أنه حج ماشياً، فقبل له في ذلك فقال: العبد الآبق يأتي إلى بيت مولاه راكباً؟! لو قدرت أن أمشي على رأسي ما مشيت على قدمي^(٤).

قال القاضي رحمه الله تعالى: وجدير لمواطن عُمّرت بالوحي والتنزيل وتردد بها جبريل وميكائيل، وعرجت منها الملائكة والروح، وضجّت عرصاتها بالتقديس والتسبيح، واشتملت تربتها على جسد سيد البشر،

(١) لقد كان موفقاً رحمه الله تعالى في هذه الفتوى، لأن مثل ذلك الكلام لا يصدر من قلب مؤمن يحترم النبي ﷺ الذي كان يسمي مدينته المنورة طابة، كما جاء في الحديث الصحيح.

(٢) رواه مسلم ١٤١/٩، ١٤٢، عن الإمام علي رضي الله تعالى عنه. فاحترام المدينة ومجانبة الحدث والفسق و... فيها من توقيره ﷺ وإعظامه.

(٣) رواه أحمد ٣/٣٤٤، وأبو داود ٣٢٤٦، وابن ماجه ٢٣٢٥، وابن حبان ١١٩٢، والحاكم ٤/٢٩٦، ٢٩٧ من حديث جابر، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي. وله شاهد عن أبي هريرة رواه أحمد ٢/٣٢٩، ٥١٨، وابن ماجه ٢٣٢٦، والحاكم، وصححه، ووافقه الذهبي.

(٤) كلام المحبين وأفعالهم في هذا المعنى كثيرة في تراجم العلماء والزهاد.

وانتشر عنها دين الله وسنة رسوله ﷺ ما انتشر، مدارس آيات، ومساجد
 وصلوات، ومشاهد الفضائل والخيرات، ومعاهد البراهين والمعجزات،
 ومناسك الدين، ومشاعر المسلمين، ومواقف سيد المرسلين، ومنبأ خاتم
 النبيين، حيث انفجرت النبوة وأين فاض عبابها، ومواطن طويت فيها
 الرسالة، وأول أرض مس جلد المصطفى ترابها: أن تعظم عرصاتها،
 وتنسم نفحاتها، وتقبل ربوعها وجدранها.

يا دار خير المرسلين ومن به	هدي الأنام وخصَّ بالآيات
عندي لأجلك لوعةً وصبابةً	وتشوق مُتوقِّد الجَمَرَاتِ
وعليَّ عهد إن ملأت محاجري	من تِلْكُمْ الجُدْرَاتِ والعَرَصَاتِ
لأعْفَرَنَّ مَصُون شَيْبِي بَيْنَهَا	من كَثْرَةِ التَّقْيِيلِ والرَّشْفَاتِ
لولا العوادي والأعادي زُرْتُهَا	أبدًا وَلَوْ سَحَبَا على الوَجَنَاتِ
لكن سأهدي من حَفِيل تَحِيَّتِي	لِقَطِينِ تِلْكَ الدَارِ والحُجْرَاتِ
أزكى من المسك المُفْتَقِ نَفْحَةً	تَغْشَاهُ بِالْأَصَالِ والبُكْرَاتِ
وتخصُّه بزواكي الصَّلَوَاتِ وَثُمَّ	نَوَامِي التَّسْلِيمِ والبرَكَاتِ ^(١)



(١) الأشعار والقصائد في المدينة المنورة وأثارها لا تحصى كثرة، فالمحبون عبر
 العصور كل أدلى بما فاض به قلبه من التقدير والاحترام. . والحنان لذلك الجانب
 المقدس.

الباب الرابع في حكم الصلاة عليه والتسليم وفرض ذلك وفضيلته ﷺ

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ... ﴾ الآية (١)
[الأحزاب: ٥٦].

قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: معناه أن الله وملائكته يباركون
على النبي (٢).

قال المبرد: وأصل الصلاة الترحم فهي من الله رحمة، ومن الملائكة
رقة واستدعاء للرحمة من الله عز وجل.

وقد ورد في الحديث صفة صلاة الملائكة على من جلس ينتظر

(١) قال العلامة الصاوي رحمه الله تعالى: وهذه الآية فيها أعظم الدليل على أنه ﷺ مهبط الرحمات، وأفضل الأولين والآخرين على الإطلاق؛ إذ الصلاة من الله على نبيه رحمته المقرونة بالتعظيم، ومن الله على غير نبيه: مطلق الرحمة. قال: وبذلك صار منبع الرحمات ومنبع التجليات.

(٢) علقه عنه البخاري في تفسير هذه الآية من صحيحه ١٥١/١٠ ووصله ابن جرير في تفسيره ٤٣/٢٢. ومعنى قوله يباركون، أي: يدعون له البركة. قال ابن القيم في جلاء الأفهام ٩٠، وهذا لا ينافي تفسيرها بالثناء وإرادة التكريم والتعظيم؛ فإن التبريك من الله يتضمن ذلك... إلخ.

الصلاة: «اللَّهُم اغفر له، اللَّهُم ارحمه». فهذا دعاء^(١).

وقال بكر القشيري: الصلاة من الله تعالى لمن دون النبي ﷺ رحمة، وللنبي ﷺ تشريف وزيادة تكرمة^(٢).

وقال أبو العالية: صلاة الله ثناؤه عليه عند الملائكة، وصلاة الملائكة الدعاء^(٣).

قال أبو الفضل رحمه الله تعالى: وقد فرق النبي ﷺ في حديث تعليم الصلاة عليه بين لفظ الصلاة ولفظ البركة^(٤) فدل على أنهما بمعنيين.

وأما التسليم الذي أمر الله به عباده أن يسلموا به عليه ﷺ ففي معناه ثلاثة وجوه: أحدها: السلامة لك ومعك. الثاني: السلام على حفظك

(١) رواه البخاري في المساجد ١١١/٢، وفي الجماعة ٢٧٦، ومسلم في الصلاة ١٦٥/٥، ١٦٦، ١٦٧، من حديث أبي هريرة، وفي رواية للبخاري: «اللَّهُم صلِّ عليه، اللَّهُم ارحمه». وفي رواية عند ابن ماجه: «اللَّهُم تب عليه». غير أن هذا الدعاء من الملائكة عام لجميع المؤمنين.

(٢) هذا هو المشهور بين جمهور العلماء، فصلاة الله على نبيه الكريم ﷺ زيادة تشريف وتعظيم وتكريم، قال القرطبي في تفسيره: والصلاة من الله رحمته ورضوانه، ومن الملائكة الدعاء والاستغفار، ومن الأمة الدعاء والتعظيم لأمره. وقال غيره: إن الله جل وعلا يرحم نبيه ويعظم شأنه ويرفع مقامه، وملائكته الأبرار يدعون للنبي ويستغفرون له ويطلبون من الله أن يمجد عبده ورسوله وينيله أعلا المراتب.

(٣) علقه أيضا البخاري ٥١/١٠، ووصله ابن أبي حاتم كما نقله عنه الحافظ في الفتح.

(٤) يأتي تخريجه قريبا. قال الإمام ابن كثير رحمه الله: والمقصود من هذه الآية أن الله سبحانه وتعالى أخبر عباده بمنزلة عبده ونبيه عنده في الملأ الأعلى بأنه يثني عليه عند الملائكة المقربين، وأن الملائكة تصلي عليه، ثم أمر تعالى أهل العالم السفلي بالصلاة عليه؛ ليجتمع الثناء عليه من أهل العالمين العلوي والسفلي معًا.

ورعايتك متولاً له وكفيل به . فيكون بهذا معنى السلام : اسم الله . الثالث : أن السلام بمعنى المسالمة له والانقياد ، كما قال تعالى : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ٦٥ ﴾ [النساء : ٦٥] (١) .

حكم الصلاة على النبي ﷺ

إن الصلاة على النبي ﷺ فرض في الجملة غير محدد بوقت لأمر الله تعالى بالصلاة عليه ﷺ وحمل الأئمة والعلماء له على الوجوب ، وأجمعوا عليه (٢) وحكى أبو جعفر الطبري رحمه الله أن محمل الآية عنده على الندب ، وادعى فيه الإجماع (٣) ، ولعله فيما زاد على مرة ، والواجب منه الذي يسقط

(١) وأشمل من هذا وأوضح قول السخاوي رحمه الله في القول البديع ٦٧ : واختلف في معناه ، فقليل : السلام الذي هو اسم من أسماء الله عليك . وتأويله : لا خلوت من الخيرات والبركات ، وسلمت من المكاره والآفات ؛ إذ كان اسم الله إنما يذكر على الأمور توقعاً لاجتماع معاني الخير والبركة فيها ، وانتفاء عوارض الخلل والفساد عنها . ويحتمل أن يكون بمعنى السلام ، أي : ليكن قضاء الله عليك السلام ، وهو السلامة ، كالمقام والمقامة ، والملام والملامة ، أي : يسلمك الله تعالى من الملام والنقائص ، فإذا قلت : « اللهم سلِّم على محمد » فإنما تريد به : اكتب لمحمد في دعوته وأمته وذكره السلامة من كل نقص ، فتزداد دعوته على ممر الأيام علواً وأمته تكاثراً وذكره ارتفاعاً . قاله البيهقي .
قال السخاوي : ويحتمل أن يكون بمعنى المسالمة له والانقياد . إلى آخر ما ذكر المؤلف .

(٢) يعني بالإجماع : أنها فرض في الجملة من غير تعيين بحالة أو وقت .

(٣) وقد رد هذا الإجماع وأبطله جماعة من أهل العلم ، منهم ابن القيم في جلاء الأفهام ، وابن كثير في تفسيره ، بل قد قال ابن عبد البر رحمه الله تعالى : أجمع العلماء أن الصلاة على النبي ﷺ فرض على كل مؤمن ؛ لقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ٥٦ ﴾ [الأحزاب : ٥٦] .

به الحرج وما ثم ترك الفرض مرة كالشهادة له بالنبوة، وما عدا ذلك فمندوب مرغّب فيه من سنن الإسلام وشعار أهله .

قال ابن القصار: المشهور عن أصحابنا أن ذلك واجب في الجملة على الإنسان وفرض عليه أن يأتي بها مرة من دهره مع القدرة على ذلك^(١) .

وقال أبو بكر بن بكير: افترض الله تعالى على خلقه أن يصلوا على نبيه ويسلموا تسليمًا، ولم يجعل ذلك لوقت معلوم، فالواجب أن يكثر المرء منها ولا يغفل عنها^(٢) .

وقال أصحاب الشافعي: الفرض منها الذي أمر الله تعالى به ورسوله ﷺ هو في الصلاة، وأما في غيرها فلا خلاف أنها غير واجبة .

وحكى ابن القصار وعبد الوهاب: أن محمد بن المواز يراها فريضة في الصلاة كقول الشافعي .

وحكى أبو يعلى العبدى المالكي عن المذهب فيها ثلاثة أقوال: الوجوب، والسنية، والندب .

وقال ابن المنذر: يستحب أن لا يصلي أحد صلاة إلاّ صلى فيها على رسول الله ﷺ . فإن ترك ذلك تارك فصلاته مجزئة في مذهب مالك وأهل المدينة وسفيان الثوري، وأهل الكوفة من أصحاب الرأي . وهو قول جمل

(١) هذا المذهب نقل عن مالك والثوري والأوزاعي، وقال ابن عبد البر هو قول جمهور الأمة، وبهذا قال ابن حزم . وقال القرطبي المفسر: لا خلاف في وجوبها في العمر مرة وأنها واجبة في كل حين وجوب السنن المؤكدة، وسبقه إلى هذا ابن عطية فقال: الصلاة على النبي ﷺ في كل حال واجبة وجوب السنن المؤكدة التي لا يسع تركها ولا يغفلها إلاّ من لا خير فيه .

(٢) هذا موافق لمن يقول بالوجوب مطلقًا، كما هو ظاهر .

أهل العلم . وحكي عن مالك وسفيان أنهما في التشهد الأخير مستحبة، وأن تاركها في التشهد مسيء، وشذ الشافعي فأوجب على تاركها في الصلاة الإعادة، وأوجب إسحاق الإعادة مع تعمد تركها دون النسيان .

وخالف الخطابي من أصحاب الشافعي وغيره الشافعي في هذه المسألة فقال: ليست بواجبة في الصلاة . وهو قول جماعة الفقهاء إلا الشافعي، ولا أعلم له فيها قدوة .

والدليل على أنها ليست من فروض الصلاة عمل السلف الصالح قبله وإجماعهم عليه^(١)، وهذا تشهد ابن مسعود الذي علمه له النبي ﷺ ليس فيه الصلاة على النبي ﷺ، وكذلك كل من روى التشهد عن النبي ﷺ كابن عباس وأبي موسى وغيرهما، قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما كان النبي ﷺ يعلمنا التشهد كما يعلمنا السورة من القرآن^(٢) .

(١) مشروعية الصلاة على النبي ﷺ في الصلاة وبالأخص في التشهد لم يزل دأب المسلمين في كل العصور والأجيال خلفاً عن سلف . وقال بفرضيتها في التشهد الأخير من كل صلاة: ابن مسعود وابن عمر وأبو مسعود الأنصاري والشعبي ومقاتل وجعفر الصادق وابن راهويه والشافعي، والإمام أحمد في آخر قوليه، وهو أحد الأقوال للمالكية، وبه قال ابن المواز منهم . وهذا يبطل قول من نسب الإمام الشافعي إلى الشذوذ في ذلك كالمؤلف، والتشنيع عليه في هذا من التعصب المذهبي كما لا يخفى، فرحم الله الجميع وغفر لهم وأثابهم على نياتهم الصالحة .

ولمزيد التوسع في الاستدلال للطرفين راجع: جلاء الأفهام لابن القيم رحمه الله تعالى .

(٢) تشهد ابن مسعود رواه البخاري ٤٥٥/٢، وفي مواضع، ومسلم ٤/١١٥، ١١٧، وباقي الجماعة . أما تشهد ابن عباس فرواه مسلم ٤/١١٨، ١١٩، وأهل السنن . وتشهد أبي موسى رواه أيضاً مسلم ٤/١٢١، ١٢٢، وأبو داود ٩٧٢، وغيرهما .

المواطن التي يستحب فيها الصلاة والسلام على النبي ﷺ

ويرغب من ذلك في التشهد وذلك بعد التشهد الأخير وقبل الدعاء .
فعن فضالة بن عبيد رضي الله تعالى عنه قال : سمع النبي ﷺ رجلاً
يدعو في صلاته فلم يصل على النبي ﷺ فقال النبي ﷺ : «عَجِلْ هذا» ثم
دعاه فقال له ولغيره : «إذا صلى أحدكم فليبدأ بحمد الله والثناء عليه ثم ليصل
على النبي ﷺ ثم ليدع بعد بما شاء . وفي رواية : بتمجيد الله (١) .

وعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه : «إذا أراد أحدكم أن يسأل الله
شيئاً فليبدأ بمدحه والثناء عليه بما هو أهله ثم يصلي على النبي ﷺ ثم ليسأل
فإنه أجدر أن ينجح» (٢) .

ومن مواطن الصلاة عليه : عند ذكره وسماع اسمه أو كتابته أو عند
الأذان (٣) . وقد قال ﷺ : «رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصلي علي» (٤) .

(١) رواه أحمد ١٨/٦ ، والترمذي في الدعوات ٣٥٠ ، والنسائي في التمجيد والصلاة على
النبي ﷺ في الصلاة رقم ١٣١٧ ، والحاكم ١/٢٣٠ ، وحسنه الترمذي و صححه .

(٢) رواه عبد الرزاق في خطبة الحاجة من المصنف والطبراني ، قال النور في المجمع
١٥٥/١٠ ، ورجاله رجال الصحيح إلا أن أبا عبيدة لم يسمع من أبيه . . لكنه يتأيد
بسابقه . ويؤخذ من الحديثين أهم أداب الدعاء وهو حمد الله والثناء عليه وتمجيده
والصلاة على نبيه ﷺ .

(٣) يأتي تخريج حديث ما جاء في ذلك ص ٣٧٢ وما بعدها .

(٤) رواه مسلم في البر والصلوة ١٠٨/١٦ ، هكذا مختصراً ، ورواه الترمذي في
الدعوات ٣٣١٢ ، وإسماعيل القاضي في فضل الصلاة على النبي ﷺ ص ٩ ،
والحاكم ١/٥٩٤ ، من حديث أبي هريرة بسند صحيح ، وقوله : «رغم أنفه» أي :
لصق بالرغامة ، وهي التراب . وفيه ذم البخل بالصلاة على الرسول عند ذكره ﷺ ،
وكذلك ذم المقصر في صيامه ، والعاق لوالديه . كما فيه : أن صيام رمضان والبرور
بالوالدين من أسباب مغفرة الذنوب .

وكره العلماء رحمهم الله تعالى ذكر النبي ﷺ أو الصلاة عليه عند الذبح وعند العطاس، وعند التعجب، وقالوا: لا يصلى عليه إلا بقصد طلب الثواب. وروى النسائي عن أوس بن أوس عن النبي ﷺ الأمر بالإكثار من الصلاة عليه يوم الجمعة^(١).

ومن مواطن الصلاة والسلام عليه ﷺ: دخول المسجد فيصلّي ويسلم عليه ويقول: «اللّٰهُم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب رحمتك» وإذا خرج فعل مثل ذلك، وجعل موضع «رحمتك»: «فضلك» لحديث مولانا فاطمة رضي الله تعالى عنه في ذلك^(٢).

وقال عمرو بن دينار رحمه الله في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً﴾ [النور: ٦١]، قال: إن لم يكن في البيت أحد فقل: السلام على النبي ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، السلام على أهل البيت ورحمة الله وبركاته^(٣).

ومن مواطن ذلك: الصلاة على الجنائز. وذكر عن أبي أمامة أنها من السنة^(٤).

(١) رواه أبو داود ١٠٤٧، والنسائي ٧٥/٣، وابن ماجه ١٠٨٥، والحاكم ٢٧٨/١، بسند صحيح، وأوله: «إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة...» وفيه: «فأكثرُوا من الصلاة عليّ فيه».

(٢) رواه أحمد ٢٨٢/٦، والترمذي ٢٨٢، وابن ماجه ٧٧١، ورجاله ثقات. وله شواهد ذكرتها في تهذيب جامع الترمذي.

(٣) ذكره ابن جرير عنه في تفسيره للآية ١٨/١٧٣، وهو موقوف عليه لم يَأْثُرْ عن أحد.

(٤) رواه الشافعي في الأم ٢٣٩/١، ٢٤٠، وابن الجارود ٢٦٥، وإسماعيل القاضي في فضل الصلاة على النبي رقم ٩٤، والبيهقي ٤/٤٠، والحاكم ١/٣٦٠، وغيرهم عنه عن رجل من الصحابة، وصححه الحاكم والذهبي. ورواه =

ومن مواطنها أيضاً: الصلاة عليه ﷺ في الرسائل وما يكتب بعد البسمة. وعلى هذا عمل الأمة، ولم ينكره أحد، ولم يكن ذلك في الصدر الأول وإنما أحدث في ولاية بني هاشم، فمضى به عمل الناس في أقطار الأرض^(١).

ومن مواطن السلام عليه ﷺ: تشهد الصلاة^(٢). فعن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ قال: «إذا صَلَّى أحدكم فليقل: التحيات لله والصلوات والطيبات، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين. فإنكم إذا قلتموها أصابت كل عبد صالح في السماء والأرض»^(٣). هذا أحد مواطن التسليم وسنته أول التشهد.

كيفية الصلاة على رسول الله ﷺ

عن أبي حميد الساعدي رضي الله تعالى عنه أنهم قالوا: يا رسول الله كيف نصلي عليك؟ فقال: «قولوا: اللّهُمَّ صلِّ على محمد وأزواجه وذريته كما صليت على آل إبراهيم، وبارك على محمد وأزواجه وذريته كما باركت

= عبد الرزاق ٦٤٢٨، والنسائي ٦١/٤، وابن حزم ١٢٩/٥، عن أبي أمامة نفسه وسنده صحيح، وأبو أمامة هذا هو ابن سهل بن حنيف ولد في حياة النبي ﷺ يروي عنه مراسلاً.

(١) فيكون هذا من الإجماع العملي التقريري.

(٢) هذا إجماع لا خلاف فيه بين المسلمين.

(٣) تقدم تخريج هذا الحديث قريباً ص ٣٦٧.

هذا جملة ما ذكره القاضي رحمه الله تعالى من مواطن الصلاة عليه ﷺ، وهي نحو سبع، وذكر ابن القيم في الجلاء والسخاوي في القول البديع وغيرهما مواطن أخرى كثيرة، فيها ما لها دليل صحيح، وما لها دليل ضعيف أو واهٍ أو موضوع.

على آل إبراهيم إنك حميد مجيد»^(١).

وفي رواية: عن أبي مسعود الأنصاري رضي الله تعالى عنه: «قولوا: اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد وعلى آل إبراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد. والسلام كما قد علمتم»^(٢).

وفي رواية: كعب بن عجرة رضي الله تعالى عنه: «اللهم صلّ على محمد كما صليت على إبراهيم وبارك على محمد وآل محمد كما باركت على إبراهيم إنك حميد مجيد»^(٣).

وعن عقبة بن عمرو في رواية: «اللهم صلّ على محمد النبي الأمي وعلى آل محمد»^(٤).

وفي رواية أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه: «اللهم صلّ على محمد عبدك ورسولك»^(٥)، وذكر معناه.

(١) رواه البخاري في أحاديث الأنبياء، وفي الدعوات ١٣/٤٢٤، ٤٢٥، ومسلم ٤/١١٧، وأبو داود ٩٧٩، كلاهما في الصلاة. وفي هذا الحديث رد على الروافض الذين ينكرون أن يكون النبي ﷺ جمع زوجاته مع الذرية في الصلاة عليه.

(٢) رواه مالك في قصر الصلاة ومسلم ٤/١٢٤، ١٢٥، وأبو داود ٩٨٠، وغيرهم.

(٣) رواه البخاري في الدعوات ١٣/٤٢٠، ومسلم ٤/١٢٦، وباقي الجماعة.

(٤) هو الحديث السابق قبل حديث هامش رقم (٢)، فعقبة بن عمرو هو أبو مسعود الأنصاري البصري.

(٥) رواه البخاري في سورة الأحزاب ١٠/١٥٢، وفي الدعوات ١٣/٤١٨، وأحمد وغيرهما، فهذه الصيغة من أصح ما جاء عن النبي ﷺ في الصلاة الإبراهيمية وغيرها. وهناك صيغ وألفاظ كثيرة استوعبها الحافظان ابن القيم والسخاوي رحمهما الله تعالى ومن جاء بعدهما كالنبهاني وغيره.

وقوله: «والسلام كما قد علمتم» هو ما علمهم في التشهد من قوله: «السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين».

فضل الصلاة على النبي والتسليم والدعاء له ﷺ

عن عبد الله بن عمرو رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول وصلُّوا علي فإنه من صلَّى علي مرة واحدة صلَّى الله عليه عشراً، ثم سلوا لي الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة»^(١).

وعن أنس رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ قال: «من صلَّى عليَّ صلاة صلَّى الله عليه عشر صلوات، وحط عنه عشر خطيئات، ورفع له عشر درجات»^(٢).

وعن عبد الرحمن بن عوف رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ: «لقيت جبريل فقال لي: إني أبشرك أن الله تعالى يقول: من سلم عليك سلمت عليه ومن صلَّى عليك صليت عليه»^(٣).

وعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ: «أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم علي صلاة»^(٤).

(١) رواه أحمد ١٦٨/٢، ومسلم ٨٥/٤، وأبو داود ٥٢٣ وغيرهم.

(٢) رواه أحمد ١٠٢/٣، ٢٦١، والحاكم ٥٥٠/١، وصححه ووافقه الذهبي، ونحوه عن أبي طلحة ويأتي قريباً.

(٣) رواه الحاكم ٥٥٠/١، وصححه ووافقه الذهبي.

(٤) رواه الترمذي ٤٣٥، والبخاري في التاريخ ١٧٧/٥، وابن حبان ٢٣٨٩، وحسنه =

وعن أبي بن كعب رضي الله تعالى عنه: كان رسول الله ﷺ إذا ذهب ربيع الليل قام فقال: «يا أيها الناس اذكروا الله، جاءت الراجفة تتبعها الرادفة، جاء الموت بما فيه». فقال أبي بن كعب: يا رسول الله إنني أكثر الصلاة عليك فكم أجعل لك من صلاتي قال: «ما شئت». قال: الربيع قال: «ما شئت وإن زدت فهو خير» قال: الثلث؟ قال: «ما شئت وإن زدت فهو خير». قال: الثلثين؟ قال: «ما شئت وإن زدت فهو خير». قال: يا رسول الله فأجعل صلاتي كلها لك؟ قال: «إذا تكف همك ويغفرك ذنبك»^(١).

وعن أبي طلحة رضي الله تعالى عنه قال: دخلت على النبي ﷺ فرأيت من بشره وطلاقة ما لم أره قط فسألته، فقال: «وما يمنعني وقد خرج جبريل آنفًا فأتاني ببشارة من ربي عز وجل، أن الله تعالى بعثني إليك أبشرك

الترمذي وله شاهد عن أبي أمامة رواه البيهقي في السنن ٢٤٩/٣ وحسنه المنذري، وقال الحافظ: لا بأس به. وفي هذا الحديث فضل عظيم لأهل الحديث لأنهم أكثر الناس صلاة وسلامًا عليه ﷺ، فلهم البشرى بالكون مع النبي ﷺ وأحق الناس بشفاعته.

(١) رواه أحمد ١٣٦/٥، والترمذي في صفة القيامة ٢٢٧٨، والحاكم ٤٢١/٢، وإسماعيل القاضي ١٤/١٣، وسنده حسن وهو صحيح لطريق آخر عند أحمد بسند جيد كما قال المنذري. وقول أبي: (كم أجعل لك من صلاتي) يعني والله أعلم: إن لي زمانا أدعو فيه لنفسي فكم أجعل لك من ذلك الزمان للصلاة عليك. كذا نقله السخاوي في القول البديع عن بعض شراح المصابيح. وقيل غير ذلك. وفيه فضل الإكثار من الصلاة عليه ﷺ وأن المكثر منها يكفيه الله ما يهمله في حياته ويغفر له ذنبه، وهذه هي منى كل مؤمن. وأخذ بعضهم من هذا الحديث جواز إهداء ثواب القراءة وغيره للنبي ﷺ عقب القراءة والدعاء. انظر: القول البديع . ١٣٩

إنه ليس أحد من أمتك يصلي عليك إلا صَلَّى اللهُ عليه وملائكته بها عشراً»^(١).

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من صَلَّى عليَّ واحدة صَلَّى اللهُ عليه عشراً»^(٢).

وعن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما قال: قال النبي ﷺ: من قال حين يسمع النداء: اللّهُم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمداً الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته؛ حلت له شفاعتي يوم القيامة»^(٣).

وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه: «من قال حين يسمع المؤذن: وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، رضيت بالله رباً وبمحمد رسولاً، وبالإسلام ديناً؛ غفر له»^(٤).

ذم من لم يصل على النبي ﷺ، وإثمه

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي، ورغم أنف رجل دخل رمضان ثم انسلخ قبل أن يغفر له، ورغم أنف رجل أدرك عنده أبواه الكبر فلم يدخلاه الجنة»^(٥).

(١) رواه أحمد ٣٠/٤، والنسائي في فضل التسليم على النبي ﷺ رقم ١٢١٦، وابن

حبان ٢٣٩١، والحاكم ٤٢٠/٢، وصححه ووافقه الذهبي وهو صحيح لغيره.

(٢) رواه مسلم في الصلاة على النبي ﷺ بعد التشهيد ٤/١٢٧، ١٢٨، وأحمد ٣٧٢/٢، ٤٨٥.

(٣) رواه أحمد ٣/٣٣٧، والبخاري في الأذان وفي التفسير وأبو داود ٥٢٩، والترمذي

١٨٩، والنسائي ٢/٢٢، وابن ماجه ٧٢٢.

(٤) رواه أحمد ١/١٨١، ومسلم ٤/٨٦، والأربعة.

(٥) تقدم تخريجه ص ٣٦٨.

وفي حديث آخر: أن النبي ﷺ صعد المنبر فقال: «آمين» ثم صعد فقال: «آمين» ثم صعد فقال: «آمين» فسأله معاذ عن ذلك فقال: «إن جبريل عليه السلام أتاني فقال: يا محمد من سميت بين يديه فلم يصل عليك فمات فدخل النار فأبعده الله، قل: آمين. فقلت: آمين». وقال فيمن أدرك رمضان فلم يقبل منه فمات مثل ذلك، ومن أدرك أبويه أو أحدهما فلم يبرهما فمات مثله^(١).

وعن علي رضي الله تعالى عنه أن رسول الله قال: «إن البخيل كل البخيل من ذكرت عنده فلم يصل علي»^(٢).

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: أبو القاسم ﷺ: «أيما قوم جلسوا مجلسًا ثم تفرقوا قبل أن يذكروا الله ويصلوا على النبي ﷺ إلا كانت عليهم من الله ترة، إن شاء عذبهم وإن شاء غفر لهم»^(٣).

-
- (١) حديث صحيح جاء عن جماعة من الصحابة، منهم: مالك بن الحويرث، رواه ابن حبان رقم ٤٠٩ مع الإحسان، والطبراني في الكبير ٢٩١/١٩، قال في المجمع ١٠/١٦٦: فيه عمران بن أبان، وثقه ابن حبان وضعفه غير واحد، وبقية رجاله ثقات. ومنهم: كعب بن عجرة، رواه إسماعيل القاضي في فضل الصلاة على النبي ١٩، والطبراني في الكبير ١٩/١٤٤، والحاكم ٤/١٥٣، ١٥٤، وصححه ووافقه الذهبي، وقال في المجمع ١٠/١١٦: رجاله ثقات. ومنهم: أنس، عند إسماعيل القاضي ١٥. ومنهم: أبو هريرة، رواه إسماعيل ١٦ مختصرًا بسند صحيح، وإسماعيل ١٨، وابن حبان ٢٠٢٨، بالموارد مطولاً.
- (٢) رواه أحمد ١/٢٠١، وابن حبان ٢٣٨٨، وإسماعيل القاضي ١٤/١٦، والحاكم ١/٥٤٩، من حديث الحسين بن علي عليهما السلام بسند صحيح، ورواه الترمذي ٣٣١٣ عن علي، وصححه. وهو كما قال، وذلك لشواهد.
- (٣) رواه أحمد ٢/٤٨١، ٤٨٤، والترمذي ٣١٦٠، وابن حبان ٢٣٢٢، والحاكم ١/٥٥٠، وصححه على شرط البخاري ووافقه الذهبي، وهو عند أحمد وغيره =

تبليغ صلاة من صَلَّى عليه أو سلّم من الأنام

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «ما من أحد يسلم علي إلا رد الله علي روحي حتى أرد عليه السلام»^(١).

وعن ابن مسعود: «إن لله ملائكة سياحين في الأرض يبلغوني عن أمتي السلام»^(٢).

وفي حديث أوس: «أكثرُوا علي من الصلاة يوم الجمعة فإن صلاتكم معروضة علي»^(٣).

سنده صحيح. وقوله: «ترة» بكسر التاء، أي: نقص، وفي هذه الأحاديث ذم الغافلين عن الصلاة على النبي ﷺ وإهمالها وعدم الاهتمام بها، وما أكثر هذا الصنف من الناس وذلك لرقه دينهم وقلة محبتهم لهذا النبي العظيم. قال ابن العربي: فائدة الصلاة عليه ﷺ ترجع إلى الذي يصلي عليه؛ للدلالة ذلك على نصوص العقيدة وخلص النية وإظهار المحبة والمداومة على الطاعة والاحترام للواسطة الكريمة ﷺ. ذكره الحافظ في الفتح من كتاب الدعوات.

(١) رواه أحمد ٢/٢٢٧، وأبو داود ٢٠٤١، والبيهقي ٥/٢٤٥، كلاهما في الحج والطبراني في الأوسط رقم ٤٤٩ وغيرهم بسند حسن وصححه النووي في رياض الصالحين، وجوده العراقي في المغني ١/٢٧٩. ومعنى الحديث: أنه يرد عليه نطقه. كما قال ابن الملقن وغيره. لما علم أنه حي على الدوام، وروحه لا تفارقه أبدًا، لما صح أن الأنبياء أحياء في قبورهم. وقال الحافظ: الأحسن أن يؤول برد الروح بحضور الفكر. وهنا أقوال أخرى في معناه ليس هذا موضع إيرادها.

(٢) رواه أحمد ١/٣٨٧، والنسائي في باب السلام على النبي، آخر التشهد رقم ١٢١٥، والبخاري رقم ٨٤٥ مع كشف الأستار، وسنده صحيح على شرط مسلم. وقال النور في المجمع ٩/٢٤ برواية البزار: رجاله رجال الصحيح. وصححه غير واحد من أهل الحديث. وهذه فضيلة هامة لنبيه ﷺ مع بشارة عظيمة لمن يسلم عليه في أرجاء الأرض.

(٣) تقدم تخريجه ص ٣٦٩.

الاختلاف في الصلاة على غير النبي ﷺ

وسائر الأنبياء عليهم السلام

قال أبو الفضل رحمه الله تعالى: عامة أهل العلم متفقون على جواز الصلاة على غير النبي ﷺ. فإن الصلاة في لسان العرب بمعنى الترحم والدعاء، وذلك على الإطلاق حتى يمنع منه حديث صحيح، أو إجماع.

وقد قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ...﴾ الآية (١)
[الأحزاب: ٤٣]. وقال: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ﴾ [التوبة: ١٠٣] (٢).

وقال: ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ﴾ [البقرة: ١٥٧].

وقال النبي ﷺ: «اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى آلِ أَبِي أَوْفَى» (٣).

وكان إذا أتاه قوم بصدقتهم قال: «اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى آلِ فُلَانٍ» (٤).

وفي حديث الصلاة: «اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى أَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ»،
وفي آخر: «وعلى آل محمد» (٥). وآل الرجل: عشيرته، وآل بيته. وقيل:
هنا الذين حرمت عليهم الصدقة.

-
- (١) ذكر البخاري عن أبي العالية أن الصلاة من الله تعالى ثناؤه على العبد عند الملائكة. وعلى هذا حملة ابن كثير، فانظره.
 - (٢) الصلاة هنا المراد بها الدعاء، باتفاق المفسرين.
 - (٣) هو حديث واحد رواه البخاري في الزكاة ٤/١٠٤، وفي المغازي وفي الدعوات، ومسلم ٧/١٨٤، ١٨٥، وغيرهما، كلهم في الزكاة، وهو من حديث عبد الله بن أبي أوفى.
 - (٤) نفس المرجع السابق.
 - (٥) تقدم تخريجها في كيفية الصلاة على رسول الله ﷺ ص ٣٧٠، ٣٧١.

قال أبو الفضل رحمه الله تعالى: والذي ذهب إليه المحققون وأميل إليه، ما قاله مالك وسفيان، وروى عن ابن عباس، واختاره غير واحد من الفقهاء والمتكلمين: أنه لا يصلي على غير الأنبياء عند ذكرهم، بل هو شيء مختص به الأنبياء توقيراً وتعزيراً، كما يخص الله تعالى عند ذكره بالتنزيه والتقدیس والتعظيم، ولا يشاركه فيه غيره، كذلك يجب تخصيص النبي ﷺ وسائر الأنبياء بالصلاة والتسليم ولا يشارك فيه سواهم، كما أمر الله به بقوله: ﴿صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]. ويذكر من سواهم من الأئمة وغيرهم بالغفران والرضى. كما قال تعالى: ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾ [الحشر: ١٠]. وقال: ﴿وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ يَأْخُذْنِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

فهو - أي: السلام على غير الأنبياء ابتداءً وتخصيصاً - لم يكن معروفاً في الصدر الأول، وإنما أحدثه الرافضة والتمشيعية في بعض الأئمة فشاركوهم عند الذكر لهم بالصلاة وساووهم بالنبي ﷺ في ذلك. وأيضاً فإن التشبه بأهل البدع منهي عنه فتجب فيما التزموه من ذلك.

وذكر الصلاة على الآل والأزواج مع النبي ﷺ بحكم التبعية والإضافة إليه لا على التخصيص، قالوا: وصلاة النبي ﷺ على من صلى عليه مجراها مجرى الدعاء، والمواجهة، ليس فيها معنى التعظيم والتوقير. قالوا: وقد قال تعالى: ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا﴾ [النور: ٦٣]، فكذلك يجب أن يكون الدعاء له مخالفاً لدعاء الناس بعضهم لبعض^(١).

(١) في هذا الموضوع بحث هام عند ابن القيم في الجلاء، وعند السخاوي في القول البديع. والصحيح أن ذلك جائز على الآل وأمهات المؤمنين والذرية بالتبعية مطلقاً وانفراداً أحياناً لمن لا يتخذه شعاراً وعادة. وصنيع البخاري في صحيحه يدل على الجواز عنده، وبهذا القول قال ابن راهويه وأبو ثور وداود وغيرهم.

زيارة قبر النبي ﷺ وحكم ذلك وأدبها

وزيارة قبره ﷺ سنة من سنن المسلمين، مجمع عليها، وفضيلة مرغب فيها. وهي داخلة بالأولى في قوله ﷺ: «كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها»^(١).

قال العلماء: ومما لم يزل من شأن من حج المرور بالمدينة والقصد إلى الصلاة في مسجد رسول الله ﷺ والتبرك برؤية روضته ومنبره ومجلسه وملامس يديه ومواطن قدميه والعمود الذي كان يستند إليه وينزل جبريل بالوحي فيه عليه وبمن عمره وقصده من الصحابة وأئمة المسلمين والاعتبار بذلك كله^(٢).

وإذا دخل مسجد الرسول ﷺ يقول ما روته مولانا فاطمة عليها السلام أن النبي ﷺ قال: «إذا دخلت المسجد فصل على النبي ﷺ وقل: اللّهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب رحمتك، وإذا خرجت فصل على النبي ﷺ وقل: اللّهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب فضلك»^(٣).

ثم يقصد الروضة الشريفة – وهي: ما بين القبر والمنبر – فيركع فيها ركعتين قبل الزيارة فيحمد الله تعالى ويسأله تمام ما خرج إليه. وإن صلّى في أي بقعة من المسجد أجزاءه، وفي الروضة أفضل فقد قال ﷺ:

(١) رواه مسلم.

(٢) وقال النووي في شرح المهذب: واعلم أن زيارة قبر رسول الله ﷺ من أهم القربات وأنجح المساعي. وقال الشوكاني في نيل الأوطار: وزيارة قبره ﷺ من السنن الواجبة كما قال عبد الحق... إلخ، فاعجب أيها المسلم لبعض الفرق الضالة التي تمنع من زيارة المدينة ومن زارها منهم لا يدخل إلى المسجد النبوي الشريف فضلاً عن زيارة قبره المقدس ﷺ وهؤلاء أضل من فراشة.

(٣) تقدم تخريجه ص ٣٦٩.

«ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة، ومنبري على ترعة من ترع الجنة»^(١).

ثم يذهب فيقف أمام القبر الشريف متواضعًا متوقرًا فيصلي، ويسلم عليه بما يحضره، ويكفي: «السلام عليك أيها النبي، ورحمة الله وبركاته» ثم يسلم على أبي بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما ويدعو لهما بما هو لهما أهل.

قال نافع رحمه الله تعالى: كان ابن عمر رضي الله تعالى عنهما يسلم على القبر، رأته مائة مرة وأكثر يجيء إلى القبر فيقول: «السلام على النبي ﷺ، السلام على أبي بكر، السلام على أبي. ثم ينصرف»^(٢).

وقال مالك رحمه الله تعالى: إذا سلم على النبي ﷺ ودعا يقف ووجهه إلى القبر لا إلى القبلة ويدنوا ويسلم ولا يمس القبر بيده.

وفي رواية عنه: لا أرى أن يقف عند قبر النبي ﷺ يدعو ولكنه يسلم ويمضي^(٣).

فضل المدينة ومكة والمنبر والقبر

وفضل الصلاة في الحرمين

قال الله تعالى: ﴿لَمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ﴾ [التوبة: ١٠٨].

(١) رواه أحمد ٤٠١/٢، والبخاري ٤٧١/٤، في الحج وفي مواضع، ومسلم آخر الحج ١٦١/٩، ١٦٢. ورواية: «ومنبري على ترعة... إلخ»، رواه أحمد ٥٣٤/٢ بسند صحيح. والحديث وارد من طرق. و«الترعة» بضم التاء: الباب.

(٢) رواه البيهقي في السنن ٣٤٥/٥، وغيره.

(٣) كيفية الزيارة وأدابها مفصلة في كتب الفقه الإسلامي على سائر المذاهب.

جاء أن النبي ﷺ سئل : أي مسجد هو؟ قال : «مسجدي هذا»^(١) .
وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ قال : «لا تشد
الرحال إلَّا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد
الأقصى»^(٢) .

وعن أبي هريرة أيضًا عنه ﷺ قال : «صلاة في مسجدي هذا خير من
ألف صلاة فيما سواه إلَّا المسجد الحرام»^(٣) .

وهذا الاستثناء على ظاهره وأن الصلاة في المسجد الحرام أفضل؛
لحديث ابن الزبير رضي الله تعالى عنهما بمثل حديث أبي هريرة وفيه :
«صلاة في المسجد الحرام أفضل من الصلاة في مسجدي هذا بمائة
صلاة»^(٤) .

(١) رواه أحمد ١١٦/٥ ، ومسلم في الحج ١٦٨/٩ ، ١٦٩ من حديث أبي سعيد
الخدري ، وهذا لا ينافي أن مسجد قباء الذي نزلت فيه آية : ﴿ لَمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى
التَّقْوَى ﴾ [التوبة : ١٠٨] ، ثم هو ممن أسس على التقوى .

(٢) رواه أحمد ٢٧٨/٢ ، ٢٣٤ ، ٢٣٨ ، والبخاري ، في التطوع ٢٠٦/٣ ، ومسلم آخر
الحج ١٦٧/٩ ، ١٦٨ ، وغيرهم . ففي الحديث أن شد الرحال للسفر إلى مسجد
من المساجد ليصلى فيه لا يكون إلَّا لهذه الثلاثة لما لها من الامتياز والفضل
لكونها مساجد مواطن الوحي والديانات الإلهية .

(٣) رواه أحمد ٢٣٩/٢ ، ٤٦٦ ، ٤٩٩ ، وفي مواضع ، والبخاري في التطوع ٣٠٨/٣ ،
٣٠٩ ، ومسلم في الحج ١٦٣/٩ ، ورواه باقي الجماعة ، وأخرجه مسلم وغيره عن
ابن عمر وميمونة رضي الله تعالى عنهما .

(٤) رواه أحمد ٥/٤ ، وابن حبان ٥٩٩/٤ ، بسند صحيح . ويزيد هذا بيانًا لحديث جابر
رضي الله تعالى عنه الذي يقول فيه ﷺ : «صلاة في مسجدي أفضل من ألف صلاة
فيما سواه إلَّا المسجد الحرام، وصلاة في المسجد الحرام أفضل من مائة ألف
صلاة فيما سواه» . رواه أحمد ٣٤٣/٣ ، ٣٩٧ ، وابن ماجه رقم ١٤٠٦ ، وسنده
صحيح .

فيأتي فضل الصلاة في المسجد الحرام على هذا على الصلاة في سائر المساجد بمائة ألف . ولا خلاف أن موضع قبره ﷺ أفضل بقاع الأرض^(١) . وقد تقدم حديث : «ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة» والبيت هنا بيت سكناه وهو موضع قبره الذي دفن فيه ﷺ وكان بيتًا لعائشة رضي الله تعالى عنها .

وقوله في تمة هذا الحديث كما سبق : «ومنبري على حوضي» قيل : إن منبره بعينه الذي كان في الدنيا، وهو الظاهر . وقيل : يكون له هناك منبر آخر . وقيل : إن قَصْدَ مَنْبَرِي والحضور عنده لملازمة الأعمال الصالحة يورد الحوض ويوجب الشرب منه . والأول هو الظاهر . وقوله : «روضة من رياض الجنة» . يحتمل معنيين : أحدهما : أنه موجب لذلك وأن الدعاء والصلاة فيه يستحق ذلك من الثواب كما قال ﷺ : «الجنة تحت ظلال السيوف»^(٢) . والثاني : أن تلك البقعة قد ينقلها الله تعالى فتكون في الجنة بعينها . قاله الداودي . وروى ابن عمر وجماعة من الصحابة رضي الله تعالى عنه : أن النبي ﷺ قال في المدينة : «لا يصبر على لأوائها وشدتها أحد إلا كنت له شهيدًا أو شفيعًا يوم القيامة»^(٣) .

وقال ﷺ فيمن تحمل عن المدينة : «والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون»^(٤) .

(١) وكذا قال السيوطي في الخصائص وغيره .

(٢) رواه البخاري في الجهاد ٦/٣٧٤ ، وفي مواضع من حديث عبد الله بن أبي أوفى ، ورواه مسلم في فضل الجهاد ١٣/٤٦ من حديث عبد الله بن قيس .

(٣) رواه أحمد ٢/١٥٥ ، ومسلم ٩/١٥١ ، ١٥٢ ، والترمذي ٣٦٨٢ ، آخر المناقب عن ابن عمر ، ونحوه أبي هريرة عند مسلم ٩/١٥٢ ، والترمذي ٣٦٨٨ وغيرهما .

(٤) هذا وارد عن سفيان بن أبي زهير ، رواه البخاري ٤/٤٦٣ ، ومسلم ٩/١٥٨ ، ١٥٩ ، كلاهما في الحج . وعن أبي هريرة عند مسلم ٩/١٥٣ وغيره .

وقال: «المدينة كالكير تنفي خبثها وتنصع طيبها»^(١).

وقال: «لا يخرج أحد من المدينة رغبة عنها إلا أبدلها الله خيراً منه»^(٢).

وقال ﷺ: «من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت بها، فإني أشفع لمن يموت بها»^(٣).

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ﴿١﴾ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ﴿٢﴾ ﴾ [آل عمران: ٩٦].

(١) رواه البخاري آخر الحج ٤/٤٦٨، ومسلم ٩/١٥٥ كذلك، عن جابر. وقوله: «وتنصع طيبها» ضبطت بالتاء والياء، والصحيح الأول. و«طيبها» بفتح الطاء وتشديد الياء المكسورة وفتح الباء على المفعولية، ومعناه: أنها إذا نفت الخبيث من الناس خلصت ونفت الخبيث عن الطيب وتميز واستقر بها.

(٢) جاء هذا في حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه، رواه أحمد ١/١٨١، ١٨٥، ومسلم آخر الحج ٩/١٣٦ مطولاً كما جاء أيضاً في حديث أبي هريرة عند أحمد ٢/٤٣٩، ومسلم ٩/١٥٣. وقد تقدم تخريجه قبل حديث.

(٣) رواه أحمد ٢/٧٤، ١٠٤، والترمذي آخر المناقب ٣٦٨١، وابن ماجه ٣١١٢، وابن حبان ١٠٣١ بسند صحيح وحسنه الترمذي وصححه.

وفي هذه الأحاديث من فضائل مدينة الرسول ﷺ ما لا يخفى، وحق لها ذلك، فإنها مسكن أفضل العالمين ومضجع سيد الأولين والآخرين ﷺ وأزواجه وصحابته الطيبين الطاهرين.

(٤) لقد قصر القاضي رحمه الله تعالى جدًّا في ذكر فضائل مكة المكرمة، واقتصره على هذه الآية الوحيدة، رغم أن القرآن الكريم أشاد بهذا الحرم العظيم في كثير من الآي كقوله تعالى: ﴿ جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَمًا لِلنَّاسِ ﴿١﴾ ﴾ [المائدة: ٩٧]، وقوله عز وجل: ﴿ أَوْلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجِبِّي إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ وَّرِزْقًا مِّنْ لَّدُنَّا ﴿١﴾ ﴾ [القصص: ٥٧]، وقوله جل ثناؤه: ﴿ أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا =

قال بعض المفسرين: آمناً من النار. وقيل: آمناً به من الطلب مَنْ أحدث حدثاً خارج الحرم ولجأ إليه، كما كان في الجاهلية، وهذا مثل قوله تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾ [البقرة: ١٢٥]، على قول بعضهم والله أعلم وأحكم.



وَيُخَظَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ﴿ [العنكبوت: ٦٧]، وقوله: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ﴾ ﴿ [قريش: ٣]، يضاف إلى هذا قسمه تعالى بهذا الحرم الأمين كقوله: ﴿لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ ﴿١﴾ وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ ﴿٢﴾ ﴿ [البلد: ١، ٢]، وقوله: ﴿وَالَّذِينَ وَالرَّيثُونَ﴾ ﴿١﴾ وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾ وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ﴿٣﴾ [التين: ١ - ٣]، إلى غير ذلك مما جاء في القرآن الكريم. وهذا عدا ما جاء في السنة المطهرة من الأحاديث الصحيحة المعروفة المشهورة في الصحيح وغيرها.

القسم الثالث

فيما يجب للنبي ﷺ، وما يستحيل
في حقه أو يجوز، وما يمتنع أو يصح
من الأحوال البشرية أن يضاف إليه ﷺ

قال الله تعالى: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ... ﴾ الآية [آل عمران: ١٤٤].

وقال تعالى: ﴿ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَأَنَّا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ ﴾ [المائدة: ٧٥].

وقال عز من قائل: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لِيَأْكُلُوا الطَّعَامَ وَيَشْرَبُوا فِي الْأَسْوَاقِ ﴾ [الفرقان: ٢٠].

وقال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ... ﴾ الآية^(١) [الكهف: ١١٠].

(١) المقصود بإيراد هذه الآيات الاستدلال بها على أن الرسل صلوات الله وسلامه عليهم هم بشر تجري عليهم العوارض البشرية فهم مخلوقون تناسلوا من آدم أبي البشرية وأنهم يأكلون ويشربون ويخالطون الناس في أسواقهم ومجامعهم، وفي التالي يموتون كما يموت سائر البشر، وإنما امتازوا عن غيرهم بالوحي الإلهي، وتبليغ رسالات ربهم وما تفضل الله به عليهم من الاصطفاء.

فرسولنا محمد ﷺ وسائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام من البشر أرسلوا إلى البشر، ولولا ذلك لما أطاق الناس مقاومتهم والقبول عنهم ومخاطبتهم. وقال الله تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا﴾ [الأنعام: ٩]، أي: لما كان إلا في صورة البشر الذين يمكنكم مخالطتهم، إذ لا تطيقون مقاومة الملك ومخاطبته ورؤيته إذا كان على صورته.

وقال تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كَانَتْ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِينَ لَنَزَلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكَاتُ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ٩٥]، أي: لا يمكن في سنة الله إرسال الملك إلا لمن هو من جنسه أو من خصه الله تعالى واصطفاه وقواه على مقاومته كالأنبياء والرسل.

فالأنبياء والرسل صلوات الله وسلامه عليهم وسائط بين الله تعالى وبين خلقه يبلغونهم أوامره ونواهيه، ووعدده ووعدده، ويعرفونهم بما لم يعلموه من أمره وخلقه وجلاله وسلطانه، وجبروته وملكوته. فظواهرهم وأجسادهم وبنيتهم متصفة بأوصاف البشر، طارئاً عليها ما يطرأ على البشر من الأعراض والأسقام، والموت والفناء ونعوت الإنسانية. وأرواحهم وبواطنهم متصفة بأعلى من أوصاف البشر متعلقة بالملا الأعلى، متشبهة بصفات الملائكة، سليمة من التغير والآفات، لا يلحقها غالباً عجز البشرية ولا ضعف الإنسانية. إذ لو كانت بواطنهم خالصة للبشرية كظواهرهم لما أطاقوا الأخذ عن الملائكة ورؤيتهم ومخاطبتهم ومخالطتهم، كما لا يطيقه غيرهم من البشر، ولو كانت أجسادهم وظواهرهم متسمة بنعوت الملائكة وبخلاف صفات البشر لما أطاق البشر ومن أرسلوا إليه مخالطتهم، فجعلوا من جهة الأجسام والظواهر مع البشر، ومن جهة الأرواح والبواطن مع الملائكة^(١).

(١) وهذا من لطف الله ورحمته بعباده وحكمته العظيمة.

كما قال ﷺ: «لو كنت متخذًا من أمتي خليلًا لاتخذت أبا بكر خليلًا، ولكن أخوة الإسلام، لكن صاحبكم خليل الرحمن»^(١). وكما قال ﷺ: «تنام عيناى ولا ينام قلبى»^(٢). وقوله: «إنى لست كهيتكم؛ إنى أظل عند ربى يطعمنى ويسقبنى»^(٣). فبواطنهم منزهة عن الآفات، مطهرة عن النقائص والاعتلالات.

وإللكم تفصیل ما ذكرناه وذلك فى بابین:



(١) تقدم تخريجه والكلام على الخلة. انظر ص ١٨٦، ١٨٧.

(٢) تقدم تخريجه أيضا ص ١٠٢.

(٣) رواه البخاري ١٠٩/٥، ١١٠، ومسلم ٢٢٢/٧ كلاهما في الصيام عن أبي هريرة. وهذا الإطعام أو السقي ليسا من الماديات وإلا لم يكن صائما، والكلام في هذا الموضوع الروحاني طويل الذيل يحتاج إلى بسط.

الباب الأول

فيما يختص بالأمور الدينية والكلام في عصمة^(١) نبينا ﷺ وسائر الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم

اعلم أن الطوارئ من التغيرات والآفات على آحاد البشر لا يخلو أن تطرأ على جسمه أو على حواسه بغير قصد واختيار، كالأمرض والأسقام، أو تطرأ بقصد واختيار، وكله في الحقيقة عمل وفعل، ولكن جرى رسم المشايخ بتفصيله إلى ثلاثة أنواع: عقد بالقلب، وقول باللسان، وعمل بالجوارح. وجميع البشر تطرأ عليهم الآفات والتغيرات بالاختيار وبغير الاختيار في هذه الوجوه كلها. والنبي ﷺ وإن كان من البشر ويجوز على جبلته ما يجوز على جبلة البشر، فقد قامت البراهين القاطعة وتمت كلمة الإجماع على خروجه عنهم، وتنزيهه عن كثير من الآفات التي تقع على الاختيار، كما سنبينه إن شاء الله تعالى فيما نأتي به في الآتي من التفصيل.

(١) العصمة يراد بها الحفظ من المعصية والمنع من جميع الذنوب أيًا كانت، وهذا لا يكون إلا للأنبياء والملائكة، أما سائر البشر فغير معصومين لقوله ﷺ: «كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون»، رواه الترمذي وغيره، نعم قد يقع الحفظ من المعصية لبعض أولياء الله تعالى ومع ذلك فيجوز صدور الذنب منهم بخلاف الأنبياء.

حكم عقد قلب نبينا ﷺ من وقت نبوته

اعلم منحنا الله تعالى وإياك توفيقه أن ما تعلق منه بطريق التوحيد والعلم بالله وصفاته والإيمان به وبما أوحى إليه فعلى غاية المعرفة ووضوح العلم واليقين والإيمان به وبما أوحى إليه فعلى غاية المعرفة ووضوح العلم واليقين والانتفاء عن الجهل بشيء من ذلك أو الشك أو الريب فيه والعصمة من كل ما يضاد المعرفة بذلك واليقين .

هذا ما وقع إجماع المسلمين عليه ولا يصح بالبراهين الواضحة أن يكون في عقود الأنبياء سواه . ولا يعترض على هذا بقول الخليل إبراهيم عليه الصلاة والسلام: ﴿ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّ لَيَظْمِينَ قَلْبِي ﴾ [البقرة: ٢٦٠] .

إذ لم يشك إبراهيم في إخبار الله تعالى بإحياء الموتى، ولكن أراد طمأنينة القلب وترك المنازعة لمشاهدة الإحياء، فجعل له العلم الأول بوقوعه، وأراد العلم الثاني بكيفيته ومشاهدته .

الوجه الثاني: أن الخليل عليه السلام إنما أراد اختبار منزلته عند ربه، وعلم إجابته دعوته بسؤال ذلك من ربه، ويكون قوله تعالى: ﴿ أَوْلَمْ تُؤْمِنُوا ﴾ [البقرة: ٢٦٠]، أي تصدق بمنزلتك مني وخلتك واصطفائك؟! .

الوجه الثالث: أنه سأل زيادة يقين وقوة طمأنينة، وإن لم يكن في الأول شك إذ العلوم الضرورية والنظرية قد تتفاضل في قوتها، وطريان الشكوك على الضروريات ممتنع ويجوز في النظريات، فأراد الانتقال من النظر والخبر إلى المشاهدة، والترقي من علم اليقين إلى عين اليقين . «فليس الخبر كالمعاينة»^(١) .

(١) هذا طرف من حديث رواه أحمد ١ / ٢٧١، والحاكم ٢ / ٣٢١، عن ابن عباس بسند صحيح، وصححه الحاكم على شرطهما ووافقه الذهبي .

الوجه الرابع : أنه لما احتج على المشركين بأن ربه يحي ويميت طلب ذلك من ربه ليصح احتجاجه عياناً .

الوجه الخامس : قول بعضهم : هو سؤال على طريق الأدب ، المراد . أقدرني على إحياء الموتى . وقوله : ﴿ لِيَطْمِئَنَ قَلْبِي ﴾ [البقرة : ٢٦٠] عن هذه الأمنية .

الوجه السادس : أنه رأى من نفسه الشك وما شك ، لكن ليجابوب فيزداد قربه . وقول نبينا ﷺ : «نحن أحق بالشك من إبراهيم»^(١) نفي لأن يكون إبراهيم شك ، وإبعاد للخواطر الضعيفة أن تظن هذا بإبراهيم ، أي : نحن موقنون بالبعث وإحياء الله الموتى ، فلو شك إبراهيم لكننا أولى بالشك منه ، إما على طريق الأدب ، أو أن يريد أمته الذين يجوز عليهم الشك ، أو على طريق التواضع والإشفاق إن حملت قصة إبراهيم على اختيار حاله أو زيادة يقينه .

فإن قلت : فما معنى قوله تعالى : ﴿ فَإِنْ كُنْتَ فِي شكٍ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَسْئَلِ الَّذِينَ يَقرءُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ . . . ﴾ الآية [يونس : ٩٤] .

فاحذر ثبت الله قلبك أن يخطر ببالك ما ذكره فيه بعض المفسرين من إثبات شك للنبي ﷺ فيما أوحى إليه وأنه من البشر ، فمثل هذا لا يجوز عليه جملة ، بل قد قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما : لم يشك النبي ﷺ ولم يسأل . ونحوها عن ابن جبير والحسن وقتادة ، وعامة المفسرين على هذا^(٢) .

(١) رواه أحمد ٣٢٦/٢ ، والبخاري في الأنبياء ، وفي التفسير من البقرة ، ومسلم في

الفضائل ١٥/١٢٣ ، وهو من حديث أبي هريرة مطولاً . وانظر كتابي : العبر .

(٢) وانظر ابن جرير ١١/١٦٨ ، وابن كثير ٣/٥٢٩ .

واختلفوا في معنى الآية، فقيل: المراد: قل يا محمد للشاك: ﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكِّ . . .﴾ الآية [يونس: ٩٤]. قالوا: وفي السورة نفسها ما دل على هذا التأويل، وهو قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي شَكِّ مِّنْ دِينِي . . .﴾ الآية [يونس: ١٠٤]. وقيل: المراد بالخطاب العرب وغير النبي ﷺ، كما قال تعالى: ﴿فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْْبُدُ هَتُولَاءُ﴾ [هود: ١٠٩].

ونظيره كثير، وقد قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِعَايَتِ اللَّهِ . . .﴾ الآية [يونس: ٩٥]، وهو ﷺ كان المكذب فيما يدعو إليه، فكيف يكون ممن كذب به؟ فهذا كله يدل على أن المراد بالخطاب غيره.

وقيل: إن هذا الشك الذي أمر به غير النبي ﷺ بسؤال الذين يقرؤون الكتاب إنما هو فيما قصد الله من أخبار الأمم لا فيما دعا إليه من التوحيد والشريعة. وقيل غير ذلك.

فإن قيل: فما معنى قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا﴾ [يوسف: ١١٠] على قراءة تخفيف الذال.

قلنا: المعنى في ذلك ما قالته مولاتنا عائشة رضي الله تعالى عنها: معاذ الله أن تظن ذلك الرسل بربها، وإنما معنى ذلك أن الرسل لما استياسوا ظنوا أن من وعدهم النصر من أتباعهم كذبوهم وعلى هذا أكثر المفسرين^(١).

وكذلك ما ورد في حديث مبدأ الوحي من قوله ﷺ لخديجة رضي الله تعالى عنها: «لقد خشيت على نفسي»^(٢) ليس معناه الشك فيما أتاه الله بعد

(١) وهو الذي اختاره شيخ المفسرين ابن جرير ووجه ما قاله الجمهور، ورد ما عداه وزيفه، انظر: ٨٦/١٣، ٨٧. وأثر عائشة رضي الله تعالى عنها رواه البخاري في تفسير سورة يوسف ٩/٤٤٠، ٤٤١، وانظر ما قاله الحافظ هنالك.

(٢) رواه البخاري في بدء الوحي ١/٢٤، ٣٠، وفي الأنبياء ٧/٢٣٣، وفي التفسير ٨/٣٤٤، ٣٥٠ وفي التعبير، ومسلم في الإيمان ٢/١٩٧، ٢٠٤ وغيرهما.

رؤية الملك، ولكن لعله خشي أن لا تحتمل قوته مقاومة الملك وأعباء الوحي فينخلع قلبه هذا على ما ورد في الصحيح أنه قاله بعد لقائه الملك .
أو يكون ذلك قبل لقائه وإعلام الله تعالى له بالنبوة لأول ما عرضت عليه من العجائب، وسلم عليه الحجر والشجر، وبدأته المنامات والتباشير .
كما روي في بعض طرق هذا الحديث أن ذلك كان أولاً في المنام، ثم أري في اليقظة مثل ذلك تأنيساً له عليه الصلاة والسلام لئلا يفجأه الأمر مشاهدة ومشاهدة فلا يحتمله لأول حالة ببنيته البشرية .

ففي الصحيح عن سيدتنا عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: أول ما بدىء به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصادقة قالت: ثم حبب إليه الخلاء، وقالت: إلى أن جاءه الحق وهو في غار حراء . . . الحديث^(١) .

وفي رواية: أنه ﷺ قال لخديجة رضي الله تعالى عنها: «إني لأسمع صوتاً وأرى ضوءاً وأخشى أن يكون بي جنون»^(٢) .

وعلى هذا يتأول ما رأى وأنه كان كله في ابتداء أمره وقبل لقاء الملك له وإعلام الله له أنه رسوله، وأما بعد إعلام الله تعالى ولقائه الملك فلا يصح فيه ريب، ولا يجوز عليه شك فيما ألقى إليه ﷺ .

فإن قيل: فما معنى قوله ﷺ: «إنه ليغان على قلبي، فأستغفر الله كل يوم مائة مرة»، وفي رواية: «في اليوم أكثر من سبعين مرة»^(٣) .

(١) نفس المرجع السابق . وقد تقدم ص ١١٥ .

(٢) رواه أحمد وغيره من حديث ابن عباس، ورجاله رجال الصحيح كما في المجمع رقم ١٩٣٠ .

(٣) الرواية الأولى رواها أحمد ٢١١/٤، ٢٦٠، ومسلم في الدعوات ٢٣/١٧ وغيرهما، من حديث الأغر المزني . والثانية رواها النسائي وابن حبان عن أنس، لكن بلفظ: «إني لأتوب إلى الله في اليوم سبعين مرة»، وقد تقدم تخريجه بأبسط من هذا ص ١٥٥ .

فاحذر أن يقع ببالك أن يكون هذا الغين وسوسة أو ريبًا وقع في قلبه ﷺ، بل أصل الغين في هذا ما يتغشى القلب ويغطيه، وأصله من غين السماء، وهو إطباق الغيم عليها. وقيل: هو شيء يغشى القلب ولا يغطيه كل التغطية كالغيم الذي يعرض في الهواء ولا يمنع ضوء الشمس^(١). وكذلك لا يفهم من الحديث أنه يغان على قلبه مائة مرة أو أكثر من سبعين في اليوم؛ إذ ليس يقتضيه اللفظ الذي ذكرناه، وإنما هو عدد للاستغفار لا للغين.

فيكون المراد بهذا الغين إشارة إلى غفلات قلبه وفترات نفسه وسهوها عن مداومة الذكر ومشاهدة الحق بما كان ﷺ دفع إليه من مقاساة البشر وسياسة الأمة ومعاناة الأهل ومقاومة الولي والعدو ومصالحة النفس وما كلف به من أعباء أداء الرسالة وحمل الأمانة، وهو في كل هذا في طاعة ربه وعبادة خالقه.

ولكنه لما كان ﷺ أرفع الخلق عند الله مكانة وأعلاهم درجة، وأتمهم به معرفة، وكانت حاله عند خلوص قلبه وخلو همه وتفرده بربه وإقباله بكلية عليه، ومقامه هنالك أرفع حاله؛ رأى ﷺ حال فترته عنها وشغله بسواها غصًا من علا حاله وخفضًا من رفيع مقامه؛ فاستغفر الله من ذلك^(٢).

هذا أولى وجوه الحديث وأشهرها. وإلى معنى ما أشرنا إليه مال كثير من الناس. وهذا مبني على جواز الفترات والغفلات والسهو عليه ﷺ في غير طريق البلاغ على ما سيأتي.

وذهبت طائفة من أرباب القلوب ومشيخة المتصوفة — ممن قال بتنزيه

(١) وانظر شرح النووي على مسلم ١٧ / ٢٤، وتفسير ابن كثير عند قوله تعالى: ﴿بَلَّارًا

عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ...﴾ الآية [المطففين: ١٤]، وكتابي جواهر البحار رقم حديث ٥٦٤.

(٢) من باب (حسنات الأبرار سيئات المقربين) كما يقال.

النبي ﷺ عن هذا جملة، وأجله أن يجوز عليه في حال سهو أو فترة - إلى أن معنى الحديث ما يُهْمُّ خاطره ويغم فكره من أمر أمته ﷺ لاهتمامه بهم وكثرة شفقتة عليهم فيستغفر لهم. . قالوا: وقد يكون الغين هنا على قلبه: السكينة تتغشاها. لقوله تعالى: ﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتُهُ عَلَىٰ﴾ [الفتح: ٢٦]. ويكون استغفاره ﷺ عندها إظهاراً للعبودية والافتقار.

وقد يحتمل أن يكون هذا الغين حالة خشية وإعظام تغشى قلبه فيستغفر حينئذٍ شكرًا لله وملازمة لعبوديته^(١) كما قال في ملازمة العبادة: «أفلا أكون عبدًا شكورًا»^(٢).

فإن قلت: فما معنى قوله تعالى لرسوله حبيبنا محمد ﷺ: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأنعام: ٣٥]، وقوله لنوح عليه السلام: ﴿فَلَا تَتَّبِعُنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [هود: ٤٦].

فاعلم أنه لا يلتفت في ذلك إلى قول من قال في آية نبينا ﷺ: لا تكونن ممن يجهل أن الله لو شاء لجمعهم على الهدى، وفي آية نوح عليه السلام: لا تكونن ممن يجهل أن وعد الله حق، لقوله: ﴿وَإِن وَعَدَكَ الْحَقُّ﴾ [هود: ٤٥]، إذ فيه إثبات الجهل بصفة من صفات الله تعالى وذلك لا يجوز على الأنبياء^(٣). والمقصود: وعظهم أن لا يتشبهوا في أمورهم بسمات

(١) كل ما قاله يحتمله الحديث، وليس هناك ما يرجح أحد الاحتمالات على غيرها، قال ابن كثير: والرین يعتري قلوب الكافرين، والغيم للأبرار، والغين للمقربين.

(٢) تقدم تخريجه في عبادته ﷺ ص ١٥٣.

(٣) فإن الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم لا يجهلون ولا يجوز في حقهم أن يجهلوا أن الله عز وجل يفعل ما يشاء ويقضي ما يريد، فهم يعلمون على يقين أنه تعالى لو أراد لخلق العباد كلهم مؤمنين أو كافرين، وإنما المعنى: فلا تكن بالحرص =

الجاهلية، كما قال: ﴿إِنِّي أَعْظُكَ﴾ [هود: ٤٦] وليس في أية منها دليل على كونهم على تلك الصفة التي نهاهم عن الكون عليها، فكيف وآية نوح عليه السلام قبلها ﴿فَلَا تَسْتَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ فحمل ما بعدها على ما قبلها أولى، لأن مثل هذا قد يحتاج إلى أذن، وقد تجوز إباحة السؤال فيه ابتداءً فنهاه الله أن يسأله عما طوى عنه علمه وأكنه من غيبه من السبب الموجب لهلاك ابنه، ثم أكمل الله تعالى نعمته عليه بإعلامه ذلك بقوله عز وجل: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾ [هود: ٤٦]. كذلك أمر نبينا ﷺ في الآية الأخرى بالتزام الصبر على إعراض قومه، ولا يَجْزَعُ عند ذلك فيقارب حال الجاهل بشدة التحسر^(١).

وقيل: الخطاب للأمة، أي: فلا تكونوا من الجاهلين. ومثله في القرآن كثير.

فبهذا الفضل وجب القول بعصمة الأنبياء منه بعد النبوة قطعاً.

فإن قلت: فإذا قررت عصمتهم من هذا وأنه لا يجوز عليهم شيء من ذلك. فما معنى إذا وعيد الله تعالى لنبينا ﷺ على ذلك إن فعله وتحذيره منه؟ كقوله: ﴿لَيْنَ أَشْرَكَتَ لِيَحْبِطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَسِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥]. وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ...﴾ الآية [يونس: ١٠٦]. وقوله: ﴿إِذَا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ...﴾ الآية

= الشديد على إسلامهم أو الميل إلى نزول مقترحاتهم — من قوم ينسبون إلى الجهل بدقائق شؤونه تعالى. قاله الألوسي.

(١) بنحو هذا قال الجبائي المعتزلي كما نقله عنه الألوسي. ويقاربه قول الرازي، حيث قال: والمقصود أنه لا ينبغي أن يشتد تحسرك على تكذيبهم، ولا يجوز أن تجزع من إعراضهم عنك، فإنك لو فعلت ذلك قرب حالك من حال الجاهل. والمقصود من تغليظ الخطاب: التباعد والزر له عن مثل هذه الحالة. اهـ. ١٧٢/١٢.

[الإسراء: ٧٥]. وقوله: ﴿لَاخِذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿١٥﴾ ثُمَّ لَقَطْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴿١٦﴾...﴾
 الآيات [الحاقة: ٤٥، ٤٦]. وقوله: ﴿وَأِنْ تُطِيعْ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ
 عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الأنعام: ١١٦]. وقوله: ﴿فَإِنْ بَشَىٰ اللَّهُ بِمَخِيئَتِكَ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ الآية
 [الشورى: ٢٤]. وقوله: ﴿وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ [المائدة: ٦٧].
 وقوله: ﴿أَتَقِي اللَّهَ وَلَا تُطِيعُ الْكٰفِرِينَ وَالْمُنٰفِقِينَ﴾ [الأحزاب: ١].

فاعلم وفقنا الله وإياك أنه ﷺ لا يصح ولا يجوز عليه أن لا يبلغ، ولا
 أن يخالف أمر ربه، ولا أن يشرك به، ولا أن يتقول على الله ما لا يجب
 أو يفترى عليه، أو يضل أو يختم على قلبه، أو يطيع الكافرين، لكن يسر
 أمره بالمكاشفة والبيان في البلاغ للمخالفين، وأن إبلاغه إن لم يكن بهذه
 السبيل فكأنه ما بلغ.

ثم طيب نفسه وقوى قلبه بقوله: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾
 [المائدة: ٦٧]، كما قال لموسى وهارون عليهما الصلاة والسلام: ﴿لَا
 تَخَافَا﴾ [طه: ٤٦] لتشتد بصائرهم في الإبلاغ وإظهار دين الله ويذهب عنهم
 خوف العدو المضعف للنفس.

وأما قوله تعالى: ﴿وَلَوْ نَقُولَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَابِلِ ﴿١١﴾﴾ [الحاقة: ٤٤]،
 وقوله: ﴿إِذَا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ﴾ [الإسراء: ٧٥]، فمعناه: أن هذا جزاء
 من فعل هذا وجزاؤك لو كنت ممن يفعله، وهو ﷺ لا يفعله^(١).

وكذلك قوله: ﴿وَإِنْ تُطِيعْ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾
 [الأنعام: ١١٦]. فالمراد غيره، كما قال: ﴿إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ
 كَفَرُوا...﴾ الآية [آل عمران: ١٤٩].

(١) هذا الذي لا يجوز اعتقاد غيره في حقه ﷺ وحق غيره من سائر الأنبياء صلوات الله
 وسلامه عليهم.

وقوله: ﴿فَإِنْ يَشَأِ اللَّهُ يُخَيِّمَ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ [الشورى: ٢٤]، وقوله: ﴿لَيْنَ أَشْرَكَتَ لِيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [الزمر: ٦٥]، وما أشبهه فالمراد غيره، وأن هذه حال من أشرك. والنبي ﷺ لا يجوز عليه هذا.

وقوله: ﴿أَتَقَىٰ اللَّهَ وَلَا تَطِيعَ الْكٰفِرِينَ﴾ [الأحزاب: ١]، فليس فيه أنه أطاعهم. والله ينهاه عما يشاء، ويأمر بما يشاء كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ . . .﴾ الآية [الأنعام: ٥٢]، وما كان طردهم ﷺ ولا كان من الظالمين.

عصمة الأنبياء من هذا النوع قبل النبوة

وأما عصمتهم من هذا الفن قبل النبوة فللناس فيه خلاف. والصواب أنهم معصومون قبل النبوة من الجهل بالله وصفاته، والتشكك في شيء من ذلك.

وقد تعاضدت الأخبار والآثار عن الأنبياء بتنزيههم عن هذه النقيصة منذ ولدوا ونشأتهم على التوحيد والإيمان، ولم ينقل أحد من أهل الأخبار أن أحداً نبئاً واصطفي ممن عرف بكفر وإشراك قبل ذلك، ومستند هذا الباب النقل. وقد استدل بعضهم بأن القلوب تنفر عن كانت هذه سبيله، وهذه قريش قد رمت نبينا ﷺ بكل ما افترته، وغير كفار الأمم أنبياءها بكل ما أمكنها واختلقته مما نهى الله تعالى عنه أو نقله إلينا الرواة، ولم نجد في شيء من ذلك تعبيراً لواحد منهم برفضه آلهته وتقريعه بدمه بترك ما كان قد جامعهم عليه، ولو كان هذا لكانوا بذلك مبادرين ومحتجين به، ولكان توبيخهم له بنهيهما عما كان يعبد قبل أفضع وأقطع في الحجة من توبيخه عن تركهم آلهتهم وما كان يعبد آباؤهم من قبل، ففي إطباقهم على الإعراض عنه دليل على أنهم لم يجدوا سبيلاً إليه؛ إذ لو كان لنقل وما سكتوا عنه كما لم

يسكتوا عند تحويل القبلة، وقالوا: ﴿ مَا وَلَّهُمْ عَن قِبَلِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا ﴾ [البقرة: ١٤٢]، كما حكاها الله تعالى عنهم.

وقد استدل القاضي القشيري رحمه الله تعالى على تنزيههم عن هذا بقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ . . . ﴾ الآية [الأحزاب: ٧]. وبقوله جل وعلا: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ لَمَّا آتَيْنَاكُمْ مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ . . . ﴾ الآية إلى قوله: ﴿ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ، وَلَتَنْصُرُنَّهُ ﴾ [آل عمران: ٨١].

قال: وطهره الله في الميثاق، وبعيد أن يأخذ منه الميثاق قبل خلقه ثم يأخذ ميثاق النبيين بالإيمان به ونصره قبل مولده بدهور، ويجوز عليه الشرك أو غيره من الذنوب. هذا ما لا يجوز إلا ملحد.

وكيف يكون ذلك وقد أتاه جبريل عليه السلام وشق قلبه صغيراً، واستخرج منه علقه، وقال: هذا حظ الشيطان منك، ثم غسله وملاه حكمة وإيماناً^(١)، كما تظاهرت به أخبار المبدأ، ولا يشبه عليك بقول الخليل إبراهيم عليه السلام في الكواكب والقمر والشمس ﴿ هَذَا رَبِّي ﴾ [الأنعام: ٧٦]. فإنه قد قيل: كان هذا في سن الطفولة وابتداء النظر والاستدلال، وقبل لزوم التكليف. وذهب معظم الحذاق من العلماء والمفسرين^(٢) إلى أنه إنما قال ذلك مبكراً لقومه ومستدلاً عليهم.

ويدل على أنه لم يعبد شيئاً من ذلك ولا أشرك قط بالله طرفة عين قول الله عز وجل عنه: ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ ﴾^(٧٧)، ثم قال: ﴿ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ﴾^(٧٥) أَنْتُمْ وَاَبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ ﴾^(٧٦) فَإِنَّهُمْ عَدُوِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾^(٧٧) [الشعراء: ٧٥ - ٧٧]. وقال: ﴿ إِذْ جَاءَ رَبُّهُ بِقَلْبِ سَلِيمٍ ﴾^(٨٤) [الصافات: ٨٤]، وقوله: ﴿ وَأَجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴾^(٣٥) [إبراهيم: ٣٥].

(١) رواه مسلم في الإسرائ من كتاب الإيمان ٢/٢١٦، ٢١٧ من حدث أنس.

(٢) وانظر هذه الأقوال عند ابن جرير ٧/٢٤٩، ٢٥٠.

فإن قلت: فما معنى قوله تعالى: ﴿لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ﴾ [الأنعام: ٧٧]. قيل: إنه إن لم يؤيدني بمعونته أكن مثلكم في ضلالكم وعبادتكم، على معنى الإشفاق والحذر، وإلا فهو معصوم في الأزل من الضلال^(١).

فإن قلت: فما معنى قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾ [إبراهيم: ١٣]، ثم قال بعد عن الرسل: ﴿قَدْ أَفْتَرْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِن كُذِّبْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ بَخَّسْنَا اللَّهُ مِنهَا﴾ [الأعراف: ٨٩] فلا يشكل عليك لفظة العود، وإنها تقتضي أنهم إنما يعودون إلى ما كانوا فيه من ملتهم، فقد تأتي هذه في كلام العرب لغير ما ليس ابتداء بمعنى الصيرورة، كما جاء في حديث الجهنميين: «عادوا حُمَّمًا»^(٢)، أي: صاروا فحماً سوداً. ولم يكونوا قبل ذلك.

فإن قلت: فما معنى قوله تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى﴾ [الضحى: ٧]. فالجواب: أن هذا ليس من الضلال الذي هو الكفر، بل معناه، ضالاً عن النبوة فهداك إليها. أو: وجدك بين أهل الضلال فعصمك من ذلك وهداك للإيمان وإلى إرشادهم. أو ضالاً عن شريعتك، أي: لا تعرفها فهداك إليها. والضلال هنا التحير، ولهذا كان ﷺ يخلو بغار^(٣) حراء في طلب ما يتوجه به إلى ربه ويتشرع به حتى هداه الله إلى الإسلام. ومثل هذا قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ﴾ [النساء: ١١٣]، ولا يعلم أن أحداً من المفسرين قال في الآية: ضالاً عن الإيمان.

(١) هذا مما لا ينبغي أن يشك فيه في جانب جميع الأنبياء صلوات الله وسلامه عليه.
(٢) رواه البخاري في الرقاق، ومسلم في الإيمان في حديث الشفاعة الطويل. والحمم بضم الحاء: الفحم.
(٢) تقدم قريباً ص ٣٩٢.

وكذلك في قصة موسى عليه الصلاة والسلام، قوله تعالى: ﴿قَالَ فَعَلَّهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ﴾ [الشعراء: ٢٠]، أي: من المخطئين الفاعلين شيئاً بغير قصد، وأما قوله تعالى في شأن إخوة يوسف مع أبيهم يعقوب عليه السلام: ﴿إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ﴾ [يوسف: ٩٥]، أي: محبتك القديمة، ولم يريدوا ههنا في الدين، إذ لو قالوا ذلك في نبي الله لكفروا. ومثله قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَنَرْنَهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [يوسف: ٣٠]، أي محبة بينة. فالضلال قد يطلق على المحبة أيضاً فهو لفظ مشترك.

فإن قلت: فما معنى قوله: ﴿مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا أَلَكْتُبُ وَلَا الْإِيمَانُ﴾ [الشورى: ٥٢]. فالجواب: أن معناه: ما كنت تدري قبل الوحي أن تقرأ القرآن، ولا كيف تدعو الخلق إلى الإيمان. قاله السمرقندي. وقال بكر القاضي نحوه، قال: ولا الإيمان الذي هو الفرائض والأحكام. قال: فكان قبل مؤمناً بتوحيده ثم نزلت الفرائض التي لم يكن يدريها قبل فزاد بالتكليف إيماناً. وهو أحسن وجوهه^(١).

فإن قلت: فما معنى قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الْعَافِلِينَ﴾ [يوسف: ٣]، يعني: كنت غافلاً عن قصة يوسف عليه السلام، إذ لم تعلمها إلا بوحينا. وليس معناه كالأية الأخرى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ﴾ [يونس: ٧].

ويؤيد كل ما سبق ما عرف من سيرته ﷺ وأنه كان قبل نبوته إذا حج خالف المشركين في وقوفهم بالمزدلفة بل كان يجاوزها فيقف بعرفة^(٢)؛

(١) وأظهر منه قول من قال: ما كنت يا محمد تعرف قبل الوحي ما هو القرآن، ولا كنت تعرف شرائع الإيمان وشعبه ومعالمه مفصلة.

(٢) رواه البخاري ٢٦٢/٤، ومسلم كلاهما في الحج، وأحمد ٨٠/٤، ٨٤ عن جبير بن مطعم قال: أضللت بغيري لي بعرفة فذهبت أطلبه، فإذا النبي ﷺ واقف، =

لأنها كانت موقف إبراهيم عليه الصلاة والسلام، وكان ذلك إلهامًا من الله وتوفيقًا له .

الأنبياء وعلوم الدين والدنيا وما يلحق بذلك

قد بان بما تقدم عقائد الأنبياء في التوحيد والإيمان والوحي وعصمتهم في ذلك، فأما ما عدا ذلك فجماعها أن قلوبهم مملوءة علمًا و يقينًا على الجملة، وأنها قد احتوت من المعرفة والعلم بأمور الدين والدنيا ما لا شيء فوقه، ومن طالع الأخبار واعتنى بالحديث عرف ذلك، غير أن أحوالهم في هذه المعارف تختلف .

فأما ما يتعلق منها بأمر الدنيا فلا يشترط في حق الأنبياء العصمة من عدم معرفتهم ببعضها أو اعتقادها على خلاف ما هي عليه، ولا وصم عليهم فيه، إذ هممهم متعلقة بالآخرة وأنبائها، وأمر الشريعة وقوانينها^(١)، وأمور الدنيا تضادها بخلاف غيرهم من أهل الدنيا الذين ﴿يَعْلَمُونَ ظَهْرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾ [الروم: ٧] كما يأتي في الباب الثاني . ولكنه لا يقال إنهم لا يعلمون شيئًا من أمر الدنيا، فإن ذلك يؤدي إلى الغفلة والبله، وهم المنزهون عنه، بل قد أرسلوا إلى أهل الدنيا وقلدوا سياستهم وهدايتهم والنظر في مصالح دينهم ودنياهم، وهذا لا يكون مع عدم العلم بأمور الدنيا بالكلية، وأحوال الأنبياء وسيرهم في هذا الباب معلومة ومعرفتهم بذلك مشهورة .

= قلت: إن هذا من الحمس ما شأنه ههنا . وفي الباب عن عائشة وغيرها . انظر كتاب الحج من الصحيحين وغيرهما .

(١) وما بعثوا إلا لإبلاغ ما يتعلق بذلك للعباد مما هم مكلفون به من قبل الله عز وجل، أما شؤون الدنيا وعلوم الحياة، فقد قال ﷺ: «أنتم أعلم بدنياكم»، كما سيأتي بعد .

وأما ما كان يتعلق بالدين، فلا يصح من النبي ﷺ إلا العلم به، ولا يجوز عليه جهله جملة؛ لأنه لا يخلو أن يكون حصل عند ذلك عن وحي من الله فهو ما لا يصح الشك منه فيه فكيف الجهل به؟ بل حصل له العلم اليقين. أو يكون فعل ذلك باجتهاده فيما لم ينزل عليه فيه شيء، على القول بتجويز وقوع الاجتهاد منه في ذلك على قول المحققين^(١)، وعلى مقتضى حديث أم سلمة رضي الله تعالى عنها: «إني إنما أقضي بينكم برأيي فيما لم ينزل علي فيه شيء» أخرجه الثقات^(٢)، وكقصة أسرى بدر^(٣)، والإذن للمتخلفين^(٤) على رأي بعضهم.

فلا يكون أيضًا ما يعتقده ويثمره اجتهاده إلا حقا وصحيحًا. هذا هو

الحق الذي لا يلتفت إلى خلاف من خالف فيه ممن أجاز عليه الخطأ في الاجتهاد^(٥)، لا على القول بتصويب المجتهدين الذي هو الحق والصواب

(١) هذا قول جمهور العلماء من الأصوليين والفقهاء والمتكلمة، واختاره أبو حامد الغزالي رحمه الله تعالى في المستصفى ١٠٤/٢، وصححه التاج السبكي رحمه الله تعالى في جمع الجوامع فقال: والصواب جواز الاجتهاد للنبي ﷺ ووقوعه. وثالثها في الآراء والحروب فقط. وانظر ما قال المحلى عليه ٣٨٦/٢، ٣٨٧. وقد أجاد وأفاد الشوكاني في إرشاد الفحول في المسألة فانظره.

(٢) رواه أبو داود في الأفضية رقم ٣٥٨٥، والدارقطني ٢٣٩/٤ بسند صحيح على شرط مسلم وهو صريح في وقوع الاجتهاد منه ﷺ.

(٣) القصة في ذلك مبسطة عند مسلم في السير والجهاد ٨٤/١٢، ٨٧ من حديث سيدنا عمر رضي الله تعالى عنه، وفي الحديث: فلما أسروا الأسارى قال رسول الله ﷺ لأبي بكر وعمر: «ما ترون في هؤلاء الأسارى...» إلخ، وفيه: ﴿مَا كَانَتْ لِنَبِيِّ أَنْ يُكُونَ لَهُ أُسْرَى...﴾ الآية [الأنفال: ٦٧].

(٤) تقدم الكلام على هذا أول الكتاب.

(٥) قد يستدل لهذا بحديث ابن عباس مرفوعًا: «إنما أنا بشر، فما حدثكم عن الله فهو حق، وما قلت فيه من قبل نفسي فإنما أنا بشر أخطيء وأصيب». رواه البزار، قال =

عندنا^(١)، ولا على القول الآخر بأن الحق في طرف واحد؛ لعصمة النبي ﷺ من الخطأ في الاجتهاد في الشرعيات، ولأن القول في تخطئة المجتهدين إنما هو بعد استقرار الشرع، ونظر النبي ﷺ واجتهاده إنما هو فيما لم ينزل عليه فيه شيء ولم يشرع له قبل، هذا فيما عقد عليه النبي ﷺ قلبه، فأما ما لم يعقد عليه قلبه من أمر النوازل الشرعية فقد كان لا يعلم منها أولاً إلا ما علمه الله شيئاً شيئاً حتى استقر علم جملتها عنده إما بوحي من الله تعالى أو أذن أن يشرع في ذلك ويحكم بما أراه الله، وقد كان ينتظر الوحي في كثير منها ولكنه لم يمت حتى استفرغ علم جميعها عنده ﷺ وتقررت معارفها لديه على التحقيق ورفع الشك والريب وانتفاء الجهل، وبالجملة فلا يصح منه الجهل بشيء من تفاصيل الشرع الذي أمر بالدعوة إليه، إذ لا تصح دعوته إلى ما لا يعلمه^(٢).

وأما ما يتعلق بعقده من ملكوت السموات والأرض، وخلق الله، وتعيين أسمائه الحسنی وآياته الكبرى، وأمور الآخرة وأشراط الساعة وأحوال السعداء والأشقياء، وعلم ما كان ما يكون مما لم يعلمه إلا بوحي فعلى ما تقدم، من أنه معصوم فيه لا يأخذه فيما اعلم منه شك ولا ريب، بل

= الهيثمي في المجمع ١/١٧٨: إسناده حسن. وشيخ البزار الذي لم يعرفه هو الحافظ سمويه إسماعيل بن عبد الله الأصبهاني ثقة، قاله الحافظ.

(١) بل الحق والصواب مع واحد، قال في جمع الجوامع: والصحيح وفقاً للجمهور أن المصيب واحد ٢/٣٩٠. وقال الشوكاني في إرشاده: وذهب أبو حنيفة ومالك والشافعي، وأكثر الفقهاء إلى أن الحق في أحد الأقوال. ثم قال: ثم اختلف هؤلاء بعد اتفاقهم على أن الحق واحد هل كل مجتهد مصيب أم لا؟ فعند مالك والشافعي وغيرهما أن المصيب منهم واحد. اهـ. وهذا القول هو الذي يؤيده الدليل نقلاً وعقلاً.

(٢) هذا شيء بديهي.

هو فيه على غاية اليقين، لكنه لا يشترط له العلم بجميع تفاصيل ذلك^(١) وإن كان عنده من علم ذلك ما ليس عند جميع البشر، لقوله ﷺ: «ولا خطر على قلب بشر»^(٢). ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة: ١٧]. وقول موسى للخضر عليهما السلام: ﴿هَلْ أَتَيْتَكَ عَلَيَّ أَنْ تَعْلَمَ مِنِّي مِمَّا عَلَّمْتَ رُسُلًا﴾ [الكهف: ٦٦]. وقوله ﷺ: «أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو استأثرت به في علم الغيب عندك»^(٣). وقد قال الله تعالى:

(١) لأن ذلك من خصائص الرب العظيم والإله الكريم الرحيم الذي قد أحاط بكل شيء علماً وأحصى كل شيء عدداً، الذي لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين.

(٢) رواه أحمد ٤٦٦/٢، والبخاري في تفسير سورة السجدة ١٣٤/١٠، ومسلم في كتاب الجنة ١٦٦/١٧ وغيرهم من حديث أبي هريرة في حديث قدسي، قال الله عز وجل: «أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر...».

قال الحافظ: زاد ابن مسعود في حديثه: «ولا يعلمه ملك مقرب ولا نبي مرسل». أخرجه ابن أبي حاتم، قال: وهو يدفع قول من قال: إنما قيل البشر لأنه يخطر بقلوب الملائكة. والأولى حمل النفي فيه على عمومته فإنه أعظم في النفس.

(٣) حديث صحيح، رواه أحمد رقم ٣٧١٢، وابن حبان ٢٣٧٢، والحاكم ٥٠٩/١ من حديث ابن مسعود في دعاء دفع الهم والحزن، وأوله: «اللهم إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك ناصيتي بيدك ماضٍ في حكمك عدل في قضاؤك، أسألك بكل اسم سميت به نفسك أو علمته أحداً من خلقك أو أنزلته في كتابك أو استأثرت... إلخ، ومراد المؤلف بذكر ما تقدم أن النبي ﷺ وإن كان قد أوتي من العلوم ما لم يؤت غيره فإنه قد خفيت عليه من علوم الله وكلماته عز وجل ما لا يحيط به مخلوق كباقي إخوانه من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم. وانظر قصة الخضر مع موسى عليهما السلام، وقول الخضر لموسى: «ما نقص علمي وعلمك من علم الله إلا كما نقص هذا العصفور من البحر».

﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾﴾ [يوسف: ٧٦]، وهذا ما لا خفاء به؛ إذ معلوماته تعالى لا يحاط بها ولا منتهى لها^(١). هذا حكم عقد النبي ﷺ في التوحيد والشرع والمعارف والأمور الدينية.

عصمة النبي ﷺ من الشيطان

واعلم أن الأمة مجمعة على عصمة النبي ﷺ من الشيطان وكفايته منه لا في جسمه بأنواع الأذى ولا في خاطره بالوساوس.

فعن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما منكم من أحد إلا وكل به قرينه من الجن وقرينه من الملائكة»، قالوا: وإياك يا رسول الله. قال: «وإيائي، ولكن الله تعالى أعانني عليه فأسلم، فلا يأمرني إلا بخير»^(٢). وورد «فأسلم» بضم الميم، أي: فأسلم أنا منه. وصحح بعضهم هذه الرواية ورجحها وورد: «فأسلم»، يعني: القرين، أنه انتقل عن حال كفره إلى الإسلام فصار لا يأمر إلا بخير كالملك^(٣)، وهو ظاهر الحديث. وإذا كان هذا حكم شيطانه المسلط على بني آدم، فكيف بمن بعد منه ولا أقدر على الدنو منه. وقد جاءت الآثار بتصدي الشياطين له

(١) هذا مما يجب اعتقاده، ودع عنك المنحرفين الضالين الذين يسوون المخلوق بالخالق، كما يعتقد الروافض في أئمتهم وبعض جهلة الصوفية في مشايخهم، فإن ذلك من الغلو المقيت، فإن العبد عبد وإن تعالى.

(٢) رواه أحمد ١/٣٨٥، ٣٩٧، ٤٠١، ومسلم في صفات المنافقين ١٧/١٥٧، والدارمي ٢٧٣٧ وغيرهم ونحوه عن عائشة في مسلم وعن ابن عباس وجابر في مسند أحمد والمؤلف أسنده من طريق الدارقطني. وقوله: قرينه، أي: صاحبه.

(٣) وقد يوجد هذا في بعض الصالحين فيكون قرينه منقاداً له لا يأمره إلا بما فيه طاعة الله عز وجل، وإذا كان هذا في آحاد الصالحين من أفراد الأمة فكيف بإمام الصالحين وسيدهم ﷺ.

في غير موطن رغبة في إطفاء نوره وإماتة نفسه وإدخال شغل عليه، إذ يشوا من إغوائه فانقلبوا خاسرين، كتعرضه له في صلاته فأخذه النبي ﷺ وأسره.

ففي الصحيح قال أبو هريرة، عنه ﷺ: «إن الشيطان عرض لي فشد علي يقطع علي الصلاة فأمكنني الله منه فدعته، ولقد هممت أن أوثقه إلى سارية حتى تصبحوا تنظرون إليه فذكرت قول أخي سليمان: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي﴾ [ص: ٣٥]، فرده الله خاسئاً^(١).

وفي حديث أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ: «إن عدو الله إبليس جاءني بشهاب من نار جهنم ليجمعه في وجهي - والنبي ﷺ في الصلاة، وذكر تعوذه بالله منه ولعنه له - قال: ثم أردت أخذه» وقال: لأصبح موثقاً يتلاعب به ولدان أهل المدينة^(٢).

وكذلك في حديثه في الإسراء، وطلب عفريت له بشعلة نار فعلمه جبريل عليه السلام ما يتعوذ به منه. ذكره في الموطأ^(٣). ولما لم يقدر على أذاه بمباشرته تسبب بالتوسط إلى عداه، كقضيته مع قريش والائتثار

(١) رواه البخاري في العمل في الصلاة ٣/٣٢٣ وفي الأنبياء وفي بدء الخلق وفي سورة ص، ومسلم في المساجد ٥/٢٨، ٢٩. وقوله: «فدعته» بالذال المعجمة وتشديد التاء، أي: دفعته بعنف ومعكته في التراب. وقوله: «فرده الله خاسئاً»، أي: ذليلاً حقيراً. وفي الحديث بيان ما كان عليه ﷺ من التواضع والأدب واحترام ما سبقه من الأنبياء، إضافة إلى ما فيه من عصمته من شر العفاريت ومردة الشياطين.

(٢) رواه مسلم في المساجد ٥/٣٠، ٣١، وقد اختصره المصنف وذكر بعضه بالمعنى، وهو في الدلالة كسابقه.

(٣) ذكره في كتاب الجامع رقم ١٨٣٧ عن يحيى بن سعيد مرسلًا بسند صحيح، ورواه أحمد ٣/٤١٩ بنحوه، من طريقين من حديث عبد الرحمن بن خنيس وسنده حسن، ولكن ليس فيه أنه كان ليلة الإسراء.

بقتله ﷺ وتزيينه لهم ذلك، كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾^(١) [الأنفال: ٣٠]، وكذا وقع في غزوة بدر حيث جاء الشيطان كفار قريش في صورة سراقه بن مالك^(٢)، كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ...﴾ الآية [الأنفال: ٤٨]. وكل هذا كفاه الله أمره وعصمه ضره وشره.

وقال ﷺ: «إن عيسى عليه السلام كُفي من لَمسه، فجاء ليطعن في خاصرته حين ولد فطعن في الحجاب»^(٣).
وقال ﷺ حين لُدَّ في مرضه - وقيل له: خشينا أن يكون بك ذات الجنب - فقال: «إنها من الشيطان، ولم يكن الله ليسلطه علي»^(٤).

فإن قيل: فما معنى قوله تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾ [الأعراف: ٢٠٠]؟ فقد قال بعض المفسرين: إنها راجعة إلى قوله: ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩]، ثم قال: ﴿وَإِمَّا

-
- (١) تقدم الكلام على هذا في أوائل الكتاب ص ٧٦.
(٢) هذه القصة رواها ابن جرير في تفسيره لهذه الآية من عدة طرق ١٠/١٨، ١٩، ٢٠، وانظر: تفسير أبي الفداء ٣/٣٣٢، ٣٣٣.
(٣) رواه البخاري في بدء الخلق بنحوه ٧/١٥٠، وفي أحاديث الأنبياء ٧/٢٨٠، ومسلم في الفضائل ١٥/١٧٠ من حديث أبي هريرة. وقوله: «فطعن في الحجاب»، أي: في المشيمة التي يكون فيها الجنين، وهي الظلمة الثالثة التي يكون فيها الجنين والتي ذكرها القرآن في سورة الزمر: ﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ﴾ الآية.
(٤) رواه الحاكم في الطب ٤/٤٠٥ بهذا اللفظ، وصححه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، ورواه البيهقي كذلك في الدلائل ٧/١٦٩، وهو من حديث عائشة. ورواه أحمد وغيره من حديث أسماء بسند صحيح بنحوه. انظر: مجمع الزوائد رقم ١٤٢٥٥. وأصل الحديث في الطب من البخاري ٢٧٣، وفي مرض وفاته ٩/٢١٣، ومسلم في الطب أيضًا ١٣/١٩٩.

يَنْزَغَنَّكَ ﴿ [الأعراف: ٢٠٠]، أي: يستخفك غضب يحملك على ترك الإعراض عنهم فاستعد بالله. وقيل: النزغ هنا: الفساد، كما قال عز وجل: ﴿بَعْدَ أَنْ نَزَعَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي﴾ [يوسف: ١٠٠]، وقيل: ﴿يَنْزَغَنَّكَ﴾ [الأعراف: ٢٠٠] يغرينك ويحركك. والنزغ: أدنى الوسوسة. فأمره الله تعالى أنه متى تحرك عليه غضب على عدوه، أو رام الشيطان من إغوائه به وخواطر أدنى وساوسه ما لم يجعل له سبيل إليه: أن يستعيد بالله منه فيكفي أمره، ويكون سبب تمام عصمته، إذ لم يسلط عليه بأكثر من التعرض له، ولم يجعل له قدرة عليه.

وكذلك لا يصح أن يتصور له الشيطان في صورة الملك ويلبس عليه، لا في أول الرسالة ولا بعدها، والاعتماد في ذلك دليل المعجزة، بل لا يشك النبي أن ما يأتيه من الله الملك ورسوله حقيقة، إما بعلم ضروري يخلقه الله له، أو ببرهان يظهره لديه؛ لتتم كلمة ربك صدقاً وعدلاً لا مبدل لكلماته.

فإن قيل: فما معنى قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾ [الحج: ٥٢].

فاعلم أن للناس في معنى هذه الآية أقاويل، وأولى ما يقال فيها ما عليه الجمهور من المفسرين^(١): أن التمني ههنا التلاوة، وإلقاء الشيطان فيها إشغاله بخواطر وأذكار من أمور الدنيا للتالي حتى يدخل عليه الوهم والنسيان فيما تلاه، أو يُدخل غير ذلك على أفهام السامعين من التحريف وسوء التأويل ما يزيله الله وينسخه ويكشف لفسه ويحكم آياته، وسيأتي مزيد لهذا إن شاء الله تعالى مع ما يتعلق بسليمان وأيوب عليهما السلام.

فإن قلت: فما معنى قوله تعالى عن يوشع: ﴿وَمَا أَسْنَيْنِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ﴾

(١) وهو الذي اختاره ومشى عليه شيخ المفسرين ابن جرير الطبري ١٧/١٩٠، ونقله عنه ابن كثير وأقره.

[الكهف: ٦٣]. وقوله عن يوسف: ﴿فَأَنسَنُهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ﴾^(١)
 [يوسف: ٤٢]. وقول نبينا ﷺ حين نام عن الصلاة يوم الوادي: «إن هذا واد
 به شيطان»^(١). وقول موسى عليه السلام في وكزه: ﴿هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾
 [القصص: ١٥].

فاعلم أن هذا الكلام قد يرد في جميع هذا على مورد مستمر في كلام
 العرب في وصفهم كل قبيح من شخص أو فعل بالشیطان أو فعله، كما قال
 تعالى: ﴿طَلَعَهَا كَأَنَّه رُؤُوسُ الشَّيْطَانِ﴾ [الصفات: ٦٥]، وقال ﷺ:
 «فليقاتله فإنما هو شيطان»^(٢).

وقول يوشع لا يلزمننا الجواب عنه، إذ لم يثبت له في ذلك الوقت نبوة
 مع موسى عليهما السلام، قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتْنِهِ﴾
 [الكهف: ٦٠]، والمروي أنه نبىء بعد موت موسى أو قبيل موته.
 وقصة يوسف عليه السلام قد ذكر أنها كانت قبل نبوته، وقوله:
 ﴿فَأَنسَنُهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ﴾ [يوسف: ٤٢]، فيها قولان: أحدهما:
 أن الذي أنساه الشيطان ذكر ربه أحد صاحبي السجن، ورببه الملك، أي:
 أنساه أن يذكر للملك شأن يوسف عليه السلام^(٣). فهذا من فعل الشيطان

(١) رواه مسلم في قضاء الصلاة الفاتحة ١٨٢/٥، من حديث أبي هريرة. وقصة نومهم
 عن الصلاة في السفر، رواها أبو قتادة وعمران بن حصين وغيرهما مطولة
 ومختصرة، وكلها في الصحيح.

(٢) رواه البخاري ١٣٠/٢، ومسلم في ٢٢٤/٤، وغيرهما من حديث أبي سعيد
 الخدري، وإنما سماه شيطاناً لأنه الذي حمله على المرور بين يدي المصلي
 لإفساده صلاته عليه.

(٣) وهو الذي اختاره الجلال، وصدر به ابن جرير ٢٢٢/١٢ كلامه على الآية، وهو
 الظاهر كما لا يخفى. وإن كان الخازن حكى القول الآخر عن أكثر المفسرين فإن
 الأكثرية لا عبرة بها عند مصادمة الحق والصواب.

وليس فيه تسلط على يوسف ويوشع بالوسوسة والنزغ، وإنما هو بشغل
خواطرهما بأمور آخر، وتذكيرهما من أمورهما ما ينسيهما ما نسيا.

وأما قوله ﷺ: «إن هذا واد به شيطان»، فليس فيه ذكر تسلطه عليه ولا
وسوسته له، بل إن كان بمقتضى ظاهره فقد بين أمر ذلك الشيطان بقوله: «إن
الشيطان أتى فلم يزل يهدئه كما يهدىء الصبي حتى نام»^(١) فأعلم أن تسلط
الشيطان في ذلك الوادي إنما كان على بلال الموكل بكلاءة الفجر. هذا إن
جعلنا قوله: «إن هذا واد به شيطان» تنبيهاً على سبب النوم عن الصلاة. وأما
إن جعلناه تنبيهاً على سبب الرحيل عن الوادي وعلة ترك الصلاة به وهو دليل
مساق حديث زيد بن أسلم، فلا اعتراض به في هذا الباب لبيانه وارتفاع
إشكاله.

عصمته ﷺ في أقواله مما سبيله البلاغ

وأما أقواله ﷺ فقد قامت الدلائل الواضحة بصحة المعجزة على
صدقه، وأجمعت الأمة فيما كان طريقه البلاغ أنه معصوم فيه من الإخبار
عن شيء منها، بخلاف ما هو به لا قصدًا ولا عمدًا ولا سهوًا ولا غلطًا.

فقد ورد الشرع بانتفاء ذلك عنه وعصمته ﷺ وإجماع الأمة أنه لا يجوز
عليه خلف في القول وإبلاغ الشريعة والإعلام بما أخبر به عن ربه وما أوحاه
إليه من وحيه، لا على وجه العمد، ولا على غير عمد، ولا في حال الرضا
والسخط والصحة والمرض^(٢).

(١) هذه الرواية أخرجه مالك في الموطأ رقم ٢٥، ومن طريقه البيهقي في الدلائل
٢٧٣/٤، ٢٧٤، وابن عبد البر في التمهيد ٢٠٣/٥ عن زيد بن أسلم مرسلاً، قال
ابن عبد البر: وجاء معناه متصلًا من وجوه صحاح.

(٢) من قال بخلاف هذا فليس بمسلم ولا له حظ مع أهل الإيمان.

وفي حديث عبد الله بن عمرو رضي الله تعالى عنه : قلت :
يا رسول الله أكتب كل ما أسمع منك؟ قال : «نعم»، قلت : في الرضا
والغضب؟ قال : «نعم، فإني لا أقول في ذلك كله إلا حقاً»^(١).

ثم إذا قامت المعجزة على صدقه وأنه لا يقول إلا حقاً، ولا يبلغ عن
الله إلا صدقاً، وأن المعجزة مقام قول الله تعالى له صدقت فيما تذكره عني،
وهو يقول : إني رسول الله إليكم لأبلغكم ما أرسلت به إليكم وأبين لكم ما
نزل عليكم : ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۖ ﴾ [النجم : ٣ ، ٤] ،
﴿ قَدْ جَاءَكُمْ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ : ﴿ وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ
عَنْهُ فَأَنْهَوْا ﴾ [الحشر : ٧] ، فلا يصح أن يوجد منه في هذا الباب خبر بخلاف
مُخْبَره على أي وجه كان، فلو جوزنا عليه الغلط والسهو لما تميز لنا من غيره
ولاختلط الحق بالباطل، فالمعجزة مشتملة على تصديقه جملة واحدة من
غير خصوص، فتتزيه النبي ﷺ عن ذلك كله واجب برهاناً وإجماعاً.

مطاعن وشبهات^(٢)

والجواب عنها بأجوبة مقنعة

وقد توجهت ههنا لبعض الطاعنين سؤالات :

منها : ما روي من أن النبي ﷺ لما قرأ سورة ﴿ وَالنَّجْمِ ﴾ ، وقال :
﴿ أَفَرَأَيْتُمْ آلَ لُوطٍ وَالْعَزْزَىٰ ۗ ﴾ وَمَنْوَةَ الثَّالِثَةَ الْآخِرَىٰ ﴿ ٢٠ ﴾ [النجم : ١٩ ، ٢٠] ، قال :
«تلك الغرائق العلى ، وإن شفاعتها لترتجى» فلما ختم السورة سجد وسجد

(١) رواه أحمد ٢/٢٠٧ ، والحاكم ١/١٠٥ ، وصححه على شرط مسلم ، ووافقه
الذهبي .

(٢) ذكر في هذا الفصل أربع شبه : الأولى : قصة الغرائق . الثانية : قصة يونس عليه
السلام . الثالثة : قصة ابن أبي سرح . الرابعة : قصة النصراني . وسترى أجوبة
المؤلف عنها .

معه المسلمون والكفار لما سمعوه أثنى على آلهتهم . وما وقع في بعض الروايات : أن الشيطان ألقاها على لسانه ، وأن النبي ﷺ كان يتمنى أن لو نزل عليه شيء ، يقارب بينه وبين قومه . وفي رواية أخرى : أن لا ينزل عليه شيء ينفرهم عنه ، وذكر هذه القصة ، وأن جبريل عليه السلام جاءه فعرض عليه السورة ، فلما بلغ الكلمتين قال له : « ما جئتك بهاتين » فحزن لذلك النبي ﷺ فأنزل الله تعالى تسليية له : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكُمُ اللَّهُ ءَايَاتِهِ ﴾ [الحج : ٥٢] . وقوله : ﴿ وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ . . . ﴾ الآية [الإسراء : ٧٣] .

فاعلم أكرمك الله أن لنا في الكلام على مشكل هذا الحديث مأخذين : أحدهما : في توهين أصله . والثاني : على تسليمه .

أما المأخذ الأول : فيكيفك أن هذا حديث لم يخرج أحد من أهل الصحة ولا رواه ثقة بسند سليم متصل ، وإنما أولع به وبمثله المفسرون والمؤرخون المولعون بكل غريب المتلقفون من الصحف كل صحيح وسقيم .

وصدق القاضي بكر بن العلاء المالكي حيث قال : لقد بلي الناس ببعض أهل الأهواء والتفسير وتعلق بذلك الملحدون مع ضعف نقلته ، واضطراب روايته ، وانقطاع إسناده ، واختلاف كلماته ، فقائل يقول : إنه في الصلاة . وآخر يقول : قالها في نادي قومه حين أنزلت عليه السورة . وآخر يقول : قالها وقد أصابته سنة . وآخر يقول : بل حدث نفسه فسها . وآخر يقول : إن الشيطان قالها على لسانه ، وأن النبي ﷺ لما عرضها على جبريل عليه السلام قال : ما هكذا أقرأتكم . وآخر يقول : بل أعلمهم الشيطان أن النبي ﷺ قرأها ، فلما بلغ ﷺ ذلك قال : والله ما هكذا نزلت . إلى غير ذلك من اختلاف الرواة .

ومن حكيته هذه الحكاية عنه من المفسرين والتابعين لم يسندها أحد منهم ولا رفعها إلى صاحب . وأكثر الطرق عنهم فيها ضعيفة واهية، والمرفوع فيه حديث شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: فيما أحسب الشك في الحديث: أن النبي ﷺ كان بمكة . . وذكر القصة . قال أبو بكر البزار: هذا الحديث لا نعلمه يروى عن النبي ﷺ بإسناد متصل يجوز ذكره إلا هذا، ولم يسنده عن شعبة إلا أمية بن خالد، وغيره يرسله عن سعيد بن جبير، وإنما يعرف عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس . فقد بين أبو بكر رحمه الله أنه لا يعرف من طريق يجوز ذكره سوى هذا، وفيه من الضعف ما نبه عليه مع وقوع الشك فيه كما ذكرناه الذي لا يوثق به ولا حقيقة معه . وأما حديث الكلبي فمما لا تجوز الرواية عنه ولا ذكره؛ لقوة ضعفه وكذبه كما أشار إليه البزار رحمه الله تعالى . والذي منه في الصحيح: أن النبي ﷺ قرأ والنجم وهو بمكة فسجد معه المسلمون والمشركون والجن والإنس^(١) .

هذا توهينه من طريق النقل^(٢) . فأما من جهة المعنى فقد قامت الحجة

(١) رواه البخاري في سورة النجم ٢٣٧/١٠، وابن عباس ومسلم في سجود التلاوة ٧٤/٥، ٧٥ عن ابن مسعود .

(٢) وقد حكم ببطلان هذه القصة جماعة من حفاظ الإسلام وأئمتهم، وقالوا: إنها من وضع الزنادقة الذين يريدون تشويه محاسن الإسلام . وممن نص على ذلك موسى بن عقبة في سيرته، وابن جرير في تفسيره، والنووي في شرح مسلم والأبي كذلك، وأبو بكر بن العربي في أحكام القرآن، والقرطبي في تفسيره، والفخر الرازي في تفسيره الكبير، والبيضاوي، وابن كثير، والخازن، والآلوسي في تفاسيرهم، والزرقاني في شرح المواهب مع أصله، والسهيلي في الروض الأنف، والعيني في عمدة القاري، والشوكاني في فتح القدير، والقنوجي في فتح البيان، ومن المعاصرين محمد الغزالي في فقه السيرة، ومحمد رضا في سيرته، =

وأجمعت الأمة على عصمته ﷺ ونزاهته عن مثل هذه الرذيلة. إما من تمنيه أن ينزل عليه مثل هذا من مدح آلهة غير الله وهو كفر. أو أن يتصور عليه الشيطان ويشبه عليه القرآن حتى يجعل فيه ما ليس منه ويعتقد النبي ﷺ أن من القرآن ما ليس منه حتى ينبهه جبريل عليه السلام، وذلك كله ممتنع في حقه ﷺ أو يقول ذلك النبي ﷺ. من قبل نفسه عمدًا - وذلك كفر - أو سهوًا، وهو معصوم من هذا كله.

= والزحيلي في تفسيره، وغيرهم كثير، وإيراد نصوصهم يستدعي تسويد عدة صفحات، غير أننا نقتصر على الآتي:

قال الرازي في تفسيره: أما أهل التحقيق فقد قالوا: هذه الرواية باطلة موضوعة، ثم ذكر أدلة ذلك حتى قال: وأما السنة فهي ما روي عن محمد بن إسحاق بن خزيمة أنه سئل عن هذه القصة فقال: هذا من وضع الزنادقة. وقال البيهقي: هذه القصة غير ثابتة من جهة النقل. ثم قال الفخر: فبهذه الوجوه عرفنا على سبيل الإجمال أن هذه القصة موضوعة. وقال ابن العربي: ذكر الطبري في ذلك روايات كثيرة باطلة لا أصل لها. وله كلام طويل نفيس في ذلك. وقال الأبى في شرح مسلم: ذكر ابن إسحاق أن هذا القول من وضع الزنادقة، وذكر بعض الشافعية أنه من إيحاء الشياطين إلى أوليائهم من الزنادقة ليوقعوا به في قلوب أرقاء الدين ليرتابوا. وقال ابن كثير في تفسيره: قد ذكر كثير من المفسرين هنا قصة الغرائق. ولكنها من طرق كلها مرسلة ولم أرها مسندة من وجه صحيح. وقال الشوكاني: ولم يصح شيء من هذا ولا يثبت بوجه من الوجوه، ومع عدم صحته بل بطلانه فقد دفعه المحققون بكتاب الله... إلخ. وقد سأل العلامة أحمد بن المبارك شيخه العارف سيدي عبد العزيز الدباغ رحمه الله تعالى عن هذه القصة فقال: الصواب مع ابن العربي وعياض ومن وافقهما لا مع ابن حجر، وما وقع للنبي ﷺ شيء من مسألة الغرائق. إلى آخر كلامه المذكور في الإبريز.

ومع هذه الجمهرة من العلماء الذين أبطلوا هذه القصة سندًا وامتًا وعقلًا خالفهم الحافظ ابن حجر فأثبتها من طريق النقل وإن كان وافقهم في إبطالها من جهة المعنى والتأويل كما يعلم من كلامه في الفتح في أول تفسير سورة الحج.

وقد قررنا بالبراهين والإجماع عصمته ﷺ من جريان الكفر على قلبه أو لسانه لا عمدًا ولا سهوًا، أو أن يشتبه عليه ما يلقيه الملك بما يلقي الشيطان، أو يكون للشيطان عليه سبيل، أو أن يتقول على الله لا عمدًا ولا سهوًا ما لم يتنزل عليه، وقد قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ نَقَوْلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ﴾ الآيات [الحاقة: ٤٤ - ٤٦]، وقال تعالى: ﴿إِذَا لَأَذْنَنَكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ...﴾ الآية [الإسراء: ٧٥].

ووجه ثان وهو: استحالة هذه القصة نظرًا وعرفاً؛ وذلك أن هذا الكلام لو كان روى لكان بعيد الالتئام متناقض الأقسام، ممتزج المدح بالذم، متخاذل التأليف والنظم، ولما كان النبي ﷺ ولا من بحضرته من المسلمين وصناديد المشركين ممن يخفى عليه ذلك، وهذا لا يخفى على أدنى متأمل، فكيف بمن رجح حلمه واتسع في باب البيان ومعرفة فصيح الكلام علمه؟

ووجه ثالث: أنه قد علم من عادة المنافقين ومعاندي المشركين وضعفة القلوب والجهلة من المسلمين نفورهم لأول وهلة، وتخليط العدو على النبي ﷺ لأقل فتنة، وتعييرهم المسلمين والشماتة بهم الفينة بعد الفينة، وارتداد من في قلبه مرض ممن أظهر الإسلام لأدنى شبهة، ولم يحك أحد في هذه القصة شيئاً سوى هذه الرواية الضعيفة الأصل!! ولو كان ذلك لوجدت قريش بها على المسلمين الصولة، ولأقامت بها اليهود عليهم الحجة، كما فعلوا مكابرة في قصة الإسراء حتى كانت في ذلك لبعض الضعفاء ردة، وكذلك ما روي في قصة القضية^(١). ولا فتنة أعظم من هذه البلية لو وجدت، ولا تشغيب للمعادي حينئذٍ أشد من هذه الحادثة لو أمكنت. فما روي عن معاند فيها كلمة، ولا عن مسلم بسببها بنت شفة؛ فدل على بطلانها واجتثاث أصلها، ولا شك في إدخال بعض شياطين الإنس والجن هذا

(١) يعني بها قضية الحديدية.

الحديث على بعض مُغفلي المحدثين ليلبس به على ضعفاء المسلمين .

ووجه رابع : ذكر الرواة لهذه القضية أن فيها نزلت : ﴿ وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ ﴾ [الإسراء : ٧٣ - ٧٤] الآيتين وهاتان الآيتان تردان الخبر الذي روه لأن الله تعالى ذكر أنهم كادوا يفتنونه حتى يفتري ، وأنه لولا أن ثبته لكاد يركن إليهم فيمضون هذا ، ومفهومه : أن الله تعالى عصمه من أن يفتري ، وثبته حتى لم يركن إليهم قليلاً ، فكيف كثيراً؟! وهم يروون في أخبارهم الواهية أنه زاد على الركون والافتراء بمدح ألتهم وأنه ﷺ قال : « افتريت على الله ، وقلت ما لم يقل » هذا ضد مفهوم الآية ، وهي تضعف الحديث لو صح فكيف ولا صحة له؟! وهذا مثل قوله تعالى في الآية الأخرى : ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّوكَ إِلَّا أَنفُسُهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ ﴾ [النساء : ١١٣] .

وقد روي عن ابن عباس : كل ما في القرآن «كاد» فهو ما لا يكون ؛ قال الله تعالى : ﴿ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَرِ ﴾ [النور : ٤٣] ، ولم يذهب . ﴿ أَكَادُ أَخْفِيهَا ﴾ [طه : ١٥] ، ولم يفعل . وقد ذكرت في معنى هذه الآية تفاسير أخر ، ما ذكرناه من نص الله على عصمة رسول الله ﷺ ترد سفسافها ، فلم يبق في الآية إلا أن الله تعالى امتن على رسوله بعصمته وتثبيته بما كاده به الكفار وراموا من فتنته . ومرادنا من ذلك تنزيهه وعصمته ﷺ ، وهو مفهوم الآية .

أما المأخذ الثاني : فهو مبني على تسليم الحديث لو صح وقد أعاذنا الله من صحته ، ولكنه على كل حال فقد أجاب عن ذلك أئمة المسلمين بأجوبة ، منها الغث والسمين .

فمنها : ما روى قتادة ومقاتل : أن النبي ﷺ أصابته سنة عند قراءته هذه السورة ، فجرى هذا الكلام على لسانه بحكم النوم . وهذا لا يصح إذ لا يجوز على النبي ﷺ مثله في حالة من أحواله ، ولا يخلقه الله على لسانه ،

ولا يستولي الشيطان عليه في نوم ولا يقظة لعصمته في هذا الباب من جميع العمد والسهو .

وفي قول الكلبي : أن النبي ﷺ حدث نفسه ، فقال ذلك الشيطان على لسانه . وفي رواية ابن شهاب عن أبي بكر بن عبد الرحمن قال : وسها ، فلما أخبر بذلك قال : «إنما ذلك من الشيطان» ، وكل هذا لا يصح أن يقوله النبي ﷺ لا سهواً ولا قصداً ، ولا يتقوله الشيطان على لسانه .

وقيل : لعل النبي ﷺ قاله أثناء تلاوته ، على تقدير التفرغ والتوبيخ للكفار ، كقول إبراهيم عليه الصلاة والسلام : «هذا ربي» على أحد التأويلات ، وكقوله : ﴿ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا ﴾ [الأنبياء : 63] بعد السكت وبيان الفصل بين الكلامين ثم رجع إلى تلاوته ، وهذا ممكن مع بيان الفصل وقرينة تدل على المراد ، وأنه ليس من المتلو . وهو أحد ما ذكره القاضي أبو بكر .

والذي يظهر ويترجح في تأويله عند المحققين على تسليمه : أن النبي ﷺ كان كما أمره ربه يرتل القرآن ترتيلاً ، ويفصل الآي تفصيلاً في قراءته ، كما رواه الثقات عنه ، فيمكن ترصد الشيطان لتلك السكتات ، ودسه فيها ما اختلقه من تلك الكلمات محاكياً نعمة النبي ﷺ ، بحيث يسمعه من دنا إليه من الكفار ، فظنوها من قول النبي ﷺ وأشاعوها^(١) . ولم يقدح ذلك عند المسلمين ؛ بحفظ السورة قبل ذلك على ما أنزلها الله ، وتحققهم من حال النبي ﷺ في ذم الأوثان وعيبتها ما عرف منه . وقد حكى موسى بن عقبة في

(١) ورَجَّحَ هذا التأويل ابن العربي قبل المؤلف ، وهو أصله في ذلك ، كما رجحه قبلهما ابن جرير ، وعليه مشى الحافظ ابن حجر وكل من جاء بعدهم ، وهو اللائق بمقام النبي ﷺ وعصمته وأمانته على وحي الله عز وجل . وكل ما عداه فباطل .

مغازيه نحو هذا، وقال: إن المسلمين لم يسمعوها، وإنما ألقى الشيطان ذلك في أسماع المشركين وقلوبهم. ويكون ما روي من حزن النبي ﷺ؛ لهذه الإشاعة والشبهة وسبب هذه الفتنة.

وقوله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى ﴾ [الحج: ٥٢]، فمعنى تمنى: تلا، قال الله تعالى: ﴿ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي ﴾ [البقرة: ٧٨]، أي: تلاوة^(١). وقوله تعالى: ﴿ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ﴾ [الحج: ٥٢]، أي: يذهبه ويزيل اللبس به. ويحكم آياته. وقيل^(٢): معنى الآية: هو ما يقع للنبي ﷺ من السهو إذا قرأ فينتبه لذلك ويرجع عنه، وهذا نحو قول الكلبي في الآية: إنه حدث نفسه. وقال: إذا تمنى، أي حدث نفسه. وفي رواية أبي بكر بن عبد الرحمن ونحوه. وهذا السهو في القراءة إنما يصح فيما ليس طريقه تغيير المعاني وتبديل الألفاظ وزيادة ما ليس من القرآن، بل السهو عن إسقاط آية منه أو كلمة، ولكنه لا يقر على هذا السهو بل ينبه عليه ويذكر به للحين، على ما سنذكره في حكم ما يجوز عليه من السهو وما لا يجوز.

ومما يظهر في تأويله أيضاً أن مجاهدًا روى هذه القصة: «والغرانقة العلي»، فإن سلمنا القصة قلنا: لا يبعد أن هذا كان قرآنًا، والمراد بالغرانقة العلي وإن شفاعتهن لترتجى: الملائكة، على هذه الرواية. وبهذا فسّر الكلبي الغرانقة أنها الملائكة، وذلك أن الكفار كانوا يعتقدون الأوثان، والملائكة بنات الله، كما حكى الله عنهم ورد عليهم في هذه السورة بقوله:

(١) هذا قول أكثر المفسرين، وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: إذا حدث ألقى الشيطان في حديثه. ذكره البخاري، ووصله الطبري، ولا يصح، وهو منكر المعنى.

(٢) هذه التأويل كلها ضعيفة، والصواب ما رجحه المؤلف فيما سبق.

﴿الْكُفْرُ وَالْأَنفَى﴾ [النجم: ٥٣]، فأنكر الله كل هذا من قولهم .
ورجاء الشفاعة من الملائكة صحيح، فلما تأوله المشركون على أن المراد
بهذا الذكر آلهتهم ولبس عليهم الشيطان ذلك وزينه في قلوبهم وألقاه إليهم:
نسخ الله ما ألقى الشيطان وأحكم آياته ورفع تلاوة تينك اللفظتين اللتين وجد
الشيطان بها سبيلاً للإلباس، كما نُسَخ كثير من القرآن ورفعت تلاوته . وكان
في إنزال الله تعالى لذلك حكمة، وفي نسخه حكمة؛ ليضل به من يشاء
ويهدي من يشاء وما يضل به إلا الفاسقين، و ﴿لِيَجْعَلَ مَا يُلْقَى الشَّيْطَانُ فِتْنَةً
لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ [٥٣] وَلِيَعْلَمَ
الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ، فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ﴾ [الحج:
٥٣، ٥٤].

وقيل: إن النبي ﷺ لما قرأ هذه السورة وبلغ ذكر اللات والعزى ومناة
الثالثة الأخرى خاف الكفار أن يأتي بشيء من ذمها، فسبقوا إلى مدحها بتينك
الكلمتين ليخلطوا في تلاوة النبي ﷺ ويشنعوا عليه، على عادتهم وقولهم:
﴿لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَبُونَ﴾ [إبراهيم: ٢٦]، ونسب هذا
القول إلى الشيطان لحمله لهم عليه، وأشاعوا ذلك وأذاعوه وأن النبي ﷺ
قاله، فحزن لذلك من كذبهم وافتراءهم عليه، فسلاه الله تعالى بقوله: ﴿وَمَا
أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ﴾ [الأنبياء: ٢٥]، وبين للناس الحق من ذلك
الباطل، وحفظ القرآن وأحكم آياته، ودفع ما لبس به العدو كما ضمنه تعالى
من قوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾^(١) [الحجر: ٩].

(١) ويلاحظ أن أكثر ما ذكره المؤلف في إبطال هذه القصة هو مأخوذ من كلام القاضي
أبي بكر ابن العربي، فإن له كلاماً مهماً في الموضوع مطوّلاً استوفى فيه الكلام
على هذه القصة الخطيرة، يبقى هنا سؤال عن سبب سجود المشركين مع
النبي ﷺ كما تقدم في الحديث الصحيح الذي هو أصل القصة، وقد أجاب عن =

ومن ذلك: ما روي من قصة نبي الله يونس عليه الصلاة والسلام: أنه وعد قومه العذاب عن ربه، فلما تابوا كشف عنهم العذاب، فقال: لا أرجع إليهم كذاباً أبداً. فذهب مغاضباً.

فاعلم أكرمك الله تعالى أن ليس في خبر من الأخبار الواردة في هذا الباب أن يونس عليه السلام قال لهم: إن الله مهلكهم. وإنما فيه: أنه دعا عليهم بالهلاك، والدعاء ليس بخبر يطلب صدقه من كذبه، لكنه قال لهم: «إن العذاب مصبحكم وقت كذا وكذا»، فكان ذلك كما قال، ثم رفع الله تعالى عنهم العذاب وتداركهم، قال الله تعالى: ﴿إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا ءَامَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ . . .﴾ الآية^(١) [يونس: ٩٨].

ذلك جماعة بأجوبة، منها أنهم سجدوا للدهشة أصابتهم وخوف اعتراهم عند سماع السورة لما فيها من قوله تعالى: ﴿وَأَنذَرُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَىٰ ﴿٥٠﴾ وَثَمُودًا فَمَا أَبْقَىٰ ﴿٥١﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْفَىٰ ﴿٥٢﴾ وَالْمُؤَنَفِكَةَ أَهْوَىٰ ﴿٥٣﴾ فَغَشَّيْنَا مَا غَشَّىٰ ﴿٥٤﴾﴾ [النجم: ٥٠ - ٥٤]، فاستشعروا نزول مثل ذلك بهم، ولعلمهم لم يسمعوا قبل ذلك مثلها منه ﷺ . . . إلخ.

ومنها: أنهم لما سمعوا كلام الشيطان الذي ألقاه عند قراءة النبي ﷺ - إذا سلم صحّة ذلك - استشعروا مدح آلهتهم فسجدوا لذلك. وقيل غير هذا، والله أعلم. وانظر: تفاسير الفخر الرازي وابن كثير والآلوسي.

(١) للمفسرين في هذه القصة كلام، قال ابن كثير: والغرض أنه لم توجد قرية آمنت بكمالها بنبيهم ممن سلف من القرى إلا قوم يونس، وهم أهل نينوى، وما كان إيمانهم إلا تخوفاً من وصول العذاب الذي أنذرهم به رسولهم بعدما عاينوا أسبابه وخرج رسولهم من بين أظهرهم، فعندما جأروا إلى الله واستغاثوا به وتضرعوا له واستكانوا وأحضروا أطفالهم ودوابهم ومواشيهم وسألوا الله أن يرفع عنهم العذاب الذي أنذرهم به نبيهم رحمهم الله وكشف عنهم العذاب، وأخروا . . . إلخ. أما ابن جرير فقد قال: ومعنى الكلام: فما كانت قرية آمنت عند معايتها العذاب ونزول سخط الله بها بعصيانها ربها واستحقاقها عقابه فنفعها إيمانها ذلك في ذلك =

فإن قلت: فما معنى ما روي أن عبد الله بن أبي سرح كان يكتب لرسول الله ﷺ ثم ارتد مشركاً وصار إلى قريش، فقال لهم: إني كنت أصرف محمداً حيث أريد، كان يملي علي ﴿عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٠٩]، فأقول: أو عليهم حكيم؟ فيقول: «نعم كل صواب». وفي رواية: فيقول له النبي ﷺ: «اكتب كذا» فيقول: «اكتب كذا؟ فيقول: «اكتب كيف شئت»^(١).

= الوقت كما لم ينفع فرعون إيمانه حين أدرك الغرق بعد تماديه في غيّه واستحقاقه سخط الله بمعصيته إلا قوم يونس فإنهم نفعهم إيمانهم بعد نزول العذاب بساحتهم، وأخرجهم منه وأخبر خلقه أنه نفعهم إيمانهم خاصة من بين سائر الأمم غيرهم.

(١) أخرجه أحمد ١٢٠/٣ من طريق حميد وثابت بسندين صحيحين على شرطهما عن أنس، غير أنه قال: إن رجلاً كان يكتب ولم يقل عبد الله بن أبي سرح، وأخرجه البخاري في علامات النبوة ٤٣٧/٧، عنه بلفظ: كان رجل نصراني فأسلم وقرأ البقرة وآل عمران فكان يكتب للنبي ﷺ فعاد نصرانياً فكان يقول: ما يدري محمد إلا ما كتبت له. فأماته الله فدفنوه، فأصبح وقد لفظته الأرض فقالوا: هذا فعل محمد وأصحابه نبشوا عن صاحبنا لما هرب منهم. فألقوه فحفروا له فأعمقوا فأصبح وقد لفظته الأرض، فقالوا: هذا فعل محمد وأصحابه نبشوا عن صاحبنا لما هرب منهم فألقوه خارج القبر. فحفروا له وأعمقوا له في الأرض ما استطاعوا، فأصبح وقد لفظته الأرض، فعلموا أنه ليس من الناس فألقوه. ورواه مسلم في صفات المنافقين ١٢٧/١٧ قال: كان منا رجل من بني النجار قد قرأ البقرة وآل عمران وكان يكتب لرسول الله ﷺ فانطلق هارباً حتى لحق بأهل الكتاب. . . قال: فما لبث أن قصم الله عنقه. . . فذكره بنحو ما عند البخاري.

فهذا الرجل كان من بني النجار تنصر ثم أسلم ثم ارتد ومات كافراً.

أما ابن أبي سرح فكان قد ارتد وأهدر النبي ﷺ دمه، فلما كان يوم فتح مكة اختفى عند عثمان، ثم جاء به حتى أوقفه على النبي ﷺ فقال: يا رسول الله بايع عبد الله. فبايعه بعد ثلاث، ثم حسن إسلامه، وكان ممن افتتح مصر مع عمرو بن العاص، ثم غزا المغرب العربي من أدناه إلى أقصاه رئيساً على جيش عظيم فيه الحسن والحسين وابن عباس وابن الزبير رضي الله تعالى عنهم، ثم كان ممن اعتزل =

وفي الصحيح عن أنس رضي الله تعالى عنه أن نصرانيًا كان يكتب للنبي ﷺ بعد ما أسلم ثم ارتد وكان يقول: ما يدري محمد إلا ما كتبت له^(١).

واعلم ثبتنا الله وإياك على الحق ولا جعل للشيطان وتليسه الحق بالباطل إلينا سبيلًا: أن مثل هذه الحكاية أولاً لا توقع في قلب مؤمن ربيًا، إذ هي حكاية عمن ارتد وكفر بالله، ونحن لا نقبل خبر المسلم المتهم فكيف بكافر افتري هو ومثله على الله ورسوله ما هو أعظم من هذا^(٢)؟! والعجب لسليم العقل يشغل بمثل هذه الحكاية سره وقد صدرت من عدو كافر مبغض للدين مفتر على الله ورسوله. ولم يرد عن أحد من المسلمين، ولا ذكر أحد من الصحابة أنه شاهد ما قاله وافتراه على نبي الله و: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ [النحل: ١٠٥].

وما وقع من ذكرها في حديث أنس رضي الله تعالى عنه وظاهر حكايتها فليس فيه ما يدل على أنه شاهدها، ولعله حكى ما سمع، وقد علل البزار حديثه ذلك وقال: رواه ثابت عنه ولم يتابع عليه، ورواه حميد عن أنس قال: وأظن حميدًا إنما سمعه من ثابت. ولهذا والله أعلم لم يخرج أهل الصحيح حديث ثابت ولا حميد^(٣).

= حرب صفين وسكن الرملة بفلسطين وخرج آخر حياته إلى صلاة الصبح وقال: اللّٰهُم اجعل آخر عملي الصبح - فسلم عن يمينه، ثم ذهب يسلم عن يساره فقبض الله روحه. أخرجه البغوي، قال الحافظ في الإصابة: بإسناد صحيح. وكان ذلك سنة تسع وخمسين.

(١) انظر: التعليق السابق.

(٢) ففي هذا وحده كفاية في رد قول ذلك المرتد، فإن قوله في ذلك غير مقبول بالإجماع؛ فلا حاجة إلى تأويل كلامه.

(٣) قد قدمنا أن سندهما صحيح.

والصحيح حديث عبد العزيز بن رفيع عن أنس رضي الله تعالى عنه الذي خرج أهل الصحة وذكرناه وليس فيه عن أنس قول شيء من ذلك من قبل نفسه إلا من حكايته عن المرتد النصراني .

ولو كانت صحيحة لما كان فيها قرح ولا توهيم للنبي ﷺ فيما أوحى إليه ولا جواز للنسيان والغلط عليه، والتحريف فيما بلغه، ولا طعن في نظم القرآن وأنه من عند الله؛ إذ ليس فيه - لو صح - أكثر من أن الكاتب قال له ﴿ أَلَعَلِّمُ الْحَكِيمُ ﴾ [البقرة: ٣٢] أو كتبه، فقال له النبي ﷺ: «كذلك هو» فسبقه لسانه أو قلمه لكلمة أو كلمتين مما نزل على الرسول قبل إظهار الرسول لها، إذا كان ما تقدم مما أملاه الرسول يدل عليها ويقتضي وقوعها بقوة قدرة الكاتب على الكلام ومعرفته به وجودة حسه وفطنته، كما يتفق ذلك للعارف إذا سمع البيت أن يسبق إلى قافيته، أو مبتدأ الكلام الحسن إلى ما يتم به، ولا يتفق ذلك في جملة الكلام، كما لا يتفق ذلك في آية ولا سورة .

وكذلك قوله ﷺ إن صح «كل صواب» فقد يكون هذا فيما فيه من مقاطع الآي وجهان وقراءتان أنزلتا جميعاً على النبي ﷺ فأملى أحدهما، وتوصل الكاتب بفطنته ومعرفته بمقتضى الكلام إلى الأخرى فذكرها للنبي ﷺ، فصوبها له النبي ﷺ ثم أحكم الله من ذلك ما أحكم ونسخ ما نسخ، كما قد وجد ذلك في بعض مقاطع الآية مثل قوله تعالى: ﴿ إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [المائدة: ١١٨]، وهذه قراءة الجمهور. وقد قرأ جماعة: ﴿ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ وليست من المصحف. وكذلك كلمات جاءت على وجهين في غير المقاطع قرأ بهما الجمهور وثبتت في المصحف. مثل: ﴿ وَأَنْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ

نُنشِرُهَا ﴿ [البقرة: ٢٥٩] - ونشرها - ﴿ويقضي الحق﴾ ويقص الحق .
وكل هذا لا يوجب ريبًا ولا يسبب للنبي ﷺ غلطًا ولا وهمًا . وقد قيل : إن
هذا يحتمل أن يكون فيما يكتبه عن النبي ﷺ إلى الناس غير القرآن ، فيصف
الله ويسميه في ذلك كيف شاء (١) .

حكم أخباره ﷺ في أمور الدنيا وأحوال نفسه

هذا القول فيما طريقه البلاغ عن الله عزَّ وجل وأما ما ليس سبيله سبيل
البلاغ من الأخبار التي لا مستند لها إلى الأحكام ولا أخبار المعاد ولا تضاف
إلى وحي ، بل في أمور الدنيا وأحوال نفسه فالذي يجب : تنزيه النبي ﷺ عن
أن يقع خبره في شيء من ذلك بخلاف مُخْبِرِهِ لا عمدًا ولا سهوًا ولا غلطًا ،
وأنه معصوم من ذلك في حال رضاه وفي حال سخطه وجده ومزحه وصحته
ومرضه .

ودليل ذلك اتفاق السلف وإجماعهم عليه ، وذلك أنا نعلم من دين
الصحابة وعاداتهم مبادرتهم إلى تصديق جميع أحواله ، والثقة بجميع أخباره
في أي باب كانت وعن أي شيء وقعت ، وأنه لم يكن لهم توقف ولا تردد في
شيء منها ولا استثبات عن حاله عند ذلك هل وقع فيها سهوًا أم لا . ولما
احتج ابن أبي الحُقَيْق اليهودي على عمر حين أجلاهم من خيبر بإقرار
رسول الله ﷺ واحتج عليه عمر رضي الله تعالى عنه بقوله ﷺ : «كيف بك إذا
أُخْرِجْتَ من خيبر»؟ فقال اليهودي : كانت هزيمة من أبي القاسم . فقال له
عمر : كذبت يا عدو الله (٢) .

(١) كل ما ذكره المؤلف نحن في غنى عنه فلا نحتاج إلى توجيه كلام الكافر الذي افتراه
وقاله لإخوانه الكفرة .

(٢) رواه أحمد ١٤٩/٢ ، والبخاري في الشروط ٢٥٦/٦ من حديث ابن عمر ، وهو
مطول عند البخاري .

وأيضًا: فإن أخباره وآثاره وسيره وشمائله معتنى بها، مستقصى تفاصيلها، ولم يرد في شيء منها استدراكه ﷺ لغلط قول قاله، أو اعترافه بوهم في شيء أخبر به، ولو كان ذلك لنقل كما نقل من قصته عليه الصلاة والسلام رجوعه ﷺ عما أشار به على الأنصار في تلقيح النخل^(١)، وكان ذلك رأيًا لا خبرًا وغير ذلك من الأمور التي ليست من هذا الباب، كقوله ﷺ: «والله لا أحلف على يمين فأرى غيرها خيرًا منها إلاّ فعلت الذي حلفت عليه وكفرت عن يميني»^(٢). وقوله ﷺ: «إنكم تختصمون إليّ...» الحديث^(٣). وقوله ﷺ: «اسق يا زبير حتى يبلغ الماء الجدر»^(٤). كما سنبين

(١) رواه مسلم في الفضائل ١١٧/١٥ من حديث رافع بن خديج وفيه: «إنما أن بشر، إذا أمرتكم بشيء من أمر دينكم فخذوا به، وإذا أمرتكم بشيء من رأيي فإنما أنا بشر»، وفيه أيضًا عن طلحة: «إنما أنا بشر مثلكم وإن الظن يخطيء ويصيب، ولكن ما قلت لكم قال الله فلن أكذب على الله»، وعنده أيضًا: ١١٧/١٥، ١١٨ عن عائشة وأنس... «أنتم أعلم بأمر دنياكم»، ففي هذه الأحاديث أن ما كان بقوله ﷺ ويراه من شؤون الحياة قد يخالف الواقع وهذا بخلاف أمور الدين.

(٢) رواه أحمد ٤/٤١٨، والبخاري ١٤/٣٣٩، ومسلم ١١/١٠٩، ١١٣ كلاهما في الأيمان من حديث أبي موسى، وفي الباب عن جماعة.

(٣) رواه أحمد ٦/٢٩٠، ٣٢٠، ٣٠٨، والبخاري في الأحكام ١٦/٢٩٦، ومسلم في الأفضية ١٢/٥، والترمذي في الأحكام ١٢١٣، وباقي الجماعة عن أم سلمة رضي الله تعالى عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «إنكم تختصمون إليّ وإنما أنا بشر، ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فإن قضيت لأحد منكم بشيء من حق أخيه فإنما أقطع له من النار فلا يأخذ منه شيئًا». وقوله: ألحن، أي: أبلغ وأبين. والحديث يدل على أن النبي ﷺ كان يجتهد فيما لم ينزل عليه. وفيه رد على من يقول بأن حكم الحاكم ينفذ وإن كان الحكم جورًا مبنيا على بينة زور، ولا ريب أن هذا من الفقه السخيف والرأي الباطل.

(٤) رواه البخاري في التفسير ٩/٣٢٣، ومسلم في الفضائل ١٥/١٠٧، وباقي =

كل ما في هذا من مشكل ما في هذا الباب والذي بعده إن شاء الله تعالى مع أشباهها.

وأيضاً: فإن الكذب متى عرف من أحد في شيء من الأخبار بخلاف ما هو على أي وجه كان استريب بخبره واتهم في حديثه، ولم يقع قوله في النفوس موقعاً؛ ولهذا ترك المحدثون والعلماء الحديث عن عرف بالوهم والغفلة وسوء الحفظ وكثرة الغلط مع ثقته

وأيضاً فإن تعمُّد الكذب في أمور الدنيا معصية، والإكثار منه كبيرة بإجماع، مسقط للمروءة. وكل هذا مما ينزه عنه منصب النبوة. والمرة الواحدة منه فيما يستبشع ويستشنع مما يخل بصاحبها ويزري بقائلها لاحقة بذلك.

وأما فيما لا يقع هذا الموقع فإن عددناها من الصغائر، فهل تجري على حكمها في الخلاف فيها؟ مختلف فيه. والصواب: تنزيه النبوة عن قليله وكثيره وسهوه وعمده، إذ عمدة النبوة البلاغ والإعلام والتبيين وتصديق ما جاء به النبي ﷺ. وتجوز شيء من هذا قادح في ذلك ومشكك فيه، مناقض للمعجزة. فلنقطع عن يقين بأنه لا يجوز على الأنبياء خلف في القول في وجه من الوجوه، لا بقصد ولا بغير قصد، ولا نتسامح مع من يتسامح في تجويز ذلك عليهم حال السهو فيما ليس طريقه البلاغ، نعم، وبأنه لا يجوز عليهم الكذب قبل النبوة ولا الاتسام به في أمورهم وأحوال دنياهم، لأن ذلك كان يزرى ويريب بهم وينفر القلوب عن تصديقهم بعد^(١). وانظر أحوال عصر النبي ﷺ من قريش وغيرها من الأمم وسؤالهم عن حاله في صدق لسانه وما

= الجماعة. وفيه نزول قوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ﴾ [النساء: ٦٥].

(١) ما قاله المؤلف هو الذي يليق بمنصب النبوة، ولا يجوز اعتقاد سواه.

عرفوا به من ذلك واعترفوا به مما عرف . واتفق النقل على عصمة نبينا ﷺ منه قبل وبعد . وقد ذكرنا أول الكتاب في الباب الثاني ما يبين صحة ما أشرنا إليه .

أخبار استشكلت والجواب عنها

فإن قلت : فما معنى قوله ﷺ فيما رواه أبو هريرة رضي الله تعالى عنه قال : صَلَّى رسول الله ﷺ صلاة العصر فسلم في ركعتين ، فقام ذو اليمين فقال : يا رسول الله ﷺ ، أقصرت الصلاة أم نسيت؟ فقال رسول الله ﷺ : «كل ذلك لم يكن»^(١) وفي رواية : «ما قصرت الصلاة وما نسيت . . .» الحديث . . فأخبر بنفي الحالتين ، وأنها لم تكن ، وقد كان أحد ذلك كما قال ذو اليمين : قد كان بعض ذلك يا رسول الله .

فاعلم وفقنا الله وإياك أن للعلماء في ذلك أجوبة ، بعضها بصدد الإنصاف ، ومنها ما هو بنية التعسف والاعتساف .

أما على القول بتجويز الوهم والغلط مما ليس طريقه من القول البلاغ وهو الذي زيفناه من القول فلا اعتراض بهذا الحديث وشبهه .

وأما على مذهب من يمنع السهو والنسيان في أفعاله جملة^(٢) ويرى أنه في مثل هذا عامد لصور النسيان ليسن ، فهو صادق في خبره لأنه لم ينس ولا قصرت ، ولكنه على هذا القول تعمد هذا الفعل في هذه الصورة ليسن لمن اعتراه مثله ، وهو قول مرغوب عنه سنذكره في موضعه .

(١) رواه أحمد ٢/٤٦٠ ، والبخاري في الصلاة ٣/٣٣٩ ، ٣٤٣ ، ومسلم في المساجد ٥/٦٧ ، ٧٠ ، وأبو داود ١٠٠٨ ، والترمذي ٣٥٧ بتهذيبي وغيرهم .

(٢) هذا مذهب ضعيف مصادم لنصوص القرآن والسنة ومخالف لما ذهب إليه الجمهور .

وأما على إحالة السهو عليه في الأقوال^(١) وتجويز السهو عليه فيما ليس طريقه القول، ففيه أجوبة:

منها: أن النبي ﷺ أخبر عن اعتقاده وضميره: أما إنكار القصر فحق وصدق باطنًا وظاهرًا. وأما النسيان فأخبر ﷺ عن اعتقاده، وأنه لم ينس في ظنه، فكأنه قصد الخبر بهذا عن ظنه وإن لم ينطق به، وهذا صدق أيضًا.

ووجه ثان: أن قوله: «ولم أنس» راجع إلى السلام، أي: إني سلمت قصدًا وسهوت عن العدد، أي: لم أسه في نفس السلام. وهذا محتمل، وفيه بعد.

ووجه ثالث، وهو أبعدها: ما ذهب إليه بعضهم — وإن احتمله اللفظ من قوله: «كل ذلك لم يكن» — أي: لم يجتمع القصر والنسيان، بل كان أحدها. ومفهوم اللفظ خلافه مع الرواية الأخرى الصحيحة وهو قوله: «ما قصرت الصلاة وما نسيت».

هذا ما رأيت فيه لأئمتنا، وكل من هذه الوجوه محتمل للفظ على بعد بعضها وتعسف الأخير منها.

قال أبو الفضل رحمه الله: والذي أقول ويظهر لي أنه أقرب من هذه الوجوه كلها: أن قوله: «لم أنس» إنكار للفظ الذي نفاه عن نفسه وأنكره على غيره بقوله: «بئسما لأحدكم أن يقول نسيت آية كذا وكذا، ولكنه نسي»^(٢)،

(١) هذا أيضًا مخالف للنص، وقول عامة العلماء كما يأتي التنبيه على ذلك إن شاء الله تعالى فإن ظاهر قوله ﷺ الآتي: «إنما أنا بشر أنسى كما تنسون» عام في الأقوال والأفعال.

(٢) رواه أحمد ١/٤١٧، ٤٢٩، ٤٣٨، والبخاري ١٠/٤٥٧، ٤٥٨، ومسلم ٦/٧٦، ٧٧، كلاهما في فضائل القرآن، ورواه الترمذي في التفسير رقم ٢٧٤٨ وغيرهم من حديث ابن مسعود. وقوله: «بل هو نسي» بضم النون وكسر السين المشددة، =

فلما قال له السائل : أقصرت الصلاة أم نسيت إنك قصرتها؟ ونسيانه هو من قبل نفسه، وأنه إن كان جرى شيء من ذلك فقد نُسي حتى سأل غيره فتحقق أنه نُسي وأُجري عليه ذلك ليسن، فقوله على هذا : «لم أنس ولم تقصر، وكل ذلك لم يكن» صدق وحق : لم تقصر ولم ينس حقيقة، ولكنه نُسي .

ووجه آخر استثرت من كلام بعض المشايخ، وذلك أنه قال : إن النبي ﷺ كان يسهو ولا ينسى، ولذلك نفى عن نفسه النسيان . قال : لأن النسيان غفلة وآفة، والسهو إنما هو شغل . قال : فكان النبي ﷺ يسهو في صلاته ولا يغفل عنها . وكان يشغله عن حركات الصلاة ما في الصلاة شغلاً بها لا غفلة عنها . فهذا إن تحقق على هذا المعنى لم يكن في قوله : «ما قصرت وما نسيت» خلف في قول . وعندني أن قوله : «ما قصرت الصلاة وما نسيت» بمعنى الترك الذي هو أحد وجهي النسيان، أراد والله أعلم : أني لم أسلم من ركعتين تاركًا لإكمال الصلاة، ولكن نسيت ولم يكن ذلك من تلقاء نفسه .

وأما قصة كلمات إبراهيم المذكورة أنها كذباته الثلاث : المنصوصة في القرآن منها اثنتان، قوله : ﴿ إِنِّي سَقِيمٌ ﴾ [الصافات : ٨٩] ﴿ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا ﴾ [الأنبياء : ٦٣]، وقوله للملك عن زوجته : إنها أختي .

فاعلم أكرمك الله أن هذه كلها خارجة عن الكذب، لا في القصد ولا في غيره، وهي داخلة في باب المعاريض التي فيها مندوحة عن الكذب .

أما قوله تعالى : ﴿ إِنِّي سَقِيمٌ ﴾ ففيه تأويل : فقيل : سأسقم، بمعنى : أن كل إنسان معرض لذلك . وقيل : سقيم بما قُدر عليّ من الموت . وقيل :

= أي : ليس النسيان من فعله وإنما هو من خلق الله تعالى، فهو الذي نساه، فلا ينبغي للإنسان أن ينسب نسيان القرآن أو غيره لنفسه بالذات .

سقيم القلب بما أشاهده من كفركم وعنادكم . وقيل : غير ذلك مما اعتذر به لهم عن خروجه معهم إلى عيدهم . وكل هذا ليس فيه كذب ، بل خبر صحيح صدق^(١) .

وأما قوله تعالى : ﴿ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا ﴾ [الأنبياء : ٦٣] ، فإنه علق خبره بشرط نطقه ، كأنه قال : إن كان ينطق فهو فعله ، على طريق التبيكيت لقومه . وهذا صدق أيضاً ولا خلف فيه .

وأما قوله عليه الصلاة والسلام : «أختي» فقد بين في الحديث وقال : «فإنك أختي في الإسلام» ، وهو صدق ، والله تعالى يقول : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [الحجرات : ١٠] .

فإن قلت : فهذا النبي ﷺ قد سماها كذبات وقال : «لم يكذب إبراهيم إلا ثلاث كذبات»^(٢) . وقال في حديث الشفاعة : «ويذكر كذباته»^(٣) . فمعناه : أنه لم يتكلم بكلام صورته صورة الكذب وإن كان حقاً في الباطن إلا هذه الكلمات . ولما كان مفهوم ظاهرها خلاف باطنها أشفق إبراهيم عليه السلام بمؤاخذته بها .

وأما الحديث : «كان النبي ﷺ إذا أراد غزوة ورى غيرها»^(٤) فليس

(١) وانظر مصدر هذه الأقوال والتأويل عند ابن جرير ٧٠/٢٢ ، ٧١ ، وابن كثير ٢٢/٦ مع تفاسير أخرى للآية .

(٢) الحديث رواه مطولاً ، أحمد ٤٠٣/٢ ، والبخاري في الأنبياء ٧/٢٠١ ، ٢٠٤ ، وفي مواضع ، ومسلم في الفضائل ١٢٣/١٥ وغيرهم . وانظر شرحه في العبر لكاتبه .

(٣) هو في الصحيحين وغيرهما مطولاً ، وأوله : «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر ، أتدرون مم ذلك . . .» الحديث ، وقد تقدم .

(٤) هو قطعة من حديث كعب بن مالك الطويل في تخلفه عن غزوة تبوك وتوبة الله عليه وعلى صاحبيه .

وهو في التفسير من البخاري ٩/٤١٢ ، وفي المغازي ، وفي التوبة عند مسلم =

فيه خلف في القول، إنما هو ستر مقصده لئلا يأخذ عدوه حذره، وكنتم وجه ذهابه بذكر السؤال عن موضع آخر والبحث عن إخباره والتعريض بذكره، لا أنه يقول: تجهزوا إلى غزوة كذا، أو وجهتنا إلى موضع كذا، خلاف مقصده، فهذا لم يكن. والأول ليس فيه خبر يدخله الخلف.

فإن قلت: فما معنى قول موسى عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام وقد سئل: أيّ الناس أعلم؟^(١)، فقال: «أنا أعلم» فعتب الله عليه ذلك؛ إذ لم يردّ العلم إليه... الحديث، وفيه: قال: «بل عبد لنا بمجمع البحرين أعلم منك». وهذا خبر قد أنبأ الله أنه ليس كذلك.

فاعلم أنه وقع في هذا الحديث من بعض طرقه الصحيحة عن ابن عباس: «هل تعلم أحدًا أعلم منك؟» فإذا كان جوابه على علمه؛ فهو خبر حق وصدق، لا خلف فيه ولا شبهة. وعلى الطريق الآخر؛ فمحمّله على ظنه ومعتقده، كما لو صرح به؛ لأن حاله في النبوة والاصطفاء يقتضي ذلك، فيكون إخباره بذلك أيضًا عن اعتقاده وحسابه صدقًا لا خلف فيه. وقد يريد بقوله: «أنا أعلم» بما تقتضيه وظائف النبوة من علوم التوحيد وأمور الشريعة وسياسة الأمة، ويكون الخضر أعلم منه بأمور آخر مما لا يعلمه أحد إلاّ بإعلام الله، من علوم غيبية، كالقصص المذكورة في خبرهما. فكان موسى عليه الصلاة والسلام أعلم على الجملة بما تقدم، وهذا أعلم على الخصوص بما أعلم، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾﴾ [الكهف: ٦٥].

= ١٧/٨٧، ٩٧، وأبي داود ٢٣١٧، والترمذي في التفسير ٢٩٠٢ تهذيبي وغيرهم.

(١) رواه البخاري في العلم ١/٢٢٨، ٢٣٣، وفي مواضع نحو العشرة، ومسلم في الفضائل ١٥/١٣٦، وأهل السنن وغيرهم من حديث ابن عباس مطولاً.

وَعَتَبَ اللهُ ذَلِكَ عَلَيْهِ فِيمَا قَالَه الْعُلَمَاءُ: إنْكَارَ هَذَا الْقَوْلِ عَلَيْهِ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَرُدَّ الْعِلْمَ إِلَيْهِ، كَمَا قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ: ﴿لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا﴾ [البقرة: ٣٢].
 أو لأنه لم يرض قوله شرعاً، وذلك والله أعلم لئلا يقتدي به فيه من لم يبلغ كماله في تزكية نفسه وعلو درجته من أمته فيهلك. لما تضمنه من مدح الإنسان نفسه، ويورثه ذلك من الكبر والعجب والدعوى. وإن نزه عن هذه الرذائل الأنبياء فغيرهم بمدرجة سبيلها إلا من عصمه الله، فالتحفظ منها أولى لنفسه وليقتدي به، ولهذا قال ﷺ تحفظاً من مثل هذا مما قد علم به: «أنا سيد ولد آدم ولا فخر»^(١).

وهذا الحديث إحدى حجج القائلين بنبوة الخضر عليه السلام^(٢) لقوله: «أنا أعلم من موسى» ولا يكون الولي أعلم من النبي ﷺ، وأما الأنبياء فيتفاضلون في المعارف، وبقوله تعالى: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي﴾ [الكهف: ٨٢]، فدل أنه بوحى. ومن قال أنه ليس بنبي قال: يحتمل أن يكون فعله بأمر نبي آخر. وهذا ضعيف؛ لأننا ما علمنا أنه كان في زمن موسى نبي غيره إلا أخاه هارون، وما نقل أحد من أهل الأخبار في ذلك شيئاً يعول عليه. وإذا جعلنا «أعلم منك» ليس على العموم وإنما هو في قضايا معينة لم نحتج إلى إثبات نبوة الخضر، ولهذا قال بعض الشيوخ: كان موسى أعلم من الخضر فيما أخذ عن الله، والخضر أعلم فيما دُفِعَ إليه من موسى^(٣). وقال آخر: إنما ألجىء موسى إلى الخضر للتأديب لا للتعليم.

(١) تقدم ص ١٨١، ٤٣٠.

(٢) الصحيح أنه نبي، وقد ألف جماعة من العلماء في إثبات نبوته، منهم الحافظ ابن حجر.

(٣) ولذلك جاء في الحديث عن الخضر: «يا موسى إني على علم من الله علمنيه لا تعلمه أنت، وأنت على علم من الله علمك الله لا أعلمه». فسبحان من خص من =

عصمة الأنبياء في جوارحهم من الفواحش والكبائر

وكتم الرسالة والتقصير في التبليغ

وأما ما يتعلق بالجوارح من الأعمال – ولا يخرج من جملتها القول باللسان فيما عدا الخبر الذي وقع فيه الكلام، ولا الاعتقاد بالقلب فيما عدا التوحيد وما قدمناه من معارفه المختصة به – ، فأجمع المسلمون على عصمة الأنبياء من الفواحش والكبائر الموبقات، وكذلك لا خلاف أنهم معصومون من كتمان الرسالة والتقصير في التبليغ؛ لأن كل ذلك يقتضي العصمة منه المعجزة مع الإجماع على ذلك من الكافة، والجمهور قائل بأنهم معصومون من ذلك من قبل الله، معتصمون باختيارهم وكسبهم.

وأما الصغائر فجوز جماعة من السلف وغيرهم على الأنبياء، وهو مذهب أبي جعفر الطبري وغيره من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين وسيأتي ما احتجوا به. وذهبت طائفة أخرى إلى الوقف وقالوا: العقل لا يحيل وقوعها منهم، ولم يأت في الشرع قاطع بأحد الوجهين. وذهبت طائفة أخرى من المحققين من الفقهاء والمتكلمين إلى عصمتهم من الصغائر كعصمتهم من الكبائر، قالوا: لاختلاف الناس في الصغائر وتعيينها من الكبائر وإشكال ذلك. وقول ابن عباس وغيره: أن كل ما عصي الله به فهو كبيرة، وأنه إنما سمي منها الصغير بالإضافة إلى ما هو أكبر منه، ومخالفة الباري في أي أمر كان يجب كونه كبيرة، فلا يمكن أن يقال إن في معاصي الله صغيرة إلا على معنى أنها تغتفر باجتناب الكبائر، ولا يكون لها حكم مع ذلك بخلاف الكبائر إذا لم يتب منها، فلا يحبطها شيء، والمشية في العفو عنها إلى الله تعالى. وهو قول جماعة أئمة الأشعرية وكثير من أئمة الفقهاء

= شاء بما شاء، فلا يسأل عما يفعل.

وبعض أئمتنا. ولا يجب على القولين أن يختلف أنهم معصومون عن تكرار الصغائر وكثرتها؛ إذ يلحقها ذلك بالكبائر، ولا في صغيرة أدت إلى إزالة الحشمة وأسقطت المروءة وأوجبت الإزراء والخساسة؛ فهذا أيضاً مما يعصم عنه الأنبياء إجماعاً؛ لأن مثل هذا يحط منصب المتسم به ويزري بصاحبه، وينفر القلوب عنه، والأنبياء منزهون عن ذلك، بل يلحق بهذا ما كان من قبيل المباح فأدى إلى مثله لخروجه بما أدى إليه عن اسم المباح إلى الحظر.

وقد ذهب بعضهم إلى عصمتهم من مواجهة المكروه قصداً، وقد استدل بعض الأئمة على عصمتهم من الصغائر بالمصير إلى امثال أفعالهم واتباع آثارهم وسيرهم مطلقاً، وجمهور الفقهاء على ذلك من أصحاب مالك والشافعي وأبي حنيفة من غير التزام قرينة، بل مطلقاً عند بعضهم، وإن اختلفوا في حكم ذلك، فعن مالك: التزام ذلك واجب. وهو قول أكثر أصحابنا وأكثر أهل العراق. وأكثر الشافعية على أن ذلك نذب.

وذهبت طائفة إلى الإباحة، وقيد بعضهم الاتباع فيما كان من الأمور الدينية وعلم به مقصد القربة. ومن قال بالإباحة لم يقيد، قال: فلو جوزنا عليهم الصغائر لم يمكن الاقتداء بهم في أفعالهم، إذ ليس كل فعل من أفعاله يتميز مقصده به من القربة أو الإباحة أو الحظر والمعصية، ولا يصح أن يؤمر المرء بامثال أمر لعله معصية لا سيما على من يرى من الأصوليين تقديم الفعل على القول إذا تعارضاً. ونزيد هذا حجة بأن نقول: من جوز الصغائر ومن نفاها عن نبينا ﷺ مجتمعون على أنه لا يقر على منكر من قول أو فعل، وأنه متى رأى شيئاً فسكت عنه ﷺ دل على جوازه، فكيف يكون هذا حاله في حق غيره ثم يجوز وقوعه منه في نفسه؟! وعلى هذا المأخذ تجب عصمته من مواجهة المكروه كما قيل.

وأيضاً فقد علم من دين الصحابة قطعاً الاقتداء بأفعال النبي ﷺ كيف توجهت وفي كل فن كالاقتداء بأقواله. فقد نبذوا خواتيمهم حين نبذ خاتمه^(١)، وخلعوا نعاليهم حين خلع^(٢)، واحتجاجهم برؤية ابن عمر إياه جالساً لقضاء حاجته مستقبلاً بيت المقدس^(٣)، واحتج غير واحد منهم في غير شيء مما بابه العبادة أو العادة بقوله: رأيت رسول الله ﷺ: يفعله. وقال: «هلا أخبرتها أنني أقبّل وأنا صائم»^(٤)، وقالت عائشة محتجة: كنت أفعله أنا ورسول الله ﷺ^(٥): وغضب رسول الله ﷺ على الذي أخبر بمثل هذا عنه فقال: يحل لرسول الله ما يشاء وقال: «إني لأخشاكم لله وأعلمكمهم بحدوده»^(٦). والآثار في هذا أعظم من أن تحيط بها لكنه يعلم من

-
- (١) رواه البخاري وأواخر اللباس ١٣/٤٤٤، وفي الأيمان ١٤/٣٤٣، ومسلم في اللباس ١٤/٦٦ من حديث ابن عمر: أنه ﷺ اصطنع خاتماً من ذهب وكان يلبسه فصنع الناس خواتيم، ثم إنه نزعه.. ثم قال: «والله لا ألبسه أبداً فنبد الناس خواتيمهم. وقد جاء النهي عن التختم بالذهب، وقال لمن رآه متختماً بالذهب: «يعمد أحدكم إلى جمرة من نار فيجعلها في يده»، رواه مسلم ١٤/٦٥ وغيره.
- (٢) رواه أحمد ٣/٩٢، وأبو داود ٦٥٠، والحاكم ١/٢٦٠ من حديث أبي سعيد الخدري مطولاً، وسنده صحيح، وكان الخلع في الصلاة.
- (٣) رواه أحمد رقم ٤٦٠٦، ٤٦١٧، والبخاري ١/٢٥٧، ٢٦١، ومسلم ٣/١٥٣، ١٥٤، وباقي الجماعة.
- (٤) رواه مالك في الصيام من الموطأ ٦٥١ مرسلًا عن عطاء بن يسار مطولاً، ووصله عبد الرزاق في المصنف رقم ٨٤١٢ عن رجل من الأنصار، وسنده صحيح.
- (٥) معناه في الصحيحين عنها وعن أم سلمة وحفصة رضي الله تعالى عنهن.
- (٦) وهو حديث عطاء المتقدم الذي وصله عبد الرزاق، وفي صحيح مسلم ٧/٢١٩ عن عمر بن أبي سلمة رضي الله تعالى عنهما أنه سأل رسول الله ﷺ: أقبّل الصائم؟ فقال له رسول الله ﷺ: «سل هذه»، لأم سلمة، فأخبرته أن =

مجموعهما القطع في اتباعهم أفعاله واقتداءهم بها، ولو جوزوا عليه المخالفة في شيء منها لما اتسق هذا، ولنقل عنهم وظهر بحثهم عن ذلك، ولما أنكر ﷺ على الآخر قوله واعتذاره بما ذكرناه.

وأما المباحات فجائز وقوعها منهم، إذ ليس فيها قدح، بل هي مأذون فيها وأيديهم كأيدي غيرهم إلا أنهم بما خصوا به من رفيع المنزلة وشرحت لهم صدورهم من أنوار المعرفة واصطفوا به من تعلق بالهم بالله والدار الآخرة لا يأخذون من المباحات إلا الضرورات مما يتقوون به على سلوك طريقهم وصلاح دينهم وضرورة دنياهم. وما أخذ على هذه السبيل التحق طاعة وصار قرابة كما بينا منه أول الكتاب طرفاً في خصال نبينا ﷺ.

فبان لك عظيم فضل الله على نبينا وعلى سائر أنبيائه عليهم الصلاة والسلام بأن جعل أفعالهم قربات وطاعات بعيدة عن وجه المخالفة ورسم المعصية^(١).

الاختلاف في عصمة الأنبياء من المعاصي قبل النبوة

وقد اختلف في عصمة الأنبياء من المعاصي قبل النبوة، فمنعها قوم وجوزها آخرون، والصحيح إن شاء الله تعالى تنزيههم من كل عيب، وعصمتهم من كل ما يوجب الريب.

= رسول الله ﷺ يصنع ذلك، فقال: يا رسول الله قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر. فقال له رسول الله ﷺ: «أما والله إنني لأتقاكم الله وأخشاكم له».

(١) لقد أجاد الإمام عياض رحمه الله تعالى في هذا الموضوع ووفق في ذلك فجزاه الله تعالى خيراً عن دفاعه عن جناب نبينا وسائر إخوانه من الأنبياء عليهم جميعاً الصلاة والسلام، وتبرئته إياهم مما يشين مقاماتهم ويخدش أعراضهم من النقائص المخلة بمرواتهم.

وقد اختلف الناس في حال نبينا ﷺ قبل أن يوحى إليه، هل كان متبعًا لشرع قبله أم لا؟ فقال جماعة: لم يكن متبعًا لشيء. وهذا قول الجمهور. فالمعاصي على هذا القول غير موجودة ولا معتبرة في حقه حينئذ؛ إذ الأحكام الشرعية إنما تتعلق بالأوامر والنواهي وتقرر الشريعة، ولم يكن شيء من ذلك قبل نبوته^(١).

وقالت فرقة ثانية بالوقف في أمره ﷺ وترك قطع الحكم عليه بشيء من ذلك.

وقالت فرقة ثالثة: إنه كان عاملاً بشرع من قبله.

والأظهر: القول الأول؛ إذ لو كان شيء من ذلك لنقل ولم يخف جملة. ولا حجة لمن قال بأن عيسى آخر الأنبياء، فتلزم شريعته من جاء بعده؛ إذ لم يثبت عموم دعوته عليه السلام، بل الصحيح أنه لم يكن لنبي دعوة عامة إلا لنبينا ﷺ. أما قوله تعالى: ﴿أَنْ أَتَّبِعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ [النحل: ١٢٣]، وقوله: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا...﴾ الآية [الشورى: ١٣]، وقوله عز وجل: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدْلِهِمْ أُقْتَدَ﴾ [الأنعام: ٩٠]. فهي محمولة على اتباعهم في التوحيد. وقد سمي الله تعالى فيهم من لم يبعث ولم تكن له شريعة تخصه، وقد سمي تعالى جماعة منهم — في الآية الأخيرة — شرائعهم مختلفة لا يمكن الجمع بينها، فدل على أن المراد ما اجتمعوا عليه من التوحيد وعبادة الله تعالى وحده. وأما الشرائع والأحكام الفروعية لم يكن تابعًا فيها لأحد ولا كان مخاطبًا بشيء منها قبل البعثة^(٢).

(١) هذا معقول ووجيه لأنه لا تكليف قبل الشرع.

(٢) فما صدر منه قبل البعثة من الهفوات لو فرضناها كانت من قبيل المباحات على أصل البراءة الأصلية.

الأنبياء وغيرهم سواء

في ترك المؤاخذة على السهو والنسيان

هذا حكم ما تكون المخالفة فيه من الأعمال عن قصد، وهو ما يسمى معصية ويدخل تحت التكليف. وأما ما يكون بغير قصد وتعمد كالسهو والنسيان في الوظائف الشرعية مما تقرر الشرع بعدم تعلق الخطاب به وترك المؤاخذة عليه، فأحوال الأنبياء في ترك المؤاخذة به وكونه ليس بمعصية لهم مع أممهم سواء^(١).

ثم ذلك على نوعين: ما طريقه البلاغ وتقرير الشرع وتعلق الأحكام وتعليم الأمة بالفعل وأخذهم باتباعهم فيه، وما هو خارج عن هذا مما يختص بنفسه. أما الأول فحكمه عند جماعة من العلماء حكم السهو في القول في هذا الباب^(٢). وقد ذكرنا الاتفاق على امتناع ذلك في حق النبي ﷺ وعصمته من جوازه عليه قصداً أو سهواً، فكذلك قالوا: الأفعال في هذا الباب لا يجوز طرو المخالفة فيها لا عمداً ولا سهواً؛ لأنها بمعنى القول من جهة التبليغ والأداء، وحدوث هذه العوارض عليها يوجب التشكيك ويسبب المطاعن.

لكن ذهب الأكثر من الفقهاء والمتكلمين إلى أن المخالفة في الأفعال البلاغية والأحكام الشرعية سهواً وعن غير قصد منه جائز عليه^(٣)، كما تقرر

(١) لقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]، وقوله ﷺ: «إن الله وضع عن أمتي الخطأ والنسيان...» إلخ، رواه ابن ماجه ٢٠٤٥، والطحاوي في معاني الآثار ٥٦/٢، والحاكم ١٩٨/٢، وغيرهم من طريقين عن ابن عباس، وصححه الحاكم على شرطهما، ووافقه الذهبي. فالمؤاخذة على الخطأ والنسيان... موضوعة عن الأمة، ونبيها ﷺ مثلها.

(٢) وهذا قول مرجوح ومرغوب عنه؛ لمخالفته للنصوص، كما سيبين المؤلف.

(٣) وهذا هو الصواب الموافق للأحاديث التي جاء فيها سهوه ﷺ ونسيانه...

من أحاديث السهو في الصلاة، وفرقوا بين ذلك وبين الأقوال البلاغية؛ لقيام المعجزة على الصدق في القول، ومخالفة ذلك تناقضها. وأما السهو في الأفعال فغير مناقض لها ولا قادح في النبوة، بل غلطات الفعل وغفلات القلب من سمات البشر، كما قال ﷺ: «إنما أنا بشر أنسى كما تنسون فإذا نسيت فذكروني»^(١). نعم حالة النسيان والسهو هنا في حقه ﷺ سبب إفادة علم وتقرير شرع، وهذه الحالة زيادة له في التبليغ وتمام عليه في النعمة، بعيدة عن سمات النقص وأغراض الطعن؛ فإن القائلين بتجويز ذلك يشترطون أن الرسل لا تقرر على السهو والغلط، بل ينبهون عليه ويعرفون حكمه بالفور على قول بعضهم - وهو الصحيح - ، وقبل انقراضهم على قول الآخرين.

وأما ما ليس طريقه البلاغ ولا بيان الأحكام من أفعاله ﷺ وما يختص به من أمور دينه وأذكار قلبه مما لم يفعله ليتبع فيه فالأكثر من طبقات علماء الأمة على جواز السهو والغلط عليه فيها، ولحوق الفترات والغفلات بقلبه، وذلك بما كلفه من مقاساة الخلق وسياسة الأمة ومعاناة الأهل وملاحظة الأعداء، لكن ليس على سبيل التكرار ولا الاتصال بل على سبيل الندور، كما قال ﷺ: «إنه ليغان على قلبي فاستغفر الله»^(٢) وليس في هذا شيء يحط من رتبته ويناقض معجزته.

(١) رواه أحمد ٤٢٠/١، والبخاري في القبلة ٥٠/٢، ومسلم في المساجد ٦١/٥، ٦٢، ٦٦، وغيرهم من حديث ابن مسعود. قال الحافظ في الفتح: وفيه دليل على جواز وقوع السهو من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في الأفعال. قال ابن دقيق العيد: وهو قول عامة العلماء والنظار. وشذت طائفة فقالوا: لا يجوز على النبي السهو. وهذا الحديث يرد عليهم... إلخ.

(٢) تقدم تخريجه والكلام عليه ص ١٥٥.

وذهبت طائفة إلى منع السهو والنسيان والغفلات والفترات في حقه ﷺ جملة^(١)، وهو مذهب جماعة المتصوفة وأصحاب علم القلوب والمقامات، ولهم في هذه الأحاديث مذاهب سنذكرها بعد إن شاء الله تعالى.

الكلام على أحاديث السهو منه ﷺ

وقد قدمنا في الفصول قبل هذا ما يجوز فيه عليه السهو ﷺ وما يمتنع وأحلناه في الأخبار جملة وفي الأقوال الدينية قطعاً، وأجزنا وقوعه في الأفعال الدينية على الوجه الذي رتبناه، وأشرنا إلى ما ورد في ذلك. ونحن نبسط القول فيه.

والصحيح من الأحاديث الواردة في سهوه ﷺ في الصلاة ثلاثة أحاديث^(٢)، أولها: حديث ذي اليمين في السلام من اثنتين^(٣)، الثاني: حديث ابن بحنة في القيام من اثنتين^(٤)، الثالث حديث ابن مسعود رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ صَلَّى الظهر خمساً^(٥). وهذه الأحاديث مبنية على

(١) وقد عرفت أن ذلك يخالف النصوص الشرعية، ولا كلام لأحد مع نص الشارع كائناً من كان.

(٢) بل خمسة كما سنذكر عقبها.

(٣) هذا رواه البخاري ٣/٣٣٩، ٣٤٣، ومسلم ٥/٦٧، ٧٠ وباقي الجماعة من حديث أبي هريرة مطولاً وبألفاظ.

(٤) رواه البخاري ٣/٣٤٠، ومسلم ٥/٥٨ وباقيهم أيضاً.

(٥) البخاري ٣/٣٣٦، ومسلم ٥/٦٤، وباقي الجماعة هذا ما ذكره المؤلف، وبقي عليه حديثان.

الحديث الرابع: عن عمران بن حصين رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ صَلَّى العصر فسلم في ثلاث ركعات، ثم دخل منزله فقام إليه رجل فقال: يا رسول الله... فذكر له صنيعه... وخرج غضبان يجر رداءه حتى انتهى إلى الناس فقال: «أصدق هذا؟ قالوا: نعم. فصلَّى ركعة ثم سلم، ثم سجد سجدة ثم سلم. رواه مسلم =

السهو في الفعل الذي قررناه، وحكمة الله فيه ليستن به؛ إذ البلاغ بالفعل أجلى منه بالقول وأرفع للاحتمال، وشرطه أن لا يقر على السهو بل يشعر به ليرتفع الالتباس وتظهر فائدة الحكمة كما قدمناه، وأن النسيان والسهو في الفعل في حقه ﷺ غير مضاد للمعجزة ولا قادح في التصديق. وقد قال ﷺ: «إنما أنا بشر أنسى كما تنسون، فإذا نسيت فذكروني»^(١). وقال: «رحم الله فلاناً لقد أذكرني كذا وكذا آية كنت أسقطتهن» ويروى: «أنسيتهن»^(٢).

وذهبت طائفة من أهل المعاني والكلام على الحديث إلى أن النبي ﷺ كان يسهو في الصلاة ولا ينسى؛ لأن النسيان ذهول وغفلة وآفة والنبي ﷺ منزّه عنها، والسهو شغل، فكان ﷺ يسهو في صلاته ويشغله عن حركات الصلاة ما في الصلاة شغلاً بها لا غفلة عنها.

وذهبت طائفة أخرى إلى منع هذا كله عنه وقالوا: إن سهوه ﷺ كان عمداً أو قصداً ليسن. وهذا قول مرغوب عنه متناقض المقاصد؛ لأنه كيف يكون متعمداً ساهياً في آن واحد؟!^(٣).

= ٥ / ٧٠ / ٧٣، وأبو داود والنسائي وغيرهم.

الحديث الخامس: عن عطاء أن ابن الزبير صلى المغرب فسلم في ركعتين، فنهض ليستلم الحجر فسبح القوم فقال: ما شأنكم؟... قال: فصلى ما بقي وسجد سجدتين. قال: فذكرت ذلك لابن عباس فقال: ما أمارط عن سنة نبيه ﷺ. رواه أحمد ٣٥١/١. قال في مجمع الزوائد ١٥٠/٢ بعد أن عزاه لأحمد، والطبراني والبخاري: رجال أحمد رجال الصحيح، ونحوه عن أبي موسى عند كبير الطبراني رجال الصحيح أيضاً.

(١) تقدم قريباً ص ٤٣٩.

(٢) رواه أحمد ٦٢/٦، ١٣٨، والبخاري في الشهادات ٦/١٩٣، وفي فضائل القرآن، ومسلم في فضائل القرآن ٦/٧٥، وغيرهم من حديث عائشة رضي الله تعالى عنها.

(٣) هذا معلوم بطلانه بداهة.

نعم قد يسهو بطاعة عن طاعة، كما ترك الصلاة يوم الخندق حتى خرج وقتها وشغل بالتحرز من العدو عنها، حتى ترك أربع صلوات: الظهر والعصر والمغرب والعشاء^(١). وكان ذلك قبل نزول صلاة الخوف.

فإن قلت: فما تقول في نومه ﷺ عن الصلاة يوم الوادي^(٢) وقد قال: «إن عيني تنامان ولا ينام قلبي»^{(٣)؟!}

فاعلم أن للعلماء عن ذلك أجوبة:

منها: أن المراد بأن هذا حكم قلبه عند نومه وعينه في غالب الأوقات، وقد ينذر منه غير ذلك ويصحح هذا التأويل قوله ﷺ في الحديث نفسه: «إن الله قبض أرواحنا». وقول بلال فيه: (ما ألقيت (عليّ) نومة مثلها قط)^(٤). ولكن مثل هذا إنما يكون منه لأمر يريد الله من إثبات حكم

(١) ورد بهذا حديثان: حديث أبي سعيد الخدري قال: حبسنا يوم الخندق عن الصلوات حتى كان بعد المغرب هويًا وذلك قبل أن ينزل في القتال ما نزل. قال فأقام الظهر فصلاها كما يصلها في وقتها، ثم أقام العصر فصلاها كما يصلها في وقتها، ثم أقام المغرب... إلخ. رواه أحمد ٢٥/٣، وابن خزيمة ٩٩٦، وابن حبان ٢٨٥، والطحاوي في المعاني ٣٢١/١ بسند صحيح، وله شاهد عن ابن مسعود عند الترمذي والنسائي. الحديث الثاني: عن جابر: جاء عمر النبي ﷺ يوم الخندق فجعل يسب كفار قريش ويقول: يا رسول الله ما صليت صلاة العصر حتى كادت أن تغيب، قال النبي ﷺ: «والله ما صلينا بعد»، فنزلنا إلى بطحان فتوضأ رسول الله ﷺ وتوضأنا فصلّى رسول الله ﷺ العصر بعد ما غربت الشمس، ثم صلّى المغرب. رواه البخاري في المواقيت ٢٠٨/٢ وفي مواضع، ومسلم ١٣١/٥، ١٣٢، وجاء من غير وجه وبألفاظ.

(٢) تقدم ص ٤٠٩.

(٣) تقدم ص ١٠٢.

(٤) وهو بعض حديث نومهم عن الصلاة المتقدم ص ٤٠٩.

وتأسيس سنة وإظهار شرع، وكما قال في الحديث الآخر: «لو شاء الله لأيقظنا ولكن أراد أن يكون لمن بعدكم».

الثاني: أن قلبه لا يستغرقه النوم حتى يكون منه الحدث فيه، لما ورد: «أنه كان ينام حتى ينفخ وحتى يسمع غطيته»^(١) ثم يصلي ولا يتوضأ، وحديث ابن عباس المذكور فيه وضوءه عند قيامه من النوم فيه نومه مع أهله^(٢) فلا يمكن الاحتجاج به على وضوئه بمجرد النوم، إذ لعل ذلك لملامسة الأهل أو لحدث آخر، فكيف وفي آخر الحديث نفسه: «ثم نام حتى سمعت غطيته ثم أقمت الصلاة فصلّى ولم يتوضأ». وقيل: لا ينام قلبه من أجل أنه يوحى إليه في النوم. وليس في قصة الوادي إلا نوم عينيه عن رؤية الشمس وليس هذا من فعل القلب، وقد قال عليه السلام: «بأن الله قبض أرواحنا ولو شاء لردها إلينا»^(٣).

فإن قيل: فلولا عادته من استغراق النوم لما قال لبلال: «اكلاً لنا الصبح».

فقيل في الجواب: إنه كان من شأنه عليه السلام التغليس بالصبح، ومراعاة أول الفجر لا تصح ممن نامت عينه، إذ هو ظاهر يدرك بالجوارح الظاهرة، فوكل بلالاً بمراعاة أوله ليعلمه بذلك، كما لو شغل بشغل غير النوم مع مراعاته.

فإن قيل: فما معنى نهيه عليه السلام عن القول: «نسيت» وقد قال عليه السلام: «إني أنسى كما تنسون، فإذا نسيت فذكروني»^(٤). وقال: «لقد أذكرني كذا وكذا آية

(١) هو حديث واحد مع الحديث الآتي وقد تقدم أيضاً ص ٩٠.

(٢) هو حديث واحد مع سابقه وقد تقدم أيضاً ص ٩٠.

(٣) هو بعض حديث نومهم ص ٤٠٩.

(٤) تقدم ص ٤٣٩.

كنت أنسيتها»^(١).

فاعلم أكرمك الله أنه لا تعارض في هذه الألفاظ . أما نهيه عن أن يقال «نسيت آية كذا» فمحمول على ما نسخ نقله من القرآن، أي : أن الغفلة في هذا لم تكن منه، ولكن الله تعالى اضطره إليها ليمحو ما يشاء ويثبت، وما كان من سهو أو غفلة من قبله تذكرها صح أن يقال فيها «أنسي». وقد قيل : إن هذا منه ﷺ على طريق الاستحباب أن يضيف الفعل إلى خالقه، والآخر على طريق الجواز لاكتساب العبد فيه، وإسقاطه ﷺ لما أسقط من هذه الآيات جاز عليه بعد بلاغ ما أمر ببلاغه وتوصيله إلى عباده، ثم يستذكرها من أمته أو من قبل نفسه إلا ما قضى الله نسخه ومحوه من القلوب وترك استذكاره . وقد يجوز أن ينسى النبي ﷺ ما هذا سبيله كرة، ويجوز أن ينسيه منه قبل البلاغ ما لا يغير نظمًا ولا يخلط حكمًا مما لا يدخل خللاً في الخبر ثم يذكره إياه، ويستحيل دوام نسيانه له لحفظ الله كتابه وتكليفه بلاغه .

إبطال قول من أجاز على الأنبياء

صدور المعاصي الصغائر منهم

اعلم أن المجوزين للصغائر على الأنبياء من الفقهاء والمحدثين ومن شايعهم على ذلك من المتكلمين احتجوا على ذلك بظواهر كثيرة من القرآن والحديث إن التزموا ظواهرها أفضت بهم إلى تجويز الكبائر وخرق الإجماع وما لا يقول به مسلم، فكيف وكل ما احتجوا به مما اختلف المفسرون في معناه وتقابلت الاحتمالات في مقتضاه وجاءت أقاويل فيها للسلف بخلاف ما التزموه من ذلك، فإذا لم يكن مذهبهم إجماعًا وكان الخلاف فيما احتجوا

(١) تقدم قريبًا ص ٤٤١ .

به قديماً وقامت الدلائل على خطأ قولهم وصحة غيره وجب تركه، والمصير إلى ما صح^(١).

حجج من أجاز الصغائر على الأنبياء

وها نحن نأخذ في النظر فيها إن شاء الله تعالى:

فمن ذلك: قوله تعالى لنينا ﷺ: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: ٤٨].

وقوله: ﴿وَأَسْتَغْفِرُ لِدُنْيِكَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [محمد: ١٩].

وقوله: ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وَدْرَكَ ﴿٢﴾ الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾﴾ [الشرح: ٣، ٢].

وقوله: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنَتْ لَهْمُ﴾ [التوبة: ٤٣].

وقوله: ﴿لَوْلَا كِتَابٌ مِنْ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾﴾ [الأنفال: ٦٨].

وقوله: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى ﴿١﴾ أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى ﴿٢﴾﴾ [عبس: ١، ٢].

وما قص من قصص غيره من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام:

كقوله عز وجل: ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ﴿١٢١﴾﴾ [طه: ١٢١].

وقوله: ﴿فَلَمَّا ءَاتَنَّهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا ءَاتَنَّهُمَا﴾ [الأعراف: ١٩٠].

وقوله عن آدم عليه السلام: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا﴾ [الأعراف: ٢٣].

(١) القول بتجويز الذنوب الصغائر على الأنبياء وخاصة بعد البعثة والنبوة باطل فاسد نقلاً وعقلاً، وكل ما جاء مما يوهم ضده فمؤول ولا بد كما سيبين ذلك الشيخ رحمه الله تعالى.

وقوله عن يونس عليه السلام: ﴿سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧].

وما ذكره تعالى من قصة داود عليه السلام، وقوله: ﴿وَوَظَنَ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾ [ص: ٢٤]. وقوله في يوسف عليه السلام: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهٖ وَهَمَّ بِهَا﴾ [يوسف: ٢٤]، وما قص من قصته مع إخوته.

وقوله عن موسى عليه السلام: ﴿فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَىٰ عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾ [القصص: ١٥].

وقول النبي ﷺ في دعائه: «اللَّهُم اغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت» ونحوه من أدعيته ﷺ^(١).

وذكر الأنبياء في الموقف ذنوبهم في حديث الشفاعة^(٢).

وقوله: «إنه ليغان على قلبي فاستغفر الله»^(٣).

وفي حديث أبي هريرة: «إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة»^(٤).

وقوله تعالى عن نوح عليه السلام: ﴿وَالَا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي﴾ [هود: ٤٧]. وقد كان قال الله له: ﴿وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُّغْرَقُونَ﴾ [هود: ٣٧]. وقال عن إبراهيم عليه الصلاة والسلام: ﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾ [الشعراء: ٨٢].

(١) رواه أحمد ٤/٤١٧، والبخاري ١٣/٤٥٢، ٤٥٤، ومسلم ١٧/٣٩، ٤٠،

كلاهما في الأدعية من حديث أبي موسى رضي الله تعالى عنه.

(٢) تقدم ص ١٩٢.

(٣) تقدم ص ١٥٥.

(٤) تقدم ص ١٥٥.

وقوله عن موسى عليه السلام: ﴿بَبْتُ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف: ١٤٣].
 وقوله عن سليمان عليه السلام: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ﴾ [ص: ٣٤].
 إلى ما أشبه هذه الظواهر.

الجواب عن هذه الحجج

فأما احتجاجهم بقوله تعالى: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: ٢]، فهذا قد اختلف فيه المفسرون. فقيل: المتقدم ما كان قبل النبوة، والمتأخر عصمتك بعدها. وقيل: ما كان عن سهو وعفلة وتأويل^(١).

(١) لا بد من أحد هذين القولين، وما في معناهما، ويعجبني هنا ما قاله السبكي في هذه الآية، حيث قال: أجمعت الأمة على عصمة الأنبياء فيما يتعلق بالتبليغ وفي غير ذلك من الكبائر ومن الصغائر، الرذيلة التي تحط مرتبتهم، ومن المداومة على الصغائر هذه الأربعة مجمع عليها، واختلف في الصغائر التي لا تحط من مرتبتهم، فذهبت المعتزلة وكثير من غيرهم إلى جوازها، والمختار المنع، لأننا مأمورون بالاعتداء بهم في كل ما يصدر منهم من قول أو فعل، فكيف يقع منهم ما لا ينبغي ويؤمر بالاعتداء فيه؟ قال: والذي جوز ذلك لم يجوزها بنص ولا دليل إنما أخذ ذلك من هذه الآية ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ﴾ [الفتح: ٢]. قال: ولقد تأملتها مع ما قبلها وما بعدها فوجدتها لا تحتمل إلا معنى واحداً، وهو تشريف النبي ﷺ غير أن يكون هناك ذنب... إلى آخر ما قال. ذكره السيوطي في الخصائص.

وقال ابن كثير في التفسير: هذا من خصائصه ﷺ التي لا يشاركه فيها غيره وليس في حديث صحيح في ثواب الأعمال لغيره غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وهذا فيه تشريف عظيم لرسول الله ﷺ وهو ﷺ في جميع أموره على الطاعة والبر والاستقامة التي لم ينلها بشر سواه، لا من الأولين ولا من الآخرين، وهو ﷺ أكمل البشر على الإطلاق، وسيدهم في الدنيا والآخرة... إلخ.
 وقال الخازن: وتؤول - يعني الآية - لأن النبي ﷺ لم يكن له ذنب كذنوب غيره، فالمراد بذكر الذنب هنا: ما عسى أن يكون وقع منه من سهو ونحو ذلك؛ لأن حسنات الأبرار سيئات المقربين، فسماه ذنباً، فما كان من هذا القبيل وغيره فهو =

وقيل غير ذلك .

وأما قوله : ﴿ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾ الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾ ﴾ [الشرح : ٢ ، ٣] . فقيل : ما سلف قبل النبوة ، من الأمور التي فعلها وحرمت عليه بعد النبوة وعدها وزراً مجازاً . وقيل : ﴿ وَوَضَعْنَا عَنكَ ﴾ [الشرح : ٢] عصمناك من الذنوب بحيث لو كانت لأنقضت ظهرك . وقيل : ما فعله باجتهاد ، كأخذ الفداء من أسارى بدر ، وإذنه للمنافقين في التخلف عن الغزو معه ، وأمثال ذلك . وقيل : ما أثقل ظهره من أعباء الرسالة حتى بلغها^(١) .

وأما قوله : ﴿ عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنَتْ لَهُمْ ﴾ [التوبة : ٤٣] ، فأمر لم يتقدم للنبي ﷺ فيه من الله نهى فيعد معصية ، ولا عده الله تعالى عليه معصية ، بل لم يعده أهل العلم معاتبة . وغلّطوا من ذهب إلى ذلك . قال العلماء : إنه قد كان مخيراً في أن يفعل ما شاء فيما لم ينزل عليه فيه وحي فكيف وقد قال الله تعالى له : ﴿ فَأَذِنَ لِمَن شِئْتَ مِنْهُمْ ﴾ [النور : ٦٢] . فلما أذن لهم أعلمه الله بما لم يطلع عليه من سرهم أنه لو لم يأذن لهم لقعدوا وأنه لا حرج عليه فيما فعل . وليس ﴿ عَفَا ﴾ هنا بمعنى غفر ، بل كما قال ﷺ : «عفا الله لكم عن صدقة الخيل والرقيق»^(٢) . ولم تجب عليهم قط ، أي : لم

= مغفور له . . . إلخ .

وقال الجلال : هو مؤول ؛ لعصمة الأنبياء بالدليل العقلي القاطع من الذنوب .

(١) لا مندوحة عن أحد هذه الأقوال أيضاً . قال المفسرون : ﴿ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴾ [الشرح : ٢] ، أي : وضعنا عنك ما كنت فيه من أمر الجاهلية . قالوا : وليس المراد بالذنوب المعاصي والآثام ؛ فإن الأنبياء معصومون من مقارفة الجرائم .

(٢) رواه أحمد رقم ٧١١ ، وأبو داود ١٥٧٤ ، والترمذي ٥٥٢ ، والنسائي ٢٧/٥ ، وابن ماجه ١٧٩٠ ، وغيرهم من حديث علي وسنده صحيح عند بعضهم ، وله شاهد في الصحيحين عن أبي هريرة .

يلزمكم ذلك . فقلوه : ﴿ عَفَا اللَّهُ عَنْكَ ﴾ هو استفتاح كلام ، مثل : أصلحك الله وأعزك ، وقد تقدم الكلام على هذا أول الكتاب .

وأما قوله في أسارى بدر : ﴿ مَا كَانَتْ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أُسْرَى ﴾ [الأنفال : ٦٧] الآيتين ، فليس فيه إلزام ذنب للنبي ﷺ ، بل فيه بيان ما خص به وفضل من بين سائر الأنبياء ، فكأنه قال : ما كان هذا لنبي غيرك . كما قال ﷺ : «أحلت لي الغنائم ولم تحل لنبي قبلي»^(١) .

فإن قيل : فما معنى قوله تعالى : ﴿ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا . . . ﴾ الآية [الأنفال : ٦٧] .

قيل : الخطاب لمن أراد ذلك منهم وتجرد غرضه لعرض الدنيا وحده والاستكثار منها ، وليس المراد بهذا النبي ﷺ ولا عليه أصحابه^(٢) .

ثم قال تعالى : ﴿ لَوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ ﴾ [الأنفال : ٦٨] فاختلف المفسرون في معنى الآية ، فقيل : معناها : لولا أنه سبق مني أن لا أعذب أحداً إلا بعد النهي لعذبتكم . فهذا ينفي أن يكون أمر الأسارى معصية . وقيل : لولا أنه سبق في اللوح المحفوظ أنها حلال لعوقبتم . فهذا كله ينفي الذنب والمعصية لأن من فعل ما أحل له لم يعص ؛ قال الله تعالى : ﴿ فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا ﴾^(٣) [الأنفال : ٦٩] . وقيل : كان ﷺ قد خیر في ذلك ؛ فعن علي رضي الله تعالى عنه قال : جاء جبريل عليه السلام إلى النبي ﷺ يوم بدر فقال : خير أصحابك في الأسارى إن شاءوا القتل ، وإن شاءوا الفداء ، على

(١) تقدم ص ١٦٤ وهو جزء من حديث .

(٢) الآية نزلت في شأن غزوة بدر ، وجاء الخطاب الكريم للصحابة الذين كان همهم الغنيمة .

(٣) هذا الأخير جاء عن ابن عباس وأبي هريرة وابن مسعود وسعيد بن جبیر والحسن البصري وعطاء ، واختاره ابن جرير .

أن يقتل منهم في العام المقبل مثلهم . فقالوا: الفداء ويقتل منا^(١) . وهذا دليل على صحة ما قلنا وأنهم لم يفعلوا إلا ما أذن لهم فيه لكن بعضهم مال إلى أضعف الوجهين مما كان الأصلح غيره من الإثخان والقتل ؛ فعوتبوا على ذلك ، وبين لهم ضعف اختيارهم وتصويب اختيار غيرهم ، وكلهم غير عصاة ولا مذنبين .

فهذا كله يدل على أن فعل النبي ﷺ في شأن الأسارى كان على تأويل وبصيرة ، فلم ينكره الله تعالى عليهم ، لكن الله تعالى أراد لعظم أمر بدر وكثرة أسراها والله أعلم ، أراد إظهار نعمته وتأكيد منته ، بتعريفهم ما كتبه في اللوح المحفوظ من حل ذلك لهم ، لا على وجه العتاب وإنكار وتذيب .

وأما قوله تعالى : ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّى ﴿١﴾ ﴾ [عبس : ١] . . فليس فيه إثبات ذنب له ﷺ ، بل إعلام الله : أن ذلك المتصدى له ممن لا يتزكى ، وأن الصواب والأولى كان - لو كشف لك حال الرجلين - الإقبال على الأعمى^(٢) ، وفعل النبي ﷺ لما فعل وتصديه لذلك الكافر كان طاعة لله ، وتبليغاً عنه واستئلاً له كما شرعه الله له ، لا معصية ومخالفة له . وما قصه الله من ذلك إعلام بحال الرجلين وتوهين أمر الكافر عنده ، والإشارة إلى الإعراض عنه بقوله : ﴿ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَرْكَبُ ﴿٧﴾ ﴾ [عبس : ٧] .

(١) رواه الترمذي في السير ١٤٣٨ بتهذيبي ، وابن حبان ١٦٩٤ بالموارد بسند صحيح على شرط مسلم ، والمرسل لا يؤثر في اتصاله .

(٢) الأعمى هو عمرو بن أم مكتوم أتى النبي ﷺ فقال له : علمني يا رسول الله مما علمك الله . وكان ﷺ مشغولاً بدعوة بعض الكفار إلى الله ولم يشعر الأعمى بذلك ، فجعل يلح في السؤال ، فكلح النبي ﷺ وجهه وأعرض عنه ، فنزلت الآية . والأمر فيها كما أجاب القاضي رحمه الله تعالى .

وأما قصة سيدنا آدم عليه الصلاة والسلام وقوله تعالى: ﴿ فَأَكَلَا مِنْهَا ﴾ [طه: ١٢١] بعد قوله: ﴿ وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ [البقرة: ٣٥]، وقوله: ﴿ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنِ تِلْكَ الشَّجَرَةِ ﴾ [الأعراف: ٢٢]، وتصريحه تعالى عليه بالمعصية بقوله تعالى: ﴿ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ ﴾ [طه: ١٢١]، أي: جهل. وقيل: أخطأ.

فإن الله تعالى قد أخبر بعذره بقوله: ﴿ وَلَقَدْ عَاهَدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِنْ قَبْلِ فَنَسَىٰ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا ﴾ [طه: ١١٥]، فنسي عداوة إبليس له وما عهد الله إليه من ذلك بقوله: ﴿ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ ﴾ [طه: ١١٧]. قال ابن عباس: إنما سمي الإنسان إنساناً لأنه عهد إليه فنسي. وقيل: لم يقصد المخالفة استحلالاً لها ولكنه اغتر بحلف إبليس لهما: ﴿ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لِنَاصِحٍ ﴾ [الأعراف: ٢١]. وتوهما أن أحداً لا يحلف بالله حائثاً. ويدل لعدم قصده المخالفة قوله تعالى: ﴿ فَنَسَىٰ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا ﴾ [طه: ١١٥]، أي: قصداً للمخالفة. وأكثر المفسرين على أن العزم هنا الحزم والصبر. فإذا كان ناسياً لم تكن معصية، وكذلك إذا كان مُلبساً عليه غالطاً، للاتفاق على خروج الناسي والساهي عن حكم التكليف. وقال الشيخ أبو بكر بن فورك رحمه الله تعالى: إنه يمكن أن يكون ذلك قبل النبوة، ودليل ذلك قوله: ﴿ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ ﴾ [طه: ١٢٢]، فذكر أن الاجتباء والهداية كان بعد العصيان. وقيل غير ذلك^(١).

وسياتي آخر الفصل الجواب عن قوله تعالى: ﴿ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ ﴾

(١) على كل الأحوال فأكله كان نسياناً ولم يكن قاصداً ولا متعمداً للمخالفة، كما هو نص الآية، كما أن ذلك كان قبل نبوته كما يشير قوله: ﴿ ثُمَّ أَجْنَبَهُ رَبُّهُ ﴾... الآية [طه: ١٢٢] فانهارت حجة المخالفين والطاعنين الملحدين.

فَعَوَى ﴿١٢١﴾ [طه: ١٢١]، وقوله: ﴿فَنَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى ﴿١٢٢﴾﴾ [طه: ١٢٢]،
وقوله في حديث الشفاعة: ويذكر ذنبه: «وإني نهيت عن أكل الشجرة
فَعَصَيْتُ»^(١).

وأما قصة سيدنا يونس عليه الصلاة والسلام فقد مضى الكلام على
بعضها آنفًا، وليس في قصته نص على ذنب، وإنما فيها ﴿أَبَقَ﴾ [الصفافات:
١٤٠] و ﴿ذَهَبَ مُغَضِبًا﴾ [الأنبياء: ٨٧]^(٢). وقيل: إنما نقم الله عليه
خروجه عن قومه فارًا من نزول العذاب. وقيل غير ذلك. وقد قدمنا بعض ما
في ذلك، وكل ذلك ليس فيه نص على معصية إلا على قول ضعيف شاذ.

وقوله تعالى: ﴿أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾﴾ [الصفافات: ١٤٠]. قال
المفسرون: تباعد. وأما قوله: ﴿إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾﴾^(٣) [الأنبياء:
٨٧]، فالظلم وضع الشيء في غير موضعه، فهذا اعتراف منه عند بعضهم
بذنبه، فإما أن يكون لخروجه عن قومه بغير إذن ربه، أو لضعفه عما حُمِّلَه،
أو لدعائه بالعذاب على قومه. وقد دعا نوح بهلاك قومه فلم يؤاخذ. وقال
بعضهم في معناه: نَزَّهَ رَبُّهُ عَنِ الظُّلْمِ وَأَضَافَ الظُّلْمَ إِلَى نَفْسِهِ اعْتِرَافًا
وَاسْتِحْقَاقًا، ومثل هذا قول آدم وحواء: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا﴾ [الأعراف:

(١) تقدم ص ١٩٢.

(٢) قال المفسرون: لما دعا يونس قومه فلم يؤمنوا به ضجر منهم، فخرج مغاضبًا
لهم، فحصل له ما حصل، لأنه أتى خلاف الأولى، ولما ابتلعه الحوت ونادى الله
تعالى بقوله: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾﴾ [الأنبياء:
٨٧]، فقد ما صدر منه من المغاضبة ظلمًا لأنه خلاف ما كان ينبغي له سلوكه من
الصبر وتحمل أذى قومه. وليس ذلك معصية. والأنبياء ومن على دربهم يؤدبون
على ترك المستحب وارتكاب خلاف الأفضل لعلو درجاتهم.

(٣) انظر التعليق السابق.

[٢٣]، إذ كان السبب في وضعهما في غير الموضع الذي أنزلا فيه، وأخرجهما من الجنة وإنزالهما إلى الأرض.

وأما قصة سيدنا داود عليه الصلاة والسلام فلا يجب أن يلتفت إلى ما سطره فيه الأخباريون عن أهل الكتاب، الذين بدلوا وغيروا، ونقله بعض المفسرين، ولم ينص الله على شيء من ذلك، ولا ورد في حديث صحيح، والذي نص الله تعالى عليه قوله: ﴿وَلَقَدْ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَحَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾ [ص: ٢٤]، وقوله فيه: ﴿أَوَابٍ﴾ [ص: ٣٢] فمعنى (فتناه): اختبارناه. وأواب: قال قتادة: مطيع. وهذا التفسير أولى. قال ابن عباس وابن مسعود: مازاد داود على أن قال للرجل: انزل لي عن امرأتك وأكفلنيها، فعاتبه الله على ذلك ونبهه عليه، وأنكر عليه شغله بالدنيا، وهذا الذي ينبغي أن يعول عليه من أمره. وقيل: خطبها على خطبته، وقيل: بل لما خشى على نفسه وظن من الفتنة بما بسط له من الملك والدنيا.

وإلى نفي ما أضيف في الأخبار إلى داود ذهب المحققون. قال الداودي: ليس في قصة داود وأوريا خبرٌ يثبت، ولا يظن بنبي محبة قتل مسلم ليتزوج زوجته^(١). وقيل: إن الخصمين اللذين اختصما إليه رجلان في

(١) ما قاله الأخباريون في هذه القصة ونقله عنهم بعض المفسرين هو من الكذب والافتراء المنقول عن اليهود الذين يجوزون صدور جريمة الزنا من الأنبياء، فلا اعتبار بذلك، وما نسبوه إلى نبي الله داود عليه الصلاة والسلام يجعل عنه مطلق أفراد الصالحين بل فساق المؤمنين، فكيف بنبي رسول معصوم عن الصغائر فضلاً عن كبار الفواحش؟! فكل ما ذكر عنه مما يشين دينه وعرضه ومقامه لا يلتفت إليه ولا يجوز نسبه إليه ولا اعتقاده. ويعجبني في هذا المقام ما قاله أبو حيان في البحر: والذي يدل عليه ظاهر الآية من أن المتسورين المحراب كانوا من الإنس، دخلوا عليه من غير المدخل وفي غير وقت جلوسه للحكم، وأنه فزع منهم ظناً منه أنهم يغتالونه إذ كان منفرداً في محرابه لعبادة ربه، فلما اتضح له أنهم =

نتاج غنم على ظاهر الآية^(١).

وأما قصة سيدنا يوسف عليه الصلاة والسلام وإخوته فليس على يوسف منها تعقب، وأما إخوته فلم تثبت نبوتهم، فيلزم الكلام على أفعالهم. وذكر الأسباب وعدهم في القرآن عند ذكر الأنبياء، قال المفسرون: يريد مَنْ نُبِيٍّ من أبناء الأسباط. وقد قيل: إنهم كانوا حين فعلوا بيوسف ما فعلوا صغار الأسنان، ولهذا لم يميزوا يوسف حين اجتمعوا به، ولهذا قالوا: ﴿أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَع وَيَلْعَب﴾ [يوسف: ١٢]، وإن ثبت لهم نبوة فبعد هذا والله أعلم^(٢).

جاءوا في حكومة وبرز منهم اثنان للتحاكم كما قص الله تعالى، فاستغفر من ذلك الظن وخر ساجداً لله تعالى. ونحن نعلم قطعاً أن الأنبياء معصومون من الخطايا، إذ لو جوزنا عليهم شيئاً من ذلك لبطلت الشرائع ولم نثق بشيء مما يذكرون، فما حكى الله في كتابه يمر على ما أراده الله عز وجل... إلخ.

وهو كلام في غاية النفاسة. وإلى هذا نحى ابن كثير فقال بعد كلام: فالأولى أن يقتصر على مجرد تلاوة هذه القصة، وأن يرد علمها إلى الله عز وجل، فإن القرآن حق، وما تضمن فهو حق أيضاً...

ووجه بعض المحققين استغفار داود أنه أضمر في نفسه أن يبطش بالخصمين، فلما عرضا عليه الحكومة وتحقق عنده خلاف ما ظن ندم على ظنه وما أضمره فاستغفر لذلك، وقيل: استغفر لقضائه لأحد الخصمين قبل أن يسمع كلام الآخر...

(١) هذا هو الأسلم بل الواجب، وغيره خلاف الظاهر، لا سيما ولم يصح شيء عن النبي ﷺ سواه، والتأويل أو المجاز لا يصار إليها إلا للدليل، وإنني أتعجب كثيراً من المفسرين الذين أوردوا تلك القصة الباطلة التي افتراها واضع لا يخفى، لا سيما وفي هؤلاء أمثال القرطبي والخازن وأبو السعود والبيضاوي وابن جزري... والكمال لله وحده.

(٢) فيكون ما صدر منهم كان قبل نبوتهم وفي صغارهم على القول بجواز صدور الذنب عليهم قبل النبوة.

وأما قول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ، وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾ [يوسف: ٢٤]. فعلى مذهب كثير من الفقهاء والمحدثين أن هم النفس لا يؤاخذ به، وليست سيئة لقوله ﷺ عن ربه: «إذا هم عبدي بسيئة فلم يعملها كتبت له حسنة»^(١) فلا معصية في همه إذا، وأما على مذهب المحققين من الفقهاء والمتكلمين فإن الهم إذا وُطئت عليه النفس سيئة، وأما ما لم تُوطن عليه النفس من همومها وخواطرها فهو المعفو عنه^(٢). وهذا هو الحق، فيكون إن شاء الله هم يوسف من هذا، ويكون قوله: ﴿وَمَا أُبْرِيئُ نَفْسِي...﴾ الآية [يوسف: ٥٣]، أي: ما أبرئها من هذا الهم. أو يكون ذلك منه على طريق التواضع والاعتراف بمخالفة النفس لما زكى قبلُ وبرئ. كيف وقد قال الله تعالى عن المرأة: ﴿وَلَقَدْ زَوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعَصَمَ﴾ [يوسف: ٣٢]، وقال تعالى: ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ﴾ [يوسف: ٢٤]، وقال تعالى: ﴿وَعَلَقَتِ الْأَبُوتَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ﴾ [يوسف: ٢٣]، وقيل: كان ذلك منه قبل نبوته.

وأما خبر موسى ﷺ مع قتيله الذي وكزه، فقد نص الله تعالى أنه من عدوه الذي كان من القبط على دين فرعون. ودليل السورة في هذا كله أنه كان قبل نبوته، ثم إنه لم يتعمد قتله، فعلى هذا لا معصية في ذلك^(٣).

(١) رواه مسلم في الإيمان ٣/١٤٧، ١٤٥ من حديث أبي هريرة. وفي رواية: وإذا تحدث بأن يعمل سيئة... إلخ. يعني به: حديث النفس.

(٢) لأن ذلك مما لا يطاق دفعه، وهو من طبيعة البشر، فإذا وطن عليه وحصل عزم ونية وعقد عليه كتب ذلك معصية، وهذا لم يحصل لسيدنا يوسف عليه السلام، بل همه من القسم الأول. وانظر للتوسع: شرح النووي على مسلم.

(٣) الأمر في ذلك واضح على كلا الوجهين.

أما قوله: ﴿ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ ﴾ [القصص: ١٥]، وقوله: ﴿ ظَلَمْتُ نَفْسِي فَأَغْفِرْ لِي ﴾ [القصص: ١٦]، قال ذلك من أجل أنه لا ينبغي لنبي أن يقتل حتى يُؤمرَ، مع أنه لم يقتله مريدًا القتل، وإنما وكزه وكزة يريد بها دفع ظلمه.

وقوله تعالى: ﴿ وَفَنَّكَ فُؤُونًا ﴾ [طه: ٤٠]، أي: ابتليناك ابتلاء. بعد ابتلاء. قيل: في هذه القصة وما جرى له مع فرعون. وقيل: إلقاءه في التابوت، وقيل: معناه أخلصناك إخلصًا. وأصل الفتنة معنى الاختبار وإظهار ما بطن. إلا أنه استعمل في عرف الشرع في اختبار أدى إلى ما يكره.

وكذلك ما روي في الخبر الصحيح من أن ملك الموت جاءه فلطم عينه ففقاها^(١). الحديث ليس فيه ما يحكم على موسى عليه السلام بالتعدي وفعل ما لا يجب، إذ هو ظاهر الأمر بين الوجه جائز الفعل، لأن موسى دافع عن نفسه من أتاه لإتلافها، وقد تصور له في صورة آدمي، ولا يمكن أنه علم حينئذ أنه ملك الموت فدافعه عن نفسه مدافعة أدت إلى ذهاب عين تلك الصورة التي تصور له فيها الملك امتحانًا من الله، فلما جاءه بعد وأعلمه الله تعالى أنه رسوله إليه استسلم. وللعلماء في هذا الحديث أجوبة هذا أسدها، وهو اختيار المازري رحمه الله تعالى^(٢).

وأما قصة سليمان عليه الصلاة والسلام وما حكي فيها أهل التفاسير من ذنبه وقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ ﴾ [ص: ٣٤] فمعناه: ابتليناه، وابتلاؤه: ما جاء عن النبي ﷺ: «أنه قال: لأطوفن الليلة على مائة امرأة، أو تسع وتسعين كلهن يأتين بفارس يجاهد في سبيل الله. فقال له صاحبه: قل

(١) رواه البخاري في الأنبياء ٦/٢٥٢، ومسلم في الفضائل ١٥/١٢٧، ١٢٨، ١٢٩، وغيرهما من حديث أبي هريرة.

(٢) وانظر لزيادة البسط: فتح الباري للحافظ ٦/٢٥٣. والعبر لكاتبه.

إن شاء الله . فلم يقل ، فلم تحمل منهن إلا واحدة جاءت بشق رجل» ، قال النبي ﷺ : «والذي نفسي بيده ، لو قال إن شاء الله ، لجاهدوا في سبيل الله» (١) .

قال أصحاب المعاني : والشق هو الجسد الذي ألقى على كرسية حين عرض عليه ، وهي عقوبته ومحنته . وقيل : مات فألقى على كرسية ميتاً . وقيل : ذنبه : حرصه على ذلك وتمنيه ، وقيل : لأنه لم يستثن لما استغرقه من الحرص وغلب عليه من التمني وقيل غير ذلك .

ولا يصح ما نقله الأخباريون (٢) من تشبه الشيطان به وتسلمه على ملكه وتصرفه في أمته بالجور في حكمه ، لأن الشياطين لا يسلطون على مثل هذا ، وقد عصم الأنبياء من مثله فإن قيل : لم لم يقل سليمان في القصة المذكورة «إن شاء الله»؟ فعن ذلك أجوبة أحدها : ما جاء في الحديث الصحيح أنه نسي أن يقولها وذلك لينفذ مراد الله . والثاني : أنه لم يسمع صاحبه وشغل عنه .

أما قوله : ﴿ وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي ﴾ [ص : ٣٥] ، فإنه لم يفعل ذلك سليمان غيره على الدنيا ولا نفاسة بها ، ولكن مقصده على ما ذكره المفسرون : أن يكون له من الله فضيلة وخاصة يختص بها كاختصاص غيره من أنبياء الله ورسله بخواص منه . وقيل : ليكون دليلاً وحجة على نبوته كالإلانة الحديد لأبيه ، وإحياء الموتى لعيسى ، واختصاص نبينا محمد ﷺ بالشفاعة . ونحو هذا .

(١) تقدم أول الكتاب وأنه في الصحيحين ص ١٠٦ .

(٢) كل ذلك خرافات إسرائيلية تنافي مقام النبوة لا يجوز الالتفات إليها ولا اعتقادها ولا ذكرها إلا على سبيل الرد عليها وإبطالها .

وأما قصة نوح عليه الصلاة والسلام فظاهرة العذر، وأنه أخذ فيها بالتأويل وظاهر القول؛ لقوله تعالى: ﴿وَأَهْلَكَ﴾ [هود: ٤٠] فطلب مقتضى هذا اللفظ، وأراد علم ما طوي عنه من ذلك لا أنه شك في وعد الله، فبين الله أنه ليس من أهله الذين وعده بنجاتهم؛ لكفره وعمله الذي هو غير صالح. وقد أعلمه أنه مغرق الذين ظلموا، ونهاه عن مخاطبته فيهم، فووخذ بهذا التأويل وعتب عليه، وأشفق هو من إقدامه على ربه لسؤاله ما لم يؤذن له في السؤال فيه، وكان نوح لا يعلم بكفر ابنه^(١). وقيل: في الآية غير هذا. وكل هذا لا يقضي على نوح بمعصية سوى ما ذكرناه من تأويله وإقدامه بالسؤال فيمن لم يؤذن له فيه ولا نهى عنه.

وما جاء في الصحيح: من أن نبياً قرصته نملة فحرق قرية النمل فأوحى الله إليه: «أن قرصتك نملة أحرقت أمة من الأمم تسبح الله»^(٢)، فليس في هذا الحديث أن هذا الذي أتى معصية، بل فعل ما رآه مصلحة وصواباً بقتل من يؤذي جنسه ويمنع المنفعة بما أباح الله. ألا ترى أن هذا النبي كان نازلاً تحت الشجرة، فلما أذته النملة تحول برحله عنها مخافة تكرار الأذى عليه، وليس فيما أوحى الله إليه ما يوجب عليه معصية، بل ندبه إلى احتمال الصبر وترك التشفي كما قال تعالى: ﴿وَلَيْنَ صَبْرْتُمْ لَهَوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ﴾ [النحل: ١٢٦]، إذ ظاهر فعله إنما كان لأجل أنها أذته هو في خاصته فكان انتقاماً لنفسه وقطع مضره بتوقعها من بقية النمل هناك ولم يأت في كل هذا أمر نهى عنه فيعص به، ولا نص فيما أوحى الله إليه بذلك، ولا بالتوبة

(١) كان لنوح عليه الصلاة والسلام أربعة أولاد: سام، وحام، ويافث، وكنعان، وهذا الثالث هو الكافر الغريق مع الكفار بالطوفان.

(٢) رواه البخاري في الجهاد ٦/٤٩٤، ٤٩٥، وفي بدء الخلق، ومسلم في قتل الحيات ١٤/٢٣٨، وغيرهما، من حديث أبي هريرة.

والاستغفار منه^(١)، والله أعلم.

فإن قيل: فما معنى قوله عليه الصلاة والسلام: «ما من أحد إلا ألم بذنب^(٢)» أو كاد إلا يحيى بن زكريا، أو كما قال عليه السلام؟ فالجواب عنه كما تقدم من ذنوب الأنبياء التي وقعت عن غير قصد وعن سهو وغفلة.

خاتمة للأجوبة عما تكرر في القرآن والسنة

من اعتراف الأنبياء بالذنوب وتوبتهم

واستغفارهم وبكائهم وإشفاقهم

فإن قلت: فإذا نفيت عنهم صلوات الله وسلامه عليهم الذنوب والمعاصي بما ذكرته من اختلاف المفسرين وتأويل المحققين، فما معنى قوله تعالى: ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾ [طه: ١٢١]. وما تكرر في القرآن والحديث الصحيح من اعتراف الأنبياء بذنوبهم وتوبتهم واستغفارهم وبكائهم على ما سلف منهم وإشفاقهم، وهل يُشفق ويُتاب ويستغفر من لا شيء؟

(١) وأبدى بعضهم في ذلك جوابًا آخر، وهو: أنه كان في شرع ذلك النبي جواز قتل النمل. وانظر العبر لكاتبه.

(٢) رواه أحمد ١/٢٥٤، ٢٩٢ من حديث ابن عباس بلفظ: «ما من أحد من ولد آدم إلا قد أخطأ أو هم بخطيئة ليس يحيى ابن زكريا...» إلخ، وأورده الهيثمي ٨/٣٨٣، وعزاه لأحمد وأبي يعلى والبزار والطبراني. قال: وفيه علي بن زيد، وضعفه الجمهور، وقد وثق، وبقية رجال أحمد رجال الصحيح. ثم ذكر له شاهدين عن ابن عمر، وعزاه للبزار، قال: ورجاله ثقات. وعن أبي هريرة عزاه لأوسط الطبراني بسند ضعيف، فالحديث حسن صحيح. وجاء في الحديث الصحيح الذي رواه أحمد والترمذي: «إن تغفر اللهم تغفر جَمًّا، وأي عبد لك ما أَلَمَّا».

فاعلم وفقنا الله وإياك أن درجة الأنبياء في الرفعة والعلو والمعرفة بالله وسنته في عباده وعظيم سلطانه وقوة بطشه مما يحملهم على الخوف منه جل جلاله، والإشفاق من المؤاخذة بما لا يؤاخذ به غيرهم، وأنهم في تصرفهم بأمور لم ينهوا عنها ولا أمروا بها، ثم ووخذوا عليها وعوتبوا بسببها وحذروا من المؤاخذة بها، وأتوها على وجه التأويل والسهو، أو تزيد من أمور الدنيا المباحة خائفون وجلون، وهي ذنوب بالإضافة إلى عليّ منصبهم، ومعاص بالنسبة إلى كمال طاعتهم، لا أنها كذنوب غيرهم ومعاصيهم؛ فإن الذنب مأخوذ من الشيء الدنيء الرذل، ومنه ذنب كل شيء آخره، وأذنب الناس رذالهم، فكان هذه أدنى أفعالهم وأسوأ ما يجري من أحوالهم لتطهيرهم وتنزيههم وعمارة بواطنهم وظواهرهم بالعمل الصالح والكلم الطيب والذكر الظاهر والخفي، والخشية لله، وإعظامه في السر والعلانية. وغيرهم يتلوث من الكبائر والقبائح والفواحش ما تكون بالإضافة إلى هذه الهنات في حقه كالحسنات، كما قيل: حسنات الأبرار سيئات المقربين. أي: يرونها بالإضافة إلى عليّ أحوالهم كالسيئات، وكذلك العصيان: الترك والمخالفة، فعلى مقتضى اللفظة كيفما كانت من سهو أو تأويل، فهي مخالفة وترك، وقوله: ﴿غَوَىٰ﴾ [النجم: ٣]، أي: جهل أن تلك الشجرة هي التي نهى عنها. والغى: الجهل. وقيل: ما طلب من الخلود إذا أكلها. وخابت أمنيته.

وهذا يوسف عليه السلام قد ووخذ بقوله لأحد صاحبي السجن: ﴿أذْكَرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَآنَسَلَهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ، فَلَيْثَ فِي السِّجْنِ بِضَعَ سِنِينَ﴾ [يوسف: ٤٢]، قيل: أنسى يوسف ذكر الله. وقيل: أنسى صاحبه أن يذكره لسيدته الملك^(١).

(١) هذا هو الظاهر اللائق بمقام النبوة.

وعلى كل فالأنبياء يؤاخذون بمثاقيل الذر لمكانتهم عند الله، ويجاوز عن سائر الخلق لقله مبالاته بهم في أضعاف ما أتوا به من سوء الأدب.

على أن مؤاخذة الأنبياء ليست كمؤاخذة غيرهم، بل إنهم يؤاخذون بذلك في الدنيا ليكون ذلك زيادة في درجاتهم، ويبتلون بذلك ليكون استشعارهم له سبباً لزيادة رتبهم، كما قال: ﴿ثُمَّ أَجْنَبَهُ رَبُّهُ فَأَبَى عَلَيْهِ وَهَدَىٰ﴾ [طه: ١٢٢]. وقال لداود: ﴿فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ...﴾ الآية [ص: ٢٥]. وقال بعد قول موسى: ﴿تُبَّتْ إِلَيْكَ﴾: ﴿إِنِّي أَصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ﴾ [الأعراف: ١٤٣، ١٤٤]. وقال بعد ذكر فتنة سليمان وإنابته: ﴿فَسَخَرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ﴾ [٢٦] وَالشَّيْطَانَ كُلَّ بَنَاءٍ وَعَوَاصٍ [٢٧] وَءَاخِرِينَ مُقْرَبِينَ فِي الْأَصْفَادِ [٢٨] هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ [٢٩] وَإِن لَّمْ عِنْدَنَا لُزْفَىٰ وَحَسَنَ مَقَابٍ [٣٠] [ص: ٣٦ - ٤٠].

ثم إن كل الطوائف متفقون على وقوع غفران الصغائر باجتناح الكبائر من غير الأنبياء. إذا فمن يقول بتجويز الصغائر عليهم تكون مغفورة لهم بالاتفاق، لأنهم معصومون من الكبائر. أما كثرة استغفار النبي ﷺ وتوبته وغيره من الأنبياء فهو على وجه ملازمة الخضوع والعبودية والاعتراف بالتقصير شكراً لله على نعمه، كما قال ﷺ وقد آمن من المؤاخذة بما تقدم وما تأخر «أفلا أكون عبداً شكوراً؟»^(١)، وقال: «إني أخشاكم لله وأعلمكم بما أتقي»^(٢)، وقيل: خوفهم خوف إعظام وتعبد لله لأنهم آمنون. وقيل: فعلوا ذلك ليقتدى بهم وتستن بهم أممهم، كما قال ﷺ: «لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً»^(٣)، وأيضاً في التوبة والاستغفار معنى آخر

(١) تقدم ص ١٥٣.

(٢) تقدم أيضاً ص ٤٣٥.

(٣) تقدم أيضاً ص ١٥٢.

لطيف وهو: استدعاء محبة الله تعالى، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢] فأحداث الرسل والأنبياء الاستغفار والتوبة والإنابة في كل حين استدعاء لمحبة الله، والاستغفار فيه معنى التوبة، وقد قال الله لنبية ﷺ بعد أن غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ﴾ الآية [التوبة: ١١٧]، وقال: ﴿فَسِيحَ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ [النصر: ٣].

خلاصة عصمة النبي ﷺ من كل ما يشينه

قد استبان لك بما تقدم ما هو الحق من عصمته ﷺ عن الجهل بالله وصفاته، أو كونه على حالة تنافي العلم بشيء من ذلك كله جملة بعد النبوة عقلاً وإجماعاً، وقبلها سماعاً ونقلًا لا بشيء مما قرناه من أمور الشرع وأداه عن ربه من الوحي قطعاً وعقلاً وشرعاً، وعصمته عن الكذب وخلف القول منذ نبأه الله وأرسله قصداً أو غير قصد، واستحالة ذلك عليه شرعاً وإجماعاً ونظراً وبرهاناً، وتنزيهه عنه قبل النبوة قطعاً، وتنزيهه عن الكبائر إجماعاً وعن الصغائر تحقيقاً، وعن استدامة السهو والغفلة واستمرار الغلط والنسيان عليه فيما شرعه للأمة وعصمته في كل حالاته من رضى وغضب وجد ومزح.

فيجب عليك أن تتلقاه باليمين وتشد عليه يد الضنين، وتقدر هذه الفصول حق قدرها، وتعلم عظيم فائدتها وخطرها، فإن من يجهل ما يجب للنبي ﷺ أو يجوز أو يستحيل عليه، ولا يعرف صور أحكامه لا بل من أن يعتقد في بعضها خلاف ما هي عليه، ولا ينزهه عما لا يجب أن يضاف إليه فيهلك من حيث لا يدري، ويسقط في هوة الدرك الأسفل من النار، إذ ظن الباطل به اعتقاداً ما لا يجوز عليه يحل بصاحبه دار البوار.

ولهذا احتاط عليه الصلاة والسلام على الرجلين الذين رأياه مع صفية أم المؤمنين فقال لهما: «إنها صفية» ثم قال لهما: «إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم. وإني خشيت أن يقذف في قلوبكما شيئاً فتهلكا»^(١).

هذه إحدى فوائد ما ذُكر في هذه الفصول، وليس ذلك من فضول الكلام كما قد يقال.

والفائدة الثانية يضطر إليها في أصول الفقه، ويبتنى عليها مسائل لا تحصى من الفقه الإسلامي، وهي الحكم في أقوال النبي ﷺ، وأفعاله، وهو باب عظيم، وأصل كبير من أصول الفقه. ولا بد من بنائه على صدق الرسول ﷺ في إخباره وبلاغه، وأنه لا يجوز عليه السهو، وعصمته من المخالفة في أفعاله عمدًا. وبحسب اختلافهم في وقوع الصغائر وقع خلاف في امثال الفعل، وذلك مبسوط في كتب الأصول.

والفائدة الثالثة يحتاج إليها الحاكم والمفتي فيمن أضاف إلى النبي ﷺ شيئاً من هذه الأمور، ووصفه بها، فمن لم يعرف ما يجوز وما يمتنع عليه وما وقع الإجماع فيه والخلاف كيف يصمم في الفتيا في ذلك ومن أين يدرى هل ما قاله نقص أو مدح؟ فإما أن يجترىء على سفك دم مسلم حرام أو يسقط حقًا ويضيع حرمة للنبي ﷺ^(٢)، والله أعلم.

(١) رواه البخاري في الاعتكاف وغيره، ومسلم في السلام ١٤/١٥٦، عن صفية أم المؤمنين. وروياه أيضًا عن أنس.

(٢) هذا باب عظيم يجب الاهتمام به والتعرف على كل ما له ميسر به ﷺ وبجميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام مدحًا وذمًا.

القول في عصمة الملائكة

أجمع المسلمون على أن الملائكة مؤمنون فضلاء، واتفق أئمة المسلمين أن حكم المرسلين منهم حكم النبيين، سواء في العصمة مما ذكرنا عصمتهم منه، وأنهم في حقوق الأنبياء والتبليغ إليهم كالأنبياء مع الأمم.

واختلفوا في غير المرسلين منهم، فذهب طائفة إلى عصمة جميعهم عن المعاصي واحتجوا بقوله تعالى: ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحریم: ٦]. وبقوله: ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾ [الأنبياء: ١٩، ٢٠]، وبقوله: ﴿وَمَا مَنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ﴾ [الأنبياء: ١٩، ٢٠]، وبقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ﴾ [الأعراف: ٢٠٦]، وبقوله: ﴿كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾ [عبس: ١٦]، وبقوله: ﴿لَا يَمْسُهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ [الواقعة: ٧٩]، ونحوه من السمعيات.

وذهبت طائفة إلى أن هذا خصوص للمرسلين منهم والمقربين^(١). واحتجوا بأشياء سنذكرها بعد ونبين الوجه فيها إن شاء.

والصواب: عصمتهم جميعاً وتنزيه منصبهم الرفيع عن جميع ما يحط من رتبهم ومنزلتهم عن جليل مقدارهم. والكلام في عصمتهم كالكلام في عصمة الأنبياء ولا فارق.

أما ما احتج به من لم يوجب عصمة جميعهم من قصة هاروت وماروت وما ذكره فيها المفسرون وغيرهم فذلك مما لا يصح فيه شيء عن

(١) هذا كلام فارغ لا يلتفت إليه بعدما تقدم من تلك الآيات القاضية بعصمة جميع الملائكة، من غير فرق بين المرسلين منهم وبين غيرهم.

رسول الله ﷺ^(١). والذي منه في القرآن اختلف المفسرون في معناه، وأنكر ما قال بعضهم فيه كثير من السلف، وما جاء في ذلك من أخبار فهي من كتب اليهود وافتراءهم كما نصه الله أول الآيات من افتراءهم في ذلك على سليمان وتكفيرهم إياه، وقد انطوت القصة التي ذكروها على شنع عظيمة.

واعلم أنه اختلف في هاروت وماروت، هل هما ملكان أو إنسيان؟ وهل هما المراد بالملكين أم لا؟ وهل القراءة ملكين بفتح اللام أم بكسرها؟ وهل ما في قوله: ﴿وَمَا أُنزِلَ﴾ [البقرة: ٤]، ﴿وَمَا يَعْلَمَانِ مِنْ أَحَدٍ﴾ [البقرة: ١٠٢] نافية أو موجبة.

وأكثر المفسرين أن الله تعالى امتحن الناس بالملكين لتعليم السحر وتبيينه وأن عمله كفر، فمن تعلمه كفر، ومن تركه آمن، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ [البقرة: ١٠٢]، وتعليمهما الناس له تعليم إنذار، أي يقولان لمن جاء يطلب تعلمه: لا تفعلوا كذا فإنه يفرق بين المرء وزوجه، ولا تتحيلوا بكذا فإنه سحر فلا تكفروا. فعلى هذا فعل الملكين طاعة وتصرفهما فيما أمرا به ليس بمعصية، وهي لغيرهما فتنة^(٢).

(١) جاءت القصة عن ابن عمر مرفوعاً من طرق كثيرة، ذكر كثيراً منها ابن جرير في التفسير، ومال إلى إثباتها، وجاء الحافظ ابن حجر فجمع طرقها في جزء مفرد، وحسن الحديث لذلك، لكن الحديث بهذه القصة منكر، وفيه مع ضعفه شذوذ وتناقضات ومخالفة للعقل والنقل، ولذلك أورد هذه القصة ابن الجوزي في الموضوعات وأنكرها كثير من الحفاظ كالبيهقي وابن العربي المعافري والمنذري وغيرهم، ومن وقف على سياقاتها وألفاظها وأمعن فيها النظر جزم ببطلانها وأنها من مفتريات اليهود لعنهم الله.

(٢) هذا كلام معقول مناسب لمنصب الملائكة الكرام.

وقال مكي: وتقدير الكلام: ﴿وما كفر سليمان﴾، يريد: بالسحر الذي افتعلته عليه الشياطين واتبعهم في ذلك اليهود، ﴿وما أنزل على الملكين﴾. قال مكي: هما جبريل وميكائيل ادعى اليهود عليهما المجيء به كما ادعوا على سليمان فأكذبهم الله في ذلك، ﴿ولكن الشياطين كفروا؛ يعلمون الناس السحر﴾، ﴿ببابل هاروت وماروت﴾، قيل: هما رجلان تعلماه. وتكون (ما أنزل) على هذا نافية. فمحمل الآية على هذا حسن ينزه الملائكة، ويذهب الرجس عنهم ويطهرهم تطهيراً^(١).

(١) هذا توجيه آخر لا بأس به، لولا ما فيه من مخالفة الجمهور.

خلاصة قصة هاروت وماروت:

وخلاصة قصة هاروت وماروت، هو: أن الله تعالى ركب الشهوة في ملكين من الملائكة اختباراً لهما وأنزلهما إلى الأرض وأمرهما أن يحكما فيها بين الناس، فنزلا على سورة البشر وحكما بالعدل مدة ثم افتتنا بامرأة حسناء فراوداها عن نفسها فأبت حتى يشربا الخمر أو يسجدا لصنم أو يقتلا نفساً. فاختارا شرب الخمر ففعلا كل ما عرضته عليهما. فمسخت المرأة نجماً وهي الزهرة، وعوقبا هما الآخران بسبب ذلك في بئر بابل منكسين، وابتليا بالنطق بعلم السحر وتعليمه لمن قصدهما فيتعلم منهما ما قصه الله تعالى. هذه خلاصتها مختصرة جداً. وهي قصة خرافية بهذا السياق.

تفسير آية هاروت وماروت:

أما تفسير الآية المذكور فيها هاروت وماروت: فقوله: ﴿وَاتَّبَعُوا﴾، أي: اليهود ﴿مَا تَلَّوْا﴾، أي: تقرأ، ﴿الشَّيَاطِينُ﴾ من طرق السحر والشعوذة التي كانت تحدثهم بها ﴿عَلَىٰ مُلْكٍ سُلَيْمَانَ﴾، أي: في عهد ملكه وأيامه ﴿وَمَا كَفَرُ سُلَيْمَانُ﴾، أي: وما كان سليمان ساحراً، ولا كفر بتعلمه السحر كما زعمه اليهود ﴿وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ﴾ هم الذين ﴿كَفَرُوا﴾ لأنهم ﴿يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾ وطرقه وحيله حتى فشا أمره بين الناس، وكما اتبع رؤساء اليهود السحر الذي تتلوه الشياطين اتبعوا أيضاً ما أنزل على الملكين، وهما هاروت وماروت ﴿بِبَابِلَ﴾ =

وقد وصفهم الله بأنهم مطهرون كرام بررة، لا يعصون الله ما أمرهم .

ومن حججهم : قصة إبليس اللعين ، وأنه كان من الملائكة ، ورئيسًا فيهم ومن خزان الجنة . . . وأن الله استثناه من الملائكة بقوله : ﴿ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ ﴾ [البقرة : ٣٤] .

وكل ذلك باطل بل الحق والصحيح أنه أبو الجن كما آدم أبو الإنس ، أو هو من الجن الذين طردتهم الملائكة في الأرض حين أفسدوا . والاستثناء في الآية منقطع ، وهو شائع في كلام العرب قال الله تعالى : ﴿ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ابْتِغَاءَ الظَّنِّ ﴾ [النساء : ١٥٧] . وهناك أخبار استدلووا بها لا أصل لها .



وهي أرض بالكوفة من العراق وقد أنزلهما الله تعالى ابتلاءً وامتحانًا للناس ﴿ وَمَا يَعْلَمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَقَّ يَقُولَا إِلَّا مَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ﴾ ، أي : إن الملكين كانا لا يعلمان أحدًا من الناس السحر حتى يبذلا له النصيحة ويقولان له : إن هذا الذي نصفه لك من السحر إنما هو امتحان من الله فلا تكفر باستعماله وتعلمه للإضرار . قال تعالى : ﴿ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا ﴾ من علم السحر ﴿ مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ ﴾ ، أي : ما يكون سببًا في التفريق بين الزوج وزوجته ، فبعد أن كانت المحبة والوداد تصبح العداوة والفراق ﴿ وَمَا هُمْ ﴾ ، أي : السحرة بما يستعملونه من السحر ﴿ بِضَاآرِينَ ﴾ ، أي : لا يضررون ﴿ بِهِ ﴾ ، أي : السحر ﴿ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ ومشيته ﴿ وَ ﴾ الحال أنهم ﴿ يَتَعَلَّمُونَ ﴾ من هذا السحر ﴿ مَا يَضُرُّهُمْ ﴾ في دينهم ﴿ وَلَا يَنْفَعُهُمْ ﴾ في آخرتهم ، وإذا نفعهم في الدنيا فمآلهم الخسران والشقاء الدائم . . . إلى آخر الآية في شأن اليهود الذين نبذوا كتاب الله واستبدلوا به السحر .

الباب الثاني فيما يخصهم في الأمور الدنيوية وما يطرأ عليهم من العوارض البشرية

قد تقدم أنه ﷺ وسائر الأنبياء، والرسل من البشر، وأن جسمه وظاهره خالص للبشر، يجوز عليه من الآفات والتغيرات، والآلام والأسقام ما يجوز على البشر. وهذا كله ليس بنقيصة فيه؛ لأن الشيء إنما يسمى ناقصًا بالإضافة إلى ما هو أتم منه وأكمل من نوعه. وقد كتب الله تعالى على أهل هذه الدار: فيها يحيون، وفيها يموتون، ومنها يخرجون. وخلق جميع البشر معرضين للتغيرات.

فقد مرض ﷺ واشتكى، وأصابه الحر والقر، وأدركه الجوع والعطش، ولحقه الغضب والضجر، وناله الإعياء والتعب، ومسه الضعف والكبر، وسقط فجحش شقه^(١)، وشجه الكفار وكسروا رباعيته^(٢)، وسقي السم، وسحر^(٣)، وتداوى، واحتجم،

(١) رواه البخاري في مواضع من الصلاة ومسلم فيها كذلك باب ائتمام المأموم بالإمام ١٣٠/٤ من حديث أنس قال: سقط النبي ﷺ عن فرس فجحش شقه الأيمن، فدخلنا عليه نعوذه، فحضرت الصلاة، فصلى بنا قاعدًا، فصلينا وراءه قعودًا... إلخ.

(٢) تقدم كل ذلك ص ١١٧.

(٣) تقدم كل ذلك ص ١١٩.

وتعوذ^(١)، ثم قضى نحبه فتوفى ﷺ ولحق بالرفيق الأعلى، وتخلص من دار الامتحان والبلوى، وهذه سمات البشر التي لا محيص عنها. وأصاب غيره من الأنبياء ما هو أعظم منه، فقتلوا قتلاً^(٢)، ورموا في النار^(٣)، ونشروا بالمناشير^(٤)، ومنهم من وقاه الله ذلك في بعض الأوقات، ومنهم من عصمه كما عصم بعد نبينا من الناس^(٥).

فلئن لم يكف نبينا ربُّه يد ابن قمئة يوم أحد^(٦)، ولا حجيه عن عيون

(١) تداويه، رواه البخاري من حديث سهل بن سعد وغيره. واحتجامة، رواه البخاري ٢٥٧/١٣، ومسلم ١٩٤/١٤، كلاهما في الطب عن أنس، والبخاري ٢٥٣/١٢، ٢٥٥، ٢٥٦، عن ابن عباس وغيره. وتعوذه، جاء في أحاديث، منها: تعوذه بالمعوذتين، رواه البخاري ٣٠٦/١٢، ٣١٩، ٣٢١، ومسلم ١٨٢/١٤، كلاهما في الطب عن عائشة.

(٢) قال الله تعالى في حق اليهود: ﴿وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ [آل عمران: ٢١]، وقال تعالى: ﴿وَكَاذِبِينَ مَن نَّبِيٍّ قَتَلَ مَعَهُ رِيثُونَ كَثِيرٌ...﴾ الآية [آل عمران: ١٤٦].

(٣) وهو خليل الرحمن عليه الصلاة والسلام.

(٤) رواه البخاري في علامات النبوة ٤٣١/٧، ٤٣٢، وفي مواضع، وأبو داود في الجهاد، والنسائي في الزينة، من حديث خباب بن الأرت... «إن كان من قبلكم ليمشط أحدهم بأمشاط الحديد...» إلخ.

(٥) تقدم الحديث في ذلك ص ٩٦، ٢٩٢.

(٦) رمى ابن قمئة النبي ﷺ يوم أحد في وجنتيه، ذكره ابن هشام غير مسند. وقال الواقدي: ثبت عندي أن الذي رمى في وجنتي رسول الله ﷺ ابن قمئة.

وأصل القصة عند أحمد ٩٩/٣، ٢٥٣، ومسلم في الجهاد ١٤٩، من حديث أنس: أن رسول الله ﷺ كسرت رباعيته وشج في وجهه حتى سال الدم على وجهه فقال: «كيف يفلح قوم فعلوا هذا بنبيهم وهو يدعوهم إلى الله؟» فأنزل الله تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ [آل عمران: ١٢٨] واللفظ لأحمد.

عداه عند دعوته أهل الطائف^(١)، فلقد أخذ على عيون قريش عند خروجه إلى ثور^(٢)، وأمسك عنه سيف غورث^(٣)، وحجر أبي جهل^(٤)، وفرس سراقه^(٥). ولئن لم يقه من سحر ابن الأعصم^(٦)، فلقد وقاه ما هو أعظم من سم اليهودية^(٧).

وهكذا سائر أنبيائه مبتلى ومعافى، وذلك من تمام حكمته؛ ليظهر شرفهم في هذه المقامات، ويبين أمرهم، ويتم كلمته فيهم، وليحقق بامتحانهم بشريتهم، ويرتفع الالتباس عن أهل الضعف فيهم لئلا يضلوا بما يظهر من العجائب على أيديهم ضلال النصارى بعيسى ابن مريم عليه السلام، وليكون في محنتهم تسليّةً لأممهم ووفورًا لأجورهم عند ربهم تمامًا على الذي أحسن إليهم.

قال بعض المحققين: وهذه الطوارئ والتغيرات المذكورة إنما تختص بأجسامهم البشرية المقصود بها مقاومة البشر ومعاناة بني آدم لمشكلة الجنس. وأما بواطنهم فمنزهة غالبًا عن ذلك، معصومة منه، متعلقة بالملاء الأعلى والملائكة؛ لأخذها عنهم وتلقيها الوحي منهم.

وقد قال ﷺ: «إن عيني تنامان ولا ينام قلبي»^(٨). وقال ﷺ: «إني

(١) قصة ذهابه إلى الطائف وما حصل له معهم أخرجها ابن إسحاق ١/ ٢٦٠، ٢٦٢ عن محمد بن كعب القرظي بسند صحيح لكنه مرسل.

(٢) جاء ذلك في حديث الهجرة وقد تقدم ص ٧٧.

(٣) تقدمت قصته ص ١١٩، ٢٩٣.

(٤) تقدم تخريجه ص ٢٩٤، ٢٩٥.

(٥) تقدم ص ٧٧.

(٦) تقدم ص ١١٩.

(٧) تقدم ص ١١٩.

(٨) تقدم ص ١٠٢.

لست كهيتكم؛ إني أبيت يطعمني ربي ويسقيني^(١). فأخبر أن سره وباطنه وروحه بخلاف جسمه وظاهره، وأن الآفات التي تحل ظاهره من ضعف وجوع وسهر ونوم لا يحل منها شيء باطنه، بخلاف غيره من البشر في حكم الباطن، لأن غيره إذا نام استغرق النوم جسمه وقلبه، وهو ﷺ في نومه حاضر القلب كما هو في يقظته، حتى قد جاء في بعض الآثار أنه كان محروسًا من الحدث في نومه^(٢)، لكون قلبه يقظان كما ذكرناه، وكذلك غيره إذا جاع ضعف لذلك جسمه، وخارت قوته فبطلت بالكلية جملته. وهو ﷺ قد أخبر أنه لا يعتريه ذلك وأنه بخلافهم، لقوله ﷺ: «إني لست كهيتكم إني أبيت يطعمني ربي ويسقيني».

وكذلك أقول: إنه في هذه الأحوال كلها من وصب ومرض وسحر وغضب، لم يجر على باطنه ما يخل به، ولا فاض منه على لسانه وجوارحه ما لا يليق به كما يعترى غيره من البشر...

فإن قلت: فقد جاءت الأخبار الصحيحة أنه ﷺ سحر، كما قالت عائشة رضي الله تعالى عنها: سحر رسول الله ﷺ حتى إنه ليخيل إليه أنه فعل الشيء وما فعله... الحديث^(٣)، وإذا كان هذا من التباس الأمر على المسحور فكيف حال النبي ﷺ في ذلك، وكيف جاز عليه وهو معصوم.

فاعلم وفقنا الله وإياك أن هذا الحديث صحيح متفق عليه، وقد طعنت فيه الملحدة^(٤) وتدرعت به؛ لسخف عقولها وتلييسها على أمثالها إلى التشكيك في الشرع وقد نزه الله الشرع والنبي عما يدخل في أمره لبسًا،

(١) تقدم ص ٣٨٧.

(٢) جاء ذلك في حديث ابن عباس عند نومه معه عند خالته ميمونة، وقد تقدم ص ٩٠.

(٣) تقدم تخريجه ص ١١٩، ١٢٠ وأنه في الصحيحين في الطب عندهما.

(٤) وقد كثر الطاعنون فيه اليوم حتى من بعض المفكرين الدعاة المشاهير.

وإنما السحر مرض من الأمراض وعارض من العلل، يجوز عليه كأنواع الأمراض مما لا ينكر ولا يقدر في نبوته.

وأما ما ورد أنه كان يخيل إليه أنه فعل الشيء ولا يفعله، فليس في هذا ما يدخل عليه داخلة في شيء من تبليغه أو شريعته، أو يقدر في صدقه؛ لقيام الدليل، والإجماع على عصمته من هذا. وإنما هذا فيما يجوز طروء عليه في أمر دنياه التي لم يبعث بسببها ولا فضل من أجلها، وهو فيها عرضة للآفات كسائر البشر، فغير بعيد أن يخيل إليه من أمورها ما لا حقيقة له ثم ينجلي عنه كما كان. وأيضاً فقد فسر هذا الفصل الحديث الآخر من قوله: «حتى يخيل إليه أنه يأتي أهله^(١) ولا يأتيهن». وقد قال سفيان: هذا أشد ما يكون من السحر، ولم يأت في خبر ما منها أنه نقل عنه في ذلك قول بخلاف ما كان أخبر أنه فعله ولم يفعله، وإنما كانت خواطر وتخيلات لا يعتقد صحتها فتكون اعتقاداته كلها على السداد وأقواله على الصحة. هذا ما قاله أئمتنا.

فقد استبان من مضمون ما تقدم أن السحر إنما تسلط على ظاهره وجوارحه لا على قلبه واعتقاده وعقله، وأنه إنما أثر في حبسه عن وطء نسائه وطعامه، وأضعف جسمه وأمراضه، ويكون معنى قول عائشة: يخيل إليه أنه يأتي أهله... إلخ، أي: يظهر له من نشاطه ومتقدم عاداته القدرة على النساء فإذا دنا منهن أصابته أخذة السحر فلم يقدر على إتيانهن، كما يعترى من أخذه واعترض. ولهذا قال سفيان: وهذا أشد ما يكون من السحر. وإذا كان هذا فلم يكن فيما ذكر من إصابة السحر له وتأثيره فيه ما يدخل لبساً ولا يجد فيه الملحد المعترض أنساً.

(١) هذه الرواية عند البخاري في الطب ١٢ / ٣٤٥.

أحواله ﷺ في أمور الدنيا

هذا حاله في جسمه ﷺ، فأما أحواله في أمور الدنيا فسنذكرها على الأسلوب المتقدم بالعقد والقول والفعل.

ما كان يعتقد في أمور الدنيا ويظهر بخلافه

أما العقد منها فقد يعتقد في أمور الدنيا الشيء على وجه ويظهر خلافه، أو يكون منه على شك أو ظن بخلاف أمور الشرع.

كما أخرجه مسلم عن^(١) رافع بن خديج رضي الله تعالى عنه قال: قدم رسول الله ﷺ المدينة وهم يأبرون النخل فقال: «ما تصنعون؟» قالوا: كنا نصنعه، قال: «لعلكم لو لم تفعلوا كان خيراً». فتركوه، فنفضت، فذكروا ذلك له، فقال: «إنما أنا بشر»، وفي رواية أنس: «أنتم أعلم بأمر دنياكم»^(٢). وفي حديث آخر: «إنما ظننت ظناً فلا تؤاخذوني بالظن»^(٣). وفي حديث ابن عباس في قصة الخرص، فقال رسول الله ﷺ: «إنما أنا بشر، فما حدثتكم عن الله فهو حق وما قلت فيه من قبل نفسي فإنما أنا بشر أخطيء وأصيب»^(٤).

وهذا على ما قررناه فيما قاله من قبل نفسه في أمور الدنيا وظنه من أحوالها، لا ما قاله من قبل نفسه واجتهاده في شرع شرعه وسنة سننها.

فمثل ذلك وأشباهه من أمور الدنيا التي لا مدخل فيها لعلم ديانة ولا اعتقادها ولا تعليمها يجوز عليه فيها ما ذكرناه؛ إذ ليس في هذا كله نقيصة

(١) رواه في الفضائل ١١٧/١٥. وقد قدمنا تخريجه أيضاً ص ٤٢٥.

(٢) هو عند مسلم ١١٨ من حديث أنس. تقدم أيضاً ص ٤٢٥.

(٣) رواه مسلم ١١٦، ١١٧ من حديث طلحة رضي الله تعالى عنه.

(٤) رواه البزار. قال الهيثمي: إسناده حسن.

ولا محطة، وإنما هي أمور اعتيادية يعرفها من تجربها وجعلها همه، وشغل نفسه بها. والنبى ﷺ مشحون القلب بمعرفة الربوبية، ملآن الجوانح بعلوم الشريعة، مقيد البال بمصالح الأمة الدينية والدينيوية، ولكن هذا إنما يكون في بعض الأمور لا في الكثير المؤذن بالبله والغفلة. وقد تواتر بالنقل عنه ﷺ من المعرفة بأمر الدنيا ودقائق مصالحها وسياسة فرق أهلها ما هو معجز في البشر.

حالته ﷺ في القضاء بين الخصوم وأنه كان يحكم حسب الظاهر

وأما ما يعتقده في أمور أحكام البشر الجارية على يديه وقضاياهم ومعرفة المحق من المبطل، وعلم المصلح من المفسد فهذه السبيل.

لقوله ﷺ: «إنما أنا بشر وإنكم تختصمون إلي، ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض، فأقضي له على نحو ما أسمع، فمن قضيت له من حق أخيه بشيء فلا يأخذ منه شيئاً فإنما أقطع له قطعة من النار»^(١).

فيجري أحكامه ﷺ على الظاهر، وموجب غلبات الظن بشهادة الشاهد، ويمين الحالف، ومراعاة الأشبه، ومعرفة العفاص والوكاء، مع مقتضى حكمة الله تعالى ذلك؛ فإنه تعالى لو شاء لأطلععه على سرائر عباده ومخبات ضمائر أمته، فتولى الحكم بينهم بمجرد يقينه وعلمه، دون حاجة إلى اعتراف أو بينة أو يمين أو شبهة. ولكن لما أمر الله أمته باتباعه والاقتراء به في أفعاله وأحواله وقضاياه وسيره، وكان هذا لو كان مما يختص بعلمه ويؤثره الله به لم يكن للأمة سبيل إلى الاقتداء به في شيء من ذلك ولا قامت

(١) رواه أحمد ٢٩٠، ٢٩١، ٣٠٧، والبخاري، ومسلم في الأفضية ١٢/٤، ٦، وغيرهم عن أم سلمة، وتقدم ص ٤٢٥.

حجة بقضية من قضاياها لأحد في شريعته، لأننا لا نعلم ما اطلع عليه هو في تلك القضية بحكمه هو إذا في ذلك بالمكون من إعلام الله له بما أطلعه عليه من سرائرهم، وهذا ما لا تعلمه الأمة فأجرى الله تعالى أحكامه على ظواهرهم التي يستوي في ذلك هو وغيره من البشر؛ لئتم اقتداء أمته به في تعيين قضاياها وتنزيل أحكامه، ويأتون ما أتوا من ذلك على علم ويقين من سنته؛ إذ البيان بالفعل أوقع منه بالقول وأرفع لاحتمال اللفظ وتأويل المتأول، وكان حكمه على الظاهر أجلى في البيان وأوضح في وجوه الأحكام، وأكثر فائدة لموجبات التشاجر والخصام، وليقتدي بذلك كله حكام أمته ويستوثق بما يؤثر عنه، وينضبط قانون شريعته. وطى ذلك عنه من علم الغيب الذي استأثر به عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدًا إلا من ارتضى من رسول فيعلمه منه بما شاء. ويستأثر بما شاء ولا يقدر هذا في نبوته ﷺ.

أقواله الدنيوية،

وإخباره عن أحواله وأحوال غيره ﷺ

وأما أقواله الدنيوية من إخباره عن أحواله وأحوال غيره وما يفعله أو فعله ﷺ، فقد قدمنا أن الخلف فيها ممتنع عليه في كل حال، وعلى أي وجه، من عمد، أو سهو، أو صحة، أو مرض، أو رضى، أو غضب. وأنه ﷺ معصوم منه ﷺ. هذا فيما طريقه الخبر المحض مما يدخله الصدق والكذب. فأما المعارض الموهم ظاهرها خلاف باطنها فجائز ورودها منه في الأمور الدنيوية، لا سيما لقصد المصلحة، كتوريته عن وجه مغازيه لئلا يأخذ العدو حذره، وكممازحته لبسط أمته، وتطيب قلوب المؤمنين من صحابته، وتأكيدها في تحبيهم، كقوله ﷺ: «لأحملنك على ابن الناقة»^(١)

(١) رواه أبو داود في الأدب ٤٩٩٨، والترمذي في البر والصلة ١٨٣٧، وفي الشرائع ٢٣٨، من حديث أنس بسند صحيح على شرطها، وحسنه وصححه.

وهذا حق؛ لأن كل جمل ابن ناقة. وقد قال ﷺ: «إني لأمزح ولا أقول إلا حقًا»^(١). وهذا كله فيما باب الخبر، فأما ما باب غير الخبر مما صورته صورة الأمر والنهي في الأمور الدنيوية فلا يصح منه أيضًا، ولا يجوز عليه أن يأمر أحدًا بشيء أو ينهى أحدًا عن شيء، وهو يبطن خلافه.

ما قيل في أمره زيدًا بإمساك زوجته مع إخفائه غير ذلك

فإن قلت: فما معنى قوله تعالى في قصة زيد: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ﴾ [الأحزاب: ٣٧].

فاعلم أكرمك الله، ولا تسترب في تنزيه النبي ﷺ عن هذا الظاهر وأن يأمر زيدًا بإمساكها وهو يحب تطلقه إياها، كما ذكر عن جماعة من المفسرين. وأصح في هذا ما حكاه أهل التفسير عن علي بن حسين عليهما السلام: أن الله تعالى كان أعلم نبيه ﷺ أن زينب ستكون من أزواجه، فلما شكها إليه زيد قال له: ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ﴾ [الأحزاب: ٣٧]، وأخفى منه في نفسه ما أعلمه الله به من أنه سيتزوجها مما الله مبديه ومظهره بتمام التزويج وطلاق زيد لها.

ويصح هذا قول المفسرين في قوله تعالى بعد هذا: ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا﴾ [الأحزاب: ٣٨]، أي لا بد لك أن تتزوجها. ويوضح هذا أن الله لم يبد من أمره معها غير زواجه لها، فدل أنه الذي أخفاه ﷺ مما كان أعلمه به تعالى.

(١) رواه الترمذي في البدر في ١٨٣٥، وفي الشمائيل ٢٣٧، ورواه أيضًا أحمد ٣٦٠/٢، والبخاري في الأدب المفرد ٢٦٥، كلهم من حديث أبي هريرة وحسنه الترمذي وصححه.

وقوله تعالى في القصة: ﴿ مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ ﴾ [الأحزاب: ٣٨] دل أنه لم يكن عليه حرج في الأمر. قال الطبري^(١): ما كان الله ليؤثم نبيه فيما أحل له مثال فعله لمن قبله من الرسل، قال الله تعالى: ﴿ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ ﴾ [الأحزاب: ٣٨]. أي من النبيين فيما أحل لهم، ولو كان على ما روي من وقوعها في قلب النبي ﷺ عندما أعجبت، ومحبتة طلاقها لكان فيه أعظم الحرج، وما لا يليق به من مد عينيه لما نهى عنه من زهرة الحياة الدنيا، ولكان هذا نفس الحسد المذموم الذي لا يرضاه، ولا يتسم به الأتقياء، فكيف سيد الأنبياء ﷺ؟!

قال القشيري رحمه الله تعالى: وهذا إقدام عظيم من قائله، وقلة معرفة بحق النبي ﷺ وبفضله، وكيف يقال: رآها فأعجبت، وهي بنت عمته، ولم يزل يراها منذ ولدت، ولا كان النساء يحتجب منه ﷺ، وهو زوجها لزيد

وإنما جعل الله طلاق زيد لها وتزويج النبي ﷺ إياها لإزالة حرمة التبني وإبطال سننه كما قال تعالى: ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ ﴾ [الأحزاب: ٤٠]. ولما طلقها زيد خشي النبي ﷺ من قول الناس أنه تزوج امرأة ابنه، وكان الله قد أعلمه أنها زوجته فأمره تعالى بزواجها ليباح مثل ذلك لأمته، كما قال تعالى: ﴿ لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ ﴾ [الأحزاب: ٣٧].

وقال بعضهم: كان أمره لزيد بإمسакها قمعاً للشهوة، ورداً للنفس عن هواها. وهذا إذا جوزنا عليه أنه رآها فجأة واستحسنها^(٢)، ومثل هذا لا نكرة

(١) ذكره ٢٢/١٤، ١٥.

(٢) هذا قول غير سديد ولا هو مناسب لمقام سيد المعصومين ﷺ. فالواجب الإضراب عنه وعدم القول به، وإن ذهب إليه أعلام من المفسرين.

فيه؛ لما طبع عليه ابن آدم من استحسانه الحسن، ونظرة الفجأة معفو عنها وإنما ننكر تلك الزيادة التي في القصة.

والأولى ما ذكرناه عن علي بن الحسين وهو قول المحققين من أهل التفسير^(١).

والنبي ﷺ منزّه عن استعمال النفاق في ذلك وإظهار خلاف ما في نفسه، وقد نزهه الله عن ذلك بقوله: ﴿مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ﴾ [الأحزاب: ٣٨]. ومن ظن ذلك بالنبي ﷺ فقد أخطأ، وليس معنى الخشية هنا الخوف، وإنما معناه الاستحياء، أي: يستحي منهم أن يقولوا تزوج زوجة ابنه، وأن خشيته ﷺ من الناس كانت من إرجاف المنافقين واليهود وتشغيبيهم على المسلمين بقولهم: تزوج زوجة ابنه بعد نهيهِ عن نكاح حلائل الأبناء كما كان، فعاتبه الله على هذا ونزهه على الالتفات إليهم فيما أحله كما عاتبه على مراعاة رضى أزواجه في سورة التحريم بقوله: ﴿لِمَ تَحْرِمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبَيَّنَى مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ﴾ [التحريم: ١]، كذلك قوله هنا: ﴿وَتَخَشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَهُ﴾ [الأحزاب: ٣٧].

وقد روي عن الحسن وعائشة: «لو كنتم رسول الله ﷺ شيئاً لكنتم هذه الآية»^(٢) لما فيها من معاتبته وإبداء ما أخفاه.

(١) وهو الذي لم يذكر ابن كثير غيره. وقال الكرخي: هذا القول هو المنصور المعول عليه عند الجمهور. وقال البغوي: وهذا هو الأولى.

(٢) رواه أحمد ١٤١/٦، والترمذي في التفسير ٣٠٠٠، بتهذيبي، عن عائشة، وحسنه وصححه.

الكلام على حديث :

«هلموا أكتب لكم كتابًا لن تضلوا بعده»

قاله في مرض موته

فإن قلت: قد تقرر عصمته ﷺ في أقواله في جميع أحواله وأنه لا يصح منه خلف، ولا اضطراب في عمد ولا سهو، ولا صحة ولا مرض، ولا جد ولا مزح، ولا رضى ولا غضب.

ولكن: ما معنى الحديث في وصيته ﷺ الذي رواه البخاري عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: لما احتضر رسول الله ﷺ وفي البيت رجال، فقال النبي ﷺ: «هلموا أكتب لكم كتابًا لن تضلوا بعده»، فقال بعضهم: إن رسول الله ﷺ قد غلبه الوجد وفي رواية: «أتوني أكتب لكم كتابًا لن تضلوا بعده أبدًا». فتنازعوا فقالوا: ما له أهجر؟ استفهموه. فقال: «دعوني فإن الذي أنا فيه خير»^(١). وفي بعض طرقه: إن النبي ﷺ ليهجر، وفي رواية: هجر. ويروى: أهجر. ويروى: أهجرًا. وفيه: فقال عمر: إن النبي ﷺ قد اشتد به الوجد، وعندنا كتاب الله حسبنا. وكثر اللغظ فقال: «قوموا عني»، وفي رواية: واختلف أهل البيت واختصموا، فمنهم من يقول: قربوا يكتب لكم رسول الله ﷺ كتابًا. ومنهم من يقول ما قال عمر.

قال أئمتنا في هذا الحديث: إن النبي ﷺ غير معصوم من الأمراض وما يكون من عوارضها من شدة وجع وغشي ونحوه، مما يطرأ على جسمه، معصوم أن يكون منه من القول أثناء ذلك ما يطعن في معجزته ويؤدي إلى فساد في شريعته من هذيان أو اختلال في كلام.

(١) رواه البخاري في العلم وفي الجهاد وفي الوفاة النبوية ٩/١٩٧، ٣٠٠، ومسلم في الوصية ١١/٨٩، ٩٥ وغيرهما من حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنهما.

وعلى هذا لا يصح ظاهر رواية من روى في الحديث هَجَرَ؛ إذ معناه هَذَى. يقال: هَجَرَ هُجْرًا إذا هَذَى. وأهَجَرَ هَجْرًا إذا أفحش. وأهجر تعدية هجر.

وإنما الأصح والأولى: أهَجَرُ؟! على طريق الإنكار على من قال لا يكتب. وهكذا روايتنا فيه في صحيح البخاري من رواية جميع الرواة في حديث الزهري المتقدم، وفي حديث محمد بن سلام عن ابن عيينة، وهكذا ضبطه الأصيلي بخطه في كتابه، وغيره من هذه الطرق. وكذا روينا عن مسلم في حديث سفيان وغيره. وقد تحمل عليه رواية من رواه هجر على حذف ألف الاستفهام والتقدير: أهجر؟ أو يحمل قول القائل: هجرا أو أهجر دهشه من قائل ذلك وحيرة، لعظيم ما شاهد من حال الرسول ﷺ وشدة وجعه والمقام الذي اختلف فيه عليه والأمر الذي هم بالكتاب فيه حتى لم يضبط هذا القائل لفظه وأجرى الهجر، مجرى شدة الوجع، لا أنه اعتقد أنه يجوز عليه الهجر كما حملهم الإشفاق على حراسته والله يقول: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧]، ونحو هذا.

وأما على رواية: أهَجَرًا! وهي رواية أبي إسحاق المستملي في الصحيح في حديث ابن جبير عن ابن عباس من رواية قتبية فقد يكون هذا راجعًا إلى المختلفين عنده ﷺ ومخاطبة لهم من بعضهم، أي: جئتم باختلافكم على رسول الله ﷺ وبين يديه هَجْرًا أو منكرًا من القول: والهَجْر بضم الهاء: الفحش في المنطق.

وقد اختلف العلماء في معنى هذا الحديث، وكيف اختلفوا بعد أمره ﷺ أن يأتوا بالكتاب، فقال بعضهم: أوامر النبي ﷺ يفهم إيجابها من ندبها من إباحتها بقرائن، فلعل قد ظهر قرائن قوله ﷺ لبعضهم ما فهموا أنه لم تكن منه عزيمة بل أمر رده إلى اختيارهم وبعضهم لم يفهم ذلك فقال:

استفهموه . فلما اختلفوا كف عنه إذ لم يكن عزيمة . ولما رأوه من صواب عمر .

ثم هؤلاء قالوا: ويكون امتناع عمر إما إشفاقاً على النبي ﷺ من تكليفه في تلك الحال إملاء الكتاب، وأن تدخل عليه مشقة من ذلك كما قال: إن النبي ﷺ اشتد به الوجع . وقيل: خشي عمر أن يكتب أموراً يعجزون عنها فيحصلون في الحرج بالمخالفة، ورأى أن الأرفق بالأمة في تلك الأمور سعة الاجتهاد وحكم النظر وطلب الصواب فيكون المصيب والمخطيء مأجوراً . وقد علم عمر تقرُّر الشرع وتأسيس الملة وأن الله تعالى قال: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ [المائدة: ٣]، وقوله ﷺ: «أوصيكم بكتاب الله وعترتي»^(١) . وقول عمر رضي الله تعالى عنه: (حسبنا كتاب الله) رد على من نازعه لا على أمر النبي ﷺ . وقد قيل: إن عمر خشي تطرق المنافقين ومن في قلبه مرض لما كتب في ذلك الكتاب في الخلوة، وأن يتقولوا في ذلك الأقاويل كادعاء الرافضة الوصية وغير ذلك .

وقيل: إنه كان من النبي ﷺ على طريق المشورة والاختيار، وهل يتفقون على ذلك أم يختلفون؟ فلما اختلفوا تركه .

وقالت طائفة أخرى: إن معنى الحديث: أن النبي ﷺ كان مجيباً في هذا الكتاب لما طلب منه، لا أنه ابتداء بالأمر، بل اقتضاه منه بعض أصحابه فأجاب رغبتهم، وكره ذلك غيرهم للعلل التي ذكرناها، واستدل في مثل هذه القصة بقول العباس لعلي رضي الله تعالى عنهما: انطلق بنا إلى رسول الله ﷺ فإن كان الأمر فينا علمناه . وكراهة علي هذا وقوله:

(١) تقدم معناه في حديث الغدير ص ٣٥١ .

والله لا أفعل... (١) الحديث. واستدل بقوله: «دعوني فإن الذي أنا فيه خير» إن الذي أنا فيه خير من إرسال الأمر وترككم وكتاب الله، وإن تدعوني مما طلبتم. وذكر أن الذي طلب كتابته أمر الخلافة بعده وتعيين ذلك (٢).

الكلام على ما جاء من سبه ﷺ

أو لعنه أو جلدته بعض أمته

فإن قيل: فما وجه حديثه ﷺ الذي روينا من طريق مسلم (٣): عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «اللهم إنما محمد بشر يغضب كما يغضب البشر، وإنني قد اتخذت عندك عهداً لن تُخلفنيه فأیما مؤمن أذيته أو سببته أو جلدته فاجعلها له كفارة وقربة تقربه بها إليك يوم القيامة»، وفي رواية: «فأیما أحد دعوت عليه دعوة»، وفي رواية: «ليس لها بأهل». وفي رواية: «فأیما رجل من المسلمين سببته أو لعنته أو جلدته فاجعلها له زكاة وصلاة ورحمة».

(١) رواه البخاري في مرض موته ﷺ ٢٠٨/٩، من حديث ابن عباس.

وفي هذا الحديث رد صريح على الرافضة القائلين بالوصاية بالخلافة للإمام علي رضي الله تعالى عنه. بل الأمر منه عليه الصلاة والسلام بالكتابة في هذه الواقعة فسره الحديث الآخر الذي جاء في الصحيح عن عائشة: «ادعي لي أبا بكر وأباك وأخاك حتى أكتب كتاباً فإنني أخاف أن يتمنى متمن ويقول قائل أنا أولى، ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر» أخرجه البخاري في الأحكام ٣٣١/١٦، ٣٣٢، ومسلم في الفضائل ١٥٥/١٥.

(٢) وقد استوعب الكلام على معنى هذا الحديث النووي في شرح مسلم ٩٠/١١، ٩٣، والحافظ في الفتح ١٩٧/٩، ١٩٩، والعيني في عمدة القاري وغيرهم. وقول المؤلف: إن الذي طلب كتابته أمر الخلافة... هذا لا شك فيه؛ للحديث السابق قبله.

(٣) رواه في البر والصلة ١٥١/١٦، ١٥٢، ١٥٣، وباقي الروايات بعضها عن عائشة وبعضها عن جابر وبعضها عن أنس، وكلها عند مسلم في المصدر السابق.

وكيف يصح أن يلعن النبي ﷺ من لا يستحق اللعن، ويسب من لا يستحق السب، ويجلد من لا يستحق الجلد، أو يفعل مثل ذلك عند الغضب وهو معصوم من هذا كله؟!

فاعلم شرح الله صدرك أن قوله ﷺ أولاً: «ليس لها بأهل»، أي: عندك يا رب في باطن أمره، فإن حكمه ﷺ على الظاهر كما قال وللحكمة التي ذكرناها، فحكم ﷺ بجلده أو أدبه بسبه أو لعنه بما اقتضاه عنده حال ظاهره، ثم دعا له ﷺ لشفقته على أمته ورأفته ورحمته للمؤمنين التي وصفه الله بها، وحذره أن يتقبل الله فيمن دعا عليه دعوته أن يجعل دعاءه وفعله له رحمة، وهو معنى قوله: «ليس لها بأهل»، لا أنه ﷺ يحمله الغضب ويستفزه الضجر لأن يفعل مثل هذا بمن لا يستحقه من مسلم. وهذا معنى صحيح.

ولا يفهم من قوله: «أغضب كما يغضب البشر» أن الغضب حمله على ما لا يجب بل يجوز أن يكون المراد بهذا أن الغضب لله حمله على معاقبته بلعنه أو سبه، وأنه مما كان يحتمل ويجوز عفو عنه، أو كان مما خير بين المعاقبة فيه والعفو عنه. وقد يحمل على أنه خرج مخرج الإشفاق وتعليم أمته الخوف والحذر من تعدي حدود والله. وقد يحمل ما ورد من دعائه هنا، ومن دعواته على غير واحد في غير موطن على غير العقد والقصد، بل بما جرت به عادة العرب، وليس المراد بها الإجابة، كقوله ﷺ: «تربت يمينك»^(١). «ولا أشبع الله بطنك»^(٢) «وعقرى حلقى»^(٣) وغيرها من دعواته.

(١) هو في البخاري في الأدب، ومسلم في الحيض.

(٢) رواه مسلم في البر والصلة ١٦/١٥٥، ١٥٦، من حديث ابن عباس.

(٣) رواه البخاري ومسلم، كلاهما في الحج وأنه قال ذلك لبعض أزواجه.

وقد ورد في صفته في غير حديث «أنه ﷺ لم يكن فحاشاً»^(١). وقال أنس رضي الله تعالى عنه: «لم يكن سباباً ولا فاحشاً ولا لعاناً»^(٢)، وكان يقول لأحدنا عند المعتبة: «ما له؟ ترب جبينه». فيكون حمل الحديث على هذا المعنى، ثم أشفق ﷺ من موافقة أمثالها إجابة فعاهد ربه أن يجعل ذلك المقول له زكاة ورحمة وقربة.

وقد يكون ذلك إشفاقاً على المدعو عليه وتأنيساً له، لئلا يلحقه من استشعار الخوف والحذر من لعن النبي ﷺ وتقبل دعائه ما يحمله على اليأس والقنوط. وقد يكون ذلك سؤالاً منه لربه لمن جلده أو سبه على حق، وبوجه صحيح، أن يجعل ذلك كفارة لما أصابه وتمحية لما اجترم، وأن تكون عقوبته له في الدنيا سبب العفو والغفران، كما جاء في الحديث الآخر: «ومن أصاب من ذلك شيئاً فعوقب به في الدنيا فهو له كفارة»^(٣).

الكلام على حديث «اسق يا زبير حتى يبلغ الجدر»

فإن قلت: فما معنى حديث الزبير رضي الله تعالى عنه وقول النبي ﷺ له حين تخاصمه مع الأنصاري في شراج الحرة: «اسق يا زبير حتى يبلغ الكعبين». فقال له الأنصاري: أن كان يا رسول الله ابن عمك! فتلون وجه رسول الله ﷺ ثم قال: «اسق يا زبير ثم احبس حتى يبلغ الجدر» الحديث^(٤).

(١) تقدم ذلك في أخلاقه ﷺ ص ٩٩ وما بعدها.

(٢) تقدم ص ١٣١.

(٣) رواه البخاري في الإيمان ١/٧٠، ٧٥، ومسلم في الحدود ١١/٢٢٣، ٢٢٤، عن عبادة بن الصامت، في حديث طويل ذكر فيه المبايعة. وما ذكر من أن الحدود كفارات هو الظاهر من الحديث، فلا عبرة بمن قال خلافه؛ فإنه لا يصح غيره.

(٤) تقدم ص ٤٢٥.

فالجواب: أن النبي ﷺ منزّه أن يقع بنفس مسلم منه في هذه القصة أمر يريب، ولكنه ﷺ ندب الزبير أولاً إلى الاقتصار على بعض حقه على طريق الصلح، فلما لم يرض بذلك الآخر وَلَجَّ وقال ما لا يجب استوفى النبي ﷺ للزبير حقه، ولهذا ترجم البخاري على هذا الحديث: (باب إذا أشار الإمام بالصلح فأبى حكم عليه بالحكم) وذكر في آخر الحديث: «فاستوعى رسول الله ﷺ حينئذٍ للزبير حقه»، وقد جعل المسلمون هذا الحديث أصلاً في قضيته، وفيه الاقتداء به ﷺ في كل ما فعله في حال غضبه ورضاه، وأنه وإن نهى أن يقضي القاضي وهو غضبان^(١)، فإنه في حكمه في حال الغضب والرضا سواء لكونه ﷺ فيها معصوماً وغضبه ﷺ في هذا إنما كان لله تعالى لا لنفسه؛ كما جاء في الحديث الصحيح^(٢).

أفعاله ﷺ الدنيوية

وأما أفعاله ﷺ الدنيوية فحكمه فيها من توقي المعاصي والمكروهات ما قدمناه، ومن جواز السهو والغلط في بعضها ما ذكرناه، وكله غير قادح في النبوة، بل إن هذا فيها على الندور، إذ عامة أفعاله ﷺ على السداد والصواب، بل أكثرها أو كلها جارية مجرى العبادات والقرب على ما بينا؛ إذ كان ﷺ لا يأخذ منها لنفسه إلاّ ضرورته وما يقيم رمق جسمه، وفيه مصلحة ذاته التي بها يعبد ربه ويقيم شريعته، ويسوس أمته، وما كان فيه بينه وبين الناس فيبين معروف يصنعه، أو بريوسعته، أو كلام حسن يقوله أو يُسَمِّعُه، أو تألف شارده، أو قهر معانده، أو مداراة حاسده، وكل هذا لاحق بصالح أعماله، منتظم في زاكي وظائف عباداته.

(١) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فِي الْأَحْكَامِ ٢٥٦/١٦، وَمُسْلِمٌ فِي الْأَقْضِيَةِ ١٢/١٥، عَنْ أَبِي بَكْرَةَ بَلْفَظٍ: «لَا يَحْكُمُ أَحَدٌ بَيْنَ اثْنَيْنِ وَهُوَ غَضْبَانٌ».

(٢) تَقْدِمٌ فِي أَخْلَاقِهِ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ ص ١٢١.

وقد كان يخالف في أفعاله الدنيوية بحسب اختلاف الأحوال، ويعد للأمر أشباهها، فيركب في تصرفه لما قرب الحمار وفي أسفاره الراحلة، ويركب البغلة في معارك الحرب دليلاً على الثبات، ويركب الخيل ويُعدّها ليوم الفزع وإجابة الصارخ، وكذلك في لباسه وسائر أحواله، بحسب اعتبار مصالحه ومصالح أمته. وكذلك يفعل الفعل من أمور الدنيا مساعدة لأمته وسياسة وكرامية لخلافها، وإن كان قد يرى غيره خيراً منه. كما يترك الفعل لهذا، وقد يرى فعله خيراً منه.

وقد يفعل هذا في الأمور الدينية مما له الخيرة في أحد وجهيه، كخروجه من المدينة لأحد، وكان مذهبه التحصن بها. وتركه قتل المنافقين، وهو على يقين من أمرهم مؤالفة لغيرهم ورعاية للمؤمنين من قرابتهم، وكرامة لأن يقول الناس إن محمداً يقتل أصحابه، كما جاء في الحديث^(١). وتركه بناء الكعبة على قواعد إبراهيم مراعاةً لقلوب قريش، وتعظيمهم لتغيرها، وحرماً من نفار قلوبهم لذلك، وتحريك متقدم عداوتهم للدين وأهله، فقال لعائشة في الحديث الصحيح: «لولا حدثان قومك بالكفر لأتممت البيت على قواعد إبراهيم»^(٢). ويفعل الفعل ثم يتركه لكون غيره خيراً لأمته، كانتقاله من أدنى مياه بدر إلى أقربها للعدو^(٣) من قريش، وكقوله: «لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما سقت الهدى»^(٤). ويبسط وجهه للكافر والعدو رجاء استئلافه، ويصبر للجاهل، ويقول: «إن من شر الناس من اتقاه الناس

(١) تقدم ص ١٢٠.

(٢) رواه البخاري ومسلم، كلاهما في الحج عن عائشة.

(٣) تقدم.

(٤) رواه الشيخان في الحج.

لشره»^(١)، ويبذل له الرغائب ليحبب إليه شريعته ودين ربه، ويتولى في منزله ما يتولى الخادم من مهنته .

معنى حديث بئس أخو العشيرة

فإن قلت: فما معنى قوله لعائشة رضي الله تعالى عنه في الداخل عليه: «بئس ابن العشيرة»، فلما دخل ألان له القول وضحك معه، فلما خرج سألته عن ذلك قال: «إن من شر الناس من اتقاه الناس لشره»^(٢)، وكيف جاز أن يظهر له خلاف ما يبطن، ويقول في ظهره ما قاله .

فالجواب أن فعله ﷺ كان استئلافاً لمثله وتطبيباً لنفسه، ليتمكن إيمانه، ويدخل في الإسلام بسببه أتباعه، ويراه مثله فينجذب بذلك إلى الإسلام، ومثل هذا قد خرج من مداراة الدنيا إلى السياسة الدينية، وقد كان يتألفهم بأموال الله العريضة، فكيف بالكلمة اللينة؟ قال صفوان: لقد أعطاني وهو أبغض الخلق إلي، فما زال يعطيني حتى صار أحب الخلق إلي . وقوله ﷺ: «بئس ابن العشيرة» هو غير غيبية، بل هو تعريف ما علمه منه لمن لم يعلم ليحذر حاله ويحترز منه ولا يوثق بجانبه كل الثقة لا سيما وكان مطاعاً متبوعاً . ومثل هذا إذا كان لضرورة ودفع مضرة لم يكن بغيبية، بل كان جائزاً أو واجباً في بعض الأحيان، كعادة المحدثين وتجريح الرواة والمزكين في الشهود .

(١) رواه البخاري في الأدب ١٣/١٤٤، ومسلم في البر والصلة ١٦/١٤٤، من حديث عائشة، وهذا الذي جامله هو عيينة بن حصن الفزاري، وكان قد أسلم بعد ثم ارتد .

(٢) تقدم قبله .

معنى حديث بريرة

فإن قلت: فما معنى ما جاء في حديث بريرة من قوله ﷺ لعائشة وقد أخبرته أن موالي بريرة أبوا بيعها إلا أن يكون لهم الولاء، فقال لها ﷺ: «اشتريتها واشترطي لهم الولاء»، ففعلت، ثم قام خطيباً فقال: «ما بال أقوام يشترطون شروطاً ليس في كتاب الله؟ كل شرط ليس في كتاب الله فهو باطل»^(١)، والنبى ﷺ قد أمرها بالشرط لهم، وعليه باعوا، ولولاه والله أعلم لما باعوها من عائشة كما لم يبيعوها قبل حتى شرطوا ذلك عليها، ثم أبطله ﷺ وهو قد حرم الغش والخديعة!!

فاعلم أكرمك الله: أن النبى ﷺ منزه عما يقع في بال الجاهل من هذا، ولتنزيه النبى ﷺ عن ذلك فقد أنكر قوم هذه الزيادة - قوله: «اشترطي لهم الولاء» - إذ ليست في أكثر طرق الحديث. ومع ثباتها فلا اعتراض بها إذ يقع لهم بمعنى عليهم، قال الله تعالى: ﴿أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ﴾ [الرعد: ٢٥]، وقال: ﴿وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾ [الإسراء: ٧]، فعلى هذا: اشترطي عليهم الولاء لك. ويكون قيام النبى ﷺ ووعظه لما سلف لهم من شرط الولاء لأنفسهم قبل ذلك.

ووجه ثان: أن قوله ﷺ اشترطي لهم الولاء، ليس على معنى الأمر، لكن على معنى التسوية والإعلام بأن شرطها لهم لا ينفعهم بعد بيان النبى ﷺ لهم قبل أن الولاء لمن أعتق. فكأنه قال: اشترطي أو لا تشترطي فإنه شرط غير نافع. وإلى هذا ذهب الداوودي وغيره. وتوبيخ النبى ﷺ لهم وتقريرهم على ذلك يدل على علمهم به قبل هذا.

(١) رواه البخاري في المكاتبة وغيرها، ومسلم في العتق ١٣٩/١٠، ١٤٨، من حديث عائشة. وللحديث فوائد ليس هذا محل ذكرها. وتقدم تخريجه أيضاً ص

الوجه الثالث: أن معنى قوله: «اشترطي لهم الولاء»، أي اظهري لهم حكمه، وبيّني عندهم سنته أن الولاء إنما هو لمن أعتق. ثم بعد هذا قام هو ﷺ مبيّنًا ذلك وموبخًا على مخالفة ما تقدم منه فيه.

ما معنى نسبة إخوة يوسف للسرقة

فإن قيل: فما معنى فعل يوسف عليه السلام بأخيه، إذ جعل السقاية في رحله، وأخذه باسم سرقتها وما جرى على إخوته في ذلك، وقوله: «إنكم تسرقون» ولم يسرقوا.

فاعلم أكرمك الله: أن الآية تدل على أن فعل يوسف كان من أمر الله، لقوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَٰ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ...﴾ الآية [يوسف: ٧٦]، فإذا كان كذلك فلا اعتراض به، وإن كان فيه ما فيه. ثم إن يوسف كان أعلم أخاه بأني أنا أخوك فلا تبتئس. فكان ما جرى عليه بعد هذا من وفقه ورغبته وعلى يقين من عقبى الخير له به، وإزاحة السوء والمضرة عنه بذلك.

وأما قوله: ﴿أَيُّهَا الْعَيْرُ إِنَّكُمْ لَسَرْقُونَ﴾ [يوسف: ٧٠] فليس من قول يوسف فيلزم عليه جواب يحل شبهة. ولعل قائله: إن حُسن له التأويل كائنًا من كان ظن على صورة الحال ذلك. وقد قيل: قال ذلك لفعلهم قبل بيوسف وبيعهم له. وقيل غير هذا. ولا يلزم أن نُقَوِّلَ الأنبياء ما لم يأت أنهم قالوه حتى يطلب الخلاص منه، ولا يلزم الاعتذار عن زلات غيرهم.

الحكمة في ابتلاء الأنبياء وإجراء الأمراض وشدتها عليهم

فإن قيل: فما الحكمة في إجراء الأمراض وشدتها عليه وعلى غيره من الأنبياء على جميعهم الصلاة والسلام، وما الوجه فيما ابتلاههم الله به من البلاء وامتحانهم بما امتحنوا به كأيوب ويعقوب وديال ويحيى وزكريا

وعيسى وإبراهيم ويوسف وغيرهم صلوات الله وسلامه عليهم ، وهم خيرته من خلقه وأحباؤه وأصفيائه .

فاعلم وفقنا الله وإياك : أن أفعال الله تعالى كلها عدل ، وكلماته جميعاً صدق ، لا مبدل لكلماته ، يتلى عباده كما قال لهم : ﴿ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾ [يونس : ١٤] . و ﴿ لِيَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ [هود : ٧] . ﴿ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَتَّخِذَ ﴾ [آل عمران : ١٤٠] . ﴿ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ﴾ [آل عمران : ١٤٢] . ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوا أَخْبَارَكُمْ ﴾ [محمد : ١٣] . فامتحانه إياهم بضروب المحن زيادة في مكانتهم ، ورفعة في درجاتهم ، وأسباباً لاستخراج حالات الصبر والرضا والشكر والتسليم والتوكل والتفويض والدعاء والتضرع منهم ، وتأکید لبصائرهم في رحمة الممتحنين والشفقة على المبتلين ، وتذكرة لغيرهم وموعظة لسواهم ليتأسوا في البلاء بهم ويتسلوا في المحن بما جرى عليهم ، ويقتدوا بهم في الصبر ، ومحو لهفات فرطت منهم ، أو غفلات سلفت لهم ، ليلقوا الله طيبين مهذبين ، وليكون أجرهم أكمل وثوابهم أوفر وأجزل .

عن سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه قال : قلت يا رسول الله : أي الناس أشد بلاء؟ قال : « الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل ، يتلى الرجل على حسب دينه ، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض وما عليه خطيئة »^(١) .

وكما قال تعالى : ﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رَبِّيُونَ كَثِيرٌ ﴾ الآيات الثلاث [آل عمران : ١٤٦ - ١٤٨] .

(١) رواه أحمد ١/ ١٨٠ ، والترمذي في الزهد ٢٢١٨ ، بهذيبي ، وابن ماجه ٤٠٢٣ وغيرهم ، وحسنه الترمذي وصححه .

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه : « ما يزال البلاء بالمؤمن في نفسه وولده وماله حتى يلقي الله وما عليه خطيئة »^(١) .

وعن أنس رضي الله تعالى عنه عنه ﷺ : « إذا أراد بعبده الخير عجل الله له العقوبة في الدنيا ، وإذا أراد الله بعبده الشر أمسك عنه بذنبه حتى يوافي به يوم القيامة »^(٢) .

فكل من كان أكرم على الله تعالى بلاؤه أشد ، كي يتبين فضله ، ويستوجب الثواب .

وقالت عائشة رضي الله تعالى عنه : ما رأيت الوجع على أحد أشد منه على رسول الله ﷺ^(٣) .

وعن عبد الله رضي الله تعالى عنه رأيت النبي ﷺ في مرضه يوعك وبعكًا شديدًا ، فقلت : إنك توعك وبعكًا شديدًا قال : « أجل إنني أوعك كما يوعك رجلان منكم » ، قلت : ذلك أن لك الأجر مرتين قال :

(١) رواه أحمد ٢/٢٨٧ ، ٤٥٠ ، والترمذي ٢٢١٩ ، والحاكم ٤/٣١٤ ، وحسنه الترمذي ، وصححه الحاكم على شرط مسلم .

(٢) رواه الترمذي في الزهد أيضًا ٢٢١٥ بسند حسن وهو صحيح لشواهد له أشرت إليها في تهذيب الجامع . وفي هذه الأحاديث بشارة عظيمة للمؤمن الذي لا يخلو من محنة وبلاء ونكسات في نفسه وأهله وولده وماله ، فلله الحمد على ذلك . لكن كل ذلك مشروط بالصبر والرضا وعدم التسخط ؛ لحديث أنس : « إن عظم الجزاء مع عظم البلاء ، وإن الله إذا أحب قومًا ابتلاهم ، فمن رضي فله الرضا ومن سخط فله السخط » رواه الترمذي ٢٢١٦ ، وابن ماجه ٤٠٣١ كلاهما في الزهد بسند حسن . نسأل الله تعالى الصبر والرضا والتوفيق .

(٣) رواه البخاري في المرض ١٢/٢١٤ ، ومسلم ١٦/١٢٦ في البر والصلة وغيرها .

«أجل ذلك كذلك»^(١).

وفي حديث أبي سعيد رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ قال: «إنا معشر الأنبياء يضاعف لنا البلاء، [إن كان النبي ليبتلى بالقمل حتى يقتله، وإن كان النبي ليبتلى بالفقر، وإن كانوا ليفرحون بالبلاء كما يفرحون بالرخاء»^(٢).

وعن أنس رضي الله تعالى عنه عنه ﷺ: «إن عظم الجزء مع عظم البلاء، وإن الله إذا أحب قومًا ابتلاهم فمن رضي فله الرضا، ومن سخط فله السخط»^(٣).

وقد قال المفسرون في قوله تعالى: ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾ [النساء: ١٢٣]: إن المسلم يجزى بمصائب الدنيا فتكون له كفارة. ورد هذا عن عائشة وأبي ومجاهد^(٤).

(١) البخاري ٣١٥/١٢، ومسلم ١٢٧/١٦، في المصدرين السابقين. والوعك، بفتحيتين: الحمى أو ألمها.

(٢) رواه ابن ماجه في الفتن ٤٠٢٤، والحاكم في الإيمان ٤٠/١، وفي الرقاق ٣٠٧/٤، بنحوه، وصححه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي. وقال البوصيري: إسناده صحيح ورجاله ثقات. وما في هذا الحديث ليس فيه شين للأنبياء؛ لأن هذه عوارض بشرية تجري على كل إنسان أراد الله منه ذلك.

(٣) تقدم تخريجه قريبًا ص ٤٩١، وأنه عند الترمذي وغيره بسند حسن.

(٤) قد جاءت أحاديث وآثار كثيرة في هذا الموضوع، أورد أكثرها ابن كثير في تفسيره لهذه الآية الكريمة، فانظرها فإنها تحمل بشارات هامة للمؤمن المبتلى. وفي صحيح مسلم ١٣٠/١٦، عن أبي بكر قال: لما نزلت: ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾ [النساء: ١٢٣]، بلغت من المسلمين مبلغًا شديدًا، فقال رسول الله ﷺ: «قاربوا وسددوا، ففي كل ما يصاب به المسلم كفارة، حتى النكبة ينكبها، أو الشوكة يُشاكها»، وفيما يلي من الأحاديث ما يدل لذلك أيضًا.

وقال أبو هريرة رضي الله تعالى عنه رضي الله عنه: «من يرد الله به خيراً يصب منه»^(١).

وعن عائشة رضي الله تعالى عنه رضي الله عنه قال: «ما من مصيبة تصيب المسلم إلا يكفر الله بها عنه حتى الشوكة يشاكها»^(٢).

وعن أبي سعيد رضي الله تعالى عنه عنه رضي الله عنه قال: «ما يصيب المؤمن من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياها»^(٣).

وعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه عنه رضي الله عنه قال: «ما من مسلم يصيبه أذى إلا حات الله عنه خطاياها كما يحترق الشجر»^(٤).

وحكمة أخرى أودعها الله في الأمراض لأجسامهم وتعاقب الأوجاع وشدتها عند مماتهم لتضعف قوى نفوسهم فيسهل خروجها عند قبضهم، وتخف عليهم موتة النزاع وشددة السكرات بتقدم المرض وضعف الجسم والنفس لذلك، خلاف موت الفجأة وأخذه، كما يشاهد من اختلاف أحوال الموتى في الشدة واللين والصعوبة.

(١) رواه البخاري في المرضى ١٢/٢١٢.

(٢) رواه البخاري في المرضى ١٢/٢٠٧، ٢٠٨، ومسلم في البر ١٦/١٢٩.

(٣) البخاري ١٢/٢٠٩، ومسلم ١٦/١٣٠، في المصدرين. «النصب»، وهو التعب، و«الوصب» بفتحين كسابقه: الوجد اللازم.

(٤) البخاري ١٢/٢١٥، ومسلم ١٦/١٢٧، أيضاً. وهو بعض حديثه السابق قبل خمسة أحاديث. قال الحافظ في الفتح بعد بعض هذه الأحاديث: وفي هذه الأحاديث بشارة عظيمة لكل مؤمن؛ لأن الأدمي لا ينفك غالباً من ألم بسبب مرض أو هم أو نحو ذلك مما ذكر، وأن الأمراض والأوجاع والآلام بدنية كانت أو قلبية تكفر ذنوب من تقع له.

وقد قال ﷺ: «مثل المؤمن مثل خامة الزرع تفيؤها الريح هكذا وهكذا». وفي رواية: «من حيث أتها الريح تكفئها، فإذا سكت اعتدلت، وكذلك المؤمن يكفأ بالبلاء. ومثل الكافر كمثل الأرزة صماء معتدلة حتى يقصمه الله»^(١).

ومعناه: أن المؤمن مُرَزَّءٌ مصاب بالبلاء والأمراض راضٍ بتصريفه بين أقدار الله تعالى، منطاع لذلك، لين الجانب برضاه وقلة سخطه كطاعة خامة الزرع وانقيادها للرياح، وتمايلها لهبوبها، وترمحتها من حيث ما أتها، فإذا أزاح الله عن المؤمن رياح البلياء واعتدل صحيحًا كما اعتدلت خامة الزرع عند سكون رياح الجو رجع إلى شكر ربه ومعرفة نعمته عليه برفع بلائه، منتظرًا رحمته وثوابه عليه، فإذا كان بهذه السبيل لم يصعب عليه مرض الموت ولا نزوله، ولا اشتدت عليه سكراته ونزعه؛ لعادته بما تقدمه من الآلام ومعرفة ما له فيها من الأجر وتوطينه نفسه على المصائب ورققتها وضعفها بتوالي المرض أو شدته.

والكافر بخلاف هذا: معافى في غالب حاله، مُمْتَعٌ بصحة جسمه، كالأرزة الصماء، حتى إذا أراد الله هلاكه قصمه لحيته على غرة، وأخذه بغتة من غير لطف ولا رفق، فكان موته أشد عليه حسرة، ومقاساة نزعًا، مع قوة نفسه وصحة جسمه أشد ألمًا وعذابًا، ولعذاب الآخرة أشد، كانهقلاع الأرزة. وكما قال تعالى: ﴿فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْنَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [الأعراف: ٩٥]، وكذلك عادة الله في أعدائه كما قال تعالى: ﴿فَكَلَّا أَخَذْنَا

(١) البخاري في المرض ١٢/٢١١، ومسلم في صفة القيامة ١٧/١٥١، وغيرهما من حديث أبي هريرة. وروياه من حديث كعب بن مالك. ومعناها متقارب. والأرزة بفتح الهمزة وتكسر مع سكون الراء، قيل: هو شجر الصنوبر. وقيل: العرعر. وقوله: «صماء» أي: صلبة شديدة.

بِذُنُوبِهِمْ فَمِنْهُمْ مَن أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَّن أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ . . . ﴿ الآية [العنكبوت: ٤٠] ففجأ جميعهم بالموت على حال عتو وغفلة، وصبحهم به على غير استعداد بغتة، ولهذا ذكر عن السلف أنهم كانوا يكرهون موت الفجاءة.

وحكمة ثالثة: أن الأمراض نذير الممات وبقدر شدتها شدة الخوف من نزول الموت، فيستعد من أصابته وعلم تعاهدا له للقاء ربه ويعرض عن دار الدنيا الكثيرة الأنكاد، ويكون قلبه معلقاً بالمعاد، فيتصل من كل ما يخشى تباعته ومؤاخذته من قبل الله وقبل العباد، ويؤدي الحقوق إلى أهلها، وينظر فيما يحتاج إليه من وصية فيمن يخلفه أو أمر يعهده. وهذا نبينا ﷺ المغفور له ما تقدم وما تأخر قد أوصى بالثقلين بعده: كتاب الله وعترته^(١)، وبالأنصار عَيْبَتِهِ^(٢)، ودعا إلى كتب كتاب يوصي فيه لثلاث أمتة بعده^(٣)، إما في النص على الخلافة، أو الله أعلم بمراده، ثم رأى الإمساك عنه أفضل وخيراً. وهكذا سيرة عباد الله المؤمنين وأوليائه المتقين.

وهذا كله يحرمه غالباً الكفار؛ لإملاء الله لهم ليزدادوا إثماً، وليستدرجهم من حيث لا يعلمون، قال الله تعالى: ﴿ مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ [يس: ٤٩، ٥٠]، ولذلك قال ﷺ: «موت الفجاءة راحة للمؤمن وأخذة أسف للكافر أو الفاجر»^(٤). وذلك أن الموت يأتي المؤمن وهو غالباً مستعد له منتظر لحلوله، فهان أمره عليه كيفما جاء، وأفضى إلى راحته من نصب

(١) تقدم ص ٣٥١، ٤٨١.

(٢) تقدم ص ٣٣٣، ٣٦٠.

(٣) تقدم ص ٤٧٩.

(٤) رواه أحمد ٣/٤٢٣، من حديث عبيد بن خالد بسند صحيح.

الدنيا وأذاها، كما قال ﷺ: «مستريح ومستراح منه»^(١)، وتأتي الكافر والفاجر منيته على غير استعداد ولا أهبة، ولا مقدمات منذرة مزعجة، ﴿بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ [الأنبياء: ٤٠] فكان الموت أشد شيء عليه، وفراق الدنيا أفظع أمر صدمه، وأكره شيء له، ولهذا المعنى أشار ﷺ بقوله: «من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه»^(٢).



(١) رواه أحمد ٥/٢٩٦، ٣٠٢، ٣٠٤، والبخاري ١٤/١٥١، ١٥٢، ومسلم ٧/٢٠،

٢١، من حديث أبي قتادة.

(٢) رواه البخاري ١٤/١٤٤، ١٤٧، ومسلم ٩/١٧، في كتاب الذكر والدعاء، من

حديث عائشة: ونحوه عن أبي هريرة، رواه أحمد ٢/٣٤٦، ومسلم ١٧/١٠،

١١ وغيرهما.

القسم الرابع

في حكم من تنقصه ﷺ أو سبّه

قال أبو الفضل رحمه الله تعالى: قد تقدم من الكتاب والسنة وإجماع الأمة ما يجب من الحقوق للنبي ﷺ، وما يتعين له من بر وتوقير وتعظيم وإكرام؛ وبحسب هذا حرم الله تعالى أذاه في كتابه، وأجمعت الأمة على قتل متنقصه من المسلمين وسابه.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا﴾ [الأحزاب: ٥٧]. وقال: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [التوبة: ٦١]. وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أزْوَاجَهُمْ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكَ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٣].

وقال عز وجل في تحريم التعريض له: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا﴾ [البقرة: ١٠٤]. وذلك أن اليهود كانوا يقولون: راعنا يا محمد، أي: ارعنا سمعك واسمع منا ويعرضون بالكلمة يريدون الرعونة والحماقة، فهي الله المؤمنين عن التشبه بهم. وقطع الذريعة بنهي المؤمنين عنها لئلا يتوصل بها الكافر والمنافق إلى سبه والاستهزاء به. وقيل: بل لما فيها من مشاركة اللفظ؛ لأنها عند اليهود بمعنى اسمع

لا سمعت. وقيل: بل لما فيها من قلة الأدب^(١)، وعدم توقير النبي ﷺ وتعظيمه؛ لأنها في لغة الأنصار بمعنى: (ارعنا نرعك) فنهوا عن ذلك؛ إذ مضمونه أنهم لا يرعونه إلا برعايته لهم، وهو ﷺ واجب الرعاية بكل حال.

وها هو ﷺ قد نهى عن التكني بكنيته فقال: «تسموا باسمي ولا تكنوا بكنيتي»^(٢)، صيانة لنفسه وحماية عن أذاه؛ إذ كان ﷺ استجاب لرجل نادى أبا القاسم فقال: لم أعنك، إنما دعوت هذا. فنهى حينئذ عن التكني بكنيته لئلا يتأذى بإجابة دعوة غيره لمن لم يدعه، ويجد بذلك المنافقون والمستهزئون ذريعة إلى أذاه والإضرار به فينادونه، فإذا التفت قالوا: إنما أردنا هذا لسواه؛ تعنيًا له واستخفافًا بحقه، على عادة المُجَّان والمستهزئين. فحَمَى ﷺ حمى أذاه بكل وجه.

فحمل محققوا العلماء نهيه عن هذا على مدة حياته، وأجازوا ذلك بعد وفاته؛ لارتفاع العلة. وبهذا قال الجمهور. والصواب أن ذلك على طريق تعظيمه وتوقيره، وعلى سبيل النذب والاستحباب لا على التحريم، ولذلك لم ينه عن اسمه، لأنه قد كان الله منع من ندائه به بقوله: ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا﴾ [النور: ٦٣]، وإنما كان المسلمون يدعون: (يا رسول الله، يا نبي الله)، وقد يدعوه بعضهم بكنيته: (أبا القاسم) في بعض الأحوال.

(١) كل ذلك تشمله الآية.

(٢) ورد عن جماعة عن أنس، رواه البخاري في المناقب ٧/٣٧١، وفي الأدب ١١٢/١٤. وعن جابر، رواه البخاري في الخمس، وفي المناقب ٧/٣٧١، وفي الأدب ١٩٢/١٣. وعن أبي هريرة، رواه البخاري في العلم وفي الأدب ١٩٣/١٣.

وكره بعض العلماء التسمي باسمه ﷺ وأسماء الأنبياء إكرامًا لهم وخشية أن يسب من سمي بأسمائهم. والصواب جواز ذلك بعده ﷺ لإطباق الصحابة وغيرهم على ذلك. وقد سمي جماعة من الصحابة أولادهم محمدًا، منهم: الصديق رضي الله تعالى عنه وأذن ﷺ بذلك للإمام علي رضي الله تعالى عنه^(١) وقد أخبر أن اسم المهدي محمد بن عبد الله^(٢). ولم يزل العلماء وغيرهم في كل الأجيال يسمون بأسماء الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم.



-
- (١) رواه أبو داود ٤٩٦٧، والترمذي ٢٩٥٢، كلاهما في الأدب، وسنده صحيح على شرط البخاري، وحسنه الترمذي وصححه. وهو من حديث علي.
- (٢) رواه أحمد ٣٧٧/١، ٤٣٠، وأبو داود في المهدي ٤٢٨٢، والترمذي في الفتن ٢٠٦٠، وحسنه وصححه وسنده صحيح على شرط مسلم، وهو من حديث أبي مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تذهب الدنيا حتى يملك العرب رجل من أهل بيتي يواظن اسمه أسمى».

الباب الأول

في بيان ما هو في حقه ﷺ

سب أو نقص من تعريض أو نص

اعلم وفقنا الله وإياك أن جميع من سب النبي ﷺ أو عابه، أو ألحق به نقصاً في نفسه أو نسبه أو دينه أو خصلة من خصاله، أو عرّض به، أو شبهه بشيء على طريق السب له أو الإزار عليه أو التصغير لشأنه، أو الغض منه والعيب له فهو ساب له. والحكم فيه حكم الساب يقتل،^(١) — كما نبينه — تصريحاً كان أو تلويحاً. وكذلك من لعنه أو دعا عليه أو تمنى مضرة له، أو نسب إليه ما لا يليق بمنصبه على طريق الذم، أو عبث في جهته العزيزة بسخف من الكلام وهُجّر من القول ومنكر وزور، أو غيره وعابه بشيء مما جرى عليه من البلاء والمحنة، أو غمصه واحتقره ببعض العوارض البشرية الجائزة والمعهودة لديه. وهذا كله إجماع من العلماء وأئمة الفتوى من لدن الصحابة رضوان الله عليهم إلى هَلُمَّ جَرّاً^(٢).

-
- (١) ويا خيبة الشيعة الروافض الطاعنين في نسب بناته زينب ورقية وأم كلثوم وقولهم بأنهن كن متبنيات لخديجة، ولسن بنات لها وللنبي ﷺ. فهذا كفر سافر منهم.
- (٢) ومن هذا تعلم عظم إجرام ما يسمون اليوم بالمثلين الذين يخرجون الروايات المسلسلة في تاريخ الإسلام وما يتعاطونه في ذلك من نقص للنبي ﷺ وسب وكفر على سبيل الحكاية، فإن كل ذلك كفر بلا نزاع ولو كان لعباً، وقد جهل ذلك كثير =

قال ابن المنذر رحمه الله تعالى: أجمع عوام وأهل العلم على أن من سب النبي ﷺ يقتل^(١). وممن قال بذلك: مالك والشافعي وأحمد والليث وابن راهويه وأبو حنيفة والأوزاعي وغيرهم، ويعتبر ذلك من المسلم ردة وزندقة. ولا نعلم خلافاً في استباحة دمه بين علماء الأمصار وسلف الأمة.

وقد ذكر غير واحد الإجماع على قتله وتكفيره، قال محمد بن سحنون: أجمع العلماء على أن شاتم النبي ﷺ المتنقص له كافر، والوعيد جار عليه بعذاب الله له، وحكمه عند الأمة القتل، ومن شك في كفره وعذابه كفر، وقد قتل خالد بن الوليد مالك بن نويرة لمجرد قوله عن النبي ﷺ: (صاحبكم)؛ فإن ذلك ليؤذن منه بأنه لا يقول بنبوته ﷺ.

وقال الخطابي رحمه الله تعالى: لا أعلم أحداً من المسلمين اختلف في وجوب قتل من سب النبي ﷺ إذا كان مسلماً. وقال ابن القاسم عن مالك رحمهما الله تعالى: من سبه ﷺ أو شتمه أو عابه أو تنقصه فإنه يقتل، وحكمه عند الأمة القتل كالزنديق. وقال أصحاب مالك وأتباعه ابن كنانة وأبو مصعب وابن أويس وأصبغ وعبد الله بن عبد الحكم وأشعب وغيرهم:

= ممن ينتمون إلى العلم اليوم، فأباحوا ذلك لهؤلاء اللاعبيين المجرمين الملحدين الذين يمثلون أنفسهم أحياناً على صفة الكفار الذين كانوا يؤذون النبي ﷺ ويسبونونه ويكفرون به... ثم لا يلبثون أن ينقلب أحدهم في رواية أخرى أبا بكر أو عمر أو خالد بن الوليد... ثم يضمون إلى ذلك النساء والفتيات الحسان الأجانب فيجعلونهن زوجات لهم أو أخوات فيعانقونهن ويقبلونهن ويختلون بهن في أشياء من هذا القبيل، فمن أفتى بإباحة هذا وأمثاله فهو كافر بالإجماع؛ لأنه أباح ما حرم الله تعالى. والمقصود: أن الممثلين ممن يشملهم هذا الباب، فليتقوا الله في جانب رسولنا الكريم ﷺ وصحابته وقادات الإسلام ولا يتخذوهم مسخرة...

(١) قاله في كتاب الإجماع ص ١٥٣ رقم ٧٢٢.

من سب النبي ﷺ أو عابه أو تنقصه قتل مسلمًا كان أم كافرًا، ولا يستتاب لأن توبته لا تعرف .

وقال مالك رحمه الله تعالى : من قال : إن رداء النبي ﷺ أوزره وسخ - أراد به عيبه - ؛ قتل . وقال بعض الأئمة : أجمع العلماء على أن من دعا على نبي من الأنبياء بالويل أو بشيء من المكروه أنه يقتل بلا استتابة . وأفتى أبو الحسن القاسبي - فيمن قال في النبي ﷺ : الجمال يتيم أبي طالب - ؛ بالقتل . وأفتى ابن أبي زيد - يعني القيرواني - بقتل رجل سمع قومًا يتذكرون صفة النبي ﷺ إذ مر بهم رجل قبيح الوجه واللحية ، فقال لهم : تريدون تعرفون صفته؟ هي صفة هذا المار في خلقه ولحيته . قال : ولا تقبل توبته ، وقد كذب عدو الله لعنه الله ، وليس يخرج مثل هذا من قلب سليم الإيمان .

وقال أحمد بن سليمان صاحب سحنون : من قال : إن النبي ﷺ كان أسود؛ يقتل . وقال في رجل قيل له : لا وحق رسول الله ﷺ . فقال : فعل الله برسول الله كذا - وذكر كلامًا قبيحًا - فقيل له : ما تقول يا عدو الله؟! فقال أشد من كلامه الأول ، ثم قال : إنما أردت برسول الله العقرب . !! فقال ابن أبي سليمان للذي سأله : اشهد عليه ، وأنا شريكك . يريد في قتله ، وثواب ذلك .

قال حبيب بن الربيع : لأن دعاء التأويل في لفظ صُراح لا يقبل ، لأنه امتهان ، وهو غير مُعزَّر لرسول الله ﷺ ولا موقر له ، فوجب إباحة دمه . وأفتى ابن عتاب في عشار - قال لرجل : أد واشك إلى النبي ﷺ : وقال : إن سألت أو جهلت فقد جهل وسأل النبي ﷺ - بالقتل .

وأفتى فقهاء الأندلس بقتل ابن حاتم الطليطلي المتفقه وصلبه بما شهد عليه به من استخفافه بحق النبي ﷺ وتسميته إياه أثناء مناظرته باليتيم وختن

حيدرة، وزعمه أن زهده لم يكن قصداً، ولو قدر على الطيبات لأكلها... إلى أشباه لهذا.

وأفتى فقهاء القيروان وأصحاب سحنون بقتل إبراهيم الفزاري؛ وكان شاعراً متفنناً في كثير من العلوم، فرفعت عليه أمور منكرة في الاستهزاء بالله وأنبيائه ونبينا ﷺ؛ فأحضر له القاضي يحيى بن عمر وغيره من الفقهاء وأمر بقتله وصلبه، فطعن بالسكين وصلب مُنكَّسًا ثم أنزل وأحرق بالنار. قالوا: أنه لَمَّا رُفِعَتْ خَشَبَتُهُ وزالت عنها الأيدي استدارت وحولته عن القبلة، فكان آية للجميع، وكبر الناس، وجاء كلب فولغ في دمه.

وقال أبو عبد الله ابن المرابط: من قال: إن النبي ﷺ هُزِمَ؛ يستتاب. فإن تاب...، وإلا قتل لأنه تنقُصٌ؛ إذ لا يجوز ذلك عليه في خاصته ﷺ، إذ هو على بصيرة من أمره ويقين من عصمته. وقال ابن عتاب: الكتاب والسنة موجبان أن: من قصد النبي ﷺ بأذى أو نقص - معرضاً أو مصرحاً وإن قل - فقتله واجب.

فهذا الباب كله مما عده العلماء سباً أو تنقُصاً يجب قتل قائله، لم يختلف في ذلك متقدمهم ولا متأخرهم، وكذلك أقول: حكم من غمسه أو عيره برعاية الغنم أو السهو أو النسيان أو السحر، أو ما أصابه من جرح أو هزيمة لبعض جيوشه، أو أذى من عدوه أو شدة من زمنه، أو بالميل إلى نساءه؛ فحكم هذا كله لمن قصد به نقصه القتل^(١).

(١) فانظر أيها المسلم كيف كان أئمتنا وعلماؤنا رحمهم الله تعالى يحترمون جانب رسول الله ﷺ ويعظمونه، ويحكمون بالكفر والقتل على كل من نسب إليه شيئاً أو نقصاً، فضلاً عن سب أو شتم أو جحود لنبوته.

الحجة في إيجاب قتل من سبه أو عابه ﷺ

فمن القرآن: لعنه تعالى لمؤذيه في الدنيا والآخرة، وقرانه تعالى أذاه بأذاه؛ ولا خلاف في قتل من سب الله. وأن اللعن إنما يستوجبه من هو كافر، وحكم الكافر القتل، فقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ...﴾ الآية [الأحزاب: ٥٧]، وقال في قاتل المؤمن مثل ذلك، فمن لعنته في الدنيا القتل. قال الله تعالى: ﴿مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقُفُوا أُخَذُوا وَقُتِلُوا تَفْتِيلًا﴾ [الأحزاب: ٦١]. وقال في المحاربين وذكر عقوبتهم: ﴿ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا﴾ [المائدة: ٣٣].

وقد يقع القتل بمعنى اللعن، قال تعالى: ﴿قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ﴾ [الذاريات: ١٠]، و﴿قَتَلَهُمُ اللَّهُ أَفَّ يُؤْفَكُونَ﴾ [التوبة: ٣٠]، أي: لعنهم الله.

ولأنه فرق بين أذاهما وأذى المؤمنين. وفي أذى المؤمنين ما دون القتل من الضرب والنكال، فكان حكم مؤذي الله ونبيه أشد من ذلك وهو القتل.

وقال الله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِي مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ...﴾ الآية [النساء: ٦٥]، فسلب اسم الإيمان عن وجد في صدره حرجاً من قضائه ولم يسلم له، ومن تنقصه فقد ناقض هذا. وقال الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالِكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [الحجرات: ٢]، ولا يحبط العمل إلا الكفر، والكافر يقتل. وقال تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ﴾ ثم قال: ﴿حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصَلَوْنَهَا فَيُئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [المجادلة: ٨]، وقال تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ﴾، ثم قال: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [التوبة: ٦١]. وقال تعالى:

﴿ وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ﴾ ، إلى قوله : ﴿ قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾ [التوبة : ٦٥ ، ٦٦] ، قال أهل التفسير : كفرتم بقولكم في رسول الله ﷺ^(١) .

وأما الإجماع فقد ذكرناه^(٢) .

وأما الآثار ، فمن ذلك : الحديث الصحيح : أن النبي ﷺ أمر بقتل كعب بن الأشرف . وقوله : «من لكعب بن الأشرف ؛ فإنه يؤذي الله ورسوله»^(٣) ، ووجه إليه من قتله غيلة وخفية دون دعوة بخلاف غيره من المشركين ، وعلل بأذاه له . فدل أن قتله إياه لغير الإشراك بل للأذى . وكذلك قتلُ أبي رافع^(٤) ، قال البراء : وكان يؤذي رسول الله ﷺ ويعين عليه . وكذلك أمره يوم الفتح بقتل ابن خطل وجاريتيه اللتين كانتا تغنيان بسب النبي ﷺ^(٥) .

وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما : أن أعمى كانت له أم ولد تسب النبي ﷺ فيزجرها فلا تنزجر ، فلما كانت ذات ليلة جعلت تقع في النبي ﷺ وتشتمه ، فقتلها واعلم النبي ﷺ بذلك ؛ فأهدر دمها^(٦) .

(١) دلالة هذه الآيات على ما ذكر واضحه لا تحتاج إلى تعليق .

(٢) وقال التقي السبكي في فتاويه ٥٧٢ / ٢ : وأما سب النبي ﷺ فالإجماع منعقد على أنه كفر .

(٣) رواه البخاري في المغازي ٣٣٩ / ٨ ، وفي الجهاد ٩٩ / ٦ ، ومسلم في الجهاد والسير ١٦٠ / ١٢ ، ١٦١ ، وغيرهما من حديث جابر مطولاً .

(٤) رواه البخاري في الجهاد باب قتل المشرك النائم ٤٩٦ / ٦ ، وفي المغازي .

(٥) رواه البخاري ٤٣١ / ٤ ، ومسلم كلاهما في الحج ١٣١ / ٩ ، من حديث أنس رضي الله تعالى عنه .

(٦) رواه أبو داود في الحدود رقم ٤٣٦١ ، والنسائي في كتاب تحريم الدم ٣٧٩٤ ، بسند صحيح ، وعنوانا عليه : باب الحكم فيمن سب النبي ﷺ .

وفي حديث أبي برزة الأسلمي رضي الله تعالى عنه قال: أتيت أبا بكر وقد أغلظ لرجل فرد عليه. قال: فقلت: يا خليفة رسول الله ﷺ، دعني أضرب عنقه. فقال: اجلس فليس ذلك لأحد إلا رسول الله ﷺ^(١). قال القاضي أبو محمد بن نصر: ولم يخالف عليه أحد، فاستدل الأئمة بهذا الحديث على قتل من أغضب النبي ﷺ بكل ما أغضبه أو أذاه أو سبه.

ومن ذلك كتاب عمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنه إلى عامله بالكوفة وقد استشاره في قتل رجل سب عمر رضي الله تعالى عنه، فكتب إليه عمر أنه: لا يحل قتل مسلم بسب أحد من الناس إلا رجلاً سب رسول الله ﷺ، فمن سبه فقد حل دمه.

وسأل الرشيد مالكا رحمه الله في رجل شتم النبي ﷺ، وذكر له أن فقهاء العراق أفتوه بجلده، فغضب مالك وقال: ما بقاء الأمة بعد شتم نبيها؟ من شتم الأنبياء قتل، ومن شتم أصحاب النبي ﷺ جُلِد. وهذه الحكاية رواها غير واحد من أصحاب مناقب مالك ومؤلفي أخباره، وغيرهم. وما قاله أولئك العراقيون يحمل على غير السب، وإلا فالإجماع على قتل من سبه كما تقدم.

ويدل على قتله من جهة النظر والاعتبار: أن من سبه أو تنقصه ﷺ فقد ظهرت علامة مرض قلبه وبرهان سر طويته وكفره؛ ولهذا ما حكم له كثير من العلماء بالردة، وهي رواية الشاميين عن مالك والأوزاعي، وقول الثوري وأبي حنيفة والكوفيين. والقول الآخر: أنه دليل على الكفر؛ فيقتل حدًا، وإن لم يحكم له بالكفر إلا أن يكون متماديًا على قوله غير منكر له ولا مقلع عنه؛ فهذا كافر.

(١) رواه أيضًا أبو داود ٤٣٦٣، والنسائي ٣٧٩٥، في المصدرين السابقين، وسندهما صحيح.

وقوله إما صريح كفر كالتكذيب ونحوه، أو من كلمات الاستهزاء والذم، فاعترافه بها وترك توبته عنها دليل استحلاله لذلك، وهو كفر أيضاً. فهذا كافر بلا خلاف؛ قال الله تعالى: ﴿يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ﴾ [التوبة: ٧٤]، قال أهل التفسير: هي قولهم: إن كان ما يقول محمد حقاً لنحن شر من الحمير. وقيل: بل قول بعضهم: ما مثلاً ومثلاً محمد إلا قول القائل: سَمَنْ كلبك يأكلك: ﴿يَقُولُونَ لَيْنَ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَا الْأَعْرَابُ مِنْهَا الْأَذَلَّ﴾ [المنافقون: ٨].

وقد قيل إن قائل مثل هذا إن كان مستتراً به أن حكمه حكم الزنديق يقتل، ولأنه ~~ك~~ غير دينه، وقد قال ﷺ: «من بدل دينه فاقتلوه»^(١)، ولأن لحكم النبي ﷺ في الحرمة مزية على أمته، وساب الحر من أمته يحد فكانت العقوبة لمن سبه ﷺ القتل لعظيم قدره ورفعته منزلته على غيره.

السرف في عدم قتله ﷺ من كان يؤذيه أو يسبه في حياته

فإن قلت: فلم لم يقتل النبي ﷺ اليهودي – الذي قال له: السام عليكم^(٢) – وهذا دعاء عليه، ولا قتل الآخر الذي قال له: إن هذه لقسمة ما أريد بها وجه الله^(٣). وقد تأذى النبي ﷺ من ذلك، وقد قال: «قد أؤذي

(١) سيأتي تخريجه ص ٥٢٩ وهو في البخاري والسنن من حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنه.

(٢) رواه البخاري في الأدب ٢٨٠/١٣، ٢٧٩، ومسلم في السلام ١٤٦/١٤، ١٤٧، والترمذي في الاستئذان ٢٥١٦، وغيرهم من حديث عائشة: أن رهطاً من اليهود دخلوا على النبي ﷺ، فقالوا: السام عليك. فقال النبي ﷺ «وعليكم». فقالت عائشة: فقلت: عليكم السام واللعنة. فقال النبي ﷺ: «يا عائشة إن الله يحب الرفق في الأمر كله» فقالت عائشة: ألم تسمع ما قالوا؟ قال: «قد قلت عليكم». وللحديث ألفاظ. والسام: هو الموت.

(٣) تقدم تخريجه. وهو من حديث ابن مسعود، وهو وما بعده حديث واحد.

موسى بأكثر من هذا فصبر»^(١)، ولا قتل المنافقين الذين كانوا يؤذونه في أكثر الأحيان.

فاعلم وفقنا الله وإياك: أن النبي ﷺ كان أول الإسلام يستألف عليه الناس ويُميل قلوبهم ويُميل إليه ويحبب إليهم الإيمان ويزينه في قلوبهم ويداريهم، ويقول لأصحابه: «إنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين»^(٢)، ويقول: «يسروا ولا تعسروا، وسكنوا ولا تنفروا»^(٣). ويقول: «لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه»^(٤).

وكان ﷺ يداري الكفار والمنافقين، ويجمل صحبتهم ويغض عنهم ويتحمل أذاهم ويصبر على جفائهم ما لا يجوز لنا اليوم الصبر لهم عليه، وكان يرفقهم بالعطاء والإحسان، وبذلك أمره الله تعالى، فقال تعالى: ﴿وَلَا نَزَالُ نَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَأَعْفُ عَنْهُمْ وَأَصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [المائدة: ١٣]. وقال تعالى: ﴿أَدْفَعْ بِأَلْتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت: ٣٤]. وذلك لحاجة الناس للتألف أول الإسلام، وجمع الكلمة عليه.

(١) تقدم.

(٢) رواه البخاري في الطهارة وفي الأدب ١٣/١٤٢، وأحمد ٢/٢٣٩، ٢٨٣، والترمذي ١٣٠، وباقي أهل السنن من حديث أبي هريرة في بول الأعرابي في المسجد. وأخرج القصة الشيخان أيضاً من حديث أنس، وليس فيها: إنما بعثتم إلخ.

(٣) رواه البخاري في العلم ١/١٧٢، وفي الأدب، ومسلم في أوائل الجهاد والسير ١٢/٤٢، من حديث أنس. وفي رواية بدل «سكنوا»: «بشروا». وجاء من حديث أبي موسى، رويها أيضاً. وانظر: النووي على مسلم، والفتح للحافظ، على معنى الحديث وفوائده؛ فإن ذلك مهم جداً في باب الدعوة.

(٤) تقدم ص ١٢٠، ٤٨٦.

فلما استقر وأظهره الله على الدين كله قتل من ندر عليه، واشتهر أمره، كفعله بابن خطل ومن عهد بقتله يوم الفتح، ومن أمكنه قتله غيلة من يهود وغيرهم ممن كان يؤذيه كابن الأشرف وأبي رافع^(١) وغيرهما، أما المنافقون فكانت بواطنهم مستترة وحكمه ﷺ كان على الظاهر، وأكثر تلك الكلمات كان يقولها القائل منهم خفية ومع أمثاله، ويحلفون عليها إذا أنميت وينكرونها، ويحلفون بالله ما قالوا، ولقد قالوا كلمة الكفر، وكان مع هذا يطمع في رجوعهم إلى الإسلام وتوبتهم؛ فيصبر ﷺ على هزاتهم وجفوتهم كما صبر أولوا العزم من الرسل، حتى فاء كثير منهم باطنًا كما فاء ظاهراً وأخلص سرًا كما أظهر جهراً، ونفع الله بعدُ بكثير منهم، وقام منهم للدين وزراء وأعوان وحماة وأنصار كما جاءت به الأخبار.

وبهذا أجاب بعض أئمتنا رحمهم الله عن هذا السؤال، وقال: لعله لم يثبت عنده ﷺ من أقوالهم ما رفع إليه، وإنما نقله الراحد... والدماء لا تستباح إلاً بعدلين. وعلى هذا يحمل أمر اليهودي في السلام، وإنما لووا ألسنتهم ولم يبينوه. وكذلك قيل في شأن المنافقين وأنه لم تقم بينة على نفاقهم؛ فلذلك تركهم ﷺ؛ فإن الأمر كان سرًا وباطنًا، وظاهرهم الإسلام والإيمان. وإن كان من أهل الذمة بالعهد والجوار، والناس قريب عهدهم بالإسلام لم يتميز بعد الخبيث من الطيب، وقد شاع عن المذكورين في العرب كون من يتهم بالنفاق من جملة المؤمنين وصحابة الرسول وأنصار الدين بحكم ظاهرهم، فلو قتلهم النبي ﷺ لنفاقهم وما يبدر منهم وعلمه بما أسروا في أنفسهم لوجد المنفر ما يقول، ولارتاب الشارد، ولخاف من صحبة النبي ﷺ والدخول في الإسلام غير واحد، ولظن العدو والظالم أن القتل إنما كان للعداوة.. ولهذا قال ﷺ: «لا يتحدث الناس أن محمدًا يقتل

(١) كل ذلك قد تقدم ص ٥٠٥.

أصحابه». وقال: «أولئك الذين نهاني الله عن قتلهم»^(١).

وهذا بخلاف إجراء الأحكام الظاهرة عليهم من حدود الزنا والقتل وشبه ذلك؛ لظهورها واستواء الناس في علمها.

وقد قال غير واحد في قوله تعالى: ﴿لَيْنَ لَمَّ يَنْتَهَ الْمُنْفِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِبَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا﴾ [ملعونين] آيِنَمَا تُقِفُوا أَخِذُوا وَقْتِكُمْ لَتَفْتِيلًا ﴿٦١﴾ سُنَّةَ اللَّهِ ﴿ الآيات [الأحزاب: ٦٠ - ٦٢]. فمعناه: إذا أظهروا النفاق فعل بهم ذلك. وهناك أجوبة أخرى عما ذكر والأولى في ذلك كله والأظهر من هذه الوجوه مقصد الاستئلاف والمداراة على الدين لعلهم يؤمنون، ولذلك ترجم البخاري على حديث القسمة والخوارج، باب من ترك قتال الخوارج للتآلف ولئلا ينفر الناس عنه.

وقد صبر لهم ﷺ على سحره وسمه وهو أعظم من سبه إلى أن نصره الله عليهم وأذن له في قتل من أراد هلاكه منهم، وأنزلهم من حصونهم، وقذف في قلوبهم الرعب، وكتب على من شاء منهم الجلاء، وأخرجهم من ديارهم، وخرّب بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين، وحكم فيهم سيوف المسلمين وأجلاهم من جوارهم، وأورثهم أرضهم وديارهم وأموالهم؛ لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى.

فإن قيل فقد جاء في الحديث الصحيح عن عائشة رضي الله تعالى عنها: أنه ﷺ ما انتقم لنفسه في شيء يؤتى إليه قط، إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم لله^(٢).

(١) تقدم ص ١٢٠، ٤٨٦، ٥٠٨.

(٢) تقدم في أخلاقه ﷺ ص ١١٧، ١٢١.

فاعلم أن هذا لا يقتضي أنه لم ينتقم ممن سبه أو آذاه أو كذبه، فإن هذه من حرمة الله التي انتقم لها، وإنما يكون ما لا ينتقم له منه فيما تعلق بسوء أدب أو معاملة من القول والفعل بالنفس والمال مما لم يقصد فاعله به آذاه، لكن مما جبلت عليه الأعراب من الجفاء والجهل، أو جبل عليه البشر من السفه كجبد الأعرابي إزاره حتى أثر في عنقه^(١)، وكرفع صوت الآخر عنده^(٢)، وكجحد الأعرابي شراءه منه فرسه التي شهد فيها خزيمة^(٣)، وكما كان من تظاهر زوجه عليه، وأشباه ذلك مما يحسن الصنف عنه.

وقد قال علماؤنا رحمهم الله تعالى: إن أذى النبي ﷺ حرام لا يجوز بفعل مباح ولا غيره، وأما غيره فيجوز بفعل مباح، مما يجوز للإنسان فعله وإن تأذى به غيره، واحتجوا بعموم قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ [الأحزاب: ٥٧]. ويقولون ﷺ في حديث فاطمة عليها السلام: «إنها بضعة مني يؤذيني ما يؤذيها ألا وإنني لا أحرم ما أحل الله ولكن لا تجتمع ابنة رسول الله ﷺ وابنة عدو الله عند رجل أبداً»^(٤). أو يكون هذا مما آذاه به كافر رجا بعد ذلك إسلامه، كعفوه عن اليهودي الذي سحره وعن الأعرابي الذي أراد قتله وعن اليهودية التي سمتة، فصفح عنهم رجاء ائتلافهم^(٥).

(١) تقدم ص ١٢١.

(٢) تقدم.

(٣) تقدم.

(٤) يأتي ص ٥٥٤.

(٥) تقدم ص ١١٩، ١٢١.

من سبه أو كذبه ﷺ من غير قصد ولا تعمد الذم والسب ما تقدم من الوجه الأول في قتل القاصد لسبه ﷺ والازراء به وغمصه بأي وجه كان من ممكن أو محال، فهذا لا إشكال فيه .

الوجه الثاني : هو لاحق به في البيان والجلاء، وهو أن يكون القائل لما قال في جهته ﷺ غير قاصد للسب والإزراء ولا معتقد له، ولكنه تكلم في جهته ﷺ بكلمة الكفر من لعنه أو سبه أو تكذيبه أو إضافة ما لا يجوز عليه أو نفي ما يجب له مما هو في حقه ﷺ نقيصة، مثل أن ينسب إليه إتيان كبيرة أو مدهانة في تبليغ الرسالة أو في حكم بين الناس، أو يغض من مرتبته أو شرف نسبه، أو وفور علمه أو زهده، أو يكذب بما اشتهر من أمور أخبر بها ﷺ وتواتر الخبر بها عن قصد لرد خبره، أو يأتي بسفه من القول أو قبيح من الكلام، ونوع من السب في جهته، وإن ظهر بدليل حاله أنه لم يتعمد ذمه ولم يقصد سبه، إما لجهالة حملته على ما قاله أو لضجر أو سكر اضطره إليه أو تهور في كلامه .

فحكم هذا الوجه : القتل دون تلعثم؛ إذ لا يعذر أحد في الكفر بالجهالة ولا بدعوى زلل اللسان، ولا بشيء مما ذكرناه إذا كان عقله في فطرته سليماً، إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان . وبهذا أفتى الأندلسيون على ابن حاتم في نفيه الزهد عن رسول الله ﷺ الذي تقدم . وقال محمد بن سحنون في المأمور بسب النبي ﷺ في أيدي العدو: يقتل، إلا أن يعلم تبصره أو إكراهه . وعن ابن أبي زيد: لا يعذر بدعوى زلل اللسان مثل هذا .

وأفتى أبو الحسن القاسبي فيمن شتم النبي ﷺ في سكره: يقتل، لأنه يظن به أنه يعتقد هذا ويفعله في صحوه، وأيضاً فإنه حد لا يسقطه المسكر كالقذف والقتل وسائر الحدود، لأنه أدخله على نفسه، لأن من شرب الخمر على علم من زوال عقله بها وإتيان ما ينكر منه فهو كالعامد لما يكون بسببه،

وعلى هذا ألزمناه الطلاق والعتاق والقصاص والحدود^(١). ولا يعترض على هذا بحديث حمزة وقوله للنبي ﷺ: وهل أنتم إلا عبيد لأبي؟ قال: فعرف النبي ﷺ أنه ثملٌ سكران، فانصرف^(٢)؛ لأن الخمر كانت حينئذٍ غير محرمة، فلم يكن في جنایاتها إثم، وكان حكم ما يحدث عنها معفوًا عنه، كما يحدث من النوم وشرب الدواء المأمون.

من قصد تكذيبه أو الكفر به أو نفى وجوده ونحو ذلك

الوجه الثالث: أن يقصد إلى تكذيبه ﷺ فيما قاله أو أتى به، أو ينفي نبوته أو رسالته أو وجوده، أو يكفر به – انتقل إلى دين آخر أم لا – فهذا كافر بإجماع، مقطوع به، يجب قتله. ثم ينظر، فإن كان مصرحًا بذلك كان حكمه أشبه بحكم المرتد، وقوي الخلاف في استتابته. وعلى القول الآخر: لا تسقط القتل عنه توبته، ولحقَّ النبي ﷺ إن كان ذكره بنقيصة فيما قاله من كذب أو غيره وإن كان متسترًا بذلك فحكمه حكم الزنديق^(٣) لا تسقط قتله التوبة عندنا.

قال أبو حنيفة وأصحابه: من برىء من محمد ﷺ أو كذب به فهو مرتد حلال الدم إلا أن يرجع. وقال ابن القاسم في المسلم إذا قال: إن محمدًا ليس بنبي أو لم يرسل أو لم ينزل عليه قرآن، وإنما هو شيء تقوله: يقتل. وقال: ومن كفر برسول الله ﷺ وأنكره من المسلمين فهو بمنزلة المرتد وكذا

(١) وفي هذا قالوا:

لَا يَلْزَمُ السُّكْرَانُ إِقْرَارَ عَقُودٍ بَلْ مَا جَنَى عِتْقُ طَلَاقٍ وَحُدُودٍ
(٢) رواه البخاري في أول فرض الخمس ٣/٧، ٦ وفي المغازي، ومسلم في أول الأشربة ١٣/١٤٣، ١٤٧، وغيرهما من حديث الإمام علي مطولاً في عقر حمزة شارف الإمام علي عليه السلام في القصة المشهورة.
(٣) يقصد إخواننا المالكية وغيرهم بالزنديق: المنافق.

من أعلن بتكذيبه أنه كالمرتد: يستتاب. وكذلك قال فيمن تنبأ وزعم أنه يوحى إليه. وقال أشهب في يهودي تنبأ أو زعم أنه أرسل إلى الناس أو قال بعد نبيكم نبي: أنه يستتاب إن كان معلناً بذلك، فإن تاب وإلا قتل، وذلك أنه مكذب للنبي ﷺ في قوله: «لا نبي بعدي»^(١)، مفتر على الله في دعواه عليه الرسالة والنبوة.

وقال محمد بن سحنون: من شك في حرف مما جاء به محمد ﷺ عن الله فهو كافر جاحد. وقال: من كذب النبي ﷺ كان حكمه عند الأمة القتل. وهكذا قالوا فيمن قال إنه ﷺ كان أسود أو مات قبل أن يلتحي، أو أنه كان بالمغرب، ولم يكن بتهامة، وما أشبه ذلك من تبديل صفته أو مواضعه. كل ذلك كفر من صاحبه يستتاب مظهره ويقتل مُسِرُّه دون استتابة لأنه زنديق^(٢).

من أتى في كلامه بمجمل من القول

يحتمل حمله على النبي وغيره

الوجه الرابع: أن يأتي من الكلام بمجمل من القول مشكل، يمكن حمله على النبي ﷺ أو غيره، أو يتردد في المراد به من سلامته من المكروه أو شره، فهنا متردد النظر ومظنة اختلاف المجتهدين ووقفة استبراء المقلدين ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة. فمنهم من غلب حرمة النبي ﷺ وحمى حمى عرضه فجسر على القتل، ومنهم من عظم حرمة الدم ودرأ الحد بالشبهة لاحتمال القول.

(١) رواه أحمد ٥/٢٧٨، ٢٨٤، وأبو داود ٤٢٥٢، وابن ماجه ٣٩٥٢، من حديث ثوبان مطولاً وسنده صحيح، وأصله في الفتن من صحيح مسلم ١٨/١٣، وأوله: «إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها...» إلخ.

(٢) الأمر في هذا الوجه هو ما صدر به أولاً، من كفر من صدر منه ما سبق بالإجماع وبدون خلاف، ولا يحتاج هذا إلى تنقيص من أحد.

وقد اختلف أئمتنا رحمهم الله تعالى في رجل أغضبه غريمه فقال له صلّ على محمد ﷺ. فقال له الطالب: لأصليّ على من صليّ عليه. فقيل لسحنون: هل هو كمن شتم النبي ﷺ أو شتم الملائكة الذين يصلون عليه؟ قال: لا إذا كان على ما وصفت من الغضب، لأنه لم يكن مضمراً الشتم.

وقال أبو إسحاق البرقي وأصبع بن الفرّج: لا يقتل، لأنه إنما شتم الناس، وهذا نحو قول سحنون، لأنه لم يعذره بالغضب في شتم النبي ﷺ ولكنه لما احتمل الكلام هنا عنده ولم تكن معه قرينة تدل على شتم النبي ﷺ أو شتم الملائكة صلوات الله عليهم عذره بغضبه.

وذهب الحارث بن مسكين وغيره في مثل هذا إلى القتل، وتوقف أبو الحسن القاسبي في قتل رجل قال: كل صاحب فندق قرنان^(١) ولو كان نبياً مرسلًا. فأمر بشده بالقيود والتضييق عليه حتى يستفهم البيّنة عن جملة ألفاظه وما يدل على مقصده؟ هل أراد أصحاب الفنادق الآن؟ فمعلوم أنه ليس فيهم نبي مرسل، فيكون أمره أخف. ولكن ظاهر لفظه العموم لكل صاحب فندق من المتقدمين والمتأخرين، وقد كان في الأنبياء والرسل من اكتسب المال، قال: ودم المسلم لا يقدم عليه إلاّ بأمر بيّن، وما ترد إليه التأويلات لا بد من إمعان النظر فيه.

وحكي عن أبي محمد ابن أبي زيد رحمه الله تعالى فيمن قال: لعن الله العرب ولعن الله بنى إسرائيل، ولعن الله بني آدم. وذكر أنه لم يرد الأنبياء وإنما أراد الظالمين منهم: أن عليه الأدب بقدر اجتهاد الإمام الحاكم.

وكذلك أفتى فيمن قال: لعن الله من حرم المسكر، وقال: لم أعلم من حرمه. وفيمن لعن حديث: «لا يبيع حاضر لباد»^(٢)، ولعن ما جاء به: أنه إن

(١) قرنان بفتح أوله بمعنى الديوث الذي لا يبالي بمن اجتمع بزوجته ومحارمه.

(٢) رواه الجماعة وغيرهم من حديث أبي هريرة، وهو من أحاديث البيوع المشهورة.

كان يعذر بالجهل وعدم معرفة السنن فعليه الأدب الوجيع ، وذلك أن هذا لم يقصد بظاهر حاله سب الله ولا سب رسوله ﷺ ، وإنما لعن من حرمه من الناس على نحو فتوى سحنون وأصحابه في المسألة المتقدمة .

ومثل هذا ما يجري في كلام سفهاء الناس من قول بعضهم لبعض : يا ابن ألف خنزير ، ويا ابن مائة كلب . وشبهه من هُجر القول . ولا شك أنه يدخل في مثل هذا العدد من آباءه وأجداده جماعة من الأنبياء ، ولعل بعض هذا العدد منقطع إلى آدم عليه السلام ، فينبغي الزجر عنه ، وتبين ما جهل قائله منه ، وشدة الأدب فيه . ولو علم أنه قصد سب من في آباءه من الأنبياء على علم لقتل ، وقد يضيق القول في نحو هذا ، لو قال لرجل هاشمي : لعن الله بني هاشم ، وقال : أردت الظالمين منهم . أو قال لرجل من ذرية النبي ﷺ ، ولم تكن قرينة في المسألتين تقتضي تخصيص بعض آباءه وإخراج النبي ﷺ ممن سبه منهم . وقال موسى بن مناس^(١) فيمن قال لرجل : لعنك الله إلى آدم عليه السلام ، لأنه إن ثبت عليه ذلك قتل . . .

قال القاضي رحمه الله تعالى : وقد كان اختلف شيوخنا فيمن قال الشاهد شهد عليه بشيء ثم قال له : تتهمني ؟ فقال له الآخر : الأنبياء يتهمون فكيف أنت ؟ فكان شيخنا أبو إسحاق بن جعفر يرى قتله لبشاعة ظاهر اللفظ . وكان القاضي أبو محمد بن منصور يتوقف عن القتل لاحتمال اللفظ عنده أن يكون خبراً عن اتهمهم من الكفار . وأفتى فيها قاضي قرطبة أبو عبد الله بن الحاج بنحو من هذا ، وشدد القاضي أبو محمد تصفيده وأطال سجنه ، ثم استحلفه بعد على تكذيب ما شهد به عليه ، إذ دخل في شهادة بعض من شهد عليه وهنّ ثم أطلقه . وشاهدت شيخنا القاضي أبا عبد الله ابن عيسى أيام قضائه أتي برجل هاتر رجلاً - قال له قولاً سفهاً - اسمه محمد ، ثم قصد إلى

(١) من أصحاب سحنون .

كلب فضربه برجله وقال له قم يا محمد، فأنكر الرجل أن يكون قال ذلك،
وشهد عليه لفيف من الناس - أي جمع كثير - فأمر به إلى السجن وتقصى
عن حاله، وهل كان يصاحب من يشك في دينه؟ فلما لم يجد ما يقوي الريبة
باعقاده ضربه بالسوط وأطلقه.

من ذكره ﷺ مستشهداً به على نقص ناله ونحو ذلك

الوجه الخامس: أن لا يقصد ذاكه ﷺ نقصاً ولا عيباً ولا سباً لذلك
لكنه ينزع بذكر بعض أوصافه، أو يستشهد ببعض أحواله ﷺ الجائزة عليه في
الدنيا على طريق ضرب المثل والمحجة لنفسه أو لغيره، أو على التشبه به
أو عند هزيمة ونقيصة نالته أو غضاضة وحقارة لحقته، ليس على طريق
التأسي بل على مقصد الترفيع لنفسه أو لغيره، أو على سبيل التمثيل وعدم
التوقير لنبيه ﷺ، أو قصد الهزل بقوله: كقول القائل: إن قيل فيّ السوء؛ فقد
قيل في النبي، أو إن كُذِّبْتُ فقد كذب الأنبياء، أو إن أذنبت فقد أذنبوا، أو
أنا أسلم من السنة الناس ولم يسلم منه أنبياء الله ورسله، أو قد صبرت كما
صبر أولوا العزم، أو كصبر أيوب، أو قد صبر نبي الله عن عداه وحلم على
أكثر مما صبرت، وكقول المتنبي:

أنا في أمة تداركها الله غريب كصالح في ثمود

ونحوه من أشعار المتساهلين في الكلام، كقول المعري:

كنت موسى وافته بنت شعيب غير أن ليس فيكم من فقير

على أن آخر البيت شديد وداخل في الإزراء والتحقير بالنبي ﷺ،

وكذلك قوله:

لولا انقطاع الوحي بعد محمد قلنا محمداً عن أبيه بديل
هو مثله في الفضل إلا أنه لم يأت برسالة جبريل

فصدر البيت الثاني من هذا الفصل شديد لتشبيهه غير النبي ﷺ فضله
بالنبي . والعجز محتمل لوجهين ، أحدهما : أن هذه الفضيلة نقصت
الممدوح ، والآخر : استغناؤه عنها . وهذه أشد :

وقول الآخر :

فَرَّ مِنَ الْخُلْدِ وَاسْتَجَارَ بِنَا فَصَبَّرَ اللَّهُ قَلْبَ رِضْوَانَ

وكقوله الآخر في ابن عباد المعتمد ووزيره أبي بكر ابن زيدون :

كَانَ أَبَا بَكْرٍ أَبُو بَكْرٍ الرِّضَا وَحَسَانَ حَسَّانَ وَأَنْتَ مُحَمَّدُ

إلى أمثال هذا الكلام الدال على الاستحقاق وقلة علمهم بعظيم ما
فيه من الوزر يحسبونه هيناً وهو عند الله عظيم . فقد خرج كثير من كلامهم
إلى حد النقص وصريح الكفر . . . فما ذكرناه وإن لم تتضمن سباً ولا
أضافت إلى الملائكة والأنبياء نقصاً ، ولا قصد قائلها إزراء وغيضا ، فما
وقر النبوة ولا عظم الرسالة حتى شُبه في كرامة نالها أو معرفة قصد الانتفاء
منها . . بمن عظم الله خطره وشرف قدره وألزم توقيره وبره ، ونهى عن جهر
القول له ورفع الصوت عنده ، فحق هذا أن دُرِيَء عنه القتل الأدب والسجن ،
وقوة تعزيره بحسب شناعة مقالته ، ومقتضى قُبْح ما نطق به . ولم يزل
المتقدمون ينكرون مثل هذا ممن جاء به لا سيما عجز بيتي المَعْرِي
المتقدمين .

فالحكم في أمثال ذلك ما بسطناه في طريق الفتيا على هذا المنهج
جاءت فتيا إمام مذهبنا مالك بن أنس رحمه الله تعالى وأصحابه . ففي النوادر
من رواية ابن أبي مريم في رجل عيّر رجلاً بالفقر فقال : تعيرني بالفقر وقد
رعى النبي ﷺ^(١) . قال مالك : قد عرض بذكر النبي ﷺ في غير موضعه

(١) رواه البخاري في الإجارة ٥/٣٤٨ ، من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « ما =

أرى أن يؤدب، قال: ولا ينبغي لأهل الذنوب إذا عوتبوا أن يقولوا قد أخطأت الأنبياء قبلنا. وقال عمر بن عبد العزيز لرجل: انظر لنا كاتبًا يكون أبوه عربيًا. فقال كاتب له: قد كان أبو النبي كافرًا، فقال: جعلت هذا مثلاً؟! فعزله، وقال: لا تكتب لي أبدًا. وقد كره سحنون أن يصلى على النبي ﷺ عند التعجب إلا على طريق الثواب والاحتساب توقيراً له وتعظيمًا كما أمرنا الله.

وسئل القاسبي عن رجل قال لرجل قبيح: كأنه وجه نكير. ولرجل عبوس: كأنه وجه مالك الغضبان. فقال: أي شيء أراد بهذا؟ ونكير أحد فتانِي القبر، وهما ملكان، فما الذي أراد؟ أروغ دخل عليه حين رآه من وجهه أم عاف النظر إليه لدمامة خلقه؟ فإن كان هذا فهو شديد؛ لأنه جرى مجرى التحقير والتهوين، فهو أشد عقوبة وليس فيه تصريح بالسب للملك وإنما السب واقع على المخاطب، وفي الأدب بالسوط والسجن نكال للسفهاء. قال: وأما ذاكر مالك خازن بالنار فقد جفا الذي ذكره عند ما أنكر حاله من عباس الآخر، إلا أن يكون المُعَيَّن له يدٌ فيرهب بعُبُسته فيشبهه القائل على طريق الذم لهذا في فعله ولزومه في ظله صفة مالك الملك المطيع لربه في فعله، فيقول: كأنه لله يغضب غضب مالك، فيكون أخف، وما كان ينبغي له التعرض لمثل هذا. ولو كان أثنى على العبوس بعُبُسته واحتج بصفة مالك، كان أشد، ويعاقب المعاقبة الشديدة، وليس في هذا ذم للملك، ولو قصد

بعث الله نبيًا إلا رعى الغنم» فقال له أصحابه: وأنت؟ فقال: «نعم كنت أرهاها على قراريط لأهل مكة»، ورواه البخاري في الأنبياء، وفي الأطعمة ٥٠٩/١١، ومسلم فيه ٥/١٤، وكذا مالك وأحمد من حديث جابر في حديث، فقلنا: يا رسول الله كأنك رعى الغنم؟ قال: «نعم، وهل من نبي إلا وقد رعاها». وانظر السر في رعي الأنبياء الغنم في الإجارة من الفتح.

ذمه لقتل^(١).

وقال أبو الحسن أيضاً في شاب معروف بالخير، قال له رجل: اسكت فإنك أمي. فقال الشاب: أليس كان النبي ﷺ أمياً فشيّع عليه مقاله وكفره الناس، وأشفق الشاب وندم على ما قال. فقال أبو الحسن: أما إطلاق الكفر عليه فخطأ، لكنه مخطيء في استشهاده بصفة النبي ﷺ، وكون النبي أمياً آية له، وكون هذا أمياً نقيصة فيه وجهالة، ومن جهالته احتجاجه بصفة النبي ﷺ، لكنه إذا تاب واستغفر واعترف ولجأ إلى الله ترك، لأن قوله لا ينتهي إلى حد القتل. واستفتي القاضي أبو محمد منصور في رجل تنقصه آخر بشيء، فقال له: تريد تنقصي بقولك وأنا بشر، وجميع البشر يلحقهم النقص، حتى النبي ﷺ. فأفتى بإطالة سجنه وإيجاع أدبه إذ لم يقصد السب. وأفتى بعضهم بقتله.

حكاية ما هو سب أو نقيصة في حق النبي ﷺ

الوجه السادس: أن يقول القائل ذلك حاكياً عن غيره، وأثراً له عن سواه. فهذا ينظر في صورة حكايته وقرينة مقالته، ويختلف الحكم في ذلك على أربعة وجوه: الوجوب، والندب، والكرامة، والتحریم. فإن كان أخبر به على وجه الشهادة والتعريف بقائله والإعلام بقوله والإنكار عليه والتنفير منه والتجريح له؟ فهذا مما ينبغي امتثاله ويحمد فاعله. وكذلك إن حكاها في كتاب أو مجلس على طريق الرد له والنقض على قائله، والفتيا بما يلزمه.

(١) في السنين الأخيرة كتب كاتب في صحيفة إلحادية عندنا بالمغرب مقالة شبه مسرحية يسخر فيه من نكير ومنكر عليهما السلام، ومثل نفسه كأنه مات، وجاءه الملكان يسألانه، فطلب منهما بطاقة التعريف، إلى آخر ما ذكر من الاستهزاء بملائكة الله تعالى والسخرية بشرعه وأحكام دينه. فلو كان للدين والإسلام دولة لحوكم هذا الملحد وأعدم بدون استتابة.

وهذا منه ما يجب ومنه ما يستحب ، بحسب حالات الحاكي لذلك والمحكي عنه . فإن كان القائل لذلك ممن يؤخذ عنه ويقتدى به وجب على سامعه الإشارة بما سمع منه والتنفير للناس عنه والشهادة عليه بما قاله . ووجب على من بلغه من المسلمين إنكاره وبيان كفره وفساد قوله بقطع ضرره عن المسلمين ، وقيامًا بحق سيد المرسلين ﷺ .

وكذلك إن كان ممن يعظ الناس أو يودب الصبيان ، فإن من هذه سريرته لا يؤمن على إلقاء ذلك في قلوبهم فيتأكد في هؤلاء ألاّ يجاب لحقّ النبي ﷺ ولحق شريعته . وإن لم يكن القائل بهذه السبيل فالقيام بحق النبي ﷺ واجب وحماية عرضه متعين ، ونصرته على الأذى حيًا وميتًا مستحق على كل مؤمن . لكنه إذا قام بهذا من ظهر به الحق وبان به الأمر سقط عن الباقي الفرض ، وبقي الاستحباب في تكثير الشهادات عليه ، وقد أجمع المسلمون من السلف وغيرهم على بيان حال المتهم في الحديث ، فكيف بمثل هذا؟ ، وقد سئل أبو محمد بن أبي زيد عن الشاهد يسمع مثل هذا في حق الله تعالى ، أيمنعه أن لا يؤدّي شهادته؟ قال : إن رجا نفذ الحكم بشهادته ، وكذا إن علم أن الحاكم لا يرى القتل بما شهد به ويرى الاستتابة والأدب ؛ فليشهد ، ويلزمه ذلك .

وأما الإباحة لحكاية قوله لغير هذين المقصدين فلا أرى لها مدخلًا في هذا الباب ، فليس التفكه بعرض رسول الله ﷺ والتمضمض بسوء ذكره لأحد لا ذاكراً ولا أثراً لغير غرض شرعي بمباح ، وأما للأغراض المتقدمة فهي دائرة بين الإيجاب والاستحباب .

وقد حكى الله تعالى مقالات المفترين عليه وعلى رسله في كتابه على وجه الإنكار لقولهم والتحذير من كفرهم والوعيد عليه والرد عليهم بما تلاه الله علينا في محكم كتابه . وكذلك وقع من أمثاله في أحاديث النبي ﷺ

الصحيحة على الوجوه المتقدمة، وأجمع السلف والخلف من أئمة الهدى على حكايات مقالات الكفرة والملحدين في كتبهم ومجالسهم ليبينوها للناس وينقضوا شبهها عليهم... فأما ذكرها على غير هذا من حكاية سبه والإزراء بمنصبه على وجه الحكايات والطرف وأحاديث الناس في الغث والسمين ومضاحك المُجَّان ونوادر السخفاء والخوض في قيل وقال وما لا يعني؟ فكل هذا ممنوع، وبعضه أشد في المنع والعقوبة من بعض.

وقد حكى أن رجلاً سأل مالكا عما يقول: القرآن مخلوق؟ فقال مالك: كافر فاقتلوه. فقال: إنما حكيتك عن غيري. فقال مالك: إنما سمعناه منك.

وهذا من مالك رحمه الله تعالى على طريق الزجر والتغليظ بدليل أنه لم ينفذ قتله وإن اتهم هذا الحاكي فيما حكاه أنه اختلقه ونسبه إلى غيره...

وقد ذكر بعض من ألف في الإجماع إجماع المسلمين على تحريم رواية ما هُجِيَ به ﷺ وكتابته وقراءته. وتركه متى وجد دون محو. ورحم الله تعالى أسلافنا المتقين المتحرزين لدينهم فقد أسقطوا من أحاديث المغازي والسِّير ما كان هذا سبيله، وتركوا روايته إلاّ أشياء ذكروها يسيرة وغير مستبشرة على نحو الوجوه الأول.

حكاية ما يجوز على النبي ﷺ من الأعراض البشرية

الوجه السابع: أن يذكر ما يجوز عليه ﷺ أو يختلف في جوازه عليه، وما يطرأ من الأمور البشرية به ويمكن إضافتها إليه، أو يذكر ما امتحن به وصبر في ذات الله على شدته من مقاساة أعدائه وأذاهم له، ومعرفة ابتداء حاله وسيرته وما لقيه من بؤس زمنه، ومر عليه من معاناة عيشته، كل ذلك على طريق الرواية ومذاكرة العلم ومعرفة ما صحت منه العصمة للأنبياء وما

يجوز عليهم، فهذا فن خارج عن هذه الوجوه المتقدمة؛ إذ ليس فيه غمص ولا نقص ولا إزراء ولا استخفاف.. فقد قال ﷺ مخبراً عن نفسه برعاية الغنم في بداية أمره على قراريط فقال: «ما من نبي إلا وقد رعى الغنم»^(١). وأخبرنا الله تعالى بذلك عن موسى عليه الصلاة والسلام، وهذا لا غضاضة فيه جملة واحدة لمن ذكره على وجهه، بخلاف من قصد به الغضاضة والتحقير، بل كانت عادة جميع العرب.. نعم، في ذلك للأنبياء حكمة بالغة وتدرّج الله تعالى لهم إلى كرامته، وتدريب برعايتها لسياسة أممهم بما سبق لهم من الكرامة في الأزل ومتقدم العلم.

وكذلك قد ذكر الله عزَّ وجلَّ يتمه وعيلته على طريق المنة عليه والتعريف بكرامته له، فذكر الذاكر لها على وجه تعريف حاله، والخبر عن مبتدئه، والتعجب من مَنَحِ الله قِبَلَهُ، وعظيم منته عنده ليس فيه غضاضة، بل فيه دلالة على نبوته وصحة دعوته، إذ أظهره الله تعالى بعد هذا على صناديد العرب ومن ناوأه من أشرافهم شيئاً فشيئاً، وتمَّ أمره حتى قهرهم، وتمكن من ملك مقاليدهم، واستباحة ممالك كثير من الأمم غيرهم بإظهار الله تعالى له وتأييده بنصره وبالمؤمنين، وألف بين قلوبهم، وإمداده بالملائكة المسومين، ولو كان ابن ملك لحسب كثير من الجهال أن ذلك موجب ظهوره، ولهذا قال هرقل لأبي سفيان حين سأله عنه: هل في آبائه من ملك؟ ثم قال: ولو كان في آبائه ملك لقلنا رجل يطلب ملك أبيه^(٢).

وكذلك إذا وصف بأنه أمي كما وصفه الله تعالى، فهي مدحة له وفضيلة ثابتة فيه، وقاعدة معجزته، إذ معجزته العظمى من القرآن العظيم إنما هي متعلقة بطريق العلوم والمعارف مع ما منح ﷺ وفضل به من ذلك كما

(١) تقدم قريباً ص ٥١٨ - ٥١٩.

(٢) تقدم ص ١٤٦، ١٥٧.

قدمناه، فوجود مثل ذلك من رجل لم يقرأ ولم يكتب ولم يدارس ولا لقن : هو مقتضى العجب ومنتهى العبر، ومعجزة البشر. وليس في ذلك نقيصة؛ إذ المطلوب من الكتابة والقراءة المعرفة، والكتابة آلة لها واسطة موصلة إليها، غير مرادة في نفسها، فإذا حصلت الثمرة والمطلوب استغني عن الواسطة والسبب. والأمية في غيره نقيصه، لأنه سبب الجهالة وعنوان الغباوة. فسبحان من باين أمره ﷺ من أمر غيره، وجعل شرفه فيما فيه محطة سواه، وحياته فيما فيه هلاك من عداه. هذا شقُّ قلبه وإخراج حُشوته كان تمام حياته، وغاية ثبات روعه، وهو فيمن سواه منتهى هلاكه وختم موته وفنائه. وهلمَّ جرًّا إلى سائر ما روي من أخباره وسيره، وتقلله من الدنيا ومن الملبس والمطعم والمركب، وتواضعه ومهنته نفسه في أموره، وخدمته بيته زهدًا ورغبة عن الدنيا، وتسوية بين حقيرها وخطيرها؛ لسرعة فناء أمورها وتقلب أحوالها، كل هذا من فضائله ومآثره وشرفه، فمن أورد شيئًا منها مورده وقصد بها مقصده كان حسنًا، ومن أورد ذلك على غير وجهه، وعلم منه سوء قصده لحق بالفصول السابقة.

وكذلك ما ورد من أخباره وأخبار سائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في الأحاديث مما ظاهره إشكال يقتضي أمورًا لا تليق بهم بحال، وتحتاج إلى تأويل وتردد احتمال، فلا يجوز أن يتحدث منها إلا بالصحيح، ولا يروى منها إلا المعلوم الثابت. ورحم الله تعالى مالكا فلقد كره التحدث بمثل ذلك من الأحاديث الموهمة للتشبيه والمشكلة للمعنى. . . وقد حكى عن السلف جملة أنهم كانوا يكرهون الكلام فيما ليس تحته عمل، والنبي ﷺ أوردتها على قوم عرب يفهمون كلام العرب على وجهه وتصرفاتهم في حقيقته ومجازه واستعارته وبلاغته وإيجازه، فلم تكن في حقهم مشكلة، ثم جاء من غلبت عليه العجمة وداخلته الأمية؛ فلا يكاد يفهم

من مقاصد العرب إلا نصها وصريحها . . فتفرقوا في تأويلها أو حملها على
ظاهرها، فمنهم من آمن ومنهم من كفر، فأما ما لا يصح من هذه الأحاديث
فلا يجوز أن يذكر منها شيء، لا في حق الله ولا في حق أنبيائه، ولا يتحدث
بها ولا يتكلف الكلام على معانيها، بل الواجب طرحها، إلا أن تذكر على
وجه التعريف بضعفها.

لا تذكر أحوال النبي ﷺ إلا على وجه التوقير والتعظيم . . .

ومما يجب على المتكلم فيما يجوز عليه ﷺ وما لا يجوز من حالاته
السابقة عند المذاكرة أو التعليم أن يلتزم الواجب من توقيره وتعظيمه، وأن
يراقب لسانه، وتظهر عليه علامات الأدب عند ذكره ﷺ، فإذا ذكر ما
قاساه من الشدائد ظهر عليه الإشفاق، والغیظ على عدوه، ومودة الفداء
للنبي ﷺ لو قدر عليه، والنصرة لو أمكته. وإذا أخذ في أبواب العصمة
وتكلم على مجاري أعماله وأقواله ﷺ تحرى أحسن الألفاظ وأدب العبارة
ما أمكنه، واجتنب ذلك من العبارة، كلفظة الجهل والمعصية والكذب.
فإذا تكلم في الأقوال قال: هل يجوز عليه الخلف في القول والإخبار؟
بخلاف ما وقع سهواً أو غلطاً ونحوه من العبارة، ويتجنب لفظة الكذب
جملة. وإذا تكلم على العلم قال: هل يجوز أن لا يعلم إلا ما علم؟ وهل
يمكن أن لا يكون عنده علم من بعض الأشياء حتى يوحى إليه؟ ولا يعبر
بالجهل لقبح اللفظ وبشاعته. وإذا تكلم في الأفعال قال: هل تجوز منه
المخالفة في بعض الأوامر والنواهي في النواهي ومواقعة الصغائر؟، فهو
أولى وأدب من قوله: هل يجوز أن يعصى أو يذنب أو يفعل كذا وكذا من
أنواع المعاصي.

فهذا من حق توقيره ﷺ وما يجب له من تعزيز وإعظام. وإذا كان مثل
هذا بين الناس مستعملاً في آدابهم وحسن معاشرتهم وخطابهم فاستعماله في

حقه ﷺ أوجب، والتزامه أكد؛ فجودة العبارة تقبح الشيء أو تحسنه،
وتحريرها وتهذيبها يعظم الأمر أو يهونه؛ ولهذا قال ﷺ: «إن من البيان
سحراً»^(١). فأما ما أورده على جهة النفي عنه والتنزيه؟ فلا حرج في تسريح
العبارة وتصريحها فيه، كقوله: لا يجوز عليه الكذب جملة، ولا إتيان
الكبائر بوجه، ولا الجور في الحكم على حال.

ولكن مع هذا يجب ظهور توقيره وتعظيمه وتعزيزه عند ذكره مجرداً،
فكيف عند ذكر مثل هذا؟ وقد كان السلف تظهر عليهم حالات شديدة عند
مجرد ذكره كما قدمناه في القسم الثاني. وكان بعضهم يلتزم مثل ذلك عند
تلاوة أي من القرآن ذكر فيها مقال أعداء الله ومن كفر بآياته وافتري عليه
الكذب، فكان يخفف صوته بها إعظاماً لربه وإجلالاً له وإشفاقاً من التشبيه
بمن كفر به.



(١) رواه البخاري في النكاح ١١/١٠٧، وفي الطب وفي الأدب، وأبو داود ٥٠٠٧،
والترمذي في البر ١٨٧١ بتهذيبي، من حديث ابن عمر، ورواه أحمد،
وأبو داود، والبخاري في الأدب المفرد، وغيرهم عن ابن عباس.

الباب الثاني في حكم سابه وشانئه ومنتقصه ومؤذيه وعقوبته وذكر استتابته ووراثته

قد قدمنا ما هو سب وأذى في حقه ﷺ، وذكرنا إجماع العلماء على قتل فاعل ذلك وقائله، وتخيير الإمام في قتله أو صلبه.

ثم اعلم أن مشهور مذهب مالك وأصحابه وقول السلف وجمهور العلماء قتله حدًا لا كفرًا، إن أظهر التوبة منه، ولهذا لا تقبل عندهم توبته، ولا تنفعه استقالته، وحكمه حكم الزنديق ومسر الكفر في هذا القول، وسواء كانت توبته على هذا بعد القدرة عليه والشهادة على قوله، أو جاء تائبًا من قبل نفسه؛ لأنه حد وجب، لا تسقطه التوبة كسائر الحدود.

قال الشيخ أبو الحسن القاسبي رحمه الله تعالى: إذا أقر بالسب وتاب منه وأظهر التوبة؛ قتل بالسب لأنه هو حدّه. وقال أبو محمد ابن أبي زيد مثله. وأما ما بينه وبين الله فتوبته تنفعه، وهكذا نقل عن جماعة من أهل العلم.

وهناك قول ثان للعلماء، قالوا: إن مثل ذلك يكون ردة من صاحبه. قالوا: يستتاب من ذلك، فإن تاب نكل، وإن أبى قتل، فحكم له بحكم المرتد مطلقًا.

قال القاضي رحمه الله تعالى : والوجه الأول أشهر وأظهر .

فإن قيل : فكيف تثبتون عليه الكفر ويشهد عليه بكلمة الكفر ولا تحكمون عليه بحكمه من الاستتابة وتوابعها .

قلنا : نحن وإن أثبتنا له حكم الكافر في القتل فلا نقطع عليه بذلك لإقراره بالتوحيد والنبوة، وإنكاره ما شهد به عليه، أو زعمه أن ذلك كان منه وهلا ومعصية، وأنه مقلع عن ذلك نادم عليه . ولا يمتنع إثبات بعض أحكام الكفر على بعض الأشخاص وإن لم تثبت له خصائصه، كقتل تارك الصلاة . وأما من علم أنه سبه معتقداً لاستحلاله له فلا شك في كفره بذلك، وكذلك إن كان سبّه في نفسه كفر، كتكذيبه أو تكفيره ونحوه، فهذا مما لا إشكال فيه ويقتل وإن تاب منه، لأننا لا نقبل توبته، ونقتله بعد توبته حدّاً؛ لقوله ومتقدم كفره، وأمره بعد إلى الله المطلع على صحة إقلاعه العالم بسره . وكذلك من لم يظهر التوبة واعترف بما شهد عليه به وصمم على ذلك فهو كافر بقوله واستحلاله هتك حرمة الله وحرمة نبيه ﷺ، يقتل كافراً بلا خلاف .

توبة المرتد

ولقد اختلف السلف في وجوب توبة المرتد وصورتها ومدتها، فذهب جمهور أهل العلم إلى أن المرتد يستتاب . وحكى ابن القصار أنه إجماع من الصحابة على تصويب قول عمر في الاستتابة، ولم ينكره واحد منهم، وهو قول عثمان وعلي وابن مسعود، وبه قال عطاء بن أبي رباح والنخعي والثوري ومالك وأصحابه والأوزاعي والشافعي وأحمد وإسحاق وأصحاب الرأي . وذهب أهل الظاهر وغيرهم إلى عدم الاستتابة لقوله ﷺ : «من بدل دينه

فاقتلوه»^(١). وأما مدتها فذهب الجمهور إلى أنه يستتاب ثلاثة أيام يحبس فيها، وهو قول أحمد وأحد قولي الشافعي وإسحاق واستحسنه.

قال مالك رحمه الله تعالى: الذي أخذ به في المرتد قول عمر: يحبس ثلاثة أيام ويعرض عليه كل يوم، فإن تاب، وإلا قتل. وهناك أقوال آخر لغيره. واختلف على هذا: هل يهدد أو يشدد عليه أيام الاستتابة ليتوب أم لا؟، فقال مالك: ما علمت في الاستتابة تجويعًا ولا تعطيًا، ويؤتى من الطعام بما لا يضره. وقال بعضهم: يوعظ في تلك الأيام، ويُذكَر بالجنة ويخوف بالنار.

حكم من لم تتم عليه الشهادة بما قال أو كان في كلامه احتمال

أما من لم تتم الشهادة عليه بما شهد عليه الواحد أو اللفي من الناس، أو ثبت قوله لكنه محتمل وغير صريح، فهذا يدرأ عنه القتل ويكون أمره تحت نظر الإمام واجتهاده، حسب حاله وقوة الشهادة عليه وضعفها.

الذمي يسب النبي ﷺ صريحًا

أو بتعريض أو يستخف بقدره . . .

هذا حكم المسلم، فأما الذمي إذا صرح بسبه ﷺ أو عرض بذلك أو استخف بقدره أو وصفه بغير الوجه الذي كفر به فلا خلاف عندنا في قتله إن لم يسلم، لأننا لم نعطه العهد على هذا. وهو قول عامة العلماء إلا

(١) رواه أحمد رقم ١٨٧١، ١٩٠١، والبخاري في الجهاد وفي استتابة المرتدين ٢٩٥/١٥، ٢٩٧، وأبو داود ٤٣٥١، والترمذي ١٣٢٧ كلاهما في الحدود، والنسائي في الدم ٩٦/٧، ٩٧، وابن ماجه ٢٥٣٥ من حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنهما.

أبا حنيفة والثوري وأتباعهما، فإنهم قالوا: لا يقتل، لأن ما هو عليه من الشرك أعظم، ولكن يؤدب. . واستدل بعض شيوخنا على قتله بقوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَكْثُرُوا أَيَمَنَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَتَلُوا أَيْمَةَ الْكُفْرِ﴾ الآية [التوبة: ١٢].

ويستدل أيضاً لذلك بقتل النبي ﷺ لابن الأشرف وأشباهه؛ لأنهم إذا أتوا على ما لم يعطوا عليه العهد ولا الذمة فقد نقضوا ذمتهم وصاروا كفاراً أهل حرب، يقتلون لكفرهم كما هو صريح الآية الآنفه الذكر. ثم إن ذمتهم لا تسقط حدود الإسلام عنهم من القطع في السرقة والقتل لمن قتلوه وإن كان ذلك حلالاً عندهم، فكذلك سبهم للنبي ﷺ يقتلون به.

ووردت لأصحابنا ظواهر تقتضي الخلاف فيما إذ ذكره الذمي بالوجه الذي كفر به، كما اختلفوا فيه إذا أسلم بعد ذلك ف قيل: يسقط عنه ما قال. وقيل: يقتل؛ لأنه حق للنبي ﷺ وجب عليه لانتهاكه حرمة، وقصده إلحاق النقيصة به، كما وجب عليه من حقوق المسلمين قبل إسلامه من قتل وقذف، وإذا كنا لا نقبل توبة المسلم فإن لا نقبل توبة الكافر أولى.

قال مالك وابن القاسم وابن الماجشون وابن عبد الحكم وأصبغ رحمهم الله تعالى - فيمن شتم نبينا ﷺ من أهل الذمة أو أحدًا من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام - : قتل إلا أن يسلم.

وقال ابن سحنون وغيره: وحد القذف وشبهه من حقوق العباد لا يسقطه عن الذمي إسلامه، وإنما يسقط عنه بإسلامه حدود الله، فأما حد القذف فحق للعباد، كان ذلك لنبي أو غيره. فأوجب على الذمي إذا قذف النبي ﷺ ثم أسلم حد القذف، ولكن انظر ما يجب عليه، هل حد القذف في حق النبي ﷺ وهو القتل بإسلامه ويحد ثمانين أم ماذا؟

«حكم ميراث من قتل في سب النبي ﷺ»

وغسله والصلاة عليه»

اختلف العلماء في ميراث من قُتل بسبِّ النبي ﷺ، فذهب سحنون إلى أنه لجماعة المسلمين؛ لأنَّ شتم النبي ﷺ كفر يشبه كفر الزنديق... وقال أصبغ: ميراثه لورثته من المسلمين إن كان مستتراً بذلك، وإن كان مظهرًا له مستهلاً به فميراثه للمسلمين، ويُقتل على كل حال ولا يستتاب.

وقال أبو الحسن القاسبي: إن قتل وهو منكر للشهادة عليه فالحكم في ميراثه على ما أظهر من إقراره، يعني: لورثته. والقتل حَدٌّ ثَبَّتَ عليه ليس من الميراث في شيء، وكذلك لو أقرَّ بالسبِّ وأظهر التوبة لقتل؛ إذ هو حدّه، وحكمه في ميراثه وسائر أحكامه حكم الإسلام، ولو أقرَّ بالسبِّ وتمادى عليه وأبى التوبة منه فقتل على ذلك كان كافرًا، وميراثه للمسلمين، ولا يُغسَل ولا يُصَلَّى عليه ولا يُكفَّن، وتستر عورته ويُوَارَى كما يُفعل بالكفار. وبهذا قال جماعة من أصحاب مالك رحمه الله تعالى وهو بيّن واضح.

واتفق مالك والشافعي وأبو ثور وغيرهم رحمهم الله تعالى في أنَّ ميراث المرتدّ لجماعة المسلمين ولا ترثه ورثته. واتفق العلماء على أنَّ من تظاهر بالإسلام وأسرَّ الكفر أنَّ ماله لورثته من المسلمين.



الباب الثالث

في حكم من سب الله تعالى وملائكته وأنبياءه وكتبه وآل النبي ﷺ وأزواجه وصحبه

لا خلاف أنّ سب الله تعالى من المسلمين كافر حلال الدم، واختلف في استتابته :

فقال مالك وغيره: مَنْ سَبَّ الله تعالى من المسلمين قتل ولم يستتب، إلاّ أن يكون افتراء على الله بارتداده إلى دين دان به وأظهره فيستتاب، وإن لم يظهره لم يستتب . .

وكذلك اليهودي والنصراني، فإن تابا قبل منهما، وإن لم يتوبا قُتِلَا، ولا بدّ من الاستتابة. وذلك كله كالردة.

وأفتى أبو محمد ابن أبي زيد رحمه الله تعالى في رجل لعن رجلاً ولعن الله، فقال: إنما أردت أن ألعن الشيطان فزلّ لساني. فقال: يقتل بظاهر كفره، ولا يقبل عذره. وأما فيما بينه وبين الله تعالى فمعذور.

واختلف فقهاء قرطبة في رجل قال عند شفائه من مرضه لقيت في مرضي هذا ما لو قتلت أبا بكر وعمر لم أستوجب هذا كله. فأقيمت عليه الشهادة بذلك، فأفتى بعضهم بقتله؛ لأن مضمون قوله نسبة الجور والظلم إلى الله تعالى، والتعريض في ذلك كالتصريح. وأفتى آخرون بحبسه وشدّة تأديبه لاحتمال كلامه، وصرفه إلى التشكي.

حكم من أضاف إلى الله ما لا يليق به

على سبيل التأويل والاجتهاد

وأما من أضاف إلى الله تعالى ما لا يليق به ليس على طريق السب ولا الردة، ولكن على سبيل التأويل والاجتهاد والخطأ المفضي إلى الهوى والبدعة، من تشبيه أو نعت بجارحة، أو نفي صفة كمال، فهذا مما اختلف فيه السلف والخلف في تكفير قائله ومعتقده. فمنهم من كفرهم، ومنهم من توقف في ذلك، وجاءت عنهم فتاوى وأقاويل في الخوارج والقدرية والروافض والجهمية ونحوهم . . .

وأكثر الفقهاء والمتكلمين على عدم التكفير، وقالوا: إنَّ الكفر خصلة واحدة، وهو الجهل بوجود الباري تعالى، فمن اعتقد أن الله جسم أو المسيح أو بعض من يلقاه في الطريق، فليس بعارف به تعالى، وهو كافر. قالوا: وإدخال كافر في الملة وإخراج مسلم عنها عظيم في الدين، حتى قال بعض المحققين: الذي يجب: الاحتراز من التكفير في أهل التأويل؛ فإنَّ استباحة المصلين الموحدين خطر، والخطأ في ترك ألف كافر أهون من الخطأ في سفك مَحْجَمَة من دم واحد، وقد قال ﷺ: «فإذا قالوها — يعني الشهادة — عصموا مني دماءهم وأموالهم إلاَّ بحقِّها وحسابهم على الله»^(١).

فالعصمة مقطوع بها مع الشهادة، ولا ترتفع ويُستباح خلافها إلاَّ بقاطع، ولا قاطع من شرع ولا قياس عليه، وألفاظ الأحاديث الواردة في الباب مُعَرَّضَة للتأويل، فما جاء منها في التصريح بكفر القدرية وتسمية الرافضة بالشرك وإطلاق اللعنة عليهم وكذلك الخوارج وغيرهم من أهل الأهواء، فقد يحتج بها من يقول بالتكفير. وقد يجيب الآخرون: بأنَّ هذه

(١) تقدم ص ٣١٠، ٣١١ وأوله: «أمرتُ أن أقاتل الناس . . .» إلخ.

الألفاظ قد جاءت في غير هؤلاء من العصاة على طريق التغليظ من باب كفر دون كفر . . . كما جاء ذلك في الرياء والزوجة الناشز والعبد الآبق والمنتسب لغير أبيه وقاتل المسلم، وغير ذلك من المعاصي . وإذا كان محتملاً للأمرين فلا يقطع على أحدهما إلاً بدليل قاطع .

فما جاء في الخوارج من قوله ﷺ: «هم شرّ البرية» - وهذه صفة الكفار - . وقوله: «هم شر من تحت أديم السماء، طوبى لمن قتلهم أو قتلوه». وقوله: «فإذا وجدتموهم فاقتلوهم قتل عاد»^(١)، وظاهر هذا الكفر لا سيما مع تشبيههم بعاد، فإنما ذلك لخروجهم على المسلمين وبغيهم فقتلهم هنا حد لا كفر، وليس كل من حكم بقتله يحكم بكفره . وقد قال ﷺ لمن قال له: دعني أضرب عنق هذا المنافق: «لعله يصلّي» وما جاء في باقي أحاديث الخوارج كله يحتمل التأويل .

وعلى كلّ، فقد أجمع أهل السنّة على أنّ الحقّ في أصول الدين والمعتقدات واحد وما عداه خطأ وإثم وعصيان وفسوق، وإنما الخلاف في التكفير^(٢) .

(١) أحاديث الخوارج وقتالهم وصفاتهم . . . جاءت بها الأخبار متواترة، وانظر بعضها عند أحمد ١/٩١، ٩٢، و ٣/٥٦، ٥٧، و ٥/٣١، ٢٥٣، ٢٥٦، وعند البخاري في دلائل النبوة ٧/٤٣٠، وفي أحاديث الأنبياء ٧/١٨٧، وفي المغازي ٩/١٣٠، ١٣١، وفي استتابة المرتدين ١٥/٣٢٠، ٣٢٤، ومسلم في الزكاة ٧/١٦١، ١٦٧، ١٦٩، ١٧٣، وعند أبي داود ٤٧٦٣، ٤٧٦٨، والنسائي في الكبرى ٥/١٥٨، ١٥٩ وغيرهم . وإيراد جميعها يصعب علينا ويخرج بنا عن الموضوع .

(٢) ممن قال بكفرهم ابن جرير الطبري، ثم القاضي أبو بكر ابن العربي، والقرطبي في جماعة، وذهب الغزالي والخطابي وابن بطلال وغيرهم إلى عدم تكفيرهم .

بيان ما هو من المقالات كفر

وما يتوقف أو يختلف فيه وما ليس بكفر

إنَّ هذا الموضوع وكشف اللبس فيه موردته الشرع، ولا مجال للعقل والنظر فيه . والفصل البيِّن في هذا:

إنَّ كل مقالة صرحت بنفي الربوبية أو الوجدانية أو عبادة أحد غير الله أو مع الله فهي كفر، كمقالة الدهرية والصابئين^(١) واليهود والنصارى والمجوس، والذين أشركوا بعبادة الأوثان أو الملائكة أو الشياطين أو الشمس أو النجوم أو النار أو أحد غير الله، من مشركي العرب وأهل الهند والصين والسودان، وغيرهم ممن لا يرجع إلى كتاب . وكذلك القرامطة، وأصحاب الحلول والتناسخ من الباطنية^(٢) .

وكذلك من اعترف بالإلهية لله ووجدانيته تعالى ولكنه اعتقد أنه غير حي، أو غير قديم، وأنه محدث، أو مصور، أو ادَّعى له ولدًا أو صاحبة أو والدًا، أو متولد من شيء أو كائن عنه، أو أن معه في الأزل شيئًا قديمًا غيره، أو أنَّ ثمَّ صانعًا للعالم سواه، أو مدبرًا غيره، فذلك كله كفر بإجماع المسلمين .

وكذلك من ادَّعى مجالسة الله، والعروج إليه، ومكالمته، أو حلوله في أحد الأشخاص . وكذلك نقطع بكفر من قال بقدوم العالم، أو بقائه، أو شك في ذلك على مذهب بعض الفلاسفة والدهرية، أو قال بتناسخ الأرواح وانتقالها أبد الآباد في الأشخاص، وتعذيبها أو تنعمها فيها بحسب زكائها وخبثها .

(١) الدهرية الذين ينسبون كل الأشياء إلى الدهر والزمان، ويقولون: إن العالم موجود أزلاً وأبدًا، ولا صانع له . ولا يقولون بوجود الله ولا يعتقدون بعثًا ولا نشورًا، وكانوا يقولون: ما يهلكنا إلا الدهر . والصابئون: قوم من عبدة الملائكة . وقيل غير ذلك .

(٢) القرامطة والباطنية من أخصب فرق الشيعة ولا خلاف في كفرهم .

وكذلك من اعترف بالوحدانية لله، ولكنه جحد النبوة من أصلها أو نبوة نبيِّنا ﷺ خصوصًا، أو أحدًا من الأنبياء الذين نصَّ الله عليهم بعد علمه بذلك، فهو كافر بلا ريب كالبراهمة ومعظم اليهود والنصارى وبعض الروافض الزاعمين أنَّ عليًّا كان المبعوث إليه جبريل عليه السلام، وكالمعطلة والقرامطة والإسماعيلية من الرافضة، وإن كان هؤلاء قد أشركوا في كفر آخَر مع من قبلهم.

وكذلك من دان بالوحدانية وصحَّه النبوة ونبوة نبيِّنا ﷺ، ولكن جوز على الأنبياء الكذب فيما أتوا به، ادَّعى في ذلك المصلحة في زعمه أو لم يدعها، فهو كافر بالإجماع، كالمتفلسفين وبعض الباطنية والروافض وغلاة المتصوفة وأصحاب الإباحة^(١)، فإنَّ هؤلاء زعموا أنَّ ظواهر الشرع وأكثر ما جاءت به الرسل من الأخبار عما كان ويكون من أمور الآخرة والحشر والقيامة والجنة والنار ليس منها شيء على مقتضى لفظها ومفهوم خطابها، وإنما خاطبوا بها الخلق على جهة المصلحة لهم إذ لم يُمكنهم التصريح لقصور أفهامهم، فمضمن مقالاتهم إبطال الشرائع وتعطيل الأوامر والنواهي وتكذيب الرسل والارتباب فيما أتوا به.

وكذلك من أضاف إلى نبيِّنا ﷺ تعمُّد الكذب فيما بلغه أو أخبر به أو شك في صدقه أو سبَّه أو قال أنه لم يبلغ أو استخف به أو بأحد من الأنبياء أو أزرى بهم أو أذاهم أو قتل نبيًّا أو حاربه فهو كافر بالإجماع.

وكذلك نكفر من ذهب مذهب بعض القدماء بأنَّ في كل جنس من الحيوان نذيرًا أو نبيًّا من القرودة والخنازير والدواب والدود وغير ذلك،

(١) هم قوم من غلاة الصوفية، قالوا: قد يصل السالك إلى مقام يسقط عنه الأمر والنهي والتكاليف الشرعية، وهذه زندقة وانسلاخ من دين الإسلام، والتصوف بريء من هؤلاء.

ويحتج بقوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾^(١)، إذ ذلك يؤدي إلى أن يوصف أنبياء هذه الأجناس بصفاتهم المذمومة، وفيه من الإضرار على هذا المنصب المنيف ما فيه مع إجماع المسلمين على خلافه وتكذيب قائله.

وكذلك نكفر من اعترف من الأصول الصحيحة بما تقدّم ونبوءة نبينا ﷺ، ولكن قال: كان أسود أو مات قبل أن يلتحي، أو ليس الذي كان بمكة والحجاز، أو ليس بقرشي؛ لأنّ وصفه بغير صفاته المعلومة نفي له وتكذيب به.

وكذلك من ادّعى نبوءة أحد مع نبينا ﷺ أو بعده، كبعض اليهود القائلين بتخصيص رسالته إلى العرب، وكأكثر الرافضة القائلين بمشاركة علي في الرسالة للنبي ﷺ وبعده، وكذا كل إمام عند هؤلاء يقوم مقامه في النبوة والحجة^(١)، أو من ادّعى النبوة لنفسه، أو جوّز اكتسابها والبلوغ بصفاء القلب إلى مرتبتها كالفلاسفة وغلاة المتصوفة، وكذلك من ادّعى منهم أنه يوحى إليه ولم يدّع النبوة، أو أنه يصعد إلى السماء ويدخل الجنة ويأكل من ثمارها ويعانق الحور العين. فهؤلاء كلهم كفار يكذبون النبي ﷺ؛ لأنه أخبر ﷺ أنه خاتم النبيين لا نبي بعده، وأخبر عن الله تعالى أنه خاتم النبيين، أنه أرسل كافة للناس. وأجمعت الأمة على حمل هذا الكلام على ظاهره وأنّ مفهومه المراد به دون تأويل ولا تخصيص، فلا شك في كفر هؤلاء الطوائف كلها قطعاً إجماعاً وسمعاً.

(١) فالشيعة الإمامية عندهم أقوال أئمتهم حجة كالقرآن والسنة وأنهم في ذلك كالنبي ﷺ، ولذلك كان من معتقداتهم فيهم عصمتهم من المعاصي ومن الخطأ والنسيان، وأنهم أفضل من جميع الأنبياء إلا نبينا ﷺ!! وهذا كله مسطر ومكتوب في أصولهم التي يعتمدون عليها كالكافي للكليني وأمثاله.

وكذلك وقع الإجماع على تكفير كل من دافع نص الكتاب أو خص حديثاً مجمعاً على نقله مقطوعاً به مجمعاً على حمله على ظاهره كتكفير الخوارج بأبطال الرجم، ولهذا نكفر من لم يكفر من دان بغير ملة المسلمين من الملل، أو وقف فيهم، أو شك أو صحح مذهبهم^(١)، وإن أظهر مع ذلك الإسلام واعتقده واعتقد إبطال كل مذهب سواه فهو كافر بإظهاره ما أظهر من خلاف ذلك.

وكذلك نقطع بتكفير كل قائل قولاً يتوصل به إلى تضليل الأمة وتكفير جميع الصحابة، كقول بعض الرافضة بتكفير جميع الأمة بعد النبي ﷺ إذ لم تقدم علياً، وكفرت علياً إذ لم يتقدم ويطلب حقه في التقديم، فهؤلاء قد كفروا من وجوه؛ لأنهم أبطلوا الشريعة بأسرها، إذ قد انقطع ونقل القرآن، إذ الذين تناقلوه كفرة على زعمهم. وإلى هذا أشار مالك رحمه الله تعالى في أحد قوليته بقتل من كفر الصحابة. ثم كفروا من وجه آخر بسبهم النبي ﷺ على مقتضى قولهم وزعمهم أنه عهد إلى علي رضي الله تعالى عنه وهو يعلم أنه يكفر بعده على قولهم لعنة الله عليهم وصلى الله على رسوله وعلى آله^(٢).

وكذلك نكفر بكل فعل أجمع المسلمون أنه لا يصدر إلا من كافر، وإن كان صاحبه مصرحاً بالإسلام مع فعله ذلك الفعل، كالسجود للصنم والشمس والقمر والصليب والنار والسعي إلى الكنائس والبيع مع أهلها، والتزيي بزيتهم من شد الزنانير وفحص الرؤوس، فقد أجمع المسلمون أن هذا لا يوجد إلا من كافر، وأن هذه الأفعال علامة على الكفر، وإن صرح فاعلها بالإسلام.

-
- (١) فالذين يسوون بين سائر الأديان ممن يدعون الإسلام اليوم كفرة بدون خلاف .
(٢) لا نزال نقرأ لبعض كتاب الشيعة الروافض المعاصرين بأن الصحابة ارتدوا بعد النبي ﷺ إلا نفرًا منهم، فهل بعد هذا يشك في كفر هؤلاء الخبيثاء؟

وكذلك أجمع المسمون على تكفير كل من استحلَّ القتل ، أو شرب الخمر ، أو الزنا ، مما حرّم الله بعد علمه بتحريمه ، كأصحاب الإباحة من القرامطة ، وبعض غلاة المتصوفة . وكذلك نقطع بتكفير كل من كذب وأنكر قاعدة من قواعد الشرع ، وما عرف يقينًا بالنقل المتواتر من فعل الرسول ﷺ ، ووقع الإجماع المتصل عليه ، كمن أنكر وجوب الصلوات الخمس وعدد ركعاتها وسجاداتها ، ويقول : إنما أوجب الله علينا في كتابه الصلاة على الجملة ، وكونها خمسًا وعلى هذه الصفات والشروط لا نعلمه ؛ إذ لم يرد فيه في القرآن نصٌّ جلّيّ ، والخبر به عن الرسول ﷺ خبر واحد .

وكذلك أُجمِع على تكفير من قال من الخوارج : إنّ الصلاة طرفي النهار . وعلى تكفير الباطنية في قولهم : إنّ الفرائض أسماء رجال أمروا بولايتهم ، والخبائث ، والمحارم أسماء رجال أمروا بالبراءة منهم . وقول بعض المتصوفة : إنّ العبادة وطول المجاهدة إذا صفت نفوسهم أفضت بهم إلى إسقاطها ، وإباحة كل شيء لهم ورفع عهد الشرائع عنهم .

وكذلك إن أنكر منكر مكة أو البيت أو المسجد الحرام أو صفة الحج أو قال : الحج واجب في القرآن واستقبال القبلة كذلك ، ولكن كونه على هذه الهيئة المتعارفة ، وأن تلك البقعة هي مكة والبيت والمسجد الحرام لا أدري هل هي تلك أو غيرها ، ولعلّ الناقلين أنّ النبي ﷺ فسّر لها بهذه التفاسير غلطوا ووهموا .

فهذا أو مثله لا مرية في تكفيره إن كان ممن يُظنُّ به علم ذلك ، وممن خالط المسلمين وامتدّت صحبته لهم ، إلّا أن يكون حديث عهد بإسلام فيقال له : سبيلك أن تسأل عن هذا الذي لم تعلمه بعد كافة المسلمين فلا تجد بينهم خلافًا ، كافة عن كافة ، إلى معاصر الرسول ﷺ أنّ هذه الأمور كما قيل لك ، وأن تلك البقعة هي مكة والبيت الذي فيها هو الكعبة والقبلة التي صلّى لها

الرسول ﷺ والمسلمون وحبّوا إليها وطاقوا بها، وأنّ تلك الأفعال هي صفات عبادة الحج والمراد به، وهي التي فعلها النبي ﷺ والمسلمون، وأنّ صفات الصلوات المذكورة هي التي فعل النبي ﷺ وشرح مراد الله بذلك وأبان حدودها، فيقع لك العلم كما وقع لهم، ولا ترتاب بذلك بعد.

والمرتاب في ذلك والمنكر بعد البحث وصحبة المسلمين كافر باتفاق، ولا يعذر بقوله: لا أدري. ولا يصدق فيه، بل ظاهره التستر عن التكذيب، إذ لم يمكن أنه لا يدري. ثم إنه إذا جوز على جميع الأمة الوهم والغلط فيما نقلوه من ذلك، وأجمعوا أنه قول الرسول وفعله، ونفس مراد الله به: أدخل الاسترابة في جميع الشريعة؛ إذ هم الناقلون لها وللقرآن، وانحلت عرى الدين دفعة واحدة.. ومن قال هذا كافر.

وكذلك من أنكر القرآن أو حرفاً منه أو غير شيئاً منه أو زاد فيه كفعل الباطنية والإسماعيلية من الرافضة^(١)، أو زعم أنه ليس بحجة للنبي ﷺ، أو ليس فيه حجة ولا معجز، وأنه لا يدل على الله، ولا حجة فيه لرسول الله ﷺ، ولا يدل على ثواب ولا عقاب ولا حكم.. ولا محالة في كفر من قال ذلك. وكذلك نكفر من أنكر أن يكون في سائر معجزات النبي ﷺ حجة له، أو في خلق السموات والأرض دليل على الله.. لمخالفتهم الإجماع والنقل المتواتر عن النبي ﷺ باحتجاجه بهذا كله، وتصريح القرآن به.

(١) هو من عطف العام على الخاص؛ لأن الباطنية تفرعت من الإسماعيلية، ومنهم الفاطميون حكام مصر والمغرب قرونًا، ومنهم القرامطة الذين ظهرُوا أواخر القرن الثالث وتغلبوا على العباسيين فملكوا العراق والحجاز والشام وغيرها، وكانت فتنتهم عظيمة، وكان في كل من الطريقتين باطنية، بل في الفاطميين من أله، ومن فروع هؤلاء: الدروز الحاليون الذين يعتقدون ألوهية الحاكم بأمر الله الفاطمي.

وكذلك من أنكر شيئاً مما نصَّ فيه القرآن بعد علمه أنه من القرآن الذي في أيدي الناس ومصاحف المسلمين، ولم يكن جاهلاً به ولا قريب عهد بالإسلام، واحتج لإنكاره إما بأنه لم يصح النقل عنده ولا بلغه العلم به، أو بتجويز الوهم على ناقله؛ فنكفّره بالطريقتين المتقدمين لأنه مكذب للقرآن، مكذب للنبي ﷺ، لكنه تستر بدعواه. وكذلك من أنكر الجنة أو النار أو البعث أو الحساب أو القيامة، فهو كافر بالإجماع؛ للنص عليه وإجماع الأمة على صحة نقله متواتراً. وكذلك من اعترف بذلك ولكنه قال: إنَّ المراد بالجنة والنار والحشر والنشر والثواب والعقاب معنى غير ظاهر، وأنها لذات روحانية ومعان باطنة.. كقول النصارى والفلاسفة والباطنية وبعض المتصوفة.. وزعم أن معنى القيامة الموت أو فناء محض وانتقاض هيئة الأفلاك وتحليل العالم.

وكذلك نقطع بتكفير غلاة الرافضة في قولهم: إن الأئمة أفضل من الأنبياء^(١).

فأما من أنكر ما عرف بالتواتر من الأخبار والسير والبلاد التي لا يرجع إلى إبطال شريعة ولا يفضي إلى إنكار قاعدة من الدين، كإنكار غزوة تبوك، أو مؤتة، أو وجود أبي بكر وعمر أو قتل عثمان أو خلافة عليّ، مما علم بالنقل ضرورة، وليس في إنكاره جحد شريعة، فلا سبيل إلى تكفيره بجحد ذلك وإنكار وقوع العلم له، إذ ليس في ذلك أكثر من المباهة، كإنكار هشام وعبادٍ وقعة الجمل ومحاربة علي من خالفه^(٢).

(١) وقد نقل الإجماع غير واحد من العلماء على تكفير من فضل أحدًا من البشر على الأنبياء، لأن ذلك يعد تكذيباً لله تعالى الذي أخبر في كتابه بأنه اصطفاهم واجتباهم على سائر خلقه من العالمين. لكن الشيعة الإمامية لا يستحيون.

(٢) فيما قاله المؤلف هنا نظر؛ فإن إنكار ما ذكر يلزم منه تكذيب الرسول ﷺ فيما =

فأما من ضعف ذلك من أجل تهمة الناقلين، ووهم المسلمين أجمع،
فنكفّر به بذلك لسريانه إلى إبطال الشريعة.

فأما من أنكر الإجماع المجرّد الذي ليس طريقه النقل المتواتر عن
الشارع؟ فأكثر المتكلمين ومن الفقهاء والنظار في هذا الباب قالوا بتكفير كل
من خالف الإجماع الصحيح الجامع لشروط الإجماع المتفق عليه عمومًا،
وحجتهم قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ
سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ ۗ جَهَنَّمَ ۗ ﴾ الآية (١). وقوله ﷺ: «من خالف
الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه» (٢). وحكوا الإجماع على
تكفير من خالف الإجماع.

وذهب آخرون إلى الوقوف عن القطع بتكفير من خالف الإجماع الذي
يختص بنقله العلماء. وذهب آخرون إلى التوقف في تكفير من خالف
الإجماع الكائن عن نظر، كتكفير النظام بإنكاره الإجماع، لأنه بقوله هذا
مخالف إجماع السلف على احتجاجهم به خارق للإجماع.

= تواتر عنه وتكذيب وجود كبار الخلفاء رضي الله تعالى عنهم... ولا فارق بين هذه
الأشياء وبين ما قال عقبها.

(١) هذا القول هو الظاهر، والآية واضحة الدلالة فيما قالوا، وقد استدل بها الأصوليون
على حجية الإجماع.

(٢) رواه أحمد ٢٠٢/٤، والترمذي في الأمثال ٢٦٧٤ بتهذيبي، وابن حبان ١٥٥٠
بالموارد، والحاكم ١١٧/١، ١١٨ من حديث الحارث الأشعري، وحسنه
الترمذي وصحّحه، وكذا صحّحه الحاكم على شرطهما، ووافقه الذهبي.

وقوله: قيد، أي: قدر. وقوله: ربقة، أي: عروة الإسلام. والمراد بالجماعة
هنا هم أهل الحق. ولا شك أن العلماء إذا أجمعوا على شيء كان الحق في
جانبهم.

وقال القاضي أبو بكر: القول عندي: أن الكفر بالله هو الجهل بوجوده، والإيمان بالله هو العلم بوجوده، وأنه لا يكفر أحد بقول ولا رأي إلا أن يكون هو الجهل بالله عز وجل، فإن عصى بقول أو فعل نص الله ورسوله أو أجمع المسلمون أنه لا يوجد إلا من كافر، أو يقوم دليل على ذلك فقد كفر، ليس لأجل قوله أو فعله، لكن لما يقارنه من الكفر.

فالكفر بالله لا يكون إلا بأحد ثلاثة أمور، أحدها: الجهل بالله تعالى. والثاني: أن يأتي فعلاً أو يقول قولاً يخبر الله ورسوله أو يجمع المسلمون أن ذلك لا يكون إلا من كافر، كالسجود للصنم والمشي إلى الكنائس بالتزام الزنار مع أصحابها في أعيادهم، أو يكون ذلك القول أو الفعل لا يمكن معه العلم بالله تعالى. فهذان الضربان وإن لم يكونا جهلاً بالله فهما علم أن فاعلهما كافر منسلخ من الإيمان.

فأما من نفى صفة من صفات الله تعالى الذاتية^(١)، أو جحدها مستبصراً في ذلك، كقوله: ليس بعالم، ولا قادر، ولا مرید، ولا متكلم، وشبه ذلك من صفات الكمال الواجبة له تعالى، فقد نص أئمتنا على الإجماع على كفر من نفى عنه تعالى الوصف بها وأعراه عنها. وعلى هذا حمل قوى سحنون: من قال ليس لله كلام فهو كافر، وهو لا يكفر المتأولين كما قدمنا.

فأما من جهل صفة من هذه الصفات؟ فاختلف العلماء ههنا، فكفره بعضهم. وحكي ذلك عن أبي جعفر الطبري وغيره، وهو قول لأبي الحسن الأشعري. وذهبت طائفة إلى أن هذا لا يخرج عن اسم

(١) صفاته تعالى الذاتية هي المتعلقة بذاته: كالحياء والقدرة والإرادة والكلام والعلم والسمع والبصر والعظمة والكبرياء والجلال، وما إلى ذلك.

الإيمان. وإليه رجع الأشعري^(١). قال: لأنه لم يعتقد ذلك اعتقاداً يقطع بصوابه ويراه ديناً وشرعاً، وإنما يكفر من اعتقد أن مقاله حق، واحتج هؤلاء بحديث السوداء^(٢)، وأن النبي ﷺ إنما طلب منها التوحيد لا غير، وبحديث القائل: «لئن قدر الله عليّ... ثم قال: فغفر الله له»^(٣)...

ولو بُوّح أكثر الناس عن الصفات وكوشفوا عنها لما وجد من يعلمها إلا الأقل^(٤).

(١) تكفير من جهل صفاته تعالى يلزم منه تكفير عوام المسلمين كلهم، وهذا خطأ كبير؛ إذ لا يعلم هذه الصفات بالتدقيق والتفصيل إلا من يتعاطى العلم.

(٢) رواه أبو داود في الأيمان والنذور ٣٢٨٣، والنسائي في الوصايا ٢١١/٦ من حديث الشريد بن سويد، قال: قلت يا رسول الله، إن أمي أوصت أن أعتق عنها رقبة مؤمنة، وعندني جارية سوداء نوبية، أفأعتقها؟ قال: «ادعها» فدعوتها، فجاءت، فقال: «من ربك؟» قالت: الله. قال: «فمن أنا؟» قالت: رسول الله. قال: «أعتقها فإنها مؤمنة». وسنده حسن.

ونحوه عن معاوية بن الحكم وفيه: فقال لها النبي ﷺ: «أين الله؟» قالت: في السماء. قال: «فمن أنا؟» قالت: أنت رسول الله. قال: «أعتقها فإنها مؤمنة». رواه أحمد ٤٤٧/٥، ٤٤٨، ومسلم في الصلاة ٢٥/٢٠/٥ مطولاً وغيرهما.

فجعلهما ﷺ بمجرد هذا الإيمان الإجمالي مؤمنتين، ولم يطالبهما بمعرفة تفاصيل الصفات وما يذكره علماء الكلام. وهكذا كان شأنه ﷺ مع كل من كان يدخل في الإسلام لا فرق بين رجالهم ونسائهم وحضريهم وبدويهم، فكان يقبل منهم دخولهم في الإسلام بأي شيء دل على إسلامهم إذا نطقوا بالشهادتين.

(٣) رواه البخاري في ذكر بني إسرائيل ٣٣٢/٧، ٣٣٣، ومسلم في التوبة ٧٠/١٧، ٧١، ٧٢ وغيرهما من حديث أبي هريرة في قصة الرجل الذي أمر أولاده عند موته أن يحرقوه، ثم يذروه في الريح. وهو وارد عن جماعة: عن أبي سعيد وحذيفة وعقبة بن عمرو الأنصاري، وكلها في الصحيح.

(٤) الأقل ممن يتعاطى العلم. أما العامة فهم بمعزل عن معرفتها إلا على سبيل الإجمال.

وقد أجاب الآخر عن هذا الحديث بوجوه، منها: أن «قدر» بمعنى «قَدَّر»، ولا يكون شكه في القدرة على إحيائه، بل في نفس البعث الذي لا يعلم إلا بشرع، ولعله لم يكن ورد عندهم به شرع يقطع عليه . . . أو يكون «قدر» بمعنى «ضيق»، ويكون ما فعله بنفسه إزرأ عليها وغضبا لعصيانها. وقيل غير ذلك.

فأما من أثبت الوصف ونفى الصفة فقال: أقول: عالم، ولكن لا علم له، ومتكلم، ولكن لا كلام له، وهكذا في سائر الصفات، على مذهب المعتزلة؟! فمن قال بالمآل لما يؤديه إليه قوله ويسوقه إليه مذهبه كفره، لأنه إذا نفى العلم انتفى وصف عالم؛ إذ لا يوصف بعالم إلا من له علم، فكأنهم صرحوا عنده بما أدى إليه قولهم، وهكذا عند هذا سائر فرق أهل التأويل من المشبهة والقدرية وغيرهم. ومن لم ير أخذهم بمآل قولهم ولا ألزمهم موجب مذهبهم لم ير إكفارهم، قال: لأنهم إذا وقفوا على هذا قالوا: لا نقول ليس بعالم، ونحن نتنفي من القول بالمآل الذي ألزمتموه لنا، ونعتقد نحن وأنتم أنه كفر، بل نقول: إن قولنا لا يؤول إليها على ما أصلناه.

فعلى هذين المأخذين اختلف الناس في إكفارهم أهل التأويل . . .^(١) وإذا فهمته اتضح لك الموجب لاختلاف الناس في ذلك . . .

والصواب ترك إكفارهم والإعراض عن الحكم عليهم بالخسران، وإجراء حكم الإسلام عليهم في قصاصهم ووراثتهم، ومناكحتهم، وديانتهم، والصلاة عليهم، ودفنهم في مقابر المسلمين، وسائر معاملاتهم، لكنهم يغلظ عليهم بوجيع الأدب، وشديد الزجر والهجر، حتى يرجعوا عن بدعتهم، وهذه كانت سيرة الصدر الأول فيهم، فقد كان نشأ في زمن

(١) مع اتفاقهم على ضلالهم وخروجهم عن الحق وبعدهم عن طريق الله القويم.

الصحابة وبعدهم في التابعين من قال بهذه الأقوال من القدر، ورأى الخوارج والاعتزال، فما أزاخوا لهم قبراً ولا قطعوا لأحد منهم ميراثاً، لكنهم هجروهم^(١) وأدّبوهم بالضرب والنفي والقتل على قدر أحوالهم؛ لأنهم فسّاق ضلّال عصاة أصحاب كبائر^(٢) عند المحققين وأهل السنّة ممن لم يقل بكفرهم منهم، خلافاً لمن رأى غير ذلك، والله الموفّق للصواب.

قال القاضي أبو بكر: وأما مسائل الوعد والوعيد والرؤية والمخلوق وخلق الأفعال وبقاء الأعراض والتولد وشبهها من الدقائق فالمنع في إكفار

(١) الأخبار عن السلف في ذلك كثيرة تجد أكثرها في الكتب المؤلفة في السنة، مثل كتاب السنّة للالكائي ولابن بطة وغيرهما، وحجتهم في ذلك أحاديث نبوية وآثار عن الصحابة رضي الله تعالى عنهم كحديث كعب بن مالك ومهاجرة النبي ﷺ وأصحابه له ولصاحبيه. وحديث مهاجرته ﷺ بعض نسائه؛ حيث سبّت زوجة أخرى له..

وجاء في صحيح مسلم وغيره أن عبد الله بن عمر تبرأ من القدرية، وجاء عنه في المسند وبعض السنن بسند صحيح أن رجلاً جاءه فقال له: إن فلاناً يقرأ عليك السلام فقال: إنه بلغني أنه قد أحدث، فإن كان أحدث فلا تقرئه مني السلام... إلخ. أحدث، أي: ابتدع بدعة. وجاء في السنّة من سنن أبي داود عنه ﷺ: «القدرية مجوس هذه الأمة، إن مرضوا فلا تعودوهم وإن ماتوا فلا تشهدوهم». وسنده صحيح، وانقطاعه لا يضر لطرقه وشواهد له.

وقال الحافظ في الفتح: وقد ذهب الجمهور إلى أنه لا يسلم على الفاسق ولا المبتدع. وقال النووي: وأما المبتدع ومن اقترف ذنباً عظيماً.. فلا يسلم عليهم. وقال المهلب: ترك السلام على أهل المعاصي سنّة ماضية... وقال الطبري: قصة كعب بن مالك أصل في هجران أهل المعاصي. انظر الفتح، كتاب الأدب ١٣/١٠٩، والاستئذان ١٣/٢٧١.

(٢) وكفاهم بذلك خيبة وخسارة، نعوذ بالله من الضلال والانحراف عن الطريق المستقيم.

المتأولين فيها أوضح، إذ ليس في الجهل بشيء منها جهل بالله تعالى، ولا أجمع المسلمون على إكفار من جهل منها شيئاً . . . (١).

حكم الذمي الساب لله تعالى

هذا حكم المسلم الساب لله تعالى : أما بالنسبة للذمي :

فورد عن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما في ذمي تناول من حرمة الله تعالى غير ما هو عليه من دينه، وحاج فيه، فخرج عليه ابن عمر بالسيف فطلبه فهرب .

وقال مالك وغيره من السلف: من شتم الله من اليهود والنصارى بغير الوجه الذي كفر به؛ قتل ولم يستتب . . . إلا أن يسلم . وقالوا: إن الوجه الذي به كفروا هو دينهم، وعليه عوهدوا: من دعوى الصاحبة والشريك والولد، وأما غير هذا من الفرية والشتم فلم يعاهدوا عليه؛ فهو نقض للعهد . قالوا: ومن شتم من غير أهل الأديان الله تعالى بغير الوجه الذي ذكر في كتابه قتل إلا أن يسلم . ولا فرق في هذا بين من سب الله تعالى وسب نبينا ﷺ كما تقدم (٢) .

حكم من نفى وجود الله

وافترى عليه بادعاء النبوة أو ادعى الألوهية

أو نفى أن يكون الله خالقه . . .

هذا حكم من صرح بسب الله تعالى، وإضافة ما لا يليق بجلاله وإلهيته من مسلم وكافر . فأما مفترى الكذب عليه تبارك وتعالى بادعاء الإلهية أو الرسالة، أو النافي أن يكون الله خالقه أو ربه، أو قال: ليس لي

(١) وإنما أصحابها غارقون في البدعة والضلال، وهم هنا المعتزلة والروافض، فهم أهل هذه العقائد الزايغة التي خالفوا فيها الحق وأهله .

(٢) كلامه هذا واضح، فإن الذمي أصل دينه الكفر بالله واتخاذ شريكاً معه ونفيه رسالة نبينا ﷺ له وعلى ذلك عوهد، فإذا خرج عن هذا اعتبر ناقضاً للعهد؛ فيقتل .

رب، أو المتكلم بما لا يعقل من ذلك في سكره، أو غمرة جنونه؟ فلا خلاف في كفر قائل ذلك ومدعيه مع سلامة عقله كما قدمناه. لكنه تقبل توبته على المشهور، وتنفعه إنابته وتنجيه من القتل، لكنه لا يسلم من عظيم النكال؛ ليكون ذلك زجرًا لمثله عن قوله، إلا من تكرر ذلك منه وعرف استهانتته بما أتى به، فهو دليل على سوء طويته وكذب توبته، وصار كالزندق الذي لا نأمن باطنه ولا نقبل رجوعه.

وحكم السكران في ذلك حكم الصاحي. وأما المجنون والمعتوه فما علم أنه قاله من ذلك في حالة غمرته وذهاب ميزه فلا نظر فيه، وما فعله من ذلك في حال ميزه وإن لم يكن معه عقله وسقط تكليفه أدب على ذلك لينزجر عنه كما يؤدب على قبائح الأفعال، ويوالى أدبه على ذلك حتى ينكف عنه كما تؤدب البهيمة على سوء الخلق حتى تراض.

وقد أحرق الإمام علي رضي الله تعالى عنه من ادعى له الإلهية^(١). وقتل غير واحد من الخلفاء والملوك وصلبوا من صدر منه شبه ذلك... وأجمع علماء وقتهم على صواب فعلهم. والمخالف في ذلك من كفرهم كافر. وأجمع فقهاء بغداد أيام المقتدر من المالكية وقاضي قضاتها أبو عمر المالكي على قتل الحلاج وصلبه لدعواه الإلهية والقول بالحلول - وقوله: أنا الحق - مع تمسكه في الظاهر بالشرعية، ولم يقبلوا توبته^(٢). وكذلك حكموا في ابن أبي العزافير الرافضي المرتد.

وقال أبو حنيفة وأصحابه رحمهم الله تعالى: من جحد أن الله تعالى خالقه أو ربه، - أو قال: ليس لي رب - فهو مرتد^(٣).

(١) جاء ذلك في كتاب استتابة المرتدين من صحيح البخاري.

(٢) الحلاج جاءت الأخبار في أحواله متضاربة مدحًا وذمًا، فالله أعلم بمآله.

(٣) هذا القول لم يختص به الإمام أبو حنيفة رحمه الله تعالى، بل هو شيء مجمع عليه.

وقال أبو محمد ابن أبي زيد رحمه الله تعالى : من لعن بارئه — وادعى أن لسانه زل وإنما أراد الشيطان — ، يقتل بكفره ولا يقبل عذره، وهذا على القول بأنه لا تقبل توبته .

وقال أبو الحسن القاسبي في سكران — قال : أنا الله، أنا الله — : إن تاب أدب ، فإن عاد إلى مثل قوله طولب مطالبة الزنديق ؛ لأن هذا كفر المتلاعبين .

حكم من تكلم بِسَقَطِ القولِ وَسَخْفِ اللفظِ

غير قاصد الكفر والاستخفاف

وأما من تكلم من سقط القول وسخف اللفظ ممن لم يضبط كلامه وأهمل لسانه بما يقتضي الاستخفاف بعظمة الله وجلاله تعالى ، أو تمثل في بعض الأشياء ببعض ما عظم الله من ملكوته ، أو نزع من الكلام لمخلوق بما لا يليق إلا في حق الخالق سبحانه . . غير قاصد للكفر والاستخفاف ، ولا عامد للإلحاد . . فإن تكرر هذا منه وعرف به دل على تلاعبه بدينه واستخفافه بحرمة ربه وجهله بعظيم عزته وكبريائه ، وهذا كفر لا مرية فيه ، وكذلك إن كان ما أورده يوجب الاستخفاف والتنقص لربه .

وقد أفتى ابن حبيب وأصبغ بن خليل من فقهاء قرطبة بقتل المعروف بابن أخي عجب ، وكان خرج يوماً فأخذه المطر ، فقال : بدأ الخراز يرش جلوده وكان بعض الفقهاء بها : أبو زيد صاحب الثمانية ، وعبد الأعلى بن وهب ، وأبان بن عيسى قد توقفوا عن سفك دمه ، وأشاروا إلى أنه عبث من القول يكفي فيه الأدب . وأفتى بمثله القاضي حينئذ موسى بن زياد . فقال ابن حبيب : دمه في عنقي ، أيثتم رب عبدناه ثم لا نتصر له ؟ إنا إذا لعبيد سوء ما نحن له بعابدين . وبكى ، ورفع المجلس إلى الأمير بها عبد الرحمن ابن الحكم الأموي ، وكانت عجة هذا المطلوب من حظاياه . وأعلم باختلاف الفقهاء ، فخرج الإذن من عنده بالأخذ بقول ابن حبيب وصاحبه ،

وأمر بقتله . فقتل وصلب بحضرة الفقيهين ، وعزل القاضي لتهمته بالمداهنة في هذه القصة ، ووبخ بقية الفقهاء وسبهم^(١) .

وأما من صدرت عنه من ذلك الهنة الواحدة والفلتة الشاردة ما لم يكن تنقصاً وإضراراً فيعاقب عليها ويؤدب بقدر مقتضاها ، وشنعة معناها ، وصورة حال قائلها وشرح سببها ومقارنها .

وقد سئل ابن القاسم رحمه الله تعالى عن رجل نادى رجلاً باسمه ، فأجابه : لبيك اللهم لبيك . قال : إن كان جاهلاً ، أو قاله على وجه سفه ؟ فلا شيء عليه . قال القاضي أبو الفضل رحمه الله تعالى - وشرح قوله - : أنه لا قتل عليه . والجاهل يزجر ويعلم ، والسفيه يؤدب . ولو قالها على اعتقاد إنزاله منزلة ربه ؟ لكفر . هذا مقتضى قوله .

وقد أسرف كثير من سخفاء الشعراء ومتهميهم في هذا الباب ، واستخفوا عظيم هذه الحرمة ، فأتوا من ذلك بما ينزه عنه كتابنا هذا . ولولا أنا قصدنا نص مسائل حكيناها لما ذكرنا شيئاً مما يثقل ذكره علينا .

وأما ما ورد في هذا من أهل الجهالة وأغاليط اللسان ، كقول بعض الأعراب :
ربَّ العباد مالنا ومالكُ قد كنت تسقينا فما بدالكُ
أنزل علينا الغيثَ لا أبالكُ

في أشباه لهذا من كلام الجهال الذي لا يصدر إلا من جاهل يجب تعليمه وزجره والإغلاظ له عن العودة إلى مثله^(٢) . قال الخطابي رحمه الله : وهذا تهور من القول ، والله منزّه عن هذه الأمور .

(١) رحمه الله تعالى فنعم ما فعل ورضي الله تعالى عن ابن حبيب ومن وافقه على الإفتاء بقتل ذلك المستهزئ الساخر بربه وخالقه ، فإن من لا يغار على المقدسات الإلهية لا دين له .

(٢) خطاب الله عز وجل بمثل هذا الهذيان ردة ، ولا يكفي فيه الزجر والإغلاظ .

وقد روينا عن عون بن عبد الله أنه قال: ليعظم أحدكم ربه أن يذكر اسمه في كل شيء، حتى لا يقول: أخزى الله الكلب، وفعل به كذا وكذا. وكان بعض من أدركنا من مشايخنا قل ما يذكر اسم الله تعالى إلا فيما يتصل بطاعته، وكان يقول للإنسان: جزيت خيراً. وقلما يقول: جزاك الله خيراً. إعظاماً لاسمه تعالى أن يمتهن في غير قربة^(١).

حكم من سب سائر الأنبياء والملائكة

أو كذبهم أو استخف بهم

وحكم من سب سائر الأنبياء وملائكة الله صلوات الله وسلامه عليهم أو استخف بهم أو كذبهم فيما أتوا به أو أنكرهم وجحدهم هو حكم نبينا ﷺ على حسب ما تقدم.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ...﴾ الآية [النساء: ١٥٠]. وقال تعالى: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِمْ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٦]. وقال عز وجل: ﴿كُلُّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

قال مالك وأصحابه رحمهم الله: من شتم الأنبياء أو أحداً منهم أو تنقصه؛ قتل ولم يستتب. ومن سبهم من أهل الذمة؛ قتل إلا أن يسلم. وقالوا: من سب الأنبياء من اليهود والنصارى بغير الوجه الذي به كفر؛ ضربت عنقه إلا أن يسلم.

وقالوا: من شتم ملكاً من الملائكة؛ فعليه القتل. ومن قال: إن جبريل

(١) هذا من كمال حسن الأدب مع الله عز وجل وليس من الواجبات.

عليه السلام أخطأ بالوحي، وإنما كان النبي علي بن أبي طالب^(١)؛ استتيب، فإن تاب وإلا قتل.

وقال أبو حنيفة وأصحابه رحمهم الله تعالى: من كذب بأحد من الأنبياء أو تنقص أحداً منهم أو برىء منهم؛ فهو مرتد^(٢).

وقال أبو الحسن القاسبي رحمه الله تعالى: من قال لآخر: كأنه وجه مالك الغضبان، لو عرف أنه قصد ذم الملك؛ قتل.

قال القاضي أبو الفضل رحمه الله تعالى: وهذا كله فيمن تكلم فيهم بما قلناه على جملة الملائكة والنبين، أو على معين مما تحققنا أنه من الملائكة والنبين ممن نص الله تعالى في كتابه، أو تحققنا علمه بالخبر المتواتر والمتفق عليه بالإجماع القاطع كجبريل وميكائيل ومالك وخزنة الجنة وجهنم والزبانية وحملة العرش المذكورين في القرآن من الملائكة، ومن سمي فيه من الأنبياء، وكعزرائيل وإسرافيل ورضوان والحفظة ومنكر ونكير من الملائكة المتفق على قبول الخبر بهم صلوات الله وسلامه عليهم جميعاً.

فأما من لم تثبت الأخبار بتعيينه ولا وقع الإجماع على كونه من الملائكة أو الأنبياء كهاروت وماروت في الملائكة، والخضر ولقمان وذو النون ومريم وأسية... فليس الحكم في سابهم والكافر بهم كالحكم في غيرهم ممن ثبتت نبوتهم، إذ لم تثبت لهم تلك الحرمة، ولكن يزجر من تنقصهم وأذاهم ويؤدب بقدر حال المنقول فيه، لا سيما من عرفت صديقيته وفضله منهم كالخضر^(٣) ومريم عليهما السلام.

(١) هذا قول بعض كفرة الشيعة، ولا نعلم لهؤلاء وجوداً اليوم.

(٢) هذا إجماع أيضاً، فلا معنى لتخصيص النقل به عن الإمام أبي حنيفة.

(٣) القول بنبوة الخضر عليه السلام قوي، وقد ألف الناس في إثبات نبوته.

وذو النون هو يونس عليه السلام وهو رسول بالإجماع.

الاستخفاف بالقرآن والطعن فيه أو جحده أو سبه

أو تكذيب شيء منه من خبر أو حكم . . .

اعلم: أن من استخف بالقرآن أو المصحف أو بشيء منه أو سبهما أو جحده ولو آية أو حرفاً منه، أو كذب به أو بشيء منه أو كذب بشيء مما صرح به فيه من حكم أو خبر، أو ثبت ما نفاه أو نفى ما أثبتته على علم منه بذلك، أو شك في شيء من ذلك؟ فهو كافر عند أهل العلم بالإجماع.

قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَكِنْبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾ [فصلت: ٤١، ٤٢]. وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «المراء في القرآن كفر»^(١). وتؤول هذا بمعنى الشكر وبمعنى الجدل.

وهكذا الحال فيمن جحد التوراة والإنجيل وكتب الله المنزلة^(٢)، أو كفر بها أو لعنها أو سبها أو استخف بها، فهو كافر.

وقد أجمع المسلمون أن القرآن المتلوف في جميع أقطار الأرض المكتوب في المصحف بأيدي المسلمين مما جمعه الدفتان من أول ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾﴾ [الفاتحة: ٢]، إلى آخر: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴿١﴾﴾ [الناس: ١]: أنه كلام الله، ووحيه المنزل على نبينا محمد ﷺ، وأن جميع ما فيه حق. وأن من نقص منه حرفاً - قاصداً لذلك - أو بدله بحرف آخر مكانه، أو زاد فيه حرفاً مما لم يشتمل عليه المصحف الذي وقع عليه الإجماع وأجمع على أنه ليس من القرآن - عامداً لكل

(١) رواه أحمد ٣٠٠/٢، وأبو داود في السنة ٤٥٩٣، وابن حبان ١٧٧٩/٥٩ بالموارد،

والحاكم عن أبي هريرة، وسنده حسن، وصححه الحاكم على شرطهما ووافقه الذهبي.

(٢) يعني بها غير المبدلة بأيدي اليهود والنصارى.

هذا - : أنه كافر^(١) .

ولهذا رأى مالك رحمه الله تعالى قتل من سب عائشة رضي الله تعالى عنها بالفرية، لأنه خالف القرآن، ومن خالف القرآن قتل؛ لأنه كذب بما فيه .
وقال ابن القاسم وغيره من العلماء من قال: إن الله تعالى لم يكلم موسى تكليماً؛ يقتل . وكذا قالوا فيمن قال: إن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً . .
لأن في كل ذلك تكذيباً للقرآن ولمن أنزله . .
ونصوصهم في هذا الموضوع كثيرة .

حكم من سب آل بيت النبي وأزواجه وأصحابه عليهم السلام

اتفق العلماء من السلف والخلف من أهل السنة على أن سب آل البيت الأطهار وأزواج النبي عليهم السلام وأصحابه الكرام رضي الله تعالى عنهم وتنقصهم حرامٌ ملعون فاعله .

ففي الصحيح عنه عليه السلام أنه قال: «أذكركم الله في أهل بيتي» قالها ثلاثاً^(٢) .

وقال عليه السلام: «فاطمة بضعة مني يؤذيني ما آذاها»^(٣) .

(١) فالفرقة الراضية القائلة بتحريف القرآن هي كافرة، ومن رجع إلى أصول الشيعة كالكافي وغيره وجد العجب من النقول المكذوبة على أئمة أهل البيت في تحريف القرآن، وأن المنافقين - يعنون أبا بكر وعمر وعثمان - حرفوه بالزيادة والنقصان، وأن القرآن الكامل أخذه معه مهديهم الغائب الذي سيخرج، ويأتي بذلك القرآن فيحكم به . . . إلى آخر هرائهم ومفترياتهم .

(٢) رواه مسلم وغيره من حديث زيد بن أرقم مطولاً، وقد تقدم .

(٣) رواه أحمد ٣٢٨/٤، والبخاري في المناقب ٨/٨٧، ١٠٦ وفي مواضع، ومسلم ١٦/٢، ٣، ٤، والترمذي ٣٦٣٥، كلاهما في الفضائل من حديث المسور بن مخرمة مطولاً، في إرادة الإمام علي خطبة بنت أبي جهل .

وقال ﷺ: «لا تؤذيني في عائشة»^(١).

وقال ﷺ: «دعوا لي أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبًا لما بلغ أحدهم ولا نصيفه»^(٢).

وقال ﷺ: «خير الناس قرني ثم الذي يلونهم ثم الذي يلونهم...» إلخ^(٣).

وقال ﷺ: «الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضًا بعدي فمن أحبهم فبحبي أحبهم، ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم، ومن آذاهم فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله، ومن آذى الله يوشك أن يأخذه»^(٤).

وقد اختلف العلماء رحمهم الله في هذا:

فمشهور مذهب مالك رحمه الله تعالى في ذلك: الاجتهاد والأدب الموجه. قال مالك رحمه الله: من شتم النبي ﷺ قتل، ومن شتم أصحابه

(١) رواه البخاري في المناقب ١١٠/٩، ومسلم في الفضائل ٢٠٥/١٥ من حديث عائشة: أن الناس كانوا يتحرون بهداياهم يوم عائشة. وفيه: فقال: «يا أم سلمة لا تؤذيني في عائشة...» إلخ.

(٢) رواه البخاري ٣٣/٨، ومسلم ٩٢/١٦، ٩٣ عن أبي سعيد الخدري، ورواه مسلم وغيره من حديث أنس وأبي هريرة.

(٣) رواه أحمد ٤٣٦/٤، ٤٤٠، والبخاري ٥/٨، ٦، ٧، ومسلم ٨٧/١٦، ٨٨، ٨٩، وغيرهما، من حديث عمران بن حصين، وفي الباب عن ابن مسعود عند الشيخين، وأبي هريرة عند مسلم، وعن عائشة عنده أيضًا.

(٤) رواه أحمد ٨٧/٤، و ٥٤/٥، ٥٧، والترمذي في المناقب من حديث عبد الله بن مغفل، وحسنه الترمذي. وقد تقدمت ص ٢٨٥، ٣٣٣، ٣٥٥، ٣٥٩.

ففي هذه الأحاديث بيان فضائل الصحابة ورفعة منزلتهم وشرفهم وعظم حرمتهم، وما ذلك إلا لصحبتهم أشرف الخلق وسيد الثقلين الحبيب سيدنا محمد ﷺ، فتعظيمهم تعظيم لرسول الله ﷺ واحترامهم احترام له، والطعن فيهم وتنقصهم طعن فيه ﷺ وإذابة له.

أدب . وقال أيضًا: من شتم أحدًا من أصحاب النبي ﷺ، أبا بكر أو عمر أو عثمان رضي الله تعالى عنه، فإن قال: كانوا على ضلال وكفر؟ قتل^(١)، وإن شتمهم بغير هذا من مشاتمة الناس؟ نكل نكالًا شديدًا.

وقال ابن حبيب رحمه الله تعالى: من غلا من الشيعة إلى بغض عثمان والبراءة منه أدب أدبًا شديدًا. ومن زاد إلى بغض أبي بكر وعمر فالعقوبة عليه أشد، ويكرر ضربه ويطال سجنه حتى يموت^(٢). ولا يبلغ به القتل إلا في سب النبي ﷺ.

وقال سحنون رحمه الله تعالى: من كفر أحدًا من أصحاب النبي ﷺ عليًا أو عثمان أو غيرهما يوجع ضربًا.

وحكى أبو محمد بن أبي زيد رحمه الله تعالى عن سحنون فيمن قال في أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله تعالى عنهم أنهم كانوا على ضلال وكفر قتل^(٣). ومن شتم غيرهم من الصحابة بمثل هذا نكل النكال الشديد.

وقال مالك رحمه الله تعالى: من سب أبا بكر جلد، ومن سب عائشة قتل. قيل له: لم؟ قال: من رماها فقد خالف القرآن، قال: لأن الله تعالى يقول: ﴿يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [النور: ١٧]، فمن عاد لمثله فقد كفر^(٤).

(١) لأن في ذلك تكذيبًا لله ولرسوله وللإجماع المقطوع به أنهم كانوا على هدى ودين واستقامة.

(٢) يا ليتنا لو كان للإسلام دولة لاعتقل وضرب الضرب الشديد كل من ينال من الخلفاء ويلعنهم ويشتمهم. . من شيعة عصرنا الروافض وغيرهم.

(٣) قد أشرنا قبل إلى سبب ذلك.

(٤) وقد قال الله في شأنها وشأن من قذفت به: ﴿بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ [النور: ١١]، وقال =

وحكى أبو الحسن الصَّقَلِيُّ أن القاضي أبا بكر ابن الطيب قال: إن الله تعالى إذا ذكر في القرآن ما نسبته إليه المشركون سبح نفسه لنفسه، كما قال تعالى: ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ ﴾ [الأنبياء: ٢٦] في آي كثيرة. ولما ذكر ما نسبته المنافقون إلى عائشة رضي الله تعالى عنها حيث قال: ﴿ وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ ﴾ [النور: ١٦]، سبح نفسه في تبرئتها من سوء، كما سبح نفسه في تبرئته من سوء، وهذا يشهد لقول مالك في قتل من سب عائشة. ومعنى هذا والله أعلم: أن الله لما عظم سبها كما عظم سبه، وكان سبها سباً لنبيه ﷺ، وقرن سب نبيه وأذاه بأذاه تعالى، وكان حكم مؤذيه تعالى القتل، كان مؤذي نبيه كذلك كما قدمناه. وشم رجل بالكوفة عائشة رضي الله تعالى عنها فقدم إلى موسى بن عيسى العباسي فقال: من حضر هذا؟ فقال ابن أبي ليلى: أنا. فجلده ثمانين وحلق رأسه وأسلمه للحجامين.

وروي عن عمر رضي الله تعالى عنه أنه نذر قطع لسان عبيد الله بن عمر إذ شتم المقداد بن الأسود. فكلم في ذلك فقال: دعوني أقطع لسانه حتى لا يشتم أحدٌ بعد أصحاب النبي ﷺ. وجاء عنه أنه أتى بأعرابي يهجو الأنصار، فقال: لولا أن له صحبة لكفيتكموه^(١).

قال مالك رحمه الله تعالى: من انتقص أحدًا من أصحاب النبي ﷺ فليس له في هذا الفيء حق، قد قسم الله الفيء ثلاثة أصناف فقال تعالى: ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ . . . ﴾ الآية، ثم قال: ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ

فيها: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْفَاضِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ ﴾ [النور: ٢٣]، وقال: ﴿ أَوْلَيْكَ مُبْرَأُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ [النور: ٢٦]، فمن نال منها بعد هذا - بقذف أو نقص أو قال: إنها غير مؤمنة، أو هي في النار - فهو كافر.

(١) أورده الهيثمي في المجمع ٤٥/٩ برواية الطبراني وقال: رجاله رجال الصحيح.

قَبْلِهِمْ... ﴿ الآية، وهؤلاء هم الأنصار رضي الله تعالى عنهم ثم قال: ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ ﴾ الآية [الحشر: ٨ - ١٠]. فمن تنقصهم فلا حق له في فيء المسلمين.

وفي كتاب ابن شعبان رحمه الله تعالى: من قال في واحد منهم أنه ابن زانية وأمه مسلمة: حد عند بعض أصحابنا حدين، حدًّا له، وحدًّا لأمه، ولا أجعله كقاذف الجماعة في كلمة؛ لفضل هذا على غيره. قال: ومن قذف أم أحدهم وهي كافرة حدًّا حدًّا القرية لأنه سب له. فإن كان أحد من ولد هذا الصحابي حيًّا قام بما يجب له، وإلَّا فمن قام من المسلمين كان على الإمام قبول قيامه. قال: وليس هذا كحقوق غير الصحابة؛ لحرمة هؤلاء بنبيهم ﷺ، ولو سمعه الإمام وأشهد عليه كان ولي القيام به. قال: ومن سب غير عائشة من أزواج النبي ﷺ؟ ففيه قولان: أحدهما: يقتل؛ لأنه سب النبي ﷺ بسب حليلته. والآخر: أنها كسائر الصحابة يجلد حد المفترى. قال ابن شعبان وبالأول أقول^(١).

وروى أبو مصعب عن مالك فيمن سب من انتسب إلى بيت النبي ﷺ: يضرب ضربًا وجيعًا ويشهر ويحبس طويلاً حتى تظهر توبته، لأنه استخفاف بحق الرسول ﷺ^(٢).

وأفتى أبو المطرف الشعبي فقيه مالقة في رجل أنكر تحليف امرأة بالليل، وقال: لو كانت بنت أبي بكر الصديق ما حلفت إلاً بالنهار. وصوب قوله بعض المتسمين بالفقه، فقال أبو المطرف: ذكر هذا لابنة أبي بكر في

(١) وهو الذي اختاره، لأن ذلك يعتبر طعنًا في عرض رسول الله وكرامته ﷺ.

(٢) لأن في ذلك إذابة له ﷺ أيضًا مع ما فيه من الاستخفاف به واحتقار جانبه.

مثل هذا يوجب عليه الضرب الشديد والسجن الطويل . والفقيه الذي صوب قوله هو أخص باسم الفسق من اسم الفقه ، فيتقدم إليه في ذلك ويزجر ، ولا تقبل فتواه ولا شهادته ، وهي جرحة ثابتة فيه ، ويبغض في الله^(١) .

وقال أبو عمران في رجل قال : لو شهد عليّ أبو بكر الصديق : أنه إن كان أراد أن شهادته مثل هذا لا يجوز فيه الشاهد الواحد فلا شيء عليه ، وإذا كان أراد غير هذا فيضرب ضرباً يبلغ به حد الموت .

قال أبو الفضل رحمه الله تعالى : هنا انتهى القول بنا فيما حررناه ، وانتجز الغرض الذي انتحينا ، واستوفى الشرط الذي شرطناه مما أرجو أن يكون في كل قسم منه للمريد مقنع ، وفي كل باب منهج إلى بغيته ومنزع .

وإلى الله تعالى جزيل الضراعة والمنة بقبول ما منه لوجهه ، والعفو عما تخلله من تزيين وتصنع لغيره ، وأن يهب لنا ذلك بجميل كرمه وعفوه ، لما

(١) لأنه بذلك أصبح فاسقاً؛ لاستخفافه بجانب الصديق وابنته رضي الله تعالى عنهما .

خاتمة

لقد ألفت الحافظ الإمام أبو العباس أحمد بن تيمية رحمه الله تعالى كتابه العظيم «الصارم المسلول على شاتم الرسول ﷺ» ، استوعب فيه كل ما يتعلق بهذه الفصول المذكورة في هذا القسم الرابع فأجاد وأفاد . وهذا الكتاب من أنفس وأفضل وأتقن ما ألفت ، جزاه الله تعالى عن نبينا وعن الإسلام وعنا خيراً وغفرله وأعلى مقامه ، فلا نعلم لهذا الكتاب في موضوعه ثانياً فعليك به أيها المسلم . وبهذا تم هذا التعليق وكان ذلك ضحوة يوم الاثنين ثامن وعشرين من ربيع الأول الأبرك عام عشرين وأربعمائة وألف .

فالحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وزوجه وصحبه وحزبه بدءاً وعوداً وسبحان الله وبحمده ، سبحانك اللهم وبحمدك ، أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك .
وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

أودعناه من شرف مصطفىاه وأمين وحيه، وأسهرنا به جفوننا لتتبع فضائله، وأعملنا فيه خواطرنا من إبراز خصائصه ووسائله، ويحمي أعراضنا عن ناره الموقدة لحمايتنا كريم عرضه، ويجعلنا ممن لا يُذاد إذا ذيد المُبدل عن حوضه، ويجعله لنا ولمن تهتم باكتتابه واكتسابه سببًا يصلنا بأسبابه، وذخيرة نجدها يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً نحوز بها رضاه وجزيل ثوابه، ويخصنا بخصيص زمرة نبينا وجماعته، ويحشرنا في الرعيل الأول وأهل الباب الأيمن من أهل شفاعته.

ونحمده تعالى على ما هدى إليه من جمعه، وألهم وفتح البصيرة لدرك حقائق ما أودعناه وفهّم، ونستعيذه جل اسمه من دعاء لا يسمع، وعلم لا ينفع، وعمل لا يرفع، فهو الجواد الذي لا يخيب من أمّله، ولا ينتصر من خذله، ولا يرد دعوة القاصدين، ولا يصلح عمل المفسدين، وهو حسبنا ونعم الوكيل، وصلاته على سيّدنا ونبينا محمد خاتم النبيين وعلى آله وصحبه أجمعين وسلّم تسليمًا كثيرًا، والحمد لله رب العالمين.

* * *

وانتهى التهذيب واختصار هذا الكتاب ضحوة يوم الثلاثاء الخامس عشر من ربيع الأول عام عشرين وأربعمائة وألف على يد كاتبه الفقير إلى رحمة ربه عبد الله بن عبد القادر التليدي بطنجة المغرب.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات. وصلّى الله وسلّم وبارك على سيدنا وحبيبنا محمد وعلى آله وأزواجه وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

* * *

فهرس الأحاديث النبوية

الصفحة	طرف الحديث	الصفحة	طرف الحديث
٥٢	أجل والله إنه لموصوف في التوراة . . .	١٨٢	آتي باب الجنة فأستفتح . . .
١٤١	اجلسي يا أم فلانة في أي طريق . . .	٤٧٩	أتوني أكتب لكم كتابًا . . .
٩٦	أحب حبيبي هونا ما عسى . . .	٢٨٢	آخركم موتًا في النار . . .
١٦٠	أحب الصلاة إلى الله صلاة . . .	٣٨٧	الآن نغزوهم . . . / قاله بعد الخندق
١٨١	أحب الصيام إلى الله صيام . . .	٣٢٦	الآن يا عمر . . .
٣٥٥	أحب الله من أحب حسنا . . .	٣٣٣	آية الإيمان حب الأنصار . . .
٣٣٣	أحبيه فإني أحبه . . .	٩١	أبشر بنورين أوتيتهما . . .
٢٤٤	احفظ علي ميضأتك . . .	٢٩٨	أبلي وأخلفي . . .
٤٤٩	أحلت لي الغنائم . . .	٤٩	أتاني جبريل فقال: إن ربك . . .
٤٨٢	ادعي لي أبا بكر أباك . . .	١٦٣	أتاني جبريل فقال: قلبت . . .
٤٩١	إذا أراد الله بعبده الخير عجل . . .	١٨٥	أتدرون ما الكوثر . . .
٤٦	إذا أراد الله رحمة بأمة . . .	٩٦	أتق الله حيثما كنت . . .
٢٩٦	إذا تقارب الزمان لم تكذب . . .	٤٢	أتي بالبراق ليلة أسري به . . .
٣٧٩	إذا دخلت المسجد فقل . . .	٢٥٦	أثبت أحد فإنما عليك نبي . . .
٣٥٧	إذا ذكر أصحابي فأمسكوا . . .	٢٩٠	أثبت فإنما عليك . . .
٣٥٦	إذا رأيتم آية فاسجدوا . . .	٤٩١	أجل إني أوعك كما يوعك . . .
٣٧٢، ١٩٦	إذا سمعتم المؤذن فقولوا . . .		

الصفحة	طرف الحديث	الصفحة	طرف الحديث
٣٦٠	اعفوا عن مسيئهم . . . الأنصار	٣٦٨	إذا صلى أحدكم فليبدأ بحمد الله . . .
٢٥١	افتح له وبشره بالجنة . . .	٣٧٠	إذا صلى أحدكم فليقل التحيات لله . . .
٢٧٧	افتقرت اليهود على إحدى . . .	٤٠٩	إذا صلى أحدكم لشيء يستره فأراد . . .
١٠٣	أفضل هذه الأمة أكثرها نساء . . .	٣١٤	إذا نهيتكم عن شيء فانتهوا . . .
٣٩٤، ١٥٣	أفلا أكون عبدًا شكورًا . . .	٤٥٥	إذا هم عبدي بحسنة . . . قدسي
٣١٢	أفلا شققت على قلبه . . .	٣٧٣	إذا تكف همك ويغفر ذنبك . . .
١٥٢	أفي شك أنت يا ابن الخطاب . . .	٣٥١	أذكركم الله في أهل بيتي . . .
٣٥٨	اقتدوا باللذين من بعدي . . .	٢٤٤	أذهبي فإننا لم نأخذ من مائك شيئًا . . .
١٢٣	أقول كما قال يوسف . . .	١٢٣	أذهبوا فأنتم الطلقاء . . .
٤١١	اكتب فإنني لا أقول إلا حقًا . . .	٢٦٢	ارفعوا أيديكم فإنها . . .
٤٢١	اكتب كيف شئت . . .	٣٥٤	ارقبوا محمدًا في آل بيته . . . الصديق
	أكثروا من الصلاة عليّ يوم	١٩١	أريت ما تلقى أمتي وسفك بعضهم . . .
٣٧٦	الجمعة . . .	٢٨٩	أسرعكن لحوقًا بي أطولكن يدًا . . .
٢٨٠	ألا أحدثكم بأشقى الناس . . .	٤٢٥	اسق يا زبير حتى يبلغ الجدر . . .
٢٨٣	ألا إنه يجاء برجال فأقول . . .	٩٥	أسلم تسلم يؤتك الله أجرك . . .
١٤٥	ألا تأمنني وأنا أمين . . .		اشتد غضب الله عز وجل على رجل
٢٥٠	التثما علي ياذن الله تعالى . . .	١١٧	يقتله رسول الله . . .
١٠١	ألم أر البرمة فيها اللحم . . .	٤٩٠	أشد الناس عليكم : الروم . . .
١٤٩	اللَّهُمَّ اجعل رزق آل محمد قوتًا . . .	٢٣٩	اشهدوا . . . قاله عند انشقاق القمر
١٤٢	اللَّهُمَّ اجعله حجًا مبرورًا . . .	٤٢٧	أصدق ذو اليمين . . .
٢٢٢	اللَّهُمَّ أطعم من أطعمني . . .	٤٤٠	أصدق هذا . . .
٢٦٧	اللَّهُمَّ أعز الإسلام بأحب . . .	٢٤١	اضربوا من معه فضل ماء . . .
١١٨	اللَّهُمَّ اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون . . .	٥٤٤	أعتقها فإنها مؤمنة . . .
٣٦٩	اللَّهُمَّ اغفر لي ذنوبي وافتح لي . . .	٢٧٥	اعدد ستًا بين يدي الساعة : موتي . . .
٤٤٦	اللَّهُمَّ اغفر لي ما قدمت وما أخرت . . .	٢٩٥	أعطيت خمسًا لم يعطهن . . .
٢٦٦	اللَّهُمَّ أكثر ماله وولده . . .	١٦٤	أعطيت ستًا لم يعطهن . . .

الصفحة	طرف الحديث	الصفحة	طرف الحديث
٣١١، ٣١٠	أمرت أن أقاتل الناس . . .	٤٨٢	اللَّهُمَّ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ أَعْزَبُ . . .
١٠٧	أملك عليك لسانك وليسعك . . .	٣٣٠، ١٨٨	اللَّهُمَّ إِنِّي أَحِبُّهُ فَأَحِبَّهُ . . .
١٢٩	أنا أقتلك . . . قاله لابن خلف		اللَّهُمَّ إِنِّي أَحِبُّهُمَا
١٦٣	أنا أكرم الأولين والآخريين . . .	٣٥٤، ٣٣٠، ١٨٨	فأحبهما . . .
٧٢	أنا أمان لأصحابي . . .	٢٦٤	اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ وَأَتُوجَّهُ إِلَيْكَ . . .
١٤٥	أنا أمين في السماء . . .	٤٠٤	اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ وَابْنُ عَبْدِكَ . . .
١٨١	أنا أول من يشفع . . .	٢٦٨	اللَّهُمَّ اهْدِ أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ . . .
١٦٣	أنا أول الناس خروجًا . . .	١١٨	اللَّهُمَّ اهْدِ قَوْمِي فَإِنَّهُمْ . . .
١٨٠	أنا أول الناس . . .	٢٧٣	اللَّهُمَّ ثَبِّتْهُ وَاجْعَلْهُ هَادِيًا . . .
١٨١	أنا حامل لواء الحمد . . .	٢٦٨	اللَّهُمَّ حَبِّبْ عَبْدَكَ هَذَا . . . أَبُو هُرَيْرَةَ
١٦٧	أنا دعوة أبي إبراهيم . . .	٢٦٩	اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِقَرِيشٍ . . .
٢٨٨	أنا سأقتلك . . .	٢٦٧	اللَّهُمَّ فَفِّهْهُ فِي الدِّينِ . . .
١٨٢	أنا سيّد الناس، وتدرّون . . .	١٣٩	اللَّهُمَّ هَالَةً . . .
٤٣٠	أنا سيّد ولد آدم، أتدرّون . . .	٣٥٢، ٣٥١	اللَّهُمَّ هُوَ لَاءَ أَهْلِ بَيْتِي . . .
٩٨	أنا محمد بن عبد الله . . .	٣٥٣	اللَّهُمَّ هُوَ لَاءَ . . .
١٦٥	أنا محمد النَّبِيُّ الْأُمِّيَّ . . .	٣٥٩، ٣٣٣	اللَّهُ اللَّهُ فِي أَصْحَابِي . . .
٢٠١، ١٠٢	أنا محمد وأنا أحمد . . .	١٥٢	أما ترضى أن تكون لهم الدنيا . . .
١٢٧	أنا النبي لا كذب . . .	٣٢٨	أما علمت أن الإسلام يهدم ما قبله . . .
٢٠٧	أنا ولي كل مؤمن . . .	٣٤٤	أما علمت أن الإسلام . . .
١٢٢	أنا وهو كنا أحوج . . .	٤٣٦	أما والله إنني لأتقاكم لله . . .
١٨١	أنا سيّد ولد آدم . . .	١٠١	أما أنا فلا أكل متكئًا . . .
٤٣٠	أنت مع من أحببت . . .	١٨٤	أمامكم حوضي كما بين جرباء . . .
٣٢٧	أنتم أعلم بديناكم . . .	٢٠٢	أمّتي أمة مرحومة . . .
١٨٥	أنزلت علي سورة أنفًا . . .	٧٩	أم القرآن هي السبع المثاني . . .
٣٥١	أنشدكم الله في أهل بيتي . . .	٥٠٥	أمر بقتل ابن خطل . . .
٢٥١	انطلق إلى هاتين الشجرتين . . .	٥٠٥	أمر بقتل أبي رافع . . .

الصفحة	طرف الحديث	الصفحة	طرف الحديث
١٥٦	... إنَّ أوَّل زمرة يدخلون ...	٢٤٨	انطلق فزودهم ...
٣١٩	... إنَّ بني إسرائيل افترقوا ...	١٢٦	أنفق بلال ولا تخش ...
٢٨١	... إنَّ بينك وبينها بابًا مغلقًا ... حذيفة	٢٥٠	انقادي علي بإذن الله تعالى ...
٣٠٣	... إنَّ جبريل كان يعرض ...	٤٥٩	إن تغفر اللُّهُمَّ تغفر جمًا ...
٢١٤	... إنَّ الحمد لله نحمده ...	٢٥٢	إن دعوت هذا العذق ...
٢٠٧	... إنَّ خلق أحدكم يجمع في بطن أمه ...	٤٥٨	إن قرصتك نملة أحرقت ...
٢٧٦	... إنَّ الدنيا حلوة خضرة ...	١٥٠	إن كان آل محمد ليمكثن شهرًا ...
٣٢٨	... إنَّ الدين النصيحة ...	٣٣٥	إن كنت تحبني فأعدِّ للفقر ...
١٣٨	... إنَّ الرفق لا يكون في شيء ...	٤٩٢	إنَّا معشر الأنبياء يضاعف لنا ...
٢٩٧	... إنَّ الزمان قد استدار ...	٩٨	إنَّ الله اصطفى من ولد آدم إبراهيم ...
٣٠١	... إنَّ الشيطان تفلَّت علي ...	٩٨	إنَّ الله خلق الخلق فجعلني ...
٤٠٦	... إنَّ الشيطان عرض لي فشد علي ...	١١٦	إنَّ الله ربي يأمرك أن تصل ...
٤٦٣	... إنَّ الشيطان يجري من ابن آدم ...	١٦٧	إنَّ الله فضل محمدًا علي أهل ...
٣٠٤	... إنَّ عبدًا خيره الله ...	١٦٦	إنَّ الله قد حبس الفيل ...
٤٠٦	... إنَّ عدوَّ الله إبليس ...	٤٣٨	إنَّ الله وضع عن أمتي الخطأ ...
٤٩١	... إنَّ عظم الجزاء مع عظم ...	٧	إنَّ الله يحب العبد التقي ...
	... إنَّ عيني تنامان ولا ينام	٢٠٣	إنَّ الله يحب من عباده الرحماء ...
٤٧٠، ٣٨٧، ١٠٢	... قلبي ...	٩٦	إنَّ الله ينهاكم عن قيل وقال ...
٣٧٦	... إنَّ لله ملائكة سياحين ...	١٣٩	إنَّ آل بني فلان ليسوا لي بأولياء ...
٥٢٦	... إنَّ من البيان لسحرا ...	٢٨٨	إنَّ ابني هذا سيّد ... الحسن
١٣١	... إنَّ من خياركم أحاسنكم ...	١٠٠	إنَّ أحب الطعام إلى الله ...
٩٥	... إنَّ من شرِّ الناس ذا الوجهين ...	٩٥	إنَّ أحبكم إليّ وأقربكم ...
٤٨٧	... إنَّ من شرِّ الناس من اتقاء ...	١٤٨	إنَّ أحسن الحديث كتاب الله ...
٢٨٣	... إنَّ هذا الأمر في قريش ...	١٤٨	إنَّ أحسن الهدى هدي محمد ...
٢٩٣، ١١٩	... إنَّ هذا اخترط سيفي ...		إنَّ أولى الناس بي أكثركم علي
٤٠٩	... إنَّ هذا واد به شيطان ...	٣٧٢	صلاة ...

الصفحة	طرف الحديث	الصفحة	طرف الحديث
١٦٥	إني فرط لكم وأنا شهيد عليكم . . .	٢٨٣	إنك أول أهلي لحوقاً بي . . . فاطمة
١٣٧	إني لأدخل الصلاة فأريد . . .	٤٢٥	إنكم تختصمون إلي ، ولعل . . .
٩١	إني لأراكم من وراء ظهري . . .	٢٨٦	إنكم ستلقون بعدي أثرة . . .
١٥٥	إني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة . . .	٢٨٤	إنكم في نبوة ما شاء الله . . .
٣٩٢	إني لأسمع صوتاً وأرى ضوءاً . . .	٤٣٩	إنما أنا بشر أنسى كما تنسون . . .
٤٧٦	إني لأمزح ولا أقول إلا الحق . . .	٤٢٥	إنما أنا بشر إذا أمرتكم . . .
٣٨٧	إني لست كهيتكم . . .	٤٧	إنما أنا رحمة مهداة . . .
١١٨، ٤٧	إني لم أبعث لعاناً . . .	١٤١، ١٠٢	إنما أنا عبد آكل كما يأكل . . .
١٧٠	أوتيت بالبراق . . .	٥٠٨	إنما بعثتم ميسرين . . .
٣٧٢	أولى الناس بي يوم القيامة . . .	١٦٠	إنما الكريم ابن الكريم . . .
٣٠٣	أي خديجة والله لا أعبد اللات . . .	٣٨٣	إنما المدينة كالكبير . . .
١٣٦	إياكم والوصال . . .	٣٨٨	إنه شهد بدرًا . . .
٢٨١	أيتكن صاحبة الجمل . . .	٤٣٩، ٣٩٢، ١٥٥	إنه ليغان على قلبي . . .
١٣٧	أيما رجل سبته أو لعنته . . .	٢٨٢	إنه من أهل النار . . .
٣٧٥	أيما قوم جلسوا مجلساً فلم يصلوا . . .	٤٦٣	إنها صفية . . .
٤٨٧	بئس أخوة العشيرة . . . أو ابن العشيرة	١٣٩	إنها كانت تأتينا أيام خديجة . . .
٥٠	بئس خطيب القوم . . .	٤٠٧	إنها من الشيطان . . . اللد
٤٢٨	بئسما لأحدكم أن يقول : نسيت . . .	٤٣٥	إني أخشاكم وأعلمكم بحدوده . . .
٣٧٥	البخيل كل البخيل من ذكرت عنده . . .	١٩٢، ١٥٣	إني أرى ما لا ترون . . .
٨٠	بُعثت إلى الأحمر والأسود . . .	٢٥٦	إني أعرف حجراً بمكة . . .
١٦٥	بُعثت بين يدي الساعة . . .	٤٠٢	إني إنما أقضي بينكم . . .
٢٨٩	بُعثت زيدا وجعفرًا . . .	١١٣	إني أود أن يخرج الله من أصلابهم . . .
١١١	بُعثت لأتمم مكارم الأخلاق . . .	٣٥٢	إني تارك فيكم ما إن تمسكتكم به . . .
٩٨	بُعثت من خير قرون آدم قرناً . . .	١٣٣	إني حاملك على ولد الناقة . . .
٢٤٩	بقيت أنا وأنت . . .	١٣٧	إني دخلت الكعبة ووددت . . .
٣٤٣	بل هو من أهل الجنة . . . ثابت بن قيس	١٦٦	إني عبد الله وخاتم النبيين . . .

الصفحة	طرف الحديث	الصفحة	طرف الحديث
١٤٠	خير بين أن يكون نبياً . . .	١٢٦	بهذا أمرت . . .
	خُيِّرَ بين أن يدخل نصف أمتي	١٩٦	بينما أنا أسير في الجنة . . .
١٩١	الجنة . . .	٢٥٩	بينما راع يرعى . . .
١٩٨	ذاك إبراهيم . . .	٧٨	بينما رسول الله بين أظهرنا إذ أغفى . . .
١٦٥	رأيت ربي عزَّ وجلَّ . . .	٢٧٦	تتركون المدينة على خير . . .
١٧٦	رأيت ربي في أحسن صورة . . .	٤٨٣	تربت يمينك . . .
١٥٧	رأيت موسى . . .	١٠٣	تزوجوا الولود . . .
١٠٧	رب أشعث أغبر . . .	٤٩٨	تسموا باسمي . . .
٢٠٣	الراحمون يرحمهم الرحمن . . .	٣٨٢	تفتح العراق، والمدينة خير لهم . . .
٤٤١	رحم الله فلاناً لقد أذكرني . . .	٢٧٥	تفتح اليمن وتفتح الشام . . .
٢٩٦	الرؤيا ثلاثة . . .	٢٧٨	تقوم الساعة والروم أكثر . . .
٢٩٦	الرؤيا على رجل طائر . . .	٢٨٢	تقتلك الفئة الباغية . . . عمار بن ياسر
٣٦٨، ٢٧٥	رغم أنف رجل ذكرت عنده . . .	١٠٣	تناكحوا تناسلوا . . .
١٤٤	زن وأرجح . . .	٣٨٢	الجنة تحت ظلال السيوف . . .
٢٩٧	زواياه سواء . . . الحوض	١٠٥	حبب إلي من دنياكم النساء . . .
٢٢٨	زويت لي الأرض . . .	٩٦	حمي الوطيس . . .
٢٤٨	زودهم . . . قاله لعمر	١٨٣	حوضي مسيرة شهر . . .
٢٩٧	سبأ رجل ولد عشرة . . .	٤٦	حياتي خير لكم وموتي خير لكم . . .
٢٩٠	سحر رسول الله ﷺ . . .	١٣٢	خدمت رسول الله عشر سنين . . .
٩٧	السعيد من وعظ بغيره . . .	٢٩٨	خصلتان لا يحافظ عليهما مسلم إلا . . .
٢٨٥	سيكون في أمتي ثلاثون . . .	١٦٠	خفف على داود القرآن . . .
٢٧٣	شاهت الوجوه . . .	٢٨٢	الخلافة في قريش . . .
٣٢٥	صلاة السفر ركعتان . . .		خيركم قرني ثم الذين
٣٨١	صلاة في مسجدي هذا . . .	٥٥٥، ٢٨٥	يلونهم . . .
٢٤٩	ضعه وادعولي فلاناً . . .	٢٩٦	خير الحجامة يوم سبع عشرة . . .
٩٦	الظلم ظلمات يوم القيامة . . .	٢٩٦	خير ما تداويتم به السعوط . . .

الصفحة	طرف الحديث	الصفحة	طرف الحديث
...	قولوا: اللّهُمَّ صلّى على محمد...	١٤٩	عشر من الفطرة...
٣٧١	أبو مسعود	٤٤٨	عفا الله لكم عن صدقة...
...	قولوا: اللّهُمَّ صلّى على محمد...	٤٨٣	عقرى حلقى...
٣٧١	كعب بن عجرة	٣١٧	عليكم بسنتي وسنة...
...	قولوا: اللّهُمَّ صلّى على محمد...	١٣٨	عليك بالرفق...
٣٧١	أبو سعيد الخدري	٢٩١	عمران بيت المقدس...
١٢٤	كان أجود الناس...	٥٥٤، ٥١١	فاطمة بضعة مني...
١٥٥	كان أحب الطعام إليه...	١٧٢	فرج مقف بيتي...
١٨٨	كان أحب الناس إليه فاطمة...	١٠٦	فُضِّلَت على الناس بأربع...
١٢٤	كان أحسن الناس خلقًا...	٢٩٧	في العود الهندي...
١٢٨	كان أحسن الناس وأجود...	٢٨٦	في هذه الأمة خسف...
٣٧٧	كان إذا أتاه قوم بصدقتهم...	٤٩٢	قاربوا وسدّوا...
٤٣٥	كان إذا أراد غزوة ورى...		قال سليمان: لأطوفن
١٣٨	كان إذا أُوتِي بهدية...	٤٥٦، ١٠٦	الليلة...
١٣٠	كان إذا بلغه عن أحد ما يكرهه...	١٨٥	قال الله: إذا تقرّب إليّ عبدي...
١٤٧	كان إذا جلس...	٤٥٤	قال الله: أعددت لعبادي...
٣٦٩	كان إذا دخل المسجد...	١٥٥	قام بآية ليلة...
٣٧٣	كان إذا ذهب ربع الليل...	٢٧٤	قام فينا رسول الله ﷺ...
٨٩	كان إذا مرّ في طريق...		قام موسى خطيبًا، وفيه: بل عبدنا
٨٨	كان أزهر اللون...	٤٣١	خضر...
١٢٩	كان أشد حياء...	١٣٦	قد رأيت الذي صنعتم...
١٣٥	كان أشد حياء...	١٨٦	قد سمعت كلامكم...
١٣٢	كان أوسع الناس صدرًا...	٣٥٥	قدموا قريشًا ولا تتقدّموها...
٦٤	كان خلقه القرآن...	١٣٤	قم أبا تراب... سيّدنا عليّ
٥٤٤	كان رجل فيمن كان قبلكم...		قولوا: اللّهُمَّ صلّى على محمد...
١٥١	كان فراشه الذي ينام عليه...	٣٧١	أبو حميد

الصفحة	طرف الحديث	الصفحة	طرف الحديث
٢٦٩	كل بيمينك . . .	١٤٣	كان في بيته في مهنة أهله . . .
٤٢٤، ٢٧٩	كيف بك إذا أخرجت . . .	١٥٤	كان عمله ديمة . . .
٤٦٩	كيف يفلح قوم آدموا . . .	٩٥	كان للنبي قذح . . .
١١٧	كيف يفلح قوم شجوا نبيهم . . .	٤٢١	كان منا رجل قد قرأ القرآن . . .
٤٧٥	لأحملنك على ولد الناقة . . .	١٥٨	كان موسى رجل حييًّا . . .
٢٦٥	لأعطين الراية رجلاً يحب الله . . .	٨٧	كان وجهه مثل السيف . . .
٢٧٦	لتتبعن سنن الذين من قبلكم . . .	١٢٧	كان لا يدخر شيئاً . . .
٢٧٧	لتفتحن مناهج من المسلمين . . .	١٥١	كان يبيت الليالي طاوياً . . .
٢٨٩	لعلك تخلف حتى ينتفع . . .	١٣٨	كان يتخولنا بالموعظة . . .
٩٠	لقد احتظرت من النار . . .	١٣٢	كان يجيب من دعاه . . .
٢٧٥	لقد تركنا رسول الله ﷺ . . .	١٤٨	كان يحدث الحديث لو عدّه . . .
١٣٦	لقد رأيت مكانكم . . .	٣٦٥	كان يخرج إلى البقيع . . .
١٧٤	لقد رأيتني في الحجر . . .	١٤٢	كان يدعى إلى خبز الشعير . . .
١٦١	لقد كان الأنبياء . . .	٣٥٧	كان يزور أم أيمن . . .
٤٦٩	لقد كان من قبلكم ينشر . . .	١٥٤	كان يصوم من الشهر حتى نرى . . .
١٢٨	لقد وجدناه بحرًا . . .	١٥٥	كان يطوف على نسائه بغسل . . .
١٩٥	لكل نبي دعوة . . .	٣٦٧	كان يعلمنا التشهد . . .
١١٣	لم أهم بشيء مما كانت الجاهلية . . .	١٣٥	كان يغسل من وراء الحجرات . . .
١٢١	لم ترع لم ترع . . . ولو أردت . . .	١٣٢	كان يقبل الهدية . . .
٤٤	لم تكن للعرب قبيلة . . . إلا المودة	٢٥٣	كانت تبكي على ما كانت . . .
٦٩	لم يبعث الله نبيًّا . . .	٣١٥	كل أمتي يدخلون الجنة . . .
١٠٠	لم يجمع له عشاء ولا غداء . . .	٣٢٧	كل ذلك لم يكن . . .
٤٣	لم يكذب إبراهيم إلا ثلاث . . .	١٦٦	كل نبي أعطي سبعة نجباء . . .
١٣١	لم يكن فاحشًا . . .	١٦٢	كنت نبيًّا وآدم . . .
٢٩١	لما كذبتني قريش . . .	٣٧٩	كنت نهيتكم عن زيارة القبور . . .
٢٣٢	لو أن اليهود تمثوا الموت . . .	١٢٨	كنا والله إذا حمي الوطيس . . .

الصفحة	طرف الحديث	الصفحة	طرف الحديث
٢٧٨	لا تقوم الساعة حتى يتقارب . . .	١٥٢	لو تعلمون ما أعلم لضحكتم . . .
١٤٠	لا تقوموا كما تقوم الأعاجم . . .	٢٩٥	لو دنا مني لأخذته . . .
٣٣١	لا تلعبه فإنه يحب الله ورسوله ﷺ . . .	١٣١	لو قلتم له يغسل هذا . . .
٢٤٦	لا تنزلن برمتكم ولا تخيزن . . .	٤٧٨	لو كنتم رسول الله شيئاً لكنتم . . .
١٣٦	لا تواصلوا . . .	٣٧٨، ١٨٧، ١٨٦	لو كنت متخذاً خليلاً . . .
١٢٠	لا لئلا يتحدث الناس أن محمداً . . .	٢٥٤	لو لم أحتضنه لحنن إلى يوم . . .
٥١٤	لا نبي بعدي . . .	٢٤٥	لو لم تكله لأكلتم . . .
٢٨٥	لا يأتي زمان إلا والذي بعده شر . . .	١٣٦	لولا أن أشق على أمتي . . .
٣٢٥	لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب . . .	٢٠٠	لي خمسة أسماء . . .
٥١٥	لا يبع حاضر لباد . . .	٢٧٦	ليتمن هذا الأمر حتى . . .
٣٥٣	لا يحبك إلا مؤمن . . .	٣٨٩	ليس الخبر كالمعاينة . . .
٤٨٥	لا يحكم أحدكم بين اثنين . . .	٤٥	ليس في آبائي من سفاح . . .
٣٨٣	لا يخرج أحد من المدينة . . .	٤٨٣	لا أشبع الله بطنه . . .
٢٣٥	لا يخلق على كثرة الرد . . .	٣١٨	لا ألفين أحدكم متكئاً على أريكته . . .
٢٧٩	لا يزال أهل الغرب . . .	٥٥٥، ٣٥٥	لا تؤذيني في عائشة . . .
١٨٨	لا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل . . .	٢٩٤	لا تحزن إن الله معنا . . .
٢٨٣	لا يزال هذا الأمر في قريش . . .	٤٩٩	لا تذهب الدنيا حتى يملك . . .
٣١٠	لا يسمع بي أحد من هذه الأمة . . .	٢٨٠	لا تزال طائفة من أمتي . . .
٣٨٢	لا يصبر على لأوائها . . .	٣٥٩	لا تسبوا أصحابي . . .
٢٦٠	لا يصح لبشر أن يسجد لبشر ولو . . .	٣٨١	لا تشد الرحال . . .
	لا يقولن أحدكم ما شاء الله وشاء	٢٨١	لا تصيبكم فتنة ما دام فيكم . . .
٥٠	فلان . . .	١٤١	لا تطروني كما أطرت النصارى . . .
٩٧	لا يلدغ المؤمن من جحر . . .	١٤٣	لا تفضلوا بين الأنبياء . . .
	لا ينبغي لعبد أن يقول أنا خير من	٢٧٨	لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا الترك . . .
١٤٢	يونس . . .	٢٩٠	لا تقوم الساعة حتى تقتل . . .
١٠٩	مات ودرعه مرهونة . . .	٢٨٤	لا تقوم الساعة حتى تلحق قبائل . . .

الصفحة	طرف الحديث	الصفحة	طرف الحديث
١٢٤	ما سُئِلَ عن شيء فقال: لا . . .	١٤٩	ما أكل آل محمد أكلتين . . .
١٠٩	ما يسرّني أن لي أحدًا ذهبًا . . .	١٥١	ما أكل على خوان . . .
١٤٩	ما شبع رسول الله ثلاثة أيام . . .	١٣٤	ما التقم أحد أذن رسول الله ﷺ . . .
١٠١	ما شبع رسول الله من خبز شعير . . .	١٣٠	ما بال أقوام قالوا كذا . . .
٧٨، ٣٢	ما شممت عنبرًا ولا مسكًا . . .	١٣٠	ما بال أقوام يرغبون . . .
١٢٦	ما عندي شيء فإذا جاءنا . . .	١٣٠	ما بال أقوام يشترطون . . .
	ما غرت على أحد ما غرت على	٣١٨	ما بال قوم قالوا . . .
١٣٩	خديجة . . .	١٥٧	ما بعث الله من بعد لوط . . .
٣٠٤	ما قبض الله نبيًا إلا في الموضع . . .	٥١٩، ٥١٨	ما بعث الله نبيًا إلا رعى . . .
	ما كان يفضل عن أهل بيت	٣٣٠	ما بين بيتي ومنبري روضة . . .
١٠١	رسول الله ﷺ . . .		ما بين السماء والأرض إلا يعلم أنني
١٤٦	ما مست يده يد امرأة . . .	٢٦١	رسول الله . . .
٢٩٧، ٩٩	ما ملأ ابن آدم وعاءًا شراً . . .	٢٩٨	ما بين المشرق والمغرب قبلة . . .
٢٦٩	ما منعه إلا الكبر . . .	١٥٠	ما ترك رسول الله إلا دينارًا . . .
٤٥٩	ما من أحد إلا وقد أخطأ . . .	٤٠٢	ما ترون في هؤلاء الأسارى . . .
٣٧٦	ما من أحد يسلم عليّ . . .	١٢٣	ما تقولون وما تظنون أنني فاعل . . .
٤٩٣	ما من مصيبة تصيب . . .	١٣٣	ما حججني رسول الله منذ أسلمت . . .
٤٩٣	ما من مسلم يصيبه أذى . . .	٥٨	ما خلق الله وما ذرأ أكرم على الله . . .
٤٠٧	ما من مولود يولد إلا ويطعن الشيطان . . .	١١٧	ما خير بين أمرين إلا اختار . . .
٣٠٨، ١٦٥	ما من نبي من الأنبياء . . .	١٠٧	ما ذئبان جائعان أرسلا . . .
٤٠٥	ما منكم من أحد إلا وكل به . . .	٩٣	ما رأيت أحدًا أسرع . . .
١١٣	ما هممت بشيء . . .	١٢٨	ما رأيت أشجع ولا أنجد . . .
٤٩١	ما يزال البلاء في العبد . . .	٨٧، ٨٦	ما رأيت شيئًا أحسن . . .
٤٩٣	ما يصيب المسلم من نصب . . .	٨٧، ٨٦	ما رأيت من ذي لمة . . .
٣١٥	مثلي ومثل ما بعثني الله به . . .	٤٩١	ما رأيت الوجع على أحد . . .
٣١٥	مثلي ومثل الأنبياء . . .	٢٦٧	مازلنا أعزّة منذ أسلم عمر . . .

الصفحة	طرف الحديث	الصفحة	طرف الحديث
١٤٢	من قال: أنا خير من يونس . . .	٤٩٤	مثل المؤمن مثل خاماة الزرع . . .
٣٧٤	من قال حين يسمع المؤذّن . . .	٥٥٣	المراء في القرآن كفر . . .
٣٧٤	من قال حين يسمع النداء . . .	٩٤	المرء مع من أحب . . .
٥٥٣، ٢٠٧	من كنت مولاه فعليّ مولاه . . .	١٣٤	مر علينا النبي في نسوة فسلم . . .
٥٠٥	من لكعب بن الأشرف . . .	٢٥٢	مرها فلترجع . . . الشجرة
٤٩٣	من يرد الله به خيراً يصب منه . . .	٤٩٦	مستريح ومستراح منه . . .
٢٩٣	من يمنعك مني . . .	٩٥	المستشار مؤتمن . . .
٤٩٥	موت الفجأة راحة للمؤمن . . .	٩٤	المسلمون تتكافأ دماؤهم . . .
٩٠	نام حتى سمع له غطيظ . . .	٣٢٧	من أحبني وأحب هذين . . .
٩٥	الناس معادن . . .	٣٥٥	من أحبني . . .
٢٨٧	ناس من أمتي عرضوا علي . . .	٣٣٢	من أحبهما فقد أحبني . . .
٢٠٧	نحن الآخرون السابقون . . .	٤٩٦	من أحب لقاء الله أحب الله . . .
٣٩٠	نحن أحق بالشك من إبراهيم . . .	٣٢٣	من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه . . .
١٦٤	نصرت بالرعب . . .	٣٦١	من أحدث فيها حدثاً . . .
٢٨٩	نعى النجاشي يوم مات . . .	٣٨٣	من استطاع أن يموت بالمدينة . . .
١٠٣	نهى عن التبثّل . . .	٣٢٨	من أشد أمتي لي حبّاً . . .
١٤٨	نهى عن النفخ في الطعام . . .	٤٨٤	من أصاب من ذلك شيئاً . . .
٢٨٨	هاجت لموت منافق . . .	٣١٥	من أطاعني فقد أطاع الله . . .
١٠٥	هذا أزكى وأطيب . . .	٣٥٥	من أهان قريشاً أهانه الله . . .
٢٨٨	هذا مصرع فلان . . .	٥٢٩	من بدل دينه فاقتلوه . . .
٣٤٦	هذا ممن قضى نحبه . . .	٣٦١	من حلف على شيء كاذباً . . .
٩٢	هذه الشياطين يحومون . . .	٥٤٢	من خالف الجماعة قيد شبر . . .
٢٨٦	هلاك أمتي على يدي غليمة . . .	٣١٨	من رغب عن سنّتي فليس منّي . . .
١٥٠	هلك رسول الله ولم يشبع . . .	٣٧	من سئل عن علم فكتمه . . .
٣٢٤	هلك المتنطعون . . .	٣٧٢	من صلّى عليّ صلاة صلّى الله . . .
٤٣٥	هلا أخبرتها أنّي أقبل وأنا صائم . . .	٣٢٣	من عمل عملاً ليس عليه أمرنا . . .

الصفحة	طرف الحديث	الصفحة	طرف الحديث
٢٧٢	ويل للناس منك . . .	٣١٢	هلا شققت على قلبه . . .
٧٧	يا أبا بكر، ما ظنك باثنين . . .	٢٩٠	هل لك إلى أن أشمك . . . تربة الحسين
١٣٣	يا أبا عمير، ما فعل النغير . . .	٢٥٠	هل لك إلى خبر هذه . . . الشجرة
٢٩٣	يا أيها الناس، انصرفوا فقد عصمني . . .	٤٧٩	هلموا أكتب لكم . . .
٢٤٢	يا جابر، ناد الوضوء . . .	٥٣٤	هم شر البرية . . . الخوارج
٢٧٣	يا جرير، ألا تريحني . . .	٣٨١	هو مسجدي هذا . . . يعني الذي
٢٨١	يا عثمان، إنه لعل الله يُقَمِّصُكَ . . .	١٧٥	أسس على التقوى
١٤٩	يا غلام، سمَّ الله . . .	٩٧	واعلموا أنكم لن تروا ربكم حتى
١٠٧	يا مسكينة، عليك السكينة . . .	١٧٥	تموتوا . . .
١٠٣	يا معشر الشباب، من استطاع . . .	٩٧	والله إنك لخير أرض الله . . . مكة
٢٧٩	يتقارب الزمان . . .	٤٢٥	والله لا أحلف على يمين . . .
١٩٢	يجمع الله الأولين والآخرين . . .	٤٣٥	والله لا ألبسها أبدًا . . . الخاتم
١٩١	يجمع الله الناس في صعيد واحد . . .	٤٤٢	والله ما صلينا بعد . . .
٣١٢	يخرج من النار من كان في قلبه . . .	٢٧٦	والله ما الفقر أخشى عليكم . . .
٥٤	يدعى نوح يوم القيامة، فيقال له: . . .	٢٧٦	والذي نفسي بيده لا يدخل قلب
٢٧٨	يذهب الصالحون الأول فالأول . . .	٣٥٤	رجل . . .
٥٠٨	يسرّوا ولا تعسّروا . . .	٢٨٨	والذي نفسي بيده لو كان الإيمان . . .
٤٣٥	يعمد أحدكم إلى حزمة من نار . . .	١٩٦	الوسيلة أعلى درجة في الجنة . . .
٢٧٧	يغدو أحدكم في حلّة . . .	٢٨٣	ولئن أدبرت ليعقرنك الله . . .
٢٨٠	يقتتل عند كنزكم ثلاثة . . .	٣٧٣	وما يمنعني وقد خرج جبريل . . .
٢٨٣	يكون في ثقيف كذاب . . .	١١٨	ويحك فمن يعدل . . .
٢٥٧	يمجد الجبار نفسه . . .	١٢٤	ويحك يا أبا سفيان . . .
٢٨٥	يوشك أن يكثر فيكم العجم . . .	٨٩	ويل لك من الناس وويل للناس . . .
٢٤٣	يوشك يا معاذ إن طالت بك . . .	٢٧٩	ويل للعرب . . .



أحاديث لا تدخل تحت الحروف مرتبة على الموضوعات

الصفحة	طرف الحديث	الصفحة	طرف الحديث
٣٠٤	حفظه من كشف عورته		أسباب النزول:
٢٥٨	قصته مع بحيرا الراهب	١٤٦، ٥٦	الأنعام
١١٥	بدء الوحي	٧٧، ٧١	الأنفال
٢٢٣	قراءته القرآن على الوليد	١٧٥	الإسراء
٢٣٤	سماع الكفار القرآن	٤١٢	الحج
٤١٣	سجود المشركين معه في سورة النجم	١٢٣	الفتح
١٢٢	إذابة الكفار له	٣٤٣	الحجرات
٤٠١	وقوفه بعرفة بدل المزدلفة قبل الهجرة	١٧٥	النجم
٢٢٧	إسلام أبي ذر	٢٣٣	الطور
١٦٨	شق صدره الشريف	٢٢٦	المزمل
٧٧	الهجرة النبوية	١٩٧، ٦٠	الضحى
٢١٤	ظهور نبوته		السيرة النبوية:
٢١٤	إسلام عبد الله بن سلام		رضاعه عند حليلة
٢٣١	سؤال اليهود عن الروح	٣٠٣	بناء الكعبة ووضع الحجر الأسود
٢٣١	سؤالهم عن الرجم		في موضعه
٢٣١	سؤالهم عما حرم إسرائيل	١٤٥	

الصفحة	طرف الحديث	الصفحة	طرف الحديث
١٥٥	بكائه في الصلاة	٣٤٥	قصة الحديدية
٤٤٠	سهوه في صلاته	٤٤٩	أسارى بدر
١٤٨	صفة كلامه	١٤٢	فتح مكة المكرمة
٣٣٤	محبه للدباء	١٢٦	رده سبي هوازن
١١٠	ملايسه	١٤٦	مكاتبته الملوك
٢٦٧، ٢٧٢	دعواته وبركاته	٤٤٢	شغله يوم الخندق عن الصلوات
٢٦٦	استجابة دعوة سعد بن أبي وقاص	٣٣١، ٢٣٢	قصة المباهلة مع النصارى
	اتباع الصحابة لهديه وشدة محبتهم		
٤٣٥، ٣٣٥، ٣٣٤، ٣٢٤، ٣٢٠	له		فضائله ومعجزاته وصفاته:
٣٤٥، ٣٣٥	تبركهم بأثره	١٦٧	تفضيله على أهل السماء والأرض
٣٤٥	تأديبهم معه	١٦٨	اصطفاء الله إياه
		١٩١، ١٩٠	المقام المحمود
	الوفاء النبوية:	٢٧٤	إخباره بالمغيبات
	سماع الصحابة هاتفاً يتكلم: لا	٢٨٤	إخباره بأويس القرني
٣٠٥	تزعوا قميص رسول الله ﷺ	٢٨٤	إخباره بالملوك الذين يؤخرون الصلاة
٣٦٩	صلاة الصحابة عنيه أفراداً	٥٣٤، ٢٨٦	إخباره بالخوارج
	منوعات:	٩٢، ٨٨، ٨٦	شمائله وصفاته
١١٣	قصة داود وسليمان في قضائهما	١٣٢، ١١٠، ٩٣	
٩٢، ٩١	رؤية الملائكة والشياطين	١٣٣	أخلاقه مع الخدم والصبيان
٢٦٤	الحياة بعد الموت	١٣٣	مزاحه ومداعبته
	نحر حمزة جزوراً للإمام علي	١٣٩	رحمته بالأطفال
٥١٣	رضي الله عنهما	١٣٦، ١٢٥	جوده وسخاؤه
٥٠٥	قتل أم ولد كانت تسب النبي ﷺ	١٢١، ١٢٠	عفوه عمّن آذاه
٥٤٨	تحريق الإمام علي للمرتدين	١١٩	عفوه عن اليهود
٤٦٨	سقوط النبي عن فرس له فجحش	١٢٠، ١١٩	عفوه عمّن سحره
٤٦٩	علاجه من الأمراض	١٥١، ١٥٠	زهده في الحياة
		١٥٥، ١٥٤	طول قيامه وتهجده

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٧
المؤلفات في السيرة والشمال والخصائص	٨
ترجمة القاضي عياض	١١
الشفاء وما قيل فيها	١٥
خلاصة الشفاء وما فيها من كتب وفصول	١٧
جملة ما في الكتاب من أحاديث مطعون فيها بالوضع والنعارة	٢٢
منهج التهذيب	٢٩
خطبة الشفاء لعياض	٣٣
القسم الأول من الكتاب: في تعظيم العلي الأعلى لقدر نبينا ﷺ	
قولاً وفعلاً	٤١
الباب الأول: في ثناء الله تعالى عليه	٤٣
بعثته رحمة للعالمين	٤٦
تسميته في القرآن نوراً	٤٧
شرح صدره ورفع ذكره	٤٨
جاء بالصدق وصدق به	٥١
صفاته في القرآن والتوراة	٥٢
خطاب الله إياه مورد الملاطفة	٥٥

٥٧	قسمه تعالى بعظيم قدره ﷺ	4
٥٨	قسمه تعالى بالقرآن على أنه من المرسلين	
٥٩	قسمه بالضحى . . على أنه ما تركه وما قلاه	
٦١	سورة النجم وما انطوت عليه من فضائل وخصائص	
٦٢	قسمه بالنجوم . . على صحة القرآن وأنه ﷺ ليس بمجنون	
٦٣	قسمه بالقلم . . على تبرئته من الجنون . . وأنه على خلق عظيم	
٦٨	أخذ الميثاق على الأنبياء على الإيمان به	
٧٠	رفع العذاب عن قومه بسببه	٥١٧
٧٣	سورة الفتح وما تضمنته من كرامته	٥١٨
٧٦	ما أظهره الله في كتابه من كرامته ومكانته	٥١٩
٨٢	الباب الثاني : في تكميل الله تعالى له المحاسن خَلْقًا وَخُلُقًا	
٨٥	صفته وصورته الشريفة	
٨٨	نظافته وطيب ريحه وعرقه	
٩٠	وفور عقله وقوة حواسه واعتدال حركاته وحسن شمائله	
٩٤	فصاحته وبلاغته	
٩٤	من جوامع كلمه ﷺ	
٩٧	شرف نسبه وكرم بلده	
٩٩	الأخلاق التي تدعو إليها الضرورة	
١٠٢	الأخلاق الممدوحة	
١٠٨	الأخلاق التي تختلف فيها الأحوال	
١١١	الأخلاق الحميدة والآداب الشريفة المكتسبة	
١١٤	العقل هو أصل فروع الأخلاق الكريم	

١١٦ حلمه وعفوه ﷺ
١٢٤ سخاؤه وكرمه ﷺ
١٢٧ شجاعته ﷺ
١٢٩ حياة ﷺ
١٣١ حسن عشرته وبسط خلقه ﷺ
١٣٥ شفقتة ورحمته ﷺ
١٣٨ وفاؤه وحسن عهده ﷺ
١٤٠ تواضعه ﷺ
١٤٤ عدله وأمانته وعفته وصدق لهجته
١٤٧ وقاره ومروءته وحسن هديه
١٤٩ زهده ﷺ في الدنيا
١٥٢ خوفه من ربه وشدة عبادته
١٥٦ كل الأنبياء متصفون بصفات الكمال
١٦٢ الباب الثالث: فيما ورد من صحيح الأخبار بعظيم قدره عند ربه
١٦٨ معجزة الإسراء والمعراج
١٧٣ الإسراء كان بالجسم والروح يقظة
١٧٤ الخلاف في رؤيته ربه ليلة الإسراء
١٧٨ المناجاة والدنو ومعنى ذلك
١٨٠ تفصيله في القيامة بخصوص الكرامة
١٨٣ حوض نبينا ﷺ
١٨٥ تفضيله بالمحبة والخلة
١٩٠ تفضيله بالشفاعة والمقام المحمود

١٩٢	حديث الشفاعة في الموقف
١٩٦	تفضيله بالوسيلة والكوثر
١٩٧	أحاديث المفاضلة بين الأنبياء
٢٠٠	أسماءه ﷺ
٢٠٤	تسميته ببعض أسماء الله الحسنى ما يجب اعتقاده في الله تعالى وفي أسمائه وصفاته وأنه عز وجل ليس
٢١٠	كمثله شيء لا في الذات ولا في الصفات ولا في الأفعال
٢١٣	الباب الرابع: فيما أظهره الله تعالى على يديه من المعجزات والخصائص
٢١٤	معنى النبوة والرسالة والوحي
٢١٧	بيان المعجزة وأقسامها
٢٢١	إعجاز القرآن وأنواعه
٢٣٨	معجزة انشقاق القمر
٢٤١	نبع المياه من بين أصابعه الشريفة
٢٤٢	تفجير الماء ببركته ومسه ودعوته
٢٤٥	تكثير الطعام ببركته ودعائه
٢٥٠	معجزته في كلام الشجر وشهادتها له بالنبوة
٢٥٣	معجزة حنين الجذع
٢٥٥	معجزاته في الجمادات
٢٥٩	معجزاته في ضروب الحيوانات
٢٦٢	معجزاته في إحياء الموتى
٢٦٤	معجزاته في إبراء المرضى وذوي العاهات
٢٦٥	معجزاته في أجابة دعواته ﷺ

٢٧٠ معجزاته في انقلاب الأعيان له
٢٧٤ إخباره بما أطلعه الله به على المغيبات وهو باب واسع رائع مطرب
٢٩٢ عصمته من الناس وكفايته من آذاه
٢٩٥ معارفه وعلومه
٣٠١ إخبار الأحبار والرهبان . . عن نبوته
٣٠٣ ما ظهر من الآيات عند ولادته
٣٠٥ خاتمة لهذه المعجزات وخلاصتها وهو نهاية القسم الأول
٣٠٩ القسم الثاني : فيما يجب على الأنام من حقوقه ﷺ
٣٠٩ الباب الأول : في فرض الإيمان به
٣١٣ وجوب طاعته ﷺ
٣١٩ ما ورد عن السلف من اتباع سنته
٣٢١ ضلال من خالف أمره وبدل سنته
٣٢٥ الباب الثاني : في لزوم محبته
٣٢٧ ما جاء في ثواب محبته ﷺ
٣٢٨ ما ورد عن السلف من محبتهم وشوقهم له
٣٣٠ علامات محبته ﷺ
٣٣٦ ما معنى المحبة للنبي وحقيقتها
٣٣٨ وجوب مناصحته ﷺ
٣٤١ الباب الثالث : في تعظيم أمره ووجوب توقيره وبره ﷺ
٣٤٤ عادة الصحابة في تعظيمه وإجلاله
٣٤٦ احترام النبي ﷺ بعد موته
٣٤٩ سيرة السلف في تعظيم رواية حديثه

٣٥١ من توقيره برّ آله وذُرِّيَّته وزوجاته
٣٥٧ من توقيره توقير أصحابه ومعرفة حقهم
٣٦٠ من إعظامه إكرام مشاهده وأمكته
٣٦٣ الباب الرابع : في حكم الصلاة والتسليم عليه وفرض ذلك وفضيلته
٣٦٥ حكم الصلاة على النبي ﷺ
٣٦٨ مواطن الصلاة عليه ﷺ
٣٧٠ كيفية الصلاة عليه وألفاظها
٣٧٢ فضل الصلاة عليه والدعاء له ﷺ
٣٧٤ ذم من لم يصلّ عليه وإثمه
٣٧٦ تبليغ الصلاة والسلام عليه من الأنام
٣٧٧ الصلاة على غير الأنبياء استقلالاً
٣٧٩ زيارة قبره وحكم ذلك وأدبها
٣٨٠ فضل مكة والمدينة والمنبر والقبر والروضة
٣٨٥ القسم الثالث : فيما يجب للنبي ﷺ في حقه وما يستحيل وما يجوز
 الباب الأول : فيما يختص بالأمور الدينية والكلام في عصمته
٣٨٨ وسائر الأنبياء
٣٨٩ عقيدة نبينا من وقت نبوته . . . والجواب عما أُورِدَ عليه في ذلك
٣٩٧ عصمة الأنبياء من الجهل بالله وما يتبع ذلك
٤٠١ الأنبياء وعلوم الدين والدنيا
٤٠٥ عصمته ﷺ من الشيطان
٤١٠ عصمته في أقواله مما سبيله البلاغ
٤١١ شبهات والجواب عنها

	قصة الغرائق وما ورد فيها وما قيل فيها وبطلانها والإشارة إلى من قال
٤١٢	ببطلانها من العلماء
٤٢٠	قصة يونس عليه السلام والجواب عما أورد عليها
٤٢١	قصة الرجل الذي أسلم ثم ارتد فمات فلفظته الأرض
٤٢٤	أخباره ﷺ في أمور الدنيا
٤٢٧	أحاديث استشكلت والجواب عنها
٤٢٧	حديث سهو في الصلاة
٤٢٩	حديث كذبات إبراهيم عليه السلام
٤٣١	حديث قصة الخضر وموسى عليهما السلام
٤٣٣	عصمة الأنبياء في جوارحهم من الفواحش والكبائر والتقصير في التبليغ
٤٣٦	الخلاف في عصمتهم قبل النبوة
٤٣٨	الأنبياء كغيرهم في عدم المؤاخذة على السهو والنسيان
٤٤٠	الكلام على أحاديث السهو مفصلة
	الخلاف في جواز صدور الصغائر من الذنوب على الأنبياء وترجيح
٤٤٤	عدم الوقوع، والرد على المعارضين
٤٤٥	حجج من أجاز الوقوع
٤٤٧	إبطال هذه الحجج
٤٥٢	الرجوع إلى قصة يونس
٤٥٣	ما قيل في قصة داود عليه السلام والجواب عن ذلك
٤٥٤	ما قيل في شأن يوسف عليه السلام مع امرأة العزيز . في الهم منه ومنها
٤٥٥	قصة موسى عليه السلام مع ملك الموت
٤٥٦	قصة سليمان عليه السلام وما قيل في الجسد

- ٤٥٨ قصة النبي الذي قرصته النملة فأحرق قريتها
خاتمة للأجوبة عما تكرر في القرآن والسنة من اعتراف الأنبياء
- ٤٥٩ بالذنوب وتوبتهم واستغفارهم وبكائهم
- ٤٦٢ خلاصة عصمة الأنبياء وخاصة نبينا من كل ما يشينهم
- ٤٦٣ من أسرار عصمة الأنبياء ووجوب اعتقاد ذلك وما فيها من الحكم
- ٤٦٤ القول في عصمة الملائكة عليهم السلام
- ٤٦٥ قصة هاروت وماروت وبطلان ما جاء فيها مما يخل بمقام الملائكة
- ٤٦٦ خلاصة قصة هاروت وماروت الباطلة
- الباب الثاني : فيما يخص الأنبياء في الأمور الدنيوية وما يطرأ عليهم
من العوارض وأنهم كغيرهم بمرضون ويجوعون ويتعبون
- ٤٦٨ ويتزوَّجون ويأكلون .. وبالتالي يموتون
- ٤٧١ الرد على من طعن في قصة سحره ﷺ وأن ذلك لا يؤثر في عصمته
- ٤٧٣ أحواله ﷺ في أمور الدنيا
- ٤٧٣ توجيه حديث : «أنتم أعلم بأمر دنياكم ..»
- ٤٧٤ قضاؤه بين الخصوم كان بحسب ما يظهر له من حجج الخصمين
- ٤٧٥ أقواله الدنيوية وإخباره عن أحواله وأحوال غيره
- ٤٧٦ قصة زيد بن حارثة مع النبي ﷺ وقوله له : أمسك عليك زوجك
- ٤٧٧ إبطال ما قيل في ذلك مما فيه طعن في مقام النبوة
- ٤٧٩ الكلام على حديث : هلموا أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده
- ٤٨٢ الكلام على ما جاء من سبه أو لعنه بعض أصحابه
- ٤٨٤ الكلام على حديث : «اسق يا زبير ..»
- ٤٨٥ أفعاله ﷺ الدنيوية

- توجيه حديث: «بئس أخو العشيرة...» ٤٨٧
- توجيه حديث بريرة: «ما بال أقوام يشترطون شروطاً ليست في كتاب الله» ٤٨٨
- الحكمة في ابتلاء الأنبياء وإجراء الأمراض وشدتها عليهم ٤٨٩
- أحاديث تحمل بشارات للمؤمن المبتلى ٤٩٢
- مثل المؤمن والكافر عند البلاء ٤٩٤
- من حكمة الأمراض بالنسبة للمؤمن ٤٩٥
- موت الفجأة بالنسبة للمؤمن والكافر ٤٩٥
- القسم الرابع: في حكم من تنقصه ﷺ أو سبّه ٤٩٧
- الباب الأول: في بيان ما هو في حقه ﷺ سب أو نقص ٥٠٠
- الإجماع على قتل من سب النبي ﷺ أو عابه أو تنقصه، وهذا الباب
- يجب الاعتناء به ٥٠١
- أدلة إيجاب قتل من سبّه أو عابه ٥٠٤
- السر في عدم قتله ﷺ من كان يؤذيه أو يسبه في حياته ٥٠٧
- من سبه أو كذبه من غير قصد يجب قتله ٥١٢
- من غرض من مرتبته أو شرف نسبه أو وفور علمه أو زهده.. قتل كذلك ٥١٢
- من قصد تكذيبه.. أو نفى وجوده كان كافراً ٥١٣
- من أتى في كلامه بمجمل من القول في حقه ٥١٤
- من ذكره ﷺ مستشهداً به على نقص ناله ونحو ذلك هو حرام أو كفر ٥١٧
- حكاية ما هو سب أو نقص في حقه ﷺ ٥٢٠
- حكاية ما يجوز عليه من الأعراض البشرية ٥٢٢
- لا تذكر أحوال النبي ﷺ إلا على وجه التعظيم ٥٢٥
- الباب الثاني: في حكم سابه وشاتمه ومنتقصه وعقوبته واستتابته ٥٢٧

٥٢٨ توبة المرتد
٥٢٩ حكم الذمي يسب النبي ﷺ
٥٣١ حكم ميراث من قتل في سب النبي ﷺ وغسله والصلاة عليه
	الباب الثالث : في حكم من سب الله تعالى وملائكته وأنبياءه وكتبه
٥٣٢ وآل بيت النبي وأزواجه وصحبه ﷺ
٥٣٣ حكم من أضاف إلى الله ما لا يليق به
	بيان ما هو من المقالات كفر وما يتوقف أو يختلف فيه وما ليس بكفر،
	وهذا الفصل مهم جدًا ينبغي الاهتمام به، لأنه يتحدث عن أشياء
٥٣٥ توجب الردة والكفر
٥٤١ القطع بتكفير الروافض الذين يقولون بأن أئمة أهل البيت أفضل من الأنبياء
	لا خلاف في تكفير من أنكر شيئاً نصَّ عليه القرآن الكريم أو أنكر الجنة
٥٤١ أو النار أو القيامة أو الحساب
٥٤٣ من أنكر صفات الله الذاتية كان كافرًا، بخلاف من جهلها
٥٤٥ حكم من نفى وجود الله أو افترى عليه أو نفى أنه خالقه
٥٥١ حكم من سب سائر الأنبياء أو الملائكة
٥٥٣ الاستخفاف بالقرآن والطعن فيه كفر بالإجماع
٥٥٤ حكم من سب آل بيت النبي وأزواجه وأصحابه ﷺ
٥٦٠ الخاتمة
	الفهارس :
٥٦١ * فهرس الأحاديث النبوية
٥٧٣ * أحاديث لا تدخل تحت الحروف مرتبة على الموضوعات
٥٧٥ * فهرس الموضوعات



تَهْذِيبُ

الْحِصَّةِ النَّبَوِيَّةِ الْكُبْرَى

لِلْحَافِظِ جَلَالِ الدِّينِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ السِّيُوطِيِّ

هَذَّبَهُ وَفَرَّجَ أَحَادِيثَهُ وَعَلَّنَ عَلَيْهِ

اَلشَّيْخُ عَبْدُ اللهِ التَّلِيذِيُّ

حَفِظَهُ اللهُ

• • • • • ۳۰

تہذیب

الخصائص النبویة الکبریٰ

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى ١٤٠٦ المغرب - طنجة
الطبعة الثانية ١٤١٠ مزيدة ومنقحة

دار البسائر الإسلامية

للطباعة والنشر والتوزيع بيروت - لبنان - ص.ب: ٥٩٥٥ - ١٤

مُقَدِّمَةُ الطَّبَعَةِ الثَّانِيَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه .

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله ولي المتقين، وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله، المبعوث رحمة للعالمين .

أما بعد؛ فإنَّ لشخصية الرسول الأعظم، عليه الصلاة والسلام، الأثر الأول في هداية الخلق إلى الحق. وقد تجسَّدتْ كمالات الكَمَل، وأخلاقُ العظماء، ونبوات الأنبياء، ونبوغات النابغين، في هذه الشخصية العملاقة، فكانت تحقيقاً لإنسانية الإنسانية، وتجليَّةً للحق والكمال والغايات التي تراد من الإنسان في حياة الأرض. هذه الشخصية العظيمة صانعة الأمم وبنانية الحضارات، هذا الإنسان العملاق وهذا النبي العبقري، داعيةُ الخير والحق والكمال، طريق كل كمال ومعلم كل فضيلة وملهم كل حقيقة؛ تداخلت في حياته وشخصيته مظاهر التضج والكمال والتربية والترشيد، فلسيرته وأخلاقه وتاريخ جهاده ومعالم نبوته ومعجزاته وخصائصه، الدور الأول في بناء الإنسان وترشيده وتوجيهه للخير وربطه بالسماء، فهو واسطة السماء بالأرض وطريق الوحي إلى البشرية، ففي معرفته والوقوف على جوانب عظمته ومظاهر كمالاته، تبصير للإنسانية بعد شرود، وربط لها بالحقائق العليا بعد ضياع، وتربية لها وبناء على الأسس الصالحة والتماسكة، وتوجيه في الدرب المستقيم بعد انحراف واعوجاج .

وقد تناولتها أقلام العلماء عبر العصور والأجيال، وكتبوا المجلدات والأسفار، وجمعوا كل ما طاب لهم أن يجمعه، مما له تعلقٌ بهذه الشخصية الفذة الشامخة. فهذه الأقلام فضل على اللاحقين، فجزى الله أصحابها خيراً الجزاء وأوفاه، غير أن الذي يأسف له كثير من ذوي الغيرة والدين والعلم، ويؤلم نفوسهم، أن كثيراً من الذين كتبوا في شمائل النبي وفضائله ومعجزاته، لم يتحروا في كتاباتهم ولم يشاؤوا أن تنضبط كتاباتهم بالدقة والقواعد المقررة، وأقفرت مؤلفاتهم من التحقيق والوعي بخطورة الموضوع ومتطلباته، ولعاطفة الإكثار وشره الإغراب والتوسع، روى الأكاذيب والخرافات الزائفة وأودعوها كتاباتهم، الأمر الذي ينزه عنه أي موضوع علمي وأي كتابية واعية، فأحرى موضوع الشخصية المحمدية، وما أخطره من موضوع، وما أحوجه إلى النقل الصحيح والبحث الفقيه المتماسك، فالأحداث التاريخية لأي عصر وأي إنسان يجب أن تكون موثوقاً بها، صحيحةً يطمئن إليها القلب، فكيف بسيرة الرسول المعلم والقائد الملهم، وهي الركن الأول في طريق الإيمان، والصورة الحية العملية التطبيقية للوحي ولمراد الله من الخلق.

وقد يكون للسلف ما يبرر هذا المنحى، لا سيما وفي آراء المحدثين القدامى من يذهب إلى التساهل في موضوعات، ليست من صلب «التكليف والحلال والحرام»، والتجاوز لقواعد الصحة والثبوت في غير التشريع، من السير والأخلاق والفضائل، ويروى في هذا الاتجاه عن «سفيان الثوري» - رحمه الله -: «لا تأخذوا هذا العلم في الحلال والحرام إلا من الرؤساء المشهورين بالعلم الذين يعرفون الزيادة والنقصان فلا بأس بما سوى ذلك من المشايخ». ويذهب هذا المذهب نقاد مثل سفيان بن عيينة، وابن مهدي، وأحمد، وأكده الكثير ممن جاء بعدهم، وخصصت له كتب المصطلح أبواباً لنصرته والتدليل على صحته. لكن كل هذا الترخيص، وهذا المذهب الذي لا يرى في غير الأحكام منعاً من الأخذ بالضعيف، كل هذا إنما هو في الخبر الضعيف! أي غير الموضوع، فما بال الموضوع؟! وقد حذر منه الجميع ابتداءً من الرسول، عليه الصلاة والسلام.

وحتى الضعيف لم يترك لشأنه، بل رخصوا فيه بضوابطه وشروطه؛ التي في مقدمتها: أن لا يكون الضعف شديداً.

فالحقيقة أن الكاتبيين في الرسول الأعظم، عليه الصلاة والسلام، في بعض مؤلفاتهم منكرات وموضوعات، يكشف عنها النقد وقواعد الحديث، وللأسف فإن الشك في مثل هذه المصنفات، والاعتراض بها، حجب عن الأمة الصورة الصحيحة لرسول الله، في صفاته وأخلاقه، وملامح النبوة في حياته وجهاده، وتسقلت إلى الأمة الكثير من خرافات الإسرائيليين، وضلالات القاصرين ومفتريات الوضاعين. وهام القراء طويلاً بين أساطير الروايات التي تنتقل بالرسول من إنسانيته ونبوته المشرقة، إلى رمز للغوامض ومتجسس للغرائب، هكذا تريد بعض مؤلفات المسلمين، لرسول الله أن يعرفه الناس وأن يؤمنوا به! واختلط الأمر فلم تعرف حقيقة من افتراء، ولا معجزة من أسطورة، بله واقع من خيال.

ولا يخفى ما في هذا التجاوز للمعقول والخط في المنقول، من مفاصد تضر بالإسلام وبشخصية الرسول، وخاصة في مثل عصرنا، الذي يضج بخصوم الحق والإسلام، من مستشرقين ومستغربين، وعالم غربي، مثل: «جوستاف لوبون» لا يتوانى أن يعلن في جراءة وقحة: (إن المسلمين نسبوا إلى رسول الله خوارق كثيرة).

وضروري أن اعتقاد دين أو مذهب، أساسه المعرفة، وإذا كانت معرفة الرسول أساس الإسلام، فكيف نحلم بإسلام أكثر من نصف أهل الأرض وهم لا يكادون يعرفون عن رسول الإسلام شيئاً، أو ربما لا يعرفون عنه أكثر من ضلالات ساهم القلم المسلم في خلقها وتوفير الأجواء الفاسدة لرواجها، ليس أكثر المفتريات على رسول الإسلام، اعتمدت كتب المسلمين ونقلت عنها؟

شيء مؤسف جداً أن نرى المسلم يسيء إلى رسوله وإلى الدين الذي يحمل، ويظلم الإنسانية بصرفها عن الحق والسلام والخير، وحجب معالم الكمال والنضج المعرفي والروحي والإنساني في دين الله الإسلام.

أكثر من نصف إنسان هذا العصر، أسارى الجهل والتضليل، ومعول هذا الهدم والتضليل بيد المسلمين، حقيقة مرة!! وهم أصحاب المنهج؛ منهج النقد وتمحيص النقل والروايات، فكيف تعصف بهم هذه الأخطاء البلهاء؟! .

إذا كان للسلف عذر في هذا، فإبقاء هذه الأخطاء واستمراريتها في هذا العصر جريمة كبرى، ونحن نرى أن جوانب المعجزات والشمائل، ترتقي في هذا العصر إلى الضروريات التي لا يقبل فيها إلا الصحيح الثابت، وإذا كانت في أزمئة سابقة تتخذ في مرتبة ثانية وتمارس كمكملات أو فضائل فشيء من هذا لن يقبل في عصر الناس هذا، ولا بدّ من أن يقتنع الخصم، ولا سبيل إلى القناعة إلاّ القواعد التي تواضع عليها البحث العلمي . والمذهب الذي يرخص في الضعيف في موضوع السيرة . . لا بدّ من تجاوزه في هذا العصر والأخذ برأي يحيى بن معين والبخاري ومسلم، والذي اصطُح على تسميته بالمتشدد، والذي لا يقبل إلاّ الصحة، مهما كان الموضوع، يقول ابن حزم: (ما نقله أهل المشرق والمغرب، أو كافة عن كافة، أو ثقة عن ثقة، حتى يبلغ إلى النبي ﷺ، إلا أن في الطريق رجلاً مجروحاً بكذب أو غفلة، أو مجهول الحال، فهذا يقول به بعض المسلمين، ولا يحل عندنا القول به ولا تصديقه ولا الأخذ بشيء منه).

هذا ما يدعوننا اليوم، ويلح في الدعوة، إلى مراجعة كتب السيرة والخصائص والشمائل، وصياغتها صياغةً صحيحةً موثوقةً لتنقية هذا الركن المهم والخطير وتجليته وتوفيره للإنسانية في أسلوب علمي يتفق والمنهج في التأريخ والتوثيق، ولإنهاء هذه التضليلات التي يروّج لها أعداء الإسلام، والتي تجد في كتبنا المعين الأكبر.

وقد استخرت الله، تبارك وتعالى، في دراسة (الخصائص الكبرى) للسيوطي، وتحقيقه تحقيقاً يعتمد قواعد المحدثين ويلتزم الصحة والثابت من الروايات. والخصائص الكبرى موسوعة ضخمة في موضوع الخصائص والفضائل، هي نتاج جهود كثير من المؤلفين السابقين لزمن السيوطي،

ونقده وتمييز صحيحه من الضعيف أو الموضوع أو المنكر، يوفر كثيراً من الجهود ويقرب الطريق، وإني إذ أطمئن إلى هذا المجهود، أرى أنه مساهمة متواضعة في خدمة سيرة رسول الله وسنته، وأرجو أن ينهض إخواننا العلماء، بتكميل هذه البداية، وإغناء هذا المجهود بكثيرٍ من الجهود تحقيقاً للحق وإبطالاً للباطل. وهذا جهد المقل، فالتوفيق من الله وبيده، والخطأ مني، واللّه أسأل أن يتقبله ويتكرّم بعفوٍ منه ومغفرة، إنه المسؤول المأمول.

المؤلفات في دلائل النبوة والخصائص والفضائل

النقل والرواية ميزة هذه الأمة، والتراث الضخم الذي ورثته الجماعة المسلمة الأولى الأجيال اللاحقة، تحملته أكثر من فئة، والإطار العام لهذا التراث توزعته أنشطة الأخباريين والمحدثين، وبين الاتجاهين فوارق تتعد أحياناً وتقترب أخرى، وأهم ما يميز اتجاه المحدثين، قواعدهم في الرواية والراوي، الأمر الذي لا يلتفت له الأخباريون. وأنشطة المحدثين تتمحور في التراث الديني لهذه الأمة، وجوانب هذا التراث المختلفة، وللرسول عليه الصلاة والسلام، وتاريخ حياته، ومعجزاته وخصائصه؛ أكثر من موقع في هذا التراث. أما عند الأخباريين، فعملهم يكاد يعتمد الوعاء التاريخي للأمة، قبل إسلامها وبعد الإسلام، وكجزء من هذا التاريخ، نرى عنايتهم بسيرة الرسول ومعجزاته ﷺ. ونرى مثل (الطبقات) لمحمد بن سعد (ت ١٨٨ هـ)، أقدم وثيقة أخبارية وصلتنا، وابن سعد مرجع لكثير من كتب السيرة والأخبار، بعده، وقد خصص لمعجزات النبي عليه الصلاة والسلام: فصل: (أعلام النبوة)، وبتخصيصه هذا الفصل، أقام النواة الأولى للعناية بالمعجزات وإفرادها، وكثير من المؤلفين في المعجزات والدلائل، اعتمدوا ابن سعد واعتبروا (فصله) هذا، أصلاً لمؤلفاتهم ومرجعاً أولياً.

المحدثون:

كتب الحديث بمراتبها وتغاير صياغاتها، مرجع هام وغني في المعجزات والخصائص، وتختلف الترجمة لهذه المعجزات - في الجوامع والسنن -، والجميع يمحور عنايته ومحاولات التبويب والتصنيف الموضوعي، في (جوانب القدوة والتأسي، ومعالم النبوة والعظمة)، والروايات أكثرها مثقلة بالدلالات، وللناس في الرأي والفهم مذاهب. والبخاري محمد بن إسماعيل

(ت ٢٥٦ هـ)، في صحيحه، يترجم لكثير من الروايات في هذا: (باب علامات النبوة في الإسلام)، ومعجزات كثيرة مثل انشقاق القمر، والإسراء والمعراج، تروى ضمن تراجم أخرى غير العلامات. . ومسلم (ت ٢٦١ هـ)، في (الصحيح) يفرد لمعجزات النبي كثيراً من الأحاديث ضمن هذه الترجمة. ونجد هذه العناية عند الترمذي (ت ٢٧٩ هـ)، في آخر المناقب، من جامعه. وأصحاب السنن، أبو داود (ت ٢٧٥ هـ)، والنسائي (ت ٣٠٣ هـ)، وابن ماجه (ت ٣٧٥ هـ)، رروا جمهرة ضخمة من الأحاديث والآثار، في المعجزات والخصائص. وفي المسند، لأحمد بن حنبل (ت ٢٤١ هـ)، ما يزيد على مائتي حديث، ترجم لها الشيخ البنا في ترتيبه وشرحه للمسند. ولم تخل مصنفات المحدثين وسماعاتهم من الروايات في هذا الباب.

واتسعت المؤلفات في (الأخبار)، وتفرعت عن الحديث كتب للفقهاء والعقائد، وبقي الرسول عليه الصلاة والسلام، بمعجزاته وخصائصه، موضوعاً حساساً يتناوله أكثر من فصل. فكتب التاريخ، مثل (تهذيب الأسماء) للنووي، يسرد أكثر من خمسين معجزة، وكثيراً من الخصائص، وابن كثير في (البداية والنهاية) - الجزء السادس - يخصص قريباً من جزء للدلائل والمعجزات. وفي (التاريخ) للذهبي، (الجزء الأول) أيضاً.. والفقهاء والعقائد يعينان بهذا؛ الأول يُعنى بجوانب التأسى والأحكام الخاصة بالرسول، والعقائد؛ لاتصال المعجزات بالنبوة والرسالة. ويؤكد هذا التعدد في المجالات التي استعرضناها، مدى أهمية الموضوع وعناية العلماء به.

التصنيف في المعجزات والخصائص:

واطراداً لقاعدة النمو والنضج، وكأي موضوع تتسع جوانبه، وثبت أركانه، ويستقطب المواهب والاهتمامات، استقل موضوع المعجزات عن الكتب العامة لينفرد بكتبه وتخصص له التصنيف الجامعة، والأجزاء المتخصصة تستقصي الروايات وتوسع القول، كجزء الخرائطي في (هواتف الجان)، وهشام بن عمار في (المبعث)، وابن دحية السبتي في (المعراج)، والبيهقي في (حياة الأنبياء في قبورهم).

ونرى الذين استوعبوا المعجزات والخصائص، وقصدوا إلى جمعها، كثيرين، ابتداء من المائة الثالثة، حيث يظن أن أول كتاب في هذا الباب: (أعلام النبوة) لأبي داود، صاحب السنن. وأكثر كتب الدلائل مما لا يعرف له ذكر في جهة، غير متفرقات في الكتب المطبوعة أو المخطوطة، وفي بعضها ما هو مخطوط، ينتظر طريقه إلى الطبع والتحقيق. ونقرأ عند السخاوي في (الإعلان بالتوبيخ)، وخليفة في (كشف الظنون)، والكتاني في (الرسالة)، والزركلي في (الأعلام)، هذه الأسماء: (أعلام النبوة) لأبي داود السجستاني، (أعلام النبوة) لابن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦ هـ)، (دلائل النبوة) لابن أبي الدنيا (ت ٢٨١ هـ)، (دلائل النبوة) لأبي بكر الفريابي (ت ٣٠١ هـ) طبع، (شرف المصطفى) لأبي سعيد عبدالرحمن النيسابوري (ت ٣٠٧ هـ)، (دلائل النبوة) لثابت السرقسطي (ت ٣١٣ هـ) الجزء الثاني منه مخطوط، (دلائل النبوة) لابن فطيس (ت ٤٠٢ هـ)، (دلائل النبوة) لأبي نعيم (ت ٤٣٠ هـ) طبع مختصره، (دلائل النبوة) للمستغفري (ت ٤٣٢ هـ) مخطوط، (دلائل النبوة) لأبي ذر الهروي (ت ٤٢٤ هـ)، (دلائل النبوة) للبيهقي (ت ٤٥٨ هـ) طبع، (شفاء الصدور في أعلام نبوة الرسول) لابن سبع السبتي (ت ٥٢٠ هـ) المجلد الأول منه مخطوط، (الشفاء في حقوق المصطفى) للقاضي عياض السبتي (ت ٥٤٤ هـ) طبع، (الوفا في فضائل المصطفى) لابن الجوزي (ت ٥٩٧ هـ) طبع، (نهاية السؤل في خصائص الرسول) لابن دحية السبتي (ت ٦٣٣ هـ) مخطوط، (بداية السؤل في خصائص الرسول) لابن عبدالسلام (ت ٦٦٠ هـ) طبع، (غاية السؤل في خصائص الرسول) لابن الملغن (ت ٨٠٤ هـ) طبع، (الأنوار بخصائص النبي المختار) لابن حجر (ت ٨٥٢ هـ)، (اللفظ المكرم بخصائص النبي الأعظم) لمحمد الخيضي (ت ٨٩٤ هـ) مخطوط، (الخصائص والمعجزات) للجلال السيوطي (ت ٩١١ هـ) طبع، (المواهب اللدنية) للقسطلاني (ت ٩٢٣ هـ) طبع، (سبل الهدى والرشاد في هدي خير العباد وذكر خصائصه وأعلام نبوته) لمحمد بن يوسف الدمشقي (ت ٩٤٢ هـ) طبع بعضه. وممن ألف في الموضوع: أبو الشيخ، وابن شاهين، والماوردي، والسهمودي، وغيرهم.

الخصائص الكبرى للسيوطي

هذا التضخم في المؤلفات وفُر للعلامة جلال الدين عبدالرحمن السيوطي (ت ٩١١ هـ)^(١) - رحمه الله - فكرة جمع ما تفرق من المعجزات، فاعتنى بالبحث عنها وجمعها، عشرين سنة في كتابه (كفاية اللبيب في خصائص الحبيب) أو (الخصائص والمعجزات) كما سمّاه في «حسن المحاضرة»، فكان كتابه خلاصةً لكتب السابقين، أضاف به جديداً لكتب الدلائل، بخبرته وإطلاعه ومعرفته بالكتب، وهمته العالية.

وإذا تجاوزنا كتب المتقدمين المسندة، فإننا نرى المؤلفين في الدلائل والفضائل لا يتحرون الصحة ولا يعنون حتى بالنسبة للنقل إلى أصوله ومصادره، وكم هو البيهقي صريحاً وصادقاً في قوله: (وقد صنّف في المعجزات جماعة من المتأخرين كتباً، وأوردوا فيها أخباراً كثيرةً من غير تمييز صحيحها من سقيمها، ولا مشهورها من غريبها، ولا مروياها من موضوعها). ومثل ابن سبع الذي يكتب في أعلام النبوة والخصائص، خمسة عشر مجلداً، وابن فطيس في عشرة أجزاء، والدمشقي في أربع مجلدات، ففي هذه الكثرة ما يغني عن التعليق! ونجد النقّاد، مثل السخاوي يقول عن كتاب ابن سبع: (فيه مناكير كثيرة). لهذا فالسيوطي تناول هذه المؤلفات بقلم خبير، واعتنى بالتحريج، وأحياناً بنقد الأحاديث.

(١) راجع ترجمة السيوطي في البدر الطالع: ٣٢٨/٢، حسن المحاضرة: ١٥٣/١، إلى ١٥٨، شذرات الذهب: ٥١/٨، الأعلام: ٧١/٤، ٧٢.

مراجع السيوطي :

ولوفرة المعجزات والخصائص، كان للسيوطي عشرات الأصول التي رجع إليها، أو نقل عنها، فيها كتب السير والحديث المسندة، والتفاسير وفيها القديم، كابن مردويه وابن جرير، وكتب شروح الحديث والفقهاء، وكتب التواريخ والفتوحات، وأجزاء في موضوعات خاصة، مثل أجزاء ابن أبي الدنيا والبيهقي، ونرجح أنه استعان ببعض من ألف في الدلائل والخصائص، من المتأخرين، في النقل عن القدامى، وهو كما يبدو يتحرى كثيراً، فيراجع أصوله.

أسلوب السيوطي في تأليف كتابه :

والسيوطي جرى في ترتيب كتابه، ترتيباً زمنياً، على طريقة البيهقي، في (دلائل النبوة)، فهو يصنف المعجزات تبعاً للأحداث، ولأطوار حياة النبي عليه الصلاة والسلام، ويستطرد قبل أن ينتهي للوفاة النبوية، فيُوربُ لآيات وخصائص، بدأها بالخصائص العامة، ثم الخصائص التي فضل بها النبي العظيم، على سائر الأنبياء والمرسلين، فالخصائص التي اختص بها عن أمته، وهذه راعى فيها السيوطي التقسيم الفقهي، من الواجبات والمحرمات والمباحات.

مميزات وخصائص كتاب السيوطي :

وفي كتاب السيوطي جدّة في التوبيع، واستيعاب للأخبار، وتخريج الأحاديث والآثار، ويصرّح بنقله غالباً، كعن أبي نعيم والبيهقي وابن سبع، وابن عبد السلام، وغير هؤلاء، ويكاد يلتقي مع البيهقي، في (الدلائل...)، غير أن مميزات السيوطي ومفارقات كتابه واضحة.

الموضوعات في الخصائص الكبرى :

ولأمر ما تواطأ السابقون واللاحقون على التساهل في السيرة

والخصائص، عن قصد وبدونه، والسيوطي المحدث، والذي يقول في مقدمة كتابه: (أوردت فيه كل ما ورد، ونزهته عن الأخبار الموضوعية وما يرد)، يتابع سلفه، ويأخذه ما أخذ سابقه، ففي كتابه من الخبر الضعيف أكثر من نصف الكتاب، ومن الموضوعات والمنكرات ما لا يظن بالسيوطي، الغفلة أو التغافل، عنه.

اقرأ في هذه الأرقام من الموضوعات:

الجزء الأول: ص ٩: (كنت أول النبيين في الخلق وآخرهم في البعث)
ص ٢٠: (كتابة اسم النبي وأبي بكر وعمر وعلي، على أوراق الورد بالهند).
ص ٢١: (إن آدم نزل بالهند فاستوحش...). ص ٢٥: (لما بلغ ولد معد بن عدنان أربعين رجلاً وقعوا في معسكر موسى). ص ٢٩: (لما نزل على موسى التوراة وقرأها، وجد فيها ذكر هذه الأمة). ص ٣٣: (أوحى الله إلى موسى أنه من لقيني وهو جاحد بأحمد...). ص ١١٧، ١٢٠: (أخبار في الولادة النبوية). ص ١٢١، ١٢٢: (خبر العباس، لما ولد ولد أخي عبدالله، وهو أصغرنا، كان في وجهه نور يزهر). ص ١٣٠: (ذهاب زيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل إلى النجاشي، بعد أبرهة...). ص ٩٦: (كانت قریش نوراً بين يدي الله قبل أن يخلق آدم). ص ١٣٣: (خبر العباس في الولادة النبوية ومناجاة القمر والإشارة إليه...). ص ١٥٠: (خاتم النبوة والكتابة عليها باللحم: محمد رسول الله). ص ١٥٠: (خبر سلمان في الخاتم: مكتوب في باطنه: الله وحده لا شريك له...). ص ١٥٦: (إني كسوت حسن وجهك من نور عرشي). ص ١٥٦: (خبر عائشة: كنت أخط في السحر فسقطت الإبرة...). ص ٢١٦: (لشفتن في هؤلاء نفر، أبي وعمي أبي طالب، وأخي من الرضاعة). ص ٢١٦: (إذا كان يوم القيامة، شفعت لأبي وأمي وعمي وأخي). ص ١٧٣، ١٧٤: (أتاني جبريل بقدر فأكلت منها، فأعطيت قوة أربعين رجلاً). ص ١٧٥: (كان النبي، إذا دخل الغائط دخلت في أثره، فلا أرى شيئاً...). ص ١٩٦: (ما قالت آمنة عند موتها...). ص ٢٠٢: (سيف بن ذي يزن، وما أخبر به عبدالمطلب من أمر النبي...). ص ٢٥٦،

٢٧١ : (الهواتف ببعثة النبي ..). ص ٢٧٢ : (تنكس الأصنام، وما جرى لكسرى عند البعثة ..). ص ٣٩٥ : (الإسراء والصلاة فيه يثرب وبيت لحم وعند شجرة موسى). ص ١٩٢ : (اسمي في القرآن محمد، وفي الإنجيل أحمد، وفي التوراة أحييد). ص ٢٢٢ : (نعم المرء هو لولا أنه يمسح الأصنام). ص ٢١٤ : (فرار اليهودية من رؤية النبي، وهو غلام ..).

الجزء الثاني: ص ٨٢ : (إسلام عتبة ومعتب ابني أبي لهب). ص ١١١ : (صلاة النبي بالمدينة على معاوية بن معاوية). ص ١١٢ : (صلاته على معاوية، المذكور بتبوك صلاة الغائب). ص ٢٦٥، ٢٦٦، ٢٦٧ : (حديث الغزاة). ص ٢٧٥، ٢٧٦ : (كلام الضب وإيمانه). ص ٢٨١، ٢٨٢ : (حياة الشاب بعد موته). ص ٢٨٣ : (حياة الشاة بعد أكلها). ص ٣٠٩ : (تأمين أسكفة البيت وحيطانه لدعوة النبي مع العباس وبنيه). ص ٣٤٩ : (لقاء الخضر بالنبي). ص ٤٧٥ : (يكون في أمتي رجل يقال له وهب. ورجل يقال له غيلان). ص ٣٥٠ : (رؤية النبي لرجل من عاد، رجلاه بالمدينة ورأسه بذي الحليفة). ص ٢٧٤ : (كلام الحمار بخير مع النبي ..).

الجزء الثالث: ص ٦٤، ٦٥ : (حديث ابن عباس في استسقاء النبي). ص ٩٠ : (اختفاء النبي في إبل أبي ثروان ..). ص ٩٢ : (تزوج النبي ليلي بنت الخطيم ورجوعها في الهبة ..). ص ٩٣ : (قصة ثعلبة بن حاطب). ص ٩٤ : (خبر الغلام العاق). ص ١٥١ : (إن ربك يقول: إن كنت اتخذت إبراهيم خليلاً فإني اتخذتك حبيباً). ص ١٧٤ : (التسمي بمحمد ..). ص ١٩٨ : (قصة لطم عمر لليهودي وتحاكمهما إلى النبي ..). ص ١٢٦ : (إحياء أم النبي وإيمانها به ..). ص ١٥١ : (أعطيتك يا محمد خلتي ومحبي وكلمتك كفاحاً). ص ٣٤١ : (ينادي يوم القيامة: يا أيها الناس غُضُوا أبصاركم، فإن فاطمة بنت محمد تجوز على الصراط). ص ٣٨٥ : (قصة موت النبي وتعزية الخضر لأهل بيته).

هذا بعض من كثير من الموضوعات في كتاب الخصائص، وطبيعي أن يقع هذا في كتاب يتسع حتى (للأغاني) للأصفهاني، و(الضعفاء) لابن

عدي، وفتوح مصر، لابن عبدالحكم، وتاريخ الخطيب والحاكم وابن عساكر، فالمقرر أن في غير (الصحيحين) - سنناً ومسانيد وغيرها، الموضوع والمنكر، وهذه كتب حديث، وفيها من يتحرى الصحة، فكيف بكتب التواريخ، وكتب الرواة والقاتحين، وقد ملأها الوضاعون والضعفاء؟! .

التخريج عند السيوطي :

والتخريج عند السيوطي، تنقصه الدقة والاستيعاب، والتزام الترتيب المقرر، فهو لا يعنى بغير نسبة الحديث، مهما كان المصدر، وفي غير ضبط لمراتب التخريج، فيعزو الخبر للسنن أو المسانيد، وما دونها، والخبر متوفر في (الصحيحين) وينقل عن كتب غريبة عن اصطلاح التخريج، وما ينقله روته كتب الحديث، مثل الكتب الستة، نلاحظ هذا في الأمثلة الآتية :

(١٠/١): حديث رواه الترمذي، عزاه السيوطي للحاكم والبيهقي .
(٢١٥/١، ٢١٦): حديث رواه البخاري ومسلم، ذكر السيوطي بدله حديثاً لابن عساكر.

(٣٤٦/١): حديث رواه الترمذي، وعزاه السيوطي للطبراني .
(٣٥٩/١): حديث رواه أحمد، وعزاه لابن إسحاق، والبيهقي .
(٤٣٦/٢): حديث في البخاري، وأبي داود والترمذي، عزاه لأبي يعلى .

(٢٥/٣): حديث في البخاري ومسلم، يعدل عنه إلى الحاكم وأبي نعيم .
(٣١/٣): حديث في صحيح مسلم، يعزوه السيوطي لأحمد والحاكم وآخر مثله (٥٥/٣) .

(٦٧/٣): حديث في المسند والترمذي، عزاه للحاكم والبيهقي .

(٣١٧/٣): حديث في المسند، لأحمد، وعند أبي داود، عزاه لابن

سعد .

(٣/٣٩٩): حديث في المسند وسنن ابن ماجه، عزاه لابن سعد
والحاكم والبيهقي.

(٣/٣٦١): حديث في الصحيحين، يذكر بدله حديثاً لابن ماجه.

وانظر الباقي ١/٣٥٥، ٤٧١، ٤٨٧، ٢/٦٧، ٤٢٢، ٤٨٩، ٣/١٣،
٢٣، ٣١، ٣٤، ٣٥، ٢٠٥، ٢١٠، ٢٦٥، ٣٢٩، ٣٦٤.

تحقيق الدكتور هراس لكتاب الخصائص الكبرى

طبع كتاب (الخصائص) للسيوطي، للمرة الأولى بحيدرآباد الدكن (عام ١٣١٩)، وطبع للمرة الثانية بمصر بمطبعة المدني، وبتحقيق الدكتور محمد خليل هراس، (سنة ١٩٦٧). ونقدُ للدكتور هراس حرصه على تقييم كتاب الخصائص وتنقيته من المبالغات الكاذبة والأخبار الساقطة، إلا أن الخدمة العلمية التي كان يلح عليها كتاب الخصائص، لم يوفق لها الهراس. ونرى أن الدكتور لم يقصد من تحقيقه غير تعليقات تسلط بعض الإشعاع على أحاديث الكتاب. وفي تحقيق الهراس أخطاء في المصطلح وفي التخريج ونقد الأحاديث، ويندفع الدكتور أحياناً لسبب أو لآخر، فتساقط من قلمه تعليقات ساخرة فيها ردٌ للحديث الصحيح، واتهام للحفاظ، مثل الحاكم بالكذب. وغير هذا من السقطات، أقل ما تركه من الانطباع غربة الدكتور عن الكتابة في الحديث. ولتتابع بعض أخطاء الهراس في الأمثلة التالية:

(٧٣/٢، ٧٤): «هذا من فسر الحاكم». والفسر الكذب.

(٥٧٦/١): «فالمؤلف هنا حَرَفَ الحديث تحريفاً خطيراً». قلت: وما رآه تحريفاً، لفظ البخاري ومسلم.

(١٠/١): يتعقب السيوطي في قوله في حديث إنه مرسل: «والمرسل ما سقط منه الصحابي، والصحابي هنا مذكور». قلت: ولعله لا يدري اصطلاح المرسل الذي يراد به المنقطع.

(١٢٩/١): «لا يحتج بهذه المراسيل إلا إذا وجد لها متابع في الصحيح». قلت: تقرر في كتب المصطلح، أن الصحيح في غير الصحيحين

متوفر قريباً أو أكثر مما هو فيهما، والمتابع موضع تساهل عند العلماء، وقد لا يلتزمون فيه ما يلتزم في الصحيح.

(٣٨٩/١): «فلم يصرح فيه أنس بالتحديث عن غيره». قلت: ومرسل الصحابي صحيح، وكذا جهالته، هذا هو المقرر.

(٢٠٨/١): «وتأخر إسلام الصحابي قادح فيما رواه مما وقع قبل إسلامه». قلت: مرسل الصحابي صحيح، هذا ترجيح المحققين.

(٩/٢): «من شرط صحة الحديث ثبوته في الصحيح».

(٢٢/٣): «الكتب الستة مدار صحة الحديث، وأحاديث مثل الطبراني ضعيفة».

(٣٨٩/١): حديث أنس: مررت ليلة أسري بي على موسى قائماً يصلي.. قال الهراس: «وقد اضطربت رواية هذا الحديث عن أنس، فمرة يرويه مرفوعاً، ومرة موقوفاً، ومرة يرويه أنس عن غيره من الصحابة». قلت: ولعله لا يعرف المضطرب.

(٦١/١): «لم يثبت في الصحيح لقاء بين زيد - ابن عمرو بن نفيل - وبين النبي عليه الصلاة والسلام». قلت: حديثه في البخاري ومسلم.

(١١٤/١): حديث: إني عند الله لخاتم النبيين.. وفيه: وأن أم رسول الله رأت حين وضعته نوراً.. قال الهراس: «وإن أم رسول الله.. مدرج من كلام المؤلف..». قلت: والزيادة المذكورة، في مسند أحمد مرفوعة.

(٧٣/٢): ذكر السيوطي رواية الحاكم لطيران جعفر مع جبريل.. قال الهراس: «هذا حديث من فشر الحاكم، ولم يكن جعفر يطير مع جبريل وميكائيل، وإنما طار إلى الجنة». قلت: والحديث في جامع الترمذي، ولعل الترمذي، سبق الحاكم إلى وضعه في نظر الدكتور الهراس!!

(٢٠٧/٣): يخرج الهراس حديث ابن عباس في القصاص، ويقول

بعد أن عزاه، للبخاري. . «إلا أنه لم يذكر الجملة الأخيرة». قلت: وهي في التفسير من الصحيح.

(٢٦٠/٣): «الرواية المحفوظة: أفي هذا أستأمر أبوي». قلت: ورواية أفيك أستأمر أبوي صحيحة، رواها أحمد، وفي صحيح مسلم بلفظ: أفيك يا رسول الله أستشير أبوي.

(١٥٩/١): حديث شق الصدر الشريف في بني سعد: «والذي ورد عن أنس في الصحيحين وغيرهما: إن ذلك كان ليلة الإسراء». قلت: والحديث في صحيح مسلم.

(٣٠٢/١): سعي الشجر إلى النبي ﷺ: «هذه أحاديث لم يصح منها شيء». قلت: بل صحيحة، رواها الترمذي وابن حبان وأحمد والدارمي وغيرهم.

(٥٦٢/١): «والسيوطي أراد أن يروج له بما أخرجه مسلم، وليس في مسلم إلا حديث أبي موسى». قلت: وحديث جابر المذكور، في صحيح مسلم: (١٣٣/١٨، ١٤٧).

(٥٦٣/١): قال الهراس: «من هذه الأعاجيب ما هو مخترع، كقصة سعي الشجرتين، والقبرين الذين يُعذبان». قلت: والحديث - حديث جابر السابق - بتمامه وطوله في صحيح مسلم.

(٥٧٦/١): دعاء الرسول على الأحزاب: يسوق الهراس رواية أخرى، ويعقب: «ليس في هذا دعاء على الأحزاب، فالمؤلف هنا حرّف الحديث تحريفاً خطيراً». قلت: ورواية السيوطي في البخاري ومسلم.

(٣٧/٢): «المعروف أن قلة الزاد، وهمهم بنحر الظهر إنما كانا في غزوة تبوك». قلت: حديث سلمة بن الأكوع الذي يروي القصة في حجة الوداع: في صحيح مسلم.

(١٧٠/٢): «لو صحَّ هذا الحديث لأفاد أن مريم، عليها السلام، كان لها أخ يقال له هرون». قلت: الحديث في صحيح مسلم.

(٢٠٦/٢): «وهنا ينكشف الكذب، ويظهر التلفيق...، وقصة الجمل تلزق هنا لزقاً». قلت: رواية إسماعيل المذكورة، أخرجها الدارمي بسند صحيح وجوَّده المنذري وابن كثير. وقصة الجمل: رواها البخاري ومسلم، في السفر.

(٣٧٢/٣): «والشيعة يعارضون هذا الحديث بحديث موضوع، وهو أنه أمر بسد الأبواب كلها، إلّا باب علي». قلت: والهرايس يتبع في هذا ابن الجوزي، وقد ردَّ الحفاظ على ابن الجوزي، وفي شرح البخاري لابن حجر، أطال النفس في هذا البحث وبيان القول فيه، راجع: (١٥/٨، ١٦، فتح).

(٣٩/٣): يقلد الشوكاني في القول بوضع حديث: (يكون في آخر الزمان، قوم يخضبون بهذا السواد..). والحديث صحيح، رواه أبو داود وأحمد والنسائي، والحاكم بسند صحيح. وصححه العراقي وابن حجر وغيرهما.

(٢٩/٣): «والذي ورد في الصحيح: هو فضل مكة والمدينة». قلت: صحت الروايات في فضائل الشام وبيت المقدس واليمن ومصر.

(٤٨٩/٢): «لو صحَّ هذا الحديث، كان معناه: أن علياً هو المخصوص بقتال الخوارج». قلت: رواه أحمد ٣/٣٣، ٨٢ بسند صحيح.

(٥٠٢/٢): «لا نعلم أحداً عمي ثم ردَّ الله عليه بصره، إلا يعقوب عليه السلام، وإلا من كان يمسح عليهم عيسى بن مريم.. وقد ورد في حديث غير صحيح: أن أعمى جاء إلى النبي عليه الصلاة والسلام وطلب إليه أن يدعوه له...». قلت: حديث الأعمى: رواه أحمد والترمذي والحاكم، وغيرهم. وصححه الحاكم والبيهقي والمنذري وابن حجر وابن تيمية، وآخرون غيرهم.

(٢١٠/٢): «لم يتكلم في المهدي إلا ثلاثة، عيسى ابن مريم، وصاحب

جريح، والغلام الذي قال لأمه في قصة الأخدود: قعي ولا تقاعسي فإنك على الحق». قلت: لفظ قعي ولا تقاعسي.. ورد في قصة ماشطة بنت فرعون، رواه أحمد (٣٠٩/١، ٣١٠)، وهو ما غفل عنه الهراس، أما غلام الأخدود ففي صحيح مسلم (١٣٠/١٨، ١٣٣): من قوله يا أمه اصبري فإنك على الحق. وكذا رواه أحمد.

(٣٤١/٢): «حديث عرض الأعمال غير صحيح». قلت: وهو حديث صحيح على شرط مسلم، برواية البزار (رقم: ٨٤٥، كشف الأستار)، وقال الهيثمي في المجمع (٢٤/٩): رجاله رجال الصحيح. وصححه غير واحد.

(٣٩٩/٢): «ورد أن رجلاً قال لعبد الله بن سلام: علمكم نبيكم كل شيء حتى الخراء...». قلت: الذي في المسند (٤٣٧/٥، ٤٣٨)، ومسلم والأربعة: أن ذلك قيل لسلمان الفارسي.

(٣٨٧/٢): حديث المرأة المغتابة: قال الهراس: «وقد وردت له شواهد في الصحيح، كقوله عليه السلام: «الغيبه تفسد الصوم». قلت: وما ذكره ليس في صحيح ولا في غيره، وهو من كلام السلف.

وأخطاء الهراس، في الحديث، كثيرة، وفي آرائه وتفسيراته الكثير مما يرد، وهو متسرع يعتمد على عقله أكثر منه معتدل يتحرى الانضباط بالنقل الصحيح، فينكر ما لا يستسيغه منطقته ولو أخرج به البخاري ومسلم. ويشدُّ عن المشهور عند الجماعة فيقرر رأي المعتزلة في صدور الذنوب من الأنبياء: (٣٣٥/٣).

ويعلق (٢٥٠/٣) على حديث أبي أمامة: «وعدني ربي أن يدخل الجنة من أمتي سبعين ألفاً.. مع كل ألف سبعين ألفاً، وثلاث حثيات من حثيات ربي». يقول الهراس: «يعني بكف الرب جلُّ شأنه، فانظر كم تبلغ الحثية من كف لا يكون هذا العالم كله فيه إلا كخردلة في كف أحدنا». قلت: وهو تشبيه لله تعالى بخلقه، والكف لم ترد في هذا الحديث والله ﴿ليس كمثله شيء﴾. وانظر تعليقي رقم (٥٩٠).

المنهج في تهذيب الخصائص الكبرى

لي مع كتاب الخصائص الكبرى، أيام تتأبى على الدهر أن يمحوها، سنتان من الصحبة المتواصلة والبحث الدؤوب بين كتب الحديث وكتب التخريج والجرح والتعديل، وكثير من المصادر، ووعورة الدرب وخطورة البحث تغري بالتراجع، لولا توفيق من الله وحده، وتابعت العمل في أناة وصبر، إلى أن أتممته مفتتح عام ١٤٠١ بالصورة التي يراها الأخ القارىء.

وقد كانت طريقتي في تهذيب كتاب الخصائص تتجه لجميع حيثيات الكتاب، فلم تراع حيثية دون أخرى، بل أراد التهذيب أن يستوعب الكتاب، بتصحيح الخطأ وتكميل النقص وشرح الغريب وبيان ما يجب بيانه، وأهم ما تحررت القيام به :

أولاً: إسقاط الأخبار المنكرة والموضوعات والإسرائيليات والأحاديث الضعيفة .

ثانياً: إسقاط الأحاديث المكررة، التي يسوقها السيوطي لتغاير في اللفظ أو لاختلاف الراوي، واكتفي بعد إثبات ما أراه أصلاً في الباب بالإشارة للمحذوف المكرر بقولي: وفي الباب عن فلان . .

ثالثاً: زيادة أحاديث رأيت المقام يلحُّ عليها وتكمل الباب، مثل الزيادات في الأرقام التالية: ١٨، ١٩، ٤٧، ٤٨، ٣٩٦، ٤٣٥ .

رابعاً: تصحيح التخريج للأحاديث، والسيوطي لا يلتزم فيه ترتيباً يذكر، وهو خطأ في التخريج. وتكميل التخريج، عند السيوطي، ببيان أكثر من

مصدر آخر للحديث، مما يقوي الحديث ويفيد الدارسين، وأشير للتخريج الذي استدركه بقولي: وكذا رواه فلان.. إلخ.

خامساً: إسقاط ما ليس له دليل من الخصائص التي اعتمد السيوطي فيها على اجتهاد الفقهاء وغيرهم.

سادساً: لم أجعل لغير الصحيح والحسن مكاناً في هذا التهذيب، وتحرّزت ما وسعني التحرّز من الوقوع في اعتماد ضعيف، ولا يسعني التجاوز لأرقام قد تبدو مناقضة لهذا، وهي: (٤٤، ٥٢، ٦٠، ٩٨، ١٤٥، ١٣٨، ١٧٠، ٢٩٢، ١٤). أما عن الرقم: ١٤ و ٦٠ فالأول صحيح السند وفي معناه ما لا ينسجم مع واقع تاريخ الأنبياء، وأثبتته نظراً لصحته، وفي الهوامش نبهت على واقع معناه. وعن الرقم الثاني: فالقصة صحيحة، والأخذ بالرد إنما حصل في (ذكر بلال وأبي بكر) وصحح الحافظ ابن حجر أن ذكرهما مقحم في الحديث لوهم وقع لأحد رواه، وباقي الحديث صحيح، قاله أكثر من واحد. وباقي الأرقام ليس للضعف سبيل إليها، إن شاء الله، فلها أكثر من شاهد، وبعضها مما روي عن مختلف في تعديله وتجريحه، يقبل بطرقه بالإضافة لمن وثقه.

وفي صلب التهذيب من أحاديث وآثار ووقائع ما يحمل الكثير من المعاني ويحتاج إلى بعض الشرح أو التفصيل أو بيان منغلق من الكلمات، وضعت لها تعليقات تتمم الكتاب وتجلي مقاصده وموضوعاته. وألحقت بآخر الكتاب، فهرساً للأحاديث والآثار مرتباً على ترتيب (الأبجد) يوفر الكثير من الوقت للقارئ والباحث، ويقربه من مبتغاه في جهد لا يذكر.

هذه المقدمة بقلم

محمد عبدالله التليدي

عبدالله عبدالقادر التليدي

في ١ من جمادى الأولى ١٤٠٧

بطنجة - المغرب

تقدم نبوة النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قبل نفخ الروح في آدم عليه السلام

- ١ - عن ميسرة الفجر رضي الله تعالى عنه قال: قلت: يا رسول الله، متى كنت نبياً؟ قال: «وآدم بين الروح والجسد».
- ٢ - وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قالوا يا رسول الله، متى وجبت لك النبوة؟ قال: «وآدم بين الروح والجسد».
- ٣ - وعن العرياض بن سارية رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إني عند الله لخاتم النبيين، وإن آدم لمُنْجَدِلٌ في طيته».

-
- ١ - رواه أحمد في المسند ٥/٥٩، والحاكم في المستدرک ٢/٦٠٨، ٦٠٩، والبخاري في التاريخ الكبير ٧/٢٧٤ وسنده صحيح. وعزاه الهيثمي في مجمع الزوائد ٨/٢٢٣ لأحمد والطبراني وقال: رجاله رجال الصحيح، وصححه أيضاً الحاكم وأقره الذهبي.
 - ٢ - رواه الترمذي في المناقب رقم ٣٣٧٧ بتهذيبي، والحاكم ٢/٦٠٩ وغيرهما وسنده عند الترمذي صحيح على شرط مسلم ولذلك حسنه وصححه.
 - ٣ - رواه أحمد ٤/١٢٧، ١٢٨، وابن حبان بموارد الظمان رقم ٢٠٩٣، والحاكم ٢/٦٠٠ وسنده صحيح في طريق لأحمد وكذا عند ابن حبان، أما سند الحاكم ففيه أبو بكر بن عبد الله بن أبي مريم وهو ضعيف، وللحديث شواهد، والحديث سيأتي مطولاً في المولد النبوي الشريف.

.....
١، ٢، ٣ - قوله «لَمُنْجَدِلٌ»: بضم الميم وسكون النون وفتح الجيم فـدال مكسورة أي ملقى على الجدالة وهي الأرض، وهذه الروايات معناها متقارب ومؤداها واحد، والمراد بها: الإخبار بثبوت نبوته لروحه

باب خصوصيته صلى الله تعالى عليه وآله وسلم

بأخذ الميثاق على النبيين أن يؤمنوا به

قال الله تعالى: ﴿وَإِذ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ، قَالَ: أَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكَ إِصْرِي، قَالُوا: أَقْرَرْنَا، قَالَ: فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾^(١).

باب دعاء إبراهيم عليه الصلاة والسلام به

قال الله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ﴾.

وسياتي في حديث العرباض مطولاً قوله ﷺ: «أنا دعوة أبي إبراهيم وبشارة عيسى عليهما السلام»^(٢). رواه أحمد وغيره.

= المقدسة الموجودة قبل الأرواح، وأن الله عز وجل أفاض عليها وصف النبوة في وقت كان آدم لا يزال طريحاً في الأرض لم ينفخ فيه الروح بعد، هكذا فسره المحققون، وهذا مما اختص به صلى الله تعالى عليه وآله وسلم عن سائر الخلق، وقوله: «وآدم بين الروح والجسد»، هو معنى قوله في حديث العرباض: «وإن آدم لمنجدل في طينته» أي لا يزال مطروحاً في صورته الترابية على الأرض. وأما حديث: «كنت نبياً وآدم بين الماء والطين» فقال الحافظ السخاوي في المقاصد الحسنة: لم نفث عليه بهذا اللفظ، اهـ. وهكذا قال غيره.

(١) الميثاق: هو العهد المؤكد، والحكمة: العلم مع العمل والعدل، أو هي كل ما يتحقق فيه الصواب من القول والعمل، والإقرار: هو الاعتراف بالشيء، والإصر: بكسر الهمزة وسكون الصاد المهملة، هو الحمل الثقيل ويطلق على العهد والميثاق، وهو المراد في الآية هنا.

(٢) قوله: «أنا دعوة» الخ: المراد بهذه الدعوة ما ذكر في الآية قبله، وسياتي الكلام على

ذلك.

باب ذكره صلى الله تعالى عليه وآله وسلم في التوراة والإنجيل

قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ﴾^(١).

وقال جلّ ثناؤه: ﴿محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطئه فأزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار﴾^(٢).

٤ - وعن عطاء بن يسار رحمه الله تعالى قال: لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنه، قلت: أخبرني عن صفة

٤ - رواه أحمد ١٧٤/٢، والبخاري في البيوع ٢٤٦/٥ وفي تفسير سورة الفتح ٢٠٧/١٠، وكذا رواه في الأدب المفرد رقم ٢٤٦ وابن سعد وغيرهم.

(١) الرسول في اللغة: هو المبعوث، وفي الإسلام إنسان أوحى إليه بشرع وأمر بتبليغه، والنبى هو من أوحى إليه ولم يؤمر بالتبليغ، وهو مأخوذ من النبوة، وهي الرفعة، أو من النبأ، وهو الخبر، وكلا الأمرين موجود في النبي، و﴿الأمي﴾: هو الذي لا يقرأ ولا يكتب، وكانت الأمية في حقه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم كمالاً بل معجزة، أما بالنسبة إلينا فنقص، وكان العرب في الجاهلية أمة أمية، وكانت الكتابة فيهم قليلة، بل كان الكاتب فيهم من الكمل.

(٢) ﴿أشداء﴾: أي غلاظ عليهم، ﴿رحماء بينهم﴾: أي متوادون متعاطفون، ﴿يبتغون﴾: أي يطلبون، ﴿سيماهم﴾: أي علامتهم، ﴿شطئه﴾: أي فراخه، ﴿فأزره﴾: أي قواه وأعانه، ﴿فاستغلظ﴾: أي غلظ، فهذه الآية والتي قبلها تصفان نبينا صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وأصحابه وآتباعه بما هم موصوفون به في التوراة والإنجيل.

٤ - أجل: أي نعم، ﴿شاهد﴾: أي على أمتك يوم القيامة، ﴿ومبشراً﴾: أي مخبراً من آمن

رسول الله ﷺ، قال: أجل والله إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن: «يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وحرزاً للأمين، أنت عبدي ورسولي، سميتك المتوكل، ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب في الأسواق ولا يجزي بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويصفح، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا: لا إله إلا الله، ويفتح به أعيناً عمياً وأذاناً صماً وقلوباً غُلفاً».

٥ - وعن كعب الأحبار رحمه الله تعالى قال: (نجده مكتوباً محمد رسول الله ﷺ لا فظ ولا غليظ ولا سخاب بالأسواق، ولا يجزي بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويغفر، وأمه الحمّادون ويكبرون الله عز وجل على كل نجد، ويحمدونه في كل منزلة، ويأتزون على أنصافهم، ويتوضؤون على أطرافهم، مناديهم ينادي في جو السماء، صفهم في القتال وصفحهم في الصلاة سواء لهم بالليل دويٌّ كدويّ النحل، ومولده بمكة ومهاجره بطيبة وملكه بالشام).

٥ - رواه الدارمي في سننه رقم ٥ بسند صحيح. ورواه من طريقين آخرين رقم ٧ و ٨ بنحوه والثاني منها سنده حسن.

= بك واتبعك بما يسرهم، ﴿ونذيراً﴾: أي مخبراً ومخوفاً من كفر بك بالعذاب الأليم، وحرزاً: أي أنت حصن للأمين من النار وحجاب لهم من الزيغ والضلال ما داموا على طريقك. الفظاظة والغلظة: معناهما واحد وهي الخشونة والشدّة. ولا سخاب: السخاب والصخاب هو الذي يرفع صوته بكلامه، وخصّه بالسوق لأنّ رفعه عنده من صفات الهمج الرعاع. الملة العوجاء: الملة هي الدين ووصفها، بالعوج لأن العرب كانوا يزعمون أنهم على ملة نبينا إبراهيم عليه الصلاة والسلام، لكنهم أحدثوا فيها ما ليس منها ومسحوها مسخاً وعوجوها بالبدع والخرافات الشركية فبعث الله إليهم هذا الرسول الكريم صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ليقيم لهم هذه الملة ويرجعهم إلى التوحيد الخالص والعقيدة الحقّة السالمة وتصير مستوية مستقيمة.

٥ - الحمّادون: هم الذي يمدون الله تعالى كثيراً في كل أحوالهم. نجد: النجد كل ما ارتفع من الأرض، ويأتزون: أي يشدون أزهم على أوساطهم. أطرافهم: الأطراف من الإنسان هي يده ورجلاه ورأسه وما إليها. دوي: الدوي هو الصوت الخفي الذي لا يفهم.

٦ - وعن عبدالله بن سلام رضي الله تعالى عنه قال: (إنَّ الله تعالى لما أراد هدي زيد بن سُنَّة قال زيد بن سَعْنَة: إنه لم يبق من علامات النبوة شيء إلا وقد عرفتها في وجه محمد ﷺ حين نظرت إليه إلا اثنين لم أخبرهما منه: يسبق جِلْمُه جهله، ولا تزيده شدة الجهل عليه إلا جِلْمًا، فكنت أتلف له لأن أخالطه فأعرف حلمه وجهله، فابتعت منه تمرًا معلومًا إلى أجل وأعطيته الثمن، فلما كان قبل محل الأجل بيومين أو ثلاثة أتيت فأخذت بمجامع قميصه وردائه ونظرت إليه بوجه غليظ، ثم قلت: ألا تقضي يا محمد حقي، فوالله إنكم يا بني عبدالمطلب لَمَطَل، ولقد كان لي بمخالطكم علم. فقال ابن الخطاب: أي عدو الله، تقول لرسول الله ﷺ ما أسمع، فوالله لولا ما أحاذر فوته لضربت بسيفي رأسك، ورسول الله ﷺ ينظر إلى عمر بسكون وتؤدَّة وتبسم، ثم قال: «أنا وهو كنا أحوج إلى غير هذا منك يا عمر، أن تأمرني بحسن الأداء، وتأمره

٦ - رواه ابن حبان رقم ٢١٠٥ مع موارد الظمان، والحاكم ٣/٦٠٤، ٦٠٥، وأبو نعيم في الدلائل، والطبراني، وصححه الحاكم وخالفه الذهبي، والحديث وإن كان فيه الوليد بن مسلم وهو مدلس فإنه صرح بالتحديث، والراوي عنه محمد بن المتوكل بن أبي السرى مختلف فيه، فله شاهد عند ابن سعد وغيره، والحديث أورده الهيثمي في المجمع ٨/٢٣٩، ٢٤٠ برواية الطبراني، وقال: رجاله ثقات.

= وفي هذين الأثرين صفات متعددة لنبينا صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ولأمته ذكرتها التوراة عن الله عز وجل وفي ذلك من التشريف والتقدير والتعظيم له صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ما لا يحتاج إلى تعليق.

٦ - زيد بن سُنَّة: هو بضم السين وسكون العين ثم نون مفتوحة كان يهودياً. لم أخبرهما: أي لم أعلمهما، مأخوذ من خَبَر بفتح الباء يخْبِرُ بضمها. جِلْمُه: الحلم بكسر الحاء، هو الأناة وعدم الاستعجال عند الغضب. أتلف: التلطف هو الترفق للأمر. فابتعت: اشتريت منه، ألا تقضي: ألا تؤذي لي حقي. لطل: بفتح الميم وسكون الطاء أي أصحاب تسويف وتأخير في قضاء الدين وأداء الحقوق، من مَطَّلَه حَقَه، سَوَّفه بوعده الوفاء المرة بعد المرة. أحاذر: أي أخاف فوته. وتؤدَّة: بضم

بحسن التباعة، اذهب به يا عمر فاقضه حقه وزده عشرين صاعاً مكان ما رُوِّعته». ففعل، فقلت: يا عمر كل علامات النبوة قد عرفتها في وجه رسول الله ﷺ حين نظرت إليه إلا اثنين لم أخبرهما منه: يسبق حِلْمه جهله، ولا تزيده شدة الجهل عليه إلا حِلْماً، فقد خبرتهما فأشهدك أنني قد رضيت بالله رباً وبالإسلام ديناً ومحمد نبياً).

إخبار الأخبار والرهبان به قبل مبعثه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم

٧ - عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: حدثني سلمان الفارسي رضي الله تعالى عنه، قال: (كنت من أهل فارس، وكان أبي دُهقان أرضه، فكان يحبني حباً شديداً حتى حبسني في بيته كما تُحبس الجارية، واجتهدت في المجوسية حتى كنت قِطْن النار الذي يوقدها، فكنت كذلك لا أعرف من أمر الناس شيئاً إلا ما أنا فيه، وكان لأبي ضيعة فيها بعض العمل فدعاني فقال لي: أي بني، إني قد شُغِلْتُ عن ضيعتي هذه، ولا بد لي من إصلاحها فانطلق إليها فمرهم بكذا وكذا، ولا

٧ - رواه ابن إسحاق في السيرة، ومن طريقه أحمد في المسند ٥/٤٤١، ٤٤٤، وابن سعد ٤/٧٥، ٨٠ والبيهقي، وأبو نعيم وسنده حسن، رجاله على شرط مسلم، وابن إسحاق صرح بالتحديث، ولذلك قواه ابن كثير في السيرة، وللحديث طرق وروايات هو بها صحيح، وقد أورده نور الدين في المجمع ٩/٣٣٦، ٣٣٧، =

= التاء ثم همزة مفتوحة فдал مهملة، وهي التائي والرزانة. بحسن التباعة: أي بحسن المطالبة والمتابعة. روعته: أي أفزعته.

٧ - دهقان: بضم الدال وكسرها، كلمة فارسية معربة ومعناها الرئيس. قطن النار: أي خادمها والقيم عليها وهو بفتح القاف وكسر الطاء وفتحها. ضيعة: بفتح الضاد وسكون الياء بعدها =

تحتبس عني فإنك إن احتبست عني شغلتنني عن كل شيء فخرجت أريد ضيعته فمررتُ بكنيسة النصارى فسمعتُ أصواتهم فيها، فقلت: ما هذا؟ فقالوا: هؤلاء النصارى يصلون، فدخلتُ أنظر، فأعجبني ما رأيت من حالهم، فوالله ما زلتُ جالساً عندهم حتى غربت الشمس، وبعثُ أبي فطلبني في كل وجه حتى جئته حين أمسيت ولم أذهب إلى ضيعته، فقال أبي: أين كنت؟ ألم أكن قلت لك. فقلت: يا أبتاه، مررتُ بناس يقال لهم النصارى فأعجبتنني صلاتهم ودعاؤهم فجلستُ أنظر كيف يفعلون، فقال لي: أي بني دينك ودين آبائك خير من دينهم. فقلت: لا والله ما هو بخير من دينهم، هؤلاء قوم يعبدون الله ويدعونه ويصلون له، ونحن إنما نعبد ناراً نوقدها بأيدينا إذا تركناها ماتت، فخافني فجعل في رجلي حديداً وحبسني في بيت عنده.

فبعثتُ إلى النصارى، فقلت لهم: أين أجد هذا الدين الذي أراكم عليه؟ فقالوا: بالشام، فقلت: فإذا قدم عليكم من هناك ناس فأذنوني. فقالوا: نفعل، فقدم عليهم ناس من تجارهم، فبعثوا إليّ أنه قد قدم علينا تجار من تجارنا، فبعثتُ إليهم إذا قضوا حوائجهم وأرادوا الخروج فأذنوني، فقالوا: فلما قضوا حوائجهم وأرادوا الرحيل بعثوا إليّ بذلك

= وعزاه لأحمد وكبير الطبراني بأسانيد وقال: إسناد الرواية الأولى عند أحمد والطبراني رجالها رجال الصحيح غير ابن إسحاق وقد صرح بالسماع، ورجال الثانية انفرد بها أحمد ورجالها رجال الصحيح، غير عمرو بن أبي قرة الكندي وهو ثقة، ثم ذكره مختصراً بروايته أحمد والبخاري وقال: رجاله رجال الصحيح. وانظر الطبراني في الكبير برقم (٦٠٦٥) والخطيب في تاريخ بغداد ١/١٦٤ - ١٦٩.

= عين مهملة مفتوحة، هي العقار والأراضي المغلة، وتطلق على صناعة الرجل وحرفته. فأذنوني: أي أعلموني. الأسقف: بضم الهمزة وسكون السين بعده قاف مضمومة ثم فاء مشددة، هو الرئيس =

فطرح الحديدي الذي في رجلي ولحقت بهم، فانطلقت معهم حتى قدمت الشام، فلما قدمتها، قلت: من أفضل أهل هذا الدين؟ فقالوا: الأسقف صاحب الكنيسة، فجيئته فقلت له: إني أحببت أن أكون معك في كنيستك وأعبد الله معك فيها وأتعلم منك الخير، قال: فكن معي. قال: فكنت، وكان رجل سوء، كان يأمرهم بالصدقة ويرغبهم فيها فإذا جمعها إليه اكتنزها فأبغضته بغضاً شديداً لما رأيت من حاله فلم يلبث أن مات، فلما جاءوا ليدفنوه، قلت لهم: إن هذا رجل سوء، كان يأمركم بالصدقة ويرغبكم فيها حتى إذا جمعتوها إليه اكتنزها ولم يعطها المساكين، فقالوا: وما علامة ذلك؟ فقلت: أنا أخرج لكم كنزه. فقالوا: هاته، فأخرجت لهم سبع قلال مملوءة ذهباً وورقاً، فلما رأوا ذلك قالوا: والله لا يدفن أبداً فصلبوه على خشبة ورموه بالحجارة.

وجاؤوا برجل آخر فجعلوه مكانه، فلا والله ما رأيت رجلاً قط لا يصلي الخمس أرى أنه أفضل منه أشد اجتهاداً ولا زهادة في الدنيا ولا أدب ليلاً ونهاراً منه، ما أعلمني أحببت شيئاً قبله حبه، فلم أزل معه حتى حضرته الوفاة، فقلت: يا فلان، قد حضرك ما ترى من الله، وإني والله ما أحببت شيئاً قط حبك فماذا تأمرني وإلى من توصيني؟ فقال لي: أي بني، ما أعلم إلا رجلاً بالموصل فأتبه فإنك ستجده على مثل حالي.

فلما مات لحقت بالموصل، فأتيت صاحبها فوجدته على مثل حاله

= الدينبي عند النصارى فوق القسيس. فلم يلبث: أي لم يمكث. ويرغبكم: الترغيب في الشيء التحبيب فيه والحض عليه. قلال: جمع قلة وهي الجرة الكبيرة. وورق: بكسر الراء الفضة. فصلبوه: أي أقاموه مربوطاً على خشبة.

بالموصل: هي بلدة بالعراق، ومنها كان الخليل عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام. نصيين: سياطي الكلام عليها، ومنها كان الجن الذين استمعوا إلى قراءة النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم =

من الاجتهاد والزهادة في الدنيا، فقلت له: إن فلاناً أوصى بي إليك أن أتيك وأكون معك، قال: فأقم أي بني، فأقمت عنده على مثل أمر صاحبه حتى حضرته الوفاة، فقلت له: إن فلاناً أوصى بي إليك، وقد حضرك من أمر الله ما ترى فألى من توصيني؟ قال: والله ما أعلم أي بني إلا رجلاً بنصيبين، وهو على مثل ما نحن عليه فآلحق به.

فلما دفناه لحقت بالآخر فقلت له: يا فلان إن فلاناً أوصى بي إلى فلان، وفلان أوصى بي إليك، قال: فأقم يا بني، فأقمت عنده على مثل حالهم حتى حضرته الوفاة، فقلت له: يا فلان إنه قد حضرك من الله ما ترى، وقد كان فلان أوصى بي إلى فلان، وأوصى بي فلان إلى فلان، وأوصى بي فلان إليك فألى من توصيني؟ قال: أي بني، ما أعلم أحداً على مثل ما نحن عليه إلا رجلاً بعمورية من أرض الروم فأتيه، فإنك ستجده على مثل ما كنا عليه.

فلما واريته خرجت حتى قدمت على صاحب عمورية فوجدته على مثل حالهم، فأقمت عنده واكتسبت حتى كانت لي غنيمة وبقرات، ثم حضرته الوفاة، فقلت: يا فلان إن فلاناً أوصى بي إلى فلان، وفلان إلى فلان، وفلان إلى فلان، وفلان إليك، وقد حضرك ما ترى من أمر الله تعالى، فألى من توصيني؟ قال: أي بني، والله ما أعلم بقي أحد على مثل ما كنا عليه أمرك أن تأتيه، ولكنه قد أظلك زمان نبي يبعث من الحرم، مهاجره بين حرتين إلى أرض سبخة ذات نخيل، وإن فيه علامات لا تخفى: بين كتفيه خاتم النبوة، يأكل الهدية ولا يأكل

وهو بطن نخلة يصلي الصبح بأصحابه. أداب: أي أتعب وأشد عبادة. أظلك: أي دنا منك وقرب وقته. حرتين: ثنية حرة وهي الحجارة السود، والمدينة المنورة تكتنفها حرتان شرقية وغربية. سبخة: بفتح السين وكسر الباء، الأرض ذات الملح. خاتم النبوة: هو غدة لحم كانت بين كتفيه مثل بيض =

الصدقة، فإن استطعت أن تخلص إلى تلك البلاد فافعل فإنه قد أظلك زمانه.

فلما واريناه أقمت حتى مرَّ بنا رجال من تجار العرب من كلب، فقلت لهم: تحملوني معكم حتى تقدموا بي في أرض العرب، وأعطيتكم غنيمي وبقراتي. قالوا: نعم، فأعطيتهم إياها وحملوني، حتى إذا جاؤوا بي وادي القرى، ظلموني، فباعوني عبداً من رجل من يهود بوادي القرى، فوالله لقد رأيت النخل وطمعت أن يكون البلد الذي نعت لي صاحبي.

وما حقت عندي حتى قدم رجل من قريظة من يهود وادي القرى، فابتاعني من صاحبي الذي كنت عنده، فخرج بي حتى قدم بي المدينة، فوالله ما هو إلا أن رأيتها فعرفت نعتها.

فأقمت في رقي مع صاحبي، وبعث الله رسوله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بمكة لا يذكر لي شيء من أمره مع ما أنا فيه من الرق، حتى قدم رسول الله ﷺ قُباء، وأنا أعمل لصاحبي في نخله، فوالله إنه لفيها إذ جاءني ابن عم له، فقال: يا فلان، قاتل الله بني قيلة، والله إنهم لفي قُباء مجتمعون على رجل جاء من مكة يزعمون أنه نبي.

فوالله ما هو إلا أن سمعتها فأخذتني العرواء - يقول الرعدة - حتى ظننت لأسقطن على صاحبي، ونزلت أقول: ما هذا الخبر، ما هو؟.

= الحمامة عليها شعرات. تخلص: بضم اللام أي تصل إليها. واريناه: أي دفناه وسترناه بالتراب. وادي القرى: هو موضع بين تبوك وخيبر كان يسكنه في القديم اليهود. فابتاعني: أي اشتراي. في رقي: أي عبودي مملوكاً. قُباء: بضم القاف قرية بني عمرو بن عوف منزل رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم الأول عند قدومه في هجرته وبها مسجده العظيم التاريخي الذي أسس على التقوى من أول يوم. بني قيلة: هم الأنصار من الأوس، والخزرج، وقيلة كانت أهمهم الأولى. =

فرجع مولاي يدها فلكمني لكمة شديدة، وقال: مالك ولهذا؟ أقبلُ
على عملك، فقلت: لا شيء، إنما سمعت خبراً فأحببتُ أن أعلمه،
فخرجت وسألت، فلقيت امرأة من أهل بلادي فسألتها، فإذا أهل بيتها قد
أسلموا، فدلّنتني على رسول الله ﷺ.

فلما أمسيتُ وكان عندي شيء من طعام فحملته وذهبتُ به إلى
رسول الله ﷺ. وهو بقباء فقلت له: إنه بلغني أنك رجل صالح، وأن
معك أصحاباً لك غرباء، وقد كان عندي شيء من الصدقة فرأيتكم أحقَّ
منَ بهذه البلاد به، فها هوذا، فكلُّ منه. فأمسك ﷺ يده، وقال لأصحابه:
كلوا، ولم يأكل. فقلت في نفسي: هذه خلة مما وصف لي صاحبي.

ثم رجعتُ، وتحول رسول الله ﷺ إلى المدينة، فجمعتُ شيئاً كان
عندي، ثم جئت به، فقلت: إني قد رأيتك لا تأكل الصدقة وهذه هدية
وكرامة ليست بالصدقة، فأكل رسول الله ﷺ وأكل أصحابه، فقلت: هذه
خلتان.

ثم جئت رسول الله ﷺ وهو يتبع جنازة وعليه شملتان وهو في
أصحابه، فاستدرت لأنظر إلى الخاتم في ظهره، فلما رأني
رسول الله ﷺ استدرته عرف أنني أستثبت شيئاً قد وصف لي، فوضع
رداءه عن ظهره، فنظرت إلى الخاتم بين كتفيه كما وصف لي صاحبي،
فأكببت عليه أقبله وأبكي، فقال: تحول يا سلمان هكذا، فتحولت
فجلست بين يديه وأحب أن يسمع أصحابه حديثي عنه، فحدثته فلما
فرغت قال: كاتبٌ يا سلمان، فكاتببت صاحبي على ثلاثمائة نخلة

= فلكمني: أي ضربني بكفه مجموعة. امرأة من أهل بلادي: يعني من أصبهان الإيرانية إذ كان من
هناك. خلة: أي خصلة. شملتان: ثنية شملة وهي كساء يلتحف به. فأكببت عليه: أي أقبلت عليه
ولزمته. أقبله وأبكي: يعني شوقاً ومحبة وفرحاً حيث بلغه الله مراده. كاتب: معناه أطلب من سيدك =

وأربعين أوقية، وأعاني أصحاب رسول الله ﷺ بالنخل ثلاثين وديّة وعشرين وديّة وعشر كل رجل منهم على قدر ما عنده، فقال لي رسول الله ﷺ: فقرأها فإذا فرغت فأذني حتى أكون أنا الذي أضعها بيدي، ففقرتها وأعاني أصحابي يقول: حفرت لها حيث توضع حتى فرغنا منها، فجاء رسول الله ﷺ، فكنا نحمل إليه الودي، ويضعه ويسوي عليها، فوالذي بعثه بالحق ما ماتت منها وديّة واحدة، وبقيت عليّ الدراهم، فأتاه رجل من بعض المعادن بمثل بيضة الحمامة من ذهب، فقال رسول الله ﷺ: خذ هذه يا سلمان فأدها مما عليك، فقلت: يا رسول الله وأين تقع هذه مما عليّ؟ قال: فإنّ الله سيؤدي بها عنك، فوالذي نفسي بيده لو زنت لهم منها أربعين أوقية فأديتها إليهم وبقي عندي مثل ما أعطيتهم).

٨ - وعن عاصم بن عمر بن قتادة عن رجال من قومه، قالوا: إنّ مما دعانا إلى الإسلام مع رحمة الله تعالى وهداه، لما كنا نسمع من رجال يهود، كنا أهل شرك أصحاب أوثان، وكانوا أهل كتاب، عندهم

٨ - رواه ابن إسحاق باختصار ابن هشام مع الروض الأنف ١/١٤١، ومن طريقه البيهقي وغيره، وسنده حسن ورجال قوم عاصم لا تضرّ جهالتهم عند أهل الحديث لأنهم صحابة.

= اليهودي الكتابة واشتر نفسك منه لتقلب حراً. وديّة: بفتح الواو وكسر الدال المهملة ثم ياء مشددة هي واحدة الودي، وهي صغار النخل. فقرها: أي احفر لها مواضعها.

وفي هذه القصة لسيدنا سلمان الفارسي رضي الله تعالى عنه من العبر والعظات والآيات ما لا يخفى على من تدبرها وأمعن النظر فيها، فليعتبر بما فيها غرباء الإسلام اليوم وليقرؤوها مراراً وتكراراً فإن لهم بأمثال سلمان أسوة، فليصبروا وليرتقبوا فرج الله تعالى ونصر دينه، فإن نصر الله قريب، وكل ما هوات قريب إن شاء الله تعالى.

٨ - إزم: بكسر الهمزة وفتح الراء هي ثمود كما جاء في حديث الخوارج: «لئن أدركتهم =

علم ليس لنا، وكانت لا تزال بيننا وبينهم شرور، فإذا نلنا منهم بعض ما يكرهون، قالوا لنا: إنه تقارب زمان نبي يبعث الآن نقتلكم معه قتل عاد وإرم، فكنا كثيراً ما نسمع ذلك منهم فلما بعث الله رسوله ﷺ أجبناه حين دعانا إلى الله تعالى وعرفنا ما كانوا يتوعدوننا به فبادرناهم إليه فأمناً به وكفروا به ففينا وفيهم نزل هؤلاء الآيات من سورة البقرة ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾.

٩ - وعن سلمة بن سلامة بن وقش رضي الله تعالى عنه - وكان من أصحاب بدر - قال: كان لنا جار من يهود في بني عبد الأشهل، قال: فخرج علينا يوماً من بيته قبل مبعث النبي ﷺ بيسير، فوقف على مجلس عبد الأشهل، قال سلمة: وأنا يومئذ أحدث من فيه سناً على بردة مضطجعاً فيها بفناء أهلي، فذكر البعث والقيامة والحساب والميزان والجنة والنار، فقال ذلك لقوم أهل شرك أصحاب أوثان لا يرون أن بعثاً

٩ - رواه ابن إسحاق ١٤١/١ بتهديب ابن هشام مع الروض، ومن طريقه أحمد ٤٦٧/٣، والحاكم ٤١٧/٣، ٤١٨، وصححه على شرط مسلم ووافقه الذهبي وهو كما قال، ورواه أيضاً البخاري في التاريخ ٦٨/٤، ٦٩، من طريق ابن إسحاق أيضاً.

= لأقتلهم قتل عاد وثمود. فبادرناهم: أي سبقناهم إلى الإيمان به. يستفتحون: أي يطلبون الفتح والنصر من الله. لما جاءهم ما عرفوا: أي لما جاءهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم الذي كان لديهم معروفاً بما قرأوه في التوراة كفروا به وجحدوا نبوته مع وضوح ذلك وظهوره فلعنة الله على الكافرين.

٩ - وقش: بسكون القاف بعده شين من الأوس وهو جد سلمة المذكور. بني عبد الأشهل: هم حي من الأنصار، والأشهل اسم صنم كان لهم في الجاهلية. أحدث: أي أصغر. بفناء: بكسر =

كائن بعد الموت، فقالوا له: ويحك يا فلان ترى هذا كائناً أن الناس يبعثون بعد موتهم إلى دار فيها جنة ونار يجزون فيها بأعمالهم قال: نعم، والذي يحلف به لودّ أن له بحظه من تلك النار أعظم تنور في الدنيا يحمونه، ثم يدخلونه إياه، فيطبق به عليه، وأن ينجو من تلك النار غداً، قالوا له: ويحك، وما آية ذلك؟ قال: نبي يبعث من نحو هذه البلاد، وأشار بيده نحو مكة واليمن، قالوا: ومتى تراه؟ قالوا: فنظر إليّ وأنا من أحدثهم سنّاً، فقال: إن يستنفذ هذا الغلام عمره يدركه، قال سلمة: فوالله ما ذهب الليل والنهار حتى بعث الله محمداً ﷺ، وهو حي بين أظهرنا فأماناً به وكفر به بغياً وحسداً، قال: فقلنا له: ويحك يا فلان ألسنت الذي قلت لنا فيه ما قلت، قال: بلى، ولكن ليس به.

شرف نسبه وطهارة أصله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم

١٠ - عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: «بُعِثت من خير قرون بني آدم قرناً فقرناً حتى كنت من القرن الذي كنت منه».

١٠ - رواه البخاري في صفة النبي ﷺ . ٣٨٤/٧ بالفتح وكذا أحمد ٣٧٣/٢، ٤١٧ وغيرهما.

الفاء هو ما امتد من جوانب الدار. ويحك: أي وبلك، وقد تأتي للترحم، ولك أن ترفعها على الابتداء أو تنصّبها على اضممار فعل محذوف. لود: أي لتمنى وأحب. التنور: بفتح التاء ثم نون مشددة مضمومة هو الفرن والمخيزة. فيطبق: أي يخلق عليه ويغطي. وما آية: أي ما علامة ذلك. ومتى تراه: أي وقت نظنه خارجاً. يستنفذ: أي يفنى عمره ويتمه.

١٠ - بُعِثت: أراد بذلك صلى الله تعالى عليه وآله وسلم تقبله في أصلاب آبائه وأرحام أمهاته الذين كانوا يعيشون في خير طبقات أجيالهم طبقة طبقة إلى أن وجد عليه الصلاة والسلام في عصره الذي كان بيته فيه أشرف البيوت وأطهرها والقرن هو الجيل من الناس إذا انقرضوا.

١١ - وعن وائلة بن الأسقع رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ الله اصطفى كنانة من ولد اسماعيل، واصطفى قريشاً من كنانة، واصطفى هاشماً من قريش، واصطفاني من بني هاشم».

١٢ - وعن المطلب بن أبي وداعة رضي الله تعالى عنه، قال: جاء العباس رضي الله تعالى عنه إلى رسول الله ﷺ، وكأنه سمع شيئاً، فقام النبي ﷺ على المنبر، فقال: من أنا؟ قالوا: أنت رسول الله، عليك السلام، قال: «أنا محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب، إنَّ الله خلق الخلق فجعلني في خيرهم، ثم جعلهم فرقتين فجعلني في خيرهم، ثم جعلهم

١١ - رواه أحمد ٤/١٠٧، ومسلم في الفضائل ٣٦/١٥ بالنووي، والترمذي في المناقب رقم ٣٣٧٤/٣٣٧٦، بتهذيبي، والبخاري في التاريخ ٤/١، والخطيب في تاريخ بغداد ١٣/٦٤، وحسنه الترمذي وصححه.

١٢ - رواه أحمد ١/٢١٠، والطيالسي رقم ٢٤٠٥، والترمذي في المناقب رقم ٣٣٧٥، وحسنه وصححه.

١١ - اصطفى: أي اختار، وهذا الحديث والذي قبله وما بعده تدل على أن آباءه وأجداده كانوا أشرف أهل زمانهم وساداتهم وخيارهم، وإن الله عز وجل اختارهم على غيرهم نظراً لما كان يتقلب في أصلاهم من نور هذا النبي الكريم صلوات الله وسلامه عليه، وهذا مما لا مجال للتشكك فيه، فهو كما قال ابن القيم في الهدى خير أهل الأرض نسباً، فأشرف القوم قومه، وأشرف الأفاضل فخذ، فليتنق الله أولئك الذي يتعرضون للطعن في نسبه والكلام في بعض آباءه وأجداده فإن الكلام في مثل ذلك خطير لأن فيه إذابة لرسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم.

١٢ - قوله: «أنا محمد» إلخ: قال البخاري رحمه الله تعالى في باب مبعث النبي ﷺ ٨/١٦٢، ١٦٣، ١٦٤. محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر به كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، وهذا النسب الشريف هو المتفق عليه بين المحدثين وعلماء السيرة ولا يصح بعد هذا شيء، قال ابن عبد البر في الاستيعاب: هذا ما لم يختلف فيه أحد من الناس ثم صرح بأن رفعه إلى عدنان إجماع أهل السير والعلم بالأثر، ونقل النووي في أوائل التهذيب للأسماء واللغات إجماع الأمة عليه، وقال ابن القيم في الهدى النبوي: إلى هنا معلوم الصحة متفق عليه بين النسابين =

قبائل فجعلني في خيرهم قبيلة، ثم جعلهم بيوتاً فجعلني في خيرهم بيتاً وخيرهم نفساً».

* - وعن العباس رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله إن قريشاً جلسوا فتذاكروا أحسابهم بينهم فجعلوا مثلك مثل نخلة في كَبْوة من الأرض، فقال النبي ﷺ: فذكره بنحو ما سبق.

١٣ - وعن علي رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ قال: «خرجت من نكاح ولم أخرج من سيفاح، من لدن آدم إلى أن ولدني أبي وأمي، لم يصنني من سفاح الجاهلية شيء».

** - ورواه عبدالرزاق عن ابن عيينة عن جعفر بن محمد عن أبيه الباقر، في قوله تعالى: ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم﴾ قال: (لم

* - رواه الترمذي، وقال: حديث حسن، ورواه أحمد في مسند عبدالمطلب بن ربيعة ٤/١٦٥، ١٦٦ بنحوه، وأورده الهيثمي في المجمع ٨/٢١٥ وقال: رجاله رجال الصحيح ولا يضر يزيد بن أبي زياد في طريق العباس والمطلب.

١٣ - رواه العدني في مسنده مسلسلاً بآل البيت الأطهار، وفيه إرسال مع ضعف في محمد بن جعفر.

** - قال ابن كثير في البداية والنهاية: وهذا مرسل جيد اهـ، وأورده الهيثمي في المجمع ٨/٢١٤، برواية الطبراني في الأوسط وقال: فيه محمد بن جعفر بن محمد بن =

= كَبْوة: بفتح الكاف وسكون الباء هو التراب الذي يكس من البيت، ومراد قريش بذلك ذمه والطعن في نسبه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وإن مثله ومثل نسبه الشريف كوجود نخلة في زبالة مثلاً ولذلك رد عليهم بما ذكر من اختياره في كل العصور وأنه أشرف بني آدم فرقة وقبيلة وبيتاً ونسباً ونفساً، وقد اعترف بذلك أبو سفيان عدوه إذ ذاك أمام هرقل فقال: إنه ذو نسب فينا إلخ.

١٣ - سيفاح: بكسر السين، هو الزنا والحديث ظاهر الدلالة في أن كل أجداده كانوا يلتقون على أنكحة صحيحة، وأنه لم يكن في واحد منهم ولادة على عادات الجاهلية وسفاحها. من أنفسكم: قرئت بضم الفاء وكسر السين أي قرشي عربي، وقرئت بفتح الفاء أي من أفضلكم وأشرفكم.

يصبه شيء من ولادة الجاهلية)، وقال رسول الله ﷺ: «إني خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح».

١٤ - وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في قوله تعالى: ﴿وَتَقَلَّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾ قال: (من صلب نبي إلى نبي حتى صرت نبياً).

باب ما جاء في أصحاب الفيل عام ولادته صلى الله تعالى عليه وآله وسلم تشریفاً له ولبلده الأمين

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ، أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سَجِيلٍ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ﴾^(١).

= علي، صحح له الحاكم في المستدرک، وقد تكلم فيه، وبقية رجاله ثقات، ورواه أيضاً البيهقي في السنن ١٩٠/٧، وللحديث شواهد عن ابن عباس وعائشة وأبي هريرة فالحديث لذلك حسن بلا شك.

١٤ - أورده الهيثمي في المجمع ٢١٤/٨، برواية البزار، وقال: رجاله ثقات، وأورده في التفسير ٨٦/٧، وعزاه للبزار والطبراني، وقال: رجالها رجال الصحيح غير شبيب بن بشر وهو وثقة اهـ وعزاه السيوطي في تحريج أحاديث الشفا للبزار وأبي نعيم وابن سعد، وقال فيه: سند صحيح.

١٤ - وتقلبك: إلخ ما ذكره ابن عباس رضي الله عنها مشكل لأنه لا يعرف بعد إسماعيل نبي من ولده غير نبينا فمعناه منكر والله أعلم.

(١) حادث الفيل كان إرهاباً لنبينا صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ولأجله وقع لهم ما وقع، إذ الحادث كان قبيل ميلاده بخمسين يوماً على الصحيح، والطير الأبايل هي جيوش إلهية بعثها الله تعالى لإهلاك أولئك المنتهكين حرّم الله الذي سيكون له ولنبي الإسلام في مستقبل الأجيال شأن، وفي هذا الحادث عبرة وآية، فلتتق الله في حرّماته ولتبتعد عن انتهاكها.

١٥ - وعن قيس بن مخزومة رضي الله تعالى عنه قال: (ولدت أنا ورسول الله ﷺ عام الفيل).

قال: وسأل عثمان بن عفان رضي الله عنه قَبَاثَ بن أَشِيمَ أَخا بني يعمر بن ليث: أنت أكبر أم رسول الله ﷺ؟ قال: (رسول الله ﷺ أكبر مني، وأنا أقدم منه في الميلاد).

قال: قال: ورأيت خَذَقَ الطير أخضر مُحِيلاً.

باب ما ظهر في ليلة مولده صلى الله تعالى عليه وآله وسلم من الآيات

١٦ - عن العرياض بن سارية رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إني عند الله خاتم النبيين، وإن آدم لمنجدل في

١٥ - رواه أحمد ٤/٢١٥، والترمذي في المناقب رقم ٣٣٨٨ بتهذيبي، والحاكم ٢/٦٠٣، من طريق ابن إسحاق ١/١٠٧، بتهذيب ابن هشام، وسنده حسن وصححه الحاكم على شرط مسلم ووافقه الذهبي، وسياقه للترمذي.

١٦ - رواه أحمد وابن حبان والحاكم وغيرهم وسنده صحيح عند أحمد في طريق له، وله شواهد عن خالد بن معدان عن أصحاب رسول الله ﷺ. وسيأتي، وعن أبي أمامة رواه الطيالسي رقم ٢٣١٥ وأحمد والطبراني.

١٥ - قَبَاثَ: بفتح القاف والباء، أَشِيمَ: كأحمد. خَذَقَ: بفتح الحاء والذال المعجمة بعده قاف هو الروث. مُحِيلاً: بضم الميم من الإحالة أي متغيراً، وفي نسخة: بدل الطير. الفيل. هذا واتفق علماء السير وغيرهم على أنه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ولد يوم الاثنين من ربيع الأول عام الفيل، ثم اختلفوا في اليوم فالجمهور على أنه اليوم الثاني عشر، وورد فيه حديث عن ابن عباس رواه الحاكم وغيره بسند حسن، وقيل: التاسع ورجحه أهل الحديث واتفق عليه علماء الفلك، وقيل: صبيحة اليوم السابع واختاره أحد كبار المغاربة، وفي قول قَبَاثَ: رسول الله أكبر مني وأنا أقدم منه أدب رائع منه مع مقام النبوة.

١٦ - دعوة إلخ: يشير بذلك إلى قوله تعالى: ﴿ربنا وابعث فيهم رسولاً منهم يتلوا عليهم﴾ الآية. =

طينته، وسأخبركم عن ذلك؛ دعوة أبي إبراهيم، وبشارة عيسى، ورؤيا أمي التي رأيت وكذلك أمهات النبيين يرين وإنَّ أم رسول الله ﷺ رأته حين وضعت نوراً أضواء له قصور الشام».

باب ما ظهر في زمان رضاعه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم من الخصائص والآيات

١٧ - قال ابن إسحاق، حدثني ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن أصحاب رسول الله ﷺ، أنهم قالوا: أخبرنا عن نفسك؟ قال: «نعم، أنا دعوة أبي إبراهيم، وبشرى عيسى عليه السلام، ورأت أمي حين حملت بي أنه خرج منها نور أضواء له قصور الشام، واسترضعت في بني سعد بن بكر، فبينما أنا في بهم لنا، أتاني رجلان عليهما ثياب بيض

قال الهيثمي ٢٢٢/٨: وإسناد أحمد حسن ولفظه: «قيل: يا رسول الله، ما كان بدء أمرك؟ قال: دعوة أبي إبراهيم وبشرى عيسى ورأت أمي حين حملت أنه خرج منها نور أضواء به قصور الشام».

١٧ - وسند هذا الحديث جيد، وروى نحوه الدارمي رقم ١٤ عن أبي ذر الغفاري رضي الله تعالى عنه، وفي سنده ضعف.

وبشارة: يشير بذلك أيضاً إلى قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدٌ﴾. ورؤيا: هذه الرؤيا كانت منها يقظة عندما وضعت فلقد شاهدت نوراً عظيماً وضياءً ساطعاً باهراً خرج منها حتى أضواء له قصور الشام ورأتها وكل ذلك من فضائله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ومزاياه وآياته الخالدة.

١٧ - واسترضعت: أي طلب لي الإرضاع أو مرضعة. بهم: بفتح الباء وسكون الهاء، ولد الضأن والمعز، وفي الحديث فضيلة هامة له صلى الله تعالى عليه وآله وسلم حيث شقَّ عن صدره الشريف وانقي مما كان فيه مع وزنه بالعديد من أمته فوزنهم.

معهما طست من ذهب مملوء ثلجاً، فأضجعاني فشقاً قلبي وبطني وغسلاه بذلك الثلج، حتى إذا أنقياه رداه كما كان، ثم قال أحدهما لصاحبه: زنه بعشرة من أمته فوزني بعشرة فوزنتهم، ثم قال: زنه بمائة من أمته، فوزني بمائة فوزنتهم، ثم قال: زنه بألف من أمته، فوزني بألف فوزنتهم، فقال: دعه عنك، فلو وزنته بأمته لوزنتهم».

١٨ - وعن أنس رضي الله تعالى عنه: (أن رسول الله ﷺ أتاه جبريل عليه السلام وهو يلعب مع الغلمان، فأخذه فصرعه فشق عن قلبه فاستخرج القلب واستخرج منه علقة سوداء، فقال: هذا حظ الشيطان، ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم، ثم لأمه، ثم أعاده في مكانه، وجاء الغلمان يسعون إلى أمه - يعني ظئره - فقالوا: إن محمداً قد قتل فاستقبلوه وهو منتقع اللون، قال أنس: وكنت أرى أثر ذلك المخيط في صدره).

١٩ - وعن عتبة بن عبد السلمي رضي الله تعالى عنه أنه حدثهم وكان من أصحاب رسول الله ﷺ أن رسول الله ﷺ قال له رجل: كيف كان أول شأنك يا رسول الله؟ قال: «كانت حاضتي من بني سعد بن بكر،

١٨ - رواه أحمد ومسلم في الإسرائ من كتاب الإيمان ٢/٢١٦، ٢١٧.

١٩ - رواه أحمد ٤/١٨٤، والدارمي رقم ١٣، والحاكم وفي سننه عندهم بقية بن الوليد لكنه صرح بالتحديث وشيخه ثقة شامي بلديه فهو حسن، وقد ذكرت =

١٨ - فصرعه: أي أسقطه إلى الأرض. حظ: أي نصيب. لأمه: أي ضم اللحم إلى بعضه وسده. يسعون: أي يمشون مسرعين. ظئره: أي مرضعته، وهي السيدة حليلة السعدية. منتقع: أي متغير أصفر. وكنت أرى الخ: هذا يدل على أن العملية الجراحية الربانية لاستخراج حظ الشيطان من القلب كانت حسيّة حقيقية لا خيالية تمثيلية كما يقول من في إيمانه ضيق وضعف فإن أثر المخيط لا يكون إلا عن شيء محسوس.

١٩ - حاضتي: أي كافلتي ومربتي وسميت الحاضنة بذلك لأنها تضم الطفل إلى حضنها وهو =

فانطلقت أنا وابن لها في بهم لنا، ولم تأخذ معنا زاداً فقلت: يا أخي اذهب فأتنا بزاد من عند أمنا، فانطلق أخي ومكثت عند البهم، فأقبل طائران أبيضان كأنهما نسران فقال أحدهما لصاحبه: أهو هو، قال الآخر: نعم فأقبلا يتدراني، فأخذاني فبطحاني». ثم ذكر باقي الحديث بنحو ما تقدم في حديث خالد بن معدان.

* * *

= هذا الحديث والذي قبله بدلاً مما ذكره سيدنا السيوطي رحمه الله تعالى من الأحاديث الواهية.

= الجنب. طائران: هذا يدل على أن الملائكة قد تشكل في صور طيور ولا غضاضة لهم في ذلك. يتدراني: أي يتسارعان إليّ أيهما يسبق ليأخذني. فبطحاني: أي أضجعاني. وفي هذه الأحاديث الثلاثة مع ما فيها من مزايا وخصائص تدل على أنه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قضى أيام رضاعه في البادية من بني سعد وهو إجماع لا يعرف في ذلك خلاف بين المحدثين والمؤرخين وغيرهم، وكانت له مرضعات أخر كأمه آمنة بنت وهب وأم أيمن وغيرهما ممن تشرفن بذلك.

خاتمة للأبواب السابقة^(١)

ولا تفوتنا الإشارة إلى ذكر نبذة من حياته ومرحلته الأولى مما قبل الهجرة فنقول:

توفي والده ﷺ وهو حمل في بطن أمه من شهرين كما رجحه ابن سعد والواقدي والبلاذري والذهبي وابن كثير، وورد فيه حديث رواه الحاكم وصححه، وتوفيت والدته وله أربع سنوات كما رجحه العراقي، ثم كفله جده عبدالمطلب، وتوفي وله عليه الصلاة والسلام ثمان سنوات، فضمه إليه عمه أبو طالب، فأواه إليه وأحسن مثواه، وكان به رؤوفاً وعليه عطوفاً، وصحبه لأول مرة في رحلة تجارية إلى الشام وهو ﷺ ابن اثني عشرة سنة، ولما بلغ من العمر خمساً وعشرين سنة تزوج بالسيدة الكريمة مولاتنا خديجة بنت خويلد رضي الله تعالى عنها، وكانت حسبية شريفة ثرية، ولم يتزوج غيرها حتى توفيت، وتعتبر أم أولاده زينب وأم كلثوم ورقية وفاطمة والقاسم والطاهر أو الطيب، وأما إبراهيم فكان من مارية القبطية، وفي أيام خديجة وحياتها معه ﷺ أكرمه الله عز وجل بالنبوة والبعثة المباركة الخالدة، وتوفيت هي وأبو طالب في شهر واحد، وللنبي ﷺ من العمر نحو خمسين سنة، وكان يسمي هذا العام عام الحزن، وعقب هذين الحادثين والفجيعتين، أكرمه الله تعالى بالحادث التاريخي العظيم الإسرائء والمعراج تلك الرحلة الإلهية العظيمة التي شاهد فيها من آيات الله عز وجل وعجائب ملكوته ما لم يشاهده نبي قبله، ثم بعده بقليل أذن له في الهجرة للمدينة المنورة الحبيبة، وهو ابن ثلاث وخمسين سنة، فاستقبل ﷺ حياة أخرى جديدة، وانتقل إلى مرحلته الثانية التي كوّن فيها النواة الأولى للدولة الإسلامية الخالدة.

* * *

(١) هذه الخاتمة من صنع المهدب للكتاب.

ذكر المعجزات والخصائص في خلقه ﷺ

باب ما جاء في خاتم النبوة

- ٢٠ - عن السائب بن يزيد رضي الله تعالى عنهما قال: (قمت خلف ظهر النبي ﷺ فنظرت إلى خاتم بين كتفيه مثل زرِّ الحَجلة).
- ٢١ - وعن جابر بن سمرة رضي الله تعالى عنه قال: (رأيت خاتماً في ظهر رسول الله ﷺ كأنه بيض حمام).
- ٢٢ - وعن عبدالله بن سرجس رضي الله تعالى عنه قال: (رأيت النبي ﷺ وأكلت معه خبزاً ولحماً، أو قال ثريداً، قال: فقلت أستغفر لك

-
- ٢٠ - رواه البخاري في الطهارة وفي المرض وفي صفة النبي ﷺ ٩٨/١٥، وكذا الترمذي رقم ٢٤١٣ في المناقب، وفي الشرائع رقم ١٥.
- ٢١ - رواه مسلم في صفة النبي ﷺ من الفضائل ٩٧/١٥، والترمذي في المناقب رقم ٣٤١٣، وفي الشرائع رقم ١٦، وكذا أحمد ٩٥/٥، ٩٨، ١٠٧، وابن سعد في الطبقات ٤٢٥/١، والحاكم ٩٥/٢ وغيرهم.
- ٢٢ - رواه أحمد ٨٢/٥، ومسلم في الفضائل ٩٨/١٥، ٩٩، والترمذي في الشرائع رقم ٢٢ من طريق عاصم الأحول عنه.

٢٠ - زر: بكسر الزاي، الحجلة: بفتح الحاء إما بيت كالحجلة لها أزرار يعد للعرس، أو المراد بالحجلة الطير المعروف.

٢١ - كأنه بيض: هذا يؤيد التفسير الثاني لزر الحجلة لأن بيضها قريب من بيض الحمام.

٢٢ - ناغض: أي عند أعلاه. جمعاً: بضم الجيم وسكون الميم يريد مثل جمع الكف. خيلان: =

النبي ﷺ؟ قال: نعم ولك، ثم تلا هذه الآية: ﴿واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات﴾، قال: ثم درت خلفه فنظرت إلى خاتم النبوة بين كتفيه عند ناغض كتفه اليسرى جُمعاً عليه خيلان كأمثال الثَّالِيلِ).

٢٣ - وعن أبي زيد رضي الله تعالى عنه، قال: (قال لي رسول الله ﷺ: «أدُنْ فامسح ظهري»، فدنوت ومسحت ظهره ووضعت أصابعي على الخاتم، فقيل له: ما الخاتم؟ قال: شعر مجتمع عند كتفيه).

باب جامع في صفة خَلْقِهِ صلى الله تعالى عليه وآله وسلم

٢٤ - عن البراء بن عازب رضي الله تعالى عنه قال: (كان

٢٣ - رواه أحمد ٥/٥٧، ٣٤٠، ٣٤١، والترمذي في الشمائل رقم ١٩، والحاكم ٢/٦٠٦، وسنده صحيح عندهم، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

* وفي الباب عن بريدة: رواه أحمد ٥/٣٥٤، والترمذي في الشمائل رقم ٢٠، بسند صحيح على شرط مسلم عند أحمد، وعن علي: رواه الترمذي في المناقب، وفي الشمائل رقم ١٨، وعن أبي سعيد: رواه أحمد ٣/٦٩، والترمذي في الشمائل رقم ٢١، وعن رميثة: رواه الترمذي أيضاً بسند صحيح على شرط مسلم.

٢٤ - رواه البخاري في المناقب، ومسلم في الفضائل ١٥/٩١، ٩٢.

بكسر الحاء المعجمة جمع خال وهو الشامة في الجسد. الثَّالِيلِ: بفتح الثاء المشددة بعدها همزة مدودة. ٢٣ - أدن: أي اقترب.

وقد اختلفت الأحاديث كما ترى في صفة خاتمه الشريف صلى الله تعالى عليه وآله وسلم والجمع بينها يمكن، وحاصلها أنه كان شبه غدة شاخصة في أعلى كتفه اليسرى قدر بيضة الحمامة أو الحجلة أو كف اليد عليها ثاليل وشعيرات كما جاء في أحاديث أخرى وقوله كف اليد أي على هيئته لكنه أصغر منه شبه البيضة.

٢٤ - الذاهب: في رواية البائين، ومعناه: أنه لم يكن بعيداً من التوسط ولا مبايناً للاعتدال.

رسول الله ﷺ أحسن الناس وجهاً، وأحسنهم خلقاً، ليس بالطويل
الذاهب ولا بالقصير).

٢٥ - وعنه أنه سئل أكان وجه رسول الله ﷺ مثل السيف؟ قال:
(لا، ولكن مثل القمر).

٢٦ - وعن جابر بن سمرة رضي الله تعالى عنه أنه سئل: أكان
وجه النبي ﷺ طويلاً؟ قال: (لا، بل مثل الشمس والقمر).

٢٧ - وعنه: (رأيت رسول الله ﷺ في ليلة إضحيان، وعليه حلة
حمراء، فجعلت أنظر إليه وإلى القمر، فلهو عندي أحسن من القمر).

٢٨ - وعن كعب بن مالك رضي الله تعالى عنه، قال: (كان
رسول الله ﷺ إذا سُرَّ استنار وجهه كأنه قطعة قمر، وكنا نعرف ذلك منه).

٢٥ - رواه البخاري في صفة النبي ﷺ ٣٨١/٧، والترمذي في المناقب رقم
٣٤٠٥، وفي الشمائل رقم ١٠، عن أبي إسحاق السبيعي عنه.

٢٦ - رواه مسلم باب شيبة ٩٧/١٥، مطولاً وتقدم.

٢٧ - رواه الترمذي في الأدب والاستئذان رقم ٢٦١٥، والدارمي رقم ٥٨،
والخطيب في التاريخ ٣٥٤/٢، ورواه أيضاً الترمذي في الشمائل رقم ٩، وسنده صحيح
وحسنه الترمذي وصححه البخاري.

٢٨ - رواه البخاري في مواضع منها في صفة النبي ﷺ ٣٨٣/٧، ٣٨٤، =

٢٥، ٢٦ - في هذين الحديثين أن وجهه عليه السلام كان في الإشراق والصفاء مثل الشمس
والقمر وأنه كان مستديراً.

٢٧ - إضحيان: بكسر الهمزة وسكون الضاد ثم حاء مكسورة أي ليلة مقمرة مثل ضحوة
النهار. حلة: الحلة هي ما كان فيها رداء وإزار، حمراء: أي مخططة بالأحمر لأن الأحمر البحت صحَّ
النهي عنه بالنسبة للرجال.

٢٨ - سُرَّ: بضم السين مبني للمجهول أي إذا حصل له سرور. استنار: أي أضاء وجهه.

٢٩ - وعن أبي الطفيل رضي الله تعالى عنه أنه قيل له: صف لنا رسول الله ﷺ قال: (كان أبيض مليح الوجه).

* - وفي رواية: (رأيت رسول الله ﷺ وما على وجه الأرض رجل رآه غيري قيل: فكيف رأيتَه؟ قال: كان أبيض مليحاً مُقَصِّداً).

٣٠ - وعن أنس رضي الله تعالى عنه قال: (كان رسول الله ﷺ رُبْعَةً من القوم ليس بالطويل البائن ولا بالقصير، أزهر اللون ليس بالأدهم ولا بالأبيض الأمهق، رجُل الشعر، ليس بالسِّط ولا بالجعد القَطَط).

٣١ - وعن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: (ما رأيت أحداً أنجد ولا أجود ولا أشجع ولا أضواً وأوضاً من رسول الله ﷺ).

ومسلم في التوبة، والترمذي في التفسير رقم ٢٨٩٦، وأبو داود، والنسائي في الطلاق وغيره، وهو قطعة من حديث كعب الطويل في تخلفه عن غزوة تبوك وتوبته رضي الله تعالى عنه.

٢٩ - رواه مسلم في الفضائل ٩٣/١٥، وأحمد ٤٥٥/٥، والترمذي في الشمائل رقم ١٣، وابن سعد ٤١٧/١.

٣٠ - رواه أحمد ٢٤٠/٣، ومالك في الموطأ رقم ١٧٧٢ بالزرقاني، والبخاري في المناقب، ومسلم في الفضائل، ٩٩/١٥، ١٠٠، والترمذي في اللباس ١٦١٠، وفي المناقب رقم ٣٣٩٢، وفي الشمائل رقم ٢/١ من طرق وألفاظ.

٣١ - رواه الدارمي رقم ٦٠ بسند صحيح.

٢٩ - مليح: أي حسن من الملاحظة وهي الحسن والصباحة. مُقَصِّداً: بضم الميم وفتح القاف والصاد أي وسطاً.

٣٠ - رُبْعَةً: بفتح الراء أي مربعاً. الأمهق: أي شديد البياض كالجلس والبرص. رجُل: بفتح الجيم وكسرهما أي ليس بشديد الجعودة. بالسِّط: بفتح الباء وكسرهما هو المسترسل ك شعر الروم. بالجعد القَطَط: بفتح الطاء وكسرهما هو الكثير الجعودة ك شعر السودان.

٣١ - أنجد: أي أعظم نجدة وعوناً. أجود: أي أكثر جوداً. أوضاً: من الوضاء وهي اللمعان.

٣٢ - وعن جابر بن سمرة رضي الله تعالى عنه قال: (كان رسول الله ﷺ ضليع الفم أشكل العين منهوس العقبين).

٣٣ - وعن علي رضي الله تعالى عنه قال: (لم يكن النبي ﷺ بالطويل ولا بالقصير شثن الكفين والقدمين ضخم الرأس ضخم الكراديس طويل المَسْرُبة إذا مشا تكفا تكفياً كأنما ينحط من صعب، لم أر قبله ولا بعده مثله).

٣٢ - رواه مسلم ٦٣/١٥، ٩٢، وأحمد ٨٦/٥، ٨٨، ٩٧، ١٠٣، والترمذي رقم ٣٤١٥، وفي الشمائل رقم ٨، وابن سعد ٤١٦/١، والخطيب في التاريخ ٣٤٧/٥، من طريق سماك عنه.

٣٣ - رواه الطيالسي رقم ٢٤٠٩، وأحمد ٩٦/١، ١٠١، ١٢٧، ١٥١، وعبدالله في زوائد أبيه ١١٦/١، ١١٧، والترمذي في المناقب رقم ٣٤٠٦، وفي الشمائل رقم ٥، وابن حبان رقم ٢١١٧، وابن سعد ٤١١/١، والحاكم ٦٠٦/٢، من طرق بعضها صحيحة أو حسنة، وحسنه الترمذي وصححه هو والحاكم ووافقه الذهبي.

* وقوله: «شثن الكفين والقدمين» ذكره البخاري معلقاً ٤٨٠/١٢ في كتاب اللباس مجزوماً به.

٣٢ - ضليع: أي واسع الفم أو عظيمه. أشكل: أي في بياضها شيء من حمرة. منهوس العقبين: أي لحمها قليل.

٣٣ - شثن: أي غليظها. الكراديس: جمع كُردوس بضم الكاف، هي رؤوس العظام، ومعناه: أنه كان ضخم الأعضاء كالركبتين والمرفقين والمنكبين، وكل ذلك من دلائل قوته صلى الله تعالى عليه وآله وسلم. طويل المَسْرُبة: على وزن مكرومة هو الشعر الدقيق الذي كأنه قضيب من صدره إلى سرتة صلى الله تعالى عليه وآله وسلم. كأنما ينحط: أي كأنما ينزل من أعلى إلى أسفل، والانحطاط النزول والانحدار، والصبب ما انحدر من الأرض.

٣٤ - وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: (كان رسول الله ﷺ شَبَّحَ الذراعين بعيد ما بين المنكبين أهدب أشفار العينين لم يكن سخاباً في الأسواق ولا فحاشاً ولا متفحشاً، كان يقبل جميعاً ويدبر جميعاً).

٣٥ - وعن البراء رضي الله تعالى عنه قال: (كان رسول الله ﷺ مربوعاً بعيد، ما بين المنكبين يبلغ شعره شحمة أذنيه، ما رأيت شيئاً أحسن منه).

٣٦ - وعن مجرش الكعبي رضي الله تعالى عنه قال: (اعتمر النبي ﷺ من الجِعْرَانَةِ لِيلاً فنظرت إلى ظهره كأنه سبيكة فضة).

٣٤ - رواه الطيالسي رقم ٢١٣، وأحمد، وغيرهما من طريق ابن أبي ذئب عن صالح مولى التوأمة عنه، وابن أبي ذئب روى عن صالح قبل الاختلاط فالحديث صحيح.

٣٥ - رواه البخاري ٣٨١/٨ في صفة النبي، ومسلم ٩١/١٥ في المناقب، وأبو داود في الترجل واللباس، والنسائي في الزينة، والترمذي في اللباس رقم ١٥٨١ وفي المناقب رقم ٣٤٠٤ وكذا أحمد ٢٨١/٤، ٢٩٠، ٢٩٥، ٣٠٣، والطيالسي رقم ٢٤١٠، والترمذي أيضاً في الشمائل رقم ٢٥/٣ من طرق.

٣٦ - رواه أحمد ٤٢٦/٣، ٤٢٧ من طرق صحيحة.

٣٤ - شَبَّحَ: بالشين المفتوحة بعدها باء ساكنة أي طويل الذراعين أو عريضها. أهدب: أي طويل شعر الأجنان والأشفار. فحاش: هو الذي ينطق بكلام الفحش والسفاهة. متفحشاً: هو الذي يتكلف ذلك والفحش كل ما عظم من الذنوب وكل هذا كان نبي الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم منزهاً عنه.

٣٥ - شحمة أذنه: أي طرفها الأسفل.

٣٦ - الجِعْرَانَةُ: بكسر الجيم والعين وفتح الراء المشددة، ويقال بسكون العين مع تخفيف الراء: =

٣٧ - وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: (كان رسول الله ﷺ أبيض، كأنما صيغ من فضة).

٣٨ - وعن أنس رضي الله تعالى عنه قال: (كان رسول الله ﷺ ضخم الرأس والقدمين بسط الكفين).

٣٧ - رواه الترمذي في الشمائل رقم ١١، وفي سنده صالح بن أبي الأخضر، ضعيف، وباقي رجاله ثقات، وله شاهد عن أنس، رواه الخطيب في التاريخ ٢٩٨/١٠ من طريق النضر بن شميل عن قتادة عنه.

٣٨ - رواه البخاري في اللباس باب الجعد ٤٨٠/١٢.

= موضع شرق شمال مكة المكرمة أحرم منه النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بعمرة عقب غزوة حنين بينه وبين مكة نحو من عشرين كيلو تقريباً. سبيكة فضة: أي قطعة منها أذيت وأفرغت في قالبها فشبّه ظهره الشريف بقطعة مسبوكة من فضة وذلك غاية في الصفاء.

٣٧ - صيغ: أي كأنه قطعة أخذت من فضة في لونه وصفاته فهو كسابقه.

٣٨ - ضخم الرأس: إلخ أي يميلان إلى الغلظ لكن مع ليونها كباقي جسده الشريف. بسط الكفين: معناه مسبوطةا خلقه فكان في راحته وأصابعه طول بلا إفراط، وقيل: إنه عبارة عن بسطها في العطاء والجود وكلاهما محتمل ولا مانع منها.

* - ملخص صفته صلى الله تعالى عليه وآله وسلم حسب ما في الباب من الأحاديث: صفة قامته وأنه كان ربعة، وصفة وجهه وأنه كان حسن الوجه أبيض مليحاً مثل الشمس والقمر، وكأنه صيغ من فضة، وإنه لم يكن أوضاً ولا أضواً منه، وصفة ظهره وأنه كسبيكة من فضة، وصفة فمه وأنه كان واسع الفم عظيمه، وصفة عينيه وأنه كان فيها بعض حمرة، وصفة شعر أجفانه وأنه كان طويلاً، وصفة رأسه وأنه كان ضخماً، وصفة ركبتيه وقدميه ومرفقيه ورؤوس أصابعه وجميع مفاصله وأنها كانت عظيمة، وصفة ذراعيه وأنها كانا طويلين، وصفة منكبيه وأن ما بينهما كان بعيداً واسعاً، وصفة عقبه وأنها كانا قليلي اللحم، وصفة شعر رأسه وأنه لم يكن جعداً كشعر السودان ولا سبطاً كشعر الروم بل كان وسطاً ويصل إلى شحمة أذنيه، وصفة شعره المتصل إلى صدره وسرته وأنه كان طويلاً صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وشرف وعظم ومجد وكرم.

هذا ملخص ما ذكر في الباب ولم تستوعب هذه الأحاديث كل صفاته كما يعرف من شمائله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم.

٣٩ - وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: (كان رسول الله ﷺ ضخم القدمين حسن الوجه لم أر بعده مثله).

٤٠ - وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه قال: (اشتكيت شكوى لي بمكة، فدخل رسول الله ﷺ يعودني، قال: قلت: يا رسول الله، إني تركت مالا، وليس لي إلا ابنة واحدة، أفأوصي بثلاثي مالي وأترك لها الثلث؟ قال: لا، قال: فأوصي بالنصف وأترك لها النصف؟ قال: لا، قال: فأوصي بالثلث وأترك لها الثلثين؟ قال: الثلث، والثلث كثير، ثلاث مرار، قال: فوضع يده على جبهته، فمسح وجهي وصدري وبطني، وقال: «اللهم اشف سعداً وأتم له هجرته»، فما زلت يخيل إليّ بأني أجد بردَ يده على كبدي حتى الساعة).

٣٩ - رواه البخاري في اللباس ١٢/٤٨٠.

٤٠ - رواه أحمد ١٧١/١ بسند صحيح، وأصله في الصحيحين بغير هذا السياق.

٤٠ - في هذا الحديث دليل على أنه لا تصح الوصية بأكثر من الثلث وإذا كان هذا ممنوعاً، فكيف بما يفعله بعض من لا يخاف الله تعالى فيكتب لبعض أقاربه أو غيرهم ببعاً أو شركة احتيلاً على مال الوارث حتى لا يبقى له شيء إن ذلك يعدُّ من كبار الذنوب عند الله تعالى، فاتق الله أيها المسلم، فإنَّ الله أعطى كل ذي حق حقه، وفي الحديث مشروعية عيادة المريض ووضع اليد على وجهه وصدره وبطنه والدعاء معه.

باب المعجزات والخصائص والآيات في أعضائه وجسمه على التفصيل

ما جاء في عينيه الشريفتين

قال الله تعالى: ﴿ما زاعَ البصرُ وما طغى﴾، لقد رأى من آياتِ ربه
الكبرى ﴿^(١)﴾.

٤١ - وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، أن رسول الله ﷺ
قال: «ترون قبلي ههنا، فوالله ما يخفى عليّ ركوعكم ولا سجودكم،
إني لأراكم من وراء ظهري».

٤٢ - وعن أنس رضي الله تعالى عنه، أن رسول الله ﷺ قال:
«أيها الناس، إني إمامكم، فلا تسبقوني بالركوع ولا بالسجود، فإني
أراكم من أمامي ومن خلفي».

٤١ - رواه البخاري ومسلم في الصلاة.

٤٢ - رواه البخاري ومسلم.

.....
(١) ﴿ما زاع﴾: أي ما مال عن الحق، ﴿وما طغى﴾: أي ما تجاوز الحد، ﴿لقد رأى﴾: أي
رأى جبريل على صورته الأصلية في ستمائة جناح، وقيل: رأى الله عز وجل وما شاهد من عالم
الملكوت والجبروت.

٤١، ٤٢ - ظاهر هذين الحديثين يدل على أنه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم كان يرى من خلفه كما
يرى بعيني بصره، واختلف هل كانت له جارحة يرى بها من ظهره أم لا؟ والأسلم هو أن نؤمن بما
قال، ونمسك عن البحث فيه، لأنه لا فائدة في البحث عن مثل ذلك بلا دليل.

ما جاء في إبطيه الشريفين
صلى الله تعالى عليه وآله وسلم

٤٣ - عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: (رأيت رسول الله ﷺ يرفع يديه في الدعاء حتى يرى بياض إبطيه).

ما جاء في قلبه الشريف
صلى الله تعالى عليه وآله وسلم

قال الله تعالى: ﴿ألم نشرح لك صدرك﴾.
وقال تعالى: ﴿ما كذب الفؤاد ما رأى﴾^(١).
وتقدم حديث أنس وعتبة بن عبد برقم ١٨ و ١٩ في شق صدره الشريف وغسله بماء زمزم وإخراج حظ الشيطان منه، وسيأتي في الإسراء بعض من ذلك أيضاً.

ما جاء في سمعه الشريف
صلى الله تعالى عليه وآله وسلم

٤٤ - عن أبي ذر رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إني أرى ما لا ترون وأسمع ما لا تسمعون، أظت السماء وحق لها أن

٤٣ - رواه البخاري ومسلم في الاستسقاء.

٤٤ - رواه الترمذي في الزهد رقم ٢١٣١، وأحمد ١٧٣/٥، وابن ماجه رقم =

٤٣ - هذا الرفع جاء في دعاء الاستسقاء، وقد جاء مطلق الرفع في الدعاء كثيراً في الأحاديث جمعها جماعة من العلماء، كالنووي في شرح المهذب وغيره والسيوطي في كتاب «فض الرعاء بأحاديث رفع اليدين في الدعاء، ولأستاذنا أحمد بن الصديق في ذلك رسالة خاصة رحمهم الله جميعاً.

(١) ﴿ألم نشرح﴾: أي نفسح ونوسع لك قلبك، ﴿ما كذب الفؤاد﴾: إلخ أي ما أنكر القلب

ما رآه ببصره من صورة جبريل، أو ما كذب القلب البصر بما حكاه له، والله أعلم.

٤٤ - أظت: أي صوّتت. وحق لها: أي لما فيها من ملائكة الله وجنوده الذين يفوقون الحصر =

تتط، ما فيها موضع أربع أصابع إلا ومَلَك واضحُ جبهته لله ساجداً، والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً، وما تلذذتم بالنساء على الفرش، ولخرجتم إلى الصُّعَدَات تجأرون إلى الله» لوددت أني كنت شجرة تُعَضد.

ما جاء في صوته الشريف صلى الله تعالى عليه وآله وسلم

٤٥ - عن عبدالرحمن بن معاذ رضي الله تعالى عنه قال: (خطبنا رسول الله ﷺ ونحن بمنى ففتحت أسماعنا حتى كنا نسمع ما يقول ونحن في منازلنا) الحديث.

٤١٩٠، والحاكم من طريق مورو عنه وسنده لا بأس به رجاله رجال الصحيح على كلام يسير في إبراهيم بن مهاجر.

وللحديث شاهد عن أبي الدرداء رواه الطبراني والحاكم، وآخر عن أبي هريرة رواه الحاكم وقوله: «والله» إلى قوله: «كثيراً» في الصحيحين عن أبي هريرة وقوله: «لوددت أني شجرة تعضد» مدرجة من كلام أبي ذر في رواية أحمد.

٤٥ - رواه أبو داود رقم ١٩٥٧، والنسائي ٢٠٠/٥، كلاهما في الحج من طريق محمد بن إبراهيم التيمي وسنده صحيح.

.....
= والعد. للُّصُعَدَات: بضم الصاد والعين، جمع صُعُد بضم العين وسكونها هي الطرقات. تجأرون: من الجؤار وهو رفع الصوت. لوددت: أي لتمنيت. تُعَضد: بضم التاء وفتح الصاد، أي تقطع، وفي الحديث بيان ما كان عليه رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم من العلم بربه وما كان يشاهده من عالمي الملك والملكوت، وما لو اطلع على بعضه أحدنا هام على وجهه في المفاوز والفيافي رافعاً صوته مستجيراً بالله ومستغيثاً به ولزهد في النساء وكل اللذائذ والمشتهيات.
٤٥ - في هذا آية باهرة حيث أسمعههم خطبته الخالدة وهم جموع وحشود قريية من مائة ألف.

ما جاء في عرقه الشريف صلى الله تعالى عليه وآله وسلم

٤٦ - عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: (دخل علينا رسول الله ﷺ فَقَالَ عَدْنَا، فَعَرَقَ وَجَاءتْ أُمِّي بِقَارُورَةٍ، فَجَعَلَتْ تَسْلُتُ الْعِرْقَ، فَاسْتَيْقِظَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: يَا أُمَّ سَلِيمَ، مَا هَذَا الَّذِي تَصْنَعِينَ؟ قَالَتْ: عِرْقَ نَجَعَلُهُ لَطِينًا، وَهُوَ أَطِيبُ الطَّيْبِ).

* - وفي رواية من وجه آخر: أن النبي ﷺ كان يأتي أم سليم، فيقبل عندها، فتبسط له نطعاً، فيقبل عليه، وكان كثير العرق، فكانت تجمع عرقه فتجعله في الطيب والقوارير، فقال: يا أم سليم، ما هذا؟ قالت: عرقت أدوف به طيب.

٤٧ - وعن أنس أيضاً قال: (كان رسول الله ﷺ أزهر اللون، كأن عرقه اللؤلؤ، إذا مشى تكفأً، ولا مسست ديباجة ولا حريرة ألين من كف رسول الله ﷺ، ولا شممت مسكة ولا عنبراً أطيب من رائحة رسول الله ﷺ).

٤٦ - رواه مسلم بطريقه في الفضائل ٨٦/١٥، ٨٧.

٤٧ - رواه مسلم في الفضائل ٨٥/١٥، ٨٦، والترمذي، والدارمي رقم ٦٢.

٤٦ - فقال عندنا: أي نام بمنزلنا في وقت القيلولة وهو وسط النهار. قارورة: أي زجاجة. تسلت: أي تمسح العرق بأصبعها. فاستيقظ: أي قام من النوم. نطعاً: بفتح النون هو بساط يتخذ من الجلد. أدوف به طيب: هو يضم الدال وسكون الواو أي أخلطه فيه. وفي الحديث بطريقه ما كان عليه الصحابة من التبرك بآثار النبي الكريم صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وإقراره أم سليم على ما فعلته بعرقه يدل على جواز مثل ذلك من الرجل الصالح.

٤٧ - أزهر اللون: هو الأبيض المستنير المشرب بحمرة، وهو أحسن الألوان. كان عرقه: أي كان صافياً أبيض مثل اللؤلؤ. تكفأً: أي مال يميناً وشمالاً، أو مال إلى قصد مشيه. ديباجة: بكسر الدال بعدها ياء ساكنة ثم باء موحدة وجيم بينها ألف، هي الثوب الذي يكون سداه ولحمه حريراً.

٤٨ - وعن جابر بن سمرة رضي الله تعالى عنه قال: (صليت مع رسول الله ﷺ الصلاة الأولى، ثم خرج إلى أهله وخرجت معه، فاستقبله ولدان فجعل يمسح خدي أحدهم واحداً واحداً، قال: وأما أنا فمسح خدي، قال: فوجدت ليده برداً أوريحاً كأنما أخرجها من جُؤنة عطار).

ما جاء في دمه الشريف صلى الله تعالى عليه وآله وسلم

٤٩ - عن عبدالله بن الزبير رضي الله عنهما أنه أتى النبي ﷺ وهو يحتجم، فلما فرغ قال: «يا عبدالله اذهب بهذا الدم فأهريقه حيث لا يراه أحد»، فلما برزت عن رسول الله ﷺ عمدت إلى الدم فحسوته، فلما رجعت إلى النبي ﷺ قال: ما صنعت يا عبدالله؟ قال: جعلته في مكان ظننت أنه خاف عن الناس. قال: فلعلك شربته؟ قلت: نعم، قال: «ومن أمرك أن تشرب الدم، ويل لك من الناس، وويل للناس منك».

٤٨ - رواه مسلم أيضاً في الفضائل ٨٥/١٥. وهذا والذي قبله من زياداتي.

٤٩ - أورده الهيثمي في المجمع ٢٧٠/٨، برواية الطبراني والبخاري باختصار، وقال: رجاله رجال الصحيح غير هنيذ بن القاسم وهو ثقة.

٤٨ - جؤنة عطار: هي بضم الجيم بعده همزة ساكنة، هي سُليلة مغطاة بالأدم تكون عند العطارين، والعطار هو بائع العطورات، وفي الحديث والذي قبله بيان لعدة أوصاف له صلى الله تعالى عليه وآله وسلم، وكان من اللائق أن يدرجا في الباب الذي قبله ففيها بيان لونه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وعرقه ومشيته وليونة جسمه وطيب رائحته مضافة إلى كريم أخلاقه وملاطفته للصبيان فصلوات الله وسلامه عليه أبد الأبدين.

٤٩ - فلما برزت: أي خرجت. ويل: أي هلاك لك ولهم، وقد وقع ما قال له، وذلك بقتاله في الحرم المكي الشريف لجيش عبدالملك بن مروان الذي وجهه لمحاربه بقيادة الحجاج، فأريقتماء الألوفاً من المسلمين بحرم الله بسببه، وأنا لله وإنا إليه راجعون.

٥٠ - وعن سفينة رضي الله تعالى عنه قال: احتجم النبي ﷺ، قال: «خذ هذا الدم فادفنه من الدواب والطيور والناس». فتغيبت فشربته، ثم ذكرت له ذلك فضحك.

ما جاء في بوله الشريف صلى الله تعالى عليه وآله وسلم

٥١ - عن حكيمة بنت أميمة عن أمها رضي الله تعالى عنهما قالت: كان للنبي ﷺ قدح من عيدان يبول فيه ويضعه تحت سريره، فقام فطلبه فلم يجده، فسأل فقال: أين القدح؟ قالوا: شربته بركة خادم أم سلمة التي قدمت معها من أرض الحبشة، فقال النبي ﷺ: «لقد احتظرت من النار بحظار».

٥٠ - رواه الطبراني والبخاري باختصار الضحك، ورجال الطبراني ثقات كذا في المجمع ٢٧٠/٨.

٥١ - رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير عبدالله بن أحمد بن حنبل وحكيمة وكلاهما ثقة قاله الهيثمي ٢٧٠/٨، ٢٧١، ورواه أبو داود رقم ٢٤، والنسائي ٣١/١، وابن حبان رقم ١٤١، والحاكم ١٦٧/١، والبيهقي ٩٩/١ من طريق حكيمة به مختصراً وسنده حسن، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي، وله شاهد عن أم أيمن رواه الطبراني بسند ضعيف كما في المجمع ٢٧١/٨.

٥٠ - وفي هذا الحديث وما قبله بيان أن الصحابة كانوا يقدسون النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ويعظمونه تعظيماً بالغاً حتى إنهم كانوا يطلبون الخير والبركة بآثار وضوئه وبصافه ونخامته ودمه وعرقه وبوله، ولم يكن ينكر عليهم ذلك لأنه يعلم منهم أنهم موحدون لا تتطرق إلى عقيدتهم أي شبهة شركية، وهذا شأن كل مؤمن في كل العصور.

٥١ - احتظرت: معناه لقد جعلت بينها وبين النار حظيرة، أي وقاية، وأصل الحظيرة بيت يعد للإبل من شجر ليحفظها من الريح والبرد، وفيه دليل على أن من دخل جوفه شيء من أثر النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم لا يدخل النار، فينبغي أن تضاف هذه الأمة إلى من بُشروا بالجنة فقد قال تعالى: ﴿فمن زحزح عن النار وادخل الجنة فقد فاز﴾.

ما جاء في قدمه الشريف
صلى الله تعالى عليه وآله وسلم

٥٢ - عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: (أن قريشاً أتوا كاهنةً فقالوا لها: أخبرينا بأقربنا شهباً بصاحب هذا المقام، فقالت: إن أنتم جررتم كساء على هذه السهلة، ثم مشيتم عليها أنباتكم، فجرّوا، ثم مشى الناس عليها، فبصرت أثر محمد ﷺ، فقالت: هذا أقربكم شهباً به، فمكثوا ذلك عشرين سنة أو قريباً من عشرين سنة أو ما شاء الله، ثم بُعث ﷺ).

ما جاء في مشيه الشريف
صلى الله تعالى عليه وآله وسلم

٥٣ - عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: (ما رأيت شيئاً

٥٢ - رواه أحمد ٣٣٢/١ بسند صحيح وفي رواية سماك عن عكرمة كلام لا يضر هنا.

٥٣ - رواه أحمد والترمذي رقم ٣٤١١ تهذيبي، وفي الشمائل ١١٥، وابن =

٥٢ - كاهنة: الكاهن هو من له صديق من الشياطين والأرواح الشريرة التي تسترق السمع من ملائكة السماء فيأتون بكلمة صدق ويزيدون عليها مائة كذبة ويلقونها إلى صديقهم الإنسي الكاهن، وكانت الكهانة سائدة منتشرة بكثرة في الجاهلية، وكانت للكهان سوق نافذة ودولة عريقة بين الأوساط الوثنية.

صاحب هذا المقام: هو خليل الرحمن صلوات الله عليه، وهؤلاء الكفرة على الرغم من كونهم كانوا مؤمنين بالكهانة، وقد أخبرتهم هذه الكاهنة بأن سيدنا صلى الله عليه وآله وسلم أقرب الناس شهباً بجدهم إبراهيم الذي كانوا ينتسبون إليه وإلى دينه، فعلى الرغم من ذلك لم يصدقوه في دعوته ورفضوا قول الكاهنة لا لكذبتها وكذبهم، ولكن عناداً وأنفة منهم كما قال تعالى: ﴿فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون﴾.

٥٣ - إنا لنجهد: هو بضم النون وكسر الهاء، أي لنكلف أنفسنا ونحملها فوق طاقتنا. غير مكترث: بضم الميم وكسر الراء أي غير مبال.

أحسن من رسول الله ﷺ، كأنَّ الشمس تجري في وجهه، وما رأيت أحداً أسرع من رسول الله ﷺ كأنما الأرض تطوي له، إنا لنُجهد أنفسنا وإنه لغير مُكترث).

ما جاء في نومه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم

٥٤ - عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: يا رسول الله، أتنام قبل أن توتر؟ فقال: «يا عائشة، إن عينيَّ تنامان ولا ينام قلبي».

٥٥ - وعن أنس رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الأنبياء تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم».

= حبان رقم ٢١١٨، وابن سعد في الطبقات ١/٣٧٩، ٣٨٠، وسنده صحيح عند بعضهم وقد توبع ابن لهيعة.

٥٤ - رواه البخاري في التهجد وفي المناقب ٧/٣٩١، ونحوه عن ابن عباس وجابر عنده أيضاً في صلاة الليل وفي الاعتصام.

٥٥ - رواه البخاري في المناقب ٧/٣٩١، وفي التوحيد.

٥٤، ٥٥ - في هذين الحديثين دليل على أن الأنبياء قد يخالفون سائر الناس في بعض طبائعهم البشرية، ومن ذلك النوم، فإنهم وإن نامت أعينهم فإن قلوبهم يقظة لا تنام كباقي الناس، وهذا من خصائصهم، ومن هذا كان صلى الله تعالى عليه وآله وسلم لا يتوضأ من نومه. وقد اختلف العلماء في توجيه معنى الحديثين، ولنحل القاريء للتوسع في ذلك على فتح الباري للمحافظ ابن حجر عند كلامه على حديث عمران بن الحصين في صاحبة المزادتين من كتاب التيمم.

٥٦ - يدور: إلخ أي فيجامعهن صلى الله تعالى عليه وآله وسلم، ولم يكن القسم فرضاً عليه على الصحيح، وإنما كان يقسم بينهن تشريعاً لناً وقياماً بالمعاملة الجميلة والمعاشرة الحسنة الطيبة.

ما جاء في جماعه نساءه
صلى الله تعالى عليه وآله وسلم

٥٦ - عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: (كان النبي ﷺ يدور على نسائه في الساعة الواحدة من الليل والنهار وهنَّ إحدى عشرة. قيل لأنس: أو كان يطيقه؟ قال: كنا نتحدث أنه أعطي قوة ثلاثين).

كثرة أسمائه الدالة على شرفه
صلى الله تعالى عليه وآله وسلم

٥٧ - عن جبير بن مطعم رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنَّ لي أسماءً: أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب الذي ليس بعده نبي».

٥٨ - وعن أبي موسى رضي الله تعالى عنه قال: سمَّى لنا

٥٦ - رواه البخاري في الغسل ١/٣٩٢، ٤٠٦، ٤٠٧.

٥٧ - رواه الطيالسي رقم ٢٣١٣، وأحمد ٤/٨٠، ٨٤، والبخاري في صفة النبي ﷺ ٧/٣٦٦، ٣٦٨، ورواه مسلم ١٥/١٠٤، والترمذي في الأدب، والدارمي في الرقاق، وكذا مالك رقم ١٩٥٥ من طريق محمد بن جبير عن أبيه، ورواه أحمد من طريق آخر أيضاً ٤/٨٣، ٨٤ وزاد فيه: «والخاتم» وسنده صحيح.

٥٨ - رواه أحمد ٤/٣٩٥، ٤٠٤، ٤٠٧، ومسلم في الفضائل ١٥/١٠٥،

= والطيالسي رقم ٢٣١٢.

٥٧ - محمد: سمي بذلك لكثرة خصاله الحميدة، أو لأنه سيحمله الأولون والآخرين عند المقام المحمود حينما يشفع للخلائق للشفاعة العظمى. أحمد: أي أكثر الناس حمداً لله عز وجل فهو أحمد الحامدين لربهم وباقي الأسماء مفسرة.

٥٨ - والمقفى: بفتح الفاء وكسرهما، فالمراد به على الأول المتبوع، وعلى الثاني التابع لمن سبقه =

رسول الله ﷺ نفسه أسماء، منها ما حفظنا ومنها ما لم نحفظ قال: «أنا محمد، وأنا أحمد، والمقفى، والحاشر، ونبي التوبة، ونبي الملحمة، ونبي الرحمة».

نجاحه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم في قضاء حاجات جده

٥٩ - عن كندير بن سعد عن أبيه قال: حججت في الجاهلية، فرأيت رجلاً يطوف بالبيت وهو يقول: رد إلى رابي محمد، يا ربّ رده واصطنع عندي يداً، فقلت: من هذا؟ قالوا: عبدالمطلب، بعث بابن له في طلب إبل له ولم يبعثه في حاجة قط إلا أنجح فيها، وقد أبطأ عليه، فلم يلبث حتى جاء النبي ﷺ والإبل.

= ونحوه عن حذيفة وفيه: «نبي الملاحم» رواه أحمد ٤٠٥/٥، والترمذي في الشمائل رقم ٣٦٠، والبزار. قال في المجمع ٢٨٤/٨: ورجال أحمد رجال الصحيح غير عاصم بن بهدلة، وهو ثقة وفيه سوء حفظ، اهـ. قلت: وحديثه حسن وبعضهم يصحح له.

٥٩ - رواه البخاري في التاريخ الكبير والحاكم ٦٠٣/٢، وصححه على شرط مسلم ووافقه الذهبي، وأورده الهيثمي في المجمع ٢٢٤/٨ برواية أبي يعلى والطبراني، وقال: إسناده حسن.

= من الأنبياء، ولا شك أنه جاء تابِعاً لمن سبقه في النبوة والتوحيد والتبليغ متبوعاً لأمرته وقُدوةً لكل مؤمن به. نبي التوبة: إلخ أي صاحب هذه الخصال فهي من خصائصه بمعناها الكامل. والملحمة: هي واحدة الملاحم وهي وقائع الحرب والمعارك، والمراد أنه اختص بكثرة المعارك الحربية مع المشركين، وأسمائه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم غير محصورة فيما ذكر فلتراجع المواهب اللدنية والقول البديع وجلاء الإفهام والهدى النبوي وحجة الله على العالمين وغيرها.

٥٩ - أبطأ: أي تأخر. فلم يلبث: أي يمكث.

سفره مع عمه أبي طالب إلى الشام وما ظهر في ذلك من الآيات

٦٠ - عن أبي موسى الأشعري رضي الله تعالى عنه قال: (خرج أبو طالب إلى الشام، وخرج معه النبي ﷺ في أشياخ من قريش، فلما أشرفوا على الراهب هبط فحلوا رحالهم، فخرج إليهم الراهب، وكانوا قبل ذلك يمرون به فلا يخرج إليهم ولا يلتفت).

قال: فهم يحملون رحالهم، فجعل يتخللهم الراهب حتى جاء فأخذ بيد رسول الله ﷺ فقال: هذا سيد العالمين، هذا رسول رب العالمين يبعثه الله رحمة للعالمين. فقال له أشياخ من قريش: ما علمك؟ فقال: إنكم حين أشرفتم من العقبة لم يبق حجر ولا شجر إلا خرَّ ساجداً، ولا يسجدان إلا لنبي، وإني أعرفه بخاتم النبوة أسفل من غضروف كتفه مثل التفاحة، ثم رجع فصنع لهم طعاماً، فلما أتاهم به فكان هو في رعية

٦٠ - رواه الترمذي في المناقب رقم ٣٣٨٩ بتهذيبي، وابن أبي شيبة، والحاكم، وحسنه الترمذي، وصححه الحاكم وسنده صحيح على شرط البخاري عند الترمذي، وله شواهد عند ابن إسحاق وابن سعد وغيرهما، لكنه منكر فأصل القصة صحيح غير أن هذا السياق فيه ألفاظ منكرة كذكر أبي بكر وبلال مثلاً فإن بلالاً لم يكن ولد بعد، وأبو بكر كان لا يزال بمكة صبيّاً، وفيه غير ذلك ولهذا ضعفه الذهبي وغيره، وقال الحافظ في الإصابة: رجاله ثقات، وليس فيه سوى هذه اللفظة فيحتمل أنها مدرجة فيه مقتطعة من حديث آخر وهما من أحد رواته وذكر نحوه الجزري، وأطال أستاذنا أحمد بن الصديق رحمه الله تعالى في إبطاله في جؤنة العطار وأشار إلى بعض ذلك ابن القيم في الهدى النبوي.

٦٠ - يتخللهم: أي يمشي وسطهم. غضروف: بضم الغين المعجمة ثم ضاد ساكنة، هو =

الإبل، فقال: أرسلوا إليه، فأقبل وعليه غمامة تظله، فلما دنا من القوم وجدهم قد سبقوه إلى فيء الشجرة، فلما جلس مال فيء الشجرة عليه فقال: انظروا إلى فيء الشجرة مال عليه.

قال: فبينما هو قائم عليهم وهو يناشدهم أن لا يذهبوا به إلى الروم فإن الروم إن رأوه، عرفوه بالصفة فيقتلوه، فالتفت فإذا بسبعة قد أقبلوا من الروم، فاستقبلهم فقال: ما جاء بكم؟ قالوا: إن هذا النبي خارج في هذا الشهر، فلم يبق طريق إلا بعث إليه بأناس، وإنا قد أخبرنا خبره بعثنا إلى طريقك هذا. فقال: هل خلفكم أحد هو خير منكم؟ قالوا: إنما أخبرنا خبره بطريقك هذا. قال: أفأريتم أمراً أراد الله أن يقضيه، هل يستطيع أحد من الناس رده؟ قالوا: لا، قال: فبايعوه وأقاموا معه. قال: أنشدكم بالله أيكم وليه؟ قالوا: أبو طالب، فلم يزل يناشده حتى رده أبو طالب، وبعث معه أبو بكر بلائاً وزوده الراهب من الكعك والزيت).

شفاعته لأبي طالب وتخفيف العذاب عنه

٦١ - عن العباس بن عبدالمطلب رضي الله تعالى عنه قال: قلت: يا رسول الله، هل نفعت أبا طالب بشيء فإنه قد كان يحوطك ويغضب لك؟ قال: «نعم، هو في ضَحْضَاحٍ من النار، ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار».

٦١ - رواه البخاري في المناقب وفي صفة الجنة والنار وفي الأدب، ومسلم في الإيمان ٨٤/٣، ٨٥.

= نَغْضُ الكُتْفِ بضم النون وفتحها، وهو ما يجيء ويذهب منه عند التحرك. فيء الشجرة: أي ظلها. يناشدهم: أي يسألهم بالله.

٦١ - يحوطك: أي يكلأك ويرعاك ويحفظك. ضَحْضَاحٍ: بضادين معجمتين مفتوحتين بينهما =

اختصاصه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بمحافظة الله إياه في شبابه عما كان عليه أهل الجاهلية

٦٢ - عن جابر بن عبدالله رضي الله تعالى عنهما قال: (لما بنيت الكعبة، ذهب رسول الله ﷺ والعباس ينقلان الحجارة، فقال العباس للنبي ﷺ: اجعل إزارك على عاتقك يقيك من الحجارة، ففعل فخرًا إلى الأرض، وطمحت عيناه إلى السماء، ثم قام فقال: إزاري فشد عليه إزاره).

٦٣ - وعن علي رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما هممت بشيء مما كان أهل الجاهلية يهمون به من النساء إلا ليلتين كلتاها عصمني الله منهما، قلت ليلة لبعض فتيان مكة ونحن في

٦٢ - رواه البخاري في الحج، وفي المناقب، ومسلم في كتاب الحيض، وأحمد ٣/٢٩٥، ٣٨٠.

٦٣ - رواه ابن إسحاق والبخاري والبيهقي في دلائل النبوة ٢/٣٤، ٣٥ وسنده =

حاء مهملة ساكنة وآخره حاء مهملة كذلك، هو في الأصل الماء اليسير الذي يضرب إلى الكعبين أو الساقين، ومراده هنا: أنه في نار يسيرة كمثل من في ضحضاح من ماء، وقد جاء في حديث آخر: أن له نعلين من نار في أحمصيه يغل. منها دماغه وأنه أهون أهل النار عذاباً نعوذ بالله تعالى منها. وفي هذا الحديث دليل على أن الشفاعة من الصالح قد تنفع الكافر بتخفيف العذاب لا بالخروج، فإن الكافر مخلد في النار ولا يدخل الجنة إلا المؤمنون ولو بعد حين.

وقد جاء في كتاب النكاح من صحيح البخاري رؤيا تدل على تخفيف العذاب عن أبي لهب لعناته ثوية عندما بشرته بولادة النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم.

٦٢ - عاتقك: أي ما بين المنكب والعتق، يقيك: أي يحفظك. فخرًا: أي سقط. وطمحت: بفتحات أي ارتفعت عيناه، وفي رواية: فما رؤي بعد ذلك عرياناً وهذا من عناية الله به.

٦٣ - من النساء: أي السهر معهن على الشرب والغناء والرقص والفجور. فتيان: أي شباب.

عزف: بعين مهملة ثم زاي ساكنة صوت المزامير والغناء.

رعاية غنم أهلنا، فقلت لصاحبي: أبصر لي غنمي حتى أدخل مكة فأسمر بها كما يسمر الفتیان، فقال: بلى، فدخلت حتى إذا جئت أول دار من دور مكة سمعت عزفاً بالغرابيب والمزامير، قلت: ما هذا؟ فقيل: تزوج فلان فلانة، فجلست أنظر، وضرب الله على أذني، فوالله ما أيقظني إلا مسُّ الشمس، فرجعت إلى صاحبي فقال: ما فعلت؟ قلت: ما فعلت شيئاً، ثم أخبرته بالذي رأيت، ثم قلت له ليلة أخرى: أبصر لي غنمي حتى أسمر بمكة، ففعل، فدخلت فلما جئت مكة سمعت مثل الذي سمعت تلك الليلة، فجلست أنظر، وضرب الله على أذني، فوالله ما أيقظني إلا مسُّ الشمس، فرجعت إلى صاحبي فقال: ما فعلت؟ قلت: لا شيء، ثم أخبرته الخبر، فوالله ما هممت ولا عدت بعدهما لشيء من ذلك حتى أكرمني الله بنبوته».

٦٤ - وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: (لما نزلت ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ نادى رسول الله ﷺ في قريش بطناً بطناً فقال: «أرأيتم لو قلت لكم إن خيلاً بسفح الجبل أكنتم مصدقي؟» قالوا:

= حسن، وابن إسحاق صرح بالتحديث، وأورده الهيثمي في المجمع برواية البزار، ٢٢٦/٨، وقال: رجاله ثقات. وقال الحافظ: إسناده حسن.

٦٤ - رواه البخاري في تفسير سورة الشعراء ١١٨/١٠، ١١٩ وسورة تبت يدا ٣٦٨/١٠، ومسلم في الإيمان ٧٩/٣، ٨٠.

= وفي هذا الحديث الشريف كرامة من الله لنبيه الكريم حيث عصمه عز وجل وحفظه من تجمعات الجاهلية السافلة الساقطة التي كانت كلها فسوقاً وفجوراً وشركيات، وقد انقلبت أحوال المسلمين اليوم وتجمعاتهم إلى تلك العوائد، بل فاقوهم في ذلك وأصبح العالم الإسلامي في جاهلية جهلاء وظلمة حالكة مليئاً بكل أنواع الإجرام فلا حول ولا قوة إلا بالله وإنا لله وإنا إليه راجعون.

٦٤ - أرأيتم: أي أخبروني. بسفح: بفتح السين المهملة بعدها فاء ساكنة، أي أسفل الجبل. تبت لك: التباب الخسران والهلاك، وتباً له: ألزمه الله هلاكاً فهو مصدر مفعول بفعل محذوف.

نعم ما جربنا عليك كذباً قط قال: «فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد»، فقال أبو لهب تَبَّأُ لك، ألهذا جمعتنا؟ فأنزل الله: ﴿تَبَّأُ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾.

٦٥ - وعن زيد بن حارثة رضي الله تعالى عنه قال: (كان صنم من نحاس يقال له: إساف أو نائلة يتمسح به المشركون إذا طافوا فطاف رسول الله ﷺ وطففت معه، فلما مررت مسحت به، فقال رسول الله ﷺ: لا تمسه، قال زيد: فطفنا به، ثم قلت في نفسي: لأمسه حتى أنظر ما يكون فمسحته، فقال رسول الله ﷺ: ألم تنه؟ قال زيد: فوالذي أكرمه وأنزل عليه الكتاب ما استلمت صنماً حتى أكرمه الله تعالى بالذي أكرمه وأنزل عليه).

٦٦ - وعن جبير بن مطعم رضي الله تعالى عنه قال: (أضللت

٦٥ - رواه الحاكم وأبو نعيم والبيهقي ٣٤/٢ وصححه الحاكم، وأورده الهيثمي في المجمع ٢٢٦/٨، برواية الطبراني وقال: رجاله رجاله الصحيح.

٦٦ - رواه أحمد ٨٠/٤، ٨٤، والبخاري ٢٦٢/٤، ومسلم والنسائي والدارمي كلهم في الحج.

= وفيه بيان ما كان عليه من كريم الأخلاق التي من أعلاها الصدق والأمانة وها هم أعداؤه يقرّون له بذلك وإنهم ما علموا منه كذباً قط، وعلى الرغم من ذلك فقد كذبوه وقاوموا دعوته ونسبوا إليه الأباطيل وقالوا فيه: ساحر شاعر كاهن مجنون، وما صدقه إلا من سبقت له العناية.

٦٥ - هذه عصمة أخرى له صلى الله تعالى عليه وآله وسلم من سقطات الجاهلية ووثنيها فالتمسح بالأصنام كفر ووثنية، وهو صلى الله تعالى عليه وآله وسلم رسول منزّه عن مثل ذلك، بل ما بعث إلا ليقضي على مظاهر الشرك ويمحوها من الأرض، ولذلك نهى مولاة زيد بن حارثة عن استلام الأوثان.

٦٦ - من الحُمس بضم الحاء المهملة وسكون الميم، جمع الأحمس، وهم قريش ومن على =

بعيراً لي بعرفة فذهبت أطلبه، فإذا النبي ﷺ واقف، قلت: إن هذا من الحمس ما شأنه ههنا).

٦٥ م - وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: (كانت قريش ومن دان دينها وهم الحمس يقفون بالمزدلفة ويقولون: نحن أهل الحرم).

= ورواه ابن إسحاق بلفظ: (لقد رأيت رسول الله ﷺ في الجاهلية وهو يقف على بعير له بعرفات من بين قومه حتى يدفع معهم توفيقاً من الله له).

٦٥ م - رواه البخاري في تفسير سورة البقرة ٢٥٣/٩ وفي الحج، ومسلم فيه أيضاً.

= شاكلتهم وسُموا بذلك لأنهم كانوا متحمسين في دينهم، أي متشددين في زعمهم، والحماسة الشجاعة، وكانوا يقفون بمزدلفة ولا يقفون بعرفة مع سائر العرب ولذلك تعجب جبر من وقوف النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بعرفة وهو من قريش.

٦٥ م - يقفون بالمزدلفة: تعني يوم عرفة وليلة العيد. نحن أهل الحرم: أي سكانه فلا نخرج منه إلى عرفة، وهي من الحِل، فخالفوا بذلك ملة أبيهم الخليل عليه الصلاة والسلام.

ما وقع عند المبعث من المعجزات والخصوصيات

٦٦ م - عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: (أول ما بدىء به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حُبب إليه الخلاء، فكان يأتي جرّاء فيتحنث فيه - وهو التعبّد الليلي ذوات العدد - ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها حتى فجّاهُ الحق وهو في غار حراء، فأتاه الملك، فقال: اقرأ. قال رسول الله ﷺ: فقلت: ما أنا بقارىء، فأخذني فغطّني حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: اقرأ. فقلت: ما أنا بقارىء، فأخذني فغطّني الثانية حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: اقرأ. فقلت: ما أنا بقارىء، فأخذني فغطّني الثالثة حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق﴾ حتى بلغ ﴿ما لم يعلم﴾.

فرجع بها رسول الله ﷺ يرجف فؤاده حتى دخل على خديجة فقال: زملوني فزملوه حتى ذهب عنه الرّوع، فقال لخديجة وأخبرها

٦٦ م - رواه البخاري في بدء الوحي ١/٢٤، ٣٠، وفي الأنبياء ٧/٢٣٣ وفي التفسير ٨/٣٤٤، ٣٥٠ وفي التعبير، ومسلم في الإيمان ٢/١٩٧، ٢٠٤، وغيرهما.

٦٦ م - فلق: بفتح الفاء واللام أي ضوءه، ومعناه: أن كل ما كان يراه في نومه كان يظهر في اليقظة ما يصدقه بكل وضوح. جرّاء: بكسر الحاء بعدها راء ممدودة اسم جبل شرقي شمال مكة في رأسه غار صغير كان يتعبّد فيه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم. فجّاهُ: أي بَغَّته بدون أن يشعر. فغطّني: أي ضمني إليه وعصرني عصراً شديداً. الجهد: بضم الجيم وفتحها هو الطاقة والغاية. يرجف: أي يتحرك قلبه ويضطرب. زملوني: أي غطوني ولفوني بالثياب. الرّوع: بفتح الراء الفرع =

الخبر: لقد خشيت على نفسي، فقالت: كلا، والله لا يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق.

ثم انطلقت به خديجة حتى أتت ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى، وكان امرأً تنصراً في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العبراني ويكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء أن يكتب، فقالت له خديجة: يا ابن عم اسمع من ابن أخيك فقال ورقة: ما ترى فأخبره رسول الله ﷺ ما رآه، فقال له ورقة: هذا الناموس الذي أنزل على موسى، يا ليتني فيها جذعاً، ليتني أكون حياً إذ يخرجك قومك، فقال رسول الله ﷺ أو مخرجي هم؟ قال: نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصرًا مؤزرًا، ثم لم ينشب ورقة أن توفي وفتر الوحي).

٦٧ - وعن جابر رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ وهو يحدث عن فترة الوحي فقال في حديثه: «بينما أنا أمشي إذ سمعت

٦٧ - رواه البخاري في بدء الوحي ٣١/١، وفي التفسير، ومسلم في الإيمان ٢٠٥/٢، ٢٠٦، والترمذي في التفسير من الجامع وقال: حسن صحيح.

= والخوف. لا يخزيك: هو من الخزي، وفي رواية: لا يجزئك، من الحزن. والكل: بفتح الكاف من لا يستقل بنفسه. والمعدوم: هو العاجز، ومعناه: تعطي الناس ما لا يجدونه عند غيرك. وتقري الضيف: القري في الأصل ما يقدم للمضيف فور نزوله، ومرادها هنا مطلق الضيافة. وتعين: إلخ هي كلمة جامعة لكل ما تقدم من الخصال الكريمة. جذعاً: أي شاباً قوياً. نصرًا مؤزرًا: أي قوياً. ينشب: بفتح الشين، أي لم يلبث.

٦٧ - فرُعبت: بضم الراء، أي فزعته ورؤياه لجبريل عليه السلام هذه هي المرة الثانية. والرُجز: بضم الراء وكسرهما هي الأوثان. فحمي: أي كثر وتتابع.

صوتاً من السماء فرُعبت فرجعت، فقلت: زملوني، فأنزل الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَدَّثِرُ، قُمْ فَأَنْذِرْ﴾ إلى قوله: ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾ فحمي الوحي.

٦٨ - وعن عائشة رضي الله تعالى عنها أن الحارث بن هشام رضي الله تعالى عنه سأل رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله، كيف يأتيك الوحي؟ فقال رسول الله ﷺ: «أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس، وهو أشده عليّ فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال، وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول»، قالت عائشة رضي الله عنها: (ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصد عرقاً).

٦٩ - وعن جابر بن سمرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلم عليّ قبل أن أبعث إني لأعرفه الآن».

٦٨ - رواه البخاري في بدء الوحي ٢٠/١، ومسلم في الفضائل ٨٨/١٥، والترمذي في المناقب وحسنه وصححه.

٦٩ - رواه الطيالسي رقم ٢٤٥٠، ومسلم في الفضائل ٣٦/١٥، والترمذي في المناقب رقم ٣٣٩٣، وكذا أحمد ٨٩/٥ كلهم من طريق سماك بن حرب.

٦٨ - صلصلة: أي صوت، الجرس: بفتح الجيم والراء هو الناقوس. فيفصم: بفتح الياء وسكون الفاء وكسر الصاد أي يقلع عني، وروى بضم الياء من الرباعي. وعيت: أي حفظت. ليتفصد: أي يسيل بالعرق وما في الباب يدل على أن أمر الوحي عظيم لا يطيقه إلا من جعل الله تعالى فيه قوة روحانية وليس ذلك إلا لأنبيائه ورسله صلوات الله وسلامه عليهم.

٦٩ - قيل: هذا الحجر هو الأسود، وقيل غيره وعلى كل فهي من آياته الباهرة فإن الحجر جماد لا روح فيه ولا حياة ومع ذلك قد أعطاه الله تمييزاً حتى عرف النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وما يراد به في المستقبل فكان يؤانسه بسلامه عليه قبل مبعثه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم.

ما سمع من الكهان والأصوات بظهور النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم عند بعثته

٧٠ - عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه أنه مرَّ به رجل فسأله، قال: (كنت كاهنهم في الجاهلية. قال: فما أعجب ما جاءتك به جنيتك، قال: بينما أنا يوماً في سوق جاءني أعرف فيها الفزع، قالت: ألم تر الجن وإيلاسها وبأسها من بعد إنكاسها ولحوقها بالقلاص وأحلاسها. قال عمر: صدق، بينما أنا نائم عند آلهتهم إذ جاء رجل بعجل فذبحه فصرخ منه صارخ لم أسمع صارخاً قط أشدَّ صوتاً منه، يقول: يا جليح أمر نجيح رجل فصيح، يقول: لا إله إلا الله، فوثب القوم، قلت: لا أبرح حتى أعلم ما وراء هذا، ثم نادى كذلك الثانية والثالثة فما قمت فما نشبنا أن قيل هذا نبي).

حراسة السماء من استراق السمع بالمبعث الشريف

قال الله تعالى فيما أخبر عن الجن: ﴿وَأَنَا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فوجدناها مُلِئَتْ حَرَساً شَدِيداً وَشُهِباً، وَأَنَا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِيباً بِأَرْصَاداً﴾^(١).

٧٠ - رواه البخاري في إسلام عمر من مبعث النبي ﷺ ١٧٨/٨، ١٨٠ مطولاً.

٧٠ - وإيلاسها: الإيلاس هو اليأس. وإنكاسها: أي انقلابها. بالقلاص: بكسر القاف جمع قُلُص يضم القاف واللام جمع قلوص، وهي الفتية من الإبل. والاحلاس: جمع جلس بكسر الحاء وسكون اللام، ما يوضع على ظهر الإبل تحت الرجل. فصرخ: أي صوت. فوثب القوم: أي نهضوا مسرعين. لا أبرح: أي لا أزال ههنا جالساً حتى أتحقق مما سيكون بعد هذا الصوت. نشبنا: أي لبشنا.

(١) قوله تعالى: ﴿وإنا لمسنا﴾: أي قربنا منها وأردنا استراق السمع من الملائكة. ﴿حرساً﴾: =

٧١ - وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، قال: (انطلق رسول الله ﷺ في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ، وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء، وأرسلت عليهم الشهب فرجعت الشياطين فقالوا: ما لكم؟ فقالوا: حيل بيننا وبين خبر السماء وأرسلت علينا الشهب، قال: ما حال بينكم وبين خبر السماء إلا ما حدث فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها، فانظروا ما هذا الأمر الذي حدث، فانطلقوا فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها ينظرون ما هذا الأمر الذي حال بينهم وبين خبر السماء قال: فانطلق الذين توجهوا نحو تهامة إلى رسول الله ﷺ بنخلة وهو عامد إلى سوق عكاظ وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر، فلما سمعوا القرآن تسمّعوا له، فقالوا: هذا الذي حال بينكم وبين خبر السماء، فهنالك رجعوا إلى قومهم، فقالوا: يا قومنا ﴿إنا سمعنا قرآناً عجباً يهدي إلى الرشد فأمنّا به ولن نشرك بربنا أحداً﴾ وأنزل الله عز وجل على نبيه ﷺ: ﴿أوحى إليّ أنه استمع نفر من الجن﴾ وإنما أوحى إليه قول الجن).

٧١ - رواه البخاري في تفسير سورة الجن ١٠/٢٩٦، ٣٠٠ وفي صفة الصلاة وكذا رواه مسلم.

جمع حارس، وهم الملائكة كلفوا بحراسة السماء من الشياطين. ﴿وشهباً﴾: جمع شهاب، وهي قطع من نار تُرمى بها الشياطين. ﴿ورصداً﴾: أي أرصد له لئرمي به. وهذا كله وقع بعد بعثة النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم.

٧١ - عكاظ: بضم العين هو أحد الأسواق الثلاثة التي كانت لها الشهرة السائدة، والثاني ذو المجاز، والثالث ذو المجنة. حيل: أي جعل بينهم وبين خبر السماء حائل ومانع. فاضربوا: أي امشوا وطوفوا. تهامة: أي جهة تهامة، وهي تطلق على بلاد الحجاز باستثناء نجد. وفي هذا الحديث بيان لما أعطى الله عز وجل للجن من سرعة الطيران والسير في المشارق والمغارب في لمحات فسبحان الخالق المدبر الفعال لما يشاء، وهؤلاء الجن كانوا من نصيبين وهي مدينة بالجزيرة بين الشام والعراق.

إعجاز القرآن واعتراف مشركي قريش بإعجازه وأنه لا يشبه شيئاً من كلام البشر ومن أسلم لذلك

قال الله تعالى: ﴿قُلْ لئن اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾^(١).

وقال تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ﴾^(٢).

وقال تعالى: ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾.

٧٢ - وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من الأنبياء من نبي إلا وقد أُعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إلي فأرجو أن أكون أكثرهم تبعاً».

قال العلماء: معناه أن معجزة الأنبياء انقرضت بانقراض أعصارهم فلم

٧٢ - رواه أحمد والبخاري في فضائل القرآن، ومسلم في الإيمان ١٨٦/٢.

(١) ﴿ظهيراً﴾: أي معيناً ومقرباً.

(٢) ﴿في ريب﴾: أي شك. شهداءكم: أي أهلككم وشركاءكم.

٧٢ - الآيات: المعجزات والحوار. ما مثله... إلخ: أي أعطي من المعجزات ما كان السبب في إيمان قومه به، ثم انقرضت بموته وذلك بخلاف معجزة القرآن فإنه آية خالدة إلى قرب يوم القيامة حيث يرفع الله، كما جاء بذلك حديث رواه ابن ماجه رقم ٤٠٤٩، والحاكم ٤٧٣/٤ كلاهما في الفتن عن حذيفة بسند صحيح.

يشاهدها إلا من حضرها، ومعجزة القرآن مستمرة إلى يوم القيامة وخرقه العادة في أسلوبه وبلاغته وإخباره بالمغيبات، فلا يمر عصر من الأعصار إلا ويظهر فيه شيء مما أخبر عنه أنه سيكون يدل على صحة دعواه.

وقيل: المعنى إن المعجزات الماضية كانت حسية تشاهد بالأبصار كناقاة صالح وعصا موسى، ومعجزات القرآن تشاهد بالبصيرة فيكون من يتبعه لأجلها أكثر، لأن الذي يشاهد بعين الرأس ينقرض بانقراض مشاهده والذي يشاهد بعين العقل باق يشاهده كل من جاء بعد الأول مستمراً.

قال الحافظ ابن حجر: يمكن نظم القولين في كلام واحد فإن محصلهما لا ينافي بعضه بعضاً.

٧٣ - وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: (أن الوليد بن المغيرة جاء إلى النبي ﷺ، فقرأ عليه القرآن، فكأنه رَقَّ له، فبلغ ذلك أبا جهل فأتاه، فقال: يا عم، إن قومك يريدون أن يجمعوا لك مالاً، قال: لِمَ؟ قال: ليعطوكه، فإنك أتيت محمداً تتعرض لما قبله، قال: قد علمت قريش أنني من أكثرها مالاً، قال: فقل فيه قولاً يبلغ قومك أنك منكر له، أو أنك كاره له، قال: وماذا أقول؟ فوالله ما فيكم رجل أعلم بالأشعار مني، ولا أعلم برجزه ولا بقصيده مني، ولا بأشعار الجن، والله ما يشبه الذي يقول شيئاً من هذا، والله إن لقوله الذي يقول حلاوة، وإن عليه لطلّوة، وإنه لثمر أعلاه مغدق أسفله، وإنه ليعلو وما يُعلَى، وإنه

٧٣ - رواه الحاكم ٥٠٦/٢، ٥٠٧، من طريق إسحاق بن راهوية، وعنه البيهقي وصححه الحاكم على شرط البخاري ووافقه الذهبي وهو كما قال وذكر ابن إسحاق نحوه.

٧٣ - رَقَّ له: أي حصلت له رقة في قلبه. لَطْلُوة: بضم الطاء وفتحها: أي رونقاً وحسناً. =

ليحطم ما تحته، قال: لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه. قال: فدعني حتى أفكر فيه، فلما فكر، قال: هذا سحر يؤثر يؤثره عن غيره، فنزلت: ﴿ذرني ومن خلقت وحيداً وجعلت له مალأ ممدوداً﴾ (الآية).

٧٤ - وعن محمد بن كعب القرظي رحمه الله تعالى قال: (حدثت أن عتبة بن ربيعة قال ذات يوم، ورسول الله ﷺ في المسجد: يا معشر قريش ألا أقوم إلى هذا فأكلمه فأعرض عليه أموراً لعله أن يقبل منها بعضها ويكفّ عنا، قالوا: بلى يا أبا الوليد، فقام عتبة حتى جلس إلى رسول الله ﷺ فذكر الحديث فيما قال له عتبة، قال رسول الله ﷺ: أفرغت يا أبا الوليد؟ قال: نعم، قال: فاسمع مني، قال: فافعل. فقال رسول الله ﷺ: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم. حم، تنزيل من الرحمن الرحيم، كتاب فصلت آياته قرآناً عربياً﴾. فمضى رسول الله ﷺ فقرأها عليه، فلما سمعها عتبة أنصت لها وألقى بيديه خلف ظهره معتمداً عليهما يسمع منه حتى انتهى رسول الله ﷺ إلى السجدة فسجد فيها، ثم

٧٤ - رواه ابن إسحاق مع الروض ١٨٥/١، ١٨٦ مرسلأ بسند حسن، ورواه متصلأ عبد بن حميد وأبو يعلى والبغوي في التفسير ٨٩/٦ من حديث جابر بن عبد الله، وفي سنده الأجلح بن عبد الله الكندي، ضعفه النسائي ووثقه ابن معين وغيره، كما فيه الذيال بن حرمله ذكره البخاري في التاريخ الكبير ٢٦١/٣، وابن أبي حاتم في الجرح والتعديل ٤٥١/٤، ولم يذكر في جرحاً ولا تعديلاً، فالحديث بطريقه حسن.

= مغدق إلخ: شبه القرآن بالشجرة المثمرة أعلاها الكثيرة السقي أسفلها. ليحطم: أي يكسر ما تحته. سحر يؤثر: أي ينقل ويؤخذ عن الغير. ذرني: أي اتركني، وهذا العدو الذي من صفته ما ذكر وقد وصفه الله عز وجل بأوصاف سافلة ساقطة وجعلها مسجلة عليه تتلى في كتاب الله الكريم مدى الأجيال والصور.

٧٤ - ويكف: أي يصرف نفسه عنا ويمتنع من التعرض لنا. أنصت: أي أسكت لاستماعها. =

قال: سمعت يا أبا الوليد؟ قال: سمعت. قال: فأنت وذاك، فقام عتبة إلى أصحابه، فقال بعضهم لبعض: نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به، فلما جلس إليهم، قالوا: ما وراءك يا أبا الوليد؟ قال: ورائي إني والله قد سمعت قولاً ما سمعت بمثله قط، والله ما هو بالشعر ولا السحر ولا الكهانة، يا معشر قريش أطيعوني واجعلوها لي، خلُّوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه، واعتزلوه فوالله ليكوننَّ لقوله الذي سمعت منه نبأ، فإن تصبه العرب فقد كُفيتموه بغيركم، وإن يظهر على العرب فملكه ملككم وعزه عزكم وكنتم أسعد الناس به. قالوا: سحرک والله يا أبا الوليد بلسانه. فقال: هذا رأيي فيكم فاصنعوا ما بدا لكم).

٧٥ - وعن أبي ذر رضي الله تعالى عنه قال: (انطلق أنيس إلى مكة، ثم أتاني فقال: لقيت رجلاً بمكة يزعم أن الله أرسله، قلت: ما يقول الناس؟ قال: يقولون إنه شاعر وساحر وكاهن، وكان أنيس أحد الشعراء فقال: لقد سمعت قول الكهنة فما هو بقولهم، ولقد وضعت قوله على إقراء الشعر، فوالله ما يلتئم على لسان أحد بعدي إنه شعر، ووالله

٧٥ - رواه مسلم مطولاً في الفضائل ٢٧/١٦، ٣١ وفيه قول النبي ﷺ في زمزم: «إنها مباركة إنها طعام طعم».

= واجعلوها لي: أي اجعلوا حكم هذه القضية لي افضل فيها واعطيكم في شأنها رأيي الصائب. خلُّوا: أي اتركوه وشأنه ولا تتعرضوا له.

وفي هاتين الحادتين للوليد عتبة ولاكبر دليل على أن القوم كانوا عاجزين عن مقاومة ما جاء به صلى الله تعالى عليه وآله وسلم من القرآن ومعارضته وأنهم تيقنوا أنه لا يشبه كلام البشر ولا أساليب العرب، لا في نظمها ولا نثرها وإنما صرفهم عن الإيمان به صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ما كانوا عليه من المعاندة والمكابرة وحب الشرف والرتاسة.

٧٥ - إقراء: جمع قرء بفتح القاف، والمراد به قافية الشعر وهي آخر كلمة في البيت أو الحرف الذي تبنى عليه القصيدة. يلتئم: أي يجتمع وينضم من الالتئام. عكن: بضم العين وفتح الكاف =

إنه لصادق وإنهم لكاذبون، قال أبو ذر: فارتحلت حتى أتيت مكة، فأقمت بها ثلاثين من بين يوم وليلة ومالي طعام إلا ماء زمزم فسمنت حتى تكسرت عُنْكَنَ بطني، وما وجدت على كبدي سُخْفَةَ جوع).

فصل

أجمع العقلاء على أن كتاب الله تعالى معجز لم يقدر أحد على معارضته مع تحديهم بذلك. قال الله تعالى: ﴿وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله﴾ وقالوا: لولا إن سماعه حجة عليه لم يقف أمره على سماعه ولا يكون حجة إلا وهو معجزة.

﴿وقالوا: لولا أنزل عليه آيات من ربه، قل: إنما الآيات عند الله وإنما أنا نذير مبين، أو لم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم﴾ فأخبر أن الكتاب آية من آياته، كافٍ في الدلالة، قائم مقام معجزات غيره وآيات من سواه من الأنبياء، وقد جاءهم به ﷺ، وكانوا أفصح الفصحاء ومصارع الخطباء، وتحداهم على أن يأتوا بمثله ومهلهم طول السنين فلم يقدموا، وكانوا أحرص شيء على إطفاء نوره وإخفاء أمره، فلو كان في مقدرتهم معارضته لعدلوا إليه قطعاً للحجة، ولم ينقل عن أحد منهم أنه حدث نفسه بشيء من ذلك ولا رامه، بل عدلوا إلى العناد تارة، وإلى الاستهزاء أخرى، فتارة قالوا سحر، وتارة قالوا شعر، وتارة قالوا أساطير الأولين، كل ذلك من التحير والانقطاع، ثم رضوا بتحكيم السيف في أعناقهم وسبي ذراريهم وحرهم واستباحة أموالهم، وقد كانوا أنف شيء

= جمع عكنة وهي الطي الذي يكون في البطن من السمن. سُخْفَةُ: بفتح السين وضمها مع سكون الخاء أي رقة الجوع وهزالته.

وأشده حمية فلو علموا أن الإتيان بمثله في قدرتهم لبادروا إليه لأنه كان أهون عليهم.

قال الحافظ: بعث الله تعالى سيدنا محمداً ﷺ أكثر ما كانت العرب شاعراً وخطيباً، وأحكم ما كانت لغةً، وأشد ما كانت لغةً، فدعا أقصاها وأدناها إلى المعارضة، ثم نصب لهم الحرب، فدل ذلك العاقل على عجز القوم مع كثرة كلامهم واستحالة لغتهم وسهولة ذلك عليهم وكثرة شعرائهم وخطبائهم، لأن سورة واحدة وآيات يسيرة كانت أنقض لقلوبهم وأفسد لأمره وأسرع في تفريق أتباعه من بذل النفوس والخروج من الأوطان وإنفاق الأموال.

وقد اختلف الناس في الوجه الذي وقع به إعجاز القرآن على أقوال بينتها مبسوطه في كتاب «الاتقان»، والملخص أنه وقع بعدة وجوه:

١ - منها حسن تأليفه والتثام كلمه وفصاحته وبلاغته الخارقة عادة العرب الذين هم فرسان الكلام وأرباب هذا الشأن.

٢ - ومنها: صورة نظمه العجيب والأسلوب الغريب المخالف لأساليب كلام العرب ومنهاج نظمها ونثرها الذي جاء عليه ووقفت عليه مقاطيع آياته وانتهت إليه فواصل كلماته ولم يوجد قبله ولا بعده نظير له.

٣ - ومنها: ما انطوى عليه من الأخبار بالمغيبات وما لم يكن فوجد كما ورد.

٤ - ومنها: ما أنبأ به من أخبار القرون الماضية والشرائع السالفة مما كان لا يعلم منه القصة الواحدة إلا الفذ من أهل الكتاب الذي قطع عمره في تعلم ذلك فيورده ﷺ على وجهه ويأتي به على نصه وهو أعمى لا يقرأ ولا يكتب.

٥ - ومنها: ما تضمنه من الأخبار عن الضمائر كقوله تعالى: ﴿إذ همّت طائفتان منكم أن تفشلا﴾ وقوله تعالى: ﴿ويقولون في أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول﴾.

٦ - ومنها: آي وردت بتعجيز قوم في قضايا وإعلامهم أنهم لا يفعلونها فما فعلوا ولا قدروا، كقوله تعالى في اليهود: ﴿ولن يتمنوه أبداً﴾.

٧ - ومنها: ترك المعارضة مع توفر الدواعي وشدة الحاجة.

٨ - ومنها: الروعة التي تلحق قلوب سامعيه والهيبة التي تعترتهم عند سماع تلاوته، كما وقع لجبير بن مطعم أنه سمع النبي ﷺ يقرأ في الطور قال: فلما بلغ هذه الآية: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ إلى قوله المسيطرون كاد قلبي يطير، قال: وذلك أول ما قرأه الإسلام في قلبي^(١).

٩ - ومنها: أن قارئه لا يمله وسامعه لا يمجّه بل الإكباب على تلاوته يزيده حلاوةً، وترديده يوجب له محبة، وغيره من الكلام يعادي إذا أعيد ويملُّ مع الترديد، ولهذا وصف ﷺ القرآن بأنه لا يَخْلُقُ على كثرة الرد^(٢).

١٠ - كونه آية باقية لا يعدم ما بقيت الدنيا مع تكفل الله بحفظه.

(١) رواه أحمد والبخاري ومسلم وأصحاب السنن إلا الترمذي، كلهم في الصلاة، ورواه البخاري في الجهاد وفي التفسير.

(٢) هذا ورد في حديث طويل لسيدنا علي مرفوعاً، رواه الترمذي بسند ضعيف.

١١ - ومنها: جمعه لعلوم ومعارف لم يجمعها كتاب من الكتب ولا أحاط بعلمها أحد في كلمات قليلة وأحرف معدودة.

١٢ - ومنها: جمعه بين صفتي الجزالة والعذوبة، وهما كالمتضادين لا يجتمعان في كلام البشر غالباً.

١٣ - ومنها: جعله آخر الكتب غنياً عن غيره، وجعل غيره من الكتب المتقدمة قد تحتاج إلى بيان يرجع فيه إليه كما قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾.

قال القاضي عياض: والوجوه الأربعة الأولى هي المعتمد عليها في الإعجاز، والباقي تقدم في خصائصه، وبقي من خصائصه: كونه نزل على سبعة أحرف، وكونه نزل مفرقاً منجماً، وكونه ميسراً للحفظ وسائر الكتب بخلاف ذلك في الثلاثة.

فصل

قال القاضي عياض: إذا عرفت ما ذكر من وجوه إعجاز القرآن عرفت أنه لا يحصي عدد معجزاته بألف ولا ألفين ولا أكثر، لأنه ﷺ قد تحدى بسورة منه فعجزوا عنها.

قال أهل العلم: وأقصر السور ﴿إنا أعطيناك الكوثر﴾ فكل آية أو آيات منه بعددها وقدرها معجزة، ثم فيها نفسها معجزات على ما سبق.

ما كان يظهر عند الوحي من الآيات

٧٦ - عن عبادة بن الصامت رضي الله تعالى عنه: (أنَّ رسول الله ﷺ كان إذا نزل عليه الوحي كُرِبَ لذلك وترَبَّدَ له وجهه).

٧٧ - وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: (كان رسول الله ﷺ إذا نزل عليه الوحي عرفوا ذلك في ترَبَّدَ جلده).

٧٨ - وعن يعلى بن أمية رضي الله تعالى عنه قال: (نظرت إلى رسول الله ﷺ وهو يوحى إليه وله غطيط كغطيط البكر محمرة عيناه وجبينه).

٧٦ - رواه مسلم في الفضائل وفي الحدود وأحمد ٣١٧/٥، ٣١٨، ٣٢٧ من طرق.

وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: (كان رسول الله ﷺ إذا نزل عليه الوحي عرفوا ذلك في ترَبَّدَ جلده).

٧٧ - رواه أحمد ٢٣٨/١، ٢٣٩ في حديث طويل في شأن هلال بن أمية مع زوجته، وسنده صحيح على كلام في عباد ابن منصور وأصله في صحيح البخاري وسنن أبي داود رقم ٢٢٥٤، ٢٢٥٦ والترمذي رقم ٢٩٦٨ بتهذيبي.

٧٨ - رواه الجماعة في الحج ضمن حديث.

٧٦ - كُرِبَ: بضم الكاف أي أصابه الكرب والغم وتريد أي تغير وذلك لعظم الوحي وشدته عليه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم.

٧٨ - غطيط: أي تصويت البكر، بفتح الباء وسكون الكاف، الفتى من الإبل. ترَبَّدَ وجهه: تعبَّسَ وتغيَّرَ.

٧٩ - وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه: (كان رسول الله ﷺ إذا أوحى إليه لم يستطع أحد يرفع طرفه إليه حتى ينقضي الوحي).

٨٠ - وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: (إن كان ليوحى إلى رسول الله ﷺ وهو على ناقته فتضرب بجرانها من ثقل ما يوحى إليه، وإن كان جبينه لينطف بالعرق في اليوم الشتاتي إذا أوحى إليه).

٨١ - وعن زيد بن ثابت رضي الله تعالى عنه قال: (كنت أكتب الوحي لرسول الله ﷺ، وكان إذا نزل عليه أخذته برحاء شديدة وعرق عرقاً شديداً مثل الجمان، ثم سُرِّي عنه، وكنت أكتب وهو يُملي عليّ، فما أفرغ حتى تكاد رجلي تنكسر من ثقل القرآن حتى أقول: لا أمشي على رجلي أبداً).

٧٩ - رواه مسلم في الجهاد، وأحمد ٥٣٨/٢. مطولاً في فتح مكة.

٨٠ - رواه أحمد ١١٨/٦ بسند صحيح.

٨١ - أورده الهيثمي في مجمع الزوائد ٢٥٧/٨ برواية الطبراني بإسنادين وقال: رجال أحدهما ثقات.

٧٩ - طرفه: أي بصره وكانوا يكفون نظرهم إليه وقته لعظم ما كانوا يشاهدون منه من مشقة.

٨٠ - بجرانها: بكسر الجيم باطن عنقها. جبينه: أي جبهته أو ناحيتها. لينطف: بضم الطاء أي ليسيل. الشتاتي: أي الذي ينزل فيه الشتاء.

٨١ - برحاء: بضم الباء بعدها راء مفتوحة ثم حاء ممدودة وهي حالة تعتري المحموم فتجهده. الجمان: بضم الجيم ثم ميم مفتوحة وهو حَبَّ يعمل من الفضة كالدر. ثم سري: بضم السين وكسر الراء المشددة، أي كشف عنه وأزيل ما به، والأحاديث المذكورة هنا تدل على عظمة الوحي وشدته وحق له ذلك لأنه الإلقاء الإلهي والتنزيل الرباني الذي يتصاغر أمامه ويتضاءل دونه كل الإلقاءات.

٨٢ - وعن زيد أيضاً أن النبي ﷺ أُملي عليه: ﴿لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله﴾ فجاءه ابن أم مكتوم وهو يُملها عليّ، قال: يا رسول الله، والله لو أستطيع الجهاد لجاهدت، وكان أعمى، فأنزل الله: ﴿غير أولي الضرر﴾.

اختصاصه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم برؤية جبريل في صورته التي خلق عليها

٨٣ - عن عائشة رضي الله تعالى عنها: (أن النبي ﷺ لم ير جبريل في صورته التي خلق عليها إلا مرتين رآه منهبطاً من السماء إلى الأرض ساداً عظم خلقه ما بين السماء والأرض).

٨٤ - وعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: (رأى رسول الله ﷺ جبريل في صورته وله ستمائة جناح كل جناح منها قد سدّ الأفق يسقط من جناحه من التهاويل والدر والياقوت ما الله به عليم).

٨٢ - رواه البخاري في الجهاد وفي تفسير سورة النساء ٣٢٨/٩، ٣٢٩، وكذا رواه النسائي في الجهاد.

٨٣ - رواه البخاري في بدء الخلق ١٢٥/٧ وفي تفسير المائدة في ﴿يا أيها الرسول بلغ﴾، ومسلم في الإيمان ٨/٣، ١١ مطولاً، ورواه أحمد وزاد عليه «ثياب من سندس معلقاً به اللؤلؤ والياقوت».

٨٤ - رواه أحمد ٣٩٥/١، ٤٠٧ من طرق بعضها صحيحة.

٨٢ - يُملها: بضم الياء من الرباعي، وهي لغة في أمليت، ومعناه: الإلقاء.

٨٣ - ساداً: أي ملأت خلقته وجثته الفضاء فيما بين السماء والأرض.

٨٤ - التهاويل: أي الأشياء المختلفة الألوان التي زينته الله تعالى بها.

٨٥ - وعن جابر رضي الله تعالى عنه: (أنه ﷺ لما فتر عنه الوحي كان يجاور بحراء، فلما هبط سمع صوتاً فرفع رأسه، فإذا الملك الذي جاءه بحراء قاعد على كرسي بين السماء والأرض قد سد الأفق بأجنحته).

٨٦ - وعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه، ﴿ما كذَّبَ الفؤاد ما رأى﴾ قال: (رأى رسول الله ﷺ جبريل في حلة من رَفْرَفٍ قد ملأ ما بين السماء والأرض).

* * *

٨٥ - رواه أحمد ٣/٣٢٥، ٣٧٧، والبخاري في بدء الوحي ٣١/٣٢ وفي بدء الخلق ٧/١٢٦.

٨٦ - رواه أحمد رقم ٣٧٤٠، والترمذي في سورة النجم رقم ٣٠٦٢ بتهذيبي، وحسنه وصححه وهو كما قال: سنده صحيح على شرط مسلم، وأصله في البخاري بنحوه، وسيأتي آخر الإسراء.

٨٥ - فتر: أي سكن وانقطع عنه.

٨٦ - رفرَف: بفتح الراءين بينهما فاء ساكنة هو في الأصل ما كان من ديباج رقيق.

المعجزات والخصائص الواقعة بمكة فيما بين المبعث والهجرة

سعي الشجرة إليه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم

٨٧ - عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: (جاء جبريل إلى النبي ﷺ وهو خارج من مكة قد خضبه أهل مكة بالدماء قال: مَا لَكَ؟ قال: خضبني هؤلاء بالدماء فعلوا وفعلوا، قال: تريد أن أريك آية؟ قال: نعم، قال: أدع تلك الشجرة، فدعاها فجاءت تخطُّ الأرض حتى قامت بين يديه، قال: مُرَّهَا فلترجع، قال: ارجعي إلى مكانك، فرجعت إلى مكانها، قال: حسبي).

٨٨ - وعن عمر رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ كان بالحَجُّونَ فردَّ عليه المشركون، فقال: «اللهم أرني آية لا أبالي من كذبني بعدها من قومي».

٨٧ - رواه الدارمي رقم ٢٣، وابن ماجه في الفتن رقم ٤٠٢٨، وغيرهما من طريق الأعمش عن أبي سفيان عنه، وسنده صحيح مع اختلاف في اتصاله وانقطاعه، وله شاهد عن جابر رواه أحمد وغيره ويؤيده الحديث التالي.

٨٨ - رواه البزار وأبو يعلى، قال الهيثمي في المجمع ١٠/٩: وإسناد أبي يعلى حسن.

٨٧ - خضبوه: أي ضربوه حتى أدموه. نخطُّ: أي تعلم عليها بمشيتها وأثر جذورها. حسبي: أي كافيني، ومعناه في ظهور هذه الآية كفاية لي.

٨٨ - بالحَجُّونَ: بفتح الحاء جبل بأعلى مكة عند مقبرة المعلاة. لا أبالي: أي لا أكثرث وأعبأ، =

٨٩ - وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، قال: (جاء رجل من بني عامر إلى النبي ﷺ كان يداوي ويعالج، فقال له: يا محمد إنك تقول أشياء فهل لك أن أداويك، قال: فدعاه رسول الله ﷺ، ثم قال له: «هل لك أن أداويك»، قال: إيه، وعنده نخل وشجر. قال: فدعا رسول الله ﷺ عِدْقاً منها، فأقبل إليه وهو يسجد، ويرفع ويسجد، ويرفع حتى انتهى إليه فقام بين يديه، ثم قال له رسول الله ﷺ: «ارجع إلى مكانك»، فرجع إلى مكانه، فقال: والله لا أكذبك بشيء تقولها بعدها أبداً).

الآية في دَرِّ الْجَدْعَةِ باللبن

٩٠ - عن عبدالله بن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: كنت غلاماً يافعاً أرعى غنماً لعقبة بن أبي مُعَيْط بمكة، فأتى عليّ رسول الله ﷺ وأبو

٨٩ - رواه أبو يعلى، قال الهيثمي ١٠/٩: ورجاله رجال الصحيح غير إبراهيم بن الحجاج الشامي وهو ثقة اهـ، ورواه الدارمي رقم ٢٤، والترمذي رقم ٣٣٩٧ في المناقب، وابن حبان رقم ٢١١١ بالموارد، والحاكم ٦٢٠/٢ من طرق بعضها صحيحة كما عند الدارمي ولذلك حسنه الترمذي وصححه هو والحاكم على شرط مسلم ووافقه الذهبي، وله شاهد عن ابن عمر رواه الدارمي رقم ١٦، وابن حبان رقم ٢١١٠ بسند صحيح.

٩٠ - رواه الطيالسي رقم ٢٤٥٦ بمنحة المعبود، وابن سعد، وابن أبي شيبة بسند صحيح.

= وفي هذا دليل على أن الآيات والخوارث قد يتقوى بها الإنسان في دينه وسلوكه وأنه لا ملامة على من طلبها من الله عز وجل إذا كان قصده منها التأييد لا التفاخر والإعجاب والتطاول على الغير أو الوقوف عندها دون الله تعالى.

٨٩ - عِدْقاً: بكسر العين وسكون الذال هو عرجون النخل. يسجد: أي يخرُّ ويقفز وينحني، وفي أحاديث الباب آيات باهرة حيث إن الشجر والنخيل جعل الله تعالى فيها تمييزاً حتى حصل منها ما حصل من المجيء والقطع والقفز والتسليم عليه صل الله تعالى عليه وآله وسلم وفهمها كلامه، فسبحان الفعال لما يشاء القادر على ما يريد.

٩٠ - يافعاً: أي ناهزت البلوغ وقاربت الاحتلام. لم ينز: أي لم يقع عليها، أي لم تزل صغيرة =

بكر وقد فرا من المشركين، فقال: «يا غلام، هل عندك لبن تسقيناً؟» قلت: إني مؤتمن ولست بساقيكما، قال: «فهل عندك من جذعة لم ينز عليها الفحل؟» قلت: نعم، قال: فأتيتهما بها، فاعتقلها أبو بكر وأخذ رسول الله ﷺ الضرع فدعا فحفل الضرع، وأتاه أبو بكر بصخرة مُقَعَّرَةٌ فحلب ثم شرب هو وأبو بكر ثم سقياني، ثم قال للضرع: أقلص فقلص، فلما كان بعد، أتيت رسول الله ﷺ فقلت: علّمني من هذا القول الطيب - يعني القرآن - فقال رسول الله ﷺ: «إنك غلام معلم». فأخذت من فيه سبعين سورة ما ينازعني فيها أحد.

آية انشقاق القمر^(١)

قال الله تعالى: ﴿اقتربت الساعة وانشق القمر﴾.
 ٩١ - وعن أنس رضي الله تعالى عنه: (أن أهل مكة سألو رسول الله ﷺ أن يريهم آيةً فأراهم انشقاق القمر مرتين).

٩١ - رواه البخاري في التفسير ٢٤١/١٠، وفي السيرة النبوية ١٨١/٨، ومسلم في صفة القيامة.

= ولم تحمل بعد. فحفل: أي اجتمع باللبن. مقعرة: بضم الميم وفتح القاف بعده عين مشددة مفتوحة، أي عميقة، ومراده أنه أتاه بصخرة كالإناء. اقلص: أي انزوا وانضم وليُغْرَ لبنك.

(١) معجزة انشقاق القمر من أبهر المعجزات وأروعها لا مثيل لها، قال الخطابي: انشقاق القمر آية عظيمة لا يكاد يعدلها شيء من آيات الأنبياء، وذلك أنه ظهر في ملكوت السموات خارجاً عن جل طباع ما في هذا العالم المركب من الطبائع إلخ، وقال النووي في شرح مسلم: قال القاضي عياض: انشقاق القمر من أمهات معجزات نبينا صل الله تعالى عليه وآله وسلم ومع هذا فقد أنكرها طوائف من المبتدعة.

٩٢ - وعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: انفلق القمر ونحن مع رسول الله ﷺ فصار فرقتين: فِلْقَةٌ من وراء الجبل، وفِلْقَةٌ دونه، فقال رسول الله ﷺ: «اشهدوا».

الآية في عصمته من الناس

قال الله تعالى: ﴿والله يعصمك من الناس﴾.

٩٣ - وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: كان النبي ﷺ يحرس حتى نزلت هذه الآية: ﴿والله يعصمك من الناس﴾ فأخرج رسول الله ﷺ رأسه من القُبَّة فقال لهم: «يا أيها الناس انصرفوا عني، فقد عصمني الله».

٩٤ - وعن جعدة رضي الله تعالى عنه قال: سمعت النبي ﷺ ورأى رجلاً سميناً، فجعل النبي ﷺ يومئذ إلى بطنه بيده، ويقول: «لو كان هذا في غير هذا المكان لكان خيراً لك». قال: وأتى النبي ﷺ

٩٢ - رواه البخاري ٢٤٠/١٠، ١٨٣/٨، ١٨٥، ومسلم ١٤٤/١٨ في المصادر السابقة وفي الباب عن ابن عباس عند الشيخين وعن ابن عمر عند مسلم وغير ذلك.

٩٣ - رواه الترمذي رقم ٢٨٤٤، والحاكم ٣١٣/٢ كلاهما في التفسير وصححه الحاكم ووافقه الذهبي وحسنه الحافظ في فتح الباري على كلام في سنده.

٩٤ - رواه أحمد ٤٧١/٣ من طريق شعبة عن أبي إسرائيل الجشمي عنه بسند صحيح.

٩٣ - انصرفوا: أي اذهبوا وتفرقوا. عصمني: أي منعتني وحاني مما أخاف.

٩٤ - يومئذ: أي يشير إلى بطنه، وفيه ذم كثرة الأكل الناتج عنه كبر البطن والسمن. لم تُرَع: بضم التاء وفتح الراء من الروع، وهو الخوف، أي لا فزع ولا خوف عليك.

برجل، فقالوا: هذا أراد أن يقتلك فقال له النبي ﷺ: «لم تُرَع ولو أردت ذلك لم يسلكك الله عليّ».

٩٥ - وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال أبو جهل: هل يعفر محمد وجهه بين أظهركم فقيل: نعم، فقال: واللوات والعزى لئن رأيتَه يفعل ذلك لأطأن على رقبته أو لأعفرن وجهه في التراب، فأتى رسول الله ﷺ وهو يصلي ليطأ على رقبته فما فجأهم منه إلا وهو ينكص على عقبه يتقي بيديه، فقيل له: مالك؟ قال: إن بيني وبينه خندقاً من نار وهولاً وأجنحة. فقال رسول الله ﷺ: «لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضواً عضواً». وأنزل الله: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُفٍ﴾ إلى آخر السورة.

٩٦ - وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: قال أبو جهل: لئن رأيت محمداً يصلي عند الكعبة لأطأن على عنقه، فبلغ النبي ﷺ ذلك فقال: «لو فعل لأخذته الملائكة عياناً».

٩٥ - رواه أحمد ٢/٣٧٠، ومسلم في صفة القيامة ١٨/١٣٩، وكذا النسائي من طريق أبي حازم عنه.

٩٦ - رواه البخاري في تفسير سورة العلق ٨/٣٥٣.

٩٥ - يعفر: بضم الياء وفتحها مضارع عفر مخفف الفاء ومشدد، أي يمرغه في التراب، ومراد أبي جهل إنكاره على النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم صلته جهاراً وهم يشاهدون ذلك منه. واللوات والعزى: هما أسما صنمين كانا لهم، وكثيراً ما كانوا يخلقون بها كما فعل هذا اللعين هنا. لأعفرن: أي لأحكنه في التراب. فما فجأهم: أي بغتهم. ينكص: أي يرجع. يتقي: أي يتحفظ. لاختطفته عضواً: أي كل ملك يأخذ منه عضواً.

٩٦ - عياناً: أي مشاهدة بحيث يشاهد ذلك كل من حضر، وفي ذلك عناية عظيمة من الله عز وجل لنبيه الكريم صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فقد سخر له ملائكته العظام لحفظه وكلاءته والدفاع عنه.

٩٧ - وعن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما قال: غزونا مع رسول الله ﷺ غزوة قَيْلِ نَجْدٍ، فلما قَفَلَ رسول الله ﷺ أدركته القائلة يوماً بواد كثير العضاة، فنزل رسول الله ﷺ وتفرق الناس في العضاة يستظلون بالشجر، ونزل رسول الله ﷺ تحت سمرة فعلق بها سيفه، فنام نومةً، فإذا رسول الله ﷺ يدعوننا فجئناه، فإذا عنده أعرابي جالس، فقال: «إِنَّ هَذَا اختَرَطَ سيفي وأنا نائم فاستيقظت وهو في يده صَلْتًا، فقال لي: من يمنعك مني؟ فقلت: الله». فشام السيف وجلس، ثم لم يعاقبه.

الآية في ستره صلى الله تعالى عليه وآله وسلم عن عين امرأة أبي لهب

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا﴾.

وقال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَعْشَيْنَاهُمْ فَهْمًا لَا يَبْصُرُونَ﴾.

٩٧ - رواه البخاري في الجهاد، وفي غزوة ذات الرقاع ٤٣٠/٨، ٤٣٢، ومسلم في الصلاة، وفي الفضائل ٤٤/١٥، ٤٥، وكذا أحمد ٣/٣١١، ٣٦٤ وغيرهم.

٩٧ - نَجْدٌ: بفتح النون وسكون الجيم كل ما ارتفع من الأرض. قَفَلَ: بفتح القاف: بفتحتين أي رجع. القائلة: أي وقت القيلولة، وهو نصف النهار. العضاة: كل شجر يعظم له شوك. اختَرَطَ: أي سَلَّ. صَلْتًا: بفتح الصاد بعده لام ساكنة أي مجرداً من غمده. فشام: هو ماضي يشيم أي جعله في غمده.

٩٨ - وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: لما نزلت ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾ جاءت امرأة أبي لهب للنبي ﷺ ومعه أبو بكر، فلما رآها أبو بكر، قال: يا رسول الله، إنها امرأة بذیئة وأخاف أن تؤذيك، فلو قمت، قال: «إنها لن تراني»، فجاءت، فقالت: يا أبا بكر أين صاحبك؟ هجاني. قال: ما يقول الشعر، قالت: أنت عندي مصدق وانصرفت، قلت: يا رسول الله لم ترك. قال: «ما زال ملك يسترني منها بجناحيه».

ما وقع في إسلام عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه من الآيات

٩٩ - عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: (ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر).

٩٨ - رواه أبو يعلى والبزار بنحوه، وقال: إنه حسن الإسناد وفيه عطاء بن السائب كان قد تغير كذا في المجمع ٤٤/٧، وله شاهد عن أسماء بنت أبي بكر بنحوه، رواه أبو يعلى.

٩٩ - رواه البخاري ومسلم كلاهما في المناقب.

٩٨ - بذیئة: أي فاحشة اللسان. هجاني: من الهجو وهو الشتم والغالب يكون بالشعر.

٩٩ - إسلام عمر رضي الله تعالى عنه كان فتحاً في الإسلام وذلك لقوته وشجاعته وعظيم

شوكته.

١٠٠ - وعن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «اللهم أعز الإسلام بأحب هذين الرجلين إليك: بأبي جهل أو بعمر بن الخطاب». قال: وكان أحبهما إليه عمر.

١٠١ - وعن عمر رضي الله تعالى عنه أنه أتى النبي ﷺ فقال: (يا رسول الله إني لا أدع مجلساً جلسته في الكفر إلا أعلنت فيه الإسلام، فأتى المسجد وفيه بطون قريش متحلقة فجعل يعلن الإسلام ويشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فثار المشركون فجعلوا يضربونه ويضربهم، فلما تكاثروا عليه خلصه رجل فقيل لعمر: من الرجل الذي خلصك من المشركين؟ قال: ذاك العاص بن وائل السهمي).

١٠٢ - وعن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما أن رسول الله ﷺ ضرب صدر عمر بيده حين أسلم ثلاث مرات وهو يقول: «اللهم أخرج ما في صدر عمر من غلٍّ وأبدله إيماناً» يقول ذلك ثلاث مرات.

١٠٠ - رواه الترمذي في المناقب رقم ٣٤٤٧ بتهذيبي، وابن حبان رقم ٢١٧٩، وحسنه الترمذي وصححه، وله شواهد عن ابن مسعود رواه أحمد والحاكم بسند حسن، وعن ابن عباس رواه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي، وعن عائشة رواه ابن حبان والحاكم وصححه على شرطهما ووافقه الذهبي وقد ذكرت جميعها في تهذيب الجامع.

١٠١ - ذكره في المجمع برواية الطبراني برجال ثقات ٦٥/٩.

١٠٢ - رواه الطبراني في الأوسط قال الهيثمي في المجمع ٦٥/٩: رجاله ثقات.

١٠٠ - أعز الإسلام: أجعله قوياً عزيزاً بإسلام أحب هذين إلخ وقد استجاب دعاءه فوق سيدنا عمر لاعتناق هذا الدين الحنيف لما سبق له في الأزل من السعادة.

١٠١ - بطون: إلخ أي بيوتاتها وعائلاتها المختلفة، والبطن دون القبيلة. متحلقة: أي قد جلست حلقة حلقة. فثاروا: أي قاموا إليه هائجين. خلصه: أي فكّه ودفعهم عنه.

١٠٢ - غلّ: بكسر الغين الحقد والغش.

ما وَقَعَ في إِسْلامِ ضَماد

١٠٣ - عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: قدم ضماد مكة وهو رجل من أزد شنوءة، وكان يرقى من هذه الرياح فسمع سفهاء الناس يقولون: إن محمداً مجنون، فقال: آتي هذا الرجل لعل الله أن يشفيه على يدي، قال: فلقيت محمداً فقلت: إني أرقى من هذه الرياح وإن الله يشفي على يدي من يشاء فهلّم، فقال رسول الله ﷺ: «إِنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونؤمن به ونتوكل عليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله»، فقال ضماد: أعدهنّ عليّ، فأعادهنّ، فقال: والله يا محمد لقد سمعت قول الكهنة وقول السحرة وقول الشعراء فما سمعت مثل هؤلاء الكلمات، ولقد بلغن قاموس البحر، فهلّم يدك أبايعك على الإسلام، فبايعه.

١٠٣ - رواه أحمد ٣٠٣/١، ومسلم في الجمعة ١٥٦/٦، ١٥٧، كلاهما من طريق ابن جبير.

١٠٣ - أزد شنوءة: هي من اليمن. من الرياح: أي الجنون. سفهاء: أي جهال الناس. قاموس البحر: أي بطنه ووسطه، وفي هذا الحديث بيان أن الرقي كانت موجودة في الجاهلية غير أنها لم تكن خالصة من شوائب الشركيات ولذلك جاء في السنة ما يدل على رفض بعضها مما عرض على النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم.

ما وقع في إسلام الطفيل بن عمرو الدؤسي

١٠٤ - عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قدم الطفيل بن عمرو الدوسي على رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إن دؤساً قد عصت وأبت فادعُ الله عليها، فاستقبل القبلة ورفع يديه وقال: «اللهم اهد دوساً وإيت بهم».

ما وقع في إسلام عثمان بن مظعون

١٠٥ - عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: (بينما رسول الله ﷺ بفناء بيته بمكة جالس إذ مر به عثمان بن مظعون فكشَّر إلى رسول الله ﷺ، فقال له: ألا تجلس؟ قال: بلى، فجلس إليه، فبينما هو يحدثه إذ شَخَصَ رسول الله ﷺ ببصره إلى السماء فنظر ساعةً إلى

١٠٤ - رواه البخاري في المغازي ١٦٤/٩ من فتح الباري، وفي الدعوات، وفي الجهاد.

١٠٥ - رواه أحمد ٣١٨/١ من طريق شهر بن حوشب وسنده حسن، ولذلك قال ابن كثير في تفسيره: إسناده جيد متصل حسن قد بينَّ فيه السماع المتصل، وقال الهيثمي في المجمع ٤٨/٧، ٤٩، بعد أن عزاه لأحمد: إسناده حسن.

١٠٤ - دوساً: هي بلدة باليمن منها أبو هريرة. وأبت: أي امتنعت من الدخول في الإسلام. وفي الحديث ما كان عليه الحبيب المصطفى صلى الله تعالى عليه وآله وسلم من الرحمة والشفقة وبالتالي السياسة الدينية فإنه لو كان دعا عليهم لتوغلوا في الطغيان والمعاندة، فلما دعا لهم بالتوفيق رقوا وأسلموا، وفيه مشروعية استقبال القبلة مع رفع اليدين والاستفتاح باسم الله تعالى عند الدعاء، وكل ذلك من آدابه. اهد دوساً: أي وفقهم للهدى.

١٠٥ - بفناء: بكسر الفاء هو جوانب البيت وضواحيه أو ما كان أمامه خاصة. فكشَّر: أي ضحك إليه حتى بدت أسنانه. شَخَصَ: بفتح الخاء أي رفعه ناظراً لا يطرق. يُنْغِضُ: بضم الياء =

السماء، فأخذ يضع بصره حتى وضعه على يمينه في الأرض، فتحرف رسول الله ﷺ عن جلسه عثمان إلى حيث وضع بصره فأخذ يُنغِضُ رأسه كأنه يستفقه ما يقال له، وابن مظعون ينظر فلما قضى حاجته شخص بصر رسول الله ﷺ إلى السماء كما شخص أول مرة فأتبعه بصره حتى توارى في السماء، فأقبل إلى عثمان بجلسته الأولى، فقال عثمان: يا محمد، ما رأيتك تفعل كفعلك بالعادة!! قال: وما رأيتني فعلت؟ فأخبره، قال: أو فطنت لذلك، قال: نعم، قال: إن جبريل أتاني آنفاً، فقال: فما قال لك؟ قال: ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون﴾، قال عثمان: فذلك حين استقر الإسلام في قلبي وأحببت محمداً ﷺ).

إسلامُ الجنِّ وما ظهرَ في ذلك من الآيات

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَّفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ﴾.

وقال تعالى: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ . .﴾
الآيات.

وتقدم حديث ابن عباس برقم ٧١ في الموضوع في باب حراسة السماء من استراق السمع.

= وكسر الغين وآخره ضاد، أي يحرك رأسه. يستفقه: أي يطلب فهم ما يقال له. حتى توارى: أي غاب.

وفي الحديث تراثي الملائكة لبعض الناس واحتجاجهم عن البعض الآخر ولو كانوا حاضرين، وقد وقع هذا مراراً أيام النبوة، وقد يحصل ذلك من الجن أيضاً فيراهم البعض ولا يراهم غيرهم من الحاضرين.

١٠٦ - وعن مسروق قال، سألت ابن مسعود: (من أذن النبي ﷺ بالجن ليلة استمعوا القرآن؟ قال: أذنته بهم شجرة).

١٠٧ - وعن علقمة قال: قلت لابن مسعود: (هل صحب رسول الله ﷺ ليلة الجن منكم أحد؟ قال: ما صحبه منا أحد، ولكننا فقدناه ذات ليلة بمكة فقلنا: اغتيل أو استطير، ما فعل به؟ قال: فبتنا بشر ليلة بات بها قوم، فلما كان في وجه الصبح إذا نحن به يجيء من قبل حراء فأخبرناه، فقال: «إنه أتاني داعي الجن فأتيتهم فقرأت عليهم». فانطلق فأرانا آثارهم وأثار نيرانهم).

١٠٨ - وعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال لأصحابه وهو بمكة: «من أحب منكم أن يحضر الليلة أمر الجن فليفعل»،

١٠٦ - رواه البخاري في مبعث النبي ﷺ ١٧٢/٨ من فتح الباري، ومسلم في الصلاة.

١٠٧ - رواه أحمد، والطيالسي رقم ١٤٣، ومسلم في الجهر بالقراءة في الصبح ١٦٩/٤، ١٧٠ من شرح النووي، والترمذي رقم ٣٠٣٩ في تفسير الأحقاف وكذا أبو داود والنسائي، والحاكم ٥٠٣/٢، والبيهقي ١٠٨/١، ١٠٩.

١٠٨ - رواه الحاكم في تفسير سورة الجن ٥٠٣/٢، ٥٠٤ وكذا النسائي ٣٥/١ =

١٠٦ - أذنته: أي أعلمته، وفي هذا معجزة باهرة حيث إن الشجرة أعلمته باستماع الجن لقراءته صلى الله تعالى عليه وآله وسلم.

١٠٧ - اغتيل: بسكون الغين وكسر التاء أي أخذ غيلة. استطير: بضم التاء وكسر الطاء أي أخذ وطير به. داعي الجن: أي رسول منهم يدعوني لأجتمع بهم. وفي هذا الحديث تصريح بأنه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم اجتمع بالجن وقرأ عليهم القرآن وأمنوا به وسألوه ما سألوا، وهو يعارض حديث ابن عباس في نفيه ذلك، كما أن ظاهره يقتضي أنه لم يصحبه أحد في تلك الليلة، والحديثان الآتيان يعارضانه.

١٠٨ - فغشيته: أي غطته، أسودة: جمع سواد يعني أشخاص أولئك الجن. فطفقوا: أي شرعوا. رهط: أي جماعة دون العشرة. فبرز: أي ظهر. يستطيب: أي يستجمر ويتمسح.

فلم يحضر أحد منهم غيري، فانطلقنا حتى إذا كنا بأعلى مكة خطاً لي برجله خطأ، ثم أمرني أن أجلس فيه، ثم انطلق حتى قام وافتتح القرآن فغشيته أسودة كثيرة حتى حالت بيني وبينه حتى ما أسمع صوته، ثم انطلقوا فطفقوا يتقطعون مثل قطع السحاب ذاهبين حتى بقي منهم رهط وفرغ رسول الله ﷺ مع الفجر فانطلق فبرز، ثم أتاني فقال: «ما فعل الرهط؟» فقلت: هم أولئك يا رسول الله، فأخذ روثاً وعظماً فأعطاهم إياهما، ثم نهى أن يستطيب أحد بعظم أو بروث.

١٠٩ - وعنه قال: (صلى رسول الله ﷺ العشاء، ثم انصرف، فأخذ بيد عبد الله بن مسعود حتى خرج به إلى بطحاء مكة، فأجلسه ثم خطاً عليه خطأ، ثم قال: «لا تبرحنَّ خطك فإنه سينتهي إليك رجال فلا تكلمهم فإنهم لن يكلموك»، ثم مضى رسول الله ﷺ حيث أراد، فبينما أنا جالس في خطي إذ أتاني رجال كأنهم الزُّط أشعارهم وأجسادهم لا أرى عورة ولا أرى قشرة، وينتهون إليّ ولا يجاوزون الخط، ثم يصدرون إلى

= مختصراً وفي سندهما أبو عثمان بن سنة مجهول، لكن أصل الحديث صحيح، فقد رواه ابن أبي شيبة ١٥٥/١، والترمذي ٣٠/١ بتحفة الأحوذى، وأبو داود رقم ٣٩، ومن طريقه البيهقي ١٠٩/١ من طريقين صحيحين مع اختصار وتغيير في السياق.

١٠٩ - رواه أحمد ٤٠٠/١، والترمذي في الأمثال رقم ٢٦٦٧ بتهذيبي، وسنده صحيح عند أحمد، وفي سند الترمذي جعفر بن ميمون متكلم فيه، ولا يضر ذلك، لأنه توبيع عند أحمد ولذلك حسَّنه الترمذي وصحَّحه.

١٠٩ - بطحاء: هو الأبطح، والمحصب وهو موضع أفح واسع بأعلى مكة على يسار الصاعد لمنى. الزط: بضم الزاي، جيل من الهنود. يصدرون: أي يرجعون. وفي هذه الأحاديث مع ما فيها تدل على وجود الجن والشياطين وإنهما لمسمى واحد وإنما صاروا صنفين باعتبار الكفر والإيمان، فلا يقال لمن آمن منهم شيطان أفاده الحافظ في الفتح.

رسول الله ﷺ، حتى إذا كان آخر الليل، لكن رسول الله ﷺ قد جاءني وأنا جالس فقال: لقد أراني منذ الليلة، ثم دخل عليّ في خطي فتوسّد فخذي وورقد، وكان رسول الله ﷺ إذا رقد نفخ). الحديث.

قصة الروم مع فارس وما ظهر في ذلك من الآيات

١١٠ - عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ، غَلَبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ﴾ قال: (غلبت وغلبت قال: كان المشركون يحبون أن يظهر أهل فارس على الروم لأنهم وإياهم أهل الأوثان، وكان المسلمون يحبون أن يظهر الروم على فارس لأنهم أهل كتاب، فذكروه لأبي بكر، فذكره أبو بكر لرسول الله ﷺ فقال: «أما إنهم سيغلبون»، فذكره أبو بكر لهم، فقالوا: اجعل بيننا وبينك أجلاً فإن ظهرنا كان لنا كذا وكذا، وإن ظهرتم كان لكم كذا وكذا، فجعل أجلاً خمس سنين، فلم

١١٠ - رواه أحمد ١/٢٧٦، ٣٠٣، والترمذي في التفسير رقم ٢٩٨٠، والنسائي، وابن ماجه، والحاكم ٢/٤١٠، وصححه الترمذي والحاكم على شرط البخاري ومسلم ووافقه الذهبي.

١١٠ - كانت الحروب والمعارك متوالية من وقت لآخر بين الروم وفارس وكانت الروم تحتل الشام فما دونها للغروب بينما كانت آسيا عند كسرى، وكان بينها دويلات صغيرة لا تكاد تذكر فكانت الحالة وقتئذ أشبه شيء بواقعنا اليوم، وفي أيام النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم هجمت فارس الروم وانتصرت عليها ففرح بذلك المشركون ونزل بالمسلمين غمٌ شديد فأخبرهم النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بأن الغلبة ستكون للروم في القريب العاجل، ونزل القرآن يؤيد ذلك وبحققه، وفي حديث الباب دليل على أن التحيز لأهل الكتاب في حب انتصارهم على الوثنيين واللادينيين محمود وليس هو من باب الموالاة، لأن الكتابيين مؤمنون في الجملة يوافقوننا في كثير من كليات الدين وشرائعه بخلاف غيرهم فهم من هذه الحيشة أحسن حالاً من اللادينيين، وعلى هذا فنحن اليوم نتمنى أن لو انتصرت الروم وأمريكا على الروس والسفياتيين وحلفائهم من الشيوعيين، لأن هؤلاء لا دينيون وأولئك مؤمنون في الجملة، وإن كان الكل كفرة.

يظهروا، فذكروا ذلك للنبي ﷺ، فقال: «ألا جعلته إلى دون»، قال: أراه العشرة).

قال سعيد: والبضع ما دون العشرة. قال: ثم ظهرت الروم بعد، قال: فذلك قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَغْلِبِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ﴾ إلى قوله: ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ﴾، قال سفيان: سمعت أنهمظهروا عليهم يوم بدر.

امتحان كفار قريش النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بالسؤال

١١١ - عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: (قالت قريش لليهود: أعطونا شيئاً نسأل عنه هذا الرجل فقالوا: سلوه عن الروح، فسألوه، فنزلت: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ، قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً﴾).

قالوا: أوتينا علماً كثيراً، أوتينا التوراة ومن أوتي التوراة، فقد أوتي خيراً كثيراً، قال: فأنزل الله عز وجل: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مَدَاداً لَكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفَذَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَذَ كَلِمَاتِ رَبِّي﴾. (الآية).

١١١ - رواه أحمد ٢٥٥/١، والترمذي في التفسير رقم ٢٩٣٣ بتهذيبي، كلاهما من طريق عكرمة، وحسنه الترمذي وصححه وهو كما قال، فهو صحيح على شرط مسلم، ورواه النسائي أيضاً، والحاكم وصححه.

١١١ - تضاربت الأقوال في حقيقة الروح ومعناها وموضعها، والحقيقة أنها كما قال الله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ﴾ الآية.

ما ظهر عند أذى المشركين له صلى الله تعالى عليه وآله وسلم من الآيات

١١٢ - عن عروة بن الزبير رحمه الله تعالى قال: (قلت لعبدالله بن عمرو بن العاص: ما أكثر ما رأيت قريشاً أصابت رسول الله ﷺ فيما كانت تظهر من عداوته؟ قال: حضرتهم وقد اجتمع أشرافهم يوماً في الحجر فذكروا رسول الله ﷺ، فقالوا: ما رأينا مثل ما صبرنا عليه من هذا الرجل قط، سَفَهَ أحلامنا وشتم آباءنا وعاب ديننا وفرَّق جماعتنا وسبَّ آلهتنا، لقد صبرنا منه على أمر عظيم أو كما قالوا، قال: فبينما هم كذلك إذ طلع عليهم رسول الله ﷺ فأقبل يمشي حتى استلم الركن، ثم مرَّ بهم طائفاً بالبيت، فلما أن مرَّ بهم غمزوه ببعض ما يقول، قال: فعرفت ذلك في وجهه، ثم مضى فلما مرَّ بهم الثانية غمزوه بمثلها، فعرفت ذلك في وجهه، ثم مضى، ثم مرَّ بهم الثالثة، فغمزوه بمثلها، فقال: «تسمعون يا معشر قريش، أما والذي نفس محمد بيده لقد جئتكم بالذبح»، فأخذت القوم كلمته حتى ما منهم رجل إلا كأنما على رأسه طائر واقع حتى إن أشدهم فيه وصاة قبل ذلك ليرفؤوه بأحسن ما يجد من القول

١١٢ - رواه ابن إسحاق، ومن طريقه أحمد ٢١٨/٢ بسند حسن، وقال الهيثمي في المجمع ١٥/٦، ١٦: قد صرح ابن إسحاق بالسماع وبقيّة رجاله رجال الصحيح.

١١٢ - الحجر: بكسر الحاء وسكون الجيم قطعة من البيت خارجة عنه لجهة الشام كنصف دائرة محاط عليها بجدار يفصله عن الكعبة بابان شرقي وغربي. سَفَهَ أحلامنا: أي نسب عقولنا للحمق والجهالة والطيش. غمزوه: أي طعنوا وتكلموا فيه. لقد جئتكم بالذبح: أي بالقتل والإبادة، أو أتيتكم بما يكون لكم كالذبح من الحجج والآيات. كأنما على رؤوسهم طائر: هو عبارة عن سكوتهم وهدوتهم. وصاة: بفتح الواو أي توصية. ليرفؤوه: بفتح الياء من رفأ كمنع، أي يسكنه. =

حتى إنه ليقول: انصرف يا أبا القاسم، انصرف راشداً، فوالله ما كنت جهولاً قال: فانصرف رسول الله ﷺ حتى إذا كان الغد اجتمعوا في الحجر وأنا معهم، فقال بعضهم لبعض: ذكرتم ما بلغ منكم وما بلغكم عنه حتى إذا بادأكم بما تكرهون تركتموه، فبينما هم في ذلك إذ طلع رسول الله ﷺ فوثبوا إليه وثبة رجل واحد، فأحاطوا به يقولون: أنت الذي تقول كذا وكذا، كما كان يبلغهم عنه من عيب آلهتهم ودينهم، قال: فيقول رسول الله ﷺ: نعم أنا الذي أقول ذلك، قال: فلقد رأيت رجلاً منهم أخذ بمجمع رداءه، قال: وقام أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه دونه يقول - وهو يبكي - : ﴿أَتَقْتَلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ﴾. ثم انصرفوا عنه، فإن ذلك لأشد ما رأيت قريشاً بلغت منه قط).

* - ورواه البخاري وغيره مختصراً بلفظ: (بيننا رسول الله ﷺ يصلي بفناء الكعبة إذ أقبل عقبة بن أبي معيط فأخذ بمنكب النبي ﷺ ولوى ثوبه في عنقه فخنقه به خنقاً شديداً، فأقبل أبو بكر، فأخذ بمنكبه ودفعه عن رسول الله ﷺ، وقال: ﴿أَتَقْتَلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ﴾ وقد جاءكم بالبينات من ربكم ﴿.

* - رواه أوائل السيرة ١٦٨/٨ من فتح الباري، وفي التفسير ١٧٥/١٠، ورواه أحمد أيضاً ٢٠٤/٢.

= جهولاً: أي سفيهاً، وهذا اعتراف منهم له صلى الله تعالى عليه وآله وسلم باتصافه بمكارم الأخلاق. فوثبوا: أي قاموا وانقضوا عليه. فأحاطوا: أي أحدقوا وداروا به، فانظر أيها المسلم ماذا أصاب نبينا الكريم في سبيل الدعوة إلى الله تعالى وتبليغ دينه وإلى أي درجة بلغ معه الكفار، والحالة هذه وهم قومه وأقاربه فقارن حالتك اليوم بحالة رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بالأمس يوم كان الإسلام في أيامه الأولى.

* - مُعَيْط: بضم الميم وفتح العين ثم ياء ساكنة.

١١٣ - وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (إن الملاء من قريش اجتمعوا في الحجر فتعاقدوا باللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ونائلة وإساف: لو قد رأينا محمداً لقد قمنا إليه قيام رجل واحد فلا نفارقه حتى نقتله، فأقبلت ابنته فاطمة تبكي حتى دخلت على رسول الله ﷺ، فقالت: هؤلاء الملاء من قريش تعاقدوا عليك، لو قد رأوك لقد قاموا إليك فقتلوك، فليس منهم رجل إلا قد عرف نصيبه من دمك، فقال: يا بنية أريني وضوءاً فتوضأ، ودخل عليهم المسجد، فلما رأوه، قالوا: ها هو ذا، وخفضوا أبصارهم وسقطت أذقانهم في صدورهم وعقروا في مجالسهم فلم يرفعوا إليه بصراً ولم يقم إليه منهم رجل، فأقبل رسول الله ﷺ حتى قام على رؤوسهم فأخذ قبضة من تراب فقال: شأهت الوجوه ثم حصبهم بها فما أصاب رجلاً منهم من ذلك الحصى حصاةً إلا قتل يوم بدر كافراً).

١١٤ - وعن خباب بن الأرت رضي الله تعالى عنه قال: أتيت رسول الله ﷺ وهو متوسد بردة في ظل الكعبة، وقد لقينا من المشركين

١١٣ - رواه أحمد ٣٠٣/١، ٣٦٨، من طريقين وكلاهما سنده صحيح.

١١٤ - رواه البخاري في علامات النبوة ٤٣١/٧، ٤٣٢، وفي مبعث النبي ١٦٥/٨، ١٦٦، وفي الإكراه ٣٤٨/١٥ من فتح الباري، ورواه أبو داود في الجهاد، والنسائي في الزينة، كما عزاه في ذخائر الموارث.

١١٣ - الملاء: أي الجماعة من الأشراف الذين يملأون العيون. فتعاقدوا: أي تعاهدوا بأصنامهم الخمسة. وخفضوا: أي غضوا أبصارهم. وعقروا: أي بركوا فيها من الخوف والدهش. شأهت: أي قبحت. حصبهم: أي رماهم بالحصباء وهي الحصى الصغيرة، ويؤخذ من هذا الحديث أن الوضوء شرع بمكة وقد جاء في ذلك حديث آخر رواه الحاكم بسند صحيح وفي ذلك رد على من يقول من الفقهاء بأنه شرع بالمدينة نظراً لسورتي النساء والمائدة الميين فيها وهما من السور المدنية.

١١٤ - أمشاط: جمع شط بضم الميم وكسرهما. ما دون عظمه: أي ما سواه. ما يصرفه: أي =

شدة شديدة، فقلت: يا رسول الله، ألا تدعوا الله لنا، فقعد وهو محمر وجهه، فقال: «إن كان من قبلكم ليمشط أحدهم بأمشاط الحديد ما دون عظمه من لحم أو عصب ما يصرفه ذلك عن دينه، وليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون».

وسياتي حديث ابن مسعود برقم ١٦٩ في قصة وضع سلى الجزور على رأسه عليه السلام في غزوة بدر.

الآية في صرف شتم المشركين عنه

١١٥ - عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا تعجبون كيف يصرف الله عني شتم قريش ولعنهم يشتمون مذمماً ويلعنون مذمماً وأنا محمد».

١١٥ - رواه أحمد ٣٧٣/٢، ٤١٧، والبخاري في المناقب في أسماء رسول الله ٣٦٩/٧ من فتح الباري.

= ما يصده. مفرق: أي وسط رأسه. صنعاء: إلخ كلاهما باليمن، وفي الحديث ما كان عليه أهل الإيمان والدين من الصبر على دينهم وإن عذبوا ونشروا كما فيه معجزة ظاهرة لنبينا صلى الله تعالى عليه وآله وسلم حيث أخبر بظهور الدين وانتشار الأمن فوقع كما أخبر.

١١٥ - يصرف: أي يدفع. شتم: أي سبهم. مُذَمَّماً: بضم الميم الأولى بعدها ذال مفتوحة ثم ميم مشددة مفتوحة، أي يشتمون رجلاً مذموماً ولست أنا كذلك فانا محمد صلى الله تعالى عليه وآله وسلم.

دعاؤه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم على قريش بالسنة

١١٦ - عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه، أن قريشاً لما استعصت على رسول الله ﷺ وأبطأوا عن الإسلام قال: «اللهم أعني عليهم بسبع كسبع يوسف». فأصابتهم سنة فحصت كل شيء حتى أكلوا الجيف والميتة حتى إن أحدهم كان يرى ما بينه وبين السماء كهيئة الدخان من الجوع، ثم دعوا ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون، فقيل للنبي ﷺ: إنا لو كشفنا العذاب عنهم عادوا، فكشف عنهم فعادوا، فانتقم منهم يوم بدر، فذلك قوله تعالى: ﴿يوم تأتي السماء بدخان مبين﴾ إلى قوله: ﴿يوم نبطش البطشة الكبرى إنا منتقمون﴾.

١١٧ - وعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: (خمس قد مضين: اللزام، والروم، والدخان، والبطشة، والقمر).

١١٦ - رواه البخاري في مواضع من التفسير آخرها الدخان ١٩٢/٣، ١٩٣، ١٩٤، من فتح الباري، ومسلم في كتاب صفة القيامة ١٤٠/١٧، ١٤٢، من شرح النووي.

١١٧ - رواه البخاري في سورة الدخان ١٩٥/١٠ من فتح الباري، ومسلم في صفة القيامة ١٤٣/١٧ من شرح النووي.

١١٦ - استعصت: أي عصوه ولم يؤمنوا به. وأبطأوا: أي تأخروا. بسبع: أي بسبع سنين مجدة. فحصت: بتشديد الصاد المفتوحة، أي استأصلت. البطشة: إلخ هي يوم بدر.

١١٧ - اللزام: بكسر اللام، قيل: هو البطشة الكبرى وكل ما ذكر قد مضى، وقيل: إلا الدخان فسيكون آخر الزمان من علامات الساعة، أما الروم فالمراد بها انتصارهم على الفرس كما وعد الله بذلك وقد وقع يوم بدر، وأما القمر فالقصد به ما حصل من انفلاقه.

خصوصيته صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بالإسراء وما رأى من آيات ربه الكبرى^(١)

قال الله تعالى: ﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير﴾.

اعلم أن الإسراء ورد مطولاً ومختصراً من حديث أنس، وأبي بن كعب، وبريدة، وجابر بن عبدالله، وحذيفة بن اليمان، وسمرة بن جندب، وسهل بن سعد، وشداد بن أوس، وصهيب، وابن عباس، وابن عمر، وابن عمرو، وابن مسعود، وعبدالله بن أسعد بن زرار، وعبدالرحمن بن قُرط، وعلي بن أبي طالب، وعمر بن الخطاب، ومالك بن صعصعة، وأبي أمامة، وأبي أيوب الأنصاري، وأبي حَبَّة، وأبي الحمراء، وأبي ذر، وأبي سعيد الخدري، وأبي سفيان بن حرب، وأبي ليلي الأنصاري، وأبي هريرة، وعائشة، وأسماء بنت أبي بكر، وأم هاني، وأم سلمة رضي الله تعالى عنهم، وهذا ملخصها:

(١) حادث الإسراء والمعراج من أبهـر الأحداث التاريخية الإسلامية وأعظمها، وهو من الآيات الظاهرة المتواترة التي وصلت إلينا من طريق القرآن الكريم والسنة المتواترة التي رواها الجم الغفير والعدد الكثير من الصحابة رضي الله تعالى عنهم، وفي هذا الحديث من الآيات والمعجزات والوقائع العجيبة والأخبار الغربية ما يحمل على العبرة والذكرى، واختلفوا في تاريخ وقوعه، والجمهور على أنه كان في رجب، وجزم النووي بأنه كان قبل الهجرة بسنة، وادعى ابن حزم فيه الإجماع، والأصح أنه حصل بجسمه وروحه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم يقظةً، مرةً واحدةً.

١١٨ - عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أتيت بالبراق، وهو دابة أبيض طويل فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه، فركبته حتى أتيت بيت المقدس، فربطته بالحلقة التي تربط بها الأنبياء، ثم دخلت المسجد، فصليت ركعتين، ثم خرجت، فجاء جبريل بإناء من خمر وإناء من لبن، فاخترت اللبن، فقال جبريل: اخترت الفطرة، ثم عرج بنا إلى السماء الدنيا فاستفتح جبريل، فقيل: من أنت؟ قال: جبريل، قال: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه، ففتح لنا، فإذا أنا بآدم فرحب بي ودعا لي بخير.

ثم عرج بنا إلى السماء الثانية، فاستفتح جبريل فقيل: من أنت؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه، ففتح لنا فإذا أنا بابني الخالة: عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا، فرحبا بي ودعوا لي بخير.

ثم عرج بنا إلى السماء الثالثة فاستفتح جبريل، فقال: من أنت؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه، ففتح لنا فإذا أنا بيوسف، وإذا هو قد أعطي شطر الحسن فرحبا بي ودعا لي بخير.

١١٨ - رواه مسلم في الإيمان من شرح النووي ٢/٢٠٩، ٢١٥، ٢١٧،

٢٢٥.

١١٨ - يضع حافره: معناه أنه يطير ثم ينزل بعد مسافة طويلة هي منتهى نظر بصره ولا يعلم ذلك إلا الله. الفطرة: أي الطريقة التي فطر الله عليها خلقه وهي التوحيد. ثم عرج: بضم العين أي صعد بي جبريل. فاستفتح: أي طلب فتح باب السماء واستأذن حرسها. فرحب بي: أي قال لي مرحباً. شطر الحسن: أي نصف حسن بني آدم، وكان في منتهى الجمال عليه الصلاة والسلام. =

ثم عرج بنا إلى السماء الرابعة فاستفتح جبريل، قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه، ففتح لنا، فإذا أنا بإدريس، فرحّب بي ودعالي بخير.

ثم عرج بنا إلى السماء الخامسة، فاستفتح جبريل، قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه، ففتح لنا، فإذا أنا بهارون، فرحّب بي ودعالي بخير.

ثم عرج بنا إلى السماء السادسة، فاستفتح جبريل، قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه، ففتح لنا، فإذا أنا بموسى، فرحّب بي ودعالي بخير.

ثم عرج بنا إلى السماء السابعة، فاستفتح جبريل، قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه، ففتح لنا فإذا أنا بإبراهيم مسنداً ظهره إلى البيت المعمور، وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه.

ثم ذهب بي إلى سِدْرَةِ المنتهى فإذا ورقها كأذان الفيلة، وإذا ثمرها كالقلال، فلما غشيها من أمر الله ما غشي تغيرت فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها، فأوحى الله إليّ ما أوحى، ففرض عليّ خمسين صلاة في كل يوم وليلة، فنزلت حتى انتهيت إلى موسى، فقال لي: ما فرض الله عليك وعلى أمتك؟ قلت: خمسين صلاة، قال: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف فإنّ أمتك لا تطيق ذلك، فإني قد بلوت

= سدرة المنتهى: سميت بذلك لأنها منتهى علم المخلوقات. القلال: بكسر القاف جمع قلة وهي إناء كبير كالجرة. غشيها: أي غطاها من الأنوار. بلوت: أي اختبرت وامتحنت.

بني إسرائيل وخبرتهم، فرجعت إلى ربي فقلت: يا ربَّ خَفِّفْ عن أمتي، فحطَّ عني خمساً، فرجعت إلى موسى، فقلت: حطَّ عني خمساً، قال: إن أمتك لا يطيقون ذلك، فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف، قال: فلم أزل أرجع بين ربي وبين موسى حتى قال: يا محمد إنهنَّ خمس صلوات لكل يوم وليلة فكل صلاة عشر فتلك خمسون صلاة، ومن همَّ بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة، فإن عملها كتبت له عشرًا، ومن همَّ بسيئة فلم يعملها لم تكتب له شيئاً، فإن عملها كتبت له سيئة واحدة، فنزلت حتى انتهيت إلى موسى فأخبرته، فقال: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف، فقلت: رجعت إلى ربي حتى استحييت منه .»

* - وفي رواية للبخاري عن أنس قال: ليلة أسري برسول الله ﷺ من مسجد الكعبة جاءه ثلاثة نفر قبل أن يوحى إليه وهو نائم في المسجد الحرام فقال أولهم: أيهم هو؟ قال أوسطهم: هو خيرهم، وقال أحدهم: خذوا خيرهم، فكانت تلك الليلة، فلم يرههم حتى أتوه ليلة أخرى فيما يرى قلبه وتنام عيناه ولا ينام قلبه، وكذلك الأنبياء تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم، فلم يكلموه حتى احتملوه فوضعه عند بئر زمزم وتولاه منهم جبريل فشقَّ جبريل ما بين نحره إلى لبتة حتى فرغ من صدره وجوفه فغسله من ماء زمزم بيده حتى أنقى جوفه ثم أتى بطست من ذهب محشواً إيماناً وحكمة فحشا به صدره ولغاديدته - يعني عروق حلقه -، ثم عرج به الحديث.

* - رواه البخاري في التوحيد من طريق شريك بن أبي نمر عن أنس.

* - نَفَر: نفر بفتحتين، من الثلاثة إلى العشرة. محشو: أي مملوء. أطبقه: أي ضمه إلى

بعضه.

*** - وفي رواية للبخاري ومسلم من طريق قتادة عن أنس عن مالك بن صعصعة حدثه أن نبي الله ﷺ حدثه عن ليلة أسري به قال: «بينما أنا في الحطيم، وربما قال قتادة: في الحجر، مضطجعا إذ أتاني آت فجعل يقول لصاحبه: الأوسط بين الثلاثة، فأتاني فشقَّ صدري فذكر الحديث وفيه: ثم رفعت إلى سدرة المنتهى فإذا نبقها مثل قلال هجر، وإذا ورقها مثل آذان الفيلة، فقال: هذه سدرة المنتهى، وإذا أربعة أنهار، نهران باطنان ونهران ظاهران، فقلت: ما هذا يا جبريل؟ قال: أما الباطنان فنهران في الجنة، وأما الظاهران فالنيل والفرات»، الحديث.

*** - وفي رواية للبخاري، ومسلم عن أنس قال: كان أبو ذر يحدث أن رسول الله ﷺ قال: «فُرِجَ سَقْفَ بَيْتِي وَأَنَا بِمَكَّةَ فَتَزَلَ جَبْرِيلُ فَفَرَجَ صَدْرِي، فَذَكَرَ الْحَدِيثَ، وَفِيهِ: فَلَمَّا فَتَحَ عَلَوْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا وَإِذَا رَجُلٌ قَاعِدٌ عَلَى يَمِينِهِ أَسْوَدَةٌ وَعَلَى يَسَارِهِ أَسْوَدَةٌ فَإِذَا نَظَرَ قَبْلَ يَمِينِهِ ضَحَكَ، وَإِذَا نَظَرَ قَبْلَ شِمَالِهِ بَكَى، فَقَالَ: مَرْحَبًا بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ وَالْإِبْنِ الصَّالِحِ، قُلْتَ لَجَبْرِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: آدَمُ، وَهَذِهِ الْأَسْوَدَةُ عَنِ يَمِينِهِ وَعَنِ شِمَالِهِ نَسَمٌ بَنِيهِ، فَأَهْلُ الْيَمِينِ هُمْ أَهْلُ الْجَنَّةِ، وَالْأَسْوَدَةُ الَّتِي عَنِ

*** - رواه البخاري في المناقب، باب المعراج ٢٠٠/٨، ٢١٦ فتح، وفي بدء الخلق في ذكر الملائكة، ومسلم في الإيمان في ذكر الإسراء من طريق قتادة عن أنس عن مالك بن صعصعة.

*** - رواه البخاري في أول الصلاة، ومسلم بشرح النووي ٢١٧/٢ - ٢٢٥ في الإيمان.

*** - نَبَّهَهَا: بفتح النون ثم قاف مضمومة، أي ثمرها.
 *** - أسودة: جمع سواد، أي على يمينه ويساره أشخاص سود، لأنه يرى من بعيد كذلك.

شماله أهل النار، فإذا نظر عن يمينه ضحك وإذا نظر عن شماله بكى». .
الحديث.

١١٩ - وعن أنس رضي الله تعالى عنه: (أن النبي ﷺ أتى بالبراق ليلة أسري به ملجماً مسرجاً فاستصعب عليه، فقال له جبريل: أبعلمك تفعل هذا، فوالله ما ركبك أحد أكرم على الله منه، قال: فافرض عرقاً).

١٢٠ - وعن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «مررت ليلة أسري بي على موسى عليه السلام قائماً يصلي في قبره عند الكئيب الأحمر».

١٢١ - وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «رأيت ليلة أسري بي موسى بن عمران رجلاً طوالاً جعداً كأنه من رجال شنوءة ورأيت عيسى بن مريم مربوع الخلق إلى الحمرة

١١٩ - رواه أحمد ١٦٤/٣ والترمذي في تفسير الإسراء ١٣٥/٤ بتحفة الأحوذى رقم ٢٩٢٤ بتهذيبي، وسندهما صحيح على شرط البخاري ومسلم.

١٢٠ - رواه أحمد ومسلم في الإيمان.

١٢١ - رواه البخاري في أحاديث الأنبياء ٧/٢٤٠ من فتح الباري، ومسلم في

الإيمان ٢/٢٢٦، ٢٢٨ من شرح النووي.

١١٩ - ملجماً: أي قد وضع اللجام في فمه. مسرجاً: أي شد السرج عليه ووضع فوق ظهره. فاستصعب: أي امتنع من الركوب عليه لأنه لم يعرف النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم. فافرض: أي سال بالعرق حياة من رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم.

١٢٠ - يصلي: إلخ فيه دليل على أن الأنبياء يصلون بعد موتهم، وهو كذلك فقد ورد في غير ما حديث أنهم أحياء يرزقون ويحجون ويأتي قريباً أنهم صلوا بالمسجد الأقصى وراء نبينا صلى الله تعالى عليه وآله وسلم جميعاً، فإذا كانوا أحياء فلا مانع من تفرهم إلى الله بأنواع من الطاعات، بل وحضورهم مع الأحياء كما شاهد ذلك جماعة من الصالحين المكاشفين، وانظر شرح مسلم للنووي

٢٣٨، ٢٢٨/٢

١٢١ - طوالاً: بضم الطاء أي طويلاً. شنوءة: قبيلة معروفة، وأزدشنوءة حي من اليمن.

والبياض سبط الرأس، ورأيت مالكاً خازن جهنم والدجال في آيات
أراهن الله إياه». قال: ﴿فلا تكن في مِرْيَةٍ من لقائه﴾، فكان قتادة يفسرها
أن النبي ﷺ قد لقي موسى .

١٢٢ - وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال النبي ﷺ
حين أسري به: «لقيت موسى فنعتُهُ فإذا هو رجل ضَرَبَ رَجُلَ الرَّأْسِ كأنه
من رجال شُنُوءَةٍ، ورأيت عيسى فإذا هو رجل رُبْعَةٌ أحمر كأنما خرج من
ديماس - يعني من حمام -، ورأيت إبراهيم وأنا أشبه ولده به، ثم أتيت
بإنائين في أحدهما لبن وفي الآخر خمر فقيل لي: خذ أيهما شئت،
فأخذت اللبن، فشربت فقيل لي: هُديت الفطرة، أما إنك لو أخذت
الخمر لغوت أمتك» .

١٢٣ - وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لقد رأيتني في الحجر
وقريش تسألني عن مسراي، فسألوني عن أشياء من بيت المقدس لم
أثبتها فكربت كرباً ما كربت مثله قط، فرفعه الله لي أنظر إليه ما يسألوني
عن شيء إلا نبتهم به، وقد رأيتني في جماعةٍ من الأنبياء فإذا موسى

١٢٢ - رواه البخاري في أحاديث الأنبياء ٢٣٩/٧، ٢٤٠، من فتح الباري،
ومسلم في الإيمان ٢/٢٣٢، ٢٣٣، من شرح النووي.

١٢٣ - رواه مسلم في الإيمان ٢/٢٣٧، ٢٣٨ من شرح النووي.

١٢٢ - ضرب: أي طويل وسط. لَعَوَتْ أمتك: أي ضلت وأخذت طريق أهل الغواية.
١٢٣ - لم أثبتها: بضم الهمزة وسكون التاء وكسر الباء ومعناه لم أتحققها. فكربت: بضم
الكاف أي حصل لي هم وغم. كربة: بضم الكاف أيضاً، وفي هذا الحديث أنه شاهد هؤلاء الأنبياء
كلهم يصلون بالإضافة إلى صلاتهم معه وهو صريح في أن ذلك كان يقظة. فحانت: أي بلغ حينها
ووقتها.

قائم يصلي فإذا رجل ضرب جعد كأنه من رجال شنوءة، وإذا عيسى قائم يصلي، أقرب الناس به شهباً عروة بن مسعود الثقفي، وإذا إبراهيم قائم يصلي، أشبه الناس به صاحبكم - يعني نفسه، فحانت الصلاة فأممتهم، فلما فرغت، قال قائل: يا محمد، هذا مالك صاحب النار، فالتفت إليه فبدأني بالسلام».

١٢٤ - وعن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «لما كذبتني قريش حين أسري بي إلى بيت المقدس قمت في الحجر فجلى الله لي بيت المقدس فطفقت أخبرهم عن آياته وأنا أنظر إليه».

١٢٥ - وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: ليلة أسري بالنبي ﷺ دخل الجنة فسمع في جانبها وجساً، فقال: يا جبريل، ما هذا؟ قال: هذا بلال المؤذن، فقال النبي ﷺ حين جاء إلى الناس: «قد أفلح بلال، رأيت كذا وكذا».

١٢٤ - رواه البخاري في الإسرائ ٦/١٠، ٧، وفي المناقب ٨/١٩٨ من فتح الباري، ومسلم في الإيمان ٢/٢٣٧ من شرح النووي، والترمذي في سورة الإسرائ ٤/١٣٥ مع تحفة الأحوذى.

١٢٥ - رواه أحمد ١/٢٥٧ بسند صحيح غير أن لفظة غسل يعارضها ما في الصحيح من أنها خمر فهي شاذة.

١٢٤ - فجلى الله: أي أظهره لي. فطفقت: أي جعلت وفي هذا والذي قبله آية باهرة، فأين التلفزة الحالية المستخدمة بالأجهزة من هذه المعجزة الإلهية الخالدة فهي من الخوارق العجيبة والآيات الغريبة، وما ظهور التلفزة وأمثالها إلا تأييداً لهذا الحادث العظيم.

١٢٥ - وجساً: بسكون الجيم الصوت الخفي. متهيب: على وزن متيمم وهو بفتح الباء أي =

فلقيه موسى فرحّب به، وقال: مرحباً بالنبي الأميّ، قال: وهو رجل آدم طويل سبط شعره مع أذنيه أو فوقهما، فقال: من هذا يا جبريل؟ قال: هذا موسى.

فمضى فلقية شيخ جليل متهيب، فرحب به وسلّم عليه، وكلهم يسلمّ عليه، قال: من هذا يا جبريل؟ قال: هذا أبوك إبراهيم.

قال: ونظر في النار فإذا قوم يأكلون الجيف، قال: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الذي يأكلون لحوم الناس، ورأى رجلاً أحمر أزرق جداً، قال: من هذا يا جبريل؟ قال: هذا عاقر الناقة، فلما أتى النبي ﷺ المسجد الأقصى قام يصلي فإذا النبيون أجمعون يصلون معه، فلما انصرف جيء بقدحين أحدهما عن اليمين والآخر عن الشمال في أحدهما لبن وفي الآخر عسل، فأخذ اللبن فشرب منه، فقال الذي كان معه القدح: أصبت الفطرة.

١٢٦ - وعن أنس رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لما عرج بي مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم، فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم».

١٢٦ - رواه أحمد ٣/٢٢٤، وأبو داود رقم ٤٨٧٨ بسند صحيح.

= عليه هبة. الجيف: جمع جيفة. قدحين: ثنية قدح بالفتح. أصبت الفطرة: أي صادفت طريق التوحيد.

١٢٦ - يخمشون: أي يخدشون. ويقعون: أي يتكلمون في أعراض الناس.

١٢٧ - وعنه أن النبي ﷺ قال: «ليلة أسري بي مررت بناس تقرض شفاههم بمقاريض من نار كلما قرضت عادت، فقلت: مَنْ هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء خطباء أمتك يقولون ما لا يفعلون».

١٢٨ - وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «رأيت ليلة أسري بي لما انتهينا إلى السماء السابعة فنظرت فوقي فإذا رعد وبرق وصواعق، وأتيت على قوم بطونهم كالبيوت فيها الحيات ترى من خارج بطونهم، فقلت: مَنْ هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء أكلة الربا، فلما نزلت إلى السماء الدنيا نظرت إلى أسفل مني، فإذا أنا برهج ودخان وأصوات، فقلت: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذه الشياطين يحومون على أعين بني آدم لا يتفكرون في ملكوت السموات والأرض لولا ذلك لرأوا العجائب».

١٢٧ - رواه أحمد ٣/١٢٠، ٢٣١، ٢٣٩، وعبد بن حميد من طرق عن حماد بن سلمة عن علي بن زيد بن جدعان وسنده حسن، ورواه ابن حبان رقم ٣٥ وغيره من طريق المغيرة بن حبيب وهو ضعيف.

١٢٨ - رواه أحمد ٢/٣٥٣، ٣٦٣، وابن ماجه رقم ٢٢٧٣ كلاهما من طريق ابن جدعان وهو حسن الحديث.

١٢٧ - تقرض: بضم التاء، أي تقطع. بمقاريض: جمع مقراض وهو آلة حديدية تقطع بها الأشياء.

١٢٨ - أكلة الربا: بفتح الهمزة والكاف، جمع أكل، والمراد بهم المتعاطون له بأي نوع كان، سواء في ذلك الأكل والشرب واللباس والسكن والمركب والمنكح وغير ذلك. برهج: بفتح الراء والهاء، أي غبار. يحومون: أي يطوفون ويدورون، والمراد أنهم يصرفون الناس عن التفكير في هذه الأجرام العلوية ويحولون بينهم وبين ذلك.

١٢٩ - وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: أسري بالنبى ﷺ إلى بيت المقدس، ثم جاء من ليلته فحدثهم بمسيره وبعلامة البيت المقدس وبغيرهم، فقال ناس: نحن لا نصدق محمداً بما يقول فارتدوا كفاراً فضرب الله رقابهم مع أبي جهل، وقال أبو جهل: يخوفنا محمد بشجرة الزقوم، هاتوا تمراً وزيداً وتزقموا، ورأى الدجال في صورته رؤيا عين ليس برؤيا منام، وعيسى وموسى وإبراهيم، فسئل النبي ﷺ عن الدجال، فقال: «رأيت فيلماً نياً أقمر هجاناً إحدى عينيه قائمة كأنها كوكب دري، كأن شعره أغصان شجرة، ورأيت عيسى أبيض جعد الرأس حديد البصر مبطن، ورأيت موسى أسحم آدم كثير الشعر شديد الخلق، ونظرت إلى إبراهيم فلا أنظر إلى إزب منه إلا نظرت إليه مني حتى كأنه صاحبكم، قال جبريل: سلّم على أبيك، فسلمت عليه».

١٣٠ - وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «لما كان ليلة أسري بي فأصبحت بمكة فظعت، وعرفت

١٢٩ - رواه أحمد ٣٧٤/١، والنسائي من طريق هلال بن خباب عن عكرمة وسنده صحيح، وهو في مجمع الزوائد ٦٦/١، ٦٧ برواية أحمد وأبي يعلى.

١٣٠ - رواه أحمد ٣٠٩/١ بسند صحيح، وأورده الهيثمي في المجمع ٦٤/١، =

١٢٩ - بعيرهم: العير بكسر العين الإبل التي تحمل الميرة والتجارة. فارتدوا: أي رجعوا كفاراً بعد إيمانهم. فيلماً نياً: بفتح الفاء وسكون الياء ثم لام مفتوحة بعدها ميم ممدودة ثم نون وياء ومعناه العظيم الضخم، وفيه تصريح بأن ذلك كان يقظة لا مناماً كما قيل. أقمر: أي يميل لونه إلى بياض القمر. هجاناً: بكسر الهاء وفتح الجيم، أي أبيض. كوكب دري: أي نجم متلألئ مضيء. أغصان شجرة: أي فروعها. حديد البصر: أي نافذه. مبطن: بضم الميم وفتح الباء بعدها طاء مشددة مفتوحة أي ضامر البطن ليس فيه لحم. أسحم: أي أسود. إزب: بكسر الهمزة وسكون الراء، أي العضو وفيه أوصاف دقيقة لمن ذكرهم.

١٣٠ - فظعت: بضم الفاء وكسر الظاء، أي اشتد علي الأمر وهبت ما حصل لي. فقعد: =

أن الناس مكذبي، فقعده معتزلاً حزيناً، فمرَّ به عدو الله أبو جهل فجاء حتى جلس إليه، فقال كالمستهزئ: هل كان من شيء؟ قال: نعم، قال: وما هو؟ قال: إني أسري بي الليلة. قال: إلى أين؟ قال: إلى بيت المقدس. قال: ثم أصبحت بين ظهرانينا!! قال: نعم، فلم يره أنه يكذبه مخافة أن يجحده الحديث إن دعا قومه إليه، قال: رأيت إن دعوت قومك أتحدثهم ما حدثتني؟ قال: نعم، قال: هيا يا معشر بني كعب بن لؤي، فانفضت إليه المجالس وجاءوا حتى جلسوا إليهما، قال: حدث قومك بما حدثتني، فقال رسول الله ﷺ: إني أسري بي الليلة، قالوا: إلى أين؟ قال: إلى بيت المقدس، قالوا: ثم أصبحت بين ظهرانينا!! قال: نعم، قال: فمن بين مصفق ومن بين واضع يده على رأسه متعجباً، قالوا: أو تستطيع أن تنعت المسجد، وفي القوم من قد سافر إليه، قال رسول الله ﷺ: فذهبت أنعت، فما زلت أنعت حتى التبس عليَّ بعض النعت، فجيء بالمسجد وأنا أنظر إليه حتى وضع دون

= ٦٥، برواية أحمد وكبير الطبراني وأوسطه وقال: رجال أحمد رجال الصحيح، وعزاه المؤلف للنسائي وابن أبي شيبة والبخاري.

= رجع من التكلم إلى الغيبة تفنناً على عادة أساليب العرب في كلامها. كالمستهزئ: أي كالمساخر الضاحك. ظهرانينا: بفتح الظاء وسكون الهاء ثم راء ممدودة بعدها نون مفتوحة وياء ساكنة أي بين أظهرنا. يجحده: أي ينكر ما قال. رأيت: أي أخبرني. هيا: بفتح الهاء ثم ياء مفتوحة، من حروف النداء. يا معشر: أي يا جماعة. مصفق: بضم الميم أي ضارب بيده على الأخرى من التصفيق. التبس: أي اختلط. وفي الحديث معجزة عظيمة له صلى الله تعالى عليه وآله وسلم زيادة على الإسراء، حيث أتى له بالمسجد الأقصى ومثل أمامه حتى وصفه لهم وقد أصبح اليوم مثل هذا الأمر كالعادي فإننا نشاهد على شاشة التلفزة الأقطار الشاسعة وما فيها وعليها، وتنقل الأقطار الاصطناعية إلى العالم صور كل شيء وهذا كله فعله الله عز وجل وأظهره إقامة لحجته على الكفرة والملاحدة الذين كانوا ينكرون معجزة الأنبياء وخوارقهم.

دار عقيل أو عقال، فنعته وأنا أنظر إليه فقال القوم: أما النعت فوالله لقد أصاب».

١٣١ - وعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ قال: «لقيت ليلة أسري بي إبراهيم وموسى وعيسى فتذاكروا أمر الساعة فردوا أمرهم إلى إبراهيم، فقال: لا علم لي بها، فردوا أمرهم إلى موسى، فقال: لا علم لي بها، فردوا أمرهم إلى عيسى، فقال: أما وجبتها فلا يعلم بها أحد إلا الله وفيما عهد إلي ربي أن الدجال خارج»، الحديث، فذكر الدجال ويأجوج ومأجوج.

١٣٢ - وعنه قال: (لما أسري برسول الله ﷺ فانتهى إلى سدرة المنتهى وإليها ينتهي ما يصعد به، وفي لفظ: ما يعرج به من الأرواح حتى يقبض منها، وإليها ينتهي ما يهبط من فوقها حتى يقبض إذا يغشى السدرة ما يغشى قال: غشيها فراش من ذهب، وأعطي رسول الله ﷺ

١٣١ - رواه أحمد ١/٣٧٥، وابن ماجه رقم ٤٠٨١، والحاكم وصححه، وقال البوصيري في الزوائد: هذا إسناد صحيح.

١٣٢ - رواه مسلم في الإيمان ٢/٣، ٣، من شرح النووي.

قوله: فوالله لقد أصاب: لم يجدوا بدأ من الاعتراف له، ولكنهم كما قال تعالى: ﴿وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً...﴾.

١٣١ - أما وجبتها: بفتح الواو وسكون الجيم، أي وقوعها، وفي الحديث بيان أن وقت قيام الساعة بالضبط لا يعلمه أحد إلا الله عز وجل وهو مقتضى ظواهر الكتاب والسنة.

١٣٢ - وخواتيم سورة البقرة هي: ﴿أمن الرسول﴾ إلى آخر السورة. المقدمات: بضم الميم وكسر الحاء أي كباثر الذنوب التي تقحم صاحبها النار، نسأل الله عز وجل بفضلته وكرمه أن يغفر لنا ذنوبنا كلها.

الصلوات الخمس وخواتم سورة البقرة وغفر لمن لا يشرك بالله من أمته شيئاً المقحّمات) .

١٣٣ - وعنه في قوله تعالى: ﴿لقد رأى من آيات ربه الكبرى﴾ ، قال: (رأى رفرفاً أخضر قد سدّ الأفق) .

١٣٤ - وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في قوله تعالى: ﴿وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس﴾ قال: (هي رؤيا عين أريها رسول الله ﷺ ليلة أسري به) .

١٣٥ - وعنه في قوله تعالى: ﴿ما كذب الفؤاد ما رأى﴾ ، ﴿ولقد رآه نزلةً أخرى﴾ قال: (رآه بفؤاده مرتين) .

١٣٦ - وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: «رأيت ربي عز وجل» .

١٣٣ - رواه البخاري في سورة النجم ٢٣٤/١٠ من فتح الباري .

ورواه مسلم بلفظ: رأى جبريل له ستمائة جناح ٣/٣ من الإيمان ، وتقدم بنحوه من رواية أحمد والترمذي بسند صحيح .

١٣٤ - رواه البخاري في بني إسرائيل ١٣/١٠ من فتح الباري ، وأحمد ٢٢١/١ .

١٣٥ - رواه مسلم في الإيمان ٧/٣ من شرح النووي .

١٣٦ - رواه أحمد ٢٨٥/١ ، ٢٩٠ من طريقين أحدهما سنده صحيح .

١٣٣ - هذا تقدم بنحوه في اختصاصه برؤية جبريل .

١٣٤ - رؤيا عين: مشاهدة بعيني رأسه ، وهي إما رؤياه ربه عز وجل أو رؤياه جبريل ، خلاف .

١٣٥ - ما كذب الفؤاد: تقدم أيضاً في المصدر السابق .

١٣٦ - رأيت ربي: هذه قضية خلافية فأبوذر وأبو هريرة وآخرون يثبتون الرؤية للنبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بعيني رأسه ومولاتنا عائشة تنفي ذلك ، وقد رجح النووي في شرح مسلم ، وجماعة ، القول الأول ، وهذا الخلاف إنما هو في الوقوع ، أما جوازها فمتفق عليه بين أهل السنة لأن كل ما هو موجود يمكن أن يرى .

١٣٧ - وعن أبي ذر رضي الله تعالى عنه قال: سألت رسول الله ﷺ: هل رأيت ربك؟ قال: «رأيت نوراً أنى أراه».

١٣٨ - وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «لما أسري بي مرّت بي رائحة طيبة، فقلت: ما هذه الرائحة؟ قالوا: ماشطة بنت فرعون وأولادها سقط مشطها من يدها، فقالت: بسم الله، فقالت ابنة فرعون: أبي، قالت: ربي هو ربك ورب أبيك، قالت: أو لك رب غير أبي؟ قالت: نعم، فدعاها، فقال: ألك رب غيري؟ قالت: نعم، ربي وربك الله، فأمر ببقرة من نحاس فأحميت، ثم أمر بها لتلقى فيها وأولادها، فألقوا واحداً واحداً حتى بلغ رضيعاً فيهم فقال: قعي يا أمه ولا تقاعسي فإنك على الحق، قال: وتكلم أربعة وهم صغار هذا، وشاهد يوسف، وصاحب جريج، وعيسى بن مريم».

١٣٧ - رواه أحمد ١٤٧/٥، ومسلم في الإيمان ١٢/٣ من شرح النووي.

١٣٨ - رواه أحمد ٣٠٩/١، ٣١٠ وغيره بسند صحيح، وفيه عطاء بن السائب كان قد تغير بأخرة وفي رواية البيهقي من طريق حماد بن سلمة وحماد سمع منه قبل اختلاطه.

١٣٧ - نور: إلخ، ورد إني بكسر الهمزة ومعناه واضح، وورد أنى بفتح الهمزة والنون ومعناه: كيف أرى حقيقته وأحيط بذاته؟.

١٣٨ - ولا تقاعسي: أي لا تأخري وقعي فيها مطمئنة، وفيه ما يدل على عظمة إيمان هذه المرأة وثباتها على دينها على الرغم من تحريق أولادها بين يديها، فهكذا ينبغي أن تكون المرأة المسلمة، فأين نساؤنا من هذه الشهيدة، فهل من ماشطة اليوم.

١٣٩ - وعن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «مرت ليلة أسري بي بالملأ الأعلى وجبريل كالحلس البالي من خشية الله».

فوائد: ذهب كثيرون إلى أن الإسراء وقع مرتين، وجمع بذلك بين الاختلاف الواقع في الأحاديث، وممن اختار هذا القول أبو نصر القشيري وابن العربي والسهيلي.

وقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام: وقع الإسراء في النوم وفي اليقظة، ووقع بمكة والمدينة، ونكتة وقوعه في النوم توطين النفس وتمهيدها ليسهل ذلك عليه إذا وقع في اليقظة كما كان بدء نبوته الرؤيا الصادقة ليسهل عليه أمر النبوة.

وذهب أبو شامة إلى وقوع المعراج مراراً واستند إلى حديث أنس الذي أخرجه البزار السابق.

قال الحافظ ابن حجر: ولا شك أن التعدد فيه لا يستبعد، وإنما المستبعد وقوع التعدد في مثل سؤاله عن كل نبي وفرض الصلاة ونحو ذلك، فإن قيل: بتعدد ذلك بأن وقع في المنام توطئة، ثم في اليقظة على وفقه لم يبعد، قال: وقد تكرر الإسراء في المنام بالمدينة، وقد ألف ابن المنير كتاباً نفيساً في أسرار الإسراء، فمما ذكره فيه أن الحكمة في الإسراء به أولاً إلى بيت المقدس، ثم إلى السماء حصول الهجرتين، لأن بيت المقدس كان هجرة غالب الأنبياء، فحصل له الرحيل في الجملة ليجمع بين أشتات الفضائل ووجود السبيل إلى بيان صدقه بذكر العلامات التي

١٣٩ - أورده في مجمع الزوائد ٧٨/١ برواية أوسط الطبراني، وقال: رجاله رجال الصحيح.

١٣٩ - كالحلس: بكسر الحاء هو ثوب يفرش في البيت كالسباط.

أخبر بها عن بيت المقدس وصدقوه فيها، فيلزم تصديقه في بقية ما ذكر، بخلاف ما لو أسري به ابتداءً إلى السماء.

ومما ذكر فيه: أن إكرامه ﷺ بالمناجاة كان على سبيل المفاجأة، كما أشار إليه بقوله: بينا أنا، وفي حق موسى عليه الصلاة والسلام كان على ميعاد واستعداد، فحمل عنه ﷺ ألم الانتظار.

ومما ذكر فيه: أن ابن حبيب ذكر أن بين السماء والأرض بحراً يسمى المكفوف، بحر الأرض بالنسبة إليه كالقطرة من البحر المحيط، قال: فعلى هذا يكون ذلك البحر انفلق له ﷺ حتى جاوزه، وهو أعظم من انفلاق البحر لموسى.

ومما ذكر فيه أيضاً: أن الحكمة في بقاء أبواب السماء مغلقة حتى استفتح جبريل ولم تهياً له بالفتح قبل مجيئه أنها لو فتحت قبل لظن أنها لا تزال كذلك، فأبقيت ليعلم أن ذلك لأجله، وأن الله أراد أن يطلعها على كونه معروفاً عند أهل السموات، لأنه قيل لجبريل لما قال محمد، أبعث إليه؟ ولم يقل: ومن محمد مثلاً.

باب ما وقع في تزوجه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم عائشة من الآيات

١٤٠ - عن عائشة رضي الله تعالى عنها أن رسول الله ﷺ قال: «رأيتك في المنام مرتين: أرى رجلاً يحملك في سرقة حرير، فيقول: هذه امرأتك فاكشف، فأراك فأقول: إن كان هذا من عند الله يمضه».

١٤٠ - رواه البخاري في الفضائل ٢٢٥/٨ من فتح الباري، وفي النكاح، ومسلم ٢٠٢/١٥ من شرح النووي، والترمذي رقم ٣٦٣٥ كلاهما في الفضائل بنحوه.

١٤٠ - أريتك: بضم الهمزة أي أرايتك الله. سرقة: بفتحات أي قطعة من جيد الحرير، وفي هذا فضل عظيم ومزية كبيرة لمولانا عائشة رضي الله تعالى عنها، وكم لها من مناقب ومزايا، وكانت =

ما وقع في عرضه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم نفسه على القبائل من الآيات

١٤١ - عن عائشة أنها قالت لرسول الله ﷺ: هل أتى عليك يوم أشد من يوم أحد؟ قال: ما لقيت من قومك كان أشد منه، يوم العقبة إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل، فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي، فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب، فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلنتني، فنظرت فإذا هو جبريل، فناداني فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، ثم ناداني ملك الجبال فسلم عليّ، ثم قال: إن الله قد سمع قول قومك لك، وأنا ملك الجبال، وقد بعثني إليك ربك لتأمرني بما شئت، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين، فقال له رسول الله ﷺ: «بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله ولا يشرك به شيئاً».

١٤١ - رواه البخاري في بدء الخلق، ومسلم في الجهاد ١٢/١٥٤ من شرح النووي.

= هذه الرؤية بمكة المكرمة وبها عقد عليها قبل الهجرة بقليل، وبنى بها بالمدينة المنورة وعمرها تسع سنين، وتوفي عنها ولها ثمان عشرة سنة.

١٤١ - مهموم: أي أصابني هم وغم. فلم أستفق: أي لم أشعر بحالتي لعظيم ما أصابني حتى وصلت لقرن الثعالب، ويقال له قرن المنازل، وهو اسم موضع جعل فيها بعد موقتاً لإحرام أهل نجد. لتأمرهم: إلخ: هذه عناية كبيرة لنبيه العظيم حيث سخر له هذا الملك العظيم ليأخذ له بثأره من أعدائه، لكن الرسول الكريم أثر العفو عنهم، ورجا أن يخرج من أصلابهم من يؤمن بالله ويكون من أنصار دينه، وقد حقق الله عز وجل رجاءه بكثير من أبناء أولئك الأعداء أنفسهم فأصبحوا من أبطال الإسلام وأنصاره والمدافعين عنه والداعين إليه بل والفاتحين للأقطار الكفرية، وذلك كخالد بن الوليد وعكرمة بن أبي جهل وجبير بن مطعم وأبي عبيدة بن الجراح وعمرو بن العاص، فصلى الله وسلم وبارك على هذا النبي الكريم وجزاه الله عنا وعن الإسلام أفضل ما جرى رسولاً عن قومه. قوله أطبق: بضم الهمزة وكسر الباء، أي أضمهما عليهم وأغطيهم بهما، والأخشبان هما الجبلان الغليظان، والمراد بهما هنا جبل أبي قبيس والجبل الأحمر المشرف وجهه على قيعقان المقابل لأبي قبيس.

باب ما وقع في الهجرة من الآيات والمعجزات^(١)

١٤٢ - عن عائشة أن النبي ﷺ قال، وهو يومئذ بمكة: «قد رأيت دار هجرتكم، رأيت سبخة ذات نخل بين لابتين»، فهاجر من هاجر قبيل المدينة حيث ذكر ذلك رسول الله ﷺ ورجع إلى المدينة من كان هاجر إلى أرض الحبشة.

١٤٢ - رواه البخاري في الكفالة مطولاً ٣٨١/٥، ٣٨٢، وفي تزويج النبي ﷺ عائشة ٢٢٥/٨، وذكره معلقاً في باب هجرة الحبشة ١٨٧/٨ من الفتح، وكذا أحمد ١٩٨/٦ من طريق عروة عنها.

(١) الهجرة النبوية من الأحداث العظيمة في تاريخ الإسلام، وقد فتحت للنبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ولأصحابه حياةً جديدة ومرحلة ثانية مستأنفة، إذ أصبحوا في حرية كاملة يعبدون الله ويدعون إليه كما يشاءون خلاف ما كانوا عليه في المرحلة الأولى بمكة المكرمة وصارت المدينة المنورة عاصمة الإسلام وحصن كل مسلم، وبالهجرة ضعف الكفر وأفل قرنه وطاحت قوته، وظهر الإسلام وأصبح في انتشار، وعظمت شوكة المسلمين وخافهم المشركون، وكانت الهجرة في السنة الثالثة والخمسين من عمر النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم، وكان خروجه من مكة يوم الخميس فاتح ربيع الأول ووصل المدينة يوم الاثنين الثاني عشر منه على الصحيح، وجلس بقُباء أياماً ثم دخل المدينة بعد أن أسس مسجد قباء التاريخي العظيم.

١٤٢ - فهاجر: أول من هاجر مصعب بن عمير وابن أم مكتوم بعثها النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم يعلمان المسلمين القرآن والدين ويدعوان إلى الإسلام، ثم هاجر بلال وسعد بن أبي وقاص وعمار بن ياسر ثم عمر في عشرين نفرأ كما في الهجرة النبوية من البخاري. سَبَخة: بفتح السين والباء أي ذات ملح ونز. لابتين: تثنية لابة بفتح الباء، وهي الحرة ذات حجارة سود وللمدينة حرتان شرقية وغربية وهي بينهما.

١٤٣ - وعن أبي موسى رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ قال: «رأيت في المنام أني أهاجر من مكة إلى أرض بها نخل فذهب وهلي إلى أنها اليمامة أو هجر فإذا هي المدينة يثرب».

١٤٤ - وعن أنس أن أبا بكر حدثه قال: كنت مع رسول الله ﷺ في الغار فقلت: يا رسول الله، لو أن أحدهم نظر إلى قدميه لأبصرنا تحت قدميه، قال: «يا أبا بكر، ما ظنك باثنين الله ثالثهما».

١٤٥ - وعن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيَتَّبِعُوكَ﴾ قال: (تساورت قريش ليلة بمكة، فقال بعضهم إذا أصبح فأثبتوه بالوثاق يريدون النبي ﷺ، وقال بعضهم: بل اقتلوه، وقال بعضهم: بل أخرجوه، فأطلع الله نبيه على ذلك، فبات عليّ على فراش النبي ﷺ تلك الليلة، وخرج النبي ﷺ حتى لحق بالغار وبات المشركون

١٤٣ - رواه البخاري في المبعث ٢٢٧/٨ من فتح الباري، وفي التعبير ومسلم في الرؤيا.

١٤٤ - رواه البخاري في مناقب أبي بكر ١١/٨ من فتح الباري، وفي الهجرة النبوية ٢٦٠/٨ من الفتح وكذا مسلم.

١٤٥ - رواه أحمد ٣٤٨/١، وفي سننه عثمان الجزري وثقه ابن حبان وضعفه غيره، وبقية رجاله رجال الصحيح كما في المجمع ٢٧/٧ ولهذه القصة طرق وشواهد عند ابن إسحاق وغيره.

١٤٣ - وهلي: بسكون الهاء أي ذهب وهمي.

١٤٤ - وفي هذا الحادث يقول الله عز وجل: ﴿إِلا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِي اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللهُ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ...﴾ فما أعظمه من موقف.

١٤٥ - فأثبتوه بالوثاق: أي أحبسوه بمنزله لا يفارقه. والوثاق: بفتح الواو، الرباط. بالغار: هو غار ثور يبعد عن مكة جهة الجنوب بنحو من ساعتين أو أكثر وهو مرتفع شاهق صعدنا إليه في =

يحرصون علياً يحسبونه النبي ﷺ، فلما أصبحوا ثاروا إليه، فلما رأوا علياً ردَّ الله مكرهم فقالوا: أين صاحبك هذا؟ قال: لا أدري. فاقتنصوا أثره فلما بلغوا الجبل خلط عليهم فصعدوا في الجبل فمروا بالغار فرأوا على بابه نسج العنكبوت، فقالوا: لو دخل ههنا لم يكن نَسَجَ العنكبوت على بابه فمكث فيه ثلاث ليال).

١٤٦ - وعن أبي بكر رضي الله تعالى عنه قال: طلبنا القوم فلم يدركنا أحد منهم غير سراقه بن مالك على فرس له، فقلت: يا رسول الله هذا الطلب قد لحقنا، قال: ﴿لا تحزن إنَّ الله معنا﴾، فلما كان بيننا وبينه قيد رمح أو ثلاثة دعا عليه رسول الله ﷺ فقال: «اللهم اكفناه بما شئت»، فساخت به فرسه في الأرض إلى بطنها، فقال: يا محمد قد علمت أن هذا عمك فادع الله أن ينجيني مما أنا فيه، فوالله لأعمينَّ على من ورائي من الطلب، فدعا له فانطلق راجعاً.

١٤٦ - رواه البخاري في علامات النبوة ٤٣٥/٧، ٤٣٦، من فتح الباري، وفي مناقب أبي بكر، ومسلم في الزهد ١٤٧/١٨، ١٥٠، ١٥١، من شرح النووي وأحمد ج ٢/١، ٣ وهو الحديث الثالث في المسند.

= ظرف ساعة من أسفله إلى أعلاه وهو أرفع من غار حراء. فاقتنصوا: أي اتبعوا أثره وكان للعرب علم بذلك. خلط عليهم: معناه، عميت عليهم آثاره صلى الله تعالى عليه وآله وسلم. نسج العنكبوت: هذا من التأييدات الربانية لنبية الكريم صلى الله تعالى عليه وآله وسلم، فهذه عنكبوت سخرها الله له وأعطاه تمييزاً فوضعت خيوطها ونسجها وضربته على باب الغار دفاعاً منها عن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ومشاركةً منها في محاربة أعداء الإسلام بما في استطاعتها ونعم ما صنعت فقد كان لفعالها الأثر الكبير في تعمية المشركين وصددهم عن الغار.

١٤٦ - قيد رمح: أي مقدار مسافة رمح. فساخت: أي غابت. لأعمين: بضم الهمزة وفتح العين، وكسر الميم المشددة، من التعمية، ومعناه: سأل بس أمركم على الناس وأخفيه حتى لا يطلبكم أحد.

١٤٧ - وعن سراقه بن مالك رضي الله تعالى عنه قال: (خرجت أطلب النبي ﷺ وأبا بكر حتى إذا دنوت منه عثرت بي فرسي، فقامت فركبت حتى إذا سمعت قراءة رسول الله ﷺ وهو لا يلتفت وأبو بكر يكثُر الالتفات، ساخت يدا فرسي في الأرض حتى إذا بلغت الركبتين فخررت عنها، ثم زجرتها فنهضت، فلم تكد تخرج يديها، فلما استوت قائمة إذا لأثر يديها عُثان ساطع في السماء مثل الدخان، فناديتهما بالأمان فوقفا لي، ووقع في نفسي حين لقيت ما لقيت من الحبس عنهما أنه سيظهر رسول الله ﷺ).

١٤٨ - وعن أنس قال: (لما كان اليوم الذي قدم فيه رسول الله ﷺ أعضاء منها كل شيء، فلما كان اليوم الذي مات فيه أظلم منها كل شيء، وقال: ما نفضنا عن رسول الله ﷺ الأيدي حتى أنكرنا قلوبنا).

= ورواه البخاري في الهجرة ٢٤٩/٨ من فتح الباري، ومسلم في الأشربة ١٧٩/١٣، ١٨٠، من شرح النووي وأحمد ٢٨٠/٤، ٢٨١، ثلاثهم عن البراء بن عازب.

١٤٧ - رواه البخاري في الهجرة ٢٣٩/٨، ٢٤٢ من فتح الباري، وأحمد ١٧٥/٤، ١٧٦ مطولاً.

١٤٨ - رواه أحمد ٢٢١/٣، ٢٦٨، وابن ماجه رقم ١٦٣١ من طريق ثابت البناني عنه وسنده صحيح على شرط مسلم عند ابن ماجه، وفي طريق لأحمد.

١٤٧ - فخررت: أي سقطت عنها. زجرتها: أي أمرتها بالقيام، فنهضت أي قامت. عُثان: بضم العين ثم ثاء بعدها ألف وآخره نون أي دخان، وجمعه عواثن. ساطع: أي مرتفع، وفي حديث سراقه وما قبله عناية كبيرة بنبي الله ومعجزة عظيمة له صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وإن الله عز وجل كان قادراً على نصره وإهلاك أعدائه بدون وصول إلى هذه المحاولات من الفرار والاختفاء والهجرة، وإنما سلك به ذلك تمثيلاً مع سنته تعالى في أنبيائه وعباده من سلوك طريق الأسباب والتشريع، لتقتدي به أمته ويقتفوا أثره إن حصل لهم مثل ذلك.

١٤٨ - أعضاء: إلخ، معناه أنه حصلت الأنوار في القلوب واطمأنت واتحدت وتحاببت وصارت =

اجتماع اليهود بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم لما قدم المدينة وسؤالهم له ومعرفتهم صدقه

١٤٩ - عن عبدالله بن سلام رضي الله تعالى عنه قال: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة انجفل الناس قبّله، فجئت في الناس لأنظر في وجهه، فلما رأيت وجهه عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب، فكان أول شيء سمعت منه أن قال: «يا أيها الناس أطمعوا الطعام، وأفسخوا السلام، وصلوا الأرحام، وصلوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام».

١٤٩ - رواه أحمد ٣٥١/٥، والترمذي في صفة القيامة رقم ٢٣٠١ بتهديبه، وابن ماجه في الصلاة وفي الأطعمة رقم ٣٢٥١، وحسنه الترمذي وصححه، وهو كما قال فإنه صحيح على شرطهما عنده، ورواه الحاكم أيضاً وصححه.

= المدينة كأنها مضيئة بوجوده صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بينهم، وبالعكس من ذلك عند موته، ولذلك أخبر أنس هنا من أنهم أنكروا قلوبهم بعد دفنه بمعنى أن ما كانوا يجدونه من النور العظيم في قلوبهم والمحبة التامة وما إلى ذلك قد فقدوا بعضه.

١٤٩ - انجفل: أي أسرع الناس. ليس بوجه كذاب: معناه أنه عرف بما أوتيته من نور وتفرقة بين المحق والمبطل، أنه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم صادق، لأن الكذاب لا يخفى حاله على من نُوّر الله بصيرته كعبدالله بن سلام، وكان منظر رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم الكريم منظراً بهياً رائعاً قد علاه نور النبوة وجلال الرسالة. أطمعوا: معناه أقروا الضيف وأنفقوا أموالكم في أبواب الخير وواسوا المحتاجين وأعينوا المعوزين وساعدوا الجائعين. أفسخوا: أي أظهروا. وصلوا الأرحام: أي الأقارب بالزيارة والهدايا أو إبلاغ السلام. وصلوا بالليل: أي تهجدوا وتفلوا بالصلاة عند نوم الناس وغفلتهم.

١٥٠ - وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: (أقبلت اليهود إلى رسول الله ﷺ فقالوا: يا أبا القاسم إنا نسألك عن خمسة أشياء فإن أنبأتنا بهنَّ عرفنا أنك نبي واتبعناك، فأخذ عليهم ما أخذ إسرائيل على بنيه، إذ قالوا الله على ما نقول وكييل، قال: «هاتوا».

قالوا: أخبرنا عن علامة النبي؟ قال: «تنام عيناه ولا ينام قلبه».

قالوا: أخبرنا كيف تؤنث المرأة وكيف تذكر؟ قال: «يلتقي الماءان، فإذا علا ماء الرجل ماء المرأة أذكرت، وإذا علا ماء المرأة ماء الرجل أنثت».

قالوا: أخبرنا ما حرّم إسرائيل على نفسه؟ قال: «كان يشتكي عرق النساء فلم يجد شيئاً يلائمه إلا ألبان كذا وكذا»، قال عبدالله بن أحمد: قال أبي: قال بعضهم: يعني الإبل - قال: فحرم لحومها»، قالوا: صدقت.

قالوا: أخبرنا ما هذا الرعد، قال: «ملك من ملائكة الله عز وجل موكل بالسحاب بيده، أو في يده مخراق من نار يزر به السحاب يسوقه حيث أمر الله». قالوا: فما هذا الصوت الذي يسمع؟ قال: صوته.

١٥٠ - رواه أحمد ١/٢٧٣، ٢٧٤، ٢٧٨ بأسانيد بعضها حسنة أو صحيحة، ورواه الترمذي مختصراً وحسنه وصححه.

١٥٠ - أنبأتنا: أي أخبرتنا، فأخذ عليهم إلخ أي عاهدتهم على ما عاهد عليه يعقوب أولاده. تؤنث: بضم التاء وكسر النون المشددة، أي تأتي بالأنثى أو الذكر. عرق النساء: هو عرق ممتد من الورك إلى الكعب. يلائمه: أي يوافق. قال ملك: هو صريح في أن ما يسمع من الصوت هو أثر الملك الموكل بالسحاب، وقد قال تعالى عنه: ﴿ويسبح الرعد بحمده...﴾.

قالوا: صدقت، إنما بقيت واحدة، وهي التي نبايعك إن أخبرتنا بها، فإنه ليس من نبي إلا له مَلَك يأتيه بالخبر، فأخبرنا مَنْ صاحبك؟ قال: جبريل عليه السلام، قالوا: جبريل ذلك الذي ينزل بالحرب والقتال والعذاب عدونا، لو قلت: ميكائيل الذي ينزل بالرحمة والنبات والقطر لكان، فأنزل الله عز وجل: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لَجَبْرِيْلَ...﴾ (الآية).

١٥١ - وعن ابن مسعود قال: (بيننا أنا أمشي مع النبي ﷺ في حرث المدينة وهو يتوكأ على عسيب فمررنا بنفر من اليهود فقال بعضهم: سلوه عن الروح؟ وقال بعضهم: لا تسألوه عسى أن يخبر فيه بشيء تكرهونه، فسألوه فسكت رسول الله ﷺ، فظننت أنه يوحى إليه، فلما انجلى عنه قال: ﴿ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي﴾ (الآية).

١٥٢ - وعن صفوان بن عسال المرادي رضي الله تعالى عنه: (أن يهوديين قال أحدهما لصاحبه: اذهب بنا إلى هذا النبي نسأله. قال: لا تقل له نبي فإنه إن يسمعك تقول له نبي كانت له أربعة أعين، فأتيا رسول الله ﷺ، فسألاه عن قول الله تعالى: ﴿ولقد آتينا موسى تسع آيات بيّنات﴾، فقال رسول الله ﷺ: «لا تشركوا بالله شيئاً، ولا تزنوا، ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق، ولا تسرقوا، ولا تسحروا، ولا تمشوا

١٥١ - رواه البخاري في التفسير ١٥/١٠، ١٩ من فتح الباري، ومسلم.

١٥٢ - رواه الترمذي في تفسير سورة بني إسرائيل رقم ٢٩٣٧، وفي الآداب =

١٥١ - عَسِيْب: بفتح العين وكسر السين جريدة من النخل. انجلى: أي سري عنه وذهب الملك، وفي الحديث دليل على أن الروح من أمر الله، وإنه استأثر بحقيقتها وعلى الرغم من هذا النص الصريح أنها من أمر الله، فقد أكثر الناس من الخوض فيها ولا سيما الفلاسفة ومن حذا حذوهم.
١٥٢ - ولا تمشوا بيريء الخ: أي لا تمشوا بمن هو بيريء من الجريمة وترفعوه إلى حاكم فيقتله =

بيريء إلى سلطان فيقتله، ولا تأكلوا الربا، ولا تقذفوا محصنة، ولا تفروا من الزحف، وعليكم اليهود خاصة ألا تعدوا في السبت»، فقبلاً يديه ورجليه، وقالوا: نشهد أنك نبي، قال: «فما يمنعكما أن تسلما؟» قالوا: إن داود دعا الله أن لا يزال في ذريته نبي، وإنا نخاف إن أسلمنا أن تقتلنا اليهود).

١٥٣ - وعن ثوبان رضي الله تعالى عنه قال: كنت عند النبي ﷺ فجاء خبر من اليهود، فقال: أين الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض؟ فقال رسول الله ﷺ: «في الظلمة دون الجسر»، قال: فمن أول الناس إجازة؟ قال: «فقراء المهاجرين»، قال: فما تحفتهم حين يدخلون الجنة؟ قال: «زيادة كبد نون»، قال: فما غذاؤهم على أثره؟ قال: «ينحر لهم ثور

= رقم ٢٥٤٢ بتهذيبي، والنسائي، وابن ماجه رقم ٣٧٠٥، والحاكم، وحسنه الترمذي وصححه هو والحاكم خلافاً لمن ضعفه من بعض المعاصرين ممن لا يقولون بجواز التقبيل.

١٥٣ - رواه مسلم في صفة مني الرجل والمرأة من كتاب الطهارة ٣/٢٢٦، ٢٢٨ من شرح النووي.

= ظليماً. ولا تقذفوا: أي لا ترموا بالزنا، محصنة: أي امرأة عفيفة. من الرُحْف: بفتح الزاي وسكون الحاء، أي من الجيش المقاتل. فقبلاً يديه إلخ: فيه مشروعية تقبيل يد الرجل الصالح ورجله لأن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم أقرهما على ما فعلا معه، فما يراه البعض من المنع يخالف هذا النص ولكل من النووي رحمه الله وسيدي عبدالله بن الصديق رسالة في الموضوع جمعاً فيها ما ورد في ذلك من الآثار.

١٥٣ - حَبْر: بفتح الحاء وكسرهما هو عالم اليهود. الجَسْر: بفتح الجيم وكسرهما القنطرة التي يعبر عليها، والمراد به هنا الصراط الموضوع على متن جهنم. تحفتهم: أي ما يهدي ويقدم إليهم ويتحفون به أول أمرهم. كبد نون: أي حوت ولا يعلم قدر هذا الحوت إلا الله تعالى، وفي الحديث معجزة ظاهرة له عليه السلام.

الجنة الذي كان يأكل من أطرافها»، قال: فما شرابهم عليه؟ قال: «من عين فيها تسمى سلسيلاً»، قال: قال: صدقت، قال: وجئت أسأل عن شيء لا يعلمه أحد من أهل الأرض إلا نبي أو رجل أو رجلان، جئت أسأل عن الولد؟ قال: «ماء الرجل أبيض وماء المرأة أصفر، فإذا اجتمعا فعلا مني الرجل مني المرأة أذكر بإذن الله، وإذا علا مني المرأة مني الرجل أننا بإذن الله». قال اليهودي: صدقت، وإنك لنبى، ثم انصرف فقال النبي ﷺ: «إنه سألني هذه الذي سألني عنه وما أعلم شيئاً منه حتى أتاني الله به».

رفع الحمى والوباء والطاعون عن المدينة معجزة له صلى الله تعالى عليه وآله وسلم

١٥٤ - عن عائشة قالت: قدم النبي ﷺ المدينة وهي أوبأ أرض الله، فقال: «اللهم حبِّبْ إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد، اللهم بارك لنا في صاعنا ومدنا وصححها لنا وانقل حماها إلى الجحفة».

١٥٥ - وعن ابن عمر أن النبي ﷺ قال: «رأيت امرأة سوداء نائرة الرأس خرجت من المدينة حتى نزلت مهيبة، فأولتها أن وباء المدينة نقل إلى مهيبة وهي الجحفة».

١٥٤ - رواه البخاري ٤/٤٧١، ٤٧٢، من فتح الباري، ومسلم ٩/١٥٠ من شرح النووي كلاهما في الحج في فضل المدينة، ورواه البخاري في الرضى ١٢/٢٣٨ من فتح الباري، وفي الهجرة من كتاب المغازي.

١٥٥ - رواه البخاري في التعبير ١٦/٨٤، ٨٥، ٨٦، من فتح الباري، وكذا الترمذي، وأبو داود، وابن ماجه في الرؤيا، وأحمد ٢/١٠٧، ١٣٧.

١٥٤ - الجُحْفَةُ: هي بضم الجيم وسكون الحاء ثم فاء مفتوحة قرية بين مكة والمدينة وهي إلى مكة أقرب وكانت أيام النبوة يسكنها اليهود، وقد جعلها النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ميقاتاً لإحرام أهل الشام ومن مرَّ بها من أهل المغرب، ثم خربت لسيل مرَّ بها منذ عهد بعيد فجعل الناس يجرمون من رابع وهو قبلها جهة المدينة بنحو تسع كيلو على الساحل وكان ميقاتاً في القديم يوم كان حجاج الشام ونحوهم يمرون عليه من غير طريق المدينة، أما اليوم فالكل يجرم من ذي الخليفة إلا ركاب البحر.

١٥٥ - نائرة الرأس: أي متفتشة الرأس غير مُسْرَحَةٍ شعرها. مَهْيَبَةٌ: بفتح الميم وسكون الهاء ثم ياء مفتوحة فعين. فأولتها: أي عبَّرتها وفسرتها.

١٥٦ - وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «على أنقاب المدينة ملائكة لا يدخلها الطاعون ولا الدجال».

قال بعض العلماء: هذه معجزة له ﷺ، لأن الأطباء من أولهم إلى آخرهم عجزوا عن أن يدفعوا الطاعون عن بلد من البلاد، بل قرية من القرى، وقد امتنع الطاعون عن المدينة بدعائه ﷺ وخبره هذه المدة الطويلة^(١).

الآية في وضع البركة في المدينة المنورة

١٥٧ - عن عبدالله بن زيد رضي الله تعالى عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «إن إبراهيم حرم مكة، وإني حرمت المدينة، ودعوت لها في مدها وصاعها مثل ما دعا إبراهيم لمكة».

١٥٦ - رواه البخاري ٤/٤٦٧، من فتح الباري ومسلم ٩/١٥٣ من شرح النووي في الحج، ورواه البخاري أيضاً في الطب ١٢/٢٩٥ من فتح الباري.

١٥٧ - رواه البخاري في البيوع ٥/٢٥٠ من فتح الباري ومسلم في الحج ٩/١٣٤، ١٣٥ من شرح النووي.

١٥٦ - أنقاب: جمع نَقَب بفتح النون وسكون القاف، المراد به الطريق في الجبل، ومعناه هنا أنها محروسة من جميع نواحيها وطرقها من الدجال والطاعون فلا يدخلها واحد منها، وقد جاء في رواية لأبي بكرة عند البخاري ٤/٤٦٧ من فتح الباري «لها يومئذ سبعة أبواب على كل باب ملكان» وللمدينة اليوم طريقان رئيسيان أحدهما لجهة مكة والأخرى لجهة الشام ونجد ولها سبع طرق تتصل بالحرم النبوي الشريف ولعلها المراد في حديث أبي بكرة وفي هذا مزية كبيرة خالدة للمدينة الحبيبة وسكانها وحمايتها من الطاعون والدجال الأعور ومثلها في ذلك مكة المكرمة كما جاء في رواية أخرى لا أحرمتها الله من الجوار والإقامة بها حتى الموت أمين.

(١) قوله: لأن الأطباء إلخ، لأن وقاية النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم إلهية ربانية بخلاف وقاية غيره من الأطباء فإنها مبنية على تفكيرهم واحتياطاتهم واعتمادهم على التجربة والأسباب دون خالقها.

١٥٧ - وإني حرمت: إلخ، هذا من فضائل المدينة الحبيبة ومزاياها فهي مع كونها حرماً كمكة مبارك فيها وفي صاعها ومدها أكثر من مكة.

ما وقع في مشروعية الأذان من الآيات

١٥٨ - عن عبد الله بن زيد بن عبد ربه رضي الله تعالى عنه قال: (لما أمر رسول الله ﷺ بالناقوس يعمل ليضرب به للناس لجمع الصلاة طاف بي وأنا نائم رجل يحمل ناقوساً في يده، فقلت: يا عبد الله، أتبيع الناقوس؟ قال: وما تصنع به؟ قلت: ندعو به إلى الصلاة، قال: أفلا أدلك على ما هو خير من ذلك، فقلت له: بلى، فقال: تقول الله أكبر إلخ، فلما أصبحت أتيت رسول الله ﷺ فأخبرته بما رأيت، فقال: «إنها لرؤيا حق إن شاء الله فقم مع بلال فألق عليه ما رأيت فليؤذن به فإنه أندى صوتاً منك»، فقمتم مع بلال فجعلت ألقيه عليه ويؤذن به، قال: فسمع بذلك عمر بن الخطاب وهو في بيته فخرج يجرُّ رداءه، يقول: يا رسول الله، والذي بعثك بالحق، لقد رأيت مثل ما أرى، فقال رسول الله ﷺ: فله الحمد).

١٥٨ - رواه أبو داود رقم ٤٩٩، والترمذي رقم ١٦٩، وابن ماجه رقم ٧٠٦، والدارمي ١١٩٠، وابن الجارود رقم ١٥٨، وابن حبان رقم ٢٨٧، والبيهقي ٣٩٠/١، وابن أبي شيبة ٢٠٣/١ وغيرهم من طريق ابن إسحاق عن محمد التيمي وسنده حسن صحيح، وابن إسحاق قد صرح بالتحديث، وقد صححه البخاري والترمذي والبيهقي والذهبي وغيرهم.

١٥٨ - الناقوس: وهو الجرس. طاف: هو من الطيف وأصله الجنون، ثم استعمل في الغضب ومسّ الشيطان وطيف الخيال الذي يراه النائم وهو المراد هنا. أندى: أي أعلى وأرفع وفي الحديث الاعتماد على الرؤيا واعتبارها من الرجل الصالح وإنما قد تكون حقاً وفي ذلك جبهة كبيرة من الأحاديث النبوية وقد أفردت بالتأليف الحسان، ثم إن الأذان كان مشروعيته في السنة الأولى من الهجرة، ومعناه الإعلام بدخول وقت الصلاة والدعوة إليها وهو من فرائض الإسلام وشعائر الدين المتفق عليها بين المسلمين واختلفوا هل هو فرض كفاية في كل مصر أو قرية أو سنة مؤكدة أو فرض على كل جماعة أقوال لأئمتنا وعلمائنا رحمهم الله تعالى.

١٥٩ - عن سهيل بن أبي صالح رحمه الله تعالى، قال: أرسلني أبي إلى بني حارثة، ومعني غلام لنا، فناداه منادٍ من حائط باسمه، فأشرف على الحائط فلم ير شيئاً، فذكرت ذلك لأبي، فقال: إذا سمعت صوتاً فنادٍ بالصلاة فإني سمعت أبا هريرة يحدث عن رسول الله ﷺ، قال: «إنَّ الشيطان إذا نودي بالصلاة ولَّى وله حُصاص».

١٥٩ - رواه مسلم في فضل الأذان ٩٠/٤ - ٩١ من شرح النووي وكذا أحمد ٤٨٣/٢.

١٥٩ - فأشرف: الإشراف على الشيء النظر إليه من موضع مرتفع. حُصاص: بضم الحاء، أي ضراط كما في رواية أخرى في صحيح مسلم، وهذا من مزايا الأذان، وقد جرب لإفاقة المصروع التأذين في أذنه، وجاء في حديث رواه الطبراني بسند ضعيف: «إذا تقولت عليكم الغيلان فنادوا بالأذان».

ذكر المعجزات الواقعة في الغزوات^(١)

ما وقع في غزوة بدر من الآيات والمعجزات^(٢)

قال الله تعالى: ﴿ولقد نصركم الله ببدر﴾ الآيات.

وقال: ﴿إذ تستغيثون ربكم﴾^(٣).

وقال: ﴿وإذ يريكموهم إذ التقيتم في أعينكم قليلاً﴾ الآيات.

(١) غزوات النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم أوصلها ابن سعد والواقدي إلى سبع وعشرين غزوة، وأخرج أبو يعلى عن جابر بسند صحيح أنه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم خرج إحدى وعشرين مرة، وأصله في صحيح مسلم وفي صحيح البخاري أوائل المغازي ٢٨٢/٨ من فتح الباري وآخرها ٢١٩/٩ عن زيد بن أرقم أنه سئل كم غزى النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم؟ قال: تسع عشرة اهـ وقاتل في تسع منها وهي بدر واحد والأحزاب وقريظة والمصطلق وخيبر وفتح مكة وحنين والطائف، هذه غزواته التي خرج فيها بنفسه، أما بعوثه وسراياه فبلغت السبعين كما قال العراقي في نظم السيرة، وغيره في غيره.

(٢) بدر كانت في الجاهلية سوقاً وهي اليوم مدينة صغيرة في طريق مكة والمدينة بينها وبين المدينة ٢٠٠ كيلو وبها كانت الوقعة في السنة الثانية من الهجرة في ١٧ رمضان وكان النصر فيها حليف المسلمين إذ قتلوا من المشركين سبعين وأسروا سبعين والنصر الواقع فيها لم يتقدم له مثيل في تاريخ الإسلام، وكيف لا وقد أمدهم الله عز وجل بجنود من الملائكة بألف، ثم بثلاثة آلاف، ثم بخمسة آلاف إنها لعناية أيّ عناية، وانظر ما سيمرّ بك من الأحاديث.

(٣) إذ تستغيثون: أي تطلبون منه العوث.

١٦٠ - وعن ابن مسعود قال: (انطلق سعد بن معاذ معتمراً فنزل على أمية بن خلف، وكان أمية إذا انطلق إلى الشام فمرّ بالمدينة نزل على سعد، فقال لسعد: انتظر حتى إذا انتصف النهار وغفل الناس انطلقت فطفت.

قال: فبينما سعد يطوف إذ أتاه أبو جهل، فقال: مَنْ هذا الذي يطوف بالكعبة؟ فقال سعد بن معاذ: أنا سعد، فقال أبو جهل: أتطوف بالكعبة آمناً وقد أويتم محمداً وأصحابه!! فتلاحيا، فقال أمية لسعد: لا ترفع صوتك على أبي الحكم فإنه سيد أهل هذا الوادي، فقال له سعد: والله لئن منعتني أن أطوف بالبيت لأقطعنّ عليك متجرك بالشام، فجعل أمية يقول لسعد: لا ترفع صوتك ويسكته، فغضب سعد فقال: دعنا عنك فإني سمعت محمداً ﷺ يزعم أنه قاتلك، قال: إياي!! قال: نعم، قال: والله ما يكذب محمد إذا حدّث، فرجع إلى امرأته فقال: أما تعلمين ما قال أخي اليثربي؟ قالت: وما قال؟ قال: زعم أنه سمع محمداً يزعم أنه قاتلي، فوالله ما يكذب محمد.

فلما خرجوا لبدر وجاء الصريخ، قالت له امرأته: أما علمت ما قال لك أخوك اليثربي، قال: فإني إذاً لا أخرج، فقال له أبو جهل: إنك من أشرف أهل الوادي فسر معنا يوماً أو يومين فسار معهم فقتل).

١٦٠ - رواه البخاري في علامات النبوة ٤٤١/٧، ٤٤٢ من فتح الباري وفي المغازي ٢٨٤/٨، ٢٨٥، وكذا رواه أحمد ٤٠٠/١.

١٦٠ - أويتم محمداً: أي ضممتوهم وحطمتوهم إليكم. فتلاحيا: أي تحاصبا وتنازعا. متجرك: أي طريق تجارتك. ويسكته: أي يأمره بالسكوت. الصريخ: أي صوت المستغيث.

١٦١ - وعن البراء رضي الله تعالى عنه قال: (كنا نتحدث عن عدة أهل بدر ثلاثمائة وبضع عشرة كعدة أصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر).

١٦٢ - وعن أنس أن النبي ﷺ قال ليلة بدر: «هذا مصرع فلان إن شاء الله تعالى غداً»، ووضع يده على الأرض، «وهذا مصرع فلان إن شاء الله تعالى غداً»، ووضع يده على الأرض، «وهذا مصرع فلان إن شاء الله تعالى غداً»، ووضع يده على الأرض، فوالذي بعثه بالحق ما أخطأوا تلك الحدود، جعلوا يصرعون عليها، ثم ألقوا في القليب، وجاء النبي ﷺ، فقال: «يا فلان بن فلان، ويا فلان بن فلان، هل وجدتم ما وعد ربكم حقاً؟ فإني وجدت ما وعدني ربي حقاً»، قالوا: يا رسول الله، تكلم أجساداً لا أرواح فيها. فقال: «ما أنتم بأسمع منهم، ولكنهم لا يستطيعون أن يردوا عليّ».

١٦١ - رواه البخاري في المغازي ٢٩٤/٨ من فتح الباري.

١٦٢ - رواه البخاري في المغازي ٣٠٢/٨، ٣٠٣، ٣٠٤، من فتح الباري، ومسلم في الجهاد والسير ١٢/١٢٤، ١٢٦، من شرح النووي، وأبو داود وغيرهم.

١٦١ - أصحاب طالوت: هو الجيش الذي كان فيه نبي الله داود الذي قتل جالوت، والقصة مبسطة في سورة البقرة من القرآن الكريم، ووجه التشبيه بين الجيشين أن كليهما فئة مؤمنة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله تعالى.

١٦٢ - هذا مَصْرَع: بفتح الميم وسكون الصاد وفتح الراء أي موضع صرعه وموته. يصرعون: أي يسقطون عليها ميتين. القليب: بفتح القاف ثم لام مكسورة: هو البثر قبل أن تبنى بالحجارة، وكانت هناك قليب فالقى فيها كل جثث أولئك الكفار الأقدار، وفي الحديث دليل على أن الأموات يسمعون كلام الأحياء ويشاهدون أحوالهم غير أنهم لا يستطيعون مجاوبة الأحياء إلا من شاء الله، ولهذا المعنى أدلة لا يسعها هذا التعليق الموجز، وقرأ كتاب الروح لابن القيم والحاوي للسيوطي.

١٦٣ - وعن ابن عباس أن النبي ﷺ قال في قبته يوم بدر: «اللهم إني أنشدك عهدك ووعدك، اللهم إن شئت لم تعبد بعد اليوم أبداً» فأخذ أبو بكر بيده فقال: حسبك يا رسول الله قد ألححت على ربك، فخرج وهو يشب في الدرع ويقول: ﴿سيهزم الجمع ويولون الدبر﴾.

١٦٤ - وعنه قال: حدثني عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه، قال: (لما كان يوم بدر نظر رسول الله ﷺ إلى المشركين وهم ألف، وأصحابه ثلاثمائة وسبعة عشر رجلاً، فاستقبل رسول الله ﷺ القبلة ثم مد يده فجعل يهتف بربه ماداً يديه مستقبلاً القبلة حتى سقط رداؤه عن منكبيه، فاتاه أبو بكر فأخذ منكبه فألقاه على منكبيه، ثم التزمه من ورائه، فقال: يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك فإنه سينجز لك ما وعدك فأنزل الله: ﴿إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألفٍ من الملائكة مُرْدِفِينَ﴾ فأمدّه الله بالملائكة، قال ابن عباس: فبينما رجل من المسلمين يومئذ يشتد في أثر رجل من المشركين أمامه، إذ سمع ضربة بالسوط فوقه وصوت الفارس، أقدم حيزوم، إذ نظر إلى المشرك أمامه مستلقياً، فنظر إليه فإذا هو قد حطم أنفه وشق وجهه كضربة السوط

١٦٣ - رواه البخاري في المغازي ٢٤٢/١٠، ٢٤٣ من فتح الباري، والنسائي، وأحمد ٣٢٩/١.

١٦٤ - رواه مسلم في الجهاد والسير ٨٤/١٢، ٨٥، ٨٧ من شرح النووي.

١٦٣ - أنشدك: بفتح الهمزة وضم الشين، أي أسألك ما عهدت إليّ وما وعدتني به من النصر. حسبك: أي كافيك. ألححت: أي ألحقت وبالغت. يشب: أي يمشي ويقفز.

١٦٤ - يهتف: بكسر التاء أي ينادي ربه ويدعوه. ثم التزمه: أي اعتنقه. سينجز: أي سينفذ لك. مستلقياً: أي طريحاً على قفاه، وفي هذا من عناية الله ورحمته برسوله وأصحابه ما لا يقدر قدره.

فاخضر ذلك أجمع، فجاء الأنصاري فحدث ذلك رسول الله ﷺ، فقال: «صدقت، ذلك من مدد السماء الثالثة»، فقتلوا يومئذ سبعين وأسروا سبعين).

١٦٥ - وعنه أن النبي ﷺ قال يوم بدر: «هذا جبريل أخذ برأس فرسه عليه أداة الحرب».

١٦٦ - وعنه قال: كان الذي أسر العباس أبو اليسر كعب بن عمرو، وكان أبو اليسر رجلاً مجموعاً، وكان العباس رجلاً جسيماً، فقال رسول الله ﷺ: «يا أبا اليسر، كيف أسرت العباس؟» قال: يا رسول الله، لقد أعانني عليه رجل ما رأيته قبل ذلك ولا بعده، هيئته كذا، فقال رسول الله ﷺ: «لقد أعانك عليه ملك كريم».

١٦٧ - وعن علي رضي الله تعالى عنه قال: (لقد رأيتنا يوم بدر ونحن نلوذ برسول الله ﷺ، وهو أقربنا إلى العدو، وكان من أشد الناس يومئذ بأساً).

١٦٥ - رواه البخاري في المغازي ٣١٥/٨ من فتح الباري وجاء مثله عنه أيضاً في أحد، أنظر البخاري ٣٥١/٨ من فتح الباري.

١٦٦ - رواه أحمد ٣٥٣/١، وابن سعد من طريق ابن إسحاق وفيه رجل مجهول لكن جاء من طريق آخر، وسنده صحيح رواه ابن جرير في تفسيره.

١٦٧ - رواه أحمد ٨٦/١ بسند صحيح.

١٦٥ - أداة الحرب: أي من دروع ومغفر وسيف وترس ورمح وقوس ونبال، وتظاهر بذلك ليقوي النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وأصحابه ويثبتهم ويعرفهم أن جند الله من السماء معهم في صفوفهم وأن النصر حليفهم والعاقبة لهم.

١٦٦ - أسر العباس: كان العباس لا يزال وقتئذ مع المشركين. جسيماً: أي سمياً لحياً.

١٦٧ - نلوذ: أي نلتجئ وننضم إليه. بأساً: أي من أشدهم شجاعة وقوة، وجاء في =

١٦٨ - وعن أنس أن النبي ﷺ وقف على قتلى بدر في الركي، فجعل يناديهم: «يا فلان بن فلان، هل يسركم أنكم أطعتم الله ورسوله فإننا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً»، قال عمر: يا رسول الله، ما تكلم من أجساد لا أرواح فيها، قال: «والذي نفسي بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم».

قال قتادة: أحياهم الله حتى أسمعهم قوله توبيخاً وتصغيراً ونقمةً وحسرةً وندامةً.

١٦٩ - وعن ابن مسعود قال: بينا رسول الله ﷺ عند الكعبة وجمع من قريش في مجالسهم، فقالوا: أيكم يقوم إلى جزور بني فلان فيأتي بسلاها فيضعه بين كتفيه إذا سجد، فانبعث أشقى القوم، فجاء به فوضعه بين كتفيه، وثبت النبي ﷺ ساجداً، وضحكوا حتى مال بعضهم على بعض من الضحك، فانطلق منطلق إلى فاطمة وهي جويرية، فأقبلت تسعى حتى ألقته عنه وأقبلت عليهم تسبهم، فلما قضى صلاته قال:

١٦٨ - رواه البخاري في المغازي ٣٠٢/٨، ٣٠٤ من فتح الباري ومسلم في السير.

١٦٩ - رواه البخاري في الصلاة، وفي الجزية، وفي المناقب، وفي الجهاد، ومسلم في الجهاد ١٥١/١٢، ١٥٤ من شرح النووي، وأحمد ٣٩٣/١، ٤١٧ وغيرهم.

= حديث آخر له: وكان إذا اشتد البأس اتقينا برسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم، والمراد بالبأس هنا: القتال والخوف.

١٦٨ - في الركي: أي البثر المعبر عنها في الحديث السابق بالقلب. أحياهم الله إلخ: هذا لا داعي إليه من قتادة فإن الأرواح تسمع وتعلم وتعذب وتنعم وترد السلام لمن سلم عليها إذا كانت مؤمنة وتدخل الجنة في صفة طيور وتسيح في العالم لا يحصرها حاصر فافرق الروح لابن القيم ولا بد.

١٦٩ - جزور: أي جبل، بسلاها: أي ما كان في بطنها وأحشائها. فانبعث: أي أسرع. =

«اللهم عليك بقريش ثلاثاً ثم سمي : اللهم عليك بعمر بن هشام - يعني أبا جهل -، وعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة، وأمّية بن خلف، وعقبة بن أبي معيط، وعمارة بن الوليد».

قال ابن مسعود: فلقد رأيتهم صرعى يوم بدر.

١٧٠ - عن ابن عباس قال: (لما فرغ رسول الله ﷺ من القتلى، قيل له: عليك بالعرير ليس دونها شيء، فناداه العباس وهو أسير في وثاقه: إنه لا يصلح لك، قال: لِمَ؟ قال: لأن الله وعدك إحدى الطائفتين، وقد أنجز لك ما وعدك).

فائدة: سئل السبكي عن الحكمة في قتال الملائكة مع النبي ﷺ مع أن جبريل قادر على أن يدفع الكفار بريشة من جناحه، فأجاب: بأن ذلك لإرادة أن يكون الفعل للنبي ﷺ وأصحابه وتكون الملائكة مدداً على عادة مدد الجيوش رعايةً لصورة الأسباب وسنتها التي أجزاها الله في عباده والله سبحانه هو فاعل للجميع.

وقال الزمخشري في قوله تعالى: ﴿وما أنزلنا على قومه من بعده من جندٍ من السماء وما كنا منزلين﴾ فإن قلت: لم أنزل الجنود والجيوش

١٧٠ - رواه أحمد ١/٢٢٩، ٣١٤، ٣٢٦، والترمذي رقم ٢٨٧٦ في التفسير وحسنه، وسنده صحيح على كلام في رواية سماك عن عكرمة.

= أشقى القوم: أي أعظمهم شقاوة. تسمى: أي تمشي مسرعة. تسبهم: أي تشتتهم. اللهم عليك إلخ: في هذا جواز الدعاء على أعداء الإسلام بالانتقام منهم إذا أسرفوا في الإذايات وتجاوزوا الحد وانتهكوا حرمة الله عز وجل. صرعى: أي قتلى.

١٧٠ - في وثاقه: بفتح الواو أي رباطه. إحدى الطائفتين: يشير بذلك إلى قوله تعالى في سورة الأنفال: ﴿وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم﴾، وغير ذات الشوكة: هي العير.

من السماء يوم بدر والخندق؟ فقال: ﴿فأرسلنا عليهم ريحاً وجنوداً لم تروها﴾ وقال: ﴿بألفٍ من الملائكة مردفين﴾ ﴿بثلاثة آلافٍ من الملائكة مردفين﴾ ﴿بخمسة آلافٍ من الملائكة مسؤمين﴾ قلت: إنما كان يكفي ملك واحد، فقد أهلكت مدائن قوم لوط بريشة من جناح جبريل، وبلاد ثمود وقوم صالح بصيحة، ولكن الله تعالى فضل محمداً ﷺ بكل شيء على كبار الأنبياء وأولي العزم من الرسل، فضلاً عن حبيب النجار، وأولاه من أسباب الكرامة والاعتزاز ما لم يؤته أحداً، فمن ذلك أنه أنزل له جنوداً من السماء، وكأنه أشار بقوله: ﴿وما أنزلنا . . . وما كنا منزلين﴾ إلى أن إنزال الجنود من عظام الأمور التي لا يؤهل لها إلا مثلك وما كنا نفعله بغيرك.

ما وقع في غزوة بني النضير من المعجزات

١٧١ - عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه، أن أموال بني النضير كانت مما أفاء الله على رسوله مما لم يوجف المسلمون عليه بخيل ولا ركاب، فكانت لرسول الله ﷺ خاصة، فكان ينفق منها على

١٧١ - رواه البخاري في أواخر الجهاد، وفي التفسير ٢٥٤/١٠ من فتح الباري، ومسلم في حكم الفيء من السير ٦٩/١٢ من شرح النووي، وأبو داود رقم ٢٩٦٥، والترمذي وغيرهم.

١٧١ - بنو النضير: قوم من اليهود كانوا يسكنون بضواحي المدينة المنورة، وقد كان النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم عاهدهم ولكنهم سرعان ما خفروا العهد، فتأمروا على نبي الله عليه الصلاة والسلام يريدون قتله بإلقاء صخرة عليه، فحاصروهم حصاراً شديداً ثم أجلهم لأول الحشر إلخ، وكذلك فعل بإخوانهم بني قينقاع، أما قريظة فكان أمرهم أشد فقد قتل مقاتلتهم وسبى نساءهم وذريعتهم، وذلك جزاء الخائنين الغادرين، وكانت هذه الغزوة في السنة الرابعة من الهجرة. يوجف: =

أهله نفقة سنة، وما بقي جعله في الكراع والسلاح عدة في سبيل الله عز وجل.

ما وقع في قتل كعب بن الأشرف من المعجزات

١٧٢ - عن ابن عباس قال: مشى معهم رسول الله ﷺ إلى بقيع الغرقد، ثم وجههم، وقال: انطلقوا على اسم الله، وقال: «اللهم أعنهم» - يعني نفر الذين وجههم إلى كعب بن الأشرف -.

١٧٣ - وعن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ لكعب بن الأشرف؟ فإنه قد آذى الله ورسوله»، فقام محمد بن مسلمة، فقال: يا رسول الله، أتحب أن أقتله؟ قال: نعم، قال: فأذن لي أن أقول شيئاً، قال: قل.

فأتاه محمد بن مسلمة، فقال: إن هذا الرجل قد سألنا صدقة، وإنه قد عَنَّا، وإني قد أتيت أستسلفك، قال: وأيضاً، والله لَتَمَلَّنَه،

١٧٢ - رواه أحمد ٢٦٦/١ وغيره بسند صحيح.

١٧٣ - رواه البخاري في المغازي ٣٣٩/٨، ٣٤٢ من فتح الباري، وفي الجهاد، ومسلم في الجهاد والسير ١٦٠/١٢، ١٦١ من شرح النووي.

= الإيجاف الإسراع في المشي، ومعناه: أنهم لم يقاسوا في ذلك تعباً ولا مشقةً. الكُراع: بضم الكاف اسم يطلق على الخيل.

١٧٢ - بَقِيع: بفتح الباء وكسر القاف. الغَرَقْد: بفتح الغين ثم راء ساكنة بعدها قاف مفتوحة، وهو مقبرة المدينة من العهد النبوي حتى الآن. النَّفْر: بفتح النون والفاء، من ثلاثة إلى عشرة.

١٧٣ - مَنْ لكعب: أي من الذي يتدب لقتله ويريجنا منه، وكان كعب هذا يهودياً من جهة أمه، أما أبوه فعربي من طيء، وكان كعب يسبُ المسلمين ويهجوهم بعد وقعة بدر. عَنَّا: بتشديد النون الأولى: أي أتعبنا. لَتَمَلَّنَه: بفتح التاء والميم وضم اللام المشددة بعدها نون مؤكدة، أي لتسامنَّ =

قال: إنا قد اتبعناه فلا نحب أن ندعه حتى ننظر إلى أي شيء يصير شأنه، وقد أردنا أن تسلفنا وسقاً أو وسقين، فقال: نعم أرهونني، قالوا: أي شيء تريد؟ قال: أرهونني نساءكم، قالوا: كيف نرهنك نساءنا، وأنت أجمل العرب؟ قال: فارهونني أبناءكم، قالوا: نرهنك أبناءنا فيسب أحدهم، فيقال: رهن بوسق أو بوسقين، هذا عار علينا، ولكننا نرهنك اللأمة يعني السلاح، فوعده أن يأتيه، فجاءه ليلاً ومعه أبو نائلة وهو أخو كعب من الرضاعة، فدعاهم إلى الحصن، فقالت له امرأته: أين تخرج هذه الساعة؟ فقال: إنما هو محمد بن مسلمة وأخي أبو نائلة، قالت: أسمع صوتاً كأنه يقطر منه الدم، فقال: إنما هو أخي محمد بن مسلمة ورضيعي أبو نائلة، إن الكريم لو دعي إلى طعنة لبلى لأجاب.

قال: ويدخل محمد بن مسلمة معه رجلين، فقال: إذا ما جاء فإنني قائل بشعره فأشمه فإذا رأيتموني استمكنت من رأسه فدونكم فاضربوه، فنزل إليهم متوشحاً وهو ينفخ منه ريح الطيب، فقال: ما رأيت كالיום ريحاً أي أطيب، وقال: عندي أعطر نساء العرب وأكمل العرب، فقال: أتأذن لي أن أشمّ رأسك، قال: نعم، فشمّه ثم أشم أصحابه، ثم قال: أتأذن لي؟ قال: نعم، فلما استمكن منه، قال: دونكم فقتلوه، ثم أتوا النبي ﷺ فأخبروه.

منه. ارهونني: أي ادفعوا إليّ شيئاً في مقابلة ما تريدونه من التمر. وأنت أجمل العرب: يريد بذلك أن النساء يفتتن بك إذا رأينك. اللأمة: بتشديد اللام وسكون الهمزة يعني آلة الحرب. قائل بشعره: أطلق القول على الفعل، أي سأخذ بشعره. استمكنت: أي تمكنت من أخذ رأسه. فدونكم: أي فخذوه. متوشحاً: أي ملتجئاً ومتغشياً في ثوبه أو متوشحاً سيفه أي حاملاً له. عندي أعطر إلخ: أي أكثر نساء العرب استعمالاً للعطر وأجمعهن له، وفي هذا الحديث الشريف مغامرة عظيمة، وفداء رائع من محمد بن مسلمة ومن كان معه، فهكذا يجب على المسلمين أن يكونوا، فمن اليوم للدينين والملحدّين والطاعنين في الإسلام لا من الأجنبي عنه ولكن من أبنائه عملاء الأجنبي، اللهم إن هذه ردة ولا أبا بكر لها، ومن فوائد هذا الحديث أنه يجوز للمسلم أن يتظاهر بخلاف إسلامه بين الأعداء إذا كان في ذلك مصلحة في الدين يعود نفعها على الإسلام والمسلمين.

ما وقع في غزوة أحد من الآيات والمعجزات^(١)

١٧٤ - عن أبي موسى رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ قال :
«رأيت في المنام أني أهاجر من مكة إلى أرض فيها نخل، فذهب وهلي إلى أنها المدينة يثرب، ورأيت في رؤيائي هذه أني قد هزرت سيفاً فانقطع صدره فإذا هو ما أصيب من المؤمنين يوم أحد، ثم هزرته أخرى فعاد أحسن ما كان، فإذا هو ما جاء الله به من الفتح واجتماع المؤمنين، ورأيت فيها أيضاً بقرأً والله خير، فإذا هم النفر من المؤمنين يوم أحد، وإذا الخير ما جاء الله به من الخير وثواب الصدق الذي أتانا بعد يوم بدر».

١٧٤ - رواه البخاري في المغازي ٣٧٩/٨ من فتح الباري، وفي علامات النبوة، وفي التعبير وغيرها، وكذا رواه مسلم.

(١) أحد: جبل عظيم ممتد من الشرق إلى الغرب شمال المدينة وبين المسجد النبوي وبينه نحو من خمس كيلو وبناية العمائر الآن في طريق الاتصال بينهما، وكانت الوقعة بأسفل هذا الجبل لجهة المدينة، وكانت في السنة الثالثة من الهجرة في الحادي عشر من شوال، وكان جيش المشركين ثلاثة آلاف، بينما كان المسلمون ألفاً، ثم خذلهم عبدالله بن أبي فرج بثلاث مائة، وبقي مع النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم سبعمائة، وكان السبب في هذه الغزوة ومهاجمة كفار قريش للمدينة أخذهم ثأر ما أصابهم في بدر من السنة الماضية، وكان يقود جيش الكفار أبو سفيان، وكان من ضباطه خالد بن الوليد وعكرمة بن أبي جهل وأصيب المسلمون في هذه المعركة الخطيرة بكوارث وבלابل بعد انتصارهم بادىء الأمر، وذلك لمخالفة صدرت من جيش الرماة.

١٧٤ - وهلي: أي وهمي وظني. والله خير: هي جملة خبرية ومعناه: رأيت بقرأً تنحر والله عنده خير، أو صنع الله خير، وفي هذه الرؤيا دليل من دلائل النبوة فإن كل ما رآه صدقه الواقع.

١٧٥ - وعن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «رأيت فيما يرى النائم كأنَّ ضبة سيفي انكسرت، وكأني مردف كبشاً، فأولت أن كسر ضبة سيفي قتل رجل من قومي، وإني مردف كبشاً أني أقتل كبش القوم»، فقتل رسول الله ﷺ طلحة بن أبي طلحة صاحب لواء المشركين، وقتل حمزة بن عبدالمطلب.

* - وله شاهد عن ابن عباس ولفظه: تنفل رسول الله ﷺ سيفه ذا الفقار يوم بدر وهو الذي رأى فيه الرؤيا يوم أحد، فقال: «رأيت في سيفي ذي الفقار فلا فأولته، فلا يكون فيكم، ورأيت أني مردف كبشاً، فأولته كبش الكتيبة، ورأيت أني في درع حصينة فأولتها المدينة، ورأيت بقرأ تذبج، فبقر والله خير، فبقر والله خير»، فكان الذي قال رسول الله ﷺ.

١٧٦ - وعن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال: «رأيت كأنني في درع حصينة ورأيت بقرأ تنحر، فأولت أن الدرع الحصينة المدينة،

١٧٥ - رواه أحمد ٢٦٧/٣ مختصراً، والبخاري مطولاً وفي سننه علي بن زيد وهو ثقة سيء الحفظ وبقية رجاله ثقات كما في المجمع ١٨٠/٧.

* - رواه أحمد ٢٧١/١ بسند محتمل للتحسين.

١٧٦ - رواه أحمد ٣٥١/٣ ورجال الصحيح، وفيه أبو الزبير مدلس وقد عنعن ولا يضر ذلك هنا وسيأتي أيضاً برقم ٦٠٦.

١٧٥ - ضبة بفتح الضاد وتشديد الباء المفتوحة، أي حد سيفي، وفي رواية عند ابن إسحاق: ورأيت في ذباب سيفي ثلماً أي انكساراً. تنفل رسول الله إلخ: أي أخذه من الغنيمة زيادة من غير تخميس. فلا: بفتح الفاء ثم لام مفتوحة مشددة، والفل الانكسار، وهو التلم. الكتيبة: بفتح الكاف ثم تاء مكسورة هي الجيش. دُوع: بكسر الدال وسكون الراء لباس كان يلبسه المقاتلون بالسيوف والحرايب والنبال في القديم.

١٧٦ - فأولت: أي فسرت وعبرت. فلبس لأمته: بفتح اللام ثم همزة ساكنة أي أداة الحرب =

وأن البقر هو والله خير»، قال: فقال أصحابه: لو أننا أقمنا بالمدينة فإن دخلوا علينا فيها قاتلناهم، فقالوا: والله يا رسول الله ما دخل علينا في الجاهلية، فكيف يدخل علينا فيها في الإسلام؟ فقال: شأنكم إذا فلبس لأمته، قال: فقالت الأنصار: رددنا على رسول الله ﷺ رأيه، فجاءوا فقالوا: يا نبي الله شأنك إذاً، فقال: «إنه ليس لنبي إذا لبس لأمته أن يضعها حتى يقاتل».

١٧٧ - وعن البراء رضي الله تعالى عنه قال: جعل رسول الله ﷺ على الرماة يوم أحد وكانوا خمسين رجلاً عبدالله بن جبير ووضعه موضعاً، وقال: «إن رأيتونا تخطفنا الطير فلا تبرحوا حتى أرسل إليكم» فهزموهم، قال: فأنا والله رأيت النساء يشددن على الجبل، وقد بدت أسوقهن وخالخلهن رافعات ثيابهن، فقال أصحاب عبدالله بن جبير: الغنيمة أي قوم، الغنيمة، ظهر أصحابكم فما تنتظرون، وقال عبدالله بن

١٧٧ - رواه أحمد ٢٩٣/٤، والبخاري في الجهاد وفي المغازي ٣٥٢/٨، ٣٥٦، من فتح الباري من طريق أبي إسحاق السبيعي عنه.

= من درع ومغفر وسلاح، وفي الحديث مشروعية العمل على رأي بعض رجال الجيش في الأمور الحربية وفي ذلك أدلة كثيرة.

١٧٧ - ووضعه موضعاً إلخ: أي جعلهم على رأس جبل صغير هنالك لجهة المدينة مشرف على موضع الوقعة ويسمى الآن: جبل الرماة، وقد بنى عليه الناس منذ زمان. تخطفنا: معناه لا تزالون هناك في حراستنا ولو أدى بنا الأمر إلى الانهزام فلا تبرحوا مكانكم، غير أن بعضهم خالف هذا النبي فانسحبت جماعة منهم عن المركز فأصيب جيش المسلمين بتلك المحنة التي كادت تقضي عليهم لولا عناية الله تعالى بهم، وما ذلك إلا ما صدر منهم ولذلك لما قالوا: أنى هذا، أي من أين جاءنا هذا الخذلان والانهزام؟ قال الله تعالى لهم: ﴿قل هو من عند أنفسكم﴾ أي أنتم السبب في ذلك. يشددن: أي يجربن ويعدون. بدت أسوقهن: أي ظهرت وأسوقهن بفتح الهمزة وسكون السين وضم الواو والقاف جمع ساق. خالخلهن: واحده خلخال نوع من الخلي يلبسه النساء في أرجلهن وهو المعنى بقوله تعالى: ﴿ولا يضربن بأرجلهن لئعلم ما يخفين من زينتهن﴾ يعني بذلك الخالخل فإن المرأة إذا ضربت برجلها في الأرض صوّتت خالخلها فتلفت أنظار الرجال إليها، وفي ذلك فتح لباب الفتنة =

جبير: فنسيتم ما قال لكم رسول الله ﷺ، فقالوا: إنا والله لثنتين الناس فلنصيبن من الغنيمة، فلما أتوهم ضربت وجوههم، فأقبلوا منهزمين، فذاك الذي يدعوهم الرسول في أخرهم، فلم يبق مع رسول الله ﷺ غير إثني عشر رجلاً، فأصابوا منا سبعين، وكان رسول الله ﷺ وأصحابه أصاب من المشركين يوم بدر أربعين ومائة سبعين أسيراً وسبعين قتيلاً، فقال أبو سفيان: أفي القوم محمد ثلاثاً؟ فنهاهم رسول الله ﷺ أن يجيبوه، ثم قال: أفي القوم ابن أبي قحافة؟ أفي القوم ابن أبي قحافة؟ أفي القوم ابن الخطاب؟ ثم أقبل على أصحابه، فقال: أما هؤلاء فقد قتلوا وقد كفيتموهم، فما ملك عمر نفسه أن قال: كذبت والله يا عدو الله إن الذين عددت لأحياء كلهم، وقد بقي لك ما يسوؤك فقال: يوماً بيوم بدر والحرب سجال، إنكم ستجدون في القوم مثلة لم أمر بها ولم تسؤني، ثم أخذ يرتجز: اعل هُبَل اعل هبل، فقال رسول الله ﷺ: «ألا تجيبونه». قالوا: يا رسول الله، وما نقول؟ قال: «قولوا: الله أعلى وأجل». فقال: إن العزى لنا ولا عزى لكم، فقال رسول الله ﷺ: «ألا تجيبونه»، قالوا: يا رسول الله، وما نقول؟ قال: «قولوا الله مولانا ولا مولى لكم».

١٧٨ - وعن ابن عباس قال: (ما نصر الله تبارك وتعالى في موطن كما نصر يوم أحد، قال: فأنكرنا ذلك قال ابن عباس: بيني وبين من

١٧٨ - رواه أحمد ٢٨٧/١، ٢٨٨ والحاكم ٢٩٦/٢، ٢٩٧، وفي سند أحمد عبدالرحمن بن أبي الزناد متكلم فيه ولا يضر ذلك فإنه تقدم نحوه في الصحيح.

= الجنسية فحرم الله ذلك عليهن. صرفت وجوههم: أي ردت. والحرب سجال: بكسر السين، أي تارة لنا وأخرى لكم. مُثَلَّة: بضم الميم وسكون التاء، أي تنكيلاً، وقد كانوا مثلوا بجماعة منهم سيدنا حمزة، والمثلة تكون بقطع الأطراف وبقر البطون وسلخ الجلود ونحو ذلك وهي محرمة في الإسلام. أعل: هو أمر من علا. وهُبَل: بضم الهاء وفتح الباء، اسم صنم لهم، ومعناه عنده: أظهر دينك يا هبل أو زد علواً. أعلى وأجل: أي أرفع وأعظم. مولانا: أي ناصرنا والمدافع عنا.

أنكر ذلك كتاب الله تبارك وتعالى ، إن الله عز وجل يقول في يوم أحد : ﴿ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم بإذنه﴾ يقول ابن عباس : والحس القتل ﴿حتى إذا فشلتم . . .﴾ إلى قوله : ﴿ولقد عفا عنكم والله ذو فضل على المؤمنين﴾ وإنما عنى بهذا الرماة ، وذلك أن النبي ﷺ أقامهم في موضع ، ثم قال : «احموا ظهورنا ، فإن رأيتمونا نقتل فلا تنصرونا ، وإن رأيتمونا قد غنمنا فلا تشركونا» ، فلما غنم النبي ﷺ وأباحوا عسكر المشركين أكبَّ الرماة جميعاً فدخلوا في العسكر ينهبون ، وقد التقت صفوف أصحاب رسول الله ﷺ فهم كذا وشبَّك بين أصابع يديه والتبسوا ، فلما أخلَّ الرماة تلك الخلة التي كانوا فيها دخلت الخيل من ذلك الموضع على أصحاب النبي ﷺ فضرب بعضهم بعضاً والتبسوا وقتل من المسلمين ناس كثير ، وقد كان لرسول الله ﷺ وأصحابه أول النهار ، حتى قتل من أصحاب لواء المشركين سبعة أو تسعة وجال المسلمون جولة نحو الجبل ، ولم يبلغوا حيث يقول الناس : الغار ، إنما كانوا تحت المهراس ، وصاح الشيطان : قتل محمد ، فلم يشك فيه أنه حق ، فما زلنا كذلك ما نشك أنه قتل حتى طلع رسول الله ﷺ بين السعدين نعرفه بتكفئه إذا مشى ، قال : ففرحنا حتى كأنه لم يصبنا ما أصابنا ، قال : فرقي نحونا وهو يقول : «اشتد غضب الله على قوم دموا وجه رسوله» ، قال : ويقول مرة أخرى : «اللهم إنه ليس لهم أن يعلونا» ، حتى انتهى إلينا فمكث ساعة ، فإذا أبو سفيان يصيح في أسفل الجبل : اعل هبل مرتين ، - يعني آلهته - أين ابن أبي كيشة؟ أين ابن أبي قحافة؟ أين ابن الخطاب ، فقال عمر : يا رسول الله ألا أجيبه؟ قال : «بلى» . قال : فلما قال : اعل هبل . قال عمر : الله أعلى وأجل ، قال : فقال أبو سفيان : يا ابن الخطاب إنه قد

١٧٨ - أموا : أي كونوا حماة لنا من الكفار من جهة ظهورنا .

أُنْعَمَتْ عَيْنُهَا فَعَادَ عَنْهَا أَوْ فَعَالَ عَنْهَا، فَقَالَ: أَيْنَ ابْنُ أَبِي كَبْشَةَ؟ أَيْنَ ابْنُ أَبِي قَحَافَةَ؟ أَيْنَ ابْنُ الْخَطَّابِ؟ فَقَالَ عُمَرُ: هَذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَهَذَا أَبُو بَكْرٍ، وَهِيَ أَنَا ذَا عُمَرَ، قَالَ: فَقَالَ أَبُو سَفْيَانَ: يَوْمَ بِيَوْمِ بَدْرٍ، الْأَيَّامَ دَوْلًا، وَإِنَّ الْحَرْبَ سَجَالَ، قَالَ: فَقَالَ عُمَرُ: لَا سِوَاءَ قَتَلَانَا فِي الْجَنَّةِ وَقَتْلَاكُمْ فِي النَّارِ، قَالَ: إِنَّكُمْ لِتَزْعَمُونَ ذَلِكَ، لَقَدْ خَبْنَا إِذَا وَخَسَرْنَا، ثُمَّ قَالَ أَبُو سَفْيَانَ: أَمَا إِنَّكُمْ سَوْفَ تَجِدُونَ فِي قَتْلَاكُمْ مِثْلَهُ وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ عَنْ رَأْيِ سِرَاتِنَا. قَالَ: ثُمَّ أَدْرَكَتْهُ حَمِيَّةُ الْجَاهِلِيَّةِ، قَالَ: فَقَالَ: أَمَا إِنَّهُ قَدْ كَانَ ذَلِكَ وَلَمْ نَكْرَهُهُ).

١٧٩ - وَعَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَاصٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ قَالَ: (رَأَيْتُ يَوْمَ أَحَدٍ عَنْ يَمِينِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ رَجُلَيْنِ عَلَيْهِمَا ثِيَابٌ بَيْضٌ، يَقَاتِلَانِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَشَدَّ الْقِتَالِ، مَا رَأَيْتُهُمَا قَبْلَ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَا بَعْدَهُ - يَعْنِي جَبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ -).

١٨٠ - وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ عَمَّهُ أَنَسَ بْنَ النَّضْرِ قَالَ يَوْمَ أَحَدٍ: (وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنِّي لِأَجِدُ رِيحَ الْجَنَّةِ دُونَ أَحَدٍ وَإِنَّهَا لَرِيحُ الْجَنَّةِ).

١٧٩ - رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فِي الْمَغَازِيِّ ٣٦١/٨ مِنْ فَتْحِ الْبَارِيِّ وَمُسْلِمٌ فِي السِّيَرِ.

١٨٠ - رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فِي الْمَغَازِيِّ ٣٥٨/٨ مِنْ فَتْحِ الْبَارِيِّ وَمُسْلِمٌ فِي الْإِمَارَةِ

٤٨/١٣ مِنْ شَرْحِ النَّوَوِيِّ.

= قَوْلُهُ: أُنْعَمَتْ عَيْنُهَا إلخ: أَيِ اتْرَكَهَا ذَكَرَهَا فَقَدْ صَدَّقَتْ فِي فَتْوَاهَا، وَذَلِكَ أَنَّ أَبَا سَفْيَانَ لَمَّا أَرَادَ الْخُرُوجَ إِلَى أَحَدٍ كَتَبَ عَلَى سَهْمٍ نَعْمَ وَعَلَى آخَرٍ لَا وَأَجَالَهَا عِنْدَ هَبْلِ فَخْرَجٍ سَهْمٌ نَعْمَ فَخْرَجَ إِلَى أَحَدٍ.

١٧٩ - يَعْنِي جَبْرِيلَ: لَمْ يَتَخَلَّ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا مَا وَمَا كَانَ لِيَتَخَلَّى عَنْهُ سَبْحَانَهُ، وَإِنَّمَا كَانَ يَصِيبُهُ مَا أَصَابَهُ اتِّبَاعًا لِسُنَّةِ اللَّهِ تَعَالَى وَتَشْرِيْعًا لِأَمْرِهِ وَنَظْرًا لِحُكْمِ رَبَّانِيَّةٍ، وَإِنَّمَا لِنَشَاهِدِ فِي هَذِهِ الْغَزْوَةِ نَوْعًا مِنَ الْمُهْزِمَةِ لِلصَّحَابَةِ تَأْدِيبًا لَهُمْ مِمَّا وَقَعَ مِنْ جَيْشِ الرِّمَاءِ وَمَعَ ذَلِكَ فَلَمْ يَسْلَمْ اللَّهُ نَبِيَّهُ إِلَى الْكُفَّارِ، بَلْ أَيْدَهُ وَنَصْرَهُ وَبَعَثَ إِلَيْهِ مِنْ يَمِينِهِ مِنْ أَكْبَرِ سُلَاطِينِ الْمَلَائِكَةِ وَمَلُوكِهِمْ، أَلَا وَهُوَ جَبْرِيلُ وَمِيكَائِيلُ.

١٨١ - وعن جابر قال: لما قتل أبي يوم أحد بكت عمتي، فقال رسول الله ﷺ: «لا تبكيه أو لم تبكيه، فما زالت الملائكة تظله بأجنحتها حتى رفعتموه».

١٨٢ - وعن زيد بن ثابت رضي الله تعالى عنه قال: (بعثني رسول الله ﷺ يوم أحد لطلب سعد بن الربيع، وقال لي: «إن رأيتَه فأقرئه مني السلام وقل له: يقول لك رسول الله ﷺ: كيف تجدك؟» قال: فجعلت أطوف بين القتلى، فأصبته وهو في آخر الرَّمق، وبه سبعون ضربةً ما بين طعنة برمح وضربة بسيف وورمية بسهم، فقلت له: يا سعد، إنَّ رسول الله ﷺ يقرأ عليك السلام، ويقول لك: كيف تجدك؟ قال: على رسول الله السلام وعليك السلام، قل له: يا رسول الله، أجدني أجد ريح الجنة، وقل لقومي الأنصار: لا عذر لكم عند الله إن يُخلَص إلى رسول الله ﷺ وفيكم شُفْر يطرف، قال: وفاضت نفسه رحمه الله).

١٨١ - رواه البخاري في الجناز وفي الجهاد وفي المغازي، ومسلم في الفضائل.

١٨٢ - رواه الحاكم ٢٠١/٣ وصححه ووافقه الذهبي.

١٨١ - ما زالت الملائكة: إلخ: هذه كرامة للشهيد، وأن الملائكة تظله بأجنحتها، وذلك غير خاص بهذا الصحابي، وفي الحديث إشارة إلى أن من قُتل له قتيل في المعركة ينبغي له أن يستبشر ويفرح ولا يبكي لمآل فقيدته إلى السعادة إذا كان مخلصاً في قتاله وجهاده، اللهم ارزقنا شهادةً في سبيلك وموتةً في بلدة نبيك.

١٨٢ - في آخر رَمَق: الرَمَق بفتح الراء والميم النظر يطلق على آخر لحظة من حياة الإنسان كما هنا. أن يُخلَص: بضم الياء وفتح اللام: أي يوصل إليه من طرف الأعداء. شُفْر: بضم الشين وسكون الفاء، واحد أشفار العينين، وهي الحروف التي ينبت عليها الشعر. يطرف: أي يتحرك وأراد به أنه لا عذر لكم عند الله إذا قتل رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم أو أصيب بمكروه وأنتم بينه على قيد الحياة، بل يجب عليكم أن تقاتلوا دونه حتى تموتوا. وفاضت نفسه: أي قبضت، وهذا موقف عظيم من هذا الصحابي الجليل، فلقد قاتل قتال الأبطال وصبر الصبر الجميل، ووضرب سبعون ضربة ما بين طعنة برمح وضربة بسيف وورمية بسهم وهو ثابت يقاتل، ما هذا إلا تأييد إلهي.

ما وقع في حمراء الأسد من الآيات^(١)

١٨٣ - عن ابن عباس قال: لما ألقى إبراهيم عليه السلام في النار قال: حسبنا الله ونعم الوكيل، فقالها محمد ﷺ حين قالوا: ﴿إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا: حسبنا الله ونعم الوكيل﴾.

١٨٣ - رواه البخاري في التفسير ٢٩٦/٩، ٢٩٧ من فتح الباري.

(١) كانت هذه الغزوة عقب أحد فإن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم لما دخل المدينة أصبح حذراً من رجوع المشركين إليهم ليتّموا انتصارهم فنادى في أصحابه بالخروج خلفهم فخرجوا حتى وصلوا حمراء الأسد فبلغهم فرار المشركين فرجعوا سالمين.

١٨٣ - حسبنا الله: أي كافينا الله، والمراد بالناس في الآية: أبو سفيان وأصحابه.

ما وقع في غزوة الرجيع من الآيات^(١)

١٨٤ - عن أبي هريرة قال: (بعث رسول الله ﷺ سرية عيناً، وأمر عليهم عاصم بن ثابت، فانطلقوا حتى إذا كانوا بين عسفان ومكة ذكروا لحي من هذيل فتبعوهم بقرب من مائة رامٍ، فاقتفوا آثارهم حتى لحقوهم، فلما انتهى عاصم وأصحابه لجأوا إلى فدفد، وجاء القوم فأحاطوا بهم، فقالوا لهم: لكم العهد والميثاق إن نزلتم إلينا أن لا نقتل منكم رجلاً، فقال عاصم: أما أنا فلا أنزل في ذمة كافر، اللهم أخبر عنا نبيك فرموهم بالنبل حتى قتلوا عاصماً في سبعة نفر، وبقي خبيب وزيد بن الدثنة ورجل آخر، فأعطوهم العهد والميثاق، فنزلوا إليهم فلما استمكنوا منهم حلوا أوتار قسيهم فربطوهم بها، فقال الرجل الثالث: هذا

١٨٤ - رواه البخاري في غزوة بدر وغزوة الرجيع ٣٨٢/٨، ٣٨٧.

(١) الرَّجِيعُ: بفتح الراء وكسر الجيم، هو في الأصل اسم للروث، والمراد هنا: اسم موضع من بلاد هذيل كانت به هذه الرقعة، وكانت أواخر السنة الثالثة من الهجرة عند ابن إسحاق وعند غيره، أوائل الرابعة.

١٨٤ - عيناً: يعني جواسيس على أحوال الكفار. وأمر عليهم: بفتح الهمزة والميم المشددة المفتوحة، أي جعله أميراً. عُسْفَان: بضم العين وسكون السين، موضع يبعد عن مكة المكرمة بنحو ٨٠ كيلو وعليه تمر الطريق اليوم الواصلة بين مكة والمدينة من غير طريق جدة. فاقتفوا: أي تبعوا أثرهم. لجأوا: أي سعدوا إلى الجبل واعتصموا به. فذَقْدُ: بفاءين مفتوحتين بينهما دال ساكنة وآخره دال ثانية الموضع المرتفع الغليظ. فأحاطوا بهم: أي أحدقوا. حُيَيْبُ: بضم الخاء وفتح الباء وسكون الياء. والدُّثْنَةُ: بفتح الدال المشددة ثم ثاء مكسورة بعدها نون مفتوحة. لَيْسْتَحْدُ: أي يملق عانته. =

أول الغدر فأبى أن يصحبهم فجرروه وعالجوه على أن يصحبهم، فلم يفعل فقتلوه، وانطلقوا بخبيب وزيد حتى باعوهما بمكة، فاشترى خبيبا بنو الحارث بن عامر بن نوفل، وكان خبيب هو قتل الحارث يوم بدر، فمكث عندهم أسيراً حتى إذا أجمعوا قتله استعار موسى من بعض بنات الحارث ليستحداً بها فأعارته، قالت: فغفلت عن صبي لي فدرج إليه حتى أتاه ووضعته على فخذيه، فلماً رأيته فزعت فزعة عرف ذلك مني وفي يده موسى، فقال: أتخشين أن أقتله؟ ما كنت لأفعل ذلك إن شاء الله تعالى، وكانت تقول: ما رأيت أسيراً قط خيراً من خبيب، فقد رأيته يأكل من قطف عنب وما بمكة يومئذ ثمرة وإنه لموثق في الحديد، وما كان إلا رزقاً رزقه الله، فلما خرجوا به من الحرم قال: دعوني أركع ركعتين، فركع، ثم قال: اللهم أحصهم عدداً واقتلهم بدءاً ولا تبق منهم أحداً، واستجاب الله لعاصم يوم أصيب، فأخبر رسول الله ﷺ يوم أصيبوا خبرهم، وبعثت قريش إلى عاصم ليؤتوا بشيء من جسده يعرفونه، وكان عاصم قتل عظيماً من عظمائهم يوم بدر فبعث الله عليه مثل الظلة من الدبر، فحمته من رسلهم، فلم يقدرُوا على أن يقطعوا منه شيئاً).

= فدرج: أي مثنى إليه. قطف: بكسر القاف وسكون الطاء العنقود. لموثق: أي مربوط في وثاقه. بدءاً: بفتح الباء، أي اقتلهم متفرقين واحداً بعد واحد، ويروى بكسر الباء، أي حصصاً مقسمة لكل واحد حصته ونصيبه. الدبر: بفتح الدال وسكون الباء النحل أو الزنانير. فحمته: أي دافعت عنه ومنعتهم من القرب منه، وهذا الحادث كالأتي بعده كانا أحد أسباب قنوت النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم في سائر صلواته، وأسبابه خمسة، كما بينته في رسالة خاصة.

ما وقع في قصة بئر معونة من الآيات^(١)

١٨٥ - عن هشام بن عروة قال: أخبرني أبي، قال: (لما قتل الذين ببئر معونة وأسر عمرو بن أمية الضمري، قال له عامر بن الطفيل: من هذا؟ فأشار إلى قتيل فقال له عمرو بن أمية: هذا عامر بن فهيرة، فقال: لقد رأيته بعدما قتل رفع إلى السماء حتى إني لأنظر إلى السماء بينه وبين الأرض ثم وضع، فأتى النبي ﷺ خبرهم فنعاهم، فقال: «إِنَّ أصحابكم قد أصيبوا وأنهم قد سألوا ربهم، فقالوا: ربنا أخبر عنا إخواننا بما رضينا عنك ورضيت عنا». فأخبرهم عنهم، وأصيب فيهم يومئذ عروة بن أسماء بن الصلت فسمي عروة به ومنذر بن عمر وسمي به منذراً).

١٨٥ - رواه البخاري في المغازي ٣٩٣/٨، ٣٩٤ من فتح الباري وهو مرسل، والقصة واردة من طرق أخرى موصولة.

(١) بئر معونة: هو موضع بأرض بني سُليم بضم السين وفتح اللام، شرقي المدينة ناحية نجد، وهذه الواقعة مع التي قبلها، جاء خبرهما للنبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم معاً في وقت واحد، وكانت أوائل السنة الرابعة، وتعرف بسرية القراء بعثهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم مع أناس دعاة إلى الله وإلى تعليم دينه فغدروا بهم.

١٨٥ - وفي هذا الحادث والذي قبله عدة آيات، كما في هذا بشارة لأولئك القراء الشهداء، حيث إن الله عز وجل رضي عنهم ورضوا هم عنه أيضاً، وفي هذا الحادث أسوة لكل داعية ومبشر بالإسلام ومعلم أمور الديانة إذا ما عُدر به واغتيل.

١٨٦ - وعن أنس قال: (جاء أناس إلى النبي ﷺ فقالوا: ابعث معنا رجالاً يعلمونا القرآن والسنة، فبعث إليهم سبعين رجلاً من الأنصار، يقال لهم: القراء، فيهم خالي حرام يقرأون القرآن ويتدارسون بالليل يتعلمون، وكانوا بالنهار يجيئون بالماء فيضعونه في المسجد، ويحطبون فيبيعونه ويشترون به الطعام لأهل الصفة وللقراء، فبعثهم النبي ﷺ إليهم، فعرضوا لهم فقتلوهم قبل أن يبلغوا المكان، فقالوا: اللهم بلغ عنا نبينا أنا قد لقيناك فرضينا عنك ورضيت عنا، قال: وأتى رجل حراماً قال أنس: من خلفه قطعنه برمح حتى أنفذه، فقال حرام: فزت ورب الكعبة، فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: «إن إخوانكم قد قُتلوا، وإنهم قالوا: اللهم بلغ عنا نبيك أنا قد لقيناك فرضنا عنك ورضيت عنا».

١٨٦ - رواه البخاري في المغازي ٣٨٨/٨، ٣٩٢ من فتح الباري من طرق وألفاظ، ومسلم في السير والجهاد ٤٦/١٣، ٤٧ من شرح النووي والسياق له.

١٨٦ - الصُّفَّة: بضم الصاد وفتح الفاء المشددة، موضع في شمال المسجد النبوي لجهة الشرق كانوا يسكنونه وهي المسماة اليوم بالدكة. حتى أنفذه: أي أخرجه منه. فزت: أي سعدت وأفلحت حيث أعطاني الله الشهادة في سبيل الدعوة إليه.

ما وقع في غزوة ذات الرقاع من الآيات^(١)

١٨٧ - عن جابر قال: (قاتل رسول الله ﷺ محارب خصفة، بنخل فرأوا من المسلمين غيرة، فجاء رجل منهم يقال له غورث بن الحارث حتى قام على رسول الله ﷺ بالسيف، فقال: من يمنعك مني؟ قال: «الله»، فسقط السيف من يده، فأخذه رسول الله ﷺ فقال: «من يمنعك مني؟» قال: كن خير آخذ، فخلّى سبيله، فأتى أصحابه وقال: جئتكم من عند خير الناس). ثم ذكر صلاة الخوف.

١٨٨ - وعن أبي عياش الزرقعي رضي الله تعالى عنه، قال: (كنا مع رسول الله ﷺ بعسفان وعلى المشركين خالد بن الوليد، فصلينا الظهر،

١٨٧ - رواه أحمد بسند صحيح، وكذا الحاكم وصححه، وقد تقدم بسياق آخر عند الآيات في عصمته من الناس.

١٨٨ - رواه أحمد ٥٩/٤، ٦٠ من طرق مطولاً ومختصراً بأسانيد صحيحة ورواه أيضاً أبو داود والنسائي وغيرهما.

(١) غزوة ذات الرقاع: هذه الغزوة كانت في ربيع الثاني من السنة الرابعة عند جمهور أهل السير، وخالفهم البخاري فقال إلى أنها كانت في السنة السابعة بعد خيبر، ورجحه الحافظ في الفتح وجزم بأن أول ما صليت صلاة الخوف في عسفان في عمرة الحديبية، وهي بعد الخندق وقريظة، وصليت في غزوة الرقاع وهي بعد عسفان، قال: فتعين تأخرها عن الخندق وعن قريظة وعن الحديبية، قال: فيقوى القول بأنها بعد خيبر لأن غزوة خيبر كانت عقب الرجوع من الحديبية.

١٨٧ - غورث: بفتح الغين والراء بينها واو ساكنة وآخره ثاء. فخلّى سبيله: أي تركه وعفا عنه، وتقدم أن ذلك كان عند رجوعهم من غزوة بناحية نجد، وهي غزوة محارب بن خصفة المذكورة هنا.

فقال المشركون: لقد كانوا على حال لو أردنا لأصبنا غرّة، فأنزلت آية القصر، وفي رواية صلاة الخوف، بين الظهر والعصر).

١٨٩ - وعن جابر قال: (سِرْنَا مع رسول الله ﷺ حتى نزلنا وادياً أَفِيحاً، فذهب رسول الله ﷺ يقضي حاجته فاتبعته بإداوة من ماء، فنظر رسول الله ﷺ فلم ير شيئاً يستتر به، فإذا شجرتان بشاطيء الوادي، فانطلق رسول الله ﷺ فأخذ بَغُصْنٍ من أغصانها، فقال: «انقادي عليّ بإذن الله». فانقادت معه كالبعير المخشوش الذي يصانع قائده، حتى أتى شجرة أخرى فأخذ بَغُصْنٍ من أغصانها، فقال: «انقادي عليّ بإذن الله»، فانقادت معه كذلك، حتى إذ كان بالمنصف مما بينهما - يعني جمعهما - فقال: «التثما عليّ بإذن الله». فالتأمتا، قال جابر: فخرجت أحضر مخافة أن يحسّ رسول الله ﷺ بقربي فيتعد، فجلست أحدث نفسي، فحانت مني لفظة، فإذا أنا برسول الله ﷺ مقبلاً، وإذا الشجرتان قد افترقتا، فقامت كل واحدة منهما على ساق، فرأيت رسول الله ﷺ وقف وقفه، فقال برأسه هكذا، وأشار أبو إسماعيل

١٨٩ - رواه مسلم آخر صحيحه في حديث غزوة بطن بواط مطولاً ١٨/١٣٣، ١٤٧ في شرح النووي.

١٨٨ - غرّة: بكسر الغين وتشديد الراء المفتوحة، أي غفلة منهم، وهذا الحديث يدل على أن صلاة الخوف أول ما نزلت في عسفان في غزوة الحديبية، وهو يؤيد ما رجحه الحافظ تبعاً للبخاري، وفيها صلى بطائفة ركعتين وسلّم، ثم صلى بالطائفة الثانية ركعتين وسلّم، فكان له أربع ولهم ركعتان، والحديث أصله في الصحيحين.

١٨٩ - أَفِيحٌ: بفتح الهمزة وسكون الفاء ثم ياء مفتوحة أي واسعاً. إداوة: أي إناء. بشاطيء: الشاطيء هو جانب الوادي أو البحر. بَغُصْنٍ: بضم الغين وسكون الصاد هو ما تشعب من الشجرة من الفروع. فانقادت: أي أطاعته وتبعته كما ينقاد البعير. المخشوش: الذي وضع في أنفه الخشاش بكسر الخاء، وهو عود يجعل في عظم أنف الجمل. فحانت مني لفظة: أي وقعت مني =

برأسه يميناً وشمالاً، ثم أقبل، فلما انتهى إليّ، قال: «يا جابر، هل رأيت مقامي؟» قلت: نعم يا رسول الله، قال: «فانطلق إلي الشجرتين فاقطع من كل واحدة منهما غصناً فأقبل بهما حتى إذا قمت مقامي فأرسل غصناً عن يمينك وغصناً عن يسارك»، قال جابر: فقامت فأخذت حجراً فكسرتة وحسرتة فاندلق لي، فأتيت الشجرتين فقطعت من كل واحدة منهما غصناً، ثم أقبلت أجرهما حتى قمت مقام رسول الله ﷺ، أرسلت غصناً عن يميني وغصناً عن يساري.

ثم لحقته، فقلت: قد فعلت يا رسول الله، فعمّ ذلك؟ قال: «إني مررت بقبرين يعذبان فأحببت بشفاعتي أن يُرْفَه عنهما ما دام الغصنان رطبين»، قال: فأتينا العسكر، فقال رسول الله ﷺ: «يا جابر ناد بوضوء». فقلت: ألا وضوء ألا وضوء. قال: قلت: يا رسول الله ما وجدت في الركب من قطرة، وكان رجل من الأنصار يبرد لرسول الله ﷺ الماء في أشجابه له على حمارة من جريد قال: فقال لي: «انطلق إلي فلان بن فلان الأنصاري، فانظر هل في أشجابه من شيء؟» قال: فانطلقت إليه فنظرت فيها فلم أجد إلا قطرة في عزلاء شجب منها لو أني أفرغه لشربه يابسه، فأتيت رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله، إني لم أجد فيها إلا قطرة في عزلاء شجب منها لو أني أفرغه لشربه يابسه، قال: «اذهب فأنتي به»، فأتيته فأخذه بيده، فجعل يتكلم بشيء لا أدري ما هو ويغمزه بيديه، ثم أعطانيه، فقال: «يا جابر ناد بجفنة»، فقلت: يا جفنة

= التفاتة إلى جهة. فاندلق: أي تكسر. يُرْفَه: بضم الياء مبني للمجهول، أي يخفف عنها. ونادى بوضوء: بفتح الواو، أي نادى في العسكر هل عندهم ماء نتوضأ به. أشجابه: جمع شَجَب بفتح الشين وسكون الجيم آخره باء، وهو السقاء البالي المعبر عنه بالشن. عزلاء: بفتح العين، وهو فم الزادة الأسفل، ومعناه: لم أجد فيها ماء إلا قطرة في فم السقاء. بجفنة: بفتح الجيم وسكون الفاء، وهي القصعة. يتفور: أي يفور ويخرج. سيف البحر: بكسر السين، ساحله. زخر: بالخاء، أي =

الركب فأتيت بها تحمل فوضعتها بين يديه، فقال رسول الله ﷺ بيده في الجفنة هكذا، فبسطها وفرق بين أصابعه، ثم وضعها في قعر الجفنة، وقال: «خذ يا جابر، فصب عليّ وقل: بسم الله»، فصبت عليه، وقلت: باسم الله، فرأيت الماء يتفوّر من بين أصابع رسول الله ﷺ، ثم فارت الجفنة ودارت حتى امتلأت، فقال: «يا جابر، ناد من كان له حاجة بماء»، قال: فأتى الناس فاستقوا حتى رءوا، فقلت: هل بقي أحد له حاجة؟ فرفع رسول الله ﷺ يده من الجفنة وهي ملاءى، وشكى الناس إلى رسول الله ﷺ الجوع، فقال: «عسى الله أن يطعمكم»، فأتينا سيف البحر فزخر البحر زخرة فألقي دابةً فأورينا على شِقِّها النار واشتوينا وأكلنا حتى شبعنا، قال جابر: فدخلت أنا وفلان وفلان حتى عدّ خمسة في حِجَاج عينيها ما يرانا أحد حتى خرجنا فأخذنا ضلعاً من أضلاعه فقوّسناه، ثم دعونا بأعظم رجل في الركب وأعظم جمل في الركب وأعظم كِفْل في الركب فدخل تحته ما يطأطأ رأسه).

١٩٠ - وعن جابر قال: (خرجت مع رسول الله ﷺ في غزاة فأبطأ

١٩٠ - رواه أحمد ٣/٣٧٥ والبخاري في البيوع ٥/٢٢٤، وفي الشروط، ومسلم في البيوع ١١/٣٠، ٣٦ من شرح النووي من طُرُقٍ مطوّلاً وفي الرضاع، والفريابي في دلائل النبوة برقم (٥٢).

= امتد وارنفع. فأورينا: أي أوقدنا وأشعلنا. شِقِّها: بكسر الشين أي على ناحية منها. حِجَاج: بكسر الحاء وفتحها عظمها المستدير بها. قوّسناه: أي جعلناه كالقوس. كِفْل: بكسر الكاف له معان، والمراد به هنا: كساء يدار حول سنام البعير، وهذا الحديث الشريف زيادة على ما فيه من معجزات، فيه فوائد عزيزة لا يسع ذكرها هذه العجالة وهذا التعليق.

١٩٠ - فأبطأ: أي تأخر من الضعف. فحجته: أي ضربه بِمِحْنَةٍ: أي بعصاه وهي بكسر الميم وسكون الحاء ثم جيم مفتوحة بعده نون، وهي عصا معوجة الرأس.

جملي وأعياني، فأتى رسول الله ﷺ، فقال: «ما شأنك؟» قلت: أبطأ جملي وأعياني فَحَجَنَهُ بِمَحَجِّنِهِ، ثم قال لي: «اركب»، فركبت، فلقد رأيتني أكفُّهُ عن رسول الله ﷺ).

١٩١ - وعنه من طريق آخر وسياق آخر قال: (فقدت جملي في ليلة ظلماء، فمررت على رسول الله ﷺ فقال: «ما شأنك؟» قلت: فقدت جملي، قال: «ذاك جملك، اذهب فخذ»، فذهبت نحو ما قال، فلم أجده، فرجعت إليه، فقال: مثل ذلك، فذهبت فلم أجده، فرجعت إليه، فانطلق معي حتى أتينا الجمل فدفعه إليّ، فبينما أنا أسير وكان جملاً فيه قِطَاف قلت: لَهْفَ أُمِّي أن يكون لي إلا جمل قِطُوف، فلحق بي، فقال: «ما قلت؟» فأخبرته فضرب عجز الجمل بسوط، فانطلق أوضع جمل ركبته قط، وهو ينازعني خطامه).

١٩١ - رواه أحمد مطولاً بسند صحيح ٣/٣٥٨، ٣٥٩.

١٩١ - فقدت: إلخ: أضعته وأتلفته. قِطَاف: بكسر القاف ومعناه فيه تقارب الخطو في سرعة. هَفَّ أُمِّي: أصل اللهف بفتح الهاء، الكرب وهو هنا كذلك على حذف حرف النداء، فهو منادي مندوب مضاف. أوضع: إلخ: أي أسرع جمل يقال وضع البعير وغيره إذا أسرع في سيره.

ما وقع في غزوة الخندق من الآيات والمعجزات^(١)

١٩٢ - عن سليمان بن سرد رضي الله تعالى عنه، قال: قال رسول الله ﷺ يوم الأحزاب، وفي لفظ حين أجلى عنه الأحزاب: «الآن نغزوهم ولا يغزونا، نسير إليهم».

١٩٣ - وعن جابر قال: (إنا يوم الخندق نحفر فعرضت كدية شديدة، ف جاءوا إلى النبي ﷺ، فقالوا: هذه كدية عرضت في الخندق. فقال: «أنا نازل»، ثم قام وبطنه معصوب بحجر، ولبشنا ثلاثة أيام لا ندوق

١٩٢ - رواه البخاري في المغازي ٤٠٨/٨، ٤٠٩ من فتح الباري من طريقين.

١٩٣ - رواه البخاري في المغازي ٣٩٨/٨، ٤٠١ من فتح الباري.

(١) ويقال لها الأحزاب لتحزب الكفار واجتماعهم على حرب النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم، وكانت من الغزوات العظيمة والوقائع الخطيرة، وكانت في السنة الرابعة عند البخاري تبعاً لموسى بن عقبة، والصحيح أنها كانت في السنة الخامسة كما قاله الجمهور، وكان السبب في هذه الغزوة أن أشراف يهود بني النضير بعد أن أجلاهم النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم أرادوا الانتقام منه فذهب وفد منهم لمكة المكرمة فاتصلوا بكفار قريش وحرّضوهم على محاربة المسلمين، فتحزّبوا وجمعوا القبائل العربية من غطفان وبني مُرّة وبني سُليم وبني أسد وساندتهم أيضاً يهود قريظة ومن تبعهم، وكان القائد العام لكل للكل أبو سفيان فزحفوا اتجه المدينة بجيش قويّ عظيم إذ كان عددهم عشرة آلاف مقاتل، بينما كان المسلمون ثلاثة آلاف، فتحصّن المسلمون بالخندق التي حفروها باقتراح سلمان الفارسي، ودام حصار الكفار ومرابطة المسلمين أياماً وليالي حتى أجلاهم الله عز وجل وألقى في قلوبهم الرعب وأرسل عليهم ريحاً وجنوداً من عنده فانسحبوا مرعوبين خائين ونصر الله حزبه وأعزّ جنده وأمن المسلمون واطمأنوا.

ذواقاً، فأخذ النبي ﷺ المِعول فضرب فعاد كثيراً أهيل، فقلت: يا رسول الله، إئذن لي إلى المنزل، ففعل، فقلت لامرأتي: رأيت بالنبي ﷺ شيئاً ما كان في ذلك صبر، فعندك شيء؟ قالت: عندي شعير وعناق، فذبحت العناق وطحنت الشعير حتى جعلنا اللحم في البرمة، ثم جئت النبي ﷺ، فقلت: طعيم لي، فقم أنت يا رسول الله ورجل أو رجلان، قال: «كم هو؟» فذكرت له، قال: «كثير طيب»، قال: «قل لها لا تنزع البرمة ولا الخبز من التنور حتى آتي، فقال: قوموا»، فقام المهاجرون والأنصار، فلما دخل على امرأته، قال: ويحك، جاء النبي ﷺ بالمهاجرين والأنصار ومن معهم، قالت: هل سألك؟ قال: نعم، فقال: «ادخلوا ولا تضغطوا»، فجعل يكسر الخبز ويجعل عليه اللحم ويخمر البرمة والتنور إذا أخذ منه، ويقرب إلى أصحابه ثم ينزع، فلم يزل يكسر الخبز ويغرف حتى شبعوا، وبقي بقية قال: «كلي هذا وأهدي فإن الناس أصابتهم مجاعة».

* - وفي رواية: (لما حضر الخندق رأيت بالنبي ﷺ خمصاً شديداً فانكفأت إلى امرأتي فقلت: هل عندك شيء؟ فإنني رأيت برسول الله ﷺ خمصاً شديداً، فأخرجت إليّ جراباً فيه صاع من

* - رواه البخاري في المغازي ٤٠٢/٨ من فتح الباري، ومسلم في الأشربة ٢١٥/١٣ من شرح النووي وكذا الدارمي رقم ٤٣.

* - كُدْيَة: بضم الكاف وسكون الدال هي قطعة من الأرض غليظة لا تؤثر فيها الفؤوس. معصوب: أي مربوط عليه بعصاة. لا نذوق ذواقاً: أي لا نأكل طعاماً. المِعول: بكسر الميم هي الفأس. كثيراً: أي صار رملًا. أهيل: بفتح الهمزة وسكون الهاء، أي سائلاً. عناق: بفتح العين هي الأنثى من أولاد المعز قبل أن يتم لها سنة. التَّنور: بفتح التاء والنون المشددة المضمومة، هو المخبز والفرن. وَيُجِّك: بفتح الواو والحاء بينهما ياء ساكنة كلمة يراد بها الشفقة والحنان. ولا تضغطوا: أي لا تتزاحموا. ويخمر البرمة: أي يغطيها. مجاعة: بفتح الميم أي جوعاً، ويقال تخمصت. فانكفأت: أي =

شعير، ولنا بهيمة داجن، فذبحتها وطحنت الشعير، ثم وليت إلى رسول الله ﷺ فجئته فساررته، فقلت: يا رسول الله، ذبحنا بهيمة لنا وطحنا صاعاً من الشعير، فتعال أنت ونفر معك، فصاح النبي ﷺ: «يا أهل الخندق، إنَّ جابراً قد صنع سوراً فحياً هلا بكم»، فقال رسول الله ﷺ: «لا تنزلن برمتكم ولا تخبزن عجينكم حتى أجيء»، فجئت وجاء رسول الله ﷺ يقدم الناس، فأخرجت له عجينةً فبصق فيه وبارك، ثم عمد إلى برمتنا فبصق وبارك، فأقسم بالله لقد أكلوا وهم ألف حتى تركوه وانحرفوا، وإنَّ برمتنا لتغط كما هي وإنَّ عجيننا ليخبز كما هو) .

١٩٤ - وعن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور» .

١٩٥ - وعن عبدالله بن أبي أوفى رضي الله تعالى عنه، قال: دعا رسول الله ﷺ على الأحزاب: «اللهم منزل الكتاب، سريع الحساب، اهزم الأحزاب وزلزلهم» .

١٩٤ - رواه البخاري ومسلم ١٩٧/٦ من شرح النووي كلاهما في الاستسقاء، ورواه البخاري أيضاً في المغازي ٤٠٥/٨ من فتح الباري .
١٩٥ - رواه البخاري في المغازي ٤١٠/٨ من فتح الباري ومسلم في الجهاد .

= مُلَّت ورجعت. جِراباً: بكسر الجيم، وعاء من أديم أو غيره. داجن: الداجن هي الشاة المطلقة في المنزل. فساررته: كلَّمته سراً. فصاح: أي نادى. سوراً: أي بقية من الطعام لأن السور هو الباقي. فحياًهلا: أي تعالوا. لتغط: أي لتغلي، والغطيط الصوت.
١٩٤ - بالصُّبا: بفتح الصاد ربح الشرق، والدبور عكسها.

١٩٥ - وزلزلهم: أي حرَّك قلوبهم بالرعب والشدائد وهزها وأرجفها، وقد فعل عز وجل .

ما وقع في غزوة قريظة من الآيات^(١)

١٩٦ - عن أنس قال: (كأني أنظر إلى الغبار ساطعاً في زقاق بني غنم، موكب جبريل حين سار رسول الله ﷺ إلى بني قريظة).

١٩٧ - وعن عائشة رضي الله عنها قالت: (أصيب سعد بن معاذ يوم الخندق رماه رجل من قريش يقال له: حبان بن العرقة في الأكل، فضرب النبي ﷺ خيمة في المسجد ليعوده من قريب، فلما رجع رسول الله ﷺ من الخندق وضع السلاح واغتسل، فأتاه جبريل وهو ينفض رأسه من الغبار، فقال: قد وضعت السلاح، والله ما وضعت، اخرج إليهم، فقال النبي ﷺ: فأين؟ فأشار إلى بني قريظة، فأتاهم رسول الله ﷺ فنزلوا على حكمه، فرد الحكم إلى سعد، قال: فإني

١٩٦ - رواه البخاري في المغازي. انظر الفتح ٤١١/٨.

١٩٧ - رواه البخاري في المغازي. انظر الفتح ٤١٦/٨، ٤١٩، ومسلم بشرح النووي ٩٤/١٢، ٩٦ في الجهاد والسير أيضاً.

(١) قريظة: إحدى قبائل اليهود التي كانت بضواحي المدينة، وسبب خروج النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم إليهم نقضهم العهد وتحزيمهم مع قريش في غزوة الخندق ضد النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم والمسلمين، فحاصرهم في حصونهم خمسة وعشرين يوماً إلى أن نزلوا على حكمه، فأحاطهم على سعد، وكانت هذه الواقعة في السنة الخامسة عقب غزوة الخندق.

١٩٧، ١٩٦ - ساطعاً: أي مرتفعاً. في زقاق: بضم الزاي، هي السكة والطريق. موكب: بفتح الميم ثم واو ساكنة وكاف مكسورة آخره باء موحدة، يطلق على القوم الركوب على الإبل، وعلى جماعة الفرسان وعلى بابة من السير. الأكل: هو عرق في اليد. فنزلوا على حكمه: إلخ: وإنما فوّض =

أحكم فيهم أن تقتل المقاتلة، وأن تسبى النساء والذرية، وأن تقسم أموالهم، فقال سعد: اللهم إنك تعلم أنه ليس أحد أحب إليّ أن أجاهدكم فيك من قوم كذبوا رسولك ﷺ وأخرجوه، اللهم فإن أظن أنك قد وضعت الحرب بيننا وبينهم، فإن كان قد بقي من حرب قريش شيء فأبقني له حتى أجاهدكم فيك، وإن كنت قد وضعت الحرب فاجرها واجعل موتتي فيها، فانفجرت من لبتة... فمات منها).

١٩٨ - وعن أنس قال: لما حملت جنازة سعد بن معاذ، قال المنافقون: ما أخف جنازته، وذلك لحكمه في بني قريظة، فبلغ ذلك النبي ﷺ، فقال: «إن الملائكة كانت تحمله».

١٩٨ - رواه الترمذي في المناقب رقم ٣٦٠٩ بتهذيبي، وصححه، وهو كما قال، فسنده على شرط الصحيح.

= الحكم فيهم إلى سعد لأنه كان من حلفائهم في الجاهلية، فحكم فيهم بحكم الله، فلم تأخذه في ذلك عاطفة، ولا خشي لومة لائم، فقتل النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم منهم في ضحوة سبعمئة رجل. فانفجرت: يعني الضربة. من لبتة: بفتح اللام والباء، هو المنحر من العنق.

١٩٨ - إن الملائكة...: فيه منقبة عظيمة لسعد بن معاذ، وهو يدل على أن الملائكة قد تشارك في حمل بعض الجنازة من صالحى بني الإنسان.

ما وقع في قتل أبي رافع من الآيات^(١)

١٩٩ - عن البراء رضي الله تعالى عنه قال: (بعث رسول الله ﷺ إلى أبي رافع اليهودي رجلاً من الأنصار، فأمر عليهم عبد الله بن عتيك، وكان أبو رافع يؤذي رسول الله ﷺ ويعيب عليه، وكان في حصن له بأرض الحجاز، فلما دنوا منه وقد غربت الشمس وراح الناس بسرّحهم، فقال عبد الله لأصحابه: اجلسوا مكانكم فإني منطلق ومتلطف للبواب لعلي أن أدخل، فأقبل حتى دنا من الباب، فتقنّع بثوبه كأنه يقضي حاجته، وقد دخل الناس، فهتف به البواب: يا عبد الله، إن كنت تريد أن تدخل فادخل، فإني أريد أن أغلق الباب، فدخلت فكمنت، فلما دخل الناس أغلق الباب، ثم علق الأغاليق على وتد.

قال: فقامت إلى الأقاليد فأخذتها ففتحت الباب، وكان أبو رافع يُسمر عنده وكان في علالي له، فلما ذهب عنه أهل سمره صعدت إليه، فجعلت كلما فتحت باباً أغلقت عليّ من داخل.

١٩٩ - رواه البخاري في الجهاد. انظر الفتح ٤٩٦/٦ وفي المغازي ٣٤٤/٨، ٣٤٨ من طرق.

(١) كان هذا الحادث في السنة السادسة عند ابن سعد، وقيل غير ذلك، وأبو رافع هذا هو ابن أبي الحقيق، كان مسكنه في حصن قريب من خيبر، وكان يعتبر أكبر تاجر يهودي في الحجاز. ١٩٩ - سرّحهم: بفتح السين وسكون الراء، أي مواشيهم. تقنّع: أي غطى رأسه بثوب. هتف: أي ناداه وصاح به. فكمنت: أي اختبأت. الأغاليق: المفاتيح. الأقاليد: هي المفاتيح أيضاً، واحدها إقليد. يُسمر عنده: بالبناء للمجهول، يتحدث الناس عنده ليلاً. علالي: واحدها عليه، أي =

قلت: إن القوم نذروا بي لم يخلصوا إليّ حتى أقتله، فانتهيت إليه، فإذا هو في بيت مظلم وسط عياله، لا أدري أين هو من البيت، فقلت: يا أبا رافع، فقال: مَنْ هذا؟ فأهويت نحو الصوت فأضربه ضربة بالسيف وأنا دهش فما أغنيت شيئاً، وصاح فخرجت من البيت، فأمكث غير بعيد، ثم دخلت إليه، فقلت: ما هذا الصوت يا أبا رافع؟ فقال: لأمك الويل، إن رجلاً في البيت ضربني قَبْلَ بالسيف، قال: فأضربه ضربة أنختته ولم أقتله، ثم وضعت ضبيب السيف في بطنه حتى أخذ في ظهره، فعرفت أنني قتلته.

فجعلت أفتح الباب باباً باباً حتى انتهيت إلى درجة له، فوضعت رجلي وأنا أرى أنني قد انتهيت إلى الأرض فوقعت، في ليلة مقمرة، فانكسرت ساقِي، فعصبتها بعمامة، ثم انطلقت حتى جلست على الباب، فقلت: لا أخرج الليلة حتى أعلم أقتلته، فلما صاح الديك قام الناعي على السور، فقال: أنعي أبا رافع تاجر أهل الحجاز، فانطلقت إلى أصحابي، فقلت: النجاء، فقد قتل الله أبا رافع، فانتهيت إلى النبي ﷺ فحدثته، فقال لي: «أبسط رجلك»، فبسطت رجلي فمسحها، فكانها لم أشتكها قط).

= غرفة. نذِر: بكسر الذال، أي علموا بي. لم يخلصوا: أي لم يصلوا إلي. فأهويت: أي قصدت جهته. أنختته: أي أوهنته. ضبيب: بالضاد على وزن رغيف، والصحيح أنه بالظاء وهو طرف حد السيف. فعصبتها: أي شدتها. فلما صاح: أي صرخ.

ما وقع في قتل خالد بن سفيان بن نبيح الهذلي

٢٠٠ - عن عبدالله بن أنيس رضي الله تعالى عنه قال: (دعاني رسول الله ﷺ، فقال: «إنه قد بلغني أن خالد بن سفيان بن نبيح يجمع لي الناس ليغزوني، وهو بعُرنة، فأته فاقتله». قال: يا رسول الله، انعتة لي حتى أعرفه، قال: «إذا رأيته وجدت له أَقْشَعْرِيْرَةَ»، قال: فخرجت متوشحاً بسيفي حتى وقعت عليه وهو بعرنة مع ظُعن يرتاد لهنّ منزلاً، وحين كان وقت العصر.

٢٠٠ - رواه أحمد في المسند ٤٩٦/٣، وأبو داود في السنن رقم ١٢٤٩، والبيهقي ٢٥٥/٣ من طريق ابن إسحاق قال: حدثني محمد بن جعفر بن الزبير، عن ابن عبدالله بن أنيس، عن أبيه به، والسياق لأحمد ورجاله ثقات غير ابن عبدالله فقيل: هو عبدالله، وقيل ضمرة، والأول أصح، كما ذكره ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل ساكناً عن حاله، أما ابن حبان فذكره في الثقات، والرجل مجهول، لأنه لم يرو عنه غير محمد بن جعفر، وهو وإن كان ثقة من رجال الشيخين فإنه لا يرفع عنه الجهالة، نعم لو وثقه غير ابن حبان لأمكن ذلك، ومع هذا فقد سكت عنه أبو داود والمنذري وحسنه الحافظ في الفتح، والله تعالى أعلم، على أن القصة ذكرها موسى بن عقبة وعروة بن الزبير في مغازيها مرسله، فالحديث محتمل للتحسين.

٢٠٠ - بِعُرْنَة: بضم العين ثم راء ونون مفتوحتين، واد بحذاء عرفات. أَقْشَعْرِيْرَة: بضم الهمزة والقاف وفتح الشين ثم عين ساكنة بعدها راء مكسورة فياء ثم راء مفتوحة، هي رعدة تصيب الإنسان من الخوف. ظُعن: بضم الظاء والعين جمع طعينة، والمراد نساؤه. يرتاد: أي يطلب لهنّ. =

فلما رأيته وجدت ما وصف لي رسول الله ﷺ من الأَقْشَرِيرَةَ فأقبلت نحوه، وخشيت أن يكون بيني وبينه محاولة تشغلني عن الصلاة، فصليت وأنا أمشي نحوه، أومئ برأسي الركوع والسجود.

فلما انتهيت إليه، قال: مَنْ الرجل؟ قلت: رجل من العرب سمع بك ويجمعك لهذا الرجل فجاءك لهذا، قال: أجل أنا في ذلك.

قال: فمشيت معه شيئاً حتى إذا أمكنتني حملت عليه بالسيف حتى قتلت، ثم خرجت وتركت ظعائنه مكباتٍ عليه.

فلما قدمت على رسول الله ﷺ فرآني، فقال: «أفلق الوجه»، قال: قلت: قتلت يا رسول الله، قال: «صدقت».

قال: ثم قام معي رسول الله ﷺ، فدخل بيته فأعطاني عصا، فقال: «أمسك هذه عندك يا عبدالله بن أنيس».

قال: فخرجت بها على الناس، فقالوا: ما هذه العصا؟ قال: قلت: أعطانيها رسول الله ﷺ، وأمرني أن أمسكها، قالوا: أولا ترجع إلى رسول الله ﷺ، فتسأله عن ذلك.

قال: فرجعت إلى رسول الله ﷺ، فقلت: يا رسول الله، لم أعطيتني هذه العصا؟ قال: «آية بيني وبينك يوم القيامة، إن أقل الناس المتخَصَّرُونَ يومئذ يوم القيامة»، فقرنها عبد الله بسيفه، فلم تزل معه حتى إذا مات أمر بها فصبَّت معه في كفنه ثم دفنا جميعاً.

= أجل: أي نعم. المتخَصَّرُونَ: أي المتكثرون على المخاصر جمع مخصرة، وهي ما يمسكه الإنسان بيده من عصا ونحوها.

وفي هذا الحديث وما قبله مغامرة رائقة وفداء رائع من الصحابة رضوان الله عليهم ضد من كان وقتهم يعادي الإسلام ويكيد لأهله فجزاهم الله عنا وعن الإسلام ونبيه خيراً.

ما وقع في غزوة بني المُصْطَلِقِ من الآيات^(١)

٢٠١ - عن جابر أن النبي ﷺ قدم من سفر، فلما كان قرب المدينة هاجت ريح تكاد تدفن الراكب فقال رسول الله ﷺ: «بعثت هذه الريح لموت منافق، فلما قدمنا المدينة إذا هو قد مات عظيم من عظماء المنافقين».

٢٠٢ - وعن عائشة قالت: (كان رسول الله ﷺ إذا أراد سفرًا أقرع بين أزواجه، فأيتُّهنَّ خرج سهمها خرج بها معه، فأقرع بيننا في غزوة غزاه، فخرج فيها سهمي، فخرجت مع رسول الله ﷺ بعدما أنزل

٢٠١ - رواه مسلم في كتاب المنافقين، ١٢٧/١٧ بشرح النووي وكذا أحمد ٣٤١/٣، ٣٤٦ من طريقين.

٢٠٢ - رواه البخاري في تفسير سورة النور، انظر الفتح ٦٨/١٠، ٩٣، ورواه في الجهاد وفي الشهادات وفي الأيمان والنذور وفي التوحيد مختصراً.

(١) المُصْطَلِقُ: بضم الميم وسكون الصاد وفتح الطاء ولام مكسورة، وهو لقب لبطن من بني خزاعة، ويقال: المُرَيْسِيعُ، وهو بضم الميم وفتح الراء وياء ساكنة ثم سين مكسورة: اسم ماء حصلت عنده الوقعة، وكانت سنة أربع على الصحيح، وقيل: خمس، وفيها أسرت جويرية أم المؤمنين.

٢٠١ - هاجت: أي تحركت ريح شديدة الهبوب.

٢٠٢ - هذا حديث عظيم الشأن، يعرف بحديث الإفك، وفيه فوائد وعلوم وأحكام وآداب غزيرة، وفيه فضل عائشة الصديقية وشرفها وعلو منزلتها عند الله تعالى، وانظر فوائد الحديث في فتح الباري ٩٦/١٠، ٩٧، ٩٨.

أقرع: يعني عمل القرعة بينهم، وهي مشروعة مستثناة من الاستقسام بالأزلام، وقد جاءت بها =

الحجاب، فكنت أحمل في هودجي وأنزل فيه، فسرنا حتى إذا فرغ من غزوته تلك وقفل ودنونا من المدينة قافلين، آذن ليلة بالرحيل، فقامت حين آذنوا بالرحيل، فمشت حتى إذا جاوزت الجيش، فلما قضيت شأني أقبلت إلى رحلي، فإذا عَقْد لي من جزع أظفار قد انقطع، فالتمست عِقدي فحبسني ابتغاؤه.

وأقبل الرهط الذين كانوا يرحلونني فاحتملوا هودجي فرحلوه على بعيري الذي كنت ركبت وهم يحسبون أنني فيه، وكان النساء إذ ذاك خفافاً لم يبهلن ولم يغشهن اللحم، إنما يأكلن العلقة من الطعام فلم يستنكر القوم خفة الهودج حين رفعوه وحملوه، وكنت جارية حديثة السن فبعثوا الجمل فساروا، فوجدت العِقد بعدما استمر الجيش، فجئت منازلهم وليس بها داع ولا مجيب، فأمرت منزلي الذي كنت به، وظننت أنهم سيفقدوني فيرجعون إلي، فبينما أنا جالسة في منزلي غلبتني عيناى فممت.

وكان صفوان بن المعطل السلمي ثم الذكواني من وراء الجيش، فأصبح عند منزلي فرأى سواد إنسان نائم، فأتاني فعرفني حين رأني، وكان يراني قبل الحجاب، فاستيقظت باسترجاعه حين عرفني، فخمّرت وجهي بجلباي، والله ما كلمني كلمة ولا سمعت منه كلمة غير

= أحاديث، بل جاء بذكرها القرآن في قصة زكريا وفي قصة يونس عليهما السلام. هودجي: الهودج: بفتح الهاء وسكون الواو مَحْمَلٌ له قبة يوضع على البعير، كان النساء يركبنه. وقفل: أي رجع. جاوزت: أي خرجت عنه. من جَزَع: بفتح الجيم وسكون الزاي آخره عين: هو خرز في سواده بياض كالعروق يوجد في معادن العقيق. ظفار: بفتح الظاء: مدينة باليمن، وجاء في رواية أظفار بالالف ويكون معناه أن عقدها كان من خرز الظفر أحد أنواع القسط وهو طيب الرائحة يتبخر به والله أعلم. يبهلن: المشهور في ضبطه بضم الياء وفتح الهاء وكسر الباء المشددة وهو بمعنى لم يغشهن. اللحم: أي لم يكثر عليهن ويركب بعضه بعضاً. فتيّمت: أي قصدت. باسترجاعه: أي بقوله إنا لله وإنا إليه راجعون. فخمّرت: أي غطيت. بجلباي: أي بملحفتي. مُوغِرِين: بضم الميم وكسر الغين =

استرجاعه، حتى أناخ راحلته فوطىء على يديها فركبتها، فانطلق يقود بي الراحلة حتى أتينا الجيش بعدما نزلوا موغرين في نحر الظهيرة، فهلك من هلك، وكان الذي تولى الإفك عبدالله بن أبي بن سلول.

فقدمنا المدينة فاشتكت حين قدمت شهراً، والناس يفيضون في قول أصحاب الإفك ولا أشعر بشيء من ذلك، وهو يريني في وجعي أنني لا أعرف من رسول الله ﷺ اللطف الذي كنت أرى منه حين أشتكي، إنما يدخل عليّ رسول الله ﷺ فيسلم، ثم يقول: «كيف تيكم؟» ثم ينصرف، فذلك الذي يريني، ولا أشعر بالشر، حتى خرجت بعدما نقهت، فخرجت مع أم مسطح قبل المناصع، وهو متبرزنا، وكنا لا نخرج إلا ليلاً إلى ليل، وذلك قبل أن تتخذ الكنف قريباً من بيوتنا، وأمرنا أمر العرب الأول في التبرز قبل الغائط، فكنا نتأذى بالكنف أن نتخذها عند بيوتنا، فانطلقت أنا وأم مسطح، وهي ابنة أبي رهم بن عبد مناف، وأمها بنت صخر بن عامر خالة أبي بكر الصديق، وابنها مسطح بن أثانة. فأقبلت أنا وأم مسطح قبل بيتي، وقد فرغنا من شأننا فعثرت أم مسطح في مرطها، فقالت: تعس مسطح فقلت لها: بئس ما قلت، تسبين رجلاً شهد بدرًا!! قالت: أي هنتاه أو لم تسمعي ما قال،

= ثم راء مكسورة كذلك، أي نازلين في وقت الوغرة وهي شدة الحرارة. نحر الظهيرة: أي في أول وقت شدة الحر وذلك في نهاية ارتفاع الشمس. فهلك: أي فتكلم في عرضي بالقذف من تكلم. كبر الإفك: أي معظم الكذب. فاشتكت: أي مرضت. يفيضون: بضم الياء: أي يخوضون. يريني: بضم الياء وفتحها من الريب، يقال رابني فلان وأرابني إذا رأيت ما تكرهه. تيكم: بكسر التاء اسم إشارة للمؤنث مثل ذلكم للمذكر. ولا أشعر: أي لا أعلم ولا أظن لذلك. نقهت: بفتح القاف: أي أفقت من مرضي. قبل المناصع: أي جهتها وهو موضع واسع خارج المدينة. متبرزنا: بضم الميم ثم تاء وباء مفتوحين وراء مشددة مفتوحة: أي موضع برازنا وقضاء حاجتنا. في مرطها: بكسر الميم، أي لباسها وهو في الغالب يكون من صوف أو شعر.

تعس: بفتح التاء وكسر العين وقد تفتح، ومعناه هلك أو لزمه الشر أو كبّ لوجهه.

أي هنتاه: أي حرف نداء وهنتاه بفتح الهاء وسكون النون وقد تفتح وهو نداء من أم مسطح =

قالت: قلت: وما قال؟ قالت: فأخبرتني بقول أهل الإفك فازددت مرضاً على مرض.

قالت: فلما رجعت إلى بيتي دخل علي رسول الله ﷺ فسلم، ثم قال: «كيف تيكمن؟» فقلت: أتأذن لي أن آتي أبوي، قالت: وأنا حينئذ أريد أن أستيقن الخبر من قبلهما، قالت: فأذن لي رسول الله ﷺ، فجئت أبوي فقلت لأمي: يا أمته، ما يتحدث الناس؟ قالت: يا بُنَيَّة هُونِي عليك، فوالله لقلماً كانت امرأة قط وَضِيئَةٌ عند رجل يحبها ولها ضرائر إلا أكثرن عليها. قالت: فقلت: سبحان الله، أو تحدثت الناس بهذا؟ قالت: فبكيت تلك الليلة حتى أصبحت لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم حتى أصبحت أبكي.

فدعا رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب وأسامة بن زيد رضي الله عنهما حين استلبت الوحي يسألهما ويستشيرهما في فراق أهله، فأما أسامة فأشار عليه بالذي يعلم من براءة أهله، والذي يعلم لهم في نفسه من الود، فقال: يا رسول الله أهلك وما نعلم إلا خيراً، وأما علي بن أبي طالب فقال: يا رسول الله لم يضيق الله عليك والنساء سواها كثير، وإن تسأل الجارية تصدقك، قالت: فدعا رسول الله ﷺ بريرة فقال: «أي بريرة هل رأيت من شيء يريبك؟» قالت: بريرة، لا، والذي بعثك بالحق إن رأيت عليها أمراً أغمصه عليها أكثر من أنها جارية حديثه السن تنام عن عجين أهلها فتأتي الداجن فتأكله.

= لعائشة كأنها قالت لها: يا بلهى أو يا قليلة المعرفة أو نحو ذلك. هوني: أي خففي. وضيئة: من الوضأة، أي جميلة.

ضرائر: جمع ضرة وأصلها الأمور المختلفة وسمي به النساء لعدم اتصافهن، وقيل: سمي الزوجات بذلك لأن كل واحدة منهن يحصل لها الضرر من الأخرى بالغيرة. لا يرقأ: أي لا ينقطع. ولا أكتحل بنوم: وهو عبارة عن السهر. استلبت: أي طال لبث نزوله وتأخر. أغمصه: أي أعيبه.

فقام رسول الله ﷺ، فاستعذر يومئذ من عبدالله بن أبي بن سلول.
قالت: فقال رسول الله ﷺ وهو على المنبر: «يا معشر المسلمين، من
يعذرني من رجل قد بلغني أذاه في أهل بيتي، فوالله ما علمت على
أهلي إلا خيراً، ولقد ذكروا رجلاً ما علمت عليه إلا خيراً، وما كان
يدخل على أهلي إلا معي.»

فقام سعد بن معاذ الأنصاري فقال: يا رسول الله أنا أعذرک منه،
إن كان من الأوس ضربت عنقه، وإن كان من إخواننا من الخزرج أمرتنا
ف فعلنا أمرک.

قالت: فقام سعد بن عباد، وهو سيد الخزرج، وكان قبل ذلك
رجلاً صالحاً، ولكن احتملته الحمية، فقال لسعد: كذبت لعمر الله لا
تقتله ولا تقدر على قتله.

فقام أسيد بن حضير وهو ابن عم سعد، فقال لسعد بن عباد:
كذبت لعمر الله لنقتلنه، فإنك منافق تجادل عن المنافقين، فتاور الحيان
الأوس والخزرج حتى همّوا أن يقتلوا، ورسول الله ﷺ قائم على المنبر،
فلم يزل رسول الله ﷺ يخفضهم حتى سكتوا وسكت.

قالت: فبكيت يومي ذلك لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم، حتى
إني لأظن أن البكاء فالتق كبدتي، فبينما أبواي جالسان عندي، وأنا أبكي
فاستأذنت عليّ امرأة من الأنصار فأذنت لها، فجلست تبكي معي فبينما
نحن على ذلك، دخل رسول الله ﷺ ثم جلس ولم يجلس عندي منذ
قيل ما قيل قبلها، وقد لبث شهراً لا يوحى إليه في شأنني بشيء، فتشهد
حين جلس، ثم قال: «أما بعد، يا عائشة إنه بلغني عنك كذا وكذا، فإن

الداجن: أي الشاة التي تألف البيوت. فاستعذر: أي طلب من يعذره وينصفه منه. ألمت: أي وقع =

كنت بريئة فسيرتك الله، وإن كنت ألممت بذنب فاستغفري الله وتوبي إليه، فإن العبد إذا اعترف ثم تاب تاب الله عليه»، فلما قضى مقالته قلص دمعي حتى ما أحسُّ منه قطرة، فقلت لأبي: أجب رسول الله عني فيما قال، فقال: والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ، فقلت لأمي: أجيبي رسول الله ﷺ، فقالت: والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ، فقلت: وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ كثيراً من القرآن: إني والله لقد علمت أنكم لقد سمعتم هذا الحديث حتى استقرَّ في أنفسكم وصدَّقتم به، فلئن قلت لكم: أني بريئة لا تصدقوني، ولئن اعترفت لكم بأمر والله يعلم أني منه بريئة لتصدقني، فوالله لا أجد لي ولكم إلا قول أبي يوسف حين قال: ﴿فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون﴾.

ثم تحوّلت واضطجعت على فراشي وأنا أعلم أن الله مبرئي، ولكن والله ما كنت أظن أن الله ينزل في شأني وحيّاً يتلى، ولشأني في نفسي كان أحقر من أن يتكلم الله فيّ بأمر، ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله ﷺ في النوم رؤيا يبرئني الله بها، فوالله ما رام رسول الله ﷺ من مجلسه ولا خرج أحد من أهل البيت حتى أنزل الله عليه، فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء، حتى أنه يتحدر منه من العرق مثل الجمان وهو في يوم شات من ثقل القول الذي أنزل عليه، فسري عنه وهو يضحك، فكان أول كلمة تكلم بها أن قال: «يا عائشة أما الله فقد برأك»، فقالت لي

= منك على خلاف العادة. قَلَصَ: بفتح القاف واللام، أي انقطع نزوله واستمسك. استقر: أي ثبت. أحقر: يعني أقل من ذلك وأسقط، وهذا من تواضعها. ما رام: أي فارق وهو من الريم، وأما رام بمعنى طلب فهو من الروم. البرحاء: بضم الباء وفتح الراء، هو شدة الحر أو الكرب. يتحدر: أي ينزل منه، الجمان بضم الجيم ثم ميم مخففة هو اللؤلؤ. فسري: أي كشف وهو بضم السين وكسر الراء المشددة.

أمي : قومي إليه ، فقلت : والله لا أقوم إليه ولا أحمد إلا الله ، وأنزل الله : ﴿إن الذين جاءوا بالإفك﴾ العشر الآيات .

قال الزمخشري : لم يقع في القرآن من التغليظ في معصية ما وقع في قصة الإفك بأوجز عبارة وأشبعها لاشتمالها على الوعيد الشديد والعتاب البليغ والزجر العنيف واستعظام القول بذلك واستشناعه بطرق مختلفة وأساليب متفننة كل واحد منها كاف في بابه ، بل ما وقع من وعيد عبدة الأوثان إلا بما هو دون ذلك ، وما ذلك إلا لإظهار منزلة رسول الله ﷺ وتطهير من هو منه بسبيل .

وقال القاضي أبو بكر الباقلاني : إنَّ الله إذا ذكر في القرآن ما نسبه إلى المشركين ، سبَّح نفسه لنفسه كقوله تعالى : ﴿وقالوا اتخذ الرحمن ولداً سبحانه﴾ ، في آيٍ كثيرة .

وذكر تعالى ما نسبه المنافقون إلى عائشة فقال : ﴿سبحانك هذا بهتان عظيم﴾ فسبَّح نفسه في تبرئتها من السوء ، كما سبَّح نفسه في تبرئته من السوء .

ما وقع في قصة العرنيين من الآيات

٢٠٣ - عن أنس (أن رهطاً من عُكْلٍ وعُرَيْنَةَ قدموا المدينة على النبي ﷺ، وتكلموا بالإسلام، فقالوا: يا نبي الله إنا كنا أهل ضرع ولم نكن أهل ريف، واستوخموا المدينة فأمر لهم رسول الله ﷺ بذود وراعٍ وأمرهم أن يخرجوا فيشربوا من ألبانها وأبوالها فانطلقوا حتى إذا كانوا ناحية الحرة كفروا بعد إسلامهم وقتلوا راعي النبي ﷺ واستاقوا الذود، فبلغ النبي ﷺ، فبعث الطلب في آثارهم، فأمر بهم فسمروا أعينهم وقطعوا أيديهم وتركوا في ناحية الحرة حتى ماتوا على حالهم).

٢٠٣ - رواه البخاري في الطهارة ١/٣٤٩، ٣٥٤ من فتح الباري وفي المغازي ٨/٤٦٤، وفي الطب، وفي الديات، وفي مواضع، ومسلم في القسامة، وكذا رواه غيرها.

٢٠٣ - عُكْلٍ: بضم العين وسكون الكاف، . عُرَيْنَةَ: بضم العين وفتح الراء وسكون الياء، وهما قبيلتان. واستوخموا: أي اجتروا كما في رواية أخرى، ومعناه: لم يوافقهم هواؤها. بذود: الذود من الإبل ما بين الثلاث إلى العشر. وفي هذا الحديث أحكام وفوائد كثيرة، ولذلك ذكره البخاري في عدة مواضع.

ما وقع عام الحديبية^(١) من الآيات والمعجزات

٢٠٣ م - عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم قالوا: (خرج رسول الله ﷺ زمن الحديبية في بضع عشرة مائة من أصحابه فلما أتى ذا الحليفة قلد الهدى وأشعره وأحرم منها بعمرة، وبعث عيناً له من خزاعة وسار حتى إذا كان بغدير الأشطاط أتاه عينه، فقال: إن قريشاً جمعوا لك جمعوا، وقد جمعوا لك الأحابيش، وهم مقاتلوك وصادوك ومانعوك، فقال: «أشيروا أيها الناس عليّ أترون أن أميل على عيالهم وذراري هؤلاء الذين يريدون أن يصدونا عن البيت، أم ترون أن نؤم البيت فمن صدنا عنه قاتلناه؟» فقال أبو بكر: يا رسول الله، خرجت عامداً لهذا البيت لا

٢٠٣ م - رواه البخاري في الشروط ٦/٢٥٧، ٢٨٠ من فتح الباري مطولاً وفي المغازي مختصراً ٨/٤٥٩، ٤٦٠.

(١) الحديبية: موضع قرب مكة المكرمة، بينها نحو من عشرين كيلو، وهي نهاية الحرم من ناحية الغروب، وكان هذا الحادث في السنة السادسة، وكان السبب فيها رؤيا رآها رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم، فقد رأى كأنه دخل مكة هو وأصحابه معتمرين محلقيين ومقصرين فنادى فيهم بذلك وخرج بهم قاصداً مكة للاعتمار، فلما وافوا الحديبية خرج المشركون فصدوهم عن الدخول وبعد مفاوضات صالحهم النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم على عدة نقاط، كان منها عدم دخولهم مكة تلك السنة وكان في ذلك فتح مبين وخير كبير.

٢٠٣ م - بضع: بكسر الباء ما بين الثلاثة إلى التسعة. ذا الحليفة: هو آبار علي، موقت إحرام أهل المدينة ومن مر عليه. قلد الهدى: أي جعل في عنق الجمال القلائد إشعاراً بأنها مساقاة إلى حرم الله. وأشعره: الإشعار أن يجرح الهدى في ظهره ويسلته دمه. عيناً: أي أرسل من يتجسس له الأخبار. الأحابيش: هم أحياء من القارة انضموا إلى بني ليث في محاربتهم قريشاً. والتجشش: التجمع، وقيل: حالفوا قريشاً تحت جبل يسمى حبشياً، فسموا بذلك. تؤم: أي نقصد. =

تريد قتل أحد ولا حرباً، فتوجه له فمن صدنا عنه قاتلناه؟ قال النبي ﷺ: «فامضوا على اسم الله».

حتى إذا كانوا ببعض الطريق قال النبي ﷺ: «إنَّ خالد بن الوليد في خيل لقريش، طليعة، فخذوا ذات اليمين»، فوالله ما شعر بهم خالد حتى إذا هم بقترة الجيش فانطلق يركض نذيراً لقريش، وسار النبي ﷺ حتى إذا كان بالثنية التي يهبط عليهم منها بركت به راحلته، فقال الناس: حَلُّ حَلِّ فَأَلْحَتْ، فقالوا: خلأت القصواء، فقال النبي ﷺ: «ما خلأت القصواء وما ذلك لها بخلق، ولكن حبسها حابس الفيل»، ثم قال: «والذي نفسي بيده لا يسألوني خُطَّةً يعظمون فيها حرمان الله إلا أعطيتهم إياها»، ثم زجرها فوثبت فعدل عنهم حتى نزل بأقصى الحديبية على ثمد قليل الماء يتبرضه الناس تبرضاً، فلم يلبث الناس حتى نزحوه وشكي إلى رسول الله ﷺ العطش فانتزع سهماً من كنانته، ثم أمرهم أن يجعلوه فيه، فوالله ما زال يجيش لهم بالري حتى صدروا عنه.

فبينما هم كذلك إذ جاء بديل بن ورقاء الخزاعي في نفر من قومه، فقال: إني تركت كعب بن لؤي وعامر بن لؤي نزلوا أعداد مياه الحديبية

= طليعة: أي جواسيس بعثوا ليطلعوا على أمر النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم. بقترة الجيش: أي غبار الخيل الأسود. يركض: أي يضرب برجله دابته لتسرع في سيرها. نذيراً: أي مخوفاً لهم، والنذير والمنذر الذي يحذر قومه مما يخافونه من عدو أو غيره. بركت: بفتح الراء، أي استناخت، والمراد بالراحلة الناقة. حَلُّ حَلِّ: مكررة بفتح الحاء وسكون اللام هو زجر للناقة. فَأَلْحَتْ: بفتح الهمزة واللام فحاء مشددة أي حرنت ولزمت مكانها. خلأت: أي حرنت، والقصواء: اسم لناقة رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم. حبسها حابس الفيل: معناه أن الله تعالى حبسها كما حبس فيل أبرهة عن تهديم بيت الله الحرام. خُطَّةً: بضم الحاء: أي أمراً وشيئاً. ثمد: بسكون الميم وفتحها، الماء القليل. يتبرضه: أي يأخذونه قليلاً قليلاً، والبرض الشيء القليل. نزحوه: أي استقوه كله. يجيش: بكسر الجيم، أي يفور ماؤه ويرتفع. حتى صدروا عنه: أي انصرفوا ورجعوا، وصدرت الشاربة عن الورد إذا رجعت. أعداد مياه: واحداً =

معهم العُوذ المطافيل وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت، فقال النبي ﷺ: «إنا لم نجىء لقتال أحد، ولكن جئنا معتمرين، وإن قريشاً قد نهكتهم الحرب وأضرّت بهم، فإن شاؤوا ماددتهم مدة ويحلّوا بيني وبين الناس، فإن أظهر فإن شاؤوا أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس فعلوا، وإلا فقد جمّوا، وإن أبوا فوالذي نفسي بيده لأقاتلنهم على أمري هذا حتى تنفرد سالفتي أو ليُنْفَذَنَّ اللهُ أمره». قال بديل: سأبلغهم ما تقول.

فانطلق حتى أتى قريشاً فقال: إنا جئنا من عند هذا الرجل وسمعناه يقول قولاً، فإن شئتم أن نعرضه عليكم فعلنا، فقال سفهاؤهم: لا حاجة لنا أن نخبرنا عنه بشيء، وقال ذووا الرأي: هات ما سمعته يقول: قال: سمعته يقول كذا وكذا، فحدثهم بما قال رسول الله ﷺ.

فقام عروة بن مسعود فقال: أي قوم أو لستم بالوالد؟ قالوا: بلى، قال: أو لست بالولد؟ قالوا: بلى، قال: فهل تتهموني؟ قالوا: لا، قال: ألستم تعلمون أني استنفرت أهل عكاظ فما بلّحوا عليّ، جئكم بأهلي وولدي ومن أطاعني، قالوا: بلى، قال: فإن هذا قد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها ودعوني آتة، قالوا: إيته.

فأتاه فجعل يكلم النبي ﷺ، فقال النبي ﷺ نحواً من قوله لبديل بن

= عدو وهو الماء الذي لا ينقطع. العُوذ: بضم العين وسكون الواو، جمع عائذ، وهي الناقة ذات اللبن. المطافيل: الأمهات التي معها أطفالها، يريد بذلك أنهم خرجوا مستعدين بالزاد ولا يرجعون حتى يمنعه. نهكتهم: بفتح النون وكسر الهاء، أضعفتهم. ماددتهم: أي جعلت بيني وبينهم مدة ترك فيها الحرب بيننا. فقد جمّوا: بفتح الجيم وضم الميم المشددة: أي استراحوا. سالفتي: بالسین واللام المكسورة: صفحة العنق، كنى بذلك عن القتل، لأن القتل تنفرد مقدمة عنقه. أو ليُنْفَذَنَّ اللهُ أمره: أي ليمضين الله أمره في نصر دينه. سفهاؤهم: أي جهالهم وقليلوا العقل منهم. استنفرت: أي دعوت أهل عكاظ بضم العين وهي سوق كانت في الجاهلية. فما بلّحوا: بالباء المفتوحة فلام مشددة مفتوحة ثم حاء مضمومة، أي امتنعوا، =

ورقاء، فقال عروة عند ذلك: أي محمد، أرايت إن استأصلت أمر قومك، هل سمعت بأحد من العرب اجتاح أصله قبلك، وإن تكن الأخرى فإنني والله لا أرى وجوهاً وإنني لأرى أشواباً من الناس خليفاً أن يفروا ويدعوك، فقال له أبو بكر: أمصص بظُر اللات نحن نفر وندعه، قال: من ذا؟ قال: أبو بكر، قال: أما والذي نفسي بيده لولا يد لك عندي لم أجزك بها لأجبتك، قال: وجعل يكلم النبي ﷺ فكلما كلمه أخذ بلحيته، والمغيرة بن شعبة قائم على رأس النبي ﷺ ومعه السيف وعليه المغفر، فكلما أهوى عروة بيده إلى لحية النبي ﷺ ضرب يده بنصل السيف، وقال: أخر يدك عن لحية النبي ﷺ، فرفع عروة رأسه، وقال: من هذا؟ قالوا: المغيرة بن شعبة، فقال: أي عُدر، ألتست أسعى في غدرتك، وكان المغيرة بن شعبة صحب قوماً في الجاهلية فقتلهم وأخذ أموالهم، ثم جاء فأسلم، فقال النبي ﷺ: «أما الإسلام فأقبل، وأما المال فلست منه في شيء»، ثم إنَّ عروة جعل يرمق أصحاب النبي ﷺ بعينيه، قال: فوالله ما تنخم رسول الله ﷺ نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم فذلكت بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على

= والتبلح التمتع من الإجابة. استأصلت: أي أزلت وقلعت. اجتاح: بالجيم وآخرها حاء، أي أهلك أصله بالكلية. أشواباً: أي أخلاطاً. خليفاً: أي حقيقاً. أمصص: هو يالف وصل وسكون الميم وفتح الصاد الأولى، أمر. وبظُر: بفتح الباء وسكون الظاء قطعة تبقى بعد الختان في فرج المرأة، واللات: اسم صنم كانت قريش وثقيف يعبدونها، وكانت عادة العرب الشتم بذلك، لكن بلفظ امصص بظُر أمك، فأراد أبو بكر المبالغة في سب عروة بإقامة من كان يعبد مقام أمه، كأنه قال له: مُصَّ قطعة فرج أمك. لولا يد لك: اليد هي النعمة. لم أجزك بها: أي لم أكافئك بها، وهذه اليد التي كانت لأبي بكر هي أنه كان أعان عروة في دية كان تحمّلها. أي عُدر: معناه يا غادر فهو معدول وهو بضم الغين على وزن عمر، يشير عروة إلى ما وقع من المغيرة قبل إسلامه من قتل أولئك النفر وأخذ مالهم، وأنَّ عروة وهو عمُّ المغيرة دفع عنه ديتهم. يرمق: بضم الميم، أي يلحظ. نخامة: بضم النون هي النخاعة والبرقة التي تخرج من أقصى الحلق من مخرج الخاء. ابتدروا: أي تسارعوا. وضوءه: بفتح =

وَضَوْءَهُ، وَإِذَا تَكَلَّمَ خَفَضُوا أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَهُ، وَمَا يَحِدُّونَ النَّظَرَ إِلَيْهِ تَعْظِيماً لَهُ.

فرجع عروة إلى أصحابه، فقال: أي قوم، والله لقد وفدت على الملوك كسرى وقیصر والنجاشي، والله إن رأيت ملكاً قط يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمدٍ محمداً، وإنه قد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها.

فقال رجل من كنانة: دعوني آتته، فقالوا: إئته، فلما أشرف على النبي ﷺ وأصحابه، قال: هذا فلان، وهو من قوم يعظمون البدن فابعثوها له، فبعثت له واستقبله الناس يلبون، فلما رأى ذلك، قال: سبحان الله ما ينبغي لهؤلاء أن يُصَدُّوا عن البيت، فلما رجع إلى أصحابه، قال: رأيت البدن قد قُلِّدت وأُشعرت، فما أرى أن يصدوا عن البيت.

فقام رجل منهم يقال له مكرز بن حفص، فقال: دعوني آتته، فقالوا: آتته، فلما أشرف عليهم، قال النبي ﷺ: «هذا مكرز، وهو رجل فاجر»، فجعل يكلم النبي ﷺ، فبينما هو يكلمه إذ جاء سهيل بن عمرو، قال النبي ﷺ: قد سهل لكم من أمركم.

قال معمر: قال الزهري في حديثه: فجاء سهيل بن عمرو، فقال: هات اكتب بيننا وبينكم كتاباً، فدعا النبي ﷺ الكاتب، فقال له النبي ﷺ: «اكتب: بسم الله الرحمن الرحيم»، فقال سهيل بن عمرو: أما

= الواو، أي الماء الفاضل عن طهارته. خفضوا: أي غضوا. وما يُحِدُّونَ: بضم الياء وكسر الحاء: لا يبالغون في النظر إليه. إن رأيت: أي ما رأيت.
قد سهل لكم: أخذ هذا من اسم سهيل، وهو مستثنى من النظائر والتشائم المنهي عنه. ما =

الرحمن، فوالله ما أدري ما هو، ولكن اكتب باسمك اللهم، كما كنت تكتب، فقال المسلمون: والله لا نكتبها إلا بسم الله الرحمن الرحيم، فقال النبي ﷺ: «اكتب: باسمك اللهم»، ثم قال: «هذا ما قضى عليه محمد رسول الله ﷺ»، فقال سهيل: والله لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك، اكتب: محمد بن عبدالله، فقال النبي ﷺ: «إني لرسول الله وإن كذبتوني، اكتب: محمد بن عبدالله»، قال الزهري: وذلك لقوله: لا يسألوني خطة يعظمون فيها حرمت الله إلا أعطيتهم إياها، فقال له النبي ﷺ: «على أن تخلوا بيني وبين البيت فنطوف به»، فقال سهيل: والله لا يتحدث العرب إنا أخذنا ضُغطة، ولكن ذلك من العام المقبل، فكتب، فقال سهيل: وعلى أن لا يأتيك منا رجل وإن كان على دينك إلا رددته إلينا، فقال المسلمون: سبحان الله، كيف يرد إلى المشركين وقد جاء مسلماً؟.

فبينما هم على ذلك إذ جاء أبو جندل بن سهيل بن عمرو يرسف في قيوده، وقد خرج من أسفل مكة حتى رمى بنفسه بين أظهر المسلمين، فقال سهيل: هذا يا محمد أول من أقاضيك عليه أن ترده إليّ، فقال النبي ﷺ: «إنا لم نقض الكتاب بعد»، قال: فوالله إذا لا أصالحك على شيء أبداً، فقال النبي ﷺ: «فأجزه»، قال: ما أنا بمجيز ذلك لك، قال: بلى فافعل، قال: ما أنا بفاعل، قال مكرز: بلى قد أجزناه لك، قال أبو جندل: أي معشر المسلمين أُرِدُّ إلى المشركين، وقد جئت مسلماً، ألا ترون ما قد لقيت، وكان قد عُدب عذاباً شديداً في الله.

.....
 = أدري ما هو: قال ذلك لأن الرحمن لم يكن معروفاً لديهم من أسماء الله عز وجل. ضُغطة: بضم الضاد وسكون الغين: أي قهراً. يرسف: أي يمشي مقيداً. الدنية: أي الخِصْلَة الساقطة الذليلة. =

قال عمر بن الخطاب: فأتيت نبي الله ﷺ فقلت: أأنت نبي الله حقاً؟ قال: بلى، قلت: ألسنا على الحق وعدونا على الباطل؟ قال: بلى، قلت: فلم نعطي الدنية في ديننا إذن؟ قال: «إني رسول الله ولست أعصيه وهو نصري»، قلت: أو لست كنت تحدثنا أننا سنأتي البيت ونطوف به، قال: «بلى، فأخبرتكم أنا نأتيه العام»، قلت: لا، قال: «فإنك آتية ومطوف به».

قال: فأتيت أبا بكر، فقلت: يا أبا بكر، أليس هذا نبي الله حقاً؟ قال: بلى، قلت: ألسنا على الحق وعدونا على الباطل؟ قال: بلى، قلت: فلم نعطي الدنية في ديننا إذن؟ قال: أيها الرجل، إنه رسول الله ﷺ وليس يعصي ربه، وهو ناصره فاستمسك بعرْزِه، فوالله إنه على الحق، قلت: أو ليس كان يحدثنا أننا سنأتي البيت ونطوف به، قال: بلى، قال: فأخبرك أنه يأتيه العام، فقلت: لا، قال: فإنك تأتيه وتطوف به. قال الزهري: قال عمر: فعملت لذلك أعمالاً.

قال: فلما فرغ من قضية الكتاب، قال رسول الله ﷺ لأصحابه: «قوموا فانحروا ثم احلقوا»، قال: فوالله ما قام منهم رجل، حتى قال ذلك ثلاث مرات، فلما لم يقيم منهم أحد دخل على أم سلمة، فذكر لها ما لقي من الناس، قالت أم سلمة: يا نبي الله أتحب ذلك، اخرج ثم لا تكلم أحداً منهم كلمة حتى تنحر بدنك وتدعو حالقك فيحلقك، فخرج فلم يكلم أحداً منهم حتى فعل ذلك، نحر بدنه ودعا حالقه فحلقه، فلما

= فاستمسك بعرْزِه: بفتح الغين والراء الساكنة، وهو للإبل بمنزلة الركب للفرس، ومعناها: تمسك بأمره واترك مخالفته، وهذه المحاولة التي فعلها سيدنا عمر تظهر الفرق الشاسع بين الصديق وبين الفاروق إذ الأول سلم الأمر لنبي الله عليه الصلاة والسلام واعتقد صحة ما فعل، بينما الثاني حصل له ما حصل غير أنه ما حمله على ذلك إلا الغيرة والدفاع عن الحق وسلوك طريق الجد، واجتهد فلم =

رأوا ذلك، قاموا فنحروا وجعل بعضهم يحلق بعضاً حتى كاد بعضهم يقتل بعضاً غمّاً.

ثم جاءت نسوة مؤمنات، فأنزل الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مَهَاجِرَاتٍ فَاْمْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ﴾ حتى بلغ ﴿بَعْضِ الْكُوفَرِ﴾ فطُلّقَ عمرُ يومئذٍ امرأتينَ كانتا له في الشُّركِ، فتزوَّجَ إحداهما معاذ بن أبي سفيان، والأخرى صفوان بن أمية.

ثم رجع النبي ﷺ إلى المدينة فجاءه أبو بصير، رجل من قريش وهو مسلم فأرسلوا في طلبه رجلين، فقالوا: العهد الذي جعلت لنا، فدفعه إلى الرجلين فخرجا به حتى بلغا ذا الحليفة، فنزلوا يأكلون من تمر لهم، فقال أبو بصير لأحد الرجلين: والله إني لأرى سيفك هذا يا فلان جيداً، فاستلّه الآخر، فقال: أجل والله إنه لجيد لقد جربت منه ثم جربت، فقال أبو بصير: أرني أنظر إليه، فأمكنه منه، فضربه حتى برد، وفرّ الآخر حتى أتى المدينة، فدخل المسجد يعدو، فقال رسول الله ﷺ حين رآه: «لقد رأى هذا دُغراً»، فلما انتهى إلى النبي ﷺ قال: قُتِلَ والله صاحبي وإني لمقتول، فجاء أبو بصير فقال: يا رسول الله أوفى الله بدمتك قد رددتني إليهم، ثم نجاني الله منهم، فقال رسول الله ﷺ: «ويلُ أمه مسعَّرَ حربٍ لو كان له أحد»، فلما سمع ذلك عرف أنه سيرده إليهم فخرج حتى أتى سيف البحر.

= يصب، لأن ذلك في مقابلة نص الشارع. ثم جاء نسوة: هذا يومهم أنهن جئنّه وهو بالحديبية والأمر بخلافه، بل أتينه وهو بالمدينة أثناء المدة كما هو معلوم. لقد جربت: أي ضربت به مراراً فبلغت مرادي به. فأمكنه منه: يعني دفعه إليه، وهذا يعتبر من البلاهة والغبوة بمكان، ولكنه قضاء الله تعالى. حتى برد: بفتح الراء أي حتى ماتت وسكنت حواسه. يعدو: يعني يسرع. دُغراً: بضم الذال وسكون العين، أي خوفاً. ذمتك: أي عهدك. ويلُ أمه: بضم اللام وهي كلمة ذم، لكنّ العرب تقولها في المدح ولا يقصدون معناها، لأن الويل هو الهلاك والحرب والعذاب. مسعَّرَ حرب: بكسر الميم وسكون السين وفتح العين ونصب الراء على التمييز، ومعناه: ويل أمه من حرب يسعرها. سيف =

قال: وينفلت منهم أبو جندل بن سهيل فلحق بأبي بصير، فجعل لا يخرج من قريش رجل قد أسلم إلا لحق بأبي بصير، حتى اجتمعت منهم عصابة، فوالله ما يسمعون بعير خرجت لقريش إلى الشام إلا اعترضوا لها فقتلوهم وأخذوا أموالهم، فأرسلت قريش إلى النبي ﷺ تناشده الله والرحم لما أرسل إليهم، فمن أتاه فهو آمن، فأرسل النبي ﷺ إليهم، وأنزل الله عز وجل: ﴿وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة...﴾ حتى بلغ ﴿حمية الجاهلية﴾ وكانت حميتهم أنهم لم يقرؤا أنه رسول الله ﷺ، ولم يقرؤا بيسم الله الرحمن الرحيم، وحالوا بينه وبين البيت).

٢٠٤ - وعن عبدالله بن مغفل رضي الله عنه قال: (كنا مع رسول الله ﷺ بالحديبية في أصل الشجرة التي قال الله تعالى في القرآن، وكان يقع من أغصان تلك الشجرة على ظهر رسول الله ﷺ وعلي بن أبي طالب، وسهيل بن عمرو بين يديه، فقال رسول الله ﷺ لعلي رضي الله تعالى عنه: «اكتب بسم الله الرحمن الرحيم». فأخذ سهيل بن عمرو بيده، فقال: ما نعرف بسم الله الرحمن الرحيم، اكتب في قضيتنا ما نعرف، قال: اكتب باسمك اللهم، فكتب: هذا ما صالح عليه محمد رسول الله ﷺ أهل مكة، فأمسك سهيل بن عمرو بيده، وقال: لقد ظلمناك إن كنت رسول الله، اكتب في قضيتنا ما نعرف، فقال: «اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب، وأنا رسول الله»،

٢٠٤ - رواه أحمد ٨٦/٤، ٨٧، والحاكم واللفظ لأحمد وسنده عنده صحيح على شرط مسلم، وأورده الحافظ في الفتح ٢٨٠/٣ وصححه أيضاً.

= البحر: بكسر السين، أي بساحله. عير: بكسر العين، هي الإبل التي تحمل الميرة والتجارة. تناشده: أي تسأله.

٢٠٤ - التي قال الله... إلخ: يشير بذلك إلى قوله تعالى: ﴿لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك =

فكتب، فبينما نحن كذلك إذ خرج علينا ثلاثون شاباً عليهم السلاح فثاروا في وجوهنا، فدعا عليهم رسول الله ﷺ فأخذ الله عز وجل بأبصارهم، فقمنا إليهم فأخذناهم، فقال رسول الله ﷺ: «هل جئتم في عهد أحد، وهل جعل لكم أحد أماناً»، فقالوا: لا، فخلى سبيلهم، فأنزل الله عز وجل: ﴿وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم وكان الله بما تعملون بصيراً﴾.

٢٠٥ - وعن جابر أن النبي ﷺ قال: «من يصعد الثانية ثنية المزار فإنه يحط عنه ما حط عن بني إسرائيل»، فكان أول من صعد خيل بني الخزرج، ثم تبادر الناس بعد، فقال رسول الله ﷺ: «كلكم مغفور له، إلا صاحب الجمل الأحمر»، فقلنا: تعال ليستغفر لك رسول الله ﷺ، قال: والله لأن أجد ضالتي أحب إلي أن يستغفر لي صاحبكم وإذا هو رجل ينشد ضالة.

٢٠٥ - رواه مسلم في كتاب المناقبين ١٧/١٢٦، ١٢٧، من طريق أبي الزبير

عنه.

= تحت الشجرة﴾. فثاروا: أي هاجموا ووثبوا. فخلى سبيلهم: أي تركهم وأطلق سراحهم. أظفركم عليهم: أي مكنكم منهم وسلطكم عليهم، وفي هذا عناية إلهية، لقد جاء أولئك الشباب يريدون من المسلمين غزوة وينالون منهم فأعمى الله أبصارهم حتى سقطوا أسارى في أيدي الصحابة رضي الله تعالى عنهم، ولكن الرسول الكريم لم يأت في هذه الرحلة مقاتلاً وإنما جاء مسلماً يريد تعظيم حرمة الله عز وجل، ولذلك عفا عنهم ولم يؤاخذوهم على هجومهم صلى الله تعالى عليه وآله وسلم.

٢٠٥ - ثنية المزار: بضم الميم على المشهور ثم راء مفتوحة هو موضع عند الحديبية، وأصل الثنية الطريق بين الجبلين. ثم تبادر الناس: أي تسارعوا. إلا صاحب الجمل: قيل هو الجدل بن قيس المناق، ولا يصدر مثل هذا الكلام إلا ممن كان مغموضاً عليه في دينه وعقيدته، وإلا فللمسلم شرف عظيم في استغفار رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم له، وأيُّ مسلم يستنكف من ذلك ويمتنع منه!!

٢٠٦ - وعن البراء بن عازب رضي الله تعالى عنه قال: (تعدون أنتم الفتح فتح مكة، وقد كان فتح مكة فتحاً، ونحن نعد الفتح بيعة الرضوان يوم الحديبية، كنا مع النبي ﷺ أربع عشرة مائة، والحديبية بئر، فنزحناها فلم نترك فيها قطرة فبلغ ذلك النبي ﷺ فأتاها فجلس على شفيرها، ثم دعا بإناء من ماء فتوضأ، ثم مضمض ودعا، ثم صبه فيها، فتركناها غير بعيد، ثم إنها أصدرتنا ما شئنا نحن وركابنا).

٢٠٧ - وعنه في رواية: (رفعت الدلو إلى رسول الله ﷺ فغمس يده فيها، فقال: ما شاء الله أن يقول، فعيدت إلينا الدلو بما فيها، قال: فلقد رأيت أحدنا أخرج بثوب خشية الغرق، قال: ثم ساحت، يعني جرت نهراً).

٢٠٨ - وعن سلمة بن الأكوع رضي الله تعالى عنه قال: (خرجنا مع رسول الله ﷺ في غزوة فأصابنا جهد حتى هممنا أن ننحر بعض ظهرنا، فأمرنا النبي ﷺ فجمعنا مزادنا فبسطنا له نطعاً فاجتمع زاد القوم على النطع فتناولت لأحزركم هو فحزرتة كربضة العنز ونحن أربع عشرة مائة،

٢٠٦ - رواه البخاري في المغازي ٤٤٥/٨، ٤٤٧ من فتح الباري.

٢٠٧ - رواه أحمد ٢٩٢/٤، ٢٩٧، من طريقين وكلاهما سنده صحيح.

٢٠٨ - رواه مسلم في اللقطة شرح النووي ٣٣/١٢، ٣٤.

٢٠٧، ٢٠٦ - فنزحناها: أي استقينا ماءها كله. شفيرها: أي طرفها وحرفها. أصدرتنا: أي رجعتنا وقد روينا نحن وإيلنا. فغمس: أي مقل.

٢٠٨ - جهد: بفتح الجيم أي مشقة، أما الجهد بالضم فالمراد به الوسع والطاقة. بعض ظهرنا: أي جالنا. نطعاً: بفتح النون والطاء مع سكونها، بساط من جلد. لأحزر: بضم الزاي، أي =

فأكلنا حتى شبعنا جميعاً، ثم حشونا جربنا، ثم قال رسول الله ﷺ: «هل من وضوء؟» فجاء رجل بإداوة له فيها نطفة، فأفرغها في قدح، فتوضأنا كلنا ندغفقه دغفقه أربع عشرة مائة).

٢٠٩ - وعنه قال: (قدمنا مع رسول الله ﷺ الحديبية، ونحن أربع عشرة مائة وعليها خمسون شاة ما ترويهما، فقعد رسول الله ﷺ على جباها يعني الركي، فإما دعا، وإما بزق فيها، فجاشت فسقينا وأسقينا).

٢١٠ - وعن جابر قال: (عطش الناس يوم الحديبية، ورسول الله ﷺ بين يديه ركوة فتوضأ منها، ثم أقبل على الناس، فقال: «ما لكم؟» قالوا: ليس عندنا ماء نتوضأ به إلا ما في ركوتك، فوضع النبي ﷺ يده في الرُّكوة، فجعل الماء يفور من بين أصابعه كأمثال العيون، فشربنا وتوضأنا، فقلت لجابر: كم كنتم يومئذ؟ قال: لو كُنَّا مائة ألفٍ لكفانا، كُنَّا خمسَ عَشْرَةَ مائة).

٢٠٩ - رواه مسلم في المغازي، النووي ١٧٤/١٢، ١٧٥، وأحد ٤٨/٤، ٤٩ مطولاً.

٢١٠ - رواه أحمد ٣٢٩/٣ والبخاري في المناقب وفي المغازي ٤٤٧/٨، ٤٤٨، من فتح الباري ومسلم في الإمارة، والدارمي ١٤/١، وابن خزيمة ٦٦/١، والفريابي في دلائل النبوة برقم (٣٣)، القائل لجابر هو سالم بن أبي الجعد.

= لأقدر. كربيضة: بضم الراء وكسرهما أي جثة العنزة إذا بركت، والعنز أنثى المعز. حشونا: أي ملأنا. جربنا: بضم الجيم والراء: جمع جراب أي مزادنا وأوعيتنا. نُدَغْفِقُه: بضم النون وفتح الدال وسكون الغين وكسر الفاء أي نصبه صباً.

٢٠٩ - الركي: بفتح الراء وكسر الكاف هي البئر غير المبنية بالحجارة كما تقدم. فجاشت: أي فارت.

٢١٠ - ركوة: بفتح الراء وسكون الكاف هي إناء صغير من جلد يشرب فيه الماء. يفور: أي يخرج بتدفق وقوة.

ما وقع في غزوة ذي قرد من الآيات^(١)

٢١١ - عن سلمة بن الأكوع قال: (أخذت لقاح رسول الله ﷺ، فذكر الحديث بطوله، وفيه: فقال رسول الله ﷺ: «إنهم يقرون الآن بأرض غطفان»، فجاء رجل من غطفان، فقال: مروا على فلان الغطفاني فنحر لهم جزوراً).

٢١٢ - وعن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: (إن المشركين

٢١١ - رواه البخاري، الفتح ٥٠٤/٦، ٥٠٥ ومسلم ١٧٣/١٢، ١٧٤، ١٨٢، كلاهما في الجهاد مطولاً. ورواه البخاري أيضاً في المغازي ٨، ٤٦٦، ٤٦٩، وأحمد ٤٨/٤ وفيه عندهم قصة سلمة مع المشركين الذين أغاروا على اللقاح.

٢١٢ - رواه مسلم في الجهاد، وأحمد ٤٣٠/٤، وأبو داود في الإيمان، والدارمي في السير مطولاً.

(١) قَرَد: بفتح القاف والراء وضمهما، هو ماء على بريد مما يلي بلاد غطفان، وكانت هذه الغزوة في السنة السابعة قبل خيبر بثلاث ليال، كما في صحيح مسلم عن سلمة بن الأكوع، وكان السبب فيها ما ذكر من أخذ لقاح رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وأصحابه وتقدمهم سلمة بن الأكوع فاستنقذها منهم مع استلابه منهم ثلاثين بردة وكان رجلاً غريباً في عُدوه كان يسبق الخيل.

٢١١ - لِقَاح: بكسر اللام ثم قاف آخره حاء، جمع لِقْحَة بكسر اللام وفتحها، وهي الناقة القرية العهد بالتاج والولادة. يُقَرُون: بضم الياء وسكون القاف. فراء مفتوحة ثم واو الجماعة مبني للمجهول، أي يضيفون.

أغاروا على سرح المدينة فذهبوا، وكانت العضباء في ذلك السرح، وأسرُوا امرأة من المسلمين، فقامت المرأة ذات ليلة بعدما ناموا، وكانت كلما وضعت يدها على بعير رغا حتى أتت على العضباء، فأنت على ناقة ذلول فركبتها، ثم وجهتها قبل المدينة فقدمت).

٢١٢ - أغاروا: الإغارة إتيان العدو في غفلة وِغْرَة منه. والسرح: قدمنا أنها المواشي.
العضباء: بفتح العين وسكون الضاد هي ناقة رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم. رغا: أي صوت.

ما وقع في غزوة خيبر من الآيات^(١)

٢١٣ - عن سلمة بن الأكوع قال: (خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى خيبر فسرنا ليلاً، فقال رجل من القوم لعامر بن الأكوع: ألا تسمعنا من هنيهاتك، وكان عامر رجلاً شاعراً، فنزل يحدو بالقوم يقول:
اللهم لولا أنت ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا
فاغفر فداءً لك ما اقتفينا وثبّت الأقدام إن لاقينا
فقال رسول الله ﷺ: «من هذا السائق؟» قالوا: عامر بن الأكوع،
قال: «يرحمه الله»، قال رجل من القوم: وجبت يا رسول الله، هلا أمتعتنا

٢١٣ - رواه البخاري في المغازي، فتح الباري ٤/٩، ٥، وفي الدييات، وفي الأدب، ومسلم في الجهاد، النووي ١٢/١٦٥، ١٧٩ والروايتان الأخيرتان لمسلم وانظر ١٢/١٨٤ منه.

(١) خيبر قرية عظيمة كانت لليهود، بينها وبين المدينة مائتا كيلو، وكانت وقعتها في السنة السابعة، ذهب إليهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وحاصروهم مدة وقتلهم قتلاً شديداً ثم افتتحها عنوة وأراد جلاءهم، ثم طلبوا منه الصلح ففعل وبقوا بها حتى أجلاهم سيدنا عمر لخيانة صدرت منهم.

٢١٣ - هُنَيْهَاتِكَ: بضم الهاء وفتح النون وسكون الباء ثم هاء مفتوحة بعدها ألف آخره تاء أي كلماتك. في الحدو يحدو: الحدو هو الغناء للإبل لتسرع في السير، وهو يدل على جواز الأغاني إذا لم يكن فيها ما ينكر من وصف الحدود والقدود والخواصر والنهود والعيون والخواجب والأشفار والخمر والغلمان وما إلى ذلك من السفاهة وسقط القول الذي اعتاده الشعراء والمغنون. تصافّ القوم: أي اصطفوا. دُباب: بضم الدال هو طرفه الذي يضرب به.

به، قال: فلما تصافَّ القوم تناول عامر سيفه ليضرب به ساق يهودي، ويرجع ذباب سيفه، فأصاب ركبته فمات منه).

وفي رواية: «مَنْ هذا القاتل؟» قالوا: عامر، قال: «غفر لك ربك»، قال: وما خصَّ رسول الله ﷺ قط أحداً به إلا استشهد، فقال عمر: لولا متَّعتنا بعامر.

وفي لفظ: ما استغفر لإنسان يخضُّه قط إلا استشهد.

٢١٤ - وعن سهل بن سعد رضي الله تعالى عنه، أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر: «لأعطينَّ هذه الراية غداً رجلاً يفتح الله على يديه»، فلما أصبح قال: «أين علي بن أبي طالب؟» قالوا: يشتكي عينيه، قال: فأرسلوا إليه فأتي به، فبصق رسول الله ﷺ في عينيه ودعا له، فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع.

٢١٥ - وعن سلمة بن الأكوع قال: (كان عليٌّ تخلف عن النبي ﷺ في خيبر وكانَ رَمِداً، فقال: أنا أتخلف عن رسول الله ﷺ فخرج فلحق به، فلما كان مساء الليلة التي فتح الله في صباحها، قال رسول الله ﷺ: «لأعطينَّ الراية غداً رجلاً يحبه الله ورسوله يفتح الله عليه»، فإذا نحن بعلي وما نرجوه، فقالوا: هذا علي، فأعطاه الراية ففتح الله عليه).

٢١٤ - رواه البخاري في المغازي، فتح الباري ١٧/٩، ومسلم في الفضائل، النووي ١٧٧/١٥ - ١٧٨ مطولاً.

٢١٥ - رواه البخاري ومسلم في المصدرين السابقين.

٢١٤، ٢١٥ - رَمِداً: بكسر الميم من الرَّمْد بفتحتيْن هو داء العين. وما نرجوه: أي ما كنا نأمل أن يعطاها، وفي هذين الحديثين مع ما فيهما من آيات وخوارق للنبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ففيهما منقبة لسيدنا علي كرم الله وجهه حيث شهد له نبي الله عليه السلام بأنه يحبه الله ورسوله، وجاء في حديث لسعد بن أبي وقاص زيادة: (ويحب الله ورسوله) وهو في مسلم، فيا لها من منقبة ومكرمة.

٢١٦ - وعن أنس أن رسول الله ﷺ صلى الصبح بغلس، ثم ركب فقال: «الله أكبر، خربت خيبر، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المُنذرين».

٢١٧ - وعن يزيد بن أبي عبيد قال: (رأيت أثر ضربة في ساق سلمة بن الأكوع، فقلت: ما هذه الضربة؟ قال: ضربة أصابتنني يوم خيبر، فقال الناس: أصيب سلمة، فأتيت رسول الله ﷺ، فنفت فيه ثلاث نفثات، فما اشتكيت منها حتى الساعة).

٢١٨ - وعن سهل بن سعد أن رسول الله ﷺ التقى هو والمشركون في بعض مغازيه، فاقتتلوا فمال كل قوم إلى معسكرهم، وفي المسلمين رجل لا يدع للمشركين شاذة ولا فاذة إلا أتبعها يضربها بسيفه، فقيل: يا رسول الله ما أجزأ أحد اليوم ما أجزأ فلان، فقال: «أما إنه من أهل النار»، فأعظم القوم ذلك، فقالوا: أيننا من أهل الجنة إن كان فلان من أهل النار؟ فقال رجل: والله لا يموت على هذه الحالة أبداً، فاتبعه كلما

٢١٦ - رواه البخاري في المغازي، فتح الباري ٧/٩، ٨، وفي الجهاد وغيرهما، ومسلم في الجهاد، النووي ١٦٣/١٢، ١٦٤ مطولاً.

٢١٧ - رواه البخاري في المغازي، فتح الباري ١١/٩ وهو من ثلاثياته.

٢١٨ - رواه البخاري في المغازي، فتح الباري ٩/٩، ١٢، ١٣ ولم يعزه في الذخائر لمسلم.

٢١٦ - بِغَلَسَ: بفتح الغين واللام، وهو اختلاط البياض بالظلام. خربت خيبر: قال ذلك عندما رأى اليهود خارجين بفؤوسهم ومعاولهم.

٢١٧ - فنفت: النفث شبيه بالنفخ، وهو أقل من التفل، وهذا النفث غير المنهي عنه في

السحر.

أسرع أسرع، وإذا أبطأ أبطأ معه حتى جرح واشتدت واستعجل الموت، فوضع سيفه بالأرض وذبابه بين ثديه، ثم تحامل عليه، فقتل نفسه، فجاء الرجل، فقال: أشهد أنك رسول الله، قال: ما ذلك؟ فأخبره بالذي كان من أمره.

٢١٩ - وعن أبي هريرة قال: (شهدنا مع رسول الله ﷺ خيبر، فقال لرجل ممن يدعي الإسلام: «هذا من أهل النار»، فلما حضر القتال، قاتل الرجل أشد القتال، حتى كثُر به الجراح فأثبته، فقيل: يا رسول الله، أرايت الرجل الذي ذكرت أنه من أهل النار، قد والله قاتل في سبيل الله أشد القتال وكثرت به الجراح، قال: «أما إنه من أهل النار»، فكاد بعض الناس يرتاب، فبينما هو على ذلك وجد الرجل ألم الجراح فأهوى بيده إلى كنانته فاستخرج منها سهماً فانتحر بها، فقالوا: يا رسول الله، قد صدق الله حديثك).

٢٢٠ - وعن أبي هريرة قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى خيبر فلم نغنم فضة ولا ذهباً إلا الثياب والمتاع والأموال، فوجّه رسول الله ﷺ

٢١٩ - رواه البخاري في الجهاد، وفي المغازي ١٠/٩ من فتح الباري، ومسلم في الإمارة، وكذا أحمد ٣٠٩/٢، ورواه أيضاً في ١٣٥/٤ عن بعض من شهد النبي ﷺ.

٢٢٠ - رواه البخاري في المغازي، ٢٨/٩، ٢٩، ٣٠ من فتح الباري، وفي الأيمان والنذور وغيرها، ومالك، وأبو داود في الجهاد، والنسائي في الإيمان.

٢١٨ - واستعجل: أي طلب تعجيله فأجهز على نفسه.

٢١٩ - فأثبته: أي ألزمته موضعه بحيث لا يستطيع معها القيام ولا مفارقة مضجعه. يرتاب: أي يشكك في دينه أو في أمر النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم حيث أخبر بالشيء وخالفه الواقع والظاهر وقتة. فانتحر بها: أي قتل نفسه، وظاهر هذا الحديث والذي قبله يقتضي أنها قضيتان وقعتا لرجلين.

نحو وادي القرى وقد أهدي له عبد أسود يقال له مدعم، فبينما هو يحط رحل رسول الله ﷺ إذ جاءه سهم فقتله، فقال الناس: هنيئاً له الجنة، فقال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده إن الشملة التي أخذها يوم خيبر من المغانم لم تصبها المقاسم لتشتعل عليه ناراً».

٢٢١ - وعن أبي هريرة قال: (لما فتحت خيبر أهديت لرسول الله ﷺ شاةً فيهم سُم، فقال رسول الله ﷺ: «اجمعوا من كان ههنا من اليهود». فجمعوا له، فقال لهم: «إني سأتلکم عن شيء، فهل أنتم صادقي؟» قالوا: نعم، قال: «مَنْ أبوکم؟» قالوا: فلان، قال: «كذبتم، بل أبوکم فلان»، قالوا: صدقت وبررت، قال: «هل أنتم صادقي عن شيء إن سألتکم عنه؟» قالوا: نعم، يا أبا القاسم، وإن كذبتك عرفت كذبتنا كما عرفت في أبينا، فقال رسول الله ﷺ: «مَنْ أهل النار؟» فقالوا: نكون فيها يسيراً ثم تخلفوننا فيها، قال رسول الله ﷺ: «اخسأوا فيها، فوالله لا نخلفکم فيها أبداً»، قال: «أجعلتم في هذه الشاة سماً؟» قالوا: نعم، قال: «فما حملکم على ذلك»، قالوا: أردنا إن كنت كاذباً استرحنا منك وإن كنت نبياً لم يضرك).

٢٢١ - رواه البخاري في كتاب الجزية مطولاً، وفي كتاب المغازي مختصراً ٣٧/٩، ٣٨ من فتح الباري، وكذا رواه في الطب، وفي الهدية، ورواه أيضاً الدارمي في المقدمة، وأحمد ٤٥١/٢ وغيرهم.

٢٢٠ - هنيئاً: أي ثبت له بلا مشقة وهو معرب حالاً. الشملة: بفتح الشين وسكون الميم هو كساء واسع يشتمل به. لتشتعل: أي لتلتهب عليه، وفي الحديث وعيد شديد لمن يغفل عن الغنيمة. ٢٢١ - إن اليهود قوم مغضوب عليهم ملعونون مولعون بالكذب والخديعة والمكر، فهم ههنا في حوارهم مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم على الرغم من ظهور كذبهم له لجأوا في الافتراء عليه متظاهرين بالتصديق له والترحيب بقبول كلامه، فقبحهم الله وأخزاهم ما أوقحهم وأسقطهم. اخسأوا: أي ابعدوا ذليلين.

٢٢٢ - وعن أنس أن يهودية أتت رسول الله ﷺ بشاة مسمومة فأكل منها فجيء بها إلى رسول الله ﷺ فسألها عن ذلك، فقالت: أردت لأقتلك، قال: «ما كان الله ليسلطك على ذلك».

٢٢٣ - وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ حين قفل من غزوة خيبر سار ليلة حتى إذا أدركنا الكرى عرس وقال لبلال: «اكأ لنا الليل»، فغلبت بلائاً عيناه وهو مستند إلى راحلته فلم يستيقظ ولا أحد من أصحابه حتى ضربتهم الشمس، الحديث.

٢٢٢ - رواه البخاري في الهبة ١٥٩/٥ وغيرها، ومسلم في الطب والمرض ١٧٨/١٤ واللفظ له.

وجاء في رواية: ألا نقتلها؟ قال: لا^(١)، وجاء الحديث من رواية أبي هريرة وجابر وابن عباس.

٢٢٣ - رواه مسلم ١٨١/٥، ١٨٣ بالنووي، وكذا الترمذي رقم ٢٩٥٤، وأبو داود، وابن ماجه، ومالك، كلهم في الصلاة إلا الترمذي فني تفسيره.

(١) في هذا بيان أن واضع السّم كان امرأة، والنساء قد لعبن أدواراً عبر الأجيال والعصور في قلب الأحوال والتشيطان، ومن شأنهنّ السحر فيما يرجع إلى مصالهنّ الشخصية فلهنّ مهارة في ذلك، ولا سيما العجائز منهنّ، فكم قتلن من نفس وكم أفسدن من مزاج وكم خبلن من عقل وكم وكن؟ إن كيدهنّ عظيم، والصالحات منهنّ قليلات وغريبات ولذلك كنّ أكثر سكان أهل النار عفا الله عنهنّ وسامحنّ.

٢٢٣ - الكرى: بفتح الكاف والراء هو النعاس. عرس: أي نزل بهم آخر الليل، والتعريس لا يكون إلا آخر الليل. إكأ لنا: هو فعل أمر من كأ بمعنى حفظ أي قال له: احفظ لنا الليل لئلا يطلع الفجر ونحن لا نشعر، وقد جاء في رواية أخرى: من يكأ لنا الفجر، وفي هذا الحديث أحكام فقهية كثيرة وفوائد مبسوطة في موضعها.

ما وقع في عمرة القضاء

٢٢٤ - عن ابن عباس قال: (قدم رسول الله ﷺ وأصحابه مكة، فقال المشركون: إنه يقدم عليكم قوم قد وهنتهم حمى يثرب، فأطلع الله نبيه على ما قالوا، فأمرهم أن يرملوا الأشواط الثلاثة ليرى المشركون جلدتهم).

٢٢٥ - وعن ابن عباس أن رسول الله ﷺ لما نزل مرّ الظهران في عمرته بلغ أصحابه أن قريشاً تقول: ما يتباعثون من العجف، فقال

٢٢٤ - رواه أحمد ١/٢٩٥، ٢٩٥، ٣٠٦، ٣٧٣، وكذا رواه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي في الحج والبخاري في المغازي ٩/٥٠، ٥١.

٢٢٥ - رواه أحمد ١/٣٠٥ بسند صحيح على شرط مسلم ويلاحظ أن المؤلف اختصره وزاد فيه الأمر بالرمل ولا يوجد فيه عند أحمد.

٢٢٤ - عمرة القضاء كانت في السنة السابعة من الهجرة، وكانت مما شمله الصلح والمعاهدة، فاعتمر هو وأصحابه الكثيرون ومكثوا بمكة ثلاثة أيام ثم خرجوا متجهين للمدينة المنورة. وهنتهم: بفتح الهاء، أضعفتهم، والوهن الضعف. يثرب: هو اسم للمدينة المنورة قبل الإسلام. يرملوا: من الرَّمْل بفتح الحاء وهو الهرولة. جلدتهم: بفتح الجيم واللام هي الجلادة والقوة والشدة، وكان هذا هو السبب في الرَّمْل فأصبح سنة في الأشواط الثلاثة من طواف القدوم لكل حاج أو معتمر، وقد فعله النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم في حجة الوداع وفعله الخلفاء بعده وكل الأئمة والعلماء.

٢٢٥ - مر الظهران: هو موضع بين مكة والمدينة وهو إلى مكة أقرب وهو قريب من عسفان. ما يتباعثون: أي ما يقومون ويحركون. من العَجَف: بفتح الحاء، الهزال والضعف. جمامة: أي شدة وقوة. ليتقزّون: بضم القاف، أي يقفزون ويثبون وثوب الغزلان وقفزهم.

أصحابه : لو انتحرننا من ظهورنا فأكلنا من لحمه وحسونا من مرقه أصبحنا
غداً حين ندخل على القوم وبنا حِمَامَةً، قال: «لا تفعلوا ولكن اجمعوا
إليّ من أزوادكم» فجمعوا له وبسطوا الأنطاع فأكلوا حتى تولوا وحثا كل
واحد منهم في جرابه، ثم أقبل حتى دخل المسجد، فأمرهم بالرمل
فقال قريش: ما يرضون بالمشي أما أنهم لينقزون نقز الظباء.

آية في سرية

٢٢٦ - عن أنس قال: (جاءت امرأة فقالت: يا رسول الله رأيت كأنني دخلت الجنة فسمعت بها وجبة ارتجت لها الجنة فنظرت فإذا قد جيء بفلان بن فلان، وفلان بن فلان حتى عدت اثني عشر رجلاً، وقد بعث رسول الله ﷺ سرية قبل ذلك، قالت: فجيء بهم عليهم ثياب طلس تشخب أوداجهم، قال: فقبل اذهبوا بهم إلى نهر السدخ أو قال إلى نهر البيدخ، قال: فغمسوا فيه فخرجوا منه وجوههم كالقمر ليلة البدر، قال: ثم أتوا بكراسي من ذهب فقعدوا عليها، وأتوا بصحفة فيها بسرة فأكلوا منها، فما يقلبونها لشق إلا أكلوا من فاكهة ما أرادوا وأكلت معهم، قال: فجاء البشير من تلك السرية، فقال: يا رسول الله كان من أمرنا كذا وكذا وأصيب فلان وفلان حتى عدّ الاثني عشر الذين عدّتهم المرأة. قال رسول الله ﷺ: «عليّ بالمرأة»، فجاءت. قال: «قصي علي هذا رؤياك»، فقصّت، قال: هو كما قالت لرسول الله ﷺ).

٢٢٦ - رواه أحمد ١٣٥/٣، ٢٥٧ من طريقين وكلاهما صحيح.

٢٢٦ - وَجِبَةٌ: بسكون الجيم وفتح الباء هي السقطة مع الهدة أو صوت الساقط. ارتجت لها الجنة: أي تحركت واضطربت. تشخب: بضم الخاء وفتحها: أي تسيل أوداجهم أي عروق أعناقهم. عليّ بالمرأة: أي ابتوني بها، ورؤيا هذه المرأة عجيبة تدل على فضلها أما أولئك الشهداء فشرفهم ومقامهم عند الله عز وجل معلوم من القرآن والأحاديث الصحيحة، فاللهم إنا نسألك شهادة في سبيلك، مع إقامة في بلدة نبيك صلى الله تعالى عليه وآله وسلم.

ما وقع في غزوة مؤتة من الآيات^(١)

٢٢٧ - عن ابن عمر قال: أمر رسول الله ﷺ في غزوة مؤتة زيد بن حارثة، وقال: «إن قُتل زيد فجعفر، وإن قُتل جعفر فابن رواحة».

٢٢٨ - وعن أنس أن رسول الله ﷺ بعث زيدا وجعفرَ وابنَ رواحة، ودفع الراية إلى زيد، فأصيبوا جميعاً فنعاهم رسول الله ﷺ إلى الناس قبل أن يجيء الخبر، فقال: «أخذ الراية زيد فأصيب، ثم أخذها جعفر فأصيب، ثم أخذها عبدالله بن رواحة فأصيب، ثم أخذها خالد بن الوليد من غير إمرة ففتح عليه».

٢٢٧ - رواه البخاري في المغازي ٥٢/٩، ٥٣ وفيه بقية عنده من كلام ابن عمر في شأن جعفر رضي الله تعالى عنه.

٢٢٨ - رواه البخاري في علامات النبوة، وفي الجهاد، وفي المغازي ٥٤/٩.

(١) مؤتة: بضم الميم وسكون الهمزة، ويقال بالواو، وهي من بلاد الشام، وهي اليوم من الأردن قريبة من البلقاء، كانت بها هذه المعركة مع الروم في السنة الثامنة من الهجرة.

٢٢٧ - وفي هذه الغزوة استشهد كل هؤلاء الثلاثة، ولولا أن خالد بن الوليد أخذ الراية وتأمر على الجيش وخادع الروم ثم انسحب بالمسلمين لقضي عليهم لكثرة جيش العدو وقلة المسلمين.

٢٢٨ - فنعاهم: أي أعلم أصحابه بموتهم وهذا النعي ليس من القسم المنهي عنه.

٢٢٩ - وعن ابن عمر أنه كان إذا حيّا ابن جعفر قال: «السلام عليك يا ابن ذي الجناحين».

ما وقع في غزوة سيف البحر من الآيات^(١)

٢٣٠ - عن جابر قال: (بعثنا رسول الله ﷺ في ثلاثمائة راكب، أميرنا أبو عبيدة بن الجراح نرصد عيراً لقريش، فأصابنا جوع شديد حتى أكلنا الحَبَطَ، فألقى إلينا البحر دابةً يقال لها: العنبر، فأكلنا منها نصف شهر وأدهناً منه حتى ثابت إلينا أجسامنا فأخذ أبو عبيدة ضلعاً من أضلاعه فنظر إلى أطول رجل في الجيش وأطول جمل فحمله عليه ومر تحته).

* - وفي رواية لمسلم: وزودنا جراباً من تمر، لم يجد لنا غيره، فكان أبو عبيدة يعطينا تمره تمره، فكنا نمصها، ثم نشرب عليها الماء، فتكفينا يومنا إلى الليل فألقى إلينا البحر، الحديث.

٢٢٩ - رواه البخاري في الفضائل والمناقب ٧٨/٨.

٢٣٠ - رواه البخاري في الشركة، وفي الجهاد وفي المغازي، وفي الدباج

والصيد.

٢٢٩ - كان إذا حيّا: أي إذا قال له: السلام عليكم الخ، وكان العرب يحيي بعضهم بعضاً بقولهم: حيّاك الله، وقولهم: أنعم صباحاً ونحو ذلك فأبدلهم الله بتحية الإسلام. وقوله يا ابن ذي الجناحين: أي يا ولد صاحب الجناحين، جاء في أحاديث أن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم رأى جعفرًا يطير في الهواء، وقد أبدل عن يديه بجناحين، وكان قد قطعت يده معاً في تلك الغزوة.

(١) سيف: هو بكسر السين ساحل البحر كما تقدم، وكانت هذه الغزوة في رجب من السنة الثامنة، وكان هذا الجيش مبعوثاً لغزو قبيلة جهينة، ولما وصلوا للساحل أقاموا به نصف شهر ينتظرون العدو فلم يأت، ثم رجعوا بعد أن فني زادهم وحصل لهم ما ذكر في الحديث.

٢٣٠ - نرصد: بضم الصاد، أي نرقب. الحَبَطُ: بفتحين هو هنا ورق السمرة. ثابت: أي

رجعت.

ما وقع في فتح مكة المكرمة من المعجزات والخصائص^(١)

٢٣١ - عن مروان بن الحكم والمسور بن مخزومة قالا: (كان في صلح الحديبية أنه من شاء أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل، ومن شاء أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه، فتواثبت خزاعة فقالوا: ندخل في عقد محمد وعهده، وتواثبت بنو بكر فقالوا: ندخل في عقد قريش وعهدهم، فمكثوا في تلك الهدنة نحو السبعة أو الثمانية عشر شهراً، ثم إن بني بكر الذين كانوا دخلوا في عقد قريش وعهدهم وثبوا على خزاعة الذين دخلوا في عهد رسول الله ﷺ ليلاً بماء لهم، فقالت قريش: ما يعلم بنا محمد، وهذا الليل وما يرانا أحد، فأعانوا عليهم

٢٣١ - رواه ابن إسحاق بتهديب ابن هشام مع الروض ٢/٢٦٣، ٢٦٥ وسنده حسن.

(١) فتح مكة شرفها الله تعالى كان في أوائل العشر الأواخر من رمضان من السنة الثامنة، وكان السبب في ذلك نقض قريش العهد بمعاونتهم ومظاهرتهم حلفاءهم بني بكر على خزاعة حلفاء رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم، فسار رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم إليهم في عشرة آلاف مسلم حتى فتحها وبذلك قضى على تلك العراقل التي كانت تحول بين الناس وبين دخولهم في الإسلام، وأصبحت مكة المكرمة دار إسلام وعاصمة دينية خالدة بعد أن كانت وكراً للكفر وأنصاره، وبذلك ندرك أن تلك الحرب التي حصلت بين خزاعة وبني بكر كانت خيراً، فإنها قرّبت المسافة لرسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وللمسلمين. فكانت السبب في الفتح الأكبر ونصر الإسلام والقضاء على الشرك الوثنية والإطاحة بدولة قريش الكافرة الغاشمة الحاكمة.

٢٣١ - في عقد: أي في عهد. وثبوا: أي هاجروهم. للضيّقن: بكسر الضاد وسكون الغين، =

بالكرع والسلاح، فقاتلوهم معهم للضعن على رسول الله ﷺ، وأن عمرو بن سالم ركب إلى رسول الله ﷺ عندما كان من أمر خزاعة وبني بكر حتى قدم فأخبره الخبر، فقال رسول الله ﷺ: «نُصرت يا عمرو»، فما برح حتى مرت عنانة في السماء، فقال رسول الله ﷺ: «إن هذه السحابة لتستهل بنصر بني كعب»، وأمر رسول الله ﷺ الناس بالجهاز وكتمهم مخرجه وسأل الله أن يعمي على قريش خبره حتى يبغتهم في بلادهم).

٢٣٢ - وعن علي قال: (بعثني رسول الله ﷺ أنا والزبير والمقداد وقال: «انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فإن بها ظعينة معها كتاب فخذوه منها»، قال: فانطلقنا تعادي بنا خيلنا حتى أتينا الروضة فإذا نحن بالظعينة، قلنا لها: أخرجي الكتاب، قالت: ما معي من كتاب، فقلنا: لتخرجن الكتاب أو لنلقين الثياب، قال: فأخرجته من عقاصها، فأتينا به رسول الله ﷺ، فإذا فيه: من حاطب بن أبي بلتعة إلى ناس من مكة من المشركين يخبرهم بعض أمر رسول الله ﷺ.

فقال رسول الله ﷺ: «يا حاطب ما هذا؟» قال: يا رسول الله لا تعجل عليّ، إني كنت امرأً مُلصقاً في قريش، يقول كنت حليفاً، ولم

٢٣٢ - رواه البخاري في الجهاد ٣٠٦/٨، ٣٠٧ وفي المغازي ٦١/٩، ٦٢ وفي تفسير الممتحنة ٢٥٨/١٠، ٢٥٩، ومسلم في الفضائل ٥٤/١٦، ٥٧ بالنووي، وكذلك أحمد ٧٩/١، ٨٠، وأبو داود في الجهاد، والترمذي في التفسير.

= ويقال الضعينة وهي الحقد. يُعمى: بضم الياء وفتح العين وكسر الميم المشددة، أي يخفيه عنهم. يبغتهم: أي يفاجئهم بدون أن يشعروا، وكان الأمر كذلك فلم يعلموا بأمره حتى دنا من مكة. ٢٣٢ - روضة خاخ: هو اسم موضع. ظعينة: أي امرأة في هودجها على بعير لها. لللقين: أي لنجدنك من ثيابك للفتيش. عقاصها: بكسر العين أي صغيرة شعرها. ارتداداً: أي رجوعاً وخروجاً عن الدين.

أكن من أنفسها، وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون أهلهم وأموالهم، فأحببت أن تكون إذ فاتني ذلك من النسب فيهم أن أتخذ عندهم عهداً يحمون قرابتي ولم أفعلها ارتداداً عن ديني ولا رضاً بالكفر بعد الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: «أما إنه قد صدقكم»، فقال عمر: يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق، فقال: «إنه قد شهد بدرًا، وما يدريك لعل الله اطلع على من شهد بدرًا، فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم»، فأنزل الله سورة: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة﴾ إلى قوله: ﴿فقد ضل سواء السبيل﴾.

٢٣٣ - وعن أبي هريرة قال: قالت الأنصار يوم فتح مكة: أما الرجل فأدركته رغبة في قريته ورأفة بعشيرته، وجاء الوحي، وكان الوحي إذا جاء لم يخف علينا، فإذا جاء فليس أحد يرفع طرفه إلى رسول الله ﷺ حتى ينقضي الوحي.

قال: «يا معشر الأنصار، قلت: أما الرجل فأدركته رغبة في قريته ورأفة بعشيرته، ألا فما اسمي إذا؟ كلا، إني عبد الله ورسوله، المحيا محياكم والممات مماتكم»، فأقبلوا يبكون، وقالوا: والله ما قلنا إلا الضن بالله ورسوله، فقال: «إن الله ورسوله يصدقانكم ويعذرانكم».

٢٣٣ - رواه الطيالسي في حديث طويل، ومسلم في الجهاد والسير في فتح مكة ١٢٦/١٢، ١٣٣.

٢٣٣ - فأدركته: أي أصابته ولحقته. رغبة: أي إرادة أو طمع. في قريته: يعنون مكة. بعشيرته: أي أقرابه وأهله. كلا: هي كلمة ردع، أي ليس الأمر كما تقولون وتفهمون. المحيا: إلخ: أي موضع حياتي وموتي عندكم بالمدينة فالمحيا والممات ظرفا مكان. الضن: بكسر الصاد: أي شحاً بالله وبرسوله أن تفارقنا ويختص بك غيرنا، وفي هذا الحديث فضل الأنصار رضي الله تعالى عنهم وأن لهم مكانة عظيمة عند الله وعند رسوله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم.

٢٣٤ - وعن عبدالله قال: دخل النبي ﷺ مكة وحول الكعبة ثلاثمائة نصب فجعل يطعنها بعود كان بيده، ويقول: ﴿جاء الحق وزهق الباطل إنَّ الباطل كان زهوقاً﴾، ﴿جاء الحق وما يُبْدِيءُ الباطل وما يُعيد﴾.

٢٣٥ - وعن الحارث بن مالك الليثي رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال يوم فتح مكة: «لا تُغزى بعد هذا اليوم أبداً إلى يوم القيامة».

٢٣٦ - وعن مطيع رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول يوم فتح مكة: «لا يقتل قرشي صبراً بعد هذا اليوم إلى يوم القيامة».

٢٣٤ - رواه مسلم في السير والجهاد ١٢/١٣٣ بالنووي.

٢٣٥ - رواه أحمد ٣/٤١٢، ٤/٣٤٣، والترمذي في السير رقم ١٤٧٦ وابن حبان، والحاكم وسنده صحيح على شرط مسلم عند الترمذي.

٢٣٦ - رواه مسلم في السير ١٢/١٣٤ بالنووي، وكذا أحمد ٣/٤١٢ من طرق.

٢٣٤ - نُصِبَ: بضم النون والصاد، هو حجر نصب وعبد من دون الله ويجمع على أنصاب وهي الأصنام. زهق الباطل: أي ذهب واضمحل. وزهوقاً: أي مضمحلاً زائلاً.

٢٣٥ - لا تُغزَى: بضم التاء وفتح الزاي مبني للمجهول، وهو على صيغة النفي، ومعناه: لا تصير دار كفر فتحتاج إلى غزو مرة أخرى، أو لا يغزوها الكفار أبداً، فيكون في الحديث بشارة لنا بحفظها من الصهاينة وغيرهم من الكفار، أما بالنسبة للمسلمين فقد غزوها مراراً عبر العصور، وقد يكون النفي بمعنى النهي: أي لا تغزوها فإن ذلك لا يجلب لكم لأنها حرام إلى يوم القيامة.

٢٣٦ - صبراً: أي حبساً، ومعناه الإعلام بأن قرشياً سيسلمون كلهم ولا يترد أحد منهم كما سيرتد غيرهم كما وقع بعد أيام النبوة ممن حارب وقتل صبراً، كذا نقل النووي عن العلماء، وقد يكون معناه النهي عن ذلك.

٢٣٧ - وعن أبي شريح العدوي رضي الله تعالى عنه، أن النبي ﷺ قام يوم الفتح، فقال: «إنَّ مكة حرمها الله ولم يحرمها الناس، فلا يحل لأحدٍ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دماً ولا يعضد بها شجرةً، فإن أحد ترخَّص بقتال رسول الله ﷺ فيها، فقولوا له: إنَّ الله قد أذن لرسول الله ولم يأذن لكم، وإنما أذن لي فيها ساعة من نهار، وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس».

٢٣٨ - وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، أن النبي ﷺ قال: «إنَّ الله قد حبس عن مكة الفيل وسلَّط عليها رسول الله والمؤمنين، ألا وإنها لم تحل لأحدٍ بعدي وإنما أُحِلَّت لي ساعة من نهار».

٢٣٧ - رواه البخاري ومسلم، وكذا الترمذي والنسائي كلهم في الحج، ورواه البخاري في العلم وفي المغازي، والترمذي أيضاً في الدييات.

٢٣٨ - رواه البخاري في العلم ٢١٦/١ بالفتح، وفي اللقطة، وفي الدييات، ومسلم في الحج ١٢٨/٩، ١٣٠ مطولاً.

٢٣٧ - يسفك: أي يريق. يعضد: بكسر الضاد أي يقطع. وفي الحديث فضل مكة المكرمة وعظمتها وأنها حرام إلى يوم القيامة فلا تحل لأحد بعد رسول الله صل الله تعالى عليه وآله وسلم، فهي ليست كباقي البلاد وإن ظهرت للناس جرداء قاحلة.

٢٣٨ - حبس: أي منع الفيل من مهاجمة الكعبة وتهديها. وسلَّط: بتشديد اللام أي أحلها

له.

ما وقع في غزوة حنين من المعجزات^(١)

٢٣٩ - عن البراء رضي الله تعالى عنه أنه قيل له: أفررتم عن رسول الله ﷺ يوم حنين؟ قال: لكن رسول الله ﷺ لم يفر، إنَّ هوازن كانوا قوماً رماة، فلما لقيناهم وحملنا عليهم انهزموا، فأقبل الناس على الغنائم، فاستقبلونا بالسهام، فانهزم الناس، ولقد رأيت رسول الله ﷺ يومئذ وأبو سفيان بن الحارث أخذ بلجام البغلة، ورسول الله ﷺ يقول: «أنا النبيُّ لا كذب أنا ابن عبدالمطلب».

٢٤٠ - وعن العباس رضي الله عنه قال: (أخذ النبي ﷺ يوم حنين حصيات ثم رمى بها في وجوه الكفار، ثم قال: «انهزموا ورب محمد»،

٢٣٩ - رواه البخاري في الجهاد ٤١٥/٦ من فتح الباري وفي المغازي ٩٢/٩، ٩٣، ومسلم في الجهاد والسير ١١٧/١٢، ١١٨.

٢٤٠ - رواه مسلم في الجهاد ١١٣/١٢، ١١٧ من شرح النووي في حديث طويل، وعزاه في الأصل لأبي عوانة وللنسائي وهو في الكبرى كما في التحفة للمزي.

(١) حنين: موضع بين مكة والطائف وراء عرفات، كانت به الوقعة وذلك عقب فتح مكة، وكان عدد الصحابة ثلاثين ألفاً: عشرة آلاف ممن قدم من المدينة من المهاجرين والأنصار وعشرون ألفاً من مسلمة الفتح، وحصلت لهم بادية بدء هزيمة لإعجابهم بكثرتهم وتفرقوا ولم يبق أمام الكفار إلا رسول الله ﷺ وأبو سفيان بن الحارث أخذ بلجام بغلته، ثم تداركهم الله فأيدهم ونصرهم وهزم أعداءهم، وفي هذه الوقعة يقول الله تعالى: ﴿ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً...﴾ [التوبة: ٢٤].

٢٣٩ - أفررتم: يعني هربتم.

فوالله ما هو إلا أن رماهم بحصياته، فما زلت أرى حدهم قليلاً وأمرهم مدبراً).

٢٤١ - وعن سلمة بن الأكوع قال: (لما غشوا رسول الله ﷺ يوم حنين نزل عن بغلته، ثم قبض قبضة من تراب من الأرض، ثم استقبل به وجوههم، فقال: «شاهت الوجوه»، فما خلق الله منهم إنساناً إلا ملأ عينيه تراباً بتلك القبضة فولوا مدبرين).

٢٤١ - رواه مسلم في الجهاد ١٢/١٢١، ١٢٢ مطولاً.

٢٤٠ - حدهم: بفتح الحاء أي قوتهم ضعيفة، وكلّ السيف إذا لم يقطع فهو كليل.

٢٤١ - شاهت الوجوه: قبحت، والشوهاء من النساء القبيحة.

ما وقع في غزوة تبوك من المعجزات^(١)

٢٤٢ - عن معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه أنهم خرجوا مع رسول الله ﷺ عام تبوك، فقال: «إنكم ستأتون غداً إن شاء الله عين تبوك، وإنكم لن تأتوها حتى يضحى النهار، فمن جاءها فلا يمس من مائها شيئاً»، فأتاها والعين مثل الشراك تبضُّ بشيء من ماء، فغرف من العين قليلاً قليلاً حتى اجتمع في شيء، ثم غسل فيه وجهه ويديه، ثم أعاده فيها، فخرجت العين فاستقى الناس، ثم قال رسول الله ﷺ: «يوشك يا معاذ إن طالت بك حياة أن ترى ما هاهنا قد ملئ جناناً».

٢٤٢ - رواه مسلم في الفضائل، النووي ٤٠/١٥، ٤١، وكذلك ٢٣٧/٥، ٢٣٨، من طريق أبي الزبير عن أبي الطفيل عنه مطولاً.

(١) تبوك: بلدة على حدود الشام بينها وبين المدينة المنورة سبعمائة كيلو، وكانت هذه الغزوة في رجب من السنة التاسعة، وسببها أن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بلغه أن الروم تجهزوا لمهاجمة المدينة وغزوها في جيش عظيم فخرج إليهم في ثلاثين ألف مقاتل، وكانت الأيام أيام شدة وعسرة فتنافس المسلمون في الانفاق والتجهيز وخرج بهم حتى وصل تبوك وبقي بها ينتظر العدو عشرين يوماً ثم رجع ولم يلق حرباً وقد حصل في هذه الغزوة حوادث واحتوت على عبر وأحكام. ونزل في شأنها قرآن يتلى ولعب فيها المنافقون أدواراً في الخبال والإفساد وتعتبر من الغزوات الهامة العظيمة.

٢٤٢ - حتى يضحى: أي حتى يرتفع إلى وقت الضحى. تبض: بكسر الباء، أي تسيل. يوشك: أي يقرب أو يسرع. ملئ جناناً: أي بساتين، وهذا الذي تنبأ به صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قد وقع بالفعل، فتبوك اليوم قد أصبحت مدينة ذات بساتين ومياه متدفقة كما أخبر الحبيب عليه السلام.

٢٤٣ - وعن أبي هريرة قال: لما كان يوم غزوة تبوك أصاب الناس مجاعة، فقالوا: يا رسول الله، لو أذنت لنا فننحر نواضحنا فأكلنا وادهنا، فقال عمر: يا رسول الله إن فعلت قل الظهر، ولكن ادعهم بفضل أزوادهم وادع الله لهم فيها بالبركة لعل الله أن يجعل في ذلك بلاغاً، فقال رسول الله ﷺ: نعم، فدعا بنطع فبسطه، ثم دعا بفضل أزوادهم، فجعل الرجل يأتي بكف ذرة ويجيء الآخر بكف تمر ويجيء الآخر بكسرة حتى اجتمع على النطع من ذلك شيء يسير، فدعا رسول الله ﷺ بالبركة، ثم قال لهم: «خذوا في أوعيتكم»، حتى ما تركوا في العسكر وعاءً إلا ملأوه، فأكلوا حتى شبعوا وفضلت فضلة، فقال رسول الله ﷺ: «أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، لا يلقى الله بها عبدٌ غير شاك فيحجب عن الجنة».

٢٤٤ - وعن ابن عباس أنه قيل لعمر بن الخطاب: حدثنا عن شأن العسرة، قال: (خرجنا إلى تبوك في قيظ شديد فنزلنا منزلاً أصابنا فيه

٢٤٣ - رواه مسلم في الإيمان، النووي ٢٢١/١، ٢٢٦.

٢٤٤ - رواه ابن حبان رقم ١٧٠٧ مع الموارد، والحاكم ١٥٩/١ من طريق نافع بن جبير عنه وسنده صحيح، وعزاه الهيثمي في المجمع الزوائد ١٩٤/٦، ١٩٥ للبخاري والطبراني.

٢٤٣ - مجاعة: أي جوع. نواضحنا: جمع ناضح وهي الإبل التي يستقى عليها. أزوادهم: واحدها زاد وهو ما يتزوده المسافر من مأكّل. نطع: بفتح النون وقد تقدم مراراً. وفضلت فضلة: أي بقيت بقية. غير شاك: أي مستيقناً بها من قلبه كما جاء في روايات أخر، ومعناه: لا يدخله في ذلك ريب.

٢٤٤ - العُسرة: بضم العين وسكون السين، سميت بذلك لأنها كانت أيام الشدة. قيظ: بفتح القاف فياء ساكنة آخره ظاء هو الحر. يلتمس: أي يطلب. سكبت: أي صبت.

عطش حتى ظننا أن رقابنا ستنقطع، حتى إن كان الرجل ليذهب يلتمس الماء فلا يرجع حتى نظن أن رقبتة ستنقطع، حتى إن الرجل لينحر بغيره فيعصر فرثه فيشربه ويجعل ما بقي على كبدته، فقال أبو بكر الصديق: يا رسول الله، قد عودك الله في الدعاء خيراً فادع، قال: «أتحب ذلك؟» قال: نعم، قال: فرفع يديه ﷺ فلم يرجعها حتى أظلت سحابة، ثم سكبت فملاوا ما معهم، ثم ذهبنا ننظر فلم نجدها جاوزت العسكر).

٢٤٥ - وعن أبي حميد رضي الله تعالى عنه قال: (خرجنا مع رسول الله ﷺ في غزوة تبوك فأتينا وادي القرى على حديقة لامرأة فقال: «أخرصوها»، فخرصناها، وخرصها رسول الله ﷺ عشرة أوسق، وقال: «أحصيها حتى نرجع إليك إن شاء الله»، فانطلقنا حتى قدمنا تبوك، فقال رسول الله ﷺ: «ستهب عليكم الليلة ريح شديدة، فلا يقيم فيها أحد منكم، ومن كان له بعير فليشد عقاله»، فهبت ريح شديدة، فقام رجل فحملته الريح حتى ألقته بجبل طيء، ثم أقبلنا حتى قدمنا وادي القرى، فسأل رسول الله ﷺ المرأة عن حديقتها كم بلغ تمرها؟ فقالت: بلغ عشرة أوسق).

٢٤٦ - وعن المغيرة بن شعبة أنه سُئِلَ: هل أمّ النبي ﷺ أحدٌ من هذه الأمة، غير أبي بكر، قال: نعم، كنا في سفر، فلما كان من السحر

٢٤٥ - رواه مسلم في الفضائل، النوري ٤١/١٥، ٤٣، وكذا أحمد ٤٢٤/٥، ٤٢٥ مطولاً.

٢٤٦ - رواه ابن سعد ٨/٤، ١٢٨ بسند صحيح، ورواه مالك في باب ما جاء =

٢٤٥ - وادي القرى: هو موضع كان يسكنه اليهود بين خيبر وتبوك. أخرصوها: أي قدروا كم فيها من تمر وأصل الخرص التخمين والظن. أوسق: جمع وسق بفتح الواو ستون صاعاً والصاع أربعة أمداد.

انطلق وانطلقت معه حتى تبرزنا عن الناس، فنزل عن راحلته فتغيب عني حتى ما أراه فمكث طويلاً، ثم جاء فصبيت عليه فتوضأ ومسح على خفيه، ثم ركبنا فأدركنا الناس وقد أقيمت الصلاة فتقدمهم عبدالرحمن بن عوف وقد صلى بهم ركعة وهم في الثانية، فذهبت أودنه، فنهاني فصلينا الركعة التي أدركنا وقضينا التي سبقتنا، فقال النبي ﷺ حين صلى خلف عبدالرحمن بن عوف: «ما قبض نبي قط حتى يصلي خلف رجل صالح من أمته».

٢٤٧ - وعن حذيفة رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ قال: «في أصحابي اثنا عشر منافقاً لا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط ثمانية منهم تكفيهم الدبيلة سراج من النار يظهر بين أكتافهم حتى ينجم من صدورهم».

= في المسح على الخفين رقم ٧٠ من طريق عباد بن زياد عن أبيه عن المغيرة وفي سنده وهم عنده، لكن أصل الحديث في صحيح مسلم شرح النووي ١٧١/٣، ١٧٢ في المسح على الرأس والخفين من طرق.

٢٤٧ - رواه مسلم في صفات المنافقين، النووي ١٧/١٢٤، ١٢٥.

٢٤٦ - حتى تبرزنا: أي ذهبنا إلى البراز، وهو الفضاء الواسع، وفي الحديث منقبة لابن عوف كما فيه أحكام فقهية ليس هذا محل إيرادها.

٢٤٧ - يلج: بكسر اللام أي يدخل. سم: بفتح السين وضمها هو الثقب. الخياط: بكسر الخاء الإبرة. الدبيلة: بضم الدال وفتح الباء ثم ياء ساكنة بعدها لام. ينجم: بضم الجيم أي يظهر ويعلو.

ذكر المعجزات التي وقعت عند

إنفاذ كتبه ﷺ إلى الملوك

ما وقع عند كتابه إلى قيصر من الآيات

٢٤٨ - عن أنس أن النبي ﷺ كتب إلى كسرى وإلى قيصر وإلى

النجاشي وإلى كل جبار يدعوهم إلى الله تعالى وليس بالنجاشي الذي أسلم.

٢٤٩ - وعن ابن عباس أن أبا سفيان أخبره أن هرقل أرسل إليه

في ركب من قريش، وكانوا تجاراً بالشام في المدة التي كان رسول الله ﷺ ماداً فيها أبا سفيان وكفار قريش، فأتوهم وهم بإيلياء فدعاهم في مجلسه وحوله عظماء الروم، ثم دعاهم ودعا بترجمانه.

قال: أيكم أقرب نسباً بهذا الرجل الذي يزعم أنه نبي؟ فقال: أبو

٢٤٨ - رواه مسلم في السير، النووي ١١٢/١٢ من طرق.

٢٤٩ - رواه البخاري في بدء الوحي ٣٥/١، ٤٨ من الفتح، وفي الجهاد

٢٠/٦، وفي التفسير ٢٨١/٩، ٢٩٠ من الفتح، ومسلم في الجهاد والسير ١٠٣/١٢، ١١١ من شرح النووي.

٢٤٨ - كسرى: بكسر الكاف وسكون السين وفتح الراء ملك الفرس. وقيصر: على وزن جعفر

ملك الروم. والنجاشي: بفتح النون آخره شين مكسورة ملك الحبشة وكان هذا الإرسال في السنة السادسة أو السابعة من الهجرة.

٢٤٩ - هرقل: بكسر الهاء وفتح الراء بعدها قاف ساكنة. كذبي بفتح الذال المخففة أي =

سفيان، فقلت: أنا أقربهم به نسباً، فقال: ادنوه مني وقربوا أصحابه فاجعلوهم عند ظهره، ثم قال لترجمانه: قل لهم: إني سائل هذا عن هذا الرجل فإن كذبتني فكذبوه، فوالله لولا الحياء من أن يأتروا عليّ كذباً لكذبت عنه.

ثم كان أول ما سألتني عنه أنه قال: كيف نسبه فيكم؟ قلت: هو فينا ذو نسب.

قال: فهل قال هذا القول منكم أحد قط قبله؟ قلت: لا.

قال: فهل كان من آبائه من ملك؟ قلت: لا.

قال: فأشراف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم؟ قال: بل ضعفاؤهم.

قال: أيزيدون أم ينقصون؟ قلت: بل يزيدون.

قال: فهل يرتد أحد منهم سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه؟ قلت:

لا.

قال: فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ قلت: لا.

قال: فهل يغدر؟ قلت: لا، ونحن معه في مدة لا ندري ما هو فاعل فيها،

قال: ولم يمكني كلمة أدخل فيها شيئاً غير هذه الكلمة.

قال: قاتلتموه؟ قلت: نعم، قال: فكيف كان قتالكم إياه؟ قلت:

الحرب بيننا وبينه سجال ينال منا وننال منه.

قال: بماذا يأمركم؟ قلت: يقول: اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به

شيئاً واركبوا ما يقول آباؤكم ويأمرنا بالصلاة والزكاة والصدق والعفاف

والصلة.

= حدثني بالكذب. يأتروا: أي يتقلوا. يرتد: أي يرجع عن دينه. سخطة: أي كراهية. سجال: بكسر السين: تارة لنا وتارة علينا. وهم أتباع الرسل، قال الله تعالى في شأن قوم نوح: ﴿قالوا أنؤمن =

فقال للترجمان: قل له: سألتك عن نسبه؟ فذكرت أنه فيكم ذو نسب، وكذلك الرسل تبعث في نسب قومها.

وسألتك: هل قال أحد منكم هذا القول؟ فذكرت أن لا، فقلت: لو كان أحد قال هذا القول قبله لقلت: رجل يتأسى بقول قيل قبله.

وسألتك: هل من آباءه من ملك؟ فذكرت أن لا، قلت: فلو كان من آباءه من ملك، قلت: رجل يطلب ملك أبيه.

وسألتك: هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ فذكرت أن لا، فقد أعرف أنه لم يكن ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله.

وسألتك: أشرف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم؟ فذكرت أن ضعفاؤهم اتبعوه، وهم أتباع الرسل.

وسألتك: أيزيدون أم ينقصون؟ فذكرت أنهم يزيدون وكذلك أمر الإيمان حتى يتم.

وسألتك: أيرتد أحد سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه؟ فذكرت أن لا، وكذلك الإيمان حين تخالط بشاشته القلوب.

وسألتك: هل يغدر؟ فذكرت أن لا، وكذلك الرسل لا تغدر.

وسألتك: بم يأمركم؟ فذكرت أنه يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا

= لك واتبعك الأردلون ﴿﴾ إلخ. بشاشة: البشاشة الفرح والانبساط. أخلص: بضم اللام، أي أصل =

به شيئاً وينهاكم عن عبادة الأوثان ويأمركم بالصلاة والزكاة والصدق والعفاف، فإن كان ما تقول حقاً فسيملك موضع قدمي هاتين، وقد كنت أعلم أنه خارج ولم أكن أظن أنه منكم، فلو أني أعلم أني أخلص إليه لتجشمت لقاءه، ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه.

ثم دعا بكتاب رسول الله ﷺ الذي بعث به دحية إلى عظيم بصرى فدفعه إلى هرقل فقرأه فإذا فيه: «بسم الله الرحمن الرحيم من محمد بن عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى أما بعد، فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين، وهيا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون».

قال أبو سفيان: فلما قال ما قال وفرغ من قراءة الكتاب كثر عنده الصخب وارتفعت الأصوات وأخرجنا، فقلت لأصحابي حين أخرجنا: لقد أمر أمر ابن أبي كبشة، إنه يخافه ملك بني الأصفر، فما زلت موقناً أنه سيظهر حتى أدخل الله عليّ الإسلام.

وكان ابن الناظور صاحب إيلياء وهرقل أسقفاً على نصارى الشام يحدث أن هرقل حين قدم إيلياء أصبح خبيث النفس، فقال بعض

= إليه. لتجشمت: أي تكلفت على مشقة. الأريسيين: بفتح الهمزة وكسر الراء بعدها ياء ساكنة فسين مكسورة فيآن، واحده الأريسي، وهو الفلاح. الصخب: بفتح السين اللغظ واختلاط الأصوات في المخاصمة. أمر: بفتح الهمزة وكسر الميم، أمر ابن أبي كبشة: بسكون الميم أي لقد عظم أمره وشأنه. بني الأصفر: وهم الروم. أسقف: بفتح الهمزة وسكون السين وضم القاف، وفي رواية: سُقف، =

بطارقتة: قد استنكرنا هيأتك، قال ابن الناظور: وكان هرقل حزاء ينظر في النجوم، فقال لهم حين سألوه: إني رأيت الليلة حين نظرت في النجوم ملك الختان قد ظهر، فمن يختن من هذه الأمة؟ قالوا: ليس يختن إلا اليهود، فلا يهمنك شأنهم وكتب إلى مدائن ملكك فليقتلوا من فيهم من اليهود، فبينما هم على أمرهم، أتى هرقل برجل أرسل به ملك غسان يخبر عن رسول الله ﷺ، فلما استخبرهم هرقل قال: اذهبوا فانظروا أمختن هو أم لا، فنظروا إليه، فحدثوه أنه مختن، وسأله عن العرب فقال: هم يختنون، فقال هرقل: هذا ملك هذه الأمة قد ظهر، ثم كتب هرقل إلى صاحب له برومية وكان نظيره في العلم، وصار هرقل إلى حمص، فلم يرم حمص حتى أتاه كتاب من صاحبه يوافق رأي هرقل على خروج النبي ﷺ وأنه نبي، فأذن هرقل لعظماء الروم في دسكرة له بحمص، ثم أمر بأبوابها فغلقت، ثم اطلع فقال: يا معشر الروم، هل لكم في الفلاح والرشد وأن يثبت ملككم فتبايعوا هذا النبي، فحاصوا حيصة حُمر الوحش إلى الأبواب فوجدوها قد أغلقت، فلما رأى هرقل نفرتهم وأيس من الإيمان، قال: ردوهم عليّ، وقال: إني قلت مقاتلي أنفأ أختبر بها شدتكم على دينكم، فسجدوا له ورضوا عنه، فكان ذلك آخر شأن هرقل.

= يضم السين والقاف هو لفظ أعجمي ومعناه رئيس دين النصارى. بطارقتة: واحده بطريق وهم خواص الدولة. حزاء: بتشديد الزاي أي كاهن. مُلك: يضم الميم وسكون اللام. يُهمنك: يضم الياء من أهم الرباعي. دسكرة: بفتح الدال وسكون السين فكاف مفتوحة آخره راء هو القصر الذي حوله بيوت. فحاصوا: أي نفروا. اختبر: أي امتحن. وقد كاد هرقل يدعن للإسلام ويؤمن بالنبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم لولا الرياسة والسيادة والملك وهكذا يشقى الكثير والكثير من أرباب الرياسات ويخسرون دنياهم وأجرامهم بسبب الدنيا.

ما وقع عند كتابه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم إلى كسرى

٢٥٠ - عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ بعث بكتابه إلى كسرى، فلما قرأه كسرى مزقه، فدعا عليهم رسول الله ﷺ أن يُمزقوا كلُّ مُمزَّقٍ.

٢٥٠ - رواه البخاري في كتاب العلم ١٦٤/١ باب ما يذكر في المناولة، وفي الجهاد باب دعاء النبي ﷺ إلى الإسلام والنبوة ٤٤٩/٦ من الفتح، وفي المغازي، وفي خبر الأحاد.

٢٥٠ - مزقه: أي قطعه. أن يمزقوا: أي يقطعوا ويفرقوا وقد حصل ما دعا به النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فإن الله تعالى أذهب ملكهم وأباد خضراءهم ولم يبق لهم أثر يذكر وظهر أثر ذلك أيامه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم.

المعجزات التي وقعت عند وفادة الوفود عليه ﷺ

ما وقع في وفد ثقيف من الآيات^(١)

٢٥١ - عن عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، إن الشيطان قد حال بيني وبين صلاتي وقراءتي، قال: «ذلك الشيطان يقال له خنزب، فإذا أحسسته فتعوذ بالله منه واتقل عن يسارك ثلاثاً» قال: ففعلت، فأذهب الله عني.

ما وقع في وفد بني حنيفة من الآيات

٢٥٢ - عن ابن عباس قال: قدم مسيلمة الكذاب المدينة في بشرٍ

٢٥١ - رواه مسلم في الطب، النووي ١٨٩/١٤، ١٩٠ وكذا رواه أحمد ٢١٦/٤ من حديث أبي العلاء بن الشخير عنه.

٢٥٢ - رواه البخاري في المغازي من فتح الباري ١٥١/٩، ١٥٤، ١٥٥ وفي =

(١) في السنة التاسعة والعاشر جعلت الوفود تفتد إليه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم من سائر قبائل العرب لتبايعه على الإسلام وقد حصل فيها آيات للنبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ستمر عليك فيها.

٢٥١ - حال: أي حجز وفصل. جَنْزَب: بكسر الحاء وسكون النون فزاي مفتوحة. أحسسته: أي شعرت بوجود وسوسته. فتعوذ: أي قل أعوذ بالله. واتقل: أي ابصق ويؤخذ من الحديث أن مثل هذا الفعل لا يبطل الصلاة، وفيه دليل على أن للشيطان تسلطاً على المسلم ولو داخل الصلاة، نعوذ بالله تعالى منه.

٢٥٢ - مُسَيَّلِمَة: بضم الميم الأولى وفتح السين فياء ساكنة ثم لام مكسورة وهو المدعي النبوة. =

كثير من قومه، فجعل يقول: إن جعل لي محمد الأمر من بعده اتبعته، فأقبل النبي ﷺ ومعه ثابت بن قيس بن شماس، وفي يد النبي ﷺ قطعة جريد حتى وقف على مسيلمة، فقال: «لئن سألتني هذه القطعة ما أعطيتها، ولن تعدو أمر الله فيك، ولئن أدبرت ليعقرنك الله، وإني أراك الذي أريت فيه ما أريت، وهذا ثابت بن قيس يجيبك عني»، ثم انصرف.

قال ابن عباس: فسألت عن قول النبي ﷺ: «إنك الذي أريت فيه ما أريت، فأخبرني أبو هريرة أن النبي ﷺ قال: بينما أنا نائم أريت أن في يدي سوارين من ذهب فأهمني شأنهما، فأوحى إلي أن انفخهما، فنفختهما فطارا فأولتهما كذايين يخرجان من بعدي فهذان، أحدهما: العنسي صاحب صنعاء، والآخر: مسيلمة صاحب اليمامة».

٢٥٣ - وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «بينما أنا نائم إذ أتيت بخزائن الأرض، فوضع في يدي سواران من ذهب فكبرا علي»

= المناقب، وفي التوحيد من الفتح ٢١٩/١٧، ومسلم في الرؤيا ٣٢/١٥، ٣٤ من النووي.

٢٥٣ - رواه البخاري آخر المغازي ١٥٣/٩ من فتح الباري، ومسلم في الرؤيا أيضاً ٣٤/١٥، ٣٥ من شرح النووي وغيرهما.

= إن جعل لي محمد الأمر: يعني الإمارة والخلافة. لن تعدو أمر الله: أي حكمه. ولئن أدبرت: أي أعرضت عن الحق. ليعقرنك: أي ليهلكنك الله بالمعقر. أريت: هو في الأفعال الثلاثة مبني للمجهول: أي أراي الله في منامي. سوارين: واحده سوار وهو الدمليج. فاهمني: أي أحزني أمرهما وكبر علي شأنها وكرهتها كما في رواية أخرى. فأولتهما: أي فسرتهما. العنسي: بفتح العين وسكون النون هو الأسود اليماني الكذاب الذي قتله فيروز آخر حياة النبي صل الله تعالى عليه وآله وسلم، أما مسيلمة فقتل أيام خلافة الصديق رضي الله تعالى عنه يوم اليمامة بعد معارك شديدة بين الصحابة وبين عسكره، وفي هذه المعارك قتل كثير من قراء الصحابة الأمر الذي حل الخليفة أبا بكر وعمر على جمع القرآن.

٢٥٣ - بخزائن الأرض: في رواية: «مفاتيح خزائن الأرض» والمراد بها: ملكها وفتح بلادها =

وأهمّاني، فأوحى إليّ أن أنفخهما، فنفختهما، فأولتهما الكذابين اللذين أنا بينهما: صاحب صنعاء وصاحب اليمامة».

ما وقع في وفد عبد القيس من الآيات

٢٥٤ - عن ابن شهاب أنه سمع بعض وفد عبد القيس، يقول: قال الأشج: يا رسول الله، إنّ أرضنا ثقيلة وخمة، وإنّا إذا لم نشرب هذه الأشرطة هيجت ألواننا وعظمت بطوننا، فرخص لنا في مثل هذه، وأوما بكفيه. فقال: «يا أشج إني إن رخصت لك في مثل هذه، وقال بكفيه هكذا، شربته في مثل هذه، وفرج يديه وبسطهما، يعني أعظم منها، حتى إذا ثمل أحدكم من شرابه، قام إلى ابن عمه فهزرساقه بالسيف».

وكان في القوم رجل يقال له الحارث، قد هزرت ساقه في شراب لهم في بيت من الشعر تمثل به في امرأة منهم، فقال الحارث: لما سمعتها من رسول الله ﷺ جعلت أسدل ثوبي فأغطي الضربة بساقي وقد أبداه الله لنبيه ﷺ.

٢٥٤ - رواه أحمد ٤/٢٠٦، ٢٠٧ و ٣/٤٣٣ مطولاً وسنده جيد.

= كما وقع ذلك بعده على يد أصحابه وأمه. كُبراً: أي عظماً. صنعاء: هي عاصمة اليمن حتى اليوم. اليمامة: هي بلدة بالحجاز كثيرة النخيل كان بها مسيلمة الكذب لعنه الله وأخزاه.

٢٥٤ - عبد القيس: هم أهل البحرين، وعندما وفدوا عليه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم كان قد أكرم وفادتهم وقال لهم مرحباً بالوفد غير خزايا ولا ندما ثم أمرهم بأربع ونهاهم عن أربع كما في الصحيحين وغيرهما، وهم من العرب العاربة الذين هاجروا من اليمن عند حادث سيل العرم. الأشج: كان هذا سيدهم. وخمة: بكسر الخاء وسكونها أي فيها وباء لا توافق ساكنيتها. هذه الأشرطة: أي المسكرة. هيجت: بكسر الهاء مبني للمجهول، ومعناه: تغيرت ألواننا وبيست، من هاج النبات إذا يبس. ثعل: بكسر الميم، أي سكر والثمل بفتح الميم السكر. فهزر: أي ضرب والهزر الضرب الشديد بخشب ونحوه.

ما وقع في قدوم جرير من الآيات

٢٥٥ - عن جرير رضي الله تعالى عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: «ألا تريحني من ذي الخلصة»، فقلت: يا رسول الله، إني لا أثبت على الخيل، فضرب في صدري، وقال: «اللهم ثبته واجعله هادياً مهدياً»، فسرت إليها في مائة وخمسين فارساً من أحسن فأتيناها فحرقناها.

ما وقع في وفد طيء من الآيات

٢٥٦ - عن عدي بن حاتم رضي الله تعالى عنه، قال: بينما أنا عند النبي ﷺ إذ أتاه رجل فشكى إليه الفاقة، وأتاه آخر فشكى إليه قطع

٢٥٥ - رواه البخاري آخر الغزوات فتح الباري ٩/١٣٢، ١٣٣، ١٣٤، ١٣٥، ومسلم في فضائل الصحابة، شرح النووي ١٦/٣٥، ٣٦ وكذا أحمد ٤/٣٦٠، ٣٦٥، وأبو داود في الجهاد، والترمذي في المناقب، وابن ماجه في السنة.

٢٥٦ - رواه البخاري في علامات النبوة فتح الباري ٧/٤٢٣، ٤٢٤.

٢٥٥ - ذي الخَلْصَة: بفتح الخاء واللام ثم صاد مهملة، هو اسم صنم كانت بيبت في أرض خثعم، وكانوا يسمونه الكعبة اليمانية، وهذا غير ما جاء في الصحيحين عن أبي هريرة مرفوعاً: «لا تقوم الساعة حتى تضطرب إليات نساء دوس حول ذي الخلصة» فإن هذا صنم آخر كانت دوس تعبده في الجاهلية وكلاهما باليمن. وقوله ألا تريحني: المراد به راحة قلبه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم، ولم يكن شيء أتعب لقلبه من بقاء ما يشرك به مع الله، وخصّ جريراً بالذهاب إليها وتهديمها لأنها كانت في بلاده، وكان هو من أشرف قومه، وللحديث روايات وزيادات، وفيه فضيلة جرير ومن كان معه.

٢٥٦ - الفاقة: أي الحاجة والفقر. قطع السبيل: يعني بذلك اللصوص وقطاع الطريق. =

السبيل، فقال: «يا عدي بن حاتم إن طالت بك حياة لثرينّ الطعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف أحداً إلا الله»، فقلت فيما بيني وبين نفسي: فأين دُعَار طيء الذين سَعَرُوا البلاد؟.

«ولئن طالت بك حياة لتفتحنّ كنوز كِسرى». قلت: كسرى بن هرمز؟ قال: «كسرى بن هرمز».

«ولئن طالت بك حياة لثرينّ الرجل يُخرج ملء كفيه من ذهب أو فضة يطلب من يقبله منه فلا يجده».

قال عدي: فرأيت الطعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف إلا الله، وكنت فيمن افتتح كنوز كسرى، ولئن طالت بكم حياة سترون الثالثة.

ما وقع في وفد مزينة من الآيات

٢٥٧ - عن النعمان بن مقرن رضي الله تعالى عنه، قال: (قدمنا على رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم في أربعمائة من

٢٥٧ - رواه أحمد ٤٤٥/٥ بسند صحيح إن صح سماع سالم ابن أبي الجعد من النعمان، لكن يؤيده الحديث التالي.

= الطعينة: هي في الأصل اسم للهودج فسميت به المرأة. الحيرة: بكسر الحاء بعدها ياء ساكنة فراء مفتوحة، بلدة بالعراق قرب الكوفة كانت مسكن ملوك العرب من قبل الفرس. دُعَار: بضم الدال وتشديد العين جمع داعر، وهو الشاطر الخبيث المفسد. طيء: هي قبيلة عدي بن حاتم وهي فيما بين الحجاز والعراق، وكانوا يقطعون الطريق على كل من مرّ بهم. سَعَرُوا: بتشديد العين، أي أوقدوا نار الفتنة وملأوا الأرض شراً وفساداً. كِسرى: بكسر الكاف، وهو علم على كل من ملك الفرس في القديم. يخرج ملء كفيه: وهذا قطعاً لا يكون إلا عند انتشار المال وفتح كنوز الأرض وسيكون ذلك أيام المهدي أو عيسى عليه السلام، وفي هذا الحديث تنبأت ومعجزات ظاهرة.

مزينة، فأمرنا رسول الله ﷺ بأمره، فقال بعض القوم: يا رسول الله، ما لنا طعام نتزوده، فقال النبي ﷺ لعمر: زودهم، فقال: ما عندي إلا فاضلة من تمر، وما أراها تغني عنهم شيئاً، فقال: انطلق فزودهم، فانطلق بنا إلى عُلَيَّةَ، فإذا فيها تمر مثل البكر الأورق، فقال: خذوا، فأخذ القوم حاجتهم، قال: وكنت أنا في آخر القوم، فالتفت وما أفقد موضع تمرة وقد احتمل منه أربعمائة رجل).

٢٥٨ - وعن دكين بن سعد الخثعمي رضي الله تعالى عنه قال: أتينا رسول الله ﷺ ونحن أربعون وأربعمائة نسأله الطعام فقال النبي ﷺ: فذكر الحديث بنحو ما سبق.

ما وقع في وفد نجران^(١) من الآيات

٢٥٩ - عن حذيفة بن اليمان أن السيد والعاقب أتيا رسول الله ﷺ، فأراد أن يلاعنها فقال أحدهما لصاحبه: لا تلاعنه،

٢٥٨ - رواه أحمد ١٧٤/٤ من طرق بعضها صحيحة، وعزاه الهيثمي كسابقه في المجمع ٣٠٤/٨، ٣٠٥ لأحمد والطبراني وقال: رجالهما رجال الصحيح.

٢٥٩ - رواه البخاري في المغازي ١٥٦/٩، ١٥٧ من الفتح وغيره، ومسلم في الفضائل شرح النووي ١٩٢/١٥، والترمذي في المناقب وغيرهم وعن ابن مسعود نحوه رواه أحمد ٤١٤/١ بسند صحيح.

٢٥٧ - فاضلة: أي الباقي منه. وما أراها: بضم الهمزة، ما أظنها. تغني: أي تجزي. عُلَيَّةَ: بضم العين وكسرهما بعدها لام مشددة مكسورة ثم ياء مشددة مفتوحة هو بيت منفصل عن الأرض كخزينة. البكر: بفتح الباء الفتى من الإبل. الأورق: هو ما فيه بياض إلى سواد، وفي هذين الحديثين آية واضحة في البركة في الطعام.

(١) نجران: بلد كبير بين الحجاز واليمن وهو إلى اليمن أقرب كان يسكنه النصارى قديماً.
٢٥٩ - يلاعنها: المراد بذلك المبالغة بأن يلعن كل من الفريقين الكاذب المبطل، وقد أشار =

فوالله لئن كان نبياً لا نفلح نحن ولا عقبنا من بعدنا، قال له: نعطيك ما سألتنا، الحديث.

٢٦٠ - وعن المغيرة بن شعبة، قال: بعثني رسول الله ﷺ إلى نجران فقالوا: أرأيت ما تقرأون: ﴿يا أخت هارون﴾ وقد كان بين موسى وعيسى ما قد علمتم، فأتيت النبي ﷺ فأخبرته، فقال: «ألا أخبرتهم أنهم كانوا يسمون بأسماء أنبيائهم والصالحين قبلهم».

٢٦١ - وعن ابن عباس قال: قال أبو جهل: لئن رأيت محمداً ﷺ يصلي عند الكعبة لأتينه حتى أطأ على عنقه، قال: فقال: «لوفعل لأخذه الملائكة عياناً، ولو أن اليهود تمنوا الموت لماتوا ورأوا مقاعدهم في النار، ولو خرج الذين يباهلون رسول الله ﷺ لرجعوا لا يجدون مالاً ولا أهلاً».

٢٦٠ - رواه مسلم في الاستئذان، وكذا الترمذي في التفسير رقم ٢٩٤٧ بهذهيبي، وأحمد ٢٥٢/٤.

٢٦١ - رواه أحمد ٢٤٨/١ بسند صحيح.

= القرآن إلى ذلك حيث قال: ﴿قل تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين﴾ وقد باهل جماعة من العلماء كابن عباس والأوزاعي وابن القيم والحافظ ابن حجر. وما عرف بالتجربة أن من باهل وكان مبطلاً لا تمضي عليه سنة من يوم المباهلة. لا نفلح: أي لا نسعد ولا يكون لنا خير.

وفي هذا الحديث دليل على أن هؤلاء النصارى شعروا بانحرافهم وضلالهم وتحققوا صدق النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ولذلك تحوُّفوا من المباهلة وتقاعسوا عنها.

٢٦٠ - كانوا يسمون: فالأخوة هنا معناها في العبادة والزهادة والانقطاع إلى الله تعالى.

٢٦١ - أطأ: أي أضع رجلي على عنقه. عياناً: أي مشاهدة بدون حجاب.

وفي الحديث ثلاث معجزات كلها من أنباء الغيب في أبي جهل وفي اليهود وفي النصارى.

ما وقع في وفد الدارين

٢٦٢ - عن فاطمة بنت قيس رضي الله تعالى عنها، قالت: قدم على رسول الله ﷺ تميم الداري، فأخبره أنه ركب البحر فتاهت به سفينته، فسقطوا إلى جزيرة فخرجوا إليها يلتمسون الماء، فلقي إنساناً يجرُّ شعره، فقال: من أنت؟ قالت: أنا الجساسة، قالوا: فأخبرينا، قالت: لا أخبركم ولكن عليكم بهذه الجزيرة، فدخلناها فإذا رجل مقيد، فقال: من أنتم؟ قلنا: ناس من العرب، قال: ما فعل هذا النبي الذي خرج فيكم؟ قلنا: قد آمن به الناس وصدقوه واتبعوه، قال: ذلك خير لهم، أفلا تخبروني عن عين زُغرٍ ما فعلت؟ فأخبرناه عنها، فوثب وثبة كاد أن يخرج من وراء الجدار، ثم قال: ما فعل نخل بيسان، هل أطمع بعد؟ فأخبرناه أنه قد أطمع فوثب مثلها، ثم قال: أما لو أذن لي في الخروج لو طئت البلاد كلها غير طيبة، قالت: فأمره رسول الله ﷺ فحدث الناس، فقال: «هذه طيبة وذاك الدجال».

والجملة الأولى الخاصة بأبي جهل رواها البخاري والترمذي رقم ٣١٢٥ كلاهما في تفسير سورة العلق، وقد تقدمت في عصمته من الناس.

٢٦٢ - رواه مسلم في الفتن مطولاً ٧٨/١٨، ٨٥ من شرح النووي ويعرف بحديث الجساسة.

٢٦٢ - تاهت: أي ضلت. يلتمسون: أي يطلبون. زُغرٍ: بضم الزاي وفتح الغين بعدها راء، عين بالشام. فوثب: أي نهض وقام مع قوة. لو طئت: لو وضعت رجلي في سائر البلاد غير المدينة.

في هذا الحديث فضيلة تميم الداري وتأييد لما أخبر به النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم من خروج الدجال وطوافه الأرض كلها ما عدا مكة والمدينة في أربعين يوماً، وفيه دليل على أن الدجال موجود، وقد جاءت فيه وفي شأنه أحاديث كثيرة متواترة.

ما وقع في قدوم عكرمة بن أبي جهل

٢٦٣ - عن عائشة أن رسول الله ﷺ قال: «رأيت في المنام كأنَّ أبا جهل أتاني فبايعني»، فلما أسلم خالد بن الوليد، قيل لرسول الله ﷺ: قد صدق الله رؤياك يا رسول الله، هذا كان إسلام خالد، فقال: «ليكوننَّ غيره» حتى أسلم عكرمة بن أبي جهل، وكان ذلك تصديق رؤياه.

الآية في قدوم الأعرابي من بني عامر

٢٦٤ - عن ابن عباس قال: (جاء أعرابي من بني عامر بن صعصعة إلى النبي ﷺ، فقال: بَمَ أعرف أنك رسول الله؟ قال: «أرأيت لو دعوت

٢٦٣ - رواه الحاكم في معرفة الصحابة ٢٤٢/٣، ٢٤٣ وصححه على شرط البخاري ومسلم ووافقه الذهبي.

٢٦٤ - رواه أحمد ٢٢٣/١، والبخاري في التاريخ، والدارمي رقم ٢٤، والترمذي في المناقب رقم ٣٣٩٧ تهذيب، والحاكم ٢٦٠/٢ من طرق، وصححه الترمذي والحاكم ووافقه الذهبي وللحديث شواهد صحيحة انظر مجمع الزوائد ٥/٩، ٦، ١٠ وابن حبان ٢١١١.

٢٦٣ - عكرمة بن أبي جهل من صناديد قريش في الجاهلية والإسلام، وكان من أشدَّ الناس عداوةً لنبي الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم، وتأخر إسلامه إلى ما بعد الفتح وتوفي شهيداً يوم اليرموك أو يوم مرج الصفر، أما خالد بن الوليد فكان أيضاً من أشرف قريش في الجاهلية، شهد مع مشركيهم حروب الإسلام وأسلم قبل الفتح وسرَّ به رسول الله ﷺ وسماه سيفاً من سيوف الله وتوفي ودفن بحمص من الشام.

هذا العِذْق من هذه النخلة، أتشهد بأني رسول الله»، قال: نعم، فدعا العِذْق، فجعل العِذْق ينزل من النخلة حتى سقط في الأرض فجعل ينقز، وفي رواية: ثم قال: ارجع فعاد فأسلم الأعرابي).

الآية في قدوم الأعرابي الآخر

٢٦٥ - عن ابن عمر قال: (كنا مع النبي ﷺ في سفر، فأقبل أعرابي، فلما دنا قال له النبي ﷺ: «أين تريد؟» قال: إلى أهلي، قال: «هل لك في خير؟» قال: وما هو؟ قال: «تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله»، قال: مَنْ شاهد على ما تقول؟ قال: «هذه الشجرة»، فدعاها رسول الله ﷺ، وهي بشاطيء الوادي، فأقبلت تخذ الأرض خذاً حتى جاءت بين يديه، فاستشهدها ثلاثاً فشهدت أنه

٢٦٥ - رواه الدارمي رقم ١٦، وابن حبان رقم ٢١١٠، وسنده صحيح على شرط مسلم عند الدارمي، وهو في مجمع الزوائد ٢٩٢/٨ برواية الطبراني وأبي يعلى والبخاري، وقال: إن رجاله رجال الصحيح، وقال البوصيري: رواه أبو يعلى بسند صحيح وانظر المطالب العالية رقم ٣٨٣٦ للحافظ.

٢٦٤ - العِذْق: بكسر العين وسكون الذال العرجون وفرع النخلة بما فيه من الشماريح. ينقز: أي يقفز ويشب.

في هذا الحديث معجزة ظاهرة للنبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم حيث أطاعه عِذْق النخلة وانحدر من أصله وأتاه ثم عاد إلى موضعه، إنه لمن أعجب الخوارق، وقد تكرر إطاعة الشجر له صلى الله تعالى عليه وآله وسلم.

٢٦٥ - شاطيء: الشاطيء هو الجانب. تخذ: أي تشق وتحفر. فاستشهدها: أي طلب منها أن تشهد وتقر له بالرسالة.

كما قال، ثم رجعت إلى منبتها، ورجع الأعرابي إلى قومه فقال: إن يتبعوني آتكم بهم، وإلا رجعت إليك فكنت معك).

ما وقع في حجة الوداع^(١) من الآيات

٢٦٦ - عن جابر قال: خرجنا مع النبي ﷺ في سفر، وكان إذا أراد البراز تباعد حتى لا يراه أحد، فنزلنا منزلاً بفلاة من الأرض ليس فيها علم ولا شجرة، فقال لي: «يا جابر خذ الإداوة وانطلق»، فملأت الإداوة ماء وانطلقنا فمشينا حتى لا نكاد نرى فإذا شجرتان بينهما أذرع، فقال لي: «يا جابر انطلق فقل لهذه الشجرة، يقول لك رسول الله ﷺ: الحقي بصاحبك حتى أجلس خلفكما»، ففعلت فلحقت بصاحبتها، فجلس خلفهما حتى قضى حاجته، ثم رجعنا وركبنا فسرنا، فإذا نحن بامرأة قد عرضت لرسول الله ﷺ معها صبي تحمله، فقالت: يا رسول الله إن ابني هذا يأخذه الشيطان كل يوم ثلاث مرات لا يدعه، فوقف رسول الله ﷺ

٢٦٦ - رواه الدارمي رقم ١٧ بسند صحيح وجوَّده الحافظان المنذري وابن كثير ولا تضر هنا عننة أبي الزبير وما قيل في بعض رجاله فإنَّ للحديث شواهد متعددة.

وفي الحديث هذه المعجزة الظاهرة من الشجرة، حيث إنها أقبلت إليه بحية وأقرت له بالرسالة ثم رجعت إلى أصلها.

(١) حجة الوداع: هي الحجة التي حجها رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم آخر حياته، وكانت في السنة العاشرة من الهجرة وخرج معه فيها بشر كثير لا يحصيه كتاب، وقد كتب الناس عن هذه الحجة العظيمة وذكروا ما وقع فيها من أحكام وغيرها، وحق لها ذلك، فإنها من الأحداث العظيمة في الإسلام، وعقبها توفي النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بحيث لم يعيش بعدها إلا نحو من ثلاثة أشهر أو نحوها.

٢٦٦ - البراز: بفتح الباء يعبر به عن قضاء الحاجة والتغوط. الفلاة: هي المقاعة أو الصحراء الواسعة. الإداوة: الإناء. اخساً: اذهب مطروداً مبعداً، يقال: خسات الكلب أي طردته وأبعدته.

فتناوله فجعله بينه وبين مقدمة الرحل، فقال رسول الله ﷺ: «إخساً عدو الله، أنا رسول الله»، ثلاثاً، ثم ناولها إياه، فلما رجعنا عرضت لنا المرأة معها كبشان تقودهما والصبي تحمله، فقالت: يا رسول الله، اقبل مني هديتي، فوالذي بعثك بالحق لم يعاود إليّ بعد، فقال رسول الله ﷺ: «خذوا أحدهما منها وردّوا الآخر»، ثم سرنا ورسول الله ﷺ بيننا فجاء جمل ناد، فلما كان بين السماطين خرّ ساجداً، فقال: «من صاحب الجمل؟» فقال فتية من الأنصار: هولنا، قال: «فما شأنه»، قالوا: سنّونا عليه عشرين سنة، فلما كبرت سنه أردنا نحره لنقسمه بين غلماننا، فقال: «تبعوني»، قالوا: هو لك، قال: «فأحسنوا إليه حتى يأتيه أجله».

٢٦٧ - وعن يعلى بن مرة رضي الله تعالى عنه قال: سافرت مع النبي ﷺ إلى مكة، فرأيت منه شيئاً عجيباً، نزلنا منزلاً فقال: «انطلق إلى هاتين الشجرتين، فقل: إن رسول الله ﷺ يقول لكما أن تجتمعا»، فانطلقت، فقلت لهما ذلك، فانترعت كل واحدة من أصلها، فنزت كل واحدة إلى صاحبتهما فالتقتا جميعاً، ففضى حاجته من ورائهما، ثم قال: «انطلق فقل لهما: فلترجع كل واحدة إلى مكانتها»، فأتيتهما فقلت لهما

٢٦٧ - رواه أحمد ٤/١٧٠، ١٧٢، ١٧٣، والحاكم وصححه ووافقه الذهبي، وأورده الهيثمي في المجمع ٩/٦٥، وقال: رواه أحمد بإسنادين، وإحدى إسناديه رجاله رجال الصحيح.

= ناد: أي شارد ذاهب. السماطين: هو يطلق على الجماعة من الناس والنخل. سنّونا: أي استقينا عليه.

في هذا الحديث ثلاث معجزات: إطاعة الشجرتين له، وإطاعة الجني، وشكابة البعير له، وفيه جواز أخذ الأجرة على معالجة الجنون من الشياه، وفي ذلك أحاديث.

٢٦٧ - فنزت: النز ما يتحلب من الماء القليل في الأرض، والمراد هنا: أن كل واحدة من =

ذلك، فنزت كل واحدة حتى عادت إلى مكانها، وأتته امرأة فقالت: إنَّ ابني هذا به لَمَمٌ منذ سبع سنين يأخذه في كل يوم مرتين، فقال: أذنيه، فتفل في فيه، وقال: «أخرج عدوَّ الله أنا رسول الله»، ثم قال لها: «إذا رجعنا فاعلمينا ما صنع» فلما رجع استقبلته، فقالت: والذي أكرمك ما رأينا به شيئاً منذ فارقتنا، ثم أتاه بعير فقام بين يديه فرأى عينيه تدمعان، فبعث إلى أصحابه، فقال: «ما لبعيركم هذا يشكوكم؟» فقالوا: «كنا نعمل عليه فلما كبر ذهب عمله، تواعدنا لننحره غداً، قال: «فلا تنحروه واجعلوه في الإبل».

٢٦٨ - وعن جابر قال: رأيت النبي ﷺ يرمي الجمرة على راحلته يوم النحر، ويقول: «لتأخذوا عني مناسككم، فإن لا أدري لعلِّي لا أحج بعد حجتي هذه».

٢٦٨ - رواه مسلم في الحج.

= الشجرتين وثبت ومشت نحو صاحبتهما. به كم: بفتح اللام والميم أي مس من الجنون، وهذا الحديث كسابقه.

٢٦٨ - في هذا الحديث تنبؤ منه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم لأصحابه بانتقاله فكان الأمر كذلك.

ذكر المعجزات التي لم تدخل في الأبواب السابقة

نبع المياه من بين الأصابع الشريفة
وتكثيره ببركته، وذلك مرات

٢٦٩ - عن جابر بن عبد الله قال: (قد رأيتني مع النبي ﷺ وقد حضرت العصر وليس معنا ماء غير فضلة، فجعل في إناء، فأتى النبي ﷺ به، فأدخل يده فيه وفرّج أصابعه، ثم قال: «حيّ هلا على الوضوء والبركة من الله»، فلقد رأيت الماء يتفجر من بين أصابعه فتوضأ الناس وشربوا، فجعلت لا آلو ما جعلت في بطني منه، فعلمت أنه بركة، قلت لجابر: كم كنتم يومئذ؟ قال: ألف وأربعمائة).

٢٧٠ - وعن أنس قال: (رأيت رسول الله ﷺ وحانت صلاة العصر والتمس الناس الوضوء فلم يجدوه، فأتي بوضوء، فوضع رسول الله ﷺ

٢٦٩ - رواه البخاري بهذا اللفظ في الأشربة فتح الباري ١٢/٢٠٤، ٢٠٥، ورواه بنحوه في علامات النبوة، وفتح الباري ٧/٢٩٨ وفي المغازي، الفتح ٨/٤٤٧، ٤٤٨.

٢٧٠ - رواه البخاري في علامات النبوة فتح الباري ٧/٣٩٦، ٣٩٧ وغيره، ومسلم في الفضائل بشرح النووي ١٥/٣٩.

٢٦٩ - غير فضلة: أي شيء قليل فضل عن الشرب أو الوضوء. حيّ هلا: أي تعالوا وهلموا، فحي اسم فعل، وهلا استعجال وحث وهي مركبة مع حي. يتفجر: أي ينبع ويسيل. لا آلو: أي لا أقصر جهداً.

٢٧٠ - وحانت: أي جاء وقتها ودخل حينها. والتمس: أي طلب. الوضوء: بفتح الواو، =

يده في ذلك الإناء، فأمر الناس أن يتوضأوا منه، فرأيت الماء ينبع من تحت أصابعه، فتوضأ الناس حتى توضأوا من عند آخرهم).

٢٧١ - وعن أنس أن النبي ﷺ دعا بماء فأتي بقدر رحاح فيه شيء من ماء، فوضع أصابعه فيه، فجعلت أنظر إلى الماء ينبع من بين أصابعه، فجعل القوم يتوضؤون، فحزرت من توضأ منهم ما بين السبعين إلى الثمانين.

٢٧٢ - وعنه قال: (حضرت الصلاة فقام من كان قريب الدار إلى أهله يتوضأ، وبقي قوم، فأتي النبي ﷺ بمخضب من حجارة فيه ماء، فصغر المخضب أن ييسط فيه كفه، فتوضأ القوم كلهم، قلنا لقتادة: كم هم؟ قال: ثمانون وزيادة).

٢٧٣ - وعن أنس رضي الله عنه قال: (أتي النبي ﷺ بإناء وهو بالزوراء، فوضع كفه فيه، فجعل الماء ينبع من بين أصابعه وأطراف

٢٧١ - رواه البخاري في علامات النبوة فتح الباري ٦/٣٩٧، ٣٩٨، ومسلم في الفضائل شرح النووي ٣٨/١٥.

٢٧٢ - رواه البخاري في الوضوء، وفي المناقب باب علامات النبوة.

٢٧٣ - رواه البخاري في كتاب المناقب باب علامات النبوة.

.....
= اسم لما يتوضأ به من الماء، وقد يطلق على الأنية المعدة للوضوء كما يطلق على الصعيد المتيمم به، كما جاء في الحديث الصحيح: «الصعيد الطيب وضوء المسلم» إلخ. ينبع: أي يسيل ويتفجر كما في الرواية السالفة.

٢٧١ - قدحٌ رخراحٌ: بفتح الراءين بينهما حاء ساكنة أي واسع منبسط. فحزرت: أي قدرت.

٢٧٢ - بمخضب: بكسر الميم فحاء ساكنة بعدها ضاد هو شبيه بالمركن الذي يغسل فيه الثياب.

٢٧٣ - الزوراء: بالزاي بعده واو ساكنة فراء ممدودة وآخره همزة، موضع بالمدينة كان قريباً من المسجد النبوي. زهاء: بضم الزاي فهاء ممدودة أي قدر ثلاثمائة.

أصابه، فتوضأ أصحابه جميعاً، قال قتادة: قلت لأنس: كم كانوا؟ قال: ثلاثمائة، أو زهاء ثلاثمائة).

٢٧٤ - وعن ابن مسعود قال: (كنا نعد الآيات بركةً وأنتم تعدونها تخويفاً، كنا مع رسول الله ﷺ في سفر فقل الماء فقال: اطلبوا فضلة من ماء، فجاءوا بإناء فيه ماء قليل، فأدخل يده في الإناء، ثم قال: حيّ على الطهور المبارك والبركة من الله، فلقد رأيت الماء ينبع من بين أصابع رسول الله ﷺ، ولقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل).

٢٧٥ - وعن ابن عباس قال: (دعا النبي ﷺ بلالاً، فطلب بلال الماء، ثم جاء فقال: لا والله ما وجدت الماء، فقال النبي ﷺ: «فهل من شيء؟» فأتاه بشن، فبسط كفيه فيه، فانبعثت تحت يديه عين، قال: فكان ابن مسعود يشرب وغيره يتوضأ).

٢٧٦ - وعن عمران بن حصين رضي الله تعالى عنه قال: (كنا في سفر مع رسول الله ﷺ فشكا إليه الناس العطش، فدعا علياً ورجلاً آخر،

٢٧٤ - رواه البخاري في علامات النبوة فتح الباري ٤٠٢/٧، ٤٠٣ وكذا رواه الترمذي، وأحمد ٤٠٢/١، ٤٠٦.

٢٧٥ - رواه الدارمي رقم ٢٥ بسند صحيح وعطاء بن السائب لا يضر هنا.

٢٧٦ - رواه البخاري في التيمم، فتح الباري ٤٦٤/١، ٤٧٠ وغيره، وكذا

رواه مسلم في المساجد النووي ١٨٩/٥، ١٩٢، وأحمد ٤٣٤/٤، ٤٣٥ مطولاً في نومهم حتى طلعت الشمس.

٢٧٤ - الآيات أي الأمور الخارقة للعادات، وقوله: وأنتم تعدونها تخويفاً: الظاهر أنه أنكر عليهم عد جميع الخوارق تخويفاً وليس كذلك فإن بعضها تخويفٌ كالكسوف والزلازل ونحو ذلك، ومنها ما هو بركة كالذكر في الحديث من نبع الماء من بين أصابعه وكشيع الخلق الكثير من الطعام القليل، وقوله: حي: أي هلموا وأقبلوا فتوضأوا واشربوا من الماء المبارك. بشن: هي بفتح الشين القربة البالية. فانبعث: أي سأل.

فقال: «اذهبا فابغياي الماء»، فانطلقا فيلقيان امرأة بين مزادتين أو سطيحتين من ماء على بعير لها، فقالا لها: أين الماء؟ قالت: عهدي بالماء أمس هذه الساعة، فانطلقا بها إلى رسول الله ﷺ، فدعا بإناء، فأفرغ فيه من أفواه المزادتين، فمضمض في الماء وأعاده في أفواه المزادتين، وأوكأ أفواههما، وأطلق العزالي، ونودي في الناس: أن اسقوا واستقوا فسقى من شاء واستقى من شاء، وهي قائمة تنظر ما يفعل بمائها، وأيم الله، لقد أفلع عنها وأنه ليخيل إلينا أنه أشد ملاً منها حين ابتداء فيها، فقال رسول الله ﷺ: «تعلمين، والله ما رزأنا من مائك شيئاً، ولكن الله عز وجل هو سقانا»، قال: فأنت أهلها وقد احتبست عنهم، فقالوا: ما حبسك يا فلانة؟ قالت: العجب، لقيني رجلان ذهبا بي إلى هذا الذي يقال له الصابىء، ففعل بمائي كذا وكذا الذي قد كان، فوالله إنه لأسحر من بين هذه وهذه، وقالت: بأصبعيها الوسطى والسبابة فرفعتهما إلى السماء تعني السماء والأرض، أو إنه لرسول الله ﷺ حقاً، قال: فكان المسلمون بعد يغيرون على من حولها من المشركين ولا يصيبون الصرم الذي هي فيه، فقالت يوماً لقومها: ما أرى أن هؤلاء القوم يدعونكم عمداً فهل لكم في الإسلام، فأطاعوها، فدخلوا في الإسلام).

٢٧٦ - فابغياي: أي اطلبا لي الماء وهو أمر من أبغى. مزادتين: هي تشية المَزَادَة بفتح الميم، هي قربة كبيرة يحمل فيها الماء وهي السطحة والراوية. وأوكأ: أي ربطها بالوكاء. العزالي: بفتح العين فزاي بعده ثم لام مكسورة ويجوز فتحها واحدها عَزْلًا وان وهي مصب الماء من الراوية ولكل مزادة عزلا وإن من أسفلها. وأيم الله: أصله أيمن الله، وهو من أساء القسم وهو مرفوع بالابتداء والتقدير: أيم الله قسمي. ليُخِيلَ: بضم الياء الأولى وفتح الثانية بالبناء للمجهول. مُلَاة: بكسر الميم وسكون اللام بعدها همزة أي يظنون ويتوهمون أن ما بقي فيها من الماء أكثر مما كان أولاً. أفلع: بضم الهمزة أي كف عنها وفرغ من علاجها. عجوة: نوع من التمر. سويقة: هو دقيق مشوي يتخذ من الشعير كان العرب يتزودونه كثيراً. رزأنا: أي نقصنا. الصابىء: كانوا يطلقون هذا على كل من خرج عن دين قومه. الصرم: بكسر الصاد هي أبيات مجتمعة من الناس. يغيرون: من الإغارة.

٢٧٧ - وعن أبي قتادة رضي الله تعالى عنه، أن النبي ﷺ كان في سفر فأسرى، ثم نام فما استيقظ إلا والشمس في ظهره، فدعا بميضأة كانت معي فيها شيء من ماء فتوضأ منها، ثم قال: «احفظ علينا ميضأتك سيكون لها نأ»، فسار حتى امتد النهار، فقال الناس: هل كنا وعطشنا، فقال: لا هُلك عليكم، ثم قال: انطلقوا إلى غمري - يعني القدح الصغير - فدعا بميضأتي، فجعل النبي ﷺ يصب، وأبو قتادة يسقيهم فقال النبي ﷺ: «أحسنوا الملاء، كلكم سيروى»، حتى ما بقي أحد.

معجزاته صلى الله تعالى عليه وآله وسلم في تكثير الطعام غير ما سبق

٢٧٨ - عن أنس قال: (جئت رسول الله ﷺ يوماً فوجدته جالساً مع

٢٧٧ - رواه مسلم في المساجد من الصلاة مطولاً شرح النووي ١٨٣/٥،

. ١٨٩

٢٧٨ - رواه مسلم في الأشربة شرح النووي ٢٢٠/١٣، ٢٢٣.

٢٧٧ - بميضأة: بكسر الميم هي مطهرة كبيرة يتوضأ منها. لا هُلك: بضم الهاء مع سكون

اللام.

وفي أحاديث الباب آيات وخوارق صدرت من حضرة المصطفى صلى الله تعالى عليه وآله وسلم تتعلق ببيع المياه من بين أصابعه الكريمة، وقد حصلت هذه المعجزة منه في مواطن وأزمنة مختلفة حضراً وسفراً، ورواها الجسمُ الغفير من الصحابة يفيد جميعها التواتر المعنوي والجزم بوقوعها، قال القاضي عياض رحمه الله تعالى: هذه القصة رواها الثقات من العدد الكثير عن الجسم الغفير عن الكافة متصلة بالصحابة وكان ذلك في مواطن اجتماع الكثير منهم في المحافل ومجمع العساكر ولم يرو عن أحد منهم إنكار على راوي ذلك فهذا النوع ملحق بالقطعي من معجزاته، وقال القرطبي رحمه الله تعالى: قصة نبع الماء من بين أصابعه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم تكررت منه في عدة مواطن في مشاهد عظيمة ووردت من طرق كثيرة يفيد مجموعها العلم القطعي المستفاد من التواتر المعنوي نقله الحافظ في الفتح مع رواية ذلك ٣٩٥/٧، ٣٩٦.

أصحابه يحدثهم وقد عصب بطنه بعصابه، فقلت لبعض أصحابه: لم عصب رسول الله ﷺ بطنه؟ قالوا: من الجوع، فذهبت إلى أبي طلحة، فأخبرته، فدخل على أمي، فقال: هل من شيء؟ قالت: نعم، عندي كسر من خبز وتمرات، فإن جاءنا رسول الله ﷺ وحده أشبعناه، وإن جاءنا معه أحد قلّ عنهم، فقال أبو طلحة: اذهب يا أنس فقم قريباً من رسول الله ﷺ، فإذا قام فدعه حتى يتفرق أصحابه، ثم اتبعه حتى إذا قام على ستر بابه فقل: أبي يدعوك، ففعلت ذلك، فلما قلت: إنَّ أبي يدعوك، قال لأصحابه: «يا هؤلاء تعالوا»، ثم أخذ بيدي فشدها، ثم أقبل بأصحابه حتى إذا دنونا من بيتنا أرسل يدي فدخلت وأنا حزين لكثرة من جاء به، فقلت: يا أبتاه، قلت لرسول الله ﷺ الذي قلت لي فدعا أصحابه، وقد جاءك بهم، فخرج أبو طلحة، وقال: يا رسول الله، إنما أرسلت أنساً يدعوك وحدك ولم يكن عندي ما أشبع من أرى، فقال: «ادخل فإنَّ الله سيبارك فيما عندك»، فدخل، فقال: «اجمعوا ما عندكم ثم قربوه»، فقربنا ما كان عندنا من خبز وتمر، فجعلناه على حصيرنا فدعا فيه بالبركة، فقال: «يدخل علي ثمانية»، فأدخلت عليه ثمانية، فجعل كفه فوق الطعام، فقال: «كلوا وسمّوا الله»، فأكلوا من بين أصابعه حتى شبعوا، ثم أمرني أن أدخل عليه ثمانية فما زال ذلك أمره حتى دخل عليه ثمانون رجلاً كلهم يأكل حتى يشبع، ثم دعاني ودعا أمي وأبا طلحة، فقال: كلوا فأكلنا حتى شبعنا، ثم رفع يده، فقال: «يا أم سليم، أين هذا من طعامك حين قدمته؟» قالت: بأبي أنت وأمي، لولا أنني رأيتهم يأكلون لقلت ما نقص من طعامنا شيء).

٢٧٨ - عصب بطنه: أي شدها. كسر: بكسر الكاف وفتح السين جمع كسرة القطعة من الخبز. قلّ عنهم: أي لا يكفيهم لقلته. ستر بابه: أي موضع الستر وهو العتبة. تعالوا: أي هلموا وأقبلوا. دنونا: أي قربنا. سيبارك: أي سيجعل الله فيه بركة، وهذا لون آخر من الخوارق النبوية =

٢٧٩ - وعنه قال: (قال أبو طلحة لأم سليم: لقد سمعت صوت رسول الله ﷺ ضعيفاً أعرف فيه الجوع، فهل عندك من شيء؟ قالت: نعم، فأخرجت أقراصاً من شعير، ثم ذهبت إلى رسول الله ﷺ، فقال: «أرسلك أبو طلحة». قلت: نعم، فقال لمن معه: قوموا، فجئت أبا طلحة فأخبرته، فقال أبو طلحة: يا أم سليم، قد جاء رسول الله ﷺ والناس، وليس عندنا ما نطعمه، قالت: الله ورسوله أعلم، فدخل رسول الله ﷺ، فقال: «هلمي، ما عندك يا أم سليم». فأتيت بذلك الخبز، فأمر به ففت وعصر عليه عكة لها فأدمته، ثم قال فيه النبي ﷺ ما شاء الله أن يقول، ثم قال: «إيذن لعشرة»، فأذن لهم فأكلوا حتى شبعوا، ثم قال: «إيذن لعشرة» حتى أكل القوم كلهم وشبعوا، والقوم سبعون رجلاً أو ثمانون).

٢٨٠ - وعن سمرة بن جندب أن رسول الله ﷺ أتى بقصعة من ثريد فوضعت بين يدي القوم فتعاقبوا إلى الظهر من غدوة يقوم قوم

٢٧٩ - رواه البخاري في علامات النبوة، فتح الباري ٣٩٩/٧، ٤٠٢، وفي الأطعمة ومسلم في الأشربة، النووي ٢١٧/١٣، ٢٢٠ رواه من طرق، وفي بعضها: ثم أكل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهل البيت وأفضلوا ما بلغ جيرانهم، وفي بعضها: فقال: بسم الله اللهم عظم فيه البركة، ورواه أيضاً الترمذي في المناقب، والنسائي في الوليمة، والدارمي رقم ٤٤ بنحوه.

٢٨٠ - رواه الدارمي رقم ٥٧، والترمذي في المناقب رقم ٣٣٩٤ بتهديب، والحاكم ٢١٨/٢ وصححه الترمذي والحاكم وهو كما قال.

= وهو تكثير الطعام بدعائه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وقد صدر هذا أيضاً في مواطن متعددة غير أن ما في هذا الحديث والذي بعده كان قد حصل في غزوة الخندق، والأحاديث الواردة في موضوع بركة الطعام كثيرة، قال الحافظ: وقد ورد تكثير الطعام في الجملة من أحاديث جماعة من الصحابة.

٢٧٩ - ففت: بضم الفاء: أي كسر. عكة: بضم العين وشد الكاف، إناء من جلد مستدير يجعل فيه السمن غالباً والعلس. فأدمته: أي صيرت ما خرج من العكة إداماً له.

٢٨٠ - قصعة: بفتح القاف: الجفنة. ثريد: كان من أفضل أطعمة العرب. فتعاقبوا: أي =

ويجلس آخرون، فقال رجل لسمرة بن جندب: أما كانت تمد؟ فقال سمرة: من أي شيء تعجب، ما كانت تمد إلا ههنا وأشار بيده إلى السماء.

٢٨١ - وعن عبدالرحمن بن أبي بكر رضي الله تعالى عنهما، قال: (كنا مع النبي ﷺ ثلاثين ومائة، فقال: «هل مع أحد منكم طعام؟» فإذا مع رجل صاع من طعام أو نحوه فعجن، ثم جاء بغنم يسوقها فاشتري منه شاة فأمر بها فصنعت، فأمر رسول الله ﷺ بسواد البطن أن يشوى قال: وايم الله ما من الثلاثين ومائة إلا وقد حَزَّ له رسول الله ﷺ من بطنها إن كان شاهداً أعطاه، وإن كان غائباً خبأ له، قال: وجعل منها قطعتين فأكلنا منها وشبعنا وفضل في القصعتين فحملنا على البعير.

٢٨٢ - وعن أبي هريرة قال: (والله الذي لا إله إلا هو إن كنت لأعتمد بكبدي على الأرض من الجوع، وإن كنت لأشدَّ الحجر على بطني من الجوع، ولقد قعدت يوماً على الطريق فمرَّ بي أبو بكر، فسألته عن آية من كتاب الله ما سألته إلا ليستبغني، فمرَّ ولم يفعل.

٢٨١ - رواه البخاري في البيوع والهبة فتح الباري ١٥٩/٩، ١٦٠ وكذا أحمد ١٩٧/١، ١٩٨.

٢٨٢ - رواه البخاري في الرقاق، فتح الباري ٦١/١٤، ٦٧ وكذا أحمد ٥١٥/٢، والترمذي في القيامة رقم ٢٢٩٤ بتهذيبي.

= يقوم قوم ويأتي قوم آخرون عقبهم. من غُدوة: بضم الغين ما بين صلاة الصبح وطلوع الشمس، وأطلقت هنا على ما بين الصبح والظهر.

٢٨١ - صاع: قد تكرر هذا كثيراً في الأحاديث وهو إناء يكال به ويتوضأ منه يسع أربعة أمداد نبوية، والمد النبوي هو ملء اليدين المتوسطتين غير مبسوطتين ولا مجموعتين. بسواد البطن: وهو الكبد بفتح الكاف وكسر الباء. حَزَّ له: هو بالحاء بعدها زاي: أي قطع منها.

٢٨٢ - ليستبغني: أي يطلب مني أن أتبعه ليطعمني. ليك: أي إجابة لك. قَدَح: بفتح =

ثم مرَّ بي عمر فسألته عن آية من كتاب الله ما سألته إلا ليستتبعني،
فمرَّ ولم يفعل.

ثم مرَّ بي أبو القاسم عليه السلام فتبسَّم حين رأني وعَرَف ما في نفسي،
وما في وجهي، ثم قال: يا أبا هريرة، قلت: لبيك يا رسول الله، قال:
إلحق، ومضى فاتبعته، فدخل واستأذنت، فأذن لي، فدخلت، فوجدت
لبناً في قدح، فقال: من أين هذا اللبن؟ قالوا: أهدها لك فلان أو فلانة،
قال: يا أبا هر، قلت: لبيك يا رسول الله، قال: «إلحق بأهل الصُّفَّة
فادعهم لي».

قال: وأهل الصُّفَّة أضياف الإسلام لا يأوون إلى أهل ولا مال،
إذا أتته صدقة بعث بها إليهم، ولم يتناول منها شيئاً، فإذا أتته هدية أرسل
إليهم وأصاب منها وأشركهم فيها، فسأني ذلك، قلت: وما هذا اللبن
في أهل الصُّفَّة، وكنت أرجو أن أصيب من هذا اللبن شربة أتقوى بها،
وإني لرسول، فإذا جاءوا أمرني أن أعطيهم وما عسى أن يبلغني من هذا
اللبن، ولم يكن من طاعة الله وطاعة رسول الله بدُّ.

فأتيتهم فدعوتهم، فأقبلوا وأخذوا مجالسهم من البيت، فقال: أبا
هر، قلت: لبيك يا رسول الله، قال: «خذ فأعطهم»، فأخذت القدح،
فجعلت أعطيه الرجل فيشرب حتى يروى، ثم يرد عليَّ القدح أعطيه
الآخر، فيشرب حتى يروى، ثم يرد عليَّ القدح حتى انتهى إلى
رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد روي القوم كلهم، فأخذ القدح فوضعه على يده ونظر
إليَّ وتبسَّم، وقال: يا أبا هر، قلت: لبيك يا رسول الله، قال: بقيت أنا
وأنت، قلت: صدقت يا رسول الله، قال: اقعد فاشرب، فشربت، فما

= القاف والبدال: آنية للشرب تروي الرجلين. فسأني: أي أحزنني ذلك كما في رواية أحمد. بُدَّ: بضم
الباء والبدال المشددة، ولا يستعمل إلا مقروناً بالنفي، ومعناه لم يكن لي محيد. لا والودي بعثك: أي لا =

زال يقول: اشرب، فأشرب، حتى قلت: لا والذي بعثك بالحق ما أجد مسلماً له، فأعطيته القدح فحمد الله وسمى وشرب الفضل).

٢٨٣ - وعن عبدالرحمن بن أبي بكر رضي الله تعالى عنهما أن أبا بكر جاء بثلاثة يعني أضيافاً، وذهب يتعشى عند النبي ﷺ، ثم لبث فجاء بعدما مضى من الليل ما شاء الله، فقالت له امرأته: ما حبسك عن أضيافك؟ قال: أو ما عشيتهم، قالت: أبوا حتى تجيء، قال: والله لا أطعمه أبداً، فذكر الحديث وفيه: وأيم الله ما كنا نأخذ من لقمة إلا رباً من أسفلها أكثر منها وشبعنا وصارت أكثر مما كانت، فنظر إليها أبو بكر كما هي وأكثر، فقال لامرأته: يا أخت بني فراس، ما هذا؟ قالت: لا وقرة عيني لهي الآن أكثر مما كانت قبل ذلك بثلاث مرات، فأكل منها أبو بكر، وقال: إنما ذلك كان من الشيطان - يعني يمينه -، ثم حملها إلى رسول الله ﷺ، فأصبحت عنده، وكان بيننا وبين قوم عهد، فمضى الأجل ففرقنا اثنا عشر رجلاً مع كل رجل منهم أناس، الله أعلم كم مع كل رجل، غير أنه بعث معهم فأكلوا منها أجمعون.

٢٨٣ - رواه البخاري في علامات النبوة ٤٠٦/٧، ٤١٢ من فتح الباري، وفي الصلاة، وفي الأدب، ومسلم في الأشربة والأطعمة ١٧/١٤، ٢٠، ٢٢ من شرح النووي وكذا أحمد ١٩٨/١ وذكره المؤلف مختصراً.

= والله الذي أرسلك بالحق، فهو صفة لاسم الجلالة. مسلماً: أي موضع سلوكك للبن، عبر بذلك عن شبعه وملء بطنه. الفضل: أي البقية الفاضلة عن الصحابة، وفي هذا الحديث فوائد هامة لمن فكر فيه زيادة على هذه المعجزة.

٢٨٣ - أبوا: أي امتنعوا. ربا: أي زاد. يا أخت بني فراس: بكسر الفاء وهي أم رومان زوجة الصديق. وقرة عيني: قرت عينه تقر: ضد سخنت، وأقر الله عينه أعطاه حتى تقر فلا تطمح إلى ما هو فوقه، ويقال: حتى تبرد فلا تسخن فإن للسرور دمة باردة وللحزن دمة حارة، فقرة العين يعبر بها عن المسرة ورؤية ما يحبه الإنسان ويوافقه، وأقسمت أم رومان بذلك لما غمرها من السرور. ففرقنا: بالعين، وفي رواية: ففرقنا بفاءين وراء ثم قاف. إثنا عشر. هكذا في الرواية، والقياس إثني =

٢٨٤ - عن عائشة قالت: (مات رسول الله ﷺ وما بقي في بيتي إلا شطر من شعير في رِفِّ لي، فأكلت منه حتى طال عليّ فكلته ففني).

٢٨٥ - وعن جابر أن رجلاً أتى النبي ﷺ يستطعمه فأطعمه شطر وسق شعير، فما زال الرجل يأكل منه وامرأته ومن ضيفاه حتى كاله فأتى النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فقال له: «لولم تكله لأكلت منه ولقام بكم».

٢٨٦ - وعن جابر أن أم مالك كانت تهدي للنبي ﷺ في عكة لها سمناً، فيأتيها بنوها فيسألون الأدم، وليس عندهم شيء فتعمد إلى الذي كانت تهدي فيه للنبي ﷺ فتجد فيها سمناً، فما زال يقيم لها أدم بيتها

٢٨٤ - رواه البخاري في الرقاق ٥٨/١٤، ٥٩ وفي الخمس، ومسلم في الزهد ١٠٧/١٨ من شرح النووي وكذا رواه أحمد ١٠٨/٦ مطولاً، ورواه أيضاً ابن ماجه في الأَطعمة ٣٣٤٥ مختصراً.

٢٨٥ - رواه مسلم في الفضائل ٤٠/١٥ من شرح النووي.

٢٨٦ - رواه مسلم في الفضائل ٤٠/١٥ من شرح النووي.

= عشر لأنه مفعول وهو ملحق بالثني فينصب بالياء، وهي رواية مسلم وقد تخرج على من يجعل المثني بالألف في الأحوال الثلاثة، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا لَسَاحِرَان﴾.

٢٨٤ - شطر: أي بعض منه، والشطر يطلق أيضاً على النصف وعلى الجهة. في رف: بفتح الراء وتشديد الفاء هو شبه الطاق في الحائط، وقيل هو خشب يرتفع عن الأرض في البيت يوضع فيه ما يراد حفظه. ففني: أي فذهب.

٢٨٥ - يستطعمه: أي يطلب منه أن يطعمه. وسق: بفتح الواو وسكون السين: حمل بعير يسع ستين صاعاً. ومن ضيفاه: من جاءها من الضيف، وفي رواية: وضيفها. ولقام بكم: أي كفاكم طول حياتكم.

٢٨٦ - الأدم: بضم الهمزة والذال وقد يسكن جمع أدام كزيت وسمن وشحم. فتعمد: أي فتقصده. عصرته: أي استخرجت ما فيه. ما زال قائماً: أي ما فتيء موجوداً.

حتى عصرته، فأتت النبي ﷺ فقال: عصرتها؟ قالت: نعم، قال: «لو تركتها ما زال قائماً».

٢٨٧ - وعن جابر أن أباه استشهد يوم أحد وترك ست بنات وترك عليه ديناً فلما حضره جذاذ النخل أتيت رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله، قد علمت أن والدي استشهد يوم أحد وترك عليه ديناً كثيراً، وإني أحب أن يراك الغرماء، قال: «أذهب فيبدر كل تمر على ناحيته» ففعلت، ثم دعوته فلما نظروا إليه أغروا بي تلك الساعة، فلما رأى ما يصنعونه طاف حول أعظمها بيدراً ثلاث مرات، ثم جلس عليه، ثم قال: «ادع أصحابك» فما زال يكيل لهم حتى أدى الله أمانة والدي، وأنا والله راض أن يؤدي الله أمانة والدي، ولا أرجع إلى أخواتي تمرة فسلم والله البيادر كلها حتى أني أنظر إلى البيدر الذي عليه رسول الله ﷺ كأنه لم ينقص تمرة واحدة.

٢٨٨ - وعنه في رواية: أن أباه توفي وترك عليه ثلاثين وسقاً لرجل من اليهود فاستنظره جابر فأبى، فكلم جابر رسول الله ﷺ أن يشفع إليه،

٢٨٧ - رواه البخاري بهذا السياق آخر الوصايا ٣٤٢/٦ من فتح الباري وفي البيوع وفي الاستقراض وفي علامات النبوة ٤٠٤/٧، ٤٠٥ من الفتح وفي مواضع، وكذا أحمد ٣٦٥/٣ مختصراً.

٢٨٨ - رواه البخاري في الاستقراض.

٢٨٧ - استشهد: أي قتل شهيداً في معركة أحد. جذاذ: بضم الجيم وذالين بينهما ألف، أي وقت قطعه والجذ القطع. الغرماء: بضم الغين وفتح الراء جمع غريم صاحب الدين. فيبدر: أي ضع كل نوع من التمر في ناحية من البيدر وهو الأندر. أغروا بي: بضم الهمزة والراء: أي أولعوا بي.

٢٨٨ - فاستنظره: أي طلب منه أن ينظره فيؤخره لوقت ما. وفضلت: أي بقيت له. وفي هذه الأحاديث من الآيات والمعجزات ما هو ظاهر لا يحتاج إلى تعليق.

فكلم اليهودي ليأخذ تمر نخله بالذي له، فأبى فدخل رسول الله ﷺ فمشى فيها، ثم قال: «يا جابر جد له فأوفه الذي له»، فجد بعدما رجع رسول الله ﷺ، فأوفاه ثلاثين وسقاً وفضلت له سبعة عشرة وسقاً، فأخبر جابر عمر فقال: لقد علمت حين مشى فيها رسول الله ﷺ.

باب قصة الذراع

٢٨٩ - عن أبي عبيد أنه طبخ للنبي ﷺ قدراً، فقال له: «ناولني ذراعاً»، فناوله الذراع، ثم قال: «ناولني الذراع»، فناوله ذراعاً، ثم قال: «ناولني ذراعاً»، فقلت: يا نبي الله، وكم للشاة من ذراع، فقال: «والذي نفسي بيده لو سكت لأعطيت أذرعاً ما دعوت به».

٢٩٠ - وعن أبي رافع رضي الله تعالى عنه قال: ذبحت للنبي ﷺ شاة، فقال: «يا أبا رافع ناولني الذراع»، فناولته، ثم قال: «ناولني الذراع» فناولته، ثم قال: «ناولني الذراع»، فقلت: يا رسول الله، وهل للشاة إلا ذراعان؟ فقال: «لوسكت لناولتني ما دعوت به».

٢٨٩ - رواه الدارمي رقم ٤٥ بسند صحيح، وشهر ثقة فلا عبرة بمن تكلم فيه، ومن طريقه رواه أحمد ٤٨٤/٣، والترمذي في الشمائل، وعزاه الهيثمي في المجمع ٣١١/٨ لأحمد والطبراني، وقال: رجالهما رجال الصحيح غير شهر بن حوشب وقد وثقه غير واحد.

٢٩٠ - رواه أحمد ٣٩٢/٦ والطبراني من طرق بعضها صحيح، وهو في مجمع الزوائد ٣١١/٨ وفي الباب غير هذا.

٢٨٩ - ناولني: أي أعطني. الذراع: هو الرجل المقدم للشاة وليس لها إلا ذراعان.

باب في الطعام الذي أتاه من السماء ومن الجنة

٢٩١ - عن سلمة بن نفيل السكوني قال: كنا جلوساً عند رسول الله ﷺ، إذ قال قائل: يا رسول الله، هل أتيت بطعام من السماء؟ وفي لفظ: من الجنة؟ قال: نعم، قال: وبماذا؟ قال: في مسخنة، قال: فهل كان فضل عنك؟ قال: نعم، قال: فما فعل به؟ قال: «رفع، وهو يوحي إلي أني مكفوت غير لاثب فيكم ولستم لاثبين بعدي إلا قليلاً، بل تلبثون حتى تقولوا متى، وستأتون أفناداً يفني بعضكم بعضاً، وبين يدي الساعة موتان شديد، وبعده سنوات الزلازل».

ذكر معجزاته في ضروب الحيوانات باب قصة الجمل والناقة

٢٩٢ - عن جابر قال: دفعنا مع رسول الله ﷺ إلى حائط بني النجار، فإذا فيه جمل لا يدخل الحائط أحد إلا شدَّ عليه، فأناه النبي ﷺ

٢٩١ - رواه أحمد ٤/١٠٤، والدارمي رقم ٥٦، والنسائي، والحاكم ٤/٤٤٧، وسنده صحيح عند أحمد، وصححه الحاكم، وقال الذهبي: من غرائب الصحيح.

٢٩٢ - رواه أحمد ٣/٣١٠، والدارمي رقم ١٨ من طريق الأجلح عن =

٢٩١ - مسخنة: بكسر الميم، القدر. مكفوت: أي ميت ومضموم إلى القبر. أفناداً: أي تأتون بعدي جماعة إثر جماعة. يفني: أي يقتل بعضكم بعضاً. الزلازل: جمع زلزلة وهي الحركة والاضطراب.

٢٩٢ - حائط: هو البستان المحاط عليه بجدار أو نحوه. شد عليه: أي هاجمه وعدا نحوه. =

فدعاه فجاء واضعاً مشفره في الأرض حتى برك بين يديه، فقال: هاتوا خطاماً فخطمه ودفعه إلى صاحبه، ثم التفت، فقال: «ما بين السماء إلى الأرض إلا يعلم أني رسول الله إلا عاصي الجن والإنس».

٢٩٣ - وعن أبي هريرة أن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم دخل حائطاً فجاء بعير فسجد له، فقالوا: نحن أحق أن نسجد لك، فقال: «لو أمرت أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها».

٢٩٤ - عن جابر قال: (غزوت مع رسول الله ﷺ فتلاحق بي وتحتي ناضح قد أعيا ولا يكاد يسير، فقال لي: «ما لبعيرك؟» قلت: عليل، فزجره ودعا له، فما زال بين يدي الإبل قدامها يسير، فقال لي: «كيف ترى بعيرك؟»، قلت: بخير، قد أصابته بركتك).

= الذيال بن حرمة عنه وسنده حسن، وذكره الهيثمي في المجمع ٧/٩ برواية أحمد، وقال: رجاله ثقات وفي بعضهم ضعف اهـ. وتقدم نحوه في حجة الوداع.

٢٩٣ - أورده الهيثمي في المجمع ٧/٩ برواية البزار، وقال: روى الترمذي طرفاً من آخره وإسناده حسن وفي الباب عن جماعة: عن يعلى بن أمية، رواه الطبراني بسند حسن، وعن يعلى بن مرة رواه أحمد بسند حسن، وعن ابن عباس رواه الطبراني بسند جيد، وعن أنس رواه أحمد وغيره.

٢٩٤ - رواه مسلم في النكاح وفي المساقاة ٣٠/١١، ٣٦ من شرح النووي من طرق، وكذا رواه أحمد ٣١٤/٣ مطولاً في قصة بيعه الجمل للنبي ﷺ وتزوجه بعد وفاة والده، وكذا روى القصة البخاري في الجهاد، ومسلم أيضاً في النكاح.

= مِشْفَرُه: بكسر الميم فشين ساكنة بعده فاء مفتوحة: أي شفته. خطاماً: أي زماماً ولجاماً.

٢٩٣ - أحق: أي نحن أولى أو أوجب بالسجود لك منه. وفي هذين الحديثين إطاعة الجمل وسجوده له صلى الله تعالى عليه وآله وسلم، وقد تقدم بعض هذا، وفي هذا الباب قضايا من ذلك.

٢٩٤ - فتلاحق: أي لحقني. ناضح: هو البعير الذي يستقى عليه. أعيا: أي تعب من كثرة السير وعجز عن المشي. فزجره: أي ساقه.

٢٩٥ - وعن أبي هريرة أن النبي ﷺ بعث رجلاً فأتاه فقال: يا رسول الله، قد أعيتني ناقتي أن تنبعث، فأتاها فضربها برجله قال أبو هريرة: والذي نفسي بيده لقد رأيتها تسبق القائد.

باب قصة الشاة والغنم

٢٩٦ - عن ابنة خباب بن الأرت رضي الله تعالى عنهما أنها أتت رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بشاة فاعتقلها وحلبها، وقال: «إيتيني بأعظم إناء لكم»، فأتيناه بجفنة العجين، فحلب فيها حتى ملأها، ثم قال: «اشربوا أنتم وجيرانكم».

٢٩٧ - وعن المقداد بن الأسود رضي الله تعالى عنه، قال: (جئت أنا وصاحبان لي قد كادت تذهب أسماعنا وأبصارنا من الجهد، فأوانا رسول الله ﷺ إلى رحله ولأل رسول الله ﷺ ثلاثة أعنز يحتلبونها، فكان رسول الله ﷺ يوزع اللبن بيننا وكنا نرفع إليه نصيبه فيجيء يسلم تسليماً

٢٩٥ - رواه مسلم.

٢٩٦ - رواه الطيالسي رقم ٢٤٥٧ بترتيب البناء، وسنده صحيح، ورواه أحمد ٣٧٢/٦ من طريقين آخرين وفيها ضعف.

٢٩٧ - رواه مسلم في الأشربة والأطعمة ١٤/١٣، ١٦ وأحمد ٣/٦ مطولاً.

٢٩٥ - تنبعث: أي تقوم فتسير. القائد: أي الذي يقودها.

٢٩٦ - فاعتقلها: أي ربطها بالعقال. بجفنة: بفتح الجيم وسكون الفاء: كالقصة تتخذ للعجين والأكمل وغير ذلك. وفي هذه الأحاديث من الآيات والمعجزات الواضحة ما هو واضح.

٢٩٧ - أعنز: بفتح الهمزة وسكون العين وضم النون: جمع عنز، وهي الأنثى من المعز.

يُسمع اليقظان ولا يوقظ النائم، فقال لي الشيطان: لو شربت هذه الجرعة، فإن رسول الله ﷺ يأتي الأنصار فيتحفونه، فما زال حتى شربته، فلما شربتها ندمني، وقال لي: ما صنعت، يجيء رسول الله ﷺ ولا يجد شرابه فيدعو عليك فتهلك، وجاء النبي ﷺ كما يجيء فصلى ما شاء الله أن يصلي، ثم نظر إلى شرابه فلم ير شيئاً، فرفع يديه، فقلت: الآن يدعو عليّ فأهلك، فقال: «اللهم أطعم من أطعمني واسق من سقاني»، فأخذت الشفرة فانطلقت إلى الأعز أجسهنّ أيتهاً أسمن كي أذبحها لرسول الله ﷺ فإذا حفل كلهن، فأخذت إناء لآل محمد ﷺ ما كانوا يطمعون أن يحتلبوا فيه فحلبت حتى علت الرغوة).

باب قصة الذئب مع الراعي وشاته

٢٩٨ - عن أبي سعيد قال: بينما راع يراعي بالحرّة إذ عرض ذئب لشاء من شياهاه فحال الراعي بين الذئب وبين الشاة فأقعى الذئب، ثم قال: ألا تتقي الله تعالى تحول بيني وبين رزق ساقه الله تعالى إلي، فقال الراعي: العجب من الذئب يتكلم بكلام الإنس، فقال الذئب: ألا أحدثك بأعجب من ذلك، رسول الله ﷺ بين الحرّتين يحدث الناس

٢٩٨ - رواه أحمد ٨٣/٣، ٨٤، ٨٨، ٨٩ والبخاري ٤٦٧/٤ من طرق بعضها صحيحة، وصححه الحاكم، وقال الهيثمي ٢٩١/٨: ورجال إسنادي أحمد رجال الصحيح اهـ. وروى آخره الترمذي رقم ٢٠٠٩ في الفتن وحسنه وصححه.

ندمني: بفتح الدال المشددة أي حملني على الندم، وجعل يلومني في باطني. حُفل: بضم الحاء وسكون الفاء أي تمتلأ باللبن. الرغوة: هي زبد اللبن الذي يعلوه، وهي بفتح الراء وضمها وكسرها. ٢٩٨ - بالحرّة: هي حجارة سود وفي المدينة حرّتان شرقية وغربية. فحال: أي حجز. فأنعى: =

بأنباء ما قد سبق، فساق الراعي غنمه حتى قدم المدينة فدخل على النبي ﷺ فحدث بحديث الذئب، فقال رسول الله ﷺ: «صدق، ألا أنه من أشراط الساعة كلام السباع الإنس، والذي نفسي بيده لا تقوم الساعة حتى تكلم السباع الإنس، ويكلم الرجل شراك نعله وعذبة سوطه ويخبره فخذ بهما أحدث أهله من بعده».

٢٩٩ - وعن أبي هريرة: . . . نحوه.

باب قصة الوحش

٣٠٠ - وعن عائشة قالت: (كان لآل رسول الله ﷺ وحش، فإذا خرج رسول الله ﷺ لعب وذهب وجاء، فإذا جاء رسول الله ﷺ ربض فلم يترمرم ما دام رسول الله ﷺ في البيت).

٢٩٩ - رواه أحمد ٣٠٦/٢ بسند صحيح، وشهرة ثقة كما قدمنا.

٣٠٠ - رواه أحمد ١١٢/٦، ١١٣، ١٥٠، ٢٠٩، وأبو يعلى، والبخاري،

والطبراني في الأوسط، قال الهيثمي ٤/٩: رجال أحمد رجال الصحيح.

= أي جلس على أُنثته كجلسة الكلب. شراك: بكسر الشين: سير النعل. عذبة: بفتح الحاء، طرف، ومنه عذبة العمامة، وفي هذا الحديث معجزة عظيمة، ففيه كلام الذئب وفيه تنبؤ عليه السلام بما سيقع في المستقبل.

٣٠٠ - وحش: بسكون الحاء هو ضد الأليف. ربض: أي جلس في مريضه. يترمرم:

مضارع رمرم، ومعناه: لم يتحرك.

باب قصة الفرس

٣٠١ - عن أنس قال: كان النبي ﷺ أحسنَ الناس وأجودَ الناس وأشجعَ الناس، ولقد فزع أهل المدينة ليلة فركب فرساً لأبي طلحة عري، فخرج الناس فإذا هم برسول الله ﷺ قد سبقهم إلى الصوت قد استبرأ الخبر، وهويقول: «لن تراعوا»، وقال النبي ﷺ: «لقد وجدناه بحراً أو إنه لبحر»، زاد في رواية: فماسبق ذلك الفرس بعد ذلك، وكان فرساً يبطأ.

باب قصة الأسد

٣٠٢ - عن سفينة رضي الله تعالى عنه قال: (ركبت البحر فانكسرت السفينة، فركبت لوحاً فطرحتني اللوح في أجمّة فيها الأسد، فأقبل إليّ يريدني، فقلت: يا أبا الحارث، أنا مولى رسول الله ﷺ،

٣٠١ - رواه البخاري في الجهاد ٤٦٣/٦ من فتح الباري وفي الأدب وفي مواضع، ومسلم في الفضائل ٦٧/١٥، ٦٨ من شرح النووي، والترمذي في الجهاد رقم ١٥٤٥، وكذا ابن ماجه ٢٧٧٢، وأحمد ١٤٧/٣، ١٨٥، ٢٧١.

٣٠٢ - رواه ابن سعد في الطبقات، وأبو يعلى، والبزار، والحاكم ٦٠٦/٣ وصححه على شرط مسلم ووافقه الذهبي، وانظر مجمع الزوائد ٣٦٦/٩، ٣٦٧.

٣٠١ - عُرِي: بضم العين وسكون الراء، أي بدون سرج. لن تراعوا: من الروع وهو الخوف. وجدناه بحراً: أي واسع الجري. يُبطأ: بالبناء للمجهول، أي ينسبه الناس للسير البطيء، فصار بعد ذلك ببركة النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم لا يسبقه فرس أبداً.

٣٠٢ - أجمّة: بفتحات هي الشجر الملتف وماوى الأسد. مهمم: أي زار وردد صوته.

فطاطاً رأسه وأقبل إليّ، فدفعني بمنكبه حتى أخرجني من الأجمّة
ووضعني على الطريق وهمّهم، فظننت أنه يودّعني).

باب قصة العفريت

٣٠٣ - عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «إن عفريتاً تفلت عليّ
البارحة ليقطع عليّ الصلاة، فأمكنني الله منه، فأخذته وأردت أن أربطه
إلى سارية من سواري المسجد حتى تصبحوا فتنظروا إليه، فذكرت دعوة
أخي سليمان: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي﴾
فرددته خاسئاً».

٣٠٤ - وعن أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه قال: قام
رسول الله ﷺ فسمعته يقول: «أعوذ بالله منك»، ثم قال: «ألعنك بلعنة الله» -
ثلاثاً -، ثم بسط يده كأنه يتناول شيئاً فلما فرغ من الصلاة، سأله قال:
«إن عدو الله إبليس جاء بشهاب من نار ليجعله في وجهي فأردت أخذه،
فلولا دعوة أخي سليمان لأصبح موثقاً يلعب به ولدان أهل المدينة».

٣٠٣ - رواه البخاري ومسلم كلاهما في الصلاة، ورواه البخاري أيضاً في
كتاب الأنبياء، وفي التفسير ١٠/١٦٧ من فتح الباري في الآية، وأحمد ٢/٢٩٨
وغيرهم.

٣٠٤ - رواه مسلم في الصلاة كتاب المساجد ٥/٣٠، ٣١ من شرح النووي.

٣٠٣ - عفريت: بكسر العين، أي مارد من الشياطين. تفلت: أي تعرض فجأة. خاسئاً:
أي ذليلاً حقيراً.

٣٠٤ - أعوذ: أي أتحصن بالله وألتجئ إليه. ألعنك: اللعنة: الطرد والإبعاد. شهاب:
أي شعلة من نار.

آياته في الإبراء من الجنون وغيرهم

٣٠٥ - عن ابن عباس أن امرأة جاءت بابن لها، فقالت: يا رسول الله، إن بابني هذا جنوناً، وإنه يأخذه عند غدائنا وعشائنا فيفسد علينا، فمسح رسول الله ﷺ صدره ودعا له، فثع ثعة فخرج من جوفه مثل الجرو الأسود فشفي.

٣٠٦ - وعن جابر قال: عادني رسول الله ﷺ وأبو بكر في بني سلمة فوجدني لا أعقل فدعا بماء، فتوضأ فرش منه عليّ، فأفقت، فقلت: كيف أصنع في مالي؟ فنزلت: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ﴾.

٣٠٥ - رواه أحمد ٢٣٩/١، ٢٥٤، ٢٦٨، والدارمي رقم ١٩ كلاهما من طريق فرقد السبخي عن سعيد بن جبير عنه، وفرقد مختلف فيه، ولمعنى الحديث شواهد صحيحة يتقوى بها.

٣٠٦ - رواه البخاري في الوضوء ٣١٣/١ من فتح الباري، وفي الطب، وفي الاعتصام، ومسلم في الفرائض ٥٤/١١، ٥٥ من شرح النووي، وأبو داود، والترمذي في التفسير رقم ١٩٢٨، والنسائي، وابن ماجه رقم ٢٧٢٨، وابن الجارود رقم ٩٥٨ وغيرهم مطولاً.

٣٠٥ - فيفسد: بضم الياء: أي ينغص علينا حياتنا فلا يبقى لنا مع ذلك لذة لأكل أو شرب. فثع: بالثاء ثم عين مشددة: أي قاء وأخرج ما في صدره. الجرو: بتثنية الجيم، هو هنا شيء صغير خرج من جوفه يشبه الكلب أو نحو ذلك.

٣٠٦ - سلمة: هنا بكسر اللام، وهي مساكن كانت خلف جبل سلع للغروب، وفيها موقع مسجد القبليتين.

آياته في حمل الأثقال

٣٠٧ - عن سفينة أنه قيل له: ما اسمك؟ قال: سماني رسول الله ﷺ سفينة، قيل: ولم؟ قال: خرج ومعه أصحابه فثقل عليهم متاعهم، فقال لي: «ابسط كساءك»، فبسطته فجعلوا فيه متاعهم فحملوه عليّ فقال: «احمل فإنما أنت سفينة»، فلو حملت من يومئذ وقر بعير أو بعيرين أو ثلاثة أو أربعة أو خمسة أو ستة أو سبعة ما ثقل عليّ إلا أن يجفوا.

آياته صلى الله تعالى عليه وآله وسلم في إذهاب النسيان وحصول الحفظ والعلم والفهم

٣٠٨ - عن أبي هريرة قال: أن النبي ﷺ حدثنا يوماً فقال: «من يبسط ثوبه حتى أفرغ من حديثي، ثم يقبضه إليه»، فبسطت ثوبي، ثم حدثنا فقبضته إليّ، فوالله ما نسيت شيئاً سمعته منه.

٣٠٩ - وعنه قال: قلت يا رسول الله، إني أسمع منك حديثاً كثيراً

٣٠٧ - رواه أحمد ٥/٢٢٠، ٢٢١، ٢٢٢ من طرق، والحاكم ٣/٦٠٦ وصححه، ووافقه الذهبي، والحديث حسن صحيح، وأورده الهيثمي في المجمع ٣٦٦/٩ وقال: رواه أحمد والبخاري والطبراني بأسانيد، ورجال أحمد والطبراني ثقات.

٣٠٨ - رواه البخاري في العلم وفي البيوع وغيرهما، ومسلم في الفضائل ٥٣، ٥٢/١٦ من شرح النووي، وأحمد ٢/٢٤٠، ٢٧٤، ٣٣٤، ٤٢٧ وغيرهم.

٣٠٩ - رواه البخاري في العلم ١/٢٢٥، ٢٢٦ من فتح الباري وفي المناقب.

٣٠٧ - وقر: بكسر الواو وسكون القاف هو الحِمل (بكسر الحاء).
٣٠٨، ٣٠٩ - في هذين الحديثين فضيلة ومنقبة لأبي هريرة، وقد ظهرت آثار هذه البركة عليه =

فأنساه، قال: «ابسط رداءك»، فبسطته فغرف بيده، ثم قال: ضم فضمته،
فما نسيت حديثاً بعده.

آياته صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فيمن خالفه في تغيير الاسم

٣١٠ - عن ابن المسيب عن أبيه أن أباه جاء إلى النبي ﷺ،
فقال: «ما اسمك؟» قال: حزن، قال: «أنت سهل»، قال: لا أُغَيِّرُ اسماً
سَمَّانيه أبي، قال ابن المسيب: فما زالت الحزونة فينا بعد.

معجزاته صلى الله تعالى عليه وآله وسلم في أنواع الجمادات حنين الجذع

٣١١ - عن جابر قال: (كان جذع يقوم إليه النبي ﷺ، فلما وضع
له المنبر سمعنا للجذع مثل أصوات العِشار، حتى نزل النبي ﷺ فوضع
يده عليه فسكت).

٣١٠ - رواه البخاري في الأدب.

٣١١ - رواه البخاري في الجمعة، وفي المناقب، وكذا الدراري في المقدمة

رقم ٣٤.

= فكان أحفظ الصحابة على الإطلاق على الرغم من تأخر إسلامه وقلة مرافقته للنبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم.

٣١٠ - حزن: يحتمل أن يكون بضم الحاء مع سكون الزاي، أو بفتحها مصدر حزن، وهو

ضد السرور، ويحتمل أن يكون بكسر الزاي اسم فاعل حزونة، أي خشونة وشدة وغلظة.

٣١١ - الجذع: بكسر الجيم ساق النخلة. العِشار: بكسر العين جمع عُشراء بضم العين وفتح =

٣١٢ - وعنه في رواية أن النبي ﷺ كان يقوم إلى نخلة، فجعلوا له المنبر، فلما كان يوم الجمعة دفع إلى المنبر فصاحت النخلة صياح الصبي، فنزل فضمها إليه. فجعلت تئن أنين الصبي الذي يسكن قال: «كانت تبكي على ما كانت تسمع من الذكر عندها».

تحرك الجبل

٣١٣ - عن أنس قال: صعد النبي ﷺ أُحُدًا أو حراء ومعه أبو بكر وعمر وعثمان، فرجف بهم فضربه النبي ﷺ برجله وقال: «اثبت، عليك نبي وصديق وشهيدان».

٣١٢ - رواه البخاري أيضاً في البيوع، وفي المناقب ٤١٥/٧، ٤١٦ فتح الباري، وكذا رواه أحمد ٣/٣٠٠، والحديث متواتر فقد رواه جماعة كثيرون منهم ابن عمر عند البخاري ٤١٤/٧ من فتح الباري، وسهل بن سعد عند البخاري ومسلم، وأنس عند الترمذي رقم ٣٣٩٦ تهذيبي، وأبي بن كعب عند الدارمي وأحمد، وابن عباس عند أحمد والدارمي وابن حبان، وأبو سعيد الخدري عند الدارمي، وبريدة عند الدارمي، وغير ذلك.

٣١٣ - رواه البخاري في المناقب ٣٨/٨، ٥٨ من فتح الباري، ومسلم في الحج، وكذا أحمد ٣/١١٢، وانظر تهذيبي لجامع الترمذي في المناقب رقم ٣٤٦٢.

= الشين هي الناقة التي أتى على حملها عشرة أشهر. في هذا معجزة عظيمة، حيث إن خشب النخل حنّ إليه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم واشتاق إلى ما كان يجده عند قيام النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم إليه واعتماده عليه من البركة.

٣١٢ - فضمها: أي فاحتضنها والتزمها كما في روايات أخرى. تئن: أي تصوّت.

٣١٣ - أُحُد: بضم الحاء والهزمة جبل مبارك شمال المدينة المنورة كانت بأسفله المعركة المشهورة بين النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وبين كفار قريش. أو حراء: بكسر الحاء، جبل =

٣١٤ - وعن أبي هريرة مثله، وزاد: علي وطلحة والزبير، فقال: «اهدأ، فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد».

تحرك المنبر

٣١٥ - عن ابن عمر قال: سمعت النبي ﷺ وهو على المنبر، يقول: «يأخذ الجبار سماواته وأرضه بيده، ثم يقول: أنا الجبار، أين الجبارون، أين المتكبرون؟» ويتميل رسول الله ﷺ عن يمينه وعن يساره، حتى نظرت إلى المنبر يتحرك من أسفل شيء منه حتى أني أقول: أساقط هو برسول الله ﷺ؟.

٣١٤ - رواه مسلم في الفضائل ١٥/١٩٠، ١٩١ من شرح النووي، والترمذي ٣٤٦٣، وانظر: سنن أبي داود رقم ٤٦٤٨، وابن ماجه رقم ١٣٤، وما يأتي في الخصائص ٤٣٦.

٣١٥ - رواه مسلم وأحمد ٧٢/٢، ٨٧، ٨٨، والنسائي، وابن ماجه رقم ١٩٨ بالفاظ، وفي الموضوع أحاديث: عن ابن مسعود، رواه الشيخان والترمذي وأحمد، وعن أبي هريرة رواه البخاري، وعن ابن عباس رواه أحمد والترمذي.

= بضواحي مكة المكرمة به الغار المشهور الذي كان يتعبد فيه النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قبل النبوة، وهذه الحادثة كانت قد حصلت بأحد وعليه أكثر الروايات والخلاف فيها جاء من تشكك بعض الرواة أو يحمل على التعدد ولا مانع من ذلك وانظر تحقيق الموضوع عند الحافظ في الفتح ٣٨/٨.

٣١٥ - بيده: هذه من صفات الله تعالى التي يجب الإيمان بها وإجراؤها على ظاهرها وتفويض حقيقتها إلى الله تعالى مع نفي التشبيه، ولا يجوز الخوض فيها ولا تأويلها فإن شأن الألوهية عظيم.

باب في معجزة من مات ولم تقبله الأرض

٣١٦ - عن أنس أن رجلاً كان يكتب الوحي لرسول الله ﷺ فكان يملي عليه ﴿علماً حكيماً﴾ فيقول: أكتب سمياً بصيراً، فيقول: اكتب كيف شئت، ويملي عليه ﴿سمياً بصيراً﴾ فيكتب علماً حكيماً، فارتد ذلك الرجل ولحق بالمشركين، وقال: أنا أعلم بمحمد إن كنت لأكتب ما شئت، فمات ذلك الرجل، فقال رسول الله ﷺ: «إن الأرض لا تقبله، فدفن فلم تقبله الأرض».

قال أبو طلحة: فقدمت الأرض التي مات فيها فوجدته منبوءاً، فقلت: ما شأن هذا؟ فقالوا دفناه فلم تقبله الأرض.

باب إضاءة العصا

٣١٧ - عن أنس: أن رجلين من أصحاب النبي ﷺ خرجا من عنده ذات ليلة مظلمة ومعهما مثل المصباحين يضيئان بين أيديهما فلما افترقا صار مع كل واحد منهما واحد، حتى أتى أهله.

٣١٦ - رواه البخاري في علامات النبوة ٤٣٧/٧ من فتح الباري، ومسلم، وكذا أحمد ٢٢٢/٣، وعنده: أنه دفنوه ثلاثة مرات.

٣١٧ - رواه البخاري في منقبة أسيد بن حضير، فتح الباري ١٢٥/٨، ١٢٦.

٣١٦ - في هذا الحديث آية باهرة له صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بحيث أن الأرض شاركت في مقاومة ذلك العدو والكذاب فلم تقبله في بطنها بل لفظته وجعلته فوقها ليكون نكالا وعبرة لغيره من هو على شاكلته.

٣١٧ - في هذا زيادة على ما فيه من معجزة. منقبة وفضيلة لأسيد بن حضير وحق له ذلك فإنه من الأكابر.

باب الشعر الذي وضع عليه يده الشريفة فلم يشب

٣١٨ - عن أبي زيد بن أخطب رضي الله تعالى عنه قال: مسح رسول الله ﷺ على وجهي ودعا لي، قال عزرة: إنه عاش مائة وعشرين سنة وليس في رأسه إلا شعيرات بيض.

الآية في أثر يده من الشفاء

٣١٩ - عن حنظلة بن خديم رضي الله تعالى عنه، أن النبي ﷺ مسح رأسه بيده، وقال له: «بورك فيك»، قال الذيال: فرأيت حنظلة يؤتى بالشاة الوارم ضرعها والبعير والإنسان به الورم، فيتفل في يده، ويمسح بصلعته، ويقول: بسم الله، على أثر يد رسول الله ﷺ، فيمسحه، ثم يمسح موضع الورم فيذهب الورم.

٣١٨ - رواه الترمذي في المناقب رقم ٣٣٩٨، وحسنه والحاكم ٦٠٦/٢ وصححه ووافقه الذهبي، وسنده صحيح على شرط مسلم.

٣١٩ - رواه أحمد ٦٧/٥، ٦٨، والبخاري في التاريخ، وابن سعد، وأبو يعلى، وسنده صحيح عند أحمد، وقال الهيثمي ٤٠٨/٨: رجاله ثقات.

٣١٨ - هذا شيء خارق للعادة فإن مثل هذا السن لا يبقى لصاحبه معه ولو شعرة سوداء ولكنها بركة النبوة.

٣١٩ - الورم: بفتح الراء هو الانتفاخ من مرض ونحوه، وفيه آية له عليه السلام بمجرد أثر يده بعد وفاته عليه السلام.

المعجزات في رؤيته ﷺ المعاني برؤية الأجسام

باب رؤيته صلى الله تعالى عليه وآله وسلم الجمعة وساعة الاستجابة فيها

٣٢٠ - عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «أتاني جبريل، وفي يده مرآة بيضاء فيها نكتة سوداء، قلت: ما هذه يا جبريل؟ قال: هذه الجمعة يعرضها عليك ربك لتكون لك عيداً ولقومك، قلت: ما هذه النكتة السوداء فيها؟ قال: هذه الساعة».

باب تجلي ملكوت السموات والأرض له صلى الله تعالى عليه وآله وسلم

٣٢١ - عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «أتاني الليلة ربي تبارك وتعالى في أحسن صورة، قال: أحسبه قال: (في المنام)، فقال: يا محمد، هل تدري فيم يختصم الملاء الأعلى؟ قال: قلت: لا، قال:

٣٢٠ - رواه البزار وأبو يعلى والطبراني في الأوسط، وذكره الهيثمي ١٦٤/٢ عن الطبراني من طريقين، قال في الأولى: رجاله ثقات، وفي الثانية: رجاله رجال الصحيح خلا شيخ الطبراني وهو ثقة اهـ، ثم ذكره في صفة الجنة مطولاً.

٣٢١ - رواه الترمذي في التفسير رقم ٣٠١٧ من طريقين صحيحين، وأحمد ٣٦٨/١ بسند صحيح أيضاً، ونحوه عن معاذ بن جبل، رواه الترمذي في تفسير سورة =

٣٢٠ - جاء في الجمعة فضائل كثيرة ولها خصائص جمعها الجلال السيوطي في رسالة خاصة وهي ضمن الحاوي في الفتاوي له.

٣٢١ - الملاء الأعلى: الملائكة سكان السموات. إسباغ: أي إتمامه واتقانه. في المكارة: أي عند =

فوضع يده بين كتفي حتى وجدت بردها بين ثديي ، أو قال بين نحري ، فعلمت ما في السموات وما في الأرض ، قال : يا محمد ، هل تدري فيم يختصم الملائة الأعلى ؟ قلت : نعم ، في الكفارات ، والكفارات : المكث في المسجد بعد الصلاة ، والمشي على الأقدام إلى الجماعات ، وإسباغ الوضوء في المكاره ، ومن فعل ذلك عاش بخير ومات بخير ، وكان من خطيئته كيوم ولدته أمه ، وقال : يا محمد ، إذا صليت فقل : اللهم إني أسألك فعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين ، وإذا أردت بعبادك فتنة فاقبضني إليك غير مفتون ، قال : والدرجات إفضاء السلام وإطعام الطعام والصلاة بالليل والناس نيام .»

باب فيما اطلع عليه من أحوال البرزخ والجنة والنار

٣٢٢ - عن زيد بن ثابت رضي الله تعالى عنه ، قال : بينما

= صرقم ٣٠١٨ ، وأحمد ٢٤٣/٥ ، والحاكم ٥٢١/١ ، وحسنه الترمذي وصححه ، ونحوه أيضاً عن رجل من الصحابة رواه أحمد ٦٦/٤ و ٣٧٨/٥ بسندين صحيحين ولم يصب من ضعفه .

٣٢٢ - رواه مسلم في كتاب الجنة ٢٠٢/١٧ من شرح النووي .

= البرد ونحوه . كيوم ولدته : فيه فضل هذه الأشياء وإنما تكفر الذنوب ، وفضل الله واسع وما حصل له صلى الله تعالى عليه وآله وسلم في هذا الحديث كان مناماً وهو يدل على أن الله تعالى أطلعه على ملكوت السموات والأرض ، وجاء في رواية معاذ : «فتجلى لي كل شيء» وهي أعم وأشمل فيكون الحديث بروايته دالاً على أنه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم كان يعلم كل شيء مما علمه الله تعالى ، لا كل المغيبات فذاك خاص بالله عز وجل ، وهذا الحديث عظيم له فوائد ، وقد أفرد الحافظ ابن رجب الحنبلي بالشرح في كتابه «اختيار الأولى في شرح حديث اختصام الملائة الأعلى» وشحنه بالفوائد والفرائد على عادته رحمه الله في شروحه لكثير من الأحاديث التي أفردتها .

النبي ﷺ في حائط لبني النجار على بغلة له ونحن معه إذ حادت به، فكادت تلقيه، وإذا أقبر ستة أو خمسة أو أربعة، فقال: «من يعرف أصحاب هذه الأقبُر؟» فقال رجل: أنا، فقال: متى مات هؤلاء؟ قال: ماتوا في الإِشراك، فقال: «إنَّ هذه الأمة تبتلى في قبورها، فلولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر الذي أسمع».

٣٢٣ - وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ مرَّ على قبرين، فقال: «إنهما ليعذبان، وما يعذبان في كبير، أما أحدهما فكان لا يستبرئ من بوله، وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة»، ثم أخذ جريدة رطبة فشققها باثنتين، فجعل في كل قبر واحدة، فقالوا: يا رسول الله، لم فعلت هذا؟ قال: «لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا».

٣٢٤ - وعن جابر قال: كنا مع النبي ﷺ فارتفعت ریح منتنة،

٣٢٣ - رواه البخاري ٣٣٤/١ من فتح الباري، ومسلم ٣٠٠/٣ من شرح النووي كلاهما في الطهارة، والبخاري في مواضع أيضاً، وأهل السنن، وابن الجارود رقم ١٣٠، والدارمي، وأحمد ٢٢٥/١، ٢٢٦ وتقدم نحوه لجابر في حديث طويل فارجع إلى غزوة ذات الرقاع.

٣٢٤ - رواه أحمد ٣٥١/٣ بإسناد حسن على رأي ابن رجب وابن كثير والعراقي وجماعة.

٣٢٢ - الحائط: هو البستان المحاط عليه. حادت: أي مالت. تلقيه: أي تسقطه عنها. أقبُر: بضم الباء جمع قبر. تبتلى: أي تفتن. فلولا أن لا تدافنوا: التدافن التكاثر ومعناه لولا أني أخشى عليكم أن لا يكتنم بعضكم بعضاً، ما يشاهده من عذاب القبر، أو يكون معناه: لولا مخافتي أن لا يدفن بعضكم بعضاً إذا كشف لكم عن ذلك.

٣٢٣ - لا يستبرئ: أي لا يستنزه منه كما جاء في رواية بالنميمة: هي نقل الكلام على وجه الإفساد.

فقال رسول الله ﷺ: «أندرون ما هذه الريح، هذه ريح الذين يفتابون المؤمنين».

٣٢٥ - وعن أسماء رضي الله تعالى عنها، قالت: كسفت الشمس فصلى النبي ﷺ، ثم حمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «ما من شيء لم أكن أريته إلا رأيته في مقامي هذا حتى الجنة والنار».

٣٢٦ - عن ابن عباس قال: انخسفت الشمس على عهد رسول الله ﷺ فصلى، ثم انصرف، فقالوا: يا رسول الله، رأيناك تناولت شيئاً في مقامك، ثم رأيناك تكعكت. قال: «إني رأيت الجنة فتناولت عنقوداً ولو أصبته لأكلتم منه ما بقيت الدنيا، ورأيت النار فلم أر منظراً كالיום قط أظفع، ورأيت أكثر أهلها النساء».

٣٢٥ - رواه البخاري في العلم ١/١٩٢، ١٩٣ من فتح الباري، وفي الوضوء، وفي الكسوف، وفي الجمعة، وفي الاعتصام ١٦/١٩ ومسلم في الكسوف ٢١٠/٦، ٢١١ من شرح النووي مطولاً.

٣٢٦ - رواه البخاري في الأذان وفي الكسوف ٣/١٩٤، ١٩٥ من فتح الباري، وفي النكاح، ومسلم في الكسوف أيضاً ٦/١١٣ من شرح النووي، وكذا رواه أحمد ١/٢٩٨، ٣٥٨، والنسائي، ومالك كلاهما في الكسوف.

٣٢٤ - يفتابون: أي يتكلمون فيهم بالسوء وهم غائبون عنهم، وارجع إلى أواخر الإسراء من هذا الكتاب.

٣٢٥ - كسفت: أي ذهب نورها، ويقال في ذلك أيضاً: خسفت، وانخسفت كما يقال ذلك في القمر.

٣٢٦ - تكعكت: أي أحجمت وتأخرت. أظفع: أشنع وأقبح.

٣٢٧ - وعن جابر قال: كسفت الشمس على عهد رسول الله ﷺ فذكره، وفيه قال: «إِنَّهُ عُرِضَ عَلَيَّ كُلُّ شَيْءٍ تَوَلَّجُونَهُ فَعَرَضْتُ عَلَيَّ الْجَنَّةَ، حَتَّى لَوْ تَنَاوَلْتُ مِنْهَا قِطْفًا أَخَذْتَهُ، أَوْ قَالَ تَنَاوَلْتُ مِنْهَا قِطْفًا فَقَصَرْتُ يَدَيَّ عَنْهُ، وَعَرَضْتُ عَلَيَّ النَّارَ، فَرَأَيْتُ امْرَأَةً مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَفِي رِوَايَةٍ: حَمِيرِيَّةٌ سَوْدَاءٌ طَوِيلَةٌ تَعَذَّبُ فِي هَرَّةٍ لَهَا رِبَطَتُهَا فَلَمْ تَطْعَمْهَا وَلَمْ تَدْعُهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ، وَرَأَيْتُ أَبَا ثَمَامَةَ عَمْرَو بْنَ مَالِكٍ يَجْرُ قُصْبَهُ فِي النَّارِ».

* - وفي رواية: «مَا مِنْ شَيْءٍ تُوعَدُونَهُ إِلَّا قَدْ رَأَيْتَهُ فِي صَلَاتِي هَذِهِ، لَقَدْ جِيءَ بِالنَّارِ، وَذَلِكَ حِينَ رَأَيْتُمُونِي تَأَخَّرْتُ مَخَافَةَ أَنْ يَصِيبَنِي مِنْ لَفْحِهَا حَتَّى رَأَيْتُ فِيهَا صَاحِبَ الْمُحْجَنِّ يَجْرُ قُصْبَهُ فِي النَّارِ، كَانَ يَسْرِقُ الْحِجَاجَ بِمُحْجَنِّهِ، فَإِنْ فُطِنَ لَهُ قَالَ: إِنَّمَا تَعَلَّقَ بِمُحْجَنِّي، وَإِنْ غَفَلَ عَنْهُ ذَهَبَ بِهِ، وَحَتَّى رَأَيْتُ فِيهَا صَاحِبَةَ الْهَرَّةِ، وَذَلِكَ حِينَمَا رَأَيْتُمُونِي تَقَدَّمْتُ حَتَّى قَمْتُ فِي مَقَامِي، وَلَقَدْ مَدَدْتُ يَدَيَّ، وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أَتَنَاوَلَ مِنْ ثَمَرِهَا لِتَنْظُرُوا إِلَيْهِ، ثُمَّ بَدَأَ لِي أَنْ لَا أَفْعَلُ». الْحَدِيثُ . . .

٣٢٧ - رواه بهذه الروايات مسلم ٢٠٦/٦، ٢٠٩ من شرح النووي في الكسوف ولم يذكره المؤلف.

٣٢٧ - تُوَلَّجُونَهُ: بضم التاء وفتح اللام بالبناء للمجهول، والولج الدخول. قُطْفًا: بكسر القاف: أي عنقوداً. خَشَاش: بفتح الخاء وكسرهما هي حشرات الأرض. قُصْبَهُ: بضم القاف وسكون الصاد: أي أمعاه ومصارينه. لَفْحُهَا: بفتح اللام وسكون الفاء: أي حرها. الْمُحْجَنِّ: بكسر الميم وسكون الخاء وفتح الجيم هي عصا منعطفة الرأس.

٣٢٨ - وعن عمران بن حصين رضي الله تعالى عنه، عن النبي ﷺ قال: «اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء، واطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء».

٣٢٩ - وعن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «رأيت جهنم يحطم بعضها بعضاً، ورأيت عمراً يجرُّ قُصْبَهُ، وهو أول من سيَّب السواحب».

٣٣٠ - عن أمية بن مَخْشِي الصحابي رضي الله تعالى عنه، قال: كان رسول الله ﷺ جالساً، ورجل يأكل فلم يسمِّ الله حتى لم يبق من طعامه إلا لقمة، فلما رفعها إلى فيه، قال: بسم الله أوله وآخره، فضحك

٣٢٨ - رواه البخاري في بدء الخلق ١٣٠/٧ من فتح الباري وفي النكاح وفي الرقاق، ومسلم في الرقاق ٥٣/١٧ من شرح النووي مختصراً، وذكره عن أسامة بن زيد وابن عباس.

٣٢٩ - رواه البخاري في سورة المائدة باب ما جعل الله من بحيرة إلخ ٣٥٤/٩ من فتح الباري، وفي الصلاة مطولاً، ونحوه عن أبي هريرة رواه في المناقب ٣٦٠/٧ من فتح الباري باب قصة خزاعة.

٣٣٠ - رواه أبو داود في الأطعمة رقم ٣٧٦٨، والحاكم وصححه، وكذا رواه

٣٢٨ - في هذه الأحاديث بيان ما اطلع الله عليه نبيه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم من عالم البرزخ وأحوال أهل الجنة والنار وغير ذلك من المغيبات التي لا يعرفها مطلق الناس.

٣٢٩ - يحطم: أي يكسر. عمرو وهو ابن لُحَي: بضم اللام وفتح الحاء، أبو خزاعة كما في صحيح البخاري. قصبه: جمع أقصاب وفي رواية لمسلم: «رأيت عمرو بن لحي يجر قصبه في النار». سيب: أي جعلها سائبة لا يتعرض لها أحد بملك ولا ذبح، وهي التي ذكرها الله تعالى بقوله رداً على المشركين: ﴿ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة...﴾.

٣٣٠ - مخشي: بفتح الميم وسكون الحاء وكسر الشين. استقاء: أي طلب إخراج القيء من =

النبي ﷺ، ثم قال: «ما زال الشيطان يأكل معه، فلما ذكر اسم الله استقاء ما في بطنه».

باب المعجزات في رؤية أصحابه الملائكة وسماع كلامهم

٣٣١ - عن أبي عثمان النهدي رحمه الله تعالى، قال: (نُبِّئْتُ أَنَّ جبريل أتى النبي ﷺ وعنده أم سلمة، فجعل يتحدث، ثم قام فقال النبي ﷺ: من هذا؟ قالت: هذا دحية الكلبي، قالت: ما حسبت إلا إياه حتى سمعت خطبة النبي ﷺ بخبر جبريل، قيل لأبي عثمان: ممن سمعت هذا؟ قال: من أسامة).

البخاري في التاريخ ٦/١، ٧ وفيه المثني بن عبدالرحمن الخزامي، مجهول الحال، لكن للحديث شاهد صحيح عن عائشة، رواه الترمذي وصححه.

٣٣١ - رواه البخاري في علامة النبوة وفي فضائل القرآن، ومسلم في الفضائل ٧/٦، ٨ من شرح النووي.

= بطنه، ويؤخذ من هذا الحديث أن التسمية وإن نسيت ولم تذكر إلا في أثناء الأكل وآخره حصلت بركتها وأخرج الشيطان ما أكل قبلها، فلا تغفل أيها المسلم عن ذكر ربك عند طعامك وشرابك وعند كل أحوالك.

٣٣١ - دحية: بفتح الدال وكسرها، صحابي جليل جميل الصورة وكان جبريل عليه السلام يأتي في صورته كثيراً، فيظن الحاضرون أنه دحية، وفيه فضيلة لأم سلمة رضي الله تعالى عنها وكم لها ولصواحبها من فضائل.

٣٣٢ - وعن أبي هريرة قال: كان النبي ﷺ يوماً بارزاً للناس فاتاه جبريل، فقال: ما الإيمان؟ قال: «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وتؤمن بالبعث»، قال: ما الإسلام؟ قال: «أن تعبد الله ولا تشرك به شيئاً وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان»، قال: ما الإحسان؟ قال: «أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك»، قال: متى الساعة؟ قال: «ما المسؤول عنها بأعلم من السائل وسأخبرك عن أشراطها، إذا ولدت الأمة ربّتها وإذا تناول رعاء البُهم في البنيان في خمس لا يعلمهن إلا الله»، ثم أدبر فقال: «ردوه»، فلم يروا شيئاً، فقال: «هذا جبريل جاء يعلم الناس دينهم».

٣٣٣ - وعن حارثة بن النعمان رضي الله تعالى عنه، قال: مررت على رسول الله ﷺ ومعه جبريل فسلمت عليه ومررت، فلما رجعنا وانصرف النبي ﷺ، قال: «هل رأيت الذي كان معي؟» قلت: نعم، قال: «فإنه جبريل، وقد ردّ عليك السلام».

٣٣٢ - رواه البخاري في الإيمان ١/١٢٣، ١٣٣ من فتح الباري وفي تفسير سورة لقمان، ومسلم في الإيمان ١/١٦١، ١٦٥ من شرح النووي، وكذا أبو داود رقم ٤٦٩٨ في السنة، والنسائي في الإيمان ٨/٩٠، ٩١، وأحمد ٢/٤٢٦، وابن حبان رقم ٦٤، من طرق وألفاظ، ورواه مسلم وغيره عن عمر.

٣٣٣ - رواه أحمد ٥/٤٣٣ بسند صحيح.

٣٣٢ - بارزاً: أي ظاهراً. بالبعث: أي الحياة بعد الموت. ربّتها: أي سيدتها. رعاء: بكسر الراء جمع راع. البُهم: بضم الباء وسكون الهاء يعني الإبل السود، ويقال أنها شر الألوان فيها، وهذا الحديث عظيم الشأن وسيأتي في أشراط الساعة بعض الكلام على ما فيه إن شاء الله تعالى.

٣٣٤ - وعن ابن عباس قال: كنت مع أبي عند رسول الله ﷺ، وعنده رجل يناجيه، فكان كالمعرض عن أبي، فخرجنا من عنده، فقال لي أبي: أي بني، ألم تر إلى ابن عمك كالمعرض عني، فقلت: يا أبتاه إنه كان عنده رجل يناجيه، قال: فرجعنا إلى النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم، فقال: أبي: يا رسول الله، قلت لعبدالله كذا وكذا، فأخبرني أنه كان عندك رجل يناجيك، فهل كان عندك أحد، فقال رسول الله ﷺ: «وهل رأيته يا عبدالله؟» قال: قلت: نعم، قال: «فإن ذاك جبريل، وهو الذي شغلني عنك».

٣٣٥ - وعن عمران بن حصين قال: (إن الملائكة كانت تسلم عليّ فلما اکتويت انقطع عني، فلما تركت عاد إليّ).

٣٣٦ - وعن البراء قال: كان رجل يقرأ سورة الكهف وإلى جنبه حصان مربوط فتغشته سحابة، فجعلت تدنو وجعل فرسه ينفر، فلما أصبح أتى النبي ﷺ فذكر له ذلك، فقال: تلك السكينة تنزلت للقرآن.

٣٣٤ - رواه أحمد ١/٢٩٣، ٢٩٤، ٣١٢ من طرق صحيحة وعزاه الهيثمي ٢٧٦/٩ لأحمد والطبراني قال: بأسانيد ورجالها رجال الصحيح.

٣٣٥ - رواه مسلم في الحج.

٣٣٦ - رواه البخاري في فضائل القرآن ١٠/٤٣٣ من فتح الباري وكذا أحمد ٤/٢٩٣، ٢٩٨ ومسلم في باب نزل السكينة لقراءة القرآن ٦/٨١، ٨٢ من شرح النووي.

٣٣٤ - يناجيه: أي يتكلم معه، وفيه فضيلة وكرامة لابن عباس مع صغره حيث شاهد جبريل.

٣٣٥ - اکتوى: لبواسير كانت فيه، وفيه كرامة لعمران، وهو يدل على أن المؤمن قد يكرم بسلام الملائكة عليه إذا كان أهلاً لذلك بتقواه وطاعته لله وتوكله واعتماده عليه.

٣٣٦ - حصان: بكسر الحاء، الذكر من الخيل. فتغشته: أي غطته.

وهذه كرامة لهذا الرجل مع فضل سورة الكهف.

٣٣٧ - وعن أسيد بن حضير، قال: بينما هو يقرأ من الليل سورة البقرة وفرسه مربوط، إذ جالت الفرس، فسكت فسكتت، ثم قرأ فجالت، فسكت فسكتت، فرفع رأسه إلى السماء فإذا هو بمثل الظلة فيها أمثال المصابيح عرجت إلى السماء حتى ما يراها، فلما أصبح حدث رسول الله بذلك، فقال: «تلك الملائكة دنت لصوتك، ولو قرأت لأصبح الناس ينظرون إليها لا تتوارى منهم».

ذكر المعجزات في رؤية أصحابه الجن وسماع كلامهم مما لم يتقدم ذكره

٣٣٨ - عن أبي هريرة قال: وكلمني رسول الله ﷺ بحفظ زكاة رمضان، فأتاني آتٍ فجعل يحثو من الطعام، فأخذه وقلت: لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ، قال: إني محتاج وعليّ عيال ولي حاجة شديدة، فخلّيت عنه، فأصبحت، فقال لي النبي ﷺ: «يا أبا هريرة، ما فعل

٣٣٧ - رواه البخاري في فضائل القرآن ٤٣٩/١٠ من فتح الباري، ومسلم في باب نزول السكينة لتلاوة القرآن ٨٢/٦، ٨٣ من شرح النووي وكذا أحمد ٨١/٣.
٣٣٨ - رواه البخاري في الوكالة وفي فضائل القرآن ٤٣٢/١٠ من فتح الباري وفي بدء الخلق ١٤٧/٧.

٣٣٧ - جالت: أي ذهبت وجاءت. لا تتوارى: أي لا تستتر منهم.
وفيه فضل أسيد بن حضير مع فضل تلاوة القرآن.
٣٣٨ - يحثو: أي يأخذ بحثية يده. فخلّيت: أي تركته. أسيرك: يعني الشخص الذي ألقيت =

أسيرك البارحة؟» قلت: يا رسول الله شكاً حاجة شديدة وعيالاً فرحمته وخلصت سبيله، قال: «أما إنه قد كذبتك وسيعود»، فعرفت أنه سيعود.

فرصدته فجاء يحثو من الطعام، فأخذه فقلت: لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ، قال: دعني فإنني محتاج وعليّ عيال لا أعود، فرحمته وخلصت سبيله، فأصبحت فقال لي رسول الله ﷺ: «ما فعل أسيرك البارحة؟» قلت: يا رسول الله شكاً حاجةً وعيالاً فرحمته وخلصت سبيله، قال: «أما إنه قد كذبتك وسيعود».

فرصدته الثالثة فجاء يحثو من الطعام فأخذه، وقلت: لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ وهذا آخر ثلاث مرار تزعم أنك لا تعود، ثم تعود، فقال: دعني أعلمك كلمات ينفعك الله بها إذا أويت إلى فراشك فاقراً آية الكرسي حتى تختتمها فإنه لن يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح.

فأخبرت النبي ﷺ، فقال: «أما إنه صدقك وهو كذوب، تعلم من تخاطب منذ ثلاث يا أبا هريرة؟ قلت: لا، قال: ذلك شيطان».

٣٣٩ - وعن أبي أيوب الأنصاري رضي الله تعالى عنه أنه كان في

٣٣٩ - رواه أحمد ٤٢٣/٥، والترمذي في فضائل سورة البقرة رقم ٢٦٨٢ وحسنه، والحاكم وصححه، وهو وإن كان في سننه محمد بن عبدالرحمن بن أبي ليلي

= عليه القبض بالأمس. كذبتك: بتخفيف الذال، أي حدثك بالكذب. تزعم: أي تقول، وزعم تطلق بإزاء معان. وفي الحديث دليل على أن الإنسان قد يرى الجن وأنهم قد يتشكلون على صفة بني آدم وغيرهم، وقد أنكر الإمام الشافعي رحمه الله تعالى رؤية الإنس لهم، واستدل بظاهر قوله تعالى: ﴿يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم﴾ والآية مخصوصة ومؤولة اتفاقاً، وفي الحديث فضل آية الكرسي وأن قارئها لا يزال محفوظاً بإذن الله تعالى، بحيث يكلف به من يحفظه من ملائكة خاصين.

سَهْوَةٌ لَهُ، وَكَانَ الْعُوْلُ تَجِيءُ فَتَأْخُذُ، فَشَكَاهَا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: «إِذَا رَأَيْتَهَا فَقُلْ: بِسْمِ اللَّهِ أَجِيبِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ». فَجَاءَتْ فَقَالَ لَهَا: فَأَخَذَهَا، فَقَالَتْ: إِنِّي لَا أَعُودُ، فَأَرْسَلَهَا، فَجَاءَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ لَهُ: «مَا فَعَلَ أُسِيرُكَ؟» قَالَ: أَخَذْتُهَا فَقَالَتْ: إِنِّي لَا أَعُودُ فَأَرْسَلْتُهَا، فَقَالَ: «إِنَّهَا عَائِدَةٌ»، فَأَخَذْتُهَا مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا كُلَّ ذَلِكَ تَقُولُ: لَا أَعُودُ، وَيَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ إِنَّهَا عَائِدَةٌ، فَقَالَتْ فِي الثَّلَاثَةِ: أَرْسَلَنِي وَأَعْلَمَكَ شَيْئًا تَقُولُهُ فَلَا يَقْرَبُكَ شَيْءٌ: آيَةُ الْكُرْسِيِّ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «صَدَقْتَ وَهِيَ كَذُوبٌ».

وقد تكلموا فيه فإن حديثه لا ينزل عن درجة الحسن لا سيما وله شاهد عن أبي بن كعب، رواه النسائي، وابن حبان رقم ١٧٢٤ والحاكم وصححه.

٣٣٩ - سَهْوَةٌ: بفتح السين وسكون الهاء، بيت صغير منحدر في الأرض ويطلق على سطح لبيت صغير. الْعُوْلُ: بضم الغين وسكون الواو، نوع من الجن. فَلَا يَقْرَبُكَ شَيْءٌ: فيه دليل على أن آية الكرسي تحفظ بإذن الله من جميع الطوارئ السيئة زيادة على الحفظ من الشياطين لقوله: ﴿فَلَا يَقْرَبُكَ شَيْءٌ﴾ يعني يسؤوك.

المعجزات في إخباره بالمغيبات

١ - إخباره بموت النجاشي

٣٤٠ - عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ نعى للناس النجاشي في اليوم الذي مات فيه، وخرج بهم إلى المصلى فصَفَّ بهم وكَبَّرَ أربع تكبيرات.

٢ - إخباره بما سَجَرَ به وَمَنْ سَحَرَهُ

٣٤١ - عن عائشة أن النبي ﷺ طُبَّ، حتى أنه لِيُخَيَّلُ إليه أنه صنع الشيء وما صنعه، وإنه دعا ربه، ثم قال: «أشَعَرْتُ أن الله قد أفتاني فيما استفتيته»، قالت: وما ذلك؟ قال: «جاءني رجلان فجلس أحدهما عند

٣٤٠ - رواه البخاري في الجنازات ٣/٤٣٠ من فتح الباري، ومسلم كذلك، ورواه أيضاً أحمد ٢/٥٢٩، وأبو داود، والنسائي، ومالك، وغيرهم، ونحوه عن جابر روياه.

٣٤١ - رواه البخاري في بدء الخلق ٧/١٤٥ من فتح الباري، وفي الطب، وفي الأدب، وفي الدعوات، ومسلم في الطب ١٤/١٧٤، ١٧٨ من شرح النووي، وكذا ابن ماجه في الطب، وأحمد ٦/٥٧، ٦٣، ٩٦.

٣٤٠ - نعى: أي أخبرهم بموته وهذا خلاف النعي المنهي عنه، وفي الحديث مشروعية الصلاة على الميت الغائب.

٣٤١ - طُبَّ: بضم الطاء معناه سحر. ليبدن الأعصم: كان يهودياً. مُشَطَّ: بضم الميم وكسرهما هي الآلة المعروفة، والمُشَاطَّة بضم الميم هو الشعر الذي يسقط من الرأس عند تسريحه بالمشط. وَجُفَّ: بضم الجيم هو وعاءه وغشاؤه الذي يكون فوقه. طلعة ذكر: الطلع هو ثمر النخل =

رأسي، والآخر عند رجلي، فقال أحدهما لصاحبه: ما وجع الرجل؟ قال: مطبوب، قال: من طبه؟ قال: لبيد بن الأعصم، قال: فيماذا؟ قال: في مشط ومشاطة وحُفّ طلعة ذكر، قال: فأين هو؟ قال: في بشر ذروان، فأتاها رسول الله ﷺ فقال: «هذه البثر التي أريتها كأنّ نخلها رؤوس الشياطين، وكأن ماءها نقاعة الحناء، فأمر به فأخرج».

٣ - إخباره بما فتح من ردم يأجوج ومأجوج

٣٤٢ - عن زينب أمّ المؤمنين رضي الله تعالى عنها، قالت: استيقظ النبي ﷺ من نوم محمراً وجهه وهو يقول: «لا إله إلا الله، ويل للعرب من شر قد اقترب، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه وحلقت حلقة».

٤ - إخباره رجالاً بما حدثوا به أنفسهم

٣٤٣ - عن وابصة الأسدي رضي الله تعالى عنه قال: جئت إلى

٣٤٢ - رواه البخاري ومسلم والترمذي كلهم في الفتن وكذا رواه ابن ماجه في الفتن، ورواه البخاري أيضاً في الأنبياء وفي المناقب وفي الطلاق وأحد ٦/٤٢٨، ٤٢٩.

٣٤٣ - رواه أحمد ٤/٢٢٧ من طريقين وأحدهما سنده حسن.

= أول بروزه. رؤوس الشياطين: أي الحيات القبيحة المنظر أو كل ما يتخيله الإنسان من قبيح على ما كانت عليه العرب من التخيلات. نقاعة الحناء: أي ماؤها الذي استنقعت فيه فأصبح أصفر كدراً.

٣٤٢ - ويل للعرب: أي هلاك لهم من شر قد دنا وقته وقد نزل بهم ما تنبأ به صلى الله تعالى عليه وآله وسلم منذ زمان. من ردم: بفتح الراء وسكون الدال هو السد. يأجوج ومأجوج: اسمان قبيلتين من بني آدم لا يعرف أمرهم ولا موضعهم على التحقيق رغم ما اكتشف من الأقاليم والمناطق المجهولة، وما ذكره البعض من أنهم الصينيون والبعض الآخر أنهم الروسيون فهو وإن كان محتملاً فإنه لا يتوافق والأحاديث النبوية التي وصفتهم ووصفت عملهم فالله أعلم بالواقع.

٣٤٣ - انشرح: أي انفسح. حاك: أي أثر ورسخ، وما في هذا الحديث إنما يكون بالنسبة لكامل الإيمان.

رسول الله أسأله عن البر والإثم قال: «جئت تسأل عن البر والإثم»، فقلت: والذي بعثك بالحق ما جئتك أسألك عن غيره. فقال: «البر ما انشرح له صدرك والإثم ما حاك في صدرك وإن أفتاك عنه الناس».

٥ - إخباره صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بالمنافقين

٣٤٤ - عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ في ظل حجرة من حجروه وعنده نفرٌ من المسلمين قد كاد يقلص عنهم الظل.

قال: فقال: «إنه سيأتيكم إنسان ينظر إليكم بعيني شيطان، فإذا أتاكم فلا تكلموه» قال: فجاء رجل أزرق، فدعاه رسول الله ﷺ فكلمه فقال: «علام تشمني أنت وفلان وفلان نفر دعاهم بأسمائهم» قال: فذهب الرجل، فدعاهم فحلفوا بالله واعتذروا إليه، فأنزل الله عز وجل: ﴿يحلِفون له كما يحلفون لكم ويحسبون... الآية﴾.

٦ - إخباره صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بالشاة التي أخذت بغير حق

٣٤٥ - عن جابر أن رسول الله ﷺ وأصحابه مروا بامرأة فذبحت لهم شاةً واتخذت لهم طعاماً، فلما رجع قالت: يا رسول الله إنا اتخذنا

٣٤٤ - رواه أحمد ١/٢٤٠، ٢٦٧، ٣٥٠ وكذا أبو داود في الأدب من طرق صحيحة، ورواه أيضاً الحاكم وصححه.

٣٤٥ - رواه أحمد ٣/٣٥١ بسند صحيح، والنسائي، والحاكم وصححه.

٣٤٤ - يقلص: أي ينزوي ويزول. تشمني: تسبني.

٣٤٥ - وكانوا لا يبدؤون: إلخ: هذا من حسن آدابهم، وفيه من الاحترام والتقدير لجناب النبوة ما لا يخفى. يُسيفها: بضم الياء، أي يتلعبها. نحتشم: أي نستحي، ويؤخذ منه أن الحرام =

لكم طعاماً، فادخلوا فكلوا، فدخل رسول الله ﷺ وأصحابه، وكانوا لا يبدأون حتى يتدبىء النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم، فأخذ النبي ﷺ لقمَةً، فلم يستطع أن يُسيغها، فقال النبي ﷺ: «هذه شاة دُبِحَتْ بغير إذن أهلها»، فقالت: لمرأة: يا نبي الله إنا لا نحشم من آل سعد بن معاذ ولا يحشمون منا نأخذ منهم ويأخذون منا.

٧ - إخباره صلى الله تعالى عليه وآله وسلم برجال من أهل الجنة فدخلوا عليه

٣٤٦ - عن ابن مسعود قال: كنا عند النبي ﷺ فقال النبي ﷺ: «يطلع عليكم رجلٌ من أهل الجنة فأطلع أبو بكر فسلم ثم جلس».

٣٤٧ - عن جابر قال: خرج رسول الله ﷺ زائراً لسعد بن الربيع فجلس وجلسنا معه، فقال: «يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة»، فطلع أبو بكر، ثم قال: «يطلع عليكم رجل من أهل الجنة»، فطلع عمر، ثم قال: «يطلع عليكم رجل من أهل الجنة»، فطلع عثمان، ثم قال: «يطلع عليكم رجل من أهل الجنة، اللهم إن شئت جعلته علياً»، فطلع.

٣٤٦ - رواه الحاكم ٧٣/٣ وصححه على شرط مسلم ووافقه الذهبي.

٣٤٧ - رواه أحمد ٣/٣٥٦، ٣٨٠ من طرق والطبراني والبخاري، قال في المجمع

٥٨، ٥٧/٩، ورجال أسانيد أحمد موثقون، ورواه الحاكم بنحوه ١٣٦/٣ وصححه وأقره الذهبي.

= يتعدى إلى غير مكتسبه فقول من يقول أن الحرام لا يتعلق بدمتين غير سديد، فمن عرف عنه الاكتساب من الحرام لا يجوز الأكل عنده.

٣٤٧ - هؤلاء الأربعة هم سادات الصحابة وأفاضلهم على الإطلاق أما المفاضلة فيما بينهم فمعلوم

= أمرها، وهم من أهل الجنة بنصوص الأحاديث الصحيحة وما ذلك إلا لما لهم من المواقف في الإسلام =

٨ - تخوف الصحابة من الانبساط إلى نسائهم خوفاً من نزول ما يفضحهم

٣٤٨ - عن ابن عمر قال: (كنا نتقي الكلام والانبساط إلى نسائنا مخافة أن ينزل فينا شيء، فلما مات النبي ﷺ تكلمنا وانبسطنا).

٩ - إخباره صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بما كان وما هو كائن إلى يوم القيامة

٣٤٩ - عن حذيفة قال: (لقد حدثني رسول الله ﷺ بما يكون حتى تقوم الساعة).

٣٥٠ - وعنه قال: (قام فينا رسول الله ﷺ مقاماً ما ترك فيه شيئاً إلى قيام الساعة إلا ذكره، حفظه من حفظه، ونسيه من نسيه، وإنه ليكون منه الشيء قد كنت نسيته فأراه كما يذكر الرجل وجه الرجل إذا غاب عنه ثم إذا رآه عرفه).

٣٤٨ - رواه البخاري في النكاح.

٣٤٩ - رواه مسلم في الفتن بتغيير يسير ١٦/١٦ من شرح النووي.

٣٥٠ - رواه البخاري ومسلم ١٥/١٦ من شرح النووي كلاهما في الفتن.

= فالطعن فيهم أو في أحدهم ضلال وخذلان، فليتب الله الشيعة فيهم ولينزلوا كلاً منزله الذي أنزله الله عز وجل.

٣٤٨ - نتقي: أي نتحفظ. الانبساط: كثرة الملاعبة معهن والممازحة وترك الاحتشام.

وفيه ما كان عليه الصحابة من الخوف والحياء من الله تعالى فقد كانوا يشعرون باطلاع الله نبيه فوراً على ما يصدر منهم ولو كان مباحاً رضي الله تعالى عنهم وجعل الجنة مثواهم وألحقنا بهم مؤمنين.

٣٤٩، ٣٥٠ - معناهما أنه أخبرهم بالوقائع والأحداث والفتن المرتقبة إلى قيام الساعة كما جاء

مفصلاً في غيرهما.

٣٥١ - وعن أبي زيد قال: (صلى بنا رسول الله ﷺ الفجر، ثم صعد المنبر فخطبنا حتى حضرت الظهر، ثم نزل فصلى، ثم صعد المنبر فخطبنا حتى حضرت العصر، ثم نزل فصلى، ثم صعد المنبر فخطبنا حتى غربت الشمس، فأخبرنا بما كان وما هو كائن إلى يوم القيامة، فأحفظنا أعلمنا).

٣٥٢ - وعن أبي ذر قال: (لقد تركنا رسول الله ﷺ وما يقلب طائر جناحيه في السماء إلا ذكره لنا علماً).

٣٥٣ - وعن المغيرة بن شعبة قال: (قام فينا رسول الله ﷺ مقاماً فأخبرنا بما يكون في أمته إلى يوم القيامة وعاه من وعاه ونسيه من نسيه).

٣٥٤ - وعن سمرة قال: كسفت الشمس فصلى النبي ﷺ ثم

٣٥١ - رواه مسلم في الفتن ١٦/١٦ من شرح النووي.

٣٥٢ - رواه أحمد ١٦٢/٥ ورجاله ثقات، غير الأشياخ فإنهم مجاهيل لكن يؤيده ما سبق. والحديث (٣٥٢) ذكره في الخصائص، وهو يخالف ما في أصله في المسند، وسياقه: «لقد تركنا رسول الله وما ينقلب في الهواء طائر إلا ذكرنا منه علماً».

٣٥٣ - رواه أحمد ٢٥٤/٤ بسند صحيح.

٣٥٤ - رواه أحمد ١٦/٥ في حديث طويل وأصله في السنن وسنده حسن.

٣٥١ - هذا موقف عظيم وقفه النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ينصح فيه أمته ويحذرهم من مواقع الفتن وشروها.

٣٥٢ - هذا أعم من كل ما سبق إذ هو يعطينا لونا آخر من التنبؤات المحمدية وإنه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ذكر لهم كل ما يمكن أن يعلم.

٣٥٣ - وعاه: أي حفظه وعقله ومؤدى هذا الحديث هو ما سبق قبله.

٣٥٤ - إن مقام النبوة فوق ما يتصوره الإنسان، إن الأنبياء لهم من الإطلاع على المغيبات ما لا يعلمه غيرهم.

قال: «إني والله لقد رأيت منذ قمت أصلي ما أنتم لاقوه من أمر دنياكم وأخرتكم».

١٠ - إخباره صلى الله تعالى عليه وآله وسلم
بما يفتح على أصحابه وأمته من الدنيا وأنه سيكون
لهم أنماط وسيتحاسدون ويقتتلون

٣٥٥ - عن أبي سعيد عن النبي ﷺ قال: «إن الدنيا حلوة خضرة، وأن الله مستخلفكم فيها لينظر كيف تعملون، فاتقوا الدنيا واتقوا النساء، فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء».

٣٥٦ - وعن عمرو بن عوف رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ قال: «والله ما أخشى عليكم الفقر ولكني أخشى عليكم أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم، فتنافسوها كما تنافسوها، فتهلككم كما أهلكتهم».

٣٥٥ - رواه مسلم في الرقاق ١٧/٥٥ من شرح النووي وكذا الترمذي في الزهد، وابن ماجه في الفتن، والدارمي في الرقاق، وأحمد ٣/١٩، ٢٢.

٣٥٦ - رواه البخاري في الجزية وفي المغازي وفي الرقاق، ومسلم في الزهد، وكذا الترمذي في الزهد، وابن ماجه في الفتن.

٣٥٥ - خضرة: بكسر الصاد. فاتقوا: أي تحفظوا منها واحذروا فتنها فإنها عظيمة وعظيمة من الجانيين والكل يشعر بذلك فالسعيد من حفظه الله منها ولم يقع في فخها.
٣٥٦ - فتنافسوها: وقد حصل ما تنبأ به فلقد بسطت على الأمة الدنيا وآثروا وتكاثروا فيها وتفاخروا بها وتنافسوا عليها حتى أدى بهم الحال إلى التقاطع واستحلال ما حرم الله، وهذا هو الهلاك الذي وقع فيه الأقدمون. وانظر: «أسباب هلاك الأمم» للمهذب.

٣٥٧ - وعن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «هل لكم من أنماط؟» قلت يا رسول الله: وأنى لنا أنماط، قال: «إنها ستكون لكم أنماط»، فأنا أقول اليوم لامرأتي نحي عني أنماطك، فتقول: ألم يقل رسول الله ﷺ: «إنها ستكون لكم أنماط بعدي».

٣٥٨ - وعن طلحة النضري رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: «عسى أن تدركوا زماناً حتى يغدى على أحدكم بجفنة ويراح عليه بأخرى وتلبسون أمثال أستار الكعبة». قالوا: يا رسول الله، أنحن اليوم خير أم ذاك اليوم؟ قال: «بل أنتم اليوم متحابون وأنتم يومئذ متباغضون يضرب بعضكم رقاب بعض».

١١ - إخباره صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بفتح اليمن والشام والعراق

٣٥٩ - عن سفيان بن أبي زهير رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «تفتح اليمن فيأتي قوم يُيسون فيتحملون بأهلهم

٣٥٧ - رواه البخاري في المناقب وفي النكاح، ومسلم في اللباس، وكذا أبو داود في اللباس، والترمذي في الأدب، والنسائي في النكاح، وأحمد ٣/٢٩٤.

٣٥٨ - رواه أحمد ٣/٣٨٧، والحاكم وصححه وسنده صحيح عند أحمد.

٣٥٩ - رواه البخاري ومسلم والنسائي كلهم في الحج ومالك في الجامع.

٣٥٧ - أنماط: جمع غمط وهو نوع من البسط يفرشه المترفون والمعتمون وقد أصبحت للناس اليوم فرش وسط وزرابي ما رآها الصحابة والسلف، بل ولعلمهم لم يسمعوها، وكل ذلك من فتن الدنيا التي فتن بها المتأخرون وخاصة أهل عصرنا.

٣٥٨ - يغدى: أي يؤق عليه في وقت الغداة. ويراح: أي يؤق عليه في الرواح وهو المساء. بجفنة: أي قصعة. أمثال أستار الكعبة: أي تتخذون ملابس رقيقة رائعة أو يكون معناه ستتخذون أستاراً لبيوتكم وجدرانها كما يتخذ ذلك للكعبة والله أعلم، وهو الواقع بنا، فإننا لله وإنا إليه راجعون.

ومن أطاعهم، والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون، ثم تفتح الشام فيأتي قوم يبسون فيتحملون بأهليهم ومن أطاعهم، والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون».

٣٦٠ - وعن عبدالله بن حوالة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ستجندون أجناداً؛ جنداً بالشام، وجنداً بالعراق، وجنداً باليمن». قلت: خِرُّ لي يا رسول الله، قال: «عليك بالشام، فمن أبى فليلحق بيمنه وليستق من عُذْره، فإن الله قد تكفل لي بالشام وأهله».

٣٦١ - وعن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ وُقِّت لأهل العراق ذات عِرْق.

١٢ - إخباره صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بفتح بيت المقدس وما معه

٣٦٢ - عن عوف بن مالك رضي الله تعالى عنه قال: قال

٣٦٠ - رواه الحاكم وصححه.

٣٦١ - رواه أبو داود رقم ١٧٣٩، والنسائي كلاهما في الحج وسندهما صحيح وله شاهد في مسلم عن جابر.

٣٦٢ - رواه البخاري في الجزية، وكذا رواه أبو داود في الأدب، وابن ماجه في الفتن.

٣٥٩ - يُسُون: بضم الباء وكسرها معناه يزعجون إبلهم فيسافرون هذه البلاد لما فيها من الخصب والعيش الرغد وبركات الأرض وكثرة الخيرات. ولكن المدينة خير لهم في دينهم لبركة المجاورة النبوية.

٣٦٠ - عُذْره: بضم الغين والذال جمع غُدِير بفتح الغين وكسر الذال وهي القطعة من الماء.

٣٦١ - ذات عِرْق: بكسر العين وسكون الراء موقت إحرام العراقيين.

٣٦٢ - كَقُعَاص: بضم القاف هو داء يأخذ الغنم لا يلبثها أن تموت. استفاضة: أي انتشار

المال وفيضانه. غاية: أي راية، وهذا من عجيب التنبؤات فصلى الله وسلم عليك يا سيدي يا رسول الله.

رسول الله ﷺ: «اعدد ستاً بين يدي الساعة: موتي، ثم فتح بيت المقدس، ثم موتان يأخذ فيكم كقعاص الغنم، ثم استفاضة المال فيكم حتى يعطى الرجل مائة دينار فيظل ساخطاً، ثم فتنة لا يبقى بيت من العرب إلا دخلته، ثم هدنة تكون بينكم وبين بني الأصفر، فيغدرون فيأتونكم تحت ثمانين غاية تحت كل غاية اثنا عشر ألفاً».

١٣ - إخباره صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بفتح مصر وما يحدث فيها

٣٦٣ - عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنكم ستفتحون أرضاً يذكر فيها القيراط، فاستوصوا بأهلها خيراً فإن لهم ذمةً ورحماً، فإذا رأيتم رجلين يقتتلان على موضع لبنة فاخرج منها».

قال: فمرّ بربيعة وعبدالرحمن بن شرحبيل بن حسنة يتنازعان في موضع لبنة فخرج منها.

٣٦٤ - وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنَعَتِ الْعِرَاقُ دِرْهَمَهَا وَقَفِيزَهَا، وَمَنَعَتِ الشَّامُ مُدِّيَهَا وَدِينَارَهَا، وَمَنَعَتِ مِصْرُ إِرْدَبَهَا وَدِينَارَهَا، وَعَدْتُمْ مِنْ حَيْثُ بَدَأْتُمْ».

٣٦٣ - رواه مسلم آخر فضائل الصحابة ١٦/٩٦، ٩٧ من شرح النووي.

٣٦٤ - رواه مسلم في الفتن ١٨/٢٠ من شرح النووي وكذا أبو داود في الإمارة، وأحمد ٢/٢٦٢.

٣٦٣ - فاستوصوا: أي ليوص بعضكم بعضاً بهم وبالإحسان إليهم. ذمة: أي عهد. أو رحماً: لأن هاجر أم إسماعيل كانت مصرية، ورواية: «صهراً» معناها أن مارية أم إبراهيم منهم أيضاً كان أهداها المقوقس إليه، وفي هذه الأحاديث عجائب الآيات فقد أخبر فيها بما لم يكن فكان كما أخبر.

٣٦٤ - «قَفِيزَهَا»: بفتح القاف. «مُدِّيَهَا»: بضم الميم وسكون الدال. «إِرْدَبَهَا»: بكسر الهمزة =

١٤ - إخباره صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بغزاة البحر وإن أم حرام منهم

٣٦٥ - عن أنس أن النبي ﷺ دخل على أم حرام فنام عندها، فاستيقظ وهو يضحك، قالت: ما يضحكك يا رسول الله؟ قال: «ناس من أمتي عرضوا عليّ غزاةً في سبيل الله، يركبون ثبج هذا البحر ملوكاً على الأسيرة»، قلت: يا رسول الله، ادع الله أن يجعلني منهم، فدعا لها، ثم وضع رأسه فنام، ثم استيقظ وهو يضحك. قالت فقلت: يا رسول الله ما يضحكك؟ قال: «ناس من أمتي عرضوا عليّ غزاةً في سبيل الله يركبون ثبج هذا البحر ملوكاً على الأسيرة». قلت: يا رسول الله، ادع الله أن يجعلني منهم. قال: «أنت من الأولين».

فركبت أم حرام البحر غازيةً مع زوجها عبادة بن الصامت في زمن معاوية فلما انصرفوا من غزاتهم قافلين قربوا إليها دابةً لتركبها فصرعتها فماتت.

٣٦٥ - رواه البخاري في الجهاد ٣٥٠/٩، ٣٥١ من فتح الباري وفي الاستئذان وفي التعبير، ومسلم في الإمارة، وكذا الترمذي في فضال الجهاد، والنسائي ومالك في الجهاد وأحمد ٢٤٠/٣.

= وسكون الراء وفتح الدال، وهذه كلها مكائيل لهذه الأقطار، والشاهد من الحديث إخباره صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بأن هذه البلاد ستفتح.

ومعنى قوله: «منعت العراق» وغيرها قولان مشهوران، أحدهما: لإسلامهم فتسقط الجزية عنهم، وهذا قد وجد، والثاني وهو الأشهر: أن معناه أن العجم والروم يستولون على البلاد في آخر الزمان فيمنعون حصول ذلك للمسلمين. وقيل: لأنهم يرتدون في آخر الزمان فيمنعون ما لزمهم من الزكاة.

قوله: «وعدتم من حيث بدأتهم» هو معنى الحديث الآخر: «بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ».

٣٦٥ - ثبج: بفتح الثاء والباء أي وسطه. على الأسرة: جمع سرير. قافلين: أي راجعين. فصرعتها: أي أسقطتها.

٣٦٦ - وعن أم حرام رضي الله تعالى عنها أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أول جيش من أمتي يغزون البحر قد أوجبوا»، قلت: يا رسول الله أنا فيهم؟ قال: «أنت فيهم». ثم قال: «أول جيش من أمتي يغزون مدينة قيصر مغفور لهم»، قلت: أنا فيهم؟ قال «لا».

١٥ - إخباره صلى الله تعالى عليه وآله وسلم

بقتال خوز وكرمان وقوم نعالهم الشعر

٣٦٧ - عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا خوزاً وكرمان قوماً من الأعاجم حمر الوجوه فُطس الأنوف صغار الأعين كأن وجوههم المِجان المطرقة، ولا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قوماً نعالهم الشعر».

٣٦٦ - رواه البخاري ومسلم وكذا أبو داود والنسائي وابن ماجه كلهم في الجهاد.

٣٦٧ - رواه البخاري في علامات النبوة ٤١٩/٧ من فتح الباري، وفي مواضع وفي رواية: «حتى تقاتلوا الترك صغار الأعين حمر الوجوه ذلف الأنوف» ورواه أيضاً مسلم في الفتن ٣٧/١٨، ٣٨ من شرح النووي من طرق بنحوه.

٣٦٦ - مدينة قيصر: هي استنبول القسطنطينية، وقد حصل ما أخبر به صلى الله تعالى عليه وآله وسلم في هذين الحديثين فالغزاة الأولون كانوا زمن معاوية حيث غزوا قبرص وصالحوهم، أما الآخرون فكانوا أيام يزيد، واستدل به على أنه من المغفور لهم لدخوله في عموم الحكم، وفيه كلام والله أعلم.

٣٦٧ - خُوزاً: بضم الخاء آخره زاي. وكرمان: بكسر الكاف. فُطس: بضم الفاء وسكون الطاء جمع أفتس وهو المفترش الأنف. المِجان: بكسر الميم، من آلات الحرب القديمة. والمطرقة: هي التي رُكِبَ بعضها فوق بعض لتتقوى، والمراد بهؤلاء المذكورين في الحديث الأتراك ومن جاورهم من الأعاجم، وكل هذا قد وقع قديماً في الفتوحات الإسلامية وربما سيقع بعضه آخر الزمان.

١٦ - إخباره صلى الله تعالى عليه وآله وسلم
بفتح فارس والروم وإنفاق كنوزهما في سبيل الله

٣٦٨ - عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده، وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده، والذي نفسي بيده لتنفقن كنوزهما في سبيل الله».

٣٦٩ - وعن جابر بن سمرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لتفتحن عصابة من المسلمين كنوز كسرى التي في القصر الأبيض، فكنت أنا وأبي فيهم فأصابنا من ذلك ألف درهم».

١٧ - إخباره صلى الله تعالى عليه وآله وسلم
بالخلفاء بعده ثم الملوك

٣٧٠ - عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء كلما هلك نبي خلفه نبي، وإنه لا نبي بعدي، وستكون خلفاء ويكثرون قالوا: فما تأمرنا؟ قال: فو بيعة الأول فالأول وأعطوهم حقهم فإن الله سائلهم عما استرعاهم».

٣٦٨ - رواه البخاري في علامات النبوة ٤٣٨/٧ من فتح الباري، ومسلم في الفتن ٤١/١٨، ٤٢ من شرح النووي.

٣٦٩ - رواه مسلم في الفتن ٤٣/١٨ من شرح النووي وكذا في الإمارة بسياق آخر.
٣٧٠ - رواه مسلم في الإمارة ٢٣٠/١٢، ٢٣١ من شرح النووي.

٣٦٨ - قد تقدم تفسير كسرى وقيصر، وهذا الفتح وهلاك هاتين الدولتين قد وقع أيام أبي بكر وعمر رضي الله عنهما.
٣٦٩ - عصابة: أي جماعة، وفيه شهادة للفتاحين لفارس بالإسلام وأنهم لا يخرجون منه ببعض ما ارتكبه بعضهم.

٣٧٠ - تسوسهم: أي تتولى أمرهم. فو: بضم الفاء أمر من الوفاء.

٣٧١ - وعن جابر بن سمرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يزال الدين قائماً حتى تقوم الساعة، أو يكون عليكم اثنا عشر خليفةً كلهم من قريش» إلخ.

٣٧٢ - وعن عبدالله قال: قال رسول الله ﷺ: «ستكون أثرة وأمور تنكرونها. قالوا: فما يصنع من أدرك ذلك منا؟ قال: أدوا الحق الذي عليكم وسلوا الله الذي لكم».

٣٧٣ - وعن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «بيننا أنا نائم رأيتني على قلب عليها دلو فنزعت منها ما شاء الله، ثم أخذها أبو بكر فنزع منها ذنوباً أو ذنوبين وفي نزعه ضعف والله يغفر له، ثم

٣٧١ - رواه مسلم ٢٠٣/١٢ من شرح النووي في الإمارة واللفظ له، وكذا البخاري في الأحكام، والترمذي في الفتن رقم ٢٠٥١ وأحمد ٨٦/٥، ٨٩ بالفاظ.

٣٧٢ - رواه البخاري في علامات النبوة، ومسلم في الإمارة ٢٣١/١٢، ٢٣٢ من شرح النووي.

٣٧٣ - رواه البخاري ٢٤/٨، ٣٧، ٣٨ من فتح الباري، ومسلم كلاهما في المناقب، ورواه البخاري في التعبير أيضاً.

٣٧١ - هؤلاء الخلفاء يجتمل أن يكونوا قد سبقوا إلا المهدي ويجتمل أن يكون بعضهم لا يزال لم يظهر

٣٧٢ - أثره: بفتح الهمزة والثاء، أي الاستبداد بالوظائف والإمارات والأموال، ويكون الواجب إزاء ذلك أداء ما يطلبونه منا وإرجاء حقوقنا إلى الآخرة حيث سيؤدونها لنا مستوفاة أحوج ما نكون إليها فلنصبر ولننتظر فرج الله تعالى فدوام الحال من المحال.

٣٧٣ - قلب: هو البئر بدون بناء. ذنوب: بفتح الذال، الدلو. استحالت: أي انقلبت. عبقرياً: أي قوياً، وأصل العبقري موضع من أرض الجن، والعرب تنسب إليه كل شيء يتعجب منه. عطن: بفتح العين هو مبرك الإبل حول الماء، وفي الحديث إشارة إلى خلافة أبي بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما.

استحالت غرباً فأخذها ابن الخطاب، فلم أر عبقرياً من الناس نزع نزعه حتى ضرب الناس بِعَطْنٍ».

٣٧٤ - وعن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ في مرضه: «ادعي لي أبا بكر أباك وأخاك حتى أكتب كتاباً، وإني أخاف أن يتمنى متمنٍ ويقول قائل: أنا أولى ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر».

٣٧٥ - وعن سفينة قال: قال رسول الله ﷺ: «الخلافة في أمتي ثلاثون سنة، ثم ملك بعد ذلك». ثم قال سفينة: أمسك خلافة أبي بكر، ثم قال: وخلافة عمر، وخلافة عثمان، ثم قال: أمسك خلافة علي، فوجدناها ثلاثين سنة، قال سعيد: فقلت له: إن بني أمية يزعمون أن الخلافة فيهم، قال: كذبوا بنوا الزرقاء هم ملوك من شر الملوك.

٣٧٦ - عن حذيفة قال: قال رسول الله ﷺ: «إنكم في النبوة ما

٣٧٤ - رواه مسلم ١٥٤/١٥، ١٥٥ من شرح النووي، وكذا البخاري في المرضي ٢٢٨/١٢، ٢٣٠ من فتح الباري، وفي الأحكام بنحوه.

٣٧٥ - رواه أحمد ٢٢٠/٥، والترمذي في الفتن رقم ٢٠٥٣، وأبو داود رقم ٤٦٤٦، ٤٦٤٧، والنسائي وإسناده حسن عند الترمذي وهو صحيح لطرقه وشواهده.

٣٧٦ - رواه أحمد ٢٧٣/٤، والطيالسي ٢٥٩٣ بسند حسن، وأورده الهيثمي في المجمع ١٨٩/٥ برواية أحمد والبخاري والطبراني وقال: رجاله رجال ثقات، وصححه العراقي.

٣٧٤ - في هذا الحديث إشارة إلى استخلاف أبي بكر لقوله: «ويأبى الله» إلخ وهو يدل على أنه سيقع اختلاف.

٣٧٥ - ثم مُلِكَ: هذا يدل على أن الملوك ليسوا من الخلفاء، كما أن ملوك بني أمية كانوا من شرهم.

٣٧٦ - على منهاج النبوة: أي على طريقها. عضوض: بفتح العين، أي يصيب الرعية فيه =

شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة تكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء، ثم يكون ملك عضوض، ثم تكون جبرية ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء، ثم تكون خلافةً على النبوة».

١٨ - إخباره صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بأن هذا الأمر في قريش وأن الأتراك سيأخذونه منهم

٣٧٧ - عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي من الناس اثنان».

٣٧٨ - وعن معاوية قال: قال رسول الله ﷺ: «إن هذا الأمر في قريش لا يعاديهم أحد إلا أكبه الله على وجهه ما أقاموا الدين».

٣٧٧ - رواه أحمد، والبخاري في المناقب ٣٤٥/٧ من فتح الباري، وفي الأحكام، ومسلم في الإمارة ٢٠١/١٢ من شرح النووي.

٣٧٨ - رواه البخاري في المناقب ٣٤٥/٧ من فتح الباري وفي الأحكام.

= ظلم وعسف كأنهم يعضون فيه عضاً، وفي رواية: عُضوض بضم العين جمع عُض بالكسر وهو الخبيث الشرس. جبرية: أي يأخذون الملك بالقهر والقوة والعتو.

٣٧٧ - هذا من أبهر المعجزات، فإنه لا يزال الأمر فيهم على الرغم من تشتت أمر الأمة وتفرق أوصالها.

٣٧٨ - عقاب معاديتهم مشروط بإقامتهم للدين فإذا حادوا عنه فلا يلام من عاداهم أو طعن فيهم أو انتقدهم.

٣٧٩ - وعن عمرو بن العاص قال: سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم يقول: «قريش ولاة الناس في الخير والشر إلى يوم القيامة».

٣٨٠ - وعن بريدة رضي الله تعالى عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «إن أمتي يسوقها قوم عراض الوجوه صغار الأعين، كأن وجوههم الحَجَف ثلاث مرات، حتى يلحقوهم بجزيرة العرب، أما الأولى فينجو من هرب منهم، وأما الثانية فيهلك بعض، وأما الثالثة فيصطلمون كلهم من بقي منهم. قالوا: يا رسول الله، من هم؟ قال: الترك، والذي نفسي بيده ليربطن خيولهم إلى سواري مساجد المسلمين».

١٩ - إخباره صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بالمقاتلة على الملك

٣٨١ - عن عمار بن ياسر رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يكون بعدي قوم يأخذون الملك يقتل بعضهم بعضاً».

٣٧٩ - رواه أحمد ٢٠٣/٤، والترمذي في الفتن رقم ٢٠٥٥ بسند صحيح.

٣٨٠ - رواه أحمد ٣٤٨/٥، ٣٤٩ بسند صحيح.

٣٨١ - رواه أحمد ٢٦٣/٤ بسند صحيح.

٣٧٩ - وهذا هو الواقع فإننا إذا نظرنا إلى الأمر الواقع وجدنا رؤساء العرب وزعماءهم وقاداتهم كلهم من قريش، إلا النادر، في كل العصور والأجيال.

٣٨٠ - الحَجَف: بفتح الحاء وسكون الجيم هو الترس والمجن. فيصطلمون: أي يقطعون ويستأصلون وهو من الاصطلام الذي هو القطع، وهذا قد حصل واستولى الأتراك على بلاد المسلمين وحكموهم قروناً وقروناً حتى جاءت الحرب العالمية الأولى فانسحبوا إلى بلادهم ولم يبق لهم شيء.

٣٨١ - هذا شيء بديهي من واقع المسلمين في كل العصور فلا يحصى كم أريقت من دماء في سبيل ذلك.

٢٠ - إخباره صلى الله تعالى عليه وآله وسلم
بقتل عثمان رضي الله تعالى عنه

٣٨٢ - عن أبي موسى الأشعري أن النبي ﷺ كان يبئر أريس فجلس على قف البئر فتوسط، ثم دلى رجله في البئر وكشف عن ساقه، فقلت: لأكونن اليوم بواب رسول الله ﷺ، فجاء أبو بكر فقلت: على رسلك، وذهبت إلى النبي ﷺ، فقلت: هذا أبو بكر يستأذن، قال: «إئذن له وبشره بالجنة»، فدخل حتى جلس إلى جنب رسول الله ﷺ في القف على يمينه ودلى رجله، ثم جاء عمر فقلت: هذا عمر يستأذن، قال: «إئذن له وبشره بالجنة»، فجاء حتى جلس مع رسول الله ﷺ على يساره ودلى رجله، ثم جاء عثمان، فقلت: هذا عثمان يستأذن، فقال: «إئذن له وبشره بالجنة على بلوى تصيبه»، فدخل فلم يجد في القف مجلساً فجلس وجاههم من شق البئر ودلى رجله، قال سعيد بن المسيب: فأولتها قبورهم.

٣٨٣ - وعن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ في مرضه: «وددت أن عندي بعض أصحابي»، قلنا: يا رسول الله، ألا ندعو لك أبا بكر؟

٣٨٢ - رواه البخاري ٣٥/٨، ٣٨، ٥٤ من فتح الباري ومسلم ١٥/١٧٠، ١٧١ من شرح النووي كلاهما في المناقب والفضائل.

٣٨٣ - رواه أحمد ٥١/٦، ٥٢، وابن ماجه في المقدمة رقم ١١٣ بسند صحيح.

٣٨٢ - على رسلك: بكسر اللام وسكون السين: أي اتند ولا تعجل. القف: بضم القاف ما ارتفع من الأرض.

فسكت، قلنا: ألا ندعو لك عمر؟ فسكت، قلنا: ألا ندعو لك عثمان، قال: «نعم». فجاء فخلا به، فجعل النبي ﷺ يكلمه ووجه عثمان يتغير. قال قيس: فحدثني أبو سهلة مولى عثمان: أن عثمان بن عفان قال يوم الدار: إن رسول الله ﷺ عهد إليَّ عهداً، فأنا صائر إليه، وقال علي في حديثه: وأنا صائر عليه، قال قيس: فكانوا يرونه ذلك اليوم.

٣٨٤ - وعن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «يا عثمان إن ولاك الله هذا الأمر يوماً فأراد المنافقون أن تخلع قميصك الذي قمصك الله فلا تخلعه، يقول ذلك ثلاث مرات». قال النعمان: فقلت لعائشة: ما منعك أن تعلمي الناس بهذا؟ قالت: نسيت.

٣٨٥ - وعن الأشعث الصنعاني أن خطباء قامت في الشام وفيهم رجال من أصحاب النبي ﷺ فقام آخرهم رجل يقال له مرة بن كعب فقال: لولا حديث سمعته من رسول الله ﷺ ما قمت، وذكر الفتن فقربها، فمر رجل مُقَنَّع بثوب فقال: «هذا يومئذ على الهدى»، فقامت إليه فإذا هو عثمان بن عفان، فأقبلت عليه بوجهه فقلت: هذا، قال: «نعم».

٣٨٤ - رواه الترمذي رقم ٣٤٧١، والحاكم ١٠٠/٩٩/٣ كلاهما في المناقب، وابن ماجه في المقدمة رقم ١١٢، وكذلك أحمد ٧٥/٦، ١٤٩ وحسنه الترمذي وصححه الحاكم وهو كما قال.

٣٨٥ - رواه أحمد ٢٣٥/٤، والترمذي رقم ٣٤٧٠، والحاكم ١٠٢/٣، وصححه الترمذي، والحاكم على شرطيهما، وأقره الذهبي ورواه ابن ماجه رقم ١١١ عن كعب بن عجرة وأحمد ٢٣٦/٤ عن كعب بن مرة.

٣٨٣ - عهد إليّ: أي أوصاني أو أمرني به، وفيه دليل على أن سيدنا عثمان كان محقاً مظلوماً ولا نشك في ذلك.

٣٨٤ - قميصك: كنى بذلك عن الخلافة وهو يفيد أن معارضية كان فيهم منافقون وخاطئون.

٣٨٥ - مُقَنَّع: بضم الميم وفتح القاف والنون المشددة، أي وضع ثوباً على رأسه تحت عمامته =

٣٨٦ - وعن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «إن رحى الإسلام ستزول بخمس وثلاثين أو ست وثلاثين أو سبع وثلاثين، فإن يهلكوا فسبيل من هلك، وإن يقيم لهم دينهم يقيم لهم سبعين عاماً. قال عمر: يا رسول الله أبما مضى أو بما بقي؟ قال: بل بما بقي».

٢١ - إخباره صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بقتل الحسين عليه السلام

٣٨٧ - عن ابن عباس قال: «أوحى الله إلى محمد ﷺ أنني قتلت بيحيى سبعين ألفاً وإنني قاتل بابتك سبعين ألفاً وسبعين ألفاً».

٣٨٨ - وعن عبدالله بن نجى عن أبيه أنه سار مع علي وكان

٣٨٦ - رواه أحمد ١/٣٩٠، ٣٩٣، ٣٩٥، ٣٥١، وأبو داود في الفتن رقم ٤٢٥٤، والطيالسي رقم ٥١. وابن حبان رقم ١٨٦٥ من طرق صحيحه، ورواه الحاكم أيضاً وصححه.

٣٨٧ - رواه الحاكم ٣/١٧٨ وصححه وهو على شرط مسلم.

٣٨٨ - رواه أحمد ١/٨٥ بسند صحيح، وأورده الهيثمي في المجمع ٩/١٨٧ برواية أحمد والبخاري والطبراني وقال: رجاله ثقات.

= وهو القناع المعلوم، وفي هذه الأحاديث فضيلة ومنبقة لسيدنا عثمان رضي الله تعالى عنه وأن له مقاماً سامياً لهذه البلوى التي أصيب بها، وهي من أعظم المصائب التي أصابت المسلمين أيام الصحابة رضي الله تعالى عنهم.

٣٨٦ - رحى: أصل الرحى هي التي يطحن بها، والمراد هنا أن الإسلام سيمتد قيام أمره على سنن الاستقامة، هذه المدة ثم يزول عن استقراره وهذه المدة هي أيام الخلفاء الأربعة رضي الله تعالى عنه. وأن يقيم لهم دينهم إلخ، هذا ظاهر في أن الدين كان قائماً أيام بني أمية وهذا محمول على مجموع الأمة فإنه كان بها صالحون وأكابر الزهاد والعباد والأتقياء الأخبار.

٣٨٧، ٣٨٨ - يُثَوَّى: بكسر النون الأولى وفتح الثانية، بلدة بالعراق كان منها نبي الله يونس =

صاحب مطهرته، فلما حاذى نينوى وهو منطلق إلى صفيين فنادى علي: إصبر أبا عبدالله، إصبر أبا عبدالله بشط الفرات، قلت: وما ذاك؟ قال: دخلت على النبي ﷺ ذات يوم، وعيناه تفيضان. قلت: يا نبي الله أغضبك أحد، ما شأن عينيك تفيضان؟ قال: «بل قام من عندي جبريل قبل فحدثني أن الحسين يقتل بشط الفرات، قال: فقال: هل لك إلى أن أشمك من تربته؟ قال: قلت: نعم، فمدَّ يده، فقبض قبضة من تراب فأعطانيها، فلم أملك عيني أن فاضتا».

٣٨٩ - وعن ابن عباس قال: (رأيت النبي ﷺ في المنام بنصف النهار أشعث أغبر معه قارورة فيها دم يلتقطه أو يتتبع فيها شيئاً، قال: قلت يا رسول الله ما هذا؟ قال: دم الحسين وأصحابه؟ لم أزل أتبعه منذ اليوم، قال عمار: فحفظنا ذلك اليوم فوجدناه قتل ذلك اليوم).

٣٨٩ - رواه أحمد ٢٤٢/١، ٢٨٣ بإسنادين صحيحين، وقال في المجمع ١٩٣/٩: رجال أحمد رجال الصحيح.

= عليه السلام. صفيين: بكسر الصاد والفاء المشددة موضع الوقعة المشهورة بين الإمام علي رضي الله تعالى عنه وبين معاوية. شط: بفتح الشين، جانب، الفرات: بضم الفاء اسم للنهر العظيم المشهور بالعراق يمياه العذبة الغزيرة، وفي الحديث بيان أن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم والإمام علي رضي الله عنه كانا على علم بمقتل الحسين عليه السلام.

٣٨٩ - أشعث: أي شعره منتشر غير مسرح مرجل، وفي هذه الرؤيا دليل على أن روح رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم تشهد مواقف بعض أفراد أمته.

٢٢ - إخباره صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بالردة بعده

٣٩٠ - عن ثوبان قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى تلحق قبائل من أمتي بالمشركين وحتى يعبدوا الأوثان».

٣٩١ - وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا لِيُذَادَنَّ رجال عن حوضي كما يذاد البعير الضال فأناديهم: ألا هَلُمَّ. فيقال: إنهم قد بدلوا، فأقول: سحقاً سحقاً».

٣٩٢ - وعن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا إنه يجاء برجال من أمتي ويؤخذ بهم ذات الشمال، فأقول: أصحابي. فيقال:

٣٩٠ - رواه الترمذي رقم ٢٠٤٧، وأبو داود رقم ٤٢٥٢، كلاهما في الفتن، وكذا مسلم في الجهاد مطولاً.

٣٩١ - رواه مسلم في الطهارة، وكذا ابن ماجه في الزهد، ومالك في الطهارة، وأحمد ٢/٢٩٨، ٣٠٠، وفي مواضع من طرق مطولاً ومختصراً.

٣٩٢ - رواه البخاري في التفسير، وفي مواضع، ومسلم في الجنة، وكذا الترمذي في التفسير، وأحمد ١/٢٣٥، ٢٥٣ مطولاً.

٣٩٠ - هذا يشمل ما حصل أيام الصديق من المرتدين كما يشمل ما سبق في مستقبل الزمان عبر العصور.

٣٩١ - لِيُذَادَنَّ: بضم الياء وفتح الدال، ليطردون ويدفعون. هَلُمَّ: بفتح الهاء وضم اللام، أي تعالوا وهو فعل أمر يأتي مفرداً مطلقاً كما هنا ويأتي مثلاً ومجموعاً. سُحِقاً: بضم السين وسكون الحاء، أي بعداً لكم.

٣٩٢ - أصحابي: فيه بيان لما حصل أيام الصديق فإنه قد ارتد كثير من الصحابة فقوتلوا، فرجع من أراد الله له السعادة وبقي على كفره حتى قتل عليه من سبقت له الشقاوة.

إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك. فأقول كما قال العبد الصالح: ﴿وكنْتُ عليهم شهيداً ما دمتُ فيهم فلماً توفيتني كنتَ أنتَ الرقيبَ عليهم﴾، فيقال: إنهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم».

٢٣ - إخباره صلى الله تعالى عليه وآله وسلم
بأن الشيطان قد أيس أن يعبد في جزيرة العرب

٣٩٣ - عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الشيطان قد أيس أن يعبد المصلون في جزيرة العرب، ولكن في التحريش بينهم».

٢٤ - إخباره صلى الله تعالى عليه وآله وسلم
بأن البراء بن مالك لو أقسم على الله لأبره

٣٩٤ - عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «كم من أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره، منهم البراء بن مالك».

٣٩٣ - رواه مسلم في كتاب المنافقين ١٧/١٥٦ من شرح النووي، وكذا الترمذي في البر، وأحمد ٢/٣١٣، ٣٥٤ وفي مواضع من طرق.

٣٩٤ - رواه الترمذي في المناقب رقم ٣٦١٤ وحسنه وهو كما قال أو أعلى، ورواه =

٣٩٣ - أيس: اليأس ضد الرجاء. التحريش: هو الإغراء والتهميج، وفي الحديث دليل على أن المسلمين المصلين في شبه الجزيرة لا يعبدون الأصنام ولا يجعلون مع الله شريكاً ما داموا يصلون.
٣٩٤ - طمرين: بكسر الطاء وسكون الميم، الطمر: الثوب الخلق البالي. لا يؤبه: بضم الياء =

٢٥ - إخباره صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بأن عمر من المُحدّثين

٣٩٥ - عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «قد كان يكون في الأمم قبلكم مُحدّثون، فإن يكن في أمتي منهم أحد، فإن عمر بن الخطاب منهم»، قال ابن وهب: تفسير مُحدّثون ملهمون.

٣٩٦ - وعن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه».

قال: وقال ابن عمر: (ما نزل بالناس أمر قط فقالوا فيه، وقال فيه عمر أو ابن الخطاب إلا نزل فيه القرآن على نحو ما قال).

= الحاكم وصححه، وله شاهد عن أنس نفسه رواه أحمد بسند حسن، وفي الصحيحين عنه مرفوعاً: «أن من عباد الله من لو أقسم على الله لأبره» وانظر مسلم ١٨٧/١٧ من شرح النووي.

٣٩٥ - رواه مسلم في الفضائل ١٦٦/١٥ من شرح النووي، ونحوه عن أبي هريرة رواه البخاري في المناقب ٤٩/٨، ٥٠ من فتح الباري.

٣٩٦ - رواه الترمذي في المناقب رقم ٣٤٤٨ وحسنه وصححه، ورواه أحمد رقم ٥١٤٥، وابن حبان رقم ٢١٨٥ من غير ما طريق.

= وسكون الهمزة ثم باء مفتوحة، أي لا يعبا به ولا يحتفل بقدره. أقسم: أي حلف. لأبره: أي لأنجز له ما حلف عليه سلباً أو إيجاباً وهذا شأن الأولياء المتقين، مع الله عز وجل فما شاءه شأؤوه، وما شأؤوه يقضيه.

٣٩٥ - مُحدّثون: بضم الميم وفتح الحاء ثم دال مشددة مفتوحة، جمع محدث، أي ملهم ومُكلّم من قبل الله عز وجل، وفيه منقبة لسيدنا عمر رضي الله تعالى عنه بأنه من الملهمين.

٣٩٦ - وقد نزلت عدة أحكام قرآنية توافق رأي عمر كالحجاب والصلاة خلف المقام وعدم الصلاة على المنافقين وعدم أخذ الفداء من أسارى بدر وغير ذلك من موافقاته.

٢٦ - إخباره صلى الله تعالى عليه وآله وسلم
بأول أزواجه لحوقاً به

٣٩٧ - عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «أسرعكنَّ لحاقاً بي أطولكنَّ يداً»، فكنَّ يتناولن أيتهن أطول يداً، فكانت زينب أطول يداً، لأنها كانت تعمل بيدها وتتصدق.

٢٧ - إخباره صلى الله تعالى عليه
وآله وسلم بأويس القرني

٣٩٨ - عن عمر قال: إن رسول الله ﷺ حدثنا: «أن رجلاً من أهل اليمن يقدم عليكم ولا يدع بها إلا أمماً له، قد كان به بياض فدعا الله أن يذهب عنه فأذهب عنه إلا موضع الدينار، يقال له أُويس فمن لقيه منكم فليأمره فليستغفر له».

٣٩٧ - رواه مسلم في الفضائل ٨/١٦ من شرح النووي.

٣٩٨ - رواه مسلم في الفضائل ٩٤/١٦، ٩٥، ٩٦ من شرح النووي.

٣٩٧ - أسرعكنَّ: يعني أولكنَّ، موتاً بعدي. يتناولن: كن يرين أن المراد بالطول في الجارحة، والواقع خلافه، فإن سودة كانت أطولهن جارحة. ولكن زينب كانت طويلة اليد بالصدقة، وذلك هو المقصود من رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم، ولذلك توفيت زينب قبل سائر نسائه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم.

٣٩٨ - أُويس: بضم الهمزة وفتح الواو ثم ياء ساكنة، مصغر أوس، وفيه منقبة له وشهادة عادلة من حضرة رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم، وهو من سادات التابعين، واختلفوا في المفاضلة بينه وبين الحسن البصري.

٢٨ - إخباره صلى الله تعالى عليه وآله وسلم

بحال عبدالله بن سلام

٣٩٩ - عن عبدالله بن سلام رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ قال له: «أنت على الإسلام حتى تموت».

وفي رواية: «ولن تزال متمسكاً به حتى تموت».

وفي رواية: «يموت عبدالله وهو آخذ بالعروة الوثقى».

٢٩ - إخباره صلى الله تعالى عليه وآله وسلم

بالكذابين والدجالين بعده

٤٠٠ - عن جابر بن سمرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن بين يدي الساعة كذابين فاحذروهم».

٤٠١ - وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى يبعث دجالون كذابون قريب من ثلاثين كلهم يزعم أنه رسول الله».

٤٠٢ - وعن حذيفة أن النبي ﷺ قال: «في أمتي كذابون ودجالون سبعة وعشرون، منهم أربع نسوة، وإني خاتم النبيين لا نبي بعدي».

٣٩٩ - رواه البخاري في المناقب ١٣٠/٨، ١٣١ من فتح الباري، ومسلم في الفضائل كذلك ٤٢/١٦، ٤٣، ٤٥ من شرح النووي والروايات له وهو عندهما مطول في رؤيا رآها عبدالله.

٤٠٠ - رواه مسلم في الفتن ٤٥/١٨ من شرح النووي وكذا أحمد.

٤٠١ - رواه مسلم في الفتن ٤٥/١٨، ٤٦ من شرح النووي.

٤٠٢ - رواه أحمد ٣٩٦/٥ بسند صحيح، وفيه عنعنة قتادة ولا يضر ذلك لشواهد.

٣٩٩ - في هذا بشارة لهذا الخبر الإسرائيلي المسلم رضي الله تعالى عنه، وقد كان من خيار الصحابة وأجلتهم.

٤٠٠، ٤٠١، ٤٠٢ - في هذه الأحاديث بيان لما سيديعه أقوام من الدجالين من ادعاء النبوة، وقد تقدم في التاريخ الكثير منهم، مذكورون في بطون كتب التاريخ، عليهم من الله اللعائن.

٣٠ - إخباره صلى الله تعالى عليه وآله وسلم
بالحجاج والمختار الثقفين

٤٠٣ - عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله تعالى عنهما قالت: إن رسول الله ﷺ حدثنا: «أن في ثقيف كذاباً ومُبيراً فأما الكذاب فعرفناه، وأما المبير فلا أخالك إلا إياه».

٣١ - إخباره صلى الله تعالى عليه وآله وسلم
بأن الحسن سيصلح الله به بين فئتين عظيمتين

٤٠٤ - عن أبي بكرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن ابني هذا سيدٌ ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين».

٤٠٣ - رواه مسلم في الفضائل ١٦/١٠٠ من شرح النووي مطولاً في قصتها مع الحجاج.

٤٠٤ - رواه البخاري في المناقب ٨/٩٦ من فتح الباري.

٤٠٣ - مُبير: بضم الميم اسم فاعل، أي مهلك يسرف في إهلاك الناس وهو من البوار، أي الهلاك. لا أخالك: أي لا أظنك فهو مضارع خال، وفيه صراحة أسماء وقوة إيمانها حيث واجهت الحجاج بما قالت ولم تخش بطشه لأنه كان قد قتل ولدها عبدالله بن الزبير.

٤٠٤ - قد وقع ذلك حينما تصالح مع معاوية فحقن بذلك دماء المسلمين على الرغم مما لقيه من تأنيب وتثريب.

٣٢ - إخباره صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بالتاعون وأنه شهادة لأمة

٤٠٥ - عن أبي موسى قال: قال رسول الله ﷺ: «فناء أمتي بالتعن والتاعون، قيل: يا رسول الله، هذا الطعن قد عرفناه، فما التاعون؟ قال: وَخَزُ أَعْدَائِكُمْ مِنَ الْجَنِّ، وفي كل شهادة».

٤٠٦ - وعن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «لا تفنى أمتي إلا بالتعن والتاعون، قيل: يا رسول الله، هذا الطعن قد عرفناه، فما التاعون؟ قال: غَدَّةُ كَغَدَّةِ الْبَعِيرِ، المقيم بها كالشهيد، والفارُّ منها كالفارُّ من الزحف».

٤٠٧ - وعن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «لم تظهر الفاحشة في قوم حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم التاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا».

٤٠٥ - رواه أحمد ٣٩٥/٥، ٤١٣، والطبراني، والبزار، وأبو يعلى، والحاكم وهو صحيح لطرقه.

٤٠٦ - رواه أحمد ١٤٥/٦، ٢٥٥ بسند صحيح.

٤٠٧ - رواه ابن ماجه في الفتن رقم ٤٠١٩ في حديث طويل، وفي سننه ابن أبي مالك خالد بن زيد، مختلف فيه وفي أبيه وقال البوصيري: حديث صالح للعمل =

٤٠٥ - وَخَزُ: يفتح الواو وسكون الحاء آخره زاي، وهو الطعن، وهو يدل على أن التاعون يكون من ضرب الشياطين والأرواح الشريرة لأنهم أعداؤنا، أما الروحانيون المؤمنون منهم فلا يؤذوننا. ٤٠٦ - غَدَّةُ: بضم الغين هي طاعون البعير. الزحف: أي لقاء العدو في الجهاد، وفيه فضل الموت بالتاعون.

٤٠٧ - الفاحشة: المراد بها الزنا. يعلنوا: أي يتظاهروا بها. فشا: أي انتشر وشاع كما هو الواقع بنا.

٣٣ - إخباره صلى الله تعالى عليه وآله وسلم
بكثرة الفتن وبالفتنة التي تموج
كموج البحر وأن مبدأها قتل عمر

٤٠٨ - عن أسامة بن زيد رضي الله تعالى عنهما أن النبي ﷺ
أشرف على أطم من أطام المدينة ثم قال: «هل ترون ما أرى؟ إني لأرى
مواقع الفتن خلال بيوتكم كمواقع القطر».

٤٠٩ - عن حذيفة قال: (كنا جلوساً عند عمر، فقال: أيكم يحفظ
قول رسول الله ﷺ في الفتنة؟ قلت: أنا قال: هات، قلت: ذكر فتنة
الرجل في أهله وماله وولده وجاره تكفرها الصلاة والصدقة، قال: ليس
عن هذا أسألك، أسألك عن التي تموج كموج البحر، قلت: ليس عليك

= به، وله طرق أخرى يصحح بها، منها عند الحاكم، عن ابن عمر كذلك ٤/٥٤٠، ٥٤١
قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، وله شاهد عن بريدة.

٤٠٨ - رواه البخاري في علامات النبوة ٧/٢٥٥ من فتح الباري، وفي الفتن
١٦/١١٨، ١١٩، ومسلم في الفتن أيضاً ٧/١٨ من شرح النووي.

٤٠٩ - رواه البخاري في المواقيت وفي الزكاة وفي الصيام وفي التفسير وفي
الفتن، ومسلم في الفتن ١٦/١٨، ١٧ من شرح النووي وكذا ابن ماجه فيه، وأحمد
٣٨٦/٥، ٤٠١، ٤٠٥.

٤٠٨ - أطم: بضم الهمزة والطاء هو الحصن أو القصر. مواقع: جمع موقع، أي مواضع
وقوعها. خلال: أي وسط، وفي هذا إشارة إلى ما حصل بعده من الشرور، كمقتل عثمان ووقائع
الجمل والنهروان وصفين والحرة وكربلاء وغير ذلك من الفتن التي وقعت في الأمة وستقع، نعوذ بالله
تعالى منها.

٤٠٩ - تموج: أي تضطرب وترتفع. بينك وبينها إلخ: يعني بينك وبين زمانها وجود حياتك
وهو الباب.

منها بأس يا أمير المؤمنين، إن بينك وبينها باباً مغلقاً، قال: أرأيت الباب يُفتح أو يُكسر؟ قلت: لا، بل يُكسر، قال: إذن لا يُغلق أبداً، فسئل حذيفة: من الباب؟ قال: عمر).

٤١٠ - وعن ثوبان قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا وضع السيف في أمي لم يرفع عنهم إلى يوم القيامة».

٤١١ - وعن كرز بن علقمة قال: قال رسول الله ﷺ: «تقع الفتن كأنها الظل، تعودون فيها أسود صباً يضرب بعضكم رقاب بعض».

٤١٢ - وعن خالد بن عرفطة رضي الله تعالى عنه قال: قال لي النبي ﷺ: «ستكون أحداث وفتن وفرقة واختلاف فإن استطعت أن تكون المقتول لا القاتل فافعل».

٤١٠ - رواه مسلم في الجهاد مطولاً، وتقدم طرف منه في أخباره بالردة رقم

٣٩٦.

٤١١ - رواه أحمد ٤٧٧/٣، وكذا الطيالسي رقم ٥٢ وابن حبان رقم ١٨٧٠، والحاكم ٤٥٥/٤ بسند صحيح.

٤١٢ - رواه أحمد ٢٩٢/٥، والبخاري، والطبراني، والحاكم من طريق ابن جدعان، وهو متكلم فيه، لكنه لم يتفرد به كما أشار إليه الحافظ، وله شاهد في الصحيح وغيره.

٤١٠ - معناه إذا فتح باب القتال واعتاد المسلمون الفتن والحروب فيما بينهم لم يعملوا الحد

لذلك.

٤١١ - الظل: بضم الظاء وفتح اللام، هي كل ما أظلك، يريد كأنها السحب أو الجبال. أسود: جمع أسود وهو أخبث الحيات وأعظمها. صباً: بضم الصاد جمع صوب، ومعناه أنكم ستصيرون كالحيات إذا أرادت النهش واللدغ ارتفعت ثم انصبت على اللدغ، وكذلك ستفعلون مع بعضكم بعضاً.

٤١٢ - أحداث: أي وقائع الدهر وهو يدل على أن الواجب على المسلم الكف عن الدخول في الفتن أيام الشر.

٣٤ - إخباره صلى الله تعالى عليه وآله وسلم
بأن محمد بن مسلمة لا تضره الفتنة

٤١٣ - عن حذيفة قال: (ما أحد من الناس تدركه الفتنة إلا أنا أخافها عليه إلا محمد بن مسلمة، إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا تضرك الفتنة»، قال ثعلبة بن ضبيعة: فأتينا المدينة فإذا فسطاط مضروب وإذا محمد بن مسلمة الأنصاري، فسألته فقال: لا أستقر بمصر من أمصارهم حتى تنجلي هذه الفتنة عن جماعة المسلمين).

٣٥ - إخباره صلى الله تعالى عليه وآله وسلم
بوقعة الجمل وصفين وغير ذلك من الحوادث

٤١٤ - عن قيس قال: لما بلغت عائشة بعض ديار بني عامر نبحت عليها الكلاب، فقالت: أيُّ ماءٍ هذا، قالوا: الحَوَابُ، قالت: ما

٤١٣ - رواه أبو داود في السنة رقم ٤٦٦٣، ٤٦٦٤، ٤٦٦٥، والحاكم في معرفة الصحابة ٤٣٤/٣ من طرق، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي وهو كما قال فإن أسانيده صحيحة.

٤١٤ - رواه أحمد ٥٢/٦، ٥٧ من طريقين وكلاهما صحيح، ورواه أبو يعلى والبزار والحاكم.

٤١٣ - تنجلي: أي ترتفع وتتكشف، وفيه منقبة لمحمد بن مسلمة ويا لها من منقبة، إنها الحفظ من الفتن.

٤١٤ - الحَوَابُ: بفتح الحاء وسكون الواو بعدها همزة مفتوحة، وفي هذا تنبأ عظيم منه =

أظني إلا راجعة، قال الزبير: لا بعد تقديمي فيراك الناس فيصلح الله ذات بينهم، قالت: ما أظني إلا راجعة، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كيف بإحداكن إذا نبحتها كلاب الحوآب».

٤١٥ - وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى يقتل فئتان عظيمتان تكون بينهما مقتلة عظيمة دعواهما واحدة».

٤١٦ - وعن أبي سعيد قال: (كنا جلوساً ننتظر رسول الله ﷺ فخرج من بعض بيوت نسائه، قال: فقمنا معه، فانقطعت نعله، فتخلف عليها عليٌّ يخصفها، ومضى رسول الله ﷺ ومضينا معه، ثم قام ينتظره وقمنا معه، فقال: «إن منكم من يقاتل على تأويل هذا القرآن كما قاتلت على تنزيله»، قال: فاستشرفنا، وفينا أبو بكر وعمر، فقال: لا، ولكنه خاصف النعل، قال: فجئنا نبشره، قال: فكأنه قد سمعه).

٤١٥ - رواه البخاري ومسلم في الفتن ورواه البخاري مكرراً.

٤١٦ - رواه أحمد ٣/٣٣، ٨٢ بسند صحيح، وقال الهيثمي ٩/١٣٤: ورجال رجال الصحيح، غير فطر بن خليفة وهو ثقة وكذا رواه الحاكم وصححه.

= صلى الله تعالى عليه وآله وسلم، ومعناه كيف يكون حال إحداكن وقت مرورها بماء الحوآب من بني عامر فتنج عليها كلابها، وفيه تلميح بدمٍ صاحبة ذلك، ولهذا لما شعرت السيدة بالموضوع وأن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم كان يعينها رجعت إلى بلادها ولم تصر على مشاركة القوم في الخروج على الإمام علي رضي الله تعالى عنه.

٤١٥ - الفئتان: هما فئة الإمام علي وفئة معاوية وكان الحق في جانب علي بإجماع أهل السنة. دعواهما واحدة: لأن كلا منهما كان يسعى في الخلافة وجمع المسلمين عليه.

٤١٦ - يخصفها: أي يجرزها. فاستشرفنا: أي تطلعنا، وفيه دليل على حَقِّيَّته في جميع حروبه، وأنه كان على قدم النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم، وفي ذلك منقبة هامة له رضي الله تعالى عنه.

٣٦ - إخباره صلى الله تعالى عليه وآله وسلم
بأغيلمة من قريش وبرأس السبعين وبإمارة الصبيان

٤١٧ - عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «هلاك أمتي على يد أغيلمة من قريش»، قال أبو هريرة: إن شئت سميتهم ببني فلان.

٤١٨ - وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: «تعوذوا بالله من رأس السبعين ومن إمارة الصبيان ولا تذهب الدنيا حتى تصير للكَع بن لُكع».

٣٧ - إخباره صلى الله تعالى عليه وآله وسلم
بعالم المدينة

٤١٩ - عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «يوشك الناس أن

٤١٧ - رواه البخاري ١١٥/١٦، ١١٦ من فتح الباري ومسلم ٤١/١٨ من شرح النووي كلاهما في الفتن.

٤١٨ - رواه أحمد ٣٢٦/٢، ٣٥٨ والبخاري بسند صحيح.

٤١٩ - رواه أحمد رقم ٢٩٦٧ والترمذي رقم ٢٤٨٩ في العلم، والحاكم =

٤١٧ - أغيلمة: بضم الهمزة وفتح الغين ثم لام مكسورة مصغرة أغلمة بمعنى غلمان، ومعناه أن هلاك الأمة، سيكون بواسطة أمراء من قريش أحداث الأسنان ليست لهم عقول ولا أحلام ناضجة، وكان أبو هريرة يرى أنهم بنوا أمية، والحديث عام فإن المتأخرين ليسوا بأقل إفساداً وإهلاكاً من السابقين بل الأمر بالعكس، فإن في الأمراء اللاحقين من كفروا شعوبهم وورطوهم في مشاكل عويصة وخطيرة.

٤١٨ - لُكع: بضم اللام وفتح الكاف هو هنا الساقط اللثيم، والحديث فيه ذم إمارة الأحداث والصغار، وفيه تنبؤ بواقع المسلمين في انقلاب الأحوال وتولي اللثام المناصب وحصولهم على زمام الحياة.

٤١٩ - يوشك: أي يقرب. قال سفيان الخ: وكذا قال عبدالرزاق الصنعاني، والحديث محتمل للإمام مالك وغيره.

يضربوا أكباد الإبل فلا يجدون عالماً أعلم من عالم المدينة»، قال
سفيان: نرى هذا العالم مالك بن أنس.

٣٨ - إخباره صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بقتل عمار بن ياسر

٤٢٠ - عن أبي سعيد أن رسول الله ﷺ قال لعمار: «تقتلك الفئة
الباغية».

٤٢١ - وعن عمار بن ياسر رضي الله تعالى عنه أنه أتى يوم صفين
بشربة من لبن فضحك فقبل له: مِمَّ تضحك؟ فقال: إن رسول الله ﷺ
قال: «آخر شراب تشربه من الدنيا شربة لبن»، ثم تقدم فقتل.

= ٩٠/١، ٩١ والخطيب في تاريخ بغداد ٣٠٦/٥، ٣٧٧/٦، ١٧/١٣ من طرق،
وصححه الترمذي والحاكم على شرط مسلم ووافقه الذهبي وفيه عندهم عن عنة أبي
الزبير وابن جريج.

٤٢٠ - رواه البخاري في بناء المساجد وفي الجهاد، ومسلم في الفتن، ونحوه
عند مسلم عن أم سلمة وأبي قتادة، والحديث متواتر وانظر البخاري ٨٩/٢ من فتح
الباري.

٤٢١ - رواه أحمد ٣١٩/٤ بسند صحيح.

٤٢٠ - الباغية: أي الطاغية وهي فئة معاوية لأن عماراً كان من أصحاب الإمام علي وفي صفه
قتل، قتله عسكر معاوية، وقد جاء في بعض طرق الحديث: «يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار»
وهي في التعاون في بناء المسجد وفي مسح الغبار عن الرأس في سبيل الله من صحيح البخاري.
٤٢١ - صفين تقدم ضبطه ويعبرون به عن الوقعة المشهورة بين علي ومعاوية وكانت أياماً
عديدة وحصلت فيها معارك كثيرة شديدة أسفرت عن مصرع نحو من سبعين ألف مسلم بين
الجانبيين، فلا حول ولا قوة إلا بالله، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

٣٩ - إخباره صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بأئمة يصلون الصلاة لغير وقتها

٤٢٢ - عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «لعلكم ستدركون أقواماً يصلون الصلاة لغير وقتها فإن أدركتموهم فصلوا في بيوتكم للوقت الذي تعرفونه، ثم صلوا معهم واجعلوها سُبحَةً».

٤٢٣ - وعن عبادة بن الصامت عن النبي ﷺ قال: «سيكون أمراء تشغلهم أشياء يؤخرون الصلاة عن وقتها فاجعلوا صلاتكم معهم تطوعاً».

٤٠ - إخباره صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بعمر جماعة وبانخرام القرن

٤٢٤ - عن ابن عمر قال: صلى بنا رسول الله ﷺ العشاء ليلة في

٤٢٢ - رواه أحمد ١/٣٧٩، ٤٥٥، ٤٥٩، والنسائي، وابن ماجه قبيل صلاة الخوف رقم ١٢٥٥ وسنده صحيح.

٤٢٣ - رواه أبو داود رقم ٤٣٣، وابن ماجه رقم ١٢٥٧ بسند صحيح. وفي الباب عن أبي ذر رواه مسلم، والترمذي، وأبو داود رقم ٤٣١، وابن ماجه رقم ١٢٥٦، وعن معاذ رواه أبو داود رقم ٤٣١، وعن أبي مسعود أيضاً رواه أحمد ١/٣٩٩، ٤٠٠، ٣٨٤، وعن قبيصة بن وقاص رواه أبو داود ٤٣٤.

٤٢٤ - رواه البخاري آخر المواقيت ٢/٢١٤، ٢١٥ من فتح الباري، ومسلم في الفضائل ١٦/٨٩، ٩٠ من شرح النووي.

٤٢٢، ٤٢٣ - سُبحة: بضم السين، أي نافلة، وفي هذه الأحاديث إخبار عما وقع من بعض الأمراء في كثير من العصور من تضييع الصلاة وعدم اهتمامهم بشؤون دينهم وانشغالهم بمصالح حياتهم.

آخر حياته فلما سلم قام، فقال: «أرايتكم ليلتكم هذه فإن رأس مائة سنة منها لا يبقى ممن هو اليوم على ظهر الأرض أحد» يريد بذلك انخرام القرن.

٤٢٥ - وعن جابر قال: سمعت النبي ﷺ يقول قبل موته بشهر: «تسألون عن الساعة وإنما علمها عند الله، فأقسم بالله ما على ظهر الأرض من نفس منفوسة اليوم يأتي عليها مائة سنة».

٤٢٦ - وعن أبي الطفيل رضي الله تعالى عنه قال: (لم يبق ممن لقي رسول الله ﷺ غيري، وقد مات أبو الطفيل على رأس المائة).

٤١ - إخباره صلى الله تعالى عليه وآله وسلم

بكذابين في الحديث وشياطين يحدثون

٤٢٧ - عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «سيكون في آخر أمتي ناس يحدثونكم بما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم فإياكم وإياهم».

٤٢٥ - رواه مسلم في الفضائل ٩١/١٦ من شرح النووي.

٤٢٦ - رواه مسلم في الفضائل، وقد تقدم مطولاً في صفة خلقه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم.

٤٢٧ - رواه مسلم في مقدمة صحيحه.

٤٢٤ - انخرام: بالنون والحاء، وانخراجه معناه: انقضاؤه، وقد أخذ منه مدة القرن وأنه مائة سنة.

٤٢٥ - لا شك أنه قال ذلك عن علم لأنه لا يقسم إلا على محقق عنده، وقد حقق الله ما أخبر به صلى الله تعالى عليه وآله وسلم.

٤٢٦ - وأبو الطفيل هذا هو آخر الصحابة موتاً على الإطلاق.

٤٢٧ - في آخر أمتي: هو صريح في أن هؤلاء الكذابين سيكونون آخر الأمة ولا نشك في أنهم من أقوام عصرنا لأنهم جاؤونا بما لم يسمع به أحد قبلنا من الأفكار والنظريات الهدامة. فإياك: إلخ: أي إحدروهم لكلاً يفتنوكم ويضلوكم.

٤٢ - إخباره صلى الله تعالى عليه وآله وسلم
بتغير الناس في القرن الرابع

٤٢٨ - عن عمران بن حصين قال: قال رسول الله ﷺ: «خيركم قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يكون قوم بعدهم يخونون ولا يؤتمنون، ويشهدون ولا يستشهدون، وينذرون ولا يوفون، ويظهر فيهم السمن».

٤٣ - إخباره صلى الله تعالى عليه وآله وسلم
بافتراق أمته على ثلاث وسبعين
فرقة وبسلوكهم سنن من قبلهم

٤٢٩ - عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «تفرقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة أو اثنتين وسبعين فرقة والنصارى مثل ذلك، وتفرقت أمتي على ثلاث وسبعين فرقة».

٤٣٠ - وعن معاوية قال: قال النبي ﷺ: «إن أهل الكتاب تفرقوا

٤٢٨ - رواه البخاري، ومسلم في الفضائل ١٦/٨٧ من شرح النووي، وفي الباب عن ابن مسعود رواه البخاري ومسلم، وعن عائشة رواه مسلم، وعن عمران أيضاً رواه الترمذي والحاكم.

٤٢٩ - رواه أحمد ٢/٣٣٢، وأبو داود في السنة ٤٥٩٦، والترمذي في الإيمان رقم ٢٤٥١، وابن ماجه في الفتن رقم ٣٩٩١، وابن حبان رقم ١٨٣٤، والحاكم ٦/١، ٢٨، وحسنه الترمذي وصححه هو والحاكم على شرط مسلم ووافقه الذهبي.

٤٣٠ - رواه أحمد ٤/١٠٢، والطيالسي رقم ٢٧٥٤، وأبو داود في السنة رقم =

٤٢٨ - قرني: القرن هو انقراض جيل من الناس، وفي الحديث فضيلة القرون الأولى وذم ما بعدها.

٤٢٩، ٤٣٠ - تتجارى: أي يتواقعون في الأهواء الفاسدة ويتداعون فيها. والكَلْب: بالتحريك داء يعرض للكلاب.

في دينهم على اثنتين وسبعين ملة، وتفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين ملة يعني الأهواء، كلها في النار إلا واحدة، وهي الجماعة، ويخرج في أمتي أقوام تتجارى تلك الأهواء بهم كما يتجارى الكلب بصاحبه فلا يبقى منه عرق ولا مفصل إلا دخله».

٤٣١ - وعن أبي سعيد أن رسول الله ﷺ قال: «لتتبعن سنن الذين من قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع حتى لو دخلوا جُحر ضبٍ لتبعتموهم». قلنا: يا رسول الله، اليهود والنصارى؟ قال: «فمن».

٤٤ - إخباره صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بالخوارج

٤٣٢ - عن أبي سعيد الخدري قال: بينا نحن عند النبي ﷺ وهو

= ٤٥٩٧، والدارمي رقم ٢٥٢١، والحاكم ١١٨/١ وسنده صحيح وحسنه الحافظ وصححه جماعة وفي الباب عن جماعة من الصحابة.

٤٣١ - رواه عبدالرزاق، وأحمد، والطيالسي رقم ١٠٧، والبخاري في الاعتصام ٦٣/١٧، ٦٤ من فتح الباري، ومسلم في العلم ٢١٩/١٦ - ٢٢٠ من شرح النووي، وفي الباب عن أبي هريرة رواه البخاري وغيره، وعن ابن عباس رواه الحاكم والبخاري بسند صحيح، وزاد فيه: «وحتى لو أن أحدهم جامع امرأته في الطريق لفعلتموه».

٤٣٢ - رواه البخاري في مواضع كثيرة، ومسلم في الزكاة، وكذا رواه باقي الجماعة.

٤٣١ - سنن: بفتحين، أي طريقة. جُحر: بضم الجيم وسكون الحاء، والضَّب بفتح الضاد حيوان معروف يشبه الوزغ غير أنه أكبر منها وأسمن، وفي الحديث إشارة إلى ذم المتفرنجين مطلقاً وخاصة من يلبس البنطلون السروال الفرنجي لأنه كجحر الضب، وهو لباس سافل ساقط لا يلبسه إلا فاقد الحياء والمروءة، والحديث ظاهر في أن الأمة ستقلد الكفار في كل شيء كما هو الحال الواقعي.

يقسم قسماً إذ أتاه ذو الخويصرة، فقال: يا رسول الله اعدل، قال: «ويلك، ومن يعدل إذا لم أعدل؟ خبت وخسرت إن لم أكن أعدل». قال عمر: يا رسول الله، إنذن لي فيه أضرب عنقه، فقال رسول الله ﷺ: «دعه فإن له أصحاباً يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم، وصيامه مع صيامهم، يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، آبتهم رجل أسود إحدى عضديه مثل ثدي المرأة أو مثل البقعة تذرّدر، يخرجون على حين فرقة من الناس».

قال أبو سعيد: (فأشهد إني سمعت هذا من رسول الله ﷺ، وأشهد إن علي بن أبي طالب قاتلهم وأنا معه، وأمر بذلك الرجل فالتمس فوجد، فأتى به حتى نظرت إليه على نعت رسول الله ﷺ الذي نعتته).

٤٣٣ - وعنه في رواية عن النبي ﷺ قال: «تمرق مارقة عند فرقة من المسلمين تقتلها أولى الطائفتين بالحق».

٤٣٤ - وعن عبدة قال: (لما فرغ علي من أصحاب النهر، قال: ابتغوا فيهم إن كانوا القوم الذين ذكرهم رسول الله ﷺ، فإن فيهم رجلاً مُخَدَّج اليد، فابتغيناه فوجدناه فدعوناه إليه، فجاء حتى قام عليه فقال: الله

٤٣٣ - رواه مسلم في الزكاة، وكذا أبو داود في السنة وأحمد ٣/٣٢، ٤٨.
 ٤٣٤ - رواه مسلم في الزكاة، وكذا أبو داود في السنة، وابن ماجه في المقدمة وفي الحدود، وأحمد ١/٨٨، ٩٥، ١٠٨ وفي مواضع وللحديث طرق كثيرة.

٤٣٢ - الخويصرة: كان نجدياً جافياً. يحقر: أي يستصغر. تراقيهم: جمع ترقوة وهي الخلقوم. يمرقون: أي يخرجون. الرمية: بفتح الراء المشددة وكسر الميم هو الصيد الذي يرمى. تذرّدر: بفتح الدالين بينها راء ساكنة، أي تحيء وتذهب. فالتمس: أي طلب وبحث عنه.
 ٤٣٤ - أصحاب النهر: يعني الخوارج. مُخَدَّج: بضم الميم وسكون الخاء فдал مفتوحة، أي =

أكبر ثلاثاً، والله لولا أن تبطروا لحدثكم بما قضى الله على لسان رسول الله ﷺ لمن قتل هؤلاء. قلت: أنت سمعت هذا من رسول الله ﷺ. قال: إي ورب الكعبة ثلاث مرات).

٤٥ - إخباره صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بالقدرية والزنادقة وغيرهم

٤٣٥ - عن نافع أن ابن عمر جاءه رجل فقال: إن فلاناً يقرأ عليك السلام. فقال: إنه بلغني أنه قد أحدث فإن كان أحدث فلا تقرئه مني السلام، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «في هذه الأمة أو في أمتي خسف أو مسخ أو قذف في أهل القدر».

٤٣٥ - رواه أحمد ٩٠/٢، والترمذي رقم ١٩٨٢ في القدر، وابن ماجه في الفتن رقم ٤٠٦١ بسند صحيح، وحسنه الترمذي وصححه. ورواه أحمد ١٣٦/٢، ١٣٧ بنحوه، وفيه: «وهو في الزندقية والقدرية»، وسنده صحيح.

ورواه أحمد أيضاً ٢٠/٢، ومن طريقه أبو داود في السنة رقم ٤٦١٣ بنحوه، وفي آخره: «سيكون في أمي أقوام يكذبون بالقدر» وإسناده صحيح على شرط مسلم، ورواه الحاكم ٨٤/١ من طريقين وصححه على شرط مسلم ووافقه الذهبي، وانظر أسباب هلاك الأمم لكتابه ١٠٣، دار البشائر الإسلامية، بيروت.

= ناقص خلقه اليد. فابتغيناه: أي طلبناه. تبطروا: بفتح الطاء، أي تطغوا وتمرحوا، وخير هؤلاء من عجائب المعجزات.

٤٣٥ - خسف: أي غيبوبة في تحوم الأرض. ومسخ: أي تغيير الحلقة وما في معناها. أو قذف: أي رمي بالحجارة أو بغيرها من القنابل والصواريخ الحالية. القدر: بفتح الحاء هو عبارة عما كتبه الله في أزله وسبق به علمه.

٤٦ - إخباره صلى الله تعالى عليه وآله وسلم

بمن يرد سسته ولا يحتج بها

وبمن يجادل بالمتشابه من الكتاب

٤٣٦ - عن المقدام بن معد يكرب قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه، يوشك رجل شبعان على أريكته يقول: عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه، وما وجدتم فيه من حرام فحرموه، وإن ما حرم رسول الله ﷺ كما حرم الله».

٤٣٧ - وعن أبي رافع أن رسول الله ﷺ قال: «لا أُلْفِينَّ أَحَدَكُمْ متكئاً على أريكته يأتيه الأمر من أمري مما أمرت به أو نهيت عنه، فيقول: لا أدري، ما وجدناه في كتاب الله اتبعناه».

٤٣٦ - رواه أحمد ١٣٠/٤، ١٣١، وأبو داود في السنة رقم ٤٦٠٤، والترمذي في العلم رقم ٢٤٧٣، والدارمي رقم ٥٥٢. وابن ماجه رقم ١٢، والحاكم ١/١٩٠، وسنده صحيح، وحسنه الترمذي، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

٤٣٧ - رواه الشافعي في الرسالة ص ٢٩٥، وأحمد ٨/٦، والحميدي رقم ٥٥١، وأبو داود في السنة رقم ٤٦٠٥، وابن ماجه رقم ١٣، والترمذي في العلم رقم ٢٤٧٢، والحاكم ١/١٠٨، ١٠٩، من طرق وسنده صحيح وصححه الحاكم على شرطهما ووافقه الذهبي.

٤٣٦ - أريكة: بفتح الهمزة وكسر الراء هي السرير، وذلك يدل منهم على تكبرهم وتعظيمهم وتعطرهم.

٤٣٧ - أُلْفِين: بضم الهمزة وسكون اللام وكسر الفاء، أي لا أجدن. في هذين الحديثين تنبؤ بما حصل من بعض أهل البدع المتطرفين الذين لا يقولون بحجية السنة المطهرة في كل العصور، ويوجد في وقتنا الكثير من هؤلاء، ومنهم ذلك الساقط اللعين أبو رية المصري الذي كتب «أضواء على السنة» والحقيقة أنها ظلمات. ومن بدد ظلماته الشيخ مصطفى السباعي في كتابه «السنة ومكانتها في التشريع»، والشيخ عبدالرحمن المعلمي اليماني في «الأنوار الكاشفة» فراجعهما تجد فيها الفوائد.

٤٣٨ - وعن عائشة قالت: تلا رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿هو الذي أنزل عليك الكتابَ منه آيات محكمات﴾ الآية، فقال: «إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم».

٤٧ - إخباره صلى الله تعالى عليه وآله وسلم
الأنصار بأنهم سيلقون بعده أثره

٤٣٩ - عن أنس أن رسول الله ﷺ قال: «إنكم ستلقون بعدي أثره فاصبروا حتى تلقوني غداً على الحوض».

٤٣٨ - رواه أحمد، والبخاري في تفسير سورة آل عمران ٢٧٧/٩ من فتح الباري، ومسلم في العلم ٢١٦/١٦، ٢١٧ من شرح النووي، وكذا أبو داود في السنة رقم ٤٥٩٨، والترمذي في التفسير رقم ٢٧٩٦، وابن ماجه في المقدمة.

٤٣٩ - رواه أحمد ١٦٦/٣ وفي مواضع، والبخاري في المناقب ١١٨/٨ من فتح الباري وفي مواضع، ومسلم في الزكاة، ورواه الشيخان أيضاً، والترمذي، والنسائي من حديث أسيد بن حضير.

٤٣٨ - المشابه: هو الذي استأثر الله بعلمه، وقيل: غير المحكم مما هو غير واضح الدلالة، فالمتدعة يدعون المحكم ويتبعون المشابه ليفتنوا عامة المسلمين، فيجب الحذر منهم ومن الاستماع إليهم.

٤٣٩ - أثره: بفتح الهمزة والثاء والراء وهي الاستبداد، وقد حصل لهم ما أخبر به صلى الله تعالى عليه وآله وسلم.

٤٨ - إخباره صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بالشرطة الظلمة والنساء العاريات

٤٤٠ - عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «يوشك إن طالت بك المدة أن ترى قوماً في أيديهم مثل أذنان البقر، يغدون في غضب الله ويروحون في سخطه».

٤٤١ - وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: «صنفان من أهل النار لم أرهما قوم معهم سياط كأذنان البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات رؤوسهن كأسنمة البُخْت المائلة».

٤٤٠ - رواه مسلم في الجنة ١٧/١٩٠ من شرح النووي، وكذا أحمد ٣٠٨/٢، ٣٢٣.

٤٤١ - رواه أحمد ٣٥٥/٢، ٣٥٦، ٤٤٠، ومسلم في اللباس ١٤/١٠٩، ١١٠ من شرح النووي، وفي الجنة ١٧/١٩٠.

٤٤٠ - أذنان البقر: يعني أن عصيهم مثلها، وفي هذا الحديث تنبأ بشرطة الظلمة الذين يصبحون مغضوباً عليهم ويمسحون مسخوطاً عليهم كذلك، نعوذ بالله منهم ومن أعمالهم.

٤٤١ - مميلات: أي يملن الرجال إلى الافتتان بهن، أو يملن النساء العفيفات إلى فجورهن.

مائلات: أي عن الحق والدين. كأسنمة: جمع سنام بفتح السين. البُخْت: بضم الباء وسكون الخاء هي جمال طوال الأعناق، وفيه ذم هذين الصنفين من الشرطة الظلمة والنساء الفواسق فهما من أهل النار إن لم يرعوا.

٤٩ - إخباره صلى الله تعالى عليه وآله وسلم
بالنار التي تخرج من الحجاز

٤٤٢ - عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى تخرج نار بأرض الحجاز يضيء منها أعناق الإبل ببصرى».

٥٠ - إخباره صلى الله تعالى عليه وآله وسلم
بأن طائفة من أمته لا تزال ظاهرة على الحق

٤٤٣ - عن المغيرة بن شعبة أن النبي ﷺ قال: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق حتى يأتي أمر الله».

٤٤٤ - وعن جابر بن سمرة أن النبي ﷺ قال: «لا يزال هذا الدين قائماً تقاتل عليه عصابة من المسلمين حتى تقوم الساعة».

٤٤٢ - رواه البخاري ومسلم كلاهما في الفتن.

٤٤٣ - رواه البخاري في الاعتصام ٥٦/١٧ من فتح الباري، ومسلم في المغازي ٦٦/١٣ من شرح النووي، والدارمي رقم ٢٤٣٧، والحديث متواتر وقد ذكرت كثيراً من طرقه في كتاب الاعتصام.

٤٤٤ - رواه أحمد ٩٤/٥، ٩٨، والطيالسي رقم ٢٩٨، ومسلم ٦٦/١٣، من شرح النووي.

٤٤٢ - ببصرى: بضم الباء مدينة كانت بالشام بين عمان ودمشق، وهذه النار قد خرجت منذ زمان والله أعلم.

٤٤٣ - الطائفة: تشمل القليل والكثير. وأمر الله: المراد به رفع القرآن وانقراض المؤمنين، وذلك سيكون بعد أيام عيسى عليه السلام حيث لا يبقى وقته إلا الأشرار الذين لا يدينون بدين ممن تقوم عليه الساعة.

٤٤٤، ٤٤٥ - حتى تقوم الساعة: هذا مؤول ولا بد لأن المؤمنين سينقضون قبل الساعة بزمان كما في صحيح مسلم في باب «لا تزال طائفة من أمتي» إلخ من كتاب الجهاد عن عبدالله بن عمرو.

٤٤٥ - وعن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة».

٥١ - إخباره صلى الله تعالى عليه وآله وسلم
بمن يجدد الدين على رأس كل مائة سنة

٤٤٦ - عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: «إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يُجدد لها دينها».

٥٢ - إخباره صلى الله تعالى عليه وآله وسلم
بذهاب الأمثل فالأمثل

٤٤٧ - عن مرداس الأسلمي رضي الله تعالى عنه قال: قال النبي ﷺ: «يذهب الصالحون الأول فالأول ويبقى حثالة أو حفالة كحفالة الشعير أو التمر لا يباليهم الله بالة».

٤٤٥ - رواه الطيالسي رقم ٢٦٩٦، والدارمي رقم ٢٤٣٨، والحاكم وغيرهم.

٤٤٦ - رواه أبو داود في الملاحم رقم ٤٢٩١، والحاكم في الفتن ٥٢٢/٤، والخطيب في تاريخ بغداد ٦١/٢ من طرق، وسنده صحيح، وصححه العراقي والسخاوي والمناوي وغيرهم.

٤٤٧ - رواه أحمد ١٩٣/٤، والبخاري في الرقاق ٢٧/١٤، ٢٨ من فتح الباري، والدارمي رقم ٢٧/٢٢، واللفظ للبخاري.

٤٤٦ - من يُجدد: التجديد يكون بإظهار ما اندثر من الدين والسنن ونشر ذلك بالتأليف والدعوة والعمل.

٤٤٧ - لا يباليهم: أي لا يعبأ بهم. حثالة، أو حفالة: هي الرديء والأرذل من كل شيء.

باب جامع فيما أخبر به من أحوال أمته ووقع كما أخبر به

٤٤٨ - عن حذيفة بن اليمان قال: كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني فقلت: يا رسول الله، إنا كنا في جاهلية وشر ف جاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: «نعم»، قلت: فهل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: «نعم، وبه دَخَن»، قلت: وما دخنه؟ قال: «قوم يستنون بغير ستي، ويهتدون بغير هديي، تعرف منهم وتنكر». قلت: يا رسول الله، فهل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: «نعم، دعاة على أبواب جهنم، من أجابهم إليها قذفوه فيها»، قلت: صفهم لنا، قال: «نعم، هم قوم من جلدتنا، ويتكلمون بألسنتنا..» إلخ.

٤٤٨ - رواه البخاري في الفتن ١٦/١٤٤، ١٤٥ من فتح الباري، وفي المناقب ٧/٤٢٧، ومسلم في الإمارة باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين ١٢/٢٣٦، ٢٣٨ من شرح النووي.

٤٤٨ - دَخَن: بفتحتين، أي كدورة وسواد، وأصل الدَخَن أن يكون في لون الدابة كدورة إلى سواد. دعاة: هؤلاء هم عملاء الكفار الحاليين والملاحدة المفتونون في دينهم المنحرفون عن طريق الله ونهجه.

٤٤٩ - وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «يوشك الفرات أن يحسر عن كنز من ذهب فمن حضره فلا يأخذ منه شيئاً».

٤٥٠ - وعنه في رواية أن رسول الله ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى يحسر الفرات عن جبل من ذهب يقتتل الناس عليه، فيقتل من كل مائة تسعة وتسعون، ويقول كل رجل منهم: لعلِّي أكون أنا الذي أنجو».

٤٥١ - وعن ثوبان قال: قال رسول الله ﷺ: «يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها، فقال قائل: ومن قلة نحن يومئذ؟ قال: بل أنتم كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفن الله في قلوبكم الوهن، فقال قائل: يا رسول الله، وما الوهن؟ قال: حب الدنيا وكراهية الموت».

٤٤٩ - رواه البخاري ومسلم ١٩/١٨ في الفتن.

٤٥٠ - رواه مسلم في الفتن ١٨/١٨.

٤٥١ - رواه أحمد ٢٧٨/٥، وأبو نعيم في الحلية ١٨٢/١ وسنده صحيح، ورواه أبو داود في الملاحم رقم ٤٢٩٧ من طريق آخر وفيه رجل مجهول، وله شاهد عن أبي هريرة رواه أحمد ٣٥٩/٢ وسنده ضعيف.

٤٥١ - تداعى: أي تجتمع عليكم ويدعو بعضهم بعضاً. الأكلة: بفتح الحاء، جمع أكل. غثاء: بضم الغين ما يجمعه السيل من القمامة والزبل، وهذا الحديث منطبق تمام الانطباق على مسلمي عصرنا فهم مع كثرتهم لا تقوم منهم قائمة، وهم طعمة للأمم الكافرة، والسبب في ذلك هو ما ذكره الحديث الشريف من حب الحياة وكراهية الموت.

- ٤٥٢ - وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «ليأتين على الناس زمان لا يبالي المرء بمأخذ المال بحلال أم حرام».
- ٤٥٣ - وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ليأتين على أحدكم يوم لأن يراني ثم لأن يراني أحب إليه من أهله وماله».
- ٤٥٤ - وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: «وددت أني رأيت إخواني، قالوا: أو لسنا إخوانك يا رسول الله؟ قال: بل أنتم أصحابي، وإخواني الذين لم يأتوا بعد».

-
- ٤٥٢ - رواه البخاري في البيوع، باب من لم يبال من حيث اكتسب المال ٢٠٠/٥.
- ٤٥٣ - رواه البخاري ضمن حديث في المناقب ٤١٥/٧ من فتح الباري، ومسلم في الفضائل ١١٨/١٥ من شرح النووي.
- ونحوه في مسلم أيضاً عنه ١٧٠/١٧ وأوله: «من أشد أمتي لي حبا ناس يكونون بعدي يود أحدهم لو رأني بأهله وماله».

- ٤٥٤ - رواه أحمد ٣٠٠/٢، ٤٠٨، ومسلم في الطهارة ١٣٧/٣ من شرح النووي، وكذا مالك ٦٢/١، ٦٣، والنسائي ٧٩/١ كلاهما في الطهارة، وابن ماجه في الزهد رقم ٤٣٠٦.

-
- ٤٥٢ - هذا الزمان هو عصرنا فإن الناس لم يبق لهم اليوم بحث عن الحلال والحرام فالحلال عندهم ما حل بيدهم إلا من رحم الله.
- ٤٥٣ - كل مؤمن صادق في إيمانه ومحبه له يود ذلك ويتمنى أن لو رآه كان أعزّ لديه من أهله وماله وكل نفيس عنده.
- ٤٥٤ - في هذا دليل على أن كل من جاء بعده فأمن به غيبياً هو أخ له صلى الله تعالى عليه وآله وسلم، في الإيمان والدين، وأنه ودّ لقاءه، وفي ذلك منقبة لكل مؤمن بعده ﷺ.

٤٥٥ - وعن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «تسمعون ويسمع منكم ويسمع ممن يسمع منكم».

٤٥٦ - وعن أبي بكرة أن رسول الله ﷺ قال: «ليبلغ الشاهد الغائب فلعل بعض من يبلغه يكون أوعى له من بعض من سمعه».

٤٥٧ - وعن أبي سعيد أنه قال: (مرحباً بوصية رسول الله ﷺ، كان رسول الله ﷺ يوصينا بكم).

٤٥٨ - وعن ابن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله لا يقبض

٤٥٥ - رواه أحمد رقم ٢٩٤٧، والحاكم ٩٥/١ وسنده صحيح، وحسنه العلائي وصححه الحاكم ووافقه الذهبي، وكذا رواه أبو داود في العلم رقم ٣٦٥٩، وابن حبان رقم ٧٧ بسند صحيح.

٤٥٦ - رواه البخاري في العلم والحج والتفسير والفتن وبدء الخلق، ومسلم في الديات، والنسائي في الحج.

٤٥٧ - رواه الحاكم ٨٨/١ وقال: حديث صحيح ولا يعلم له علة ووافقه الذهبي، وله شاهد قوي عن أبي الدرداء؛ رواه الدارمي رقم ٣٥٤، ورواه من حديث أبي سعيد؛ الطيالسي رقم ٧٤، والترمذي رقم ٢٤٦١، وابن ماجه رقم ٢٤٧/٢٤٩ من طريق أبي هارون العبدى وهو ضعيف جداً.

٤٥٨ - رواه البخاري في العلم ٢١٥/١ من فتح الباري، والاعتصام، ومسلم في العلم ٢٢٣/١٦، ٢٢٥ من شرح النووي.

٤٥٥، ٤٥٦ - فيها تبليغ السنة ونشر الدين والدعوة إلى الله، والأوعى هو الأحفظ.
٤٥٧ - مرحباً: أي صادفتم سعةً ورحباً، وفي الحديث الإحسان إلى طلبه الدين والبرور بهم ومساعدتهم.

٤٥٨ - فيه دليل على أن العلم لا يرفع دفعة واحدة وإنما يذهب بذهاب أهله بحيث لا يبقى إلا الجهلة.

العلم انتزاعاً ينتزعه، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، فإذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤساء جهالاً، فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا».

٤٥٩ - وعن أبي هريرة قال: كنا عند رسول الله ﷺ حين نزلت سورة الجمعة فتلاها فلما بلغ ﴿وَأَخْرَيْنَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾، قال له رجل: يا رسول الله، مَنْ هؤلاء الذين لم يلحقوا بنا؟ فلم يكلمه حتى قال ثلاثاً، قال: وسلمان الفارسي فينا، فوضع رسول الله ﷺ يده على سلمان فقال: «والذي نفسي بيده لو كان الإيمان بالثريا لتناوله رجال من هؤلاء».

٤٦٠ - وعن ابن سيرين قال: كنت عند أبي هريرة فسأله رجل عن شيء لم أفهمه، فقال له أبو هريرة: الله أكبر سأل عن هذا اثنان وهذا الثالث، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن رجلاً سترتفع بهم المسألة حتى يقولوا: هذا الله سبحانه خلق الخلق، فمن خلقه».

٤٥٩ - رواه البخاري في التفسير ٢٦٦/١٠، ٢٦٨ من فتح الباري وغيره، ومسلم في الفضائل ١٠٠/١٦، ١٠١ من شرح النووي.

وفي رواية له: «لو كان الدين عند الثريا لذهب به رجل من فارس، أو قال من أبناء فارس حتى يتناوله».

٤٦٠ - رواه مسلم في الإيمان ١٥٤/٢، ١٥٥ من شرح النووي وفي الباب أحاديث أخرى.

٤٥٩ - الثريا: هي النجوم المجتمعة المعروفة، وفيه منقبة لمسلمي العجم من أبناء فارس، وحق لهم ذلك فإن لهم مواقف وخدمات في الإسلام فهم أحسن حالاً وغيره ونصراً للإسلام من بعض العرب اليوم وفي عصور قبلنا.

٤٦٠ - ودواء هذه الوسوسة هو أن يقول واجدها: آمنت بالله ورسوله، ويقرأ سورة الأَخْلَاصِ، ويستعِذ بالله من ذلك ومن الشيطان.

٤٦١ - وعن سمرة قال: قال رسول الله ﷺ: «يوشك أن يملأ الله أيديكم من العجم، ثم يجعلهم أسداً لا يفرون فيقتلون مقاتلتكم ويأكلون فيثكم». .

٤٦٢ - وعن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: «يكون قوم في آخر الزمان يخضبون بهذا السواد كحواصل الحمام لا يريحون رائحة الجنة». .

٤٦٣ - وعن أبي مالك الأشعري رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن: الفخر بالأحساب، والظعن في الأنساب، والاستسقاء بالنجوم، والنياحة». .

٤٦٤ - وعن عبدالله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «يكون في

٤٦١ - رواه أحمد ١١/٥، ١٧، ٢١، والبخاري، والحاكم، وسنده صحيح عند أحمد، وهو من رواية الحسن عن سمرة، والخلاف في سماع الحسن منه مشهور، ومذهب البخاري وشيخه ابن المديني وتلميذه الترمذي على السماع.

٤٦٢ - رواه أبو داود في الترجل رقم ٤٢١٢، والنسائي في الزينة، وأحمد ٢٧٣/١، والحاكم، وأبو يعلى بسند صحيح، وصححه العراقي، والحافظ والسيوطي وغيرهم، وردوا على ابن الجوزي في إيراد إياه في الموضوعات.

٤٦٣ - رواه مسلم في الجناز ٢٣٥/٦ من شرح النووي.

٤٦٤ - الحديث رواه الحاكم ٤٣٦/٤ وصححه.

٤٦١ - وقد حصل ذلك منذ زمان ثم صاروا أسداً يهاجمونا في عقر بيوتنا ويستغلون بلادنا.

٤٦٢ - كحواصل: هو جمع حوصلة، وفيه ذم من يخصب بالسواد، وقد جاء في الصحيح في والد أبي بكر «وجنبوه السواد» ومقتضى هذا الأمر مع الوعيد المذكور في الحديث أن ذلك محرم من كبار المعاصي.

٤٦٣ - لا يزال كل هذا بين الناس كما قال عليه الصلاة والسلام وهي جاهلية اتصف بها المسلمون مع الأسف.

آخر هذه الأمة رجال يركبون على الميائثر حتى يأتوا أبواب المساجد، نساؤهم كاسيات عاريات على رؤوسهن كأسنمة البخت العجاف إلعنوهن فإنهن ملعونات».

٤٦٥ - وعن أبي أمامة عن رسول الله ﷺ قال: «لَتُنْقَضَنَّ عُرى الإسلام عروةً عروةً، فكلما انتقضت عروة تشبث الناس بالتي تليها أولهن نقضاً للحكم وآخرها الصلاة».

٤٦٦ - وعن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «إن من ورائكم أيام الصبر، الصبر فيهن كقبض على الجمر، للعامل فيها أجر خمسين، قال عمر: منا أو منهم؟ قال: منكم».

٤٦٥ - رواه أحمد ٢٥١/٥ بسند صحيح، وكذا رواه الحاكم في الأحكام، وابن حبان، وفي الحديث كلام ذكرته في موضع آخر.

٤٦٦ - رواه البزار والطبراني، قال في مجمع الزوائد ٢/٢٨٢: رجاله رجال الصحيح غير سهيل بن عامر البجلي، وثقه ابن حبان، وللحديث شواهد يصحح بها، وقد ذكرتها في كتاب الفتن وتغرب الدين.

٤٦٤ - الميائثر: جمع ميثرة وهي وسادة السرج وتكون من حرير أو في معناه، وفي هذا إشارة إلى السيارات الحالية وأهلها لأن نساءهم كذلك. وقد يأتون بسياراتهم الفخمة وفيها هذا الصنف من النساء فيدخلون المساجد ويتركونها على أبوابها، وربما بقي نساؤهم فيها ينتظرنهم.

٤٦٥ - لتُنْقَضَنَّ: بضم الناء وفتح القاف، أي تحل وتفسخ. عُرى: بضم العين وفتح الراء جمع عروة وهي في الأصل ما يكون في طرف الكوز ونحوه واستعير لما يتمسك به من أمور الديانة. تشبث: أي تمسك، وفيه بيان ما حصل في الإسلام من نقض لقواعد الدين وأصوله واضمحلال معالنه.

٤٦٦ - الحديث يدل على أن في المؤمنين اللاحقين من يعطي أجر خمسين صحابياً وذلك لتغرب الدين وقلة المعين وانصراف الناس عن صراط الله المستقيم وهو لا يدل على تفوقهم على الصحابة لأن الصحبة النبوية لا يدرك شأنها مهما بلغ مستوى التأخرين الديني.

٤٦٧ - وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «سيأتي على الناس زمان يخير فيه الرجل بين العجز والفجور، فمن أدرك منكم ذلك الزمان فليختر العجز على الفجور».

٤٦٨ - وعن حذيفة قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى يكون أسعد الناس بالدنيا لكع بن لكع».

٤٦٩ - وعن سعد بن أبي وقاص قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى يخرج قوم يأكلون بألسنتهم كما تأكل البقر بألسنتها».

٤٦٧ - رواه الحاكم في الفتن والملاحم ٤/٣٨٨ وصححه ووافقه الذهبي، ورواه أيضاً أحمد ٢/٢٧٨، ٤٤٧ من طريقين.

٤٦٨ - رواه أحمد ٥/٢٨٩، والترمذي في الفتن رقم ٢٠٣٦ وسنده صحيح، وله شاهد عن أنس رواه ابن حبان رقم ١٨٨٥.

٤٦٩ - رواه أحمد ١/١٧٥، ١٧٦، ١٨٤ من طرق هو بها صحيح.

٤٦٧ - معناه أن من شاركهم في فسوقهم وميوغهم كان مرموقاً لديهم مرضياً عنه عندهم، أما من فارقهم وتعتف عما هم فيه وقاطعهم وسموه بالعجز ووطنوا فيه وذموه، وليكن المؤمن راضياً بطعنهم فيه.

٤٦٨ - اللكع: هو الساقط اللئيم الذي لا قيمة له ولا اعتبار به.

٤٦٩ - المراد بهؤلاء الأكلين بألسنتهم يحتمل أن يكونوا النمامين والجواسيس الرسميين الموظفين مع الحكومات لذلك، ويحتمل أن يكونوا علماء السوء أو الخطباء أو الزعماء الخونة الكذابين أو الأدباء الثرثارين والشعراء الفشارين فكل ذلكم يحتمله الحديث.

باب ما أخبر به من أشراط الساعة فوقع كما أخبر

٤٧٠ - عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «من أشراط الساعة أن يرفع العلم ويثبت الجهل ويشرب الخمر ويظهر الزنا».

٤٧١ - وعن أبي هريرة أن أعرابياً قال: يا رسول الله متى الساعة؟ قال: «إذا ضُيِّعت الأمانة فانتظر الساعة، قال: كيف إضاعتها؟ قال: إذا وُسد الأمر لغير أهله فانتظر الساعة».

٤٧٢ - وعن أبي هريرة أن النبي ﷺ سئل: متى الساعة؟ قال: «ما المسؤول عنها بأعلم من السائل، وسأخبرك عن أشراطها، إذا رأيت الأمة تلد ربَّتها فذاك من أشراطها، وإذا رأيت الحفاة العراة الصم البكم ملوك

٤٧٠ - رواه البخاري في العلم ١٨١/١ من فتح الباري وغيره، ومسلم ٢٢١/١٦ من شرح النووي في العلم، وكذا رواه أحمد ١٥١/٣.

٤٧١ - رواه البخاري في العلم ١٥٠/١، ١٥١ من فتح الباري، وفي الرقاق ١١٦/١٤، ١١٧.

٤٧٢ - رواه البخاري ومسلم في الإيمان، وتقدم مطولاً في باب رؤية أصحابه الملائكة.

٤٧٠ - أشراط الساعة: علاماتها. ويثبت الجهل: معناه يشيع، والمراد بشرب الخمر الإكثار منه، وظهور الزنا فشوّه وانتشاره، أما وقوع ذلك فلم يخل منه عصر.
٤٧١ - وُسد: بضم الواو وكسر السين المشددة، أي أسند وهذا لا يكون إلا عند غلبة الجهل على الناس وذهاب دينهم.

٤٧٢ - الحفاة: معناها إذ رأيت الجهلة السفهاء السقطاء ملوك إلخ. البهم: بفتح الباء الصغار =

الأرض فذاك من أشراتها، وإذا رأيت رعاء البهْم يتناولون في البنيان فذاك من أشراتها».

٤٧٣ - وعن عمرو بن عوف قال: قال رسول الله ﷺ: «إن بين يدي الساعة سنين خداعة: يصدّق فيها الكاذب، ويكذب فيها الصادق، ويؤتمن فيها الخائن، ويخون فيها الأمين وينطق فيها الرويضة»، قيل: وما الرويضة، يا رسول الله؟ قال: «المرء التافه في أمر العامة».

٤٧٤ - وعن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «إن من أشرط الساعة أن يسلم الرجل لا يسلم إلا للمعرفة، وأن تفشو التجارة حتى تعين المرأة زوجها، وقطع الأرحام، وشهادة الزور، وكتمان شهادة الحق، وأن يجتاز الرجل بالمسجد لا يصلي فيه».

٤٧٥ - وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تقوم الساعة

٤٧٣ - رواه البزار وله شواهد عن أبي هريرة وأم سلمة وأنس.

٤٧٤ - رواه أحمد ٤٠٧/١، ٤٠٨، والبزار، والطبراني، والحاكم، وسنده صحيح عند أحمد، وصححه الحاكم ٤٤٥/٤، ٤٤٦ وقال في المجمع: ٣٢٨/٧، ٣٢٩ رجال أحمد والبزار رجال الصحيح، وروى أحمد بعضه من طريقين آخرين صحيحين أيضاً ٣٨٧/١، ٤٠٦.

٤٧٥ - رواه مسلم في الزكاة وأحمد ٣٧٠/٢، ٣٧١، ٤١٧ من طريق سهل بن أبي صالح عن أبيه عنه.

= من أولاد الضأن والمعز، وفي رواية: رعاء الإبل البهْم بضم الباء، والمراد بالتناول في البناء: التفاخر في الطول وكل هذا واقع.

٤٧٣ - خداعة: أي تخدع الناس بما يظهر فيها من انقلاب الحقائق، وهذا هو الأمر الواقع فينا.

٤٧٤ - تفشو: أي تنتشر وتذيع وكل ما في هذا الحديث واقع مشاهد محسوس.

حتى تعود أرض العرب مروجاً وأنهاراً وحتى يسير الراكب بين العراق ومكة لا يخاف إلا ضلال الطريق».

٤٧٦ - وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى يتقارب الزمان، فتكون السنة كالشهر، ويكون الشهر كالجمعة، وتكون الجمعة كالיום، ويكون اليوم كالساعة، وتكون الساعة كاحتراق السَعْفَةِ أو الخوصة».

٤٧٧ - وعن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى يتباهى الناس في المساجد».

* * *

٤٧٦ - رواه أحمد ٥٣٧/٢، ٥٣٨، وابن حبان رقم ١٨٨٧ وسنده صحيح، وله شاهد عن أنس، رواه الترمذي في الزهد رقم ٢١٤٩، وسنده عنده ضعيف، وله شاهد آخر في الصحيح.

٤٧٧ - رواه أحمد ١٣٤/٣، ١٤٥، ١٥٢، ٢٣٠، ٢٨٣ من طرق عن أبي قلابة عنه، وكذا ابن حبان رقم ٣٠٧، ٣٠٨.

ورواه أبو داود والنسائي والدارمي بلفظ: «من أشراط الساعة أن يتباهى الناس في المساجد» وهو صحيح.

٤٧٥ - مروجاً: جمع مَرْج يسكون الراء هو مرعى الدواب، وقد حصل كل ما تنبأ به صل الله تعالى عليه وآله وسلم.

٤٧٦ - يتقارب: الظاهر من هذا طي الزمان بسبب ما ظهر من المخترعات كالطائرات والسيارات وغير ذلك من الأمور العجيبة المدهشة التي لم تكن ظهرت قديماً. السَعْفَةُ: بفتحات هي الضرمة من حطب.

٤٧٧ - يتباهى: التباهى التفاخر وهو واقع وما أكثره في الناس اليوم.

ذكر المعجزات في إجابة الدعوات

مما لم يتقدم ذكره

١ - باب دعائه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم
في الاستسقاء غير ما تقدم

٤٧٨ - عن أنس قال: (أصابت الناس سنة على عهد رسول الله ﷺ، فبينما رسول الله ﷺ على المنبر يوم الجمعة يخطب، أتاه أعرابي فقال: يا رسول الله، هلك المال وجاع العيال فادع الله لنا، فرفع رسول الله ﷺ يديه - وما نرى في السماء قزعة - فوالذي نفسي بيده ما وضعها حتى ثار سحاب كأمثال الجبال، ثم لم ينزل عن المنبر حتى رأيت الماء يتحارد على لحيته، فمطرنا يومنا ذلك ومن الغد وبعد الغد والذي يليه حتى الجمعة الأخرى، فقام ذلك الأعرابي فقال: يا رسول الله، تهدم البناء، فرفع رسول الله ﷺ يديه وقال: «اللهم حوالينا ولا علينا»، فما يشير بيده إلى ناحية من السحاب إلا انفرجت حتى صارت المدينة مثل الجوبة، وسال الوادي وادي قناة شهراً ولم يجيء أحد من ناحية إلا حدث بالجدود).

٤٧٨ - رواه البخاري ومسلم في الاستسقاء.

٤٧٨ - سنة: أي قحط وجذب. هلك المال: أي ضاع الزرع والضرع وما في معناهما بسبب تأخر المطر. قزعة: بفتحات، أي قطعة من الغيم والسحاب. يتحادر: أي ينزل ويهبط. الجوبة: بفتح الجيم وسكون الواو، أي صارت مثل الحفرة المستديرة محاطة بالسحاب.

٤٧٩ - وعن ابن عمر قال: ربما ذكرت قول الشاعر وأنا أنظر إلى وجه رسول الله ﷺ على المنبر يستسقي فما ينزل حتى يجيش كل ميزاب .
وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمةً للأرامل

٢ - دعائه لآله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم

٤٨٠ - عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «اللهم اجعل رزق آل محمد قوتاً» .

٣ - دعائه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم لعلي

٤٨١ - عن علي قال: (كنت شاكياً، فمرَّ بي رسول الله ﷺ، وأنا أقول: اللهم إن كان أجلي قد حضر فارحمني، وإن كان متأخراً

٤٧٩ - رواه البخاري في الاستسقاء، وأحمد ٩٣/٢ وابن ماجه في الإقامة .
٤٨٠ - رواه البخاري في الرقاق، ومسلم في الزهد ١٠٥/١٨ من شرح النووي، والترمذي رقم ٢١٧٨، وابن ماجه رقم ٤١٣٩، كلاهما في الزهد أيضاً .
٤٨١ - رواه أحمد ٨٣/١، ١٠٧، ١٢٨، والترمذي في الدعوات رقم ٣٣٢٦، وابن حبان رقم ٢٢٠٩، والحاكم وصححه وهو صحيح لطرقة .

٤٧٩ - يجيش: أي يفور. ثمال: بكسر الراء هو الملجأ والغياث أو المطعم في الشدة .
٤٨٠ - قوتاً: أي بقدر ما يمكس الرمق من المطعم وقد كان كذلك صلى الله تعالى عليه وآله وسلم .
٤٨١ - شاكياً: أي مريضاً أشكو من وجعي .

فارفعني ، وإن كان بلاءً فصبرني ، فقال رسول الله ﷺ : كيف قلت؟ فأعاد عليه ما قال ، قال : فضربه برجله ، فقال : «اللهم عافه أو اشفه» قال : فما اشتكيت ذلك الوجد بعد).

٤ - دعاؤه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم لسعد بن أبي وقاص

٤٨٢ - عن سعد بن أبي وقاص أن رسول الله ﷺ قال : «اللهم استجب لسعد إذا دعاك»، فكان لا يدعو إلا استجيب له .

٤٨٣ - وعن جابر بن سمرة قال : (شكى ناس من أهل الكوفة سعد بن أبي وقاص إلى عمر ، فبعث معه من يسأل عنه بالكوفة ، فطيف به في مساجد الكوفة ، فلم يقل له إلا خير ، حتى انتهى إلى مسجد فقال رجل يدعى أبا سعدة : أما إذا نشدتنا ، فإن سعداً كان لا يقسم بالسوية ، ولا يسير بالسرية ، ولا يعدل في القضية ، فقال سعد : اللهم إن كان كاذباً ، فأطل عمره وأطل فقره وعرضه للفتن ، قال ابن عمير : فرأيتُه شيخاً كبيراً قد سقط حاجباه على عينيه من الكبر ، وقد افتقر يتعرض للجواري في الطريق ويغمزهن).

٤٨٢ - رواه الترمذي في المناقب رقم ٣٥١٤ وسنده صحيح .

٤٨٣ - رواه البخاري في كتاب الأذان ، باب وجوب القراءة ٣٧٩/٢ ، ٣٨٢ من فتح الباري ، ورواه في المناقب مختصراً ، وكذا مسلم .

٤٨٣ ، ٤٨٢ - ولا يسير بالسرية : أي لا يخرج بنفسه مع السرية في الغزو ، وقيل : لا يسير فينا بالسيرة النفيسة ، وفي الحديث منقبة لسعد وكرامة له ، بالإضافة إلى معجزته صلى الله تعالى عليه وآله وسلم .

٥ - دعاؤه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم

لمن استأذنه في الزنا

٤٨٤ - عن أبي أمامة أن فتى شاباً أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إئذن لي بالزنا، فأقبل القوم عليه فزجروه، وقال: «مَهْ مَهْ»، فقال: «أذنه»، فدنا منه قريباً، فقال: «اجلس»، فجلس، فقال: «أفتحبه لأمك؟» قال: لا والله، جعلني الله فداك. قال: «ولا الناس يحبونه لأمهاتهم»، قال: «أفتحبه لابنتك؟» قال: لا والله، جعلني الله فداك. قال: «ولا الناس يحبونه لبناتهم»، قال: «أفتحبه لأختك؟» قال: لا والله، جعلني الله فداك. قال: «ولا الناس يحبونه لأخواتهم»، قال: «أفتحبه لعمتك؟» قال: لا، جعلني الله فداك، قال: «ولا الناس يحبونه لعلماتهم»، قال: «أفتحبه لخالتك؟» قال: لا، جعلني الله فداك، قال: «ولا الناس يحبونه لخالاتهم»، قال: فوضع يديه عليه، وقال: «اللهم اغفر ذنبه وطهر قلبه وأحسن فرجه»، قال: فلم يكن ذلك الفتى يلتفت إلى شيء.

٦ - دعاؤه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم لابن عباس

٤٨٥ - عن ابن عباس: قال: ضممني النبي ﷺ إلى صدره وقال: «اللهم علمه الحكمة»، وفي رواية: «علمه الكتاب».

٤٨٤ - رواه أحمد ٢٥٦/٥، ٢٥٧ بسند صحيح على شرط مسلم.

٤٨٥ - رواه البخاري في العلم وفي الطهارة وفي المناقب ١٠١/٨ من فتح =

٤٨٤ - فزجروه: أي فنبهوه. مه: بفتح الميم وسكون الهاء اسم فعل أمر بمعنى اكفف وما أرشد به ﷺ هذا الشاب أسلوب في غاية الحكمة فإنه أقام عليه الحجة وصور له قبح ما أراد به بطريق اللزوم بما لا يمكن له إنكاره فإنه إذا كان لا يرضى أن يأتي الناس محارمه فكذلك الناس لا يرضون منه ذلك.

٤٨٥ - وقد استجاب الله دعاءه فيه فكان ترجمان القرآن وحبر هذه الأمة وفقهها.

٧ - دعاؤه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم لأنس

٤٨٦ - عن أنس قال: دعا لي النبي ﷺ فقال: «اللهم أكثر ماله وولده وبارك له فيما رزقته».

٨ - دعاؤه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم لأبي هريرة

٤٨٧ - عن أبي هريرة قال: (ما على وجه الأرض من مؤمن ولا مؤمنة إلا ويحبني. قلت: وما علمك بذلك؟ قال: إني كنت أدعو أمني إلى الإسلام فتأبى. فقلت: يا رسول الله، ادع الله أن يهدي أم أبي هريرة إلى الإسلام، فدعا لها، فرجعت، فلما دخلت البيت قالت: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، فرجعت إلى رسول الله ﷺ وأنا أبكي من الفرح كما كنت أبكي من الحزن، وقلت: يا رسول الله، قد استجاب الله دعوتك وهدى أم أبي هريرة إلى الإسلام، فادع الله أن يحبني وأمني إلى عباده المؤمنين، وأن يحبهم إلينا. فقال: «اللهم حبب عبدك هذا وأمه إلى عبادك المؤمنين، وحببهم إليهما» فما على وجه الأرض من مؤمن ولا مؤمنة إلا وهو يحبني وأحبه).

= الباري، وكذا رواه مسلم، أما اللفظ المشهور: «اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل» فرواه أحمد ٣٣٥/١ وغيره وليس في الصحيحين.

٤٨٦ - رواه البخاري في الدعوات، ومسلم في الفضائل ٣٩/١٦ من شرح النووي، والترمذي في المناقب رقم ٣٥٩٠، وكذا أحمد والطيالسي رقم ٢٥٢٤.

٤٨٧ - رواه مسلم في الفضائل ٥١/١٦ - ٥٢ من شرح النووي

٤٨٦ - وقد وقع له ما دعا به النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فبارك الله له في ماله وما توفي حتى أنجب مائة ولد فأكثر.

٤٨٧ - والأمر في ذلك كما قال فإنه لا يبغض أبا هريرة إلا من هو مغموص في دينه منحرف عن عقيدة أهل السنة كالرافضة والخوارج ومن نحا نحوهم.

٩ - دعاؤه للسائب بن يزيد

٤٨٨ - عن الجعد بن عبدالرحمن قال: (مات السائب بن يزيد وهو ابن أربع وتسعين سنة، وكان جليداً معتدلاً وقال: لقد علمت ما متعت به سمعي وبصري إلا بدعاء رسول الله ﷺ إن خالتي ذهبت بي إليه فقالت: يا رسول الله إن ابن أختي شك فادع الله، قال: فدعا لي).

١٠ - دعاؤه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم لعبد الرحمن بن عوف

٤٨٩ - عن أنس أن رسول الله ﷺ قال لعبدالرحمن بن عوف: «بارك الله لك».

٤٨٨ - رواه البخاري في المناقب ٣٧٢/٧ من فتح الباري .
٤٨٩ - رواه البخاري في النكاح باب كيف يدعى للمتزوج ١١/١٢٩ من فتح الباري .

٤٨٨ - جليداً: أي قوياً صلباً لم يطرأ عليه ضعف الشيخوخة ولا وهن الكبر وذلك لدعوة الحبيب الأعظم عليه السلام .
٤٨٩ - كان من عادات الجاهلية أن يهتوا المتزوجين بقولهم: بالرفاء والبنين، فجعل النبي عليه السلام بدل ذلك الدعاء معها بالبركة، وكان يقول لمن تزوج: بارك الله لك وعليك وجمع بينكما في خير.

١١ - دعاؤه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم لأبي طلحة

٤٩٠ - عن أنس قال: اشتكى ابن لأبي طلحة، فمات، وأبو طلحة خارج، فلما رأت امرأته أنه قد مات هيأت شيئاً ونحته في جانب البيت، فلما جاء أبو طلحة قال: كيف الغلام؟ قالت: هدأت نفسه، وأرجو أن يكون قد استراح، وظن أبو طلحة أنها صادقة، قال: فبات، فلما أصبح اغتسل، فلما أراد أن يخرج أعلمته أنه قد مات، فصلى مع النبي ﷺ، ثم أخبر النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بما كان منهما فقال رسول الله ﷺ: «لعل الله أن يبارك لكما في ليلتكما»، قال سفيان: فقال رجل من الأنصار: فرأيت لهما تسعة أولاد كلهم قد قرأ القرآن.

١٢ - دعاؤه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم

لعبد الله بن هشام

٤٩١ - عن أبي عقيل أنه كان يخرج به جده عبدالله بن هشام إلى السوق ليشتري الطعام، فيتلقاه ابن الزبير وابن عمر فيقولان: أشركنا فإن رسول الله ﷺ قد دعا لك بالبركة، فيشركهما فربما أصاب الراحلة كما هي فيبعث بها إلى المنزل.

٤٩٠ - رواه البخاري في الجنازات ٤١٢/٣ - ٤١٤ من فتح الباري.

٤٩١ - رواه البخاري في الشركة ٦١/٦ من فتح الباري، ومسلم في الخراج.

٤٩٠ - هدأت: أي سكنت، فانظر أيها المسلم إلى عاقبة الصبر، ولا سيما على فقدان الأحبة فقد أخلف الله لهما ما فقداه بتسعة ذكور من حفظة كتاب الله عز وجل، وذلك خير كبير يقدر له قدره أهل الدين والإيمان، وفي الحديث ثبت هذه المرأة وصبرها الكامل وعدم فزعها على خلاف عادات النساء.

٤٩١ - ففيه عَلم من أعلام النبوة، فكان لدعائه عليه السلام لو اتجر في التراب لربح فيه.

١٣ - دعاؤه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم لقريش

٤٩٢ - عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «اللهم أذقت أول قريش نكالاً فأذق آخرهم نوالاً».

باب جامع من دعواته صلى الله تعالى عليه وآله وسلم

٤٩٣ - عن صخر الغامدي قال: قال رسول الله ﷺ: «اللهم بارك لأمتي في بكورها».

٤٩٢ - رواه الترمذي في المناقب رقم ٣٦٦٤ من طريقين وحسنه وصححه وهو كما قال.

٤٩٣ - رواه أحمد ٣/٣٦١، ٤٣١ و ٤/٣٨٤، وابن ماجه رقم ٢٢٣٦ في البيوع، وأبو داود في الجهاد، والترمذي في البيوع رقم ١٠٩٣ وغيرهم، وحسنه الترمذي، وهو صحيح لطرقه وشواهده، فقد ورد عن ابن عمر وأبي هريرة وعمران بن الحصين وابن عباس وابن مسعود وعبد الله بن سلام وكعب بن مالك والنواس بن سميان وغيرهم حتى عدوه في المتواتر.

٤٩٢ - نكالاً: بفتح النون، أي عقاباً. نوالاً: أي عطاء، وقد فعل عز وجل فأصبح رجال قريش قادات العالم وحكامهم وفاضت عليهم الحياة وسكنوا القصور وأكلوا لذيق الأظمة ولبسوا رفيع الأقمشة وركبوا أفخر المركوبات وأهناها ونكحوا المنعمات والفتيات الحسان مصداقاً لدعوته صلى الله تعالى عليه وآله وسلم.

٤٩٣ - وهو كما دعا صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فالبكور فيه بركة ظاهرة ملموسة.

٤٩٤ - وعن سلمة بن الأكوع أن رجلاً أكل عند النبي ﷺ بشماله فقال: «كل بيمينك»، قال: لا أستطيع، قال: «لا استطعت ما منعه إلا الكبر»، قال: فما رفعها إلى فيه بعد.

٤٩٥ - وعن ابن عباس أن النبي ﷺ قال له: «ادع لي معاوية فقال: إنه يأكل، فقال في الثالثة: لا أشبع الله بطنه».

٤٩٦ - وعنه أن امرأة سوداء أتت النبي ﷺ فقالت: إني أُصرع فادع الله لي قال: «إن شئت صبرت ولك الجنة، وإن شئت دعوت الله أن يعافيك». فقالت: أصبر. قالت: فإني أتكشف فادع الله أن لا أتكشف فدعا لها.

٤٩٤ - رواه مسلم في كتاب الأشربة ١٣/١٩٢ من شرح النووي.

٤٩٥ - رواه مسلم ١٦/١٥٥، ١٥٦ من شرح النووي في البر والصلة، باب من لعنه النبي.

٤٩٦ - رواه البخاري في المرض وكذا أحمد ١/٣٤٦، ٣٤٧، ومسلم في البر والصلة، باب ثواب المؤمن فيما يصيبه ١٦/١٣١ من شرح النووي.

٤٩٤ - إن أحباب الله إذا نطقوا بشيء نفذه الله تعالى لهم وحتى لو أقسموا لأبرّ قسمهم، وكم وقع لهذا من مثل في خيار الأمة إرثاً نبوياً، ويؤخذ من الحديث جواز الدعاء على من خالف السنة بما يقتضيه الحال.

٤٩٦ - أُصرع: بضم الهمزة وفتح الراء، أي يصرعني الجن ويتخطيني ويكشفني، وفي الحديث فضل من يتل بصرع الجنون وأن من أصيب بذلك فصبر واحتسب كان جزاؤه الجنة لأن في ذلك بلاء عظيماً.

٤٩٧ - وعن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «نَضْرُ الله امرءاً سمع مقالتي فبلغها فوعاها فأداها كما سمعها».

* قال العلماء: ليس أحد من أهل الحديث إلا وفي وجهه نضرة لدعوة النبي ﷺ.

ذكر آيات في منامات رؤيت في عهده صلى الله تعالى عليه وآله وسلم غير ما تقدم

٤٩٨ - عن ابن عمر قال: إن رجلاً من أصحاب النبي ﷺ كانوا يرون الرؤيا على عهد رسول الله ﷺ فيقصونها على رسول الله ﷺ، فيقول فيها رسول الله ﷺ ما شاء الله، وأنا غلام حديث السن، وبيتي المسجد قبل أن أنكح. فقلت في نفسي: لو كان فيك خير لرأيت مثل ما يرى هؤلاء، فلما اضطجعت ليلة قلت: اللهم إن كنت تعلم في خيراً فأرني رؤيا، فبينما أنا كذلك إذ جاءني ملكان في يد كل واحد منهما مقمعة من حديد يقبلان بي إلى جهنم، وأنا بينهما أدعو الله: اللهم إني أعوذ بك من جهنم، ثم أراني لقيني ملك في يده مقمعة من حديد فقال لي: لن ترع، نعم الرجل أنت لو تكثر الصلاة، فانطلقوا بي حتى وقفوا

٤٩٧ - رواه أبو داود رقم ٣٦٦٠، والترمذي رقم ٢٤٦٦، وابن ماجه رقم ٢٣٠ وكذا أحمد ١٨٣/٥، وابن حبان رقم ٧٢ من طرق وهو صحيح بل متواتر.

٤٩٨ - رواه البخاري في الصلاة، وفي التعبير، وفي المناقب ٩١/٨ من فتح الباري.

٤٩٧ - نَضْرُ: أي جعل الله في وجهه النضارة والبهجة. فوعاها: أي حفظها.

٤٩٨ - مَقْمَعَة: بكسر الميم الأولى وفتح الثانية بينها قاف ساكنة، هو سياط يعمل من حديد رأسه معوج. لن ترع: أي لا خوف عليك ولا فزع. شفير: أي طرفها، وفيه منقبة لعبد الله هذا رضي الله عنه.

بي على شفير جهنم، فإذا هي مطوية كطي البئر له قرون كقرون البئر بين كل قرنين ملك بيده مقمعة من حديد، وأرى فيها رجالاً معلقين بالسلاسل، رؤوسهم أسفلهم، عرفت فيها رجالاً من قريش، فانصرفوا بي عن ذات اليمين، فقصصتها على حفصة، فقصصتها حفصة على رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم، فقال رسول الله ﷺ: «إنَّ عبدالله رجلٌ صالح لو كان يكثر الصلاة من الليل».

٤٩٩ - عن عبدالله بن سلام قال: رأيت كأني في روضة، وسط الروضة عمود في أعلى العمود عروة فليل لي: أرقه، قلت: لا أستطيع، فأتاني وصيف فرجع ثيابي فرقيت فاستمسكت بالعروة، فانتهيت وأنا متمسك بها فقصصتها على النبي ﷺ فقال: «تلك الروضة روضة الإسلام، وذلك العمود عمود الإسلام، وتلك العروة العروة الوثقى، لا تزال متمسكاً بالإسلام حتى تموت».

٥٠٠ - وعن ابن عمر قال: أرى رجال من أصحاب النبي ﷺ في المنام أن ليلة القدر في السبع الأواخر من رمضان فقال رسول الله ﷺ: «أرى رؤياكم قد تواطأت على أنها في السبع الأواخر، فمن كان متحريها فليتحرها في السبع الأواخر».

٤٩٩ - رواه البخاري في التعبير وفي المناقب ٨/١٣٠، ١٣١ من فتح الباري.
٥٠٠ - رواه البخاري ومسلم في الصيام.

٤٩٩ - روضة: تكون مكونة من عشب ونبات ويقول وعنب وغير ذلك. عمود: بفتح العين هي الخشبة التي يقوم عليها البيت. وصيف: بفتح الواو وكسر الصاد وهو الخادم، وفيه فضل عبدالله بن سلام.
٥٠٠ - تواطأت: أي اتفقت واتحدت. متحريها: أي قاصدها.

ذكر موازنة الأنبياء في فضائلهم بفضائل نبينا ﷺ

قال العلماء: ما أوتي نبي معجزة ولا فضيلة إلا ولنبينا ﷺ نظيرها أو أعظم منها.

باب ما أوتي آدم عليه الصلاة والسلام من المعجزات والخصائص
وما لنبينا صلى الله تعالى عليه وآله وسلم نظيره

من ذلك أن الله تعالى خلقه بيده، وأسجد له ملائكته، وعلمه
أسماء كل شيء، وقد أتى النبي ﷺ نظير بعض ذلك.

أما الكلام فتقدم في الإسراء، وأما السجود فقال بعض العلماء:
في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾ الآية، هذا
التشريف الذي شرف به النبي ﷺ أتم وأعز في الإكرام من تشريف آدم
عليه السلام حيث أمر الملائكة بالسجود له من وجهين: أحدهما: أن
ذلك وقع وانقطع، وتشريفه ﷺ بالصلاة مستمر أبداً، والثاني: أن ذلك
حصل من الملائكة لا غير، وتشريفه ﷺ حصل من الله والملائكة
والمؤمنين.

باب فيما أوتيهِ إدريس عليه الصلاة والسلام

قال الله تعالى: ﴿ورفعناه مكاناً علياً﴾ وقد رفع الله سيدنا محمداً ﷺ إلى قاب قوسين.

باب فيما أوتيهِ نوح عليه الصلاة والسلام

قال أبو نعيم: آيته التي أوتي إجابة دعوته وإغراق قومه بالطوفان، وكم لنبينا ﷺ من دعوة مجابة منها: دعوته على الذين وضعوا السلى على ظهره، وقد دعا بالمطر عند القحط فهطلت السماء بدعائه.

قال أبو نعيم: وزاد نبينا ﷺ على نوح بأنه في مدة عشرين سنة آمن به ألوف كثيرة ودخل الناس في دينه أفواجا، ونوح قام في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً فلم يؤمن به إلا دون المائة نفس.

ومما أوتيهِ نوح عليه السلام تسخير جميع الحيوانات له في السفينة، وقد سخرت أنواع الحيوانات لنبينا ﷺ كما تقدم في موضعه.

باب فيما أوتيهِ هود عليه الصلاة والسلام

قال أبو نعيم: أوتي الريح، وقد نصر بها نبينا ﷺ كما تقدم في غزوة الخندق.

باب فيما أوتيهِ صالح عليه الصلاة والسلام

قال أبو نعيم: أوتي الناقة، ونظيرها لنبينا ﷺ كلام الجمل وطاعته له.

باب فيما أوتيهِ إسماعيل عليه الصلاة والسلام

أوتي الصبر على الذبح، وقد تقدم في باب شق الصدر أن ذلك نظيره، بل أبلغ منه لأنه وقع حقيقة والذبح لم يقع.

باب ما أوتيهِ يوسف عليه الصلاة والسلام

قال أبو نعيم: أعطي يوسف من الحسن ما فاق به الأنبياء والمرسلين، بل والخلق أجمعين. ونبينا ﷺ أوتي من الجمال ما لم يؤته أحد، ولم يؤت يوسف إلا شطر الحسن، وأوتي نبينا ﷺ جميعه. ويوسف ابتلي بفراقه عن أبويه وغربته عن وطنه، ونبينا ﷺ فارق الأهل والعشيرة والأحبة والوطن فهاجر إلى الله تعالى.

باب ما أوتيهِ موسى عليه الصلاة والسلام

أوتي نبع الماء من الحجر، وقد وقع ذلك لنبينا عليه الصلاة والسلام وزاد بنبعه من بين الأصابع الشريفة، قال أبو نعيم: وهو أعجب فإن نبعه من الحجر متعارف معهود، وأما من بين اللحم والدم فلم يعهد.

وأوتي العصى، ونظيرها لنبينا ﷺ حين الجذع، ونظيرها في قلبها ثعباناً قصة الفحل الذي رآه أبو جهل.

وأوتي المنّ والسلوى ونظيره إحلال الغنائم وإشباع الجمع الغفير من الطعام اليسير.

ودعا موسى على قومه بالطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم، ونظيره لنبينا دعاؤه ﷺ على قومه بالسنين.

وقال موسى لربه: ﴿وعجلت إليك رب لترضى﴾ وقال الله لسيدنا محمد ﷺ: ﴿ولسوف يعطيك ربك فترضى﴾، وقال: ﴿فلنولينك قبلة ترضاها﴾.

وقال لموسى: ﴿وألقيت عليك محبةً مني﴾، وقال في حق سيدنا محمد ﷺ: ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله﴾.

باب ما أوتيهِ داود عليه الصلاة والسلام

قال أبو نعيم: أوتي تسبيح الجبال، ونظيره لنبينا ﷺ تسبيح الحصى والطعام، وأوتي تسخير الطير، وقد تقدم تسخير سائر الحيوانات له ﷺ.

باب ما أوتيهِ سليمان عليه الصلاة والسلام

قال أبو نعيم: أوتي ملكاً عظيماً، وقد أعطي نبينا ﷺ ما هو أعظم من ذلك مفاتيح خزائن الأرض.

وأوتي سليمان الريح تسير به غدوها شهر ورواحها شهر، وقد أعطي نبينا ﷺ ما هو أعظم من ذلك البراق سار به مسيرة خمسين ألف سنة^(١). في أقل من ثلث ليلة، فدخل السموات سماءً سماءً، ورأى عجائبها ووقف على الجنة والنار.

وسخرت لسليمان الجن وكان تعاص عليه حتى يصفدها ويعذبها، ونبينا ﷺ أتته وفود الجن طائفة مؤمنة، وسخر له الشياطين والمردة منهم حتى همَّ أن يربط الشيطان الذي أخذه بسارية المسجد.

وعُلمَ سليمان مَنْطِقَ الطير، وأعطى نبينا ﷺ فهم كلام جميع الحيوانات وزاده كلام الشجر والحجر والعصا.

باب فيما أوتي عيسى عليه الصلاة والسلام

قال الله تعالى: ﴿ورسولاً إلى بني إسرائيل أني قد جئتكم بآية من ربكم أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير.﴾ إلى قوله: ﴿في بيوتكم﴾. [آل عمران: ٤٨ - ٥٠].

وقد تقدم نظير ذلك لنبينا ﷺ في إبراء المرضى وذوي العاهات، وفي غزوة بدر وأحد رَدَّ عَيْنَ قَتَادَةَ، وفي غزوة خيبر في عين علي، وتقدم إخباره بالمغيبات.

(١) هذا غلط فإن المسافة بين ذلك أقل من هذا بكثير، فأكثر ما جاء في السنة مما بين الأرض إلى ما فوق السماء السابعة سبعة آلاف سنة، ويبقى ما بين السماء السابعة إلى العرش لا ندري عدد مسافة ما بينهما، وقد قيل: أن ما بين ذلك خمسمائة سنة أيضاً، فالله أعلم.

ذكر الخصائص التي فُضِّلَ بها على جميع الأنبياء ولم يعطها نبي قبله ﷺ

فمن ذلك أخذ الميثاق على النبيين أن يؤمنوا به وينصروه، وأن التوراة والإنجيل بَشَّرتا به وبأصحابه، وأن الله حجب إبليس عن السموات لبعثته، وأنه شقَّ صدره، وجعل خاتمه بين كتفيه بإزاء قلبه، وجعله أرجح الناس عقلاً، وآتاه كل الحسن، وآراه جبريل في صورته التي خُلِقَ عليها، وحرست السماء من استراق السمع، ورمي الشياطين ببعثته، وشَفَّعَ في أبي طالب بتخفيف العذاب عنه، ووعدَه الله بالعصمة من الناس، وأسرى به إلى بيت المقدس وعرج به إلى السموات إلى قاب قوسين، ووطىء مكاناً لم يطأه نبي مرسل، وأحيا الله له الأنبياء، وصلى بهم إماماً بالمسجد الأقصى، وأطلعه الله على الجنة والنار ورأى من آيات ربه الكبرى وحفظه حتى ما زاغ البصر وما طغى وغير ذلك مما تقدم.

اختصاصه بالقرآن الكريم

وخصَّ ﷺ بالقرآن الكريم وأنه كتاب معجز ومحفوظ من التبديل والتحريف على مرِّ الدهور، وجامعٌ لكل شيء، ومستغنٍ عن غيره، ومشمئلاً على ما اشتملت عليه جميع الكتب وزيادة، وميسراً للحفظ، ونزل منجماً، ونزل على سبعة أحرف.

قال الله تعالى: ﴿قُلْ لئن اجتمعتِ الإنسُ والجنُّ على أن يأتوا بمثلِ هذا القرآنِ لا يأتونَ بمثله ولو كانَ بعضهم لبعضٍ ظهيراً﴾.

وقال تعالى: ﴿إنا نحنُ نزلنا الذكرَ وإنا له لحافظون﴾.

وقال تعالى: ﴿وإنه لكتابٌ عزيزٌ لا يأتيه الباطلُ من بين يديه ولا من خلفه﴾.

وقال تعالى: ﴿ونزلنا عليك الكتابَ تبياناً لكل شيءٍ﴾.

وقال تعالى: ﴿ولقد يسرنا القرآنَ للذكرِ فهل من مدكرٍ﴾.

وقال تعالى: ﴿وقرآنًا فرّقناه لتقرأه على الناسِ على مكثٍ﴾.

وقال تعالى: ﴿وقال الذين كفروا: لولا نزلَ عليه القرآنُ جملةً واحدة، كذلك لنثبتَ به فؤادك﴾ الآيتين.

وتقدم حديث أبي هريرة: «ما من الأنبياء نبي إلا أعطي ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيه وحياً أوحاه الله إلي» إلخ.

٥٠١ - وعن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال: «أقرأني جبريل على حرف فراجعتة فلم أزل أستزيده ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف».

٥٠١ - رواه البخاري في فضائل القرآن وفي بدء الخلق، ومسلم في صلاة المسافر وفي فضائل القرآن.

٥٠١ - اختلف العلماء في هذه الحروف على أقوال، أصحها وأظهرها: أن المراد بها اللغات، وهو أن يقرأ كل قوم من العرب بلغتهم من الادغام والإظهار والإمالة والتفخيم والإشمام والهمز والتلين وغير ذلك من وجوه اللغات إلى سبعة أوجه. وانظر تحقيق ذلك عند ابن الجزري في النشر، وفي الفتح للحافظ، وفي شرح السنة للبخاري.

٥٠٢ - وعن أبي بن كعب أن رسول الله ﷺ قال: «إن ربي أرسل إليّ أن أقرأ القرآن على حرف فرددت إليه أن هوّن على أمّتي فأرسل أن أقرأه على حرفين فرددت إليه أن هوّن على أمّتي فأرسل إليّ أن أقرأه على سبعة أحرف».

باب

واختص بأن معجزته ﷺ مستمرة إلى يوم القيامة، وهي القرآن ومعجزات سائر الرسل والأنبياء انقرضت لوقتها، عدّ هذا الشيخ عز الدين بن عبدالسلام بأنه أكثر الأشياء معجزات فقد قيل: أنها تبلغ ألفاً وقيل غير ذلك، قال الحلّمي: وفيها مع كثرتها معنى آخر وهو أنه ليس في شيء من معجزات غيره ما ينحو نحو اختراع الأجسام وإنما ذلك في معجزات نبينا ﷺ خاصة.

قال جلال الدين: ومما يعدّ في خصائصه ﷺ أنه جمع له كل ما أوتيّه الأنبياء من فضائل، وعدّ ابن عبدالسلام من خصائصه ﷺ تسليم الحجر وحنين الجذع، قال: ولم يثبت لواحدٍ من الأنبياء مثل ذلك، وعدّ أيضاً نبع الماء من بين الأصابع، وقد عدّ غيره أيضاً انشقاق القمر.

باب

وخصّ ﷺ بأنه خاتم النبيين وآخرهم بعثاً، وبأنّ شرعه مؤبد إلى يوم القيامة وناسخ لجميع الشرائع قبله وأنه لو أدركه الأنبياء لوجب عليهم إتباعه.

٥٠٢ - رواه مسلم في المصدر السابق، وكذا أحمد ١٢٧/٥.

٥٠٢ - هوّن: أي سهّل وخفّف. أستزیده: أي أطلب منه الزيادة.

قال الله تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ .

وقال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ .

استُبدِلَ بهاتين الآيتين على أن شرعه ناسخ لكل شرع قبله .

باب

ومن خصائصه ﷺ أن في كتابه الناسخ والمنسوخ .

قال تعالى: ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا﴾ .

وليس في سائر الكتب مثل ذلك، ولذا كان اليهود ينكرون النسخ، والسرُّ في ذلك أن سائر الكتب نزلت دفعة واحدة، فلا يتصور أن يجتمع فيها الناسخ والمنسوخ، لأن شرط الناسخ أن يتأخر نزوله عن المنسوخ .

باب

ومن خصائصه ﷺ: أنه أعطي خواتم البقرة من كنز تحت العرش، ولم يعط منه أحد .

ومنها عموم دعوته للناس كافةً، وأنه أكثر الأنبياء تابعاً، وأنه مرسلٌ إلى الجن بالإجماع، وإلى الملائكة في قول، وأنه أوتي الكتاب وهو أمي لا يقرأ ولا يكتب .

قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ﴾ .

وقال تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ .

٥٠٣ - وعن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «أعطيت خمساً لم يعطهنَّ أحدٌ من الأنبياء قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً فأيُّما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليُصَلِّ، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي، وأعطيت الشفاعة، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة».

٥٠٤ - وعن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا أكثر الأنبياء تبعاً يوم القيامة، وأنا أول من يقرع باب الجنة».

٥٠٥ - وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لم يصدق نبي من الأنبياء ما صدقت، إن من الأنبياء من لم يصدقه من أمته إلا الرجل الواحد».

باب

ومن خصائصه ﷺ أنه غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وأعطاه الكوثر، وأمهه بالملائكة، وآتاه النصر، وأيده بالرعب بين يديه، وجعل حوضه أعظم الحياض، ورفع ذكره في التأذين، وأعطاه المقام المحمود، وسيبعثه في أول من يخرج من الناس، وسيدخل جنته سبعين ألفاً من أمته لا حساب عليهم، وسيرفعه في أعلى غرف الجنة ليس فوقه إلا الملائكة الذين يحملون العرش.

٥٠٣ - رواه البخاري في التيمم، ومسلم في المساجد ٣/٥، ٤ من شرح النووي.

٥٠٤ - رواه مسلم في الإيمان ٧٣/٣ من شرح النووي.

٥٠٥ - رواه مسلم في الإيمان ٧٣/٣ من شرح النووي بتغيير يسير.

٥٠٣ - الشفاعة: أي العامة لإراحة الخلائق من الموقف، أما غيرها فقد شاركه فيها غيره.
٥٠٥ - وفي الحديثين فضل كبير لنبينا عليه الصلاة والسلام لأنه بكثرة الأتباع سيكون أكثر الأنبياء أجراً.

فصل

الإجماع على أنه ﷺ مبعوث إلى جميع الإنس والجن، وأما بعثته إلى الملائكة فاختلف فيها، ورجح السبكي بعثته إليهم.

باب

ومن خصائصه ﷺ كونه رحمة للعالمين حتى للكفار بتأخير العذاب ولم يعاجلوا بالعقوبة كسائر الأمم.

قال تعالى: ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾.

وقال تعالى؛ ﴿وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم﴾ الآية.

٥٠٦ - وعن أبي هريرة قال: قيل يا رسول الله: ادع الله على

المشركين، قال: «إني لم أبعث لعاناً وإنما بعثت رحمة».

٥٠٧ - وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنما أنا رحمة مهداة».

٥٠٦ - رواه مسلم في الأدب ١٦/١٥٠ من شرح النووي.

٥٠٧ - رواه الحاكم ٣٥/١ وصححه على شرطها ووافقه الذهبي، ورواه أيضاً

ابن سعد ١٩٢/١، والدارمي رقم ١٥ من طريق الأعمش عن أبي صالح مرسلاً وسنده صحيح، وعزاه في مجمع الزوائد ٨/٢٥٧ للبزار والطبراني. وقال رجال البزار رجال الصحيح.

٥٠٦ - لعاناً: أي أكثر لعن الناس لأن ذلك ليس من شيم مطلق المؤمنين فكيف بالأنبياء.

رحمة: وقد كان كذلك فله في هذا المقام عجائب الغرائب من آثار الرحمة.

٥٠٧ - مُهداة: بكسر الميم وضمها، فعلى الأول معناه: هاد، وعلى الثاني: اسم مفعول أي

مهداة إليكم.

باب

ومنها اختصاصه ﷺ بإقسام الله تعالى بحياته .
قال الله تعالى : ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ .

باب

ومنها اختصاصه ﷺ بإسلام قرينه .

٥٠٨ - عن ابن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : « ما منكم من أحد إلا ومعه قرينه من الجن وقرينه من الملائكة ، وقالوا : وإياك يا رسول الله ، قال : وإيائي ، ولكن الله أعانني عليه فأسلم فلا يأمرني إلا بخير » .

باب

قال العلماء : ومن خصائصه ﷺ أن الله تعالى لم يناده في القرآن باسمه ، بل قال : ﴿يا أيها النبي﴾ ، ﴿يا أيها الرسول﴾ ، ﴿يا أيها المدثر﴾ ، ﴿يا أيها المزمل﴾ بخلاف سائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فإنه خاطبهم بأسمائهم المجردة ، كقوله تعالى : ﴿يا آدم أسكن أنت وزوجك الجنة﴾ ، ﴿يا نوح إهبط﴾ ، ﴿يا إبراهيم أعرض عن هذا﴾ ، ﴿يا موسى ، إني اصطفيتك﴾ ، ﴿يا عيسى ، أذكر نعمتي عليك﴾ ، ﴿يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض﴾ ، ﴿يا زكريا إنا نبشرك﴾ ، ﴿يا يحيى خذ الكتاب بقوة﴾ .

٥٠٨ - رواه مسلم في صفات المنافقين ١٧/١٥٧ من شرح النووي ، وأحمد ١/٣٨٥ ، ٣٩٧ ، ٤٠١ ، والدارمي رقم ٢٧٣٧ وغيرهم ، ونحوه عن عائشة في مسلم وعن ابن عباس وجابر في المسند .

٥٠٨ - قرينه : أي صاحبه . فأسلم : أي انقاد وآمن ، وقيل فأسلم منه وأنجم من نزغاته ووحيه .

باب

قال أبو نعيم: ومن خصائصه ﷺ تحريم نداءه باسمه على الأمة بخلاف سائر الأنبياء فإن أممهم كانت تخاطبهم بأسمائهم.

قال تعالى حكاية عنهم: ﴿قالوا يا موسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة﴾، ﴿إذ قال الحواريون يا عيسى بن مريم﴾.

وقال تعالى لهذه الأمة: ﴿لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً﴾^(١).

باب

ومن خصائصه ﷺ أن الميت يسأل عنه في قبره.

٥٠٩ - وعن عائشة أن رسول الله ﷺ قال لها في حديث: «فأما فتنة القبر في تفتنون وعني تسألون، فإذا كان الرجل الصالح أُجلس في قبره غير فزع ولا مشعوف^(٢)، ثم يقال له: فيم كنت؟ فيقول في الإسلام، فيقال: ما هذا الرجل الذي كان فيكم؟ فيقول: محمد رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم، جاءنا بالبينات من عند الله

٥٠٩ - رواه أحمد ٦/١٣٩، ١٤٠ بسند صحيح وأصله في الصحيحين، وفي الموضوع أحاديث مشهورة.

(١) بل قولوا: يا رسول الله ونحو ذلك وفي ذلك إيماء إلى أنه ينبغي لنا أن لا نذكر اسمه مجرداً عما يدل على الاحترام كما يفعله اليوم مقلدوا الفرنج ويسلكونه في تعابيرهم، قال محمد خرج محمد كان محمد جاءنا محمد، بينما إذا ذكروا أحد الشخصيات الكافرة حلوه بالألقاب الفخمة والأوسمة السامية ولا يخفى ما في ذلك من سوء الأدب ورقة الدين.

(٢) مشعوف: هو بفتح الميم بمعنى ما قبله أي غير فزع.

عز وجل، ثم يفرج له فرجة إلى الجنة فينظر إلى زهرتها وما فيها، فيقال له: هذا مقعدك منها، ويقال: على اليقين كنت وعليه مت وعليه تبعث إن شاء الله» الحديث.

باب

ومن خصائصه ﷺ تحريم نكاح أزواجه من بعده.
قال الله تعالى: ﴿وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبداً إن ذلكم كان عند الله عظيماً﴾ فإن المرأة لآخر زوجها في الدنيا، فلذلك حرّم على أزواجه ﷺ أن ينكحن بعده لأنهن أزواجه في الجنة، ومما قيل في تعليل ذلك: أنهن أمهات المؤمنين، وأن في ذلك غضاضةً ينزه عنها منصبه الشريف.

باب

قال أبو نعيم: ومن خصائصه ﷺ أن من تقدمه من الأنبياء كانوا يدافعون عن أنفسهم ويردون على أعدائهم كقول نوح: ﴿يا قوم ليس بي ضلالة﴾، وقول هود: ﴿يا قوم ليس بي سفاهة﴾ وأشبه ذلك.
ونبينا ﷺ تولى الله تبرئته عما ينسب إليه أعداؤه وردّ عليهم بنفسه.
فقال: ﴿ما أنت بنعمة ربك بمجنون﴾.
وقال: ﴿ما ضلّ صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى﴾.
وقال: ﴿وما علمناه الشعر وما ينبغي له﴾ إلى غير ذلك.

باب

ومن خصائصه أن الله تعالى أقسم على رسالته فقال: ﴿يَسْ وَالقرآن الحكيم إنك لمن المرسلين﴾.

باب

قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام: ومن خصائصه أن الله كلم موسى بالطور وبالوادي المقدس، وكلم نبينا ﷺ عند سدره المنتهى، وجمع له بين الكلام والرؤية وبين الخلة والمحبة.

باب

ومن خصائصه ﷺ: أن الله تعالى كلمه بأنواع الوحي وهي ثلاثة: الرؤيا الصادقة، والكلام بغير واسطة، والتكليم بواسطة جبريل.

باب

ومن خصائصه ﷺ: النصر بالرعب مسيرة شهر أمامه وشهر خلفه، وإيتاؤه جوامع الكلم، ومفاتيح خزائن الأرض، وعلم كل شيء إلا الخمس والروح أيضاً، ويُنن له أمر الدجال، ما لم يبين لنبي قبله، وتسميته أحمد، وهبوط إسرافيل عليه.

٥١٠ - عن علي قال: قال رسول الله ﷺ: «أعطيت ما لم يعط أحد من الأنبياء: نصرت بالرعب، وأعطيت مفاتيح الأرض، وسميت أحمد، وجعل لي التراب طهوراً وجعلت أمتي خير الأمم».

٥١٠ - رواه أحمد ٩٨/١، ١٥٨ من طريقين عن عبدالله بن محمد بن عقيل وسنده حسن صحيح.

٥١٠ - مفاتيح الأرض: ملكها كما يشير إلى ذلك أبو هريرة في حديثه الآتي بعد حديث.

٥١١ - وعن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «فُضِّلْتُ على الأنبياء بست: أعطيت جوامع الكلم، ونصرت بالرعب؛ وأحلت لي الغنائم، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، وأرسلت إلى الخلق كافة، وختم بي النبيون».

٥١٢ - وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «نصرت بالرعب، وأعطيت جوامع الكلم، وبيننا أنا نائم إذ جيء بمفاتيح خزائن الأرض فوضعت بين يدي».

قال أبو هريرة: فقد ذهب رسول الله ﷺ وأنتم تنتثلونها. قال ابن شهاب: بلغني أن جوامع الكلم أن الله تعالى يجمع له الأمور الكثيرة التي كانت تكتب في الوحي قبله في الأمر الواحد والأميرين أو نحو ذلك.

٥١٣ - وعن ابن عمر عن النبي ﷺ قال: «أوتيت مفاتيح كل شيء إلا الخمس: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ الآية».

٥١١ - رواه مسلم في أول كتاب المساجد ٥/٥ من شرح النووي.
٥١٢ - رواه البخاري في التعبير ٥٨/١٦ من فتح الباري، باب المفاتيح في اليد، وكذا رواه في الاعتصام، ومسلم في المساجد ٥/٥ من شرح النووي.
٥١٣ - رواه أحمد ٨٥/٢، ٨٦ بسند صحيح وأصله في البخاري في الاستسقاء وفي التعبير.

٥١١ - جوامع الكلم: هو ما كانت ألفاظه قليلة ومعانيه كثيرة.

٥١٢ - تنتثلونها: أي تستخرجونها أي الأموال وزهرة الدنيا.

٥١٤ - وعن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: «ما بُعث نبي إلا حذّر أمته الدجال وإني قد بينّ لي في أمره ما لم يبين لأحد، إنه أعور وإنّ ربكم ليس بأعور».

باب

قال ابن سبع: من خصائصه أنه كان يبيت جائعاً ويصبح طاعماً، وأنه لم يكن أحد يغلبه بالقوة.

باب

ومنها اختصاصه ﷺ بشرح الصدر ووضع الوزر ورفع الذكر، وهو اقتران اسمه باسم الله تعالى، وبوعده بالمغفرة وهو يمشي حياً صحيحاً وبأنه حبيب الرحمن، وسيد ولد آدم، وأكرم الخلق على الله، فهو أفضل من سائر المرسلين والملائكة، وعُرض أمته عليه بأسرهم حتى رأهم، وعُرض عليه ما هو كائن في أمته حتى تقوم الساعة، وخصّ بالفاتحة وآية الكرسي وخواتم سورة البقرة والمفصل والسبع الطوال.

قال تعالى: ﴿ألم نشرح لك صدرك، ووضعنا عنك وزرك، الذي أنقض ظهرك، ورفعنا لك ذكرك﴾.

وقال تعالى: ﴿ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر﴾.

وقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام: من خصائصه: أن الله أخبره بالمغفرة، ولم ينقل أنه أخبر أحداً من الأنبياء بمثل ذلك، بل الظاهر أنه لم يخبرهم بدليل قولهم في الموقف: نفسي نفسي.

٥١٤ - رواه أحمد والبخاري ومسلم وغيرهم.

وقال ابن كثير في تفسيره في آية الفتح: هذا من خصائصه ﷺ لا يشاركه فيها غيره.

٥١٥ - وعن حذيفة أن النبي ﷺ قال: «أعطيت هذه الآيات من آخر سورة البقرة من كنز تحت العرش لم يعطها نبي قبلي».

٥١٦ - وعن ابن عباس أن النبي ﷺ أتاه ملك فقال: «أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك: فاتحة الكتاب، وخواتيم سورة البقرة».

٥١٧ - وعن وائلة بن الأسقع قال: قال رسول الله ﷺ: «أعطيت مكان التوراة السبع الطوال، ومكان الزبور المثين، ومكان الإنجيل المثاني، وفضلت بالمفصل».

باب

قال أبو نعيم: ومن خصائصه التفرقة بينه وبين الأنبياء في الخطاب.

٥١٥ - رواه أحمد ٥٨٣/٥ وعن أبي ذر. رواه أحمد أيضاً ١٥١/٥، ١٨١ وكلاهما صحيح.

٥١٦ - رواه مسلم في فضائل القرآن ٩١/٦ من شرح النووي.

٥١٧ - رواه الطيالسي رقم ١٩١٨، ومن طريقه أحمد ١٠٧/٤، وسنده حسن، وهو صحيح لغيره.

٥١٥ - الله أعلم بصفة هذا الكنز، فحسبنا التصديق به وكفى، وفيه فضل خواتيم البقرة وشرفها على غيرها من باقي القرآن، وفي ذلك دليل على أن في القرآن فاضلاً وأفضل.

٥١٦، ٥١٧ - الطوال: أولها البقرة وآخرها براءة. والمثين: ما كان فيها مائة آية، والمثاني: قيل هي ما عدا السبع الطوال، والمفصل أوله الحجرات وآخره سورة الناس. وقيل غير ذلك وفيه الطوال والقصار.

فإن الله تعالى قال لداود: ﴿ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله﴾، وقال لنبينا ﷺ: ﴿وما ينطق عن الهوى﴾ منزهاً له عن ذلك بعد الإقسام عليه.

وقال عن موسى: ﴿ففررتُ منكم لَمَّا خفتكم﴾، وقال عن نبينا ﷺ: ﴿وإذ يمكر بك الذين كفروا﴾ الآية فكنى عن خروجه وهجرته بأحسن العبارات، وكذا نسب الإخراج إلى عدوه في قوله: ﴿إذ أخرجهم الذين كفروا﴾ وفي قوله: ﴿من قرينك التي أخرجتك﴾.

باب

ومن خصائصه ﷺ: أن الله فرض على من ناجاه أن يقدم بين يدي نجواه صدقة، ولم يعهد ذلك لأحد من الأنبياء.

قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة﴾^(١).

باب

قال أبو نعيم: ومن خصائصه ﷺ: أن الله قرن اسمه باسمه في كتابه عند ذكر طاعته ومعصيته وفرائضه وأحكامه ووعدته، تشريراً وتعظيماً.

فقال تعالى: ﴿وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول﴾، ﴿وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين﴾، ﴿ويطيعون الله ورسوله﴾، ﴿إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله﴾، ﴿براءة من الله ورسوله﴾، ﴿وأذان من الله ورسوله﴾،

(١) لكن هذا الحكم قد نسخ عقب مشروعيته ولم يعمل به أحد سوى الإمام علي رضي الله تعالى عنه.

﴿استجيبوا لله وللرسول﴾ ، ﴿ومن يعص الله ورسوله﴾ ، ﴿ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة﴾ ، ﴿فإنَّ الله خمسُه وللرسول﴾ ، ﴿فردوه إلى الله والرسول﴾ ، ﴿ما آتاهم الله ورسوله﴾ ، ﴿سيؤتينا الله من فضله ورسوله﴾ ، ﴿أغناهم الله ورسوله من فضله﴾ ، ﴿كذبوا الله ورسوله﴾ ، ﴿أنعم الله عليه وأنعمت عليه﴾ .

باب

ومن خصائصه ﷺ أن الله تعالى ذكره في كتابه الكريم عضواً عضواً .

فقال تعالى في وجهه : ﴿قد نرى تقلب وجهك في السماء﴾ .

وقال في عينيه : ﴿ولا تمدنْ عينيك﴾ .

وفي لسانه : ﴿فإنما يسرناه بلسانك﴾ .

وفي يده وعنقه : ﴿ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك﴾ .

وفي صدره وظهره : ﴿ألم نشرح لك صدرك ووضعنا عنك وزرك الذي أنقض ظهرك﴾ .

وفي قلبه : ﴿نزله على قلبك﴾ .

وفي خلقه : ﴿وإنك لعلیٰ خلقٍ عظیمٍ﴾ .

باب

ومن خصائصه ﷺ تحريم التكني بكنيته، ولم يثبت ذلك لأحد من الأنبياء .

٥١٨ - عن أبي هريرة قال: «نهى رسول الله ﷺ أن يجمع بين اسمه وكنيته ويسمى محمداً أبا القاسم».

٥١٩ - وعن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «تسمّوا باسمي ولا تكنوا بكنيتي».

باب

ومن خصائصه ﷺ فيما ذكره غير واحد جواز الإقسام به على الله عز وجل.

٥٢٠ - فعن عثمان بن حنيف أن رجلاً ضريراً أتى النبي ﷺ فقال: ادعُ الله تعالى أن يعافيني، قال: «إن شئت أخرت ذلك وهو خير لك، وإن شئت دعوت الله». قال: فادعه، فأمره أن يتوضأ فيحسن الوضوء ويصلي ركعتين ويدعو بهذا الدعاء: «اللهم إني أسألك وأتوجه إليك

٥١٨ - رواه الترمذي في الأدب رقم ٢٦٤٤ وكذا أحمد، والبخاري في الأدب المفرد رقم ٨٤٤، وحسنه الترمذي وصححه.

٥١٩ - رواه البخاري في العلم وغيره، ومسلم في الأدب.

٥٢٠ - رواه أحمد ١٣٨/٤، من طرق، والترمذي في الدعوات ٣٣٤١،

والحاكم ٥١٩/١، ٥٢٦. وابن ماجه رقم ١٣٨٥، والبخاري في التاريخ، والطبراني في الصغير ١٨٣/١، ١٨٤ وغيرهم وسنده صحيح.

٥١٨ - وسبب ذلك أنه كان ماراً فسمع رجلاً ينادي: أبا القاسم، فالتفت صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فقال له: لم أعنك يا رسول الله فنهى عن ذلك، وقد رخص فيها لسيدنا علي رضي الله تعالى عنه كما جاء في سنن الترمذي وغيره. وانظر تفصيل هذه المسألة في كتاب «تحفة المودود» لابن القيم.

٥٢٠ - هذا الحديث يعرف بحديث الضرير، وقد أورده المحدثون وغيرهم في أبواب الأدعية =

بنبيك محمد نبي الرحمة، يا محمد إني أتوجه بك إلى ربي في حاجتي
هذه فيقضيها لي، اللهم شفعه فيّ، ففعل الرجل فقام وقد أبصر».

اختصاصه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بتفضيل بناته وزوجاته على سائر نساء العالمين وأن ثواب زوجاته وعقابهن مضاعف

قال تعالى: ﴿يا نساء النبي لستن كأحد من النساء﴾ الآية.
وقال تعالى: ﴿يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة﴾ الآيتين^(١).

ورواه الطبراني والبيهقي وغيرهما عن عثمان بن حنيف أيضاً بذكر قصة في أوله وهي أن رجلاً كان يختلف إلى عثمان بن عفان في حاجة له فكان عثمان لا يلتفت إليه ولا ينظر في حاجته فلقي ابن حنيف فشكى إليه ذلك، فقال له عثمان بن حنيف: إئت الميضاة فتوضأ، ثم إئت المسجد فصل ركعتين، ثم قل، فعلمه الدعاء، فصنع الرجل ذلك ثم أتى باب عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه فجاء البواب حتى أخذ بيده فأدخله على عثمان بن عفان فأجلسه معه على الطنفسة فقال: ما حاجتك، فذكر حاجته وقضاها له إلخ، وسنده صحيح وصححه بهذه القصة جماعة من الحفاظ كالحاكم والطبراني والمنذري والنووي وابن تيمية والهيثمي وابن حجر والسيوطي وغيرهم، لأن سند القصة وأصل الحديث واحد.

وتكلموا عليه في مؤلفات خاصة، وانظر في بيان معناه ما حققه العلامة الشوكاني في رسالة له خاصة، وفي «تحفة الذاكرين شرح الحصن الحصين» فراجعها، وإن شئت التوسع وتحقيق الحق في ذلك فاقرا «الرد المحكم المتين» للسيد عبدالله بن الصديق، وكذا شفاء السقام للإمام السبكي، وقرأ ذلك بإمعان وإنصاف.

(١) الفاحشة هي حيثما جاءت تطلق على الزنا، وفي الأصل كل ما عظم وتجاوز حده من كل

شيء.

واختلف في مضاعفة العذاب فقليل: عذابٌ في الدنيا وعذابٌ في الآخرة وغيرهن إذا عوقبن في الدنيا لم يعاقبن في الآخرة لأن الحدود كفارات، وكذا عذاب من قذفهن يضاعف في الدنيا فيجلد مائة وستين، وفي الشفا للقاضي عياض عن بعضهم: أن ذلك خاص بغير عائشة وأن قاذفها يقتل، وقيل: يقتل من قذف واحدة من سائرهن^(١). وسيأتي باب خاص ببناته ﷺ وآل بيته وزوجته.

اختصاصه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بتفضيل أصحابه على جميع العالمين سوى النبيين

وهذا أمر معلوم لثناء الله تعالى عليهم في القرآن وورود الأحاديث الكثيرة الصحيحة في فضائلهم.

باب

ومن خصائصه ﷺ: تفضيل بلديه على سائر البلاد، وبأن الدجال والطاعون لا يدخلانها ويفضل مسجده على سائر المساجد ما عدا المسجد الحرام، وبأن البقعة التي دفن فيها أفضل من سائر البقاع.

٥٢١ - فعن ابن الزبير قال: قال رسول الله ﷺ: «صلاة بمسجدي

٥٢١ - رواه أحمد ٥/٤ وابن حبان رقم ١٠٢٧ بإسناد صحيح، وعن أبي هريرة نحوه في البخاري ومسلم.

(١) كان حكم قاذفهن القتل لأن ذلك يرجع إلى تكذيب القرآن الذي برأ السيدة عائشة وزكى أخواتها البواقي وأثنى عليهن الثناء العطر رضي الله تعالى عنهن ونفعنا بمحبتهن.

٥٢١ - قوله في مسجدي هذا: قيل: أن هذا الفضل خاص بمسجده الأصلي الذي كان على =

هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه من المساجد إلا المسجد الحرام
وصلاة في المسجد الحرام أفضل من صلاة في مسجدي هذا بمائة
صلاة».

٥٢٢ - وعن عبدالله بن عدي أن رسول الله ﷺ قال لمكة: «والله
إنك لخير أرض الله وأحب أرض الله إلى الله ولولا أني أخرجت منك ما
خرجت».

٥٢٣ - وعن أنس أن النبي ﷺ قال: «ليس من بلد إلا سيطؤه
الدجال إلا مكة والمدينة».

وتقدم حديث أبي هريرة في باب رفع الحمى والوباء والطاعون عن
المدينة. إلخ.

وذكر العلماء أن محل الخلاف في التفضيل بين مكة والمدينة في
غير قبره ﷺ، أما هو فأفضل البقاع بالإجماع^(١).

٥٢٢ - رواه أحمد ٤/٣٠٥، والترمذي رقم ٣٦٨١، وابن حبان رقم ١٠٢٥،
وابن ماجه رقم ٣١٠٨ وحسنه الترمذي وصححه.

٥٢٣ - رواه البخاري في الحج باب حرمة المدينة، ومسلم في الفتن ٨٥/١٨
من شرح النووي مطولاً.

= عهده لقوله هذا، وقيل: يعم كلها زيد فيه، وما قيل في المسجد النبوي يقال في المسجد الحرام
وفضل الله واسع.

٥٢٢ - هذا نص في أن مكة أفضل البقاع على الإطلاق وأشرفها وأكرمها على الله.

٥٢٣ - في هذا مزية عظيمة لمكة والمدينة، حيث أنها سيحفظان من دخول الدجال لعنه الله.

(١) هذا كله مبني على فضل رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وعظم قدره ومكانته

عند الله وشرفه على كل الموجودات، فيكون الحال في التربة التي ضمت جسمه المقدس كذلك.

اختصاصه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم
بمجموع الصلوات الخمس ولم تجمع لأحد وبأنه
أول من صلى العشاء ولم يصلها نبي قبله

٥٢٤ - عن أبي موسى قال: أعتم النبي ﷺ ليلة بالعشاء حتى ابهار الليل ثم خرج فصلى فلما قضى صلاته قال لمن حضره: «أبشروا فإن من نعمة الله عليكم أنه ليس أحد من الناس يصلي هذه الساعة غيركم، أو قال: ما صلى هذه الساعة أحد غيركم».

٥٢٥ - وعن ابن مسعود قال: أخر النبي ﷺ صلاة العشاء ثم خرج إلى المسجد فإذا الناس ينتظرون الصلاة فقال: «أما إنه ليس من أهل هذه الأديان أحد يذكر الله هذه الساعة غيركم...».

٥٢٦ - وعن معاذ بن جبل قال: أبقينا النبي ﷺ في صلاة العتمة فأخر حتى ظن الظان أنه ليس بخارج والقائل منا يقول: صلى، فإننا لكذلك حتى خرج النبي ﷺ فقالوا له كما قالوا، فقال لهم: «اعتموا بهذه الصلاة فإنكم قد فضلتم بها على سائر الأمم، ولم تصلها أمة قبلكم».

٥٢٤ - رواه البخاري في المواقيت ومسلم في المساجد ١٤٠/٥ من شرح النووي.

٥٢٥ - رواه أحمد ٣٩٦/١ والنسائي في المواقيت بسند صحيح.

٥٢٦ - رواه أبو داود في الصلاة رقم ٤٢١ وابن شعبة في المصنف ٣٣١/١ بإسناد صحيح.

٥٢٤ - أعتم: أي دخل في العتمة وهي ظلمة الليل. أبهار: بسكون الباء وفتح الهاء، أي انتصف وبهرة كل شيء وسطه.

٥٢٥، ٥٢٦ - أبقينا: أي انتظرنا. اعتموا: أي فعلوها في وقت العتمة واشتداد الظلمة، ويؤخذ من الحديث مشروعية تأخير صلاة العشاء وفضل ذلك زيادة على ما فيها من خصوصية ومنقبة لهذه الأمة.

اختصاصه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم
بالجمعة والتأمين واستقبال الكعبة والصف في الصلاة
كصف الملائكة وتحية السلام

٥٢٧، ٥٢٨ - عن حذيفة وأبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال:
«أضلَّ اللهُ عن الجمعة من كان قبلنا، فكان لليهود يوم السبت، وكان
لنصارى يوم الأحد، فجاء الله بنا فهدانا ليوم الجمعة فجعل الجمعة
والسبت والأحد وكذلك هم تبع لنا يوم القيامة، نحن الآخرون من أهل
الدنيا والأولون يوم القيامة المقضي لهم قبل الخلائق».

٥٢٩ - وعن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «ما حسدتكم
اليهود على شيء ما حسدتكم على السلام والتأمين».

٥٣٠ - وعن حذيفة قال: قال رسول الله ﷺ: «فُضِّلْتُ على الناس

٥٢٧، ٥٢٨ - رواه مسلم ١٤٤/٦ من شرح النووي، والنسائي ٧٢/٣،
وابن ماجه رقم ١٠٨٣ كلهم في الجمعة.

٥٢٩ - رواه ابن ماجه رقم ٨٥٦ في الصلاة وأحمد ١٣٥/٦ بسند صحيح.

٥٣٠ - رواه أحمد ٣٨٣/٥ ومسلم في المساجد ٤/٥ من شرح النووي، وعزاه

الجلال لابن أبي شيبة وأبي نعيم فقط.

٥٢٧ - أضل: معناه صرفهم عنها ولم يوفقهم لها وفي ذلك مزية وخصيصة لنا والحمد لله.

٥٢٩ - السلام: أي تحية السلام، والتأمين يعني في الصلاة، وما حسدونا إلا لما يعلمون من

الفضل في ذلك.

٥٣٠ - هذا العدد لا مفهوم له فإنه قد أوتي من الخصائص ما لا يعد ولا يحصى وحسبك ما

هنا.

بثلاث: جعلت الأرض كلها لنا مسجداً، وجعلت تربتها لنا طهوراً، وجعلت صنفونا كصنوف الملائكة، وأوتيت هؤلاء الآيات من آخر سورة البقرة من كنز تحت العرش لم يعط منه أحد قبلي ولا يعطى منه أحد بعدي».

اختصاصه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بالصلاة في النعلين

٥٣١ - عن شداد بن أوس قال: قال رسول الله ﷺ: «خالفوا اليهود فإنهم لا يصلون في نعالهم ولا في خفافهم».

اختصاصه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بأن الندم لأتمته توبة

٥٣٢ - عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «الندم توبة».

٥٣١ - رواه أبو داود في الصلاة رقم ٦٥٢ والحاكم بسند صحيح.
٥٣٢ - رواه أحمد ١/٣٧٦، ٤٢٣، ٤٣٣ وابن ماجه رقم ٤٢٥٢ في الزهد
وسنده صحيح وله طرق.

٥٣١ - لولا ما ثبت أن النبي ﷺ صلى بغير نعله لكان هذا الحديث يدل على الوجوب.
٥٣٢ - الندم: هو غم وحزن وتحسر وأسف يحصل للإنسان ولذلك أثر يظهر على صاحبه.

باب

وُخِصَّ ﷺ بشهر رمضان وليلة القدر وبعيد الأضحى وبالسحور وتقديم الفطور في رمضان وباللحد في الدفن، وكان لأهل الكتاب الشق، ويوم عرفة صومه كفارة سنتين .

قال تعالى : ﴿شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان﴾ إ.خ .

وقال تعالى : ﴿إنا أنزلناه في ليلة القدر وما أدراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من ألف شهر﴾ إ.خ .

قال النووي في شرح المذهب: ليلة القدر مختصة بهذه الأمة زادها الله تعالى تشريفاً لم تكن لمن كان قبلنا .

٥٣٣ - وعن أنس قال: قدم رسول الله ﷺ المدينة ولهم يومان يلعبون فيهما فقال: «قد أبدلكم الله بهما خيراً منهما يوم الأضحى ويوم الفطر» .

٥٣٤ - وعن عمرو بن العاص عن النبي ﷺ قال: «فصل ما بين صيامنا وصيام أهل الكتاب أكلة السحر» .

٥٣٣ - رواه أبو داود رقم ١١٣٤ ، والنسائي ١٤٦/٣ ، والحاكم ١٩٤/١ بسند صحيح وصححه الحاكم على شرط مسلم وأقره الذهبي .

٥٣٤ - رواه مسلم في الصيام ٢٠٧/٧ من شرح النووي .

٥٣٣ - يؤخذ من هذا أن أعياد الجاهلية يجب هجرانها ولا يجوز لنا مشاركتهم فيها فحسبنا أعيادنا الإسلامية .

٥٣٤ - فصل: (بالصاد) أي فرق ما بين صومنا وصومهم . والتسحر لأنه ليس في شرعهم ذلك .

٥٣٥ - وعن سهل بن سعد قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطور».

٥٣٦ - وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يزال هذا الدين ظاهراً ما عجل الناس الفطر إن اليهود والنصارى يؤخرون».

٥٣٧ - وعن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «اللحد لنا والشق لغيرنا».

٥٣٨ - وعن أبي قتادة أن النبي ﷺ سئل عن صوم يوم عاشوراء فقال: «يكفر السنة الماضية»، وسئل عن صوم يوم عرفة قال: «يكفر السنة الماضية والباقية».

-
- ٥٣٥ - رواه أحمد ٣٣١/٥ والبخاري ومسلم والترمذي رقم ٦١٩ وغيرهم.
- ٥٣٦ - رواه أبو داود رقم ٢٣٥٣ وابن ماجه رقم ١٦٩٨ كلاهما في الصيام بسند حسن صحيح، وصححه في الزوائد على شرط الشيخين.
- ٥٣٧ - رواه أبو داود رقم ٣٢٠٨، والنسائي ٦٦/٤، والترمذي ٩٣٠، وابن ماجه رقم ٥٥٤ في الجنائز وهو حسن لطرقه.
- ٥٣٨ - رواه مسلم ٥٠/٨، ٥١ من شرح النووي، وكذا باقي أهل السنن.

٥٣٥ - هو يدل على أن التمسك بالسنة من أسباب صلاح المجتمع الإسلامي وخيريته فإذا خالفوا خيّم عليهم الشر وفقد منهم الخير.

٥٣٦ - ولذلك لما خالف الناس هذه السنة ضعف الدين وخفيت معالمه ودرست آثاره ولم يبق إلا الأسامي.

٥٣٧ - اللحد: يكون في جانب الجدار والشق في وسط الحفيرة كما هي عادة أهل المغرب.

٥٣٨ - وفي صوم كل منها فضل عظيم فإن تكفير سنة أو سنتين من الذنوب ليس بالأمر الهين.

اختصاصه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم
بتحريم الكلام في الصلاة وإباحته في الصوم
على عكس ما كان فيمن قبلنا

٥٣٩ - عن زيد بن أرقم قال: (إن كنا لتكلم في الصلاة على عهد رسول الله ﷺ يكلم أحدنا صاحبه بحاجته حتى نزلت: ﴿حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين﴾ فأمرنا بالسكوت ونهينا عن الكلام).

وقال ابن العربي في شرح الترمذي: كان من قبلنا من الأمم صومهم الإمساك عن الكلام مع الطعام والشراب فكانوا في حرج فأرخص الله لهذه الأمة بحذف نصف زمانها وهو الليل وحذف نصف صومها وهو الإمساك عن الكلام ورخص لها فيه.

قال ابن كثير: المراد أنهم كانوا إذا صاموا في شريعتهم يحرم عليهم الطعام والكلام نصّاً على ذلك السدي وقتادة وعبدالرحمن بن زيد.

٥٣٩ - رواه البخاري في الصلاة وفي التفسير ٢٦٥/٩ من فتح الباري، وأبو داود والنسائي والترمذي في الصلاة رقم ٣٦٢، وكذا رواه هذا في التفسير رقم ٢٧٨٩.

٥٣٩ - الصلاة الوسطى هي صلاة العصر باتفاق المحدثين ومعهم الشافعي وأحمد وداود، والقنوت هنا المراد به السكوت.

باب

ومن خصائصه ﷺ أن الله جعل أمته خير الأمم وآخر الأمم ويسرهم لحفظ كتابه في صدورهم واشتق لهم اسمين من أسمائه تعالى: المسلمين والمؤمنين وسمى دينهم الإسلام ولم يوصف بهذا الوصف إلا الأنبياء دون أممهم.

قال تعالى: ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس﴾.

وقال تعالى: ﴿ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر﴾.

وقال: ﴿هو سماءكم المسلمين من قبل﴾.

٥٤٠ - وعن معاوية بن حيدة أنه سمع النبي ﷺ يقول: في قوله

تعالى: ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس﴾: «أنكم تتمون سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله تعالى».

باب

ومن خصائصه ﷺ: أن الله تعالى وضع عن أمته الإصر الذي كان على الأمم قبلهم وأحل لهم كثيراً مما شُدُّد على من قبلهم ولم يجعل عليهم في الدين من حرج، ورفع عنهم المؤاخذة بالخطأ والنسيان وما استكروها عليه وحديث النفس، وأن من همَّ منهم بسيئة لم تكتب سيئة

٥٤٠ - رواه أحمد ٣/٥، ٥، والترمذي رقم ٢٨٠٣، وابن ماجه رقم ٤٢٨٨

وغيرهم بسند حسن.

٥٤٠ - وفي الآية والحديث منقبة هامة لمجموع هذه الأمة وإنها أشرف الأمم غير أن الخطاب موجه للصحابة ومن كان على شاكلتهم في الإيمان والدين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتمسك بالحق فإن هؤلاء هم الممثلون لهذه الأمة، جعلنا الله تعالى منهم بمنه وكرمه أمين.

بل تكتب حسنة، ومن همَّ بحسنة كتبت حسنة فإن عملها كتبت عشرًا، ووضع عنها قتل النفس في التوبة، وقرض موضع النجاسة، وربيع المال في الزكاة، وما دعوا به استجيب لهم، وشرع لهم التخيير بين القصاص والدية، ونكاح أربع، ورخص لهم في نكاح غير ملتهم، وفي مخالطة الحائض سوى الوطاء، وفي إتيان المرأة على أي شق شاء، وحرم عليهم كشف العورة والتصوير وشرب المسكر.

قال الله تعالى: ﴿ما جعل عليكم في الدين من حرج﴾ .
وقال تعالى: ﴿يريد بكم اليسر ولا يريد بكم العسر﴾ .
وقال عز وجل: ﴿ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا﴾ .

وقال تعالى: ﴿ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم﴾ .
وقال تعالى: ﴿وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداعي إذا دعاني﴾ .

٥٤١ - وعن ابن عباس قال: لما أنزلت هذه الآية: ﴿إن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله﴾ ، دخل في قلوبهم منه شيء لم يدخل من شيء فقالوا للنبي ﷺ فقال: «قولوا سمعنا وأطعنا وسلمنا» .
فألقى الله الإيمان في قلوبهم فأنزل الله تعالى: ﴿آمن الرسول...﴾ إلى آخر السورة.

٥٤١ - رواه مسلم ١٤٤/٢، ١٤٦ من شرح النووي في الإيمان، والترمذي في التفسير رقم ٢٧٩٤ .

٥٤١ - إن تبدوا: أي تظهروا فكان ظاهر هذه الآية شاقاً عليهم فخفف الله تعالى عنهم فسخها بما بعدها .

٥٤٢ - وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله تجاوز لي عن أمتي ما حدثت به أنفسها ما لم تتكلم أو تعمل به».

٥٤٣ - وعن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله عز وجل وضع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه».

٥٤٤ - وعن عبدالرحمن بن حسنة قال: انطلقت أنا وعمرو بن العاص إلى النبي ﷺ فخرج ومعه درقة، ثم استتر بها، ثم بال فقلنا: انظروا إليه يبول كما تبول المرأة فسمع ذلك فقال: «ألم تعلموا ما لقي صاحب بني إسرائيل كان إذا أصابهم البول قطعوا ما أصابه البول منهم فنهاهم فعذب في قبره».

٥٤٢ - رواه البخاري في الإيمان والنذور ٣٥٧/١٤، ٣٥٨ من فتح الباري، وفي الطلاق ٣١١/١١، ٣١٢ من فتح الباري، ومسلم في الإيمان ١٤٦/٢، ١٤٧ من شرح النووي وكذا الترمذي في الطلاق وفي التفسير وأبو داود وابن ماجه في الطلاق رقم ٢٠٤٤، وأحمد ٢٢٥/٢، ٣٩٣.

٥٤٣ - رواه ابن ماجه في الطلاق رقم ٢٠٤٥، وابن حبان رقم ١٤٩٨، والحاكم ١٩٨/٢ وهو حديث صحيح وله شواهد عن أبي ذر وأبي أمامة وغيرهما.

٥٤٤ - رواه أبو داود رقم ٢٢ واللفظ له، والنسائي ٢٨/١، وابن ماجه رقم ٣٤٦، وابن حبان رقم ١٣٩، والحاكم ١٨٤/١، والبيهقي ١٠١/١، ١٠٤ وسنده صحيح وصححه الحاكم على شرط البخاري ومسلم وأقره الذهبي.

٥٤٢ - تجاوز: أي عفا عنها. أنفُسُها: يصح رفع السين ونصبه، ومعناه: أن الله تعالى عفا عن الأمة ما خطر ببالها وتحدثت به في باطنها ما دامت لم تتكلم بذلك أو تعمل بمقتضاه.

٥٤٣ - الخطأ: أي ما صدر منهم من غير قصد ولا تعمد فيشمل العمل مع الاجتهاد والتأويل وغير ذلك. وما استكرهوا: أي ما فعلوه مكرهين مرغمين وهذا من رحمة الله بنا وعفوه.

٥٤٤ - درقة: بفتح الدال هو الترس وإنما عابا عليه البول من قعود، لأن عادة العرب في ذلك كانت من قيام فخالفهم عملاً بالأخلاق الكريمة، ولأن البول من قيام لا يؤمن معه رشاشه.

٥٤٥ - وعن أنس أن اليهود كانوا إذا حاضت المرأة فيهم لم يؤاكلوهن، ولم يجامعوهن في البيوت فسأل أصحاب النبي ﷺ النبي ﷺ فأنزل الله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هِيَ أَذَى﴾ الآية، فقال رسول الله ﷺ: «اصنعوا كل شيء إلا النكاح». فقال اليهود: ما يريد هذا الرجل أن يدع من أمرنا شيئاً إلا خالفنا فيه.

٥٤٦ - وعن ابن عباس قال: (كان أهل الكتاب لا يأتون النساء إلا على حرف وذلك أستر ما تكون المرأة، وكان هذا الحي من الأنصار قد أخذوا بذلك من فعلهم، وكان هذا الحي من قريش يشرحون النساء شرحاً منكراً ويتلذذون منهن مقبلات ومدبرات ومستلقيات، فلما قدم المهاجرون المدينة تزوج رجل منهم امرأة من الأنصار فذهب يصنع بها ذلك فأنكرته عليه وقالت: إنما كنا نؤتى على حرف فاصنع ذلك وإلا فاجتنبني حتى سرى أمرهما فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فأنزل الله عز وجل:

٥٤٥ - رواه أحمد، ومسلم ٢١١/٣، ٢١٢ من شرح النووي في الحيض، والترمذي في التفسير رقم ٢٧٨٠، والنسائي ١٥٣/١، وابن ماجه رقم ٦٤٤، والدارمي رقم ١٠٥٨ في الطهارة وغيرهم.

٥٤٦ - رواه أبو داود في النكاح رقم ٢١٦٤ بسند حسن وهو وإن كان فيه ابن إسحاق وقد عنعنه فإن للحديث شاهداً عن أم سلمة، رواه أحمد ٣٠٥/٦ مطولاً، والترمذي في التفسير رقم ٢٧٨٢ مختصراً وسنده صحيح وهو بنحو حديث ابن عباس.

٥٤٥ - كانوا يفعلون ذلك معها تعففاً منها وتقديراً لها، فخالفهم النبي ﷺ فأذن في مخالفتها ومؤاكلتها ومعاملتها مطلقاً ولم يمنع سوى الواقعة لأن موضع الواقعة قد طرأ عليه القدر والأذى.

٥٤٦ - حرف: أي جنب. لحي: هم الأوس والخزرج الذين سكنوا المدينة مع اليهود. يشرحون: يقال شرح فلان جاريته إذا وطئها نائمة على قفاها. سرى: أي كشف أمرها. حرث =

﴿نساؤكم حَرث لكم فاتوا حرثكم أنى شئتم﴾ أي مقبلات ومدبرات ومستلقيات يعني بذلك موضع الولد).

٥٤٧ - وعن ابن عباس قال: (كان في بني إسرائيل القصاص في القتلى ولم تكن فيهم الدية فقال الله تعالى لهذه الأمة: ﴿كتب عليكم القصاص في القتلى... فمن عُفِيَ له من أخيه شيء﴾ فالعفو أن يقبل الدية في العمد ذلك تخفيف من ربكم ورحمة مما كتب على من كان قبلكم).
٥٤٨ - وعن أنس أن النبي ﷺ قال: «لكل نبي رهبانية، ورهبانية هذه الأمة الجهاد في سبيل الله».

باب

ومن خصائصه ﷺ: أن أمته لا تهلك بجوع، ولا بغرق، ولا يعذبون بعذاب عُدْب به من قبلهم، ولا يسلط عليهم عدو من غيرهم

٥٤٧ - رواه البخاري في التفسير ٢٤٣/٩ من فتح الباري، وفي الديات ٢٢٨/١٥ واختصره المؤلف.

٥٤٨ - رواه أحمد ٢٦٦/٣ وهو وإن كان في سنده زيد العمى فإن له شاهداً حسناً عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ في وصية له لأبي سعيد وفيها: «وعليك بالجهاد فإنه رهبانية الإسلام». رواه أحمد ٨٢/٣ وفيه إسماعيل بن عياش لكنه روى هنا عن أهل بلده الشاميين وروايته عنم مستقيمة.

لکم: جعل الله عز وجل النساء كالأرض الزراعية المنتجة، فالحرثة إذا لا تكون إلا في موضع الانتاج وهو القُبل بضم القاف والباء.

٥٤٧ - معناه أن بني إسرائيل كان الواحد منهم إذا قتل شخصاً قُتل به ولا تقبل منه دية ولا عفو فحُفَّت الله عن هذه الأمة فجعل لها القصاص، أي القتل والمؤاخذه بالمثل أو الدية أو العفو.
٥٤٨ - رهبانية: الرهبانية هي الانقطاع للتعبد وكان ذلك سائداً في بني إسرائيل.

فيستبيح بيضتهم، ولا تجتمع على ضلالة، ونشأ من ذلك أن إجماعهم حجة.

٥٤٩ - فعن ثوبان قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن ملك أمتي سيبلغ ما زوى لي منها وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض، وأني سألت ربي لأمتي أن لا يهلكها بسنة عامة ولا يسلب عليهم عدواً من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم فأعطاني».

٥٥٠ - وعن سعد بن أبي وقاص أن رسول الله ﷺ أقبل ذات يوم من العالية إلينا فقال ﷺ: «سألت ربي ثلاثاً فأعطاني اثنتين ومنعني واحدة. سألت ربي أن لا يهلك أمتي بالسنة فأعطانيها، وسألته أن لا يهلك أمتي بالفرق فأعطانيها، وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها».

٥٤٩ - رواه مسلم في الفتن ١٣/١٨، ١٤ من شرح النووي.

٥٥٠ - رواه مسلم في الفتن أيضاً ١٤/١٨، ١٥ من شرح النووي وللحديث

طرق وشواهد كثيرة.

٥٤٩ - زوى: أي جمع لي الأرض كلها. الكنزين: أي الذهب والفضة والمراد بذلك كنزا كسرى وقبصر ملكي فارس والروم، ففيه كما قال العلماء: إشارة إلى أن ملك هذه الأمة سيكون معظمه في جهتي المشرق والمغرب كما وقع أما في جهة الجنوب والشمال فقليل. بيضتهم: أي جماعتهم وأصلهم.

٥٥٠ - بالسنة: أي الجذب والقحط وحتى إذا حصل ذلك يكون في ناحية دون أخرى.

بالفرق: أي فيفنيها جمعاء كما وقع لقوم نوح وفرعون وقومه، أما إغراق البعض منها فقد يحصل كما هو الواقع. بأسهم: البأس: الشدة والحرب وهو ضد النعمة، وقد وقع ما منعه (بالبناء للمجهول) ﷺ، فالأمة متفرقة متحزبة متقاتلة لا تنفك عن الحروب والمعارك فيما بينها تنفيذاً لما سبق من قضاء الله عز وجل.

٥٥١ - وعن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يجمع الله أمتي على ضلالة أبداً ويُدُّ الله على الجماعة».

باب

٥٥٢ - عن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «أَيُّمَا مُسْلِمٍ يَشْهَدُ لَهُ أَرْبَعَةٌ بِخَيْرٍ أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ، فَقَلْنَا: وَثَلَاثَةٌ، قَالَ: وَثَلَاثَةٌ، فَقَلْنَا: وَاثْنَانٌ، قَالَ: وَاثْنَانٌ، ثُمَّ لَمْ نَسْأَلْهُ عَنِ الْوَاحِدِ».

اختصاصه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بأن الطاعون رحمة وشهادة لأُمَّته وكان عذاباً على من قبلها

٥٥٣ - عن أسامة بن زيد قال: قال رسول الله ﷺ: «الطاعون رجس أرسل على طائفة من بني إسرائيل وعلى من كان قبلكم».

٥٥١ - رواه الترمذي في الفتن رقم ١٩٩٥، والحاكم في العلم ١١٦/١ واللفظ له، وسنده صحيح وله شواهد ذكرت بعضها في تهذيب جامع الترمذي.

٥٥٢ - رواه البخاري ومسلم والترمذي رقم ٩٤٣ في الجنائز، والطيالسي رقم ٨٩٩ وأحمد وغيرهم.

٥٥٣ - رواه البخاري في بني إسرائيل ومسلم في الطب.

٥٥١ - ومعناه أن الأمة لا تتفق جميعها على الضلالة، بل لا بد وأن يوجد فيها من هو متمسك بالحق، ويحتمل أن يكون معناه أن علماءها وقائديها في الدين لا يتفقون على شيء يخالف الحق فيكون فيه حجة لإجماعها.

٥٥٢ - بشرط أن يكون الشهود عدولاً، لأن شهادة الفاسق لا قيمة لها وإن بلغ الألف منه.

٥٥٣ - رجس: ويقال رجز، بالزاي، أي عذاب.

٥٥٤ - وعن عائشة قالت: «سألت رسول الله ﷺ عن الطاعون، فأخبرني أنه عذاب يبعثه الله على من يشاء، وأن الله جعله رحمةً للمؤمنين ليس أحد يقع الطاعون فيمكث في بلده صابراً محتسباً يعلم أنه لا يصيبه إلا ما كتب الله له كان له مثل أجر شهيد».

اختصاصه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بأن من أتمته
من يصلي بعيسى بن مريم وأن منهم من يجري مجرى
الملائكة في الاستغناء عن الطعام بالتسبيح

٥٥٥ - فعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم».

٥٥٦ - وعن عائشة أن رسول الله ﷺ ذكر جهاداً بين يدي الدجال فقالوا: أي المال خير يومئذ؟ قال: «غلام شديد يسقي أهله الماء، أما الطعام فليس»، قالوا: فما طعام المؤمنين يومئذ، قال: «التسبيح والتكبير والتهليل»، قالت عائشة: فأين العرب يومئذ؟ قال: «العرب يومئذ قليل».

٥٥٤ - رواه البخاري في الطب والمرض ٣٠١/١٢، ٣٠٢ من فتح الباري.

٥٥٥ - رواه البخاري في كتاب الأنبياء ٣٠٤/٧ من فتح الباري.

٥٥٦ - رواه أحمد ٧٥/٦، ٧٦، ١٢٥ بسند حسن وله شاهد من أساء بنت

يزيد. رواه أحمد ٤٥٣/٦، ٤٥٤، بسند حسن، وفيه: «يكفي المؤمنين عن الطعام والشراب يومئذ التكبير والتسبيح والتحميد».

٥٥٤ - محتسباً: أي طالباً ذلك لوجه الله تعالى، وفيه بشارة لمن يموت بالطاعون بأن له الشهادة

لكن مع الشروط المذكورة في الحديث بأن يمكث في بلده ويصبر ويحتسب ذلك، ويتيقن أنه لا يصيبه إلا ما كتب الله له، والطاعون تقدم في الحديث أنه ضرب الجن.

٥٥٥ - يقال إن هذا الإمام هو المهدي المنتظر خروجه، فالله أعلم.

٥٥٦ - ففي هذا آية لهم حيث إنهم سيكفون عن الطعام بذكر الله عز وجل والثناء عليه، وأما =

باب

ومن خصائصه ﷺ: أن أمة أقل أعمالاً من الأمم السابقة وأكثر أجراً.

٥٥٧ - فعن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «إنما بقاؤكم فيما سلف قبلكم من الأمم كما بين صلاة العصر إلى غروب الشمس أوتي أهل التوراة التوراة فعملوا بها حتى إذا انتصف النهار عجزوا فأعطوا قيراطاً، ثم أوتي أهل الإنجيل الإنجيل فعملوا إلى صلاة العصر ثم عجزوا فأعطوا قيراطاً، ثم أوتينا القرآن فعملنا إلى غروب الشمس فأعطينا قيراطين قيراطين فقال أهل الكتابين: أي ربنا أعطيت هؤلاء قيراطين قيراطين، وأعطينا قيراطاً قيراطاً ونحن كنا أكثر عملاً، قال الله تعالى: هل ظلمتكم من أجركم من شيء، قالوا: لا. قال: فهو فضلي أوتيته من أشاء».

٥٥٧ - رواه البخاري في المواقيت، وفي الإجارة وفي أحاديث الأنبياء، وفي فضائل القرآن وفي التوحيد، والترمذي في الأدب رقم ٢٦٧٧ وأحمد ٦/٢، ١١١، ١٢١، ١٢٩ وغيرهم.

= قوله: «العرب يومئذ قليل» فهو كذلك بالنسبة لغيرهم فهي هم اليوم لا يبلغون تسع باقي المسلمين، فكيف بغيرهم من الكفار.

٥٥٧ - الحديث ظاهر في تفضيل الأمة المحمدية على من سبقها وأن الله سيضاعف لها أجرها دون غيرها.

باب اختصاصه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم
بأنه أول من تنشق عنه الأرض وأول من يفيق من الصعقة
وبأنه سيكسى في الموقف حلة من حلل الجنة
ومقامه عن يمين العرش

٥٥٨ - عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من تنشق عنه الأرض، وأول شافع وأول مشفع».

٥٥٩ - وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الناس يصعقون فأكون أول من يفيق».

٥٦٠ - وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا أول من تنشق عنه الأرض فأكسى الحلة من حلل الجنة، ثم أقوم عن يمين العرش ليس أحد من الخلائق يقوم ذلك المقام غيري».

٥٥٨ - رواه مسلم في الفضائل ٣٧/١٥ من شرح النووي.

٥٥٩ - رواه البخاري في الأنبياء ٢٥٤/٧ من فتح الباري، ومسلم في الفضائل مطولاً ١٣٠/١٥ من شرح النووي.

٥٦٠ - رواه الترمذي في المناقب رقم ٣٣٧٩ وحسنه وصححه.

٥٥٨ - تنشق: يعني أول من يقوم من قبره ويبعث وأول من يشفع وأول من يشفعه الله.

٥٥٩ - يصعقون: أي يغشى عليهم ويموتون. يُفَيِّق: بضم الياء، أي أول من يرجع إلى حالته ويستيقظ.

٥٦٠ - الحلة: بضم الحاء هي عند العرب إزار ورداء، وفي الحديث خصيصة هامة له وهي قيامه عن يمين العرش.

باب

ومن خصائصه ﷺ: أن الله أعطاه المقام المحمود، وجعل بيده لواء الحمد، وأن آدم فمن سواه تحت لوائه، وأنه إمام النبيين يومئذ، وأنه أول شافع وأول مشفع، وأول من ينظر إلى الله تعالى، وأول من يؤمر له بالسجود، وأول من يرفع رأسه، ولا يطلب منه شهيد على التبليغ ويطلب من سائر الأنبياء، وأعطاه الشفاعة العظمى في فصل القضاء، وأعطاه الشفاعة في إدخال قوم الجنة بغير حساب، والشفاعة فيمن استحق النار من الموحدين أن لا يدخلها، والشفاعة في رفع درجات ناس في الجنة، والشفاعة فيمن خلد من الكفار في النار أن يخفف عنهم العذاب.

قال الله تعالى: ﴿عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً﴾.

٥٦١ - وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «أنا سيد الناس يوم القيامة، وهل تدرون مم ذلك، يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد يسمعهم الداعي وينفذهم البصر وتدنوا الشمس فيبلغ الناس من الهم والكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون فيقول بعض الناس لبعض: ألا ترون إلى ما أنتم فيه، ألا ترون إلى ما قد بلغكم، ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم؟ فيقول الناس بعضهم لبعض: أبوكم آدم.

٥٦١ - رواه أحمد ٤٣٥/٢، ٤٣٦، والبخاري في التفسير وغيره ومسلم في الإيمان ٦٥/٣، ٦٩، ٧١ من شرح النووي، وفي الزهد، والترمذي في القيامة والزهد رقم ٢٢٥١ وغيرهم.

٥٦١ - سيد: السيد هو الذي يفوق أقرانه وأهل عصره في علم أو شرف أو مكارم ولا شك، أنه فاق كل خلق الله. يُسمعهم: بضم الياء، أي يسمعون من يناديهم. وَيُنْفِذُهُمْ: بفتح الياء وضم =

فيأتون آدم، فيقولون: يا آدم أنت أبو البشر، خلقتك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأمر الملائكة فسجدوا لك، فاشفع لنا إلى ربك ألا ترى إلى ما نحن فيه، ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول آدم: إنَّ ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله، وأنه نهاني عن الشجرة فعصيت، نفسي، نفسي، اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى نوح.

فيأتون نوحاً فيقولون: يا نوح أنت أول الرسل إلى أهل الأرض، وسمَّك الله عبداً شكوراً، فاشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه، ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول نوح: إنَّ ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله، وإنه كانت لي دعوة دعوتها على قومي، نفسي، نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى إبراهيم.

فيأتون إبراهيم فيقولون: يا إبراهيم أنت نبي الله وخليله من أهل الأرض، ألا ترى ما نحن فيه، ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول: إنَّ ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله، فذكر كذباته، نفسي، نفسي، اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى موسى.

فيأتون موسى فيقولون: يا موسى أنت رسولُ الله اصطفاك الله برسالته وبتكليمه على الناس، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه، ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول: إنَّ ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب

= الفاء، أي يبلغهم ويجاوزهم. تدنو: أي تقرب. أبو البشر: فيه رد على فكرة داروين الملعون القائل بأن الإنسان أصله قرد وليس بابن لآدم عليه السلام. أول الرسل: معناه أولهم بعد عبادة الأصنام، وإلا فقد سبقه آدم وإدريس. كذباته: هي كذبات حسب الظاهر أما في الواقع فليست كذلك وهي قوله في سارة: أختي، وقوله: ﴿إني سقيم﴾ وقوله: ﴿بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم﴾. اصطفاك: =

قبله مثله ولن يغضب بعده مثله، وإني قتلت نفساً لم أوامر بقتلها، نفسي، نفسي، إذهبوا إلى غيري إذهبوا إلى عيسى .

فيأتون عيسى فيقولون: يا عيسى، أنت رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، وكلمت الناس في المهد، فاشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه ألا ترى ما قد بلغنا، فيقول لهم: إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله، ولم يذكر ذنباً، إذهبوا إلى غيري، إذهبوا إلى محمد .

فيأتون فيقولون: يا محمد أنت رسول الله وخاتم النبيين، غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، فاشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما قد بلغنا، ألا ترى ما نحن فيه؟ فأقوم فأتي تحت العرش، فأقع ساجداً لربي يفتح الله تعالى عليّ ويلهمني من محامده وحسن الثناء عليه ما لم يفتحه على أحد قبلي . فيقال: يا محمد ارفع رأسك سلّ تعطّ إشفع تشفّع فيقول: يا رب أمتي، أمتي، يا رب أمتي أمتي، يا رب أمتي أمتي، فيقال: يا محمد أدخل من أمتك من لا حساب عليه من الباب الأيمن من أبواب الجنة وهم شركاء الناس، فيما سواه من الأبواب، ثم قال: والذي نفس محمد بيده لما بين مصراعين من مصاريع الجنة لكما بين مكة وهجر أو كما بين مكة وبصرى» .

= أي اختارك . قتلت: قال تعالى: ﴿فوكزه موسى فقضى عليه﴾ . ولم يكن قتله عن عمد، ثم إن القتل كان عارياً قبطياً فهو مهدر الدم، لكن مقام النبوة يقتضي هذا وأكثر، فهم أشد الناس خوفاً من الله عز وجل . وكلمته: أي قوله: ﴿كن فيكون﴾ في المهد: أي في الفراش . من لا حساب عليه: هذا يقتضي أنه هناك من الأمة من لا يحاسبه الله . مصاريع: جمع مصراع بكسر الميم هي دفة الباب وغلقته .

٥٦٢ - وعن أنس نحوه وفيه: «فيأتونني فأقوم فأمشي بين سماطين من المؤمنين حتى أستأذن على ربي فإذا رأيت ربي وقعت له ساجداً، فيدعني ما شاء الله أن يدعني، ثم يقال: إرفع رأسك، قل تسمع، واشفع تشفع، وسل تعطه، فأرفع رأسي فأحمده بتحميد يعلمنيه، ثم أشفع فيحد لي حداً فأدخلهم الجنة.

ثم أعود إليه الثانية، فإذا رأيت ربي وقعت له ساجداً، فيدعني ما شاء الله أن يدعني، ثم يقول: ارفع محمد قل تسمع وسل تعطه واشفع تشفع، فأرفع رأسي فأحمده بتحميد يعلمنيه، ثم أشفع فيحد لي حداً فأدخلهم الجنة.

ثم أعود الثالثة، فإذا رأيت ربي وقعت له ساجداً، فيدعني ما شاء الله أن يدعني، ثم يقال: إرفع محمد، قل تسمع وسل تعطه واشفع تشفع، فأرفع رأسي فأحمده بتحميد يعلمنيه، ثم أشفع فيحد لي حداً فأدخلهم الجنة، فأعود الرابعة فأقول: يا رب ما بقي إلا من حبسه القرآن.

قال النبي ﷺ: فيخرج من النار من قال: لا إله إلا الله، وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة، ثم يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله، وكان في قلبه من الخير ما يزن برة، ثم يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله، وكان في قلبه من الخير ما يزن ذرة».

٥٦٢ - رواه البخاري ومسلم في الإيمان ٢٣/٣، ٦٤ من شرح النووي.

٥٦٢ - سماطين: بكسر السين، تشنية سماط وهو الصف. حبسه: أي من وجب عليه الخلود.

٥٦٣ - وعنه أن النبي ﷺ قال: «إني لقاتم أنتظر متى يُعبر الصراط إذ جاءني عيسى، فقال: هذه الأنبياء يا محمد، وقد جاءتك يا محمد يسألونك ويدعون الله أن يفرق بين جميع الأمم إلى حيث يشاء الله لغمّ ما هم فيه، فالخلق ملجمون بالعرق، فأما المؤمن فهو عليه كالزكمة، وأما الكافر فيغشاه الموت، فقال: انتظر حتى أرجع إليك فذهب النبي ﷺ فقام تحت العرش فلقي ما لم يلق مَلَكٌ مصطفى ولا نبي مرسل، فأوحى الله إلى جبريل أن اذهب إلى محمد وقل له: إرفع رأسك، سل تعطه واشفع تشفع، فشفعت في أمّتي أن أخرج من كل تسعة وتسعين إنساناً واحداً، فما زلت أتردد إلى ربي فلا أقوم منه مقاماً إلا شفعت حتى أعطاني الله من ذلك أن قال يا محمد: أدخل من أمّتك من خلق الله تعالى من شهد أن لا إله إلا الله يوماً واحداً مخلصاً ومات على ذلك».

٥٦٤ - وعن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «إنه لم يكن نبي إلا له دعوة قد تنجزها في الدنيا، وإني قد اختبأت دعوتي شفاعة

٥٦٣ - رواه أحمد ١٧٨/٣ بسند صحيح على شرط مسلم.

٥٦٤ - رواه أحمد ٢٨١/١ بسند حسن، وابن جدعان لا يضر هنا، فإن

للحديث شواهد.

٥٦٣ - يُعبر: بضم الياء وفتح الباء، أي يمر عليه. هذه الأنبياء: في هذا أن الأنبياء هم الذين يأتونه، وفي ما سبق خلافه، ولا مانع من مجيئهم مع أممهم لأن المقام عظيم والموقف خطير. مُلجمون: بضم اليمين، أي يصير العرق إلى أفواههم فيصير لهم بمنزلة اللجام ويمنعهم عن الكلام. كالزكمة: هي الزكام وهو تحلب لالتهاب في غشاء المنخرين. فيغشاه: أي فيعلوه ويصيبه. من شهد: إلخ: هذا يدل على فضل كبير لشهادة الإخلاص، وفيه دليل على صحة إيمان تارك الصلاة وغيره من أهل المعاصي وتاركي الأعمال الصالحة، وفيه حجة لأهل السنة القائلين: أن الأعمال شرط كمال للإيمان لا شرط صحة كما يقول بعض الفرق الإسلامية.

٥٦٤ - تنجزها: أي قد قضاها. اختبأت: إلخ: أي سترت وأخترت دعوتي ليوم القيامة. =

لأمتي ، وأنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر، وأنا أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر، بيدي لواء الحمد ولا فخر، آدم فمن دونه تحت لوائي ولا فخر، يطول يوم القيامة على الناس فيقول بعضهم لبعض: انطلقوا بنا إلى آدم فذكر الحديث بنحو ما تقدم، وفيه: فأقول: أنا لها حتى يأذن الله لمن يشاء ويرضى فإذا أراد الله أن يصدع بين خلقه نادي منادٍ: أين أحمد وأمته فنحن الآخرون الأولون، نحن آخر الأمم وأول من يحاسب، فتفرج لنا الأمم عن طريقنا فمشي غراً محجلين من أثر الطهور فتقول الأمم: كادت هذه الأمة أن تكون أنبياء كلها فنأتي باب الجنة فأخذ بحلقة الباب فأقرع الباب، فيقال: من أنت؟ فأقول: أنا محمد، فأتي ربي عز وجل على كرسيه فأختر له ساجداً فأحمده بمحامد لم يحمده بها أحد كان قبلي وليس يحمده بها أحد بعدي، فيقال: يا محمد ارفع رأسك. . . » الحديث.

٥٦٥ - وعن ابن عمر قال: (إنَّ الناس يصيرون يوم القيامة جثاء كل أمة تتبع نبيها يقولون: يا فلان اشفع لنا، يا فلان اشفع لنا، حتى تنتهي الشفاعة إلى النبي ﷺ فذلك يوم يبعثه مقاماً محموداً).

٥٦٦ - وعنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الشمس تدنو

٥٦٥ - رواه البخاري في التفسير ١٤/١٠ من فتح الباري باب ﴿عسى أن يبعثك ربك﴾.

٥٦٦ - رواه البخاري في الزكاة باب من سأل الناس تكثراً ٨١/٤، ٨٢ من فتح الباري.

= يصدع: أي يتكلم ويقضي بين عباده. فتفرج: أي تفتح لنا عن الطريق. غراً محجلين: أي لنا نور في مواضع الوضوء من أعضائنا. على كرسيه: هذا يجب الإيمان به ولا يفسر ولا يكيف.
٥٦٥ - جثاء: أي جماعة.

يوم القيامة حتى يبلغ العرق نصف الأذن، فبينما هم كذلك استغاثوا بآدم ثم بموسى ثم بمحمد ﷺ فيشفع ليقضي بين الخلق، فيمشي حتى يأخذ بحلقة الباب، فيومئذ يبعثه الله مقاماً محموداً يحمدُه أهل الجمع كلهم» .

٥٦٧، ٥٦٨ - وعن أبي موسى، ومعاذ بن جبل قالاً: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ ربي خيرني بين أن يدخل نصف أمتي الجنة أو شفاعة فاخترت لهم الشفاعة وعلمت أنها أوسع لهم وهي لمن مات لا يشرك بالله شيئاً» .

٥٦٩ - وعن أبي موسى قال: قال رسول الله ﷺ: «أعطيت خمساً: بُعثت إلى الأحمر والأسود، وجُعِلت لي الأرض طهوراً ومسجداً، وأُحِلَّت لي الغنائم ولم تحل لمن كان قبلي، ونُصرت بالرعب شهراً، وأُعطيت الشفاعة وليس من نبي إلا وقد سأل شفاعة، وإنِّي اختبأت شفاعتي لمن مات من أمتي لم يشرك بالله شيئاً» .

٥٦٧، ٥٦٨ - رواه أحمد ٤/٤٠٤، ٤١٥، وابن ماجه رقم ٤٣١١ بسند صحيح، وله شاهد عن عوف بن مالك. رواه الترمذي في الزهد رقم ٢٢٥٨، وابن ماجه رقم ٤٣١٧ بسند صحيح على كلامٍ في هشام بن عمار.

٥٦٩ - رواه أحمد ٤/٤١٦ بسند صحيح غير أن أبا إسحاق السبيعي كان قد اختلط لكن الحديث ثابت من طرق أخرى.

٥٦٦ - استغاثوا: أي طلبوا منه أن يغيبهم ويشفع لهم، وفيه دليل على إطلاق الاستغاثة على الشفاعة.

٥٦٧، ٥٦٨ - في هذا بيان شففته ﷺ ورحمته بأمته واهتمامه بسعادتهم ونجاتهم .

٥٦٩ - ولم تحل بل كانت تأتي نار من السماء فتحرقها فعلم الله ضعفنا فأباحها لنا .

٥٧٠ - وعن أم حبيبة أن رسول الله ﷺ قال: «أريت ما تلقى أمتي من بعدي وسفك بعضهم دماء بعض وكان ذلك سابقاً من الله تعالى كما سبق في الأمم قبلهم، فسألته أن يولياني شفاعة فيهم يوم القيامة ففعل».

٥٧١ - وعن ابن عمرو أن رسول الله ﷺ تلا قول إبراهيم: ﴿فمن تبعني فإنه مني ومن عصاني فإنك غفور رحيم﴾، وقول عيسى: ﴿إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم﴾ فرفع يديه وقال: «أمتي أمتي»، ثم بكى فقال الله تعالى: يا جبريل اذهب إلى محمد فقل له: «إننا سنرضيك في أمتك ولا نسوءك».

٥٧٢ - وعن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «سألت ربي اللاهين من ذرية البشر أن لا يعذبهم فأعطانيهم».

٥٧٣ - وعن أبي بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا كان يوم القيامة كنت إمام النبيين وخطيبهم وصاحب شفاعتهم غير فخر».

٥٧٠ - رواه أحمد ٤٢٧/٦، ٤٢٨ بسند صحيح.

٥٧١ - رواه مسلم في الإيمان من صحيحه ٧٧/٣، ٧٨ من شرح النووي.

٥٧٢ - رواه ابن أبي شيبة وأبو يعلى، قال الجلال السيوطي: بسند صحيح.

٥٧٣ - رواه أحمد ١٣٧/٥، ١٣٨، والترمذي رقم ٣٣٨٢، وابن ماجه في =

٥٧٠ - أريت: أي أطلعني الله على ما سيقع بينها، وفي الحديث عموم شفاعته ﷺ يوم القيامة

حتى في سفك الدماء وهذه رحمة من الله عز وجل بهذه الأمة.

٥٧١ - سنرضيك: معناه سنعطيك في شأن أمتك من أنواع الشفاعات وغيرها حتى ترضى ومن

هذا قوله تعالى: ﴿ولسوف يعطيك ربك فترضى﴾، وفي هذا الحديث من عنايته ﷺ بأمته ما لا يحتاج

إلى تعليق.

٥٧٢ - اللاهين: هم الأطفال الصغار، وقيل: هم البُله الغافلون، وقيل: الذين لم يتعمدوا

الذنوب.

٥٧٣ - هذه منقبة عظيمة ومزية كبيرة حيث سيكون في ذلك اليوم إمام سادات البشر والمقدم

عليهم في الكلام وفي الشفاعة فما أعظمه من فضل وما أجله من شرف.

٥٧٤ - وعن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر، وييدي لواء الحمد ولا فخر، وما من نبي يومئذ آدم فمن سواه إلا تحت لوائي، وأنا أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر».

٥٧٥ - وعن أبي بن كعب أن النبي ﷺ قال: «أرسل إليّ ربي أن اقرأ القرآن على حرف فرددت عليه: يا رب هون على أمّتي، فردّ عليّ الثانية: أن اقرأ على حرفين، قلت: يا رب هون على أمّتي، فردّ عليّ الثالثة: أن اقرأ على سبعة أحرف ولك بكل ردةٍ ردتها مسألة تسألينها، فقلت: اللهم اغفر لأمتي وأخرت الثالثة إلى يوم القيامة، يوم يرغب إليّ فيه الخلق حتى إبراهيم».

اختصاصه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم

بأن كل سبب ونسب منقطع يوم القيامة إلا سببه ونسبه

٥٧٦ - عن جابر أنه سمع عمر يقول للناس حين تزوج ابنة علي:

= الزهد رقم ٤٣١٤، والحاكم ٧٨/٤ وسنده صحيح وله طرق عند أحمد وصححه الترمذي والحاكم وأقره الذهبي.

٥٧٤ - رواه أحمد، والترمذي رقم ٣٣٨٣، وابن ماجه رقم ٤٣٠٨ وسنده حسن صحيح.

٥٧٥ - رواه مسلم في فضائل القرآن من صلاة المسافرين ١٠٠/٦، ١٠٣.

٥٧٦ - أورده في المجمع ٢٧١/٤، ٢٧٢ برواية الطبراني وقال: رجاله رجال =

٥٧٤ - ولا فخر: أي أقول هذا بدون تعاضم بل تحدثاً بنعمة الله تعالى عليّ لأن التفاخر من صفات التكبرين.

٥٧٥ - هون: أي خفف. يرغب: الرغبة: أي الحرص على الشيء والسؤال والطلب ومعناه كل الخلائق سيفزعون إليّ ويسألوني الشفاعة حتى أبي إبراهيم.

ألا تهنوني، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ينقطع يوم القيامة كل سبب ونسب إلا سببي ونسبي».

اختصاصه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم
بأنه أول من يجيز على الصراط،
وأول من يقرع باب الجنة، وأول من يدخلها

٥٧٧ - عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يضرب جسر جهنم فأكون أول من يجيز».

٥٧٨ - وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أتي باب الجنة فاستفتح فيقول الخازن: من أنت؟ فأقول: محمد، فيقول: بك أمرت أن لا أفتح لأحد قبلك».

= الصحيح غير الحسن بن سهل وهو ثقة، وذكره أيضاً في المناقب ١٧٣/٩ وقال أيضاً: رجاله رجال الصحيح، ورواه الحاكم ١٤٢/٣ عن عمر وصححه، وللحديث طرق وشواهد: منها عن ابن عباس، أورده نورالدين في المجمع ١٧٣/٩ برواية الطبراني وقال: رجاله ثقات والحديث صححه جماعة.

٥٧٧ - رواه البخاري في الرقاق ٢٥٩/١٤، ٢٤١ ومسلم في الإيمان مطولاً، وكذا أحمد ٢٧٥/٢.

٥٧٨ - رواه مسلم في الإيمان ٧٣/٣.

٥٧٦ - ألا تهنوني: أي تقولون لي هنيئاً لك بتزوجك بنت رسول الله ﷺ، والحديث يدل على أن كل من له اتصال بالنبي ﷺ سواء كان من جهة النسب أو السبب كالمصاهرة ونحوها ستكون له شفاعته منه ﷺ وشرف وعظم.

٥٧٧ - جسر: بكسر الجيم وفتح القنطرة المعبر عليها، والمراد به هنا الصراط المضروب على النار.

٥٧٨ - فاستفتح: أي أطلب الفتح والإذن في الدخول. الخازن: أي الحافظ للجنة والمؤمن عليها وخزنتها كثيرون ورئيسهم رضوان.

اختصاصه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بالكوثر،
والوسيلة، وأن ما بين بيته ومنبره روضة من رياض الجنة،
وأن منبره على ترعة من ترع الجنة

قال الله تعالى: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. إنا أعطيناك الكوثر﴾.

٥٧٩ - وعن أنس قال: بينا رسول الله ﷺ بين أظهرنا في المسجد
إذ أغفى إغفاء، ثم رفع رأسه متبسماً قلنا: ما أضحكك يا رسول الله.
قال: «لقد أنزلت عليّ آناً سورة فقرأ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. إنا
أعطيناك الكوثر فصلٌ لربك وانحر إنَّ شأنك هو الأبتَر﴾ ثم قال:
أتدرون ما الكوثر؟ قلنا: الله ورسوله أعلم. قال: فإنه نهر في الجنة
وعنديه ربي عز وجل عليه خير كثير تَرْدُ عَلَيْهِ أمتي يوم القيامة آنيته عدد
النجوم في السماء فيختلج العبد منهم فأقول: ربِّ إنه من أمتي، فيقول:
إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك».

٥٨٠ - وعن عبدالله بن عمرو أن النبي ﷺ قال: «إذا سمعتم
المؤذن فقولوا مثل ما يقول، ثم صلوا عليّ، ثم سلوا الله لي الوسيلة فإنها
منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا، فمن
سأل لي الوسيلة حلت له الشفاعة».

٥٧٩ - رواه مسلم في الصلاة وأحمد ١٠٢/٣ وغيرهما، وفي الموضوع أحاديث

كثيرة.

٥٨٠ - رواه مسلم في الأذان ٨٥/٤ من شرح النووي، وغيره.

٥٧٩ - أغفى: الإغفاء: النوم القليل. والكوثر: ماؤه أبيض من الثلج وأحل من العسل.

فيختلج: أي يجتذب.

٥٨٠ - حلت: أي وجبت كما في رواية أخرى وفي الباب عن جابر وأبي سعيد الخدري

وغيرهما.

٥٨١ - وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة».

٥٨٢ - وعنه أن رسول الله ﷺ قال: «منبري هذا على ترعة من ترع الجنة وما بين حجرتي ومنبري روضة من رياض الجنة».

اختصاصه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بأن أمته يكونون على كوم في الموقف عال، ويأتون غراً محجلين من آثار الوضوء، ويؤتون كتبهم بأيمانهم، وتسعى ذريتهم ونورهم بين أيديهم، ولهم سيما في وجوههم من أثر السجود

٥٨٣ - عن كعب بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: «يُحشر الناس يوم القيامة فأكون أنا وأمتي على تل فيكسوني ربي حلة خضراء، ثم يؤذن لي فأقول ما شاء الله أن أقول فذلك المقام المحمود».

٥٨١ - رواه البخاري ومسلم في الحج.

٥٨٢ - رواه أحمد ٥٣٤/٢ وسنده صحيح، ورواه بالفقرة الأولى ٣٦٠/٢، ٤٥٠ من طريقين آخرين وأحدها سنده صحيح وله شواهد، منها عن سهل بن سعد، رواه أحمد ٣٣٥/٥ بسنده صحيح، وفيه: الترعة: الباب.

٥٨٣ - رواه أحمد ٤٥٦/٣ بسند صحيح.

٥٨١ - بيتي: هو بيته الذي دفن فيه وحجرته التي كانت تسكنها عائشة، وهذا الموضع إما هو نفسه روضة من رياض الجنة حقيقة أو المراد الصلاة والتعبد فيه مؤد للجنة قولان للعلماء.

٥٨٢ - تُرعة: بضم التاء وسكون الراء، هي الباب جمعه تُرَع بضم وفتح.

٥٨٣ - تل: بفتح التاء جمعه تلول وتلال قطعة من الأرض أرفع مما حولها.

٥٨٤ - وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أمتي يدعون يوم القيامة غراً محجّلين من أثر الوضوء».

٥٨٥ - وعن حذيفة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن حوضي أبعد من أيلة إلى عدن إني لأذود عنه الرجال كما يذود الرجل الإبل الغربية عن حوضه قيل يا رسول الله: وتعرفنا، قال: نعم، تردون عليّ غراً محجّلين من أثر الوضوء ليست لأحد غيركم» وفي رواية: «لكم سيما ليست لأحد غيركم».

٥٨٦، ٥٨٧ - وعن أبي السرداء وأبي ذر قالوا: قال رسول الله ﷺ: «أنا أول من يؤذن له بالسجود يوم القيامة، وأنا أول من يؤذن له أن يرفع رأسه فأنظر إلى بين يدي فأعرف أمتي من بين الأمم ومن خلفي مثل ذلك وعن يميني مثل ذلك وعن شمالي مثل ذلك. فقال له رجل: يا رسول الله، كيف تعرف أمتك من بين الأمم فيما بين نوح إلى أمتك؟ قال: هم غرّ محجّلون من أثر الوضوء ليس أحد كذلك غيرهم، وأعرفهم أنهم يؤتون كتبهم بأيمانهم، وأعرفهم يسعى بين أيديهم ذريتهم».

٥٨٤ - رواه البخاري، ومسلم في الطهارة.

٥٨٥ - رواه مسلم في الطهارة ١٣٥/٣، ١٤٠ من شرح النووي.

٥٨٦، ٥٨٧ - رواه أحمد ١٩٩/٥ من طرق هو بها صحيح، وفي رواية: «وأعرفهم بنورهم يسعى بين أيديهم».

٥٨٤ - غراً: جمع أغر وهو في الأصل يقال للفرس الذي في جبهته بياض، أما التحجيل فيكون في يديه ورجليه.

٥٨٥ - لأذود: أي لأطرد والحوض المذكور هنا هو قبل الصراط وأصل مائه من الكوثر كما جاء في الأحاديث.

٥٨٦، ٥٨٧ - هذه العلامة والسمة خاصة بالأمة المحمدية المسلمة. يسمى: أي يمشي ويسير.

اختصاصه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بأن أمته آخر الأمم، وأول من يحاسب يوم القيامة

٥٨٨ - فعن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال: «نحن آخر الأمم وأول من يحاسب يقال: أين الأمة الأمية ونبیها؟ فنحن الآخرون الأولون».

اختصاصه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم
بأنه يدخل الجنة من أمته سبعون ألفاً بغير حساب مع كل ألف
سبعون ألفاً ولم يثبت ذلك لغيره من الأنبياء

٥٨٩ - فعن ابن عباس قال: خرج إلينا رسول الله ﷺ ذات يوم فقال: «عرضت عليّ الأمم يمرُّ عليّ النبيّ معه الرجل، والنبيّ معه

٥٨٨ - رواه ابن ماجه في الزهد ٤٢٩٠ بسند صحيح وفي الباب عن أبي هريرة عند الشيخين، وحذيفة عند مسلم، وأبي هريرة وحذيفة عند ابن ماجه.
٥٨٩ - رواه البخاري في الطب وفي الرقاق ١٤/١٩٨، ٢٠٤ من فتح الباري، ومسلم في الإيمان ٣/٩٣، ٩٤ من شرح النووي، وكذا أحمد ١/٢٧١ مطولاً.

٥٨٨ - آخر الأمم: يعني في الدنيا. الأمية: سميت بذلك لأنهم لم يكونوا يكتبون وكان النبيّ كذلك. فنحن الآخرون: بعد الأمم علينا تقوم الساعة، والأولون: يوم القيامة في الحساب وفي العبور على الصراط وغير ذلك.

٥٨٩ - عرضت: أي مرّ بهم بين يدي وأنا أنظر إليهم. سد: أي غطى الأفق وفي هذا فضل عظيم وخير جزيل.

الرجلان، والنبِيُّ ليس معه، والنبِّي معه الرهط. فرأيت سواداً كثيراً فرجوت أن تكون هذه أمتي. فقليل لي: هذا موسى وقومه، ثم قيل لي: انظر فرأيت سواداً كثيراً قد سدَّ الأفق، فقليل لي: انظر هكذا وهكذا فرأيت سواداً كثيراً فقليل لي: هذه أمتك، ومع هؤلاء سبعون ألفاً يدخلون الجنةَ بغير حساب».

٥٩٠ - وعن أبي أمامة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «وعدني ربي أن يدخل الجنة من أمتي سبعين ألفاً لا حساب عليهم ولا عذاب، مع كل ألف سبعين ألفاً وثلاث حثيات من حثيات ربي».

اختصاصه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بأن الله تعالى
نزل أمته منزلة العدول من الحكام فيشهدون على الناس
بأن رسلم بلغتهم وهذه الخصيصة لم تثبت لغيرهم

٥٩١ - فعن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: «يدعى نوح يوم القيامة فيقال: هل بلغت؟ فيقول: نعم، فتدعى أمته فيقال لهم: هل

٥٩٠ - رواه الترمذي في الزهد رقم ٢٢٥٤، وكذا أحمد ٣٥٠/٥، وابن ماجه رقم ٤٢٨٦ وسنده صحيح. وابن عياش روايته هنا عن أهل بلده وهي مستقيمة.

٥٩١ - رواه البخاري في الاعتصام وفي بدء الخلق وفي التفسير ٢٣٨/٩، ٢٣٩، والترمذي في التفسير رقم ٢٧٦٦، والنسائي وابن ماجه وكذا أحمد ٣٢/٣.

٥٩٠ - حَثِيَّات: بفتحات جمع حَثِيَّة بفتح الحاء هي العُرْفَة باليد وهي هنا بالنسبة لله عز وجل يجب الإيمان بها وعدم الخوض في حقيقتها وكنهها، فالمراد أنه سيدخل أقواماً وأقواماً لا يحصون كثرة.

٥٩١ - يدعى: أي ينادى ويؤذَى به. بالبلاغ: أي أنه بلغ دعوته ورسالته لقومه.

بَلِّغْكُمْ؟ فيقولون: ما أتانا من نذير وما أتانا أحد، فيقال له: من يشهد لك، فيقول: محمد وأمته، فذلك قوله تعالى: ﴿وكذلك جعلناكم أمةً وسطاً﴾ قال: والوسط العدل، فتدعون فتشهدون له بالبلاغ وأشهد عليكم».

٥٩٢ - وعن أبي سعيد أيضاً قال: قال رسول الله ﷺ: «يجيء النبي يوم القيامة ومعه الرجل، والنبي ومعه الرجلان وأكثر من ذلك فيدعى قومه فيقال له: هل بَلِّغْكُمْ هذا؟ فيقولون: لا، فيقال له: هل بَلِّغْتَ قومك؟ فيقول: نعم، فيقال له: من يشهد لك؟ فيقول: محمد وأمته، فيقال لهم: هل بَلِّغَ هذا قومه؟ فيقولون: نعم، فيقال: وما علمكم؟ فيقولون: جاءنا نبينا فأخبرنا أن الرسل قد بَلِّغُوا فذلك قوله تعالى: ﴿وكذلك جعلناكم أمةً وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً﴾.

٥٩٢ - رواه أحمد ٥٨/٣ بسند صحيح.

٥٩٢ - وما علمكم: أي من أين جاءكم العلم بذلك وهذه الخصيصة تنضال دونها كل الخصائص إذ أنها ستظهر عندها مزايا هذه الأمة وشرفها على الأمم فإن الله تعالى جعلها شهيدة على الأنبياء وأممها.

ذكر الخصائص التي اختص بها عن أمته من واجبات
ومحرّمات ومباحات وكرامات مما لم يتقدم له ذكر

قسم الواجبات

والحكمة في اختصاصه بها زيادة الدرجات والزُلفى .
٥٩٣ - ففي البخاري وغيره عن النبي ﷺ عن الله عز وجل : « لن
يتقرب إليّ المتقربون بمثل أداء ما افترضته عليهم » إلخ .

١ - اختصاصه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بوجوب صلاة الليل
قال الله تعالى : ﴿ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك
ربك مقاماً محموداً﴾^(١) .

٢ - اختصاصه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم
بوجوب قضاء دين من مات من المسلمين معسراً
٥٩٤ - فعن جابر قال : قال رسول الله ﷺ : « أنا أولى بكل مسلم
من نفسه ، مَنْ ترك مالاً فلورثته ، ومَنْ ترك ديناً أو ضياعاً فإليّ وعليّ » .

٥٩٤ - رواه مسلم في خطبة الجمعة ١٥٣/٦ ، ١٥٤ من شرح النووي .

(١) وقال تعالى : ﴿يا أيها المزمّل قم الليل إلا قليلاً﴾ ، وقد قام ﷺ حتى تورمت قدماه كما في
الصحيح .

٥٩٤ - أولى : أي أحق . ضياعاً : بفتح الضاد والمراد به هنا العيال ، وقد يطلق على غير ذلك
كما قدمنا .

٥٩٥ - وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ كان يؤتى بالرجل المتوفى عليه الدين فيسأل: «هل ترك لدينه من قضاء؟» فإن حدث أنه ترك وفاءً صلى عليه وإلا قال للمسلمين: «صلّوا على صاحبكم»، فلما فتح الله عليه الفتوح قام فقال: «أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فمن توفي من المؤمنين فترك ديناً فعليّ قضاؤه، ومن ترك مالا فلورثته».

٣ - اختصاصه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بوجوب تخيير نسائه وإمساك مختارته وتحريم طلاقها

٥٩٦ - فعن جابر قال: (دخل أبو بكر وعمر على النبي ﷺ وحوله نساؤه وهو ساكت، فقال عمر: لأكلمنّ النبي ﷺ لعله يضحك، فقال عمر: يا رسول الله لو رأيت ابنة زيد - امرأة عمر - سألتني النفقة أنفأ فوجأت عنقها، فضحك النبي ﷺ وقال: «هنّ حولي يسألنني النفقة»، فقام أبو بكر إلى عائشة ليضربها، وقام عمر إلى حفصة كلاهما يقولان:

٥٩٥ - رواه البخاري في الكفالة وفي الفرائض ١٥/١٠ من فتح الباري، وفي التفسير، ومسلم ٥٩/١١، ٦١ من شرح النووي، وكذا الترمذي، كلاهما في الفرائض.

٥٩٦ - رواه أحمد ٣/٣٢٨، ٣٤٢، ومسلم في الطلاق ١٠/٨٠، ٨١ من شرح النووي ونحوه عنده عنها، وعن عمر.

٥٩٥ - واختلف العلماء هل يجب قضاؤه على ولاية الأمور بعده أم لا، فيه قولان.
٥٩٦ - أنفأ: يعني الآن قريباً. فوجأت: أي ضربت عنقها. تستأمرني أبيوك: تستشيرهما وتطلب أمرهما في ذلك.

تسألان النبي ﷺ ما ليس عنده، وأنزل الله تعالى الخيار. فبدأ بعائشة فقال: «إني ذاكر لك أمراً فأحب أن لا تعجلي فيه حتى تستأمري أبويك». قالت: ما هو؟ فتلا عليها: ﴿يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعنن وأسرحنن سراحاً جميلاً﴾. الآية. قالت عائشة: أفيك أستأمر أبوي، بل أختار الله ورسوله).

٥٩٧ - وعن عائشة رضي الله عنها قالت: (كنت أغار من النساء اللاتي وهبن أنفسهن للنبي ﷺ، وأقول: أتهب المرأة نفسها؟ فلما أنزل الله تعالى: ﴿تُرجي من تشاء منهمن وتؤوي إليك من تشاء ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك﴾ قلت: ما أرى ربك إلا يسارع في هواك).

٥٩٨ - وعن عائشة قالت: (ما مات رسول الله ﷺ حتى أحل الله له النساء).

* * *

٥٩٧ - رواه البخاري في التفسير ١٤٤/١٠، ١٤٥ من فتح الباري وفي غيره، ومسلم في الطلاق ٤٩/١٠، ٥٠ من شرح النووي.

٥٩٨ - رواه أحمد والترمذي في التفسير رقم ٣٠٠٢ وغيرهما وقال: حسن صحيح وهو كما قال.

٥٩٧ - أغار: تعني آنف والغيرة: النخوة. والحمية والأنفة، وهي شديدة في النساء ولا خير في فاقدها.

٥٩٨ - فعلى هذا يكون قوله تعالى: ﴿لا يجعل لك النساء من بعد﴾ منسوخاً.

قسم المحرمات

وفائده التكرمة حيث تنزهه عن سفاسف الأمور وحمل على مكارم الأخلاق، ولأنَّ أجر ترك المحرم أكثر من المكروه.

١ - اختصاصه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بتحريم الزكاة والصدقة عليه وعلى آله وعلى مواليه وعلى موالي آله
٥٩٩ - فعن المطلب بن ربيعة أن رسول الله ﷺ قال: «إنَّ هذه الصدقات إنما هي أوساخ الناس، وإنها لا تحل لمحمد ولا لآل محمد».

٦٠٠ - وعن أبي رافع أن رسول الله ﷺ بعث رجلاً من بني مخزوم على الصدقة فقال لأبي رافع: اصحبني كيما تصيب منها. فقال: لا حتى آتي رسول الله ﷺ فأسأله وانطلق إلى النبي ﷺ فسأله. فقال: «إن الصدقة لا تحل لنا وإن موالي القوم من أنفسهم».

٥٩٩ - رواه مسلم ١٧٩/٧، ١٨١ من شرح النووي.
٦٠٠ - رواه أحمد ٨/٦، وأبو داود رقم ١٦٥٠، والترمذي رقم ٥٨١، والنسائي ٨٠/٥ وسنده صحيح.

٥٩٩ - أوساخ: أي قاذوراتهم المعنوية وهي المعاصي، لأن الزكاة تطهر صاحبها من الذنوب.
٦٠٠ - موالي: أي عبيدهم، ففي الحديث دليل على أن الصدقة محرمة على آل البيت النبوي وعبيدهم لأن النبي ﷺ قال لهم: إن لكم في خمس الخمس ما يكفيكم أو يغنيكم ولكنهم حرموا من ذلك فلم يبق لهم حق يؤدي من بيت المال، وهل تباح لهم وقت الضرورة أو لا؟ أجازها لهم المالكية والحنفية نظراً للمصلحة المرسله ودفع الضرر عنهم وحفظاً لهم من الفقر، ومنعه آخرون.

٦٠١ - وعن أبي هريرة قال: (كان رسول الله ﷺ إذا أتى بطعام سأل عنه: «أهدية أم صدقة» فإن قيل صدقة قال لأصحابه: «كلوا»، ولم يأكل، وإن قيل هدية ضرب بيده فأكل معهم).

٦٠٢ - وعن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده قال: (كان رسول الله ﷺ إذا أتى بشيء سأل: «أصدقة هي أم هدية؟» فإن قالوا صدقة لم يأكل، وإن قالوا هدية أكل).

قال العلماء: لما كانت الصدقة أوساخ الناس تنزه منصبه الشريف عن ذلك وانجر إلى آله بسببه، وأيضاً فالصدقة تعطى على سبيل الترحم المبني على ذل الأخذ فأبدلوا عنها بالغنيمة المأخوذة بطريق العز والشرف المنبئ عن عز الأخذ وذل المأخوذ منه، وقد اختلف علماء السلف هل شاركه في ذلك الأنبياء أم اختص به دونهم، فقال بالأول الحسن البصري، وبالثاني سفيان بن عيينة.

٢ - اختصاصه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم

بتحريم أكل ما له ربح كريهة

٦٠٣ - فعن جابر قال: أتى رسول الله ﷺ بقدر فيه خضرات من

٦٠١ - رواه الشيخان في الزكاة.

٦٠٢ - رواه الترمذي رقم ٥٨٠، والنسائي ٨١/٥ في الزكاة وسنده حسن.

٦٠٣ - رواه البخاري في الأذان وفي الاعتصام، ومسلم في المساجد ٤٩/٥، ٥٠ من شرح النووي وكذا أبو داود في الأطعمة رقم ٣٨٢٢ مطولاً.

٦٠١، ٦٠٢ - أصدقه إلخ: وإنما كان يقبل الهدية ولا يقبل الصدقة، لأن الأولى تؤخذ وتعطى على سبيل التكريم والإعظام فلا منة فيها ولا غضاضة فهي من خصائص العطاء ونحوهم بخلاف الصدقة.

بقول فوجد لها ريحاً، فسأل، فأخبر بما فيها من البقول، فقال: «قربوها» إلى بعض أصحابه، فلما رآه كره أكله، قال: «كل فإني أناجي من لا تناجي».

٦٠٤ - وعن جابر بن سمرة أن رسول الله ﷺ: كان إذا أتى بطعام فأكل منه بعث بفضله إلى أبي أيوب فكان أبو أيوب يتتبع أثر أصابع رسول الله ﷺ فيضع أصابعه حيث يرى أثر أصابعه فأتى رسول الله ﷺ ذات يوم بصحفة فوجد منها ريح ثوم فلم يذقها وبعث بها إلى أبي أيوب فلم ير أثر أصابع النبي ﷺ فجاء فقال: يا رسول الله لم أر أثر أصابعك، قال: فقال رسول الله ﷺ: «إني وجدت منها ريح ثوم»، قال: لِمَ تبعث إليّ ما لا تأكل؟ فقال: «إنه يأتيني المَلَك»، وفي رواية قال: (يا رسول الله أحرام هو، قال: «لا، ولكن أكره ريحه»، قال: فإني أكره ما تكره).

٣ - اختصاصه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بتحريم الأكل متكئاً في أحد الوجهين

٦٠٥ - عن أبي جحيفة قال: قال رسول الله ﷺ: «أما أنا فلا أكل متكئاً».

٦٠٤ - رواه أحمد ٥/٩٤، ٩٦، ١٠٣، ٤١٥ من طرق بعضها صحيح.
٦٠٥ - رواه البخاري في الأطعمة، وأبو داود رقم ٣٧٦٩، والترمذي رقم

٦٠٣ - بقول: هو جميع النباتات العشبية التي يتغذى بها الإنسان. أناجي: أي أكل الملائكة.
٦٠٤ - يتبع: إلخ: كان يفعل ذلك تبركاً بأثاره عليه الصلاة والسلام. بصحفة: هي القصعة. ثوم: بضم الثاء رائحته كريهة وقد نهى ﷺ من أكلها عن قربان المسجد لأن ذلك يؤدي الملائكة والمصلين ومثلها البصل والكراث بضم الكاف نوع من البقول يشبه الثوم في الورق والرائحة.
٦٠٥ - الإنكاه: هو التمكن في الجلوس متربعا وإسناد الظهر إلى شيء ما أو الاعتماد على الجانب والمرفق.

٤ - اختصاصه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم

بتحريم الكتابة والشعر

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ﴾.

وقال تعالى: ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكُمْ

إِذَا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾.

وقال تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ﴾^(١).

٥ - اختصاصه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم

بتحريم نزع لأمته إذا لبسها قبل أن يقاتل

٦٠٦ - عن جابر أن رسول الله ﷺ قال: «رأيت كأنني في درع

حصينة ورأيت بقرأ تنحر، فأولت أن الدرع الحصينة المدينة، وأن البقر

هو والله خير»، قال: فقال لأصحابه: «لو أنا أقمنا بالمدينة، فإن دخلوا

علينا فيها قاتلناهم»، فقالوا: يا رسول الله ما دخل علينا فيها في الجاهلية

فكيف يدخل علينا فيها في الإسلام؟ فقال: «شأنكم إذا»، قال: فلبس

لأمته، قال: فقالت الأنصار رددنا على رسول الله ﷺ رأيه، فجاءوا

١٦٧٥، وابن ماجه رقم ٣٢٦٢ كلهم في الأطعمة والسياق للترمذي. ورواه أيضاً في

الشمائل رقم ١٤٢.

٦٠٦ - رواه أحمد ٣/٣٥١، والدارمي رقم ٢١٦٥ بسند صحيح.

(١) أما بالنسبة للكتابة فلأن عدمها معجزة له، وأما الشعر فلأنه يشتمل على الأكاذيب

والأباطيل والخيالات والسقطات وهو ﷺ منزّه عن ذلك، وقد جاء في الصحيح: «لأن يمتلئ جوف

أحدكم قيحاً خيراً من أن يمتلئ شعراً» ووصف القرآن الشعراء بقوله: «لم ترأنهم في كل وادٍ...» إلخ.

٦٠٦ - لأمته: الأمة: هي آلة الحرب، والحديث تقدم مع التعليق عليه في معجزة أحد.

فقالوا: يا نبي الله شأنك إذًا، فقال: «إنه ليس لنبي إذا لبس لأمته أن يضعها حتى يقاتل».

٦ - اختصاصه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم
بتحريم المنّ ليستكثر

قال الله تعالى: ﴿ولا تمنن تستكثر﴾^(١). وأجمع المفسرون على أن ذلك خاص بالنبي ﷺ.

٧ - اختصاصه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم
بتحريم مدّ العين إلى ما متع به الناس

قال تعالى: ﴿ولا تمدنّ عينيك إلى ما متّعنا به أزواجاً منهم﴾^(٢).

٨ - اختصاصه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم
بتحريم إمساك كارهته

٦٠٧ - فعن عائشة أن ابنة الجون لما دخل عليها النبي ﷺ ودنا منها قالت: أعود بالله منك، فقال: «لقد عدت بعظيم إلحقي بأهلك».

قال ابن الملقّن في خصائصه: وفهم من ذلك أنه يحرم عليه نكاح كل امرأة كرهت صحبته، قال: ويشهد لذلك إيجاب التخيير المتقدم.

٦٠٧ - رواه البخاري في النكاح ٢٧١/١١ من فتح الباري.

(١) ولا تمنن: أي لا تعط شيئاً لتطلب أكثر منه لأن ذلك لا يليق بمقامك لاتصافك بالمكارم.

(٢) ولا تمدن: أي لا تنظر بعينيك إلى ما أعطيناكم من زهرة الدنيا نظر رغبة، فإن رزق الآخرة خيرٌ من هذا.

٦٠٧ - عدت: أي لجأت إلى ملجأ عزيز قوي ولذت بملاذ عظيم وهو الله عز وجل.

٩ - اختصاصه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم

بتحريم نكاح الكتابية^(١)

قال العلماء: لأن أزواجه أمهات المؤمنين وزوجات له في الآخرة معه في درجته في الجنة، ولأنه أشرف من أن يضع ماءه في رحم كافرة، ولأنها تكره صحبتته، ولأن الله تعالى شرط في إباحة النساء له الهجرة فقال: ﴿اللاتي هاجرن معك﴾ فإذا حرم عليه المسلمة التي لم تهاجر فغير المسلمة أولى.

١٠ - اختصاصه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم

بتحريم نكاح المسلمة التي لم تهاجر

٦٠٨ - فعن ابن عباس قال: (نهى رسول الله ﷺ عن أصناف النساء إلا ما كان من المؤمنات المهاجرات، قال الله تعالى: ﴿لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن إلا ما ملكت يمينك﴾ فأحل له الفتيات المؤمنات وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي وحرم كل ذات دين غير الإسلام ثم قال: ﴿ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله وهو في الآخرة من الخاسرين﴾، وقال: ﴿يا أيها النبي إنا أحللنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن وما ملكت يمينك مما أفاء الله عليك﴾ إلى قوله: ﴿خالصة لك من دون المؤمنين﴾ وحرم ما سوى ذلك من أصناف النساء).

٦٠٩ - وعن عائشة قالت: (ما مات رسول الله ﷺ حتى أحل الله له

(النساء).

٦٠٨ - رواه الترمذي في التفسير رقم ٣٠٠١ بسند صحيح، وشهر بن حوشب ثقة.

٦٠٩ - رواه الترمذي رقم ٣٠٠٢ بسند صحيح وقد تقدم.

(١) وهذا مقيد بما إذا لم تسلم، وإلا جاز بدون خلاف، كما حصل من صفة الإسرائيلية.

٦٠٨، ٦٠٩ - يؤخذ من الحديثين أن الله تعالى أباح له كل أصناف النساء قبل موته بعد أن

حرمن عليه.

١١ - اختصاصه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم

بتحريم نكاح الأمة المسلمة في الأصح

لأن جوازه مشروط بخوف العنت وهو ﷺ معصوم^(١). وبفقدان طول المهر ونكاحه غير مفتقر إلى المهر، ولأن من نكح أمة كان ولده منها رقيقاً، ومنصبه منزّه عن ذلك.

١٢ - اختصاصه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم

بتحريم خاتنة الأعين

٦١٠ - فعن سعد بن أبي وقاص أن النبي ﷺ يوم الفتح أمّن الناس إلا أربعة نفر، منهم عبدالله بن أبي سرح، فاخْتَبأ عند عثمان بن عفان فلما دعا رسول الله ﷺ الناس إلى البيعة جاء به فقال: يا رسول الله بايع عبدالله، فرفع رأسه فنظر إليه ثلاثاً كل ذلك يأبى، فبايعه بعد ثلاث، ثم أقبل على أصحابه فقال: «أما فيكم رجل رشيد يقوم إلى هذا حيث رأيته كفت يدي عن بيعته ليقته»، قالوا: ما يُدرينا يا رسول الله ما في نفسك هلاً أو مأت بعينك قال: «إنه لا ينبغي أن تكون من نبي خاتنة الأعين».

* * *

٦١٠ - رواه أبو داود في الجهاد رقم ٢٦٨٣، وفي المحاربة رقم ٤٣٥٩، والنسائي في المحاربة، والحاكم وصححه وسنده حسن، وله شاهد عن ابن عباس عند أبي داود.

(١) العنت: أي الزنا هو في الأصل الوقوع في أمر شاق.

٦١٠ - رشيد: أي صاحب رشد واستقامة على طريق الحق. كفت: أي امتنعت. ما يدرينا: بضم الياء، أي ما يعلمنا. أو مأت: أي أشرت. خاتنة الأعين: معناه يضمير في نفسه خلاف ما يظهر لأنه إذا كف لسانه وأوماً بعينه فقد خان، وهذه الحالة تسمى خاتنة الأعين.

قسم المباحات

١ - اختصاصه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بإباحة الصلاة بعد العصر

٦١١ - فعن عائشة أنها سئلت عن السجدين اللتين كان رسول الله ﷺ يصليهما بعد العصر فقالت: (كان يصليهما قبل العصر، ثم إنه شغل عنهما فصلاهما بعد العصر، ثم أثبتهما وكان إذا صلى صلاة أثبتها).

٦١٢ - وعن أم سلمة نحوه مطولاً في قصة.

٦١٣ - وعن عائشة قالت: (ركعتان لم يكن رسول الله ﷺ يدعهما سرّاً ولا علانيةً: ركعتان قبل الصبح، وركعتان بعد العصر).

٦١١ - رواه مسلم في صلاة المسافرين باب معرفة الركعتين اللتين كان يصليهما النبي ﷺ.

٦١٢ - رواه البخاري قبل الجنائز ٣/٣٤٧، ٣٤٨ من فتح الباري، ومسلم في صلاة المسافرين في المصدر السابق.

٦١٣ - رواه البخاري ٢/٢٠٥ من فتح الباري، باب ما يصلى بعد العصر من الفوات، ومسلم في المصدر السابق من صلاة المسافرين.

٦١١ - شغل: أي شغله وفد من عبد القيس كما في الصحيح. ثم أثبتها: أي داوم على صلاتها.

٦١٣ - ركعتان: إلخ: فيه ما كان عليه أمهات المؤمنين من مراقبة أفعال النبي ﷺ والاهتمام بأحواله وبذلك روي لنا الكثير والكثير من السنن النبوية الداخلية التي لا اطلاع للرجال عليها.

٢ - اختصاصه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بإباحة الوصال

٦١٤ - فعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إياكم والوصال». قالوا: فإنك تواصل يا رسول الله. قال: «إني لست مثلكم، إني أبيت يطعمني ربي ويسقيني».

واختلف في معنى الحديث فقيل: المراد الحقيقة، وأنه يأتيه الطعام والشراب من الجنة، وأكل الجنة لا يفطر. وقيل: المجاز والمراد: أنه يجعل فيه قوة الطاعم والشارب، ثم الجمهور على أن الوصال في حقه من المباحات.

٣ - ومن خصائصه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم أن له الجمع في الضمير بينه وبين ربه سبحانه

لقوله: «أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما»، وقوله: «ومن يعصهما فإنه لا يضر إلا نفسه» وذلك ممتنع على غيره لقوله للخطيب حيث قال: من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقد غوى «بتس الخطيب أنت، قل: ومن يعص الله ورسوله».

قال العلماء: إنما امتنع من غيره دونه، لأن غيره إذا جمع أوهم إطلاقه التسوية، بخلافه هو فإن منصبه لا يتطرق إليه إيهام ذلك.

٦١٤ - رواه البخاري ومسلم في الصيام.

٦١٤ - الوصال: بسكر الواو، وهو الصيام بدون تحلل فطر، يومين فأكثر، وهو ممنوع بالنسبة

إلينا إلا للسحر.

٤ - اختصاصه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم
بـخمس خمس الفيء والغنيمه وباصطفاء ما يـختاره
من الغنيمه قبل القسمة من جارية وغيرها^(١)

قال تعالى: ﴿وما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فله وللرسول﴾.

وقال تعالى: ﴿واعلموا أنما غنمتم من شيء فإن لله خمسها وللرسول﴾ الآية.

٦١٥ - وعن عمر قال: (إن الله كان خصَّ رسول الله ﷺ في هذا الفيء بشيء لم يعطه أحداً غيره فقال: ﴿وما أفاء الله على رسوله منهم فما أوجفتم عليه من خيلٍ ولا ركابٍ ولكن الله يسلط رسله على من يشاء والله على كل شيء قدير﴾. فكانت هذه خاصة لرسول الله ﷺ فكان ينفق على أهله نفقة سنتهم، ثم يأخذ ما بقي فيجعله مجعل مال الله، فعمل بذلك حياته ثم توفي، فقال أبو بكر: أنا ولي رسول الله ﷺ، فعمل فيه بما عمل فيه رسول الله ﷺ).

٦١٥ - رواه أحمد ١/٦٠، ٢٥، والبخاري في المغازي ٨/٣٣٦، ٣٣٨ من فتح الباري، وفي الخمس وغيرهما، ومسلم في الجهاد، وكذا أبو داود رقم ٢٩٦٣، ٢٩٦٥، مطولاً في قصة سيدنا علي وسيدنا العباس في الإرث.

(١) الفيء: الخراج والغنيمه ﴿وما أفاء الله على رسوله﴾: أي ما رده عليه من أموال اليهود.
٦١٥ - أوجفتم: الإيفاف سرعة السير ومعناه: فما أسرعتم للحصول عليه بشيء من خيل ولا ركاب.

٦١٦ - وعن عمرو بن عبسة قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يحل لي من غنائمكم مثل هذا إلا الخمس، والخمس مردود فيكم».

٥ - اختصاصه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بالحمى لنفسه وأنه لا ينقض ما حماه

٦١٧ - فعن ابن عباس أن المصعب بن جثامة قال: قال رسول الله ﷺ: «لا حمى إلا لله ولرسوله ﷺ».

قال العلماء: ومن خصائصه ﷺ: أن له أن يحمي الموات لنفسه ولا يجوز ذلك لسائر الأئمة قطعاً وإنما يجوز لهم الحمى للمسلمين.

٦ - اختصاصه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بإباحة القتال بمكة المكرمة والقتل بها

قال تعالى: ﴿لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾^(١).

٦١٦ - رواه أبو داود في الجهاد رقم ٢٧٥٥ باب الإمام يستأثر بشيء من الفية لنفسه وسنده صحيح، وله شواهد عن ابن عمر وابن مطعم والعرباض وغيرهم.

٦١٧ - رواه البخاري في المساقاة وغيرها.

(١) ﴿لَا أُقْسِمُ﴾ إلخ: النفي للتأكيد، والمعنى: أقسم وأحلف بهذا البلد، أي مكة المكرمة، ﴿وَأَنْتَ حِلٌّ﴾: أي حلالٌ لهذا البلد بأن يحل لك فتقاتل فيه وقد أنجز له ذلك في فتح مكة.

٦١٦ - لا يحل إلخ: هذا مختص بالغنائم التي حصلوا عليها بالإيجاب والقتال وهذه غير الأولى على الصحيح.

٦١٧ - الحمى: بكسر الحاء وفتح الميم مع ألف مقصورة، أصله أن الشريف كان في الجاهلية إذا نزل أرضاً في حي استعوى كلباً فحمى مدى عواء الكلب لا يشركه فيه غيره فهي رسول الله ﷺ عن ذلك وجعله خاصاً بالله ورسوله، وأن لها أن يحمي ما شاء لحيل الجهاد أو الصدقة، وهذا غير إحياء الموات، الوارد في حديث الصحيحين: «من أحيا أرضاً ميتة فهي له».

٦١٨ - وعن أنس: أن رسول الله ﷺ دخل مكة عام الفتح وعلى رأسه المغفر فلما نزعه جاءه رجل فقال: إن ابن خطل متعلق بأستار الكعبة فقال: «اقتلوه».

٦١٩ - وعن أبي شريح العدوي قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول يوم الفتح: «إن مكة حرمها الله ولم يحرمها الناس فلا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دمًا ولا يعضد بها شجرة، فإن أحد ترخص بقتال رسول الله ﷺ فقولوا: إن الله أذن لرسوله ولم يأذن لكم».

٦٢٠ - وعن جابر: (أن رسول الله ﷺ دخل يوم فتح مكة وعليه عمامة سوداء بغير إحرام).

٦١٨ - رواه البخاري في الجهاد وفي المغازي وفي اللباس وفي الصيد، ومسلم في الحج، والترمذي في الجهاد رقم ١٥٥٢، وباقي أهل السنن.

٦١٩ - رواه البخاري في العلم وفي الحج وفي المغازي، ومسلم ١٢٧/٩، ١٢٨ من شرح النووي، والنسائي، والترمذي رقم ٧١٦ كلهم في الحج.

٦٢٠ - رواه مسلم في الحج.

٦١٨ - المِغْفَرُ: بكسر الميم ثم غين ساكنة ففاء مفتوحة، هو ما يلبسه المقاتل والمحارب على رأسه. بأستار: جمع ستر هو لباسها. وابن خطل: كان قد أهدر دمه النبي عليه السلام في جماعة آخرين.

٦١٩ - يَسْفِكُ: بفتح الباء وكسر الفاء، أي يقتل أحداً ويريق دمه. يَعْضُدُ: بفتح الياء وكسر الضاد، أي يقطع، وفي الحديث دليل على أنه لا يحل القتال بمكة المكرمة بحال إلا لضرورة الدفاع.

٦٢٠ - وإنما لبسها سوداء تفاضلاً لأن لبس السواد يدل على السيادة ودخول مكة بدون إحرام قيل: من خصائصه، وقيل: يجوز لغيره أيضاً كما جاء في حديث: «لمن أراد الحج والعمرة... إلخ».

٧ - اختصاصه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم

بالحكم والفتوى في حالة الغضب لأنه مأمون منه

وقد ذكره النووي في شرح مسلم عند حديث اللقطة، فإنه أفتى فيه وقد غضب حتى احمرت وجنتاه^(١).

٨ - اختصاصه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم

بعدم انتقاض وضوئه بالنوم مضطجماً

٦٢١ - فعن ابن عباس أن النبي ﷺ توضأ بالليل وصلى، ثم نام

حتى سمعت غطيته، ثم أتاه المؤذن فقام إلى الصلاة ولم يتوضأ.

٩ - اختصاصه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم

بجواز لعن من شاء بغير سبب

٦٢٢ - فعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «اللهم إني اتخذت

عندك عهداً لا تخلفنيه فإنما أنا بشر، فأَيُّ المؤمنين آذيته أو سببته أو لعنته أو جلدته فاجعلها له زكاةً وصلاةً وقربةً تقربه بها إليك يوم القيامة».

٦٢١ - رواه البخاري في العلم: باب السمر في العلم ٢٢٣/١ من فتح الباري

وفي التفسير وفي الأذان وفي قيام الليل مطولاً، وكذا رواه مسلم وغيره وتقدم أن عينيه تنامان إلخ.

٦٢٢ - رواه أحمد ٣١٦/٢، ٣١٧، ٣٩٠، ٤٤٩، ٤٩٣ و ٣٣/٣، ومسلم في

السير والصلة ١٥٠/١٦، ١٥٣ من شرح النووي.

(١) ومن آداب القاضي أن لا يقضي وهو غضبان لحديث: «لا يقضي القاضي وهو غضبان».

رواه البخاري ومسلم.

٦٢١ - غطيته: الغطيط هو الصوت الخارج مع نَفَسِ النَّائِمِ.

٦٢٢ - تُخْلِيفِيهِ: بضم التاء وسكون الحاء وكسر اللام. آذيته: يعني بأي نوع كان. سببته: أي

٦٢٣ - وعن أنس أن رسول الله ﷺ دفع إلى حفصة رجلاً فقال: «احتفظي به»، فغفلت حفصة ومضى الرجل فدخل رسول الله ﷺ وقال: «يا حفصة ما فعل الرجل؟» قالت: غفلت عنه يا رسول الله فخرج، فقال رسول الله ﷺ: «قطع الله يدك»، فرفعت يديها هكذا، فدخل رسول الله ﷺ فقال: «ما شأنك يا حفصة؟» فقالت: يا رسول الله، قلت قبل لي كذا وكذا، فقال لها: «ضعي يديك، فإني سألت الله عز وجل أيما إنسان من أمتي دعوت الله عز وجل عليه أن يجعلها له مغفرة».

١٠ - اختصاصه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم

بنكاح أكثر من أربع نسوة وهو إجماع^(١)

قال العلماء: لما كان الحر لفضله على العبد يستبيح من النسوة أكثر مما يستبيحه العبد وجب أن يكون النبي ﷺ لفضله على جميع الأمة يستبيح من النساء أكثر مما تستبيحه الأمة وحكى القرطبي في تفسيره: أنه أحل لنا نينا ﷺ تسع وتسعون امرأة^(٢)، وذكر في ذلك فوائد.

= وفي رواية: «إنما أنا بشر أرضى كما يرضى البشر وأغضب كما يغضب البشر» إلخ وله شواهد عن أنس وجابر وعائشة بعضها في مسلم.

٦٢٣ - رواه أحمد ١٤١/٣ بسند صحيح على شرط مسلم.

شتمته. لعنته: أي دعوت عليه باللعنة وهي الإبعاد. جلدته: أي ضربت جلده. زكاة: أي طهارة. وصلاة: أي دعاء، وفي هذا من شفقتة ورحمته ما لا يخفى. وفي قوله: أرضى إلخ، على أنه لم يخل من طبائع البشر.

٦٢٣ - احتفظي: احتفظه وراقبه كي لا يهرب. ما شأنك: أي شيء أصابك.

(١) قوله وهو إجماع: لأنه ﷺ كان له أكثر من أربع ولم يختلف أحد في إباحة ذلك له.

(٢) هذا لم نر له دليلاً.

منها: نقل محاسنه ﷺ الباطنة فإنه ﷺ مكمل الظاهر والباطن .
 ومنها: نقل الشريعة التي لم يطلع عليها الرجال .
 ومنها: تشريف القبائل بمصاهرته .
 ومنها: شرح صدره بكثرتهم عما يقاسيه من أعدائه .
 ومنها: زيادة التكليف في القيام بهن مع تحمل أعباء^(١) الرسالة .
 فيكون ذلك أعظم لمشاقة وأكثر لأجره .
 ومنها: أن النكاح في حقه عبادة، وقد تزوج أم حبيبة وأبوها في ذلك الوقت عدوه، وصفية، وقد قتل أباه وعمها وزوجها فلو لم يطلعن من باطن أحواله على أنه أكمل الخلق لكانت الطباع البشرية تقتضي ميلهن إلى آبائهن وقرابتهن . وكان في كثرة النساء عنده بيان لمعجزاته وكماله باطناً كما عرفه الرجال منه ظاهراً .

١١ - اختصاصه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم

بجواز النكاح بغير ولي ولا شهود

٦٢٤ - فعن أنس أن رسول الله ﷺ حين بنى بصفية قال الناس: (لا ندري أتزوجها أم اتخذها أم ولد؟ فقالوا: إن حجبتها فهي امرأته، وإن لم يحجبها فهي أم ولد، فلما أراد أن يركب حجبتها فعرفوا أنه تزوجها).

٦٢٤ - رواه البخاري في النكاح ٣٠/١١ من فتح الباري، وفي المغازي ٢٠/٩، وكذا رواه أحمد ٣/٢٦٤ .

٦٢٤ - بنى بصفية: كانت من نسل نبي الله هارون عليه السلام، وكان بناؤه بها مرجعه من خيبر في السنة السابعة من الهجرة. أم ولد: أي أمة يتسرى بها فإذا ولدت له عتقت بعد وفاته، وكانت صفية رضي الله تعالى عنها أجمل امرأة على الإطلاق يتعجب من حسنها وجمالها. حجبتها: لأنهم كانوا قد عرفوا من مشروعية الحجاب اختصاصه بالنساء الحرائر.

(١) أعباء: جمع عبء بكسر العين الشيء الثقيل.

ووجه الدلالة ظاهرة كما ترى، قال العلماء: إنما اعتبر الولي في نكاح الأمة للمحافظة على الكفاءة وهو ﷺ فوق الأكفاء، وإنما اعتبر الشهود لأمن الجحود، وهو ﷺ لا يجحد ولو جحدت هي لم يرجع إلى قولها على خلاف قوله، بل قال العراقي في شرح المهذب: تكون كافرةً بتكذيبه .

وكان له تزويج المرأة من نفسه وتولي الطرفين بغير إذنها وإذن وليها لقوله تعالى: ﴿النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم﴾، وقوله: ﴿وما كان لمؤمنٍ ولا مؤمنةٍ إذا قضى الله ورسوله أمراً أن تكون لهم الخيرة من أمرهم﴾.

١٢ - اختصاصه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم

بِحِلْيَةِ الْمَرْأَةِ مِنْ اللَّهِ وَدَخُولِهِ عَلَيْهَا بِغَيْرِ عَقْدٍ

قال تعالى: ﴿فلما قضى زيدٌ منها وطراً زوجناكها لكي لا يكونَ على المؤمنين حرجٌ في أزواجٍ أدعيائهم إذا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطْراً﴾^(١).

٦٢٥ - وعن أنس قال: كانت زينب تفتخر على أزواج رسول الله ﷺ تقول: (زَوَّجَكُنَّ أَهْلُكُنَّ وَزَوَّجَنِي اللَّهُ مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَاوَاتٍ).

٦٢٦ - وعن أنس قال: لما انقضت عدة زينب قال

٦٢٥ - رواه البخاري في التوحيد ١٧/١٨٣، ١٨٤ من فتح الباري.
٦٢٦ - رواه مسلم في النكاح. باب زواج زينب بنت جحش ٩/٢٢٧، ٢٢٨ من شرح النووي.

(١) وطراً: الوطء هو الحاجة، وفي هذا تشریف فائق حيث زوجه الله بها بنفسه سبحانه وتعالى.
٦٢٥ - تفتخر: أي بذكر هذه الكرامة التي خصها الله بها، والافتخار ذكر المفاخر والمحسن.

رسول الله ﷺ لزيد: «اذهب فاذكرها علي»، فذهب فأخبرها فقالت: ما أنا بصانعة شيئاً حتى أوامر ربي، فقامت إلى مسجدها ونزل القرآن وجاء رسول الله ﷺ حتى دخل عليها بغير إذن.

١٣ - ومن خصائصه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم
أن له النكاح بلفظ الهبة وبلا مهر ابتداء وانتهاء
قال تعالى: ﴿وَأَمْرًا مَّؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ
يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(١).

١٤ - ومن خصائصه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم
إباحة النظر إلى الأجنبية والخلوة بهن
٦٢٧ - فعن خالد بن ذكوان قال: قالت الرُبَيْع بنت مُعَوِّذ بن عفراء
رضي الله عنها: (جاء النبي ﷺ فدخل علي غداة بُني علي فجلس علي
فراشي كمجلسك مني).

قال الكرمانى في هذا الحديث: هو محمول على أن ذلك كان قبل
نزول آية الحجاب، أو جاز النظر للحاجة، أو للأمن من الفتنة.

٦٢٧ - رواه البخاري في المغازي ٣١٧/٨ من فتح الباري وفي النكاح باب
ضرب الدف في النكاح والوليمة ١٠٨/١١ من فتح الباري.

٦٢٦ - حتى أوامر: حتى أستشير ربي، تعني بالاستخارة. مسجدها: أي موضع صلاتها.
وزينب هذه كانت بنت عمته وكانت أولاً تزوجها زيد بن حارثة مولى النبي ﷺ، وكانت تعظم عليه
وتكرهه فطلقها فتزوجها حبيب الله ﷺ بإذن من الله عز وجل.
(١) خالصة: أي خاصة لك، فمن أجاز التزوج بالهبة من غير صداق لغيره عليه السلام فقد
خالف القرآن.

٦٢٧ - الربيع: بضم الراء وفتح الباء ثم ياء مشددة مكسورة. ومُعَوِّذ: بضم الميم وفتح العين
وكسر الواو المشددة. بُني: بضم الباء، أي دخل بي زوجي في عرسي.

وقال ابن حجر: الذي وضح لنا بالأدلة القوية أن من خصائص النبي ﷺ جواز الخلوة بالأجنبية والنظر إليها وهو الجواب الصحيح عن قصة أم حرام بنت ملحان في دخوله عليها ونومه عندها وتقلبها رأسه ولم يكن بينهما محرمة ولا زوجية وقد بين ذلك الحافظ شرف الدين الدمياطي وقال: هذا خاص بأم حرام وأختها أم سليم، قال ابن الملقن: والنبي ﷺ معصوم فيقال: كان من خصائصه الخلوة بالأجنبية.

١٥ - ومن خصائصه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم

أنه كان يزوج من شاء من النساء بمن شاء

من الرجال بغير رضاهن ورضا آبائهن

قال تعالى: ﴿وما كان لمؤمنٍ ولا مؤمنةٍ إذا قضى اللهُ ورسولهُ أمراً أن تكونَ لهم الخيرةُ من أمرهم﴾.

٦٢٨ - وعن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «ما من مؤمن إلا وأنا

أولى به في الدنيا والآخرة».

٦٢٩ - وعن سهل بن سعد رضي الله تعالى عنه أن امرأة أتت

النبي ﷺ فعرضت نفسها عليه فقال: «ما لي بالنساء حاجة». فقال رجل:

يا رسول الله زوجنيها، فقال: «زوجتكها بما معك من القرآن».

٦٢٨ - رواه البخاري في أول سورة الأحزاب ١٠/١٣٥ من فتح الباري وغيره

وقد تقدم.

٦٢٩ - رواه البخاري في النكاح ١١/١٠٣، ١٠٤ من فتح الباري وغيره،

ومسلم في النكاح أيضاً ٩/٢١١، ٢١٤ من شرح النووي مطولاً عندهما.

٦٢٩ - فعرضت نفسها: أي برزت له وطلبت منه أن يتزوجها وفي الحديث مشروعية عرض

المرأة المؤمنة نفسها على الرجال ليتزوجوها ولا لوم عليها في ذلك، لأنها تريد إعفاف نفسها كما فيه =

١٦ - ومن اختصاصه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم

قتل من سبه أو هجّاه

٦٣٠ - فعن علي رضي الله تعالى عنه أن يهوديةً كانت تشتم

النبي ﷺ وتقع فيه فخنقها رجل حتى ماتت فأبطل رسول الله ﷺ دمها.

٦٣٠ - رواه أبو داود رقم ٤٣٦٢ في الحدود بسند صحيح، وله شاهد عن ابن

عباس مطولاً عند أبي داود رقم ٤٣٦١ وسنده صحيح أيضاً.

= صحة إصداق المرأة: أي شيء ينتفع به فإن هذا الرجل زوجه النبي ﷺ تلك المرأة بما كان معه من القرآن وليس ذلك خاصاً بهما كما قيل، لأن الخصوصية لا تثبت بالدعوة المجردة.

٦٣٠ - وقع: أي تتكلم بالسوء وتطعن فيه. فخنقها: أي شدّ وربط على عنقها بحبل أو نحوه حتى

ماتت. فأبطل دمها: أي أهدره ولم يجعل لها ديةً ولا قوداً، وفي الحديث دليل على جواز بل وجوب قتل شاتم الرسول ﷺ لأنه لا يفعل مثل ذلك إلا كافر، وقد ألف في هذا الموضوع الإمام أحمد بن تيمية كتابه العظيم «الصارم المسلول على شاتم الرسول» أجاد فيه وأفاد، وأبدأ وأعاد ولا مثيل له في تأليفه على كثرتها، وراجع أواخر الشفا لعياض.

قسم الكرامات

١ - ومن خصائصه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم أنه لا يورث
كباقي الأنبياء وأن ماله بعد موته قائم على نفقته

٦٣١ - فعن أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه أن
رسول الله ﷺ قال: «إنا معاشر الأنبياء لا نُورَث، ما تركناه صدقة، إنما
يأكل آل محمد من هذا المال».

٦٣٢ - وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن رسول الله ﷺ
قال: «لا تقسم ورثتي ديناراً ولا درهماً، ما تركت بعد نفقة نسائي ومؤونة
عاملي فإنه صدقة».

٦٣١ - رواه البخاري في الفرائض ٦/١٥ من فتح الباري، وفي الخمس
٧/٧، ٨ من فتح الباري، ومسلم في الفيء من الجهاد ٧٦/١٢، ٨٠ من شرح
النوي مطولاً.

٦٣٢ - رواه البخاري ٣٣٥/٦ من فتح الباري في الوصايا وغيره، ومسلم في
حكم الفيء ٨١/١٢، ٨٢ من شرح النووي.

٦٣١ - لا نُورَث: بضم النون وفتح الراء، أي لا يرثنا أحد. ما تركنا: ما موصلة مبتدأ،
وخبرها صدقة وقد أبعد الشيعة النجعة، حيث جعلوا (ما) نافية، وذلك ليتسنى لهم الاحتجاج
بالحديث على مذهبهم الباطل.

٦٣٢ - هذا الحديث هو أصرح من الأول في المراد وأن ما تركه من مال هو صدقة بعد نفقة
نسائه وعامله.

٦٣٣ - وعن أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يُورثوا ديناراً ولا درهماً، وإنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر».

قال النووي في شرح مسلم ٨١/١٢: (جمهور العلماء على أن جميع الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين لا يورثون) اهـ.

وقد ذكروا في الحكمة في كون الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين لا يورثون أوجهاً منها: أن لا يتمنى قريبتهم موتهم فيهلكوا بذلك، ومنها: أن لا يظن بهم الرغبة في الدنيا وجمعها لورثتهم، ورجح النووي وغيره أن ماله ﷺ زال عنه ملكه وأنه صدقة على جميع المسلمين، لا تختص به الورثة.

٢ - ومن خصائصه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم أن أزواجه أمهات المؤمنين، وذلك في تحريم نكاحهن ووجوب احترامهن وطاعتهن لا في النظر ولا في الخلوة
قال الله تعالى: ﴿النبيُّ أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم﴾.

٦٣٣ - رواه أحمد ٩٦/٥، وأبو داود رقم ٣٦٤١، ٣٦٤٢، وكذا الترمذي رقم ٢٤٩١، وابن ماجه رقم ٢٢٣ وغيرهم، وأحد إسنادي أبي داود حسن ولذلك حسنه جماعة.

٦٣٣ - ورثة: جمع وارث. لم يُورثوا: بضم الياء ثم راء مكسورة مشددة بينها واو مفتوحة، أي لم يتركوا مالاً يرثه الناس، وإنما خَلَفُوا بعدهم العلم والهداية والنور. بحظ: أي نصيب. وافر: أي كثير، وفيه فضل العلم النبوي وشرف علماء الحديث والدين لأنهم خلفاء رسول الله وورثته على الحقيقة ﷺ.

قال البغوي: وهنَّ أمهات المؤمنين من الرجال دون النساء، ولأن فائدة الأمومة في حق الرجال وهي النكاح، وهي مفقودة في حق النساء.

٣ - ومن خصائصه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم
تحريم رؤية أشخاص أزواجه صلى الله تعالى عليه
وآله وسلم في الأزور وسؤالهن مشافهة ومعاينة

قال تعالى: ﴿وإذا سألتموهنَّ متاعاً فاسألوهنَّ من وراء حجاب﴾
الآية.

قال العلماء: لا يحل لأحد أن يسألهن إلا من وراء حجاب، وأما غيرهن فيجوز أن يسألهن مشافهة.

وقال عياض والنووي في شرح مسلم: خصصن بفرض الحجاب عليهن بلا خلاف في الوجه والكفين، ولا يجوز لهنَّ كشف ذلك لشهادة ولا غيرها ولا إظهار شخصوهن^(١). وإن كن مستترات إلا لضرورة خروجهنَّ للبراز، وكنَّ إذا قعدن للناس جلسن وراء حجاب، وإذا خرجن حجبن وسترن أشخاصهنَّ، ولما توفيت زينب جعلوا لها قبة فوق نعشها لستر شخصها.

٦٣٤ - وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: خرجت سودة بعدما ضرب الحجاب لحاجتها، وكانت امرأة جسيمة لا تخفى على من

٦٣٤ - رواه البخاري في خروج النساء إلى البراز من كتاب الوضوء ٢٥٩/١،
٢٦٠ من فتح الباري، وفي سورة الأحزاب ١٥٠/١٠ من فتح الباري.

(١) شخصوهن: فهذا هو المختص بهنَّ لا مطلق الحجاب فإن ذلك عام في كل النساء بالإجماع وبدون خلاف وقد جهل هذا أو تجاهله بعض الكتاب المعاصرين فنفي وجوب الحجاب عن النساء فضلٌ بذلك وزاغ.

٦٣٤ - جسيمة: أي لحيمة غليظة. فانكفات: أي مالت، فخرج المرأة لحاجتها وضرورياتها =

يعرفها فرآها عمر فقال: يا سودة، أما والله لا تخفين علينا فانظري كيف تخرجين، قال: فانكفأت راجعةً إلى رسول الله ﷺ وإنه ليتعشى وفي يده عرق، فقالت: يا رسول الله خرجت لبعض حاجتي، فقال لي عمر كذا وكذا، فأوحى الله تعالى إليه وإن العرق في يده ما وضعه، فقال: «إنه قد أذن لكن أن تخرجن لحاجتكن».

٤ - ومن خصائصه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وجوب

جلوس أزواجه من بعده في بيوتهن وتحريم خروجهن

إلا لحاجة ضرورية أو طبيعية أو شرعية^(١)

قال الله تعالى: ﴿وقرن في بيوتكن﴾^(٢).

٦٣٥ - وعن أبي واقد رضي الله تعالى عنه قال: قال

رسول الله ﷺ لأزواجه في حجة الوداع: «هذه، ثم ظهور الحصر».

٦٣٥ - رواه أحمد ٢١٩/٥، وأبو داود في الحج رقم ١٧٢٢، وفي سندهما من

تكلم فيه لكنه صحيح لشواهده عن أبي هريرة وزينب وسودة وغيرهم.

= لا حرج فيه، أما لغير حاجة أكيدة كخروجها للتسلي والتفريح والتنزه بين الرجال فذلك حرام وأخرى إذا زاحم الرجال وتخللهم فإن ذلك منكر أي منكر وإن اعتاده الناس وأصبح كالمعروف.

(١) طبيعية: كقضاء الحاجة والتخلي. وشرعية: كالشي للمسجد مثلاً أو عيادة مريض أو زيارة

قريب وفي هذه الخصوصية نظر.

(٢) وقرن: أي اجلسن، من القرار.

٦٣٥ - هذه: أي هذه السفرة لهذه الحجة، ثم الزمن بيوتكن والجلوس على الحصر، وقد

انقسم أزواجه بعده قسمين: قسم لزم بيته، وقسم كان يخرج للحج ومن هؤلاء عائشة.

٥ - ومن خصائصه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم
أن تطوعه في الصلاة قاعداً كتطوعه قائماً

٦٣٦ - فعن ابن عمر رضي الله تعالى عنه قال: حدثت أن النبي ﷺ قال: «صلاة الرجل قاعداً نصف الصلاة» فأتيته فوجدته يصلي جالساً، فقلت: يا رسول الله حدثت أنك قلت: صلاة الرجل قاعداً نصف الصلاة. وأنت تصلي قاعداً! قال: «أجل، ولكنني لست كأحدكم».

٦ - ومن خصائصه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم
أن عمله كان له نافلة

٦٣٧ - فعن عائشة رضي الله تعالى عنها أنها سئلت عن وصل صيام رسول الله ﷺ فقالت: (أتعملون كعمله، فإنه قد غفر له ما تقدم وما تأخر، كان عمله له نافلة).

٦٣٨ - وعن أبي أمامة رضي الله تعالى عنه أنه سئل عن النافلة فقال: (كانت للنبي ﷺ نافلة ولكم فضيلة).

وقال المفسرون في قوله تعالى: ﴿نافلة لك﴾ أي زيادة على ثواب

٦٣٦ - رواه مسلم في صلاة المسافرين ١٤/٦، ١٥ من شرح النووي، وأبو داود في الصلاة أيضاً.

٦٣٧ - رواه أحمد ٢٥٠/٦ بسند صحيح.

٦٣٨ - رواه أحمد ٢٥٩/٥ بسند حسن.

٦٣٦ - الحديث يدل على أن صلاته من قعود كانت كصلاته من قيام ولربدون عذر، بخلاف غيره.

٦٣٨ - نافلة: أي زيادة لأنه مغفور له، أما غيره فتكون جبراً لما نقص من فرائضهم.

الفرائض بخلاف تهجد غيرك فإنه جابر للنقصان المتطرق إلى الفرائض، وهو ﷺ معصوم عن تطرق الخلل إلى مفروضاته.

٧ - ومن خصائصه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم
أن المصلي يخاطبه بصلاته بقوله:
«السلام عليك أيها النبي» ولا يخاطب سائر الناس
وأنه يجب عليه إجابته إذا دعاه

أما خطابه في الصلاة فهو معلوم بالضرورة في كل أحاديث
التشهد، عن ابن مسعود وابن عباس وعمر وغيرهم.
وأما إجابته:

٦٣٩ - فعن أبي سعيد بن المعلى رضي الله عنه أن النبي ﷺ دعاه
وهو يصلي فصلى، ثم أتاه فقال: «ما منعك أن تجيبني إذ دعوتك؟» قال:
إني كنت أصلي، فقال: «ألم يقل الله عز وجل: ﴿يا أيها الذين آمنوا
استجبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم﴾»، ثم قال: «ألا أعلمك
أعظم سورة في القرآن»، قال: فكأنه نسيها أو نسي، قلت: يا رسول الله؛
قلت لي: ألا أعلمك إلخ قال: ﴿الحمد لله رب العالمين﴾، هي السبع
المثاني والقرآن العظيم.

٦٣٩ - رواه البخاري في فضائل القرآن ٤٣٠/١٠ فتح الباري، وفي أوائل
التفسير ٢٢٣/٩، ٢٢٤، ٣٧٧، ٣٧٨، من الفتح.

٦٣٩ - إذ دعوتك: أي حينما ناديتك فإذ ظرفية. السبع المثاني: سميت بذلك لأنها تنقَى في
الصلاة.

٨ - ومن خصائصه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم أنه كان لا يجوز لأحد الخروج من مجلسه إلا بإذنه قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوهُ﴾^(١).

٩ - ومن خصائصه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم أن الكذب عليه ليس كالكذب على غيره ٦٤٠ - فعن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ كَذِبًا عَلَيَّ لَيْسَ ككَذِبٍ عَلَىٰ أَحَدٍ فَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ».

قال النووي وغيره: الكذب عليه من الكبائر ولا يكفر فاعله على الصحيح، وهو قول الجمهور^(٢).

١٠ - ومن خصائصه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم تحريم التقدم بين يديه ورفع الصوت فوق صوته والجهر له بالقول ونداؤه من وراء الحجرات والصياح به من بعيد^(٣) قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ

٦٤٠ - رواه مسلم في المقدمة ١/٦٨، ٧١ من شرح النووي.

(١) فكان استئذانه من تمتات الإيمان وهو أدب جميل وقد استعمله العلماء والمشايخ مع تلاميذهم ومريديهم وحق لهم ذلك لأنهم خلفاء الرسول وورثته ﷺ.

٦٤٠ - فليتبوا: التبوؤ النزول، والتبوؤ: المنزل والمحل، ومعناه: فليتخذ منزلاً له من النار.

(٢) وقال الجويني وابن تيمية وجماعة بتكفيره وذلك بطريق اللزوم.

(٣) التقدم بين يدي الله ورسوله يكون بالشرع والتحليل والتحريم وإصدار أمر ما دون الله

ورسوله.

واتقوا الله إِنَّ الله سميعٌ عليمٌ، يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون، إِنَّ الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرةٌ وأجرٌ عظيمٌ، إِنَّ الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم لكان خيراً لهم، والله غفورٌ رحيمٌ^(١).

وقال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً﴾ يريد: يصيح من بعيد: يا أبا القاسم، ولكن كما قال الله في الحجرات: ﴿إِنَّ الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله﴾ الآية، وقال جماعة من العلماء: ويكره رفع الصوت عند قبره ﷺ لأن حرمة ميتاً كحرمة حياً، وهكذا قال مالك رحمه الله للخليفة أبي جعفر المنصور لما تناظرا في مسجد رسول الله ﷺ.

١١ - ومن خصائصه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وجوب محبته ومحبة أهل بيته وأصحابه

قال الله تعالى: ﴿قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموالٌ اقترفتموها وتجارةٌ تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين﴾.

(١) يغضون: أي يخفضون. امتحن: أي اختبر. الحجرات: بضم الحاء والجميم جمع حجرة وهي البيت والمراد بيوت رسول الله ﷺ.

هذه آداب سامية وهي تدل على عظمة الرسول ومنزلته عند الله تعالى وقد ذكر العلماء أن رفع الصوت عند حديثه كرفعه عند صوته ﷺ وصح أن سيدنا عمر رضي الله عنه همَّ بعقاب رجل سمعه يرفع صوته في مسجد رسول الله ﷺ.

٦٤١ - وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين».

٦٤٢ - وعن عبدالله بن هشام رضي الله عنه قال: كنا مع النبي ﷺ وهو أخذ بيد عمر بن الخطاب فقال له عمر: يا رسول الله، لأنت أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي، فقال النبي ﷺ: «لا والذي نفسي بيده حتى أكون أحب إليك من نفسك»، فقال له عمر: فإنه الآن والله لأنت أحب إلي من نفسي، فقال النبي ﷺ: «الآن يا عمر».

٦٤٣ - وعن المطلب بن ربيعة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «والذي نفسي بيده لا يدخل قلب رجل الإيمان حتى يحبكم الله ولرسوله» إلخ.

٦٤١ - رواه البخاري في الإيمان ٦٥/١ من فتح الباري، ومسلم ١٥/٢ من شرح النووي، وكذا النسائي ١٠٠/٨ في الإيمان، ونحوه عن أبي هريرة. رواه البخاري في الإيمان ٦٤/١.

٦٤٢ - رواه البخاري في باب كيف كانت يمين النبي عليه السلام من الأيمان والنذر ٣٢٩/١٤، ٣٣٠ من فتح الباري، وانظر المناقب ٥٤/٨.

٦٤٣ - رواه الترمذي في المناقب رقم ٣٥٢٤ وحسنه وصححه، ورواه أيضاً أحمد والطيالسي والحاكم ٣٣٣/٣ وسنده حسن.

٦٤١ - لا يؤمن: أي الإيمان الكامل وفي هذا شرف كبير له عليه السلام حيث جعلت محبته مقدمة على كل شيء.

٦٤٢ - لا والذي: أي لا تكون كاملاً في إيمانك حتى تؤثر محبتي على كل شيء حتى نفسك. الآن يا عمر: أي الآن بعدما عرفت الحقيقة وقدمتني على نفسك كمل إيمانك وبلغت إلى مستوى قل من بلغه.

٦٤٣ - والذي: أي وحق الله الذي إلخ، وفي هذا الحديث شرف لأهل البيت النبوي الأطهار حيث نفى الإيمان عن من لم يحبهم الله ورسوله ﷺ.

٦٤٤ - وعن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «آية الإيمان حب الأنصار، وآية النفاق بغض الأنصار».

١٢ - ومن خصائصه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم أن أولاد بناته ينسبون إليه بخلاف بنات غيره

٦٤٥ - فعن أبي بكرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: يعني في الحسن: «إن ابني هذا سيد» إلخ.

١٣ - ومن خصائصه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم أن بناته لا يجتمعن في الزواج مع بنات أعداء الله

٦٤٦ - فعن المسور بن مخرمة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول وهو على المنبر: «إن بني هشام بن المغيرة استأذنوا في أن ينكحوا ابنتهم علي بن أبي طالب فلا آذن ثم لا آذن ثم لا آذن إلا أن يريد ابن أبي طالب أن يطلق ابنتي وينكح ابنتهم فإنما هي بضعه مني يُرييني ما أرابها ويؤذييني ما آذاها».

٦٤٤ - رواه البخاري في الإيمان ٦٩ من فتح الباري، ومسلم، وكذا أحمد والنسائي في الإيمان.

٦٤٥ - رواه البخاري وغيره وقد تقدم، وفي الباب أحاديث.

٦٤٦ - رواه البخاري في الفضائل ٨/٨٠، ١٠٦ من فتح الباري وفي الخمس وفي النكاح، ومسلم في فضائل فاطمة ١٦/٢، ٣، ٤ من شرح النووي.

٦٤٤ - آية: أي علامة، والأنصار هم الأوس والخزرج من سكان المدينة الذين آمنوا برسول الله ﷺ وأووّه إليهم وأيدوه ونصروه، فمحبّة هؤلاء دليل على إيمان صاحبها وبغضهم برهان على نفاقه.

٦٤٥ - إن ابني: سماه ابنه وهو ابن بنته مولاتنا فاطمة عليها السلام.

٦٤٦ - استأذنوا: أي طلبوا الإذن. بضعه: بفتح الباء، القطعة. يرييني: بضم الياء، أي يسؤوني ما يسؤوها ويزعجني ما يزعجها، يقال رابني الأمر وأرابني إذا رأيت منه ما تكره.

١٤ - ومن خصائصه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم
عصمته من كل ذنب كبيراً أو صغيراً عمداً أو سهواً

قال الله تعالى: ﴿ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر﴾.
قال السبكي في تفسيره: أجمعت الأمة على عصمة الأنبياء فيما
يتعلق بالتبليغ، وفي غير ذلك من الكبائر، ومن الصغائر الرذيلة التي
تحط مرتبتهم، ومن المداومة على الصغائر، هذه الأربعة مجمع عليها،
واختلف في الصغائر التي لا تحط من مرتبتهم، فذهبت المعتزلة وكثير
من غيرهم إلى جوازها، والمختار المنع، لأننا مأمورون بالاعتداء بهم في
كل ما يصدر منهم من قول أو فعل فكيف يقع منهم ما لا ينبغي، ويؤمر
بالاعتداء فيه^(١).

قال: والذي جَوَّز ذلك لم يجوزها بنص ولا دليل إنما أخذ ذلك
من هذه الآية: ﴿ليغفر لك الله﴾.

قال: ولقد تأملتها مع ما قبلها وما بعدها فوجدتها لا تحتمل إلا
وجهاً واحداً، وهو تشريف النبي ﷺ من غير أن يكون هناك ذنب، ولكنه
أريد أن يستوعب في الآية جميع أنواع النعم من الله تعالى على عباده
الأخروية، وجميع النعم الأخروية شيثان: سلبية، وهي غفران الذنوب
وثبوتية، وهي لا تنهاى، أشار إليها بقوله: ﴿ويتم نعمته عليك﴾.
ودنيوية، وهي قوله تعالى: ﴿وينصرك الله نصراً عزيزاً﴾ فانتظم بذلك
قدر النبي ﷺ بإتمام أنواع نعم الله عليه المتفرقة في غيره ولهذا جعل
ذلك غايةً للفتح المبين الذي عظمه وفخمه بإسناده إليه بنون العظمة

(١) لأننا لا نأمن أن نتبعه في شيء مخالف للشرع إذا جوزنا عليه الصغائر فالحق ما ذكره
السبكي رحمه الله تعالى.

وجعله خاصاً بالنبي ﷺ بقوله: ﴿لك﴾، وقد سبق إلى نحو هذا ابن عطية، قال: وإنما المعنى، التشريف بهذا الحكم ولم تكن ذنوب البتة، قال: ثم على تقدير الجواز لا شك ولا ارتياب أنه لم يقع منه ﷺ، وكيف يتخيل خلاف ذلك، ﴿وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى﴾ فأما الفعل فإجماع الصحابة على إتباعه والتأسي به في كل ما يفعله من قليل أو كثير وصغير أو كبير، لم يكن عندهم في ذلك توقف ولا بحث، حتى أعمالهم في السر والخلوة يحرصون على العلم بها وعلى اتباعها علم بهم أولاً، ومن تأمل أحوال الصحابة معه ﷺ استحيا من الله أن يخطر بباله خلاف ذلك.

٦٤٧ - وعن ابن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: كنت أكتب ما أسمع من النبي ﷺ فقالت لي قریش: إنك تكتب كل ما تسمع من رسول الله ﷺ، ورسولُ الله بشر يرضى ويغضب، فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ، فقال لي: «اكتب فوالذي نفسي بيده لا يخرج مني إلا الحق».

١٥ - ومن خصائصه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم أنه منزّه عن فعل المكروه

قال ابن السبكي في جمع الجوامع: وفعله غير محرمٍ للعصمة،

٦٤٧ - رواه أحمد ١٦٢/٢، ١٩٢، ٢٠٧، ٢١٥ من طرق، وأبو داود رقم ٣٦٤٦، والحاكم في العلم ١٠٤/١، ١٠٥ وصححه ووافقه الذهبي وسنده صحيح، وكذا رواه الدارمي في المقدمة، والنسائي في السهو.

٦٤٧ - في هذا بيان أنه كان معصوماً من الخطأ في التشريع، وأنه كان لا يتأثر بالغضب كغيره فيحمله على خلاف الحق، وفيه الإذن في كتابة الحديث وما جاء من النبي عن ذلك فمسنوخ بالإجماع.

وغير مكروه^(١) للنزاهة، وما فعله مما هو مكروه. في حقنا، فإنما فعله لبيان الجواز فهو في حقه واجب للتبليغ أو فضيلة، ويثاب عليه ثواب واجب أو فاضل.

١٦ - ومن خصائصه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم
وسائر الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أنهم لا يجوز عليهم
الجنون بخلاف الإغماء لأن الجنون نقص والإغماء مرض
ونبه السبكي على أن الإغماء الذي يحصل لهم ليس كالإغماء
الذي يحصل لأحد الناس، وإنما هو غلبة الأوجاع للحواس الظاهرة فقط
دون القلب لأنه قد ورد أنه إنما تنام أعينهم دون قلوبهم، فإذا حُفظت
قلوبهم وعُصمت من النوم الذي هو أخف من الإغماء، فمن الإغماء
بطريق الأولى اهـ. وهو نفيس جداً والأشهر امتناع الاحتلام عليهم كما
قاله النووي في الروضة^(٢).

١٧ - ومن خصائصه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم
أن رؤياه وحي، وكل ما رآه فهو حق^(٣)
٦٤٨ - في الصحيحين عن عائشة رضي الله تعالى عنها: (فكان
لا يرى رؤيا إلا ظهرت مثل فلق الصبح) والأحاديث بذلك كثيرة شهيرة
وقد تقدم بعضها أوائل الكتاب.

(١) كالشرب من قيام فإنه فعل ذلك لبيان الجواز لأنه صح النهي عنه وكذا بوله من قيام وكذا أكله.

(٢) لأن في ذلك تسلط الشيطان عليهم وهم معصومون ومحفوظون منه.

(٣) وقد بقي مدة لا يوحى إليه إلا مناماً، راجع الفتح من كتاب بدء الوحي.

١٨ - ومن خصائصه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم

أن رؤيته في المنام حق

٦٤٩ - فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من رآني في المنام فقد رآني، فإنَّ الشيطان لا يتمثل بي».

قال ابن العربي المعافري: معناه أن رؤياه صحيحة ليست بأضغاث، وقال بعضهم: خصَّ ﷺ بأن رؤيته في المنام صحيحة ومنع الشيطان أن يتصور في خلقه لئلا يكذب على لسانه في النوم كما منع أن يتصور في صورته في اليقظة، إكراماً له.

وفي شرح مسلم للنووي: لو رأى شخص النبي ﷺ يأمره بفعل ما هو مندوب إليه أو ينهاه عن منهي عنه أو يرشده إلى فعل مصلحة فلا خلاف في أنه يستحب له العمل بما أمره به^(١).

١٩ - ومن خصائصه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم

تشريفه بالصلاة عليه

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ، يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾.

٦٤٩ - رواه البخاري في التعبير.

٦٤٩ - فقد رآني: أي رأى حقيقي فإن الشيطان لا يستطيع أن يتظاهر على صورتي ويتشكل في صفتي، وهذا من كمال عصمته ﷺ وحفظه من الشيطان وهو شرف رائق.
(١) أما إذا أمره بشيء أو نهاه بما يخالف شرعه فلا يجوز له العمل عليه ويجب تأويله ولا بد.

٦٥٠ - وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من صلى عليّ واحدةً صلى الله عليه عشراً».

٦٥١ - وعن أبي طلحة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أتاني جبريل فقال: يا محمد أما يرضيك أن ربك عز وجل يقول: إنه لا يصلي عليك من أمتك أحد صلاةً إلا صليت عليه بها عشراً، ولا يسلم عليك أحدٌ من أمتك تسليمةً إلا سلّمت عليه عشراً، فقلت: بلى أي رب».

٦٥٢ - وعن الحسن بن علي رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: «البخيل من ذُكرت عنده فلم يصل عليّ».

٦٥٠ - رواه مسلم في الصلاة على النبي بعد التشهيد ٤/١٢٧، ١٢٨ من شرح النووي، وكذا أحمد وأهل السنن.

٦٥١ - رواه أحمد ٤/٣٠، والنسائي، وابن حبان رقم ٢٣٩١، والحاكم ٢/٤٢٠ وصححه ووافقه الذهبي وهو صحيح لطرقه.

٦٥٢ - رواه أحمد ١/٢٠١، وابن حبان رقم ٢٣٨٨ بالموارد، والحاكم ١/٥٤٩، واسماعيل القاضي في فضل الصلاة على النبي ١٤، ١٦ بسند صحيح، ورواه الترمذي رقم ٣٣٠٨ عن علي وصححه وللحديث شاهدان صحيحان رواهما إسماعيل القاضي وغيره.

٦٥٠ - الصلاة من العبد دعاء، ومن الملائكة استغفار، ومن الله رحمة، وهي بالنسبة للنبي ﷺ زيادة تشريف وتكريم وتعظيم.

٦٥١ - فيه وفي الذي قبله فضلٌ وأيّ فضل للصلاة على رسول الله ﷺ.

٦٥٢ - البخيل عند الناس هو الذي لا ينفق الفضل من ماله، ولكن البخيل الحقيقي الذي لا أبخل منه هو الذي يسمع اسم حبيب الله المصطفى ﷺ، ثم يتغافل عنه ويبخل بالصلاة عليه.

٦٥٣ - وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ قال: «ما جلس قوم مجلساً لم يذكروا الله تعالى فيه، ولم يصلوا على نبيهم إلا كان عليهم ترة، فإن شاء عذبهم وإن شاء غفر لهم».

٦٥٤ - وعن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا ذهب ثلث الليل قام فقال: «يا أيها الناس اذكروا الله اذكروا الله». جاءت الراجفة تتبعها الرادفة، جاء الموت بما فيه، جاء الموت بما فيه، قال أبي: فقلت يا رسول الله: إني أكثر الصلاة عليك فكم أجعل لك من صلاتي؟ قال: «ما شئت»، قلت: الربع، قال: «ما شئت، فإن زدت فهو خير لك»، قال: فالنصف، قال: «ما شئت، وإن زدت فهو خير لك»، قلت: «فالثلاثان»، قال: ما شئت، فإن زدت فهو خير لك»، قلت: أجعل لك صلاتي كلها. قال: «إذا تكف همك ويغفر ذنبك».

٦٥٣ - رواه الترمذي رقم ٣١٥٥ والحاكم ٤٩٦/١، ٥٥٠، وصححه، وابن حبان رقم ٢٣٢٢ وكذا أحمد بنحوه وسنده صحيح.

٦٥٤ - رواه أحمد ١٣٦/٥، والترمذي في صفة القيامة رقم ٢٢٧٤، والحاكم وهو صحيح لغيره.

٦٥٣ - ترة: بكسر التاء وفتح الراء، أي نقص، وجاء في حديث آخر: «إلا قاموا على أنتن جيفة حمار» ففيه ذم ترك الصلاة عليه ﷺ.

٦٥٤ - الراجفة: هو اسم من أسامي يوم القيامة كالطامة والصاخة والحاقة والقارعة والغاشية والواقعة، أعادنا الله من أهوالها. إذا تكفي: إلخ: هذا فضل عظيم فائق حيث جعل المصلي عليه مكفي كل ما يهجم من أمر دنياه وآخره مع محو ذنوبه، إنه خير كبير لكنه مشروط بالإكثار منها مع جعلها كلها له ﷺ، وفيه أيضاً تشريف له ﷺ، ويؤخذ منه إهداء ثواب القربات له عليه الصلاة والسلام.

٢٠ - ومن خصائصه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم

أن لا يقال عند ذكره رحمه الله بل يصلى عليه

قال ابن عبد البر: لا يجوز لأحد إذا ذكر النبي ﷺ أن يقول رحمه الله لأنه قال: من صلى عليّ، ولم يقل من ترحم عليّ ولا من دعا لي، وإن كان معنى الصلاة الرحمة ولكنه خُصَّ بهذا اللفظ تعظيماً له ﷺ فلا يعدل عنه إلى غيره^(١).

قال ابن حجر في شرح البخاري: وهو بحث حسن وقد ذكر نحو ذلك القاضي أبو بكر بن العربي من المالكية والصيدلاني من الشافعية.

٢١ - ومن خصائصه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم

أنه كان يخص من شاء بما شاء من الأحكام

٦٥٥ - فعن عمارة بن خزيمة رضي الله تعالى عنه أن عمه حدّثه وهو من أصحاب النبي ﷺ أن النبي ﷺ ابتاع فرساً من أعرابي فاستتبعه النبي ﷺ ليقضيه ثمن فرسه، فأسرع النبي ﷺ المشي وأبطأ الأعرابي، فطفق رجال يعترضون الأعرابي فيسأومون بالفرس لا يشعرون أن النبي ﷺ ابتاعه حتى زاد بعضهم للأعرابي في السوم على ثمن الفرس الذي ابتاعه به النبي ﷺ، فنادى الأعرابي النبي ﷺ فقال: إن كنت مبتاعاً

٦٥٥ - رواه أبو داود ٣٦٠٧، والنسائي في الأفضية، وكذا أحمد ٥/٢١٥،

٢١٦ وسنده صحيح.

(١) مع أنه جاء في أحاديث التشهد، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله إلخ.

٦٥٥ - ابتاع: أي اشترى. فاستتبعه: أي قال له اتبعني. ليقضيه: أي ليؤدي له الثمن.

وأبطأ: أي تأخر. طفق: أي جعل. فيسأومون منه بيان ثمنه. لا يشعرون: أي لا

هذا الفرس فابتعه وإلا بعته. فقال النبي ﷺ حين سمع نداء الأعرابي: «أو ليس قد ابتعته منك؟» قال الأعرابي: لا والله ما بعته. فقال النبي ﷺ: «بلى قد ابتعته منك»، فطفق الناس يلوذون بالنبي ﷺ والأعرابي وهما يتراجعان، فطفق الأعرابي يقول: هلمَّ شهيداً يشهد أنني بايعتك. فمن جاء من المسلمين قال للأعرابي: ويلك، النبي ﷺ لم يكن ليقول إلا حقاً، حتى جاء خزيمة فاستمع لمراجعة النبي ﷺ ومراجعة الأعرابي، فطفق الأعرابي يقول: هلمَّ شاهداً أنني بايعتك، قال خزيمة: أنا أشهد أنك قد بايعته، فأقبل النبي ﷺ على خزيمة فقال: «بمَّ تشهد؟» فقال: بتصديقك يا رسول الله، فجعل النبي ﷺ شهادة خزيمة شهادة رجلين.

٦٥٦ - وعن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: خطبنا رسول الله ﷺ يوم النحر فقال: «من صلى صلاتنا ونسك نسكنا فقد أصاب النسك، ومن نسك قبل الصلاة فتلك شاة لحم» فقام أبو بردة ابن نيار فقال: يا رسول الله لقد نسكت قبل أن أخرج إلى الصلاة وعرفت أن اليوم يوم أكل وشرب فتعجلت وأكلت وأطعمت أهلي وجيراني، فقال رسول الله ﷺ: «تلك شاة لحم»، قال: فإن عندي عناقاً جذعة هي خير من شاتي لحم فهل تجزىء عني؟ قال: «نعم، ولن تجزىء عن أحد بعدك».

٦٥٦ - رواه البخاري ومسلم في الأضاحي، وكذا الترمذي فيها رقم ١٣٧٦، والنسائي وأبو داود رقم ٢٨٨٠، ٢٨٠١ وغيرهم.

= يعلمون. يلوذون: أي لجأوا إليهما وطاقوا بهما. هلم: أي هات. ويلك: أي الملاك لك. وفي الحديث فضيلة لخزيمة بن ثابت وخصيصة خصه بها رسول الله ﷺ، وفيه وقاحة ذلك الأعرابي وصفاقة وجهه وأن سكان البادية جفاة غلاظ الطبع.

٦٥٦ - ونسك: أي ذبح ذبحنا. عناق: بفتح العين هي الأثني من المعز ما لم يتم له سنة. ولن تجزىء: فيه نص على خصوصية ذلك به، فالفقهاء المجيزون التضحية بالجلع من المعز إطلاقاً مخطئون في ذلك بلا شك.

٦٥٧ - وعن أم عطية رضي الله تعالى عنها قالت: لما نزلت هذه الآية: ﴿يَبَايَعُكَ عَلَىٰ أَنْ لَا يُشْرِكَ بِاللَّهِ شَيْئًا﴾ إلى ﴿وَلَا يَعْبُدُكَ فِي مَعْرُوفٍ﴾ قالت: كان منه النياحة، فقلت يا رسول الله: إلا آل فلان فإنهم كانوا أسعدوني في الجاهلية ولا بد لي من أن أسعدهم، فقال: إلا آل فلان.

قال النووي: هذا محمول على الترخيص لأم عطية في آل فلان خاصة كما هو ظاهر ولا تحل النياحة لغيرها ولا لها في غير آل فلان، كما هو صريح في الحديث وللشارح أن يخص من العموم ما شاء.

٢٢ - ومن خصائصه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم أنه كان يؤاخي بين من شاء ويثبت بينهم التوارث

٦٥٨ - فعن ابن عباس رضي الله تعالى عنه: ﴿ولكل جعلنا موالى مما ترك﴾ قال: ورثته، ﴿والذين عاقدت أيمانكم﴾ كان المهاجرون لما قدموا المدينة يرث المهاجري الأنصاري دون ذوي رحمه للأخوة التي آخى النبي ﷺ بينهم، فلما نزلت: ﴿ولكل جعلنا موالى﴾ نسخت ثم قال: ﴿والذين عقدت أيمانكم﴾ من النصر والرفادة والنصيحة، وقد ذهب الميراث ويوصى له.

٦٥٧ - رواه البخاري في التفسير ٢٦٢/١٠ من فتح الباري، وفي الجنائز، ومسلم كذلك ٢٣٨/٦ من شرح النووي واللفظ له.

٦٥٨ - رواه البخاري في التفسير ٣١٦/٩، ٣١٧ من فتح الباري.

٦٥٧ - أسعدوني: أصل المساعدة المعاونة وهي وقوف المرأة مع صاحبها للنياحة على الميت، وما حصل من أم عطية كان قبل أن يبايعها كما جاء في رواية أخرى.

٦٥٨ - والرفادة: بكسر الراء الإعانة والعطاء، أما الرفادة التي كانت في قریش فهي عبارة عن جمعهم الأموال من بعضهم وشرائهم بها الأطعمة والزبيب للنبيد ثم أطعموا الحجيج وسقوهم.

٢٣ - ومن خصائصه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم
تشریف الله لأولاده وأزواجه وآل بيته وقبيلته من أجله
صلى الله تعالى عليه وآله وسلم

قال الله تعالى: ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت
ويطهركم تطهيراً﴾.

وقال تعالى: ﴿ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحاً نؤتها
أجرها مرتين﴾.

٦٥٩ - وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: خرج
رسول الله ﷺ غداً وعليه مرط مرحل من شعر أسود، فجاء الحسن بن
علي فأدخله، ثم جاء الحسين فدخل معه، ثم جاءت فاطمة فأدخلها، ثم
جاء علي فأدخله ثم قال: ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل
البيت ويطهركم تطهيراً﴾.

٦٥٩ - رواه مسلم في فضائل الحسن والحسين ١٥/١٩٤، ١٩٥ من شرح
النووي، والحاكم ٣/١٤٧ وصححه على شرطهما، ورواه الترمذي في المناقب رقم
٣٦٣١ عن أم سلمة، وفيه: «فقلت: وأنا معهم يا رسول الله، قال: إنك على خير»،
وحسنه وصححه، وله طرق عند أحمد، وانظر ٤/١٠٧ منه.

٦٥٩ - الرجس: أي الذنب والإثم المدنس لعرضكن. ومن يقنت: أي يطع وللقنوت معانٍ
أخرى. غداً: أي صباحاً. مرط: بكسر الميم هو كساء من صوف أو شعر. مُرْحَلٌ: كمفضل، أي
عليه صور الرحال وهي تكون للإبل، وفي هذا الحديث نص على أن أهل البيت هم هؤلاء الأربعة
وهذا لا شك فيه ولكن لا ينافي أن يكون نساؤه أيضاً من أهل البيت المعنيين في الآية فإن سياتها جاء
فيهن.

٦٦٠ - وعن رضي الله تعالى عنها أن النبي ﷺ قال: «يا فاطمة أما ترضين أن تكوني سيدة نساء المؤمنين أو سيدة نساء هذه الأمة».

٦٦١ - وعن البراء بن عازب رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ، لما مات إبراهيم قال: «إن له مرضعاً في الجنة».

٦٦٢ - وعن حذيفة رضي الله تعالى عنه قال: أتيت النبي ﷺ فصليت معه المغرب، فقام يصلي حتى صلى العشاء، ثم خرج فاتبعته فقال: «عرض لي ملك استأذن ربه أن يسلم عليّ وبشّرني في أن الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنة وفاطمة سيدة أهل الجنة».

٦٦٣ - وعن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنة».

٦٦٠ - رواه البخاري في علامات النبوة، ومسلم في الفضائل فضل فاطمة ٥/١٦، ٦، ٧ من شرح النووي.

٦٦١ - رواه البخاري في الجنائز وفي بدء الخلق ٧/١٣٦ من فتح الباري، وفي الأدب، وكذا مسلم وأهل السنن.

٦٦٢ - رواه أحمد ٥/٣٩١، والترمذي في المناقب وسنده صحيح.

٦٦٣ - رواه أحمد ٣/٣، ٦٢، ٦٤، ٨٠، ٨٢ والترمذي في المناقب، والحاكم ٣/١٦٦، ١٦٧، وغيرهم وحسنه الترمذي وصححه، وزاد أحمد: «وفاطمة سيدة نسائهم إلا ما كان لمريم بنت عمران». وللحديث طرق كثيرة بل هو متواتر.

٦٦٠ - فيه دليل على أن مولانا فاطمة سيدة نساء هذه الأمة حتى أمها خديجة وعائشة وفيه نزاع.

٦٦١ - مرضعاً: أي امرأة من نساء الجنة تتم رضاعه وفي هذا تكريمة له عليه السلام.

٦٦٢ - وفي هذا فضل عظيم هؤلاء الثلاثة الكرام عليهم من ربهم السلام والرضوان.

٦٦٣ - ظاهره أنها أفضل من كل سكان الجنة وهو مخصوص بغير الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

٦٦٤ - وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أفضل نساء أهل الجنة خديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد، ومريم بنت عمران، وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون».

٦٦٥ - وعن أنس رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «حسبك من نساء العالمين أربع: مريم، وآسية امرأة فرعون، وخديجة، وفاطمة».

٦٦٦ - وعن علي رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «خير نسائها خديجة بنت خويلد، وخير نسائها مريم بنت عمران».

٦٦٧ - وعن زيد بن أرقم قال: قال رسول الله ﷺ: «إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لم تضلوا بعدي أبداً، أحدهما أعظم من الآخر

٦٦٤ - رواه أحمد ٢٩٣/١ والحاكم ٥٩٤/٢ وغيرهما وسنده صحيح.

٦٦٥ - رواه أحمد والترمذي في المناقب رقم ٣٦٤٧ وصححه، وكذا رواه ابن حبان رقم ٢٢٢٢ وسنده صحيح.

٦٦٦ - رواه البخاري في المناقب ١٣٤/٨ من فتح الباري، ومسلم في الفضائل ١٩٨، ١٩٧/١٥ من شرح النووي، والترمذي في المناقب رقم ٣٦٤٦ وغيرهم.

٦٦٧ - رواه الترمذي في المناقب رقم ٣٥٥٢ وسنده صحيح، ورواه الحاكم باختصار وصححه على شرطهما ووافقه الذهبي، وأصله في صحيح مسلم في الفضائل =

٦٦٤، ٦٦٥ - حسبك: أي كافيك. وظاهر هذين الحديثين أن هؤلاء السيدات متساويات في الفضل.

٦٦٦ - معناه أفضل نساء هذه الأمة خديجة وأفضل نساء بني إسرائيل مريم قدس الله روحهما في الجنة.

٦٦٧ - حبل: أي نور ساطع من السماء إلى الأرض والعرب تشبه النور الممدود بالحبل والحيط. =

كتاب الله جبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي لن ينفرقا حتى يردا علي الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما».

٦٦٨ - وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تسبوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مدّ أحدهم ولا نصيفه».

٢٤ - ومن خصائصه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم
أن أصحابه كلهم عدول بإجماع من يعتدّ به
فلا يبحث عن عدالة أحد منهم

* - لقوله ﷺ: «خيركم قرني»^(١).

ولقوله تعالى: ﴿وكذلك جعلناكم أمةً وسطاً﴾ أي خياراً عدولاً،
ولأدلة أخرى.

= ١٧٩/١٥، ١٨١ من شرح النووي مطولاً وفيه: «إني تارك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله... وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي ثلاثاً» إلخ.

٦٦٨ - رواه مسلم في الفضائل، ونحوه عن أبي سعيد في الصحيحين.

* - الحديث رواه البخاري ومسلم وقد تقدم.

= وعترتي: عترة الرجل رهطه وأقاربه. لن ينفرقا: معناه أن القرآن وأهل البيت لا يفترقان بحيث لا يزال في آل البيت رجال متمسكون بهدي القرآن سائرون على أنواره وتعاليمه. ثقلين: ثنية ثقّل بفتحتي، ساهما بذلك لعظم شأنها أو لمشقتها على النفوس، وفي الحديث وصاية بالقرآن وآل البيت النبوي، وأنه يجب مراعاتها والمحافظة عليها، فالقرآن بتطبيقه والعمل به، وآل البيت بمحبتهم واحترامهم وتعظيمهم واتباعهم والافتداء بهم في طاعة الله عز وجل ومسانحتهم وتحمل أذاهم والعفو عنهم.

٦٦٨ - لا تسبوا: أي لا تشتموهم ولا تذكروهم بسوء فإنكم لن تصلوا إلى درجاتهم أبداً ولو

فعلتم ما عسى أن تفعلوه من الطاعات والقربات.

(١) هذا غير ظاهر في الحجية لأنه يقتضي عدم البحث في كل من كان في القرون الثلاثة الأولى، وهذا فاسد فالأولى أن يستدل بالحديث السابق، ويمثل قوله تعالى: ﴿لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى﴾، وبغير ذلك كالأية الأخرى.

٢٥ - ومن خصائصه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم
أن الصحبة تثبت لمن اجتمع به ولو لحظة على الأصح
لعظم منصب النبوة ونورها.

٢٦ - ومن خصائصه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم
أن حملة حديثه لا تزال وجوههم نضرة.

قال بعضهم: ليس أحد من أهل الحديث إلا وفي وجهه نضرة.
٦٦٩ - وعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: قال
رسول الله ﷺ: «نضّر الله امرأً سمع منا شيئاً فبلغه كما سمعه فرب مبلغ
أوعى من سامع».

* * *

٦٦٩ - رواه أحمد رقم ٤١٥٧، والترمذي في العلم رقم ٢٤٦٧، وابن ماجه
رقم ٢٣٢، وسنده صحيح، وحسنه الترمذي وصححه وله طرق متواترة.

٦٦٩ - نضّر الله: أي جعل في وجهه نضرة وبهجة وفيه شرف لأهل الحديث النبوي.

ذكر ما وقع عند وفاته ﷺ من المعجزات والخصائص

الآية في نعيه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم نفسه

٦٧٠ - فعن وائلة رضي الله تعالى عنه قال: خرج علينا رسول الله ﷺ فقال: «تزعمون أنني من آخركم وفاة، ألا وإني من أولكم وفاةً وتتبعوني أفناداً يهلك بعضهم بعضاً».

٦٧١ - وعن عائشة عن فاطمة رضي الله تعالى عنها: أن النبي ﷺ أسراً إليها فقال: «إن جبريل كان يعارضني بالقرآن كل عام مرة وأنه عارضني به العام مرتين، ولا أرى أجلي إلا قد حضر».

٦٧٠ - رواه أحمد ١٠٦/٤، وأبو يعلى، والطبراني، وسنده صحيح عند أحمد.

٦٧١ - رواه البخاري ومسلم ٥/١٦، ٦ من شرح النووي مطولاً، وقد تقدم بعضه قريباً.

٦٧٠ - أفناداً: جمع فَنَدَ بفتحين، أي تتبعوني جماعة متفرقين يقتل بعضهم بعضاً، ففيه إخبار بموته قبلهم.

٦٧١ - يعارضني: أي كان يدارسه ما أنزل عليه من القرآن كل عام مرة ويقابل ما يحفظه بما عنده، فلما كان العام الذي قبض فيه عارضه القرآن مرتين ففهم من ذلك أنه سينتقل. ولا أرى: بضم الهمزة، أي لا أظن أجلي من الدنيا إلا بلغ وأني مقبوض فكان كما قال وظن ﷺ.

٦٧٢ - وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنه أن عمر سأله عن قوله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ...﴾ فقال: هو أجل رسول الله ﷺ. فقال عمر: والله ما أعلم منها إلا ما تقول.

٦٧٣ - وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: خطب رسول الله ﷺ الناس يوماً، فقال: «إِنَّ عَبْدًا خَيْرَهُ اللَّهُ بَيْنَ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَ اللَّهِ فَاخْتَارَ مَا عِنْدَ اللَّهِ». فبكى أبو بكر، ففجعنا لبكائه أن يخبر النبي ﷺ عن رجل يخير، فكان المخير رسول الله ﷺ، وكان أبو بكر أعلمنا به، فقال: «لا تبك يا أبا بكر، إِنَّ مِنْ أُمَّنِ النَّاسِ عَلَيَّ فِي صَحْبَتِهِ وَمَالِهِ أَبُو بَكْرٍ، وَلَوْ كُنْتُ مَتَّخِذًا خَلِيلًا لَاتَّخَذْتَهُ، وَلَكِنْ أَخُوهُ الْإِسْلَامَ، لَا يَبْقَى فِي الْمَسْجِدِ بَابٌ إِلَّا سَدَّ إِلَّا بَابَ أَبِي بَكْرٍ».

٦٧٤ - وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ خرج يوماً فصلى على أهل أحد صلواته على الميت، ثم انصرف إلى المنبر

٦٧٢ - رواه البخاري في التفسير ١٠/٣٦٥، ٣٦٧ من الفتح، وفي الوفاة النبوية ٩/١٩٥ منه.

٦٧٣ - رواه البخاري في المناقب ٨/١٢، ١٣، ١٤ من فتح الباري.
٦٧٤ - رواه البخاري في الجنازات وعلامات النبوة وفي المغازي، وكذا مسلم في الفضائل، وأبو داود، والنسائي في الجنازات.

٦٧٢ - في هذا شرف لابن عباس وفضل على غيره في العلم وأنه فهم من السورة ما فهم عمر من إخبار الله بأجل رسول الله ﷺ.

٦٧٣ - أمَّنٌ: بفتح الميم والنون المشددة، اسم تفضيل من المن بمعنى العطاء والبذل، ومعناه: أن أبدل الناس لنفسه وماله أبو بكر وليس من المنَّة التي تفسد العمل. خليلاً: أي صديقاً وفيماً خالصاً وفي الحديث فضل أبي بكر رضي الله عنه، قوله: لا يبقى في المسجد باب إلا سد الخ، فيه إشارة إلى خلافته، وقد جاء مثله أيضاً للإمام علي رضي الله تعالى عنه من طرق كثيرة حسان وصحاح وانظرها مع الجمع بينها في فتح الباري للحافظ ٨/١٥، ١٦.

فقال: «إني فرطكم، وأنا شهيد عليكم، وإني والله أنظر إلى حوضي الآن، وإني أعطيت مفاتيح خزائن الأرض، وإني والله ما أخاف عليكم أن تشركوا بعدي، ولكن أخاف عليكم أن تتنافسوا».

ومن خصائصه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم إعطاؤه مع النبوة فضيلة الشهادة

٦٧٥ - وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: كان النبي ﷺ يقول في مرضه الذي مات فيه: «يا عائشة ما أزال أجد ألم الطعام الذي أكلت بخير فهذا أوان وجدت انقطاع أبهري من ذلك السم».

٦٧٦ - وعن عبدالله رضي الله تعالى عنه قال: (لأن أحلف بالله تسعاً أن رسول الله ﷺ قُتل قتلاً أحب إليّ من أن أحلف واحدةً، وذلك أن الله عز وجل اتخذه نبياً وجعله شهيداً).

٦٧٥ - ذكره البخاري في الوفاة النبوية معلقاً ١٩٥/٩ من فتح الباري، وذكر الحافظ أنه وصله جماعة وقد جاء من غير طريق.

٦٧٦ - رواه أحمد ٣٨١/١، ٤٠٨ من طريقين صحيحين، ورواه الحاكم ٥٨/٣ وصححه على شرط الشيخين ووافقه الذهبي.

٦٧٤ - فرطكم: بفتح الفاء والراء هو الذي يتقدم الواردة فيهيء لهم الدلاء والحياض ويستقي لهم، وفي الحديث مشروعية الصلاة على قبور الشهداء بعد مدة، وفيه فضائل لنبي ﷺ وخصائص خصّه الله بها، وفيه دليل على أنه اطلع بوحي من الله على ما سيحصل في الأمة من التنافس على الدنيا وما فيها وإن ذلك أخوف ما كان يخافه علينا كما يدل على أنه لم يخف علينا الشرك بالله.

٦٧٥ - أوان: أي وقت. أبهري: بفتح الهمزة وسكون الباء ثم هاء مفتوحة آخره راء، والأبهر عرق في الظهر متصل بالقلب إذا انقطع مات صاحبه.

٦٧٦ - قتل: إلخ: معناه توفي مقتولاً يعني شهيداً من السم الذي أكله بخير.

ما وقع في مرضه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم

٦٧٧ - عن عبدالله بن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: دخلت على النبي ﷺ وهو يوعك فمسسته فقلت يا رسول الله: إنك لتوعك وعكاً شديداً! فقال: «أجل إني أوعك كما يوعك الرجلان منكم»، قلت: إن لك لأجرين، قال: «نعم».

٦٧٨ - وعن أبي موسى رضي الله عنه قال: مرض النبي ﷺ فاشتد عليه مرضه، فقال: «مروا أبا بكر فليصل بالناس»، قالت عائشة: إنه رجل رقيق إذا قام مقامك لم يستطع أن يصلي بالناس، قال: «مروا أبا بكر فليصل بالناس»، فعدت. فقال: «مروا أبا بكر فليصل بالناس، فإنكن صواحب يوسف». فاتاه الرسول فصلى بالناس في حياة النبي ﷺ.

٦٧٩ - وعن عائشة رضي الله عنها قالت: (لقد راجعت رسول الله ﷺ في ذلك، وما حملني على كثرة مراجعته إلا أنه لم يقع في

٦٧٧ - رواه البخاري في المرضي ١٢/٢١٤، ٢١٥ من الفتح، ومسلم في البر ١٢٧/١٤ من شرح النووي.

٦٧٨ - رواه البخاري ومسلم في الصلاة.

٦٧٩ - رواه البخاري في وفاته ﷺ ٩/٢٠٦، ٢٠٧ من فتح الباري.

٦٧٧ - يوعك: الوَعك بفتح الواو وسكون العين هو ألم الحمى وشدها.
٦٧٨ - رقيق: أي قلبه يتأثر سريعاً فيكي. صواحب: إلخ: معناه أنكن في الكيد ومغايرة الظاهر للباطن مثل زليخة وصواحبها اللاتي استدعتن لترين يوسف وجماله الذي فتنها.

قلبي أن يحب الناس بعده رجلاً قام مقامه أبداً، ولا كنت أرى أنه يقوم أحد مقامه إلا تشاءم الناس به فأردت أن يعدل رسول الله ﷺ عن أبي بكر).

ما وقع عند احتضاره صلى الله تعالى عليه وآله وسلم من الآيات والخصائص

٦٨٠ - عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يقول وهو صحيح: «إنه لن يقبض نبي حتى يرى مقعده من الجنة ثم يخير». قالت: فلما نزل برسول الله ﷺ، ورأسه على فخذي، غشي عليه ثم أفاق، فشخص بصره إلى سقف البيت، وقال: «اللهم الرفيق الأعلى» فعرفت أنه الحديث الذي حدثنا وهو صحيح.

٦٨١ - وعنها رضي الله تعالى عنها قالت: (كنا نتحدث أن النبي ﷺ لا يموت حتى يخير بين الدنيا والآخرة، فلما كان مرض رسول الله ﷺ الذي مات فيه عرضت له بحة فسمعتة يقول: ﴿مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً﴾ فظننا أنه خير).

٦٨٠ - رواه البخاري في وفاته ﷺ ٢٠٣/٩ من الفتح، ومسلم في فضائل عائشة ٢٠٩/١٥ من شرح النووي.

٦٨١ - رواه البخاري ٢٠١/٩، ٢٠٢، ٢٠٣، ٣١٦ من فتح الباري، ومسلم ٢٠٩، ٢٠٨/١٥ من شرح النووي.

٦٧٩ - تشاءم: التشاؤم التطير وهو ضد التفاؤل.

٦٨٠ - غشي: بضم الغين وكسر الشين، أي أغمي عليه. فشخص: أي رفع بصره. الرفيق الأعلى: المراد به المكان الذي تحصل فيه المرافقة مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين إلخ.
٦٨١ - بحة: بضم الباء وتشديد الحاء، شيء يعرض في الحلق فيتغير له الصوت فيغلظ. مع الذين... إلخ، في هذا بيان لقوله: «اللهم الرفيق».

- ٦٨٢ - وعن أنس رضي الله تعالى عنه قال: (كان آخر وصية رسول الله ﷺ حين حضره الموت: «الصلاة، الصلاة وما ملكت أيمانكم» وما زال يغرغر بها في صدره ولا يكاد يفيض بها لسانه).
- ٦٨٣ - وعن علي رضي الله تعالى عنه قال: كان آخر كلام النبي ﷺ: «الصلاة وما ملكت أيمانكم».

ما وقع عند خروج روحه الشريفة صلى الله تعالى عليه وآله وسلم

- ٦٨٤ - عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: (قبض رسول الله ﷺ بين سحري ونحري، فلما خرجت نفسه لم أجد ريحاً قط أطيب منها).

-
- ٦٨٢ - رواه أحمد ١١٧/٣، والنسائي وابن ماجه في الوصايا رقم ٢٦٩٧ ورواه هذا عن أم سلمة رقم ١٦٢٥ بسند صحيح.
- ٦٨٣ - رواه أبو داود في الأدب رقم ٥١٥٦، وابن ماجه رقم ٢٦٩٨، والبخاري في الأدب المفرد رقم ١٥٨ وسنده لا بأس به.
- ٦٨٤ - رواه أحمد ١٢١/٦، ١٢٢ وغيره بسند صحيح. وصدره في باب وفاته عليه السلام من صحيح البخاري بمعناه ٢٠٤/٩، ٢٠٥ من الفتح.

٦٨٢ - الصلاة إلخ: أي راعوها فالصلاة بأدائها على أتم وجه، والمملوكون بالإحسان إليهم ومعاملتهم المعاملة الطيبة كإخوان لنا، وفي هذا رد على أعداء الإسلام الذين ينتقدونه بأنه دين الاقطاع وهضم الحقوق ويضربون الأمثلة بالرق والعبيد مع أنهم يعلمون أن نظام الإسلام لا مثيل له.

٦٨٤ - سحري: بفتح السين وسكون الحاء هو الصدر وهو في الأصل الرثة. والنحر: المراد به موضع النحر وفي البخاري: «بين حاقنتي وذاقنتي»، والحاقنة ما سفل من الذقن، والذاقنة ما علا منه، والمراد: أنه توفي ورأسه بين حنكها وصدرها ﷺ ورضي عنها.

* - وفي حديث أبي بكر لما توفي رسول الله ﷺ أكب عليه وقبله وقال: (طبت حياً وميتاً بأبي أنت وأمي) إلخ.

الآية في إخبار الكهان بوفاته صلى الله تعالى عليه وآله وسلم

٦٨٥ - فعن جرير رضي الله عنه قال: (كنت باليمن فلقيت رجلين من أهل اليمن، ذا كلاع وذا عمرو فجعلت أحدثهم عن رسول الله ﷺ فقال له: ذو عمرو، لئن كان الذي تذكر من أمر صاحبك لقد مرّ على أجله منذ ثلاث، وأقبلا معي حتى إذا كنا في بعض الطريق رفع لنا ركب من قِبل المدينة فسألناهم. فقالوا: قبض رسول الله ﷺ، واستخلف أبو بكر والناس صالحون. فقالا: أخبر صاحبك أنا قد جئنا ولعلنا سنعود إن شاء الله تعالى ورجعا إلى اليمن فأخبرت أبا بكر بحديثهم، قال: أفلا جئت بهم فلما كان بعد قال لي ذو عمرو: يا جرير إن لك علي كرامة وإني مخبرك خبيراً، إنكم معشر العرب لن تزالوا بخير ما كنتم إذا هلك أمير تأمرتم في آخر، فإذا كانت بالسيف كانوا ملوكاً يغضبون غضب الملوك، ويرضون رضا الملوك).

* - رواه البخاري وانظر المسند لأحمد ٥/١.

٦٨٥ - رواه البخاري في المغازي باب ذهاب جرير إلى اليمن ١٣٨/٩، ١٣٩ من فتح الباري.

* - فيه تقبيل الميت، وقد ثبت أن النبي ﷺ قبل عثمان بن مظعون.

٦٨٥ - لقد مر على أجله: أي لقد توفي منذ ثلاثة أيام وقال ذلك إما عن علم بما كان لهم من الكتب القديمة أو أنه كان كاهناً فأخبره بذلك شيطانه، أو قال ذلك عن إلهام إن كان قد أسلم. ركب: بفتح الراء وسكون الكاف، أي ركبان الإبل. تأمرتم: أي تشاورتم على إمارته.

ما وقع عند غسله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم من الآيات

٦٨٦ - فعن عائشة رضي الله عنها قالت: (لما أرادوا أن يغسلوا رسول الله ﷺ قالوا: ما ندري أنجرده من ثيابه كما نجرد موتانا، أم نغسله وعليه ثيابه؟ فلما اختلفوا ألقى الله عليهم النوم، ثم كلمهم مكلم من ناحية البيت لا يدرون من هو: أن اغسلوا النبي وعليه ثيابه، فقاموا إلى رسول الله ﷺ فغسلوه وعليه قميصه يصبون الماء فوق القميص دون أيديهم).

٦٨٧ - وعن علي رضي الله تعالى عنه قال: (لما غُسل النبي ﷺ ذهب يلتمس منه ما يلتمس من الميت فلم يجده فقال: بأبي الطيب طبت حياً وطبت ميتاً).

٦٨٦ - رواه أبو داود رقم ٣١٤١، وكذا الطيالسي، وأحمد ٢٦٧/٦، والبيهقي في السنن الكبرى ٣/٣٨٧، وابن حبان رقم ٢١٥٦، والحاكم ٣/٥٩، ٦٠ بسند صحيح.

٦٨٧ - رواه ابن ماجه في الجناز رقم ١٤٦٧ في باب غسل النبي ﷺ وسنده صحيح، وكذا رواه الحاكم وصححه.

٦٨٦ - في هذا آية باهرة فإن إلقاء النوم عليهم جميعاً مخالف للعادة فهذه آية، وتكلم من كلمهم في تلك الحالة في شأن غسل النبي ﷺ هي آية ثانية، وهذا المتكلم بلا شك ملك من ملائكة الله عز وجل، وفي هذا إجلال لرسول الله ﷺ.

٦٨٧ - يلتمس: أي يطلب. بأبي: أي أفديك بأبي أنت الطيب الطاهر في حياتك وبعد موتك ﷺ.

اختصاصه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بالصلاة عليه

أفراداً بغير إمام وبغير دعاء الجنازة المعروف وما وقع في ذلك

٦٨٨ - فعن أبي عسيب أو أبي عسيم قال: (أنه شهد الصلاة على رسول الله ﷺ قالوا: كيف نصلي عليه؟ قال: ادخلوا أرسالاً أرسالاً، قال: فكانوا يدخلون من هذا الباب فيصلون عليه، ثم يخرجون من الباب الآخر، قال: فلما وضع في لحده ﷺ، قال المغيرة: قد بقي من رجله شيء لم يصلحوه. قالوا: فأدخل فأصلحه فدخل، وأدخل يده فمس قدميه فقال: أهيلوا عليّ التراب فأهلوا عليه التراب حتى بلغ أنصاف ساقيه، ثم خرج فكان يقول: أنا أحدثكم عهداً برسول الله ﷺ).

اختصاصه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم

بدفنه في بيته حيث قبض

٦٨٩ - فعن عائشة رضي الله عنها قالت: لما قبض رسول الله ﷺ اختلفوا في دفنه. فقال أبو بكر: سمعت رسول الله ﷺ شيئاً ما نسيت، قال: «ما قبض الله نبيّاً إلا في الموضع الذي يحب أن يدفن فيه» فدفنوه في موضع فراشه.

٦٨٨ - رواه أحمد ٨١/٥ بسند صحيح، ورواه ابن ماجه رقم ١٦٢٨، والبيهقي ٣٠/٤ عن ابن عباس بسند ضعيف.

٦٨٩ - رواه الترمذي رقم ٩٠٢ بسند ضعيف لكنه صحيح لطرقة عند ابن ماجه رقم ١٦٢٨، وأحمد رقم ٢٧، ج ٧/١، وعند ابن سعد في الطبقات، والترمذي في الشمائل، وسند هذين الآخرين صحيح مع وقفهما، وحكمهما الرفع.

٦٨٨ - أرسالاً: أي جماعة جماعة. أهيلوا: أي صبوا.

٦٨٩ - دفن في بيت عائشة حيث توفي وذلك ليلة الأربعاء ودخل قبره علي والعباس وابنه الفضل. رواه البزار رقم ٨٥٥ بسند حسن، ورواه ابن ماجه مطولاً رقم ١٦٢٨ بزيادة قثم وشقران وفي سننه الحسين بن عبدالله الهاشمي وهو ضعيف.

اختيار اللحد في الدفن

لرسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم

٦٩٠ - فعن أنس رضي الله تعالى عنه قال: (لما توفي ﷺ كان بالمدينة رجل يلحد وآخر يضرح، فقالوا: نستخير ربنا، ونبعث إليهما فأيهما سبق تركناه، فأرسل إليهما فسبق صاحب اللحد فلحدوا للنبي ﷺ).

تغيير الحالة بعد وفاة رسول الله

صلى الله تعالى عليه وآله وسلم

٦٩١ - فعن أنس رضي الله تعالى عنه قال: (لما كان اليوم الذي دخل فيه رسول الله ﷺ المدينة أضاء منها كل شيء، فلما كان اليوم الذي مات فيه أظلم منها كل شيء، وما نفضنا عن النبي ﷺ الأيدي حتى أنكرنا قلوبنا).

٦٩٢ - وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: (ما عدا وارينا رسول الله ﷺ في التراب، فأنكرنا قلوبنا).

٦٩٠ - رواه أحمد ٩٩/٣، وابن ماجه رقم ١٥٥٧ في الجنايز وسنده صحيح وله طرق.

٦٩١ - رواه أحمد ٢٦٨/٣، وابن ماجه رقم ١٦٣١، وابن حبان رقم ٢١٦٢

بسند صحيح.

٦٩٢ - رواه البزار بسند صحيح ٤٠٢/١، ٤٠٣ رقم ٨٥٣ من كشف الأستار

عن زوائد البزار.

٦٩٠ - يضرح: أي يشق، وفيه دليل على أن اللحد للميت أفضل من الشق.

٦٩١ - هذا تقدم في دخول رسول الله ﷺ المدينة عند هجرته.

٦٩٢ - وارينا: أي سترناه في التراب والمراد بإنكار قلوبهم تغييرها عما كانت عليه أيام

حياته ﷺ.

إكرامه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ببقاء جسمه وعدم تلاشيهِ وبلائهِ

٦٩٣ - فعن أوس بن أوس الثقفي رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ قال: «إنَّ من أفضل أيامكم يوم الجمعة، ففيه خلق آدم، وفيه قبض، وفيه النفخة، وفيه الصعقة، فأكثرُوا عليَّ من الصلاة فيه فإن صلواتكم معروضة عليَّ». قالوا يا رسول الله: وكيف تعرض عليك صلواتنا وقد أرمت؟ - يعني بليت - فقال: إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء».

إكرامه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بحياته في قبره واستغفاره لأمته وتوكيل ملائكة سياحين في الأرض يبلغونه من سلم عليه

٦٩٤ - فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لله ملائكةً في الأرض سياحين يبلغوني من أمتي السلام».

٦٩٣ - رواه أحمد ٨/٤ وأبو داود رقم ١٠٤٧، والنسائي ٧٥/٣، وابن ماجه رقم ١٠٨٥، وابن حبان رقم ٥٥٠ كلهم في الجمعة وكذا رواه إسماعيل القاضي في فضل الصلاة على النبي ص ١١ وسنده عندهم صحيح، ورواه أيضاً الحاكم وصححه على شرطهما ووافقه الذهبي.

٦٩٤ - رواه أحمد ٣٨٧/١ بالقسم الأول، والبزار رقم ٨٤٥، مع كشف =

٦٩٣ - وفي الحديث دليل على أن صلواتنا تعرض عليه ويراهما، وعرض الصلاة عليه هو بتكليف ملائكة خاصين طوافين في الأرض كما في الحديث الآتي وغيره، وفيه دليل على حياة الأنبياء في قبورهم وأن أجسامهم لا تبلى ولا تضمحل كغيرها من سائر أجساد بني آدم إلا من خصه الله بالبقاء، وهذه كرامة عظيمة للأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وقد أُلّف في هذا الموضوع البيهقي، كتاب «حياة الأنبياء».

٦٩٤ - سياحين: أي سائر في سائر أنحاء المعمورة حيث يوجد المؤمنون به ﷺ، محدثون: =

قال: وقال رسول الله ﷺ: «حياتي خير لكم تحدثون ويحدث لكم، ووفاتي خير لكم تعرض علي أعمالكم فما رأيت من خيرٍ حمّدت الله، وما رأيت من شرٍ استغفرت الله لكم».

وبهذا تم تهذيب الخصائص الكبرى للحافظ السيوطي رحمه الله تعالى على يد أضعف الوري وأفقرهم إلى الله وإلى فضله ورحمته عبد الله التليدي كان الله له أمين. وكان الفراغ منه ضحوة يوم الأربعاء خامس وعشري محرم الحرام مفتح عام واحد وأربعمائة وألف ١٤٠١، فالحمد لله أولاً وأخيراً، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه إلى يوم الدين.

= الأستار كاملاً من طريق عبد الله بن السائب عن زاذان عنه، وسنده صحيح على شرط مسلم، وأورده نور الدين في المجمع ٢٤/٩ برواية البزار وقال: رجاله رجال الصحيح وصححه غير واحد من المحدثين، ورواه ابن سعد، وإسماعيل القاضي في فضل الصلاة على النبي ص ١٢ من حديث بكر بن عبد الله المزني به مرفوعاً وهو مرسل صحيح مؤيد للأول.

= أي تحدثون أشياء ويحدث لكم أحكاماً بوحى من الله عز وجل. تعرض: أي تأتيني ملائكة ربي بأعمالكم خيراً وشرها فأشاهدها.

فإذا رأيت خيراً حمدت الله عز وجل على أن وفقكم وهداكم وجعلكم من أنصار ديني وأتباع ملتي، أما إذا رأيت شراً وسيئات توجهت إلى الله عز وجل وسألته أن يغفر لكم ويسامحكم. وفي هذا الحديث من البشارة للمؤمنين والخير العميم والكرامة لهم ما لا يحتاج إلى بيان.

وبهذا تم التعليق الوجيز الذي لا يخلو من فائدة وكان ذلك زوال يوم الأحد الثالث من ربيع الثاني ١٤٠١ هـ. فالحمد لله أولاً وأخيراً وبدءاً وعوداً وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

ترجمة موجزة للمؤلف

نسبه :

هو الفقير إلى ربه أبو الفتوح عبدالله بن عبدالقادر بن أحمد التليدي يتصل نسبه بسيدي عبدالله بن مولانا إدريس دفين فاس بن مولانا إدريس فاتح المغرب بن مولانا عبدالله الكامل بن مولانا الحسن المثنى بن مولانا الحسن السبط بن الإمام علي ومولاتنا فاطمة الزهراء بنت سيد العالمين .

ولادته ونشأته :

ولد بقرية الصاف من قبيلة بني جرفط عمالة تطوان سنة ست أو سبع وأربعين وثلاثمائة وألف .

وهاجر به والده مع باقي الأسرة إلى مدينة طنجة وسنه دون العشرة وحفظ القرآن الكريم مبكراً دون البلوغ على شيخه الفاضل المرحوم السيد عبدالسلام بن حمان الشقاف وختمه تصحيحاً على جماعة من المقرئين ثم انقطع عن القراءة وتقلب في عدة حرف ومهن وصناعات ومرت عليه ظروف قاسية وأصيب ببلايا ومحن في بداية شبابه .

طلبه العلم ومشايخه في ذلك :

ثم هداه الله تعالى للاشتغال بالعلم فشرع في طلبه وقد ناهز العشرين من عمره فلازم المساجد وحلق العلم بطنجة مدة من ثمان سنوات قرأ فيها على علماء المدينة والطارئين عليها فقرأ على العلامة النحوي السيد عبدالسلام الخنوس الأجرومية وألفية ابن مالك ومرشد ابن عاشر مرارا ورسالة

ابن أبي زيد مرة، وابن بري في قراءة نافع وبعض الشاطبية وهمزية البوصيري ومقدمة جمع الجوامع في أصول الفقه ولامية الأفعال والمنطق.

وقرأ على العلامة الشيخ عبدالله بن عبدالصديق التمساني ألفية ابن مالك ونور اليقين وتحفة الحكام ورسالة ابن أبي زيد وجمع الجوامع ومختصر خليل بالشرح الصغير الدردير في الفقه المالكي.

وقرأ على العلامة الفاضل السيد عبدالحفيظ كنون السنوسية في التوحيد ورسالة ابن أبي زيد مرتين ومختصر ابن أبي جمرة وسنن ابن ماجه إلى النكاح وبعض صحيح البخاري.

وقرأ على العلامة السيد أحمد بو حسين التفسير من أوله إلى سورة المائدة والجواهر المكنون في البلاغة.

وقرأ على العلامة النحوي السيد الحسن اللمتوني ألفية النحو مراراً. وقرأ على العلامة محمد السكيرج المقنع في الفلك والتوقيت والحساب وبعض الكتب الأدبية.

وقرأ على العلامة الأديب عبدالله بن عبدالصمد كنون وركات إمام الحرمين.

وقرأ على العلامة محمد الساحلي الوسيني توحيد ابن عاشر ورسالة ابن أبي زيد وجملة من التفسير.

وشد الرحلة إلى فاس فقرأ مقدمة جمع الجوامع على العلامة السيد عبدالعزيز بن الخياط، وتوحيد ابن عاشر على العلامة العباس البناني، ومختصر خليل على السيد إدريس العراقي، ولكنه لم تطل إقامته بفاس لاضطرابات وفتن كانت ألمت به من طرف فرنسا.

ثم قرأ على العلامة المحدث السيد عبدالعزيز بن الصديق سنن الترمذي من أوله إلى نهايته، وألفية العراقي في علم الحديث، ونخبة الفكر، وتفسير الجلالين إلى سورة هود وغير ذلك.

وقرأ الفلك والتوقيت على المرحوم العلامة السيد المختار الحساني .
وقرأ على العلامة الأصولي السيد عبدالحى بن الصديق نخبة الفكر
ومفتاح الوصول وطرفاً من سبل السلام، والجواهر المكنون .
وقرأ على العلامة الشيخ الزمزمي بن الصديق «بلوغ المرام» وطرفاً من
«لب الأصول» .

وقرأ على العلامة المحدث السيد محمد المنتصر الكتاني نزيل مكة
المكرمة البيقونية في علم الحديث، وورقات إمام الحرمين في أصول الفقه،
ونور اليقين، وخمسة أحزاب من تفسير القرآن الكريم .

ثم اتصل بشيخه الحافظ سيدي أحمد بن الصديق رحمه الله تعالى
فلازمه وقرأ عليه كثيراً واستفاد منه وتدرّب به في علم الحديث الشريف وانتفع
بعلمه انتفاعاً جَمّاً، وله مشايخ آخرون كثيرون سيضمنهم معجمه إن شاء الله
تعالى .

مرحلته بعد نهاية الطلب :

ثم استقلّ بنفسه فلزم بيته واعتكف على القراءة والمطالعة فقرأ كتباً كثيرة
في مختلف الفنون والعلوم من تفسيرٍ وحديثٍ وشروحه وفقهٍ على سائر
المذاهب وأخلاقٍ وتربيةٍ وسلوكٍ وتراجمٍ وتاريخٍ وسيرٍ وجغرافيا وفلكٍ وتوقيت
وأصولٍ وفلسفةٍ وغير ذلك، والعلوم التي يميل إليها ويشغل بها في نفسه
بكثرة هي التفسير والحديث والفقه على سائر المذاهب والآداب والأخلاق
والزهديات والرقائق .

مؤلفاته :

وله تأليف كثيرة فيها المطبوع والمخطوط وهي كالاتي :
منهاج الجنة، المرأة وقتنتها، أسباب هلاك الأمم، من عجائب
الأقدمين، اختصار الاستنفار، المُطَرَّبُ بمشاهير المغرب، حياة الشيخ
أحمد بن الصديق، نشر الأعلام، تحفة القارئ، قمع الأغبياء، تهذيب
الخصائص الكبرى، زاد المتقين، وهذه كلها مطبوعة .

الاعتصام في السنّة، الإيمان في السنّة، العلم في السنّة، المبشرون بالجنة، اقتضاء السبيل، تهذيب جامع الترمذي، زوائد الترمذي على الصحيحين، صحيح جامع الأصول - لم يتم -، مفتاح لأحاديث التاريخ الكبير للبخاري، مفتاح لأحاديث المعجم الصغير للطبراني، البراهين السامية في توحيد السلف، القنوت في السنّة، الطرح والرفض، البغية في العزلة، الاحتساب فيما خالف فيه المالكية الأصحاب، أحكام الجمعة وأسرارها، فضائل القرآن وسورة في السنّة الصحيحة، دُرُّ الغمام الرقيق، اختصار سلوة الأنفاس، إرسال القنابل، تخريج أحاديث شرح البردة لابن عجيبة، أحاديث الشفاعة وأنواعها، مشاهد الموت والقبر وأهوالهما، الزهديات، نصب الموائد بذكر النوادر والفوائد، الفتاوى المنبرية، مشاهير رواة الصحابة، المبشرات النامية عبر العصور، الأنوار الباهرة بفضائل الذرية الطاهرة، شفاء العليل بملاحظات حول مختصر خليل. وهذه كلها مخطوطة وبعضها لم يتم بعد.

حالته الشخصية وسيرته:

هو الآن متزوج وله أولاد ثمانية ذكور وإناث ثلاثة من حفظة القرآن الكريم وأكبرهم من طلبة العلم وله أربعة إخوة ووالداه توفيا منذ عشرين سنة وله مسجد تقام فيه الصلوات الخمس والجمع ويتولى بنفسه الخطابة فيه وتدرّس العلوم الإسلامية مع الطلبة حفظة القرآن الكريم وله من الطلبة حالياً نحو من سبعين، وهو على هذه الحالة أكثر من ربع قرن وليس له راتب يتقاضاه من أحد وإنما يعيش على ما يفتح الله تعالى به من فضله ومن نعم الله تعالى عليه أنه لم يتملق لأحد من أرباب الدولة للحصول على وظيفة أو مساعدة كما أنه لم يدخل أحداً من أولاده المدرسة العصرية لفساد أهلها عقائد وأخلاقاً وأفكاراً، وهو قوَال للحق أمرٌ بالمعروف ناهٍ عن المنكر لا يخاف في الله لومة لائم، شديد على الكفار والملاحدة والشيوعيين والصهاينة وعملائهم، بعيد عن المتفرنجين، ومقلدة الغربيين. وقد لقي مضايقات كثيرة تعسفية وامتنحن لذلك في الله وسُجِنَ، عَزُوف عن الدنيا معرضٌ عنها وعن

أهلها منقطع في بيته ومسجده، مشتغل بما يهمله، أوقاته عامرة ما بين قراءة ودراسة وتأليف وعبادة، لا تراه خارج بيته إلا لحاجة أكيدة، متفان في محبة الله ورسوله ﷺ، متواضع بعيد عن التعظيم، حسن النية والظن رقيق القلب، أواه كثير الرجوع إلى الله، شديد الخوف من ربه يبكي كثيراً عند تلاوة القرآن وعند تذكّر الموت والقبر ومشاهد القيامة، شغوف بالحج وزيارة المدينة ولذلك فقد قضى الله له أن يحجّ أكثر من خمس عشرة مرة. ورأى النبي ﷺ في المنام كثيراً وبشره ببشارات ورؤيت عليه مرثي عظيمه يرجو الله تحقيقها. وتجوّل في أكثر البلاد الإسلامية وغيرها فدخل الجزائر وتونس وليبيا ومصر مراراً والحجاز والكويت والعراق والأردن وفلسطين وسوريا ولبنان وتركيا ولقي في هذه الأقطار كثيراً من العلماء والمفكرين والصالحين والمتعبدين.

وله تلاميذ لا يحصون كثرة فيهم الأئمة والخطباء والأساتذة والمهندسون والقضاة والمنقطعون إلى الله تعالى. وهو الآن لا يزال على قيد الحياة وعمره يناهز الستين.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

فهرس ألفبائي للأحاديث

رقم الحديث	الراوي	الحديث
(حرف الهمزة)		
٥٧٨	أبو هريرة	آتي باب الجنة فاستفتح .
٤٢١	عمار بن ياسر	آخر شراب تشربه من الدنيا شربة لبن .
٦٤٤	أنس بن مالك	آية الإيمان حب الأنصار .
٢٩٦	ابنة خباب بن الأرت	إثنتي بأعظم إناء لكم .
٢٧٩	أنس بن مالك	إئذن لعشرة، فأذن لهم فأكلوا .
٣٨٢	أبو موسى الأشعري	إئذن له، وبشره بالجنة .
١٩٩	البراء بن عازب	ابسط رجلك . (قاله لقاتل أبي رافع) .
٣٠٩	أبو هريرة	ابسط رداءك (قاله لأبي هريرة) .
٥٢٤	أبو موسى	ابشروا، فإنه من نعمة الله عليكم أنه . .
٣٢١	ابن عباس	أتاني الليلة ربي في أحسن صورة .
٦٥١	أبو طلحة	أتاني جبريل، فقال يا محمد أما يرضيك . .
٣٢٠	أنس بن مالك	أتاني جبريل وفي يده مرآة بيضاء .
٢٤٤	عمر بن الخطاب	أتحب ذلك! (قاله لأبي بكر) .
٤٨٤	أبو أمامة	أتحبه لأملك! أفتحبه لابنتك؟ (يعني الزنا) .
٥٧٩	أنس بن مالك	أتدرون ما الكوثر! فإنه نهر . .
٣٢٤	جابر بن عبدالله	أتدرون ما هذه الريح؟ .
١١٩	أنس بن مالك	أتي بالبراق ليلة أسري به ملجأً . .
١١٨	أنس بن مالك	أتيت بالبراق، وهو دابة أبيض .
٣١٣	أنس بن مالك	أثبت! عليك نبي وصديق . .
٦٧٧	ابن مسعود	أجل! إني أوعك كما يوعك الرجلان .
٢٧٨	أنس بن مالك	اجمعوا ما عندكم، ثم قربوه .
٢٢١	أبو هريرة	اجمعوا ما كان ههنا من اليهود .

٢٧٧	أبو قتادة	أحسنوا الملء، كلكم سيروى.
٢٧٧	أبو قتادة	احفظ علينا ميضأتك، سيكون لها شأن.
٣٠٧	سفينة	احمل! فإنما أنت سفينة.
١٧٨	ابن عباس	احموا ظهورنا، فإن رأيتمونا.
٦٨	عائشة	أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس.
٢٢٨	أنس بن مالك	أخذ الراية زيد فأصيب..
٢٤٥	أبو حميد الساعدي	أخرصوها (حديقة بوادي القرى).
٢٦٦	جابر بن عبدالله	أخساً عدو الله، أنا رسول الله..
٢٢١	أبو هريرة	اخسأوا فيها، فوالله لا نخلفكم..
٢٧٨	أنس بن مالك	ادخل! فإن الله سيبارك فيما عندك.
٣٧٤	عائشة	ادعي لي أباك وأخاك..
٢٣	أبو زيد	ادن فامسح ظهري.
٤٣٨	عائشة	إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه..
١٧٧	البراء بن عازب	إذا رأيتمونا نخطفنا الطير فلا تبرحوا..
٣٣٩	أبو أيوب	إذا رأيتها فقل: بسم الله، أجيبي رسول الله.
٥٨٠	عبدالله بن عمرو	إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول
٤٧١	أبو هريرة	إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة.
٥٧٣	أبي بن كعب	إذا كان يوم القيامة، كنت أمام..
٣٦٨	أبو هريرة	إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده.
٤٧١	أبو هريرة	إذا وسد الأمر إلى غير أهله.
٤١٠	ثوبان	إذا وضع السيف في أمتي لم يرفع.
٦٢٦	أنس بن مالك	اذهب فاذكرها علي (يعني زينب).
٢٨٧	جابر بن عبدالله	اذهب فبيدر كل تمر
١٩٠	جابر بن عبدالله	اذهب فخذ. (يعني الجمل).
٢٧٦	عمران بن الحصين	اذهبا فابغياي الماء.
٢٦٤	ابن عباس	أرأيت لو دعوت هذا العذق.
٤٢٤	ابن عمر	أرأيتكم ليلتكم هذه فإن رأس مائة سنة.
٦٤	ابن عباس	أرأيتم لو قلت لكم إن خيلاً بسفح.
٤٦٣	أبو مالك	أربع في أمتي من أمر الجاهلية.
٨٩	ابن عباس	ارجع إلى مكانك (قاله لعذق نخلة).
٨٧	أنس بن مالك	ارجعي إلى مكانك (قاله للشجرة).

٥٧٥	أبي بن كعب	أرسل إلي ربي: أن أقرأ القرآن على حرف.
٢٧٩	أنس	أرسلك أبو طلحة.
٥٠٠	ابن عمر	أرى رؤياكم قد توأمت.
٥٧٠	أم حبيبة	أريت ما تلقى أمي من بعدي.
٦٢	جابر	إزاري!! (قاله لما سقط عنه في بناء الكعبة).
٣٩٧	عائشة	أسرعن لحاقاً بي أطولكن يداً.
٣٤١	عائشة	أشعرت أن الله قد أفتاني.
٢٤٣	أبو هريرة	أشهد أن لا إله إلا الله، لا يلقى الله.
٩٢	ابن مسعود	أشهدوا!! (قاله لما انشق القمر).
٥٤٥	أنس بن مالك	اصنعوا كل شيء إلا النكاح.
٥٢٧	حذيفة وأبو هريرة	أضل الله عن الجمعة من كان قبلنا.
٢٧٦	عمران بن الحصين	أطلبوا فضلة من ماء.
٣٢٨	عمران بن الحصين	أطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها.
٥٢٦	معاذ بن جبل	اعتموا بهذه الصلاة فإنكم قد فضلتم.
٣٦٢	عوف بن مالك	أعددت ستاً بين يدي الساعة: موتي.
٥٦٩	أبو موسى	أعطيت خمساً: بعثت إلى الأحمر.
٥٠٣	جابر بن عبدالله	أعطيت خمساً لم يعطهن أحد.
٥١٠	الإمام علي	أعطيت ما لم يعط أحد من الأنبياء.
٥١٧	وائلة بن الأسقع	أعطيت مكان التوراة، السبع.
٥١٥	حذيفة	أعطيت هذه الآيات من آخر سورة.
٧٤	محمد بن كعب	أفرغت يا أبا الوليد! فاسمع مني.
٦٦٤	ابن عباس	أفضل نساء أهل الجنة، خديجة.
٦١٨	أنس بن مالك	أقتلوه (يعني ابن خطل).
٥٠١	ابن عباس	أقراني جبريل على حرف فراجعته.
٢٠٣	المسور بن مخرمة	اكتب: باسمك اللهم.
٦٤٧	عبدالله بن عمرو	اكتب فوالذي نفسي بيده لا يخرج مني..
٢٢٣	أبو هريرة	أكلاً لنا الليل (قاله لبلال).
٢٦٦	جابر بن عبدالله	الحقي بصاحبك (قاله لشجرة).
١٨٧	جابر بن عبدالله	الله (قاله لغورث لما قال: من يمنك مني).
٢١٦	أنس بن مالك	الله أكبر خربت خبير.
٤٨٠	أبو هريرة	اللهم اجعل رزق آل محمد قوتاً

١٠٢	ابن عمر	اللهم اخرج ما في صدر عمر من غل .
٤٩٢	ابن عباس	اللهم أذقت أول قریش نکالاً .
٨٨	عمر بن الخطاب	اللهم أرني آية ، لا أبالي من كذبتني .
٤٨٢	سعد بن أبي وقاص	اللهم استجب لسعد .
٢٩٧	المقداد	اللهم أطعم من أطعمني .
١٠٠	ابن عمر	اللهم أعز الإسلام بأحب هذين .
١١٦	ابن مسعود	اللهم أعني عليهم بسبع .
٤٨٤	أبو أمامة	اللهم اغفر ذنبه وطهر قلبه (طالب الزنا) .
٥٧٥	أبي بن كعب	اللهم اغفر لأمتي .
٤٨٦	أنس بن مالك	اللهم أكثر ماله وولده .
١٤٦	أبو بكر الصديق	اللهم اكفناه بما شئت .
٦٢٢	أبو هريرة	اللهم إني اتخذت عندك عهداً .
٥٢٠	أبو موسى	اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك .
١٦٣	ابن عباس	اللهم إني أنشدك عهدك .
١٠٤	أبو هريرة	اللهم اهد دوساً ، واث بهم .
٤٩٣	صخر العامري	اللهم بارك لأمتي في بكورها .
١٥٤	عائشة	اللهم حبيب إلينا المدينة .
٤٨٧	أبو هريرة	اللهم حَبِّبْ عبدك هذا وأمّه إلى عبادك .
٤٧٨	أنس بن مالك	اللهم حوَالينا ولا علينا .
٢٥٥	جرير بن عبدالله	اللهم ثبته واجعله هادياً .
٤٨٥	ابن عباس	اللهم علمه الحكمة (يعني ابن عباس) .
١٦٩	ابن مسعود	اللهم عليك بقریش .
٤٨٥	ابن عباس	اللهم فقهه في الدين .
١٩٥	عبدالله بن أبي أوفى	اللهم منزّل الكتاب سريع الحساب .
٥٤٤	عبدالرحمن بن حسنة	ألم تعلموا ما لقي صاحب بني إسرائيل .
٣٣٨	أبو هريرة	أما إنه قد صدقك وهو كذوب .
٥٢٥	ابن مسعود	أما إنه ليس من أهل هذه الأديان .
٢١٩	أبو هريرة	أما إنه من أهل النار .
٢١٨	سهل بن سعد	أما إنه من أهل النار .
١١٠	ابن عباس	أما أنهم سيغلبون (يعني الروم) .
٦١٠	سعد بن أبي وقاص	أما فيكم رجل رشيد يقوم إلى هذا .

٦٠٥	أبو جحيفة	أما أنا فلا أكل متكثاً.
٥٧١	عبدالله بن عمرو	أمتي .. أمتي .. إنا سنرضيك ..
٦٥٧	أم عطية	إلا آل فلان (قاله لأم عطية).
١٨٢	زيد بن ثابت	إن رأيته فافقره مني السلام (يعني سعد بن الربيع).
٤٩٦	ابن عباس	إن شئت صبرت ولك الجنة.
٢٢٧	ابن عمر	إن قتل زيد فجعفر وإن قتل جعفر.
٨٠	عائشة	إن كان ليوحى إلى رسول الله وهو على ناقته.
١١٤	خباب بن الأرت	إن كان من قبلكم ليمشط أحدهم.
٥٠٤	أنس بن مالك	أنا أكثر الأنبياء تبعاً يوم القيامة.
٥٦٠	أبو هريرة	أنا أول من تشق عنه الأرض.
٥٨٧ ، ٥٨٦	أبو ذر، أبو الدرداء	أنا أول من يؤذن له بالسجود.
٥٩٤	جابر بن عبدالله	أنا أولى بكل مسلم من نفسه.
٥٩٥	أبو هريرة	أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم.
١٧	خالد بن معدان	أنا دعوة أبي إبراهيم وبشرى.
٥٦١	أبو هريرة	أنا سيد الناس يوم القيامة.
٥٦٢	أنس بن مالك	أنا سيد الناس يوم القيامة.
٥٥٨	أبو هريرة	أنا سيد ولد آدم يوم القيامة وأول.
٥٧٤	أبو سعيد الخدري	أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر.
٥٨	أبو موسى	أنا محمد وأنا أحمد والمقفى.
٢٣٩	البراء بن عازب	أنا النبي لا كذب.
١٩٣	جابر بن عبدالله	أنا نازل (قاله لما عرضت لهم صخرة في الخندق).
٦	عبدالله بن سلام	أنا وهو كنا أحوج إلى غير هذا.
٣٩٩	عبدالله بن سلام	أنت على الإسلام حتى تموت.
٢٦٧	يعلى بن مرة	انطلق إلى هاتين الشجرتين.
٢٥٧	النعمان بن مقرن	انطلق فزودهم (قاله لعمر في وفد مزينة).
٢٣٢	الإمام علي	انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ.
١٧٢	ابن عباس	انطلقوا على اسم الله.
١٨٩	جابر بن عبدالله	انقادي علي بإذن الله (لغصن شجرة).
٢٢	عبدالله بن سرجس	انهزموا ورب الكعبة.
٦٣١	أبو بكر الصديق	إننا معشر الأنبياء لا نورث.
٣١٦	أنس بن مالك	إن الأرض لا تقبله (لرجل مرتد).

١٥٧	عبدالله بن زيد	إن إبراهيم حرم مكة وإني حرمت .
٤٠٤	أبو بكر	إن ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح .
٦٤٥	أبو بكر	إن ابني هذا سيد .
١٨٦	أنس بن مالك	إن إخوانكم قد قتلوا .
١٨٥	عروة بن الزبير	إن أصحابكم قد أصيبوا وأنهم قد سألوا .
٦٩٣	أوس بن أوس	إن أفضل أيامكم يوم الجمعة .
٢٠٠	عبدالله بن أنيس	إن أقل الناس المتخضرون .
٥٨٤	أبو هريرة	إن أمتي يدعون يوم القيامة غراً .
٣٨٠	بريدة بن الحصيب	إن أمتي يسوقها قوم عراض الوجوه .
٤٣٠	معاوية بن أبي سفيان	إن أهل الكتاب تفرقوا في دينهم .
١٠٣	ابن عباس	إن الحمد لله نحمده ونستعينه .
٣٥٥	أبو سعيد الخدري	إن الدنيا حلوة خضرة .
٥٦٦	عبدالله بن عمر	إن الشمس تندو يوم القيامة .
١٥٩	أبو هريرة	إن الشيطان إذا نودي بالصلاة .
٣٩٣	جابر بن عبدالله	إن الشيطان قد أيس أن يعبه .
٦٠٠	أبو رافع	إن الصدقة لا تحل لنا .
٦٣٣	أبو الدرداء	إن العلماء ورثة الأنبياء .
١١	وائلة بن الأسقع	إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل .
٥٤٢	أبو هريرة	إن الله تجاوز لي عن أمتي ما حدثت .
٣٩٦	ابن عمر	إن الله جعل الحق على لسان عمر .
٦٩٣	أوس بن أوس	إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد .
١٢	المطلب بن أبي وداعة	إن الله خلق الخلق فجعلني في خيرهم .
٥٤٩	ثوبان	إن الله زوى لي الأرض فرأيت .
٢٣٨	أبو هريرة	إن الله قد حبس عن مكة الفيل .
٥٤٣	ابن عباس	إن الله وضع عن أمتي الخطأ .
٤٤٦	أبو هريرة	إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس .
١٩٨	أنس بن مالك	إن الملائكة كانت تحمله (يعني سعداً) .
٥٥٩	أبو هريرة	إن الناس يصعقون فأكون أول من يفيق .
٥٦٥	ابن عمر	إن الناس يصيرون يوم القيامة جثاء .
٢٧١	أنس بن مالك	إن النبي دعا بقدرح فأتي بقدرح رحراح .
٢٧٣	أنس بن مالك	إن النبي كان بالزوراء فدعا بقدرح .

٢٤٨	أنس بن مالك	إن النبي كتب إلى كسرى وإلى قيصر . .
٦٤٦	المسور بن مخزوم	إن بني هاشم بن المغيرة استأذنوا . .
٤٧٣	عمرو بن عوف	إن بين يدي الساعة سنين خداعة . .
٤٠٠	جابر بن سمرة	إن بين يدي الساعة كذابين فاحذروهم .
٦٧١	عائشة	إن جبريل كان يعارضني بالقرآن . .
٥٨٥	حذيفة	إن حوضي أبعد من أيلة إلى عدن . .
٥٠٢	أبي بن كعب	إن ربي أرسل إلي أن أقرأ القرآن على حرف .
٥٦٨ ، ٥٦٧	أبو موسى ومعاذ	إن ربي خيرني بين أن يدخل نصف أمتي .
٣٩٨	عمر بن الخطاب	إن رجلاً من اليمن يقدم عليكم (أويس القرني) .
٤٦٠	أبو هريرة	إن رجلاً سترتفع بهم المسألة .
٣٨٦	ابن مسعود	إن رحى الإسلام ستزول بخمس وثلاثين .
٢٨٠	سمرة بن جندب	إن رسول الله أتى بقصعة من ثريد .
٢٥٠	ابن عباس	إن رسول الله بعث بكتابه إلى كسرى .
٦٧٣	أبو سعيد الخدري	إن عبدأخيره الله بين الدنيا والآخرة .
٤٩٨	ابن عمر	إن عبدالله رجل صالح لو كان يكثر الصلاة .
٣٠٤	أبو الدرداء	إن عدو الله إبليس جاء بشهاب .
٣٠٣	أبو هريرة	إن عفريتاً تفلت علي البارحة .
٤٠٣	أسماء بنت أبي بكر	إن في ثقيفاً كذاباً ومبيراً .
٦٤٠	المغيرة	إن كذباً علي ليس ككذب علي غيري .
٦٩٤	ابن مسعود	إن لله ملائكة في الأرض سياحين .
٦٦١	البراء بن عازب	إن له مرضعاً في الجنة .
٥٧	جبير بن مطعم	إن لي أسماء أنا محمد وأنا أحمد .
٢٣٧	أبو شريح	إن مكة حرمها الله ولم يحرمها الناس .
٦١٩	أبو شريح	إن مكة حرمها الله . .
٤٧٤	ابن مسعود	إن من أشراط الساعة أن يسلم الرجل .
٤٦٦	ابن مسعود	إن من ورائكم أيام الصبر . .
٤١٦	أبو سعيد الخدري	إن منكم من يقاتل على تأويل القرآن . .
٩٧	جابر بن عبدالله	إن هذا اخترط سيفي وأنا نائم .
٣٧٨	معاوية	إن هذا الأمر في قريش لا يعاديهم .
٥٩٩	المطلب بن ربيعة	إن هذه الصدقات إنما هي أوساخ .
٣٢٢	زيد بن ثابت	إن هذه الأمة تبتلى في قبورها . .

٥٠٧	أبو هريرة	إنما أنا رحمة مهداة .
٥٥٧	ابن عمر	إنما بقاؤكم فيما سلف قبلكم . .
٦٥٩	عائشة	إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل . .
٩٠	ابن مسعود	إنك غلام معلم (لابن مسعود) .
٥٤٠	معاوية بن حيدة	إنكم تتمون سبعين أمة . .
٢٤٢	معاذ بن جبل	إنكم ستأتون غداً عين تبوك . .
٣٦٣	أبو ذر	إنكم ستفتحون أرضاً يذكر فيها القيراط . .
٤٣٩	أنس بن مالك	إنكم ستلقون بعدي أثرة . .
٣٧٦	حذيفة	إنكم في النبوة ما شاء الله أن تكون ثم . .
١٠٧	ابن مسعود	إنه أتاني داعي الجن فأتيتهم . .
٣٤٤	ابن عباس	إنه سيأتيكم إنسان ينظر إليكم . .
٣٢٧	جابر بن عبدالله	إنه عرض علي كل شيء توجلونه .
٦٣٤	عائشة	إنه قد أذن لكن أن تخرجن لحاجتكن . .
٢٠٠	عبدالله بن أنيس	إنه قد بلغني أن خالد بن سفيان .
٥٦٤	ابن عباس	إنه لم يكن نبي إلا له دعوة . .
٦٨٠	عائشة	إنه لن يقبض نبي حتى يرى مقعده .
٦١٠	سعد بن أبي وقاص	إنه لا ينبغي أن تكون من نبي خائنة . .
١٧٦ ، ٦٠٦	جابر بن عبدالله	إنه ليس لنبي إذا لبس لأمته . .
٧٥	أبو ذر	إنها مباركة، إنها طعام طعم . .
١٥٨	عبدالله بن زيد	إنها لرؤيا حق، فقم مع بلال .
٩٨	ابن عباس	إنها لن تراني (يعني أم جميل) .
٣٢٣	ابن عباس	إنها ليعذبان، وما يعذبان في .
٢١١	سلمة بن الأكوع	إنهم يقرون الآن بأرض غطفان .
٤٤	أبو ذر	إني أرى ما لا ترون واسمع ما لا تسمعون .
١٣٠	ابن عباس	إني أسري بي الليلة .
٦٦٧	زيد بن أرقم	إني تارك فيكم ما أن تمسكتم به . .
٥٩٦	جابر بن عبدالله	إني ذاكر لك أمراً فأحب .
٣٢٦	ابن عباس	إني رأيت الجنة فتناولت .
٢٢١	أبو هريرة	إني سألتكم عن شيء .
٣	العرباض بن سارية	إني عند الله لخاتم النبيين . .
٦٧٤	عقبة بن عامر	إني فرطكم وأنا شهيد عليكم .

٦٩	جابر بن سمرة	إن لأعرف حجراً بمكة كان يسلم .
٥٦٣	أنس بن مالك	إني لقاتم أنتظر متى يعبر الصراط .
٥٠٦	أبو هريرة	إني لم أبعث لعاناً وإنما بعثت .
٣٥٤	سمرة	إني والله لقد رأيت منذ قمت أصلي .
٣١٤	أبو هريرة	إهدأ فما عليك إلا نبي أو صديق .
١٠٥	ابن عباس	أو فطنت لذلك (لابن مطعون) .
٣٦٦	أم حرام	أول جيش من أمتي يغزون البحر .
٦٦	عائشة	أول ما بدىء به رسول الله، الرؤيا .
٦٥٥	عمارة بن خزيمة عن عمه	أو ليس قد بعته منك .
٥١٣	ابن عمر	أوتيت مفاتيح كل شيء إلا الخمس .
٢٦٠	المغيرة	ألا أخبرتكم أنهم كانوا يسمون .
٢٩٨	أبو سعيد الخدري	ألا إنه من أشراط الساعة كلام .
٣٩٢	ابن عباس	ألا إنه يجاء برجال من أمتي .
١٠٥	ابن عباس	ألا تجلس! إن جبريل أتاني .
١١٥	أبو هريرة	ألا تعجبون كيف يصرف الله عني شتم .
٢٥٥	جرير بن عبدالله	ألا ترميني من ذي الخلصة .
١١٠	ابن عباس	ألا جعلته إلى دون العشرة .
٣٩١	أبو هريرة	ألا ليذادن رجال عن حوضي .
٦١٤	أبو هريرة	إياكم والوصال، إني لست كهياتكم .
٥٥٢	عمر بن الخطاب	أيما مسلم شهد له أربعة بخير .
٢٦٥	ابن عمر	أين تريد؟ هل لك في خير .
٤٢	أنس بن مالك	أيها الناس إني إمامكم
١٩٢	سليمان بن صرد	الآن نغزوهم ولا يغزونا .
٦٤٢	عبدالله بن هشام	الآن يا عمر .
٥٥	أنس بن مالك	الأنبياء تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم .
٣٣٢	أبو هريرة	الإيمان: أن تؤمن بالله وملائكته .

(حرف الباء)

٤٨٩	أنس بن مالك	بارك الله لك (لابن عوف) .
٢٠١	جابر بن عبدالله	بعثت هذه الريح لموت منافق .
١٠	أبو هريرة	بعثت من خير قرون بني آدم .

١٤١	عائشة	بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم.
٣١٩	حنظلة بن خديج	بورك فيك (لرجل وقد مسح على رأسه).
٥٨١	أبو هريرة	بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة.
٦٧	جابر بن عبدالله	بينما أنا أمشي إذ سمعت صوتاً.
٢٥٣	أبو هريرة	بينما أنا نائم إذ أتيت بخزائن.
٢٥٢	ابن عباس	بينما أنا نائم أريت أن في يدي.
٣٧٣	أبو هريرة	بينما أنا نائم رأيتني على قليب.
١١٨	مالك بن صعصعة	بينما أنا في الخطيم مضطجعاً إذ أتاني.
٦٥٢	الحسن بن علي	البخيل من ذكرت عنده فلم يصل علي.
٣٤٣	وابصة الأسدي	البر ما انشرح له صدرك، والإثم ما حاك.

(حرف التاء والتاء)

٤١	أبو هريرة	ترون قبلي ههنا فوالله ما يخفى.
٦٧٠	وائله بن الأسقع	تزعمون إني من آخركم وفاتاً، ألا وإني.
٤٢٥	جابر بن عبدالله	تسألون عن الساعة وإنما علمها.
٤٥٥	ابن عباس	تسمعون ويسمع منكم.
١١٢	عبدالله بن عمرو	تسمعون يا معشر قريش: أما والذي.
٥١٩	أنس بن مالك	تسموا باسمي ولا تكنوا بكنيتي.
٢٧٦	عمران بن الحصين	تعلمين والله ما رزأنا من مائك.
٣٥٩	سفيان بن أبي زهير	تفتح اليمن فيأتي قوم يبسون.
٤٢٩	أبو هريرة	تفرقت اليهود على إحدى.
٤١١	كرز بن علقمة	تقع الفتن كأنها الظلال.
٤٢٠	أبو سعيد الخدري	تقتلك الفئة الباغية.
٤٩٩	عبدالله بن سلام	تلك الروضة، روضة الإسلام.
٣٣٦	البراء بن عازب	تلك السكينة تنزلت للقرآن.
٣٣٧	أسيد بن الحضير	تلك الملائكة دنت لصوتك.
٤٣٣	أبو سعيد الخدري	تمرق مارقة عند فرقة.
١٥٠	ابن عباس	تمام عيناه ولا ينم قلبه.
٥٥٦	عائشة	التسييح والتكبير (القوت أيام الدجال).
٤٠	سعد بن أبي وقاص	الثلث والثلث كثير.

(حرف الحاء)

٦٦٥	أنس بن مالك	حسبك من نساء العالمين أربع .
٦٩٤	ابن مسعود	حياتي خير لكم تحدثون ويحدث لكم .
٢٧٤	ابن مسعود	حي على الطهور المبارك .
٢٦٩	جابر بن عبدالله	حي هلا على الوضوء .
٦٦٣	أبو سعيد الخدري	الحسين والحسن سيदा شباب .

(حرف الخاء)

٥٣١	شداد بن أوس	خالفوا اليهود فإنهم لا يصلون في . .
٥٠	سفينة	خذ هذا الدم فادفنه . .
٧	ابن عباس	خذ هذه يا سلمان فأدّها . .
٢٤٣	أبو هريرة	خذوا في أوعيتكم (قاله في تبوك) .
١٣	الإمام علي	خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح .
٨٧	أنس بن مالك	خضبني هؤلاء بالدماء فعلوا .
٥٥٦	عائشة	خير المال يومئذ غلام شديد .
٦٦٦	الإمام علي	خير نسائها خديجة بنت خويلد .
٤٢٨	عمران بن الحصين	خيركم قرني ثم الذين يلونهم .
٣٧٥	سفينة	الخلافة في أمتي ثلاثون سنة .

(حرف الدال والذال)

٤٤٨	حذيفة بن اليمان	دعاة على أبواب جهنم .
٢٥١	عثمان بن أبي العاص	ذلك الشيطان يقال له خنزب .

(حرف الراء)

٨٤	ابن مسعود	رأى رسول الله جبريل في صورته .
٨٦	ابن مسعود	رأى رسول الله جبريل في حلة من رفراف .
١٣٣	ابن مسعود	رأى رفرافاً أخضر قد سد الأفق .
١٣٥	ابن عباس	رأه بفؤاده مرتين .
١٥٥	ابن عمر	رأيت امرأة سوداء نائرة الرأس .

٣٢٩	عائشة	رأيت جهنم يحطم بعضها بعضاً .
١٣٦	ابن عباس	رأيت ربي - عز وجل - .
١٧٤	أبو موسى	رأيت في المنام أني أهاجر .
٢٦٣	عائشة	رأيت في المنام وكان أبا جهل أتاني .
١٧٥	أنس بن مالك	رأيت فيها يرى النائم كأن ضبة سيفي .
١٧٦	جابر بن عبدالله	رأيت كأتي في درع حصينة .
١٤٠	عائشة	رأيتك في المنام مرتين .
١٢٨	أبو هريرة	رأيت ليلة أسري بي في السماء .
١٢١	ابن عباس	رأيت ليلة أسري بي موسى .
١٣٧	أبو ذر	رأيت نوراً أني أراه .
١٢٩	ابن عباس	رأيته فيلماً نياً أقرم (الدجال) .
٢٩١	سلمة بن نفل	رفع وهو يوحى إلي أني مكفوت غير لاث .

(حرف السين والشين)

٥٥٠	سعد بن أبي وقاص	سألت ربي أن لا يهلك أمتي .
٥٧٢	أنس بن مالك	سألت ربي اللاهين من ذرية . .
٣٦٠	عبدالله بن حوالة	ستجندون أجناداً . .
٣٧٢	ابن مسعود	ستكون أثرة وأمور تنكرونها . .
٤١٢	خالد بن عرفطة	ستكون أحداثا وفتن وفرقة . .
٢٤٥	أبو حميد	ستهب عليكم الليلة ربح شديدة .
٤٦٧	أبو هريرة	سيأتي على الناس زمان يخير فيه الرجل . .
٤٢٧	أبو هريرة	سيكون آخر أمتي يحدثونكم بما لم . .
٤٢٣	عبادة بن الصامت	سيكون أمراء تشغلهم أشياء . .
١١٣	ابن عباس	شاهت الوجوه (لقريش) .
٢٤١	سلمة بن الأكوع	شاهت الوجوه (قاله يوم حنين) .

(حرف الصاد)

١٦٤	ابن عباس	صدقت، ذلك من مدد السماء .
٤٤١	أبو هريرة	صنفان من أهل النار لم أرهما، نساء .
٥٢١	الزبير بن العوام	صلاة بمسجدي هذا أفضل من ألف . .

(حرف العين)

٦٦٢	حذيفة بن اليمان	عرض لي ملك أستاذن ربه أن يسلم علي ..
٥٨٩	ابن عباس	عرضت علي الأمم فيمر علي النبي مع الرجل ..
٣٥٨	طلحة النضري .	عسى أن تدرؤوا زماناً حتى يغدى ..
١٥٦	أبو هريرة	علي أنقاب المدينة ملائكة
٣٤٤	ابن عباس	علام تشتمني أنت وفلان (لنفاق) ..
٥٥٦	عائشة	العرب يومئذ قليل ..

(حرف الفاء والقاف)

٥٠٩	عائشة	فأما فتنة القبر، فهي تفتنون ..
٤٠٩	حذيفة	فتنة الرجل في أهله وماله ..
١١٨	أبو ذر	فرج سقف بيتي وأنا بمكة فنزل ..
٥٣٤	عمرو بن العاص	فصل ما بين صيامنا وصيام أهل الكتاب ..
٥١١	أبو هريرة	فضلت علي الأنبياء بست ..
٥٣٠	حذيفة	فضلت علي الناس بثلاث ..
٧	ابن عباس	فقرها فإذا فرغت فأذني (لسلمان) ..
٤٠٥	أبو موسى	فناء أمتي بالطعن والطاعون ..
٢٧٥	ابن عباس	فهل من شيء (يعني الماء) ..
٢٤٧	حذيفة	في أصحابي اثنا عشر منافقاً ..
٤٠٢	ابن عباس	في أمتي كذابون ودجالون ..
٤٣٥	ابن عمر	في هذه الأمة خسف ومسح ..
١٥٣	ثوبان	في الظلمة دون الجسر (يعني الناس) ..
٥٣٣	أنس بن مالك	قد أبدلكم الله بهما خيراً منها ..
١٤٢	عائشة	قد رأيت دار هجرتكم رأيت سبخة ..
٣٧٩	عمرو بن العاص	قريش ولادة الناس في الخير والشر ..
٥٤١	ابن عباس	قولوا سمعنا وأطعنا وسلمنا ..
٤٤٨	حذيفة	قوم يستنون بغير سنتي ويهتدون ..

(حرف الكاف)

٦٨٣	الإمام علي	كان آخر كلام النبي، الصلاة وما ملكت..
٦٨٢	أنس بن مالك	كان آخر وصية رسول الله حين حضره الموت..
٣٧	أبو هريرة	كان أبيض كأنما صيغ من فضة..
٢٩	أبو الطفيل	كان أبيض مليح الوجه..
٣٠١	أنس بن مالك	كان أحسن الناس وأجود الناس..
٢٤	البراء بن عازب	كان أحسن الناس وجهاً..
	بهز بن حكيم عن أبيه	كان إذا أتى بشيء سأل أصدقه..
٦٠١	عن جده	
٦٠٢	أبو هريرة	كان إذا أتى بطعام سأل عنه.
٦٠٤	جابر بن سمرة	كان إذا أتى بطعام فأكل منه..
٧٩	أبو هريرة	كان إذا أوحى إليه لم يستطع أحد..
٦٥٤	أبي بن كعب	كان إذا ذهب ثلث الليل قام فقال..
٢٨	كعب بن مالك	كان إذا سرَّ استنار وجهه..
٨١	زيد بن ثابت	كان إذا نزل عليه الوحي أخذته برحاء..
٧٦	عبادة بن الصامت	كان إذا نزل عليه الوحي كرب..
٧٧	ابن عباس	كان إذا نزل عليه الوحي عرفوا
٤٧	أنس بن مالك	كان أزهر اللون كان عرقه اللؤلؤ..
٨٨	عمر بن الخطاب	كان بالحجون فرد عليه المشركون فقال..
٣١١	جابر بن عبدالله	كان جذع يقوم إليه..
٣٠	أنس بن مالك	كان ربعة من القوم..
٣٤	أبو هريرة	كان شبح الذراعين بعيد ما بين..
٣٨	أنس بن مالك	كان ضخم الرأس والقدمين..
٣٢	جابر بن سمرة	كان ضليح الفم أشكل العينين..
٣٦	مجروش الكعبي	كان ظهره كأنه سبيكة فضة..
٦٣٧	عائشة	كان عمله ديمة..
٣٠٠	عائشة	كان لآل رسول الله وحش..
٥١	حكيم بنت أميمة	كان للنبي قدح من عيدان..
٣٥	البراء بن عازب	كان مربعاً بعيد ما بين..
١٦٧	الإمام علي	كان من أشد الناس يومئذ بأساً..
٢٦	جابر بن سمرة	كان وجه رسول الله مثل الشمس والقمر..

٢٥	البراء بن عازب	كان وجه رسول الله مثل القمر . .
٦١١	عائشة	كان يصلحها قبل العصر ثم إنه شغل . .
٨٥	جابر بن عبدالله	كان يجاور بحراء . .
٥٦	أنس بن مالك	كان يدور على نسائه في الساعة . .
٦٧٥	عائشة	كان يقول في مرضه الذي مات . .
٣١٢	جابر بن عبدالله	كان يقوم إلى نخلة . .
٣٩٥	عائشة	كان يكون في الأمم قبلكم محدثون . .
٦٤٨	عائشة	كان لا يرى رؤيا إلا ظهرت مثل . .
٤٥٧	أبو سعيد الخدري	كان يوصينا بكم (يعني طلبة العلم) . .
٣٧٠	أبو هريرة	كانت بنو إسرائيل تسوسهم . .
٣١٢	جابر بن عبدالله	كانت تبكي على ما كانت تسمع . .
١٩	عتبة بن عبيد	كانت حاضنتي من بني سعد . .
٦٣٨	عائشة	كانت للنبي نافلة ولكم فضيلة . .
١٩٣	جابر بن عبدالله	كثير طيب، قل لها لا تنزع . .
٤٩٤	سلمة بن الأكوع	كل يمينك، لا استطعت . .
٦٠٣	جابر بن عبدالله	كل فإني أناجي من لا تناجي . .
٢٧٨	أنس بن مالك	كلوا وسموا الله . .
٣٩٤	أنس بن مالك	كم أشعت أغبر ذي طمرين . .
٥٥٥	أبو هريرة	كيف أنتم إذا نزل ابن مريم . .
٤١٤	عائشة	كيف يا حداكن إذا نبحتها كلاب . .
٢٩٤	جابر بن عبدالله	كيف ترى بعيرك (لجابر) . .
٤٨١	الإمام علي	كيف قلت اللهم عافه (يعني علياً) . .
١	ميسرة الفجر	كنت نبياً وأدم بين الروح والجسد . .

(حرف اللام)

٢١٥	سلمة بن الأكوع	لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله . .
٢١٤	سهل بن سعد	لأعطين هذه الراية غداً رجلاً . .
٢٥٢	ابن عباس	لئن سألتني هذه القطعة . .
٢٦٨	جابر بن عبدالله	لتأخذوا عني مناسككم . .
٤٣١	أبو سعيد الخدري	لتتبعن سنن الذين من قبلكم . . .

٣٦٩	جابر بن سمرة	لتفتحن عصابة من المسلمين ..
٤٦٥	أبو أمامة	لتنقضن عرى الإسلام عروة عروة ..
٤٩٠	أنس بن مالك	لعلّ الله أن يبارك لكما في ليلتكما ..
٤٢٢	ابن مسعود	لعلكم ستدركون أقواماً يصلون ..
١٦٦	ابن عباس	لقد أعانك عليه ملك كريم ..
١٢٣	أبو هريرة	لقد رأيتني في الحجر وقريش تسألني ..
٦٠٧	عائشة	لقد عدت بعظيم، الحقي بأهلك ..
١٣١	ابن مسعود	لقيت ليلة أسري بي إبراهيم وموسى ..
١٢٢	أبو هريرة	لقيت موسى حين أسري بي ..
٩٤	جعدة	لم ترع، ولو أردت ذلك لم يسطك ..
٤٠٧	ابن عمر	لم تظهر الفاحشة في قوم حتى ..
٨٣	عائشة	لم ير جبريل في صورته التي ..
٥٠٥	أنس بن مالك	لم يصدق نبي من الأنبياء ..
٣٣	الإمام علي	لم يكن بالطويل ولا بالقصير ..
١٢٦	أنس بن مالك	لما عرج بي مررت بقوم لهم أظفار ..
١٢٤	جابر بن عبدالله	لما كذبتني قريش حين أسري بي ..
٥٩٣	أبو هريرة	لئن يتقرب إلي المتقربون مثل ..
٢٩٣	أبو هريرة	لو أمرت أحد أن يسجد لأحد ..
٢٨٦	جابر بن عبدالله	لو تركتها ما زال قائماً ..
٩٥	أبو هريرة	لو دنا مني لاختطفته الملائكة ..
٢٩٠	أبو رافع	لو سكت لناولتني ما دعوت ..
٢٦١	ابن عباس	لو فعل لأخذته الملائكة عياناً ..
٩٤	جعدة	لو كان هذا في غير هذا المكان ..
٢٨٥	جابر بن عبدالله	لو لم تكله لأكلت منه ولقام بكم ..
٤٥٣	أبو هريرة	ليأتين على أحدكم يوم لأن يراني ..
٤٥٢	أبو هريرة	ليأتين على الناس زمان لا يبالي ..
٤٥٦	أبو بكر	ليبلغ الشاهد الغائب فلعل ..
٥٥٤	عائشة	ليس أحد يقع الطاعون فيمكث ..
٥٢٣	أنس بن مالك	ليس من بلد إلا سيطؤه الدجال ..
٥٣٧	ابن عباس	اللحد لنا والشق لغيرنا ..

(حرف الميم)

١٥٣	ثوبان	ماء الرجل أبيض، وماء المرأة أصفر..
٣١٠	ابن المسيب عن أبيه	ما اسمك أنت سهل..
٥١٤	أبو سعيد الخدري	ما بعث نبي إلا حذر أمته الدجال..
٢٩٢	جابر بن عبدالله	ما بين السماء إلى الأرض إلا يعلم..
٦٥٣	أبو هريرة	ما جلس قوم مجلساً لم يذكروا الله..
٥٢٩	عائشة	ما حسدتكم اليهود على شيء..
٢٠٣	المسور بن غزوة ومروان	ما خللات القصواء وما ذلك لها بخلق..
٣١	ابن عمر	ما رأيت أحداً أنجد ولا أجود..
٥٣	أبو هريرة	ما رأيت شيئاً أحسن من رسول الله..
٣٣٠	أمية بن مخشي	ما زال الشيطان يأكل معي..
٩٨	ابن عباس	ما زال ملك يسترني منها..
٩٩	ابن مسعود	ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر..
٦٨٩	عائشة	ما قبض الله نبياً إلا في الموضع..
٢٤٦	المغيرة بن شعبة	ما قبض نبي حتى يصلي خلف..
٢٢٢	أنس بن مالك	ما كان الله ليسلطك على ذلك..
٢٦٧	يعلى بن مرة	ما لبعيركم هذا يشكوكم..
١٤١	عائشة	ما لقيت من قومك كان أشد علي منه..
٦٢٩	سهل بن سعد	ما لي بالنساء حاجة..
٣٢٥	أسماء بنت الصديق	ما من شيء لم أكن أريته إلا رأيته..
٧٢	أبو هريرة	ما من الأنبياء من نبي إلا وقد أعطي..
٦٢٨	أبو هريرة	ما من مؤمن إلا وأنا أولى به..
٥٠٨	ابن مسعود	ما منكم من أحد إلا ومعه قرينه..
٦٣٩	أبو سعيد بن المعلی	ما منعك أن تحبيني إذ دعوتك..
٤٧٢	أبو هريرة	ما المسؤول عنها بأعلم من السائل..
٦٣	الإمام علي	ما هممت بشيء مما كان أهل..
١٢٠	أنس بن مالك	مرت ليلة أسري بي على موسى قائماً يصلي..
١٢٧	أنس بن مالك	مرت ليلة أسري بي بناس تقرض شفاههم..
٦٧٨	أبو موسى	مروا أبا بكر فليصل بالناس..
٦٨١	عائشة	مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين..
١٥٠	ابن عباس	ملك من ملائكة الله موكل بالسحاب..

٥٨٢	أبو هريرة	منبري هذا على تُرْعَةٍ من تُرْعٍ ..
٣٦٤	أبو هريرة	منعت العراق درهمها وقفيزها ..
٤٧٧	أنس بن مالك	من أشراط الساعة أن يتباهى ..
٤٧٠	أنس بن مالك	من أشراط الساعة أن يرفع العلم ..
٢٤٩	ابن عباس	من محمد بن عبدالله ورسوله إلى هرقل ..
١٠٨	ابن مسعود	من يجب منكم أن يحضر الليلة أمر الجن ..
٦٤٩	أبو هريرة	من رأني في المنام فقد رأني ..
٥٥٦	البراء بن عازب	من صلى صلاتنا ونسك نسكنا ..
٦٥٠	أبو هريرة	من صلى علي واحدة صلى الله عليه عشراً ..
١٧٣	جابر بن عبدالله	من لكعب بن الأشرف فإنه قد آذى الله ..
١٢٦	أنس بن مالك	من هؤلاء يا جبريل (الأكلون الجيف) ..
١٢٨	أبو هريرة	من هؤلاء يا جبريل (أكلة الربا) ..
١٢٥	ابن عباس	من هذا يا جبريل (عافر الناقة) ..
٣٠٨	أبو هريرة	من يبسط ثوبه حتى أفرغ من حديثي ..
٢٠٥	جابر بن عبدالله	من يصعد ثنية المرار فإنه يحط عنه ..
١٨٧	جابر بن عبدالله	من يمنك مني (لغورث) ..
٢٣٣	أبو هريرة	المحيا محياكم والممات مماتكم ..

(حرف النون)

٣٦٥	أنس بن مالك	ناس من أمتي عرضوا علي غزاة ..
٢٨٩	أبو عبيد	ناولني ذراعاً ..
٥	كعب الأحبار	نجدته مكتوباً رسول الله ..
٥٨٨	ابن عباس	نحن آخر الأمم وأول من يحاسب ..
٢٣١	المسور ومروان	نصرت يا عمرو إن هذه السحابة ..
١٩٤	ابن عباس	نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور ..
٥١٢	أبو هريرة	نصرت بالرعب وأعطيت جوامع الكلم ..
٤٩٧	زيد بن ثابت	نضر الله امرءاً سمع مقالتي ..
٦٦٩	ابن مسعود	نضر الله امرءاً سمع منا شيئاً ..
١١٢	عبدالله بن عمرو	نعم أنا الذي أقول ذلك ..
٢٩١	سلمة بن نفييل	نعم في مسخنة (يعني طعام الجنة) ..

٦١	العباس بن عبدالمطلب	نعم هو في ضحاح من نار..
٤١٨	أبو هريرة	نعوذ بالله من رأس السبعين..
٥١٨	أبو هريرة	نهي رسول الله أن يجمع بين اسمه..
٦٠٨	ابن عباس	نهي رسول الله عن أصناف النساء..
٥٣٢	ابن مسعود	الندم توبة..

(حرف الهاء)

١٦٥	ابن عباس	هذا جبريل آخذ برأس فرسه..
١٦٢	أنس بن مالك	هذا مصرع فلان..
٣٨٥	مرة بن كعب	هذا يومئذ على الهدى (عثمان)..
٦٣٥	أبو واقد	هذه ثم ظهور الحصر (لنساته)..
٣٤٥	جابر بن عبدالله	هذه شاة ذبحت بغير إذن..
٤٠٨	أسامة بن زيد	هل ترون ما أرى أني لأرى مواقع الفتن..
٣٣٣	حارثة بن النعمان	هل رأيت الذي كان معي فإنه جبريل..
٣٨٨	الإمام علي	هل إلى أن أشمك من تربة الحسين..
٣٥٧	جابر بن عبدالله	هل لكم من أنماط إنها ستكون لكم..
٢٠٨	سلمة بن الأكوع	هل من وضوء (قاله في الحديدية)..
٢٨١	عبدالرحمن بن أبي بكر	هل مع أحد منكم طعام..
٥٩٦	جابر بن عبدالله	هن حولي يسألني النفقة..
٤١٧	أبو هريرة	هلاك أمي على يد أغيلمة من قريش..

(حرف الواو)

٢٢٠	أبو هريرة	والذي نفسي بيده أن الشملة..
٢٨٩	أبو عبيد	والذي نفسي بيده لو سكت لأعطيت..
٤٥٩	أبو هريرة	والذي نفسي بيده لو كان الإيمان بالثرثيا..
٣٨٠	بريدة	والذي نفسي بيده ليربطن خيولهن (الترك)..
١٦٨	أنس بن مالك	والذي نفسي بيده ما أنتم بأسمع لما أقول..
٢٠٣ م	المسور ومروان	والذي نفسي بيده لا يسألوني خطة..
٥٢٢	عبدالله بن عدي	والله إنك لخير أرض الله وأحب أرض..
٤٣٤	الإمام علي	والله لولا أن تبطروا لحدثتكم..

٣٥٦	عمرو بن عوف	والله ما أخشى عليكم الفقر . .
١٣٨	ابن عباس	وتكلم أربعة وهم صغار . .
٣٨٣	عائشة	وددت أن عندي بعض أصحابي . .
٤٥٤	أبو هريرة	وددت أني رأيت إخواني
٥٩٠	أبو أمامة	وعدني ربي أن يدخل الجنة من أمتي . .
٣٣٤	ابن عباس	وهل رأيته يا عبدالله، فإن ذلك جبريل . .
٤٣٢	أبو سعيد الخدري	ويلك ومن يعدل إن لم أعدل . .

(حرف لام الألف)

٣٤٢	زينب أم المؤمنين	لا إله إلا الله ويل للعرب . .
٤٩٥	ابن عباس	لا أشبع الله بطنه (لمعاوية) . .
٤٣٧	أبو رافع	لا ألفين أحدكم متكئاً على أريكته . .
١٠٩	ابن مسعود	لا تبرحن خطك فإنه سيتهي إليك . .
١٨١	جابر بن عبدالله	لا تبكه ما زالت الملائكة تظله . .
١٤٦	أبو بكر	لا تحزن إن الله معنا . .
٤٤٣	المغيرة بن شعبة	لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين . .
٤٤٥	عمر بن الخطاب	لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين . .
٦٦٨	أبو هريرة	لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده . .
٤١٣	حذيفة	لا تضرك الفتنة (لمحمد بن سلمة) . .
٢٣٥	الحارث بن مالك	لا تغزى بعد هذا اليوم (مكة) . .
٢٢٥	ابن عباس	لا تفعلوا ولكن أجمعوا لي من أزوادكم . .
٤٠٦	عائشة	لا تنفى أمتي إلا بالطعن والطاعون . .
٤٧٥	أبو هريرة	لا تقوم الساعة حتى تعود أرض العرب . .
٣٦٧	أبو هريرة	لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا خوزاً وكرمان . .
٣٩٠	ثوبان	لا تقوم الساعة حتى تلحق قبائل من أمتي . .
٤٠١	أبو هريرة	لا تقوم الساعة حتى يبعث دجالون . .
٤٧٧	أنس بن مالك	لا تقوم الساعة حتى يتباهى الناس . .
٤٧٦	أبو هريرة	لا تقوم الساعة حتى يتقارب الزمان . .
٤٥٠	أبو هريرة	لا تقوم الساعة حتى يحسر الفرات . .
٤٦٩	سعد بن أبي وقاص	لا تقوم الساعة حتى يخرج قوم يأكلون . .

٤١٥	أبو هريرة	لا تقوم الساعة حتى يقتل فئتان ..
٤٦٨	حذيفة	لا تقوم الساعة حتى يكون أسعد الناس ..
٦٣٢	أبو هريرة	لا تقسم ورثتي ديناراً ولا درهماً ..
٦٥	زيد بن حارثة	لا تمسه، ألم تنه عنه (لزيد) ..
٦١٧	ابن عباس	لا حمى إلا الله ولرسوله ..
٥٥١	ابن عباس	لا يجمع الله أمي على ضلالة
٦١٦	عمرو بن عبسة	لا يحل لي من غنائمكم مثل هذه إلا الخمس ..
٣٧١	جابر بن سمرة	لا يزال الدين قائماً حتى تقوم الساعة ..
٥٣٥	سهل بن سعد	لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطور ..
٣٧٧	ابن عمر	لا يزال هذا الأمر في قریش ..
٥٣٦	أبو هريرة	لا يزال هذا الدين ظاهراً ما عجل ..
٤٤٤	جابر بن سمرة	لا يزال هذا الدين قائماً تقاتل عليه ..
٦٤٢	عبدالله بن هشام	لا والذي نفسي بيده حتى أكون أحب إليك ..
٦٤١	أنس بن مالك	لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه ..

(حرف الياء)

١٤٤	أنس بن مالك	يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما ..
٢٩٠	أبو رافع	يا أبا رافع ناولني الذراع ..
٢٨٢	أبو هريرة	يا أبا هريرة الحق بأهل الصفة ..
٣٣٨	أبو هريرة	يا أبا هريرة ما فعل أسيرك ..
١٦٦	ابن عباس	يا أبا اليسر كيف أسرت العباس ..
٢٥٤	ابن شهاب	يا شيخ إني إن رخصت لك في مثل هذه ..
٤٦	أنس بن مالك	يا أم سليم ما هذا ..
١٩٣	جابر بن عبدالله	يا أهل الخندق إن جابراً قد صنع طعاماً ..
١٤٩	عبدالله بن سلام	يا أيها الناس أطعموا الطعام وأفشوا ..
١١٣	ابن عباس	يا بنية أربي وضوءاً ..
٢٨٧	جابر بن عبدالله	يا جابر جُذِّ له فأوفه الذي له ..
٢٦٦	جابر بن عبدالله	يا جابر خذ الإداوة وانطلق ..
١٢٥	ابن عباس	يا جبريل ما هذا .. قد أفلح بلال ..
٦٢٣	أنس بن مالك	يا حفصة ما فعل الرجل، قطع الله ..

٣١٥	ابن عمر	يأخذ الجبار سماواته وأرضه بيده ..
٥٤	عائشة	يا عائشة إن عيني تمانان ولا ينام قلبي ..
٤٩	عبدالله بن الزبير	يا عبدالله اذهب بهذا الدم ..
٣٨٤	عائشة	يا عثمان إن ولاك الله هذا الأمر ..
٢٥٦	عدي بن حاتم	يا عدي بن حاتم إن طالت بك حياة ..
٩٠	ابن مسعود	يا غلام هل عندك لبن تسقينا ..
٢٣٣	أبو هريرة	يا معشر الأنصار: قلمت أما الرجل فأدركته ..
٥٩٢	أبو سعيد الخدري	يحيء النبي يوم القيامة ومعه الرجل ..
٥٨٣	كعب بن مالك	يحشر الناس يوم القيامة فأكون أنا وأمتي ..
٢٧٨	أنس	يدخل علي ثمانية (التبريك في الطعام) ..
٥٩١	أبو سعيد الخدري	يدعى نوح يوم القيامة فيقال هل بلغت ..
٤٤٧	مرداس الأسلمي	يذهب الصالحون الأول فالأول ..
٥٧٧	أبو هريرة	يضرب جسر جهنم فأكون أول من يجيز ..
٣٤٧	جابر بن عبدالله	يطلع عليكم رجل من أهل الجنة ..
٣٤٦	ابن مسعود	يطلع عليكم رجل من أهل الجنة ..
٥٣٨	أبو قتادة	يكفر الله السنة الماضية والباقية ..
٣٨١	عمار بن ياسر	يكون بعدي قوم يأخذون الملك ..
٤٦٤	عبدالله بن عمرو	يكون في آخر هذه الأمة رجال يركبون على ..
٤٦٢	ابن عباس	يكون قوم في آخر الزمان يخضبون بالسواد ..
١٥٠	ابن عباس	يلتقي الماءان فإذا علا ماء الرجل ..
١٥٣	ثوبان	ينحر لهم ثور الجنة ..
٥٧٦	جابر بن عبدالله	ينقطع كل سبب ونسب إلا سببي ..
٤٤٠	أبو هريرة	يوشك أن طالت بك المدة أن ترى قوماً ..
٤٦١	سمرة بن جندب	يوشك أن يملا الله أيديكم من العجم ..
٤٤٩	أبو هريرة	يوشك الفرات أن يحسر عن كنز من ذهب ..
٤٥١	ثوبان	يوشك أن تداعى عليكم ..
٤١٩	أبو هريرة	يوشك الناس أن يضربوا أكباد الإبل ..
٢٤٢	معاذ بن جبل	يوشك يا معاذ إن طالت بك حياة ..

قسم الأفعال ترتيب لأسماء الرواة ومروياتهم

١٦١ غزوة بدر وعدد المسلمين

١٧٧ غزوة أحد

(جابر بن سمرة)

٢١ الشمائل، خاتم النبوة

٤٨ الشمائل، عرق النبي

٤٨٣ فضل سعد بن أبي وقاص

(جابر بن عبدالله)

١٨٩ غزوة ذات الرقاع

١٩١، ١٩٠ غزوة ذات الرقاع

٢٠٩ غزوة الحديبية

٢٣٠ غزوة سيف البحر

٦٢٠ فتح مكة ودخولها بلا إحرام

٣٠٦ أسباب النزول والموارث

(جبير بن مطعم)

الحج ووقوف الرسول بعرفات قبل الإسلام

٦٦

(جرير بن عبدالله)

٦٨٥ إخبار الكهان بوفاة الرسول

رقم الحديث

(أنس بن مالك)

٤٣ رفع اليدين في الدعاء

٦٩٠ الجنائز، حفر قبر الرسول

٦٢٤ النكاح، تزوج النبي صفية

٦٢٥ النكاح، تزوج النبي زينب

٩١ المعجزات، انشقاق القمر

١٨ المعجزات، شق الصدر الشريف

أثر الرسول في الصحابة وفجعة موته

. ٦٩١

المعجزات، نبع الماء من الأصابع الشريفة

. ٢٧٠

١٨٠ غزوة أحد وأنس بن النضر

١٩٦ غزوة قريظة وجبريل

٢٠٣ قصة العرنيين والبعثة

٣١٧ الكرامات، إضاءة العصا

٢٢٦ الرؤيا وفضل الشهداء

(البراء بن عازب)

٢٠٦ صلح الحديبية

١٩٩ قتل أبي رافع

(حذيفة بن اليمان)

وفود نصارى نجران ٢٥٩

الإخبار بالمغيبات ٣٤٩

(حنظلة بن خديم)

الآية في مسح الرسول رأسه ٣١٩

(الربيع بنت معوذ)

اختصاص الرسول بالنظر للأجنبيات ٦٢٧

(زيد بن أرقم)

النهي عن الكلام في الصلاة ٥٣٩

(زيد بن ثابت)

أسباب النزول والجهاد ٨١

غزوة أحد وسعد بن الربيع ١٨٢

(السائب بن يزيد)

الشامل، خاتم النبوة ٢٠

المعجزات، إجابة الدعاء ٤٨٨

(سراقة بن مالك)

الهجرة النبوية ١٤٧

(سعد بن أبي وقاص)

غزوة أحد ورؤية الملائكة ١٧٩

(سفينة)

الآية في تسخير الأسد ٣٠٢

(سلمة بن الأكوع)

المعجزات، البركة في الطعام ٢٠٨

المعجزات، البركة في الماء .. ٢٠٩ ، ٢١٠

(سلمة بن سلامة بن وقش)

معرفة اليهود للرسول قبل المبعث ٩

(صفوان بن عسال)

سؤال اليهود عن التسع آيات ١٥٢

(عائشة أم المؤمنين)

صلاة الرسول للنافلة بعد العصر ٦١١ ،

٦١٣

الجنائز، تغسيل النبي الكريم ٦٨٦

الحج، مواقيت الحج ٣٦١

النكاح، حلية النساء للرسول ٥٩٨

النكاح، حلية النساء للرسول ٦٠٩

المعجزات، البركة في الطعام ٢٨٤

حديث الإفك ٢٠٢

غزوة قريظة والأحزاب ١٩٧

الوفاة النبوية وصلاة أبي بكر بالناس ٦٧٩

الوفاة النبوية وخروج الروح الطاهرة ٦٨٤

(عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق)

البركة في الطعام ٢٨٣

(عبد الرحمن بن معاذ)

خطبة الرسول بمبى ٤٥

(عبدالله بن سرجس)

خاتم النبوة ٢٢

(عبدالله بن عباس)

الطهارة ونقضها بالنوم ٦٢١

(عبدالله بن مسعود)

- التفسير وفتح مكة ٢٣٤
استماع الجن للقرآن ١٠٦
التفسير وأشراط الساعة ١١٧
الإسراء والمعراج ١٣٢
رؤية الرسول جبريل ليلة الإسراء .. ١٣٣
أسباب النزول وسؤال اليهود عن الروح. ١٥١
غزوة بدر وقتل أمية بن خلف ... ١٦٠
غزوة بدر وقتل رؤوس الكفر بمكة .. ١٦٩
الوفاة النبوية ٦٧٦
(عطاء بن يسار عن عبدالله بن عمرو)
صفة الرسول في التوراة..... ٤

(علي بن أبي طالب)

- الجنائز، تغسيل النبي الكريم ٦٨٧
غزوة بدر واثقاء الصحابة بالرسول ١٦٧
الردة وإبطال دم ساب الرسول ... ٦٣٠

(عمر بن الخطاب)

- خبر إسلامه ١٠١
الفيء وأموال بني النضير..... ١٧١
أخبار الكهان والجان برسول الله ... ٧٠

(عمران بن الحصين)

- سلام الملائكة عليه ٣٣٥
غارة المشركين على سرح المدينة ... ٢١٢

(قيس بن مخزومة)

- تاريخ ميلاد الرسول..... ١٥

- التوارث بين المهاجرين والأنصار... ٦٥٨
الكتابة إلى قيصر ٢٤٩
أسباب النزول وسؤال اليهود عن الروح .

١١١

- الإسراء والمعراج ١٢٩
رؤية الرسول ربه ليلة الإسراء... ١٣٤
رؤية الرسول ربه بالفؤاد ١٣٥
التفسير والهجرة النبوية ١٤٥
غزوة بدر ودعاء الرسول ليلتها... ١٦٣،
١٦٥

- التفسير وحسبنا الله ١٨٣
التفسير وفضل ابن عباس ٦٧٢
أسباب النزول والقصاص ٥٤٧
التفسير فضائل الرسول ١٤
طاعة الجن للنبي ٣٠٥

- استماع الجن لقراءة النبي ٧١
قراءة الرسول على الوليد ٧٣
عير بدر وقول العباس فيه ١٧٠
أخبار الكاهنة بالرسول ٥٢
عمرة القضاء والرمل في الطواف .. ٢٢٤
الفتن، قتل الحسين ٣٨٧
الرؤيا وقتل الحسين ٣٨٩

(عبدالله بن عمر بن الخطاب)

- الاستسقاء ٤٧٩
الانبساط إلى النساء ٣٤٨
فضل جعفر بن أبي طالب ٢٢٩

(عبدالله بن عمرو)

- رحمة الرسول بالأمة ٥٧١

(أبو سعيد الخدري)	
تغير القلوب بعد وفاة الرسول	٦٩٢
(أبو الطفيل)	
الصحابة، وفاة أبي الطفيل	٤٢٦
(أبو عثمان النهدي عن أسامة بن زيد)	
مشاهدة الملائكة عياناً	٣٣١
(أبو عسيب)	
الجنائز، الصلاة على الرسول	٦٨٨
(أبو عياش الزرقى)	
صلاة الخوف	١٨٨
(أبو عقيل)	
المعجزات، إجابة الدعاء	٤٩١
(أبو موسى الأشعري)	
سفر الرسول إلى الشام	٦٠
غزوة أحد	٦٤
(أبو هريرة)	
الصلاة على النجاشي	٣٤٠
الآية في بعث الناقة	٢٩٥
سرية عاصم	١٨٤

(كندير بن سعد عن أبيه)	
نجاح الرسول في حاجاته وقضائها . . .	٥٩
(المغيرة بن شعبة)	
الإخبار بالمغيبات	٣٥٣
(المسور بن مخرمة)	
صلح الحديبية	٢٠٣
فتح مكة المكرمة	٢٣١
(يزيد بن أبي عبيد عن سلمة بن	
الأكوع)	
الآية في نفث الرسول في ساق سلمة ٢١٧	
(يعلى بن أمية)	
حالة الرسول عند الوحي	٧٨
(أبو ذر الغفاري)	
قصة إيمانه وتعرفه على النبي	٧٥
الإخبار بالمغيبات	٣٥٢
(أبو زيد)	
الآية في بركة اليد الشريفة وإجابة الدعاء	
بطول العمر	٣١٨

المراجع

- ١ - الأدب المفرد، للبخاري، طبع القاهرة.
- ٢ - الإصابة، لابن حجر، طبع الحلبي.
- ٣ - الإكمال، لابن ماكولا، نشر محمد أمين دمع، بيروت.
- ٤ - ألفية العراقي، طبع فاس، ١٣٥٤.
- ٥ - بداية السؤل، تحقيق الشيخ عبدالله الصديق، مصر.
- ٦ - البداية والنهاية، ط، ثانية، ١٩٧٤، بيروت.
- ٧ - التاريخ الكبير، للبخاري، طبع الهند.
- ٨ - تاريخ بغداد، دار الكتاب العربي، بيروت.
- ٩ - تحفة الأشراف، المكتب الإسلامي، الدار القيمة.
- ١٠ - تخرّيج أحاديث الشفاء، للسيوطي، طبع مصر، أولى.
- ١١ - تخرّيج أحاديث شرح البردة لابن عجيبة، لعبدالله التليدي، «مخطوط».
- ١٢ - ترتيب الحلية، للشيخ عبدالعزيز الصديق، ط، أولى، مصر.
- ١٣ - ترتيب تاريخ بغداد، للشيخ العلامة أحمد بن الصديق، نشر الخانجي، ١٣٥٥.
- ١٤ - الترغيب والترهيب، ط، أولى، مصر.
- ١٥ - تعجيل المنفعة، دار المحاسن للطباعة، ١٣٨٦.
- ١٦ - تفسير ابن كثير، دار الفكر، بيروت.
- ١٧ - تفسير الزمخشري، دار الكتاب العربي، بيروت.
- ١٨ - تفسير القنوجي، ط، القاهرة.
- ١٩ - تقريب التهذيب، ط، ثانية، بيروت.
- ٢٠ - تنزيه الشريعة، الطبعة الأولى، مصر.
- ٢١ - تهذيب الأسماء واللغات، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ٢٢ - تهذيب الترمذي، لعبدالله التليدي، مخطوط.
- ٢٣ - تهذيب التهذيب، ط، ثانية، دار صادر.
- ٢٤ - جامع الأصول، ط، أولى، ١٣٦٨.

- ٢٥ - الجرح والتعديل، طبعة ثانية، بيروت.
- ٢٦ - جلاء الأفهام، لابن القيم، مصر.
- ٢٧ - الحاوي، للسيوطي، مصر.
- ٢٨ - الحلية، لأبي نعيم، دار الكتاب العربي، بيروت.
- ٢٩ - الخلاصة، للخزرجي، الطبعة الثانية، ١٣٩١.
- ٣٠ - دلائل النبوة، لأبي نعيم، عالم الكتاب.
- ٣١ - ذخائر المواريث، ط، أولى، ١٣٥٢.
- ٣٢ - زاد المعاد، الطبعة الثانية، دار الفكر.
- ٣٣ - سلسلة الأحاديث الصحيحة، المكتب الإسلامي.
- ٣٤ - سنن ابن ماجه، دار إحياء الكتب العربية.
- ٣٥ - سنن أبي داود، طبع السعادة.
- ٣٦ - سنن الترمذي، بشرح المباركفوري، ط الهند.
- ٣٧ - سنن الدارمي، نشر عبدالله هاشم المدني.
- ٣٨ - شرح السنة، المكتب الإسلامي.
- ٣٩ - شرح سيرة ابن هشام، للسهيلي، طبع الجمالية، مصر.
- ٤٠ - شرح الشفاء، لعلي القاري، المكتبة السلفية، المدينة المنورة.
- ٤١ - شرح الشفاء، للخفاجي، المكتبة السلفية، المدينة المنورة.
- ٤٢ - شرح الشمائل المحمدية، لقاسم جسوس، ط، أولى، ١٣٣٠.
- ٤٣ - شرح الشمائل المحمدية، لعلي القاري، دار المعرفة، بيروت.
- ٤٤ - شرح ألفية العراقي، طبعة المغرب: فاس، ١٣٥٤.
- ٤٥ - شرح المواهب اللدنية، للزرقاني، ط، أولى، ١٣٢٥، مصر.
- ٤٦ - شرح مسلم، للنووي، المطبعة المصرية.
- ٤٧ - الشمائل المحمدية، للترمذي، الطبعة الأولى، حمص، ١٣٨٨.
- ٤٨ - صحيح البخاري، الحلبي.
- ٤٩ - صحيح الجامع الصغير وزيادته، المكتب الإسلامي.
- ٥٠ - صحيح مسلم، المصرية.
- ٥١ - طبقات ابن سعد، دار صادر، بيروت.
- ٥٢ - فتح الباري، ط، ثالثة، ١٣٨٨، مصر.
- ٥٣ - الفتح الرباني، الطبعة الأولى، مصر.
- ٥٤ - فضل الصلاة على النبي، للقاضي إسماعيل، المكتب الإسلامي.
- ٥٥ - فقه السيرة للبوطي، الطبعة الثانية.

- ٥٦ - فقه السيرة، للغزالي، الطبعة السابعة.
- ٥٧ - فيض القدير، ط، أولى، ١٣٥٦.
- ٥٨ - القاموس، الطبعة الثانية، مصر.
- ٥٩ - القاموس الإسلامي، مكتبة النهضة المصرية، ١٣٨٣.
- ٦٠ - القول المسدد، ط، أولى، الهند.
- ٦١ - قواعد التحديث، ط، ثانية، ١٣٨٠، الحلبي.
- ٦٢ - كشف الأستار عن زوائد البزار، مؤسسة الرسالة.
- ٦٣ - كنز العمال، مكتبة التراث الإسلامي، حلب.
- ٦٤ - الكواكب النيرات، دار المأمون للتراث.
- ٦٥ - اللآلئ المصنوعة، المكتبة التجارية، مصر.
- ٦٦ - لسان العرب، دار صادر.
- ٦٧ - لسان الميزان، الطبعة الثانية، مؤسسة الأعلمي.
- ٦٨ - المجروحين، لابن حبان، ط، أولى، حلب.
- ٦٩ - مجمع الزوائد، الطبعة الثانية، دار الكتاب العربي.
- ٧٠ - المحلى، لابن حزم، المكتب التجاري، بيروت.
- ٧١ - مختصر أبي داود، دار المعرفة، بيروت.
- ٧٢ - مسند أحمد، المكتب الإسلامي.
- ٧٣ - مسند أحمد، تحقيق أحمد شاكر، ط، ثانية، مصر.
- ٧٤ - مسند الشهاب، مؤسسة الرسالة.
- ٧٥ - مسند الحميدي، حيدرآباد.
- ٧٦ - مسند الطيالسي، ترتيب الشيخ البنا، الطبعة المنيرة.
- ٧٧ - مستدرک الحاكم، حيدرآباد.
- ٧٨ - مشكاة المصابيح، المكتب الإسلامي.
- ٧٩ - مصباح الزجاجة، دار العربية، بيروت.
- ٨٠ - مصنف عبدالرزاق، دار القلم، بيروت.
- ٨١ - المطالب العالية، الكويت، الطبعة الأولى.
- ٨٢ - المعجم المفهرس، ليدن، ١٣٣٦.
- ٨٣ - المعجم الصغير، للطبراني، المكتبة السلفية.
- ٨٤ - معجم البلدان، دار صادر.
- ٨٥ - المغني عن حمل الأسفار، للعراقي، الحلبي، ١٣٥٨.
- ٨٦ - مفتاح كنوز السنة، الطبعة الأولى، ١٣٥٣.

- ٨٧ - مفتاح الصحيحين، ط، ثانية، دار الكتب العلمية.
- ٨٨ - المقاصد الحسنة، نشر الخانجي، ١٣٧٥.
- ٨٩ - منتخب كنز العمال، بهامش مسند أحمد، المكتب الإسلامي.
- ٩٠ - ميزان الاعتدال، الطبعة الأولى، ١٣٨٢، مصر.
- ٩١ - هداية الباري لترتيب البخاري، دار الرائد.

الفهرس

٥	مقدمة الطبعة الثانية
١٠	المؤلفات في دلائل النبوة والخصائص والفضائل
١٣	الخصائص الكبرى للسيوطي
١٤	مراجع السيوطي
١٤	أسلوب السيوطي في تأليف كتابه
١٤	مميزات وخصائص كتاب السيوطي
١٤	الموضوعات في الخصائص الكبرى
١٧	التخريج عند السيوطي
١٩	تحقيق الدكتور هراس لكتاب الخصائص الكبرى
٢٤	المنهج في تهذيب الخصائص الكبرى
٢٧	أول تهذيب الخصائص
٢٧	تقدم نبوة رسول الله ﷺ
٢٨	أخذ الميثاق على النبيين
٢٨	كونه دعوة إبراهيم
٢٩	ذكره في الكتب القديمة
٣٢	حديث إسلام سلمان وقصة إخبار الأخبار به
٤٠	شرف نسبه الشريف
٤٣	حادث الفيل
٤٤	ما ظهر في ليلة مولده الشريف
٤٥	ما ظهر أيام رضاعه
٤٩	ذكر المعجزات والخصائص في خَلْقِهِ ﷺ
٤٩	خاتم النبوة وما جاء فيه

٥٠ باب جامع لأوصافه الطاهرة
٥٧ باب المعجزات والخصائص والآيات في جسمه وأعضائه على التفصيل
٦٥ كثرة أسماء نبينا المقدسة الدالة على شرفه
٦٧ ما وقع في سفره مع عمه إلى الشام
٦٨ شفاعته لأبي طالب في التخفيف عنه
٦٩ حفظه في شبابه عن أعمال الجاهلية
٧٣ ما وقع عند المبعث من المعجزات
٧٦ ما سُمع من الكهان بظهوره
٧٦ حراسة السماء من الشياطين
٧٨ إعجاز القرآن وعظمته
٨٢ الإجماع على إعجاز القرآن
٨٣ أنواع إعجاز القرآن
٨٦ المعجزات عند نزول الوحي
٨٨ رؤيته جبريل على صورته الأصلية
٩٠ المعجزات والخصائص الواقعة بمكة فيما بين المبعث والهجرة
٩٠ سعي الشجرة إليه ﷺ
٩١ درّ الجذعة باللبن
٩٢ انشقاق القمر
٩٣ عصمته من الناس
٩٥ احتجاجه عن امرأة أبي لهب
٩٦ ما وقع في إسلام عمر من الآيات
٩٨ ما وقع في إسلام ضماد من الآيات
٩٩ ما وقع في إسلام الطفيل بن عمرو من الآيات
٩٩ ما وقع في إسلام عثمان بن مظعون من الآيات
١٠٠ إسلام الجن
١٠٣ قصة الروم مع فارس
١٠٤ امتحان الكفار لنبي الله ﷺ وإذابتهم له
١٠٨ صرف شتم المشركين عنه

١٠٩	دعاؤه عليهم بالسنة
١١٠	حادث الإسراء العظيم وما وقع فيه
١٢٦	تزوج نبي الله ﷺ عائشة
١٢٧	عرضه نفسه على القبائل ومجيء ملك الجبال
١٢٩	حادث الهجرة النبوية التاريخية
١٣٣	سؤال اليهود النبي ﷺ مقدمه المدينة ومعرفتهم صدقه
١٣٧	رفع الحمى والطاعون عن المدينة
١٣٨	البركة في المدينة
١٣٩	مشروعية الأذان وما وقع فيه
١٤١	ذكر المعجزات الواقعة في الغزوات
١٤١	غزوة بدر
١٤٨	غزوة بني النضير
١٤٩	قتل كعب بن الأشرف
١٥١	غزوة أحد
١٥٨	غزوة حمراء الأسد
١٥٩	غزوة الرجيع
١٦١	حادث بئر معونة وما وقع فيه
١٦٣	غزوة ذات الرقاع
١٦٨	غزوة الخندق
١٧١	غزوة قريظة
١٧٣	قتل أبي رافع
١٧٥	قتل خالد بن سفيان الهذلي
١٧٧	غزوة بني المصطلق وحادث الإفك
١٨٤	قصة العرنيين
١٨٥	غزوة الحديبية
١٩٧	غزوة ذي قرد
١٩٩	غزوة خيبر
٢٠٥	عمرة القضاء

٢٠٧	بشارة للشهداء
٢٠٨	غزوة مؤتة
٢٠٩	غزوة سيف البحر
٢١٠	غزوة الفتح الأعظم لمكة المكرمة
٢١٥	غزوة حنين
٢١٧	غزوة تبوك
٢٢١	ذكر المعجزات عند إنفاذ الكتب إلى الملوك
٢٢١	كتابه إلى قيصر
٢٢٦	كتابه إلى كسرى ووفد ثقيف
٢٢٧	ذكر المعجزات التي وقعت عند وفادة الوفود عليه ﷺ
٢٢٧	وفد ثقيف وما وقع في ذلك
٢٢٧	وفد مسيلمة الكذاب وما وقع في ذلك
٢٢٩	وفد عبد القيس وما وقع في ذلك
٢٣٠	تحريق ذي الخلصة على يد جرير
٢٣٠	وفد طيء وما أخبر به نبي الله ﷺ عنده
٢٣١	وفد مزينة
٢٣٢	وفد نجران
٢٣٣	ما قال نبي الله ﷺ عن وفد نجران
٢٣٤	وفد الدارين وخبر الجساسة
٢٣٥	إسلام عكرمة بن أبي جهل
٢٣٥	معجزة في عذق النخلة
٢٣٦	معجزة في مجيء الشجرة إلى نبي الله ﷺ
٢٣٧	حجة الوداع وما وقع فيها
٢٤٠	ذكر المعجزات التي لم تدخل في الأبواب السابقة
٢٤٠	نبع المياه من بين الأصابع الشريفة
٢٤٤	تكثير الطعام
٢٥٢	قصة الذراع
٢٥٣	الطعام الذي أتاه من الجنة

٢٥٣ المعجزات في ضروب الحيوانات
٢٥٣ قصة الجمل والناقة
٢٥٥ قصة الشاة والغنم
٢٥٦ قصة الذئب والراعي وشاته
٢٥٧ قصة الوحش
٢٥٨ قصة الفرس
٢٥٨ قصة الأسد
٢٥٩ قصة العفريت
٢٦٠ الإبراء من الجنون وغيره
٢٦١ آية في حمل الأثقال
٢٦١ آية في الحفظ وذهاب النسيان
٢٦٢ آية فيمن خالف في تغيير الاسم
٢٦٢ المعجزات في أنواع الجمادات
٢٦٢ حنين الجذع
٢٦٣ تحرك الجبل
٢٦٤ تحرك المنبر
٢٦٥ رجل كافر لم تقبله الأرض
٢٦٥ إضاءة العصا بالليل
٢٦٦ معجزة في الشعر الذي لم يشب
٢٦٦ أثر يد نبي الله ﷺ في الشفاء
٢٦٧ المعجزات في رؤيته ﷺ المعاني برؤيته الأجسام
٢٦٧ رؤية نبي الله ﷺ الجمعة وساعتها
٢٦٧ تجلي الملكوت له وإطلاعه على ما في السموات والأرض
٢٦٨ إطلاعه على أحوال البرزخ والجنة والنار
٢٧٣ المعجزات في رؤية أصحابه الملائكة وسماع كلامهم
٢٧٦ رؤية الصحابة الجن
٢٧٩ المعجزات في الإخبار بالمغيبات
٢٧٩ ١ - إخباره بموت النجاشي

- ٢٧٩ ٢ - إخباره بمن سحره وأين هو .
- ٢٨٠ ٣ - إخباره بما فتح من ردم يأجوج ومأجوج .
- ٢٨٠ ٤ - إخباره رجالاً بما حدثوا به أنفسهم .
- ٢٨١ ٥ - إخباره بالمنافقين .
- ٢٨١ ٦ - إخباره بالشاة التي ذبحت بغير حق .
- ٢٨٢ ٧ - إخباره برجال أنهم من أهل الجنة .
- ٢٨٣ ٨ - تخوف الصحابة من الانبساط إلى نسائهم .
- ٢٨٣ ٩ - إخباره بما كان وما هو كائن .
- ٢٨٥ ١٠ - إخباره بما سيفتح من الدنيا علينا وبالتحاسد والتقاتل .
- ٢٨٦ ١١ - إخباره بفتح اليمن والشام والعراق .
- ٢٨٧ ١٢ - إخباره بفتح بيت المقدس .
- ٢٨٨ ١٣ - إخباره بفتح مصر وما يحدث فيها .
- ٢٨٩ ١٤ - إخباره بغزاة البحر بقبرص .
- ٢٩٠ ١٥ - إخباره بقتال الأتراك وخوز وكرمان .
- ٢٩١ ١٦ - إخباره بفتح فارس والروم .
- ٢٩١ ١٧ - إخباره بالخلفاء والملوك .
- ٢٩٤ ١٨ - إخباره بأن هذا الأمر في قريش وأن أترك سيأخذونه منهم كما وقع .
- ٢٩٥ ١٩ - إخباره بالقتال على الملك .
- ٢٩٦ ٢٠ - إخباره بقتل عثمان .
- ٢٩٨ ٢١ - إخباره بقتل الحسين .
- ٣٠٠ ٢٢ - إخباره بالردة بعده .
- ٣٠١ ٢٣ - إخباره بياس الشيطان أن يعبد في جزيرة العرب .
- ٣٠١ ٢٤ - إخباره بمن لو أقسم على الله لأبره .
- ٣٠٢ ٢٥ - إخباره بأن عمر من المحذّثين .
- ٣٠٣ ٢٦ - إخباره بأول أزواجه لحوقاً به .
- ٣٠٣ ٢٧ - إخباره بأويس القرني .
- ٣٠٤ ٢٨ - إخباره بحال عبدالله بن سلام .
- ٣٠٤ ٢٩ - إخباره بالكذابين والدجالين بعده .

- ٣٠٥ - إخباره بالحجاج والمختار الثقفي ٣٠٥
- ٣٠٥ - إخباره بإصلاح الحسن بين الناس ٣٠٥
- ٣٠٦ - إخباره بالطاعون وأنه شهادة ٣٠٦
- ٣٠٧ - إخباره بكثرة الفتن ٣٠٧
- ٣٠٩ - إخباره بمن لا تضره الفتنة ٣٠٩
- ٣٠٩ - إخباره بوقعة الجمل وصفين ٣٠٩
- ٣١١ - إخباره بأغليمة من قريش وبرأس السبعين وبإمارة الصبيان ٣١١
- ٣١١ - إخباره بعالم المدينة ٣١١
- ٣١٢ - إخباره بقتل عمار بن ياسر ٣١٢
- ٣١٣ - إخباره بأئمة يصلون الصلاة لغير وقتها ٣١٣
- ٣١٣ - إخباره بعمر جماعة ٣١٣
- ٣١٤ - إخباره بكذابين في الحديث ٣١٤
- ٣١٥ - إخباره بتغيير الناس ٣١٥
- ٣١٥ - إخباره بافتراق الأمة ٣١٥
- ٣١٦ - إخباره بالخوارج ٣١٦
- ٣١٨ - إخباره بالقدرية والزنادقة وغيرهم ٣١٨
- ٣١٩ - إخباره بمن يرد السنة ٣١٩
- ٣٢٠ - إخباره الأنصار بما سيلقون ٣٢٠
- ٣٢١ - إخباره بالشرطة الظلمة وبالنساء العاريات المتبرجات ٣٢١
- ٣٢٢ - إخباره بالنار الخارجة من الحجاز ٣٢٢
- ٣٢٢ - إخباره بالطائفة المنصورة ٣٢٢
- ٣٢٣ - إخباره بالمجددين للدين ٣٢٣
- ٣٢٣ - إخباره بذهاب الصالحين ٣٢٣
- ٣٢٤ - باب جامع فيما أخبر به من أحوال أمته ٣٢٤
- ٣٣٢ - إخباره بأشراط الساعة ٣٣٢
- ٣٣٥ - المعجزات في إجابة الدعوات ٣٣٥
- ٣٣٥ - ١ - دعاؤه في الاستسقاء ٣٣٥
- ٣٣٦ - ٢ - دعاؤه لآل بيته ٣٣٦

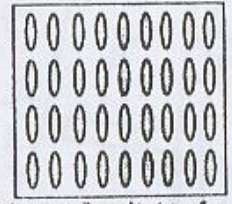
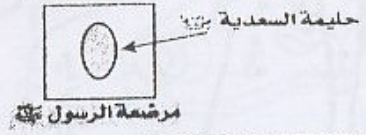
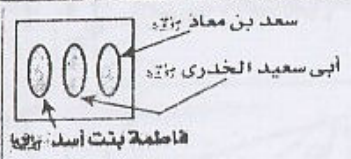
- ٣٣٦ ٣ - دعاؤه لعلي بن أبي طالب
- ٣٣٧ ٤ - دعاؤه لسعد بن أبي وقاص
- ٣٣٨ ٥ - دعاؤه لمن استأذنه في الزنا
- ٣٣٨ ٦ - دعاؤه لابن عباس
- ٣٣٩ ٧ - دعاؤه لأنس بن مالك
- ٣٣٩ ٨ - دعاؤه لأبي هريرة وأمه
- ٣٤٠ ٩ - دعاؤه للسائب بن يزيد
- ٣٤٠ ١٠ - دعاؤه لعبدالرحمن بن عوف
- ٣٤١ ١١ - دعاؤه لحمل أم طلحة
- ٣٤١ ١٢ - دعاؤه لعبدالله بن هشام
- ٣٤٢ ١٣ - دعاؤه لقريش
- ٣٤٢ باب جامع من دعواته صلى الله عليه وآله وسلم
- ٣٤٤ ذكر آيات في منامات رؤيت في عهده
- ٣٤٦ ذكر موازنة الأنبياء في فضائلهم بفضائل نبينا
- ٣٤٦ ما أوتيته آدم عليه الصلاة والسلام وما لتبينا نظيره
- ٣٤٧ ما أوتيته إدريس عليه الصلاة والسلام
- ٣٤٧ ما أوتيته نوح عليه الصلاة والسلام
- ٣٤٧ ما أوتيته هود عليه الصلاة والسلام
- ٣٤٨ ما أوتيته صالح عليه الصلاة والسلام
- ٣٤٨ ما أوتيته إسماعيل عليه الصلاة والسلام
- ٣٤٨ ما أوتيته يوسف عليه الصلاة والسلام
- ٣٤٨ ما أوتيته موسى عليه الصلاة والسلام
- ٣٤٩ ما أوتيته داود عليه الصلاة والسلام
- ٣٤٩ ما أوتيته سليمان عليه الصلاة والسلام
- ٣٥٠ ما أوتيته عيسى عليه الصلاة والسلام
- ٣٥١ ذكر الخصائص التي فضل بها على جميع الأنبياء
- ٣٥١ اختصاصه بالقرآن الكريم
- ٣٥٣ اختصاصه باستمرار معجزته إلى يوم القيامة

- ٣٥٣ اختصاصه بأنه خاتم النبيين
- ٣٥٤ اختصاصه بأن في كتابه ناسخ ومنسوخ
- ٣٥٤ اختصاصه بأن أرسل كافة للناس
- ٣٥٥ اختصاصه بأنه غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر
- ٣٥٦ اختصاصه بكونه رحمة للعالمين
- ٣٥٧ اختصاصه بإقسام الله تعالى بحياته
- ٣٥٧ اختصاصه بإسلام قرينه
- ٣٥٧ اختصاصه بعدم مناداة الله له باسمه في القرآن
- ٣٥٨ اختصاصه بتحريم نداءه باسمه على الأمة
- ٣٥٨ اختصاصه بأن الميت يسأل عنه في قبره
- ٣٥٩ اختصاصه بتحريم نكاح أزواجه من بعده
- ٣٥٩ اختصاصه بتولي الله تبرئته والرد على أعدائه
- ٣٦٠ اختصاصه بالنصر بالرعب مسيرة شهر
- ٣٦٢ اختصاصه بشرح الصدر ووضع الوزر ورفع الذكر
- ٣٦٤ اختصاصه بالتفرقة بينه وبين الأنبياء في الخطاب
- ٣٦٤ اختصاصه بقرن اسمه مع اسم الله تعالى
- ٣٦٥ اختصاصه بذكره في القرآن عضواً عضواً
- ٣٦٥ اختصاصه بتحريم التكني بكنيته
- ٣٦٦ اختصاصه بجواز الإقسام به على الله عز وجل
- ٣٦٧ اختصاصه بتفضيل بناته وزوجاته على نساء العالمين
- ٣٦٨ اختصاصه بتفضيل أصحابه على جميع العالمين سوى الأنبياء
- ٣٦٨ اختصاصه بتفضيل الحرمين الشريفين على سائر البلاد
- ٣٧٠ اختصاصه بالصلوات الخمس
- ٣٧١ جملة من الخصائص
- ٣٨٥ اختصاصه بأنه أول من تشق عنه الأرض يوم القيامة
- ٣٨٦ اختصاصه بالمقام المحمود والشفاعة العظمى
- ٣٩٤ انقطاع كل الأنساب والأحساب غيره
- ٣٩٥ هو أول من يمر على الصراط وأول الناس دخولاً الجنة

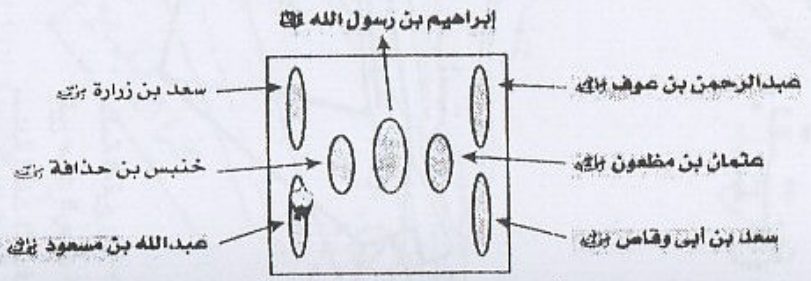
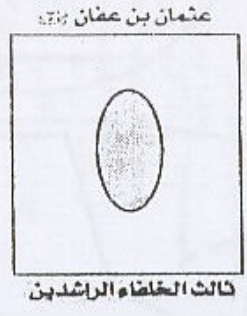
٣٩٦	اختصاصه بالكوثر والوسيلة
٣٩٦	فضل منبره وروضته المقدسة
٣٩٧	بعض فضائل هذه الأمة
٣٩٩	من يدخل الجنة بلا حساب من أمته
	ذكر الخصائص التي اختص بها عن أمته من واجبات ومحرمات ومباحات
٤٠٢	وكرامات
٤٠٢	خصائصه الواجبة
٤٠٥	خصائصه المحرمة عليه
٤١٢	خصائصه المباحة
٤٢٤	قسم الكرامات
٤٢٥	فضائل آل البيت النبوي
٤٣٧	فضائل الصلاة عليه
٤٤٨	ذكر ما ظهر عند وفاته من الآيات
٤٤٨	نعيه ﷺ نفسه
٤٥٠	إعطاؤه مع النبوة فضيلة الشهادة
٤٥١	مرضه وما وقع فيه من الآيات
٤٥٢	احتضاره وما وقع فيه من الآيات
٤٥٣	خروج روحه الشريف
٤٥٤	إخبار الكهان بوفاته
٤٥٥	تغسيله والصلاة عليه ودفنه وما ظهر ووقع عند ذلك
٤٥٨	بقاء جسمه الشريف وحفظه
٤٥٨	حياته في قبره الشريف
٤٥٨	عرض الأعمال عليه واستغفاره وشفاعته الآن لأمته ﷺ
٤٦٠	ترجمة موجزة للمؤلف
٤٦٥	فهرس ألفبائي للأحاديث
٤٩١	المراجع

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

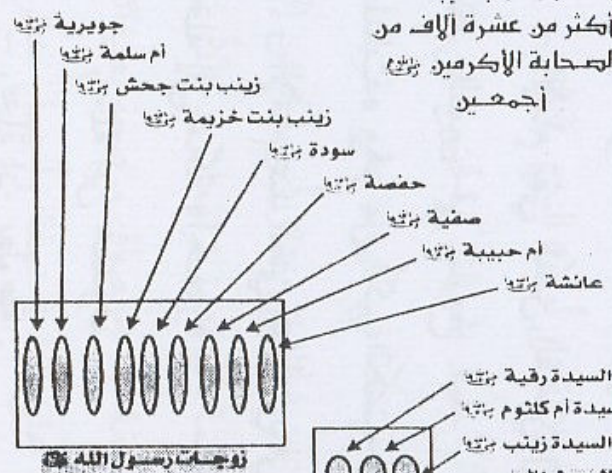
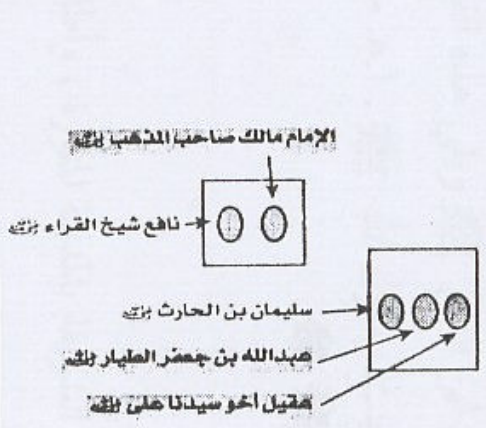
(البقيع بالمدينة المنورة)
خريطة بادارة



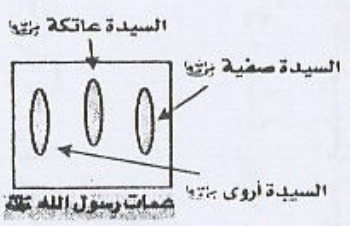
الله



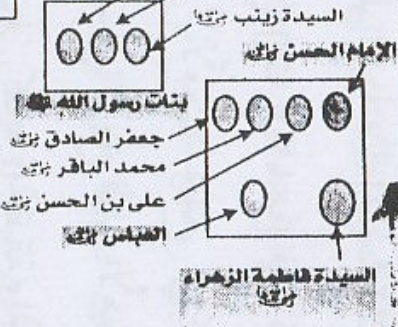
خريطة توضيحية لبقيع الفرقد بالمدينة المنورة وهي مقبرة المدينة . ويطلق عليها جنة البقيع . وفيها مقابر زوجات النبي صلى الله عليه وسلم وبناته رضي الله عنهم وابنه إبراهيم .



وأكثر من عشرة آلاف من الصحابة الأكرمين رضي الله عنهم إجمعي



السلام عليكم يا أهل البقيع ورحمة الله وبركاته ورضي الله عنكم إجمعي إنتم السابقون ونحن إن شاء الله بهكم لاحقون بفقر الله لكم ولنا . ويرحم المستقدمين منكم والمستأخرين . اللهم لا تحرمتنا أجرهم ولا تفتنا بعذابهم وأغفر لنا ولهم . اللهم اغفر لأهل بقيع الفرقد وعمهم بسحائب رحمتك ورضوانك ... يا أرحم الراحمين .



البقيع باب

